



الآن هـ

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
ورئيس التحرير

الدكتور
عبد الوود شلبي

الجزء الأول - السنة الثانية والخمسون - محرم / صفر ١٤٠٠ هـ - ديسمبر ٧٩ - يناير ٨٠ م

١٤
عمره ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

على هامش المؤتمر العالمي الثالث للمسيرة والسنة النبوية

دكتور عبد الوود شلبي

رئيس المؤتمر أن دولة قطر قد
تعهدت بتنفيذ إحدى التوصيات
الهامة .

حدث ذلك قبل أن تذايع
القرارات ، وفي مفتتح الجلسة
الختامية التي أعلنت فيها هذه
التوصيات .

لقد تميز هذا المؤتمر عن غيره
من المؤتمرات بسمات بارزة من
أهمها :

أولا : كان المدعوون اليه فجة
من كبار المفكرين والساسة ورجال
الحكم .

في الدوحة .. عاصمة دولة
قطر . انعقد المؤتمر العالمي الثالث
للمسيرة والسنة النبوية .

لم يكن تصوري عن هذا المؤتمر
- قبل السفر - يزيد عن تصوري
لغيره من المؤتمرات التي داعت
وانتشرت في آخريات هذا القرن .
وفود تحضر ، واجتماعات يلتئم
فيها الشمل .. ثم تصدر بعد ذلك
قرارات وتوصيات يتم تكفيها
وتخطيطها قبل أن تعلن !

غير ان الأمر لختلف هذه المرة .
فقد أعلن الشيخ عبد الله الأنصاري

بمناسبة انتهاء القرن الرابع عشر الهجرى ، وقد أصدرت حكومتها « البوذية » طابعا تذكاريًا لهذه المناسبة وإن المسلمين فى « جنوب أفريقيا » يستعدون أيضا للاحتفال بهذه المناسبة .

وكانت الظاهرة البارزة عند جميع المشتركين فى هذا المؤتمر هو الاحساس والثقة بأن العالم الاسلامى مقبل على مرحلة حاسمه ، وأن القرن الخامس عشر الهجرى يجرى فى وقت تتطلع فيه الانسانية الى الخلاص من نير الأنظمة المادية التى تتحكم فى العالم بقوتها الغاشمة .

وإذا كان الله سبحانه يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الأمة أمر دينها . فقد بقى على المسلمين أن يعوا جيدا هذه الحقيقة ، وأن يوقن كل مسلم ومسلمة أن مجد الاسلام وعزته رهينان بقوة العقيدة ، والحفاظ على هذه العقيدة .

دكتور عبد الودود شلبى

ثانيا : لم تغفل سكرتارية المؤتمر أية هيئة اسلامية فى الشرق أو الغرب .

ثالثا : كثرة البحوث المقدمة وتنوعها فى كل مجال من مجالات العلم والفكر .

رابعا : دقة التنظيم والتنسيق التى تميز بها هذا المؤتمر فى دولة صغيرة العدد والحجم .

خامسا : اخلاص القائمين على هذا المؤتمر واقبالهم على العمل فى حراسة وجد .

أكثر من ثلاثمائة عالم وباحث ومفكر . رؤساء وزراء سابقون ونواب رؤساء وزراء ، ووزراء وزعماء مسلمون حضروا من كل فج . حتى ولاية « لكسمبورج » هذه الدولة التى لا يكاد يسمع بها الكثيرون هنا فى مصر كانت ممثلة بأحد المفكرين من رجال الاقتصاد والفكر .

ومن المفارقات اللطيفة التى سمعت بها فى هذا المؤتمر أن دولة « سرى لانكا » سوف تحتفل فى شهر يناير القادم احتفالا دوليا

البيان الختامي

للمؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية المعقود في الدوحة

خلال الفترة من ٥ - ١٠ محرم ١٤٠٠ هـ
الموافق ٢٤ - ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩ م

فقد انعقد في مدينة الدوحة ،
المؤتمر العالمي الثالث للسيرة
والسنة النبوية خلال الفترة من
٥ - ١٠ محرم ١٤٠٠ هـ (الموافق
٢٤ - ٢٩ نوفمبر / تشرين الثاني
١٩٧٩ م) .

وحضر المؤتمر واشترك في أعماله
٢٦٧ من الوزراء والعلماء وكبار
المثولين عن الشؤون الإسلامية
والقضاء الشرعي والافتاء في العالم
الإسلامي ، والمشتغلين بأمور الدعوة
والدراسات والفكر الإسلامي
الذين وفدوا من سبع وأربعين
دولة . وقد وردت أسماؤهم
والجهات التي وفدوا منها في الملحق
المرافق لهذا البيان .

كما حضر المؤتمر عن المنظمات
الإسلامية الدولية كل من معالي
السيد / ظفر الإسلام الأمين العام

متابعة للجهود المشكورة التي
بذلت من قبل ، بعقد مؤتمر
السيرة النبوية في اسلام آباد
بالباكستان سنة ١٣٩٦ هـ
(١٩٧٩ م) وفي استنبول بتركيا
سنة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

واستجابة للدعوة الكريمة
الموجهة من دولة قطر ، باستضافة
المؤتمر الثالث بالدوحة في مستهل
المحرم سنة ١٤٠٠ هـ ، ليكون
فاتحة للاحتفالات العالمية بنهاية
القرن الرابع عشر وبداية القرن
الخامس عشر الهجريين .

وتجاوبا مع الرغبة التي أبدتها
السادة العلماء المشتركون في
المؤتمرين السابقين ، بإضافة
موضوع السنة النبوية الى السيرة
في تحديد اختصاص المؤتمر .

سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسنته للبشرية منهجا وقدوة •
هذا وقد تمهد سموه باسم دولة
قطر برعاية مقررات المؤتمر
وتوصياته •

وألقى فضيلة الشيخ عبد الله
ابن زيد المحمود رئيس المحاكم
الشرعية بدولة قطر كلمة بين فيها
عظمة الشريعة الإسلامية وصلاحتها
لكل زمان ومكان وأوضح أن
السنة النبوية هي شقيقة القرآن
ومبنيته ، ودعا الى الاقتداء بسيرة
الرسول الكريم عليه الصلاة
والسلام •

وتحدث معالي ظفر الاسلام
الأمين العام المساعد لمنظمة المؤتمر
فرحب بالمؤتمر باعتباره فاتحة
الاحتفالات العالمية بالقرن الخامس
عشر •

ثم تاب عن الوفود مسامحة
الشيخ أبي الحسن الندوي ، رئيس
ندوة العلماء بالهند ، فشكر لدولة
قطر أميرا وحكومة وشعبا حفاوتها
بالمؤتمر ، وتوفيرها أسباب النجاح
له مؤكدا أن البعثة المحمدية هي

المساعد لمنظمة المؤتمر الاسلامي ،
ومعالي الشيخ / محمد علي
الحركان ، الأمين العام لرابطة
العالم الاسلامي ، ودولة الدكتور
معروف الدواليبي رئيس مؤتمر
العالم الاسلامي لتمثيل منظماتهم
والمشاركة في أعمال المؤتمر •

وفي يوم السبت الخامس من
محرم ١٤٠٠ هـ ، وبعد استهلال
بتلاوة عطرة من آي الذكر الحكيم
افتتح المؤتمر نيابة عن صاحب
السمو الشيخ خليفة بن حمد آل
ثاني أمير دولة قطر ، سمو الشيخ
حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد
ووزير الدفاع بكلمة رحب فيها
بأعضاء المؤتمر مؤكدا أن قدوم
القرن الخامس عشر الهجري يقف
بالأمة الإسلامية على مفترق الطرق
ويتطلب منها أن تتبوأ مكائتها ،
وتقيم موازين القسط بين الشرق
والغرب ، وتحرر أرضها وتستعيد
مقدساتها وعلى رأسها القدس
الشرف والمسجد الأقصى الذي
بارك الله حوله •

كما أهاب بعلماء المسلمين أن
يبدلوا قصارى جهودهم كي يقدموا

لجان المؤتمر :

ضمانا لتيسير أعمال المؤتمر ولكي يتسع وقته لمناقشة الأبحاث العديدة التي قدمت له ، فقد تقرر أن ينبثق عن المؤتمر أربع لجان تنعقد في ظلال السيرة النبوية والسنة المشرفة ، وقد تم اختيار هيئاتها الإدارية على النحو التالي :

١ - لجنة السنة مصدرا للتشريع ومنهاجا للحياة :

الدكتور الحبيب بلخوجة رئيسا
الاستاذ مناع القطان نائبا
الرئيس

الشيخ صلاح أبو اسماعيل
مقررا

٢ - لجنة التربية والشباب :

الدكتور كامل الباقر رئيسا
الدكتور عبد الهادي التازي
نائبا للرئيس

الدكتور أحمد رجب عبد الحميد
مقررا

٣ - لجنة الدعوة والاعلام :

الشيخ محمد الغزالي رئيسا
الدكتور أديب الصالح نائبا
الرئيس

نعمة الله الكبرى على الأمة الإسلامية وأساس حضارتها وعزتها في ماضيها ، ومرتبجي وحدتها وقوتها في مستقبلها .

واختتم حفل الافتتاح فضيلة الشيخ عبد الله الانصاري مدير الشؤون الدينية بدولة قطر ورئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر مرحبا بأعضاء المؤتمر ومنوها بأهمية اضافة السنة النبوية قرينة للسيرة في موضوعات المؤتمر وأبحاثه .

وفي أعقاب ذلك عقد أعضاء المؤتمر جلسة عمل برئاسة معالي الشيخ محمد علي الحركان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي واختاروا الهيئة الإدارية التالية :

١ - فضيلة الشيخ عبد الله الانصاري رئيسا للمؤتمر

٢ - فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوي نائبا أول للرئيس .

٣ - فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي نائبا ثانيا للرئيس

٤ - الدكتور عز الدين ابراهيم
مقررا عاما

ولكى يعم النفع المرجو من هذه الأبحاث ، وتقديرا لقيمتها العلمية ، فإن المؤتمر يوصى بما يلي :

١ - طباعة الأبحاث مع خلاصة المناقشات التي دارت حولها ونشرها تباعا على نطاق واسع ، وترجمة مختارات منها الى اللغات الأخرى .

٢ - أن تتجه المؤتمرات القادمة نحو التخصص ما أمكن ، بجعل كل مؤتمر مختصا بجانب محدد من جوانب السنة والسيرة ، تتوافر جميع الدراسات على استيفائه مع الأصالة والعمق والابداع - وذلك حرصا على تعميق هذه الدراسات وتحاشيا للتكرار في تناولها .

التوصيات :

تدارس المؤتمر من خلال لجانه ، وفي ضوء الأبحاث التي قدمت اليه ، شئون السنة والتشريع ، والتربية والشباب ، والدعوة والاعلام ، والتراث والمصادر والشئون العامة للعالم الاسلامي ، وأصدر بشأنها التوصيات الآتية :

الدكتور ابراهيم زيد الكيلاني
مقررا

٤ - لجنة التراث والمصادر :

الشيخ عوض الله صالح رئيسا
الدكتور آكرم ضياء العمرى
نائبا للرئيس

الدكتور محمد مصطفى الأعظمي
مقررا

ابحاث المؤتمر ودراساته :

عكف المؤتمر من خلال لجانه الأربع على دراسة الأبحاث العلمية المستفيضة التي تقدم بها السادة العلماء ورجال الفكر الاسلامي في العالم والتي تم اعدادها خلال العام التحفيزي للمؤتمر ، وبلغ عدد الأبحاث ثلاثة وسبعين بحثا غطت جوانب عديدة من موضوعات السيرة والسنة النبوية .

وقد درست اللجان المجتمعة هذه الأبحاث وناقشتها بروية وجهد دؤوب واستخلصت منها التوصيات الواردة فيما بعد .

وفي الملحق المرافق ثبت واف بأسماء هذه الأبحاث وأصحابها ،

(أولا) - التوصيات المتعلقة بالسنة والتشريع

١ - يؤكد المؤتمر أهمية السنة باعتبارها المصدر الثاني للتشريع ، وأنها قرينة القرآن ، فالقرآن وحى الله لفظا ومعنى ، والسنة وحى الله لفظا ومعنى ، وجحود أحدهما ردة عن الإسلام .

لذلك فإن المؤتمر يشجب بكل قوة أى تنكر للسنة ، أو تهجم عليها أو تشكيك فيها . كما يستنكر أى دعوة لفصل الدين عن السياسة والدولة .

٢ - يناشد المؤتمر الحكومات الإسلامية أن تنص في دستورها على أن دين الدولة هو الإسلام ، وأن الشريعة الإسلامية بمصدرها الأساسيين : القرآن والسنة - هي المصدر الأصيل والوحيد للتشريع .

٣ - يهيب المؤتمر بدول العالم التى توجد بها جاليات اسلامية ، أن تعترف بالإسلام ضمن الأديان المعترف بها رسميا في مجتمعاتها ، وأن تكفل لمعتنقيه كافة الحقوق المقررة لاتباع الأديان الأخرى ،

بما في ذلك حقوق التعبد والتعليم والاحوال الشخصية وفقا لأحكام الاسلام .

٤ - يوصى المؤتمر الحكومات الإسلامية بتحويل طبع أمهات كتب السنة ومراجعتها المفهومة وتيسير اقتنائها ، وتكوين لجنة متخصصة لاصدار « موسوعة للسنة » وترجمتها الى اللغات الحية ، وتعميم نشرها .

٥ - يوصى المؤتمر باتخاذ الوسائل الكفيلة بتوجيه الدعاة الى تحرى الاستدلال بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيان ارتباط التشريع والحياة بالسنة والاهتداء بها في اصلاح المجتمعات والأخذ بيدها الى مدارج الرقى والتقدم والازدهار في مجالات الحياة المختلفة .

٦ - يوصى المؤتمر الحكومات العربية أن تعمل على نشر اللغة العربية الفصحى بين غير العرب ، وأن تمد يد المساعدة الى الجاليات الإسلامية في البلاد الاجنبية بمدرسى اللغة العربية ، لتمكينهم

١٠ - يوصى المؤتمر - احياء لسنة النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته الجامعة يوم عرفات - أن تذاع في هذا اليوم الخالد من موقعه العظيم ، خطبة جامعة ، تتولى اعدادها لجنة متعاونة من العلماء المشهود لهم بالورع والعلم والمعرفة الواسعة يبينون فيها مبادئ الاسلام وأحكامه وهديه وأحوال العالم الاسلامي وقضاياها . وتذاع هذه الخطبة على أوسع نطاق .

(ثانيا) - التوصيات المتعلقة بالتربية والشباب

نظرا لأهمية التربية في اعداد الأجيال اعدادا شموليا متكاملا ، ليتولوا قيادة مجتمعاتهم في المستقبل بوعي وكفاية وفاعلية فإن المؤتمر يوصى بما يلي :

١ - أن تكون أهداف التربية والتعليم في البلاد الاسلامية مستمدة من الكتاب والسنة والسيرة النبوية ، وأن تركز على الاتجاه الایماني للناشئة ، وأن تكون الكتب المدرسية خالية تماما من الأفكار الهدامة المناهضة للإسلام أو المناهضة له .

من فهم الكتاب والسنة ، والحفاظ على شخصية أبنائهم الاسلامية .

٧ - يوصى المؤتمر بضرورة التصدي اليقظ لكيد أعداء الاسلام ودحض شبهاتهم ، ومتابعة ما ينشر عن السنة والسيرة من مفتريات للرد عليها ، وبيان الحقائق الاسلامية بشتى أساليب البيان المكتوب والمسومع والمرئي وسائر وسائل الاعلام .

٨ - يوصى المؤتمر باحياء كتب تراث السيرة والسنة رواية ودراية ، وتحقيقها تحقيقا علميا بوساطة الهيئات والمؤسسات العلمية الموثقة ، والعناية بالدراسات والبحوث التي تبرز جهود العلماء قديما وحديثا في وضع قواعد الحديث وأصوله متنا واستادا ، مما خص الله به هذه الأمة .

٩ - يرى المؤتمر ضرورة رصد الجهود التي تبذل باستمرار من أجل وضع أحكام الشريعة الاسلامية في صيغة مقننة ، وجمعها وجعلها في متناول كل دولة اسلامية ، لتفيد منها في تطبيق الشريعة الاسلامية .

تحسين الظروف الموضوعية - المادية
والمعنوية - لهم ، ليولوا مهمتهم
كل اهتمامهم •

٤ - القيام بحملات توعية
توضح دور الأسرة في تربية النشء
لتكمل دور المدرسة في تربية الأبناء
تربية اسلامية واعية مع تكليف
الجهات المعنية بالتخطيط لذلك على
ضوء النظرية الاسلامية في التربية ،
وبخاصة لأطفال ما قبل المدرسة •

٥ - احياء نشاط المسجد في كل
مناحي الحياة وبخاصة التربوية
والثقافية ، والعمل على اثناء
مساجد في جميع المدارس ودور
العلم والكليات الجامعية •

٦ - أن تعمل الدول الاسلامية
على النهوض بالتعليم الجامعي في
اطار اسلامي من حيث : قنونه :

واستكمال تخصصاته ، وتطوير
مناهجه ، وتحديث أساليه مع
تطوير البيئة الجامعية بحيث تشبع
حاجات الشباب في التعليم والبحث
العلمي وبما يجعلهم يفضلون
جامعات الدول الاسلامية على
غيرها ، ويراعى أن تكون نظم

٢ - أن يكون للتربية الاسلامية
المستقاة من سيرة النبي الكريم
وسنته نصيب كبير من الحصص
الأسبوعية ، وأن تشمل : القرآن
الكريم حفظا وتلاوة وتفسيراً ،
والحديث الشريف ، والفقه ،
والتوحيد والسيرة النبوية ،
والشخصيات الاسلامية ، وبعض
البحوث والدراسات الاسلامية •
وأن يكون اختيار الأساتذة على
أساس الكفاءة والايمان برسالة
الاسلام قولاً وعملًا • وأن تعمل
كليات التربية على تطوير أساليب
التدريس استفادة من منهج
الرسول صلى الله عليه وسلم في
التربية ومن جهود المفكرين
المسلمين •

٣ - الاهتمام باعداد المصلين
وتعميق المعاني الخلقية لديهم ،
وأن يكون للتربية الاسلامية
نصيب كبير في مناهج اعدادهم ،
وأن يختاروا من ذوي الكفاية
والاخلاص والايمان والخلق
الاسلامي • وأن يحرص على

٨ - تعميق معاني التربية
الجهادية في قلوب شباب الأمة
الاسلامية وذلك بما يلي :

أ - اعتماد العقيدة العسكرية
الاسلامية - دون غيرها - في
الجيش الاسلامي ، والعمل على
اصدار كتب فيها ، وتطبيق أصولها
في التدريب والتعليم والسلوك
العسكري ، مع الاهتمام بانتقاء
الضباط من العناصر المؤمنة حرصا
على القدوة الطيبة ، واختيار العلماء
المخلصين لتولي الارشاد في الجيش ،
والحرص على بناء المساجد في
ثكناته ومعسكراته .

ب - ادخال التدريب العسكري
في المدارس والمعاهد والجامعات
لاعداد الشباب عسكريا ،
وتعويدهم الطاعة والانضباط
والنظام ، والحرص على اقامة
معسكرات سنوية لهم .

ج - العمل على اصدار
موسوعة عن التاريخ الحربي
الاسلامي طبقا للنهج العلمي
وتخصيص جوائز سنوية لأحسن
البحوث في جوانب العسكرية

القبول في هذه الجامعات مرنة
لتنج التحرك الطلابي بينهما
وتستوعب أبناء الأقليات الاسلامية
في البلاد غير الاسلامية .

كما يوصى المؤتمر بأن تستكمل
الجامعات التخصصات التي تهمل
الفئة المسلمة ، وأن تنشأ كليات
خاصة بالبنات . وأن تكون
الدراسات الاسلامية المتعمقة أساسا
للمناهج الجامعية ، مع التأكيد على
ضرورة العمل على استعادة العلماء
المسلمين بكل الوسائل المادية
والمعنوية والحيولة دون هجرتهم .

٧ - الاهتمام بتأكيد التمايز بين
الفكر الاسلامي والتيارات الفكرية
الوافدة وذلك بتشجيع البحث
والتأليف في فلسفة التربية
الاسلامية ، وعلم أصول التربية
الاسلامي ، وعلم النفس الاسلامي ،
وعلم الاجتماع الاسلامي بقصد
تدريسها في كل من جامعات الدول
الاسلامية . مع العمل على انشاء
أقسام للدراسات العليا في
التخصصات الاسلامية حتى
لا يبتعث الطلاب لدراساتها في بلاد
غير اسلامية .

١١ - إصدار مجلات الأطفال وكتبهم والنشرات الخاصة بتوجيههم في البلاد الإسلامية ، وعدم الاقتصار على المترجم منها مع الحرص على إصدار كتب إسلامية تناسب السن العقلي للأطفال والشباب وتقاوم الأفكار الوافدة الهدامة ، وأن تقدم المواد الملائمة للأطفال بأسلوب مشوق جذاب ، يستخدم منجزات العصر التقنية ، وأن تكون البرامج التليفزيونية والأفلام السينمائية ملتزمة بالأخلاق الإسلامية من احتشام وانضباط ألفاظ ، وسلامة اتجاه ، وتوجيه هادف .

١٢ - تكامل دور كل من المؤسسات التربوية والثقافية والاعلامية في تربية النشء ، بالتخطيط للبرامج التي تقدمها هذه المؤسسات لخدمة التوجيه والتربية الإسلامية للأجيال ، وإزالة أي تناقض بينها ليكمل دور كل منها دور الآخر ، وتتمكن من تقديم برامج مشتركة إسلامية هادفة ، وترعى نشاطات الشباب العلمية

الإسلامية ، والتأكيد على تدريس مادة الدعاية النفسية في الكليات المختلفة .

٩ - التأكيد على نظرية الإسلام التربوية التي تؤكد استمرارية التعليم من المهد إلى اللحد ، وذلك بالاهتمام الشديد بتربية أطفال ما دون سن المدرسة ، وإنشاء مؤسسات حكومية ذات كفاية للقيام بذلك مع تدعيم المؤسسات الأهلية المهمة بهذا الأمر .

كما يوصى المؤتمر بتنظيم برامج تربوية وثقافية للآباء والأمهات ، وتدعيم جهود محو الأمية وتعليم الكبار ، مع العمل على تنشيط دور المسجد الرائد في هذا المضمار .

١٠ - أن يهتم التعليم بالمهارات العملية ، واشباع ميول الناشئة المهنية ، والارتقاء بنظرتهم للعمل اليدوي والمهني ، ولتحقيق ذلك يراعى أن تكون الجوانب المهنية والعملية جزءاً من برامج التعليم في مراحله المختلفة ، مع توفير الامكانيات المهنية المادية والبشرية التي تكفل تحقيق ذلك .

والسلوكية بمرضها بأسلوب
مشوق جذاب .

١٣ - تنقية المناخ الاجتماعي
العام ، وواقع الحياة المحيط
بالشباب المسلم من المؤثرات التي
قد تؤدي الى انحرافه عقائديا
أو سلوكيا مع تدعيم كل جهد
بناء للمؤسسات والجمعيات
الاسلامية في تربية هؤلاء الشباب
تربية اسلامية متكاملة .

١٤ - تقديم كل عون ممكن
لاتحادات الطلاب والشباب المسلم
في أوروبا وأميركا وتبني انشاء
مدارس لمختلف المراحل وكلليات
جامعية في تلك البلاد ليتربى أبناء
المسلمين في بيئات اسلامية ، مع
امدادها بمدرسين أكفاء وبخطة
للمدتي التربية الاسلامية واللغة
العربية ، وكذلك بالكتب والمصادر
والمراجع والأجهزة التي
يحتاجونها .

كما يوصى المؤتمر بأن توجه
هذه الممنونات أيضا الى أبناء
الجاليات والأقليات الاسلامية في
بلدان غير اسلامية وبخاصة

فيما يتعلق بالمصاحف الشرفة
وكتب السيرة والسنة النبوية
المترجمة الى اللغات السائدة
لديهم ، ويؤكد المؤتمر على أن
تكون البعثات الدبلوماسية للدول
الاسلامية في هذه البلاد على
مستوى رفيع من الخلق الاسلامي
تحقيقا للقدوة الطيبة .

١٥ - تيسير انشاء وتدعيم
الجمعيات والنوادي الاسلامية
للشباب ، وموالاته تدعيمها
وتطويرها وتوجيهها الى المهج
الاسلامي السليم ، وتنويع نشاطاتها
لتشمل كل مجالات الحياة .

١٦ - تدعيم المؤسسات التعليمية
في البلدان الاسلامية المحتلة
والتصدي لمحااولات الطمس
والتشويه التي تعرض لها حضارة
الاسلام ، مع فتح أبواب
المدارس والجامعات أمام أبناء
المهاجرين المسلمين الذين اضطروا
لتترك ديارهم كمهاجرين
أفغانستان ، والفلبين وارتيريا
وقبرص وبلدان شرقي آسيا
وغيرهم .

٢٠ - اعلان الاسبوع الأول من كل عام هجري اسبوعا للسيرة والسنة النبوية في جميع مدارس ومعاهد وجامعات البلاد الاسلامية ، ربطا لطلابها بسيرة وسنة نبيهم ، وحضرا لهم على الاقتداء بهما .

٢١ - أن تعمل مؤسسات التعليم العالي والاعلام والهيئات العلمية في الدول الاسلامية على تنفيذ (الجامعة المفتوحة) الذي يعتمد على الاذاعة والتلفزيون تمكينا لربات البيوت ومن فاتهم ركب التعليم النظامي من استكمال دراساتهم بوساطتها ، مع الاهتمام بالدراسات الاسلامية ومنها السنة والسيرة النبوية .

(ثالثا) - التوصيات المتعلقة بالدعوة والاعلام

نظرا لما تتطلبه الدعوة الى الله ، من تجديد دائب في وسائله ، وأساليبها ، ومما للاعلام وأجهزته من تأثير بالغ في توجيه الرأي العام ، فإن المؤتمر يوصي بما يلي :
١ - ضرورة اهتمام الحكومات والهيئات الاسلامية برسم سياسة

١٧ - بذل أقصى عون ممكن للجامعات الاسلامية الناشئة في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة ، وتيسير التبرع لها حكوميا وشعبيا وامدادها بما تحتاجه من كماليات وخبرات وأجهزة ، والاعتراف بهذه الجامعات وشهادتها وامدادها بالبحوث والدراسات الاسلامية أولا بأول .

كما يوصى المؤتمر بأن تعامل الدول الاسلامية أبناء الفلسطينيين المقيمين فيها والوافدين اليها معاملة أبنائها في مدارسها ومعاهدها وجامعاتها .

١٨ - تخصيص كراسي استاذية للسيرة والسنة النبوية في كل من جامعات البلاد الاسلامية تشجيعا للبحث العلمي المعمق فيها .

١٩ - العمل على تصفية المدارس ذات الاهداف التبشيرية الموجودة في أي بلد اسلامي ، مهما كان اتماؤها واحكام الرقابة على أي مدارس اجنبية ، حتى لا تتحول الى عوامل هدم في البلاد الاسلامية .

بطولات المقاومة والمرابطة في الأرض المحتلة وتكشف مخططات الصهيونية الهادفة الى اخلاء الأرض وتهويدها .

٤ - انطلاقا من الايمان بوحدة الأمة الاسلامية فان المؤتمر يوصي الدول الاسلامية بالاكثر من البرامج التي تعرف المسلم بوطنه الاسلامي الكبير وتحارب النزعات الاقليمية والانفصالية وتوثق عرى الوحدة والاخوة بين الشعوب الاسلامية .

٥ - مطالبة الدول الاسلامية بدعم منظمة الاذاعات الاسلامية بجدة ومد يد العون لها حتى تقوم باداء رسالتها في اتاج البرامج الاسلامية والتنسيق بين اذاعات الدول الاسلامية بأعلى كفاية ممكنة .

٦ - مطالبة ذوي الطاقات الفكرية الاسلامية أن يسهموا اسهاما جادا في تقديم برامج اذاعية وتليفزيونية هادفة تشتمل على كل ألوان النشاط الفكري والابداع الفنى : من قصة وتمثيلية وبحث وتحليل وتقد وتعليق .

اعلامية مستمدة من روح الاسلام الحنيف ، باعتباره عقيدة وشرعة ونظام حياة ، تلتزم بها أجهزة الاعلام والتوجيه في الدولة مع اقتراح تشكيل مجلس أعلى للتنسيق بين هذه الاجهزة يشارك في نشاطه متخصصون في الشؤون الاسلامية .

٢ - تأكيد حاجة العالم الاسلامي الى وكالة انباء اسلامية ، تضطلع بمهمة الاعلام الاسلامي على المستوى العالمي وتتصدى لأساليب الاعلام المعادى ، وتوفر النموذج الأمثل لتقديم الخير الموثق ، ونظرا لأن منظمة المؤتمر الاسلامي قد اتخذت بعض الخطوات لاقامة وكالة انباء اسلامية فان المؤتمر يناشد الدول الاسلامية ان تدعم هذه الوكالة أدبيا وماديا وبشريا لتستكمل مقومات وجودها وتقوم بأداء رسالتها على نحو فعال .

٣ - مطالبة الدول الاسلامية بتخصيص برامج خاصة دائمة عن فلسطين والقدس بوصفهما حقا اسلاميا مغصوبا وان تبرز

٧ - حث مسئولى الاعلام في البلاد الاسلامية أن يعملوا على تنقية برامج البث الاذاعي والاعلامى من كل ما يتعارض مع القيم الاسلامية .

٨ - نظرا لما للصحافة من تأثير واسع الانتشار في تكوين الرأى العام فان المؤتمر يوصى رجال الصحافة فى العالم الاسلامى أن يرتفعوا الى مستوى الكلمة المسئولة الشجاعة وان ينأوا عن نشر كل ما يشير الحساسيات والاقليميات وبذكى عوامل الفرقة والافتقار بما يخدم أهداف الاعداء .

٩ - حفاظا على تنشئة الاجيال على معانى الاسلام وقيمه العليا فان المؤتمر يوصى بأن تقدم الاذاعات وأجهزة التلفزيون والصحافة فى البلاد الاسلامية برامج متخصصة تحسن عرض الاسلام بلغة الزمن وثوب المعاصرة بما يثبت قدرته .

١٠ - أن تحرص أجهزة الاعلام خاصة فى البلاد العربية على الالتزام

باللغة العربية الصحيحة صياغة وأداء ، وأن تفصل الجماهير بالمأثور من آداب اللغة العربية الرفيعة شعرا ونثرا ، والا تصرف فى استعمال العامية وتمجيدها ، وذلك لتعميق صلة المسلم بلغته الفصحى الاصيلية - لغة القرآن الكريم والحديث الشريف .

١١ - الاهتمام بالسينما والمسرح ، وتوظيفها فى إنتاج أفلام وتمثيلات ومسرحيات هادفة . تعرض مثل الاسلام وتاريخه وأنماط من بطولاته ، وتعالج مشكلات الحياة فى ضوء توجهات الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح .

١٢ - الاهتمام بإنشاء معاهد للدعوة يختار لادارتها والتدريس فيها ذوو الكفاءة من الموجهين لتخرج دعاة واعين يتحلون بالملاءة العلمية ، وقوة الشخصية ، ومرونة الاتصال ، والحدق فى اللغات الحية - بما يمكنهم من الدعوة الى الله باقتدار وتأثير وحكمة .

هذا المركز بإخراج دراسات مرجعية (بيبلوجرافية) مفصلة ، تعرف الباحثين بمصادر السيرة ومراجعتها وكافة المطبوعات والمقالات والدوريات المتعلقة بها ، وكذلك بالقيام بالدراسات الجغرافية والأثرية لأرض الرسالة النبوية ومواقع الغزوات وأحداث فترة النبوة .

ويأمل المؤتمر أن تبني دولة قطر التي استضافت دورته الثالثة ، مشروع هذا المركز .

٢ - إصدار دائرة معارف اسلامية يقوم على ادارتها وتحريرها علماء مسلمون أثبات ، وذلك لامتداد الباحث المسلم بمصدر رئيسي موثق للمعرفة الاسلامية ، ويصونه عن الرجوع الى دوائر المعارف والقواميس الاسلامية المشبوهة التي أصدرها باحثون متعاملون على الاسلام وتاريخه .

٣ - تشجيع متاحف البلاد الاسلامية على تخصيص قاعات للسيرة النبوية تضم المخطوطات

١٣ - مناقشة الحكومات الاسلامية تشجيع الكتاب والصحفيين الاسلاميين ، وتوفير المناخ الذي ترعرع فيه الكلمة الحرة المستولة ، والفكر الهادف المبدع ، والعمل على ايجاد رابطة للكتاب تصون مصالحهم ، وتنسق جهودهم ، وتذيع آرائهم .

١٤ - الأمة الاسلامية أمة مميزة لها شخصيتها المستقلة ولذا يوصى المؤتمر جميع الدول والشعوب الاسلامية باعتماد التاريخ الهجري في تقاويمها ومعاملاتها ، كما يوصى بمراعاة الأعياد الاسلامية وتوحيدها وتأكيد يوم الجمعة للعطلة الاسبوعية .

(رابعا - التوصيات المتعلقة بالتراث والمصادر

يوصى المؤتمر بما يلي :

١ - انشاء مركز بحوث للدراسات المتعلقة بالسيرة النبوية ، يعني بتجميع مصادر السيرة المخطوط منها والمطبوع ، واختيار محققين أكفاء للقيام بمهام التحقيق العلمي والنشر الأنيق . كما يقوم

السيرة والسنة بتخصيص منح دراسية لمن يتخصصون فيها ، مع العمل على نشر أبحاثهم ورسائلهم لتعميم النفع بها •

٧ - يركز المؤتمر الاقتراح المتعلق بإنشاء مراكز للمعلومات والوثائق عن العالم الإسلامي ومعاهد علمية تهتم بأعداد الدراسات في الحضارة والتراث والعلوم الإسلامية ، ويناشد الدول الإسلامية القادرة على توفير الأموال اللازمة لإنشاء هذه المراكز والمعاهد •

٨ - يؤكد المؤتمر ضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بصورة صحيحة موثقة ، وأن يتولى ذلك نخبة من المؤرخين الأثبت الملتزمين بتعاليم الدين الحنيف •

٩ - تشكيل لجنة من العلماء المعتمدين ، ترشحهم لجنة المتابعة ، لكتابة كتاب جامع عن السيرة النبوية ، متبعة فيه أصول البحث العلمي الدقيق ، وينشر هذا الكتاب باللغة العربية ، ولغات

والآثار والنماذج المجسدة والفرائط المفصلة المبينة لسيرة الاسلام في الفترة النبوية •

٤ - تشجيع ترجمة معاني القرآن الكريم والحديث الشريف وأهم الكتب التي توضح مزايا الاسلام الى اللغات الحية ولاسيما لغات الشعوب الاسلامية ، وتعميم الكتب الهامة في السيرة النبوية الشريفة والمكتوبة بلغات غير عربية وفي مقدمتها كتابا العالمين السيد سليمان الندوي ومولانا أبي الأعلى المودودي • وكذلك دراسة الترجمات الموجودة فعلا لمعاني القرآن الكريم والحديث الشريف للتثبت من ضبطها وسلامتها من التحريف والتحذير مما يثبت انحرافه منها •

٥ - الاستفادة من الوسائل العلمية المعاصرة مثل الحاسب الآلي (الكمبيوتر) في دراسات السيرة والسنة النبوية •

٦ - مناشدة الحكومات والجامعات الاسلامية تشجيع الدراسات العليا في موضوعات

ويشذ عن اجماع المسلمين ويتجنب
سبيل المؤمنين .

وبما أن أهل فلسطين قد
أجمعوا على اختيار منظمة التحرير
لتضطلع بعبء قيادة جهادهم فإن
المؤتمر يؤكد أن منظمة التحرير
الفلسطينية هي الممثل الشرعي
الوحيد للشعب الفلسطيني وهي
قائدة جهاده .

كما يوصى المؤتمر قادة المنظمة
أن يجعلوا الله راندهم في جهادهم
وأن يعملوا على ترسيخ القيم
والمبادئ والأخلاق الإسلامية في
نفوس شبابهم المجاهدين وأن
يحفظوا لفلسطين وثورتها
ومجاهديها الوجه الإسلامي
المشرق .

كما ينبغي على جميع المسلمين
أن يتنبهوا إلى أن ما جرى في
فلسطين إنما هو تمهيد لامتداد
العدوان الاستيطاني إلى البقاع
المجاورة لفلسطين ، وما يجري
الآن في جنوب لبنان إنما هو شاهد
صدق على ذلك ، وعليه فإن واجب
المسلمين أن يتصدوا لاجباط

العالم الإسلامي الأخرى ، واللغات
الفريية .

(خامسا) - التوصيات العامة

ونظرا لأن انعقاد هذا المؤتمر
يجيء فاتحة لنشاط يعم العالم
الإسلامي كله حاة بمقدم القرن
الخامس عشر الهجري ، فإن المؤتمر
يقف في هذه المناسبة وقفة اهتمام
أمام عدد من قضايا ومهموم
واهتماماته ويوصى بمايلي :

١ - أن قضية فلسطين قضية
إسلامية والعدوان عليها عدوان
على دار من ديار الإسلام ، وأمر
تحريرها مسؤولية المسلمين في كل
بقعة من نقاع الأرض والجهاد
لتحريرها فريضة إسلامية مقدسة .

واذا كان المسجد الأقصى الذي
بارك الله حوله هو قلب هذه الدار
الإسلامية ، فإن كل شبر من
ترابها هو مناط اهتمام المسلمين
جسيما . وإن أي تقريط في ذرة من
تراب فلسطين ، أو في حق من
حقوق أهلها إنما هو تقريط في
حق من حقوق الله ، ومن يرتكب
أمر ذلك فإنه يحاد الله ورسوله

المؤامرة التي تحاك ضد الجنبوب
اللبناني .

٢ - وأن المؤتمر يستحضر
في هذه المناسبة صور كثير من
ديار الاسلام التي تتعرض لأنواع
مختلفة من المظالم من أمثال
الفلبين وأفغانستان ، وأرتريا ،
وقبرص وغيرها ، فمنها ما تحتل
قوى البغي دياره عنوة من أجل
امتصاص خيراتها ، ومنها ما تحتاجه
موجات رهيبة منظمة من التبشير
لتحويل أهله عن وجهة الاسلام ،
ومنها ما يتعرض للتقتيل والتنكيل
وأفانين التعذيب بغية طمس عقيدته
بالقوة ، ومنها ما يتعرض لحروب
نفسية وعلمية واقتصادية بغية
اخضاعه لارادة الباغين ، ومنها
ما يتعرض للتهديد بالمدوان
المباشرة لتطويله وتسيره في ركاب
مصالح غير المسلمين ، وكل ذلك
يجري ، مع الأسف الشديد ،
بتشجيع وترتيب من قبل الدول
الكبرى التي لا تزال سياسة
بعضها العدوانية ضد الاسلام
والمسلمين تشكل جريمة مستمرة .

وواجب المسلمين ، دولا
وحكومات وشعوبا وأفرادا أن
يقفوا مع هذه الشعوب الاسلامية
المظلومة وقعة انتصار ، يساهمون
فيها بدفع الظلم عنها وبمساعدها
على امتلاك ارادتها وحريتها وأن
المؤتمر يهيب بالحكومات
الاسلامية ، بشكل خاص
وبالمنظمات الاسلامية أن تبذل
قصارى جهدها في دعم هذه
الشعوب ، وفي تأييد حركات
التحرر الاسلامية .

وأن المؤتمر يحذر كل من
تسول له نفسه الاقدام على أية
خطوة عدوانية على الشعب المسلم
في ايران بأن الشعوب الاسلامية
في العالم تعتبر ذلك عدوانا عليها
جميعا ، يجب التصدي له ودفعه .

٣ - كما أن المؤتمر يطالب
بحزم لوقف الاضطهاد الواقع على
العاملين للاسلام في بعض الدول
ويرى أن من واجب الدول
الاسلامية أن ترفع الأذى عن
الدعاة الى الله وألا تقف موقفا
سلبيا من حملات الاضطهاد .

الهجرى - بالاهتمام الذى يستقبله به المسلمون - أروع مناسبة لتأكيد التعاطف الإسلامى ، والاهتمام بشئون المسلمين •

وان المؤتمر ليتوجه الى المسلمين عامة ، وإلى حكامهم خاصة أن يستهلوا هذا القرن برجمة حقيقية الى الإسلام ، فيحطوا ما أحل الله ، ويحرموا ما حرم الله ، ويعلموها حياة إسلامية صريحة ، يحكمها كتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبهذا يستحقون تأييد الله تعالى ونصره الذى كبه للمؤمنين « لينصرون الله من ينصره •• ان الله لقوى عزيز • الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وثه عاقبة الأمور » •

قرارات ختامية

ويقرر المؤتمر بمناسبة اختتام أعماله ما يلى :

١ - تكليف فضيلة رئيس المؤتمر بتشكيل لجنة متابعة تكون مهمتها ما يلى :

٤ - ولا ينسى المؤتمر أحوال الأقليات والجاليات والتجمعات الإسلامية فى جميع أنحاء العالم ، هذه الجماعات التى يجب أن تنال حقها الطبيعى فى الحياة الكريمة وفى تمتعها بكافة الحقوق المشروعة للانسان ، وفى حررتها فى ممارسة عبادتها ، وفى تطبيق الشريعة الإسلامية فى حياتها الاجتماعية ، وفى تنشئة أبنائها وفقا لمعتقداتها الإسلامية ، كما يؤكد تعاطفه مع تطلعاتها الى بلوغ هذه الأهداف •

٥ - وان المؤتمر ينظر بعين التقدير الى اتجاه بعض الدول الإسلامية الى تأكيد هويتها الإسلامية وتبنيها للشريعة الإسلامية مصدرا للحكم ونظاما للحياة • وان المؤتمر يبارك خطواتها ، ويعلم تأييده لها فى هذا السبيل •

٦ - ان المد الإسلامى يشق طريقه ، بحمد الله لدى الأفراد ولدى الشعوب الإسلامية ، على الرغم من جميع ظروفه الاضطهاد المنظم التى تحيط به • وسوف يكون حلول القرن الخامس عشر

باستضافة المؤتمر القادم لتحقيقها
الملكمة المغربية .

٣ - يحدد تاريخ المؤتمر القادم
بالاتفاق مع الدولة المضيئة على أن
يكون في مطلع العام الهجري
١٤٠٢ بإذن الله .

٤ - تسجيل الشكر الوفير
الى دولة قطر أميراً وحكومة
وشعباً لحسن الاستقبال وكرم
الضيافة وما وفرته من امكانات
ساعدت على انجاح هذا المؤتمر .

كما يقرر توجيه الشكر الى
فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الله
الانصاري رئيس المؤتمر لدوره
الرئيسي في اقامة هذا المؤتمر
والاشراف على جميع تنظيماته ،
كما يوجه الشكر الى جميع السادة
معاونيه في اللجنة التحضيرية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين . . ،

أ - ابلاغ ما اثبتق عن هذا
المؤتمر من مقررات وتوصيات
الى جميع الجهات المعنية من
حكومات وهيئات واتحادات
ووزارات متخصصة . ومناشدة
هذه الجهات العمل على وضعها
موضع التنفيذ .

ب - متابعة تنفيذ هذه
القرارات .

ج - التعاون مع الدولة
المضيئة للمؤتمر الرابع في الاعداد
له . على أن تستمر هذه اللجنة
في عملها حتى بداية المؤتمر
القادم .

٢ - قبول الدعوة الكريمة
الموجهة من الملكة المغربية
باستضافة المؤتمر الرابع للسيرة
والسنة النبوية مع توجيه الشكر
الى دولة الامارات العربية المتحدة
على تنازلها عن دعوتها السابقة

الأبحاث التي قدمت للمؤتمر

مقدمه	مسلسل	موضوع البحث
الشيخ محمد الغزالي - السعودية	١	فن الذكر والدعاء عند خاتم الانبياء
الدكتور سليمان آتش - تركيا	٢	الجانب الروحي من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال عباداته وأدعيته
الدكتور الحاج عبد الملك عبد الكريم أمر الله - أندونيسيا	٣	الجانب الخلقى للنبي الكريم
الدكتور مصلح سيد بيومي - قطر	٤	الجانب الخلقى للنبي الكريم
الدكتور محمد طلحة حسن - اندونيسيا	٥	الجانب الخلقى للنبي الكريم
الاستاذ فتحي يكن - لبنان	٦	الجانب الخلقى للنبي الكريم
الشيخ محمد يونس عبد الجبار - بنجلاديش	٧	الجانب الخلقى للنبي الكريم
اللواء الركن محمود شيث خطاب - العراق	٨	المسكينة الإسلامية : تاريخ جيش النبي صلى الله عليه وسلم
اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ - مصر	٩	الجانب العسكري من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم
الشيخ عبد اللطيف زايد - قطر	١٠	الجانب العسكري من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم
الشيخ عبيدة مصطفى عليوة - قطر	١١	الرسول والقدرة العليا
الاستاذ مصطفى أحمد الزرقاء - الاردن	١٢	عظمة محمد صلى الله عليه وسلم مجمع العظمت

مستقبل	موضوع البحث	مقدمه
١٣	الرسول صلى الله عليه وسلم في بيته	الدكتور عبد العظيم الديب - قطر
١٤	تربية الناشئة في ضوء السيرة	الاستاذ محمد محمد علي الابشيهي - قطر
١٥	خصائص التربية النبوية	الاستاذ محمد الشاذلي النيفر - تونس
١٦	تصور لتدريس سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في مناهج التاريخ المدرسية	الدكتور سر الختم عثمان - السعودية
١٧	مشكلات الشباب وحلولها في ضوء الكتاب والسنة	الاستاذ علي العاضي - قطر
١٨	الجانب العلمي للنبي الكريم	السيد منتز حشاد - قطر
١٩	رسالة الصلاة أبي الاعلى المودودي	مولانا الشيخ أبو الاعلى المودودي - باكستان
٢٠	الدراسات المتطرفة برمسائل النبي صلى الله عليه وسلم في الملوك في عصره	الدكتور عزيز الدين ابراهيم - الامارات
٢١	الاسلام ومستقبل الانسانية	الدكتور عبد الحميد احمد أبو سليمان - السعودية
٢٢	اثر الرسالة الاسلامية في الحضارة الانسانية	الدكتور عمر فروج - لبنان
٢٣	رسالة سيرة النبي الامين الى انسان القرن العشرين	مولانا الشيخ ابو الحسن علي الحسنى الدوي - الهند
٢٤	اثر الرسالة الاسلامية في الحضارة الانسانية	الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة - الكويت
٢٥	الرسالة الاسلامية في مواجهة الفساد العالي قديما وحديثا	الاستاذ محمد المجذوب - السعودية
٢٦	معركة النبوة مع الزعامة	الاستاذ محمد عزه دروزة - سوريا
٢٧	المجتمع المدني قبل الهجرة وبعدها	الدكتور اكرم ضياء العمري - السعودية
٢٨	معركة النبوة مع اهل الكتاب	الاستاذ محمد عزه دروزة - سوريا

مسلسل	موضوع البحث	مقدمه
٢٩	الرسول وموقفه من التفرقة العنصرية	الدكتور عبد العزيز كاميل - الكويت
٣٠	التفرقة العنصرية والاسلام	الدكتور محمد البهي - مصر
٣١	الاسلام والتسامح الدينى	الدكتور أحمد التتو - الفلبين
٣٢	موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الاديان الثلاثة : الوثنية - اليهودية - النصرانية	الشيخ حسن خالد - لبنان
٣٣	الطب النبوى	الدكتور صلاح الدين كشريد - تونس
٣٤	الطب النبوى	الدكتور نجيب الكيلانى - الامارات
٣٥	الطب النبوى	الدكتور غلام كريم - جنوب افريقيا
٣٦	الرسول والعلم	الدكتور يوسف القرضاوى - قطر
٣٧	الرسول وموقفه من العلم	الشيخ حسين جوزو - يوغوسلافيا
٣٨	موقف الاسلام من العلم والثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية	الدكتور محمد معروف الدواليبى - السعودية
٣٩	حول الادب النبوى	الاستاذ أحمد العنانى - قطر
٤٠	الرسول فى الادب العربى الحديث	الدكتور ماهر حسيىن فهمى - قطر
٤١	الرسول بلفة المحبة والشعر	الاستاذ سعيد حوا - الاردن
٤٢	القدس مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكاتها فى الاسلام	الدكتور ابراهيم زيد الكيلانى - الاردن
٤٣	لحات حول الاعلام فى الاسلام	الاستاذ محمد عبده يمانى - السعودية
٤٤	سنة الرسول شقيقة القرآن	الشيخ عبد الله بن زيد الحمود - قطر
٤٥	صلة السنة بالقرآن	الشيخ محمد نجيب المطيمى - مصر

م	موضوع البحث	مقدمه
٤٦	صلة السنة بالقرآن	الشيخ عبد العزيز بن صالح - السعودية
٤٧	صلة السنة بالقرآن	الشيخ محمد طيب القاسمي - الهند
٤٨	السنة المصدر الثاني للتشريع	الشيخ عبد العزيز بن صالح - السعودية
٤٩	السنة المصدر الثاني للتشريع	الاستاذ مقتد حسن محمد ياسين - الهند
٥٠	السنة المصدر الثاني للتشريع	الدكتور محمد سعيد ومضمان البوطي - سوريا
٥١	السنة المصدر الثاني للتشريع	الاستاذ أحمد الفحصي - المغرب
٥٢	دراسة المعاهدات في العهد النبوي	المعنى عتيق الرحمن العثماني - الهند
٥٣	دراسة المعاهدات في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم	الدكتور خالد كيبا - اليابان
٥٤	بعض مقومات الحضارة ونظم الحكم الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم	الدكتور عبد الشافي غنيم - قطر
٥٥	الحدود في الإسلام	القاضي محمد افضل شيمه - باكستان
٥٦	الشبهات الواردة	المستشار علي علي منصور - الإمارات
٥٧	ردود على الشبهات	الدكتور عبد الكريم زيدان - العراق
٥٨	السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق	الاستاذ أنور الجندى - مصر
٥٩	ردود على الشبهات الواردة	الدكتور جمعة علي الخولي - السعودية
٦٠	دحض الشبهات الواردة	الشيخ عبد الثواب هيكل - قطر

موضوع البحث	مقدمته
٦١ حول غزوة بنى قريظة	الشيخ سعيد أحمد أكبر آبادي - الهند
٦٢ سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم - غزواته مع اليهود	الدكتور احسان ثريا صيرما - تركيا
٦٣ مشكل الحديث في ضوء اصول التحدث رواية ودراية	الدكتور سعد محمد محمد الشيخ (الرصافي) - الكويت
٦٤ وجوب العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفر من أنكرها	سماعة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - السعودية
٦٥ السيرة النبوية في القرآن الكريم	الشيخ محمد علي الحبركان - السعودية
٦٦ السيرة النبوية في القرآن الكريم	الدكتور التهامي نقرة - تونس
٦٧ تدوين السنة واطواره	الشيخ ابراهيم العطان - الاردن
٦٨ المنهج العلمي في تدوين الحديث النبوي	سماعة الشيخ احمد عبد العزيز المبارك - الامارات
٦٩ المنهج العلمي في تدوين السنة	الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر قطر
٧٠ دراسة لكتب السيرة القديمة ومصادرها الاولى	الدكتور تقى الدين النيدوي - الامارات
٧١ البخاري والجامع الصحيح	الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر قطر
٧٢ مشروع لجمع السنة وتصنيفها بواسطة الحاسب الآلي	الدكتور عبد العظيم الديب - قطر
٧٣ محاولة لوضع اطلال للسيرة النبوية الشريفة والعصر النبوي	الدكتور حسين مؤنس - مصر

بيان الدول المشاركة في المؤتمر

٢٧

عدد	اسم الدولة	عدد	سلسلة اسم الدولة
٦	باكستان ٢٥	٢٠	١ المملكة العربية السعودية
٣	أفغانستان ٢٦	٣	٢ رابطة العالم الإسلامي
١٠	الهند ٢٧		٣ الإمامة العامة لمنظمة
٢	بنجلاديش ٢٨	٥	المؤتمر الإسلامي العالي
٤	أندونيسيا ٢٩	١٤	٤ الكويت
٣	الفلبين ٣٠	١٧	٥ الإمارات العربية المتحدة
١	تايلاند ٣١	٧	٦ البحرين
٢	ماليزيا ٣٢	٢	٧ سلطنة عمان
٢	سيرلانكا ٣٣	٢	٨ اليمن الشمالية
٢	سنغافورة ٣٤	٣	٩ العراق
١	هونغ كونغ ٣٥	٢	١٠ سوريا
٣	كوريا الجنوبية ٣٦	٨	١١ الأردن
٤	اليابان ٣٧	٢	١٢ فلسطين
١	أستراليا ٣٨	١٠	١٣ لبنان
٦	بريطانيا ٣٩	١٥	١٤ مصر
١	اليونان ٤٠	٤	١٥ السودان
١	فرنسا ٤١	١	١٦ ليبيا
١	لوكسمبرج ٤٢	٧	١٧ تونس
٢	ألمانيا الغربية ٤٣	١٠	١٨ المغرب
١	بلجيكا ٤٤	١	١٩ غينيا
	الولايات المتحدة ٤٥	٤	٢٠ مالي
٢	الأمريكية ٤٥	٥	٢١ جنوب أفريقيا
١	الأرجنتين ٤٦	١	٢٢ موريشيوس
٥٣	الدولة المضيقة - قطر ٤٧	١٠	٢٣ تركيا
٢٦٦	المجموع	١	٢٤ قبرص

الاسم	الوظيفة	م
(١) المملكة العربية السعودية :		
الاستاذ احمد محمد العامودي	مدير عام الشؤون الدينية - المملكة العربية السعودية	١
الدكتور اكرم ضياء العمرى	الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة	٢
الدكتور جمعة علي الخولي	الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة	٣
حسن محمد باجودة	جامعة الملك عبد العزيز - الرياض	٤
الشيخ حسن عبد الرحيم الانصارى	المدينة المنورة	٥
الدكتور عبد العزيز العدا	جامعة الرياض	٦
الشيخ عبد الفتاح أبو غدة	جامعة الامام محمد بن سعود - الرياض	٧
الدكتور سر الختم عثمان على	استاذ مساعد بكلية التربية - جامعة الرياض	٨
الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد	الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة	٩
الدكتور محمد اديب صالح	جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض	١٠
الشيخ محمد حسن الدريمى	هيئة الدعوة - الرياض	١١
الشيخ محمد الفزالى	جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة	١٢
الشيخ محمد الصواف	رابطة العالم الاسلامى	١٣
الشيخ محمد المجذوب	الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة	١٤
الدكتور محمد مصطفى الاعظمى	جامعة الرياض	١٥
الدكتور معروف الدواليبى	الديوان الملكى - المكتب الخاص	١٦
الاستاذ حيدر كامل حسين	سحفى	١٧
الاستاذ مناع القطان	جامعة الامام محمد بن سعود	١٨
الشيخ احمد بن على المبارك	سفير بوزارة الخارجية - جدة	١٩

الاسم	الوظيفة	م
الاستاذ ابراهيم محمد مرسيق	صحفي	٢٠
(٢) رابطة العالم الاسلامي :		
سماحة الشيخ محمد علي الحركان	الامين العام للرابطة	١
الدكتور عبد الصور مرروق	المدير العام للرابطة	٢
الاستاذ محمد محمود حافظ	مدير ادارة الصحافة والنشر	٣
(٣) المشاركون في الامانة الصاحبة لمنظمة المؤتمر الاسلامي الصالي :		
سعادة السفير ظفر الاسلام	الامين العام المساعد	١
السيد حاج سيجاج ساماير	مدير ادارة الشؤون الثقافية والاجتماعية	٢
السيد محمد حسن الحيفي	المدير المساعد	٣
السيد انعام الله خان	امانة المؤتمر الاسلامي العالي	٤
السيد محمد الحاج سوسيه	مسئول المؤتمرات	٥
(٤) الكويت :		
الدكتور سعد محمد محمد الشيخ المرصفي	وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية	١
الاستاذ عبد الحليم محمد احمد	مدير دار القلم	٢
الاستاذ عبد الرحمن راشد الولايي	رئيس تحرير جريدة البلاغ	٣
الاستاذ عبد الرحمن فارس	سكرتير وزير الاوقاف	٤
الدكتور عبد العزيز كفل	خبير بمكتب ولي العهد	٥
الشيخ عبد الله العلي المطوع	جمعية الاصلاح الاجتماعي	٦
الاستاذ فيصل المقهور	مدير مكتب وزير الاوقاف للشئون الاسلامية	٧

الاسم	الوظيفة	م
الاستاذ عبد الرزاق السيد هاشم	مندوب اذاعة الكويت	٨
الاستاذ سعيد العارمي	مرافق	٩
الاستاذ مهمي هويدي	مدير تحرير مجلة العربي	١٠
الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريبة	جامعة الكويت	١١
الاستاذ محمد ناصر الحمصان	وكيل وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية	١٢
معالي الشيخ يوسف جاسم الحجي	وزير الاوقاف والشئون الاسلامية	١٣
الشيخ يوسف السيد هاشم الرفاعي	وزير سابق - ورئيس مجلس ادارة معهد الايمان للعلوم الشرعية	١٤
(د) الامارات العربية المتحدة :		
الشيخ احمد عبد العزيز المبارك	رئيس القضاء الشرعي	١
الدكتور تقى الدين الندوي	قاضي القضاء الشرعي	٢
الاستاذ جابر رزق جابر	مندوب المجالات الاسلامية بدول الخليج	٣
الاستاذ سعيد عبد الله حارب	الامين العام المساعد لجامعة الامارات العربية المتحدة	٤
الاستاذ محمد السيد اسماعيل	صحفي وكالة انباء دولة الامارات	٥
الاستاذ محمد سيف النصر المصري	باحث بديوان سمو رئيس الدولة	٦
الاستاذ صقر المري	وكيل وزارة العدل والشئون الاسلامية	٧
الدكتور هبند الرحمن علي الحجي	الاستاذ بجامعة الامارات قسم التاريخ	٨
الشيخ عبدالله بن علي المحمود	مدير الاوقاف والشئون الاسلامية	٩
الدكتور عز الدين ابراهيم	المستشار الثقافي لرئيس دولة الامارات العربية المتحدة	١٠
الاستاذ فؤاد حسن ايوب	جريدة الاتحاد - أبو ظبي	١١

الاسم	الوظيفة	م
الاستاذ على محمد العجلة	مدير تحرير مجلة منار الاسلام	١٢
الاستاذ السيد على الهاشمي	المحكمة العليا وزارة العدل - أبو ظبي	١٣
الاستاذ احمد محمد البيلي	مستشار	١٤
معالي الاستاذ محمد الرحمن البكر	وزير العدل والشئون الاسلامية	١٥
الدكتور محمد المهدي النذري	مدير المعهد الديني - عجمان	١٦
الدكتور نجيب الكيلاني	مدير الثقافة الصحية - دبي	١٧

(٦) البحرين :

الاستاذ احمد حجارى	مجلة الهداية	١
الاستاذ تاج الاسلام	صحفى	٢
الشيخ مبارك الحاطر	ادارة الاوقاف	٣
الاستاذ محمد حسين بطل	مجلة الهداية	٤
الشيخ محمد عبد اللطيف آل سعد	محكمة الاستئناف الشرعية	٥
الشيخ يوسف احمد الصديقى	محكمة الاستئناف الشرعية	٦
الاستاذ احمد محمد المحمود	صحفى	٧

(٧) سلطنة عمان :

الشيخ احمد الخليلى	مفتى سلطنة عمان	١
الشيخ سالم عبد الله الحارثي	وزارة العدل - مسقط	٢

(٨) اليمن الشمالية :

الشيخ اسماعيل بن عسلى الاكوع	رئيس الهيئة العامة للإرشاد ودور الكتب	١
ناصر محمد الشيباني	مدير مكتب التوجيه والإرشاد بلواء تعز	٢

الوظيفة	الاسم	م
(٩) العراق :		
رئيس اتحاد المؤرخين العرب	الدكتور حسن أمين	١
جامعة الموصل	الدكتور عماد الدين خليل	٢
عالم ومفكر إسلامي	اللواء الركن محمود سيث خطاب	٣
(١٠) سوريا :		
نائب رئيس تحرير حضارة الإسلام	الأستاذ عمر عبيد حسنة	١
جامعة دمشق	الدكتور محمد سعيد ومضان البوطي	٢
(١١) الأردن :		
الحامسة الأردنية	الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني	١
قاضي القضاة	الشيخ إبراهيم القطان	٢
مدير لمسجد الأقصى	الشيخ محمد بيوض التميمي	٣
مدير تحرير جريدة اللواء	الأستاذ حسن التل	٤
وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية	الأستاذ عز الدين الخليل التميمي	٥
رئيس تحرير مجلة الأسراء	الأستاذ محمد سليم رشدان	٦
كاتب ومفكر إسلامي	الدكتور محمود نادر عبيدات	٧
الحامسة الأردنية	الأستاذ مصطفى الزرقا	٨
(١٢) فلسطين :		
الرياض	السيد حيدر الحسيني	١
جامعة الإمام محمد بن سعود	الدكتور كامل الدقير	٢
(١٣) لبنان :		
ناشر إسلامي	الأستاذ شريف الأنصاري	١
المشرف العام على مدرسي الفتوى	الأستاذ محمود عليا	٢

م	الاسم	الوظيفة
٣	الاستاذ ابراهيم المصرى	رئيس تحرير مجلة الامان
٤	الشيخ حسن خالد	مفتى الجمهورية
٥	الاستاذ زهير الشاويش	مدير المكتب الاسلامى
٦	الشيخ طه الصابونجى	العاضى الشرعى
٧	الدكتور عمر فروخ	دكتور فى الفلسفة وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٨	الاستاذ فتحى يكن	مدير مؤسسة البحوث والمشاريع الهندسية الاسلامية
٩	الاستاذ عبد المجيد سالم	مدير مجلة الفكر الاسلامى
١٠	الاستاذ محمود حطب	مدير عام الاوقاف الاسلامية

(٤) مصر :

١	الشيخ احمد ابو العلا خليل	مرافق وزير الاوقاف
٢	الاستاذ انور الجندى	عضو المجلس الاعلى للشئون الاسلامية
٣	الدكتور حسين مؤنس	رئيس تحرير مجلة الهلال
٤	السيد شمس الدين محمد ابراهيم	مرافق وزير الاوقاف
٥	الشيخ صلاح ابو اسماعيل	عضو مجلس الشعب المصرى
٦	الدكتور عبد الودود شلبى	رئيس تحرير مجلة الازهر
٧	الدكتور عبد المنعم النمر	وزير الاوقاف وشئون الازهر
٨	الدكتور محمد احمد عاشور	رئيس تحرير مجلة الاعتصام
٩	الدكتور محمد البهى	عالم ومفكر اسلامى
١٠	اللواء الركن محمد جمال الدين على محفوظ	مفكر اسلامى - متخصص فى الدراسات العسكرية الاسلامية
١١	الاستاذ عبد الخالق محمد عبد الوهاب	وكيل اذاعة القرآن الكريم

الوظيفة	الاسم	م
مرافق وزير الأوقاف	السيد محمد محمود حمدان	١٢
قارئ القرآن الكريم	الشيخ محمد محمود الطلاوى	١٣
مؤلف أسلامى	الشيخ محمد نجيب الطيمى	١٤
صحفى - الاهرام	الاستاذ احمد بهجت	١٥

(١٥) السودان :

مفتى السودان	الشيخ عوض الله صالح	١
مدير جامعة ام درمان	الدكتور كامل الباقر	٢
جامعة الخرطوم	الدكتور مالك بدرى	٣
مدير المركز الاسلامى الافريقى	الدكتور محمد احمد ياجى	٤

(١٦) ليبيا :

أمين عام جمعية الدعوة الاسلامية	الشيخ محمود صبحى	١
------------------------------------	------------------	---

(١٧) تونس :

جامعة تونس	الدكتور التهامى نقره	١
رئيس تحرير مجلة المعرفة	الاستاذ راشد العنوشى	٢
صيدلى - مفكر اسلامى	الدكتور صلاح الدين كشرى	٣
مفتى تونس	الدكتور محمد الحبيب بلخوجه	٤
عميد كلية الزيتونة	الدكتور محمد الشاذلى النيفر	٥
مدير الشؤون الدينية	الشيخ مصطفى كمال التارزى	٦
ناشر اسلامى	الاستاذ الحبيب اللمسى	٧

(١٨) المغرب :

عضو اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال	الاستاذ أبو بكر القادرى	١
--	-------------------------	---

الاسم	الوظيفة	م
الاستاذ اسماعيل الخطيب	رئيس تحرير جريدة النور - تطوان	٢
الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله	مدير مكتب تنسيق التمريض بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	٣
الدكتور عبد الكريم الخطيب	عالم ومفكر اسلامي	٤
الاستاذ عمر بهاء الدين الاميري	دار الحديث - الحسنية - الرباط	٥
الشيخ علال احمد بشر	عالم ومفكر اسلامي	٦
الدكتور عبد الهادي النجدي	سفير المغرب بايران	٧
الاستاذ محمد الفاسي	رئيس رابطة الجامعات الاسلامية	٨
الدكتور المهدي بن عرو	عالم ومفكر اسلامي	٩
الاستاذ مصطفى القرشاي	صحفي	١٠

(١٩) غينيا :

١	معالى الحاج فودي سوريا كامارا	وزير الشؤون الاسلامية والاميين العام للمجلس الوطني الاسلامي
---	-------------------------------	---

(٢٠) جمهورية مالي :

١	الحاج سعد عمر توري الفوتي	وفد علماء مالي
٢	الشيخ عثمان خلايو	وفد علماء مالي
٣	الحاج محمد السنوسي	وفد علماء مالي
٤	سعادة سيدي محمد يوسف ديري	سفير جمهورية مالي بجده

جنوب افريقيا :

١	سليمان الندوي	رئيس قسم الدراسات الاسلامية « جامعة دربان »
٢	الدكتور سيد حبيب الحق الندوي	استاذ بجامعة دربان وستفيل

الوظيفة	الاسم	م
عضو المجلس الاسلامى	الدكتور غلام كريم	٣
نائب رئيس المجلس الاسلامى	الاستاذ محمد امين بيليا	٤
ومدير العلاقات الدولية	عبد الرحمن سيد الندوى	٥
	(٢٢) مورشيوس :	
استاذ بجامعة مورشيوس ومفكر اسلامى	الدكتور احمد سويلى كسنيالى	١
	(٢٣) تركيسا :	
رئيس حزب مى سلامة	الدكتور نجم الدين اربكان	١
استاذ بكلية العلوم الاسلامية - جامعة اناتورك	الدكتور احسان ثريا صيرما	٢
سكرتير حزب مى سلامة	الاستاذ اغزوخان اصيل ترك	٣
رئيس تحرير مجلة الهلال	الاستاذ صالح اورجان	٤
مدير المعهد للدراسات الاسلامية	الدكتور صالح طوغ	٥
استاذ تاريخ الحضارة الاسلامية بالمعهد الاسلامى العالى اسطنبول	الدكتور عثمان اوزتورك	٦
مشاور وزارة الثقافة	الاستاذ عثمان سراج	٧
استاذ بكلية الآداب - جامعة اسطنبول	الدكتور مصطفى بيلج	٨
مرافق	الاستاذ برنت رفعى	٩
مرافق للبروفسور نجم الدين اربكان	الاستاذ مصطفى محمد الطحان	١٠
	(٢٤) قبرص :	
مفتى قبرص	الدكتور رفعت مصطفى رفعت	١
	(٢٥) باكستان :	
المستشار الطبى لرئيس الجمهورية	الدكتور حكيم محمد سعيد	١

الاسم	الوظيفة	م
الاستاذ خليل الحامدي	رئيس دار العروبة للدعوة الاسلامية	٢
الاستاذ خورشيد احمد	استاذ بمعهد الدراسات السياسية	٣
القاضي محمد افضل شيمه	رئيس مجلس الفكر الاسلامي	٤
الشيخ محمد تقى عثمانى	نائب مدير دار العلوم - كراتشي	٥
الشيخ ميان طفيل محمد	امير الجماعة الاسلامية	٦
(٢٦) افغانستان :		
الشيخ صبغة الله المجدي	رئيس الجمعية الوطنية لانقاذ افغانستان	١
الاستاذ عبد الستار سيرت	استاذ بجامعة الملك عبد العزيز	٢
محمد هاشم المجدي	مالم ومفكر اسلامي	٣
(٢٧) الهند :		
الشيخ ابو الحسن علي الندوي	الامين العام لندوة العلماء	١
الاستاذ سعيد احمد اكر ابادي	رئيس قسم الدراسات الاسلامية بالجامعة الاسلامية عليكرة	٢
الاستاذ عبدالله حسن الندوي	مرافق للشيخ ابو الحسن الندوي	٣
الاستاذ عبد الرحمن عبيد الله الرحماني	مرافق مع والده	٤
الشيخ عبيد الله عبد السلام الرحماني	مؤلف ومفكر اسلامي	٥
الشيخ محمد سالم القاسمي	نيابة عن مدير دار العلوم / ديوبند	٦
الشيخ محمد يوسف	امير الجماعة الاسلامية	٧
الشيخ مختار احمد الندوي	مدير الدار السلفية	٨
الشيخ مقتدا حسن محمد يس	وكيل الجامعة السلفية - بنارس	٩
الاستاذ سيده واساف فاسفي	صحفي	١٠

الوظيفة	الاسم	٢
(٢٨) بنجسالايش		
امين التعاليم للجامعة الاسلامية	الفتى عبد الرحمن بن صان ميا	١
رئيس الجامعة الاسلامية	الشيخ محمد يونس محمد الجبار	٢
(٢٩) اندونيسيا		
الرئيس العام بمجلس العلماء الاندونيسى	الدكتور عبد الملك عبد الكريم امر الله	١
نائب الدكتور محمد ناصر رئيس المجلس الاعلى الاندونيسى	الدكتور محمد رشيدى	٢
عضو المجلس الاعلى الاندونيسى	الدكتور محمد طلحة حسن	٣
صحفى	الاستاذ عبدالرحمن ناسبورن	٤
(٣٠) الفلبين :		
رئيس جمعية اقامة الاسلام	الشيخ احمد بشير	١
الرئيس الفخرى لجامعة الفلبين الاسلامية وعضو رابطة العالم الاسلامى	الدكتور احمد دوماكاوالنتو	٢
استاذ بمعهد الدراسات الاسلامية	الاستاذ عبد الراغف سيدى	٣
(٣١) تايلاند :		
مدير دار الرابطة ، ومبعوث رابطة العالم الاسلامى ، بانكوك	الشيخ على عيسى محمد على سالم	١
(٣٢) ماليزيا :		
مدير مكتب رابطة العالم الاسلامى	الدكتور عبد الجليل حسن	١
رئيس قسم الدراسات الاسلامية جامعة ماليزيا	الدكتور عبد المجيد مكين	٢

الاسم	الوظيفة	م
(٣٣) سرى لانكا :		
١ الحاج سابلدن بصير جلال الدين	مدير الدعوة - المجلس الوطنى لجمعية شباب المسلمين	
٢ سعاده السيد محمد حنيفه محمد	ورير المواصلات - وعضو المجلس الدستورى	
(٣٤) سنغافورة :		
١ الاستاد محمد رين احمد	مستشار اتحاد الشباب المسلمين	
٢ الاستاذ معروف صالح	رئيس اتحاد الشباب المسلم	
(٣٥) هونج كونج :		
١ الاستاذ يوسف بو	نائب عميد الكلية الاسلاميه	
(٣٦) كوريا الجنوبيه :		
١ الدكتور ابونكر جونى سون كيم	اتحاد المسلمين الكوريين	
٢ الحاج صبرى جوه سوه	اتحاد المسلمين الكوريين	
٣ الاستاذ عبد العزيز آل شوه	اتحاد المسلمين الكوريين	
(٣٧) اليابان :		
١ الاستاذ خالد كيا	المركز الاسلامى - طوكيو	
٢ الدكتور عبد الباسط السهامى	المركز الاسلامى - طوكيو	
٣ الدكتور يوسف ايمورى	جمعية المسلمين	
٤ الاستاذ عبدا نبيل عبدالرحمن	صحفى	
(٣٨) استراليا :		
١ الاستاذ ابراهيم السيد ابراهيم	رئيس المجلس الاسلامى - سيدنى	
(٣٩) بريطانيا :		
١ الاستاذ افضال الرحمن	رئيس دار الوقف الاسلامى	

الوظيفة	الاسم	م
أمين الاتحاد والجمعيات الإسلامية في بريطانيا وإيرلندا	الدكتور سيد عزيز باشا	٢
سكرتير دار الرعاية الإسلامية	الاستاذ عاشور الشامس	٣
استاذ الدراسات الإسلامية / جامعة لندن	الدكتور محمد عبد الحليم أحمد	٤
رئيس قسم الدراسات الإسلامية (جامعة لنكستر)	الدكتور وليد عرفات	٥
صحفي	الاستاذ ادريس بيرز	٦
	(٤٠) اليونان :	
واعظ ومرشد لملكي اليونان	الشيخ رشدي ادهم امام	١
	(٤١) فرنسا :	
مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي بباريس	الدكتور عبد الحليم خلدون الكناني	١
	(٤٢) لوكسمبرج :	
رئيس تحرير مجلة المسلم المعاصر	الدكتور جمال الدين عطية	١
	(٤٣) ألمانيا الغربية :	
رئيس الجمعية الإسلامية الألمانية	حسن حسين هاوت	١
عالم ومفكر إسلامي	الدكتور فؤاد سيزكين	٢
	(٤٤) بلجيكا :	
مدير المركز الإسلامي والثقافي	الشيخ محمد الطويني	١
	(٤٥) الولايات المتحدة الأمريكية :	
رئيس اتحاد علماء الاجتماع المسلمين بلاين بلد - انديانا	الدكتور انيس أحمد	١
مدير المركز الإسلامي - واشنطن	الدكتور محمد عبد الرؤوف	٢

الاسم	الوظيفة
(٤٦) الأرجنتيين :	
١ الشيخ ساطع بن الشيخ احمد رفيق الحميلي	مدير معهد التربية الاسلامية
(٤٧) قطسر - الدولة المضيقة :	
١ الاستاذ ابراهيم محمد علي	رئيس قسم الترجمة - ادارة الشؤون الدينية
٢ الدكتور ابو الفرج العشي	جامعة قطر
٣ الدكتور احمد رجب عبد المجيد	مدير البحوث الفنية - وزارة التربية والتعليم
٤ الاستاذ احمد المناني	الديوان الاميري
٥ السيد احمد نصار	جامعة قطر
٦ السيد احمد الحمادي	جامعة قطر
٧ السيد احمد عبد الرحيم الانصاري	مدير ادارة المساجد - رئاسة المحاكم الشرعية
٨ الشيخ جاسم حسن جاسم السيد	موجه العلوم الشرعية - وزارة التربية والتعليم
٩ الدكتور جابر عبد الحميد جابر	جامعة قطر
١٠ الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر	جامعة قطر
١١ الاستاذ خليل حمد	رئاسة المحاكم الشرعية
١٢ الشيخ رافت وافي	وزارة التربية والتعليم - موجه العلوم الشرعية
١٣ الاستاذ السيد عبد المال السيد	رئيس التوجيه التربوي - وزارة التربية والتعليم
١٤ الشيخ عبد التواب هيكل	مكتب الدعوة والارشاد السعودي
١٥ الاستاذ عبد الجواد عبارة	رئيس قسم المكتبات - ادارة الشؤون الدينية

الاسم	الوظيفة	م
الاستاذ عبدالحميد طه حسن	رئيس مدارس تحفيظ القرآن الكريم - ادارة الشؤون الدينية	١٦
السيد عبد الرحمن عبد الله المولوى	مدير ادارة المحفوظات - وزارة التربية والتعليم	١٧
الدكتور عبد الشامى غنيم	جامعة قطر	١٨
الدكتور عبد العظيم الديب	جامعة قطر	١٩
الشيخ عبد القادر العمارى	المحكمة الشرعية	٢٠
الشيخ عبد اللطيف زايد	وزارة التربية والتعليم	٢١
فضيلة الشيخ عبد الله ابراهيم الانصارى	مدير الشؤون الدينية	٢٢
فضيلة الشيخ عبد المعز عبد الستار	رئيس توجيه العلوم الشرعية - وزارة التربية والتعليم	٢٣
السيد عبد المعين محمود عبارة	رئيس قسم الطباعة والنشر - ادارة الشؤون الدينية	٢٤
الدكتور على جمال	جامعة قطر	٢٥
السيد على القاضى	جامعة قطر	٢٦
فضيلة الشيخ عليوة مصطفى	توجيه العلوم الشرعية - وزارة التربية والتعليم	٢٧
السيد عنتر حشاد	جامعة قطر	٢٨
الاستاذ فتح الله خليف	جامعة قطر	٢٩
الدكتور كمال ناجى	وزارة التربية والتعليم	٣٠
الدكتور مازن المبارك	جامعة قطر	٣١
الدكتور ماهر حسن فهمى	جامعة قطر	٣٢
الدكتور محمد ابراهيم العبومى	جامعة قطر	٣٣
الدكتور محمد ابراهيم كاظم	مدير جامعة قطر	٣٤
السيد محمد احمد سليمان	جامعة قطر	٣٥

م	الاسم	الوظيفة
٣٦	الاستاذ محمد عبد الله الانصاري	مدير الشؤون العلمية - وزارة التربية والتعليم
٣٧	السيد محمد محمد الابشيهي	توجيه اللغة العربية - وزارة التربية والتعليم
٣٨	الدكتور محمد منير مرسى	جامعة قطر
٣٩	السيد محمد محمد مقلد	جامعة قطر
٤٠	الدكتور محمد عبد الغفار حمرة	توجيه اللغة العربية - وزارة التربية والتعليم
٤١	السيد محمود عبد العزيز	جامعة قطر
٤٢	الشيخ معجب الدوسري	مكتب الدعوة والارشاد السعودي
٤٣	الاستاذ مصطفى الصيرفي	مدير معهد الادارة والتجارة الثانوية ووزارة التربية والتعليم
٤٤	السيد محمد الشامي صادق	م. مدير الشؤون الدينية
٤٥	الدكتور يوسف القرضاوي	عميد كلية الشريعة - جامعة قطر
٤٦	الاستاذ يوسف المظفر	وزارة الاعلام - مدير التلفزيون
٤٧	الدكتور يوسف عبد المصنود	جامعة قطر
٤٨	الاستاذ يوسف الملا	مدير محور الامية وتعليم الكبار - وزارة التربية والتعليم
٤٩	الدكتور القصبي زلط	جامعة قطر
٥٠	الدكتور احمد حمد	وزارة التربية والتعليم
٥١	الدكتور محمد الشبيني	اليونسكو - نائبا عن المدير العام
٥٢	الدكتور مصلح سيد بيومي	جامعة قطر
٥٣	الدكتور محمد عبد الله السنباطي	جامعة قطر

التفرقة العنصرية والإسلام

دكتور محمد البهي

مقدمة :

التفرقة العنصرية تقوم على ادعاء : أن شعبا من الشعوب أو قوما من الأقوام أو جنسا من الأجناس البشرية ، أو قبيلة من القبائل ، أو عشيرة من العشائر أو مجموعة من الناس خاصة .. وتتميز في صفاتها الجسمية والعقلية عن ما عداها .

وانها لذلك صاحبة الفضل في بناء الحضارة الانسانية والمدنية ومؤهلة من أجل هذا السبب للقيادة والامارة على الآخرين .

هل الاسلام بدعوته ومبادئه يقوم على التمييز العنصري ؟ انه يفرق حتما بين الافراد والمجموعات ، بينما يسوى بين الناس جميعا . فعلى أى أساس

يفرق ؟ وعلى أى أساس آخر يسوى ؟

وبعض المسلمين في مراحل ايمانهم بالاسلام على عهد الرسول عليه السلام وبعده ، كان لا يخفى النزعة الى « القبيلة » أو « العشيرة » .. هل عدم اخفاء هذه النزعة يعد مساوقا للايمان ، أو يعتبر تفاضيا عن دعوته ؟

ان الاسلام كما سنرى في البحث يدعو الى : « الانسانية » وقيمها العليا وهو من أجل ذلك يعادى « العنصرية » كما يعادى الشر والجاهلية .

وطهور النزعة « العنصرية » في وقت ما ، أو في مرحلة ما ، عند بعض المسلمين ، لا يدل على أن الاسلام يهادن العنصرية لسبب

بعضهم الى بعض ، واختلاف تقديرهم وتقييمهم على أساس من « النصرية » .. أى على أساس من « الشعوبية » .. و « القبلية » .. و « الذكورة والانوثة » .. على أساس من « الأصل » و « الجنس » .. يقول الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (١) فيأمر المؤمنين بأن يتنقلوا بالترابط فيما بينهم ويرتفعوا به الى دائرة الهداية بكتاب الله . وهى دائرة أسى من دوائر الترابط التى كانت سائدة قبل الاسلام ، ودائرة أعم فى الشمول من أية دائرة أخرى كان لها اعتبارها بين الجاهليين أو الماديين أو غير الاسلاميين .

وبالاتقال الى هذه الدائرة الأسى والأدع فى الترابط يجنب القرآن المؤمنين : الفرقة على أساس الاختلاف فى القبيلة ، أو الشعب ، أو اللون ، أو الجنس من الذكورة والانوثة . ولكى يقنعهم بأن يكون الترابط فى

من الأسباب وانما يدل على ضعف هذا البعض من المسلمين ، أو على أن المجتمع يأخذ طريقه شيئا فشيئا بعيدا عن الاسلام ومبادئه . والله الموفق ،،

فى النصوص الاسلامية :

رسالة الرسول عليه السلام - وهى ما أوحى بها الله فى القرآن - جاءت لتعيد الى القيم الانسانية اعتبارها - جاءت لترفع من شأن هذه القيم فى العلاقات بين الناس والأفراد ، ويكون لها وزنها ، بحيث تحل محل الروابط المادية وهى روابط المنفعة والمبادلات المصلحية ، التى تكون تعاق الانسان فى التفكير والسلوك ، والمواقف بالنسبة للآخرين .

ولكى يفسح الاسلام المجال للقيم الانسانية فى ترابط الناس ببعضهم ببعض : نرى عن هذا الترابط اختلاف نظرة الناس

المحقق ، وتمتن بها على المؤمنين ،
مؤملة أن يأخذوا بها فى حياتهم ،
كى يكونوا على طريق السلام
والأمان دائما .

واذ ينحى الاسلام عن ترابط
الناس بعضهم ببعض قيام هذا
الترايط على أساس « العنصرية »
فانه يوصل المبدأ الذى يؤكد
مساواة الناس جميعا فى الاعتبار
البشرى ويرد كل سبب آخر
للتفرقة العنصرية ، فيقول :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من
ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقائل
لتعارفوا » (١) فالناس جميعا خلقوا
من ازدواج الذكورة والانوثة .
ولا يتخلف فرد واحد منهم فى
نشأته عن هذا الأصل فالناس اذا
متساوون فى الاعتبار البشرى ،
كما هم متساوون فى النشأة
والأصل هنا ويوضح ذلك قوله
تعالى فى سورة الانسان .

« هل أتى على الانسان حين من
الدهر لم يكن شيئا مذكورا »

العلاقات على صلة بهداية الله
وحدها ، يذكرهم بلحادث الماضي
فى العلاقات البشرية التى كانت
تنشأ على أساس مادى ضيق ،
كما يذكرهم بآثارها السلبية فتقول
الآية مستمرة فى الحديث :
« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم
أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم
بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا
حفرة من النار فأنقذكم منها » (٢)
والعداوة التى كانت قائمة ليست
هى فقط العداوة التى كانت بين
قبيلتى الأوس والخزرج ، كما
يذكر كثير من المفسرين . وانما
هى كل عداوة عنصرية قبلية ،
أو شعوية ، تنشأ على أساس
الدم والقرابة فيه ، وليس على
أساس التوجيه الانسانى والهداية
الالهية وهى عداوة تتكرر كلما
تكررت الروابط واشتدت على
أساس العنصرية .

وتعتبر الآية الكريمة أن الدعوة
الى الانتقال بالترايط بين الناس
الى دائرة الهداية الالهية ، هى
دعوة لانقاذ البشرية من الهلاك

(١) سورة آل عمران ١٠٣ .

(٢) سورة الحجرات ١٢ .

الواحدة : أنها نفس آدم . فذئق
قصة التوراة .

« وخلق منها زوجها » أى خلق
من الطبيعة البشرية الذكورة
والأنوثة .

« وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء » تم اتش خلق الرجال
والنساء فى تعمير الكون من نطفة
أمشاج ، اختلط فيها ما للذكر
وما للأنثى .

ومن هذه الآيات يتضح أن
المساواة فى الاعتبار البشرى بين
الذكر والأنثى قائمة بالفعل ، وأن
مصدرها : وحدة الأصل والنشأة
بين النوعين .

فإذا جاءت آية الحجرات
السابقة وأضافت الى شقها الأول
قول الله تعالى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا .. فإنها تضم
الى المساواة فى الاعتبار البشرى
بين الأفراد بين الذكر والأنثى ،
المساواة فى الاعتبار البشرى بين
الشعوب ، والقبائل ، وكل

أى أنه جاء وقت لم يكن الإنسان
مخلوقا .

« انا خلقنا الانسان من نطفة
أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا
بصيرا » (١) وعندما خلقه الله سبحانه
وتعالى خلقه من نطفة مشتركة من
الذكورة والأنوثة . وخلق على
هذا النحو . لا يتبدل بسبب
اختلاف المكان ، والزمان ،
واللغة ، والمزق والذكورة
والأنوثة ، واللون .

وتأتى سورة النساء فى أول
آية منها فتذكر أن الطبيعة الانسانية
التي خلق منها الناس جميعا ،
وخلق منها الذكر والأنثى ، هى
طبيعة واحدة ، يقول الله تعالى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم »
— فتجنبوا ما تبشرونه ضد
الضعفاء فيكم أو ضد المستضعفين
لديكم ، وهم النساء ، واليتامى ،
« الذى خلقكم من نفس واحدة »
وهى الطبيعة البشرية . وما يقوله
بعض المفسرين هنا فى النفس

(١) سورة الانسان ١ و ٢ .

ترابطت أيضا على أساس آخر
هو غير انساني كذلك .

ولكن الاسلام في الوقت نفسه
يميز بين الافراد والجماعات بمد
اقراره بالمساواة في الاعتبار
البشرى - بما تنهى به آية
الحجرات السابقة ، وهو قوله
تعالى :

« ان اكرمكم عند الله اتقاكم
ان الله عليم خبير » .. فتذكر
الآية أن مقياس التفضيل للأفراد
والجماعات عند الله لا يرجع الى
« العنصر » والعرق بل هو التقوى
.. هو تجنب المعاصى والآثام هو
تجنب المنكر والفواحش .. هو
أداء الواجبات المختلفة .. هو
أداء العبادات .. هو الوفاء
بالمهود .. هو الصبر فى البأساء
والضراء وفى تحديد المتقين .
بقول الله تعالى :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب ولكن البر
من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتاب ، والنبين وآتى المال
على حبه ذوى القربى واليتامى ،

المجموعات الأخرى التى تقوم على
عصبية الدم أو وحدة اللغة ،
أو تجانس اللون فهذا الشق الثانى
من الآية يريد أن ينهى أن اختلاف
الشعوب يوصل الى اختلاف
اعتبارهم البشرى ، بل هو مصدر
للتقارب والتعارف فيما بينهم ،
أى هو مصدر لجذب بعضهم الى
بعض لحاجة كل منهم للأخر ،
فالاختلاف بين الذكورة والأنوثة
عامل جنس ، وليس عامل تضاد ..
والاختلاف بين الغنى والفقر عامل
مشاركة وحاجة متبادلة وليس
عامل خصومة ومطاردة .. وهكذا
.. فالأفراد البشرية والجماعات
البشرية لا فرق بين بعضها فى
الاعتبار البشرى فى نظر الاسلام ،
ومن هنا يمكن أن يقال : ان
الاسلام ضد « التفرقة العنصرية »
وأنه ينظر الى الناس جميعا نظرة
المساواة فى الاعتبار البشرى . فلا
يفضل انسانا على آخر ولا شعبا ،
ولا قبيلة على قبيلة ولا جماعة من
الناس ترابطت على أساس غير
انساني ، على جماعة أخرى

والاسلام بذلك يفرق بين
شيئين لا يستلزم أحدهما الآخر ..
يفرق :

أ - بين المساواة في الاعتبار
البشرى ، على أساس الوحدة في
أصل النشأة البشرية .

ب - وبين التميز في السلوك
الانسانى ، والارتباط بالقيم
الانسانية العليا في الحياة على
أساس من الايمان وتأثيره على
الفكر ، والوجدان ، والعمل
الادارى .



وعندما تبدر بادرة اختلاف
بين المؤمنين في جماعتهم تشير
الى الرجوع الى الاعتزاز
أو التفاخر « بالأصل » فيهم يتجه
الاسلام فوراً الى النهى عن طريق
ذلك ويذكر بالرباط القائم بينهم
الآن بديلاً عما كان فيقول : « انما
المؤمنون اخوة فاصلحوا بين

والمساكين ، وابن السبيل
والمساكين وفى المرقاب وأقام
الصلاة وآتى الزكاة . والموفون
بمهدم اذا عاهدوا ، والصابرين فى
البأساء والضراء ، وحين البأس
وأولئك الذين صدقوا ،
وأولئك هم المتقون » (١) ..
فالمتمتع هو صاحب الايمان بما
طلبت الآية هنا الايمان به ، وهو
المؤدى للولجيات والتكاليف
حسبما يدعى القرآن فيها كذلك ،
وهو صاحب الصفات النفسية
القائمة على القيم الانسانية العليا
والثبات عليها : من الوفاء بالعهد ،
والصبر والتحمل فى الشدة اذا
استمرت ، ووقت مفاجأتها (وحين
البأس) .

والتقوى التى يتميز بها فرد
عن فرد أو مجموعة من الناس
على مجموعة أخرى هى جماع
هذه الأنواع من الصفات التى
ذكرت فى آية البرهان .

فينهى القرآن هنا عن أن يسخر أحد من آخر ذكر أو أنثى بسبب وضاعة النسب أو بأى سبب من الأسباب التى كانت فى الماضى يستندون اليها عند التنقيص ، أو السخرية من أحد . لأن ذلك لا يتفق إطلاقا مع قيام المساواة فى الاعتبار البشرى بين الناس جميعا التى يطلبها الاسلام ويصر على طلبها .

كما ينهى عن انتهاك الحرمات فى غيبة أصحابها بما يسيء اليهم ، وعن مواجهتهم بما يكرهون من الأسماء والألقاب . ويجعل أى سبيل من سبل الانتقاص المذكورة فسوقا وخروجا من الايمان ، أو هو بمثابة الارتداد عن الايمان . فالسخرية والاساءة الى الانسان بالتنقيص من خلقه ، ودعوته بما يكره من الألقاب : أمور لا تجرح الاحساس الانسانى فقط بمن

أخويكم واتقوا الله لعلمكم ترحمون » (١) . . . فيطالب بالصلح على أساس الأخوة فى الايمان بالله وليس على أساس عنصري . ثم ينهى عن مباشرة الآثار التى تترتب على اعتبار العنصرية باقية كما كانت فيقول :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم » وفى العمل والسلوك ،

« ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم » ولا تذكروا عوب بعضكم بعضا فى غيبتهم ،

« ولا تنازروا بالألقاب » أى لا يلقب بعضكم بما يكره أن يسمه .

« بشئ الاسم الفسوق بعد الايمان » أى بشئ الخروج عن الايمان بعد الدخول فيه .

(١) سورة الحجرات ١٠ .

أسباب الايذاء النفسى للمؤمن آخر • وهى أسباب كانت سائدة فى الجاهلية ، وتسود فى كل عهد ماضى • والقرآن اذ يطلب أن يتجنبها المؤمن يطلبها لكى يفسح مجال العلاقات بين المؤمنين الى الايمان بالله ، والأخوة على أساس منه : فسخرية انسان من انسان ، وتنقيص انسان من انسان آخر وراء ظهره ،

ودعوة انسان انسانا آخر بما يكره من ألقاب أمام آخرين ، وتجسّس انسان على أسرار انسان آخر ،

وغية انسان لانسان ••

كلها عوامل تحول قطعاً دون صفاء النفوس ، وتماسك بنيان المجتمع - وهى لا تشيع الا اذا كانت « التفرقة العنصرية قائمة » بوجه من الوجوه •

الاسترقاق ليس تفرقة عنصرية : واسترقاق الأسرى فى الحروب بين المسلمين وأعدائهم اذا باشره

يسخر منه ، أو يساء اليه من خلقه ، أو فى مواجهته وإنما قد يصل جرح الاحساس الى ما يعوقه عن التفكير السليم ، ومباشرة العمل ، ويحول بينه وبين النظرة المتفائلة فى الحياة •• هى أمور قد تؤدى الى أن يكره الانسان نفسه ويتهرب بوسيلة ، أو بأخرى من لقاء الناس ، فضلاً عن أن يستمتع بهم عند اللقاء •

ولكى يبعد الاسلام سوء الظن بالآخرين ، اعتماداً على تقليد كان قائماً على تفرقة قبلية يطلب الابتعاد عنه من قريب أو بعيد فيقول :

« يا أيها الذين آمنوا ،

« اجتنبوا كثيراً من الظن ، أن بعض الظن اثم ،

« ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضاً » (١) ••

والواقع أن القرآن الكريم يطلب فى هذه الآيات الثلاث فى سورة الحجرات : أن يتجنب المؤمن كل

« ما كان لنبي أن يكون له
أسرى حتى يشن في الأرض »
— حتى يتمكن ويكون قويا
« تريدون » أى بالقديرة • وقد
كانت القديرة رأى أبى بكر لحاجة
المؤمنين الى المال « عرض
الدنيا » •

« والله يريد الآخرة والله عزيز
حكيم »

« لولا كتاب من الله سبق » أى
لولا قضاء من الله سبق في علمه :
بالعفو عن الرسول عليه السلام
والمؤمنين معه من أجل قبول
القديرة بادیء ذى بدء « لمسكم
فيما أخذتم عذاب عظيم » (١) •

ومع أن الرقيق يفرق بينه وبين
الحر في مجالات عديدة في الحياة ،
وبالأخص فيما يتعلق بالقيمة
الانسانية ، ومع أن الاسلام يرى
في التفریق بينهما ضربا من ضروب
التأديب للأسير الذى أصبح
رقيقا ، لكنه لا يرى في هذا التفریق
أية صلة تعود بها الى ما يسمى

الامام وأصبح هناك بين المؤمنين
أرقاء من غيرهم يجوز بيعهم
وسراؤهم : لا يعد « تفرقة
عنصرية » فعدم مساواة الأرقاء
بالأحرار في المجتمع الاسلامى في
الاعتبار الانسانى ، وجعلهم على
النصف في أمور عديدة ، مما يجب
على الحر ، أو مما يجوز له ، هو
اجراء ضرورى لابعاد خطر الاعتداء
والحروب عن المؤمنين من أعدائهم
وهو « سياسة » يجب أن تستخدم
لتحذير الأعداء والمفسدين
بالحروب •

ثم الاسترقاق هو بديل عن
قتل الأسير في ميدان القتال ،
أو بعد أسره فقد يجوز أن يقتل
في الميدان ، كما يجوز للامام أن
يقتله بعد أن يؤسر — وقد كان
عمر رضى الله عنه يرى
— والمسلمون ضعفاء — أن الأسير
ينبغى قتله ، ولا يجوز أن تقبل
منه فدية ، فضلا عن أن يمن عليه
الامام باطلاق سراحه • وفي رأيه
جاء قوله تعالى :

(١) سورة الاعمال ٦٧ و ٦٨ •

والاعتداء ، وحمل المعتدى على التفكير طويلا قبل اعتدائه على المؤمنين •

والآن نمر بنا في الاسلام اربعة امور :

الامر الاول : أن الاسلام يرى المساواة في الاعتبار البشري أساسا جوهريا في النظرة الى الناس جميعا •

الامر الثاني : أن هناك في الاسلام - بعد ذلك - فروقا فردية تنشأ عن قوة الايمان وضعفه ، وحسن السلوك ، ومدى مطابقته لما يأمر أو ينهى عنه الاسلام ، وهي فروق يتميز بها فرد عن آخر أو مجموعة عن أخرى •

الامر الثالث : أن الاسترقاق ومعاملة الارقاء ، والنظرة اليهم لا تصل بمعنى « التفرقة العنصرية » •

الامر الرابع : أن المسؤولية الفردية هي مسئولية للناس عامة •

« بالتفرقة العنصرية » • لأن الاسلام لا يتقصه « لأصله » أو « عرقه » أو « جنسه » أو « شعبه » أو « قبيلته » • أو غير ذلك مما يمدد الماديون أو الجاهلون - سببا في « التميز » و « التفرقة » • أو سببا في التتقيص والخسة كما واجه قوم نوح رسولهم بأن سبب كبرهم يرسلته : أنهم من « الأشراف » وأن من عداهم من الذين آمنوا به من « الوضعاء » • قالوا : « تؤمن لك واتبعك الأرذلون ؟ » (١) فهم يأفون أن يكونوا في مستوى واحد مع الأراذل أو الوضعاء ، في الايمان يرسله نوح •

والتفرقة العنصرية دائما ظاهرة من ظواهر المادية ، مهما قيل في شأن المساواة « أو ادعائها في ظل طغيان المادية » • أما « التجريد » من الاعتبار الانساني الذي يسلكه الاسلام مع الرقيق ، فلا يقوم على شيء سوى استنكار العدوان

(١) سورة الشعراء ١١١ •

الاساني الكريم وتحقيق مستواه
الفاضل •

« واعلموا أن فيكم رسول الله
لو يطيعكم في كثير من الأمر
لعنتم » — مما يخص القبائل
والعشائر — •

« ولكن الله حبيب اليكم الايمان
وزينه في قلوبكم » — فارتفعتم به
في السلوك والمعاملة عن كل أسباب
الغصومة • وهي أسباب تعود
غالباً الى « العنصرية » — •••••

« وكره اليكم الكفر ،
والفسوق ، والعصيان ، أولئك
هم الراشدون » (١) • وطالما يتعد
الانسان عن الكفر ، والفسوق ،
والعصيان ، فهو بعيد كذلك عن
كل ما تؤدي في العلاقات بين
الأفراد بعضهم ببعض • وهو
رشيد كذلك في مسلكه وتصرفه •

* في توجيه الرسول :

والرسول عليه السلام ييغض
في العصية الجاهلية • وهي التي

والناس جميعاً يتساوون في حمل
هذه المسئولية ، كما يتساوون في
الاعتبار البشري •

والحديث الشريف يذكر
المسئولية الفردية فيما يروى عن
الرسول عليه السلام في قوله :

« كلكم راع ، وكلكم مسئول
عن رعيته ،

« والرجل راع على أهل بيته ،
وهو مسئول عن رعيته ،

« والمرأة راعية على أهل بيت
زوجها وولده وهي مسئولة
عنهم ،

« وعبد الرجل راع على مال
سيده ، وهو مسئول عنه » •

« إلا : كلكم راع ، وكلكم
مسئول عن رعيته » • فالسيد
والرقيق • والذكر والأنثى كل
في دائرة مسئولية مطالب بأداء
المسئولية ورعايتها •

والروح الاسلامية عامة تتجاوز
كل مظاهر « التفرقة العنصرية »
وأسبابها كذلك تستهدف السلوك

الترايط لارتكاب الآثام والمظالم ،
بسبب العشيرة والانتساب اليها •
ولذا يروى في هذا الشأن عن
عبد الله رضى الله عنه قول الرسول
عليه الصلاة والسلام : « قال : من
نصر قومه على غير الحق فهو
كالبعير الذى ودى ، فهو ينزع
بذنبه » (١) ووجه الشبه هنا أن
انقاده صعب مما وقع وتردى فيه ،
ويندر أن ينقذ حيا فالذى ينصر
قومه على غير الحق يخطئ خطأ
جسيما فى حق نفسه ويؤدى بها
الى الهلاك • فالعصية ذاتها
أمر طبيعى • ولكن يجب أن تسير
فى ظل الايمان بالله ودين الله • أى
يجب أن تكون تمايم الرسالة
الالهية هى صاحبة التوجيه
لطاقات الانسان وتربطه •
بينما « العنصرية » القائمة
الآن لا تفرق اطلاقا عن العصية
الجاهلية التى يمتتها الاسلام •
فهى نصره للشريك فى الجنس
والعنصر فى ظلمه وباطله قبل
حقه وعدله •

تقوم على أساس قبلى
(أو عنصري) لنصرة عضو فى
القبيلة ، ولو كان ظالما ، ضد
مظلوم آخر فى قبيلة أخرى ••
ويروى عنه عليه الصلاة والسلام
فى هذا الشأن قوله :

« ليس منا من دعا الى
عصية » - أى ليس من
المؤمنين من جعل العصية سبيلا
الى نصره الظالم - •• « وليس
منا من قاتل على عصية » - ••
أى اشتبك فى القتال على أساس
العصية وليس على أساس
نصرة الله - •••••

وفى رواية جبير بن مطعم :
« خيركم : المدافع عن عشيرته ،
مالم يائتم » - أى مالم يتجاوز
الحد فى الدفاع - فينصر الظالم
لأنه فقط من عشيرته - ••
فالرسول عليه السلام لا ينكر
الترايط على أساس العصية •
لأن ذلك شأن طبيعى فى الانسان •
ولكن ينكر فقط أن يوجه هذا

وإذا كان يروى عن الرسول عليه السلام قوله في تمجيد بنى هاشم :

« ان الله اختار العرب من بين سائر الناس ،

« واختار قريشا من العرب ،
« واختار بنى هاشم من قريش
واختارني من بنى هاشم ..
فانا أفضل الناس » .. فليس
يعنى عليه السلام التمييز المنصرى ..
والا لما كانت رسالته رسالة
عالمية .. ولما كانت دعوته الى تحقيق
القيم الانسانية العليا في حياة
المؤمن .. يعنى فقط التنبيه الى
« صفاء » نفسه وشرف منبته ،
وهذا امر يتصل « بالورثة »
ومالها من اثر على السلوك
والتوجيه وإذا كان الرسول
يصطفى من البشر فان اختيار الله
جل شأنه لرسول ما يدخل فيه
ماضيه وما ينطوي عليه من عناصر
طيبة وخيرية .. وسلسلة النسب
التي يشير الحديث هنا اليها تعطى
لأى كاتب في سيرته عليه السلام :

أنه عليه السلام حتما كان يتحلى
بصفة الأمانة ، تلك الصفة التي لها
صلة وثيقة بالعصمة في تبليغ الوحي
ورسالة الله الى الناس جميعا .

وفى يروى عن أبى هريرة
رضي الله عنه ، عن النبي صلى
الله عليه وسلم قوله : « تجدون
الناس معادن : خيارهم في الجاهلية
خيارهم في الاسلام .. اذا
فقهوا .. وتجدون خير الناس في
هذا الشأن : أشدهم له كراهية
قبل أن يقع فيه ، وتجدون شر
الناس ذا الوجهين الذي يأتي
هؤلاء بوجه ، ويأتي هؤلاء
بوجه » (١) .. يشير كذلك الى
« الورثة » وأثرها في توجيه
الأفراد ، دون أن يقصد الى معنى
« التفرقة المنصرية » فالورثة
أمر جوهرى في القروق الفردية
بينما « اللون » مثلا وهو أساس
من أسس « التفرقة المنصرية »
— القائمة اليوم لا يفرق بين فرد
وفرد أو مجموعة ومجموعة أخرى
على نحو ما يدعيه أصحاب هذه

بلالا - .. وبلال حبشي الأصل ،
أسود اللون ، وكان مملوكا لبنى
جميع ، فلما سمع بالاسلام بادر
اليه فصار أسياده يعذبونه عذابا
شديدا على الاسلام فلا يرجع .
وكان أمية بن خلف يوالي تعذيبه
ويفرى به الولدان يطوفون به في
شعاب مكة يعذبونه ويشهرون به ،
فلا يفتر لسانه عن قول أحد ..
أحد . وكان هلاك أمية هذا على
يديه . فلما اشتد تعذيبه ودفنوه
في الحجارة حيا اشتراه أبو بكر
بخمسة أواق ، وأعتقه لله تعالى .

فتكريم عمر بن الخطاب رضي
الله عنه لبلال الأسود الحبشي ،
بالتعبير عنه بأنه « سيده » ..
يدل دلالة واضحة على أن روح
« التفرقة المنصرية » لم تكن
قائمة في التطبيق العلمي في المبادئ
الاسلامية على الأقل حتى عهد
عمر . قد تكون مترسبة في أعناق
بعض النفوس . ولكن ليس
بترسبها هذا مع ذلك تفسير في
مجريات الأمور حسبما يرشد
الاسلام بروحه الانسانية العامة :

التفرقة . فاللون الأسود لا يرتبط
بضعف مستوى الذكاء في صاحبه ،
كما أن اللون الأبيض لا يدل دلالة
لازمة على رفع مستوى الذكاء فيمن
هو أبيض اللون . قد يكون للجو
والطبيعة في برودتها وحرارتها
أثر على نشاط الانسان - .
ولذلك يختلف نشاط من يسكن
المنطقة الباردة في مستواه وفي
طول أمدته عن ذلك الذي يسكن
المنطقة الحارة أو الرطبة . ولكن
لا ينبغي أن يرتبط اختلاف
النشطين في المستوى وفي المدى ،
باللون الأسود والأبيض ، إذا كان
الأسود هو الذي يسكن المنطقة
الحارة أو الرطبة ، بينما الأبيض
يسكن المنطقة الباردة .

* في موقف عمر :

ان عمر رضي الله عنه وهو من
هو ، في الجاهلية والاسلام ،
كان يقول عن بلال بن رباح
الحبشي ، مؤذن الرسول صلى
الله عليه وسلم ، كما يروى عن
جابر رضي الله عنه : « أبو بكر
سيدنا ، وأعتق سيدنا - ومعنى

يروى :

العرب ، والأجناس الأخرى
عداها . وهذا مما يثير الفتنة
أو روح الفرقة من جديد أو على
الأقل بما يضعف روح الأخوة
الاسلامية القائمة على الروح
الانسانية العامة والتي هي فوق
الجنسيات والعنصريات .

ولذا كان رد الرسول عليه
السلام على أبى بكر : أنه ربما
أغضبهم بما قال . وطلب اليه أن
يرضيه ويطمئنهم على أن الروح
الانسانية العامة - وليست روح
العنصرية - هي السائدة في
المجتمع الاسلامى ، وأن المسلم
أخ المسلم فى الايمان والاعتبار
وأمام المسئولية .

ووصية عمر رضى الله عنه لمن
يخفه - وهو مصاب باصابته -
تدل أيضا على عدم وجود نزعة
نحو « التفرقة العنصرية » يستلهم
منها المسلمون اتجاهاتهم فى الحياة
تدل على أن الاسلام بمبادئه
الانسانية لم يزل صاحب
السيادة .

فيروى : أن بعض الرجال
استأذنوا فى الدخول عليه رضى الله

« أن أبا سفيان قبل اسلامه »
مر على سلمان الفارسي ، وصهيب
الرومي ، وبلال الحبشي في ثمر
فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله
من عنق عدو الله مأخذها
(ويقصدون أنه كان يجب أن
يزول أبو سفيان عدو الله من هذا
الوجود ، وقاية للاسلام من شره
وعداوته) . فقال أبو بكر :
أثقلون هذا لشيخ قرشي
وسيدهم : (يعنى أبا سفيان) ؟
وأثنى النبي عليه السلام فأخبره .
فقال : يا أبا بكر لملك أغضبتهم ؟
ان كنت أغضبتهم فقد أغضبت
ربك . فأتاهم أبو بكر فقال :
يا اخوتاه أأغضبتهم ؟ فقالوا :
ما غضبنا . يغفر الله لك .

فالثلاثة : سلمان الفارسي ،
وصهيب الرومي ، وبلال الحبشي ،
من « عروق » و « أجناس »
ثلاثة . وأبو سفيان قرشي . فرد
أبى بكر وهو قرشي أيضا على
الثلاثة ربما يوقظ فى نفوسهم
معنى « العنصرية » . يوقظ أن
قرشا تتميز على غيرها من قبائل

عنه فقالوا : أوص يا أمير المؤمنين .. استخلف .. قال :

« ما أجدر أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم . »

« فسمى عليا » و « عثمان » و « الزبير » و « طلحة » و « سعدا » و « عبد الرحمن » وقال : « يشهدكم عبدالله بن عمر .. وأيسر له من الأمر شي » .

« فان أصابت الامرة سعدا فهو ذاك . والا فليستن به أيكم ما أمر فاني لم أعزله عن عجز ، ولا خيانة . »

ثم قال : أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين : أن يصرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم .

وأوصيه بالأنصار ، الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم ، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن سيئاتهم .

وأوصيه بأهل الأمصار خيرا ، فانهم ردة الاسلام ، وجباة المال ،

وغيظ العدو وأن لا يأخذ منهم الا فضلهم ، عن رضاهم .

وأوصيه بالأعراب خيرا فانهم أصل العرب ، ومادة الاسلام : أن يأخذ من حواشي أموالهم . ويرد على فقرائهم .

وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله : أن يوفى لهم بمعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم .

فان وصيته رضى الله عنه هنا بجميع طوائف المؤمنين وأهل الذمة في الأمة لا تدل فقط على حنكة في التجربة السياسية . وانما أيضا تدل على سمو فوق القبيلة والعنصرية .

لأنه رضى الله عنه فيما يعمل به وصيته لكل طائفة يذكرها بفضلها في الاسلام ، وفضل اسهامها في قوة الأمة وخيرها .

✽ بعد وفاء الرسول عليه السلام والرسول عليه السلام صاحب التبليغ بالوحي الالهي ، وصاحب الرسالة ، والدعوة اليها ، وصاحب التطبيق الجاد والصادق لمبادئها في

بعد وفاة النبي عليه السلام
أراد الأنصار أن يؤمروا « سعد
ابن عباد » وقالوا للمهاجرين :
منكم أمير ومنا أمير - أى من
الأنصار .. وهذا رجوع بالروح
الاسلامية المأمة الى الروح
القبلية .

ومنا أمير .. ومن الخزرج
أمير .

فقال لهم أبو بكر رضى الله
عنه : سمعت رسول الله عليه
السلام يقول :

« الأئمة من قريش » فيبقى
على الاعتزاز بقريش . فكان
القرشيون أهل زعامة وثنية على
عهد الكهان ، وليبقوا كذلك أهل
الامامة في الاسلام .

ويروى ابن عمر رضى الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال : « لا يزال هذا الأمر
(وهو الامارة) في قريش ما بقى
منهم اثنان .. وهذا وذاك من
الأحاديث التي يجب أن تكون
موضع نظر للمؤمنين .

حياته . ولذا كان قوله حجة
وتطبيقه حجة كذلك . ومن ثم
كانت قلدوته قدوة حسنة ، يجب
على المؤمنين برسالته أن يتبعوها .
وكما رأينا في القرآن الكريم :
أن روح الاسلام روح انسانية
عامة فوق النصرية والشعوية ..
وأن « لا اله الا الله » .. هو
شمارها والله وحده هو معبود
الخلق أجمعين .

ولكن الى متى تظل « النصرية »
بعيدة عن مجال الحياة الاسلامية
التي سادت فيها القيم الانسانية :
هل انتهت الروح « النصرية »
من نفوس المؤمنين وقلوبهم ،
وهم عرب لهم قبائلهم ، أو عجم
لهم تاريخهم وحضارتهم ؟
أم كبنت هذه الروح وتوسبت
في العمق وتظل مترسبة الى حين ؟
حتى اذا ضعف غطاء الايمان بالله
ابتدأت تعلوا على السطح الى أن
يبدو أثرها في السلوك والمواقف ،
ثم في الفرقة والاختلاف بين
الطوائف والجماعات في الأمة ؟

فأبو بكر وابن عمر — وهما
من أجلاء الصحابة — يحدثان
المؤمنين بما ينسب للرسول عليه
السلام من وقوفه بالامامة
أو الخلافة في قريش وحدها .
هل معنى ذلك أنه عليه السلام
كان يميز قريشا على ما عداها من
القبائل العربية الأخرى فضلا عن
الأعاجم الذين دخلوا الايمان بالله
وشاركوا في مسئولية بقاء الأمة
الاسلامية ؟ هل هذا التمييز ينتهى
الى أن تكون الامامة أو الخلافة
عربية دائما ، دون أن تكون
اسلامية يوما ما ؟

ويستمر الرأي بوجوب كون
الامام من قريش وحدها فترة
أخرى من الزمن بين المسلمين كما
يذكر البذوى فيقول : يجب
أن يكون الامام أفضل علما
وتقوى وشجاعة ونسبا ، ويجب
أن يكون من قريش ، وهو قول
أهل القبلة ، واستنادا الى حديث
أبي بكر السابق « الأئمة من
قريش » .. والى أن الصحابة

أجمعوا على خلافة أبي بكر وعمر
وعثمان ، ولم يكونوا من بني
هاشم .

ثم تقوم آراء أخرى معارضة
لهذا الرأي :

فالروافض يقولون : يجب أن
يكون من بني هاشم ، ولا يجب
أن يكون من قريش ، لأنهم أنصار
لعلى رضى الله عنه .

والمعتزلة عامة يرون : أنه يجب
أن يكون تقيا عالما بكتاب الله ،
ولا يجب أن يكون من قريش .

والخوارج يرون أنه يجب أن
يكون من غير قريش ، ويوجهون
رأيهم بأن الامام قد يظلم وقد
لا يمتنع عن المعاصي فتقع الحاجة
الى عزله . فان كان قرشيا يكون
ذا تبع كثير فلا يمكن عزله ،
فيؤدى الى فساد العالم . فيجب
أن يكون من غير قريش حتى
يمكن عزله .

وبعد الخلفاء الأربعة قال :
« أبو بكر الأصم » من المعتزلة ،

السلام وأسند أمرها في بعض الأحاديث اليه في آخر حياته : من غير شك بداية لضعف المجتمع الاسلامي ، في غده ، وسيره في مراحل التفرق ، والاختلاف بعد أن اكتمل في القوة التماسك عند فتح مكة . اذ قدم مصى عليه منذ نشأته المدة التي يبلغ فيها نهاية تطوره كمجتمع انساني فالمجتمعات الانسانية تمر بمراحل التطور التي يمر بها الفرد من الانسان . فاذا بلغت نهاية المرحلة الاخيرة تبتدىء من جديد في النزول . ثم تصعد مرة أخرى لتصل الى قمة التطور .. وهكذا .

والمجتمع الاسلامي هو مجتمع انساني . على معنى أنه يأخذ بالقيم ... الانسانية العليا في الملوك ، والمعاملات والمواقف . وقمة تطوره هو بلوغه في الأخذ بهذه القيم بلوغا يوصله الى المستوى الرفيع في الانسانية . فاذا ابتداء يضعف أخذ في التنازل عن بعض هذه القيم الانسانية العليا شيئاً فشيئاً .. حتى يصل

وبعض الخوارج : انه لا يجب أن يكون هناك امام بل يجب على الناس أن يعملوا بكتاب الله تعالى ففيه الكفاية عن الامام .

والرأى الآن في ذلك الوقت بين المسلمين في شأن الامامة :

يجب أن يكون هناك امام . ولكن هل يجب أن يكون من قرش ؟ أو من بنى هاشم ؟

أو يجب أن لا يكون هناك امام اكتفاء بالعمل بكتاب الله ؟ ان اختيار قرش أو بنى هاشم مؤهلاً للامامة الكبرى لا يخلق من نزعة قبلية .. وان القول بالغاء الامامة والاستعاضة عنها بكتاب الله يدل على كراهية للانتماء الى أية قبيلة في اختيار الامام وكراهة الانتماء الى القبيلة عند اختيار الامام تدل على البغض الأقصى للعرب ، وللمسلمين جميعاً . فرأيهم تصاحبه القوضى في التطبيق وتفكك المسلمين في الاتجاه والتوجيه مما .

وهذه النزعة القبلية التي ظهرت بعد وفاة الرسول عليه

وحديث حذيفة رضى الله عنه :
 « كان الناس يسألون رسول
 الله عن الخير ، وكنت أسأله عن
 الشر ، مخافة أن يدركنى ، فقلت
 يا رسول الله : « انا كنا فى جاهلية
 وشر » أى كان مجتمعنا مجتمع
 عادات جاهلية وهى العادات التى
 يغلب عليها استضعاف الضعيف ،
 وحب المال حبا جما والاستغناء
 به والطغيان عن طريقه .. وهو
 مجتمع شر . لأنه يقوم على
 الأنانية وحب الذات وحدها (فها هنا
 الله بهذا الخير) وهو الاسلام .
 والمجتمع الاسلامى مجتمع انسانى
 يؤثر الروابط الانسانية بين الأفراد
 على تلك التى تتصل بالمادة
 وحدها) .

« فهل بعد هذا الخير من شر ؟
 (أى فهل يذهب هذا المجتمع
 الخير وهو المجتمع الاسلامى بعد
 فتح مكة ، ويضعف حتى لا ترى
 فيه الا العادات الجاهلية من جديد
 وهى التى تمثل الشر فى
 الانسانية ؟) .

« قال : نعم » (وعلى هذا السؤال
 يجيب الرسول عليه السلام بأن

الى صفة المجتمع المادى وهى
 صفات الجاهلية . وكلها تدور فى
 فلك الاقتصاد وتمجيده .

وبعض « الأنصار » كان يرى
 فى قول الرسول عليه الصلاه
 والسلام لأبى سفيان عندما اشتكى
 من هلاك قريش فى فتح مكة .

« من دخل دار أبى سفيان
 فهو آمن . ومن ألقى السلاح
 فهو آمن . ومن أغلق بابه فهو
 آمن » .. عاطفة خاصة وميلا
 خاصا من الرسول عليه السلام
 نحو عشيرته ورغبة فى قريته
 وهى مكة .

وقد أجاب الرسول عليه السلام
 على هذا التعصّب عند الأنصار
 بقوله :

« هاجرت الى الله واليكم .
 فالحيا محياكم والممات مماتكم » .
 وبهذا الجواب ضعفت النزعة الى
 « العشيرة » وهى ولا شك نزعة
 « عنصرية » . ومع ذلك فاللمحات
 القبلية أخذت تظهر فى التوجيه ،
 كما تظهر فى الحديث والمحاورة .
 وان كان شأنها لم يكن ذا خطر
 على الأمة اذ ذاك .

وتأسيسا على هذا التحول ، وعلى انه مبدأ اجتماعي اذا اختفت ظاهرة « التفرقة العنصرية » في المجتمع الاسلامي ، أي في المجتمع الذي يسود فيه الاسلام والقيم الانسانية العليا فانها حتما ستظهر ، وربما ستكون في ظهورها قوة في المجتمع المادي أو الجاهلي ، اذا آل اليه المجتمع الاسلامي أو الانساني يوما ما و « التفرقة العنصرية » اذن ظاهرة اجتماعية تسود المجتمع المادي ، وتخفى أو تكبت في المجتمع الانساني أو الاسلامي . وهي من الظواهر الواضحة التي يعرف بها اتجاه المجتمع البشري : ان كان نحو المادية .. أو نحو الانسانية .

واذا كان المجتمع الاسلامي على عهد الرسول محمد عليه السلام هو مرآة صدق لمبادئ الاسلام ، ولتطبيق هذه المبادئ فانه يشك كثيرا فيما ينقله الرواة عن ملامح « القبلية » أو « العشيرية » .. مما يتصل بالتفرقة العنصرية ، منسوبا الى الرسول ذاته أو الى

المجتمع الاسلامي الذي قام منذ الدعوة بمكة ، وازدهر وقوى بالمدينة ، واشتد أزره وقوى ساعده عند فتح مكة ، سيضعف وسيزول خيره شيئا فشيئا ، ويحل بدل الخير فيه : شر هو الذي يصاحب ظواهر المجتمع المادي أو الجاهلي . فالمجتمع الاسلامي القائم عند فتح مكة سيتغير وسيتحول الى المجتمع المقابل له . وهو المجتمع المادي أو الجاهلي) .

« قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال نعم (ويعيد حذيفة نفس السؤال ويحبيه الرسول عليه السلام بنفس الجواب ، مما يدل على أن المجتمع البشري لا يبقى على وضع واحد . وانما هو يتقلب بين وضعين متقابلين . اما أن يكون مجتمعا انسانيا تسود فيه القيم الانسانية . وعندئذ يكون مجتمعا اسلاميا وخيرا على البشرية كلها . واما أن يكون مجتمعا جاهليا ماديا . وعندئذ يكون شرا على البشرية كلها) ..

بعض كبار الصحابة رضوان الله عليهم .

ولكن بعد وفاته عليه السلام لا يستبعد ظهور اشارات تشير الى ما كان عليه العصر الجاهلي من أمارات .. ومن أهم أماراته « التفرقة العنصرية » فالتفرقة العنصرية ظاهرة المجتمعات المادية أو الجاهلية دائما ، والمجتمعات الأوربية المعاصرة - مسيحية أو غير مسيحية - وهي مجتمعات « البيض » تحاول فقط أن تغنى « العنصرية » كاسلوب فى الحياة العامة . ولكن أساس نظرة البيض أو الشعوب الأوربية الى الملونين أو الشعوب الافريقية والآسيوية ، هو نظرة عدم المساواة فى الخصائص الانسانية وبالأخص العقلية منها . وربما كان استثمار « البيض » للملونين فى افريقية وآسيا فى القرن التاسع عشر فترات طويلة ، سببا فى تقدير هؤلاء الملونين تقديرا لا يرقى الى مستواهم هم .

فالبيض يعتبرون « الملونين » متخلفين ، ليس فى العلم ولا فى الصناعة فقط وانما مع ذلك فى الطاقات البشرية ، والقدرة على الانجاز ، وحل المشاكل والخبرة فى شؤون الحياة .

وكثير من الكتاب للأوربيين ملأوا العالم بميحاتهم فى القرن التاسع عشر عن « ميزات العقل الآرى » .. ويرون أنه - دون غيره صانع الحضارات البشرية والتاريخ الانسانى .

فمن هؤلاء الكتاب Gobineau يؤكد فى كتابه : محاولة توضيح عدم المساواة بين الأجناس البشرية «فى سنة ١٨٥٣ » : أهمية العناصر العقلية فى علم الأجناس ويشير الى استخدام التاريخ العالمى . ويذكر أن سقوط الشعوب الكبيرة كان بسبب الاختلاط بين الأجناس التى منها حملة المدنية كالعنصر الآرى .

البشرية بمجموعة كبيرة من الناس يرتبط بعضها ببعض عن طريق رباط مشترك عام من خصائص : جسمية وعقلية .. وتنفصل عن غيرها من المجموعات ، وتميز عنها بهذه الخصائص كذلك .

وكانوا يذكرون من علامات الجنس / طول الجسم - وصورة الوجه - وشكل الرأس - ولون العينين - ولون البشرة - ولون الشعر - وفروق الدم .

Blumanback في القرن التاسع عشر كان يحدد العنصریات :

بالعصر القوقازي ،
والعصر المونجولي ،
والعصر الماليزي ،
والعصر الهندي ،

بينما Cuvier وهو عالم فرنسي في وراثة الحيوان ، وعاش ما بين ١٧٦٩ - ١٨٢٢ - كان يحددها :

Gobineau (١) والآري هو الشريف أو السيد وفق نظر والجرماني الشم : الألماني أو صاحب القرابة معه في الدم من الأوربيين .

وهو كاتب فرنسي عاش ما بين ١٨١٦ - ١٨٨٢ وله غير ما سبق من كتاب : « بيان القيم الذاتية للإنسان الآري » .. وكتاب : « عدم التساوي بين الناس » وله تأثيره على « نيتشه » الفيلسوف الألماني ، و « فاجنر » الموسيقي الألماني الكبير وكذلك على الكاتب Chamberlain الأنجليزي وصاحب كتاب « القرن التاسع عشر في أهمية العقل الآري (١) في تاريخ المدينة » .. وقد عاش هذا الكاتب ما بين ١٨٥٥ - ١٩٢٧ .

وفي بداية نشأة علم الأجناس كانت تحدد « العنصرية » بأنها اعتقاد بأن الأجناس البشرية بنظرتها تحدد حضارتها . وتنطوي هذه الحضارة عادة على فكرة : أن جنسا خاصا يتميز على غيره ، وأن الحق في أن يحكم الآخرين . كما كان البعض الآخر يحدد « العنصرية » في علم الأجناس

الأمة الاسلامية : « اتجاه
العنصرية » في الحكم ، كمؤشر
لسيادة الاتجاه المادي في المجتمع
الاسلامي واحلاله محل القيم
الانسانية التي كانت سائدة على
عهد الرسول عليه السلام ، وفي
فترات على عهد الخلفاء الراشدين
بعده .

ليس من الغريب أن يظهر اتجاه
الفرس في تهجير حضارتهم
وتاريخهم ، في مواجهة العرب
والأجناس الأخرى .

ولا يفسر ظهور هذا الاتجاه
بأن دعوة الاسلام من الأصل
بقيت على هامش حياة المسلمين ،
دون أن تصل الى العمق في
نفوسهم ، كما يدعى بعض
المستشرقين والناقلين عنهم فيما
كتبوه فيما يسمى : « الفتنة
الكبرى » .

وانما التفسير السليم : أن
الدعوة الاسلامية بعد أن وصلت
الى العمق في نفوس المسلمين على
عهد الرسول عليه السلام ، أخذ
المجتمع الاسلامي يتحول بعد

بالبيض ،
والصفر ،
والسود ،

وتخصص الأوربيين في « علم
الأجناس » وكتاباتهم الواسعة في
« العنصرات » تعطى اهتمامهم
الكبير بما يميزون به أنفسهم
كصانعي « الحضارة الانسانية » .
وحملتها بالتالي تعطى ما يريدون
أن يقولوه للآخرين غيرهم من
البشر وهو : أن على هؤلاء أن
يلقوا بزمم القيادة اليهم في
طوع ، حتى لا تنطفئ شعلة
الحضارة الانسانية .

والتفرقة العنصرية كاتجاه رسمي
اليوم في جنوب افريقيا ، وفي
روديسيا ، هي قائمة في واقع الأمر
في الولايات المتحدة الأمريكية وفي
الاتحاد السوفيتي الذي يزعم
« العالمية » في سياسته فحكام
القوقاز وأوكرانيا مثلاً لا بد أن
يكونوا من « الروس البيض » .

بعد الخلفاء الراشدين :

وليس من الغريب بعد عصور
الخلفاء الراشدين : أن يظهر في

عندما سأل حذيفة الرسول عليه السلام عن الخير والاسلام من جانب ، والشر والجاهلية من جانب آخر ، كان يقصد السؤال عن امكانية التحول للمجتمع من وضع الى وضع آخر تقيض له .

فعند سيادة الاسلام تحنى « العنصرية » وعند ضعفه تبرز « العنصرية » ويكون لها شأن في التوجيه .

فرباط الاسلام اعم واشمل . ولذا يطوى أى رباط آخر مهما كان قويا من قبل ، ويخفيه فلا تظهر له سمة من سماته . وان ظهر بعضها فلمدة موقوتة وقصيرة .

بينما رباط « العنصرية » أخفى مهما كان عدد مجموعته . ولذا يظهر عندما يزول من فوقه ما كان حاجيا له بمومه وشموله .

الاسلام يعادى « التفرقة العنصرية » . « والتفرقة العنصرية » صنو للمادية والجاهلية .

دكتور محمد البهى

وفاته من مستوى القمة في تطبيق القيم الانسانية . الى مجتمع يميل ويبدأ الى أوضاع المجتمع المادى ، فظهرت العنصرية أو بما يسمى بالتفرقة العنصرية كأداة من أدوات هذا المجتمع المادى .

وهذا التحول سنة طبيعية اجتماعية اذا ضعف الرباط الانسانى الذى قام عليه وتماسك على الأخذ بقيمه ، وهو ذلك الرباط الذى يشمل في مبادئ الاسلام وتوجيهه .

وكما أن الخير والشر موجودان في عالم الانسان ، فكذلك الاسلام والتفرقة العنصرية موجودان في عالمه أيضا . ولكن السؤال الذى يسأل بعد هذا الوجود الفرودى لكل من الطرفين هو :

— هل السيادة في المجتمع للإسلام والقيم الانسانية ، التى تغطى على الأمارات المادية ، ومنها التفرقة العنصرية ؟

— أم أن السيادة للمادية والجاهلية التى تبرز التفرقة العنصرية كظاهرة رئيسية من ظواهرها .

أثر الرسالة الإسلامية في الحضارة الإنسانية

للدكتور عمر فروخ

واللباس والسلوك وما الى ذلك +
ولأضرب على ذلك مثلاً واحداً :
قال لي أستاذي يوسف هل
(١٨٧٥ - ١٩٥٠ م) ، رحمه الله :
ان لوثر لما وضع أسس الإصلاح
الديني للنصرانية - ما يعرف
بالحركة البروتستانتية - كان ، بلا
ريب ، يضع أمامه نسخة من
القرآن الكريم . ان القرآن
الكريم كان قد نقل الى اللغة
اللاتينية في النصف الأول من
القرن الثاني عشر للميلاد : نقله
روبرت أوف تشستر الانكليزي
وهو مانوس دالماتا الفرنجي .
ولا ريب في أن هذه النسخة كانت
موجودة ومعروفة في أيام لوثر ،
فانها قد نشرت في سنة ١٥٤٣ م ،
قبل وفاة لوثر بثلاث سنوات وادا
نحن درسنا خصائص البروتستانتية

« أثر الرسالة الإسلامية في
الحضارة الانسانية » موضوع
جليل مفيد ، ولكنه موضوع
واسع جداً . ان الحضارة نمط
من أنماط المعيشة الانسانية .
وأنماط المعيشة الانسانية كثيرة
جداً . وكل هذه الأنماط تمثل
حضارات لا يزال معظمها قائماً
الى اليوم ، في أقطار العالم التي
نسميها متدنية متقدمة والتي
هي متوحشة (كما يقول
ابن خلدون : أي بعيدة عن الحضرة)
متخلطة . وكل حضارة من هذه
الحضارات - على اختلاف
أنواعها وتعدد أشكالها - تنطوي
على وجوه كثيرة من النشاط
الانساني في الدين واللغة والعلم
والفن والأدب ثم في السياسة
والاقتصاد والتعليم والطعام

الحركة العلمية وحدها . وكذلك رأيت من المفيد أن أستعرض آراء قهر من المسلمين حاولوا تبيان أثر الاسلام في العلم وفي الحياة الانسانية .

أما الاسلام وحته للمسلمين على العلم في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف فلن أتكلم فيه لأنه ليس من الموضوع المطلوب وكذلك لن أتناول بالكلام تفاصيل المعارف فان حديث ذلك يطول . ولكنني سأقف على المعالم التي بدّل بها الاسلام حياة البشر تبديلا لا سبيل الى انكاره أو تجاهله لأنه ظاهر للعيان معروف في التاريخ .

والعرب كانوا حملة الاسلام يوم جاءتهم الرسالة الاسلامية فانتشروا في العالم ونشروا في العالم حضارة لا عهد للعالم بها من قبل . كان العرب - من قبل - في شبه جزيرةهم أهل قوة وعصية ، وكان لهم أدب زاهر وعلم بالملك والطب وتبع الأثر باهر ، ولكن ذلك كله لم يخرج بهم من جزيرةهم وله

من رفض السلطة البابوية والغاء الرهبنة وقرار الطلاق بالاضافة الى التخلي عن الرموز كالصور والصلبان ، وعن الثياب الخاصة بالأساقفة والقسس مما كان معروفا في الديانات الوثنية والمجوسية واليهودية والنصرانية ، ومما جاء الاسلام بإبطاله ، لم تشك لحظة في أن هذه الوجوه من الاصلاح قد جاءت من الاسلام ، والا فمن أين يجب أن تكون قد أتت ؟ ثم ان النصرانية التي ما زالت تعادى الاسلام قروفا كثيرة لأسباب مختلفة وتتهم الاسلام بالتسوية من أجل الطلاق ، عادت تلك النصرانية نفسها ، في جميع أقطارها ، وفي روما حاضرة الفاتيكان نفسها ، الى اجازة الطلاق .

فاذا كان الاصلاح الديني في أوروبا المسيحية أثر من آثار الرسالة الاسلامية ، فكيف يجب أن يكون اتساع البحث الذي يتناول أثر الاسلام في القسارات الخمس وعند جميع الأمم وفي وجوه الحياة كلها ؟ من أجل ذلك أحببت أن أقصر بحثي على أثر الاسلام في

التي بناها الرومان - فتحوا من
كاشغر على حدود الصين الى
شواطئ البحر الأخضر أو البحر
المحيط المعروف عندنا اليوم
بالمحيط الأطلسي أو الأطلنطيكي .

ثم زالت الدولة العربية والخلافة
الاسلامية من عالم السياسة ، ولكن
بقى الاسلام ولغة الاسلام ونظام
الاسلام وحضارة الاسلام وثقافة
الاسلام وروح الاسلام فى هذا
العالم الفسيح منذ أربعة عشر
قرنا . وأعجب من ذلك كله أن
أقواما لم يدخلوا فى الاسلام قد
تكلموا لغة الاسلام أو تأثروا بلغة
الاسلام فى استخدام الحروف
العربية واستعمال الألفاظ العربية
واتباع النظم الاسلامية . فكيف
اتفق هذا الاثر البالغ فى تاريخ
الحضارة الانسانية ؟

جاء الاسلام فرأى فى العالم
نظما وقوانين غير معقولة
ولا محمودة قدما الى ابطالها فبطل
أكثرها بعد زمن قصير أو زمن
طويل .

ينشئ لهم فيها حضارة مادية
نافعة ، بل حملتهم قوتهم وعصبيتهم
على أن يتقاتلوا أو على أن يغزوا
بعضهم بعضا . فلما جاء الاسلام
جمع شملهم وحزم أمرهم فبدل
قوسهم فخرجوا من شبه جزيرتهم
يحملون الاسلام الى الناس
والحضارة الى الأمم . ومن أغرب
ما نعالج فى تلميل التاريخ - أو
فلسفة التاريخ ، اذا شئت - تفسير
تلك الظاهرة التاريخية : أمة قليلة
العدد والعدد لم تعرف حضارة
مادية مستقرة ولا مستبصرة نازلت
أمتين فتواتى عند وعدد وتاريخ
طويل فى العلم والفن والحرب
فتغلبت عليهما وابدعت حضارة
غفت على حضارتيهما . وأعجب من
ذلك فى التاريخ : أن الرومان بنوا
إمبراطوريتهم فى ألف عام - وكانوا
أمة على علم ونظام وقوة فى الحرب
وبراعة فى العمران - ثم عصفت
بهم ريح اليربارة الجرمان فزال كل
أثر للإمبراطورية الرومانية فى
من قرن واحد . أما العرب الذين
حصلوا الاسلام فقد فتحوا من
العالم أيضا أوسع من الامبراطورية

فمن الأمور التي دعا الإسلام
إلى إبطالها :

— الوثنية

— الرق

— العصبية ، أو ما يسمى في
العصر الحاضر بالعنصرية

— ثم الفسق والقمار والخمر
والخنزير وغيرها •

وإذا أما تكلمت على هذه بإيجاز
فلن أتكلم عليها من الناحية الدينية
أو الفقهية ، بل من الناحية العلمية
الاجتماعية ، من حيث أثرها في
الحضارة الانسانية • وسأؤكد أن
الدعوات المستمرة بهذا الشأن
إنما كان بأثر الإسلام وأثر الرسالة
التي جاء بها الإسلام إلى الناس
أجمعين •

ومع أن قهرا كثيرين من
المسلمين — ومن زعماء المسلمين
أيضا — لا يزالون يعملون بما
دعا الإسلام منذ أربعة عشر قرنا
إلى إبطاله ، فإن الإسلام لا يعمل
وزر هؤلاء ، فإن من القواعد
التي جاء بها الإسلام قول الله تعالى
(١٧ : ١٥ ، سورة الاسراء) : —

« من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ،
ومن ضل فانما يضل عليها
ولا تزر وزارة وزرا أخرى •
وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا » •

ثم ورد هذا المعنى في عدد آخر
من الآيات الكريمة (٤٦:٦) سورة
الانعام ، ج ٣ : ١٨ سورة فاطر ،
٧:٣٩ سورة الزمر ، ٥٣ : ٣٨
سورة النجم) •

وكما أن الإسلام قد دعا إلى
إبطال المساويء فانه قد دعا أيضا
إلى المحاسن ، فمما له صلة
بموضوعنا في إطاره من الحضارة
الانسانية :

— التوحيد

— الكرامة الانسانية

— العدل

— السلم

— العلم

رغب الإسلام في إبطال الوثنية لأنها
لا تليق بالعقل الإنساني :

ليس من المعقول ولا من
الصحيح أن يعبد الإنسان الحجر
أو الشجر أو التمساح أو الثور

وفي اليهودية • ولكن يكفي هنا إلى أن تشير إلى أن الإسلام هو الذي حث المصلحين النصاري واليهود على العمل في دياتهم بالرجوع إلى العقل ، والا فكيف يقبل العاقل أن يبيع بابلوات رومة بقاعا من السماء للأغنياء فينجوا أولئك الأغنياء - ولو كانوا في الحياة الدنيا أشرارا - من عذاب الآخرة بينما الصالحون من الفقراء لا يمكن أن يجدوا لهم مكانا في نعيم الآخرة لأنهم لم يستطيعوا أن يدفعوا ثمنه بمال كسبه في حياتهم الدنيا بطرق شريفة أو بطرق غير شريفة ؟ وكيف يمكن أن يقبل اليهودي العاقل ما جاء في التوراة الموجودة بأيدي الناس من أن الرب الإله صنع لآدم وامرأته أقمصا من جلد وألبسهما (تكوين : ٣ : ٢٠) • من أجل هذه الآية ومثيلاتها عند شر من المفسرين اليهود إلى تفسير توراتهم تفسيراً رمزياً • وكان في ذلك أيضا شيء من الإصلاح الديني • وكان هذا أيضا من أثر الرسالة الإسلامية •

أو البقر • ولكن أقواما فعلوا ذلك ، ولا يزال عدد من هذه الأقوام يفعل ما كان يفعله أسلافهم الأقدمون • إن الاعتقاد « بالله » في الإسلام والتعبد له بالقلب واللسان والجوارح (أعضاء البدن) يرجع إلى الشعور بأن الله القوى الحكيم القدير هو واهب الوجود ومسير الأمور ومثبت النظام الاجتماعي الذي به عمران العالم وصلاحه •

وليس في التوحيد خرافات من الصور والرموز ونسبة أعمال إلى الله لا تليق به نسبة أعمال إلى البشر ليست من خصائصهم ، بل هي راجعة إلى الله وحده •

ولما جاءت الرسالة الإسلامية كان العالم غرقا في الأحوال الوثنية • من أجل ذلك قامت أعمال الإصلاح في الأديان • وقد كنا أشرنا إلى الحركة البروستاتينية في مطلع هذا المقال • غير أن الحركة البروستاتينية لم تكن الحركة الإصلاحية الوحيدة في النصرانية

أصبح كافور الأخشيدي مثلاً ، ملكاً في مصر ثم أصبح الماليك سلاطين في الشام ومصر ، أدركنا أن منزلة الأرقاء في الحياة عند المسلمين قد اختلفت كثيراً مما كان يعرف في غير العالم الإسلامي . ولن أحدثك عن الجارية التي بيعت بمليون دينار لأن مثل هذه الأشياء ليست جارية رقيقة مستعبدة بالمعنى الذي عرفه العالم القديم والعالم الحديث إلى القرن التاسع عشر .

ونشأ في العالم الغربي حركات لتحرير العبيد . سأشير إلى أشهرها : الحرب الأهلية في الولايات المتحدة . أعلن إبراهيم لنكولن إلغاء الرق (عام ١٨٥٩م) فثارت الحرب الأهلية ، عام ١٨٦١م ، ودامت خمسة أعوام انتهت بانتصار الدعاة إلى تحرير الرقيق . لم يكن ذلك بحافز من التوراة واليهودية ولا بدافع من الانجيل والنصرانية . أن الاسترقاق كان قاعدة من قواعد الحياة المألوفة في البيئة اليهودية وفي البيئة المسيحية . فإذا لم يكن

ولما جاء الاسلام كان الرق في جميع الأمم معروفاً ومألوفاً ، عند غير العرب وعند العرب أيضاً .

كان الرق في العالم القديم عند الوثنيين وعند اليهود وفي النصرانية ثم في البيئة الجرمانية المتخلفة والبيتين : اليونانية والرومانية المتقدمتين نظاماً اجتماعياً مقبولاً لا يثير تساؤلاً : بعض الناس يولد عبداً وبعضهم يستبعد في الحرب أو يشتري من السوق ، وبعضهم يعجز عن وفاء دين عليه فيستعبده الدائن بشرع العالم القديم ، وربما افتقر أب فباع بعض أولاده عبيداً أرقاء .

وجاء الاسلام فحرم الاسترقاق ودعا إلى « تحرير الرقاب » (تحرير العبيد الأرقاء) ومع أنه قد ظل في المسلمين من يجد وجوهاً من الحيلة في اتخاذ الرقيق ، فإن قيمة الرقيق أصبحت كبيرة ومعاملته أضحت حسنة ومكاته أعلى مما ينتظر في مثل هذه الأحوال .

ثم اتنا إذا علمنا أن العبيد قالوا في الاسلام مراتب سامية ، إذ

وكذلك كانت العصية قاعدة اجتماعية مألوفة في البيئات القديمة كلها قبل الاسلام . وفي شبه جزيرة العرب أيضا .

كل أمة كانت تنظر الى نفسها على أنها من طينة غير طينة سائر الأمم ، إن أسلافنا قبل الاسلام قسموا الناس قسمين : عربا (يفصحون فيفهمون اذا تكلموا) وعجماء (لا يفهم العرب عنهم ما يقولون) . وكذلك اليهود قسموا الناس ثلاثة أقسام : دعوا أنفسهم اليهود العبرانيين (لأنهم من نسل عبراني) ، ودعوا الداخلين من غير نسلهم في اليهودية « الصابئين اليهوديين » ودعوا جميع من هم غير ذلك أميين (أي من أمم غير أمتهم) . واليونان قسموا البشر يونانا وبربرا ، والرومان جعلوا الناس أيضا رومانين وبربرا ، واذا بلغ أهل شعب الى أن يصلوا في الحضارة والعلم الى مستوى الرومان سموهم مواطنين .

ولقد عاش اليهود على هذه العصية الجنسية الى اليوم ،

ابراهيم لنكون وأنصاره في حركة تحرير العبيد قد تأثروا بالتوراة أو بالانجيل - أي باليهودية أو بالنصرانية - فلا بد من أن يكون تأثرهم قد جاء من الاسلام لأن الاسلام هو الذي جاء بالدعوة الى « فك الرقاب » من أسر الرق . وربما اعترض ناقد فقال : إن ابراهيم لنكون لا تعلم عنه انه عرف ذلك من الاسلام ، والمفروض انه جاء بذلك من دافع في انسانيته ومنطق من عقله . فنحن نقول حينئذ : وهذا أيضا من فضل الاسلام . اذا كان الاسلام قد جاء قبل أربعة عشر قرنا بقاعدة بنيت على الدافع الانساني والمنطق العقلي ثم طبقها رجل عاقل بعد ثلاثة عشر قرنا ، فمعنى ذلك أن الاسلام لم يضع هذه القاعدة لزمانه ومكانه ، ولكنه وضعها لكل زمان ومكان : انه وضعها للانسان . واذا كانت قواعد حركة من الحركات تعمل من غير أن يعرف الذين يعملون بها انها موجودة ، فتلك فضيلة جديدة لتلك القاعدة العاقلة الحكيمة .

والدالة على جهل واصمها بالفعلة
عن أثر المناخ وعوامل الطبيعة من
حر وبرد في ألوان البشر .

أما الاسلام فلم ينظر الى البشر
من حيث لونهم أو من حيث
نسبهم أو من حيث قطرهم بل من
حيث قيمتهم الذاتية ومن حيث
عملهم . ففى القرآن الكريم
« يا أيها الناس انا خلقناكم من
ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله
أتقاكم . ان الله عليم خير » .
(٤٩ : ١٣ سورة الحجرات) :

وأما فى الحديث فالكلام فى
ذلك متسع جدا . من ذلك مثلا
قوله صلى الله عليه وسلم :
« ليس منا من دعا الى عصبية » .
والاسلام لم يجعل تلك القواعد
نظريات ، بل سلكها فى الحياة
فنحن نجد فى كرام صحابة رسول
الله طلحة العري وسلمان الفارسي
وصهيبا الرومي وبلالا الحبشي .
ونجد فى القادة العظام عمرو بن
العاص العري والاققشني والتركي
وعبد الله بن طاهر الفارسي وصلاح

وهم يطبقون ذلك اليوم فيما
يسمونه اسرائيل . فاليهودى
العربى من الدرجة الأولى .
واليهودى الشرقى من درجة أدنى
منها . أما العرب فافه أعلم بحالهم
هنالك . وكذلك النصراني عاشوا
الى اليوم على العصبية الجنسية
أو العنصرية فى جنوب افريقية
وفى زيمبابوى روديسيا . ما عهد
هتلر منا يميز . والسود والبيض
فى الولايات المتحدة متساوون فى
النصوص المكتوبة فى القوانين ،
ولكن الأبيض فى الحياة الاجتماعية
العملية فوق الأسود فى كل شيء .

ورأى اليهود والنصارى فى
الرق يرجع الى قول فى التوراة
الموجودة بأيديهم هو أن الله جعل
أولاد حام الكنعانيين عبيدا لأولاد
سام ، زعموا أن نوحا غضب
على ابنه فدعا عليه بأن يجعل الله
أولاده عبيدا . وكان من أثر دعوة
نوح على ابنه حام أن أصبح أولاد
حام أيضا سود البشرة . هذه
الخرافة جعلت قرا من علماء العرب
منهم الجاحظ ومنهم ابن خلدون
يتكلمون بهذه البدائية القاصرة

الإنسان يولد نجسا مذنباً لما لحقه من الخطيئة الميئة - خطيئة آدم ، فيا زعموا ، لما اتعل بحواء - ثم هم يعتقدون أن المسيح جاء ليحسل عن البشر خطيئاتهم . وأما المجوس في الهند فلا يزالون الى اليوم يعتقدون أن البشر طبقات في أسفلها المنبوذون ، فإذا من أحد هؤلاء المنبوذين هندياً ممن يعتقدون في أنفسهم الشرف لتحشدهم من البراهمة أو من الفرسان والطهارة ، وجب على هذا المعتقد شرف نفسه أن يقتل ذلك المنبوذ ، ثم يتطهر مما كان قد علق به من الدنس لما معه أخوه في الدين والوطن .

أما الاسلام فأعلن أن الإنسان يولد على الفطرة الزكية الطاهرة . ثم الإنسان يولد كريماً مستحقاً للاحترام . ففي القرآن الكريم في هذا النطاق قوله تعالى : « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » (سورة الاسراء : ١٧ : ٧٠) .

الدين الكردي والظاهر يبرس الجركى . وفي الملوك العظام نجد المأمون وأمه فارسية ثم المعتصم وأمه تركية كما نجد قبلها عبد الرحمن الداخل وكانت أمه بربرية ثم جاء بعده الخليفة الحكم المستنصر وكانت أمه بشكنسية (من أهل الشمال من الأندلس) .

فالاسلام هو الذي ساعد على بناء حضارة واسعة شاملة تستفيد من جميع جهود بني الإنسان أو من جهود جميع بني الاسلام .

قامت الحضارة التي أرسى الاسلام قواعدها على أربعة مدارك : على الكرامة الإنسانية وعلى العدل وعلى السلم وعلى العلم وعلى العمل .

١ - في الكرامة الإنسانية :

أن الاسلام لم يعرف الطبقات الاجتماعية ، أو هو عرفها عند الأمم الأجنبية ثم دعا الى هجرها :

- أن اليهودية اعتقدت أن شعوباً هي في المبدأ الأرقاء منذ الولادة ومن الجنس أيضاً . وأما النصرانية فأنها تعتقد أن

ما يحدث في لبنان • وسبب ذلك أن جانباً كبيراً من العرب قد نسي أنه جزء من الأمة الإسلامية ، فالنزاع دائر في البلاد ، في المشرق والمغرب ، وفي قلب عدد من البلاد نفسها • أن الذي جمعه الإسلام بالتوحيد وبالاعتصام بحبل الله قد فرقه انتساب جماعات من العرب إلى آراء سياسية واجتماعية واقتصادية ليست من الإسلام ولا من العقل ولا من السياسة ولا من الاجتماع ولا من الاقتصاد •

هذا يدخل في باب الكرامة الإنسانية التي نجاء بها الإسلام • والعرب الذين يصلون بدوافع عصبية قد نسوا هذه القاعدة التي تقوم عليها الكرامة الإنسانية • أو تقوم عليها الحياة الإنسانية • أن زعماء الأحزاب اليوم - في كل مكان في الشرق وفي الغرب - يصرون عن أن قومهم هم الذين يتسبون إلى حزبهم ، ولو كانوا لهم من قبل أعداء • هذا موضوع طويل أخشى أن ينقل البحث فيه من السلم المنطقي إلى السياسات

لا يستطيع أحد أن ينكر أن العصبية أو ما يسمى في أيامنا « التمييز العنصري » سبب من الأسباب المسؤولة عن الحياه الانسانية المضطربة في الشرق والغرب ، كما لا يستطيع أن ينكر أن هذا الاضطراب مسؤول عن بقاء جانب كثير من العالم الانساني في حال من التخلف المعيب • ان النظرة الانسانية الشاملة التي جاء بها الاسلام ساعدت على استقرار الأمن • وفي ظل الأمن وحده ترقى الحضارة ، ولا يمكن أن تنشأ

حضارة - كما لا يمكن أن تستمر حضارة اذا كانت قد نشأت من قبل - الا اذا كان في البلاد أمن • وأهل لبنان اليوم ، والذين يزورون لبنان اليوم ، وكانوا قد زاروه من قبل ، يدركون قيمة الأمن في نشأة الحضارات وفي حياتها • ان الحياة اليوم في لبنان تنهقر نحو البداوة باضطراب الأمن فيه • والمسلمون في لبنان وفي كثير من البلاد العربية ، مسؤولون عما يجري في لبنان ويخشى أن يحدث في غير لبنان

أنت ثم يمنعك من أن ترى الأمور كما هي .

لقد علمنا الاسلام هذا العدل في آيات كثيرة من آي القرآن الكريم قال الله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » (سورة النساء : ٥٨) . ان الله سبحانه وتعالى لم يقل « وإذا حكمتم بين المسلمين » ولا « وإذا حكمتم بين الأقربين » ، بل قال عز من قائل : « وإذا حكمتم بين الناس » ، أي بين كل فريقين من الناس . وهذا التفسير واضح من الآية الكريمة التالية .

« يا أيها الذين آمنوا ، كونوا قوامين لله شهداء بالقسط . ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا ، هو أقرب للتقوى . واتقوا الله ان الله خير بما تعملون » .

(٥ : ٨ سورة المائدة)

في هذا المدرك للعدل الانساني لا أريد أن أناقش الموضوع من ناحيته النظرية ، بل من جانبه

المحلية . من أجل ذلك سأنتقل إلى قاعدة تالية من قواعد الاسلام في بناء الحضارة الانسانية .

٢ - العدل :

العدل الاسلامي هو المنصر الثاني الذي نشأت به الحضارة في بلاد الاسلام وفي البلاد التي حكمها الاسلام . هذا العدل الاسلامي مختلف مما يسمى « عدلا » في كثير من البلاد الاجنبية وفي البلاد الاسلامية نفسها . أن عددا من الشعوب وعددا من الجماعات يعتقدون أن العدل يجب أن يكون القريب والنسيب والحبيب . ان هذا العدل تجارة . أما العدل الاسلامي فانه مبذول لجميع الناس من صديق أو عدو ومن قريب أو غريب ، ذلك لأن العدل يدل على القيمة الدائية في نفس المادل عينه ، تلك القيمة التي تمكنه من أن يسير في الحياة سيرا صحيحا صالحا نافعا . وان الاعتقاد بأنك أنت وحدك على حق وأن كل انسان آخر مخطيء يدل على نقص فيك

ذلك في أيام عمر بن عبد العزيز لأنه كان عادلا في قومه وعادلا في غير قومه . وما يجب علينا نحن اليوم أن نتعلمه في الحياة السياسية سلوك عمر بن عبد العزيز .

كان بنو أمية قد أخذوا الخلافة من بني هاشم في حديث طويل يعرفه المسلمون وغير المسلمين . وكان الخلفاء الأولون من بني أمية ضيقى الأفق في هذا الشأن : كانوا في خطبة صلاة الجمعة يسبون بني هاشم (والسب هنا كلام في الآراء السياسية - مما نعرفه اليوم من الأخذ والرد بين الأحزاب السياسية : بين الرأسمالية والاشتراكية ، بين الديمقراطية والاستبداد وما أشبه ذلك) . فلما جاء عمر بن عبد العزيز نظرس إلى الخلافة بعين العقل والحق ، ولم يرض أن تكون المنابر أماكن للسب والشتم ، ولا رأى من العقل أن يفض الناس عيونهم عن حقائق الحياة ، فأمر بإبطال اللعن - أو السب أو الشتم ، وكلها هنا بمعنى - وبأن يقرأ الخطباء بعد

العلوى ، أن قصة إسرائيل مع العالم العربي خاصة ومع العالم الاسلامي عامة معروفة . ولعل خطأ الأول فيما وصلنا اليه أننا لم نكن عادلين في النظر الى أنفسنا نحن . نحن كننا نسيها « دولة مزعومة » ثم نضفى الحقائق المتعلقة بنا وبها عن أعيننا وأعين الذين ولائنا الله أمرهم وجعلنا مسئولين لديه عنهم . ولم نكتف بكتمان أخبارها ، بل كنا دائما نصغر من شأنها ونهون من أمرها ونفمض بأيدينا عيوننا وعيون قومنا عن شرها . وبين ليلة وضحاها أصبحت هي حيث هي وأصبحت نحن حيث نحن .

بلغت الحضارة الاسلامية ذروة من ذرواتها في أيام الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ، وهو معروف في تاريخنا بأنه « الامام العادل » . وفي أيام عمر بن عبد العزيز كان المسلم يحمل زكاته في كعقه ويطوف بها بلاد الدولة الاسلامية فلا يرى من يستحق أخذها لأن الازدهار الاقتصادي كان عاما . لقد كان

الأعطب - أنك إذا تقدمت يطلب ما في تلك البلاد ، فإن هذا الطلب ينتقل في الدوائر من تلقاء نفسه ، يقطع النظر عن صاحب الطلب ومكاته .

نحن نعلم أيضا أنه قد يحدث في البلاد الغربية الراقية شذوذ عن تلك القاعدة من العدل ، ولكن العدل في ذلك - أي سير المعاملات الحكومية من تلقاء نفسها - ولكن هذا الشاذ هناك هو ، مع الأسف القاعدة عندنا .

٢ - السلم :

والسلم أيضا من أسس الحضارة . ولا شك في أن الأمم كلها منذ أقدم الأزمنة قد تقلبت في الحرب والسلم ، ولكن العالم لم يعرف دينا قبل الاسلام وضع للحرب وللسلم قواعد انسانية . والاسلام وحده هو الذي عرف السلم المسلح : وهو الاستعداد للحرب الذي يرهب الخصوم فلا يثيروا على الناس حروب اعتداء . هذه السياسة التي يقال انها جديدة في عالمنا قد جاءت مع الاسلام .

الخطبة الأولى في صلاة الجمعة قوله تعالى

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » .

(سورة الاسراء : ١٦ : ٩٠) .
وليس مستغربا أن يقال في الحكم السائرة والقواعد الدائرة على الألسن : « العدل أساس الملك » . ان العدل أساس الحياة . ولولا العدل - وضع الأمور مواضعها وأداء الأمانات الى أهلها - أو كما يقال في اللغة السياسية العاصرة : وضع الرجل الكفة في المكان المناسب لفست الحضارة وانقلب البشر كلهم الى هجيرة مطلقة .

هذه القاعدة الحكيمة التي جاء بها الاسلام أقرت الحضارات في العالم كله وحينما يذهب أحدنا الى البلاد التي نسميها متقدمة فاننا نجد هذا العدل الذي تعلموه ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، من الاسلام . ودليل ذلك - في الأعم

لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم • وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم • وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين •

ثم تأتي ثلاث عشرة آية ، إلى آخر سورة الانفال ، فيها قواعد تتعلق بالمسلمين مما يمكن أن يسمى في أيامنا بأمن الجبهة الداخلية • ولكنني اكتفيت هنا بإيراد الآيات الخمس المذكورة فقط • إن هذه الآيات الخمس تضع لنا القواعد التي تمكّننا - إذا نحن فهمناها وعملنا بها - من أن نساوي بها خصومنا في الشرق والغرب وفي قلب العالم الإسلامي أيضا • ومن عجب أن خصومنا اليهود والنصارى والمجوس والملحدين يستمعون إلى القرآن الذي نزل إلينا ونصتوا له

ففي مكان واحد من القرآن الكريم ، في سورة الأنفال (٨ : ٥٦ - ٦٢) بسط لفلسفة الحرب والسلم ولسياستها ثم للعنصر الانساني الذي جاء به الاسلام • ويحسن هنا أن نورد الآيات الخمس ففيها الحلف ونقض الحلف وعلان الحرب وعقد السلم وخيانة العدو ومطاولته في خيائته إلى جانب التلويح بالسلم قبل الدخول فيه • كل هذا من علم السياسة الدولية ومن أسس السياسة التي تناجز الدول القوية بها أرباب الدول المستضعفة • هذه السياسة الحكيمة أخذها الأغيار من الاسلام ثم أهملنا نحن العمل بها • قال الله تعالى :

« الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ، فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ، واما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين ، ولا يحسن الذين كفروا سبقوا ، انهم لا يعجزون ، وأعدوا

من الزمن كانت اللغة العربية والأدب العربى والدولة الاسلامية ، كما كان العلم فى الاسلام والمن والصناعة والتجارة والبناء وكل ما يمت الى الحضارة بسبب قرب أو بعيد فى الذروة . وقد كانت أوروبا فى ذلك الحين ومن قبله ومن بعده فى المصور التى سماها المؤرخون الاوروبيون أنفسهم « المصور المظلمة » . ومن أول دلائل الحياة الثقافية فى أوروبا أن الامبراطور شارلمان الذى توفى عام ٨١٤ للميلاد - سنة ٢٠٠ للهجرة - كان قد أنشأ فى قصره مدرسة لتعليم أبناء الأمراء مبادئ القراءة والكتابة .

وظلت أوروبا على مثل ذلك حتى جاءت الحروب الصليبية ولم يكن لهؤلاء الصليبيين الاوروبيين ، من فرجة وايطاليين وألمان وانكليز - ولا تتكلم على الدنمرك وأسوج ونروج وعلى الصقالبة الروس فى شرقى أوروبا - الا فضيلة القوة البدنية فى القتال ، كما قال أسامة ابن منقذ .

ويصهرونه ويدركون جواهره ثم يطبقونه ، فيما يتعلق بمصالحهم . علينا بينما نحن ، وأقصد كبراءنا من القراء للقرآن فى المجالس العامة ومن غيرهم أيضا قد علموا عوام ناسنا أن يصيحوا عقب كل آية يرفع قارئهم بها صوته بأصوات يصيحون بثلاثها اذا هم استمعوا الى مغنية من المغنيات أو الى مشعبد من المغنين . فعلى الذين حملوا القرآن أن يدركوا أنهم حملوا القرآن نعمة من الله عليهم ورسالة الى الناس لا تجارة بآيات الله . وما أحسن ذلك القارئ الذى يرتل القرآن الكريم على مهل فتصنى الى قراءته الآذان وتخضع لها القلوب وتتفتح بها الأفهام .

٤ - العلم :

والعلم من دعائم الحضارة ثم هو زينة لها أيضا . لما ظهر الاسلام وجاء بالعلم ورفع مكانة العلماء ، كانت أوروبا كلها والعالم المعروف يومذاك فى ظلام دامس من الجهل والتخلف . وبعد قرنين

تبلون ، وأخذنا معها الأسماء التي كانوا هم قد سموها بها .

أما حديث العلم عامة فسنقتصر منه على جمل فيها مقارنة بين المدرك القديم فيها والمدرك الاسلامى الجديد ، وسنقتصر على الاشارة ، لأن كل فرع من فروع العلم يحتاج الى كتاب :

— كان اليونان — وهم أهل العلم في زمانهم — كما كانت الأمم الأخرى — يعتقدون كلمهم أن النجوم تعرف الغيب فليجأ أولئك الناس اليها في استطلاع الغيب ، وكان اليونان خاصة يعتقدون أن للنجوم قوسا وأرواحا وأن النجوم الكبرى ، وهى التى تدل عندهم على الغيب ، مساكن للآلهة .

وجاء الاسلام فحرم التنجيم ، اذ لا يعلم الغيب الا الله . ثم جاء فى القرآن الكريم ان هذه النجوم أجسام مميّرة تدل على السنين والشهور وتنتقل فى أفلاكها بحسبان مقدر ، كل ذلك لتتعلم منها عدد السنين والصاب .

واتهمت عارات الافرنج على العالم الاسلامى — أو الحروب الصليبية ، كما يسميها المؤرخون الغربيون بانتصارين للاسلام : بانتصار عسكري فى ميادين القتال ثم بانتصار ثقافى فى ميدان الحياة الانسانية . لقد رجع هؤلاء الفرنجة من ميادين القتال بثروات ثقافية وحضارية لا تقدر بشئ . أخذوا تلك الاشياء الثقافية والحضارية بأسمائها : فهم كلمهم — فى جميع لغاتهم — يقولون : سكر ، الجبر ، صوفا (من العربية : صفة) ، داماسك (من لفظة : دمشق لنوع من النسيج) ، شراب (ويلفظونه : سيروب ، لأن اللغة اللاتينية التى استعارت الألفاظ من المسلمين لم يكن فيها شبن « ، ليمون (ليمون) ، الغول (لنجم معروف) : كيباء ، (ويقولون الشيمى ، الكمى ، شيمى ، كمسترى) ومئات أخرى من الكلمات التى أخذوها لما أخذوا العلوم والأدوات المسماة بها ، كما أخذنا نحن منهم فى عصرنا الحاضر : تلفون ، راديو ،

ابن موسى الخوارزمي لم يتخوَّب من أن يأخذ عنهم وجها من وجوه العلم ، ما دام الاسلام قد قال بأن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث يجدها . وبفضل الخوارزمي الذي تناول الأرقام من الهند وطورها واستخدمها في الوجوه التي نستخدمها نحن فيها الآن أصبح بمقدورنا أن تدون الأعداد الكبيرة وأن نبني المعادلات الطوال ونحل المسائل المعقدة . ولم ينس العالم فضلنا في ذلك ، كما لم ننس نحن فضل الهند فيه . نحن نسمي هذه الأرقام « الأرقام الهندية » لأننا تناولناها من الهند . والعالم الغربي يسميها الأرقام العربية لأنها تعلم استخدامها منا .

وللإسلام فضل آخر في هذا السيل ، كما كان لذلك القول المأثور « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها التقطها » نفع آخر . لما فتح المسلمون أعينهم على العالم الخارجي وجدوا عند الأمم القديمة كتباً في كثير من أبواب العلم فأحبوا أن ينقلوا هذه الكتب إلى اللغة العربية ، مع أن هذه

فائناً المسلمون المراسد وقاموا بالأرصاد ونظموا الجداول .

وأخذ الغربيون ذلك كله من المسلمين وأضافوه إلى ثقافتهم وخدموا به الحضارة ، كما كان أسلافنا قد خدموا الحضارة .

ولم يكن للآتين رموز يدونون بها الأرقام ، بل كانوا يكتبون الأرقام كتابة أو يرمزون إليها بخطوط أو بأحرف . وكل ذلك لم يكن يساعد على تطور العلوم الرياضية ، فلا يساعد على تدوين الأعداد الكبيرة ولا يمكن من بناء المعادلات .

ولما جاء الإسلام جمع عبقریات الأمم ووضع قاعدة للثقافة والحضارة في القول المأثور . الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها التقطها . ووجد محمد بن موسى الخوارزمي عند الهند رموزاً للأرقام مختلفة من الرموز للأحرف . ولكن الهند لم يكونوا يستخدمون هذه الرموز في تدوين الأعداد ولا في حل المسائل . ومع أن الهند كانوا مجوساً فإن محمد

ضاع بعوامل الزمن المختلفة .
فالتفت الاوروبيون الى الكتب
التي كان العرب قد نقلوها عن
القدماء فنقلوها هم الى لغاتهم
فاستمر موكب الحضارة الانسانية
في سيره من الامم الموعلة في القدم
الى اليونان الى المسلمين فالى
النصارى من اهل أوروبا .

والاسلام عظم المسلمين الحرية
في التفكير . وليس معنى الحرية
هنا الانعتاق من قيود العقل أو من
قيود الخلق . ولكن الحرية في
التفكير هنا استقلال الفكر في
اتجاهه المنطقي وفي القياس على
الاحوال المحيطة به في مكانه
وزمائه والمثل المشهور في ذلك
هو مسألة تأثير النخل .

جاء نفر الى رسول الله وسأله
أيؤبرون نخلهم أو لا يؤبرونه ؟
فقال لهم لا تؤبروه ، اعتمادا على
أن الله هو الذي يرسل الريح
التي تحمل اللقاح من شجرة
النخل الذكر الى شجرة النخل
الأنثى . وترك أولئك نفر في
ذلك العام تأثير نخلهم - أي نقل

الكتب كان قد وضعها وثنيون
ومجوس ونصارى . ولم يكن
المسلمون أيضا يعرفون اللغات
القديمة من يونانية وهندية
وسريانية فيستطيعوا قراءة تلك
الكتب .

فلجأوا الى نفر كانوا يعرفون
هذه اللغات . ولقد اتفق أن يكون
أولئك كلهم من المجوس أو الصابئة
أو النصارى أو اليهود . فاستعان
العرب المسلمون بأولئك نفر
لينقلوا ذخائر العلم القديم الى
لغة القرآن ، فإن العلم نعمة من
الله . فاذا أراد انسان ان يسيء الى
تلك النعمة فانما يسيء بذلك الى
نفسه . ولا يكون لهذه الاساءة
اثر في تلك النعمة . لقد تعلم
المسلمون ذلك من رسول الله .
لقد كان الرسول ، صلى الله عليه
وسلم ، قد أمر نفر من أصحابه أن
يتعلموا العبرية لأن من تعلم لغة
قوم أمن مكرهم .

وبعد أمد طويل استفاقت
أوروبا من سباتها ثم احتاجت
الى العلوم القديمة ، وقد كان
كثير من كتب تلك العلوم قد

.. ذلك لأن اليونان لم يعرفوا ذلك . واذا كان أحد العلماء القدماء قد خطر له ذلك ، فإنه لم يترك أثرا في الثقافة الانسانية وذلك راجع الى أن أرسطو وهو كبير المفكرين في الفلسفة القديمة وأعظم المفكرين أثرا في تاريخ العلم القديم ، قد أنكر أن يكون في النبات ذكورة وأنوثة . فالذين قالوا بلفاح النبات تعلموا من الاسلام ولم يعرفوه من مصدر آخر .

وفي علم الحياة أمر آخر عرفه العالم من الاسلام ، هو تخلق الجنين في الرحم . قال الله تعالى « خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها . وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج ، يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث . ذلكم الله ربكم له الملك ، لا اله الا هو . فاني تصرفون » .

(٣٩ : ٦ ، سورة الزمر) :

هذا أيضا شيء تعلمناه نحن من القرآن الكريم ثم تعلمه منا سائر

اللقاح بأيديهم من الشجرة الذكر الى الشجرة الأنثى — فلم يعط نخلمهم في ذلك العام كما كان يعطى في الاعوام السابقة . كان في ذلك العام عندهم في عذق النخل حبات يانعة وحبات غير يانعة . ورجعوا الى الرسول فيما اتفق لهم . فقال لهم : أتم أعلم بأمور دنياكم .

نحن لا نؤبّر التفاح ولا الليمون ولا التين فالنخل والريح يتوليان ذلك عنا ولكن للنخل حالات خاصة يحسن معها نقل غبار اللقاح من شجرة الى شجرة باليد وكان قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يتناول القاعدة العامة . فلما وجد الرسول أن بعض النخل الذي لم يؤبر لم يؤت أكله تاما قال للناس من أصحاب الاختصاص في الزراعة : « أتم أعلم بأمور دنياكم » .

ان هذا الحادث اليسير كشف لنا عن اتجاه في العلم لم يكن معروفا من قبل . ان معرفة اللقاح بين النبات تعلمه البشر من القرآن من قوله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » (١٥ : ٢٢ ، سورة الحجر)

(في الشهر الرابع) الى تدبير الشمس - وهي رئيسة الكواكب وملكة الفلك وقلب العالم فتفتخ (في الجنين) روح الحياة وتسر في فيه النفس الحيوانية) • ومعنى هذا عندهم أن النطفة حينما تستقر في الرحم تكون ميتة لاحياة فيها ، ولا تبدأ الحياة في الجنين الا في الشهر الرابع • ومن هنا جاءت الخرافة الدائرة بين النساء من أن الجنين « يتحرك » في الشهر الرابع • والحقيقة أن الجنين يتحرك منذ أول الحمل (لأنه كائن حي) ، ولكن حركته تكون آنذاك خفيفة لا تشعر بها المرأة الحامل • وبما ان رسائل اخوان الصفا قد جمعت المعارف العلمية عند اليونان وعند غير اليونان فمعنى ذلك أن الامم القديمة لم تكن تعلم أن الجنين يكون حيا منذ اللحظة الاولى لسقوط النطفة في الرحم • ولو عرفت الامم القديمة ذلك لذكره اخوان الصفا في رسائلهم فهذا اذن شيء آخر تعلمه الاطباء من الاسلام أو اتقل اليهم من أثر الاسلام •

الناس لأنه لم يصرف حتى ذلك الحين الا من القرآن الكريم • أن هذا الجنين الذي يتقلب في الرحم خلقا من بعد خلق انه جنين حي يتطور فيمر في أطوار ثلاثة • تلك حقيقة من حقائق علم الحياة لم يكن من الممكن أن يعرفها البشر - في ذلك الحين - الا من الوحي الالهي الذي جاء بالرسالة الاسلامية • ودليلا على ذلك أن اخوان الصفا وهم جماعة مصرية نشأوا في البصرة في القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) أرادوا أن يقيموا للبشر كلهم دينا على الفكر والاخلاق ، فالفوا رسائل طبع اليوم في أربعة أجزاء كبار جمعوا فيها ما كان معروفا في أيامهم من المعارف العلمية والفلسفية ، وأكثر اهتمامهم ، كما كانوا يقولون ، كان بالعلم اليوناني • ان اخوان الصفا يذكرون في رسائلهم (٢ : ٣٥٧ - ٣٥٩) : وفي الشهر الثالث (لحمل الجنين) يصبح التدبير (التأثير على الجنين) للمريخ • فاذا كمل الشهر الثالث ، اتقل الجنين

الجواب على ذلك يكون من
جانين :

أولا : ان الكتب السماوية
القديمة ، كالتوراة والانجيل ،
مرفوعة ، أى ضائعة من يد الذين
نزلت على أنبيائهم ، فلا نستطيع
الحكم عليها .

ثانيا : لا يتظر أن تكون هذه
الأشياء العلمية موجودة في كتب
الوحي القديمة ، لقوله تعالى
« وما أرسلنا من رسول الا بلسان
قومه لينبئ لهم » .

(١٤ : ٤ سورة ابراهيم)
والبشر من قبل لم يكونوا كلهم
قد بلغوا من العلم مبلغا يمكن
معه أن يخاطبوا بكثير من حقائق
العلم مما لا يمكن أن يبينه الرسول
لعامة قومه في زمانه . ان الحضارة
الإنسانية العامة لم تكن بعد
مهية لتقبل المعارف العميقة في
الحياة .

ان هذا الموضوع : « أثر
الرسالة الإسلامية في الحضارة
الإنسانية » موضوع واسع جدا ،

وعلى كل حال ، يحسن ألا يسبق
الى الذهن أتى هنا أقيم موازنة
بين الاسلام والعلم عند الامم
القديمة . لا قدر الله ذلك . هذه
من تحصيل البشر العاجزين وذلك
وحي من الله المميز القدير .
ولكني قصدت أن القرآن جاء
وكل ما فيه بما فيه من مفردات
العلوم الطبيعية التي يظن معظم
الناس أنها من تساج العقل
- الانساني الحديث - صحيح
صادق . ثم قصدت أيضا أن أقول
ان الناس ، قديما وحديثا من
المسلمين ومن غير المسلمين ، قد
تعلموا من الوحي الالهي الذي
نزل على محمد - صلى الله عليه
وسلم - .

وقد يسأل بعض الناس فيقول :
لذا كان هذا الوحي كله - سواء
أنزل على محمد عليه السلام
أو نزل على الأنبياء الذين كانوا
من قبل - من عند الله ، فلماذا
لا نجد هذه المعارف العلمية في
كتب الوحي الأخرى ؟

ويجب أن تسمى أيضا ان « علم الكلام » - وهو علم كانت غايته الموازنة بين ما جاء به الدين وما كان يشغل العقل الانساني - قد تعرض ، منذ القرن الأول للهجرة ، لمثل تلك البحوث ولم يحصل الناس من ذلك كله على طائل . ان علم الكلام يمثل مرحلة من مراحل تطور العقل الانساني ، كانت منه تصف في اليهودية والنصرانية ثم في المجوسية فيما أحسب ولكن قواعد هذا العلم رست في الاسلام ، وكذلك فروعه تبسطت في الاسلام أيضا ، ومع ذلك فقد قال ابن خلدون في مقدمته ان هذا العلم يبيدنا تاريخا للجدال أكثر مما يفيدها إيقانا بالمقائد ، كما كان المقصود بهذا العلم أولا . وخطر لابن خلدون رأى الناس في صلة المعارف التي وردت في القرآن الكريم بحقائق العلم المقصودة ، فقال لنا في مقدمته قولا أشرت اليه من قبل . هذا القول هو (مقدمة ابن خلدون) ان القرآن جاء لتعليم الفقه والاخلاق ولم

كما قلت في صدر مقالى هذا . من أجل ذلك أشرت الى رؤوس المعارف فيه اشارات سرية ، والا فكل نقطة من نقاطه تحتاج الى مقال مستقل .

غير أنى لا أريد أن أفرغ من مقالى هذا قبل أن أشير أيضا الى نقطة أخرى في هذا الموضوع هي أن أثر الاسلام في التفكير الانساني - والتفكير جانب من جوانب الحضارة - قد تبدى للمفكرين منذ جاء الاسلام . ففى أيام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يأتى الى الرسول - مرة بعد مرة - أناس يسألون أسئلة من هذا الباب ، فكان من هذه الأسئلة ما تحسن الاجابة عليه في ذلك الحين كما كان بعضها الآخر مما يعسن السكوت عنه . ففى مثل ذلك نزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ، لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم . وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم . عفا الله عنها ، والله غفور حلیم . قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين » (٥ : ١٠١ - ١٠٢) .

فما يكون موقفنا من ذلك الربط بين الآية الكريمة والرأى الذى ظهر بعد أمد أنه خطأ ؟

من أجل ذلك أريد أن أمر بعدد من الكتب الحديثة التى عرض أصحابها لمثل هذا الموضوع • وقد اتفق لى أن تناولت هذه الكتب التالية من غير تقصص لما ألف فى هذا الباب :

١ - جواهر العلوم ، تأليف طنطاوى جوهرى ، مصر ١٣١٩ هـ = ١٩٠١ م •

٢ - التاج المصع بجواهر القرآن الكريم ، تأليف طنطاوى جوهرى ، مصر ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م •

٣ - الجواهر فى تفسير القرآن الكريم ، تأليف طنطاوى جوهرى ، مصرى ١٣٤١ هـ = ١٩٢١ م •

٤ - القرآن الكريم والعلوم العصرية ، تأليف طنطاوى جوهرى ، مصر ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٢ م •

٥ - أثر القرآن فى تحرير الفكر البشرى : محاضرة لعبد العزيز جاویش ألقى فى مصر • طبعت

يأت لتعليم الطب والعلوم العادية (القديمة) غير أن كل ما ذكر فى القرآن من المعارف صحيح ، ولكن ليس فى القرآن كل ما جاء به العلم قديما وحديثا • من أجل ذلك لا يجوز لنا أن نحمل آيات القرآن الكريم فوق ما يحتمله معناها الذى قصدت به ، فإن فى ذلك خطرا كبيرا جدا يحسن أن ننظر اليه من جانين •

ربما كان الذى يجعل فكره فى هذا الميدان (ميدان العلم وما جاء منه فى القرآن الكريم) ليس من أهل الاختصاص فى القرآن أو فى العلم أو فيهما كليهما وحينئذ يقع ذلك الشخص فى خبط كثير ثم هنالك أمر أشد من الخطر • ان العلم يتطور ويتبدل • وربما قال العلماء شيئا اليوم ثم قالوا غيره أو ضده غدا • فاذا أتى شخص وربط بين آية من القرآن الكريم ورأى من آراء العلم ثم سوى احدهما بالآخر أو بسى أحدهما على الآخر ، وبعدئذ تبين أن ذلك الرأى فى العلم كان قاسدا أو قاصرا •

لعل أول الذين أغرموا بهذا الموضوع طنطاوى جوهرى . وهو مؤلف مصرى ولد سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) وكانت وفاته فى سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٤٠ م) . تعلم فى الأزهر وتعلم شيئا من اللغة الانكليزية وقرأ أشياء من العلوم الرياضية والطبيعية ثم علم فى المدارس الابتدائية وحاضر فى الجامعة المصرية وكان اهتمامه الأول منصبا على رؤية مفردات المعارف الانسانية فى القرآن الكريم .

ان « التفسير » الذى وضعه طنطاوى جوهرى للقرآن الكريم يقع فى ستة وعشرين جزءا تتألف من نحو ستة آلاف وخمسمائة صفحة من القطع الكبيرة . وأنت تستطيع أن تجد فى هذا التفسير كل شيء من مطالع القصائد الجاهلية (١ : ٢١) وأبعاد الكواكب عن الشمس (١ : ٤١) وفتوح الدولة الرومانية (١ : ٦٥ - ٦٦) ، وان مرات التصديق (فى المنطق) أربعة (١ : ٧٧) ولغز قابس وهو

فى بيروت بعيد ١٣٤٩ هـ = ١٩٢٣ م
٦ - تنبيه العقول الانسانية لما فى آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرائية تأليف محمد بنيت الطيعى (ت ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م) . طبعة جديدة حلبى (بلا تاريخ) .

٧ - القرآن والعلم الحديث ، تأليف عبد الرزاق نوفل ، مصر ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م .

٨ - نهاية الكون بين العلم والقرآن ، تأليف محسن عبد صاحب المظفر ، النجف ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م .

٩ - العلوم الطبيعية فى القرآن ، تأليف يوسف مروة ، بيروت ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م .

١٠ - لغات علمية من القرآن تأليف يعقوب يوسف ، جدة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

١١ - نقد المهم المصرى للقرآن ، تأليف عاطف احمد ، بيروت (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) .

١٢ - القرآن وعلم النفس ، تأليف محمد مصطفى زيدان ، بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

لا شك فى أن طنطاوى جوهري قد أحب أن يحجب الاسلام الى الناس بما كان يقول من أنك تستطيع أن تعرف من القرآن مثلاً مقدار البوتاسيوس فى نبات البرسيم أن الرجل محدود لحسين نيته ، ولكن تفسيره الذى مضى عليه الآن نحو ثمانين سنة أصبح لا قيمة عملية له ، لا فى العلم ولا فى التفسير . أما كتبه الباقية . جواهر القرآن (٢٤٠ صفحة) ، التاج المصع (١٩٠ صفحة) القرآن والعلوم العصرية (٩٠ صفحة) والصفحات من القطع الصغيرة فمنهاجها منهاج تفسيره .

أما عبد العزيز جاويز المتوفى سنة ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م ، فهو أديب وكاتب وخطيب اشتغل فى مصر بالصحافة فكتابه (محاضرات تقع فى نحو متين صفحة من القطع الصغير) أراد به أن يوازن بين موقف الاسلام من العلم وموقف النصرانية خاصة ، وهو يلح على أن المسلمين اهتموا بالفلسفة اليونانية أكثر من اهتمام النصارى

فيلسوف يونانى عاش قبل الميلاد بخمسمائة سنة (١ : ١١٤) وعجائب العلم والسياسة فى القرآن (١ : ١٢١) والمادة وتنوعها وعلم الحيوان والنبات (الحيوان مذكور قبل النبات) وجبرى السفن بالكهرباء (١ : ١٢٤ - ١٣٥) والحب والعشق والشوق (١٣٥) وسباق الخيل - رمى الحمام - التيرو - يانصيب - اللوترية (١٧١ : ١٧٢) وعناصر مختلفة فى القطن والقمح والبرسيم وغيرها (١ : ٢٠١ - ٢٠٥) وأنواع النبات الموجودة فى البلاد المختلفة (١ : ٢٢٨ - ٢٣٠) الخ .

أما الحكايات والخرافات والاسماء الأخرى وأمثالها فكثيرة كثرة لا تحصى . وبإمكانك ان تقول ان « تفسير طنطاوى جوهري » يحتوى على كل شئ ، الا على تفسير القرآن . انه مؤلف من مواد تتداعى على غير نظام وتذكر لمناسبة ولغير مناسبة . والكتاب فى جملة صورة للموضى الكاملة .

واذا نحن نظرنا الى كتاب عبد الرزاق نوفل « القرآن والعلم الحديث » من الجانب العلمى الذى هو حث على التأمل فى آيات القرآن وفى شمولها لأحوال البشر ، فالكتاب يكون جيدا ومفيدا . ويبدو أن عبد الرزاق نوفل قد تناول قصة الفحم الحجرى (ص ٧٥) من الشيخ محمد بخت ثم زاد فى التوسع فيها . وكلام عبد الرزاق نوفل عن البروتين (البروتين) لا يستقيم فى الدين « فى سورة البقرة » (٢ : ٦١) يخاطب الله اليهود فيقول :

« واذا قلم ياموسى ، لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من نخلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها . قال أنستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » ويعلق عبد الرزاق نوفل على ذلك بقوله : ان طعام بنى اسرائيل (مع موسى فى صحراء سيناء أيام نبيهم) كان المن (وهو مادة حلوة تتكاثر على أغصان شجر بعينه) فى العراق وفارس . . .

الأوروبيين بها ، مع أن الأوروبيين أقرب الى اليونان من المسلمين الى اليونان . ومع ان المادة فى مختصرات عبد العزيز جاويز لا تختلف من تسمير طنطاوى جوهرى كثيرا فانها أحسن ايجازا وتنسيقا وأبين مفزى وتنظيما .

وأما كتاب الشيخ محمد بخت المطبوع المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) فقد كان مفتيا فى مصر فى مدى سبع سنوات أولها سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) - والمطبع أكثر وعيا لحقائق العلم من طنطاوى جوهرى وأكثر حذرا فى اقامة الموازنات بين المظاهر الطبيعية والآيات . وفى كتاب المطبع معرفة أكثر مما فى كتب طنطاوى جوهرى ومما فى محاضرات عبد العزيز جاويز . غير أن فى الربط بين الفحم الحجرى والآية الكريمة : « وهو الذى أخرج المرعى فجعله غشاء أحوى » (٨٧ : ٥ سورة الاعلى) تمحلا بعيدا ليس المقصود من الآية الكريمة .

نيوتن واينشتين فى مجال تفسير الآية الكريمة : « تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » (٧٠ : ٤ سورة المعارج) للكلام على نظرية النسبية فشىء خارج عن اختصاصى .. ومع قلة معرفتى بالرياضيات العالية فأنا لا أرى فى هذه الآية اشارة الى أن الزمن المذكور فيها هو الحد الرابع الذى قصده اينشتين . أما النسبية (اللانسية) الحقيقية التى تدل عليها الآية - كما أفهمها أنا ، وأرجو ألا أكون مخطئا - فهى ان الله دائم الوجود وأن وجودنا نحن فى العالم محدود . ففهما تطل عيشتنا على الأرض فأنها بالاضافة الى دوام الله الأبدى شىء ضئيل . لقد كان بالامكان أن يقول الله تعالى : « تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره » مائة ألف سنة أو خمسمائة ألف سنة من غير أن تبدل المقصود الاخلاقى من الآية الكريمة .

ويبدو أن محسن عبد الصاحب المظفر قد درس الرياضيات والفلك

بعد سقوط الندى على تلك الاشجار ومن السلوى (طير السماني) . أما أن فى عدد من البقول (التى تنضج فتصبح حبوبا كالعدس والبقول) من البروتين أكثر مما فى المن فهذا صحيح . وأما أن يكون فى القثاء ، وهو نوع من البطيخ ومن الخيار (المعجم الوسيط ٧٢٢) ، من البروتين أكثر مما فى لحم السماني .. فلا أظنه صحيحا .

ثم ان اليهود لم يطلبوا من موسى أطعمة أكثر تفضية ، بل قالوا له : « لا نصبر على طعام واحد » . هم كانوا قد ملوا من أكل لحم الطير فأرادوا أن يأكلوا أشياء أخرى . ثم لو أننا قبلنا أن يكون موسى قد قصد أن يقول لقبومه (كما يرى عبد الرزاق نوفل) ان العدس والبصل وأنواع البقل أقل قيمة غذائية من المن ومن السلوى أيضا ، لما كان نبى الله موسى عارفا بطبائع تلك الاطعمة . وأما حشر علم الديناميكا (ص ٩٧) والكلام على

التعثر في أدلته • هو يرى أن القرآن الكريم وأن العلم الحديث يقولان بنهاية هذا العالم (راجع ص ١٧٩ وما بعد) • ولكن مامعنى نهاية العالم عنده ؟

ان الجبال اذا نسفت (ص ١٦٨)
وان نهاية الكون بائشفاق السماء
(ص ١٨٤) • • وغير ذلك لا يدل
الا على تبدل المادة من صورة
الى أخرى • وهذا التبدل ليس
فناء ولا نهاية ، كما يقول محسن
عبد الصاحب نفسه (ص ١٨٦) :
(كون محطم وحل محله كون آخر) • •
وقول القرآن الكريم واضح في
ذلك ، وهو : « يوم تبدل الأرض
غير الأرض والسماوات • • • »
(١٤ : ٤٨ سورة ابراهيم) •

ونحن جميعا نؤمن أن هذا العالم
سيتنى : ستتنى حياة البشر
فيه • ولكن الأدلة التى يقدمها
صاحب كتاب « نهاية الكون »
ليست مقنعة لا من جانبها الدينى
ولا من جانبها العلمى • •

وتعاطف شكوك القارىء حينما
يقرا فى كتاب « نهاية الكون »

دراسة مقصودة ، وهو يخالف
(ص ١٤٢ - ١٤٥) عبد الرزاق
نوفل فى تفسير الآيتين اللتين
تذكران اليوم الالهى مرة بالفسنة
ومرة بخمسين ألف سنة ،
بأن معنى ذلك ان سرعة الارض
فى دورانها كان من قبل أكبر مما
أصبح فيما بعد • ومعنى ذلك بعيد
أيضا •

ان القرآن الكريم قد خاطب
العرب بهاتين الآيتين ، وقال لهم
(فى القرن السابع للميلاد) فى مرة
أن اليوم عنده يساوى خمسين
ألف سنة من أيامهم ثم قال لهم
مرة ثانية أن اليوم عنده يساوى
ألف سنة • ان تفسير محسن
عبد الصاحب المظفر كان معقولا
لو أن احدى الآيتين قد نزلت بعد
الآية الأخرى بليون سنة فقد كان
من الممكن أن يقصر اليوم الارضى
حتى يصبح جزءا من خمسين ألفا
بعد أن كان مرة جزءا من ألف
فقط •

غير أننا اذا تابعنا محسن
عبد الصاحب فى كتابه « نهاية
العالم بين العلم والقرآن » أدركنا

ان محسن عبد الصاحب المظفرى يعتقد أن الليل والنهار يتشكلان من دورة الأرض حول الشمس في أربع وعشرين ساعة . وأظن أن أطفال المدارس يصرفون أن دورة الأرض حول الشمس تتشكل منها الفصول الأربعة وان الليل والنهار يتشكلان من دوران الأرض حول نفسها .

فما قيمة هذا الكتاب كله بعد ذلك ؟

ثم يأتى بحسب تاريخ نشر الكتب المذكورة آتيا كتاب « العلوم الطبيعية في القرآن » ، تأليف يوسف مروة المولود في السابع والعشرين من جمادى الاولى من سنة ١٣٥٣ هـ (١٠/٧/١٩٣٤ م) . علم الكيمياء والفيزياء والرياضيات ، يحمل شهادة الهندسة الكيماوية (١٩٦١ م) ، ولكن يبدو أن معظم نشاطه منصب على الفيزياء (راجع ص ٨ - ١١) . وفي كتاب يوسف مروة فصول هي :

(١) رسالة المؤلف الى فقهاء المسلمين حول رصد الأهلة يقترح

هذا المقطع (ص ١٤١) : « يقول علماء الفلك : ان الأرض منذ (يقصد : بعد) افعالها عن الشمس كانت تدور حول نفسها بسرعة أكبر مما هي عليه في الوقت الحاضر ، وان دورتها حول الشمس كانت تنمى بفترة زمنية مقدارها أربع ساعات (كذا) .

وقد بدأ من ذلك الحين النقص التدريجى في سرعة دوران الأرض

حول الشمس . فلم يعد الليل والنهار ليستغرق (ليستغرقا) أربع ساعات في كل دورة ، بل تغيرت الحال تبعاً لذلك . ان طولهما (يعنى : طول الليل والنهار) يقاس ومقدار الفترة الزمنية التى تستغرقها الأرض في دورانها حول الشمس ، فقد أصبح طولهما (طول الليل والنهار) من بعد ذلك خمس ساعات ثم ست ساعات ، وهكذا حتى بلغت الأرض وضعها الحالى . فهى الآن تتم دورتها حول الشمس بفترة أربع وعشرين ساعة وهى مقدار طول الليل والنهار الحاليين » .

٢ - مقدمة للسيد موسى
الصدر : لقاء العلم والدين وتوزيع
الصلاحيات (ص ١٣) •

٣ - تقديم للمرحوم الشيخ
مصطفى الغلايينى (ت ١٣٦٤ هـ -
١٩٤٤ م) •

في العلم والدين (نشرت في
سنة ١٣٤٩ هـ = ١٩٣١ م) •
(ص ٤١) •

٤ - مدخل للدكتور صادق
جلال العظم (ص ٦١)

٥ - مقدمة المؤلف (ص ٦٧)

٦ - الفصل الأول : القرآن
دين وعلم (ص ٧١) وزع المؤلف
فيه جانباً من آيات القرآن بحسب
الموضوع العلمى الذى تمالجه •

٧ - الفصل ٢ : العلوم الحديثة
في القرآن (ص ٨٣) : مجموع
من الآيات ورد فيها ألفاظ تتعلق
بالعلوم المختلفة أو توهم أنها
تتعلق بالعلوم •

٨ - الفصل ٣ : الذرة في
القرآن (ص ١٦١) : يريد يوسف
مروة أن يرجع بالنظرية الذرية
الى ألف ومائتى عام قبل الميلاد •

فيها على دار الافتاء في بيروت أن
تفتري تلسكوبا فلكيا من الحجم
المتوسط ينصب في دار الافتاء
ليستخدمه رجال الدين في
المناسبات التى يكثر فيها الخلافات
حول رؤية الهلال • حتى اذا كانت
السماء ملبدة بالغيوم في فصل
الشتاء •• ولا يمكن للعين المجردة
أن ترصد الهلال « فما المانع اذن
من استخدام المقرّب كوسيلة
لرصد والرؤيا ؟ »

وليوسف مروة نظرية صحيحة
حينما يذكر أن ولادة الهلال تحدث
في البلاد المختلفة في أوقات مختلفة •
باختلاف وجود تلك البلاد على
خطوط الطول وخطوط العرض •
ولكنه يخطئ حينما يقول على
لسان رجال الدين : اذا ولد الهلال
في بلد فهو مولود في جميع
البلدان • « الذى يقوله الفقهاء
العلماء اذا رأى أهل بلد الهلال
فيحسن بجميع المسلمين أن يصوموا
برؤية ذلك البلد » (من الناحية
العملية) وبين القولين فرق كبير •

المعنى اليسوفاني ، لا بالمعنى القرآني) • فيحسن المؤلف أن يرجع الى علماء الكلام في ذلك والى رسائل اخوان الصفا •

٩ - الفصل ٤ : غزو الفضاء
(لو قال المؤلف : « وصف الفضاء »
• • • • • لكان قوله صوابا) •

١٠ - الفصل ٥ : النسبية
في القرآن (مر قولي في ذلك :
يحسن أن يقال النسبة) • وكذلك
لا يحسن أن تقول السنة الالهية
والثانية الالهية ، بل السنة عند الله
والثانية عند الله • ولو أنا قبلنا
قوله : يوم الهى ويوم أرضى
(بشرى) لكان الموضوع هو
النسبة (اضافة عدد الى عدد
آخر) لا النسبية (اختلاف حجم
الجسم الواحد باختلاف أبعاده
المتوجة من سيره فى زمن) •

✻ ✻ ✻ اذا أخطأت أنا في هذا
التعريف أو كان تعريفي ناقصا
أو قاصرا فأنا معذور لأنى لست
من أهل الاختصاص فى الرياضيات
والفيزياء النظرية • أماخطأ أهل
الاختصاص فى هذين الفرعين من
العلم فليس لهم فيه عذر •

وأنا أعتقد أن فى استعراضه لتطور
نظرية « المادة الأولى » أو الجوهر
الفرد أو الذرة (أو الجزء الذى
لا يتجزأ » أشياء من الخطأ
التاريخى واللغوى • ومن أخطائه
فهم كلمة ذرة فى القرآن الكريم
بالمعنى الحديث « آتوم » • والذرة
هى النملة الصغيرة الحمراء
(راجع قواميس اللغة) - وقال
الشاعر يصف امرأة يرقه جلدها
ولبته :

لو يذب الحولى من ولد الذر
عليها لأندبتها الكلام
(الحولى : الذى لم يمر عليه
سنة بعد • أندبه : ترك فيه ندوبا
أى جروحا • الكلم بفتح الكاف :
الجرح) •

ومن الخطأ عنده جملة كلمة
آتومى فينيقية أخذها اليونان عن
الفينيقين وهذه اللفظة آ - توم
يونانية (معناها : لا يقسم) ،
ومن هنا جاء وصف الجوهر الفرد
بأنه « الجزء الذى لا يتجزأ » •
ثم يستغرب المؤلف اهمال المسلمين
للكلام على تجزئة الذرة (بالمعنى

المختبر وقد أثار المؤلف مثل هذا الموضوع (ص ٢٢٦) « أخشى أن يتحول بحثنا من ميدان الفيزياء الى ميدان اللاهوت وتتغلى عن صفتنا كفيزيائيين لنصبح لاهوتين » .

١٣ - ملحق : آراء حول الدين والمسلم (ص ٢٤١) من كوثوشيسوس (ت ٤٧٩ ق ح ٢٠٠) الى المؤلف نفسه .

١٤ - ملحق ٢ : آراء حول الاسلام .

ان هذا الكتاب كتبه رجل يشتغل بالعلم ، ومع ذلك فلم يوف الموضوع حقه اذ شغل نفسه بأشياء جانبية لا قيمة لها . اذا كان عنوان الكتاب « العلوم الطبيعية في القرآن الكريم » ، فما صلة ذلك بقول ميخائيل نعيمة (ص ٢٥٨) : « كأن يكون ذلك المعبود عاديا ضيقا وضيقا محدودا عند الوضعاء المحدودين من البشر ومسمما في العبقرية والرحابة والتعالى واللامحدودية عند الذين تخذوا بقواهم الانسانية

١١ - الفصل السادس : النظام الرياضى الكونى (وفيه أشياء من علم العدد أو خواص الاعداد مما نعرفه في المتواليات الحسابية والهندسية وفي المربعات السحرية . ونجد هذا الفن مبسوطا في كتاب المدخل الى علم العدد من وضع نيقوماخوس الجرشى ، وقد نقله الى العربية ثابت بن قرة في العصر العباسى . وكذلك نجد هذين الموضوعين مبسوطين في رسائل اخوان الصفا ، ولكنى لا أرى لذلك صلة بما يرد في القرآن الكريم . وفي هذا الفصل أيضا قضايا من المحالات المعروفة في الجدل الكلامى نحو : هل يستطيع الله أن يخلق عالما آخر أو أن يخلق كائنا أقوى منه أو أن يبنى نفسه .

١٢ - الفصل ٧ : الله والعلم الحديث (ص ٢٢١) : متفرقات شخصية في الله وقدرته وعظمته مأخوذة من الملاحظات الشخصية ومضافة الى العلم الحديث وليس عندى رد على هذا الفصل الا ما قاله استاذ المؤلف للمؤلف وهما في

قريبة واضحة ولم يدخل في التفاصيل المتشابهة فيقنع في ورطات يصعب الخروج منها .

ويأتي في هذا النسق كتاب محمد مصطفى زيدان « القرآن وعلم النفس » وهو كتاب صغير موجز لا تزيد كلماته في المد على ثلاثة آلاف كلمة . والمؤلف لم يشغل باله ولا شغل قراءه بأقوال الرجال وتفتت النظريات . ثم ان موضوع علم النفس (وهو موضوع تربوي أخلاقي) أكثر اتصالا بالدين من العلوم الطبيعية . والكتاب جيد ومفيد .

وكنت أود أن أتكلم على كتاب « نقد الفهم العصري للقرآن » من تأليف عاطف أحمد . ثم وجدت أن هذا الكتاب رد على مصطفى محمود في كتابه : « القرآن : محاولة لفهم عصري » . ثم ان كتاب مصطفى محمود ليس بين يدي الآن . وفوق ذلك فالذي يبدو بوضوح أن كثيرا من موضوعات الكتابين موضوعات نظرية قابلة للجدل وكثير منها

الخلاقة من برودة الشائع الظاهر في الكون الى دفء أسرار المكنونة » .

يبدو لي أن المؤلف قد تخيل الموضوع أهون مما يجب . فلما بدأ التأليف ووجد وعورة الملك ملا كتابه بفصول لا صلة لها بالموضوع . ونسى المؤلف العالم ان العلم يقوم على البراهين وأن أقوال الناس : قال فلان وقال فلان لا يقوم لها في العلم وزن ، الا اذا كانت هي نفسها قائمة على برهان وكان برهانها مصاحبا لها والا فما قيمة هذا القول للمفكر الفرنسي باسكال (ص ٢٤٢) : « ما هو هذا الانسان في هذه الطبيعة : انه عدم تجاه اللانهاية » . ما الحقيقة التي يقرها هذا القول وما المشكلة التي يمكن أن يحلها ؟

وهناك « لفتات علمية من القرآن من تأليف يعقوب يوسف ، وهو كتاب موجز عام تغني قراءته عن كتاب يوسف مروة لأن مؤلف اللفتات العلمية أشار الى حقائق العلم في الآيات الكريمة اشارات

يجوز أن تتخذ من الآيات
الكريمة سندا للدعوة الى العلم ،
ويجب أن تعمل ذلك كما تتخذ
القرآن الكريم حجة في أمور العقيدة
والعبادة وفي المعاملات أيضا .

ان القرآن الكريم لما أتى بوجوه
العلم أتى بها على سبيل العظة
ولتبيان عظمة الله وقدرته وللمحث
على أن يقوم الانسان بما ينفعه
في حياته الدنيا وفي حياته الأخرى
.. ولم تكن وجوه العلم المختلفة
مقصودة لذاتها ، الا اذا كانت
هي موضوع الكلام .

وقد تعرض لهذا الموضوع ...
المسلم في القرآن الكريم تفسر
كثيرون : منهم من شطت به
حماسه فتأول آيات القرآن على
خلاف ما فهمه المفسرون كلهم ،
لأنه حملتهم حماسهم للفن الذي
يمرفونه على أن يجدوا في القرآن
الكريم كل ما تعلموه في فنهم
المختص .

وهناك تفر كتبوا في هذا
الموضوع من مطالعاتهم الشخصية .
هم ليسوا من رجال العلم ولكنهم

متعلق بالألفاظ أخذا وردا . والذى
يبدو لى من خلال الكتاب الثانى
أن مصطفى محمود كان يحمل
النص القرآنى فوق ما يجب أن
يحتل ، وان عاطف أحمد يريد أن
يقيد نفسه بظاهرة اللفظ أيضا .

خلاصة هذا الموضوع

في القرآن الكريم أشياء كثيرة
من العلم : من العلم الطبيعى ،
ومن العلم الاجتماعى ، ومن علم
النفس ، ومن السياسة ، ومن
الاقتصاد ، ومن الاخلاق وسوى
ذلك .

وكل هذا الذى ذكر في القرآن
الكريم من مفردات هذه العلوم
ومن أسسها العامة صحيح ثابت .
غير أنه لا يجوز لنا أن نحاول
البحث عن جميع وجوه العلم في
القرآن الكريم وان نحمل الآيات
الكريمة فوق ما يجوز أن تحتل .

ولا يجوز أن يجعل القرآن
الكريم موضوعا للمقارنة بشئ
آخر . ثم ان القرآن الكريم كتاب
عماوى غايته الاولى تعليم الدين
والتربية على الخلق الكريم .

الاسلام كانت تحول بين أتباعها والدين لأنها كانت تدرك أن العلم يبطل الاعتقاد بالامرار التي كانت تلقىها على أتباعها الغازا أو كالأغاز •• ان العلم في الديانات التي جاءت قبل الاسلام كانت احتكارا للكهنة لا يصل اليها عوام الناس • أما الاسلام فليس كذلك • في الحديث الشريف : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » • وفي القرآن الكريم •

« أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب » • (٣٩ : ٩ سورة الزمر)

دكتور عمر فروخ

قرأوا أشياء من العلم المبسط فخيّل اليهم أن كل آية وردت فيها كلمة « شمس » أو « قمر » هي من علم الفلك • ومنهم من لا يحفظ شيئا من القرآن الكريم ، كالذى رأى كلمة « ذرة » في القرآن الكريم - ومعناها « النملة الصغيرة الحمراء » فظن أنها الذرة التي ذكرها ديموقريطوس اليوناني من أحياء القرن الخامس قبل الميلاد أو الذرة التي عالجها روذ رفوردي عام ١٩١٩ م •

غير أن هذا كله لا يمنع من القول ان القرآن الكريم هو الكتاب السامى الوحيد الذى جاء بالعلم على النحو الذى يجب أن يكون عليه العلم ، وأنه دعا الى العلم بينما جميع الأديان غير



دراسات قرآنية

أيها المسلمون

ماذا أعددت لوداع القرن الرابع عشر الهجري ؟

فضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » (١) •

وقال سبحانه : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (٢) •

البيان

الظالمين فيه ، ولكنكم شددتم
أزر الأعداء ، وتخلّيتم عن أخوانكم
الأولياء فاستذكركم الأولون
واستغلّوكم ، وتمكنوا بوسائلهم
الشیطانية ، ووعودهم الكاذبة ،
من احتكار أراذلكم ، والامتلاء
على أرضكم ودياركم ، وكم لهم
في القدر بكم من دروس وعبر ،
ولكنكم لم تتنبهوا بها لأنكم لم
تموها ، ولم تتدبروا في التصرف
الهاثل بين أقوالهم وأعمالهم ،
وصددتم معاذيرهم في خلفهم
لوعودهم ، ولا زلتم تتعلقون

أيها الاخوة المؤمنون في أرض
الله ، هذا هو العام المتم للقرن
الرابع عشر الهجري قد أطل علينا
بهلاله ، فماذا أعددت لوداع هذا
القرن ؟ إن الله أمركم بالتمسك
بكتابه وعدم الفرقة فيما بينكم
فقال : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ
جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » ولكنكم تركتم
كتابه وخرقتم ، وإن رسوله صلى
الله عليه وسلم يوصيكم بأن يشد
بعضكم أزر بعض ، ليقوى كل
منكم بأخيه ، ولا يضعف أمام

ولا المصالح المشتركة تربط بينكم،
ولا الغطر المنتظر يخيفكم ، أفلا
تعلمون أن الذئب يأكل الأغنام
المتباعدة » إنما يأكل الذئب من
الغنم القاصية » .

وأتم أيها الاخوة العرب .

خبروني : أية دولة فيكم لها
قوة دائية ، و منعة عديدة وحرية ،
وقدرة علمية على الصيد العالمي،
كل واحدة منكم دولة صغيرة أو
دويلة ، وقد باع بضعكم عزة دينه
وكرامة أمته لدولة معادية لكل
الاديان ، وليس لها دين الا المال
والمصنع والترساة الحربية ، وابتزاز
الضعفاء والقضاء على كيانهم
الاجتماعي ومثلهم العليا ، وليس
لديها قيم تعز بها سوى زرع
الأحقاد بين الاخوة المتدينين ،
واغراء أصحاب النزوات وطلاب
الزعامات ، بما يحقق رغباتهم
وآمالهم ، حتى اذا حققت لهم
طموحاتهم الجوفاء ، كافأوهم
بمراكز استراتيجية في بلادهم ،
لتحكم في أرضهم ، ولتهدد منها

بأذيالهم ، وتمشون في ركابهم ،
وهم معجبون بسلامة نيتكم ،
وأنكم من الغلة الى درجة انكم
لا تفرقون بين الصديق والعدو ،
و لا بين من يقصد بمودته منفعة
نفسه ، أو منفعة من يبذل له الود
الزائف ، وترونهم يقدمون لكم
الأسلحة الضخيمة لكي يفروكم
بالتبعية لهم ، ويجعلوكم دائمي
الاحتياج اليهم ، لكي تستكملوا
النقص في أسلحتهم ، فتمت
تقيقون أيها الاخوة المسلمون من
سكرة الاعتزاز بأعداء الأديان ،
والاغترار بما يقولون من الهذيان ،
وأتم سلالة الفر الميامين ، وأبناء
الليوث المغاور ، أفلم تقرأوا قول
الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذو عدوى وعدوكم أولياء
تلقون اليهم بالمودة وقد كبروا بما
جاءكم من الحق » (١) .

انكم قوة لا يستهان بها لو
اجتمعتم ، فأنتم تربون على ثمانمائة
مليون ، ولكنكم متنافرون
متقاطعون ، فلا الدين يجمعكم ،

الكبار والصغار يزنون له مزاعمه،
ويتفخون قربته ، الجوفاء ،
ليملؤوها من الهواء ، فهذا الأخرق
الملتات ان لم تدركه رحمة من الله
فسيأتي على أرزاق أمته ، ويعملها
من نصيب شياطين المرتزقة .

وما أحوج شعب ليبيا العزيز
الى أمواله ، ليصرفها فى استنباط
المياه من أجواف أرضه ، واستزراع
وهاده ونجاده ، ليستغنوا عن
استيراد كل أقاتهم من خارج
بلادهم ، لهذا نرجو أن يهدى الله
هذا الشاب ويرده عن غروره ،
ويبصره بمصالح دينه وأمه ،
ويوفقه لكى يحسن الجوار مع
جيرانه ، وي طرح فكرة الزعامة
التي ستورده موارد الهلاك أو
الخيال ، ومن طلب الزعامة وهو
غير أهل لها فلن يوفقه الله ، فان
انتزعها كانت وبالاً عليه ، ومن
أوتىها دون طلب لها أو كان يطلبها
وهو أهل لها أعانه الله عليها .

(درس من اليمن الجنوبية)

وهذه اليمن الجنوبية ما حاجتها
الى الارتقاء فى أحضان الشيوعية ؟

أولئك المؤمنين الذين لا يزالون
حذرين من الوقوع فى شباكها .

(درس من ليبيا)

انك لا تجد دولة أو دويلة من
تلك التي استجابت لداعيتها ، الا
مصدر شقاء لنفسها ، ومتاعب
لاخوتها فهي نقطة تهديد لهم ،
ومركز وثوب عليهم ، فأية فائدة
حققتها ليبيا من ليادها بالشيوعية ،
لا شيء الا أن تزعمها مغرور عديم
الكفاية العقلية والخلقية ، ففتح
خزائن بلاده للابتزاز الشيوعى ،
والصرف على إثارة الفتن بين جيرانه
الأقارب والأبعد ، والبحث عن
مشيرى الفتن فى المشارق والمغرب
ليصرف عليهم ، ويرضى غروره
بأنه قادر على إثارة الفتن فى
مختلف الأمم وشتى البقاع ، وأنه
يمز من يشاء ويذل من يشاء ، ومن
عجب أن فشله المتتابع فى كل حرب
شنها على جيرانه ، وهزيمته فى كل
مكان ، لم تعرفه حجب ، ولم
تصرفه عن غروره ، فاته لا يزال
على زعم القدرة على ما يشاء ولو
على حرب امريكا ، لأن المرتزقة

علوتم فأنتم هالكون ، ومهما وطأنتم
لأنفسكم من مركز وجاه فأنتم
زائلون ، وعلى ربكم قمرضون ،
وعلى أعمالكم وجسرائكم
محاسبون ، الى جانب ما تركونه
من سوء السيرة ولعنة التاريخ ،
وستدول دولتكم ، ويأتى بعدكم
من هو خير منكم : « وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم • ثم
لا يكونوا أمثالكم » •

ومع هذا لا يزال الوقت متصفا
لتدارك ما فات ، والعودة من
مناهة الفرقة ، الى رحاب التجمع
والحب والوحدة ، فدعوا أعداء
الله ، وعودوا قادمين الى الله ،
واستغفروه يغفر لكم « قل
ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله
يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم ، وأيىوا الى ربكم وأسلموا
له من قبل أن يأتيكم المصائب ثم
لا تصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل
اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم
العذاب بفتة وأنتم لا تشمرون »
(الزمر ٥٣ - ٥٥) •

وكيف تمكن لنولة تعاوى الأديان
من بلادها ؟ وهى مركز استراتيجى
بين العالم الاسلامى ، وما هى
المصلحة التى تعود عليها من جعلها
ترسانة لأسلحة الملحدين ، ومركزا
لبث الفتنة بين المؤمنين ، ومقربا
لمراقبة الدول المعربية والتجسس
عليها ، وموقعا لبث الرعب واخافة
الدول المجاورة •

أين الاسلام فى بلادكم ياحكام
اليمن ؟ لقد قتلتم العلماء ، وحاربتم
المؤمنين واثمتم بأوامر الملحدين ،
وتأمرتم على اليمن الشمالية ،
وقتلتم حكامها غيلة ، أمن الاسلام
ما تصنعون ؟ أمن المروبة هذه
الاشواك التى تزرعون ؟ أمن
الأخلاق ما تبتسون للمروبة
والمسلمين ؟ أمن الوفاء أن تكونوا
عونا لأعداء الأديان على الاخوان
والجيران ؟ ماذا كسبتم من معاملة
الملحدين على حساب المؤمنين ؟
أيرضىكم أن تكونوا أداة الفاسيين ،
ولعنة على العرب أجمعين •

الى أى متهى ستتجهون ؟ وإلى
أية غاية ستصيرون ؟ انكم مهما

(دول الرضى)

وأتم يا حكام دول الرضى ،
 ماذا فعلتم برفضكم ، وعدائكم
 لآخوانكم وأصفيائكم ، هل حللتم
 برفضكم قضية فلسطين ، وإذا
 كان رفضكم لم يسفر عن نتيجة ،
 فلماذا رفضتم التعاون مع مصر
 فى طلب السلام وانهاء الحرب مع
 إسرائيل ، هل لكم خطة غير السلام
 توصلكم الى لقاء إسرائيل فى
 البحار ، أو قذفها بالآلات النارية
 والدمار ، فإن كان لديكم طريق
 سواء فلماذا لم تسلكوه ؟

لقد أجمعتم فى مؤتمر بغداد
 على مقاطعة مصر لأنها طلبت السلام ،
 ولكنكم لم تتبعوا تلك المقاطعة
 بيان عما ستصنعون بدون مصر ،
 ولم يكن لمقاطعتكم أياها أثر فى
 حل قضية فلسطين ، ولم يبد منكم
 ما يعكر صفو إسرائيل ، وإذا لم
 يكن لمقاطعتكم مصر أثر فى ازعاج
 إسرائيل ، ولم تكن لكم خطة غير
 مسالمتها ففيم كانت مقاطعتكم
 لأختكم الكبرى ، التى رفعت
 باتتصارها فى حرب رمضان شأنكم ،
 وأعلنت فى العالمين قدركم ، ونشرت

فنون العلم فى ربوعكم ، وودت
 الصليبيين بالأمس البعيد عن
 بلادكم ، وهى اليوم ، وحدها جاهدة
 فى اجلاء اليهود عن أراضيكم ،
 فماذا فعلتم بدونها ، وماذا تريدون
 أن تعملوا فى المستقبل بغيرها .

ان مصر تبارك خطواتكم ، فان
 كانت لكم خطة جادة تعينها فى
 مسيرتها فاسلكوها ، فلن ترفض
 أى جهد من اخوتها يحقق لها
 ولهم الآمال .

لقد حاربت مصر فتركتموها
 فى الميدان وحدها ، وخسرت
 مليارات الجنيهات فلم تموضوها ،
 وهلك فى سبيلكم الغر الميامين
 من أبنائها فلم ترحموها ، بل تفرقتم
 عنها وتركتموها وتكسرتم لها ،
 وقابلتم تضحياتها بالدعوى
 الجوفاء ، والجمجمة الرعناء ، فى
 أجواز الفضاء .

لماذا تأبون الصلح والسلام أياها
 الاخوة المسلمون ، ألم يصلح
 النبى صلى الله عليه وسلم قرشاً
 صلح الحديبية ؟ - مع ما كان
 يبدو من ظاهره أنه ليس فى مصلحة

الذين يفرقون بين الأشقاء شفاء لما
فى صدورهم من غل تعرفون أسبابه ،
فلماذا يقف المؤمنون بعضهم من
بعض موقف العداة بلا جريرة ؟

لقد جعلتم موسكو كعبة لكم ،
فلا تيرمون أمرا الا بمشورتها ،
ولا تنقضون أمرا الا بإرادتها ،
فاتم أبواقها ودعاتها ومنفذوا
أوامرها ، قلعون من تريد أن
قلعونهم ، وتمسحون من تريد أن
تمسحهم ، يا للعار ، يا خير أمة
أخرجت للناس ، أين أتم من قوله
صلى الله عليه وسلم : « مثل
المؤمنين فى قوادهم وتراحيمهم
كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو
تداعى له سائر الجسد بالسهر
والحمى » .

خبرونى أيها الاخوة ، هل أتم
فى جبهة الرفض خلطاء أصفياء
بعضكم لبعض صديق . هل أتم
متعاونون على الخير ، كلا فلا شئ
من ذلك نراه ، فكل دولة منكم
تمضغ الضريع والزقوم من شريكها
فى الرفض ، فهل يوجد أشد من
ذلك غباء وصغارا ؟

المسلمين - وقد جعله الله بعد ذلك
معنا لا مغرما ، لو كانت اسرائيل
وحدها لاتنهنا منها فى حروب
رمضان ، ولكنها مؤيدة من أمريكا
حريرا وماليا وعاطفيا ، ولهذا
دخلت الحروب ضدنا بعد أن
شاهدت هزيمتها ، وكما أنها مؤيدة
من أمريكا فهى مؤيدة من الدول
التي تسير أمريكا فى سياستها أو
تخشى معاداتها ، ومن الصنف
الثانى روسيا الحمراء ، فانها
تصوت لصالحها ، ولكنها ترفع
الصغار الى اللب بالنار ، والفناء
فى مهالك الأغبياء ، ولا عليها أن
تفعل ذلك مادامت تبهم السلاح
الثاقف ، وتأخذ منهم أموالهم ،
وتخرج لسانها فى ظهورهم مغرية
بهم ، فالصلح مع اسرائيل أجندى
على العرب من الاستمرار فى
معاداتهم ، وكذلك فعلت مصر
اقتداء برسول الله صلى الله عليه
وسلم فى صلح الحديبية ، وهو
أولى من الموقف الهزيل الذى
وقعتوه بالأس وتفقوه اليوم من
اسرائيل ، انكم تعادون مصر لغير
جريرة ، امثالاً لأمر السوفيت

وعيوناً حذرة ، فيضرب بعضكم بعضاً لحساب الشيطان ، وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية . فارجعوا عن فرقكم ، واجمعوا شملكم ، ولوا شعنكم ، ووحّدوا كلمتكم ، وأصلحوا بين أخويكم ، ولينشط علماءكم في أداء رسالة الاسلام وتوحيد كلمة المسلمين ، والتعذير من الشيوعيين .

أيها الاخوة العرب : أتم كثير اذا اجتمعتم ، ولكنكم لا شيء اذا تفرقتم ، انكم حينئذ تكونون حبيلاً كحبل السيل ، وغثاء كغثاء العيضان .

ان الفرقة التي بينكم ليست على دماء ، ولكنها فتنة من الاعداء ، وكل أمة منكم لا تضيق مواردها وحدها ، ولا تستطيع أن ترد بها خصومها ، فلا بد من التجمع والترابط ، فهذه الولايات المتحدة مع عظم قوتها ومواردها ، ليست واقعة وحدها ، ولا تحب أن تكون كذلك ، لما في العزلة من المخاطر ، فلذلك جمعت حولها الأصداق ، وأنشأت معهم حلف الاطالنتي ، وكذلك فعلت روسيا ، حيث أنشأت في مقابلة حلف وارمو .

لماذا تدورون في فلك الاعداء ، ولا تطوفون حول القرآن والسنة ، لقد حرضتم دولا أخرى على معاداة مصر بأمر موسكو ، ومن عجب أنهم قوم جبلوا على الخير ، وكان يتوقع منهم أن يكونوا دعاة اتحاد ، ولكنهم استجابوا لتحريضكم ، حذروا من تهديدكم ، فيا للعار في خير أمة أخرجت للناس .

الى صعوة اسلامية في ختام هذا القرن

أيها المسلمون في أرض الله ، ان الاتحاد يوحف عليكم في كل مكان ، وهؤلاء اخوان لكم في الافغان ، ومهاجم الشيوعيون بحكام افغانين ، بدّل السوفييت من ايمانهم كفرا ، وسلطوهم على مواطنيهم المؤمنين هناك ، فقاموا قومة رجل واحد ، يداغمون عن دينهم ، مع قلة ذات يدهم ، وضعف مواردهم ، وانما لنسأل الله ناصر المؤمنين أن ينصرهم ، ويرد عنهم كيد الملحدين .

والامثلة كثيرة على تشبّاط الشيوعيين في بلاد الاسلام عدوهم الأكبر ، فان لم تكونوا يدا واحدة ،

رهبان بالليل ، فرسان بالنهار ،
ان طمع فيهم طامع هبوا سراعا
لتأديبه وردعه ، وان سالمهم سالم
كانوا الى السلام أسرع منه ،
وبهذه النخوة والشهامة ، وقوة
الايمان والحب في الله ، والاجتماع
على كلمة الله عز المسلمون وعلا
شأنهم ، وخافهم الأعداء في ديارهم ،
وكافت لا ترد لهم راية ، ولا
يستطيع أن يطمع فيهم طامع ،
وبهذه الفضائل اتسع نطاق الاسلام ،
واتشر نوره في العالمين .

أيها الاخوة العرب اذا لم يتيسر
اجتماعكم في حكومة واحدة كما
كان ذلك في صدر الاسلام ، فلا
أقل من أن تجتمعوا على التعاون
والحب وتبادل المصالح ، وترك
التناؤد والحقد والبغض .

اننى ادعى بكم بدعاية الله :
« ولا تكونوا كالذين فسدوا الله
فاساهم أنفسهم » ومن تنسكرو
لكتاب الله وسنة رسوله ، ضربهم
الله بالنذل وسلط عليهم عدوهم ،
وصدق الله اذ يقول : « وان تولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا
أمثالكم » .

مصطفى محمد الحديدي الطير

واذا كان الأقوياء يهتمون
بالتحالف والتجمع ، فما بالكم
وأتم الضعفاء لا يتجمعون ، انكم
اذا اجتمعتم على حب وتعاون
وايمان وتقوى ، فلن يطلبكم
غالب ، وليكن اجتماعكم على سلام
لجميع أهل الأرض ، فالسلامة في
الحياة وحسن التعامل مع جميع
الدول .

وليكن اجتماعكم على كلمة الله
وتقواه خير توديع للقرن الرابع
عشر الهجري في عامه الأخير ،
لكي تستقبلوا القرن الخامس
عشر وأتم كالبنيان المرصوص
يشد بعضه بعضا ، أبداكم الله بروح
من عنده ، وجمع فرقكم وكبت
أعداءكم ، ورفع في العالمين
لواءكم واعلموا أن نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم ، انتقل الى
الرفيق الأعلى وقد أرسى قواعد
التوحيد في الجزيرة العربية ، حيث
جمع الناس فيها على دين واحد ،
وأمة واحدة ، يسود العدل بين
قويهم وضعيفهم ، ويتجلى المجتمع
الفاضل بينهم ، أمرهم جميعا ،
وكلمتهم واحدة ، لا طمع يفرق
بينهم ، ولا حقد يشق صفوفهم ،

المسلمون والقرن الخامس عشر الهجري

دكتور ربه وف شلبي

على الساحل الغربي للبحر الاحمر :
السعودية ، ودول الامارات ،
قطر ، الكويت ، وسوريا ،
لبنان ، ومصر ، والسودان ،
والاردن ، وفلسطين ، واليمن ،

وهي بلاد قد تحررت من
مساويء الاستعمار العسكرى ،
وظهرت فيها معادن وامكانيات
بنوعية وأخرى من المواد الخام
الصناعية تستطيع أن تلعب بها
دورا رئيسيا فى الحركة الاسلامية .

والجناح الايمن : وهو الجناح
الشرقى : وهو مجموعة دول :
ايران وافغانستان ، وباكستان
وماليزيا واندونيسيا وفطاني فهو
يمتد من حدود العراق الى المحيط
الهادى .

ولهذا الجناح أهميته فى ارتباط
الاستراتيجية العربية فى المحيط

يستمد المسلمون من الآن
للاحتفال ببدء القرن الخامس عشر
الهجرى بعد أن مضى عليهم قرن
اختلف فيه الموازين والمعايير ، ولعل
حياة الامة الاسلامية فى القرن
الماضى لم تسعفها للقيام بدور
ايجابى نحو حياة أفضل كان القرآن
الكريم قد شرعها وطبقها فى الصدر
الأول .

وبالقاء نظرة فاحصة على خارطة
العالم الاسلامى والمعاصر نجد
يمثل طائرا له رأس وجناحان .

غاية الأمر أن واحدا من الثلاثة
لا يفتى عن الآخر فى أهميته ، وفى
استراتيجيته للعمل الجاد نحو
الحياة الأفضل التى ينشدها
المسلمون جميعا .

فالقلب : مجموعة الدول العربية
فى شبه جزيرة العرب وماجاورها

جنوبا ، وتتركز فى منطقة متوسطة تعلو خط الاستواء بين مدارى الجدى والسرطان فهو حزام الكرة الأرضية يشمل أفريقيا وآسيا وبعضا من دول أوروبا ، وتطل على البحر الأبيض ، والبحر الأحمر ، والمحيط الهادى ، والمحيط الهندى ، والأطلسى وتمتلك مضائق مائية هامة :

- قناة السويس •
- باب المندب •
- مضيق ملاكا
- مضيق جبل طارق •
- البسمور والدرديل •

فمناصر القوة فى الأمة الإسلامية مكفولة :

- أ — جغرافيا •
- ب — بشريا •
- ج — اقتصاديا •

وقد تحررت عسكريا ولكنها مازالت مهشمة منذ الحق بها عدة فواجع :

الفاجمة الاولى : —

سقوط الخلافة الإسلامية ، وكان

الهندي والخليج العربى بالمحيط الهادى من ناحية أخرى فى القيمة الاقتصادية الكامنة فى هذا الجناح من حيث النفط والمعادن الكثيرة المتنوعة والهامة • وأيضا العلات الرراغية والتوابل بشتى انواعها ، وكثافة المسلمين فى هذا الجناح ضعف كثافة المسلمين فى القلب ، وقد تحرر هذا الجناح كذلك من السطو العسكرى بكل ألوانه الشرقية والغربية •

والجناح الأيسر : أو الجناح الغربى ويشمل مجموعة دول شمال أفريقيا : ليبيا ، وتونس ، والجزائر والمغرب ، وموريتانيا وهو الجناح المواجه لدول أوروبا ، وهو الجناح الذى عبرت منه الدعوة الإسلامية الى الاندلس وعدة جزر فى البحر الأبيض المتوسط ، وهو غنى كذلك بثرواته ، وكثافة السكان فيه لها أهمية فى اعزاز بناء الأمة الإسلامية •

فالامة الإسلامية المعاصرة تمتد من المحيط الهادى شرقا الى المحيط الاطلنطى غربا ومن البحر الأبيض شمالا الى ما وراء المحيط الهندى

الحزب الماشعوى وهو الصورة
الصادقة للنظافة فى الحكم
الاسلامى المعاصر .

✽ وفى مصر والبلاد العربية :
قضى على جماعة الاخوان المسلمين
كنهيد لعربة الطمانية فى تحديد
مسير القضايا المملة عليها ،
والاخوان المسلمون أنصع صفحات
التاريخ العربى ، وطنية ، جهادا ،
واخلاصا ، وظلما .

✽ وفى الهند وباكستان ،
حطموا الجماعة الاسلاميـقوى أفقه
حركة اسلامية فى شبه القارة
الهندية ومايجاورها ، حتى لا تشب
حركة فى الجناح الشرقى للعالم
الاسلامى قد تساعد على وثبة من
القلب أو من الجناح الغربى .

ويتمى القرن الرابع عشر
الهجرى بهذه المآسى :

ـ علمانيون يتحكمون فى
مقاييد الحكومات والعالم
الاسلامى .

ب ـ حركات اسلامية مخنوقة :
أو موءودة ، أو متفارية أو
متشاكسة مختلفة على لا شئ .

من المع مظاهر سقوطها هو التمزق
الذى أصاب الامة وحولها الى
دويلات ، وكان من أول أسباب
سقوطها ظهور فكرة القوميات :
تلك الأوبئة التى أثارها الصهاينة
من أجل بناء دولة اسرائيل كدولة
قومية خاصة بهم .

الفاجة الثانية :

بناء دولة اسرائيل على مسمع
من القوى العربية والاسلامية
بكلـكلها السكـيف (الضعيف)
واستراتيجيتها الحساسة (المعقدة)
واقصادها الضخم (المحبوس) .

الفاجة الثالثة :

سيطرة الطمانية على الحكم فى
جميع أنحاء العالم الاسلامى
ومحاولة تفريب الشعب المسلم .

الفاجة الرابعة :

ارتباك الحركة الاسلامية فى
جميع الوطن الاسلامى فيما يتعلق
بوضع خطة لمواجهة الطمانية
المسيطرة حتى أصيبت الحركة
الاسلامية بشلل كامل :

✽ فقـى أندونـيا : قـضى على

تناقش القشور وتعمد نسيان
اللب .

ج - تسلل شيوعى الى مناطق
حساسة فى جسم الامة الاسلامية
مثل : عدن ، والجزائر ،
وافغانستان .

د - ظهور نوع من التسلط
والاستفزاز لبعض الاقليات الحاقدة
بطبعها دون سبب شرعى أو خلقى ،
أو سياسى ، بل ودون سبب دينى
واضح ، أو شبه واضح .

هـ - زعزعة الثقة فى امكان حل
صحيح لقضايا الوطن الفلسطينى
دولة ، وشعبا ، أرضا ، وتراثا
حضارة ، وثقافة .

ولقد استطاع الاستعمار بشتى
وسائله ودوله أن يزرع اسرائيل فى
وسط قلب الامة الاسلامية ليربك
العرب وهم قلب العالم الاسلامى
- فى التوصل لوضع حل لهذه
القضايا .

ولقد ارتبك العرب فعلا
عسكريا ، وسياسيا فى وضع
استراتيجية موحدة ودائمة وممكنة
التنفيذ لحل قضية الدولة

الفلسطينية.. وما زالوا مرتبكين ،
وسيطل الاستعمار السياسى يربك
العرب حتى لا يفتقوا الى جدية
العمل للدعوة الاسلامية خوفا
من عودة الاسطبول الاسلامى
يجوب المحيطات من جديد وفوقه
راية الاسلام الحنيف ترفرف
بالرخاء والأمن والايمان والحرية
وحقوق كرامة الانسان للناس
أجمعين .

وما من شك أن الأمة العربية
ثم بقية الأمة الاسلامية بما لهم من
كثافة سكانية هائلة تجعل منهم
أمة عسكرية من الدرجة الأولى
وبما لهم من قوة اقتصادية كبيرة
هى أصل للتقدم الصناعى عالميا
تحملهم فى محمل القدرة على
تصنيع عسكرى راق متطور فائق ،
وبما لهم من قوة استراتيجية
حساسة ودقيقة وهامة هى الحزام
الجغرافى للقارات كلها .

العرب والامة الاسلامية بهذه
الامكانيات .. وبفضل الله وحوله
وقوته يقدرون على صنع سياسة
دولية ومحلية يحولون بها أيام
القرن الخامس عشر الهجرى القادم

الى مثل أيام القرن الهجرى الاول
وما ذلك على الله بعزيز •
ب - الالتزام بلب الاسلام
فيما يتعلق :

- بحفظ القرآن الكريم •
- وحفظ السنة المطهرة •
- وعودة الخلافة الاسلامية •
- ج - وضع سياسة للتصنيع
العربي ، وسياسة للاتصال
الاقتصادى •

د - وضع سياسة سلوكية
تضمن عدم المواجهة مع الحكام
العلمانيين وفى نفس الوقت تبني
قيادات شرعية عن طريق قانوني
توطئة لاقامة دويلات اسلامية
نظيفة •

هـ - عندما تكون هذه
الدويلات الاسلامية يمكن تكوين
مجلس للخلافة الاسلامية من
رؤساء هذه الدويلات ، وتكون
رياسته بالاقتخاب الدورى
لمدة معينة تضمن استقرار نظام
الحكم فى الدويلات الاسلامية
واستقرار الحكم فى مجلس الخلافة
الاسلامية •

والنظرة التى يجب أن يتطلع
بها شباب المسلمين والمسلمون
اليوم الى مشاهد العمل الاسلامى
فى ظل القرن الخامس عشر الهجرى
هى :

أولا : فى مجال التليم والتربية :
توحيد الفكر الاسلامى ، واتزاع
قتيل الخلافات المذهبية لا سيما
فى تلك الفروعيات التى لا طائل
من وراء المناقشة فيها ، والتركيز
على بناء الشخصية الاسلامية
والتصدى للتيارات المعادة
للإسلام •

ثانيا : فى مجال الشباب توحيد
عمل الشباب الاسلامى بحيث
يرفض جميع الايديولوجيات
التقديمة والأفكار التى مضت
وتركيز جهوده فى :

ا - السيطرة على القيادات فى
المجال الجامعى ، والاعلامى
والتربوى والاقتصادى ثم
الشرطة •

فان عليهم واجبا هو الاخلاص
النقى ، والتوكل الصادق في
الاعتماد على نصر الله وعونه ،
والغاء النظرة الشخصية للمكاسب
الفردية للأشخاص والاقطار ،
والغاء الحساسية القومية والنزعات
المرقية واللفوية .. والله من وراء
القصد ، ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت أقدامكم . ولينصرن الله
من ينصره ، ان الله لقوى عزيز .

وعندئذ يمكن توحيد التعليم
والجيش والقضاء والاقتصاد
والشرطة في دويلات الخلافة
الاسلامية .

وعندئذ يمكن وضع سياسة
داخلية لهذه الدويلات من حيث :
الخدمات ، والصحة ، والتنمية
والرعاية الاجتماعية ، وحقوق
الاقليات .

والايمان بالتبعية للخلافة .

هذا وبالله التوفيق .

دكتور / دوف شلبي

وفي نهاية التصور والرؤية
للشباب المسلم وجماعات المسلمين

« الصبر »

قال علي - كرم الله وجهه - : لا يعلم الصبور الظفر
وان ظل به الزمن .

وقل ايضا : الصبر مطية ، لاتكو وسيف لاينبو .

وقال خالد بن الوليد : ان الصبر عز ، وان الفشل
عجز ، ولن النصر مع الصبر .

وقال حكيم : الضعيف الطيور قوى بصيره ، والقوى
الجزع ضعيف بجرعه .

أحلامنا في محرم ١٤٠٠ هـ

للأستاذ السيد حسن قرون

بدعوتها وقضائها وجنودها وأتباعها
يوحدون الله بين عالم نبي الله
فأنساء نفسه ، فارتطم بعبيادة
الأوثان والعلافة من بني الانسان .

والمسلمون في بهجة الذكرى
يتجهون الى حلول النبي في المدينة
بين الأناشيد والترحيب الحار ،
ولا ينظرون الى خطيتها ، ولا الى
الجهاد الكبير الذي كان بمكة قبل
الهجرة . لم تقم الدولة الاسلامية
الفتية فجأة بين ليلة وضحاها ،
بل سبقتها تضحيات جسام منذ
نزل قوله تعالى : « اقسم باسم
ربك الذي خلق » ثلاثة عشر عاما
من الجهاد الصادق يلفه نور الهداية
من بين يديه ومن خلفه ، رسول
الله يعرض عليه الملك والسيادة
والمال فيأباه أيما اباة ، وأصحابه
لا يريدون الاضطهاد الا اعتزازا

ليست الهجرة من المواسم التي
تنقضى معطياتها باقضاء الاحتفال
بيوم ذكراها ، وليست الكلمات
التي تلقى في مناسبتها بالكلمات
العابرة ، وليس التعبير عنها مباركة
في اظهار البراعة وسلامة المنطق ،
انما فوق ذلك كله وان كان ما يقال
ويلقى ويمثل أيضا مفيدا ورشيدا
يبين عن معالم البذل والتفداء ،
وقوة الايمان التي ترتفع بالانسان
الى مواطن السماء ، فتشير الى
العبرة من ذكراها ، واستلها العمل
من جنواها ، ورفع المسلم الذي
أسلم وجهه لله وهو محسن الى
التأمل في عطائها ، والأخذ بهداها ،
فقد أقامت دولة دستورها قرآن
منزل الى نبي مرسل فما أن استقر
النبي محمد صلى الله عليه وسلم
حتى كانت الدولة الاسلامية

ولا كثيرا .. تجاوزت الجزيرة العربية بما يحدث بمكة بين صاحب الدين الجديد ، وأصحاب الموروثات والتقاليد ، والناس من حولهم يسمعون أو يخبرون فيفكرون في موقف هؤلاء وهؤلاء ، ومهما عارض الانسان الحق وحاربه فلحق قوته ووثبته وظهوره ، وليس أدل على قوة سنوات الجهاد بمكة من الشعر الذي يطير في آفاق الجزيرة العربية كل مطير ، يشرق ويغرب ويأتي الشمال كما يأتي الجنوب ، انطلق الشعر من مكة ونجد ويشرب ، كان شعر أبي طالب فيه الوعد والوعيد ، والتواضع والكبرياء ، ينوء بفضل ابن أخيه ، ويعلن أنه معه في الضراء والسراء قائلا :

لقد علموا ان ابننا لا مكذب لدينا ، ولا يعني بقول الانامل
فاصبح فينا (احمد) في ارملة
تقص من سورة المتناول
حديث بنسي دونه وحميته
ودأبت منه بالسرا واللال

وأبو السلت الأوسى من يشرب
يبدى رأيه في الأحداث شعرا ،
وكان يحب قريشا وله صهر فيهم ،
فزوجته (أرنب بنت أسد) رهط

بأفه ، ومضياء في سبيل الله ،
وتحديا للكفر وأهله ، والسادين
في عماية الجهالة والتعظم بالآباء
والأجداد ، والتقاليد الفاسدة
المتوارثة ، وهان عليهم فراق الأهل
والولد والوطن ، فهجر صموة منهم
مكة طلبا للأمن في الحبشة ،
ليعبثوا الله جهارا نهارا وليلا بعيدا
عن الطغاة المصاة الذين لا يرعون
رحما ولا اخاء ولا مودة ، وسلط
العذاب على من بقى منهم ، وكتبت
قريش صحيفتها الظالمة التي تمنع
التعامل والتزواج من بني هاشم
وبني المطلب والمؤمنين ممن انحازوا
الى شعب أبي طالب ، نهاية جليلة
في الاستجابة لداعي الله ، والرسول
لا يفر عن الدعوة ، ولا يركن الى
أهواء قريش ، ولا الى رقة عمه
أبي طالب وحدايه عليه ، وخوفه
من فراق قومه ، فمرض نفسه على
القبائل في المواسم ومواطن التجمع
عكّه يجد قوما يهثون له الجور
ليقوم بأداء رسالات الله وقريش
تتصدى له في كل مكان يريدون
أن يظفروا نور الله بأفواههم ،
وأفواههم لا تبلغ من الدعوة قليلا

ويرمونه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، وهو مظهر لأمر الله لا يستخفى به ، يبادلهم مايكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم . وضع ذرعا بهم بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجه خديجة ، وخذلان الطائف

له وتعرض أصحابه المعاندين من الحبشة للقسوة البالغة ، والتفنن في الإيذاء والمخاربة . فوجهه الله الى يثرب حين اهتدى جل أهلها على أثر لقاءات بينه وبينهم على مدى ثلاث سنوات ، هنا أذن لأصحابه بالهجرة الى المدينة فخرجوا أرسالا ، ولم يبق في مكة الا هو وصاحبه أبو بكر ، وعلى ابن أبي طالب ، ومن منع من ضمفاء أصحابه .

وتأمرت قريش على قتله ، فكشف الله لرسوله أمرهم ، وأمره بالهجرة ، ففخذها رسول الله على أروع ما ذكره التاريخ وقد ضرب رسول الله لصحبه وأتباعه وأمة

خديجة رضى الله عنها ، ومن شعره تلمح تعظيمه لحرمه مكة ، ونفيه قريشا عن الحرب فيها ، ويذكرهم بفضلهم وأحلامهم ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكرهم بلاء الله عندهم ، ودفعه القيل وكيدهم عنهم قائلا لهم :

اعيدكم بالله من شر صنعكم
وشمر بآياتكم وديس المقارب
مضى بعتوها بعتوها ذميمة
هي القول للأقربين أو للأقارب
تقطع أرحاما وتهلك أمة
وبرى الصديق من سلام وفارب
فاياكم والعرب لا تلتفتكم
وحوضا وخيم الله مر الثارب

ويقول حكيم بن أمية السلسي حليف بنى أمية وقد أسلم ينهى قومه عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيهم شريفا مطاعا :

هل قاتل قولا من الحق قاصد
عليه وهل فصيلان تفرسد سامع ؟
وهل سيد ترجو العشييرة نفعه
لافي السوالى والأقارب جامع ؟
ببرات الأوجه من يملك الصبا
واهجركم ما دام مذل (١) ونازع
واسلم وجههم لاله ومنطقى
ولو رامنى من الصديق روانع

كل ذلك والرسول في مكة يتلقى أذى قومه صباح مساء ،

(١) المدلى : المرسل دلوه فى البئر والنازع : الجاذب لها .

الهجرة والتقى الرسول بأنصاره
والمهاجرين من قومه وغيرهم •

على أثر الهجرة العظيمة قامت
تلك الدولة العظيمة ، القرآن
والإيمان والاخاء والمجد سداها
ولحماتها ، فنشرت النور في الآفاق
ورفعت عن الانسان الآصار
والأغلال ، وكشفت عن عينه الغطاء
فارتبط بالرحمن ووسائل النعيم
في قلبه وروحه وجسمه راضيا
بدنياء متطلما في ثقة الى أخراه •

وأعطت الهجرة عطاءها ، فدخل
الناس في دين الله أفواجا حين جاء
نصر الله والفتح ، وظهرت الجزيرة
المرية في ثوب قشيب من التقوى
والمعرفة وأنكار الذات ، وذهبت
العصية أدراج الرياح ، وعرفت
الاسانية فوعا من الحكم لا مثل
له في العدالة والحق والايثار •
وعرف المسلمون فضلها على عهد
عمر فارخا بها ، واستمرت في
عطاها فدادت لهم البلدان ،
واتصروا على الدولتين العظيمين :
فارس والروم في ذلك الزمان ،
وقامت خلافة رسول الله على الحب

مثلا عاليا في الأخذ بالأسباب فلم
يتواكل ، ويخرج مهاجرا دون
احتياط وحذر ، ونحن نعلم أنه
أمر عليا بأن ينام مكانه
في ليلة تنفيذ المؤامرة ويتسجى
ببرده الأخضر ، واتفق مع أبي بكر
على الهجرة ، وكان أبو بكر قد
أعد راحتين اختار لهما عبد الله
ابن أريقط من الدئل بن بكر ليكون
دليلهما في تلك الرحلة الشاقة ،
وهذا الدليل وإن كان كافرا فيه
صفات الرجولة والمروءة والاحتفاظ
بالعهد ، وجعلا من عبد الله بن أبي
بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر
سبيلهما الى الأمان كان الأول عينا
على قریش والثاني للرعى ، ليستفيد
منهما بالأخبار وطمس المعالم بالغنم ،
وهذت الخطة على أحسن حال ،
وفي اليوم الثالث وافاهما ابن
أريقط بالراحتين وراحلة له
وودعتهن أسماء بنت أبي بكر ،
ونالت لقب ذات النطاقين ، لأنها
شقت نطاقها نصفين علقت بأحدهما
الطعام ، واتطقت بالآخر ، ورحل
معهما عامر بن فهيرة •• وتمت

وحكهما والمجد الذي ارتفع بهما
فقد كانا قمة في رعاية الأمة ، وقدوة
صالحة للاقتداء والاهتداء في كل
ما يتعلق بشئون الدين والسياسة،
والقصص الذي دار حول إيمان
أبي بكر وعمر وسهرهما على
مصالح الرعية ملأت كتب التاريخ
والأدب ، وزهدهما في زهرة الحياة
الدنيا لا نظير له كما قالت الكتب
التاريخية والأدبية ، ولأمر لا يخفى
على المتأمل أن كثرة الالاحاح في
الحديث عن الشيخين والكتابة في
نهجها قديما وحديثا يمثل أحلام
الشعوب في الحياة الكريمة ، وفي
المدينة الفاضلة ، وقد وجدوها في
عهد النبي وصاحبيه فهم يتوقون إلى
رؤياها ، وأن تعود اليهم بنضارتها
وسذاجتها بعيدة عن التعقيد ،
والحيل المتلوية أو المعتدلة ، وبعيدة
عن رفع المصاحف ، واللعب بالدين
في سبيل الدنيا ، والنظرة إلى
العاجلة على أنها الأهم وما عداها
يسمى صاحبها « وقذته العبادة »
أو أنه يتبع « المثالية » ، أو أنه
« لا بصر له بمطالب السياسة » ،

والإخاء والعمل لصالح الأمة ،
فاتقلوا بها من قلة إلى كثرة ومن
ذلة إلى عزة ، ومن فقر إلى غنى
ومن رعى الغنم إلى رعاية الشعوب
والأمم ، فكافوا مضرب المثل في
الحفاظ على ميزان العدل ، وجمعوا
إلى الهداية العسراة ، فنشروا
الحضارة شرقا وغربا دون من على
الإنسانية شأن الهداة البناة الذين
لا يرجون على احسانهم جزاء ولا
شكورا ، وكان المنتظر ممن عرفوا
الشورى ومميزاتها التي تملأ
النفوس بالثقة ، والتعامل الكريم
بين الحاكم والمحكوم أن يطوروها
ويعملوا في أسبابها تبعا لسنة
التطور ، فلا تتكس في مسيرتها،
ولا تعوق برياسة الفرد أو الأسرة ،
فتستقر الديمقراطية الإسلامية على
أسس ثابتة ، وأصول راسخة ، ولا
جدال في أن بنى عبد مناف من أمية
وهاشم مستولون عن تعويق المسيرة
ووضع الجنادل في طريقها .

انا اليوم نبكى السلف الصالح
على عهد الشيخين أبي بكر وعمر
رضي الله عنهما ، ونعلم بأيامهما

وجذب الجماهير الى كثير مما حدث ويحدث على توالي العصور من الانغماس الى الاذقان في الرذائل والخبائث ، والعبث بمصائر الشعوب .

وقد كان الشيخان يعلمان علم اليقين متاع الحياة ، وأطياب الطعام ، وجميل الهدام ، ولكنهما نأيا عن أن يذهبا طيباتهما في هذه الحياة الدنيا ترفعا عنها ، ومطلبا لما هو أسمى منها وهو نعيم الآخرة .

واظر ممي الى أبي بكر الصديق ماذا ترك بعد وفاته ؟ وكيف رضى بانفاقه بعد المال الكثير والتجارة الرباحة ؟ وضع بجانبه مملوكا عاش في مصر على عهد (الناصر محمد ابن قلاوون) اسمه (سار) ماذا ترك من مال حين هلك ؟ ليعذرني القارىء اذا وازنت بين الرجلين ، فلا يقل شتان بين صاحب رسول الله وأول من أسلم من الرجال ، وثاني اثنين اذاهما في الفار وبين مملوك اشتراه مملوك مثله ، ووضعت الظروف في موضع السلطة ، فصار (نائب السلطنة) في مصر زمن آل قلاوون من الممالك البحرية ،

لأن الايمان لا يشرق بين عصر وعصر ، ولا بين مسلم ومسلم ، فعل المرء يدينه من الله ان كان خيرا ، ويحده عنه ان كان شرا ، والشريعة في أحكامها لا تنظر الى المصور ، وانما تنظر الى الأعمال الصالحة ، وحديث رسول الله « خير القرون قرنى ثم الذى يليه ٠٠٠ » لا يدفع ما نقول ، لأن قرنه شرف به ، وفي عصرنا من الظالمين من هو أقل ظلما من قتلة الحسين رضى الله عنه ، فقد بلغ من قسوتهم وشهوتهم للتكثير أنهم مروا على جسده عشر مرات بالخيول وهو ميت ، ولم يراعوا حرمة الموت ولا قرابته القريبة ممن يحكمسون بشريمته ، ويصلون عليه وعلى آله ، فالموازاة في نظري سليمة ، وبعد هذا المذر أجيب عن السؤالين لنرى الفرق بين الرجلين ، وهما مثالان ، ولك من التاريخ أمثلة كثيرة للزاهدين والطامعين والمثاليين والنفعيين .

قال أبو بكر لابنته عائشة بعد أن أفاق من الغماء وهو يحتضر : يا أمه (ناداها بأمه ، لأنها زوج

كان في الجاهلية منعما ويقوم
بحمل الديات والمغارم عن قریش
فأتفق كل ما له على المسلمين بشراء
الأرقاء والاتفاق على الفزوات .
قال الرواة : ودخل عليه عمر
فقال : يا خليفة رسول الله ، لقد
كلفت القوم بعدك تعباً ، ووليتهم
نصبا ، فهبات من شق غبارك ،
فكيف اللطاق بك ؟ يقول هذا
القول عمر الزاهد الذي ارادته
الدنيا ولم يردها كما قال عنه
معاوية بن أبي سفيان اعجابا بزهده
وتحريرا لما أسند اليه من مال .

هذا جوابي عما ترك أبو بكر ،
أما جوابي عما تركه الملوك
(سار) فهو كما جاء في بدائع
الزهور لابن اياس . (سار) من
التنار واخترته من بين المالك ،
لأنه كما قال ابن اياس خيرا يعطف
على الفقراء ، ولأنه رفض السلطنة
حين عرضت عليه بعد أن خلص
الناصر محمد بن قلاوون نفسه منها
للمرة الثانية وحلف بالطلاق ثلاثا
لا يقبلها ، ونفى نائباً للسلطنة

الرسول وأم المؤمنين وهو واحد
منهم) هذا يوم يخلى لى عن
غطائي ، وأشاهد جزائي ، ان فرحا
فدائماً ، وان ترححاً فمقيماً ، انى
اضطلعت بأمانة هؤلاء القوم حين
كان النكوص اضاعة ، والنخذل
تقصراً ، فشهدى الله ما كان يقبلنى
اياهم ، فتعلقت بصحفهم ، وتعلت
بذرة لقحتهم ، وأقت صلاتى معهم ،
لا مختالاً أشراً ، ولا مكاثراً
بطراً ، لم أعد سد الجوعة ،
وورى العورة ، وقواة القوام ،
حاضري الله من طوى ممغن تنفو
منه الأحشاء ، وتجنف له الأمعاء
واضطرت الى ذلك اضطرار
المريض الى المعيف الأجسن . فاذا
مت فردى اليهم صحفهم وعبدهم
ولقحتهم (١) ورحاهم ، ودثارة
ما فوقى اتقيت بها أذى البرد ،
ودثارة ما تحتى اتقيت بها أذى
الأرض كان حشوها قطع السعف .
هذا ما كان عنده رده الى
المسلمين ، وخرج من الدنيا لم
يترك شيئاً وهو الغنى السرى الذى

١١ . ناقة كان يشرب من البانها .

من عنده فرفضه ، فتركه السلطان للجوع ، والجوع كافر كما تقول ، فلما اشتد عليه الجوع « أكل أخفافه » . ولما بلغ السلطان ذلك رق له ، وأرسل من يقول له : ان السلطان قد رضى عليك ففرح وقام ومشى خطوات ثم وقع متا من شدة الجوع « هكذا يؤرخ ابن اياس . لكن ماذا ترك ؟ هكذا يجىء السؤال عن كل من هناك . شكلت لجنة لجرد ممتلكاته ، وحددت أياها للجرد ، لأن يوما واحدا لا يكفي . فماذا وجدت اللجنة ؟

اليوم الأول كان (الأحد) الموافق السادس عشر من جمادى الأولى سنة عشر وسبعمائة من الهجرة (٧١٠ هـ) : من جرد هذا اليوم صناديق افرنجى مصفحة بنحاس ضمنها فصوص ، منها فصوص ياقوت أحمر كهرمان رطلان ، وفصوص بلخش رطلان ونصف ، وفصوص زمر بابي عشرون رطلا ، وفصوص ألماس وعين الهر ثلثمائة قطعة ، ولؤلؤ كبير مدور كل حبة وزن مثقال مائة وخمسون حبة ،

أحدى عشرة سنة ، ولما عاد الى السلطة الناصر محمد بن قلاوون للمرة الثالثة خلع على (سلار) وطلب اليه البقاء فى النيابة ، ولكنه أبى وطلب من السلطان أن يعفيه منها ، وأن يقيم (بالنسوبك) لأنها واقعة فى أرض اقطاعه ، فأجابه السلطان الى طلبه ، وخلع عليه خنعة السمر ، وكان (سلار) يود أن يعيش فى أملاكه آمننا مطمئنا بعيدا عن مضايق السياسة والحكم وكفاه ما هو فيه من الثروة والجاه ، ولكن الانسان يقدر وتضحك منه الأقدار . . فما هى الا أيام قلائل حتى قام بعض الأمراء بثورة على السلطان للاطاحة بحكمه ، ولكن الثورة أو المؤامرة أخفقت وقبض السلطان على المتآمرين ومن بينهم أخو (سلار) فأرسل السلطان يستدعى (سلار) وجاءه فقبض عليه وزج به فى السجن دون تحقيق أو مساءلة أو مواجهة ، والرجل معروف بالعزوف عن السلطنة له رصيد ثم رفضها حز القبض فى نفسه ، فأضرب عن الطعام ، فبعث اليه السلطان بطعام

سنجاب .. العدة أربعمئة قباء ،
ومن السروج الذهب مائة سرج ،
وكلها بمياثر زركش على مخمل أحمر
ووجد له عند صهره (الأمير

موسى) ثمانية صناديق لم يعلم
ما فيها ، ووجد له من الشقق
الحرير ألف شقة ، ووصل صحبته
من الكرك من الذهب العين مائة
ألف دينار ، ومن الدراهم أربعمئة
ألف درهم ، ومن الخلع الملونة
ثلثمائة خلعة ، ووجد عنده من

الخيام ست عشرة نوبة .. ووجد
عنده من الخيول ثلثمائة رأس ،
ومن البغال مائة وعشرون قطارا ،
ومن الجمال مائة وعشرون قطارا .
قال الراوى : هذا كله خارج عما
وجد له من الأملاك والضياع
والمعاصر والشون والمراكب والمبيد
والخدم والماليك والجواري ..
ووجد عنده من الأغنام والأبقار
ما لا يحصى ، ومن الغلال ثلثمائة

ألف أردب فى الشون .. وهذا
الجرد موثق بخط القاضى (جمال
الدين بن الفورية) نقله الشيخ
محمد الكتبى المؤرخ وأخذه عنه

وصناديق فيها ذهب عين مائتا
ألف دينار ، ومن الفضة أربعمئة
ألف درهم ، وواحد وسبعون
ألف درهم .

وفى اليوم الثانى (الاثنين)
وجد له من الذهب العين خمسة
وخمسون ألف دينار ، ومن الفضة
ألف ألف درهم ، ومن الفصوص
المختلفة رطلان ، ووجد له مصوغ
من ذهب ما بين خلاخيل وأساور
وزن أربعة قناطير مصرى ، ووجد
عنده طاسات فضة وأطباق وأهواز
ذهب ، وطشوت فضة الوزن ستة
قناطير .

وفى يوم (الثلاثاء) وجد له من
الذهب العين خمسة وأربعون
ألف دينار ، ومن الفضة ثلثمائة
ألف وثلثمون ألف درهم .

ووجد عنده طلعات فضة
للصناجق ، وقطريات فضة ثلاثة
قناطير .

وفى يوم (الأربعاء) وجد عنده
من الذهب العين ألف ألف دينار ،
ومن الفضة ثلثمائة ألف درهم ،
واقبية حرير عمل الدار ملون بفرو

توجه الملك الناصر الى الكرك .
وقد كانت مفاتيح بيت المال بيد
(سلار) لا يمكن منها الناصر
بشيء . . . ان الرجل مكث احدى
عشرة سنة نائبا عن السلطنة وكان
قوى البأس مفروضا على الدولة
فأخذ من بيت المال ومن الشعب
في مصر والشام ومن السلطان
نفسه في المناسبات .

فأى الرجلين أحسن حالا وما لا
أبى بكر أم (سلار) ؟ ان أبا بكر
صاحب مبادئ وحامي دولة يمه
أمرها ويعنيه علو شأنها بجواب
ذلك ايمانه وخوفه من الله . أما
(سلار) فهو بعيد عن التربية الطقية
والاسلامية ويرى أنه صاحب الأمر
وليس للشعب الا فتات الموائد ،
ولو كانت لنا رقابة شعبية (مجلس
شورى ؟ ما بلغ (سلار) من احتجاج
المال وتجويع الشعب ، فإذا كان
كل من جاء بمده سلك مسلكه
فمعجزة ان يبقى الشعب المصري
الى اليوم على حين أن سادة
الماليك ورأسهم صلاح الدين
الأيوبي لم يكونوا كذلك ، بل

ابن اياس . كان كل هذا عند الأمير
(سلار) على حين كان الشعب
يعانى من الضائقة المالية ، وقد
فرضت عليه الضرائب ولم يتم وفاء
النيل ، فقال الشاعر نصير الدين
الحمامي :

ان عجل النوروز قبل الوفا
عجل للمال صلع القفا
فقد كفى من دمهم ما جرى
وما جرى من نيلهم ما كفى

وصنع الموام كلاما في مثل
هذا ولحنوه فلقوا الأمرين من
تلحينهم وشكواهم ، ولم تمتد يد
(سلار) بما عنده من المال والطعام
ليعين الشعب على بلواه ، وقد
ضمت هذه الأموال الى بيت
المال ، ومات جائعا يقضم خفه
بأسنانه ، ويعلق ابن اياس على
ما سجله من هذا الجرد
العجيب قائلا : « ومن العجائب أن
الأمير (سلار) أقام في نيابة السلطنة
احدى عشرة سنة . . فكيف حوى
هذه الأموال العظيمة في هذه المدة
اليسيرة ؟ والذي يظهر لى اما أنه
كان قد ظفر بكنز من كنوز القدماء ،
واما أنه كان قد أخذ هذه الأموال
والتحف من خزائن بيت المال عندما

كانت تركة صلاح الدين عند وفاته أربعين درهما كما سجلها الجبرتي في تاريخه .

واليوم ونحن نذكر هذا ، وننظر حولنا في البلاد الاسلامية ماذا نرى ؟ ان النظرة السطحية المتعجلة تدفعك الى اليأس دفعا ، تسيطر على العيون مناظر التفرق والتمزق والارتواء في أحضان الاجنبى ، وترى مصائرهم واتجاه حياتهم مشدودة الى غير آفاقهم — يستوردون الأفكار والنظم والتقاليد كما يستوردون السلاح والمطور والآلات الكهربائية ، واذا فكروا أو كتبوا كانت مراجعهم من غيوم الغرب لا من صفاء سماء الشرق ، وعلوم وفنون وآثار زائفة حتى اذا كل تراثنا ومخلفاتنا من آداب مال فيها باحث أو كتب أو منشور رأيا طيبا شعرنا بالعزة وهزتنا الكلمة ثم تهدأ هدوء البحر بعد انقضاء أثر الحجر الذي ألقي فيه ، فنعود الى الغرب منوهين بما يتحدث ومن الغرب أننا نأخذ القشور وترك الباب لأن القشور براءة

تعجب الأطفال ولا تعجب الرجال ، واذا تحدثنا عن الشورى أو كما تسمى الآن الديمقراطية قام هر منا يلبسون ثياب التقوى يقولون : ان الاسلام يعرف « أهل العقسد والحل » ولا يعرف رأى الرعية أو الشعب كما يقال اليوم وظهرت في الدنيا مقالات جديدة علينا ، فتركنا الخلافة الاسلامية أو الدولة الاسلامية أو العالم الاسلامى وصرفنا شيئا ودولا وكتلات مثل الأمة العربية ، أو مسلمى آسيا ومسلمى أفريقية ، وابتعدت بعض الدول عن أسمائها القديمة فصرنا نستخدم كلمة (ايران) بدل كلمة (فارس) و (باكستان) بدل (الهند والسند) وتغيرت مفاهيم الاسلام عند كل فريق ، ففقدنا الشيعة والسنة والوهابية والقاديانية والبهائية الى كثير مما يفرق ولا يجمع ، ويغض ولا يجب . وقرأون جميعا : « انما المؤمنون اخوة » والدين رحم مقدم على كل الأرحام ، ولكن أتباعه فى خصام لا يدانيه خصام .

وتذاع مذكرات تتحدث عن العروبة او الاسلام فترانا فيهما ضالمين مع غيرنا محارين لأهلنا ، نائرين على دعاة الايمان والحالين بعودة شعوبنا الى الاسلام . هل نياس ؟ هل نبئس ؟ هل نذوب في الشعوب وتندثر لغة القرآن ؟ اننى لا أومن بحكاية أهل « المقد والحل » كما لا أومن باغفال تراثنا لأن الغرب تقدم علينا ، فحكاية أهل « الحل والمقد » (١) هى التى ألفت بجموع الرعية الى الظل ، وجعلتهم يتوارون شيئا فشيئا حتى صاروا قطعانا من الغنم ، يحسن الرعاة حينها اليها ، ويسبون فى أغلب الأحيان اليها . بدأت حكاية أهل « المقد والحل » منذ أواخر خلافة عمر رضى الله عنه ، فقد بلغه مقالة تتصل بالدين وسياسة الدولة وكان بمكة فى موسم الحج ، فأراد الاجتماع بصحاج بيت الله ليقول لهم رأيه فيما بلغه ، ويضع لهم الحقائق أمام أعينهم واستشار عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقال : « يا أمير المؤمنين لا تفعل (١) »

فان الموسم يجمع رعاي الناس وغوغائهم ، وانهم هم الذين يطلبون على قريب حين تقوم فى الناس ، وانى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك كل مطير ولا يعوها ولا يضعوها على موضعها ، فامهل حتى تقدم المدينة ، فانها دار السنة ، وتخلص بأهل الثقة وأشراف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكنا ، فيعى أهل الثقة مقاتلك ، ويضعوها على مواضعها « فقال عمر : أما والله - ان شاء الله - لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة ، ولما رجع الى المدينة خطب فى مسجد رسول الله فى شأن المقالة التى بلغته ، والمقالة التى بلغته تحتوى أمرين : الأول خاص بمسألة رجم المحصن والمحصنة ، والآخر خاص بخلافة أبى بكر وأنها كانت فلتة (٢) . فأى ضمير على جموع المسلمين فى موسم الحج أن تعرف هذين الأمرين ؟ .. ولكن عبد الرحمن بن عوف جعل ذلك من شأن « أهل الثقة » وأهل الثقة يجب أن يكونوا فى

ابن عبيد الله قال لكل واحد : في هذه المرة ، الخلافة لابني عبيد مناف : (على أو عثمان) ، ثم خلع ما في رقبته من شأن الخلافة ووضع في عنق عثمان . ومعنى ذلك عند بني عبد مناف أنه الملك ، فقام ملك بني أمية ثم ملك بني هاشم (العباسيين) وضاع مبدأ الاختيار ومبدأ الشورى ، فالخلافة وراثية ، والشورى لأهل العقيد والهل ، أو أهل الثقة على حد تعبير ابن عوف . فادا تهاء لنا ، وضربنا باليأس عرض الحائط فلنعد الى أحكام القرآن في عباداته ومعاملاته وشتون الحكم فيه . . . لقد جربنا التناهي عن أحكام الدين والشرعة الاسلامية دهرا فلم نجد في قوانيننا رادعا فلنجرب من جديد شريعتنا ، وليكن رسول الله أسوتا في جميع أحوالنا سائرين على طريقة أبي بكر وعمر في الاتباع والارتضاع عن مقررات الدنيا ويومئذ تكون الاخوة ، ونستصم بحبل الله ولا تنفريق فنصبح سادة الدنيا كما كنا في العهد الاول .

السيد حسن قرون

حاضرة الدولة ، ونشأ من هذا الموقف أهل « المقد والهل » ، وأخذت الفكرة تضيق وتضيق ، فأصبح أمر المسلمين حكرا على الأمرة الحاكمة ومن يعمل في خدمتهم . . . وهكذا بعدنا عن قوله تعالى لنبيه الذي لا ينطق عن الهوى : « وشاورهم في الأمر » وأمرهم شورى بينهم » ولم يخص الله قوما بأعيانهم . . . فكل المسلمين مخاطبون بما أنزل على رسوله .

في مطلع القرن الخامس عشر نعلم بتغير جغرافية التفكير الاسلامي ، وعودتنا الى المنبع الاول قبل أن يقول ابن عوف مقالته ويحول بين الخليفة والجمهير ليثبت ما يجوز في رأسه ، ويشاركهم في ابداء الرأي ، ويضعهم معه في الصورة .

وقد كانت الخلافة خلافة قرش كلها والمسلمين جميعا على عهد الشيخين ، ولكن ابن عوف عفا الله عنه هو صاحب فكرة أرضاء بني عبد مناف ، فقال لكل واحد من أهل الشورى بعد مقتل عمر : وهم سعد والزبير وعلى عثمان وطلحة

في مواجهة الإلحاد المعاصر:
عدم كفاية العلم في مجال المعرفة
للدكتور يحيى هاشم

(٦)

وكما صيغت النظريات بحيث
تلائم الوقائع ، فإن الوقائع صيغت
بحيث تلائم النظريات •

فاتفاق النظريات مع الوقائع
هو من بعض الوجوه اتفاق هذه
النظريات مع نفسها •

وذلك لأن العقل البشري
لا يستطيع أن يعمل إلا فكريا
وتنطوي طريقة عمله وقد ركب
من صور ومقولات معينة ، على
التساؤل : أيمن أن تمثل في هذه
الصور والمقولات الأشياء التي
تقدم إليه ؟

فهو لا يعرف ولا يدرك إلا بشرط
حصوله من قبل على قوالب
للمعرفة وللادراك •

عجز العلم عن تحقيق الموضوعية
أو الواقعية ..

بعول امير بوترو :

(من المهم التمييز بين الواقعة
العلمية ، والواقعة الخام) •

فالواقعة الخام من جهة مصدرها
ليست إلا النسيج الذي يقطع منه
العلم - بطريقته الخاصة -
ما يسميه الوقائع •

أما الواقعة العلمية فإنها جواب
العلم عن استفسار أساسه سلسلة
القوانين والفروض التي سبق أن
تخيلها الدهن لشرح ظواهر من
جنس واحد • انا نقرر ونحدد
ونذكر الوقائع التي نسميها علمية
بواسطة نظرياتنا وتعريفنا العلمية
الموجودة من قبل •

تصنع هذه اللغة ، وأى جزء من الحقيقة هو أهل للتعبير عنها ؟ وبأى درجة من الأمانة ؟

هذه الأسئلة من الواضح انها معيرة ، ما دام العقل لا يمكن أن يبحث فيها الا بمعونة ، وباسم ، الأفكار السابقة ..

وما يستخلص من هذا هو أن العلم ليس أثرا تعدته الأشياء في عقل منمصل ، بل مجموعة من العلاقات التي يتخيلها العقل : (أ) لتأويل الأشياء بواسطة مفاهيم موجودة من قبل يصعب عليه ادراك أصلها (ب) ولكسب القدرة بهذه الطريقة على استخدامها في تحقيق أهدافه (١) .

ثم يزيد أميل بوترو توضيحه للاواقعية القوانين والفروض العلمية فيقول : (تميل الفروض العلمية بوجه عام الى أن تضع في العالم الوحدة والبساطة والاتصال (٢) .

فما هو الأصل الأول لهذه المعارف السابقة ؟

وما الذى تمثله وما قيمتها ؟

ان المشكلة تتجاوز نطاق الوقائع العلمية .

وكل ما نعرفه هو أن معرفتنا وادراكنا لا يمكن أن يكون الا ترجمة بلغت للحقائق التي تقدم إلينا .

والوقائع كالقوانين في هذا الصدد ، بل يجب بكل تأكيد القول بأن الوقائع لا تعطى لنا الا بسبب قوانين معينة ما دامت تلك الوقائع لا يمكن ان تدرك الا اذا أرجعها الشعور الى نماذج موجودة من قبل .

ولن يتمكن العلم من التخلص من هذا الشرط العام للمعرفة . ذلك أن العلم هو أيضا لغة ، ولا يمكن أن يكون الا لغة ، بفضلها يعقل العقل أكبر عدد ممكن من الأشياء ... فكيف

(١) العلم والدين ص ١٩٥ : ١٩٦

(٢) انظر مذكرناه عن بيرون من لا تحريية الهندسة

فيها ، فنذهب الى أنها ليست كائنات يوجد مبدأ وجودها وتطورها خارج العقل البشرى . فعقل الانسان ودكاؤه وارادته هي وحدها العلة للغة ولا تستطيع اللغة أن تتجرد من هذا كله (١) وهذا هو ما دفع كارل بيرسن الى أن يقول :

(القانون العلمى ليس كشفا لعلاقات موجودة فى طبيعة الأشياء ؛ وانما هو اختراع لهذه العلاقات) (٢) .

ويقول الدكتور هـ . ايزنك (التكوينات التى تفهم الظواهر الطبيعية فى ضوءها هي ابتكار من صنع الانسان . واكتشاف أحد القوانين العلمية ما هو الا مجرد اكتشاف : ان احدى أفكار الانسان تصلح لتبسيط وتوحيد وفهم نوع معين من الظواهر الطبيعية ، وينبغى ألا يتبادر الى الذهن أن للقانون العلمى وجودا مستقلا بذاته عثر

وهذه الخصائص ليست وقلع من ثمرة الملاحظة بل انه ليعبر التوفيق بينها لأن عالمنا ما دامت كثرة أجزائه لا نهاية لها فان ترغب فى أن يكون واحدا كأنك تتطلب من كل أجزائه أن يؤثر بعضها فى بعض ، وان يتأثر بعضها ببعض مما يجر الى تعقيد لا خلاص منه . وهنا يبدو التناقض بين الوحدة والبساطة .

والأمر كذلك فى البحث عن الاتصال لأنه ابتعاد عن البساطة التى من الأفضل أن تضمنها كثرة من المقولات تميز فيما بينها تماما .

فما هي اذن هذه الغايات التى ينشدها العلم ان لم تكن قوانين يفرضها العقل على الأشياء ؟ لأنه بمقتضى طبيعته لا يستطيع أن يمثلها كما تعطى له بالتجربة البحتة .. (٣)

(والعلم فى هذا الصدد كاللغات التى أحسن الأستاذ بريال القبول

(١) العلم والدين ص ٢٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٤

(٣) مجلة تراث الانسانية العدد ١٢ المجلد ٣ ص ١٢٢ .

بأسباب أخرى غير الأسباب العادية فانك قد تتلقى أحساسا بصريا غير مرتبط على النحو المعتاد بالشئ الفيزيقي ولا يقتصر هذا الأمر على الاحساس البصري خاصة :

اذ هناك المثال المألوف للرجل الذى يحس ألما فى ابهام قدمه بالرغم من أن قدمه قد بترت (١) .

ويقول الأستاذ ليكون دى نوى :

(ان مقياس الملاحظة من وجهة نظر الانسان هو الذى يخلق الظواهر . فعندما تغير مقياس الملاحظة نشاهد ظواهر أخرى .

ففى نطاق مقياس ملاحظتنا تكون حافة موسى خطأ مستقيما أما تحت المجهر فتبدو منقطعة ، أما فى المقياس الكيميائى فان الذى أمامنا جواهر من الفحم والحديد ، وفى مقياس الجواهر يوجد أمامنا

عليه أحد العلماء ممن أسعدهم الحظ بالصدفة ، فالقانون العلمى ليس جزءا من الطبيعة ، بل هو سبيل الى فهمها فقط . (١) . ويقول برتراند رسل :

(حينما ينظر فردان من أفراد الناس الى شئ معين تحدث فروق بين ما يشهدان وفقا للمنظور ، وللطريقة التى يسقط بها الضوء . وليس هناك من سبب يدعونا الى أن نختار أحد المشاهدين باعتباره يرى الشئ كما هو فى « الواقع » .

ونحن بناء على هذا لا نستطيع أن نزع أن الشئ الفيزيقي هو ما يراه أى انسان . هذه حقيقة عادية بالنسبة لعالم الفيزياء ..

على ان عالم وظائف الأعضاء لا يقل عن عالم الفيزياء تخيلا لآمالنا . فهو يقرر على نحو واضح ان هناك سلسلة سببية محكمة تمتد من العين الى المخ فاذا أمكننا أن نحدث نفس الحالة فى المخ

(١) مشكلات على النفس ص ١٨ .

(٢) فلسفتى كيف تطورت ص ١٢٦ .

لا يوجد شىء مثل ظاهرة طبيعية مطلقة • وفى جميع الحالات يوجد تأثير متبادل لا يمكن تجنبه على الاطلاق بين الراصد والظاهرة • (٣) •

ويقول لويس دى بروجى :

(لم تعد فيزياء الكم تقودنا الى وصف موضوعى للعالم الخارجى متفق مع المثل الاعلى للفيزياء الكلاسيكية • انها لم تعد تمدنا بشىء سوى العلاقة بين حالة العالم الخارجى ومعرفة كل راصد • وهى علاقة أصبحت لا تعتمد على العالم الخارجى وحده بل وأيضاً على المشاهدات والقياسات التى يعبرها الراصدون • • وهكذا يفقد العلم جزءاً من طابعه الموضوعى ، اذ لم يعد العلم تأملاً سليماً لكون مثبت ، انما أصبح عراقاً بالأيدي ينال الباحث بعينه اذ يختطف من العالم الفيزيائى الذى يود أن يتأمله معلومات معينة ، وهى دائماً جزئية ، تسمح له بأن يتنبأ تنبؤات فاقصة ،

الالكترونات فى حالة أبدية تسير بسرعة عدة آلاف من الأميال فى كل ثانية • •

وجميع هذه الظواهر هى وجوه للظاهرة الاساسية • • وهى وجوه اختلفت باختلاف مقياس الملاحظة الذى نستعمله) •

ويقول :

(انه فى الطبيعة لا توجد عدة مقاييس • •

وانما هناك ظاهرة واحدة ، متناسقة

ضخمة ، على مستوى لا يدركه الانسان • • (١) •

ويقول الأستاذ جورج جاموف :

(لا نستطيع الجزم بأن نتائج القياس والملاحظة تصف بالفعل ما كان قد يحدث لو اننا لم نستخدم وسائل القياس •

فالراصد ومعداته كلاهما يصبح جزءاً متكاملًا مع الظاهرة التى تدرس ، وحتى من حيث المبدأ

(١) مصير البشرية ص ٢٠ •

(٢) قصة الفيزياء ص ٣٤٤ •

ويقول وليم جيمس :

(انه لمن البديهي ان يقال انه ليس لنا من القوى ما ندرك به النظام الخارجى كما تقدمه لنا الحواس . فالعالم الخارجى كما نحس به الآن موضوعا هو مجموعة ما فيه الآن من كائنات وحادثات . ولما تقدر أن نمكر في كل هذه المجموعة فهل يمكننا أن ندرك مثلا التقاء أجزاء الوجود بعضها عند نقطة معينة من الزمن ؟ فبينما أنا أتكلم الآن يزئ ذباب ، ويصيد طائر بحرى سمكة عند مصب نهر الامازون ، وتسقط شجرة في مجاهل ادروتداك ، ويمطس رجل في ألمانيا ، ويموت حصان في تارتارى ، ويولد توأمان في فرنسا ؟

فما معنى كل هذا ؟ هل يؤدي تقارن هذه الأشياء الزمنى بعضها مع بعض ومع ملايين من أشياء أخرى منفصلة عنها الى ربط منطقى

ليست - على العموم - الا « محتملة الوقوع » (١) .

(ليس هناك أدنى شك في أن نظرياتنا العلمية ينبغي أن ترتبط - بالقواعد التى يجرى عليها أداء عقولنا وبناء فكرنا - وكذلك بالتصورات التى لدينا .

ان ذلك أمر لم يستطع أى عالم له عقل يفكر حتى ولو كان ضعيف النقد جدا ان يتخلص منه أبدا .

ان علم الانسان بشرى ولا يمكن أبدا أن يكون غير ذلك) (٢) .
ويقول : أيضا :

(لا شك أن وصف العالم الفيزيائى الذى يقدمه كائن ما ، قوامه العقلى أو أعضاء حسه تختلف اختلافا عميقا عنا . . سوف يكون شديد الاختلاف عن وضعنا له . لقد قيل عن الفن انه « الانسان مضافا الى الطبيعة » ، ونفس التعريف ينسحب أيضا على العلم .) (٣) .

(١) الفيزياء والمكروفيزيا ص ١٤٦

(٢) الفيزياء والمكروفيزيا ص ١٢٧ .

(٣) الفيزياء والمكروفيزيا ص ٨٨ : ٨٩

والادراك - وتعريف المستقبل
غايات ذاتية صرفة ؟

انه لا ييأس كل من الرجل
العملى والعلمى عندما يخفق ، بل
يعاود ثانية قائلاً : لا بد وأن
تخضع المحسّات لى وأن تتحول الى
ما أبصيه من أشكال ونظم . فهما
يفرضان انسجاما بين الارادة
وطبائع الأشياء . (١)

ويقول أيضا :

(ليست العلوم الطبيعية الا فصلا
واحدا من أدوار الشعوذة العظمى
التي تلعبها قوانا الادراكية مع
نظام الوجود كما تمثله لنا الحواس
.. فهي تحول ذلك المستوى
الميت والاستمرار الممل فى عالم
الحس الى عالم آخر فيه كثير من
المشاركات الحادة ، والطبقات
التي يخضع بعضها لبعض .
والفرض من ذلك التحويل هو
ارضاء رغباتنا وميولنا
الذاتية .) (٢)

بينها لتكون وحدة تسمى عالما ؟
ذلك اقتران مصادفى فحسب ،
وهو النظام الواقعى للعالم . انه
نظام لا تقدر أن تفعل نحوه شيئا
الا أن نظمن منه مريما . وكما
قلت : نحن نمزقه أربا . فنمزقه
الى توارىخ ، ونمزقه الى فنون
وعلوم ، وعندئذ نشعر بالهدوء
والطمأنينة ونمزقه الى آلاف من
النظم ، وتجاوب مع كل واحد
منها متجاهلين الأخرى كأنها
لا وجود لها ، ونكتشف
بين جريئاتها المتعددة علاقات لم
تدركها الحواس ونذهب أبعد من
هذا فنعتبر قليلا منها ماهية
جوهرية ثم تجاهل الباقي . نعم
هى علاقات جوهرية وأساسية ،
ولكنها كذلك لفرضنا نحن ،
والعلاقات الأخرى واقعية مثلها ،
وغرضنا هو أن نهيم المستقبل
ونعمره . أو ليس مجرد العهم

(١) العقل والدين ص ٨٧ - ٨٨

(٢) العقل والدين ص ٩٧

عجز العلم عن التفسير :

العالم من حق الوصول الى ذلك
المدى القصي من المعرفة سوى
المعرفة العلمية .

يقول الأستاذ اسماعيل مظهر :

(لم تشرق شمس القرن التاسع عشر حتى برز العلم من ثنايا الفكر الانساني بمستكشافات راح ذوو العلم يبالغون في قيمتها مبالغه جرتهم الى القول بأن مغاليق الوجود قد فتحت أمام العقل من طريق العلم وان الانسان لا محالة دالف بقدمه يوما الى حدود المعرفة المطلقة التي استغلقت عليه القرون الطوال وانه سوف يصل الى حل رموز الكون وأسرار الوجود في أقرب حين .

واذا كان القرن التاسع عشر لم يشرف على الختام حتى ودعه العلماء بعدة مستكشافات خطيرة في الفيزيكا والكيمياء والتاريخ الطبيعي - فان أعظم استكشاف وصل اليه العقل البشري خلال القرن التاسع عشر - تيقن أهل العلم بأن للعلم حدا يقف عنده . (١) .

ويقول الأستاذ بيتي كروزبار :

(اذا قذف الحجر الى أعلى يعود الى الأرض .
لماذا ؟ يقول العلم :
لأن جاذبية النقل تجذبه ثانية الى أسفل .

ساد اذ ذاك الاعتقاد بأن ليس أمام الانسان من طريق يوصله الى ذلك سوى الركون الى الطريقة العلمية .

هذا : كما لو قلت : لأن كل الأشياء الأخرى ترى تجري عائدة الى الأرض تحت تأثير الظروف المحيطة بذلك الحجر ولكنك اذا تساءلت : لماذا تسقط الأشياء أصلا ؟

ولا تزال هذه الفكرة ذات أثر كبير في عقول بعض الباحثين في هذا العصر اذ طالما يسمع طلاب الفلسفة ودارسو الدين بأن طريقتهم التي يمكنون عليها في تفسير حقائق الحياة طريقة « غير علمية » وان ليس لشيء في

أما ما هى هذه التغيرات ، ومن
والى أى شىء تتغير فإن الفيزياء
لا تحير جواباً • (٣) •

ونقول كارل بيرسن :

(تقتصر مهمة القانون فى معناه
العلمى على وصف الإدراكات
الحسية عن طريق اختزال ذهنى •
ولما كان العلم يقتصر على الوصف
ولا يفسر شيئاً ، فمن الطبيعى
ألا نتظر منه تعليلاً للترتيب الذى
تحدث به هذه الإدراكات ،
أو ايضاحاً لعلة تكرار هذا
الترتيب •• (٤) •

ومع هذا فإن الالحاد المتشجع
بالمعلم ينكر الدين لأنه لا يفسر
كيف تقع بعض الحقائق التى يؤمن
بها ؟ ويوضح كروزمار هذا
الموقف المتناقض مدافعاً عن الدين
فيقول : فيما يلخصه عنه الأستاذ
اسماعيل مظهر :

ولماذا يكون للجاذبية ضلع فى
نظام العالم ؟

وما هى الجاذبية ؟

لم تجد جواباً من العلم (١) •

ويقول الأستاذ ادوار • ج •
هيوى :

(انا نعلم ما الذى تفعله
الكهرباء ، ونعلم كيف تعمل
ذلك ••• ولكننا لا نعلم بالضبط :

لماذا تعمل الكهرباء ما تفعله ••

انا فى الحقيقة لا نعلم ما هى
الكهرباء •

انا نستعمل الكهرباء ولكننا
لا نستطيع أن نفهمها تماماً • (٢)
ويقول برتراند رسل :

(كل ما تتيحه لنا الفيزياء
لا يعدوا بعض المعادلات التى
تقدم لنا بعض ما تتصف به
تغيرات الحوادث من خواص •

(١) ملقى السبيل ص ٨٤ : ٨٥

(٢) كيف تدور عجلة الحياة ص ٦٠ : ٧٢

(٣) فلسفتى ص ١١

(٤) حراث الإنسانية •

وعلى هذه السنن وعلى تلك القاعدة ذاتها يكفي عندي أن الزم الاعتقاد في وجود الخالق ، من غير أن أجد قسري مضطرا لأن أظهر كيف أنه السبب في وجود الأشياء وكيف أنه علتها (١)

وفي هذا رد - ليس فحسب على الاتحاد الذي يشترط معرفة « كيف أو لماذا .. » لكى يؤمن ولكن أيضا - على الفلسفة الالهية التي أقحمت حسها في مجال لم تكن مضطرة اليه وهو معرفة كيف أوجد الله العالم ؟ فوضعت نظريات ، ووقعت في خلافات ، أفادت خصومها ، باكثر مما أفادت به قضيته ..

إن العلم - والفلسفة أيضا - إذ يميزان عن التفسير ، أو عن التفسير الصحيح فإنه لا بد من اللجوء الى القول بالارادة الالهية .. ثم نقف .

يقول الدكتور ف. هـ. منرام :
(انك لا تجد علماء الأحياء كلهم يقعون جنبا الى جنب مع

(لست أجد من ضرورة تقضى على بأن أظهر كيف أن عقلا أو ارادة تكون علة للعالم .

كما انى لست أعلم كيف أن دقيقة من المادة تجذب أخرى في حين انها تدفعها ومع ذلك فانى مقصور على الاعتقاد بثنى الجذب والدفع .

كما انه ليس في مستطاعى ان أعرف كيف يتحد العقل مع مادة المخ ومع نشاط دقاته وحركتها . ولا يمكن أن نضع موازنة بين ذلك الشيء الغامض المبهم الذى نسيه العقل وبين القوة ومادة المخ مثلا .

ويكفى لدى اننى يجب أن أعتقد بحقيقة العلاقة الكائنة بينهما . فلت أعرف مثلا كيف أن ارادتى تكون ميبا دافعا لى لاحداث حركاتى البدنية ولكن يكفي عندي أن أعتقد في حقيقة أن ارادتى تدفعنى على القيام بحركاتى الجسمانية .

مجال الوصف الخاص به لا يمكنه أن ينتقل - بحسب حدود منهجه - من مجال الملاحظة الى مجال وضع « القواعد العامة » . يقول الدكتور ليونيل روبي :

(ان التعميم بيان أو عبارة أو قول يتجاوز الملاحظة القطعية الى قاعدة أو قانون ينطى الحالات الملاحظة والحالات التي لم تلاحظ بعد .

وهذا التجاوز يسمى « القفزة الاستقرائية » .

والقفزة الاستقرائية هي « قفزة في الغلام » لأن التعميم قد لا يكون صحيحا على الرغم من أن الملاحظات التي بني عليها التعميم صحيحة . (١)

ولكى لا يتسرع البعض فيقول : وهذا تعميم أيضا فهل تتقون بصحته ؟

تقول انه لا بد من التعميم ، لكن السؤال هو : هل يتم ذلك في نطاق العلم ؟

نظرية التطور . فما هو ذا امس . رسل يرى ان علم الحياة لا غنى له عن ان يفترض وجود قوة حكيمه موجهة مقابل القول بقانون الانتخاب الطبيعي لتفسر لنا الحقائق عن ميكانيكية نمو الأنسجة والاعضاء والكائنات لا سيما حين يصيبها ضرر أو يعوق نموها عائق ،

خذ مثلا قطعة من نسيج غضروفي أخذت من فقس بيضة ، ووزعت في حوض ملاحظة زجاجي ، كيف يتسنى لها أن تعرف كيف تنمي وتشكل العقد والتؤات الضرورية لعظمة فخذ كامل الخلقة والنمو ؟

نعم كيف يتسنى للداروينية الحديثة تفسير هذه المعميات ؟

لا شك انها تقف مبهوتة ترنج . (١)

(٨)

عجز العلم عن التعميم :

لا يقتصر عجز العلم على عدم قدرته على التفسير ، بل انه في

(١) الاساس الجسماني للشخصية ص ٢١٤

(٢) من الاقناع ص ٣٧٤ .

يقول أوجست كونت :

(ان التفكير التجريبي المطلق
تفكير عقيم ، بل لا يمكن تصوره
على وجه الدقة ...) (١) .

ويقول في موضع آخر (ان
المعرفة التجريبية التي تقتصر
اقتصاراً تاماً على مجرد ملاحظة
الظواهر لا أكثر ولا أقل : هذه
المعرفة ليست أقل مضادة لروح
العلم من التصوف) (٢) .

واذا كان كونت يرى أن
الفلسفة الوضعية ستكتسب بسبب
انشاء علم الاجتماع طابع العموم
الذي مازال ينقصها والذي ما يزال
أيضاً احتكاراً للفلسفة اللاهوتية
والميتافيزيقية .

فهل يمكننا أن نرى في هذه
الدعوة الى « التعميم » انسجاماً
مع مقتضيات المنهج الوضعي مهما
كانت مبررات تلك الدعوة ؟

الواقع أن التعميمات الوضعية
لا يمكن أن تخضع للمحصن
التجريبي فهي خارجة عن نطاق

التجربة بهذا الاعتبار . فليست
علماً بل هي لاهوت أو فلسفة ،
أو اعتقاد .

والاعتذار بأن المعرفة الانسانية
لا يمكن أن تقتصر على المعرفة
التجريبية البحتة : هذا الاعتذار
لا يؤدي بنا الى أن نطى العلم
وظيفة خاصة بغيره من الدين
أو الفلسفة ، بل انه يؤدي الى أن
المعرفة الانسانية لا يمكن أن تقتصر
على المعرفة العلمية . وهناك فارق
هام أصيل بين أن نعم في نطاق
العلم وبين أن نعم في نطاق
العقيدة أو الفلسفة ، فان العلم
في الحالة الاولى لا يعطينا المبررات
الكافية لهذا التعميم نظراً لقصور
منهجه عن القيام بهذه المهمة ،
أما العقيدة أو الفلسفة فان لهما
طبيعتهما الخاصة التي تبيح لهما
تبرير ذلك « التعميم » بما لها من
منهج ايماني أو « ماورائي »
لا يحتاج الى التجربة أو لا يقتصر
عليها .

(١) السابق ص ٢٨١ .

(٢) فلسفة أوجست كونت للبني بريل ص ٤٩

يقول الدكتور جون كيمنى :

« اتنا لما كنا لا نستطيع سوى مشاهدة حقائق منفردة فانا عندما نتحقق نفعل ذلك بالنسبة للمترقات المنفردة لنظرية ما وليس للنظرية بالذات . » (١) .

ومن هنا كان العلم لا يستغنى عن الايمان وقد ذكرنا ذلك فى موضعه .

(٩)

عجز العلم فى مجالات علمية اخرى :
اولا - فى الفيزيكا :

ان لنا ان نشك فى صلاحية المنهج التجريبي للبحث فى عالم الطبيعة أصلا ..

وقد يبدو هذا للتشكك شادا أو غريبا ، لما هو شبيه بالمسلمات من أن عالم الطبيعة هو الميدان الأصيل للمنهج العلمى التجريبي ، الذى ترفع اليه التوسلات كى يقتصر عليه ولا يتعداه الى غيره .

لكن هذه الغرابة تزول اذا اتبناها الى القضية التى يقررها علم الفيزيكا الحديث القائلة بأن العلم التجريبي يعجز عجزا مطلقا عن ملاحظة الجزئى الا فى حالة شاذة من أحواله وهى حالة التصادم ، وفيما عدا ذلك فان ملاحظته مستحيلة استحالة مطلقة .

وذلك لأنه كما يقول رايشينباخ :

(من الضروري لكى نرى جزئنا أن نضيئه ، واضاءة جزئىء شئء يختلف كل الاختلاف عن اضاءة بيت ذلك لأن الشعاع الضوئى عندما يقع على جزئىء يخرج به عن طريقه ، واذن فما نلاحظه صدمة ، وليس جزئنا يسير فى طريقه دون أن يعترضه شئء .
واذن لا يكون بوسمك أن تعرف ماذا كانت تفعله قبل الملاحظة .) (٢) ان هذا يعنى نتيجة فى منتهى الأهمية والخطورة :

(١) ص ١٤٩ الفيلسوف والعلم .

(٢) نشأة الفلسفة العلمية ص ١٦٤

عجز العلم في مجال علم الحياة
والنفس والاجتماع :

(١٠)

يقول جون كيمنى :

ان أعظم منجزات العلم يتأتى
في الغالب ، من الطبيعة الصماء ،
وحين كان الأمر يتطلب ، خلال
هذا الكتاب (٢) تقديم أمثلة عن
النظريات العلمية كنت في غالبية
الاحيان أتجه الى الفيزياء ، منجبة
العلوم الأخرى . أما الآن فلا بد
من أن أسأل عما يستطيع العلم
قوله بالنسبة للحياة ، مع على
بأننى سأجد نفسى حالا اتخبط
وسط عدد من الخلافات . غير أنه
يمكننا كخطوة مبدئية أولى أن
نصنف المهتمين بهذه القضية الى
فئتين هما الحيويون والآليون ،
واذا نحن رجعنا الى « قاموس
الفلسفة » وجدنا تعريف الفلسفة
الحيوية بأنها « المذهب القائل بأن
لظواهر الحياة طبيعة منفردة
تجعلها مختلفة جفريا عن الظواهر
الفيزيائية الكيميائية » .

هى ان المنهج التجريبي غير
صالح بطبيعته للبحث في عالم
الجزئيات . فماذا نقول اذا كان عالم
الجزئيات هو ما يكون عالم
الفيزياء ؟

ومن هنا حق لبرتراند رسل
أن يقول :

(ليس العلم وحده هو الذى
يكون مستحيلا اذا نحن اكتفينا
بمعرفة ما يمكن أن يقع في خبرتنا ،
وما يمكن أن تتحقق من صدقة
فقط ، ولكن قدرا كبيرا مما لا يشك
أحد مخلصا في كونه معرفة يصبح
مستحيلا .) (١) .

لكن اذا كان الأمر كذلك فما
الذى يدعو رسل الى انكار الله
أستنادا الى « العلم الجاهل »
هذا ؟

(١) فلسفتى ... ص ٢٣٣ .

(٢) الفيلسوف والعلم ص ٢٨١ ، ص ٢٨٢ .

ويقابل الفلسفة الحيوية مذهب الآلة البيولوجية الذى يؤكد انه يمكن تفسير جميع الظواهر الحية بواسطة المفاهيم الفيزيائية الكيميائية دون غيرها ..

نحن ندرك ، بلا شك ، أن العلم قد حقق بعض التقدم فى دراسة الحياة لكننا نميل الى اعتبار ذلك متعلقا فى معظمه ، بأشكال الحياة الدنيا وأن هذا التقدم يندو أقل شأنًا كلما تدرجنا صعودًا فى سلم النشوء والارتقاء على أن هذا التقدم لا يقارن بحال من الأحوال بالاتصالات التى حققها علم الفيزياء .. وأن التقييم الصحيح الموضح الحال فى العلم أن تقول بأن الفيزياء والكيمياء عملاقان أمام البيولوجيا والعلوم الاجتماعية .

ويقول الدكتور ميخائيل كيرونسك الأستاذ بكلية الطب بجامعة كاتشارلز .

(ان أى نموذج « باراسيكولوجى » يفسر بالأساليب التقليدية على نحو مماثل للدراك البصرى يكون قاصرا عن تفسير ظاهرة الاتصال بالتخاطر فالنموذج الوضعى يشوه الواقع فى حقيقة الأمر ولا يشمل الواقع الذى توضع فيه تلك الظواهر) .

ويقول الأستاذ الكسندر دوبروف بأكاديمية العلوم السوفيتية ..

(ان الطابع الفريد فى علم السيكترونات الحديث يكمن فى أنه يحمل فى طياته انكار الأسس العلمية التى اثبتت عنها والتى يمكن اعتباره تطورا منطقيا لها .

والحقائق العلمية المثبتة لعلم السيكترونات والظواهر التى يعنى بها لا يمكن تفسيرها فى نطاق الأسس التقليدية لعلوم الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا) (١) .

(١) ص ٤٠ : ٦٠ من العلم والظواهر الخارقة .

ولا يغيب عنا محاولة أوجست
كونت إقامة العلوم الانسانية
والاجتماعية على نفس النسق
التجريبي المادى الذى يقوم عليه
علم الفيزيكا ، واعتباره ان هذه
المحاولة تبدأ بوضع « قانون
الاحوال الثلاث » وقد بينا انهيار
هذه المحاولة باهتار هذا القانون .

كما بينا الاتجاهات الحديثة
فى العلوم الاجتماعية التى استقرت
على التفرقة بين النموذج
الانسانى ، والنموذج الفيزيقي
أو البيولوجي أو التعليمي (١) .

بل انه فى مجال العلم الواحد
— بله حملة العلوم — لا يستطيع
العلم أن ينتظر الى أن يعرف كل
شيء عن موضع بحثه ، وذلك
لأنه كما يقول برتراند رسل (٢) انه
إذا لم يكن فى وسعنا أن نعرف
شيئا ما الا اذا عرفنا كل شيء فاننا
لن نستطيع أن نعرف أى شيء
على الاطلاق ولا يصدق هذا
على الحوادث الجزئية فحسب ،

ويقول الدكتور محمد مهران
عن رسل : انه لم يتدخل على
الاطلاق عن ثنائية القوانين العلمية
ولم يدع ان كل ما يمكن أن يقال
فى علم النفس وقوانينه الذهنية
يمكن ان يقال فى حدود الفيزيكا
وقوانينها الفيزيكية . فهو يؤكد
أن هناك معرفة فى علم النفس
لا يمكن مطلقا أن تكون جزءا من
الفيزيكا .

فعلم النفس متميز عن الفيزيكا
والفسيولوجيا ومستقل عنهما جزئيا
فكل معطيات الفيزيكا هى أيضا
معطيات لعلم النفس الا ان العكس
غير صحيح ، وهذا يعنى ان هناك
معطيات لا يمكن أن تخضع
للقوانين الفيزيكية ، بل تخضع
فقط للقوانين الذهنية التى يعالجها
علم النفس :

ان الفيزيكا — فى رأى رسل —
لا تغطى كل مناطق المعرفة الانسانية
بل هناك مناطق معينة تظل بمنأى
عن تموز الفيزيكا . (١) .

(١) برتراند رسل للدكتور محمد مهران ص ٩١ .

(٢) انظر ختام مبحثنا عن مذهب التطور الاجتماعى .

مبدأ هايزنبرج المشهور فإن
هنالك حدا للدقة التى يمكن لنا أن
نجمع بها معلوماتنا •

(اتنا اذا عمدنا ، مثلا الى
قياس سرعة كهيرب ما بأقصى دقة
ممكنة ، أى فى حدود خطأ قدره
١٠ بالمئة ، فإن تقديرنا لمكانه فى
أية لحظة سيكون على خطأ كبير ،
ذلك أن الخطأ فى تقدير الموقع
بالرغم من كونه ضئيلا يبلغ قدرا
كبيرا من الضخامة بالنسبة لحجم
للكهيرب حتى ليمنع مقارنته بخطأ
فى قياسات الانسان يبلغ حوالى
الميل الواحد ، وليس ثمة وسيلة
بحسب مبدأ هايزنبرج لرأب هذا
الصدع (٣) •

ويقول الدكتور جون كيمنى :
(وقد توصل علماء الفيزياء
استنادا الى ذلك - الى القول
باستحالة وضع النظرية
الدقيقة •) (٤) •

د يحيى هاشم حسن فرغل

ولكنه يصدق أيضا على القوانين
التى تصل الحوادث (١)

ومن هنا يمكننا أن نقرر بصفة
عامة عجز العلم عن الاثبات ، من
ناحية وعجزه عن وضع نظرية
دقيقة من ناحية أخرى •

ففى عجز العلم عن الاثبات :
يقول الدكتور جون كيمنى :

(ان العلم يمكن له أن يؤكد
بطلان بعض النظريات العامة ولو
انه لا يستطيع البرهان القاطع على
صحتها والواقع ان هذه القواعد
تفترض تحليلا مفرطا فى البساطة
الطبيعية للنظريات العلمية ، واذا
تصفح القارئ (أى كتاب فى
العلم فانه سوف يلاقى صعوبة فى
العثور على نظريات معبر عنها بلغة
الأسباب والتتائج ذلك لأن
نظريات كهذه لا تكون مشوقة
الا فى مراحل العلم المبكرة) (٢) •

عجز العلم عن وضع نظرية دقيقة
يقرر جون كيمنى انه بالاستناد الى

(١) فلسفى ص ٢٤٢ •

(٢) الفيلسوف والعلم ص ١٧٤ •

(٣) الفيلسوف والعلم ص ١٢٦

(٤) الفيلسوف والعلم ص ١٢٦ : ١٣٠ •

الإسلام في الفكر الأوربي

عرض وتحليل لمؤلفات أوربية
بقلم الدكتور محمد شامة

- ٥ -

١٠ - انهيار السلطة العثمانية

بدأ انهيار السلطة العثمانية من الجباب الاقتصادية ، عندما أخذت البرتغال المبادرة في هذا المجال ، ونجحت في تحويل مسار السفن التجارية عن طريق رأس الرجاء الصالح ، ومن هذا التاريخ بدأ كسر احتكار تجارة الحرير والتوابل فأصبحت لشبونة المركز التجاري الرئيسي لهذه البضاعة المهمة ، فقضت على استراتيجية البحر الأبيض المتوسط التجارية . التي ظلت ملازمة له في العصر القديم والمعصور الوسطى ، نعم ! ظل طريق القوافل عبر سوريا الى أوروبا كما كان من قبل ، لأن البرتغاليين - على الرغم من حاميتهم العسكرية في الخليج - لم ينجحوا في فرض سيطرتهم على البحر الأحمر .

✽ لم تنتظر انجلترا طويلا ، فقد بحثت عن أسواق جديدة للتك والصوف رسمت خططها على أساس تبادل سلعا بضائع شرقية بينما كان الوضع بالنسبة لفرنسا في بلاط السلطان لا يعود عليها بفائدة كبيرة ، نجحت انجلترا في استمالة السلطان الفارسي الى جانبها ، فأبحرت سفنها في الخليج ، ودخلت في صراع مع القواعد البرتغالية في البحرين وهرمز . وبينما بدأت سلطة البرتغال تنهوى ، فشجعت انجلترا ، فسيطرت على طريق رأس الرجاء الصالح ، كما أخرجت البرتغال من الخليج في منتصف القرن السابع عشر الميلادي .

✽ بدأت بواعث فرنسا تحرك الى تكوين مستعمرات لها في عهد « لودفيج » الرابع عشر . ثم

الصراع على السلطة يكاد يكون من الأمور العادية ، فقد كان البقاء للأقوى ، ولكنهم اتفقوا في عام ١٦١٧م على أن يلي العرش أكبر أبناء الخليفة الراحل ، فتسرك الخلفاء تسيير امور الدولة لوزرائهم واتشغلوا بملذاتهم من نساء وغناء ولهو . ومنذ القرن السابع عشر لم يخرج خليفة بنفسه على رأس جيشه في أي معركة ، فوكت الدولة تحت سيطرة الفرق الانكشارية ، التي كانت تمد أنفاس الخليفة وتحكم فيها بواسطة براعتهم وتكاتفهم في المجال السياسي كذلك أصبح حكام الولايات ملوكا في ولاياتهم فكثرت الثورات ، وانتشرت الرشوة لدرجة أن سلطة الموظفين المدنيين فاقت سلطة العسكريين ، فأصبحت مصالح الشعب تحت رحمة المنافع الشخصية . ووصل الفساد الى ذروته في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي .

يمضي المؤلف في تناول أحداث الصراع بين انجلترا وفرنسا على المستعمرات بالتحليل ، ويأيد نجاح انجلترا في السيطرة على المناطق المجاورة لفارس ونجاح فرنسا في غلق أبواب سوريا أمام التجارة الانجليزية .

✽ بينما قام مجد الدولة العثمانية بجهود سليمان الشخصي ، لم يستطع سليم الثاني أن يضيف شيئا سوى استيلاؤه على بغداد . ومن الأحداث التي اشتهر بها عهده هزيمة أسطوله عند « لياتو » (١) هزيمة ساحقة أمام القوات النمساوية بقيادة دون جوان ، وللأسف لم يستغل المسيحيون - هكذا يقول المؤلف - هذه الفرصة واكتفوا بفرض سيطرتهم على الجزء الغربي من البحر الأبيض المتوسط .

✽ لعب سوء الحالة الداخلية دورا في اخفاق الدولة العثمانية في المجال الخارجي فمنذ عام ١٩٠٠ م تقريبا واغتيال الأشقاء في مجال

١ « لياتو » : مدينة في اليونان على خليج « ليبانت » .

والعسكري فقبل سبعة عشر عاما من حصار فيينا ، وصلت الدولة الى ذروتها في التوسع الاقليمي وذلك عندما أجبرت بولندا على التنازل عن « يودوليا » ولكنها أدركت أنها بدأت في التقلص . وبعد فك حصار فيينا أصبح المدافع مهاجما ، اذ كوت النمسا وبولندا وفينيسيا حلفا ضد العثمانيين ، فاستطاعوا بعد موقعة «موهاكس» في عام ١٦٨٧ م تحرير المجر ، ثم استولوا على بلجراد في ٦ سبتمبر ١٦٨٨ م ، وهاجموا « نيس » فأخذوها في عام ١٦٨٩ م وكانت هزيمة الأتراك ساحقة في عام ١٦٩٧ م لدرجة أنهم وسطوا

• نشط الوزراء من آل « كوبرولو » (١) فبسطوا سلطانهم على المجال السياسي بعد موت سليمان حتى ابرام معاهدة « كارلوفيتس » في عام ١٦٩٩ م ، ويرجع الفضل اليهم في مكاسب الدولة في جزيرة كريت ، وغرر « يودوليا » (٢) في عام ١٦٧٢ م ، كذلك بذلوا جهودا محمودة في المجال العسكري ، ولكن لم يمكنهم هذا من وقف تدهور الدولة . وبعد أن يسرد المؤلف أحداث حصار فيينا ، ونجاح الأوربيين في فكه يقول : « ومنذ ذلك التاريخ تحكم البلاد القريبة في سير الاحداث في المجالين : السياسي

(١) « كوبرولو » : أسرة تركية ، تولى عدد منها منصب الوزارة في الدولة العثمانية : محمد : (١٥٨٣ - ١٦٦١ م) مؤسس العائلة ، ارتفع من خدمة المطبخ الشاهماني الى الصدارة العظمى بعد تعاقب الوزراء وانتشار الفساد . خدم الدولة بنزاهة ونشاط ، وقمع التعصب ، ورد الى الحكم هيئته .

فاضل أحمد : (١٦٣٥ - ١٦٧٦ م) ابن محمد وخلفه ، جمع في استامبول : مكتبة ، اشتهرت باسم « كوبرولو » فتح مدنا في المجر واقریطش ، وجدد الامتيازات الفرنسية . مصطفى : (١٦٣٧ - ١٦٩١ م) ابن محمد ، تسلم الصدارة (١٦٨٨ م) ، فاصلح المالية ، وفتح بلجراد . قتل في الحرب . حسين : ابن أخى محمد ، تولى الوزارة من ١٦٩١ - ١٧٠٢ م عقد معاهدة كارلوفيتس في عام ١٦٩٩ م

(٢) يودوليا : ولاية في غرب أوكرانيا ، خضعت للحكم التركي من عام ١٦٧١ م حتى ابرام معاهدة (كارلوفيتس في عام ١٦٩٩ م) .

النحويين ساعدوهم على ازالة الهزيمة بالجيش العثماني . . ويبضى المؤلف في سرد أحداث الحروب والمعاهدات التي أبرمت في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي ، ومحاولة العثمانيين اصلاح الجيش بواسطة الاستعانة بالخبرة الفرنسية وظهور النزعة القومية ، ورد الفعل المضاد من العثمانيين باحياء العاطفة الدينية على أساس حماية مركز الخليفة الديني ، وتقوية الروح الاسلامية في المجتمع فأدى ذلك الى نوع من الترابط في مواجهة الرعايا غير المسلمين ، وخاصة اليونانيين وبهذا اكتسبت المجالات السياسية والعسكرية طابعا دينيا .

✽ أعجب مصطفى الثالث الذي تولى الحكم في عام ١٧٥٧ م بـ « فردريك الأكبر » فاتخذ واقعته نموذجا له ، غير أن الروس في عهد « كاترينا الثانية » أفسدوا خطته ، اذ تسبب ادعائهم بأن لهم الحق بالتدخل لحماية المسيحيين الأرثوذكس - ليس

انجلترا وهولندا في عقد معاهدة صلح ، فأبرمت معاهدة « كارلوفيتس » في عام ١٦٩٩ م ، فأكدت للنمساويين والبولنديين والسلافيين والروس أيضا ضعف تركيا فتحفزوا جميعا لاستغلال هذا الضعف .

١١ - الضغط الروسي :

✽ اندلع النزاع بعد توقيع معاهدة « كارلوفيتس » بين حاكم المجر « فرانس فون راكوكس » والنمسا ولم يستطع أحمد الثالث تقديم اية مساعدة له . ولم يتخذ نفس الموقف مع كارل الثاني عشر ملك السويد - الذي وجد ملجأ حصينا عند العثمانيين بعد هزيمته أمام الروس في موقعة « پولتاوا » - فقدم له مساعدة مكنته من هزيمة القيصر عند « بروت » لكن رشوة الصدر الأعظم انقذت روسيا من توقيع معاهدة سلام مهينة .

✽ حالف الحظ العثمانيين فاستطاعوا استرداد بعض مناطق من القينيسيين لكن حلفاءهم

الأسطول التركي في عام ١٧٨٨م وأجبر المسلمون في عام ١٧٩٢م على الاعتراف في معاهدة «ياسا» بـ «ستر» كخط للحدود .

✽ أضمت الهزائم المتتالية مركز تركيا في مجال السياسة الخارجية والداخلية فلم تستطع وقف تهتمرها من مناطق البحر الأبيض المتوسط، التي انتهى بخروج مصر من دائرة سلطانها . ويرجع صمودها طويلا في هذا الوضع الى النزاع الذي كان قائما بين القوى العظمى (إنجلترا وروسيا وفرنسا ، اذ كانت مشاكل الدردنيل وقناة السويس مبيها في ظهور ما يسمى بـ « المسألة الشرقية » على مسرح السياسة الدولية وهي من المشاكل التي كانت تهم أوروبا بالدرجة الأولى ، ومن هنا كانت السياسة الأوربية مهمة بخلق توازن بين القوى ، لمنع روسيا من ارث تركيا في حالة انهيارها انهيارا كليا ، وعليه فقد التزمت بالمحافظة على بقاء تركيا أكبر وقت ممكن ، وتضمنت خطتها

فقط في البلقان ، بل في داخل تركيا أيضا - في اندلاع حرب مع الدولة العثمانية ، استمرت من عام ١٧٦٨ - الى ١٧٧٤ م ، فمقدت فيها تركيا أسطولها كما خرجت شبه جزيرة القرم (١) من تحت سيطرتها ، وهكذا انفصلت منطقة اسلامية - طبقا لمعاهدة « كوتشك » - عن السلطة العثمانية ، مع بقاء زعامة الخليفة الروحية لسكانها ، الا أن روسيا أعلنت في عام ١٧٨٣ م أن القرم جزء لا يتجزأ من المملكة الروسية، ولا يجوز لأحد التدخل في شئونها اطلاقا . وبذلك فقد الخليفة حقه في ممارسة زعامته الروحية لسكانها . ثم اتزعت روسيا لنفسها الحق في أن تبهر سفنها في البحر الأسود ، وإن كانت تركيا قد استطاعت فيما بعد أن تسترد حقها في الرقابة على حركة الملاحة، كذلك تسبب هجوم النمسا وروسيا على تركيا أثر نزاع على الحدود في القوقاز في القضاء على

(١) القرم : شبه جزيرة تقع بالقرب من شاطئ البحر الاسود .

أساسا لتوطيد العلاقة الفرنسية مع مصر . لم تمكث القوات الفرنسية في مصر طويلا ، فقد أجبرتها قوات تركية بقيادة ابن السلطان سليم الثالث على الجلاء عنها في عام ١٨٠١ م ، ويرجع الفضل في نجاح القوات التركية في مصر الى ضابط ألباني اسمه محمد علي ، رقى فيما بعد الى رتبة جنرال تقديرا لجهوده العسكرية .

* استطاع محمد علي أن يطغى على نفوذ الباشا ، الذي عينه السلطان واليا على مصر ، فنصب نفسه حاكما على جنوب مصر ، ووافق أصحاب الرأي في القاهرة على توليته هذا المنصب . وفي عام ١٨٠٦ م بسط نفوذه على القطر المصري كله ، فعينه السلطان واليا عليه .

* أحرزت الدبلوماسية الفرنسية أول نصر لها في هذه الفترة إذ نجح رسول نابليون في اقناع تركيا بالخروج من التحالف مع إنجلترا وروسيا ، فنتج عن ذلك قيام حرب بينها وبين روسيا ،

ألا تسمح بتفككها الا في حالة ضمان توزيعها بالتساوي ، لكن هجوم نابليون على مصر حصول اهتمام إنجلترا نحو مصر ، فشغلها عن مراعاة الضغط الروسي لعدة اعوام تالية .



١٢ - طريق مصر الى الاستقلال :

* كان المقصود من الحملة الفرنسية التي نجحت الى حد ما قطع طريق إنجلترا الى الهند ، ببضائع الهند كانت تنقل عبر البحر حتى السويس ، ثم تنقل برا الى البحر الأبيض المتوسط ، ثم تنقلها السفن الى أوروبا ، فأرادت فرنسا - وهي المنافس الرئيسي لإنجلترا في مجال التجارة الدولية - مضائقها ، فأرسلت حملة الى مصر بقيادة نابليون لأنه لم يكن من الممكن - في مجال الصراع الدولي - أن تثن حربا على الجزيرة البريطانية . لم تحرز هذه الحملة نصرا عسكريا - باستثناء معركة غرب القاهرة عند سفوح الأهرامات - ولكنها وضعت

لأن هدف محمد على كان الاستقلال
عن تركيا ، وان تظاهر بالولاء
والطاعة للسلطان •

✽ تركز اهتمام محمد على باشا
على النجاح في العمليات العسكرية،
لأنه رأى أنها طريقه الى المجد ،
والى امكانية استقلاله بمصر عن
تركيا ، ولذا لم يتأخر فى تلبية
طلب السلطان منه اخضاع
الوهابيين •• ويمضى المؤلف فى
بيان :

رأى الوهابيين فى الاصلاح
ونجاحهم العسكرى ثم هزيمتهم
أمام قوات محمد على • وقيام
الثورات فى البلقان ، وارسال
محمد على ابنه ابراهيم - بناء
على طلب السلطان - على رأس
جيش مصرى الى اليونان ، فاستولى
على « ميسولونجى » على خليج
« كورنث » فى عام ١٨٢٦م ثم
سقطت « اكروبوليس » فى عام
١٨٢٧م فقررت انجلترا وفرنسا
وروسيا فى معاهدة لندن مساعدة
اليونان ، فأرسلوا انذارا الى
محمد على بسحب قسواته فلم

ساعدت فيها انجلترا روسيا ، وذلك
بانزال كتية على شاطئ مصر فى
عام ١٨٠٧م ولكن محمد على
انتصر عليهم وردهم على أعقابهم،
كان لهذه الحملة آثار بعيدة المدى
فى رسم طريق المستقبل لمصر ، اذ
لم يستحسن المماليك ازدياد نفوذ
محمد على بعد انتصاره على
انجلترا ، كذلك لم يفكر هو
لهم محاولة استغلال الموقف
لصالحهم أثناء المحاورات مع
انجلترا ، فدير لهم مذبة وتخلص
منهم نهائيا ثم اتجه الى بناء الدولة
متخذا الطراز الفرنسى نموذجا
له ، وكان اهتمامه فى هذا المجال
مركزا على بناء جيش وأسطول
والنهوض بمصر لتلحق بالحضارة
الأوربية • ولكن المبادرة تركزت
فيما بعد على تحقيق مصالح
شخصية ، فتحولت الى دكتاتورية
قاسية عانى منها الشعب - وخاصة
الفلاحون - معاناة لا حدود لها ،
فقد كانت كل المشروعات الاصلاحية
- بما فيها المدارس والمصانع -
موجهة لبناء القوات المسلحة فقط ،

السلطان ، وعندما وصل محمد على عام ١٨٣٨/٣٧م الى الخليج ، سارعت انجلترا باحتلال عدن لمنعها من مواصلة التوسع . ثم بعد فشله في محاولة استرداد سوريا قرر مؤتمر لندن الذي اشتركت فيه انجلترا وروسيا وبروسيا أن يكون الحكم في مصر لأبناء محمد على يرثونه من بعده ، وفي مقابل هذا ينسحب محمد على من جزيرة كريت ومن سوريا ومكة والمدينة وبهذا انفصلت مصر عن تركيا عمليا وان ظلت تبقيها للسلطان اسمية لا أثر لها .



١٣ - الرجل المريض عند البوسفور :

✽ استطاع الوزير رشيد باشا أن يقنع السلطان عبد المجيد بمواصلة تنفيذ البرامج الإصلاحية ، التي بدأها أبوه محمود الثاني . فقد استعان محمود بخبراء عسكريين من بروسيا لإصلاح الجيش . كما اتخذ النظام الأوربي نموذجا له في الإصلاح الإداري .

يستجيب ، ففرضوا أسطولهم في موقعة « نوارين » ثم وافق في ٨ أغسطس سنة ١٨٢٨م على الانسحاب من اليونان . وفي بروتوكول لندن عام ١٨٢٩م ، أعلنت القوى الاوربية العظمى استقلال اليونان عن تركيا ، ولكن لم تعترف تركيا بهذا الاستقلال الا في معاهدة « ادريانوبل » .

✽ لم يف السلطان بوعد لمحمد على بإعطائه سوريا كمكافأة له على اشتراكه في الحرب ، فجرد حملة استولى بها على عكا ودمشق وحلب ، ثم ضرب الجيش التركي ضربة قاصمة عند قونيا في عام ١٨٣٢م فتحسرت الدبلوماسية الانجليزية والفرنسية - بدافع من خوفها من وصول روسيا الى المضائق بعد أن رسي الاسطول الروسي في القسطنطينية - لحماية السلطان - فتوصلت الى إجلاء محمد على عن سوريا وانسحاب الروس من القسطنطينية .

✽ وثق محمد على بالسياسة الفرنسية ، فاقتريت انجلترا من

للمسيحيين الأرثوذكس ، المقيمين داخل الدولة العثمانية • فرضت تركيا وأيدتها انجلترا في هذا الرفض • فتحركت روسيا وفرضت حمايتها على ادارة الدانوب فأعلنت تركيا الحرب ضد روسيا وساعدتها في هذه المرة انجلترا وفرنسا اذ حرس اسطولها الشواطئ التركية فأمن حركة التجارة في البحر الأسود • ثم عقدت معاهدة باريس في عام ١٨٥٦ م ، ونص فيها على التزام القوى العظمى بعدم الاعتداء على تركيا ، وتوحيد البحر الأسود وانهاء الحماية الروسية على اماره الدانوب ، كما اعترفوا في المعاهدة بسيادة تركيا على « فولدافيا » و « فالاخيا » و « الصرب » ففجرت تركيا مرة أخرى من التقسيم بسبب الاختلاف بين القوى العظمى على تقسيم تركه الرجل المريض •

✽ شعرت الدولة العثمانية ، بفضل أوربا عليها ، فازداد اقترابها في سياستها الداخلية من النموذج الاوربي الليبرالي ، فصدر دستور

واصل عبد المجيد دفع عجلة الاصلاح ، وتبنى الافكار الليبرالية فأصدر مرسوماً نال بمقتضاه الشجب حقه في الحرية والملكية ، كما وضع خططا اصلاحية ضخمة في مجال القضاء والتعليم والرعاية الصحية ، ولكن لم يكن لهذه السياسة صدى في أوربا فقد تأخر الاعتراف بمناخلة تركيا للقوى الأوربية ، اذ كان ينظر اليها في هذه الحقبة على أنها الرجل المريض عند البوسمور • فعندما زار القيصر « نيكولاوس الأول » انجلترا في عام ١٨٤٤ م تناولت المباحثات الاجراءات المشتركة التي يجب اتعاذها في حالة الانهيار السياسي لتركيا في المستقبل القريب •

✽ واتت الرجل المريض — الذي حفرت قطع اوصال مملكته جروحاً عميقة في جسمه فتسببت في زيف داخلي حاد — فرصة لتضيق بعض حراحه ، وكان ذلك بعد الانتهاء من حرب القرم • بدت ملامح هذه القرصة ، عندما طلبت روسيا منحها حق ممارسة زعامتها

فيرص ، واستقل شمال بلغاريا فأصبح إمارة ذات سيادة واعترف باستقلال منطقة الجبل الأسود (مونتيجرو Montenegro) وضمت اليونان مناطق جديدة الى ادارتها، كما أخذت روسيا ولاية «يسارابيا» من رومانيا في مقابل أن تحصل رومانيا على «دوبروجيا» الخ . . . لقد خلت أوروبا في تقسيم تركة الرجل المريض خطوات نحو الأمام ولكن لم تخرج تركيا من كل مناطق البلقان ، ومن هنا استمرت القلاقل التي تدفع القوى العظمى المتنازعة الى وضع خطة .

١٤ - مصر على الطريق البحري الانجليزي :

✽ وقعت مصر في أزمة مالية بسبب المشروعات الإصلاحية المتعددة ، والتدخل في منطقة البحر الأحمر والسودان ، ولم يجد الخديوى مخرجا منها سوى بيع أسهم الدولة في شركة قناة السويس لـ إنجلترا ، وبهذا ازداد نفوذها في البلاط الخديوى ،

١٨٥٦ م الذي سوى فيه بين المواطنين - بما فيهم المسيحيين - في الحقوق المدنية ، وكمل حرية الأديان . . . وقضى على التفرقة في كل المجالات المهنية والوطنية سواء كانت عنصرية . أو طائفية ، فليس هناك سوى عثمانى فقط ، وبهذا انتهى - رسميا - عهد اضطهاد الطوائف الأخرى كما سمح للأجانب بالحيازة الملكية .

✽ أدت الحروب وبرامج الإصلاح - بالإضافة الى تمشى الرشوة بشكل مخيف ، لا يتوقف عن الانتشار في المجتمع والى بذخ السلطان - الى وقوع تركيا في عام ١٨٧٤م في أزمة مالية عسيرة .

✽ وتسببت الثورات في البلقان في اطلاق مضاحم الأتراك ، فاستعملوا أسلوبا قاسيا معهم ، آثار خفيظة زعيم المعارضة في إنجلترا ، فطالب بطرد الأتراك من المناطق الأوروبية .

✽ تطورت الأحداث الى أن عقد مؤتمر برلين في عام ١٨٧٨ م فحصلت فيه إنجلترا رسميا على

١٥ - المهدي لصبة صغيرة بين
الأحداث الكبرى :

استقر الأحوال أيضا في
السودان منذ حركتها طائفة دينية
بقيادة الدرويش محمد بن عبد الله
في عام ١٨٧٠ م . فقد منع المهدي
أتباعه من ممارسة كل ما يخالف
تعاليمه في مجال العقيدة ، وحرّم
عليهم ، التدخين ، وشرب الخمر ،
كما تصدى لمحاربة التدخل الأجنبي
بجميع صوره ، وفي عام ١٨٨١ م
أعلن الجهاد وزحف بجيشه حتى
وصل الخرطوم حيث وقع الحاكم
البريطاني « جوردون » قتيلا
بسيوف أتباعه . وفي عهد خليفة
المهدي هاجم أتباعه الحبشة ،
ولكن « اللورد كيتشنر » استطاع
في عام ١٨٩٨ م التغلب على هؤلاء .
« الأعداء المتعصين » - هكذا
يقول المؤلف - ويقضى على المملكة
المهدية قضاء نهائيا .

١٦ - المبادرة الإلالية لإنشاء الخط
الحديدي :

* وجد السلطان شغف في موقف
حرج ، فكلما انتشرت القلاقل في
المملكة ازداد خوفه :

فأرسلت هي وفرنسا هيئة رقابة
مالية الى مصر لمراقبة الميزانية ،
ثم عين وزيران : أحدهما انجليزى
والآخر فرنسى في وزارة نوبار
باشا ، ولكن حين اشتد ضغط
التيار القسومى عزل السلطان
الخديوى لعدم استطاعته التصدى
للتدخل الانجليزى والفرنسى
تطورت الأحداث بعد ذلك ، فنار
الجيش ضد الخديوى وأجبره
على تعيين وزارة محمود سامى
التي كان أعضاؤها واقعين تحت
تأثير الأفغانى الذى يعتبر الآن الأب
الروحى للحركات الوطنية ، فتدخلت
انجلترا بحجة حماية الخديوى ،
وأدى هذا التدخل الى احتلال
انجلترا لمصر في عام ١٨٨٢ م وبهذا
خرجت مصر من محيط التأيسر
الفرنسى ودخلت في دائرة النموذ
الانجليزى .

وهكذا ازداد التفتت في أجزاء
الدولة العثمانية ، فقبل هذا بسام
واحد - أى في عام ١٨٨١ م -
دخلت تونس في دائرة النفوذ
الفرنسى .

اذن بتوصيل الخط الحديدي حتى
أقرة • دفعت اتصارات الألمان على
فرنسا في عام ١٨٧١/٧٠م السلطان
منح الشركة الألمانية عقدا لبناء خط
بغداد وقبل نهاية القرن بقليل وقع
عقد لتوصيل الخط الحديدي الى
حلب عن طريق « قونيا » •

✽ لم تحرك انجلترا الا عندما
حاولت الحكومة الألمانية الحصول
على اذن من شيخ الكويت بتوصيل
الخط حتى الخليج • وبناء ميناء
عليه ، فقام أسطولها بظاهرة حربية
في الخليج ، لكن المفاوضات طالت
وتصرت الى أن وافقت انجلترا
على مد الخط حتى البصرة ، كذلك
استطاع مشروع بناء خط الحجاز
بمعارضة انجلترا •

✽ أفسد الاهتمام الألماني
— الذي لم يعرف أحد ما يخفي
وراءه — سياسة التوازن في الشرق
لأن خطوط المواصلات ساعدت
تركيا على ارسال قواتها للدفاع عن
سيادتها في المناطق الثائرة • كان
هدف السياسة الألمانية وضع
اسمين بين القوى العظمى ••

من تدبير المؤامرات ضد الدولة •
ومن تضيق الدائرة عليه داخل
مقر حكمه •

ومن ارتفاع معدل الاضاق على
أجهزة النظام البوليسية •

ولكى يضمن الاستمرار في
السيطرة ، فقد رغب في توصيع
شبكة المواصلات حتى يتمكن
من احكام الرقابة على كل أجزاء
الدولة ، فاختار مهندسين ألمانين
للقيام بهذا العمل ، ولم يكن هذا
الاختيار عشوائيا ، فهو لم يثق في
الانجليز بعد استيلائهم على قبرص
وموقعهم العدائي في مصر • ولذا
فضل الاستماعة بالألمان •

✽ ازداد التأثير الألماني في
المملكة دون أن يعرك ذلك شكا عند
البريطانيين ، اذ قدم الألمان مساعدة
لتركيا في بناء الخط الحديدي في
البلقان ، وأرسلوا في عام ١٨٨٣م
بعثة عسكرية الى تركيا ، وعقدوا
معاهدة تجارية في عام ١٨٨٩م ،
كما حصلوا في عام ١٨٨٨م على

بأول ثورة لهم ، وكان ذلك في ٥ يوليو سنة ١٩٠٨ ، وفي نهاية الشهر أعلنوا في سالونيكى عودة الدستور ، واحتلوا القسطنطينية ، فاضطر السلطان الى الاذعان لمطالبهم .

✽ كانت أغلبية البرلمان الذى افتتح في ديسمبر من نفس العام من الشباب التركى ، غير أن الدعوة الى الوحدة الاسلامية التى قادى بها السلطان وجدت أيضا لها بين المحافظين انصارا . فاستطاع السلطان أن يوجه ضربة الى الشباب التركى ، ولكن الجيش زحف من مقدونيا على القسطنطينية فحلع السلطان ، وعين أخاه محمد الخامس مكانه .

✽ وافقت الأحزاب الليبرالية على أن يكون للسلطان الحق فى تعيين كبير الوزراء واختيار الوزراء الذين يتحملون المسؤولية أمام البرلمان ، ولكن ليس للسلطان الحق فى حل هذا البرلمان .

للحصول على ما يمكن الوصول اليه ، ومن مكاسب هذه السياسة قيام صداقة متينة بين تركيا وألمانيا ، تلك الصداقة هى التى دفعت تركيا الى دخول الحرب العالمية الأولى بجانب ألمانيا بمجرد اندلاعها .

✽ ✽ ✽

١٧ - استيلاء الشباب التركى على الحكم :

✽ ارتفعت الاصوات فى المملكة مطالبة بعودة الدستور الذى وضع مسودته مدحت باشا فى عام ١٨٧٦م وتحت ضغط الاضطهاد تكونت لجان سرية فى كل مكان داخل الأراضى التركية ، وبين المنفيين خارجها ، وانضم اليها قديريجا بعض أفراد من الجيش ، وكان هدف هذه اللجان :

- الاصلاح طبقا للنموذج الأوروبى .

- الحفاظ على وحدة الدولة العثمانية

✽ اشتد غضب أعضاء هذه اللجان من تدخل الأوربيين فى مقدونيا ، فقاموا

واستيلاء « النبي » على فلسطين ووعده « بلفور » بإنشاء وطن قومي لليهود ، كما وضع أن القوات التركية اثنتي عشر جدارها في القتال ،

وقد ألحقت بطارية الجيش التركي الهزيمة بالأسطول الفرنسي الإنجليزي عند هجومها على الدردنيل في عام ١٩١٥ ، وأرغمتها على التقهقر ، كما فشلت محاولة البريطانيين لإزالة قواتهم في « جاليولي » ، ويرجع الفضل في ذلك إلى براعة مصطفى كمال العسكرية .

✽ عقدت محادثات في أبريل سنة ١٩١٦م بين إنجلترا وفرنسا وروسيا ، فكان من بين بنود الاتفاق السماح لروسيا - بمقد انتهاء الحرب - بضم أرمينية وجزء من شمال الأناضول وكردستان إليها .

✽ تكبدت تركيا في العام الرابع للحرب خسائر فادحة ، فبعد عليها الانهالك ولاح في الأفق أن النهاية قد قربت ، فلم تستطع المملكة أن تتحمل العبء أكثر من هذا .

✽ ولكن لم تستطع الحكومة الجديدة أن تمنع انهيار المملكة العثمانية .

١٨ - الحرب العالمية الأولى :

✽ لم تتردد تركيا في الدخول في الحرب بجانب ألمانيا ، ووشلت جهود الحلفاء في حملها على اتحاد موقف حيادي ، كما ذمعت أيضا جهود السلطان في حمل العالم الإسلامي على الوقوف بجانبه عن طريق محاولة اقناع المسلمين بأنها جهاد في سبيل الله لحماية الدولة الإسلامية ، إذ انتهز العرب هذه الفرصة للتخلص من سيطرة الحكم التركي عليها وكان هدفهم قيام دولة عربية ، فنسوا في سبيل الحصول على هذا الهدف كل الروابط الدينية التي تربطهم بتركيا ، فاشتكت قواتهم - بجانب القوات الإنجليزية - في محاربة أخوانهم في القيدة ويضئ المؤلف في سرد أحداث القتال في جبهات عدة مينا نشاط الشريف حسين و « لورانس » والوهابيين

التركية المتخاذل أمام القوى المنتصرة ، فأيقظت شجاعته في جبهات القتال الوعى القومى عند الأتراك لمقاومة محاولات القوى العظمى بخص الدولة واهاتها ، فدعا الى اجتماع وطنى طالب فيه بالمحافظة على وحدة الأراضى التركية .

✽ كان احتلال الحلفاء للقسطنطينية في عام ١٩٢٠م هو السبب في اندلاع لهيب هذه النزعة القومية الخطيرة ، اذ كان رد فعل مصطفى كمال على هذا العمل تأليف حكومة في أنقرة ، وعقد معاهدة عسكرية مع روسيا ، ورغم هذا انهزم الوطنيون الأتراك المنهكة قواهم أمام اليونانيين الذين دفعهم الحلفاء بمد اتصارهم في معركة *Alaschir* الى احتلال « بروسة » و « ادريانوبل » .

✽ وقعت الحكومة المتهاكمة فى القسطنطينية فى ١٠ أغسطس ١٩٢٠م معاهدة « سرفاي » التى نص فيها على تنازل تركيا عن كل المناطق غير التركية ووضع «أزمير»

فاتتهت الحرب وفتحت المضائق المائية أمام الحلفاء فى ٣٠ أكتوبر ١٩١٨م كما وزعت التركة ، فأصرت انجلترا على استمرار حمايتها لمصر ، وأسندت اليها عصبة الأمم الوصاية على فلسطين ، والى فرنسا الوصاية على سوريا ، وصارت كل الدول العربية تابعة للقوات الأوربية ، وان اختلفت صورة التبعية من قطر لآخر .

✽ نزل الايطاليون واليونانيون الى آسيا الصغرى فى أوائل عام ١٩١٩م أملا فى الحصول على نصيبهم من الخنائم فقد كانوا كلهم يفكرون فى تقسيم باقى التركة العثمانية على أنفسهم ، ولكن لم تتحقق أطماعهم فى آسيا الصغرى .



١٠ - مصطفى كمال أتاتورك :

✽ ظهر مصطفى كمال فى وقت حرج بالنسبة لتركيا ، اذ كانت تواجه عالما منتصرا يريد أن يمزقها اربا ، وكان ظهوره رد فعل للنزعة الوطنية التركية ازاء موقف الحكومة

حصولها على امتيازات اقتصادية ،
واقترار تركيا على اليونان فى
خريف عام ١٩٢٢م وفشل محاولة
انجلترا حمل ايطاليا وفرنسا على
التدخل ضد تركيا ، فاستمرت
تركيا منطقة شرق تراقيا فى البقان
مقابل موافقتها على تدويل المضائق
المائية . . ويمضى المؤلف فى بيان
سياسة الحكومة التركية ،
واقترارها فرصة الخلاف بين انجلترا
وفرنسا للحصول على قدر أكبر من
المكاسب السياسية والاقلية الى
أن وصل الى اعلان مصطفى كمال
الغاء الخلافة فى ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣م
فلم يعد الاسلام دين الدولة . ومن
الطبيعى حدوث صدى فى العالم
الاسلامى لهذا الاجراء خاصة فى
الهند ، فقد كان المسلمون هناك
يرغبون فى المحافظة على الخلافة
لتكون لهم سنداً يمكنهم من
الوقوف فى وجه السياسة الانجليزية
فى الهند ، كذلك تسبب الغاء
الخلافة فى احياء النزعة القومية
عند الأكراد فقاموا بشورة ضد
الحكم التركى للمطالبة باستقلالهم

والمنطقة الواقعة وراءها تحت
الإدارة اليونانية لمدة خمس سنوات
ومنح ايطاليا «رودس» وماجاورها
من الجزر الاثنتى عشرة ، كما
اعترف فيها باستقلال « أرمينية »
كما أعلن أن المضائق المائية مناطق
مزوعة السلاح ، وخاضعة لرقابة
دولية . ولم يبق لتركيا من أوربا
سوى منطقة صغيرة حول
القسطنطينية .

* لم يكتف مصطفى كمال
بالمعارضة السلبية لهذه المعاهدة ،
بل استعد لحرب فى « أرمينية »
لكنه لم يحصل منها الا على منطقة
« ايريوان » الصغيرة ، لأن
« أرمينية » صارت فى ذلك الوقت
احدى جمهوريات الاتحاد
السوفيتى .

* أمن الأتراك ظهورهم بصدقاتهم
للاتحاد السوفيتى ، واتجهوا الى
مقاومة العالم الغربى ، وما ساعد
مصطفى كمال على اتزاع حقوق
تركيا من المنتصرين الاعتراف الذى
حظيت به حكومته من كثيرين ،
وخروج ايطاليا من الأناضول مقابل

الملابس الأوروبية ، واستبدل غطاء الرأس الوطنى بالقبعة ، وطبقا لقانون ١٩٢٩م حلت الحروف اللاتينية محل العربية ، فمنع استعمال العربى والقارى فى المدارس ، كما حرم على المطابع استعمال الحروف العربية فى طبع الأدب التركى ، وبهذا عزل الأدب التركى عن الآداب الأجنبية التى تشترك معه فى عقيدة واحدة .

* كذلك اتخذ اجراء لم يكن من الممكن أن يتخذه رجال الحكم السابقون ، ولو علقوا على المشاقق ذلك هو ترجمة القرآن الى اللغة التركية ، واستعمال الترجمة فى المساجد ، والسماح للمواطنين بالردة واعتناق المسيحية ، ولكن لم يحدث شئ من هذا فى الواقع العملى ، اذ لم يسمع أحد أن خرج مسلم عن دينه واعتنق المسيحية .

* أصبحت تركيا عضوا فى عصبة الأمم فى عام ١٩٣٢م ، وفى عام ١٩٣٤م كرم البرلمان التركى مصطفى كمال فأطلق عليه لقب « أتاتورك » ومعناه : أبو الأتراك ، تقديرا

داخل دولة كردية تفرض سلطانها على جميع المناطق الكردية فى المنطقة لكن الحكومة التركية أخمدتها بعنف فبالت الدماء أنهارا فى مسرح العمليات وأعدم الشيخ المسئول عن اندلاع الثورة فى أنقرة ولكى تقضى الحكومة على مقاومة المتحمسين للإسلام فقد حلت التنظيمات الصوفية ، واقفلت زواياهم . وفى بداية الثلاثينات من هذا القرن صدر قرار من الحكومة بالآلا تقل المسافة بين مسجدين عن ٥٠٠ متر ، وتحول مسجد الحاجة صوفيا الى متحف ، كما حل القانون السويسرى محل قانون الأحوال الشخصية فحرم تعدد الزوجات تحريما قاطعا — وهو أمر لم يصرفه الشرق الإسلامى حتى الآن — وأعطى للمرأة حق الترشيح والتصويت فى الانتخابات .

* أراد مصطفى كمال بناء الدولة على الطراز الأوروبى وساعده الشعب — على الأقل سكان المدن — ظاهريا على ذلك فارتدى

لأراقة المزيد من الدماء بعد الحرب .
فسحبوا قواتهم .

✽ ثم ظهر في فارس رجل ذو
نزعة تقدمية هو : رضا خان . كان
ضابطا في الجيش ، أبدى شجاعة
واقداماً في حرب الحدود ضد
البلشفيين ، وبعد توقيع المعاهدة
مع روسيا ، زحف على طهران
فأصبح قائدا عاما للجيش ووزيرا
للدفاع فاستغل مركزه في إنشاء
جيش قوى ، وتسليحه بأحدث
الأسلحة . وفي عام ١٩٢٣م أصبح
رئيسا للوزراء . ويمضى المؤلف
في سرد تاريخه : حتى أصبح الرجل
الأول في الدولة ، فأراد أن يعلنها
جمهورية ، ولكن التقاليد الدينية
الشيعية لم تمكنه من تنفيذ رغبته ،
فنصبه البرلمان في عام ١٩٢٥م ملكا ،
له كل حقوق الشاه في فارس ،
وغير اسمه فأصبح يصرف باسم
رضا بهلوى ، كما غير اسم فارس
فيما بعد فصارت تصرف باسم :

ايران .

✽ قام رضا بهلوى بنهضة شاملة
في البلاد فعوضها ما فقدته عبر مئات

لخدماته لدولة تركيا الحديثة .
وبعد أن يستعرض المؤلف علاقات
تركيا مع الاتحاد السوفيتي
والعالم الغربي في المجالات
السياسية والاقتصادية يقول : مات
مصطفى كمال في ١٠ من نوفمبر
١٩٣٨م تاركا وراءه دولة قوية ،
تغلصت قيادتها من أحلام
اللاواعة .

٢٠ - نهضة فارس في عهد الشاه
رضا خان :

✽ استطاعت فارس أيضا
أن تنجس من ضغط
القوى العظمى بعد الحرب
العالمية الأولى فقد رغبت انجلترا
في بادئ الأمر فرض سيطرتها
عليها بعد ما أعلن الاتحاد السوفيتي
تنازله عن كل حقوقه في فرض
الحماية على أى منطقة خارج
حدوده ، لكن البرلمان الفارسي
رفض التوقيع على معاهدة الحماية ،
فاضطر البريطانيون الى التراجع
لأنهم لم يكن لديهم الاستعداد

الدينية والأدبية في منطقة الشرق ، كما احتاجت إيران في تنفيذ البرامج الإصلاحية الى اقامة علاقات طيبة مع القوى العظمى في العالم ، ومع الدول المجاورة لها فعقدت معاهدة صداقة مع القوى العظمى ، كما نص في معاهدة سعد آباد التي عقدت في عام ١٩٣٧م مع تركيا والعراق وأفغانستان على الاعتراف بالحدود القائمة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية . وعدم الدخول في أحلاف عسكرية مع القوى الأخرى وحل المشكلات التي تظهر على مسرح الأحداث مستقبلا سلميا .

❖ قامت النهضة الفارسية على أسس مشابهة لما انتهجه تركيا في مسار نهضتها ولكن لم تستطع التقدم بخطوات سريعة مثل تركيا بسبب اختلاف تكوين الدولة الظاهري وبسبب ارتباط الشعب الفارسي بالدين والتقاليد ارتباطا وثيقا وعميقا. ورغم هذا فقد وصل الشاه بشعبه الى مرحلة من التقدم لم يصل اليها من قبل قط ، وخاصة

السنين ولم يكن للبرلمان سوى الموافقة الروتينية على كل ما يعرضه من مشروعات وخطط ، ومن المشروعات الرئيسية نهضة البلاد ربط المناطق بطرق مواصلات حديثة ، وإنشاء الخط الحديدي بين بحر قزوين والخليج . وحظيت الآداب والتاريخ والتعليم باهتمام الحكومة اهتماما لا يقل عن اهتمامها بالنواحي الاقتصادية ، كما انتهجت سياسة مع شركات البترول ، ضمنت لها ربحا أكبر ، واعتنت بالزراعة ، فأنشأت المعاهد الزراعية ووضعت خطة لتوطيق البسودو الرجل .

❖ سقط حجاب المرأة رسميا في عام ١٩٣٦م ، وان كانت التقاليد حالت دون سقوطه عمليا لعدة أعوام لاحقة ، ولكن الحركات النسائية أيقظت المرأة من ثباتها .

بقي الاسلام في صيغته الشيعية دين الدولة في فارس ، فاحتفظت بصداقة البلاد الاسلامية ، وحاولت اقامة علاقات ودية معها ، كي لا تنقطع مشاركتها في المجالات

فيما يتعلق بمسألة التخلص من النفوذ الأجنبي ، اذ ظلت انجلترا وفرنسا تمليان على فارس - على مدى عدة قرون - انتهاز المياسة التي كانت تحدد مصيرها .

٢١ - مصر امة حرة :

* كان كفاح مصر ضد الحماية البريطانية طويلا ومعقدا ، فقد عارض الشعب المصري الحماية البريطانية فور اعلانها مباشرة ، فلم يلب فداء التطوع في الحرب ضد الجيش العثماني ، فاتفذ الانجليز اجراءات صارمة ، اذ انتزعوا الفلاحين من قراهم تاركين وراءهم أسرا تحتاج الى من يعولها . وبمضي المؤلف في سرد أحداث الحرب وموت السلطان ، وعدم استطاعة انجلترا تنفيذ الفكرة التي كانت تراودها ، وهي ضم مصر الى الامبراطورية البريطانية ، ولذا فقد وافقت على تعيين أحمد فؤاد سلطانا على مصر ، وقيام ثورة ١٩١٩م وعلان الدستور والملكية ، وتعاقب تشكيل الوزارات المختلفة ، وعلان استقلال مصر في معاهدة

١٩٣٦م مع احتفاظ الانجليز بحق رابطة قواتها في منطقة قناة السويس . وبين في معرض حديثه عن المجتمع والأحزاب : ان الاختلاف الطبقي في الحزب الذي قاد البلاد سياسيا كان كبيرا ، فقد صم الحزب مجموعة من الاقطاعيين والأثريا بجانب الفقراء المعدمين ، ولم يفكر أعضاء الحزب في برنامج يقضي على هذه الفوارق الكبيرة ولكن جماعة الاخوان المسلمين هي التي نادى بالاصلاح الاجتماعي القائم على الأسس الاسلامية .

* تبوأ بعض علماء الأزهر مكانة الزعامة الدينية ، فكان ينظر اليهم على أنهم نواب الشعب ، يصرون عن آماله ، ويرفعون شكواه الى المسؤولين ويطالبون بحقوقه وليس هناك شك في أن مصر تزعمت العالم الاسلامي بعد انهيار الدولة العثمانية ، وان برامج الاصلاح التي أعلنت - بعد أن عزل الجيش بقيادة اللواء محمد نجيب الملك فاروق - تقوم في أغلب بنودها على أفكار الاخوان المسلمين في

سوريا ولبنان ، طردت « الملك » من البلاد . ثم تولت السلطات الفرنسية تسيير شئون الدولة في ظل الأحكام العربية التي أعلنت عند اندلاع الحرب ، وبقيت سارية المفعول بعد انتهائها . سارت الأمور سيراً حسناً حتى عام ١٩٢٥م حينما اقتجر غضب الشعب فاندلعت الثورة مبتدئة بالقبائل الدرزية ، ثم عت جميع أنحاء سوريا ولبنان ولم تستطع فرنسا إخمادها إلا بعد أن تلقت مساعدة من الحلفاء واستخدمت الطائرات في قمعها . ثم يمضى المؤلف في سرد أحداث ما بعد الثورة حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية وحصول سوريا على الاستقلال الكامل في عام ١٩٤٦م كذلك تناول - بالتفصيل - المقاومة الوطنية في العراق ضد الحماية الانجليزية ، وحصول العراق على استقلاله في أوائل الثلاثينات ، وقبوله عضواً في عصبة الأمم المتحدة والامتيازات التي حصلت عليها انجلترا في

مجال تحقيق العدالة الاجتماعية . بين أفراد المجتمع . وهذه عوامل كان لها أثر بالغ في تقوية مركز مصر الاسلامي .

٢٢ - النضال ضد وصاية القوى العظمى :

✽ انشغلت كل البلاد العربية فيما بين الحربين العالميتين بمقاومة افليمية ضد وصاية القوى العظمى ، فقد فشلت الفكرة الحيلية التي كانت تستهدف قيام دولة عربية كبرى تضم كل المناطق العربية ، على صخرة الواقع السياسي الذي أرغم كل قطر عربي على اتخاذ طريق طويل مختلف عن الآخر ، أدى الى قيام دويلات عربية ، مستقل بعضها عن بعض .

✽ أخذت سوريا طريقها في وقت مبكر للتخلص من القيود الأجنبية بعد الحرب مباشرة ، وذلك بتنصيب فيصل - أحد أبناء الشريف حسين ، أمير مكة - ملكاً عليها ولكن قضى على هذه الرغبة بطريقة مهينة ، اذ عندما باشرت فرنسا حياتها بعد الحرب مباشرة على

اليهود الى فلسطين أعلنوا الاضراب العام ، وظلت الثورة العارمة متأججة بين صفوف العرب على امتداد ثلاثة أعوام ، فلم يستطع البريطانيون السيطرة على الموقف الا بشق الأفس . فقد كان الحاج أمين الحسيني مفتى فلسطين هو الزعيم الروحي لهذه الثورة ، استمدوا منه قوتهم واستمرارهم في مقاومة المخطط الصهيوني وعلى الرغم من قى الانجليز له خارج البلاد فقد استمرت القلاقل وفشلت جهود بريطانيا في اقناع الطرفين بقبول مبدأ المصالحة حتى اندلعت الحرب العالمية الثانية .

✽ وكانت خيبة الأمل في السياسة البريطانية في فلسطين دافعا قويا لانحياز مفتى فلسطين الى جانب هتلر ، ومحاولة تقديم مساعدة لقواته في شمال افريقيا ، ولكن انتصار « موتجمرى » ضيع على المفتى كل أمل كان ينتظره من انتهاز هذه السياسة .

✽ شغلت الحرب العالمية الثانية القوى العظمى ، فلم تتدخل في

العراق أثناء الحرب العالمية الثانية بصل صداقتهم لنورى السعيد .

٢٢ - فلسطين والجامعة العربية :

✽ اصطدمت مسألة فلسطين داخل العالم العربي بصخرة عاتية ، تبدت تعارض فرض وصاية بريطانيا على هذا البلد - وهو عربى بحكم القانون الدولى - مع الوعد بانشاء وطن قومى لليهود . فعلى الرغم من أن وثيقة هذه الوصاية لم تتضمن وعدا باعطاء اليهود حقوقا خاصة ، الا ان الحركة الصهيونية بذلت جهدا كبيرا فى سبيل الوصول الى هدفها فحاولت - ما أمكنها - دفع اليهود المبعثرين فى العالم الى الهجرة الى فلسطين ليكونوا محور وأداة قيام الوطن القومى اليهودى . ازداد عدد المهاجرين الى فلسطين عاما بعد عام - خاصة بعد ظهور الاتجاه النازى المعادى للسامية - ففضب السكان العرب وثارت ثأرتهم . وعندما رفضت سلطات الانتداب فى عام ١٩٣٥ م طلبهم وقف هجرة

كتلة دولية ، فهي وإن كانت لا تقاس من ناحية القوة بالكتل العالمية الأخرى . إلا أن قيامها كان شعلة فشت ضوءها على العالم العربي والإسلامي : مياسيا وعكريا ولعبت دور السند والمعين للمستعمرات الأفريقية في كفاحها على طريق الاستقلال .

✽ هذا هو الوجه الخارجي للجبانة العربية ، أما الدخيل ، فقد دارت فيها بعض مناورات ومصادمات صغيرة في مجال محاولة فرض الوصاية عليها ، وعند النزاع على مناطق اقليمية ، وأزواء المشاكل الاقتصادية ، إذ لم تظهر التناقضات في مجال النزاع على الحدود أثناء الحكم العثماني واضحة ولكن بعد سقوط الخلافة ، لم تظهر النزعات القومية الاقليمية فقط ، بل أصبح التفكير في قيام دويلات مستقل بعضها عن بعض واضحا ، كما ظهرت انقسامات حادة داخل الاقطار بين الشعوب والملوك ، وبين الشعوب والحكومات ، وبين

شئون دول الشرق الا بطريق غير مباشر ، فتركيا تعلمت من درس الحرب العالمية الأولى ، فلي تورط نفسها ، وبريطانيا انشغلت في البلاد الواقعة تحت سيطرتها بتدريب القوات وارسالها الى جبهات الحرب ، وإيران - بحكم علاقتها مع روسيا - اضطرت الى السماح بانزال قوات الحلفاء في أرضها ، ولم يكن لدى العالم وقت يسمح له بالاهتمام بمشاكل العرب الداخلية .

✽ أعقب الهدوء المفروض بقوة السلاح نشاط كبير نتج عنه قيام « الجامعة العربية » فاخترت القاهرة مقرا لها ، وكان أعضاؤها في بدء تكوينها هم : مصر ، وسوريا ، والأردن ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، وانضم اليها فيما بعد ليبيا والسودان . وكان الهدف من هذه المنظمة تبادل المساعدات دون المساس بحقوق استقلال كل قطر عن الآخر ، والعمل المشترك في مجال الاقتصاد . وهكذا ظهر على المسرح الدولي

الدول « الأفرو آسيوية » ولهذا بدت - رغم التناقضات الداخلية - في مجال السياسة العالمية ، كما لو كانت قوة ثالثة ، تميز بإحدى عينيها للشرق ، وبالأخرى للغرب للحصول على مكاسب من كلتي الناحيتين .



٢٤ - آمال العالم الإسلامي في عودة مجده العالمي القديم :

✽ ليس غريباً أن يقابل كل تدخل بشيء من الشك والارتياح ، بعد ما قاست الدول كثيراً من المتاعب في سبيل الحصول على استقلالها ، فقد أرادت الدول أن تستقل بتدبير شئونها ، والسيطرة على ما يقوم داخل حدودها من مؤسسات ، ولهذا جاهدت في سبيل السيطرة على شئون البترول الذي يمثل الإنتاج العربي منه ربع إنتاج العالم كذلك بدأ الخطر واضحاً من الشرق ، عندما طالب الشعب في إيران بتأميم البترول إذ كادت الجماهير المنادية باتخاذ هذا الإجراء أن تدفع

الطوائف المختلفة الآراء والاتجاهات داخل المجتمع الإسلامي .

نسى العرب خلافاتهم أمام مواجهة العدو المشترك : إسرائيل ، ولكن الجامعة العربية فشلت في أول امتحان لها في مجال الصراع العربي الإسرائيلي ، ويرجع فشلها إلى عدم الجدية إلى مساندة أعضائها بعضهم البعض ، كما يرجع إلى الضعف العسكري ، إذ بينما كانت تحصل إسرائيل على الأسلحة من كل بلاد العالم - على الرغم من حظر الأمم المتحدة لتوريد الأسلحة إلى المنطقة - اعتمد العرب على أنفسهم فقط فلم يتلقوا مساعدة من أحد ، حتى بريطانيا نفسها ، لم تمد لهم يد المساعدة .

✽ تسبب الضعف الداخلي والخارجي في شل حركة الجامعة العربية فلم تستطع القيام بالدور الذي كان يأمل بعض السياسيين أن تقوم به ، غير أن وقوع معظم أعضائها في القارة الآسيوية ، صنع منها - ككل - أداة ربط في منظمة

✽ تطمح كل الدول الإسلامية في الوصول إلى الاستقلال الاقتصادي ، وتكوين قوة سياسية تمتد من الشاطئ الشرقي الأفريقي حتى الشرق الأقصى ، ولذا فهي تحتاج إلى الخبرة الأجنبية للكشف عن مواردها الاقتصادية واستغلالها ، وتأمل في تكوين « كومنولث » إسلامي ، وقد أعلنت عن ذلك مراراً في مؤتمرات اقتصادية - معندة في كراتشي وطهران واشتركت فيها كل البلاد الإسلامية ، معلنة عزمها وتصميمها على العمل المشترك في المجال الاقتصادي داخل إطار التحالف الإسلامية .

✽ يتجه الترابط الديني بين الشعوب الإسلامية - داخل إطار التحول الحضاري - إلى إعادة المجد العالمي القديم ، فقد ارتفعت أصوات في آسيا تنادي بتطبيق أحكام القرآن ، ففي باكستان ، تلك الدولة التي أعلنت الإسلام ديناً رسمياً للدولة يحاول المسلمون تطبيق أحكام القرآن للنهوض بالمجتمع ، فهم يتخذون القرآن

البلد إلى أحضان الوصاية السوفيتية ، لولا أن حالت بريطانيا والولايات المتحدة دون وصول السوفيت إلى العاية التي لم تفيض أعينهم عنها لحظة ، ألا وهي تحقيق أطماع روسيا القديمة في إيران . كذلك دخلت الولايات المتحدة بعد الحرب بثقلها في المنطقة ، فقامت بالدور الذي عجزت بريطانيا عن القيام به ، بعد خروجها منهكة من الحرب العالمية الثانية .

✽ تشير ظواهر الأحداث إلى أن لدى مصر أسباباً تدعوها إلى الوقوف ضد سياسة الولايات المتحدة ، فهي وإن ساعدتها على استعادة قناة السويس إلا أنها وقفت أيضاً بجانب إسرائيل . ودافعت عنها ، فكانت بشابة شوكة في جنب العلاقات مع العالم الغربي . ولهذا فليس غريباً أن ينظر العرب إلى كلتا القوتين العالميتين بعذر . وأن يراقبوا أخطارهما بعين مفتوحة ويساوموا للحصول على ما ينفعهم من كلتا القوتين .

وايونان ، اذ يرى المرء معالم الطابع الاسلامي بين شعوب هذه الدول ، وخاصة يوغوسلافيا ، ويلمس تعلقها عاطفيا بما يجري في البلاد الاسلامية كذلك يعيش داخل حدود الاتحاد السوفيتي أكثر من عشرين مليون مسلم ، يمارسون الآن عباداتهم — طبقا لأحدث التقارير — في هدوء بعد أن اجتازوا مرحلة اضطهاد النظام الشيوعي لهم .

لا زال الشرق الاسلامي يكون وحدة سياسية وثقافية ودينية ، على الرغم من ظهور الاتجاهات القومية المتعددة في أقطاره منذ نهاية القرن التاسع عشر ، اذ يشعر المسلمون أن ترابطهم يتجاوز حدود الدول السياسية ، فالدين — بالنسبة لهم — ليس أمرا شخصيا ذاتيا ، يفصل عما عداه من النظم الاجتماعية التي ترتصها الاغلبية أساسا لحياتها داخل اطار الدولة السياسي ، بل هو القانون الأساسي الذي يشكل كل جوانب حياة المسلمين ، وعليه فمن يتحدث عن روح الاسلام ، فيجب عليه أن

أساسا نهضتهم الحضارية ، كذلك طبعت جماهير الشعب في اندونيسيا الدولة بطابع اسلامي ، على الرغم من الجهود الجبارة التي تبذلها بعثات التبشير المسيحية في ظل ضمان حرية العقيدة التي كفلتها الدولة للجميع كما يعيش الناس في أفغانستان طبقا لعالمهم القرآن في ظل دولة اسلامية ، حتى في الفلبين والصين واليابان ، يعيش ملايين المسلمين ، وعلى الرغم من أنهم أقلية ، فهم لا يكفون عن التفكير في محاولة تطبيق أحكام القرآن — ما أمكن — في شئون حياتهم .

✽ انضم شمال افريقيا الى الجامعة العربية ، وأسهمت دوله في الحركة الاسلامية الجديدة ، كما يعيش ملايين المسلمين في افريقيا السوداء ولهم نشاط ملحوظ في تأييدهم ودعم الاتجاه الاسلامي . فاذا خرجنا من هذا الحزام الاسلامي في افريقيا وآسيا قابلنا قوى اسلامية أخرى ، تركها الحكم العثماني في دول البلقان : يوغوسلافيا ، وألبانيا ، وبلغاريا ،

✽ لن تترك الجماهير في القرب
العاجل الملاءمة بين القرآن وبين
النظم الحديثة في مجال العدالة
الاجتماعية ، وكذلك بينه وبين بناء
الدولة العصرية ، اذ لا يزال
الشرق يمر بمرحلة التفاعل
والتصدع ، ويجب عليه معالجة
التصدع أولا ، فهل سيكون الغرب
هو الطبيب المناسب ؟

✽ سوف يجيب المستقبل على
هذا السؤال !!!

✽ لم يستطع المؤلف التخلص من
رواسب الماضي كله ، فهو وان أشار
في مقدمة الكتاب الى روح التعصب
التي سيطرت على البحوث التي
كُتبت عن الاسلام ، وأنه لن يسير
على منهجها ، الا أنه كان يميل في
سرده لتاريخ الاسلام السياسي الى
اتخاذ الموقف الأوروبي في مواجهة
الاسلام والمسلمين ، ذلك أن ملامح
التوجس والخوف بدت واضحة
كلما ظهرت قوة الاسلام كعقيدة
على مسرح السياسة الدولية ،
فأثبتت الدولة الاسلامية وجودها

يراعى الرحمة الكلية : الروح أو
(العقل) والطبيعة أو (الجسم)
والثقافة . فحياة المسلمين التي
تحكمها التعاليم الدينية تختلف عن
حياة الناس خارج المجتمعات
الاسلامية ، سواء في الشرق أم
الغرب ، طبيعة المسلم ترفض المادية
المجردة رفضها لانكار وجود الله .

✽ يتطلب التقدم الحصارى في
هذه البلاد التغلب على عقبات
كأداء ، اذ يجب على سكانها أن
يسلكوا طريقا آخر في التنمية غير
الطريق الأوروبي ، لأنهم لا يملكون
من الصناعات ما يمكنهم من سلوك
طريق أوروبا ، وفضلا عن ذلك فهم
مشغولون بتغيير نظام الأسرة
القديم المتخلف ، وتغيير أسلوب
الحياة القبلية ، الذي ارتضى الأفراد
تقسيمه الاجتماعي على أنه ارادة
الله . فليس من السهل ادخال
الألة الحديثة للمساعدة في اعادة
تكوين مجتمع حر ، فقد قامت
ثورة في أفغانستان في عام ١٩٤٨م
لأن بعض النساء ظلمن الحجاب
ومشين في الشارع سافرات الوجه .

تركيا قد اكتسبت في النصف الأول من القرن العشرين اسم « رجل أوروبا المريض » .. فانها يمكن أن تسمى الآن بـ « رجل أوروبا المحتضر » ويظلم الغرب تركيا حين يرجع حالتها السيئة الى « التخلف » الشرقي .. فالواقع أن ما تعاني منه تركيا في الواقع هو مرض غربي .. فقد تبعت تركيا باخلاص أعصى « الوصفات » الغربية للتمية الاقتصادية في الثلاثين عاما الماضية والنتيجة : تضخم لا يتوقف (٦٠٪ سنويا) ، بطالة (٢٥٪) ، اعتماد على استيراد الطاقة (٨٠٪) والديون الأجنبية (١٧٧ مليار دولار) .

✽ وتحاول تركيا التخلص مثل سمكة وقعت في شباك الصيادين من رجال البنوك الغربيين ، وخبراء صندوق النقد الدولي ، الذين لا يقلون سوى الاستسلام بدون قيد أو شرط مهما كانت الخسائر السياسية أو الاجتماعية (١) .

في المناطق التابعة لها اداريا ، وتحكمت حركة التجارة العالمية . ✽ فاذا ضعف التيار الاسلامي أو اهتز سلطان الدولة ، فلم تستطع السيطرة على مجرى الأحداث دوليا ومحليا ، أرجع ذلك الى التخلف الحضاري الذي كان السبب فيه التمسك بتعاليم الاسلام . غير أن أحداث ما بعد الحرب العالمية الثانية أثبتت أن تخلف دول الشرق لا يرجع الى الاسلام كما تصور ذلك الأوروبيون ، فقد تخلصت تركيا - بإيعاز وتخطيط من الغرب - منه ، لتلحق - كما أوهموها - بركب الحضارة الغربية لتكون دولة قوية . ولكنها لا زالت ضعيفة حتى الآن ، فهي تعاني من أزمات اقتصادية مزمنة . ولم ينقذها التعلق بأذيال الغرب ، بل ان الغرب هو الذي امتصها فقد صرح الغربيون أنفسهم بـ « أن تركيا تمر بأزمة اقتصادية لا يعرف أحد كيف تنتهي .. » واذا كانت

(١) جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ ٧ / ٨ / ١٩٧٩ م عن : نيويورك تايمز وفيانشيال تايمز .

- * ولم تحرر من المكرة المسيطرة على عقول الأوربيين ، وهى أن حجاب المرأة عقبة فى طرق التقدم الحضارى ، ولذا يجب التخلص منه .
- * ونسى أن هذا ليس أمرا جوهريا فى مجال البحث عن أسباب التخلف فى المجتمعات ، اذ يرجع التخلف فى المقام الأول الى :
- الاستعباد الفردى والجماعى .
- * وقد حرمه الاسلام ..
- تراخى المجتمعات وكسل أفرادها فى مجال الاتاج .
- * وقد حث الاسلام على العمل ..
- انتشار الاختلاسات فى أموال الدولة .
- * والاسلام يحرم ذلك ..
- و .. و .. الخ .
- * فلو طبق الاسلام كما ينبغى - بعيدا عن التعصب الكهنوتى ، ومحررا من سيطرة أنصاف العلماء والمفاقيين على تحديد مفهوم مبادئه الشرعية والتوجيهية - لدفعت عجه التقدم فى العالم الاسلامى دفعا ، ولرفرف علم الرخاء والعدل الاجتماعى على المسلمين .
- للحديث بقية ..

دكتور محمد شامة

« من الهداية المحمدية »

- ما كرهت أن تواجه به أخاك فهو غيبة .
- ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت .

هجوم لا مبرر له

الأزهر وأيام طه حسين

للدكتور محمد رجب البيومي

العدل ، وأن القائمين على الإخراج
المسرحي لا يلتزمون بالحق الواقع ،
بل لا يكادون يحسون له أدنى
التزام .

إن فقيه الكتاب كما صوره
الدكتور طه حسين ، ليس الصورة
العامة للفقهاء ، ولا يخلو الأمر من
أحد شئس ، أما أن يكون شاذا
في أمانته فهو لا يمثل طائفته ،
وأما أن يكون الدكتور طه قد
بالغ في تشويه سمعته ليسرى
نفسه من أهمال الحفظ ، وترك
التلاوة ، حتى نسي كتاب الله ؛
ونحن اليوم نعرف تمام المصرفة
أن اختفاء فقيه الكتاب قد ساعد
على الإمية العلمية ، وجعل طالب
المدرسة وطالب الأزهر الذي
لا يحفظ كتاب الله أقل منزلة في
ثقافته ودينه وعريته من

أسف المنصفون أسفا شديدا
حين شاهدوا حلقات الأيام تعرض
عرضا مفرضا مريبا على شائسة
انتليزيون حيث تتجافى الحقيقة
إلى مبالغات زائفة تهدف إلى تشويه
ما يتصل بالدين من مكاتب تحفيظ
القرآن الكريم أولا ، ومن موقف
الأزهر من صاحب الأيام ثانيا ،
وهو تشويه يهز المعاني النبيلة في
نفوس من يعرفون لرجال الدين
مكاثتهم اللائقة بهم ، لا سيما وهم
في حقيقة أمرهم برءاء مما يقذفهم
به المفترون ، إذ حملوا أمانة العلم
في الحلقات الدراسية ، وثاروا على
المستعمرين ثورة عاتية كان مصدرها
الدائم أزهرهم الشرف ، وسناقش
في هدوء موقف هؤلاء الذين شاءوا
أن يمسخوا الحقائق ، لا لشيء
سوى أنهم لا يتقيدون بمنطق

الاتجاه ، اذ يساعد على انشاء جيل مثقف يقيم لسانه ، ويحفظ لغته ودينه ، وأكثرهم عن ذلك كله بمأى بعيد .

أما موقف الدكتور طه حسين من الأزهر ، فانا سنجمل ما كتبه بنفسه في الأيام قاضيا بيننا وبينه ، سنأخذ من أقواله التي سجلها هو ببعض اختياره ما يدل على أنه جابه الأزهر بالاتقاص والتشهير ، وملا الصحف هجاء منكرا لأساتذته وقد عفوا عنه فلم يهوا ببعض ما يستحق ، ثم شاء صاحب الأيام أن يواصل هجومه عليهم دون مبرر معقول ، وقد بدأ وهو الطالب الناشئ بالتشهير بهم ما استطاع ، وسجل ذلك على نفسه ليكون شاهدا ناطقا بمقطع الرأي في غرابة موقفه ، فكيف يكون الأزهر قد ظلمه وضاق به ؟ وهو المتحرش المهاجم الجريء ؟ !

في الجزء الثاني من كتاب الأيام فصل يكشف قضية الدكتور طه حسين ، ويفسر سلوكه الهجومى في مجتمعه تفسيراً سافراً لا يقبل

زميله الحافظ لكتاب ربه ، ماذا أريد أن أقول ؟ انى أعرف أن صياح اللغة العربية على السنة من يلتزمون العامة في أحاديث الاذاعة وبعض مقالات الصحف ، فادا حاولوا التزامها تقذفتهم الأخطاء ، وتماورتهم العجبة ، وان ضياع اللغة على هذه الصورة كان من بعض أسبابه ابتعاد المتحدثين عن حفظ كتاب الله ، ولو اتشترت كتابات تحفيظ القرآن كمهددا السابق ما انحدر مستوى التعليم في عصرنا الراهن عما نعهد من قبل ، ولو كان لدى المشرفين على حلقات الأيام التزام أدبي بمشكلات الدولة الثقافية ما تجاوزوا الواقع الى مبالغات تدعو الى التنمير من حفظة كتاب الله ، وهم بين شيئين اما أنهم لا يعرفون اتجاه الأمة نحو ضرورة اعادة هذه الكتابات، فهم منقطعون عن رصد التيسار التعليمي في مصر ، واما أنهم يقرأون ما تكتبه الصحف من ضرورة قيام هذه الكتابات بدورها الثقافي ، ويريدون محاربة هذا

تفصيل ذلك كله بقوله ص ١٢٨
من الفصل السادس عشر :

« وعلى كل حال فقد اتقسم
الصبي لنفسه ، وخرج من عزلته ،
وشغل الناس في القرية والمدينة
بالحديث عنه ، والتفكير فيه وتغير
مكانه في الأسرة ، مكانه الممنوع
ان صح هذا التعبير ، فلم يهمله
أبوه ، ولم تعرض عنه أمه وأخته ،
ولم تقم الصلة بينهم وبينه على
الرحمة والاشفاق ، بل على شيء
أكثر وأثر عند الصبي من الرحمة
والاشفاق » .

هذا الذي كتبه الدكتور عن
نفسه يفسر سلوكه المهاجم للأزهر
في جميع مراحل حياته ، فقد اتسع
له صدر الأزهر ، وتقبله مدرسه
بشاشة وعطف ، ولكنه كان يريد
أن يلفت الناس له ، فاصطنع
الخلاف ، وأثر الشقاق ، وفزع
إلى الصحف ليهاجم من يعلمونه ،
وماذا يتبقى بعد ذلك كله منهم ؟
وقد آذاهم بالباطل دون انصاف
وسنعرض شذورا مما قاله هو
وسجله على نفسه ، ليرى اتساع

أدنى شك ، فقد سطر الفصل
السادس عشر من الأيام ليقول
ما ملخصه انه رجع إلى قرية للمرة
الأولى بعد اتسابه للأزهر فلم
يجد من حماوة الاستقبال وبشاشة
الترحيب ما يجده أخوه الكبير ،
بعد رجوعه المتكرر من اغترابه في
القاهرة طالبا للعلم ، مبرزا بين
قرنائه ، وقد غاظه هذا الإهمال ،
فجمل يهاجم الناس في أفكارهم ،
فاذا تحدث فقيه الكتاب مثلا في
شيء من العلم وثب عليه واتهمه
بالجهل ، واذا قرأ والده بعض
المؤثرات هز رأسه وقال عن قراءته
انها عبث لا غناء فيه ، واذا تحدث
الناس عن علم القاضي بالمحكمة
الشرعية قال طه : انه أعلم من
القاضي بالشرع ، وأفقه منه بالدين ،
وأحق منه بالقضاء ! كل ذلك ولم
يقض في الدراسة غير سبعه
أشهر !! واذا تحدثت العامة عن
ولى شهير في اقليمه رفع الطالب
النائب صوته بما يدل على المعارضة
الشديدة ! ثم انتهى الدكتور طه

الصدر الرحب لدى كثير ممن
فسا عليهم دون مبرر .

لقد استمع الطالب الى مدرس
الحو يشرح قول المؤلف « علامة
المعل قد » قال طه : « وقد أتقن
صاحبنا - أى طه نفسه - ما أثير
حول هذه الجملة البسيطة من
الاعتراضات والأجوبة ، وأتمب
شيخه حوارا وجدالا ، حتى سكت
الشيخ فجأة أثناء هذا الحوار ،
ثم قال فى صوت حلو لم ينسه
صاحبنا قط ، ولم يذكره قط الا
ضحك منه ورق له : « الله يحكم
بينى وبينك يوم القيامة » قال
ذلك فى صوت يملؤه السام
والصجر ، و يملؤه العطف والحنان ،
وآية ذلك أنه بعد أن أتم الدرس ،
وأقبل الصبى ليثم يده كما كان
الطلاب يفعلون ، وضع يده على
كتف الصبى ، وقال له فى هدوء
وحب : شد حيلك ، الله يفتح
عليك !

فالنصبى يحاول بعد سبعة أشهر
فقط من اتسابه للأزهر وهى مدة
لا تتيح له مها كان عبقريا أن ينازل

شيخا قضى فى العلم والتدريس
أكثر من أربعين عاما !! ومن المعلوم
أن سبعة أشهر لا تجعل الطالب
بحصل مصمون متن الأجرومية
فى اتقان ، ولكن طه يعترض ويسرف
حتى يصيح شيخه « الله يحكم بينى
وبينك » ومعنى ذلك أن الاستاد
يتوجه الى من يعلم حقيقة اللجاج
ليشنى هذا المكابر عن اسرافه
لم ينتقصه الشيخ ، ولم يفض عليه
وقد اتسع المجال للتبرم ، ولكن
طه لا يرعى بل يحاول اثاره
أسأفته ، وهم راحسون ، فادا
تحدث عنهم فى هذا الفصل أخذ
يصنهم بالغبية والنميمة والدس ،
وينقل أقوال الطلاب عنهم ، وقد
نسى أن الأزهر مجتمع انسانى
يجمع أمثال طه ، وأمثال من هم
على تقيضه ! فاذا وجد الصالح
فقد وجد معه الطالح ، فقيم اللجاج
فى أمور مشتهرة ، لا يغلو منها
مجتمع من مجتمعات الحياة ؟ ومن
قال ان العلماء ملائكة لا يخطئون !
كان طه مع هذا التهجم ومقابلة
الأسأفة بما يفيظهم موضع عظمهم ،

من الطلب ، هذا الفقيه الكبير لا يثبت لمناظرته في الفقه طويلاً صغير ، لم يكده يكمل عامه الدراستين لأن دروسه في الأصول والمنطق والفقه والتوحيد ، وتصدره لدرس التفسير بعد الاستاذ الامام مما يجعل كل مناقش يقدر الخطى ولقدومه قبل أن تزل ، ولكن طه يقول عنه « وكان الفتى - يريد نفسه - ربما جادل الشيخ فأطال الجدل ، وتصايح الطلاب من جوانب المسجد الحسيني أن حبسك فقد قد القول ، فأجابه الشيخ في غنائم الطريف : لا والله لا تقوم حتى يقتنع هذا المجنون ، ولم يكن بد للمجنون من أن يقتنع ، فقد كان هو أيضاً حريصاً على أن يدرك القول قبل أن ينفد » ص ١٥٠ •

وقد تكرر الهجوم على الشيخ بخيت مرات في الأيام الأولى وبخيت أن نقاش طه بعد عام واحد من اتسابه للأزهر لأمثال الشيخ بخيت لا يتطلب ايضاح الحق ، فمهما كان معتزاً بعقله ، فهو لم يبعد عن الشاطئ في مسائل الفقه ، ولكن

يتحدث أنه أرسل للامتحان الأول ذات مرة ، ليعلو قدره ان فجع ، ويزيد عطاؤه من الجراية ، قال طه ما نصه : « وأرسل الى الامتحان ذات مساء ، ومعه كتاب الى المتحن فلما أدخل الفتى على المتحن نحياء ، وأخذ منه الكتاب فنظر فيه ، ثم ألقى عليه سؤالاً ورد الفتى جواب السؤال خطأ أو صواباً ، لم يدرك ، ولكن المتحن قال له انصرف يا علامة !! فانصرف راضياً - ص ١٤٨ » فماذا تقول في شعور الاستاذ نحو الطالب الضرير ، لم يرهقه في شيء وقال له انصرف يا علامة !! « لأنه يرى مثله موضع العطف ، وهو أولى من سواء بالمعطاء ، فقال الفتى ضعف ما يأخذ من الجراية ، وقال خزانة في الرواق للابسة وكتبه بعد هذا الامتحان الهين ؟ » والطالب بعد لجوج عنيد يعارض الاساقفة ويسرف في التهمك والاستنكار ، والشيخ بخيت المطيع من كبار فقهاء عصره ، وقد رشح لمشيخة الأزهر أيام كان طه في عامه الثاني

ثم زاد طه في اغتياب الاساتذة وفي التهجم على كبار العلماء ، وعلى أعضاء مجلس الأزهر ، بالذات تهجما سافرا أمام الطلاب في ساحة الأزهر ، حتى تطايرت الأنباء اليهم اذ ذهب أحد الطلبة الى الشيخ الأكبر فأخبره بما قال طه ورفقاؤه عن أعضاء مجلس الأزهر الأعلى ، ومنهم الشيخ بخيت ، والشيخ محمد حسنين العدوي ، والشيخ راضى ، وكانوا جميعا فى إدارة الأزهر حين بعث الشيخ الأكبر يستقدم هؤلاء الشائمين الهازئين ، فيحضرون الى مجلسه ليستمعوا ما قال عنهم الطالب ، قال طه من : ١٦٩ :

« وكان هذا الطالب ماهرا حقا ، فقد أحصى على هؤلاء الفتية كثيرا جدا مما كانوا يعيرون به الشيوخ ، ومما كانوا يعميرون به الشيخ بخيت ، والشيخ محمد حسنين ، والشيخ راضى ، والشيخ الرفاعى ، وكانوا جميعا حاضرين ، فسمعوا بآذانهم آراء هؤلاء الفتية فيهم ، وشهد طلاب آخرون بصديق هذا الطالب فى كل ما قال ، وسئل

الفتية الأصولى يفسح صدره ويصد المتضايقين من الطلاب ويقول فى ابتسام : لا والله حتى يقتنع هذا المجنون ! وأنا أسأل محبى الدكتور طه من طلابه : أكان الدكتور الكبير وهو عميد كلية الآداب يأذن لطالب فى القسم الابتدائى أن يقاطعه فى المحاضرة حتى يضيق طلابه ويتصايحوا منكربين ! ! ولو حصل ذلك حقيقة هل يصبر الدكتور على الفتى الناشئ ويدعه يسترسل فيما يجهل دون انكار ؟

لقد تعرض الدكتور مرات الى الشيخ بخيت كما قلنا ، وذكر فى ص ١٦٢ أنه مع نفر من أصدقائه « لم يكونوا يسمعون للشيخ كما كان يسمع له غيرهم من الطلاب ، وانما كانوا يسمعون ليضحكوا منه ، وليقيدوا عليه أغلامه ، وكانت كثيرة اذا اتجهت الى اللغة ، والآداب ، وليشنعوا عليه بهذه الأغلاط بعد الدرس ، وليعرضوا هذه الأغلاط على شيخهم المرفعى فيقدموا اليه مادة جديدة للتشنيع على أساتذته وزملائه من الشيوخ »

العميد ما احتمل بقاءه معه في الجامعة ؟ وما حديث الدكتور زكي مبارك معه بمنسى مجهول ؟ وهو أستاذ مثله ؟ فأين هو من هؤلاء الأعلام ! اتنا ننقل هنا ما خطه الدكتور بقلمه فلا سبيل إلى الإنكار !

ونأتي إلى سقوط الدكتور طه حسين في امتحان العالمية بالأزهر ! هذا الرسوب الذي عده السطحيون ظلما صريحا للطالب الشهير ، وباطلا متعمدا دبره الشيوخ بليل ، فإذا حللنا أحداثه تحليلًا صريحا وجدناه نتيجة طبيعية لا محيد عنها ولا منصرف ، إذ أن الطالب طه حسين قد انصرف — كما قال عن نفسه — عن دروس الأزهر انصرافا تاما حين فتحت أبواب الجامعة المصرية لمثله ، ولنظرائه من عاشقى الطريقة الحديثة في التعليم ، فهو إذن بعد انقضاء أربع سنوات من عمره بالأزهر لم يشأ أن يستفيد من دروسه شيئا وخص دروس الجامعة بكل اهتمامه وكان حينما يفرغ من دروس الجامعة لا يلزم إلا بدروس المصنفى فى الأدب

الفتية فلم ينكروا مما سمعوا شيئا ، ولكن الشيخ لم يحاورهم ، ولم يداورهم ، وإنما دعا رضوان — كاتبه — فأمره أن يمحو أسماء هؤلاء الطلاب الثلاثة من الأزهر ، لأنه لا يريد مثل هذا الكلام الفارغ .

ثم قال طه بعد كلام متصل : « ثم لم يلبث أن يتبين الفتى وتبين معه صاحبه أن شيخ الجامع الأزهر لم يعاقبهم ، ولم يمح أسماءهم من سجلات الأزهر ، وإنما أراد تخويفهم ليس غير » ص ١٧٣ .

فماذا يرى القارئ في سلوك الشيخ الأكبر وزملائه الكبار ، أمام طلاب جاهرُوا باتقصائهم ورموهم بالجهل وحب المنصب والرياء والجمود (وأقر الطلاب بما قالوا دون إنكار) ثم مال هؤلاء الكبار حقا إلى العفو والاغضاء ، لم يمحووا أسماءهم ولم ينكروا مقامهم فى الأزهر ، ورأوا فيهم ما يرى الآباء أمام نزق الأبناء ؟ غضب وغفوان ؟ أما والله لو جرؤ طالب على انتقاص الدكتور

واللغة ، فأثما عن دروس المنطق والفقه والأصول والتوحيد والوضع والتفسير والحديث فأيا تاما لا اتصال من بعده ، بل ان الصحف اليومية قد اتسعت لقمته كي ينقد دروس الأزهر الشريف وأساتذته نقدا متكررا تدفعه الى ذلك تسمه الناقمة - لا لشيء سوى الدوى والاشتهار - من ناحية ، ويدفعه الشيخ عبد العزيز جاويش الى قسوة الهجوم المتكرر على الشيوخ من ناحية ثانية ، حتى عرف القاصى والدانى كراهة الطالب للأزهر والأزهريين ١ وبعد انقضاء عشر سنوات عليه منذ التحاقه بالأزهر شاء أن يتقدم لنيل العالمية ١ وطبعى أن يستعد طالب هذه الاجازة لها فيتسلح بمعرفة كتبها المقدمة وفهم موادها العلمية ، لأن نيل العالمية بالنسبة لكل طالب - لا بالنسبة لطله حين وحده - كان فى ذلك الحين أمرا شاقا عسيرا ، بحيث لم يكن يحصل على النجاح غير أربعة طلاب فى العام الواحد ، على حين يتقدم من هؤلاء عشرون طالبا فأكثر ،

فلاختبار دقيق ، والمواد متعددة ذات صعوبة ، والأساتذة المستحون من كبار العلماء فى الأزهر ، ومن لا يعلو على آرائهم رأى بوجه أو يشير ، وقد تهيأ الدكتور طه للامتحان وهو لا يجيد غير علوم العربية وحدها ، انه يجيد النحو والصرف والبلاغة واللغة والأدب ، ولكن هناك علوما صعبة عويصة لم يجلس الى الاساتذة كي يستظهرها أو يلم بضمونها ويصل الى ما يبلغه طريق الفوز فى امتحانها ، هناك التوحيد والفقه والأصول والمنطق والحديث والتفسير والوضع والمقولات ، ولكل علم أبوابه الصعبة ولا بد أن ينجح الطالب فى العلوم جميعها بحيث لو رسب فى مادة واحدة لاستحال عليه أن يظهر بالشهادة ١ جاء الطالب الى لجنة الامتحان يسبقه تاريخه الأليم فى سب الأزهر والأزهريين ، واحتقاره الصريح لكل ما يدرسونه ويتناولون من أساليب الشرح والتقرير ، وهو بعد لا يعلم فى غير دروس العربية شيئا غير ذى بال ١ لقد كان عليه حين أراد أن يظهر باجازه

الجبالي رحمه الله ، وكان الجبالي على علم بمنزلة الطالب الممتحن ، فقابلته اللجنة بالابتسام المشجع ، وعرض عليه الشيخ الجبالي أن يختار هو ما يريد أن تناقشه اللجنة فيه من أبواب الفقه والأصول والمنطق والتوحيد فتحير الطالب ثم اختار في قلق ما رغب فيه ، فأخذت اللجنة تسأله فيما اختار ، مترفة تسأله في الأصول فلا يجيب ، وفي المنطق فلا يرد ، وكذلك في الفقه والتفسير حتى اعترف بنفسه أنه لم يلم بعلوم الأزهر ، وخرج ليكتب مقالته ، داكرا أن علوم الأزهر هذه لن تفيده ، وأن الرسوب من حقه إذ لم يجد ميلا إلى امتياعها ، فأين موقفه من موقف طه حسين ؟ ثم ماذا ؟

لقد تعرضت الحلقات التليفزيونية إلى قضية الشعر الجاهلي لتحصيل على الأزهر وزرا لم يكتسبه ، حين صورت علماءه في وضعية منكر يدين بالوصولية ، ويهادن في أمور الدين ابتغاء عرض الدنيا ، ومع أن كتاب الأيام لم يلم بقضية الشعر الجاهلي ،

الأزهر أن يستوعب علوم الأزهر أما أن يتعالى على هذه العلوم ثم يشنع على اصحابها في الصحف والمجتمعات ، ويرى من حقه أن يظمر بالنجاح فيها دون تعميق فهذا ما لا يرتضيه منصف ! ! قد يكون الدكتور صادقا فيما بينه وبين نفسه حين يميل إلى التهوين من شأن هذه العلوم ، ولكن كان عليه ألا يتقدم إلى الامتحان في علوم لا يمتدنى جدواها ، ولا يؤمن بالقائمين على تدريسها ! أما أن يسب وينقد ثم يطلب النجاح دون استعداد ، فإذا تعذر عليه واصل الهجوم والتهكم ، وكتب مقالته الشهير « ساعة بين الممائم والالحى » فهذا ما لا يرضاه منصف محايد ، يضع الأمور موضعها الصحيح .

لقد كان الدكتور زكي مبارك أقرب إلى الحق ، وأثر للانصاف من الدكتور طه حسين ، إذ تقدم الدكتور زكي مبارك لنيل اجازة العالمية مباهيا بمكاته المشتهرة في الأدب والصحافة واللغة ، وانعقدت هيئة امتحان برئاسة الاستاذ ابراهيم

المسلمين في الجامعة ثم ينتقل بقوله الى آلاف القراء حين يصدر باطله الصريح في كتاب يتداوله الناس ! ماذا كان ينتظر المسلمون من رجال الأزهر غير أن يقتوا في وجهه من يشك في حقائق كتاب الله ، ويحاول أن يزلزل عقائد الشيعة الاسلامية في الجامعة ؟ اكانوا ينتظرون أن يسكتوا عن هذا الافك الجريء ليرضوا أعداء الاسلام ، أم أنهم ينتظرون أن يهب العلماء في طليعة المستنكرين لما أريد من الطعن في حقائق القرآن ؟ أليس من العجيب أن يشور البرلمان وأن يشور أساتذة المدارس الشافعية والابتنائية ، وأن يشور أرباب الاقلام في الصحف اليومية على من ينكر صدق الحقائق القرآنية ثم يراد بعلماء الأزهر أن يلجموا أفواههم فلا تتكلم ، وأن يمنموا أقلامهم فلا تنطق ، ليرضوا طائفة من الملحدين يسرهم أن يتزعزع الاسلام في نفوس معتقيه ! لقد قام علماء الأزهر بواجب الدفاع عن القرآن تأدية لفريضة محتومة

وكان المقبول أن تقتصر الحلقات على ما جاء بالكتاب ، فان المشرفين على الاخراج شاعوا أن يتحدثوا من لندن أنفسهم عن قضية الشعر الجاهلي حديثا يوهم المشاهد أنهم ينقلون عن طه حسين ، فعرضوا شيخا أزهريا يتشدد في ضرورة مؤاخذه الدكتور طه ، ثم يتراجع حين يلوح له المستولون بعرض زائل من أعراض الحياة ، وذلك محض افتراء صارخ لم يقل به أحد ، واذا أراد القارئ أن يعرف موقف الأزهر من قضية الشعر الجاهلي فليعلم أنه موقف كل مسلم يفار على كتاب الله ، فقد تورط المؤلف تورطا منكرا حين قال في كتاب « الشعر الجاهلي » ان التوراة قد تحدثت عن ابراهيم ، وان القرآن قد تحدث عن ابراهيم ولكن حديث التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجوده ! ماذا كان ينتظر المسلمون في بقاع الأرض من الأزهر الشريف حين يرى استاذا جامعا لا يلمن الى حقائق القرآن ، بل يعلن شكه في هذه الحقائق على منبات من الطلاب

وطبعوا المنشورات وقادوا
المظاهرات ثم طلقته ظلمات
السجون فوجدوا من تلاميذهم من
حملوا الراية ، وواصلوا الجهاد ؛
لو علم هذا المتجريء على الأملار
كم بذل هؤلاء الاخير من قوتهم
وأموالهم ودماء أبنائهم في نصرة
الحرية ، ما أخرج هذا المشهد الآفك
الذي ابتكره خياله الضال ، ليؤذي
حملة الدين وحياة القرآن ؛ فكان
من الآفكين المفترين ، واني أحذر
هؤلاء البغاة أن يمدوا لمثل هذا
التخرص الكاذب على العلماء مرة
ثانية لأن الايفال في الباطل لن
يترك دون ثأر يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه .

« ان الذين يحبون أن تشيع
الفاشة في الذين آمنوا لهم عذاب
أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم
وأنت لا تعلمون » . صدق الله
العظيم .

د. محمد رجب البيومي

أناطها الإسلام بأغناقتهم اذ كانوا
حملة شريعته ومفسري قسركه ،
ورسل هدايته الى الناس ؛ ولم يكن
من بينهم من تراجع عن موقفه لينال
منصبا دنيويا حقيرا كما شاء المخرج
أن يقتري على الشرفاء بغيا دون
حق ، ولو علم هذا المتجريء على
الأملار أن علماء الأزهر هم الذين
أوقدوا ثورة سنة ١٩١٩ وفتحوا
صدورهم لنيران المدافع حين
تزعوا الثورة المصرية أثناء اعتقال
سعد وصحبته حتى كان منبر
الأزهر أداة الاعلام خلال هذه الثورة
العظيمة وحتى اشتهر أسماء خطبائه
الكبار من أمثال علي سرور
الزككوني ومحمود أبي الميون
ومحمد عبد اللطيف دراز ،
ومصطفى القاياتي وابراهيم سليمان
ومن لا نحصى من هؤلاء الأملار
من جاوزوا القول الى العمل
فألقوا اللجان وجمعوا الأموال

اللغة الأردية :

نشأتها وتطورها

للدكتور سمير عبد الحميد ابراهيم

- ٢ -

الاصول اللغوية

الهند ، تملئ اكتشاف آثار حضارة
يبدو أنها أقدم عهدا من أية
حضارة أخرى يعرفها المؤرخون .

وقد اكتشفت هذه الآثار في
وادي « موهن جودارو » على
الصفة الغربية لنهر السند

(بباكستان) وتنهض الدلائل على
أن « موهن جودارو » كانت في
ذروتها حين شيد خوفو الهرم
الأكبر وعلى أنها كانت تتصل مع
سومر وبابل بصلات تجارية
ودينية وكان العالم « جوز » قد
أدهش - قبل ذلك - دينا العلم
حين أعلن أن اللغة
« السنسكريتية » متعده في أصولها
مع لغات أوروبا ، وتكاد هذه
التسائج تكون البداية الأولى
لعلم اللغات ، وفي سنة ١٨٠٥ م

عرضنا في المقال السابق نبذة
مختصرة عن تاريخ شبه القارة
الهندية الباكستانية وركزنا على
المناطق التي نشأت فيها اللغة
الأردية ، كما أوضحنا أثر الاسلام
والعوامل المؤثرة في نشأة اللغة
وتطورها .

ونناقش الآن في مقالا الحالي
الاصول اللغوية للغة الأردية . فرغم
أنها لغة نشأت حديثا ولا يتجاوز
عمرها خمسمائة عام الا أن جذورها
تمتد عبر التاريخ الطويل للمنطقة
فلا يعقل أن تنشأ لغة في سنوات
قليلة بل يحتاج هذا الى فترة
طويل لا يمكن تحديدها بنسبة
معينة أو وقت معين .

في سنة ١٩٢٤ م اهتزت دنيا
العلم الجديدة بأبناء جاءتها من

السنسكريتية التي اتخذت صيغة دينية خالصة بينما أطلق على لغة الحديث اسم « براكرت » أو اللغة البراكرتية .

وقبل أن نتحدث عن هذا الازدواج اللغوي — ان صح هذا التعبير — نقف قليلا على منطف التاريخ اللغوي في شبه القارة . فنقول ان اكتشاف اللغة السنسكريتية أحدث انطلاقة في البحث في مختلف اللغات ، فقد وجد الأوربيون في التراث الهندي أول دراسة وصفية للغة من اللغات ، وبدأت الدراسات اللغوية الحديثة بمقارنة اللغة السنسكريتية باللغة اليونانية واللغة اللاتينية .

ترجع هذه اللغة في أصولها الى مجموعة اللغات الهندو أوروبية ، وقد ازداد الاهتمام بدراسة هذه المجموعة اللغوية في القرن التاسع عشر (٢) ويرى معظم علماء اللغة أن موطن أسرة اللغات الهندو

كتب « كوليرول » عن الأدب الهندي كما نشر « برنوف » مقالته في اللغة البالية عام ١٨٢٦ م وهي اللغة التي كتبت بها وثائق البوذية ، ثم خصص « رايس ديفندر » كل حياته لمرض الأدب البوذي وهكذا بدأت الدراسات عن الاصول اللغوية في شبه القارة .

من العجيب أن تظل الكتابة ضئيلة القدر جدا في التعليم الهندي حتى القرن التاسع عشر ويمكن أن يكون مرجع ذلك الى أن الكهنة لم يكن في صالحهم أن يجعلوا من النصوص المقدسة سرا مكشوقا للجميع وقد كان التعليم الشفوي هو وسيلة الاحتفاظ بتاريخ البلاد وشعرها ووسيلة نشرها بين الناس (١)

ومن هنا وجد الازدواج اللغوي في الهند قديما ، لغة مكتوبة يعرفها الخاصة ، ولغة منطوقة غير مكتوبة يتحدثها الناس ويتعاملون بها ، كانت اللغة المكتوبة هي اللغة

(١) ولي ديورانت ، قصة الحضارة ج ٣ . ط الثانية ١٩٥٧

ترجمة د. زكي نجيب محمود

(٢) د. محمود حجازي ، اللغة العربية عبر القرون ط القاهرة

وهي تعد مرحلة من مراحل تطور مجموعة اللغات الهندوأوربية ثم تطورت الى مرحلة ثالثة ليطلق عليها اسم مجموعة اللغات الهندوأوربية .

ظهرت مجموعة اللغات الهندوأيرانية قبل مولد المسيح بالقرن الخامس . وتبعثر الناطقون بها فوصل بعضهم الى إيران وتطورت لغتهم ، واتجه البعض الآخر الى الهند ، وتطورت لغتهم هي الأخرى ، فاللغتان في أصلهما كانتا لغة واحدة ولهذا يوجد بينهما تشابه واضح . وتمثل « الأوستا » Avesta أو كما كان يطلق عليها العرب « الاستاق » الكتاب الديني للباريسيين أهم أشكال اللغات الهندوأيرانية ، كما أن اللغة الفارسية الحالية متخضة عنها بعد أن مرت بالعديد من مراحل التطور .

تطورت المجموعة الهندوأيرانية وانتشرت في ثلاث صور تمثلت الأولى في اللغة الأيرانية وتحدثها

أوربية ليس آسيا الوسطى بل هو وسط أوروبا ، وقد انقرضت عقد هذه الأسرة ، ويرى « براندستين » أن الاختلاف بين اللهجات الهندوأوربية لم يكن كبيرا كما أنها لم تكن تمثل مجموعة بذاتها ، ثم انتقل الناس وثرقوا واتخذوا لأنفسهم مواطن متباعدة ومن هنا اتسعت اللهجات وتطورت الى درجة أن أصبحت لغات منفصلة ، وما يهنا هنا هو أن سكان وسط آسيا وسكان وسط أوروبا كانوا يتحدثون لغة تتجت عنها جميع اللغات الهندوأوربية .

وجميع العلماء يتفقون على أن اللغة الدراورية والآسترك - وهي أهم لغات أوروبا وآسيا - فروع من أسرة المجموعة الهندوأوربية ، وقد خرجت منها اللغة الانجليزية والفرنسية والالمانية والايطالية وغيرها ، وترتبط اللغة الأيرانية والطورانية والارمينية وغيرها بعلاقة وطيدة معها . ومن أهم فروع مجموعة الهندوأوربية نذكر مجموعة اللغات الهندوأيرانية لأنها ترتبط ارتباطا وطيدا ببحثنا هذا .

الأولى السنسكريتية ، والثانية البراكرت والثالثة البهاشا ، التي تطورت الى الهندوستانية أو الأردية كما ذكرنا . وهكذا قسم الدكتور محيي الدين قادري - وهو عالم لغوى له عديد من الأبحاث المنشورة بباكستان والهند - أيضا هذا التطور اللغوي فأطلق على المرحلة الأولى « ويدى أو سنسكرت » وعلى المرحلة الثانية « براكرت » وعلى المرحلة الثالثة « بهاشا » .

كان من أسباب انتشار البراكرتية أنها تمثل لغة الشعب في حين اقتصرَت السنسكريتية على رجال الدين والعلماء وكان التقسيم الطبيعي داخل الهند لا يسمح لغير علماء الدين والعلماء بتعلم السنسكريتية ومن هنا ظلت هذه اللغة مخنوقة داخل المعابد بينما تأثرت البراكرتية بالثقافات المختلفة داخل الهند واتجت مجموعة من اللهجات أطلق عليها اسم « بهاشا » .

أهل إيران ، ولغة بشاجة أو بشياجة ويتحدث بها أهل كشمير ومن حولها ، والصورة الثالثة تمثلت في الهندوآرية ، وكانت تروج بين أولئك الآريين الذين وصلوا الى الهند حاملين ميراثا لغويا يضمهم جميعا ، ومن هنا بدأت اللهجات الهندوآرية التي تمخضت عنها اللهجات المحلية التي يطلق عليها اسم « براكرات » تلك اللهجات التي تطورت وتجتج عنها لغة « برج بهاشا » التي أتجت لنا فيما بعد اللغة الهندوستانية أو الهندية أو اللغة الاردية التي هي موضوع دراستنا هذه .

ويقسم علماء اللغة مراحل تطور اللغة الهندية الآرية الى ثلاثة أطوار عبر عنها العالم الهندى الدكتور « سنيتى كمارجرجى » بالهندية الآرية القديمة (ما قبل عام ٦٠٠ ق م) ، والهندية الآرية الوسيطة (من ٦٠٠ ق م حتى ١٠٠٠ م) وأخيرا الهندية الآرية الجديدة (سنة ١٠٠٠ م حتى العصر الحاضر) ، ويقصد بالمرحلة

للأجيال التالية وبدأ مسلمو شمال الهند في احتضان اللهجات الهندية الآرية في القرنين السادس عشر والسابع عشر بشغف ونهم ، وتولدت نتيجة عن هذا في ق ١٧ ، ١٨ اللغة الهندية أو الهندوستانية (الهندوستانية) وهي الأردية (بشكلها الاسلامي) ، وكان مولد هذه اللغة بمثابة معاهدة أملت لها الظروف فقد بدأ رجال التصوف في نشر أفكارهم بواسطة هذه اللغة وسط المناطق التي لا يعرف أهلها اللغة الفارسية وذلك حوالي ١٥٠٠ م حين قام كل من « ملك محمد جاسي » (متوفى ١٥٤٥ م) « وشاه برهان الدين جاني » (متوفى ١٥٨٢ م) وغيرهما في استخدام اللغات الاقلية للتعبير عن أفكارهم في سبيل نشر الاسلام بين سكان الهند وهذا هو السبب في بقاء حوالي ٥٠٪ من الألفاظ السنسكريتية داخل بعض اللغات الهندية الآرية الراجحة بشبه القارة الهندية الباكستانية حتى اليوم .

ويتفق الباحثون جميعا على أن هذا التطور اللغوي قد نتج عن دخول المسلمين الهند ، من الشمال والشرق في أواخر القرن العاشر الميلادي ، حتى الباحثون الهناكية لم يتمكنوا من اخفاء هذه الحقيقة فيقول سنيتي كمارجرجي (١) : « لو لم يفتح المسلمون الهند لتطورت رغم هذا اللغات الهندية الآرية ولا يريد الرجل أن يعتمد عن الحقيقة حتى لا يفقد مكاتته كباحث فيتراجع قليلا عن رأيه قائلا : « .. ولكن لم يكن لهذه اللغات أن تحصل على مكاتتها الأدبية العالية ... فقد كانت تحتاج الى فترة طويلة من الزمان لتصل الى ما وصلت اليه » .

ويقول الدكتور مسعود حسين خان وهو من علماء اللغة بالهند : « بعد دخول المسلمين الهند ظهرت الى الوجود حضارة جديدة وثقافة جديدة ونشأت لغة جديدة ، فقد قام المسلمون بجمع متفرقات السنسكريتية ليجعلوا منها لغة جديدة للهند ، وأخذوا يعلمونها

(١) في كتابه « الهندية الآرية واللغة الهندية » (بالاردية) .

حين بدأ استخدام الخط العارسي (العربي) في كتابة تلك اللغة الهندوستانية ومع هذا فلم تبعد هذه اللغة الهندوستانية الدكنية عن لغة الهنادكة العامة ويتضح هذا في أشعار السلطان الشاعر محمد قلى قطب شاه سلطان كولكنده (متوفى ١٦١١ م) ومعاصريه من الشعراء المتصوفة ، تلك الاشعار التي تحمل نسبة كبيرة من الألفاظ الهندية والسنسكريتية الخالصة .

وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر بدأ الأدباء والشعراء أصحاب الاتجاه التغريسي أحداث ثورة في بيان اللغة الاردية ومزاجها حتى أن بعض علماء اللغة الهنادكة أطلقوا على الاردية اصطلاح « لغة المسلمين الهندية » .

النظريات المختلفة لنشأة اللغة الأردية

يستلزم الحديث عن نشأة اللغة الاردية وتطورها عرضا سريعا لأحداث النظريات المتعلقة بنشأة اللغة الأردية وحين نقول الأردية فأننا نقصد أيضا الهندوستانية أو كما قال أحد العلماء الهنادكة

احتلت اللغة الفارسية في ذلك الوقت مكانة عالية في الهند نتيجة لكونها اللغة الرسمية للحكومة وحاول الهنادكة بدورهم إجادتها حتى ينالوا الوظائف الراقية داخل بلاط السلاطين وساعد ذلك على رقي اللغة المختلطة (من الفارسية والأردية) واتخذ رقيها طريقا سريعا ، وبدأت الألفاظ الفارسية تحتل مكائتها داخل اللغة الأدبية الهندية ، وحتى القرن الثامن عشر والتاسع عشر لم تحدث بالهند أية محاولة منظمة لتغريس وتقريب ذخيرة ألفاظ اللغات الهندية الآرية ، رغم أن ملك محمد جائسي كتب (منتصف ق ١٦) قصة صوفية بلغة تختلف عن اللغة التي استخدمها « تلس داسي » في كتاباته والسبب هو أن « جائسي » استخدم عناصر اللغة البراكرتية أكثر من « داسي » لأن « داسي » كان بنفسه علما من علماء السنسكريتية ولم يكن هذا متوفرا « لجائسي » في الدكن (نهاية ق ١٦) ازداد تأثير الفارسية على اللغة الهندوستانية (الاردية) الدكنية

داخل اللهجات المتعددة الهندية الآرية المتخفضة بدورها عن لهجة « شورسيني و آب بهرنش » الرائجة حول دهلي . الا أن الفرق الواضح في الأسماء والأفعال والصفات ، وكذلك في الأصوات بين الأردية ولهجة « برج بهاشا » يجعلنا نتردد في قبول هذه النظرية ونرفض القول بأن لهجة « برج بهاشا » هي بمثابة الأم التي ولدت الأردية ، وقد أشار الدكتور شوكت سبزاوري (١) الى التقارب بين الأردية « و برج بهاشا » ومثل هذا التقارب بأن اللغتين شقيقتان وليست لهجة « برج بهاشا » بأم للأردية ، ومن هنا يمكن القول بأن الأردية الأخت الصغرى قد استفادت كثيرا من لهجة « برج بهاشا » الأخت الكبرى وخاصة ابتداء من زمان « اللودهيين » وحتى زمان شاه جهان (١٦٤٧ م) فبعد هذا الزمان بدأت ملامح اللغة الأردية في الوضوح وابتعدت كثيرا عن « برج بهاشا » من الناحية الصوتية واللغوية .

« لغة المسلمين الهندية » ويعد العالم الفرنسي جارسان دي تاسي من أوائل من كتبوا عن تاريخ الأدب الهندوستاني في شبه القارة كما نشر كل من جون جلكرائيست وشكسبير وفاربس واستيوارت وغيرهم أبحاثا عن هذه اللغة ومن علماء شبه القارة يصادفنا مبرأمن في مقدمته لكتابه « باغ وبهار » أي العذيق والريبع وكذلك ما كتبه العالم الاديب محمد حسين آزاد في مقدمة كتابه بالأردية (آب حيات) أي ماء الحياة وهو في تاريخ اللغة والأدب الأردي وكذلك أضاف سيد أحمد خان بعض الأفكار الجادة فيما يتعلق بنشأة هذه اللغة .

وقد أشار آزاد في كتابه أن لهجة « برج بهاشا » هي المنبع الذي خرجت منه الأردية ، ففي الوقت الذي كانت فيه الأردية لا تزال في مهدها كانت لهجة « برج بهاشا » قد وصلت الى مرحلة الاكتمال « و برج بهاشا » لهجة ظهرت من حيث تركيبها وبنائها من

(١) شوكت سبزاوري : اردوزبان كارتقاط الهند (باللغة الاردية) .

كان لا بد من وجود العناصر العربية ويرى البعض الآخر أن المسلمين أقاموا بالسند عدة قرون وعلى أرضه ظهرت هذه اللغة الجديدة التي أطلق عليها فيما بعد « اللغة الأردنية » وهذه النظرية لا يمكن قبولها لأن النماذج الأولى للغة السندية ملوثة بالتأثيرات العربية وهذا من الناحية اللغوية يتعارض مع نشأة اللغة الأردنية .

ومن ناحية أخرى كتب البروفير محمود شيرواني أن اللغة الأردنية أقرب إلى اللغة البنجابية منها إلى لغة « برج بهاشا » وهو يرى أن التطور النحوي والصرفي لكل من البنجابية والأردنية متماثل إلى حد كبير وأن اللغتين تشتركان معا من حيث التغير اللفظي والصوتي ، فحين غزا محمود الغزنوي في أواخر القرن العاشر الميلادي البنجاب ترك هذا الغزو أثره على المنطقة لفترة زادت على مائتي سنة .

وخلالها ظهرت إلى الوجود لغة جديدة عرفت فيما بعد باسم اللغة

وقد عرض العديد من العلماء مثل جريسن وسيتي كما رجترجي، وده احتشام الحق وده شوكت سبزاوري وده محبي الدين قادري زور وبروفر محمد شيراني وده مسعود حسن خان وغيرهم .

نظريات وأفكار مختلفة تجمع كلها على أن ظهور اللغة الأردنية كان نتيجة لاختلاط الهنادكة بالمسلمين إلا أنها اختلفت في مكان هذا الاختلاط وكيفيته وبالتالي في النتيجة التي وصلت إليها هذه النظريات فالبعض يرى أن بداية اللغة الهندوستانية كانت في الدكن ، فحين قدم التجار المسلمون إلى الهند عبروا سواحل مالابار واستقروا حولها وهنا وضع حجر أساس لغة جديدة نتيجة لاختلاط الهنادكة والمسلمين ، وكانت هذه اللغة هي الصورة الابتدائية للغة الأردنية إلا أن هذه النظرية ضعيفة فاللغة الأردنية آرية ، كما أن مالابار وما حولها خضعت لتأثير اللغات الدراورية ، فلو أن الأردنية بدأت من هناك لكانت آثار اللغات الدراورية واضحة عليها وكذلك

السلطان محمد الغوري لدلهى ، وكانت اللغة الهندية تروج في دهلى ومن هنا حدث التزاوج بين الفارسية والهندية لتولد بالتالى اللغة الأردية وظل أثرها ينتشر مع بداية القرن الثانى عشر الهجرى ، وحتى زمان حكومة محمد تغلق أى القرن الرابع عشر الهجرى ، وحين انتقلت العاصمة من دهلى الى الدكن انتقلت اللغة بالتالى الى الدكن . ولكن هذه النظرية غير مقبولة لأن المخطوطات الأردية القديمة يرجع تاريخها الى ما قبل دخول المسلمين لهذه المنطقة .

وعلى كل حال فإن ظهور لغة كاللغة الأردية لا يمكن أن يكون تم فجأة أو بالطريقة السريعة التى يعرضها أصحاب النظريات المختلفة ، ولكن ظهور مثل هذه اللغة لابد وأن يكون نتيجة حتمية لحركات حضارية وسياسية على مدار المئات من السنوات ولا يمكن القطع برأى فيما يتعلق بالنسبة التى ظهرت فيها حتى اللغات التى كوئت نواة اللغة الاردية الا أن

الاردية ، وما بذله الاستاذ محمود شيروانى لاثبات نظريته كشف النقاب عن الكثير من مراحل تطور اللغة الأردية في مراحلها الأولية الا أن قضية اعتبار البنجابية هي المنبع الذى خرجت منه الأردية لا يمكن التسليم بها لعدة اعتبارات منها الفرق الواضح بين الأردية والبنجابية من حيث لهجة كل منها كما أن التحليل اللغوى لكل من اللغتين يوضح أن الأردية قد أعطت البنجابية الكثير وسبقتها من حيث التطور الصرفى أيضا وليس من الضرورى قبول هذه النظرية لأن العلامة المصدرية « نا » موجودة في كل من اللغتين ولأن الاسم والفعل والصفة تنتهى بآلف ، لأن هذا ليس من خصائص البنجابية والأردية فقط فتشترك معهما اللغة الهريانية ، بينما نرى اشتراك لهجة كهري بولى وهى من لغات الهند الغربية مع الهريانية في كونه الاسماء والأفعال والصفات تنتهى بآلف .

وهناك نظرية تقول بأن أثر الفارسية قد ازداد بعد فتح

الأردية والهندية بالمفهوم الحاضر وخضعت اللغة الأردية في تطورها خضوعاً تاماً للتطور التاريخي لشبه القارة الهندية وتركت التغيرات الاجتماعية والسياسية للهند أثرها العميق على اللغة الأردية وهكذا يمكن القول أن اللغة الأردية ليست لغة دخيلة على الهند ولم تظهر في السند ولا في الدكن ولم تنشأ من البنجابية أو البرج بهاشا ، ولكن التقاء الألفاظ الفارسية العربية واللهجة الغريبة الهندية المسماة كهري بول مع اللهجات الرائجة حول دلهي أنتج لغة جديدة أثرت عليها البنجابية تأثيراً كبيراً في البداية وبالتدريج تسلت لهجة كهري بولي داخل أبواب الأردية . وكان لها مكانة خاصة في بلاط الملوك المسلمين ومن هنا نالت أهمية كبيرة أما صورة كتابة اللغة الأردية ومتى بدأت وكيف نشأت وتطورت ؟ فهذا ما سأناقشه في المقال التالي إن شاء الله .

د. سمير عبد الحميد إبراهيم

نماذج هذه اللغات المثلة في اللغة البراكرنية ولغة آب بهرائشي ترجع إلى القرن الرابع عشر بل الخامس عشر الميلادي ، الفترة التي بدأت فيها اللهجات الجديدة تبرز إلى حيز الوجود ، وسيطر المسلمون على السند والبنجاب ، ومن هنا جاء تأثير الفارسية على هذه المناطق أما أين ازدهرت هذه اللغة ؟ أو أين ظهرت نتائج التفاعل الذي أنتج هذه اللغة التي عرفت فيما بعد بالأردية ؟ فيمكن ترجيح منطقة دلهي وما حولها ، نظراً لما تتميز به من موقع جغرافي ، فقد كانت هذه المنطقة بؤرة للغات واللهجات المختلفة مثل : برج بهاشا ، هرياني ، كهري بول وميواتي (وهي لهجة منطقة راحتهاني) ولأن اللغة البنجابية قريبة من هذه اللهجات الهندية الغريبة فهي تماثل اللغة الأردية والدكنية القديمة وفي العهد المغولي ازداد تأثير برج بهاشا وكهري بول وتراجع تأثير البنجابية إلى حد ما . ومن هنا نشأت اللغة الهندوستانية التي تضم كلا من

النظرية الإسلامية في المخابرات الحربية

للواء محمد جمال الدين محفوظ

وتناط هذه المهمة الخطيرة
(الحصول على المعلومات عن
الدول الأخرى بأجهزة المخابرات
(أو الاستخبارات) •

مفهوم المخابرات :

هناك تعاريف متعددة للفظ
المخابرات كما يلي على سبيل
المثال :

✽ المخابرات : هي المعرفة والعلم
بالمعلومات التي يجب أن تتوفر
لدى كبار المسؤولين من المدنيين
والعسكريين ، حتى يمكنهم العمل
لتأمين سلامة الأمن القومي •

✽ المخابرات : هي نتيجة جمع
وتقييم وتحليل وتفسير كل ما يمكن
الحصول عليه من معلومات عن أى
ناحية من النواحي لدولة أجنبية أو
مناطق العمليات والتي تكون لازمة
لزوما مباشرا للتخطيط •

ان أخطر ما تعرض له الأمم ،
أن تؤخذ على غرة • • تلك حقيقة
لا تنازع ، ويشهد بها التاريخ
الحربى على مر العصور •

ولعل أقرب الأمثلة التاريخية الى
الاذهان ذلك الهجوم اليابانى
المفاجئ على « بيرل هاربر » خلال
الحرب العالمية الثانية ، والذي كان
له وقع الكارثة على الولايات
المتحدة الأمريكية اذ فقدت بسببه
جانبا لا يستهان به من أسطولها
البحرى وقت الحرب •

من أجل ذلك كان من الضرورات
الحיוية لأمن الأمة وسلامتها فى
حاضرها ومستقبلها أن تحصل على
أكبر قدر من المعلومات عن الدول
الأخرى وخاصة الدول المعادية لها
أو تلك التى تدخل فى عداد
« العدو المحتمل » •

✱ المخابرات : هي الخطة المتناسقة المدروسة والموجهة لاستخدام كل الوسائل المتيسرة للحصول على كافة أنواع المعلومات وتصنيفها وتقديرها ، لامداد المسؤولين بالحقائق والتقديرات الواقعية في الوقت المناسب لوضع استراتيجية للدولة ، ورسم سياسات معينة ، ولاتخاذ القرارات السليمة التي تكفل سلامة الأمن القومي للدولة ، وللمعمل ضد عمليات المخابرات المعادية لمنعها من إلحاق الضرر بالدولة في أية صورة من الصور .

ومن هذه التعاريف يمكن استخلاص العناصر التي تنطوي عليها المخابرات وهي :

(١) الحصول على المعلومات عن العدو .

(٢) فرز وفحص وتقييم هذه المعلومات وتقدير مدى صحتها .

(٣) تفسير هذه المعلومات واستخلاص النتائج المفيدة منها .

(٤) امداد المسؤولين بهذه المعلومات والنتائج المستخلصة منها .

(٥) الاستفادة من هذه المعلومات وما يستخلص منها في التخطيط واتخاذ القرارات .

(٦) مقاومة أعمال مخابرات العدو .

ارتباط المخابرات بالأمن :

لا مراء أن السعى للحصول على المعلومات عن العدو (وهو عمل المخابرات) يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإجراءات الوقاية من نشاط المخابرات المعادية ، ويعتمد نجاح كل من المهمتين بدرجة كبيرة على الأخرى . إذ كيف تصور أننا نسعى للحصول على معلومات عن العدو لكي تتمكن من مفاجأته مثلاً ، بينما ترك الفرصة لمخابرات العدو تحصل على ما تريد من معلومات عنا وعن نوايانا ؟ انه لأمر بدهي أننا بذلك لن نحصل على المفاجأة على الإطلاق .

وبسبب هذا الرباط الوثيق بين المخابرات والأمن فإن العلم

ويحتوى تقرير اللجنة التى شكلتها الحكومة الامريكية عام ١٩٥٥ لدراسة وتقييم نشاط المخابرات الامريكية والتى عرفت بلجنة هوفر ، كثيرا من الدروس فى هذا المجال نذكر منها ما يلى :

« لقد كان الهجوم المفاجيء على بيرل هاربور هو الذى خلق ادارة المخابرات كما أن التحقيق الذى أجري بعد الحرب ، أثبت أن عدم وجود مخابرات قوية كان هو سبب الفشل الذى منيت به القوات العسكرية من حيث عدم حصولها على ائذار حاسم وسريع تستطيع به عرقلة « الهجوم اليابانى » .

أنواع المخابرات :

وتنقسم المخابرات بالنظر الى المستوى والمجال والتأثير الى نوعين :
مخابرات استراتيجيية ومخابرات تكتيكية .

❖ فالمخابرات الاستراتيجية :

تتعلق بالمعلومات المتعلقة بالمسائل الكبرى مثل المعلومات عن نوايا الدولة الاجنبية (أو العدو) وقدراتها

العسكرية يقسم نشاط المخابرات الى نوعين هما :

الاول : وهو النشاط « الإيجابي » : للمخابرات الذى يستهدف الحصول على المعلومات عن العدو .

والثانى : وهو النشاط « الوقائى » للمخابرات أو ما يعرف « بالمخابرات الوقائية » أو « المخابرات المضادة » وهو يمبر عن كل ما يتعلق بمواجهة نشاط مخابرات العدو مثل حرمانه من الحصول على المعلومات والأسرار ومنع التجسس وكشف أعمال الخيانة الى غير ذلك مما يؤدى الى الاضرار بالدولة .

وبذلك تتضح لنا أهمية المخابرات وعلاقتها المباشرة بأمن الدولة وسلامتها ويمبر عن هذا المعنى بكل وضوح قول الجنرال آيزنهاور عام ١٩٥٩ م :

« ليس هناك فى سياسة الولايات المتحدة ما هو أهم من جمع المعلومات بواسطة المخابرات » .

✽ **والجيش :** يجب أن يعرف فدرا معيناً من هذه المعلومات بحسب ما يراه القائد لازماً ، حتى يدخل رجاله المعركة بخطى وثقة وقلوب ثابتة ، أما إذا حارب الرجال في موقف يلفه الغموض والجهل « بما وراء التل » فسوف تضعف قدراتهم وكفاءتهم القتالية الى حد كبير فضلاً عن تعرضهم للمفاجأة أو الخسائر الشديدة في الارواح والمعدات وللهزيمة في النهاية .

٢ - المخابرات من أسباب القوة :

وعلى أساس أن معرفة المعلومات عن العدو مطلب حيوي للتخطيط السليم والقتال أيضاً ، تصبح المخابرات من أسباب القوة ومظهراً من مظاهرها . يقول الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » (الأقال ٦٠) .

٣ - المخابرات مطلب أساسي للرباط :

وهي أيضاً أساس الرباط الذي أمر به الإسلام في الآية السابقة ، وفي قوله تعالى : « يا أيها الذين

المسكينة والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمعنوية ، وعن مواطن الضعف والقوة لديها .

✽ **والمخابرات التكتيكية :**

تتعلق بالمعلومات ذات الطابع المحلي المحدود أو ذات طابع التخصص في ناحية محددة .

المخابرات العسكرية الإسلامية :

وترشد المدرسة العسكرية الإسلامية الى عدة مبادئ وقواعد تشكل في مجموعها نظرية كاملة ومحكمة للمخابرات الحربية :

١ - المخابرات ضرورة حيوية للتخطيط والقتال :

وذلك بعض ما يفهم ويستوحى من قوله تعالى : « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سوياً على صراط مستقيم » (الملك ٢٢) .

✽ **فالقائد :** يجب عليه أن

يحصل على أكبر قدر من المعلومات عن عدوه من حيث قوته وأسلحته وقدراته وأوضاعه وحركاته ونواياه ، حتى يكون تخطيطه للمعركة سليماً وعلى أساس متين .

✽ وروى الطبراني عن أنس ابن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من رابط ليلة حارسا من وراء المسلمين كان له مثل أجر من خلفه ممن صام وصلى »

٤ - المخابرات من مظاهر الحذر واليقظة :

ويقرر الاسلام أن المخابرات من مظاهر الحذر ودليل عليه لمنع العدو من المفاجأة وهو ما أمر به الاسلام فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا خذوا

حذركم » (النساء ٧١) • وقوله جل شأنه : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا » (المائدة ٩٢) •

٥ - المخابرات توفر الانذار :

والمخابرات - بما توفره من معلومات عن نوايا العدو وحركاته - توفر الانذار المبكر للقيادة لكي تستمد وتتخذ اجراءات المواجهة اللازمة وتموت على العدو هدفه • يقول الله تعالى : « ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » (التوبة ١٢٢) •

آمنوا اصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (آل عمران ٢٠٠) •

والرباط والمرابطة حراسة ويقتطع وتأهب لرد عدوان العدو ، ولا يتم ذلك بنجاح وفاعلية الا بمعرفة ما يدور على الجانب الآخر (جانب العدو) ولذلك كان الرباط نوعا من الجهاد له وزن كبير وشأن خطير فى تقدير الاسلام كما يظهر من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم :

✽ عن سهل بن سعد رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » (أخرجه الشيخان) •

✽ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : :

« عينا لا تمسها النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » (رواه الترمذى) •

٦ - المخابرات وقاية من الخطر والهلاك :

والمخابرات - بما تؤديه من دور مزدوج بتوفير المعرفة عن العدو ، ومقاومة أعمال مخابراته - تحقق الوقاية للأمة والجيش من الهزيمة أو المسلاك ولذلك فإن إهملها أو التراخي في ممارستها إنما هو تعرض للأمة للهلكة وهو ما نهانا الإسلام عنه في قوله تعالى :

« ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » (البقرة ١٩٥) •

وقد جسد القرآن الكريم عواقب الفعلة والاضرار البالغة التي يتعرض لها المسلمون من جرائمها ، في قوله تعالى :

« ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » (النساء ١٠٢) •

المخابرات الاستراتيجية في عهد النبوة :

أولا - العيون والأرصاد :

كان للنبي صلى الله عليه وسلم عيون وأرصاد خارج المدينة يبلغونه

بالمعلومات عن كل ما يتعلق بغير المسلمين وله علاقة بأمن المسلمين وسلامتهم :

(١) ففي مكة (مركز قریش الرئيسی) وهي تبعد عن المدينة بحوالی ٤٠٠ كيلومتر ، كان عمه العباس ، وبشير بن سفيان العتكي •

(٢) وكانت له عيون وأرصاد في القبائل العربية الأخرى في أنحاء شبه الجزيرة العربية فكان منهم مثلا عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي في قبيلة هوازن •

(٣) وكانت له عيون وأرصاد أيضا في بلاد فارس وبلاد الروم (بيزنطة) •

ثانيا - أمثلة للمخابرات الاستراتيجية :

ومن أمثلة نشاط المخابرات الاستراتيجية في عهد النبوة ما يلي :

(١) قبل غزوة أحد أرسل العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم (وكان من رجال مخابراته

مخابرات الأعداء على المستويين الاستراتيجي والتكتيكي معا ، وذلك على الرغم من أن حفر الخندق استغرق عشرين يوما في المتوسط كانت كافية جدا لرجال المخابرات لكشفه والاعلام عنه . وتدل تلك الواقعة كذلك على كفاءة « المخابرات الوقائية » للمسلمين وعلى مدى كتمانهم لسر خطتهم الحربية وحرمان العدو من الحصول على معلومات عنها . وهذا ما عبر عنه خير المخابرات والجاسوسية العالمى لاديسلاس فاراجو في قوله (١) : « عندما قرر المكيون (قريش) أن يتخلصوا من محمد عليه الصلاة والسلام نهائيا ، عباوا ضده قوة تتكون من عشرة آلاف مقاتل ، ولم ينزعج النبي ، لأنه كان قد ترك في مكة عملاء أكفاء أبلغوه بخطط أعدائه ، أما خصومه فلم يكن لهم صلاء عنده ، ولذلك فعندما وصل المكيون الى المدينة ، أفعلهم أن

في مكة كما تقدم) رسالة يخبره فيها عن وقت خروج قريش لقتاله وعن عدد قوات قريش ، فأسرع حامل الرسالة بإيصال تلك الرسالة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى انه قطع المسافة بين مكة والمدينة في ثلاثة أيام ، فلما قرأ أبى بن كعب الرسالة على النبي طلب ألا ييوح بمضمونها لأحد . (٢) وقبل غزوة الخندق التي جبا فيها المشركون عشرة آلاف مقاتل عدا اليهود لمهاجمة المدينة كان النبي صلى الله عليه وسلم على علم بنوايا أعدائه من خلال رجال مخابراته في مكة والقبائل العربية ، وقد حذر المسلمون خذقا حول المدينة كان مفاجأة للمشركين لما رأوه حتى قالوا : « والله ان هذه لمكيبة ما كانت العرب تكيدها » . وهذه الواقعة لا تدل على يقظة وكفاءة مخابرات النبي الاستراتيجية التي عرفته بنوايا أعدائه مبكرا فحسب ، بل تدل كذلك على عجز

(١) الجاسوسية بين الوقاية والعلاج - احمد هانى .

وقد عرف النبي من هذه المعلومات روايا الأعداء ، وكان تجمعهم ، فقرر مهاجمة هذه القبائل ليحتفظ بالمبادأة بيد المسلمين .

المخابرات التكتيكية في عهد النبوة :

✽ وعلى المستوى التكتيكي كان للنبي صلى الله عليه وسلم عيون وأرصاد في داخل المدينة يطلعون على كل صغيرة وكبيرة تضر بالمصلحة العامة للمسلمين في السلم والحرب على حد سواء فاختر مثلاً حذيفة بين اليمان المسمى ليأتيه بأخبار المنافقين ونواياهم .

✽ وفي غزوة بدر بعث النبي صلى الله عليه وسلم اثنين من الصحابة للحصول على معلومات عن قافلة قريش . وعند بدر سمعا جارية تطالب صاحبها بدين عليها والثانية تجيبها : « عندما تأتي المير (أى القافلة) فداؤا بعد غد سأقوم بخدمتها ثم أقضيك الذي لك » فأسرع الرجلان فأخبرا الرسول صلى الله عليه وسلم بما سمعا .

يجدوا خندقاً وجسداً يحيطان بالمدينة احاطة السوار بالمعصم ، وقد حيا محمداً عليه الصلاة والسلام وأتباعه من العدوان .

(٣) وبعد فتح مكة قررت بعض القبائل العربية أن تغزو المسلمين قبل أن يغزوهم وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم بأ تجمع هوازن وثقيف لمهاجمته ، فأرسل عبد الله ابن أبي حذرد الأسلمي ، ليأتيه بالمعلومات اللازمة . قال ابن اسحاق : « ولما سمع بهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي وأمره أن يدخل في الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم . فاطلق ابن أبي حذرد ، فدخل فيهم فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك (مالك بن عوف النصري قائد هوازن) وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر » .

(لأن العرب على عادتهم يخصصون
بميرا لكل مائة) كذلك عرف
الرسول من الغلامين أن أشرف
قريش جميعا خرجوا للقتال •
تعلم لغة العدو :

ومن الضرورات الحيوية في
مجال المخابرات والحرب النفسية
معرفة لغة العدو واجادتها سواء
من حيث التحدث بها أو الكتابة •
ولقد عني الرسول صلى الله عليه
وسلم بذلك فأمر زيد بن ثابت بتعلم
لغة اليهود • وفي هذا يقول
زيد : « أمرني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتعلمت له كتاب اليهود
بالسرانية وقال : اني والله ما آمن
يهود على كتابي ، ثم يقول زيد :
فوالله ما مر بي نصف شهر حتى
تعلمته وجدت فيه ، فكنت أكتب
له اليهم ، وأقرأ له كتبهم اليه » •

كما بحث عليه الصلاة
والسلام مفرزة استطلاعية للحصول
على معلومات عن قريش وقاتلتها
(في غزوة بدر أيضا) كانت
تتألف من علي بن أبي طالب
والزبير بن العوام وسعد بن أبي
وقاص في قهر من أصحابه ، وعند
ماء بدر وجدت غلامين لقريش
يستقيان ، فأنت بهما إلى النبي
فتولى عليه الصلاة والسلام
استنطاق (١) الغلامين ، فعلم منهما
أن قريشا وراء الكتيب (بالعدوة
القصى) ، ولما أجابا بأنهما
لا يعرفان سعد رجال قريش
سألها : « كم ينحرون من الجزر
(أى الأبل) كل يوم ؟ » • فقالا :
يوما تسعة ويوما عشرة ، فاستنبط
الرسول صلى الله عليه وسلم من
ذلك أنهم بين التسعمائة والألف

(١) استنطاق « أو استجواب » الأسير هو عمل من أعمال المخابرات
للحصول منه على المعلومات من خلال إجاباته على الأسئلة التي توجه اليه
عقب أسره ، وهو عمل يتطلب ممن يقوم به ذكاء وصبرا وقدرة عالية على
الاستنباط وقوة الملاحظة •

الشفرة لمدة طويلة خشية أن يتمكن العدو خلالها من حل الرمز الذي تستخلمه فتفقد الرسائل سرتها ، ولذلك تقوم الجيوش بتغيير الشفرة من حين لآخر وقد يصل الأمر الى اجراء هذا التغيير عدة مرات في اليوم الواحد •

ولقد عنى النبي صلى الله عليه وسلم باستخدام هذا الأسلوب (أسلوب الرمز) الذي تبسّط فكرته واضحة تماما في الواقعة التالية :

في غزوة الخندق ، علم النبي صلى الله عليه وسلم أن يهود بني قريظة قد نكثوا عهدهم الذي كان بينهم وبين المسلمين ، وذلك في الوقت الذي أحاط بالمدينة عشرة آلاف مقاتل من قريش والقبائل العربية الأخرى •

وصدق من قال : « من عرف لغة قوم أمن شرهم » •

استخدام الرمز « الشفرة » (١) :
في مجال المخابرات عادة ماتحول لغة الرسائل سواء الشفوية أو المكتوبة الى لغة أخرى تستخدم فيها الرموز بحيث لا يستطيع فهم مضمونها سوى مرسلها والمرسلة اليه وهو ما يصرف باسم الرمز أو الشفرة •

واستخدام الشفرة أمر حيوي لاختفاء محتويات الرسائل عن الأعداء ، ومن المعروف أن كل طرف من الأطراف المتحاربة ، يضع لنفسه شفرة خاصة ، ويسمى جاهدا - في الوقت نفسه - بكل الوسائل لكشف سر الشفرة التي يستخدمها الطرف الآخر (أي حل رموزها) ومن أجل ذلك فإن الجيوش الحديثة لا تستخدم شكلا واحدا من أشكال

(١) الشفرة : تعبير عن أسلوب تحويل لغة الرسالة من لغة مفهومة الى لغة غير مفهومة يكون قد تم الاتفاق عليها وعلى رموزها بين المرسل والمرسل اليه مسبقا ، ولذلك يطلق عليها رسالة شفرية ، فإذا التقطها العدو على موحات الاثير أو وقعت في يديه بصورة ما ، لا يستطيع فهمها الا اذا كان على علم برمز حل الشفرة « أو مفتاح الشفرة » التي تحولها الى رسالة مفهومة ، أو بعد محاولات مضنية من التخصصيين في حل رموز الشفرة ، وقد استحدثت في العصر الحديث أجهزة ووسائل الكترونية لهذا الغرض •

ولقد كان سبب حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على استخدام هذا الأسلوب من أساليب الرمز (الشفرة) هو خوفه على معنويات المسلمين من الانهيار ، وحرصه على كتمان الخبر حتى يستكملوا أعداد الخندق وسائر استعداداتهم العسكرية قبل أن يعلمهم به . ولو أنه عليه الصلاة والسلام سمح بإذاعة هذا النبأ الخطير قبل أن يعد المسلمون كل متطلبات القتال لانهارت معنويات الجيش .

لواء / محمد جمال الدين محفوظ.

وقد تخرج موقف المسلمين كثيرا - وكان عدد مقاتليهم ثلاثة آلاف مقاتل - بعد أن فكك بنو قريظة عهدهم (وهم داخل المدينة) فأصبح الخطر يهدد المسلمين من داخل المدينة ومن خارجها . فبعث النبي صلى الله عليه وسلم معبد ابن معاذ ، وسعد بن عباد ، وعبد الله بن رواحة ، وخوات بن جبير الى بنى قريظة ليقفوا على جلية الأمر ، وأمرهم بأن « يلحنوا » (١) بالقول حين يسودون ولا يفصحون في حالة تأكدهم من خبر فكك بنى قريظة للمهد .

(١) لحن « بفتح اللام والحاء » له لحننا : قال له قولا يفهمه عنه ، ويخفى على غيره فهو لحن « وبابه قطع » . وفي الحديث : « اذا انصرفتما فالحنا لى لحننا » : أى عرضا لى بما رأيتما ولا تفصحا . ولحن القول عنه : فهمه - والملاحن : مسائل كاللغاز يحتاج فى حلها الى فطنة - « المعجم الوسيط » .

باب الفتاوى

الأستاذ عبد الحميد شاهين

للنبي صلى الله عليه وسلم وصحبه
فى مكة ، وتهيأت له عوامل النصر
والتأييد فى المدينة ، عزم على
الهجرة إليها ، وأمر بها أصحابه ،
فرارا بدينهم ، وحفظا لأرواحهم
وحريتهم ، وتكتلا مع القوة
الجديدة التى هبت لهم فى
المدينة .

وأمام فكرة الهجرة هذه كان
الذين ظهروا فى مكة بالاسلام على
طوائف :

١ - الأقوياء :

وهم طائفة كثيرة المدد قوية
الايان ، شديدة الحرص على دينها
وحريتها ولديها من وسائل القوة
على الهجرة ما لديها . لبث الدعوة
وهاجرت الى المدينة ، مضحية
بعشيرتها ومساكنها وأموالها فى

متى تجب الهجرة ؟ وما هو
واجب مسلمى هذا العصر حيالها ؟
وفىمن نزل قول الله تعالى : « ان
الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم
قالوا فيم كُتبتهم قالوا كنا
مستضعفين فى الأرض قالوا
ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا
فيها ، فأولئك مأواهم جهنم ،
وساءت مصيرا . الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون
سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو
عنهم وكان الله عفوا غفورا » (١) .

ج :- يجب عن هذا ويبسط
القول فيه فضيلة الامام الشيخ
محمود شلتوت رحمه الله فى كتابه
الفتاوى فيقول : ينبغى أن يعلم
أولا أنه لما اشتد ايداء الكفار

(١) الآيات من ٩٧ - ٩٩ من سورة النساء .

لا تقاثلون في سبيل الله
والمستضعفين من الرجال والنساء
والولدان الذين يقولون ربنا
أخرجنا من هذه القرية الظالم
أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا ،
واجعل لنا من لدنك نصيرا » (١) •

٣ - الراضون بالاقامة في دار
الكفر والاضطهاد :

وكان وراء هاتين الطائفتين
طائفة ثالثة لم يكن إيمانها قويا
كإيمان الأولى ولم يكن لديها من
مواقع الهجرة ما عند الثانية ،
وانما آثرت الإقامة بين العشرة
والأهل ، وأهملتهم أنفسهم
وأموالهم ، فقمعدوا في مكة ،
وأخلدوا إلى السكون ، ورضوا
بالحرمان من الحرية وإقامة الدين ،
ولم يعملوا بالهجرة على تخليص
أنفسهم من قوى الذل والاضطهاد
مع المقدرة عليها ، وهؤلاء هم
الذين نزلت فيهم هذه الآية :
« أن الذين توفاهم الملائكة ظالمى
أنفسهم » •

سبيل إيمانها وعزتها ، وفي سبيل
التكفل مع اخوانهم المؤمنين •
وهؤلاء هم الذين وعدهم الله في
كثير من الآيات بالرحمة الواسعة ،
والعزة الخالدة ، والحياة الطيبة ،
والنصر المؤزر : « ثم أن ربك
للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ،
ثم جاهدوا وصبروا أن ربك من
بعدها لغفور رحيم » (١) •

٢ - المستضعفون :

وهم طائفة ثانية قوية الإيمان
كالأولى ، لا قابله بعثيرة ، ولا
تكثرث بأهل ولا مال • ولكنهم
عاجزة عن الهجرة ، لضعف أو
شيخوخة أو فقر ، فقمعدت بمكة على
مضض تستعذب العذاب في سبيل
تمسكها بدينها وحرمتها ، وهؤلاء
هم الذين عناهم الله بقوله :
« إلا المستضعفين من الرجال
والنساء والولدان لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلا » • وقد
شد أزرهم وأطعمهم في رحمته
وغضوه بقوله تعالى « وما لكم

(١) الآية ١١٠ من سورة النحل . (٢) الآية ٧٥ من سورة النساء .

أولاً : أفراد مسلمون « يقيمون »
 فى بلاد يضطهد سلطانها المسلمين
 يشدد عليهم الخناق فى اقامة
 دينهم ، ويمنعهم حديثهم ، وهم
 قادرون على الهجرة الى حيث
 يقيمون الدين ويستمتعون بالحرية ،
 فهؤلاء يجب أن يهاجروا ، وان
 رضوا بالمقام على الذل والاضطهاد
 فى تلك المواقع مع قدرتهم على
 الهجرة حق عليهم ومبدأ الآية ،
 وكانوا لأنفسهم ظالمين •

ثانياً : بلاد اسلامية استعمرها
 الأعداء ، فسلبوا أهلها الحكم
 والسلطان ، وجسدهم بجنسيتهم ،
 وضيقوا عليهم حياتهم ، ومنعهم
 شعائر دينهم ، والحرية فى أموالهم ،
 ومن أهل هذه البلاد جماعة أهمتهم
 أنفسهم ومراكزهم فى حكومة
 المستعمرين ، ورأوا أن فى مسالة
 المستعمرين على بلادهم عزة لأنفسهم
 وسلطاناً به يتحكمون !!! فهؤلاء
 الجماعة يجب عليهم - ان كانوا
 مؤمنين - أن يبادروا فيخلموا
 أنفسهم من تأييد المستعمرين ،
 ويهاجروا بقلوبهم وجسودهم الى

وقد صور الله فيها جنايتهم على
 أنفسهم ، وكذبهم فى اعتذارهم ،
 وسجل عليهم سوء العاقبة بقوله :
 « فأولئك مأواهم جهنم وساءت
 مصيراً » •

وقد أرشدت الآية الى أنهم
 بموقفهم هذا ليسوا فى شيء من
 درجات الدين ، والى أن أقل
 درجات الدين تأبى على صاحبها
 المقام على الذل والاضطهاد ، والى
 أن الرضا بالذل والاقامة فى جوه
 مع القدرة على التخلص منه
 بالهجرة الى موطن العزة والكرامة
 مما يفرج الانسان عن الايمان •
 ويجعل جهنم فى حكم مأواه •
 تطبيق الآية فى عصرنا الحالى :
 وهذا أصل قرره القرآن الكريم
 فى صحة الايمان والاعتداد به ،
 وجاءت فيه آيات كثيرة صريحة •
 وأبرزها آية السؤال : « ان الذين
 توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم »
 الآية •

وهو مبدأ قائم الى يوم الدين •
 ويمكن أن يطبق فى عصرنا الحاضر
 على الحالات الآتية :

حريتهم ، وكانوا بذلك لأنفسهم
من الظالمين .

هذا ما توحى به الآية الكريمة
الى مسلمي هذا العصر ، وقد تبين
منه ما يجب على كل من فاته
الاضطهاد في دينه وحريته ، فردا
كان أو جماعة ، في بلاد اسلامية أو
غير اسلامية ، وتبين حكم من
يقصّر فردا كان أو جماعة فيما
يفرض عليه من العمل على التخلص
من الذل والاضطهاد له ولجماعته ،
احتفاظا بالحرية ، واقامة للدين
وصيانة للعزة والكرامة « وفيه العزة
ولرسوله وللمؤمنين » (١) .

الهجرة من بلاد المنكرات :

وقد كان كثير من رجال الاسلام
الأولين - المكلفين بالأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر - يرون أن الآية
توجب عليهم الهجرة من بلادهم ،
وإن كانت اسلامية ، متى فشلت
فيها المنكرات ، وكثرت البدع ،
ولم يمكن لهم من الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر .

أخوانهم الوطنيين أهل البلاد ،
ويكونوا يدا واحدة ، وعلى قلب
رجل واحد لاخراج المستعمر ،
وتطهير البلاد من الذل والاستعمار ،
فإن أبت هذه الجماعة ورضيت
بالمقام في تأييد المستعمر حق عليها
وعيد الآية : « مأواهم جهنم وساءت
مصيرا » وحق عليهم فوق ذلك
قوله : « ومن يتولهم منكم فإنه
منهم إن الله لا يهدي القوم
الظالمين » (٢) .

ثالثا : بلاد اسلامية متفرقة ،
تسقط على كل بلد منها جماعة
من الأعداء ، وليس في وسع واحدة
من تلك البلاد أن ترد عن نفسها
فضلا عن غيرها من أخواتها . فإذا
خضعت كل بلد منها لمستعمرها -
ولم يهاجروا بقلوبهم وتفكيرهم ،
وتوحيد كلمتهم ، وتكوين جامعهم
التي بها يصنون العدوان عمن
أنفسهم وعن بلادهم ، كانوا
جميعا يبقائهم في التفرق عونا
للأعداء على امتلاك بلادهم .
وضياع دينهم ، وحرمانهم من

(١) من الآية ٥١ من سورة المائدة .

(٢) من الآية ٨ من سورة المنافقون .

بيتك بجوارك في دار كرامتك
يا واسع المغفرة » •

آين نحن اليوم ؟

أما بعد : فأين نحن معشر
المسلمين ، أفرادا وجماعات ،
وقد رضينا بالتفرق ، وأيكد فريق
منا سلطان المستعمر ، ومزقت
ديننا الأهواء ، وطمست معالمه
الشموات ، وسلبتنا العزة
والكرامة ؟

فيم نحن من الايمان ، وفيم
نحن من هؤلاء الذين آمنوا وعرفوا
قدر الايمان واتخذوا الى ربهم
سيلا ؟

اللهم ارحمنا واهدنا صراطك
المستقيم .. آمين •

عبد الحميد شاهين

وفي هذا يقول الامام
الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨
هجريه وهو بصدد الكلام على
هذه الآية الكريمة : « وهذا دليل
على أن الرجل اذا كان في بلد
لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه
كما يجب ، أو علم أنه في غير
بلده أقوم بحق الله ، وأدوم على
العبادة ، حقت عليه المهاجرة » •

وبالنسبة للمهجرة التي نزع اليها
يتجه الى ربه ويقول : « اللهم ان
كنت تعلم أن هجرتي اليك لم تكن
الا للفراور يديني فاجعلها سببا في
خاتمة الخير ، ودرك المرجو من
فضلك ، والمبتنى من رحمتك ،
وصل جوارى لك بمكوفى عند

حكيم... و طرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ينفموك أبدا ، واب مسئول عما
اجترحو ، وليسوا مسئولين عما
اجترحت ، فلا تصلح ذنبيهم
بفساد آخرتك ، أما والله لو علم
عمالك أنه لا يرضيك منهم إلا
العدل ، ما بقى منهم على ياك أحد ،
ولتقرب اليك بالعدل من لا تريده .

« ذهبوا »

الح سائل على امرأى أن يعطيه
حاجة لوجه الله ، فقال الأعرابي :
والله ليس عندي ما أعطيه للغير
فألدي عندي أنا أولى الناس به
واحق !!

فقال السائل : ابن الدين كانوا
يؤثرون الفقير على أنفسهم ولو
كان بهم خصاصة .

فقال الأعرابي : ذهبوا مع الدين
لا يسألون الناس الحافا .

« قناعة »

قال أبو دلف المجلى :
حججت فرأيت أبا العتاهية
واقفا على امرأى فى ظل ميل (1) ،
وعليه شملة إذا غطى بها رأسه بدت

« إن ربك بالمرصاد »

دخل عمرو بن عبيد على المنصور
يوما ، فقال له المنصور عظمى عمرا
عمرو : « بسم الله الرحمن الرحيم .
والعجر ، وليال عشر ، والشفع
والوتر ، والليل إذا يسر ، هل فى
ذلك قسم للى حجر ، ألم تر كيف
فعل ربك بماذا ، أرم ذات العماد ،
التي لم يخلق مثلها فى البلاد ،
وتمدود الذين جابوا الصخر بالواد ،
وفرعون ذى الأوتاد ، الذين طفوا فى
البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ،
فصب عليهم ربك سوط عذاب ،
إن ربك لبالمرصاد . »

فقال المنصور : إن ؟ قال :
لن عصاه ، فأتق الله يا أمير
المؤمنين ، فإن أمامك نيرانا تتأجج
لن لا يعمل بكتاب الله ولا بسنة
رسول الله .

فقال له سليمان بن مخلد :
اسكت ، فقد غمت أمير المؤمنين .
فقال له عمرو : وبلك ، أما كفالك أنك
خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين ،
حتى أردت أن تحول بينه وبين من
ينصحه ، ثم قل : اتق الله
يا أمير المؤمنين ، فإن هؤلاء لن

(1) الميل : منار يبنى للمسافر

« في وفاة عمر بن عبد العزيز »

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة ، دخل عليه مسلمة بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، انك قد فطرت أفواءً ولذلك من هذا المال فلو أوصيت بهم إلى وإلى نظرائي من قومك فكعوك منونتهم !

فلما سمع مقبالتة قال : اجلسوني ، فأجلسوه ، فقال : قد سمعت مقالتك يا مسلمة ، أما قولك : اني قد فطرت أفواءً ولدي من هذا المال ، فوالله ما ظلمتهم حقاً هو لهم ، ولم أكن لأعطيهم شيئاً لفبرهم ، وأما ما قلت في الوصية ، فإن وصيتي فيهم : « الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » ، وإنما ولد عمر بين أحد رجلين : إما رجل صالح فيسقيه الله ، وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعساه بالمال على معصية الله .

أدع لي بنى : فأتوه ، فلما رأهم تفرقت عيناه ، وقال : سقى فتية تركتهم عالة لا شيء لهم ونكى .

يا بنى اني تركت لكم خيراً كثيراً لا تمرّون بأحد المسلمين وأهل ذمتهم الا رأوا لكم حقاً ، يا بنى اني قد मिलت (٣) بين الأمرين : أما أن تستفتوا وأدخل النار ، أو تفتقروا إلى آخر الأبد وأدخل الجنة . فأرى أن تفتقروا فذلك أحب إلي ، قوموا عصمكم الله ، قوموا رزقكم الله !

رجلاه ، وإذا غطي رجله بدأ رأسه فقال أبو العتاهية : يا هذا ، لو لا أن الله أفتق بعض العباد بشر البلاد ، ما وسع خير البلاد جميع العباد لم قال له : فمن أين معاشكم ؟ قال : منكم معشر الحاج ، تمرّون بنا فننال من قضايتكم (١) ، ونصرفون فيكون ذلك ، فقال له : إنما تمرّون ونصرف في وقت من السنة ، فمن أين معاشكم ؟ فاطرق الأعرابي ، ثم قال : لا والله لا أدري ما أقول ، الا أنا نرزق من حيث لا نحتسب (٢) أكثر مما نرزق من حيث نحتسب ، فولى أبو العتاهية وهو يقول :

الا يا طالب الدنيا
دع الدنيا لشانكا !
وما تصنع بالدنيا
وظل الميسل بكفيا

« لو لم يكن »

انتقد الشريف المرتضى يوماً شعر المتنبي ، وكان أبو الصلاء المعري حاضراً ، فقال أبو الصلاء : لو لم يكن للمتنبي من شعر الا قصيدته :

(لك يا منازل في القلب منازل)
لكفى فضلاً :

فغضب الشريف وأمر بسحب أبي الصلاء من مجلسه ، وقال لمن بحضرته : ان أبا الصلاء أراد بذلك قول المتنبي في تلك القصيدة : وإذا أتتك مذمتي من ناقص . فهي الشهادة لي باني كامل

(١) فضول الغنائم : ما فضل منها .

(٢) أي من حيث لا تقدّر .

(٣) ميل بين الأمرين : تردد في أيهما يفعل .

« فصل الأدب »

تكلم رجسـل بين يدي المأمون
فأحسن ، فقال له ابن من أنت ؟
قال : ابن الأدب يا أمير المؤمنين .
قال : نعم النسب انتسبت اليه ،
ولهذا قيل : المرء من حيث ينبت
لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد
لا من حيث يولد قال الشاعر :

كن ابن من شئت واكتسب ادبا
يفنيك محصوده عن النسب

وقال بعض الحكماء : من كثر
ادبه كثر شرفه وان كان وضيعا ،
وعبد صيته وان كان خاملا ،
وساد وان كان غريبا ، وكثرت
حوائج الناس اليه وان كان فقيرا
وقيل أربعة تسود العبد : الأدب
والعلم ، والصدق ، والإمانة .

وقيل أيضا ثلاثة لا تتم إلا بثلاثة :
لا يتم الحسب إلا بالأدب ، ولا يتم
الجمال إلا بالحلاوة ، ولا يتم الفنى
إلا بالعبود ، وقال بعض الأعاجم
مفتخرا :

مالى مقبلى وهمتى حسبي
ما أنا مولى وما أنا عربى

إذا انتمى منتم الى أحمد
فانى منتسب الى أدبى

« ثمانية أمور »

سئل الإمام الشافعى - رضى الله
عنه - عن ثمانية أمور : واجب
وأوجب ومحجب وأعجب ، وصعب
وأصعب ، وقريب وأقرب ، فأجاب
بقوله :

من واجب الناس أن يتوبوا
لكن ترك الذنوب أوجب

والدهر فى صرفه عجيب
وغفلة الناس عنه أعجب
والصبر فى النائيات صعب
لكن فوات الثواب أصعب
وكل ما ترتجى قريب
والوقت من دون ذلك أقرب

« قوة اليقين »

حج الرشيد ، فعلم أن وجلا
انفرد لعبادة الله ، بجبل أبى قبيس
وظهرت على يديه بعض الكرامات ،
فطلب الى أمير مكة أن يصحبه
لزيارته ، فذهب اليه فى صومته
واستأذنا فى الدخول عليه ، فأذن
لهما ، ولما دخلا وسلمما عليه ، أوما
اليهما بالتحية ، ثم أشار اليهما
بالجلوس فجلسا ، فقال له أمير
مكة : ان الجالس بين يديك أمير
أمير المؤمنين هارون الرشيد ، فأوما
برأسه محيا وظل على صمته فلم
يتكلم ، فقال له الرشيد : عظمى ،
فالتفت اليه ولم يتكلم ، ثم أمسك
بمصاه ، وخط بها على الأرض :
« انى استحي ان القى الله وقد
أمرتك فأطعنتى بعد أن أمرك هو
فمصيته » .

فتأثر الرشيد ، وبكى بكاء شديدا
وقال : والله لقد رأينا منك ، أكثر
مما سمعنا عنك ، واستأذن فى
الانصراف مع صاحبه فأذن لهما .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

كتاب الشهر

رسالة

الجواب المقنع المحرر في الرد على من طعن وتجب
بدعوى أنه عيسى أو المهدي المنتظر

تأليف

علامة زمانه ووحيد دهره وأوانه
الشيخ محمد جبيب الله الجكني الشنقيطي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومفوضا أموري كلها إليه ، وراجيا منه أن يكون جوابي ردا عن السنة المطهرة البيضاء ، ومنيلا سعادة الدارين ورضى الله الأكبر يوم اللقاء وممتلا قوله تعالى (ان الذين يكتسبون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا وينوا) الخ الآية وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (من كتم علما يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحاحه من حديث أبي هريرة ، وقال الترمذي : انه حسن صحيح فقي ذلك قلت والله تعالى استعنت ، ينحصر المقصود من هذا الجواب في مقدمة وفصلين وخاتمة .

الحمد لله الذي وفق للخير من وفقه بفضلته ، وخذل من شاء خذلانه بعدله ، لا يستل عما يفعل وهم يستلون ، والصلاة والسلام على نبيه المخبر بما كان وما يكون ، وعلى آله وأصحابه الناقلين لأقواله الصادقة ، والذابين عن سنته جميع المبتدعين الزنادقة ..

أما بعد - فيقول الفقير لرحمة ربه محمد حبيب الله بن الشيخ سيدي عبد الله بن ما يأبى الجكنى وفقه الله ، قد طلب منى بعض العلماء الأجلاء الأخيار ، لما كثرت دعاوى الضالين المضلين الأشرار ، أن أكتب له في شأن المهدي وعيسى بن مريم عليهما السلام ما هو الحق الذي لا غبار عليه ، وما اعتمده أهل العلم في ذلك وركنت قوسهم إليه ، فأجبتة فيما به أشار على مستعينا بالله

المقدمة - في بيان تواتر أحاديث المهدي وذكر بعض من ألف فيه :

(الفصل الأول) في تخريج بعض الأحاديث التي صرح به وبيان صفته وعلاماته ..

(الفصل الثاني) في تخريج بعض أحاديث عيسى بن مريم وبيان اجتماعه مع المهدي وقتله الدجال ..

(الخاتمة) في بيان أن خروج المهدي قبل الدجال بسبع سنين وأن الدجال يخرج على رأس مائة وعيسى بعده بقليل، وذكر الأحاديث الواردة في كثرة من يدعى الرسالة في آخر الزمن ورفع القرآن من الصدور والمصاحف وصفة عيسى عليه السلام ومدة مكثه بعد الدجال وما يتعلق بذلك ..



المقدمة :

اعلم أنه من المتواتر عند المحدثين وكافة العلماء المجتهدين أن المهدي غير عيسى وأن الرواية التي في سنن ابن ماجه انه لا مهدي الا عيسى اسنادها ضعيف ، وقد تواترت الاخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المختار صلى الله عليه وسلم بمحيى المهدي وأنه من أهل بيته وأنه سيملك سبع سنين على أكثر الروايات وقيل أربعين سنة نظير مدة عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وأنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وأنه يفرج قبل عيسى وينزل عليه عيسى وهو امام المسلمين فيأعده على قتل الدجال بياب لد بأرض فلسطين قريب من بيت المقدس وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى يصلى خلفه أول مرة ثم يكون هو الامام بعد ذلك وأنه أى المهدي يدبج السفيناني ويخسف بجيش السفيناني الذي يرسل الى المهدي بالبيداء بين مكة والمدينة فلا يتجو منهم الا من يعطى الخبر ، وقد ألف في شأنه وجمع الأحاديث الواردة فيه

جماعة من الحفاظ منهم جلال الدين السيوطي له فيه رسالة عجيبة سماها (العرف الوردى في أخبار المهدي) ومنهم العلامة الدراكة الشيخ أحمد بن حجر الهيثمي له فيه رسالة سماها (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر) أجاد فيها ورجح أن مدته في الأمر سبع سنين على أكثر الروايات ومنهم العلامة ابن حنبل الدين تليذ ابن حجر له فيه رسالة سماها (البرهان في علامات مهدي آخر الزمان) ومنهم صاحب عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر ومنهم شيخنا العلامة الشيخ عبد القادر ابن محمد سالم الشنقيطي فقد أفرد به باب من نظم الواضح المبين الذى ذكر فيه أشراف الساعة وحرر المقام فيه وفي شرحه وقد عمد أبو داود في سنه باباً لأخاره وكذلك فعله الترمذى في سننه ورواية ابن ماجه لا مهدي الا عيسى ابن مريم ، قال القرطبي وغيره : ان اسنادها ضعيف والأحاديث هي خروجيه وأنه من عترته من ولد فاطمة ثابتة صحيحة متواترة فقد

وذكر جملة من أحواله وصفته
وقال القرطبي والأحاديث عن
النبي صلى الله عليه وسلم في
التنصيب على خروج المهدي من
ولد فاطمة ثابتة فالحكم بها دون
رواية ابن ماجه لا مهدي
الاعيسى ، ثم قال القرطبي وغيره
ويحتمل أن يكون قوله عليه
الصلاة والسلام لا مهدي الاعيسى
ان فرضنا عدم ضعفه أى لا مهدي
معصوما كاملا الاعيسى ، قال
وبهذا تجتمع الأحاديث ويرفع
التعارض أى فلا ينافي أن يكون
غيره مهديا أيضا ، قال ابن كثير بل
يكون المراد من ذلك ان المهدي
حق المهدي مهدي هو عيسى
ابن مريم فاذا تمهد عندك ما قدمناه
من أن المهدي غير عيسى عليه
السلام فلا بد من إيراد بعض
الأحاديث الواردة فيها وعزوها
الى مخرجيها في الفصلين الآتين :

عد الحفاظ أحاديثه من الأحاديث
المتواترة قال في الواضح المبين
تواترت به الأحاديث الصحاح
فيما روى أهل الفلاح والنجاح
ومنهم القاضي العلامة المحدث
الشوكاني له فيه رسالة سماها
التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر
والدجال والمسيح قال فيها
والاحاديث الواردة في المهدي التي
أمكن الوقوف عليها منها خمسون
فيها الصحيح والحسن والضعيف
المنجبر وهي متواترة بلا شك
ولا شبهة بل يصدق وصف التواتر
على ما دونها على جميع
الاصطلاحات المحررة في الأصول
وأما الآثار عن الصحابة المصروفة
بالمهدي فهي كثيرة أيضا لها حكم
الرفع اذا لا مجال للاجتهاد في مثل
ذلك اهـ . قال أبو الحسن
السنجري تواترت الاخبار عن
المصطفى صلى الله عليه وسلم
بمجيء المهدي وانه من أهل بيته

(الفصل الاول)

قد أخرج السيوطي في الجامع الكبير عنه عليه الصلاة والسلام (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول لا ان بعضكم على بعض أمير تكرمة الله لهذه الأمة) وأخرجه أحمد ومسلم وابن جرير وابن حبان عن جابر ابن عبد الله عنه عليه الصلاة والسلام وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة عنه عليه الصلاة والسلام (كيف أتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم) والذي عليه المحدثون ان هذا الامام المشار اليه في الصحيحين هو المهدي المنتظر لحصل الاحاديث المصروفة به على غيرها كما هو الأصل المعروف وصرح نعيم فيما أخرجه بأنه المهدي ولفظه عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي تعال صل بنا فيقول لا) الخ .. وأخرج

أبو نعيم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لم تهلك أمة انا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي في وسطها) اهـ ، قال ابن حجر الهيثمي وأريد بالوسط قرب آخرها حتى لا ينافي الروايات المصرفة بأنه في آخرها ولتقدمه يسير على عيسى وصفه بأنه وسط ووصف عيسى بأنه آخر وأخرج نعيم بن حماد قال المهدي : الذي ينزل عليه عيسى بن مريم ويصلي خلفه عيسى وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن مسيرين قال المهدي من هذه الأمة وهو الذي يؤم عيسى بن مريم عليه السلام وأخرج ابن ماجه والرويانى وابن خزيمة وأبو حنيفة والحاكم وأبو نعيم واللفظ له عن أبي أمامة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الدجال وقال فتنفى المدينة الغيث كما ينفى الكبر خبث الحديد وينفى ذلك اليوم يوم الخلاص ، قالت أم شريك فأين العرب يا رسول الله يومئذ قال هم يومئذ قليل وجلهم بيت

وجعفر و الحسن و الحسين
والمهدي () ، وأخرج الترمذي
وصححه عن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال :
« لا تذهب الدنيا حتى يملك
العرب رجل من أهل بيتي يواطىء
اسمه اسمي » وأخرجه أبو داود
أيضا وأخرج الترمذي وصححه
عن أبي هريرة قال ، قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم (لم يبق
من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك
اليوم حتى يلي) ..

وأخرج أبو داود عن أبي اسحق
رضي الله عنه قال قال علي كرم
الله وجهه ونظر الى ابنه الحسن
رضي الله عنه قال ان ابني هذا
سيد كما سماه النبي صلى الله
عليه وسلم ويخرج من صلبه رجل
يسمى باسم نبيكم صلى الله عليه
وسلم يشبهه في الخلق ولا يشبهه
في الخلق ثم ذكر (يملا الأرض
عدلا كما ملئت جورا) وأخرجه
في المشكوة وأخرج الترمذي
وحسنه عنه عليه الصلاة والسلام
« ان في أمتي المهدي يخرج يعيش
خمسا أو سبعا والشك من الراوي

المقدس وامامهم المهدي رجل
صالح فيينا امامهم المهدي قد
تقدم يصلي بهم الصبح اذ نزل
عيسى ابن مريم وقت الصبح فيرجع
ذلك الامام ينكص يمشي القهقري
ليتقدم عيسى فيضع عيسى يده بين
كفيه ثم يقول له تقدم فصل فانها
لك أقيمت فيصلي بهم امامهم ..
ا ه .. وفي حديث طويل أخرجه
نعيم عن كعب فاذا بعيسى بن مريم
فتقام الصلاة فيرجع امام المسلمين
المهدي فيقول عيسى تقدم ذلك
أقيمت الصلاة فيصلي بهم تلك
الصلاة ثم يكون عيسى اماما
بعده .. ا ه .. وقد أخرج
أبو داود وابن ماجه والطبراني
والحاكم عن أم سلمة سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : (المهدي من عترتي من
ولد فاطمة) .. وأخرج الحاكم
وابن ماجه وأبو نعيم عن أنس
ابن مالك سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : (نحن
سبعة ولد عبد المطلب سادة
سادة أهل الجنة أنا وحزرة وعلي

قال قلنا وما ذاك قال سنين قال
 فيجئ اليه الرجل فيقول يا مهدي
 أعطني أعطني قال فيحشى له في ثوبه
 ما استطاع أن يحمله « ١ هـ »
 وأخرج أبو داود عن ابن مسعود
 رضى الله عنه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم (لو لم يبق
 من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك
 اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا منى
 أو من أهل بيتي يواطىء اسمه
 اسمى واسم أبيه اسم أبى يملأ
 الأرض عدلا كما ملئت جورا)
 وأخرج الطبراني قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم (المهدي
 منا يختم الدين به كما فتح بنا)
 رواه الطبراني وأخرج نعيم
 ابن حماد عن أبي سعيد عنه عليه
 الصلاة والسلام (المهدي منا
 أجلى الجبة أقى الاله) وأخرج
 أيضا عن ابن جبر قال المهدي
 (أزج البج) الحديث وأخرج
 الطبراني في الكبير وأبو نعيم عن
 ابن مسعود قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم (يخرج رجل
 من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمى
 وخلق خلقه يملؤها قسطا وعدلا

كما ملئت ظلما وجورا) وأخرج
 الطبراني في الأوسط من طريق
 عمرو بن علي عن علي بن أبي طالب
 رضى الله عنه انه قال للنبي صلى
 الله عليه وسلم أمنا المهدي أم من
 غيرنا يا رسول الله ؟ (قال بل منا ، بنا
 يختم الله كما بنا فتح وبنا
 يستنقذون من الشرك وبنا يؤلف
 الله بين قلوبهم بعد عداوة الشرك)
 وقد ورد انه يأتى مدينة فيها ألف
 سوق في كل سوق مائة ألف دكان
 ثم يأتى مدينة يقال لها (القاطع)
 وهى على البحر الأخضر المحيط
 بالدنيا وطول المدينة ألف ميل
 وعرضها خمسمائة ميل فيكبرون
 الله عز وجل ثلاث تكبيرات فتسقط
 حيطانها فيقتلون بها ألف ألف
 مقاتل ثم يتوجه الى القدس
 الشريف في ألف مركب (١ هـ »
 وورد انه يأتى رومية فيكبرون
 أربع تكبيرات فيسقط حائطها
 فيقتلون ستمائة ألف ويستخرجون
 منها الثابت الذي فيه السكينة
 ومائة بنى اسرائيل ورضاضة
 الألواح وعصا موسى ومنبر
 سليمان وأخرج نعيم بن حماد

عن كعب قال المهدي يبعث بقتال الروم يعطى فقه عشرة ثم يستخرج التابوت وهو تابوت السكينة من غار انطاكية وأخرج أيضا عن كعب الأحبار قال : أنا سمي المهدي لأنه يهدي لأمر قد خفي يستخرج التابوت من أرض يقال لها انطاكية قال صاحب البرهان في علامات مهدي آخر الزمان رومة أم بلاد الروم ، وكل من يملكها يقال له الباب وهو الحاكم على دين النصرانية بمنزلة الخليفة في المسلمين وليس في بلاد الروم مثلها كثيرة العجائب اهـ ..

وأخرج نعيم عن علي قال اذا بعث السفيناني الى المهدي جيشا فخسف بهم البيداء وبلغ ذلك الشام قال لخليفته قد خرج المهدي فبايعه وأدخل في طاعته والا قتلناك فيرسل اليه بالبيعة وحين يرسل الى المهدي يسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس وينقل اليه الخزائن ويدخل العرب والمجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال حتى يبنى المساجد بالقسطنطينية وما دونها اهـ ..

المراد منه وأخرج نعيم بن حماد لا يبايع المهدي حتى يكفر بالله جهرا وأخرج نعيم أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال يبعث مهدي بعد ابراهيم وحى يقول الناس لا مهدي ونصرته من أهل الشام عددهم ثلاثمائة وخمسة عشر رجلا عدد أصعاب بدر يسرون اليه من الشام حتى يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا فيبايعونه كرها فيصلى بهم ركعتين عند المقام ثم يصعد المنبر وأخرج أيضا لأبي هريرة قال يبايع المهدي بين الركن والمقام لا يوقظ قائما ولا يهرق دما وأخرج عن قتادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يخرج المهدي من المدينة الى مكة فيستخرجه الناس من بينهم فيبايعونه بين الركن والمقام وهو كاره) وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو لم يبق من الدنيا الا ليلة لطول الله تلك الليلة حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئه اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملؤها قسطا وعدلا

المال فتركه غيرى فيرده فيقول انا
لا تقبل شيئا أعطيتاه فليبت في
ذلك ستا أو سبع أو تسع سنين
ولا خير في الحياة بعده) ..
وأخرج البزار عن جابر رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : (يكون في أمتي
خليفة يحشو المال حشا لا يعده
عدا) وأخرج الدارقطني في الافراد
والطبراني في الأوسط عن أبي
هريرة رضى الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم : (يكون في
أمتي المهدي ان قصر عمره ف سبع
والا فتسع سنين نعم أمتي فيها
نعمة لم ينعموا بمثلها منهم البار
والفاجر يرسل الله عليهم السماء
مدارا ولا تدخر الأرض شيئا من
النيات ويكون المال كدسا يقوم
الرجل يقول يا مهدي اعطني
فيقول خذ ا هـ) قوله كدسا
هو بوزن قل جمعه أكداس كقفل
وأقال ما يجمع من الطعام في
البدر ، وكذلك ما يجمع من دراهم
وغيرها كما في الصباح وقد تقدم
حديث الصحيحين عنه عليه الصلاة
والسلام (كيف بكم اذا نزل

كما ملئت جورا ظلما ويقسم
المال بالسوية ويجعل الغنى في
قلوب الأمة فيمكث سبعا أو تسعا
ثم لا خير في عيش الحياة بعد
المهدي) وأخرج ابن أبي شيبة
والطبراني في الأفراد وأبو نعيم
والحاكم عن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
(بشراكم بالمهدي رجل من قريش
من أمتي على اختلاف من الناس
وزلازل فيملا الأرض قسما وعدلا
كما ملئت جورا وظلما ويرضى عنه
ساكن السماء وساكن الأرض
ويقسم المال صحاحا بالسوية بين
الناس ويملا قلوب أمة محمد غنى
ويسمعهم عدله حتى انه يأمر مناديا
فينادي من له حاجة الى فما يأتيه
أحد الأرجل واحد يأتيه فيأله
فيقول أنت السادن يعطيك فيأتيه
فيقول أنا رسول المهدي اليك
لتعطيني مالا فيقول احث فيحشى
فلا يستطيع أن حملة فيلقى حتى
يكون قد ما يستطيع أن يحمله
فيخرج به فيندم فيقول أنا كنت
أجشع أمة محمد صلى الله عليه
وسلم قسا كلهم دعى الى هذا

ابن مريم فيكم وامامكم منكم)
وقد تقدم عن علماء الحديث ان
ذلك الامام هو المهدي وانما قالوا
ذلك لورود الاحاديث بأنه يسبق
الدجال ونزول عيسى من السماء
بسبع سنين فيساعد عيسى على قتل
الدجال وأخرج ابن الجوزي في
تاريخه عن ابن عباس رضى الله
عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم (ملك الدنيا أربعة
مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان ذو
القرنين وسليمان ، والكافران
نمرود وبختنصر وسبلكها خامس
من أهل بيتي) وأخرج نعيم عن
طاووس قال اذا كان المهدي يبذل
المال ويشترى على المال ويرحم
المساكين) وأخرج الطبراني أن
النبي صلى الله عليه وسلم أخذ
بيد على رضى الله عنه فقال يخرج
من صلب هذا فتى يملأ الأرض
قسطا وعدلا فاذا رأيتم ذلك فعليكم
بالتقى التيمى فانه يقبل من
المشرق وهو صاحب راية المهدي .

وأخرج ابن ماجه والطبراني
مرفوعا يخرج ناس من المشرق
فيوطون للمهدي سلطانه . وأخرج
الداني عن حذيفة مرفوعا في حديث
طويل فيخرج به أهل السماء وأهل
الأرض والطيور والوحوش والحيتان
في البحر وتزيد المياه في دولته
وتضاعف الأرض أكلها ويستخرج
الكنوز وأخرج أبو داود (المهدي
أزج أبلج يجيء من الحجاز حتى
يستوى على منبر دمشق) وعن
على رضى الله عنه انه في وجهه
خال (وأخرج أبو عمر والداني
في سننه عن حذيفة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « يلتفت
المهدي وقد نزل عيسى بن مريم
كأنما يقطر من شعره فيقول
المهدي (١) تقدم صل بالناس
فيقول عيسى انما أقيمت الصلاة
لك فيصلى خلف رجل من ولدي
وأخرج أبو عمر والداني رحمه
الله تعالى في سننه عن جابر بن
عبد الله رضى الله عنه قال قال

(١) قوله كأنما يقطر — من شعره أى من مهابت شعره والذي يقطر منه
ماء كالجمان كما تفسره الاحاديث الآتية أن شاء الله تعالى قاله
مؤلفه آ. هـ . .

عبد القادر بن محمد مسالم) في
نظمه الواضح المبين ما يكفي
ويشفي من صفة المهدي وعلاماته
وسائر أحواله فقال أصلح الله منا
ومنه الحال والمآل ..

وأخبر النبي ﷺ
السيد المطب الزكي الرضي
بأنه روى به الأحاديث الصحيحة
فيما روى أهل الطلاح والنجاح
وسبقه السدجال فقد جزم به
مؤلف الإرشاد فدعا فانتبسه
له علامات بهذا المختار
أخبرنا جيات بهذا الإخبار
في وجهه خيال أزج أبلج
الذي وهو للأسماء فسرج
ويخرج الإسماء والأنسان
والطير والسوحوش والحيوان
وهو يرال الثنايا بوليد
بحرم الرسول نعم المولى
تطلبه فمامة فيها ملك
بامر باتامه فيما سلك
تظهر منها راحة تثير
اليه بالبيعة ذا المائود
وتهبط الطير عليه والفقة
من الهمواء أمره مطاوعة
منها الخفرار يسلم الأسمان
فركبه في موضع عظيم
تقع بين السمك والمقام
بيته الهجرة نحو الشام
على مقدمته جبريل
في ساقية يكون مكانه
سيدة راية سميد مقر
كما روى ذلك نعيم في خبر
نصره عبدة أهل بصر
وهيئان ليهم أسود أجبر
ويسمع النسي المنادي في السما
بأمره كما أتى عن سما
يبدل ما دخل ذو القرنين
ينشئ إلى الحسن والحسين
وجسده العباس خاتم النبا
وخاتم الهجرة محمود أحمد
وهو لدولة الشريعة خاتم
أذ هو من بيت به كان الختام

رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على
الحق حتى ينزل عيسى بن مريم
عند طلوع الفجر بيئت المقدس
ينزل على المهدي فيقول المهدي
تقدم يا نبي الله فصل بنا فيقول
هذه الأمة أمراء بعضهم على
بعض) وقد ذكر بعضهم أن وجه
امتناع عيسى أولا من الإمامة في
أول صلاة بعد نزوله وصلاته
بالمهدي مع كونه رسولا اظهر أنه
حالك لشرع نبينا عليه الصلاة
والسلام كأحد أصحابه إذ يصدق
عليه حد الصحابي كما قرره لأنه
اجتمع به حيا بخلاف غيره من
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
فاجتماعهم بعد الموت وقد ألفز
ابن السبكي في ذلك بقوله :

من باتفاق جميع الناس الفصل من
خير الصحاب أبي بكر ومن هم
ومن علي ومن عثمان وهو في
من أمة الصطفى المختار من مصر

فاجبت لغزه بقولي

عيسى بن مريم في الصحب الكرام ومن
أجل رسول الله صفة البشر

(وقد نظم شيخنا وشيخ
مشايقنا العلامة المحقق الشيخ

يسوم عيسى خصمه نكرما
 بذلك من اولي العبد النعمنا
 وملكه اخلف فيسبه الاثر
 وكوبه سبع سنين الاكثر
 علمه محمد واحمد
 اسوه عبيد الله نعم السيد
 فقد جيشه الرئيس من تميم
 شعيب (١) بن صالح العناب الزعيم
 تسبقه حوادث عظيم
 وفن خطوبها جسام
 من هولها تنظير الاكباد
 من حرها تنطع الاجساد
 كعمرة نشر في السمماء
 تظهر في افقها للبرالي
 ليست كمثل الشفق المتد
 بعض فوق سورها ينسجدي
 كما اتي التلوي ويل للعرب
 من شر ذكره قوله قد اقرب
 ويظهر النجم بشي كالقمر
 يشرق والبال في عهد العدر
 يعطف حتى يلقي او يقرب
 ومعظم البلاد اذ ذاك خصب
 ويسوق النائم صوب جمع
 في رمضان ان ذا الحرام
 في ليلة النصف وشمس كف
 في نصفه والدر قالوا بفسف
 اولسه وتلك الاسمان
 لم نعلم في غابر الزمان

الخ ما ذكره فيه وقوله سابقا
 وجده العباس الخ أشار فيه الى
 ماورد فيه من أن العباس رضى الله
 عنه جدله من جهة قال ابن حجر
 الهيثمي ما ورد من كونه ولد
 من كونه من ولد العباس لا ينافي

انه من ذرية نبينا صلى الله عليه
 وسلم لأنه يمكن أن يكون للعباس
 فيه ولادة من جهة ان في امهاته
 عباسية والحاصل ان للحن فيه
 الولادة العظمى لأن احاديث كونه
 من ذريته أكثر وللعين فيه ولادة
 أيضا وللمعبس فيه ولادة أيضا
 (تنبيه لطيف) مما فضلت به
 فاطمة الزهراء على أخواتها لان
 المهدي المبشر به في آخر الزمان
 من ذريتها كما جزم به السويلى في
 الروض الأنف فهي مختصة بذلك
 عنهن والاحاديث في أمر المهدي
 كثيرة وقد جمعها أبو بكر بن أبي
 خيثمة فاكثروا ومن أغربها اسنادا
 ما ذكره أبو بكر الاسكافي في
 فوائد الاخبار مسندا الى مالك
 ابن أنس عن محمد بن المنكدر عن
 جابر قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : (من كذب بالدجال
 فقد كفر ومن كذب بالمهدي فقد
 كفر) وقال في طلوع الشمس من

(١) قوله شعيب بن صالح تنوين شعيب وكسره دون حذف اللورن
 وهو جائز كما في قراءة عاصم والكسائي عربر بن الله حكاية عن
 اليهود لعنهم الله بابقاء التنوين وكسره في الشاطبية وغيرها
 ١- هـ مؤلفه .

رجل من حزم فيجلس بين الركن والمقام فيبيع فيلقى الله محبة في صدور الناس فيصير مع قوم أسد بالنهار وورهبان بالليل (وفي القسطلاني) أن ظهور المهدي قبل الدجال بسبع سنين وأن الدجال يخرج على رأس مائة وإن قبله مقدمات تكون في سنين كثيرة وأنه قبل طلوع الشمس من مغربها وجزم السيوطي أن الدجال يسبق نزول عيسى والله أعلم . (وقد حاول ابن خلدون) في مقدمة تاريخه تضعيف أحاديث المهدي الواردة فيه بكل حيلة أمكنته ومع ذلك لم يمكنه الطعن إلا في بعضها لا في كلها وكثير من اعتراضه وطعنه لا يسلم له ، وعلى تسليمه فأحاديث المهدي الواردة فيه أكثر من ذلك فقد بلغت حد التواتر وكثرتها قاضية بصحتها والقطع بها قال في مراقي السمود :

واقطع بمصدق خبر التواتر
وسو بين مسلم وكافر

وهي لكثرتها بعضها بعضا
وقوله عليه الصلاة والسلام الثابت
في الصحيحين (كيف أقم إذا نزل

مغربها مثل ذلك فيما أحسب
أ هـ . ملخصا من الروض الأتق
للسهلي وأعلن أن المهدي يبيع
وهو كاره فلا يطلب البيعة بل يهرب
منها قال العلامة ابن حنبل الدين في
تأليفه (البرهان في علامات مهدي آخر
الزمان) وعن أبي جعفر قال يظهر
المهدي يوم عاشوراء وكأنه به يوم
السبت المأسر من المحرم قائم
بين الركن والمقام وورد أنهم
يأتونه بمكة فيقولون له أنت فلان
ابن فلان فيقول بل أنا رجل من
الانصار فيقتل منهم فيصنعونه
لأهل الخبرة فيقولون هو صاحبكم
الذي تطلبونه قد لحق بالمدينة
فيطلبونه بها فيخالفهم إلى مكة
فيصيرونه بها فيقولون له أنت فلان
ابن فلان وأملك فلانة بنت فلانة
وفيك آية كذا وكذا وقد اتفقت
من مرة فمد يدك نبيك فيقول
لست بصاحبكم وبنفت منهم
فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكة
فيصيرونه عند الركن ويقولون
اثمنا عليك ودمائنا في عنقك إن لم
تمد يدك نبيك هذا عسكر
السفاني قد توجه في طلبنا عليهم

ال خليفة الذي يكون في آخر الأمة
 كما في صحيح مسلم من حديث
 جابر قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : (يكون في آخر أمتي
 خليفة يحثي المال حثيا لا يعده عدا)
 خلافا لما زعمه ابن خلدون من أنه
 لا دليل يقوم على انه أي المهدي
 المراد بهذا والله أعلم .

ابن مريم فيكم وامامكم منكم)
 محمول على المهدي كما عليه
 المحققون لورود الاحاديث المصرفة
 بأن نزول عيسى عليه الصلاة
 والسلام يقع والمهدي موجود في
 الأرض وانه يؤم عيسى عليه الصلاة
 والسلام في أول صلاة اجتمعنا
 عندها وبعد ذلك يصير عيسى هو
 الامام وهذا أعظم دليل على أنه



(الفصل الثاني)

قد أخرج البخاري في صحيحه في ثمان عيسى عليه الصلاة والسلام ما نقله (باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام) حدثنا اسحق أخبرنا يعقوب ابن ابراهيم حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها) ثم يقول أبو هريرة واقرأوا ان شئتم (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) ١ هـ بلفظه وقوله اقرأوا ٢ هـ الخ ٣ هـ يشير به البخاري الى أن أبا هريرة يفسر الآية بأن إيمان أهل الكتاب به قبل موته واقع بعد نزوله وتصير أبا هريرة بذلك في غاية الحسن وفي البخاري بعد الحديث الاول بإسناد متصل

عن أبي هريرة (كيف أتتم اذ نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم) وفي صحيح مسلم (والله لينزل ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب وليقتل الخنزير وليفمن الجزية ولتركن القلاص فلا يسمى عليها وليذهبن الشحاء والتباغض وليدعون الى المال فلا يقبله أحد) ١ هـ ٢ هـ وفي هذا الحديث اشارة الى كثرة سكة الحديث في آخر الزمان والاستغناء بها عن القلاص حيث تترك ولا يسمى عليها للاستغناء عنها بالسكة فهذا الحديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم والى هذا المعنى يشير أيضا قوله تعالى : « وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » أى مثل فلك البحر فشله فلك البر وفي صحيح مسلم انه أى عيسى ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ١ هـ ٢ هـ وفي سنن الترمذي في باب ما جاء في نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا

فيكسر الصليب ويقتل الخنزير
ويضع الجزية ويغضض المال حتى
لا يقبله أحد (١ هـ ٥٥ وفيه في
حديث الدجال الطويل فبينما هو
كذلك اذ هبط عيسى بن مريم
عليه السلام بشرقى دمشق بين
مهرودتين واضعا يده على أجنحة
ملكين اذا طأأ رأسه قطر واذا
رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ
قال ولا يجد ريح نفسه يعني أحد
الامات وريح نفسه منتهى بصره
قال فيطلبه أي فيطلب عيسى
الدجال حتى يدركه بباب لد فيقتله
قال فيلبث كذلك ما شاء الله الخ
الحديث وهو طويل وفي آخره انه
في زمنه يقال للارض اخرجي
ثمرتك وردى بركتك وان البركة
يحصل منها ما فيه عبرة لأولى
الالباب وقوله بين مهرودتين روى
بالذال المعجمة والمهلة أي ثوبين
مصبوغين بالورس ١ هـ ٥٥ وقد
ورد في نزوله ومدة مكثه في
الارض بعد الدجال كثير من
الاحاديث تركنا بعضه اختصارا
للتقطع بأمره لأنه نص القرآن
العظيم وسيأتى في الحاتمة ان شاء

الله قريبا ذكر زيادة من الاحاديث
الواردة فيه وفي مدته ، وقد نظم
مجدد العلم ببلادنا سيدي عبد الله
ابن الحاج ابراهيم في روضة
النسرين حاصل خبره ونزوله من
السماء بقوله رحمه الله تعالى :

نزوله للارض مثل الشمس
لأنه سما مقام العبد
يتجلى للتي سماها راسيه
وفي بني تلك براهها راسيه
خصما واربع في النظم
وفسره بمكة نجل مريم
او مكه سبع كما في مسلم
او ارمين والصحيح قدم
وللوفاء جنح السيوطي
وتكونه يند في المصبوط
ودفعه مع النبي الطاهر
تصنيفه ثبت لابن حجر
آخر من جدد ذا النبي
وقيل انه هو المهدي
قوله لأنه سما مقام الحدس أي
علا على الظن فالحدس هو الظن
وقوله وقيل انه هو المهدي اشارة
الى رواية ابن ماجه وقد تقدم
الكلام عليها فراجع ان شئت في
المقدمة (الخاتمة رزقنا الله حسنها)
قد تقدم ان ظهور المهدي قبل
الدجال سبع سنين وان الدجال
يخرج على رأس مائة وان قبله
مقدمات تكون في سنين كثيرة وانه
قبل طلوع الشمس من مغربها
وجزم السيوطي بأن الدجال يسبق
نزول عيسى والله أعلم .

وقد جاء في الحديث أن الدجال يخرج على رأس مائة ويقتله عيسى ابن مريم وفيه كما تقدم أن عيسى يجتمع مع المهدي ويتعاونان على الجهاد ، فقد أخرج ابن أبي حاتم في التفسير كما قاله السيوطي في كتاب (الكشف عن مجاوزة الأمة الألف) عن عبد الله بن عمرو قال ما كان مذ كانت الدنيا رأس مائة سنة الا كان على رأس المائة أمر فاذا كان رأس مائة يخرج الدجال وينزل عيسى بن مريم فيقتله وأخرج الطبراني عن عبد الله ابن سلام قال تمكث الناس بعد الدجال أربعين سنة تعمر الأسواق ويفرس النخل وأخرج الطبراني عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين عاما » وأخرج أحمد في مسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « : (يخرج الدجال فينزل عيسى بن مريم فيقتله ثم يمكث

عيسى في الأرض أربعين سنة اماما عادلا وحكما مقسطا) وأخرج أحمد في الزهد عن أبي هريرة قال يمكث عيسى بن مريم في الأرض أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلي عسلا لسالت وأخرج الحاكم في المستدرک عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بين أذني حمار الدجال أربعون ذراعا مذكر الحديث الى أن قال وينزل عيسى ابن مريم فيقتله فيستمعون أربعين سنة لا يموت أحد ولا يمرض أحد ويقول الرجل لغنمه وللذئاب اذهبوا فارعوا وتمر الماشية بين الزرعين لا تأكل منه (١) سنبلة والحيات والعقارب لا تؤذى أحدا والسبع على أبواب الدور لا يؤذى أحدا ويأخذ الرجل المدين القمح فيسفره بلا حرث فيجىء منه سبعمائة فيمكثون في ذلك حتى يكسر سد يأجوج ومأجوج فيمرحون ويضمدون في الأرض فيبعث الله دابة من الأرض فتدخل

(١) قوله منه أى الزرع المعهوم من ذكر الررعين لأن الكل هو مرجع الضمير إليه مؤلفه .

سنتين ليس بين اثنين عفاوة
ثم يبعث الله تعالى ريحا باردة تعجىء
من قبل الشام فلا تدع أحدا في
قلبه مثقال ذرة من الايمان الا
قبضت روحه حتى لو أن أحدكم
دخل في كبديل لدخلت عليه حتى
تقبضه ثم يبقى اشرار الناس فيجبنهم
الشیطان فيأمرهم بعبادة الاوثان
فيعبدونها) ، وأخرج أبو يعلى
والرويانى في مسندهما وابن قانع
في معجمه والحاكم في المستدرک
والضياء في المختارة عن بريدة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(ان لله ريحا يبعثها على رأس
مائة سنة تقبض روح كل
مؤمن) اهـ . (وفي نسخة
المجدين لجلال السيوطى
ما نصه) :

وأخر الذين فيهما ياتى
ميسى نبى الله ذو الايات
تجسد المدين المهدي الامه
وفي الصلاة بعضنا قد امة
ومعه لم يبق من مجدد
ويرفع القرآن مثل ما بسى
وتفسير الاشرار والامم
من رفعه الى قيام الساعة

ومراذه بقوله بعضنا قد امة
المهدي المنتظر كما أقره في غير هذا
من مصنفاته رحمه الله وفي آخر

آذانهم فيصبحون موتى أجمعين
وتتن الأرض منهم فيؤذون الناس
بنتهم فيستغيثون بالله فيبعث الله
ريحا يمانية غرباء ويكشف ما بهم
بعد ثلاثة وقد قذفت جميعهم في
البحر ولا يلبثون الا قليلا حتى
تطلع الشمس من مغربها . وأخرج
أبو الشيخ في كتاب الفتن عن أبي
هريرة رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : (ينزل
عيسى ابن مريم فيقتل الدجال
فيمكث في الأرض أربعين عاما
فيعمل فيهم بكتاب الله وستى
ويموت ويستخلفون بأمر عيسى
رجلا من تميم يقال له المقعد فاذا
مات المقعد لم يأت على الناس
ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من
صدر الرجل ومصاحفهم)
وأخرج مسلم والحاكم وصححه
عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : (يخرج الدجال فيمكث
في أمتى أربعين يوما ثم يبعث الله
عيسى عليه السلام فيطلبه حتى
يهلكه ثم يبقى الناس بعده سبع

جسد ققط أعور العين اليمنى
 كأنها عنبة طافية فسالت من هذا
 فقيل لى هذا المسيح الدجال (١ هـ)
 .. ونحوه فى صحيح البخارى
 وزاد فى صفة الدجال قوله أقرب
 الناس به شبها ابن قطن رجل من
 خزاعة ، وفى الحديث ان عيسى
 عليه السلام أحمر ربة أى متوسط
 بين الطول والقصر فادا تحصل
 ما قررناه عندك وتأملتته من أوله
 الى آخره وتدبرت فى أن المهدي
 يسبق الدجال كما تقدم بسبع
 سنين والدجال يخرج على رأس
 مائة كما فى الأحاديث السابقة
 وعيسى عليه السلام يدرك المهدي
 ويجتمع معه ويقتل الدجال معه
 علمت أن هذا كله متأخر الى رأس
 مائة آية والله أعلم بها هل هى
 هذه الآتية أى الخامسة وهو ظاهر
 كلام السيوطى فى رسالة الكشف
 عن مجاوزة الأمة الألف أو هى
 مائة أخرى آتية فعلم ذلك الى الله
 وأما دعاوى الدحاظة لذلك فكثير
 ما تقع بدون دليل وبكيفية ان الله
 تعالى يفضح كل من ادعى ذلك ،
 اما بموت قيل اظوار ما ادعى

حديث الدجال الطويل وقتل عيسى
 له مانصه ويبقى شرار الناس
 يتهارجون تهارج الحمر فعليهم
 تقوم الساعة رواء مسلم فاذا
 تأملت ما سطرناه من أحاديث
 عيسى والمهدي المنتظر مع أنه
 قليل بالنسبة لما تركناه مع صفة
 عيسى بن مريم الآتية ان شاء الله
 فى حديث الموطأ والبخارى -
 ووقعت على أحاديث صفة المهدي
 المنتظر وسعة علمه وخوارق العادة
 التى تحصل له وقبله علمت أن
 كل دعوى مثل هذه الترهات
 الباطلة لا يلتفت اليها ولا يصفى
 عاقل ذو بصيرة أحوى مسلم ذو
 عقيدة صحيحة اليها وحديث الموطأ
 هو مالك عن نافع عن عبد الله بن
 عمر أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال : (رأيتنى الليلة عند
 الكعبة فرأيت رجلا آدم كأحسن
 ما أنت راء من آدم الرجال له لمة
 كأحسن ما أنت راء من اللهم قد
 رحلها فهى تقطر ماء متكئا على
 رجلين أو على عواق رجلين يطوف
 بالكعبة فسالت من هذا فقيل هذا
 المسيح بن مريم ثم اذا أنا برجل

أو عجز واضح أو اختبال أو غير ذلك وهذه الدعاوى الباطلة أخبر بها النبي الصادق صلى الله عليه وسلم ، ففى البخارى فى باب علامات النبوة عنه صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله) اهـ .. .
 بلغظه وقد أخرجه الترمذى أيضاً بهذا اللفظ وأخرج الترمذى وصححه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين وحتى يعبدوا الاوثان وأنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدى) ،
 وإلى هذا المعنى أشار الاخضرى فى الجوهرة القدسية بقوله :

قد جاء الحديث عن خير الورى
 أن يسأل السجالات عنى الأئمة
 حتى تجيء قبلى دجالاً
 كل ملوك بطريقى بالله

وقد وقع ذلك فى أقطار البلاد
 قديماً وحديثاً نسأل الله بمنه العصمة
 من الضلال والنجاة من شرور
 الأهوال وإذا كان مما علم من

الدين ضرورة لفة لا نبي بعد نبينا
 صلى الله عليه وسلم إلا ما أخبر به
 من نزول عيسى عليه السلام فى
 آخر الزمان حاكماً بشرعنا
 لا بشرعه الأول ولا بشرع جديد
 فى آخر الزمان كان نزول عيسى
 غير مناقض للآية الشريفة وهى
 قوله تعالى : (ولكن رسول الله
 وخاتم النبيين) ، وقوله عليه
 الصلاة والسلام كما فى صحيح
 البخارى « وأنا خاتم النبيين »
 وقوله « لا نبي بعدى » كما فى
 الترمذى وغيره وذلك لأن القرآن
 أثبت البعديّة للنبي صلى الله عليه
 وسلم على عيسى قال تعالى
 حكاية عنه : (ومبشراً برسول
 يأتى من بعد اسمه أحمد) ،
 فنزوله آخر غير مناف لذلك لأن
 المعتبر زمن تشريعه ونزول الأنجيل
 عليه قبل رفعه كما هو ضرورى
 وأما زمنه الأخير فهو أمر آخر
 أراد الله تعالى تشريفاً لهذه الأمة
 ونعماً لها برفع كثير من الشر عن
 أدركه عيسى منها وإظهارها للموجود
 من أهل الكتاب إذ ذاك أن قوله
 تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه

ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قلوبهم يقينا بل رفعه الله إليه ، وقوله : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » حق لا مرية فيه إلى غير ذلك من الأسرار التي الله أعلم بها .

وقد سئل :

ابن حجر الميسي كما في الفتاوى الحديثة له عن وجه حكم عيسى عليه السلام بشرع نبينا عليه الصلاة والسلام هل هو باجتهاد أو بمنهج أحد المجتهدين ؟

فأجاب :

بقوله عيسى صلى الله عليه وسلم منزّه عن أن يقلد غيره من بقية المجتهدين بل هو أولى بالاجتهاد ثم علمه بأحكام شرعنا أم بعلمها من القرآن فقط إذ لم يفرط فيه من شيء وإنما احتجنا لغيره لقصورنا وقد كانت أحكام نبينا صلى الله عليه وسلم كلها مأخوذة من القرآن ، ومن ثم قال

الشافعي رضي الله عنه كل ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن فلا يبعد أن عيسى صلى الله عليه وسلم يكون كذلك أو برواية السنة عن نبينا صلى الله عليه وسلم فإنه اجتمع به في حياته مرات ومن ثم عد من الصعابة ثم ذكر عدة أحاديث مصرحة باجتماعه مرات نبينا صلى الله عليه وسلم ولا نقص على عيسى في نسخ شرعه بشرعنا كما لا نقص في نسخ بعض شرعنا لبعض فالكل من عند الله تعالى لحكم اقتضت ذلك ونظر مصالح عباده وتفرده تعالى بالربوبية والفعل بالاختيار لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

وأما المهدي فشرّف النسب يكون مجتهدا مطلقا وقطبا في الباطن تأتى معه علامات وخوارق كما هو منصوص فمن لم يكن في وصفه إذا ادعى أنه هو فضحته شواهد الامتحان قال الشاعر :

كل من يدعى بما ليس فيه
كذبت شواهد الامتحان

وقسمال الانوسيسيرى
والدعساوى مالم تقيموا عليها
بينات انزلوها ادعياء

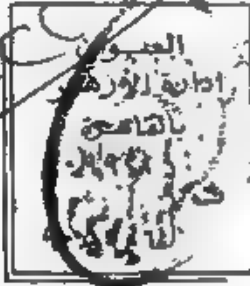
ابن الشيخ سيدي عبد الله ابن
ما يابى الجكنى أصلا الشنقيطي
أقليما المدني مهاجرا نزل مكة كالا
هذا آخر ما قصدا تحريره في
هذه النازلة ان كان وضع أدلته
في محالها صوابا فمن الله وجود
صوابه والا فمن محل الخطأ
وجرأه (وسميت ما في هذه
الاوراق بالجواب المقنع المحرر في
الرد على من طغى وتجبر بدعوى
انه عيسى أو المهدي المنتظر) .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب
العالمين والصلاة والسلام على سيد
المرسلين وآله وأصحابه أجمعين *
وكان الفراغ منه وقت آذان
صلاة العشاء مستهل صفر الخير
سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة بعد
الالف قبالة بيت الله الحرام رزقنا
الله بسبب ختمه حسن الختام
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم والصلاة والسلام على سيد
المرسلين سيدنا محمد وآله
وأصحابه ومن تبعهم بإحسان الى
يوم الدين ، انتهى بحمد الله وحسن
توفيقه وتأييده جعله الله مقبولا
ونافعا للأمة آمين .

فاذا كان الأمر كما علمت تبين
لك ولكل واقف على هذه
النصوص القاطعة ان مثل هذه
الترهات الممزوة الآن لمن يدعى انه
عيسى أو المهدي مع ما هو منسوب
له ومسطور عنه من الكذب
وتناقض الأقوال وتحريف الكلم
عن مواضعه واللحن الفاحش الذي
يأمن منه من قرأ المقدمة الاجرومية
بل من خالط أدنى مخالط للسان
العرب لا ينبغي أن يلتفت
الى تضيق ساعة من نهار
في مطالعته بل لا يلتفت اليها
الا سخفاء المقول ، ويقال في حق من
أصغى اليها « ان هم الا كالأنعام
بل هم أضل » ، (فان قيل) لا بد
من رد مثلها لتلا يفضل أغبياء
الأمة ويتشر الباطل لأن له صولة
في أوائل أمره قبل الاضمحلال
(قلنا) قد كتبنا من النصوص
القواطع ما عسى الله أن يقذف به
على ما هنالك من الكفر والضلال
قال تعالى : (بل نقذف بالحق على
الباطل فيدمعه فاذا هو زاهق) ،
قال كاتبه وجامعه محمد حبيب الله

فهرس العدد

صفحة	الموضوع
١	على هامش المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية دكتور عبد الودود شلى
٣	البيان الختامى للمؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية.....
٢٢	الابحاث التى قدمت للمؤتمر التفرقة العنصرية والاسلام
٤٤	للدكتور محمد الهى اثر الرسالة الاسلامية فى الحضارة الانسانية للاستاذ الدكتور عمر فروح
٦٩	ايها المسلمون ماذا اعدتم لوداع القرن الرابع عشر الهجرى ؟ فضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير
١٠٤	المسلمون والقرن الخامس عشر الهجرى دكتور رعوف شلى
١١٢	احلامنا فى محرم ١٤٠٠ هـ للاستاذ السيد حسن قرون
١١٨	فى مواجهة الاتحاد المعاصر عدم كفاية العلم فى مجال المعرفة للدكتور يحيى هاشم
١٣١	الاسلام فى الفكر الاوروبى عرض وتحليل لمؤلفات اوروبيه بقلم الدكتور محمد شامه
١٤٨	هجوم لامبور له (الازهر وايام طه حسين) للدكتور محمد رجب السومى
١٧٧	اللغة الاردية : نشأتها وتطورها للدكتور سمير عبد الحميد ابراهيم
١٨٨	النظرة الاسلامية فى المخابرات الحربية لواء محمد جمال الدين محفوظ
١٩٨	بساب القساوى للاستاذ عبد الحميد شاهين
٢٠٩	حكم .. وطرائف اعداد الاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
٢١٤	(كتاب الشهر) رساله الجواب المتع المعرد فى الرد على من طفى ونجس الشيخ محمد حبيب الله الجكنى الشنقىلى
٢١٧	



الأنوار

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
ورئيس التحرير

الدكتور
عبد الوارث عبيد

الجزء الثاني - السنة الثانية والخمسون - ربيع الأول سنة ١٤٠٠ هـ - فبراير ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسات قرآنية :

النبي الأُمِّي الذي ملأ الأرض رحمةً وعدلاً وإشراقاً ونوراً

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى في سورة الأعراف (١٥٨)

« قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .

البيان

والآخرة ، ورحم الله المباس بن

عبد المطلب إذ يقول في ذلك :

وانت لما ولدت انشرفت الدين
ومسحت بشوكة الانق
فمن في ذلك الفياء وفي النور
وسبل الرشاد تفتشوق

وكان ميلاده الشرف بعد

حادثة الفيل بخمسين يوماً ، تلك

الحادثة التي جعلها الله ارحاماً

للبوّة ، وتكرّما لقبلة ، حيث

أرسل على غزاتها « طيرا أبابيل

في صبيحة اليوم الأعر - الثاني

عشر من ربيع الأول - ومن مشرق

الهدى والسنا والجلال أشرق جبين

المصطفى الهادي على الربي

والبطاح ، ليطوى بنور هداه

ظلمات الوثنية والجهالة ، ويكشف

للناس آفاق العلم والعرفان ،

ويرشدهم الى مناهج الخير ،

وممالك السعادة في الدنيا

ترميمهم بحجارة من سجيل فجعلهم
كعصف مأكول » .

طيب منقبه

كان صاحب الذكرى العطرة ،
رفيح الحسب ، عظيم النسب ،
جليل المنبت ، طاهر الأصول ،
اذ تبرأ أصله ونسبه الشريف من
سفاح الجاهلية ، ولم يعرف
لوليد مثل آياته الفر الميامين ،
فى عوالى الهمم ، ومحاسن الشيم ،
ونظافة الأعراض .

عن على كرم الله وجهه أن النبی
صلی الله علیه وسلم قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« خرجت من نکاح ولم أخرج من
سفاح ، من لدن آدم الى أن ولدنى
أبى وأمى ، ولم يصبنى من سفاح
أهل الجاهلية شیء » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما
أنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « لم يلتق أبواى قط
على سفاح ، لم يزل الله ينقلنى من
الأصلا ب الطيبة ، الى الأرحام
الظاهرة مهذباً ، لا تشعب شعبتان
الا كنت فى خيرهما » .

وفى صحيح مسلم عن وائلة
ابن الأسقع رضى الله عنه قال :
قال صلى الله عليه وسلم : « أن الله
اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ،
واصطفى قرشاً من كنانة ،
واصطفى من قرش بنى هاشم ،
واصطفانى من بنى هاشم » .

اليهود كانوا يتوقعون ميلاده

كانت الكتب السماوية تبشر
بقرب مولد رسول من ولد
اسماعيل . موطنه وادى فاران
بمكة .

وفد ذكرت علاماته التى يتميز
بها ، وفى جمعتها أن بين كنفه
خاتم النبوة .

وكان اليهود يتوقعون ظهوره فى
الفترة التى ولد فيها ، فقد كانوا
يزاولون حساب النجوم ، وقد
ظهر لهم من حسابهم أنه يولد فى
ليلة معينة .

روى عن عبد الله بن عمرو بن
الناصر أنه قال : « كان بمصر
الظهران راهب يسمى عيصاً من
أهل الشام ، وكان يقول : يوشك
أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود
تدين له العرب ، ويملك العجم

فرس ، فخرجوا باليهودى حتى
ادخلوه على أمه ، فقالوا : اخرجى
لنا ابنك ، فأخرجته وكشفوا عن
ظهره ، فرأى تلك الشامة ، فوق
اليهودى مغشيا عليه ، فلما أفاق
قالوا : ما لك وملك ؟ قال : ذهبت
النبوة من بنى اسرائيل (رواه
الحاكم •

وهذه العلامة التى تحدث عنها
اليهودى هى خاتم النبوة الذى بين
كفى النبى صلى الله عليه وسلم ،
روى البخارى فى صحيحه أن هذا
الخاتم كان كزُرِّ الْحَبْلَةِ ،
وانه كان ينم سكا ، أى تخرج منه
رائحة المسك بقدرة الله تعالى ،
لكى يكون ذلك علامة مميزة
لنبوته صلى الله عليه وسلم ، كما
وردت فى الكتب السماوية ، قبل
أن يبعث بها العابثون •

العالم قبل مولده الشريف

كان الناس قبل مولده صلى الله
عليه وسلم يتخبطون فى الظلام ،
ويعيشون فى الأوهام ، ويقضون
الضريح والزقوم من المظالم ،
ويحيون حياة الدواب والسوائم •

— هذا زمانه — فكان لا يولد
مولود الا ويسأل عنه ، فلما كانت
صبيحة اليوم الذى ولد فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، خرج
عبد المطلب حتى أتى عيصا ،
مناداه فأشرف عليه ، فقال عيصا :
كن أباه ، فقد ولد ذلك المولود
الذى كنت أحدثكم عنه يوم
الاثنين ، ويبعث يوم الاثنين ،
ويموت يوم الاثنين ، ثم قال :
فما سميت ؟ قال محمدا ، قال :
والله لقد كنت أشتى أن يكون
ذلك المولود فيكم يا أهل هذا
البيت بثلاث خصال : أنه طلع نجمة
البارحة ، وأنه ولد اليوم ، وأن
اسمه محمد •

وعن عائشة أنها قالت : (كان
بمكة يهودى يتجرف فيها ، فلما
كانت الليلة التى ولد فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال :
يا معشر قرش • هل ولد فيكم
الليلة مولود ؟ قالوا لا نعمله !
قال : ولد الليلة نبى هذه الأمة
الأخيرة ، بين كتميه علامة فيها
شعرات متواترات كأنهن عرف

والمطلوب» وقوله جل وعلا : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا » .

لقد كان عابدها يقيمون بأنفسهم الحجة على ضعفها ، فانهم كانوا يتركونها ويدعون القدير العليم اذا اشتدت عليهم المعن ، لشعورهم بعجزها عن تلبية دعائهم ، لكنهم كانوا يتناقضون ، اذ يعودون الى تقديسها بعد أن كشف الله الضر عنهم ، وظهر لهم عجزها ، وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة النحل : « ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم يرمي يشركون » ويقول في سورة الاسراء « واذا مسكم الضر في البحر خمل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا » .

وكانت الضر أم الكبائر شرابهم المفضل ، يدفنون في سكرهم منها همومهم ، ويررون بها عبثهم ونزقهم ، ويشرون في نفسوتها

وكانت الأوثان تقس في المعابد والبيوت ، وتقدم لها القرابين ، وتراق في منابحها النسائك ، وانك لتعجب أن يصنع الناس آلهتهم بأيديهم ، ثم يخرون لها ساجدين ، فكيف استأغوا أن يعبدوا ما صنعه أيديهم ، والاله يخلق غيره ولا يخلقه سواء انك لتعجب أن يضرعوا اليها عند شح الأمطار ، لتجمل المزن تروى وديانهم حتى يبت الكلا وترعى الماشية ويشربون من عذب مياهها ، ومالها الى اجابتهم من سبيل ، وانك لتدهش حين يستنصرونها في الحروب ، ويستشفوا بها اذا مسهم السقام ، مع أنها لا تستطيع أن تدفع عنها من يحطمها ويزلزل قدسيتها ، ومع أنها عودتهم أن لا تجيب لهم مطلباً ولا تحقق لهم أملاً ، وأصدق ما وصفت به قول الحق سبحانه « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب

السيطرة والسلطان ، وتنافسان
في الظلم والظفیان •

وكانت الحرب دائمة الاشتعال
بينهما من أجل السيطرة على
الأمم الضعيفة ، وكانت هذه الأمم
المغلوبة على أمرها وقود الحرب
فيما بينهما •

وكانت السجایا الكريمة كاسدة
البضاعة ، والأخلاق الذميمة رائجة
بين الناس ، الى غير ذلك من
المفاسد والمعایب ، فكان من الحكم
البالغة أن يبعث الله خاتم النبيين
ليقضى على تلك المفاسد ، وينشر
الهدى بين الناس ، حتى يذروا
ماهم عليه من الانحراف في العقيدة
والسلوك •

نشأة الرسول صلى الله عليه وسلم
ولد صلى الله عليه وسلم يثيبا ،
فقد مات أبوه عبد الله وهو في
بطن أمه ، ثم فقد أمه وسنه خمس
سنين ، وذلك حينما عادت به من
زيارة أخواله بنى عدى بن النجار
بالمدينة ، فلحقها منيتها بالأيواء
وهي في طريقها الى مكة •

هزروهم ومجونهم ، وما فطنوا الى
أنهم حين يعاقرونها يفتكون
بمقولهم ، ويحطمون ارادتهم ،
ويقضون على كبودهم وأعصابهم ،
وينفقون أموالهم فيما يضرهم •
وكانت الدخارة فاشية بينهم ،
وبخاصة بين امائهم ، وكانوا يقيمون
لهن خياما خارج دورهم ، يفشاهن
فيها آثمهم ، وما كانوا يرون
عييا أن يجعلوا من أعراضهن
مرتزقا لهم •

ولما أرادت قريش جمع المال
لبناء الكعبة ، طلب أشرافهم أن
لا يساهم أحد في بنائها بمال حصل
عليه من اثم بنى •

وكانت المظالم منتشرة ، فالتوى
يستعبد الضعيف ويسخره ،
ويتخذ دابة ذلولا ، فلا يرعى فيه
انسانية ، ولا تسترحمه به شفقة •

وكانت الحرب سجالا بين
القبائل ، فكم من قبيلة أفتتها
قبيلة ، وكم من فصيلة طحتتها
فصيلة ، وكان يسيطر على العالم
أمتان كبيرتان - الفرس
والرومان - يتنازعان فيه على

تصرفهم ، ولا عجب في ذلك فقد
نشأ في مدرسة الرحمن الرحيم ،
تصنعه العناية الالهية ليكون خاتم
المرسلين .

وقد كانت آثار هذه العناية
بادية عليه في أمره كله ، ومن ذلك
ما أخرجه ابن عساكر عن جلهمة
ابن عرفة قال : قدمت مكة وهم
في قحط ، فقالت قريش :
يا أبا طالب • أقمط الوادي
وأجذب العيال ، فهلكم فاستق ،
فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه
شمس تجلت عنها سحابة ، وحوله
أغليمة ، فأخذ أبو طالب فالصق
ظهره بالكعبة ، ولأذ الغلام بأصبعه
وما في السماء قزعة (١) فأقبل
السحاب من ها هنا وها هنا ،
وأغدق وأغدودق ، وانفجر له
الوادي ، وأخصب النادي
والبادي ، وفي ذلك قال
أبو طالب •

وابيض يستسقى الغمام بوجهه

نعال البينامي عصمة للأرامل (٢)

روى الزهري عن أسماء بنت
برهم عن أمها قالت : شهدت آمنة
أم النبي صلى الله عليه وسلم في
علتها التي ماتت بها - ومحمد
صلى الله عليه وسلم غلام يضع له
خمس سنين عند رأسها - فنظرت
الى وجهه وقالت آيات شعر ، ثم
قالت : (كل حي ميت : وكل جديد
بال ، وكل كثير يفنى ، وأنا ميتة
وذكرى باق ، وقد تركت خيرا
وولدت طهرا) • الخ •

وقد نشأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم منذ ولد في كماله
جده عبد المطلب ، زعيم قريش ،
ثم لم يلبث جده أن توفي والرسول
في سن الثامنة ، فكفله عمه
أبو طالب الذي آلت اليه زعامة
قريش •

ومع هذا اليتيم فقد نشأ صلى
الله عليه وسلم بميد الهمة ، عزوفا
عن صفائر الأمور ، سامى النفس ،
رصين التصرف ، رفيح الخلق ،
بعيدا عن صفائر الأطفال ، وسذاجة

(١) أى قطعة من السحاب ، وهى واحدة القزع

(٢) الثمال الملجأ ، والمراد بالأرامل المساكين من رجال ونساء ، وأكثر
ما يطلق على النساء ، وعصمته للأرامل منعه لهم من الضياع .

موقف قريش من بعثته

لما بلغ الرسول الأربعين ، بعثه الله للناس بشيرا ونذيرا ، ومع تاريخه المجيد فإن قريشا أعرضت عما دعاها اليه من شرع الله ، وكافحت دعوته وأغررت به سفهاءها ، حسدا له واستمساكا بما ألفوه من عبادة الأوثان ، تقليدا للآباء دون حجة ولا برهان ، وكانوا يقولون « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » .

وقد مكث الرسول يدعوهم الى الرشاد والهدى ثلاثة عشر عاما ، فلم يؤمن به فيها سوى عدد قليل من الرجال والنساء .

ولعل موقفهم هذا من حكم الله تعالى ، فانهم لو سارعوا الى الايمان به ، لقال العرب من غير قومه : هؤلاء الناس من قريش ، أرادوا أن يملكوا العرب ، فدفعوا رجلا منهم ، فادعى النبوة ليكون ذلك وسيلة الى سيطرتهم على الناس ، وحينئذ ينفرون من دعوته ولا يقبلون عليها ، فذلك جعل الله موقف قومه منه سلبيا ، وادخر له قسوما يقتدونه بالمهج

ثم سافر الى الشام مع أبي طالب مرتين ، احدهما في الثانية عشرة من عمره ، والثانية في الثامنة عشرة ، وقد حدثت له ارهاصات وكرامات عجيبة في الرحلتين ، كنظليه وحده بالقمام ، دون غيره من الركب ، وتسليم انجمادات عليه وغير ذلك ، ولما رآه بحيرا الراهب احتضنه وقال : هذا هو النبی الذي بشرت به التوراة . وأوصى عمه أن يحافظ عليه من اليهود .

وقد تجلّى من صفاته الصدق والأمانة ورجاحة العقل ، حتى عرف بذلك بين الناس ، فأصبحوا يقبلونه بالأمن ، فمهدت اليه خديجة بتجارة لها في رحلة الى الشام ، فسافر ومعه غلامها ميسرة ، فرأى منه في تلك الرحلة من كريم السمائل ، وعظيم الخوارق ما لم يشاهد مثله ، فلما عادا بالتجارة الرابعة ، أخبر ميسرة مولاته خديجة بما رأى من عجائبه ، فخطبته الى نفسها وتزوجته ، وأنجب منها أولاده عدا ابراهيم فمن مارية القبطية .

بأمر هؤلاء وأولئك ، بمد أن شرفه الله بالرسالة ، وقد أيد الله بوجهه في هذه العواطف الكريمة ، فأعمن في الحث على العناية بهم ، ومن ذلك قوله تعالى « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » وقوله « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » وقوله : « وليخس الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضحافا خافوا عليهم فليقتموا الله وليقولوا قولا سديدا » .

ومن ذلك قوله في شأن الوالدين : « وبالوالدين احسانا اما يلغن عندك الكبير أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » .

وقد امتد حنانه الى كل فقير وضعيف وحيوان ، وبلغ من رحمته بالفقراء أن جعل أهل الحي الذي يبيت فيه جياع آثمين ، وبلغ من

والأرواح ، وهم أهل المدينة ، فيها لقاءهم به في مواسم الحج قبيل الهجرة ، فشرح الله صدورهم فأمنوا في شغف ولهفة ، وبايعوا الرسول على أن ينموه مما يمنعون منه أولادهم ونساءهم ، ثم هاجر اليهم ، وتبعه مسلمو مكة ، وهناك وجدوا أنصار المدينة قد نشروا الاسلام في ربوع المدينة ، بإرشاد وتوجيه مصعب بن عمير ، وعبد الله ابن أم مكتوم مبعوثي الرسول اليهم ، وهناك آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين وبينهم ، فصنعت هذه المؤاخاة العجب العجائب من نشر دين الله في الجزيرة العربية ، وسقوط دولة الوثنية في مكة ودخول أهلها وغيرهم في دين الله أفواجا . والحمد لله رب العالمين .

يمن اليتيم ونوره في العالمين

من حكم الله أنه اختار خاتم النبيين يتيما ، ليشر بالام اليتامى النفسية ، ويعظم احسانه بحاجتهم الى العطف والرعاية ، ويسمو اكباره لفضل الوالدين ، فلهذا كان صلى الله عليه وسلم معنيا

ما حوامين دفتيه من أعدل قواعد
التشريع وأعلى مناهج الأخلاق ،
وأسمى أساليب التربية والتأديب ،
وكل ذلك أو بعضه لا يقدر على
الاثيان به العجم الفغير ممن
وصلوا الى أعلى الثقافات ، فكيف
يستطيع أن يأتي به نبي أمي نشأ
في أمة جاهلة ، أن ذلك يدل بلا
أدنى ريب ، على أنه وحى من الله ،
وليس من تأليف البشر ولا غيرهم
من الجن ، وصدق الله تعالى إذ
يقول : « قل لئن اجتمعت الانس
والجن على أن يأتيوا بمثل هذا
القرآن لا يأتيون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا » .

لقد حوى هذا الكتاب الكريم
بين دفتيه وجوب توحيد الاله
وأرشد العقول الى أنه « لو كان
فيها آلهة الا الله لفسدتا » وأبطل
عبادة الأوثان ، وبين فسادها ،
فأفاقت العقول من سكرتها ،
وصحت من ثباتها ، واتجهت نحو
العقيدة المستقيمة الحققة ، وتلاشى
الشرك أو كاد .

عطفه على العامل الضعيف أنه
أوصى بأن يعطى أجره قبل أن
يجف عرقه ، وبلغ من عنايته
بالحيوان أنه قال « في كل ذى
كبد حراء صدقة » وقال :
« دخلت امرأة النار في هرة
حبستها ، فلا هي أطمتها ، ولا هي
تركتهما تأكل من خشخاش
الأرض » (١) .

وقد أيده الله أيضا بما أنزل في
كتابه من إيجاب الزكاة للفقراء
والمساكين ، والحث على الرحمة
وتحريم الظلم .

ومن حكم الله أنه اختاره أميا ،
ليكون العلم الذى حواه القرآن
الذى بعث الله به معجزته الكبرى ،
وصدق الشاعر إذ يقول :

كمالك بالعلم فى الأمى معجزة
فى الجاهلية والتأديب فى اليتيم
وما أعظم مما أحاط به ذلك
الكتاب من فنون العلم ، فهو فى
القمة من الفصاحة والبلاغة
والعلم ، وفى الذروة من الصدق
فى أخبار الماضين ، الى جانب

(١) خشاش الأرض حشراتهما

يتركوا باباً من الأبواب الاطرقوه ،
ولا مشكلة يمكن أن تطرأ على
المجتمع الاسلامى الا حلوها .

ومن أمثلة هذه الموسوعات
كتاب الحاوى للامام الماوردى
الشافعى المذهب ، وهو كتاب
مخطوط يقع في نحو عشرين
مجلدا ، وكذلك فعل السيوطى في
موسوعة له تبلغ عشرين مجلدا ،
كما فعل غيرهما من أصحاب
المذاهب على هذا النمط وأدنى
منه وأكثر .

ولقد فتح القرآن العظيم ،
وسنة النبى الأسمى الكريم ، أبواب
العلم على اختلاف فروعه ، فانتشر
في البلاد التى شبع فيها نور
الاسلام ، انتشر فيها المسلم
والعرفان ، والمدنية والحضارة ،
فعر أهلها بعد ذل ، وعلموا بعد
جهل ، وأمنوا بعد خوف ، وكل
ذلك بفضل الله ، ورسالته الى نبيه
الأسمى اليتيم ، فصلوات الله وسلامه
عليه في كل وقت وحين .

مصطفى محمد الحديدي الطير

ولقد أجبر منطق السديد فى
التوحيد ، أجبر أصحاب عقيدة
التثليث على محاولة توحيد
ثالوثهم ، فزعموا أن الثلاثة
واحد ، وما يضيئهم هذا قتيل .

وحوى هذا الكتاب أيضا من
قواعد التشريع ما يصلح لكل
اقلية ولكل زمان ومكان الى أن
تقوم الساعة .

ولقد استطاع الفقهاء أن
يستنبطوا من نصوصه بمعونة
السنة النبوية موسوعات فى الفقه
الاسلامى ، اشتملت على الكثير
من فروع العبادات والمعاملات ،
والزواج والطلاق والعفو والعقاب ،
 وغير ذلك مما يحتاج اليه البشر فى
مختلف شؤونهم .

ولو أن فقهاء جيلنا درسوا فقههم
وفتاواهم وأقضيتهم ، لأخرجوا
للناس قوانين تريح قلوبهم
وتسعدهم وتحل مشكلاتهم ،
وتخرس السنة الدعاة الى التجديد
والانصراف عن الفقه الاسلامى .

فقد بلغت فتاوى بعض الأئمة
مئات الألوف بل أكثر ، ولم

نصحيح واجب :

القرآن والعلوم الإنسانية

للدكتور محمد رجب البيومي

« قد جادكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط
مستقيم . » قرآن كريم

يتلقى الطالب الجامعي في
الدراسات الانسانية مذكرات
أساتذته ، فيفهمها فهما جيدا
يساعده على اجتياز الامتحان آخر
العام بنجاح ، ويراه من وجهة
نظره المبتدئة صوابا لا مرية فيه ،
اذ لا يمكن أن يتصور أن أساتذه
الجامعي المتخصص يقدم اليه غير
الصائب الصحيح في كتابه ، وقد
يكون هذا الكتاب محدود النظرة
يعرض الوجهة الواحدة من وجهات
كثيرة دون أن يعرج على ما يخالفها ،
وقد تكون هذه الوجهة المختارة
لدى المؤلف ذات خطأ يتطلب
التصويب ، فالإقتصار عليها دون
غيرها تحكم لا مبرر له ، وكان

نحرص على تقديم الدراسات
الاجتماعية ، ونرى في كثرة
المؤلفات الدائرة حولها ما يفيد
وينفع لأن كل دراسة جادة تعود
بالخير على الانسان ، وقد ظهرت
من المؤلفات الجامعية أمثلة
مشرفة تتوخى البحث الهادف ،
ومن حقنا أن ندلى ببعض انطباعاتنا
الخاصة ، حول هذه المؤلفات ،
ولن نتعرض لأسماء الكتب
والمؤلفين تصرحا لأننا لا نريد
التجريح الهادم بل نقصد النقد
البناء ، اذ فلتت الأنظار الى ناحية
مهمة يتجاهلها أكثر الكاتبين في
هذه الدراسات وهي من الأهمية
بالمكان الأول .

ذلك أن أكثر هؤلاء الطلبة لم يمتحنوا في الدين الاسلامي في نهاية كل مرحلة ، اذ تقضى بعض اللوائح التعليمية في كثير من الدول الاسلامية أن يقتصر الامتحان في الدين الاسلامي على ما قبل الشهادة العامة ، اذا أضيف ذلك فلك أن تحكم بأن الطالب في المرحلتين السابقتين على الدراسة الجامعية ، ينتقل الى الكلية العالية دون المام متوسط بحقائق الدين ، فيكاد يتساوى مع من لم يدرس الدين أصلا ممن لم يلتحقوا بالمدارس التعليمية ، فاذا صلي وصام وتمسك ببعض الأخلاق القرآنية فقد فعل ذلك ناقلا عن أسرته وبيئته دون تثقيف .

هذا الطالب الذي ألم بقشور سطحية في المرحلتين السابقتين في مسائل التشريع والعقيدة يتوجه الى الجامعة ليدرس العلوم الانسانية كما حذقها أساتذته الذين يعتمدون على كتب أوروبا كل الاعتماد في هذه العلوم ! وقد يتفوق في درجته فيلتحق بالدراسات العليا ، وينال الدكتوراه

الأوفى أن يعرض الرأي المقابل مشموعا بأدلة أصحابه ، لتكتمل الرؤية الصحيحة في شتى جوانبها ، ولكننا نجد في أكثر المؤلفات الجامعية ما يقتصر على وجهة معينة وكأنها وحدها موضع الاتفاق بين الدارسين ، وتزداد خطورة هذا الأمر اذا كانت القضية المعروضة تمس جانبا أكيدا من جوانب العقيدة الدينية ، وقد اختار المؤلف ما يعارض الاتجاه الديني فركاه وأيده دون التفات الرأي الصحيح .

وقبل كل شيء نحب أن نصرح بالحق دون مواربة ، فنقرر أن ثلثا من الذين يكتبون للطلاب في الجامعة في علوم النفس والاجتماع والفلسفة والتربية والحضارة والأخلاق قد اقتصرت معارفهم الاسلامية ، على ما أخذوه في المدارس الثانوية والابتدائية ، فهم لا يعرفون من حقائق الاسلام غير ما ألم به الطالب الناشئ في مرحلة أو مرحلتين « وهو مقدار » لا يسمح باعطاء تصور كلي عن حقائق الاسلام ، فاذا أضيف الى

رأى النبات ينمو بتأثير الماء ، ولكنه شاهد من مظاهر الطبيعة ما أفزعه ، فهو يسمع الرعد ، ويرى البرق ، ويشهد فعل النار ، وتدمير السيول فيعتقد بوجود قوة جبارة قاهرة تفزعه وتخيفه ، واذ ذاك يستكين لهذه القوة خائفا هائبا ، ويرتفع بها الى درجة الألوهية فيكون الرعد والبرق والشمس والقمر والليل آلهة ذات سلطان ، ثم تأتي شخصيات « آدمية » فتدعى النسبة المتصلة بهذه الآلهة ، وتستمد منها قوة تفرض لها واجب السلطان والجبروت فتكون هي الهيئة الحاكمة ، يقول أحد هؤلاء الكتابين : « وقد انبثقت هذه العقيدة منذ فطامها من تلك العوامل النفسية والقدرية التي عاشت في ذات الانسان من الدهشة والخوف والتطلع صوب آفاق الأمل القريب أو البعيد ، اذ من ذات الانسان تطلعت أشعته الفكرية ، فاظرة نظرتها الأولى في جنبات الكون المحيطة به ، فسير بفكره الناقب أغوارها ، وصنع

في مادة تخصصه ، وهو في كل دراساته العالية يخوض في تيار أجنبي عن الاسلام ، ثم يعين بمد ذلك مدرسا فأستادا مساعدا فأستادا موجها ، ليشرح مادته كما تلقاها عن الماديين من أساتذة الغرب ! وهنا تكون الكارثة طامة حين يتعرض الى مسألة أبدى القرآن فيها حكمه الصريح فيتركه الى ما يعرف من أحكام زعمها القرآن ، وأقرب مثل لذلك ما نجده في مذكرات هؤلاء من حديث عن نشأة الأديان ! اذ يرى القارىء عجبا عاجبا من أوهام ملققة زيفها القرآن ، واجتبأها هؤلاء المتخصصون !

لا يظن قارئى العزيز أنى أبالغ أو أتعمق ، فانا أتحدث عن واقع مؤلم ، تجسم لدى بهوله المنكر ، حين تصفحت بعض المذكرات الجامعية في مادة الاجتماع فوجدتها تتحدث عن شيء أولي* في تاريخ الانسان ، تسميه المرحلة الدينية ، وتقول في توضيح هذه المرحلة ، ما ملخصه أن الانسان القديم بمد الطوفان أخذ يستعمر الأرض حين

من هذا الفكر طريقته الى الطمأنينة ،
وتبديد خوفه حينما ارتكز بعقيدته
الوليدة على وجود ما صنعه الهام
فكره من الآلهة » •

فاذا انتهت هذه المرحلة الدينية
ذات الفكر الخرافي ، وواصل العقل
البشرى نظره الفاحص ، فان مرحلة
أخرى تعقبها ، وتقف منها على
النقيض ، تلك هي المرحلة العلمية
القائمة على التجربة والملاحظة
والاستقراء والاستنباط ، وهي
المرحلة التي اكتملت في عصر النهضة
وما تلاه !

هذا الكلام يتردد في صفحات
علم الاجتماع في فصول تزدحم
بالمراجع المحتشدة لأساطين الباحثين
في أوروبا وأمريكا ، دون أن يجد
جواره ما يوضح الفكرة الإسلامية
في نشأة الدين ! وكأن الكاتب
الجامعي غريب عن الاسلام !!
واليه ينتسب !!

وأول ما يدهشنا أن صاحب هذا
الكلام ! يتحدث عن مرحلة ما بعد
الطوفان ! أي عن مرحلة ما بعد
نبي الله نوح عليه السلام ، إذ أن

الطوفان اذا أطلق بمفهومه العام
لا ينصرف الى غير طوفان نوح ،
واذا وجد اليوم فيما اكتشف
من الآثار ما يدل على تعدد الطوفان
في أزمنة مختلفة ، فذلك كله وليد
اكتشافات حديثة لا تختلط بهذا
الحدث التاريخي الذي سجلته
التوراة ، وذكره القرآن ، ونحن
نعلم أن أتباع نوح ممن نجوا
من الطوفان كانوا دوى عقيدة
دينية هي عقيدة الاسلام مصداقا
لقوله تعالى في سورة الشورى
« شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذي أوحينا إليك ،
وما وصينا به ابراهيم وموسى
وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه كبر على المشركين ما تدعوهم
اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ،
ويهدي اليه من ينيب ، وما تفرقوا
الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك
الى أجل مسمى لقضى بينهم ، وان
الذين أورثوا الكتاب من بعدهم
لنفي شك منه مريب » ١٣ ، ١٤
من سورة الشورى •

فالذين عاشوا بعد الطوفان كانوا يعرفون التوحيد . ويؤمنون بالله وحده ، ولم يكونوا جميعا ممن يخذون من البرق والرعد والنار والشمس آلهة ، اذ أن الانسان الأول قد ولد مزودا بغريزته الدينية التي تهديه الى عبادة رب واحد ، وقد انحدر من صلب آدم عليه السلام وهو نبي موحد فتلقى كلمات منه تهدي الى الله ، وما حصل بعد آدم ونوح من انتكاس في العبادة لدى فريق دون فريق كان خطأ يتطلب التصحيح لذلك توالى الانبياء وتتابعت الرسل ليصححوا هذه الأخطاء الطارئة على الفطرة الانسانية ، وقد جاء نوح ليعيد الفطر المتكسدة الى اعتدالها الصحيح فدعا الى نبذ الأوثان وعبادة رب واحد لا شريك له ، يقول الله عز وجل على لسان نوح في الحديث عن قومه « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ، ما لكم لا ترجون لله وقارا ، وقد

خلقكم أطوارا ، ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا ، وجعل الشمس سراجا ، والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ، والله جعل لكم الأرض بساطا ، لتسلكوا منها سبلا فجاجا ، قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ، ومكروا مكرا كبارا ، وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وقد أضلوا كثيرا ، ولا تزد الظالمين الا ضلالا ، مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا » سورة نوح الآيات من ١٠ الى ٢٥ .

فمن هذا النص الكريم وأمثاله في كتاب الله عز وجل نعلم أن التوحيد الخالص كان ذا أنصار وأشياخ قبل الطوفان وبمده ، وأن القول بأن تأليه البرق والرعد والشمس كان مظهرا عاما للحياة في سيرها بعد الطوفان ، وخطوة في طريق القول باله واحد ، هذا القول مخالف للفكرة الاسلامية

ويرجع الى صورته الأولى في زمن آخر ، كما يتوهم الدين يظنون أن أساليب الحضارة ترتفع ببعض الأخلاق المناسبة وتهوى ببعضها الآخر ، وفق الظروف والملابسات . لأن الأخلاق في الاسلام دوائر عامة تشمل الجزئيات ، وهذه الدوائر تتسع للمضائل ، وتضيق عن الرذائل ، معتمدة على التكوين النقي للانسان ، ومقدرة تغير الأحوال وتبدل الملابسات ، فهي تتمتع وتمتد حتى تحتضن كل خير ، كما تقف موقفها الصارم من دعوات التحلل والاحدار ، ولن تعبد لسنة الله تبديلا .

لقد كان على الأساتذة الذين يؤلفون ويفسرون ، أن يعرفوا أن أكثرية تلاميذهم مسلمون ، وأن أمانة دينهم تلزمهم أن يعرضوا رأى الاسلام في كل ما يدرسون ، ونحن نعرف أن الدراسات الانسانية بعيدة الجذور في حقل التأليف العلمى فلدنيا من علماء الشرق في القديم من أسهموا بنصيهم الكبير في هذه الدراسات ، فلماذا نغفل كتبهم الدائمة ، ونرتكز

التي تؤكد أن الانسان قد فطر على التوحيد منذ آدم عليه السلام ، وأن ما ارتكست فيه الانسانية من شرك وثنى قد كان خطأ فادحا أستوجب بعثة الرسل في آساف مختلفة لتؤدي رسالة السماء فيه خالصة ! حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فأكملت على يده الرسالة الصحيحة ، وأعاد الحنيفية السبعة كما فلق بها نوح وابراهيم وعيسى وموسى وجميع من سبقهم من الأنبياء والمرسلين ، ورسالة خاتم الأنبياء كملت الشرائع الاصلاحية ، وأقيمت المعاملات الانسانية على نهج خلقى قويم .

نقول ذلك ونؤكده لأن قصرا من أصحاب المذكرات الجامعية يتعدثون عن الأخلاق الفاضلة ، وعن قوانين المعاملات ، ووسائل الارتباطات الانسانية كاشياء منفصلة عن الدين ، ولئن صح ذلك لدى بعض الأديان المعاصرة فان الاسلام بكتابه الخالد هو منبع الأخلاق وموردها الصافي لدى أبنائه ، وليس الخلق الاسلامى اصطلاحا اجتماعيا يتغير في زمن ،

كل الارتكاز على ما قيل في أوساط بعضها يناوئ الاسلام علانية ، وبعضها الآخر يناوئه في استتار !!
وقل أن تجد من يعايد ، وأقل من القليل من يملك معه مسلك الانصاف ، ولا ننكر أن قرا من فضلاء المعاصرين قد تحدثوا باشباع عن وجهة الاسلام في كل ما يندرج تحت هذه الدراسات ، فصدرت في مصر وأخواتها كتب تحدث عن علم الاجتماع الديني ، وعن علم النفس في منطق الاسلام ، وعن الأخلاق الاسلامية ونبمها الأول في القرآن والحديث ، وعن فلسفة القرآن كما جاءت في سورة الكريمة بعيدا عن حاول المتكلفون الصاقه بها من تراث اليونان ومنطق ارسطاليس كما كان على الذين يتعبدون بؤلفات الماديين في الغرب أن يطالعوا ما كتبه أنصار الفكرة الاسلامية ليمدوا من آرائهم المشتقة ، ولكن غاشية مدلهمة تسدل على بعض البصائر ، فتقف في حيرة متخبطة لا تدري أين المسير ؟ ولو أن هؤلاء الكاتبين قد قرأوا كتاب الله في صباهم

الغض ، واستمعوا الى تفسيره في كلياتهم الجامعية لاكتسل لديهم وعى اسلامي يسيطر على ما يطالعون من آراء الماديين ، ولكن نظام الدراسة في شتى مراحلها قد ساعد على الابتعاد عن حقائق القرآن ، كما غمر آراء الأوربيين بيهارج خادعة تأخذ العين ، فيستسلم لها من جهل حقائق الكتاب المبين ، بل ان الغفلة الساهية تدفع بعض هؤلاء الى الاعتقاد الجازم بكل ما يقوله فيلسوف غربي دون نقاش ! ولست انتقص من قدر العقول المفكرة هناك ولكني أدعو الى نقاش كل فكرة ثم الى مقارنتها بما نعتقد من آراء نزل بها أصلق كتاب .

كتب أحد هؤلاء في مذكرته الجامعية فصلا عن الدين ، صدره بقول برجسون (ان الدين كما يبدو ليس أساسا للأخلاق ولكنه عون لها ، اذ من الممكن تصور أخلاق بلا دين) وأخذ يبنى فصله الطويل على هذا النص المختار ، دون أن يخالفه في شيء ، ولسنا نكر مكانة الفيلسوف الفرنسي

وغفل عن أن الدين هو الدعامة الدائمة ، وأن من يفعل الخير دون اعتماد عليه ، لن يثابر على فعله ، وهو نهب غرائز متعارضة لا ينجيه من صراعتها المشتجر غير عون الهى يدفعه الى الثبات ، حتى يصبح خلقه الشريف سمة أصيلة في نفسه ذات رسوخ واطمئنان •

ولعلنا بعد ذلك ظفت كل دارس الى الاستماع الى رأى المقابل وتفهمه ، وتكون قيمة هذا الرأى غالبية ثمينة حين ينبع من كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ! فهل من مستجيب •

د. محمد رجب البيومي

الكبير (هنرى برجسون) ولكننا لا نستطيع أن نتصور أخلاقا تعيش بغير دين ، لأن الدين هو الذى يجعل المعيار الخلقى ثابتا لا تميل به العواطف والأهواء ، فلا تجترى الأفلام المغرضة على تفسيره تفسيراً زائفاً ينحرف به من النقيض الى النقيض ، ولئن تورط متسرع فى هذا الزيف البغيض فإنه يجد من عشرات الدارسين لديهم الصريح من يوقفه على الوجه الصحيح ! فاستناد الخلق الى نص سماوى يجعله حقيقة لا تقبل الشك ! وإذا كان الفيلسوف الكبير يرى فى بعض الملاحدة من يصنع الخير دون تدين ، فقد رأى الظاهر الواضح ،



في مواجهة الإلحاد المعاصر:
عدم كفاية العلم في مجال المعرفة
للدكتور يحيى هاشم

(١١)

عجز العلم عن تجنب الأخطاء الحتمية :
يقول لويس دي بروجلي :

في الايمان العلمى أخذت شكل
تعميمات جارية : (معلومة من العلم
بالضرورة ..)
هى :

حفظ الطاقة

قوانين التحريك الحرارية

الانتقاء الطبيعي

النظرية ، الميكانيكية في الحياة ..

وفوق ذلك كله القول بوجود

جبرية ميكانيكية قاطعة ..

والحقائق التى اكتشفها

المختبرات لم تكن بعد قد بلغت

الكثرة التى يعجز الى جانبها أى

تعميم عن أن يحيط بها كلها •

(لا شك أننا لا نستطيع أن
ننسى أنه يوجد دائما في المشاهدة
والتجربة أسباب للخطأ يستحيل
استبعادها كلية ، والتي ينبغي على
كل فيزيائى مدقق تقدير أهميتها •

وإذا كانت مثل هذه الأخطاء
مما لا يمكن تلافيه فإن المجرب
الحاذق سوف يعرف كيف
يقللها ..) (١)

في أوائل النصف الثانى من
القرن التاسع عشر كانت النتائج
التي توصل اليها العلم مذهشة
بحيث أنه لم يكن بالإمكان تجاهلها
أو الشك فيها ، فالمقائد الأساسية

(١) الميزياء والمكروفيزياء ص ١٢٨ ، وانظر ايضا ص ١٣١ ، ١٣٢

وأن من الواضح أن فرضياتهم على حد كبير من المفاجأة وعدم الملاءمة في كثير من المواضيع الخطيرة •

وأن المفاهيم النظرية الأساسية هي الآن في حالة بالغة من التحول السريع وبالرغم من جميع ما نعرفه فإن مجموعات أساسية جديدة كاملة من القوى كالفعالية الاشعاعية قد تكشف فيؤدى اكتشافها الى تعديل جوهرى في أفكارنا العلمية الحاضرة (١) • (٢)

ومع هذا فلا يزال يسود اعتقاد عند بعض المثقفين - يعمل الاتحاد المادى العلمى على ترويجه - بأن كلمة العلم لا ترد ••

وهى اشاعة لا تفرق في قطعيتها وعموميتها عما يستقر في خلد المؤمنين عن عصمة الامام ، أو عصمة البابا ••

وربما هي ترجع الى فكرة سادت عن منطق أرسطو منذ ظهوره بأنه « تعصم مراعاته الذهن عن الخطأ •• »

ولم يكن الانهيار الذى منيت به النظرية الفيزيائية التقليدية قد وقع بعد ••

وأما الفكرة القائلة بأن مثل هذه التعميمات ان هي الا مبادئ أساسية في البحث العلمى ، أو وسائل للتوجيه أكثر منها قوانين للكون ، فلم يكن لها الا تأييد قليل والاطار النيوتونى لم يكن قد حطم بعد •• (١)

يقول هرمان راندال :

(من الواضح تمام الواضح أن النظريات والمفاهيم العلمية تتغير مع الزمن وأن من يذهب اليوم الى أن أياً من الأفكار الحديثة يصبر عن الاشياء كما هي في الحقيقة ، هو انسان جرىء) (٢)

ويقول :

(والعلماء هم أول من يسلم بأن مجموع معرفتهم طفيف اذا قورن بما يجب عليهم تحريره بعد •

(١) تكوين العقل الحديث ج ٢ ص ٢٨٢

(٢) تكوين العقل الحديث ج ٢ ص ١٣٣

(٣) تكوين العقل الحديث ج ٢ ص ١٢٣ - ١٢٤

وربما لأن المنهج العلمى كان هو الوارث للمنطق القديم وهو الوارث للدين فى منطق الالحاد ..

ربما لهذا أو لغيره ورث هذا المنهج دعوى العصمة أيضا ..

يقول هانز ريشنباخ :

(من غرائب الأمور المشاهدة بالفعل ان أولئك الذين يرقبون البحث العلمى من الخارج ، ويمجبون به يكون لديهم فى كثير من الاحيان ثقة فى نتائج هذا البحث العلمى تفوق ثقة أولئك الذين يسهمون فى تقدمه .)

ثم يقول :

(فهو - أى العالم لا يزعم أبدا انه احدى الى الحقيقة النهائية) .
أما فيلسوف العلم الذى هو أشبه بالحواريين حين يكونون أشد تعصبا من النبى ذاته فهو معرض لخطر الثقة بنتائج العلم ، على أن الافراط فى الثقة بنتائج العلم لا يقتصر على الفيلسوف ،

وانما أصبح سمة عامة للعصر الحديث ، أى للفترة التى تبدأ منذ عهد جاليليو الى وقتنا الحالى) ..

ثم يقول :

(فى حالات كثيرة حل الايمان بالعلم محل الايمان بالله) . (١)

ثم يقول ريشنباخ :

(لا عجب ان بدأ العالم الرياضى أشبه بالة صغير ينبغي أن تقبل تعاليمه على أساس أنها بمنأى عن الشك .

وهكذا غان كل مخاطر اللاهوت (كذا) من قطعية جازمة وتحكم فى الفكر من أجل ضمان اليقين تعود الى الظهور فى أية فلسفة تمد العلم معصوما من الخطأ) (٢) .

وبهذا هنا أن نبين أن هذه العصمة لا وجود لها فى العلم ، كما أنها لا وجود لها فى عقيدة العلماء .

يقول كونانت :

(انى أستطيع أن أكتب مجلدا كبيرا عن الأخطاء التى وقعت فى

(١) نشأة الفلسفة العلمية ص ٤٩ ، ٥٠ : ويمسم القارئ ان ريشنباخ لا يفار على محل الايمان بالله ، ولكنه يريد ان يتركه فارغا .

(٢) نشأة الفلسفة العلمية ص ٥٠

أكثر من محتمل لأننا لا يمكننا أبداً أن نكون على يقين من أن عندنا كل البيئة ، والمستقبل لا يمكن ضمانه على وجه مطلق - حتى كسوف وخسوف الشمس والقمر في المستقبل •• ()

ثم يقول مرة أخرى :

(ان التعميم يتضمن دائماً قفزة في الظلام ما في ذلك رب لها ما يسوغها أحياناً وليس لها ما يسوغها أحياناً أخرى) (١) •

ويقول الدكتور جون كيمنى :

(اتنا لا نستطيع سوى مشاهدة حقائق متفردة ، ولذلك فاتنا عند ما نجرى عملية التحقق ، تعمل ذلك بالنسبة للمترتبات المتفردة لنظرية ما وليس للنظريات بالذات) • (٢)

هذا وهناك نوعان من التعميم :

التعميم المطرد ، والتعميم الاحصائي ، والفرق بينهما ، اتنا في النمط المطرد للتعميم تؤكد صفة

تجارب علم الطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان ، من تلك التي وجدت سبيلها الى النشر في المائة عام الماضية من آراء لم تثمر أبداً ، ومن أحكام مطلقة ، ونظريات ناقض بعضها بعضاً (٣) •

وأرى أن الأخطاء الحتمية التي يقع فيها العلم يمكن تصنيفها الى ما يأتي :

النوع الأول : اخطاء التعميم

وهي الناشئة عن كون العلم انما يتحقق من المفردات والجزئيات ، ولا سبيل له الى التحقق من العموميات والنظريات التي يقررها ويمثلها وبعبارة أخرى ، هي الأخطاء الناشئة عن عجز العلم عن التعميم الصحيح (٤) يقول هانز ريشنباخ (التعميم هو أصل العلم) •

ويقول الدكتور ليونيل روبى :

(ان العالم يعمم ولكنه يدرك أن أى تعميم لا يمكن أن يكون

(١) مواقف حاسمة ص ٣٣

(٢) انظر أيضاً ما ذكرناه في عجز العلم عن التعميم

(٣) فن الاقتناع ص ٣٨١

(٤) الفيلسوف والعلم ص ١٤٩

التميمات المطردة اذ يسهل علينا
الثبت من درجة استيثاق تعميم
مطررد :

لأن الاستثناء من النسق المطرد
كفيل بهدم القاعدة العامة أو القانون
العام .

أما الاحصائيات فحيث انها
لا تقول شيئا عن أى فرد معين
بذاته فإن الاستثناء هنا لفظ
لا معنى له .

ان الفرد الاستثنائي لا ينحصر
المتوسط ...

ان أخطاء الاستنتاج في
الاحصاءات كثيرا ما يغفل أمرها
بسبب اللغة الحسابية التي تعرض
بها الاحصاءات . ان السحر الذي
تنسجه الأرقام وتصفيه على
البيانات غالبا ما يحول بيننا وبين
رؤية الأخطاء التي تنطوي عليها
المجاذلات ، أخطاء كان من شأنها
أن تبدو في غاية الوضوح وفتضح
أمرها لو لم تسربل بالرداء
الحسابي .

مطرردة في الجنس كله أو الفئة
كلها .

أما في النمط الاحصائي فتؤكد
أن خصيصة معينة تميز لمسة
معينة في الجنس كله أو الفئة
كلها .

ومثال الأول تأكيد صفة البياض
في « كل » الأوز العراقي .

ومثال الثاني أن تقول : ان
٥٣٪ من دوى الرؤوس الحمراء
حادو المزاج .

وكمثال لما يقع من الأخطاء في
التعميم المطرد فذكر أنه طوال
القرون الماضية وحتى القرن
التاسع عشر لوحظت أعداد لا حصر
لها من الأوز العراقي كلها بياض
بدون استثناءات ، فعصل التعميم
بأن الأوز العراقي أبيض ...

ثم حدث في القرن التاسع عشر
أن لوحظ منها ما هو أسود اللون
في استراليا (١) .

ويقول الدكتور ليونيل دوبي :
(ان الأخطاء أكثر شيوعا في
التميمات الاحصائية منها في

(١) فن الاقناع ص ٣٨٠ وما بعدها

الاستقائية عملية علمية ، ولا يسع المرء إلا أن يحترم ما يصدر عنه من نتائج .

ولكن لا يمكن لأى معهد من معاهد اجراء الاستقائات - مهما تبلغ اجراءاته من الدقة العلمية والعملية - ان يتلافى امكان الخطأ - أو يضمن الصحة والدقة الا مقترنة بنسبة معينة من الخطأ . (٧)

النوع الثانى : اخطاء التنظير :

يقول لويس دى بروجلى :

(اذا كانت النظرية قد أرشدت كثيرا رجال البحث العلمى ، وأثمرت اكتشافات رائعة ...

واذا كانت لازمة لتقديم العلم ...

فانها استطاعت فى بعض الأوقات أن تؤخر خطوات التقدم عندما كنا نعتمد معصوبى الأعين على بعض نتائجها التى هى دائما عرضة للمراجعة . (٨)

وكثير من المدعين والمجادلين المصللين يستعملون هذه الحقيقة ... ويعرضون بيانات مدعومة بالاحصاء لكى يروجوا دعايات معرضة بدلا من تقديم معلومات واضحة كبيان لساس .

ولقد تج عن سوء استعمال علم الاحصاءات أن اتخذ الناس من الاحصاءات هزواً واستخفوا بها ، ومن أكثر التعليقات الساخرة فى هذا الصدد :

« أن الأرقام لا تكذب ولكن الكاذبين يرقمون » .

أو : هناك ثلاثة أنواع من الكذب :

**الكذب الصادى
والكذب الفاحش
والاحصاءات (٩)**

ويقول ليونيل روى عن الاحصائيات التى يقوم بها معهد جالوب الشهير :

(يتمتع معهد جالوب بسمعة طيبة وطريقته فى اجراء احصائياته

(١) فن الاقناع ص ٣٩١ ، ٣٩٢

(٢) فن الاقناع ص ٢٨٨

(٣) العيرياء والكروفيزيا ص ٢٨٤

الدخول في تأليف الأجسام
الصلبة •

يقول Becher بشر
(١٦٢٥ - ١٦٨٣) صاحب هذه
النظرية :

ان المادة اذا احترقت خرج منها
فلوجستونها بقوة وتشكل في
الشملة (٢) •

وادعى بشر أن لهذا الفلوجستون
وزنا ، وقال : زن المادة بعد
احتراقها تعجدها قد نقصت ؟ فلما
عملوا ودققوا الوزن وجدوا
العكس ، وجنوا أن فلز المادة يزيد
وزنا بعد تكلسه وصيرورته رمادا ،
ولكن بشر قدم تفسيره لذلك ،
قائلا :

(ان للفلوجستون وزنا سالبا ،
واذن فهو عندما يخرج من المعدن
يزيد المتخلف منه وزنا • ان الشيء
اذا طرح منه شيء آخر له وزن
سالب « دون العنصر » فان ما يتبقى
منه يفوق وزنه وزن الشيء في
حاله الأولى) • (٣)

وهي أخطاء ناشئة من طبيعة
العلم من حيث اضطراره للعمل في
ظل « نظرية » ما يتمسك بها
العلماء لما فيها من فوائد عملية في
بعض الجوانب ، وان كانوا
يستربون في صحتها ، وذلك الى
أن تبدو لهم نظرية أوفق (١) •

ومثال ذلك :

أن القرون الوسطى ورثت عن
الكيمائيين القدماء - وعن
أرسطو - أن العناصر أربعة ،
تراب وهواء ونار وماء ، وأفكارا
عن العناصر غريبة غير مفهومة ...
وكان على فيوتن وأهل زمنه
أن يفسروها وأن ينسقوها في نسق
واحد ..

فبأي وسيلة يمكن ذلك ؟

فلنوا أنهم فعلوا بابتداع أصل
جديد سموه « الفلوجستون » •
والفلوجستون عند مبتدعيه
أنذاك هو النار نفسها ، وهو وحدة
كيمياوية لها ذاتية مستقلة تقبل

(١) انظر ايضا ما ذكرناه عن عجز العلم عن التعميم وبالأخطاء
الناجمة عن ذلك في صفحة ٢٦٢ الماضية •

(٢) بواتق وانايب لرنارد جافي ترجمة الدكتور أحمد زكي ص ٤٨

(٣) بواتق وانايب ص ٤٩ •

يقول الدكتور جيمس كونانت :

(فاعجب لشيء اذا أضيف الى آخر نقص وزنه ، واذا خرج منه زاد) • (١) يقول لافوازيه بعد مائه عام من ابتداء الفلوجستون : (لقد حولوا الفلوجستون الى شيء مبهم غاية في الابهام تتطور طبائمه حسب الظروف القائمة • فهو حيناً له وزن ، وهو حيناً لا وزن له ، وهو حيناً شيء حر طليق قائم بذاته ، وهو حيناً شيء متحد بأصل ارضي ، وهو حيناً ينفذ من مسام الأوعية ، وحيناً لا ينفذ منها ، فهو قلب لا ثبوت له يتغير بتغير الأحوال » (٢) •

وكتب بريثلي (الكيميائي العظيم الذي حضر غاز الاكسجين معملياً (١٧٣٣ - ١٨٠٤) • كتب يعرب عن اقتناع عصره بهذا الفلوجستون : (أن النظرية الفلوجستونية لا تخلو من مصاعب ، ومن أكبر مصاعبها أنا لا نستطيع أن نزن الفلوجستون

ولكن ليس ما من يستطيع أن يدعى أنه وجد للضوء أو للحرارة وزناً) •

وكانت النظرية عند المقتنعين بها نظرياً تحتاج الى دعمها باستخراج الفلوجستون وتخليقه معملياً ، وظن الكيميائي الشهير كافندش (١٧٣١ - ١٨١٠) •

أنه تمكن من ذلك ، دون أن يتنبه عند ذلك الى أنه لم يكشف عن الفلوجستون عنصر النار ، ولكن عن غاز الأيدروجين (٣) •

وكان العلماء كلما اكتشفوا حقائق جديدة امتحوها تطبيقاً الفلوجستون عليها ، فادا لم يتفق الفلوجستون مع حقيقة من هذه الحقائق (قام هؤلاء العباقرة ، عباقرة البواتق ، فحوروا الفلوجستون وشكلوه بالذي يتفق مع الحقائق الجديدة) • (٤) •

ولكن لافوازيه رفض هذه النظرية قبل أن يجد لها بديلاً ،

(٣) بواتق وانايب ص ٩٥

(٤) السابق ص ١١٩

(١) مواقف حاسمة ص ٢٥٩

(٢) بواتق وانايب ص ٥٠

ثم نشر كتابه « رسالة أولية في علم الكيمياء » هدم به حصن النظرية الفلوجستونية (٤) ، ولما سقطت النظرية علميا في حياة بريستلي كتب يقول متأسما (ان أبطال نظرية خاطئة كهذه لا يمكن أن يكون له أثر عظيم في مستقبل العلم وفي تقدمه .. الى أشبهه بمنارة ترسل الى السفن بضائها ليهديها فاذا به يضلها فابطل نظرية كهذه أن يكن حقا فهو بمثابة هدم منارة كهذه ..) (٥) يقول برنارد جافي :

(ان برشر اعطى الفلوجستون للعالم ، ولعه في ثوب صفيق أثق الناس قرنين في تمزيقه ، ليكشفوا الحقيقة التي خباها في طياته . ولم يمض على موت برشر مائة عام حتى قامت مدام لافوازيه وقد ارتدت ثوب قميصية ، يحيط بها نوابه العلماء في باريس فأحرقت ما كتب بشر ، وكتب مقتضى أثره أحرقت على مذبح بكينسية . وبينما كانت الأصوات تعلو بالأغاني

ووضع مكانه الكالوريك - أى الحرارة باعتبارها سائلا خافيا يعرف بآثاره فحسب .

يقول برنارد جافي (أراد لافوازيه أن يتجنب الوقوع في سخافة الفلوجستون فلم يلبث أن وقع في سخافة أخرى ... الكالوريك الابن الأبله للفلوجستون ..) (١) .

وعلق أحد الكيماويين الكبار .. على هاتين السخافتين قائلا :

(انى أحسن انى سوف يطول بى العمر لاستمتع بالسير في جنازة يدفن فيها الكالوريك والفلوجستون في قبر واحد) (٢)

ثم أجرى لافوازيه تجاربه التي أثبت فيها ان الناتج المتكون من الاحتراق يزيد وزنه على الجسم المحترق بمقدار وزن الاكسجين الذى اتحد بهذا الجسم وهو يحترق .. فلا مادة خفية كالفلوجستون ولا غيرها ، ولا حتى الكالوريك (٣) .

(٤) السابق ص ١٣٥
(٥) بواتق وانابيب ص ٨٨

(١) السابق ص ١٢٧
(٢) السابق ص ١٢٨
(٣) السابق ص ١٢٢

مكانه فارغا لا يملؤه شيء • • ولو
ظهر بطلانه (٢) • (٣)

الكسنية ، استحالَت نظرية
الفلوجستون فصارَت رمادا •

ولنا نحن أن نتساءل هنا :

الى أى حد يكون علينا أن
تقبل النظريات العلمية الحديثة
جملة وتفصيلا مهما بدت مخالفة
جزئيا لبعض الحقائق التى تؤمن
بها ؟

الا يجوز أن تكون بعض هذه
النظريات الحديثة قائمة لفائدتها
المؤقتة وأنها تنتظر الوقت الذى
تنهار فيه لتحل محلها نظرية أحدث
تؤدى فائدة أشمل ، وتخلو من
المنافضة لبعض ما تؤمن به ؟

ومن جهة أخرى نقول : الى أى
مدى يحق للعلماء أن يرفضوا
نظريات من غير وادى العلم
الحديث - لمجرد أن بها جزئيات
لا تتفق مع نظريات العلم الحديث
- وبالرغم مما تؤديه من نفع شامل
وما تصنعه من تيسيق لحقائق أعم ،

ومن هذا الرماد نبتت كيمياء
جديدة ، هى التى نعرفها
اليوم (١) • (٢)

هذه النظرية ظلت هى السائدة
- (بالرغم من اكتشاف جان راي
- لبطلانها عام ١٦٣٠ -) (٣) •
فى الكيمياء لمدة قرنين تقريبا ولم
يكذب يوجد من لم يؤمن بها •

والسبب فى ذلك كما يقول الدكتور
جيمس كونانت :

(ان العلماء فى شئون العلم
يصرفون أكبر همهم الى الحقائق
المختلفة يحاولون تفسيرها ثم
تسويقها فى نسق واحد عظيم ذلك
الذى نسميه بالمشروع التصورى
أو النظرية العلمية • والمشروع
التصورى ان عجز عن أداء واجبه
فهو اما أن يعدل أو يؤتى بمشروع
آخر يحل محله بنظرية أخرى •
ولكنه لا يطرح امساحا ويترك

(١) بوانق وأبابيب ص ٦٢

(٢) اثبت جان راي ذلك من قبل أن توجد النظرية الفلوجستونية ،
حيث اثبت أن الكلس يزن أكثر من العر الذى عنه شأ ، انظر مواقف
حاسمة ص ٢٤٤

(٣) مواقف حاسمة ص ٢٥٦ وما بعدها

الأمر الذي يمكن تحميفه دون
إزالته كلية .

ويتسع نطاق هذه الأخطاء
بمرور الزمن . ومن هنا كانت
التكهنات حول المستقبل القرب
موثوقة بها أكثر من التكهنات
البعيدة المدى . فمن المعروف لدى
الذين يقومون بعملیات حسابية
كثيرة : أن التصحيح الاعتباري
للأخطاء قد يؤدي إلى الخطأ
الضئيل في عملية واحدة وأنه
يصحح داسعمال تيجتها مرة
بعد مرة . وكذا استعملنا النجحة
زاد احتمال الخطأ .

وقد يكون في تعاطي العقاقير
شبيها حسنا لهذه الحال ، فإذا عمد
الصيدلي إلى تقوية الجرعة — ولو
بمقدار ضئيل — فقد لا يكون
لذلك أي أثر يذكر في بداية الأمر ،
غير أنه قد يؤدي في النهاية إلى وفاة
المريض بدلا من شفائه (١) .

ومن هنا فإن العلماء يرون في
تخلص العلم من مقرراته القديمة

بينما هم في مجال العلم يقللون
نظريات علمية وضرور عليها
ويواصلون السير في أثرها مهما
يكن فيها من نص . كطرية
الفلوجستون هذه ؟

النوع الثالث : اخطاء التطبيق :
يعول جون كيمنى :

(انه حتى لو استطاع عالمنا
الاتفاق على ما يمكن أن توقعه
من نظرياتها فاهما سيختلفان حول
الامكانية العملية للتكهن بالمستقبل
وذلك نظرا للاراء المتباينة حول
الحقائق والشروط اللازمة لتطبيق
النظرية ، فقوانين نيوتن كانت سنا
تساما بمستقبل النظام الشمسي
شرط أن نعرف بالضبط مواقع
الكواكب بالنسبة للشمس في لحظة
معينة .

أما الأخطاء في التكهنات فقد
يكون مردها — من جهة — إلى
عدم الدقة في القانون (وهذا ما تبين
في انحراف مدار عطارد) كما قد
يرد — من جهة أخرى — إلى خطأ
بسيط في تحديد مواقع الكواكب ،

(١) ص ٢٧٤ الفيلسوف والعلم ، ولعل في هذا ما يلقي ضوءا على
مسألة تحديد أوائل الشهور القمرية .

ومن أشهر الأمثلة على هذا التثبيت - كما يقول الدكتور ليونيل روبى (ماحدث في عمل مندليف) (١) • العالم الكيموى الروسى الكبير الذى استكشف قانون « الدورية والتوالى » للعناصر الكيموية • حيث « اعتقد » أن العناصر يمكن ترتيبها في قائمة دورية - شبيهة بجدول التقويم السنوى موضمها في مجموعات كل مجموعة من سبعة بادئا في المجموعة الأولى (مرتبة أفقيا) بالليثوم وزنه الذرى ٧ ، ثم البيرليوم ٩ ، ثم البورون ١١ والكربون ١٢ ، والنيتروجين ١٤ ، والفلور ١٩ •

ثم بدأ مجموعة أخرى في خط أفقى آخر أسفل الخط السابق ، وبدأ بالصوديوم ٢٣ واضعا اياه تحت الليثوم ، منتهيا في هذا الخط بالكلور موضوعا تحت الفلور ، ولشد ما كانت دهشته عندما وجد أن الصوديوم يشابه في خواصه الطبيعية والكياوية العنصر الذى

السبيل الى انجازات جديدة • • وهكذا دواليك • •

يقول الاستاذ الكسندر دوبروف باكلاديمية العلوم السوفيتية :

(ان احدى وسائل التقدم العلمى والفنى يكمن في التخلص من المفاهيم والقوانين العلمية القديمة) • (١)

النوع الرابع : اخطاء « الاعتقاد » العلمى

وهى الأخطاء التى يتثبت بها العالم بالرغم من يقينه من أن الوضع الراهن للنظرية التى يقترحها يصطدم « بالحقائق » وذلك (لاعتقاده) بصحة نظريته وأنه في طريقه الى حل مضلاتها •

وبالرغم من أنه فى بعض الاحيان يؤول الأمر الى اثبات صحة النظرية الا أن هذا - قبل كشف الصحة - لا يخرجها عن كونها أخطاء من وجهة النظر العلمية ويدل على أن العلم يظل قابعا على خطئه القديم ولو تجنب الاعتقاد بصحة « الخطأ » الجديد •

(١) العلم والظواهر الخارقة ص ٦٠

(٢) فن الاقناع ص ٣٢ •

— وعلى ذلك فقط — أعلن فى الناس ان الوزن الذرى المعروف لعنصر التريوم وزن خاطئ ، وأن وزنه الذرى لا يمكن أن يكون ١٢٨ ، وأنه لا بد ان يكون بين ١٢٣ ، ١٢٦ •

واتظارا لما سيحدث فى الغد — طبقا لاعتقاده — وضع التريوم حيث رأى هو أن ذاك موضعه ، وكتب له وزنه « الخاطئ » •

وجاء المستقبل ، وجرت البحوث فدلّت على أن متديليف كان « مصيبا » فى « خطئه » •

ثم دقق متديليف النظر فى جدولته فوجد مشكلة أخرى بالنسبة للذهب مماثلة لمشكلة التريوم ، وأصر أيضا على عقيدته قائلا : (اذا كان فرضى لا ينسجم مع ارقامهم فجدولى صحيح وارقامهم خاطئة •) ومرة أخرى صححت الموازين وأصبحت موافقة للنظرية •

ثم وجد هناك مشكلة ثالثة ، هى أن بعض الخانات فى جدولته فارغة ، ولو ظلت كذلك لا نهدم

هو أعلاه ، وهو الليثوم ، والكلور يشابه الذى فى أعلاه ، وهو الفلور •

وهكذا استمر فى صنع جدولته ، وهكذا استمرت العناصر المتشابهة ترتب بحيث تقع بعضها تحت بعض • ففى العمود الأول وقعت العناصر الفلورية الفعالة جدا وفى العمود السابع وقعت العناصر الأشد تفاعلا من غير الفلزات — الفلور ، والكلور ، والبورديوم ، واليود •

بدلك اكتشف متديليف ان خواص العناصر دورية الورود ، ترد وتعود بارتفاع أوزانها الذرية ، وهى تعود بعد فوات كل سبعة منها •

ودقق متديليف فى جدولته فاكشف غلطته ، فهذا هو اليود يقولون ان وزنه الذرى ١٢٧ ، وهذا هو التريوم يقولون ان وزنه الذرى ١٢٨ ولو استجاب لهذا القول لكان موضعهما فى الجدول بهدم نظريته التى اعتقد اعتقادا حازما بصحتها • وبناء على ذلك

النوع الخامس :

أخطاء التزييف « الحصى »

يعتمد العلم الحديث ، على منهجه التجريبي الذي يقوم على استخدام الحواس .

وصحيح ان العلم يمتحن ادراكات الحواس امتحانا قاسيا ، ويطمح في النهاية الى وضع مقولاته في أقصى ما يمكن لها من صور التجريد ، أو المعادلات الرياضية ... الخ . الا انه مع ذلك - وبالرغم من ذلك - لا يمكنه الا ان يكون ابنا بارا لهذه الحواس ، يرتبط بها أوثق رباط في بدايته ، ومساره ، وغايته على السواء - وقد يبدو لنا - وهو في الحق كذلك - متردا على حكم هذه الحواس في بعض قضاياها المبدئية ، الا أن هذا التمرد ناشئ من جذب الحقيقة له خارج نطاق الحس ، وليس ناشئا ، مما يظن انه تحرر من رباطه الوثيق ومن هنا فان العلم لا ينجو - ولا يمكن ان ينجو -

الجدول وتبدلت النظرية فأعلن عن اعتقاده وجود عدة عناصر - لم تكن قد كشفت بعد - وما ذلك الا لتلا بعض الغافات الفارغة . وأصر على ذلك ، وبالمعل تم اكتشاف بعض العناصر : شبيه البورون ، شبيه الألمنيوم ، شبيه للسليكون .

(يقول العالم الكيموي الأمريكي هنري بلطن ١٨٤٢ - ١٩٠٢ - :

ان القانون الدوري لتدليف أعطى الكيمياء تلك القوة المهيبة ، قوة التنبؤ بالغيب ، التي اختص بها من قبل أخوها علم الفلك .)

ومع ذلك فقد جاء من بعده العالم الكيميائي الانجليزي الكبير مصلى (١٨٨٧ - ١٩١٥) وأحدث تعديلات مهمة في جدول مندليف ، وأوجع جدولا جديدا مبنا على العدد الذري لا الوزن الذري وبالرغم من ذلك أيضا ظل في جدول مصلى حانات فارغة واكتشفت بعده (١) .

(١) انظر بواتق واناييب ص ٢٥٦ الى ٢٦١ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦١

من الوقوع فى شرك « التزييف الحسى » .

ولن أذهب هنا وراء ذكر أمثلة ساذجة أو معبرة تعبيرا وقتيا عن الاخطاء التى يقع فيها الحس مما نعرفه جميعا فى نقد « المعرفة الحسية » ولكننا نذكر ذلك النوع من « التزييف » الجبرى الذى يقوم به الحس فى عملية ادراكه للوقائع ، والذى كشف عنه العلم التجريبي الحديث .

ولن أقدم مفهوم هذا التزييف بأفضل مما يقدمه لنا الفيلسوف الملحد برتراند رسل :

يقول برتراند رسل :

(العلم يقر بأننا حين « نرى الشمس » تكون هناك عملية تبدأ من الشمس وتجتاز المكان الواقع بين الشمس والعين ، وتتغير خاصيتها حين تصل الى العين ، وتتغير هذه الخاصية مرة أخرى فى العصب البصرى والمخ . وفى النهاية تنتج الحادثة التى نسميها « رؤية الشمس » وعلى ذلك فما

أراه ليس هو الشمس التى تبعد عنى ملايين الاميال بل هو حادثة (جاءت كحلقة أخيرة فى سلسلة عليّة بدأت من تلك الشمس الفيزيائية) . (١)

ويقول :

(فنحن نعتقد - مثلا - بأن الضوء يشتمل على موجات من نوع معين الا انه حين يتصل بالعين يتحول الى عملية فيزيائية مختلفة - فما يقع - اذن - قبل أن يصل الضوء الى العين شيء من المفترض انه مختلف عن ما يحدث بعد ذلك واذن فهو مختلف عن المدرك الحسى البصرى .

وهذا يعنى ان المدرك الحسى الذى يقع فى الخبرة لا يكون نفس الشيء حين يتصل بجسم حى ويصبح مدركا حسيا بالفعل) .

وهو يقول ايضا :

(ان المدرك الحسى يتحول حين يتصل بالجسم الحى - الى « عملية فيزيائية مختلفة » أى يصبح شيئا آخر مختلفا اختلافا تاما) (٢) .

(١) برتراند رسل للدكتور محمد مهران ص ٨١

(٢) برتراند رسل للدكتور محمد مهران ص ٩٤ ، ٩٥

فإن هذا راجع الى فلسفته عن
النسيج المحايد الذى يسميه
الاحداث ، ولا يرجع الى اقراره
بأن المدرك الحسى — مطابق للواقع
الخارجى .. ومما يوضح ذلك
قوله :

(ان الاحساسات — حتى ما كان
منها بصريا أو سميا — هى احداث
غير ذات طبيعية علاقية .

ولست أعنى — بطبيعة الحال —
اننى حينما أرى شيئا ما لا تقوم
بينه وبينى علاقة .

ولكن ما أعنيه بالفعل هو ان
هذه العلاقة ليست مباشرة بالقدر
الذى كنت أتصوره . وأن كل
ما يحدث فى داخلى عندما أرى
شيئا ما يمكن — من حيث بنائه
المنطقى — ان يحدث بالضبط
دون أن يكون فى الخارج
ما أراه ..) (١)

ويقول (ثمة طائفة من الحوادث
تقع فيما بين العين والمخ ..
يدرسها عالم وظائف الأعضاء ،
والشبه بينها وبين الفوتونات فى
العالم الخارجى ضئيل ضالة الشبه
بين موجات الراديو ، وبين خطبة
الخطيب .

وأخيرا يصل اهتزاز الاعصاب
— هذا الاهتزاز الذى يتعقبه عالم
وظائف الأعضاء — الى المنطقة
المناسبة من المخ فيصير صاحب
المخ النجم .

ويتحير الناس لأن ابصار المخ
يبدو لهم مختلفا كل الاختلاف
عما اكتشفه عالم وظائف الأعضاء
من عمليات فى عصب الابصار ،
وبالرغم من انه يبدو من البين ان
الانسان لن يبصر النجم بدون هذه
العمليات) . (١)

واذا كان رسل يعقب على ذلك
بانكار افتراض هوة بين العمل
والمادة ، كما يذهب الى ذلك بعض
الناس استنتاجا مما تقدم (٢) ،

(١) فلسفتى .. ص ١٥

(٢) المصدر السابق ص ١٦

(٣) فلسفتى كيف تطورت ص ٦

بالعين اذ لم يكن في الامكان تسجيل أشعة (ن) على أجهزة فوتوغرافية . وقد تحدث اء زفوجت ، وءء هايمان ، اللذان سجلا هذه القصة في كتابهما (سحر الماء في الولايات المتحدة الامريكية) عن كثير من تطبيقات أشعة (ن) هذه . فقد استخدمها كورسون في الكيمياء ودرس (لامبرت) وصاير ، أثرها على الظواهر البيولوجية وعلى النباتات أيضا . ووجد شاربتتر أن الضغط على أحد الاعضاء يصحبه إطلاق أشعة (ن) ، وفحص بروكا وهو أخصائي المخ الشهير العلاقة بين أشعة (ن) والمخ .

ومع ذلك فقد حاول فيزيائيون آخرون أن يحصلوا مرة أخرى على أثر ، الأشعة (ن) فحصلوا على نتائج سلبية وقد أثار النقاش اهتماما عالميا عندما وجد أن أشعة (ن) لا يمكن العثور عليها الا على أيدي العلماء الفرنسيين . وأخيرا زلر دء هـ وود وهو الفيزيائي الشهير من جامعة جونز هويكنز معامل بلوندلوت شخصيا

النوع السادس من الأخطاء المعنوية

وهي الأخطاء الناشئة عن كون العلم تاجا انسانيا يخضع بالضرورة لما يخضع له الانسان العالم من ضعف أو قصور في بعض قدراته . مثال ذلك :

فضيحة (أشعة ان) كمثال صارخ على أخطاء علمية خطيرة : يقول ايزتك :

(يتضمن تاريخ العلم دلائل كثيرة على الأخطاء والعلطات الناجمة عن ثقتنا المبالغ فيها في قدرة الانسان .

وهناك مثال مثير على ذلك وهو الخاص بأشعة (ن) التي زعم البروفيسور مء بلوندلوت انه قد اكتشفها عام ١٩٠٢ وهو فيزيائي بارز في جامعة تانس وعضو في أكاديمية العلوم الفرنسية . وقد جاء كشف بلوندلوت بعد اكتشاف روتجن لأشعة x بست سنوات وسرعان ما تأكد هذا الاكتشاف في معامل أخرى على يد فيزيائيين بارزين جدا . وقد تحدد وجود هذه الأشعة بوسائل استعين فيها

كان في امكاني أن أحرك شاشة غير شفافة من الرصاص في طريق الأشعة بينما هو يحدد التغيرات عبر الشاشة ولقد كان مخطئا ١٠٠٪ فقد حدد حدوث تغيرات بينما لم أت أفا بأي حركة ، ولقد أثبت لي هذا الكثير ولكنني أمسكت لساني) .

ولقد قام (وود) بعدد آخر من الاختبارات محاولا بوضوح اثبات ان أشعة بلوندلوت غير موجودة الا في خيالاته فقد زعم بلوندلوت انه يستطيع أن يرى وجه ساعة معتمة من خلال حائل معدني بالاستعانة بأشعة (ن) ولقد وافق على أن يمسك (وود) بالحائل المعدني أمام عينيه ، ولكن (وود) كان قد استبدل سرا دون أن يعرف بلوندلوت - الحائل المعدني بمسطرة خشبية حيث لم يلحظ بلوندلوت هذا التغير في العمل المعتم ومع ذلك فقد استمر (يرى) الساعة من خلال المسطرة مع أن الخشب كان أحد المواد القليلة التي زعموا أن أشعة (ن) لا تنفذ منها .

ليري لماذا فشل الفيزيائيون الآخرون في الحصول على نتائجهم .

وفيا يلي بعض ما كتبه هو عن زيارته : يقول :

(وهكذا زرت فانس قبل أن ألحق بعائتي بباريس ، وقابلت « بلوندلوت » حسب موعد سابق في معمله في وقت مبكر من المساء ونظرا لأنه لم يكن يتكلم الانجليزية فقد اخترت الألمانية وسيلة لتفاهنا اذ اردت أن يشر بالحرية عندما يريد أن يتكلم مع مساعده الذي كان من الواضح انه مساعد معمل من نوع راق « كان وود بالطبع يفهم ويتكلم الفرنسية جيدا ، وقد أراني في البداية بطاقة رسمت عليها بعض الدوائر بلون متالق ثم أطلقا المصباح الفازي وجذب انتباهي الى الاضاءة المتزايدة عندما انطلقت أشعة (ن) فقلت انني لم أر تغير فقال ان ذلك يرجع لأن عينيك ليست حساسيتين بدرجة كافية ، وهكذا لم يثبت أي شيء وسألته ما اذا

والشهرة والقوة والنفوذ في
الأوساط العلمية والرسية لم
يلغها عالم آخر منذ أيام وليم
جيمس .

وكانت آراؤه بمثابة حجر
الزاوية في بناء نظرية متسكة عن
دور الوراثة في الذكاء ، ولقد
قام بيرت نفسه وكثير من أتباعه
وتلاميذه بعدد كبير من التجارب
تؤكد ذلك الاتجاه ..

والآن يتعرض كل ما تركه
للرياح بعد أن ظهر من العلماء من
يتهم بيرت بأنه كان يزيف النتائج
ويزورها بل أنه كان يتحدث عن
تجارب واختبارات لم تحدث أصلاً
وينشر دراسات ومقالات تحت
أسماء وهمية للمؤلفين وباحثين
لا وجود لهم .. وبسلاً تلك
المقالات بالمديح والثناء على شخصه
واسمه .

وكما ذكرت إحدى المجلات
التي أشارت إلى هذا الاتهام
الخطير فإن الأثر الذي نجم عن
هذا الموقف الجديد لا يقل عن

ولقد استبعدت على الفور فكرة
أشعة (ن) كلها من التمييز بعد أن
نشر (وود) ما اكتشفه من أنها
مجرد نتيجة لأخطاء . (١)

النوع السابع : الأخطاء العمدية :

وهي الأخطاء الناشئة عن كون
العلم تاجاً لإنسان يخضع لما
يسيطر على الإنسان العالم — في
بعض الأحيان — من ضعف خلقى
كحب للظهور ، أو خراب في
الذمة ... الخ .

وإن المرء ليستبعد أن يحدث
في وسط ما من أوساط الفكر
الإنساني فضيحة عارمة كالتي
حدثت في معقل العلم الحديث حول
اسم عالم النفس البريطاني الشهير
سيريل بيرت ؟

عندما توفي سيريل بيرت
عام ١٩٧١م وهو في الثامنة
والثمانين من العمر كان يتمتع
— كما يقول الدكتور أحمد
أبو زيد — بقدر هائل من الاحترام

(١) الحقيقة والوهم في علم النفس ص ١٢٥ - ١٢٧

اكتشاف انسان بلنداون الذى
ادعاه تشارلس دوسن .

قضى عام ١٩١٢ أذاع شارل
دوسن نبأ اكتشاف أجزاء من
جمجمة وفك فى حفرة ببلدة بلندون
فى جنوب إنجلترا ، ولما أعيد تركيب
هذه الاجزاء تبين انها - جمجمة
انسان حديث ذات فك أسفل يشبه
فك القرد . وقد أثار انسان
بلنداون هذا جدلا طويلا مشيرا
بين المشتغلين بدراسة عصر ما قبل
التاريخ . لأنه كان يشبه أن يكون
هو الحلقة المفقودة بين الانسان
والقرد .

وقد سلم بصحة هذه البقايا
عدد من ثقات العلماء ..

وأخيرا : أسفرت الدراسات
والاختبارات فى عام ١٩٥٣ عن أن
جمجمة بلنداون مزورة وانها
جمجمة رجل حديث ، وان الفك
والاسنان لقرد حديث وان هذه
الاجزاء عولجت كيميائيا ، بحيث
تبدو حديثة وصحيحة .

الاثر الذى يمكن أن ينجم عن
افتراض أن تشرلس داروين لم
يقم مثلا برحلته الشهيرة على ظهر
الباحرة يبجل التى ترتب عليها
ظهور نظريته عن التطور وأصل
الأنواع ، وأنه قام بتلفيق الحقائق
والوقائع وبالتالي تزوير النتائج
التي ظهرت فى كتابه الشهير ، وان
هذا الكتاب ليس شيئا سوى
تفيلات وأوهام نبعت فى ذهن
داروين وهو يدخن الافيون .

وليست هذه هى الحالة الأولى
أو الوحيدة فى تاريخ تزيف العلم
وتزوير النتائج لتحقيق أهداف
خاصة قد تكون متعلقة بالرغبة
فى الظهور وحس الشهرة ،
أو التمسك بالخطأ الذى أوصل
الى المجد .. ، ولعل فضيحة
سيريل بيرت تذكر بفضائح أخرى
قريبة ، منها فضيحة مشابهة كان
لها دوى هائل منذ ما يقرب من
ربع قرن ، وبالذات فى عام ١٩٥٣
حين نشر فاينزوكلارك كتابهما
الذى فضحا فيه « أكذوبة
بلنداون » ، وبلنداون اشارة الى

ثم وضعت فى حفرة من الحصباء بواسطة رجل مجهول ..
وقد تم اكتشاف زيف هذه الحفرية بفصل تقدم الطرق العلمية الحديثة (١) ولم يكن من الممكن كشفه فى حينه .
وفى عام ١٩٧٥ اكتشف فى أمريكا بعض محاولات التزييف فى المجال الذى يعرف الآن باسم الباراسيكولوجى ، للارتفاع بمستوى ذلك الاتجاه واضفاء

الطابع العلمى عليه . وقد تم ضبط أحد الباحثين الرئيسيين ، وهو يحاول التدخل فى إحدى التجارب واضطر الى الاستقالة .
ومن هنا فكما يقول الدكتور أحمد أبو زيد (يجب أن تحتل قصص التزييف العلمى مكانا فى تاريخ العلم الى جانب الجهود الفاشلة من جانب والانجازات الناجحة من جانب آخر ، سواء بسواء) (٢)



والخلاصة ان دعوى عصمة العلم اشعاعة يتبادلها انصاف المثقفين وتروج لها ابواق الالحاد ، وهى بالتأكيد ليست نابعة من النهج العلمى أو من العلماء .

د. يحيى هاشم حسن فرغل

(١) انظر (رسالة اليونسكو الصادرة باللغة العربية العدد ١٣٦ عدد أكتوبر ١٩٧٢ ص ٦٤)

(٢) مجلة عالم الفكر عدد أبريل يونة ١٩٧٧ ، مقال ماذا يحدث فى علوم الانسان والمجتمع للدكتور احمد أبو زيد ص ٢٣٣ وما بعدها .

الإسلام في الفكر الأوربي

عرض وتحليل لمؤلفات أوربية
بقلم الدكتور محمد شامة

(٦)

الباب السادس

اسهام الاسلام في الحضارة العالمية

ويشتمل على :

١ - الشرق والغرب :

✽ اسهم الشرق الاسلامي - في نفس الوقت الذي أتيح العقل الأوربي فيه الكاتدرائيات ذات الفن القوطي المعماري ، وظهر فيه الصراع على الانفراد بالسيادة والسلطة بين القيصر والبابا ، وازدهرت فيه مثالية الفروسية - في الحضارة المالكية - تحت ظل حماية القوة النامية منذ القرن الثامن الميلادي - بانجازاته الضخمة في مجالى : الفكر والفن ، ولم يتوقف تيار التجديد والمعرفة حتى طمر التيار المغولى منبعه للنقى الفياض ، لكن ما أفاضه ظل

يتقلب في صور مختلفة عبر قرون مليئة بالاحداث والتقلبات العنيفة حتى عصرنا الحالي .

✽ لم تزدهر التجارة والزراعة والصناعة فقط في القرنين الثامن والتاسع الميلادى ازدهارا لم يتوقعه أحد ، بل تدفق تيار فكرى ، احتوى ما في آسيا وأوربا ، وصبه في قلب المملكة الاسلامية ، التي هصمته ، وصاغته صياغة جديدة ، فكان هذا هو البذرة التي انبتت الحضارة الاسلامية العريضة ، فأصبحت بغداد لؤلؤة المدن في كل بقاع العالم الاسلامى ، من الهند حتى أسبانيا ، ومن البحر الاسود

مجالات عديدة ، لم تبحث كل جوانبها حتى الآن .

٢ - اللغة العربية :

✽ انتشرت اللغة العربية مع الفتح الاسلامى فى خطين متوازيين ، اذ تسبب عدم جواز قراءة القرآن الكريم الا باللغة العربية (١) فى دفع كل مسلم الى محاولة تعلمها ، كذلك كان استعمال اللغة العربية فى ادارات الدولة من عوامل انتشارها فى مناطق الدولة المتعددة ، فدخلت كلمات كثيرة منها فى لغات ولهجات الشعوب الأخرى ، وبالإضافة الى هذا فقد استعملت اللغة العربية فى مجال الدين والعلم عند الاتراك ، والفارسيين ، والهنود ، والملاويين .

حتى الجنوب العربى . حدث هذا فى عصر القرون الوسطى الأوربى ، ولكنه لم يكن قسرونا وسطى بالنسبة للعالم الاسلامى ، بل كان أسمى المصور وأبهاها ، عصر النموذج الحضارى الذى أستر ألف عام ، فانتقد الشرق من ظلام المصور الغابرة .

✽ تكمن اصالة هذه الخصائص الحضارية فى العالم الاسلامى ، فلم يكن ظهور التيار الحضارى مجائيا ، يظهر ويختفى مثل الظواهر الطبيعية ، بل كان معالما حقبة عظيمة ، امتد تأثيرها الفكرى - حتى التدهور السياسى - فى جميع أنحاء العالم ، فأتج فى

(١) اختلف العلماء فى جواز ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الأخرى فحرمها بعضهم تحريما قاطعا استنادا الى أن الوحي هو كلام الله المنزل على نبيه باللغة العربية ، فاذا ترجم ذهب من هذه الصفة ، لانه - بعد ترجمته - يصير المترجم لمعى القرآن ، وليس هو القرآن ، لأن الصياغة اللغوية تختلف من شخص لآخر ، ولذا فهى تحمل ملامح المترجم الفكرية ، فتحرح بذلك عن دائرة الوحي ، غير أن بعضهم أجاز ترجمة معانى القرآن الكريم ويعتبرون ما ترجم الى اللغات - عن طريق المستشرقين - انما هو ترجمة لمعانى القرآن وليس لنصه ، وعليه فلا يجوز قراءة القرآن بعبر اللغة العربية الا على اعتبار انها ترجمة لعنايه ، وبقصد التعليم - لا للتعبد - لم عجز عن تعلم اللغة العربية ، فهو بقروها لمعرفة ما فيه من احكام وتشريع هذا فى غير الصلاة ، أما فى الصلاة فالراجع عدم جواز قراءة الفاتحة الا باللغة العربية .

- « **Magazin** » وكلمة
 من كلمة : « مخزن » •
 « **Gitarre** » وكلمة
 من كلمة « قيثارة » •
 « **Algibra** » وكلمة
 هي كلمة « الجبر » •
 وكثير غيرها •

✽ قدمت اللغة العربية للعالم
 خدمة جليلة • في مجال المعرفة ،
 فهو مدين بالشكر للدور الذي
 قام به العرب في حفظ الثقافة
 الاغريقية • فقد بدأ اهتمام العرب
 بما اتجته الشعوب - سواء كانت
 خاضعة للدولة الاسلامية أو
 مجاورة لها - في العصر العباسي ،
 حيث ترجمت العلوم والمعارف من
 اليونانية والمارسية - ومن الهند
 أيضا - الى اللغة العربية ، وكان
 الاهتمام الاكبر في الترجمة منصبا
 على ما دون في اللغة اليونانية في
 مجالات الرياضة والملك والجغرافيا
 والطب ، فأوصل ذلك الى الاهتمام
 أيضا بالفلسفة وعلوم الطبيعة •

✽ لو لم يقم العرب بهذا
 المجهود الضخم في مجال المعرفة

وكما اقتبست اللغات الأوربية
 مصطلحات عديدة من اللغة اللاتينية
 واستعملت حروفها في الكتابة ،
 دخلت أيضا كلمات عربية في
 اللغات : التركية ، والاوردية ،
 والفارسية ، واستخدم الخط
 العربى في كتابتها •

✽ وصلت الحضارة العربية
 الى أوروبا عن طريق أسبانيا ،
 فصقلت معها تعبيرات لغوية ،
 يستعملها السكان الآن دون أن
 يعرفوا مصدرها ، فالاسبانيون
 يستعملون كلمات عربية عديدة في
 لغة مخاطبتهم ، كذلك تذكرنا
 الكلمات العربية التي تستعمل في
 اللغة الالمانية • بعصر ازدهار
 الاسلام ، فهناك العديد من
 الكلمات العربية المستعملة في كل
 مجالات الحياة اليومية ، وفي مجال
 علم الطبيعة ، فمثلا :

- « **Alkohol** » كلمة
 هي الكلمة العربية : « الكحول »
 « **Sirup** » وكلمة
 محرفة من كلمة : « شراب » •
 « **Damast** » وكلمة
 مأخوذة من كلمة « الدمقس » •

كل من المذهب السني والشيعة في كسب المزيد من الاتباع في المجتمع الإسلامي ، فأدى ذلك إلى بذل الجهد في كلا المذهبين لانشاء مدارس لتعليم الناس مبادئ المذهب واتجاهاته وعليه فقد أنتشرت المدارس منذ القرن العاشر الميلادي في جميع مناطق العالم الإسلامي من أسبانيا عبر شمال أفريقيا حتى بلاد فارس ، والتحق بها الاطفال من سن السابعة ، وكانت مواد التعليم فيها : القراءة والكتابة وحفظ القرآن ، ثم يختار الطالب بعد ذلك مواد أخرى مثل : تحسين الخطوط ، والعلوم الدينية والحساب والشعر . ثم أنشئت فيما بعد مدارس لاعداد الدارسين لتولي مناصب مختلفة في أنحاء الدولة فكان مستواها عاليا .

✽ واختير للتدريس بها علماء مشهورون ، وكانت المدرسة النظامية التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك في بغداد عام ١٠٦٥م نموذجا يحتذى في كل ما أنشئ بعدها من مدارس ، سواء في اعداد سكن خاص

لعقدنا كثيرا مما تتمتع به الآن في عالم الثقافة من العلوم والمعارف اليونانية - أو لتأخر على الأقل انتماعنا به دهورا طويلة - فما لم يصلنا مباشرة من اللغة اليونانية أخذناه مما ترجمه العرب إلى اللغة العربية . غير أن الاهتمام بالحضارة اليونانية كان من الدوافع القوية لظهور حضارة عربية اسلامية أصيلة ، أتخذت بمقدار مركزا لها ، تلك المدينة الزاهرة - في وقت كان ظلام العصور الوسطى مخيما على أوروبا - التي اجتمع فيها التجارة والسياحة مع تبادل الأفكار والفنون والعلوم ، فبدت في منتدياتها معالم الثراء ، وفي قصورها أبهة العظمة والسلطان

٣ - التعليم والكتب :

✽ تطور نوع خاص من طبقة الاقطاع في المملكة الاسلامية تطورا كبيرا جدا ولكن الشعب على اختلاف طبقاته لعب دورا مهما في الحياة الثقافية ، ولا يمكن أن يحدث هذا الا في حالة انتشار التعليم انتشارا واسعا ، فقد تسابق

فأنشئ في بغداد مصنع للورق ، ثم انتشرت هذه الصناعة في غضون ستة قرون عبر شمال إفريقيا وإسبانيا وفرنسا حتى وصلت إلى إنجلترا ، إلا أن تجارة الكتب ازدهرت في بغداد منذ نهاية القرن التاسع الميلادي ، فربح العلماء والطلاب كثيرا من نسخ الكتب ، لكن المؤلفين لم يتقاضوا أجرا على ما ألفوه .

✽ أنشئت المكتبات في المساجد ، كما ضمت المدن الكبرى دورا للكتب العامة كان يقصدها الجميع للاطلاع على ما يريدون ، كما حرص الأغنياء على اقتناء الكتب للمعز والمباهاة ، وافق العلماء أيامهم في دراستها مع تلاميذهم . ✽ يرجع الفضل في استمرار اللغة العربية وتبوءها مكانا مرموقا بين لغات العالم إلى الجهود الجبارة التي بذلها العلماء فيما أرسوه من بناء في مجال النحو والمعاجم اللغوية ، والعلوم الإنسانية ، ودوائر المعارف ، وكان العصر عصرا ذهبيا أيضا للمؤرخين ، الذين قدّم لهم بالشكر على

للمدارسين ، أو في المواد التي كانوا يدرسونها وهي : العلوم الدينية ، وعلوم اللغة العربية ، والفقه والتاريخ والطبيعة من زاوية اتصالها بالدين . انتشرت المدارس المماثلة لهذه المدرسة في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وكان عدد المقبولين فيها محدودا ، حصل المتفوقون منهم على منح دراسية . ✽ أمدت المدارس العليا التي

أنشئت في قرطبة و « سيفيلا » و « توليدو » . . بإسبانيا الحياة الثقافية الأوروبية بروافد حلت معها عناصر الخصوبة ، وبدأ هذا بترجمة الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية فقد أنشئ لهذا الغرض مدرسة للترجمة في « توليدو » في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي ، فضمت مكتبتهما العديد من المراجع العربية التي أعدت للترجمة إلى اللاتينية . وجدير بالذكر هنا أن اللغة العربية كانت في ذلك الوقت لغة المثقفين . ✽ تعلم العرب صناعة الورق من الصينيين بعد فتح سمرقند في منتصف القرن الثامن الميلادي ،

ترجمت مجموعة كبيرة من المراجع اليونانية في الفلك والطب والرياضة إلى اللغة العربية .

أهتم المسلمون اهتماما كبيرا بالمعارف اليونانية في مجال الطبيعة . . . ومالوا في مجال الشعر إلى الفارسيين ، ولكنهم اكتشفوا معارف هندية أيضا بجانب العلوم اليونانية في مجال الهندسة فقد أخذوا العشر والصفر من المؤلفات الهندية الهندسية . وفي مجال الجبر - الذي يعرف في اللغات الأوروبية باسمه العربي - توصل بعض علماء المسلمين فيه إلى أشياء تتم عن عبقرية المسلمين في هذه الأبحاث ، إذ توصل محمد بن موسى الخوارزمي (٧٨٠ - ٨٥٠ م) من الأعداد الهندية إلى رسم لكتابتها ، كان أساسا للرسم الأوروبي الحالي للأرقام الحسابية ، وظل الجدول الفلكي الذي وضعه - وكذلك جدولته في حساب المثلثات والمربعات المتساوية - المرجع الوحيد لعدة قرون . كما عرفت أوروبا حياته عن طريق

ما سطره من أحداث الملكية الإسلامية وما سجلوه لنا عن حياة الفلاسفة والعلماء ، وأجبار الملوك وكبار رجال الدولة . . . وقد قام ابن النديم بأصعب عمل ، حيث سجل الكتب والمصنعات التي كتبت باللغة العربية . . . إذ اتبعت الحركة العلمية الواسعة كثيرا من الكتب لم يصل إلينا منها إلا النذر اليسير ، فما أكثر ما اختفى منها فطواه النسيان .

٤ - النهضة العلمية :

* انتقلت المعارف اليونانية إلى المسلمين عن طريق الترجمة ، فقد أهتم الخلفاء بالحصول على الكتب الطبية والرياضية من قصر القيصر البيزنطي عن طريق إرسال رسلهم الخاصة لهذا الغرض . وقام الطبيب النسطوري حنين بن إسحاق ومساعدوه بترجمة معظم مؤلفات « جالينوس » وتلاميذته من السريانية إلى العربية وكذلك أهم مؤلفات « أفلاطون » و « بقراط » و « أرسطو » فلم يأت منتصف القرن التاسع الميلادي إلا وقد

كسوف الشمس وخسوف القمر
يقعان في أزمان محددة .. ويمضى
المؤلف في بيان ان المسلمين قطعوا
شوطا كبيرا في أبحاث الفضاء ،
فكان عندهم الأدوات الهندسية
مثل الزوايا والدوائر
وتربيعها .. و .. و .. الخ ..
وظل الشكل الاسلامى لحساب
الدوائر مستعملا في أوروبا حتى
القرن السابع عشر الميلادى .

* ولما كان اتساع المملكة سيا
في تنشيط حركة التجارة شرقا
وغربا ، تطلب ذلك معرفة الطرق
والالمام بمسطحات الأرض ، فأدى
ذلك الى البدء في رسم الخرائط
الجغرافية ، ووصف طبيعة البلاد .
فقد وصف العرب في عام ٨٥٠م
- أى قبل أن يكتب «ماركوبولو»
مؤلفه عن الصين بمدة قرون -
عادات الصينيين وتقاليدهم
الاجتماعية ، اعتمادا على ما رواه
أحد التجار العرب بعد رحلة قام
بها الى الصين ... كذلك عرف
العرب الكثير عن الهند وسيلان
والصين مما كتبه الرحالة العرب ،
كما ضم فتوح البلدان الذى كتب

ما ترجمه »
Gerhard Von Crimona
في القرن الثانى عشر الميلادى ،
فدخلت مصطلحات علم الجبر الى
أوروبا عن طريق هذه الترجمة ،
وهو ما ينم عن عبقرية في مجال
علم الحساب الفلكى .

* ترجم « جيرهارد فون
كريمونا » - وقد أقام في
« توليدو » بأسبانيا وتعلم اللغة
العربية - ما يقرب من مائة مرجع
علمى من العربية الى اللاتينية ،
ومن بينها « مبادئ الهندسة »
و « اقليدس » و « المجسطى »
لـ « بطليموس » ومؤلفات البطانى،
وارشميدس ، والفارابى والغازن .
ويرجع الفضل في دقة حساب
دورات الكواكب الفضاء : الشمس
والقمر والكواكب السيارة الأخرى
لأبحاث البطانى .

* اختير كثير من الفلكيين
الذين كانوا في خدمة الخليفة
المأمون النظرية البطليموسية في
هيئة الافلاك ، فأثبتوا خطأها ،
ووصلوا الى ما يؤكد ان مواقع
الشمس وقطرها يتغيران ، وأن

في القرن التاسع الميلادي وصفا للمملكة الإسلامية بجانب ما سطر فيه عن كثير من البلاد والمناطق الأجنبية . وبعد مرور قرن آخر كتب محمد المقدسي أهم وأشهر مرجع في الجغرافيا العربية . أما التاريخ فقد دونوا فيه المراجع الصخمة وعلى رأسها كتاب الطبري « تاريخ الرسل والملوك » الذي دون فيه أخبار العالم من البدء حتى عام ٩١٣ م .

* لم يكن عند المؤرخين وكتاب السيرة نظرة فاحصة لما سجلونه من أخبار ، فقد كانوا دوائر معارف ، ولكن لم تؤد بهم غزارة مادتهم إلى نظرة شاملة ، تجمع شتات ما تناثر في صورة كلية ، إذ دفعهم ولوعهم الخيالي إلى خلط الأساطير بالحقائق التاريخية .

* كان البيروني (٩٧٣ - ١٠٤٨) نموذجاً للعالم ذي المكانة العالمية في تلك الحقبة التاريخية ، فقد عاش في كنف الأمير محمود الغزنوي - في المنطقة التي تعرف الآن باسم أفغانستان - فاستطاع

بمكاته العلمية أن يحصل الأمير على الاقتناع بما يديه من آراء وتقديم المساعدة له لمواصلة البحث والاختراعات ، لأن محمود الغزنوي اشتهر باتجاراته الضخمة في الجانب العربي ، إلا أن أعماله في الجانب العلمي ملأت العديد من كتب العلماء ، ثم يضي المؤلف في بيان جهود البيروني أثناء مصاحبته لجيش محمود الغزنوي إلى الهند في تسجيل ما رآه في الهند من حضارة ولغات وأجناس وطقوس وعبادات ، ونشر هذا في عام ١٠٣٠ م ، ومن الموضوعات التي اهتم بها أكثر من اهتمامه بالمسائل السياسية الدين والأدب والفلسفة ولا يقل ما سطره في هذا الكتاب في مجال الفلسفة عن نظيره في الفلسفة اليونانية . كما أبدع في مجال الفلك والرياضيات ، فكان من أشهر علماء ذلك العصر ، الذي لم يقتصر العلماء فيه على مجال علمي واحد ، بل انشغل معظمهم بعدة مجالات ، فكانوا دوائر معارف ، فالكندي الطبيب كتب عن انكسار الضوء ، كما كان يعتبر

وصححوا ما أثبتت الأبحاث انه خطأ فقد كتب الكندي عن اشعاعات النجوم التي لها تأثير قوى على كل الكائنات الحية .. ويمضى المؤلف فى بيان ما توصل اليه الكندي فى عالم النجوم مؤكدا على عروبه - أى انه ينحدر من أصل عربى - ومبينا سير كثير من العلماء والمسلمين الذين يتحدرون من أصول غير عربية . وبعد أن يسرد أسماء العلماء الذين اعتمدوا بأبحاث الفضاء ويشرح نظرياتهم يقول : ان بغداد كانت مركزا للأبحاث المضائية فى هذا العصر ، وان جهود العرب فى هذا المجال دفعت علماء أوروبا فى ذلك العصر الى الاهتمام بهذا النوع من الأبحاث ، ثم يذكر أسماء العلماء الأوربيين الذين تعلموا فى معاهد عربية منهم :

« جريرت فون اوريلاك » ..
(تقلد منصب البابوية فيما بعد تحت اسم « سلفستر » الثانى ، ومات فى عام ١٠٠٣ م) اهتم بما كان يدور فى « توليدو » - ملتقى

أول فيلسوف عربى . كذلك الرازى الذى أتجه كطبيب الى البحث عن أسباب بثرة الجدرى والحصبة أثبت جدارة فى مجالات : الكيمياء وعلوم الدين والعلوم العلوية والفلسفة .

✽ اعتمدت كل نظريات علم النجوم فى القرون الوسطى على أبحاث الكندي فى مجال الفضاء ، اذ بعد ما ضعف مستوى الأبحاث فى هذا المجال بعد تحول الدولة الرومانية الى المسيحية أثقلت هذه المعارف الى العرب عن طريق بيزنطة ، وفى نفس الوقت تخلت أثينا عن موقعها كمركز للأفلاطونية الحديثة . فاثقلت المراكز العلمية للرياضيات والطب والكيمياء والفلسفة الى فارس ثم انتشرت فى جميع أرجاء العالم الإسلامى . وعبر سوريا اثقلت انجازات عصر قياصرة الرومان والعصر الاغريقى فى مجال علم النجوم الى العرب ، فأصبحت بعد ترجمتها علومًا عربية ، تناولها العلماء بالبحث والتمحيص . فزادوا فيها ،

الطبية ، وفنون التمريض ،
والابحاث الكيميائية فأزدهرت
الصيديات ومحلات العقاقير
الطبية ، وربح تجار الادوية ،
أموالا طائلة .

✽ وصل الأطباء المسلمون بفن
العلاج الى مستوى الكمال ،
أما في الجراحة فقد تعلموها في
العالم نظريا ، لأن رجال الدين
حرموا عليهم التشریح ، الا ان
الممارك الحربية هيات لهم ظروف
تطبيق ما تعلموه نظريا عندما كانوا
يعالجون الجرحى ، كما أخذوا
بعض الترنينات للمعاملات في تشریح
الحيوانات .

✽ أنشئت أول مستشفى في
بغداد في عهد الخليفة هارون
الرشيد ، ثم ما لبثت أن افتتحت
مستشفيات مماثلة لها في جميع
أنحاء المملكة . وكان أشهرها
« بیمارستان » دمشق ، فقد
توجه اليه الأطباء للحصول على
الدرجات العلمية التخصصية ، وأمه
الطلبة للتدرب على ما يحتاجون
اليه في امتحاناتهم ، كما كان فيه
قسم خاص للإسعافات العاجلة .

الرسل والوفود الى المعاهد العلمية
العربية — من أبحاث ومناقشات ،
وعلى الأخص : الراضيات ، وعلم
النجوم ، فبرع فيها للدرجة أن
الشعب اعتقد أن بينه وبين الجن
صلة .

✽ « دانيال مورلي » : درس
في « توليدو » علم النجوم العربي ،
ودون معارفه التي أكتسبها من
هذه الدراسة في كتاب .

✽ ويمضى المؤلف في بيان من
تحدثوا في كتبهم عن العلماء العرب
وتأثيرهم على العلماء الاوربيين ،
ثم يختم الباب بقوله :

ومن الطبيعي أن الأفكار العربية
وصلت الى الشعوب الاوربية عن
طريق علمائها .

• - الطب في مجالى البحث والممارسة :

✽ ارتفع مستوى المعيشة في
المملكة الاسلامية ، فأدى ذلك الى
الاهتمام بالفرد ذلك ان الانسان
لا يريد الثروة فقط بل يتمنى أن
يعيش سليما معافى ، فكانت هذه
الامنية سببا في رفع مكانة العلوم

* ظهر العديد من المراجع الطبية في هذه الحقبة الزاهرة في تاريخ الطب العربى ثم أنتقلت عبر أسبانيا الى أوروبا ، فكانت أسس علم الطب في مدارسها العليا لعدة قرون .

* ومن بين من كتبوا هذه المراجع : الرازى ، فقد أشتهر في أوروبا بأبحاثه الطبية ، وخاصة ما تناول فيها مرض الجندري والحصبة ، فقد ترجمت مؤلفاته الى اللاتينية وطبعت طبعات عدة على امتداد عدة قرون ، وكان آخرها طبعة نشرت في إنجلترا في القرن التاسع عشر الميلادى ، وحرصت جميع المكتبات الاوربية على اقتناء نسخ من مؤلفات الرازى ، كذلك أطلق الاوربيون على ابن سينا لقب « أمير الاطباء » فقد أثري المكتبة الطبية بأبحاث طبقت شهرتها الآفاق ، فلا يجهل من له صلة بعلم الطب كتابه : « القانون » الذى بلغ شهرة لا مثيل لها بعد ترجمته الى اللاتينية ، بما يضمنه من أبحاث عن علم الصحة ،

* امتدت الرعاية الطبية الى جميع أنحاء الدولة ، اذ كان الاطباء يزورون السجون من آن لآخر لعلاج المسجونين ، كما قاموا بزيارات مماثلة للقرى النائية واهتم الاطباء أيضا بعلاج الامراض النفسية ، فلم يتجنب المسلمون المرضى ، وينظرون اليهم نظرة احتقار ، كما كان يفعل الاوربيون معهم آنذاك ، واستمرت هذه المعاملة قرونا ، فقد ظل المريض نفسيا محتقرا في أوروبا وكان الاوربيون يفرون منهم كما يفرون من مرضى الجذام ، ويتجنبونهم ، كما يتجنبون المجرمين .

* كانت رعاية المرضى سببا في اكتشافات جديدة في مجال الادوية ، ذلك المجال الذى أصبح علم العرب الذى لا ينازعهم أحد فيه اذ اكتشفوا العديد من المستحضرات الطبية ، واستعملوا كثيرا من الاعشاب في علاج المرضى ، وأثروا هذا المجال باختراعاتهم المديدة .

الكريمة وصيغ الجلود ، والسميع ،
وملاء المعادن .. و .. و .. الخ .
والحق أن العرب توصلوا الى أن
التجربة هى أساس البحث ، وذلك
هو ركيزة العلم الحديث .

✽ وعندما أصيب المجال العلمى
فى الشرق بضربة قاضية على يد
المغوليين فى منتصف القرن الثالث
عشر الميلادى ، أهتم المرينيون
فى أسبانيا - بعد سقوط قرطبة
فى يد المسيحيين - ببعض المجالات
العلمية التى لعبت دورا جوهريا فى
اتساع المجالات الفكرية الاوربية
وكان للتقارب الوثيق بين العقل
الاسلامى والمسيحى سببا فى دفع
تيار خصب عبر الطريق المفتوح
بينهما الى العالم الغربى المتخلف ..
الذى أسهم رجال الكهنوت
والأمراء بنصيب وافر فى تجميد
فكره ، وبقائه فى بحر الظلمات .
بينما كان العالم الاسلامى يسطع
بنور العلم والمعرفة .

✽ كما تقل الانجليزى
« روبرت آف شيمستر » علوم العرب
الكيمائية - كما نقل كثيرون غيره
مختلف العلوم والمعارف العربية

والفسيولوجيا ، وطرق العلاج ،
والادوية ، وأمراض العيون وغير
ذلك من المجالات التى لم يسبقه
أحد فى بحثها .

✽ كان ابن الهيثم من أشهر
أخصائى أمراض العيون ، فقد
كتب عن البصريات وانكسار
الضوء ، والرؤية بالعدسات ،
وأهمية الحجرة المظلمة فى عيادة
طبيب العيون للتشخيص والعلاج ،
وقد أتقن « روجر بيكون »
و « كيلر » بهذه الابحاث .

✽ وكان أبو القاسم - الاسبانى
المولد - أشهر جراح فى ذلك
المصر ، فقد باشر فى عالم الجراحة
أعمالا لم يجرؤ أحد من قبله على
القيام بها ، كما استعمل أيضا فى
الخيطة الداخلية لأول مرة نوعا
لا يحتاج الى نزعه ، بل يتأكل
كيماويا داخل الجسم .

✽ كما أحييت شخصية
الكيمائى الطبيب جابر بن حيان فى
القرون الوسطى بهالة من القصص
المجيبية ، التى تتعلق بتجاربه
الكيمائية فى خامات الاحجار

٦ - الأدب :

* لم يثر الباحثون في أدب المجتمعات الإسلامية على الرواية الطويلة ، لأن شعوبها كانت مفرمة بانقص القصيرة التي تتلى بصوت عال وتروى بين الناس شفاها فقد نالت إعجابهم روايات « بيدبا » التي ترجمت من الهندية إلى الفارسية في القرن السادس الميلادي ، ثم ترجمت في القرن الثامن إلى العربية وكانوا مفرمين أيضا بقصص ألف ليلة وليلة ، التي ترجمت أيضا من الفارسية إلى العربية في القرن العاشر الميلادي ويدل بناؤها الفني على انها تعتمد على أصل هندي .

* اتسعت دائرة هذه المجموعة الهندية الفارسية في النص العربي بما أضيف إليها من قصص هارون الرشيد ، وبما دخلها من روايات مصرية ويهودية ، ثم تكون من هذه المجموعات المختلفة وحدة عرفت باسم « ألف ليلة وليلة » .

اشتهرت بعض أجزاء هذه المجموعة في إيطاليا في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي ، ثم ترجمت كلها

إلى أوروبا - من أسبانيا إلى إنجلترا في القرن الثاني عشر الميلادي ، ومن هناك أنتقلت إلى البلاد المجاورة .

* وصل وطن العلوم العربية إلى ذروة المجد العلمي في القرن العاشر الميلادي ثم بدأ رجال الدين في تقييد حرية البحث الحر ، بحجة أن العلم أضاع العقيدة في المجتمع ، وحجب بهاءها ، وروبقها فجزت عن التأثير في الحياة الاجتماعية ، كما فقد العلم مكانته عند الناس عندما أخذت سلطة حكامه والمؤيدين له طريقها إلى الانحدار . وهكذا مات الجذر ، ولكن فروع تلك الشجرة المعلقة أورت وأثمرت في ذلك العصر ثمرا طيبا في أسبانيا - البعيدة عن الوطن الأم للعلم العربي ، موطن البذرة ، ومكان الجذر الذي أنبت تلك الشجرة - ، إذ أصيب البلد بحمى الترجمة كما لو كان الوقت متاح لنقل هذه العلوم النميمة محمدا بمدة قصيرة . وهكذا نقلت المادة الجوهرية من الشرق إلى العلم الأوربي ، فدفعه هذا الدفع إلى التطور الذاتي .

فى العصر العباسى كتابه « الاغانى » وكان ذلك فى القرن العاشر الميلادى ، وتدل مادة الكتاب - الذى بلغ عشرين مجلدا - على أن الفن الأدبى والثقافة بلغا شأوا بعيدا فى هذا العصر ، وأن الشعراء تبوءوا مكانا ساميا فى بلاد الخلفاء وقصور الاغنياء ، الا ان اهتمام الحكام وأصحاب الثروة بالشعر والشعراء ، وتلبية الشعراء رغبة من يدفعون المال ، هوى بالشعر من عليائه ، فأصبح موجها من خزائن الاغنياء ، لا تميرا عن وجدان الشعراء ، ولهذا يرى بعض النقاد أن الشعر فقد مكانته التى تبوأها فى العصر الجاهلى .

✽ الحرب والحب : هما الموضوعان الرئيسان اللذان دار حولهما الشعراء وعندما هدأت موجة الفتح ركز الشعراء على الحب وقصصه وأساطيره ، فرسموا له صورا وردية وأحاطوها بهالة من الخيال اللانهائى ، وسرعان ما أنتشرت هذه المفاهيم فى أنحاء العالم الاسلامى وأثقلت بعض جوانبها عبر مصر وشمال أفريقيا

الى الفرنسية ونشرت فى عام ١٧٠٤م وبعدها أنتشرت فى أوروبا كلها ، فاكسبت شهرة فى المتديات الادبية وبين عامة الشعب ، وظل كتاب « ألف ليلة وليلة » من أوسع الكتب انتشارا حتى عصرنا الحالى . ومن القصص التى لاقت رواجا كبيرا أيضا ما كتبها بديع الزمان الهمذاني ، لأنها صيغت بأسلوب شيق جذاب .

✽ أعتمد انتشار الأدب قبل اختراع الطباعة على فن الالتقاء وحسن استماع الناس وتلك طبيعة تعمقت جذورها فى المجتمعات عن طريق التمرين الطويل .

✽ كان قرض الشعر دليلا على الثقافة والاطلاع الواسع فادى ذلك الى المنافسة فى هذا المجال . منافسة دفعت الى خلق قصص البطولات المبالغ فيها . كما تسببت فى ابتكار الصيغ الفنية الرائعة فى الأدب . تلك الصيغ التى كان لها الفضل فى وجود الجوانب الفنية فى الشعر الأوروبى .

✽ جمع أبو الفرج الاصفهاني

الخمر ، كان نظامي تقيا ورعا يكره
 الخمر ويتجنب مواطن الريبة •
 * ليس موضوع الحب في
 الشعر الفارسي رداء دينيا ، فتحول
 الى حب صوفي ومن حملوا لواء
 هذا النوع من الشعر فريد الدين
 العطار ، وجلال الدين الرومي
 وابن الفارض •• ويمضي المؤلف
 في بيان صلة الشعراء بالقصور
 والأغنياء ، وموضحا اتجاهاتهم ،
 سواء كانت فلسفية تشاؤمية ،
 أو دينية تأملية ، ومشيرا الى
 ما ترجم منها الى اللغة الالمانية
 وتأثيرها على الشاعر الالمانى
 « جوته » •

* كان اتاج الأدب الاسلامى
 بمد هذا العصر الكلاسيكى قليلا
 في مجال الابتكار ، فقد ظل يدور
 لعدة قرون في حلقة التقليد ،
 أما الابتكار فكان نادرا ، اذ دار
 الشعر حول وصف الرحلات
 وأسفار الأمراء ، ثم أهتم
 الاستعمار في العالم الاسلامى
 بادخال الأدب الأوروبى الى المنطقة
 ولم يبدأ الاهتمام بالأدب القديم في
 العالم الاسلامى وازافة مبتكرات

وأسيانيا الى ألمانيا •• ثم تناول
 المؤلف سيرة أشهر الشعراء
 ومنهجهم في الشعر مثل أبى نواس
 والمتنبى وأبى العلاء المعرى وبين
 اسهام الفارسيين مع العرب في
 هذا المجال وفصل الحديث عن
 الفردوسى ، الذى قضى ٣٩ عاما في
 تأليف : « الشاهنامه » ، كما ألف
 « يوسف وزليخة » وهى تعادل
 في طولها ملحمة « الياذة » ••
 * لم يرفع الفردوسى بتأليفه
 « الشاهنامه » الأدب الفارسى
 فقط الى مرتبة سامية بل أضاف الى
 الأدب العالمى لحمدى الملاحم
 الشعرية الكبرى التى لا زال
 الشعب الفارسى يفخر بها حتى
 الآن • وكانت سببا في دفعه الى
 الاتاج الغزير في مجال الشعر •
 فقد ظهر بعد الفردوسى : الخيام ،
 صاحب الرباعيات التى أشتهرت في
 أوربا بعد أن ترجمها « ادوارد
 فرتن جيرالد » •• في منتصف
 القرن التاسع عشر الميلادى ، وكذلك
 نظامى ، الذى كانت أفكاره
 متعارضة مع أفكار الخيام ، اذ بينما
 كان الخيام يميل الى القبحور وشرب

جديدة اليه ، إلا بعد ظهور النزعات القومية في العصر الحديث .

٧ - الاقتصاد والتجارة وشئون المواصلات :

* بينما كانت الطبقات الحاكمة في أوروبا - سواء كانت قسسا أم أمراء - تنظر الى التجارة وما يتعلق بها نظرة ازدراء واحتقار - وظل هذا المفهوم مسيطر عليها حتى القرن الحادى عشر الميلادى - سيطر العالم الاسلامى على شئون التجارة فأصبح التبادل التجارى محتكرا في أيدي المملكة الاسلامية . . اذ لم يكن هناك بين أقطارها الشاسعة حواجز جبركية ، ولا حدود تقف ما نعة أمام تبادل البضائع اللازمة لضرورات الحياة ، فازدهر الاقتصاد في ظل قواعد التجارة وشئون المواصلات التي بلغت حد المثالية ، لدرجة أن النشاط التجارى سار في البر والبحر بأقصى سرعة دون هدوء أو تسويف واستطاعت العقلية التجارية عند التجار المسلمين في ذلك الوقت الحصول على أرباح طائلة .

* بعثت كثرة الامكانيات المتاحة في مجال التجارة النشاط المحموم في صفار التجار ، وحركت البدو لتوسيع نشاطهم في مجال تربية الماشية ، ودفعت الفلاحين الى الاكثار من زراعة الحبوب والفاكهة والنباتات الأخرى . كذلك شق الخلفاء القنوات ، فزرع قصب السكر والقطن والبرتقال ، فأورقت مناطق في العالم الاسلامى وأخضرت بشكل حمل الناس على أن يطلقوا عليها جنات الأرض ، ومن تلك المناطق : المنطقة الواقعة بين بخارى وسمرقند ، وجنوب فارس وجنوب العراق ومنطقة دمشق .

* دوت تجارة المعادن والاحجار الكريمة ربعا كبيرا على العالم الاسلامى ، على الرغم من تعثر عمليات استخراجها من باطن الأرض . أما الورق فقد أقيمت مصانعه منذ القرن العاشر الميلادى كما نشأت حرف مهنية عديدة أزهرت تحت رعاية القبايات المهنية ، التي تعدتها بالرعاية والتسويق .

المحملة بالبضائع - العالم الاسلامي ، اذ كانت تخرج من بغداد الى كل اتجاه ، الى الشرق حتى حدود الصين ، وإلى الغرب حتى الشواطئ النورية ، فنشأت على طريق القوافل محطات لتزويد المسافرين بما يحتاجون اليه من طعام وماء ثم تطورت هذه المحطات الى مستوطنات ، فمدن كبيرة •

✽ استقبلت السفن في موانئ الخليج وشواطئ البحر الأبيض المتوسط البضائع المنقولة اليها من داخل البلاد ونقلتها الى ما وراء البحار ، اذ عبرت نهر الفولجا الى البلاد الاسكندنافية ، والبحر المتوسط الى اسبانيا وما وراءها • ويدل ما وجد في الحضريات من العملات الاسلامية على مدى الانتشار الواسع للتجارة الاسلامية في ذلك العصر •

✽ أثرت الطبقة الحاكمة من التجارة ثراء فاحشا ، وأصبحت حياة الترف التي كان يحيها فسبة قليلة من السكان قائمة على ازدهار الاعمال التجارية ، فقد

✽ انتجت الموصل القطن الموصلى ، كما اشتهرت مصر وسوريا وقارس بالبضائع المصنعة ، وعرفت دمشق بالدمقس ، وعدن بالصوف • تعلمت أوروبا من المسلمين صناعة الحفر وزخرفة المعادن ، ورسم الاشكال الفنية بمادتي الذهب والفضة على البرونز فقد نشأت هذه الصناعة في مصر أبان العصر المملوكي ، ثم انتقلت الى سوريا ومنها الى فينيسيا • كما وجد في المملكة الاسلامية من يهتم بصناعة الزجاج والبللور والالوانى ، والسيراميك ، وأدوات العطور والزينة ، والزيت والصابون والسجاد • الخ • • لأن مساحة الدولة كانت شاسعة فضمت أناسا مختلفي الاهتمامات ، ومتنوعى الامزجة مما جعل لكل صناعة منتجا ومستهلكا • لقد تركت صناعة الزجاج أثرها في أوروبا حيث يجد المرء في الكنائس والمتاحف أعمالا فنية رائعة تعمل بصمات المسلمين •

✽ جابت قوافل التجارة - التي كانت تبلغ أحيانا آلافا من الجمال

العبيد بطرق شتى من جميع أنحاء الأرض ، حتى كثر عددهم فى المملكة الاسلامية وسببوا لها بعض المتاعب فقد كانت ثورتهم فى عام ٨٧٠م خطرا على جميع الانشطة الاقتصادية فى كل أنحاء المملكة .
 * قامت التجارة والصناعة فى العالم الاسلامى على أساس النظام الاقتصادى الحر فأصبح المكب المادى هدفا لكل طموح ، لأن العكرة التى كانت سائدة فى المجتمع آنذاك : ان من كثر ماله ارتفع قدره بين الناس ، وعلى قدر ما يملك ينال من الاحترام .. ان من يقارن مفهوم ذلك العصر بما هو سائد اليوم فى مجتمعاتنا يدرك أن الوضع لم يتغير .

كان المال المستثمر فى التجارة وفى أعمال القوافل يدر فوائد ربوية على أصحابه ، على الرغم من تحريمها رسميا . كذلك تسبب النشاط المالى فى خلق فرص عمل لأعداد لا حصر لها من العبيد ، ولم يكن الاسترقاق قاصرا على جنس دون آخر ، فكما ضم زنوجا من افريقيا ، كان من بينهم أيضا أتراك ، وصينيون ، وبيض من روسيا واسبانيا وإيطاليا . وعلى الرغم من أن القرآن الكريم قصر الاسترقاق على أسرى الحرب وأبناء العبيد ، فقد تعدى الناس هذه الوصية ، فشمل الاسترقاق أناسا لم يكونوا أسرى حرب ، ولم يكن آباؤهم عبيدا ، اذ جلب

دكتور محمد شامة



زاهد البصرة

للأستاذ السيد حسن قرون

سلوكه ، وحجة في أقواله الا أن
ثلاثة منهم تميزوا في نظري ،
وبمروني بطرقهم في الحياة ،
ووضعوا نصب عيني التقوى في
أجلى مظاهرها ، وأبهج صورها ،
وهم الصحابي الجليل (عثمان
ابن مظعون) المتوفى قبيل غزوة
أحد ، و (الفضيل بن عياض)
المتوفى سنة ١٨٧ هـ وبعد رأس
التصوف ، فقد قامت معالمة وألفت
الكتب فيه بعد وفاته ، والثالث
(عامر بن عبد الله بن عبد القيس)
العنبري البصري . أما عثمان
ابن مظعون فقد نشرت عنه مقالا
مطولا بمجلة الأزهر ، وأما الفضيل
فاني لأرجو أن أوفق في تجلية
سيرته وما أجلاها سيرة . أما عامر
ابن عبد الله « زاهد البصرة » فهو
الذي أحدثك عنه في ذلك المقال ،

الحديث عن الزهد مطلب
النفس الخيرة ، والقلوب
الصالية ، والعقول النيرة ، لأنه
يرتفع بالإنسان عن أوضار الدنيا ،
ودوافع الصراع حول مطالب
المعدة ، ولنا من سلفنا الصالح
نماذج بشرية رائدة قل أن
يجود الزمان بمثلها ، فحين تركن
اليهم ، وتمش مع ذكراهم ، وتقرأ
سيرهم يطمئن قلبك ويهدأ بالك ،
فتجد همك متعاطفا مع أهلك
وذويك ومواطنيك تفرح لفرحهم ،
وتحزن لرحمهم ، وتنفر من المال
نفورك من الوحش الكاسر ، والطير
الجارح ، والنار المدمرة ، وترى
الدنيا لهموا ولعبا . . ومع أن
أسلافنا الذين ظهروا مع الاسلام
حين ظهوره ، أو نبثوا في أرضه
بعد انتشاره كل منهم قدوة في

واذا كان لكل شخصية مفتاحها — كما يقول العقاد — فإن مفتاح شخصية عامر هو « التقوى » وقد تقول : ان التقوى قبله كل مسلم ووسيلته الى بلوغ سعادة الدنيا والآخرة لا يتكرها عاقل ، ولكن عامرا انفرد بنظرة خاصة نحو التقوى ، فحبس نفسه في دارتها ، فشغف بها ، وحرص أن يحرز بها أعظم الأجر وأجزل العطاء ويجلو لك الأمر بقوله : « لحرف في كتاب الله أعطاه أحب الى من الدنيا جميعا » ف قيل له : وما ذاك يا أبا عمرو ؟ قال : « أن يجعلني الله من المتقين ، فانه قال : « انما يتقبل الله من المتقين » فهو في ضوء التقوى يريد أن تكون صلاته ونسكه وصلاته وزكاته وصومه وحجه ، وجهاده واحسانه في كل أمر يؤديه له القبول عند الله ، والله لا يقبل الا من المتقين ، وفي هذا الحرف تجتمع كل شمائله ووسائله ، ومقاماته ومقالاته ينظر في جميع أموره فما وافق يقينه واعتقاده في الوصول الى التقوى آذاه حريصا عليه كلنا به ، ووصف

« المتقى » هو كل مبتغاء ، به تنفرج أساريره ، ويتهيج فؤاده . ان المتقى يحذر الآخرة ويخشى غضب الله ويحمن نفسه بفعل الخيرات . . التقوى وقاية وجنة حافظة ، انها الحرف الذي قيد نفسه في أقوى عراء ، فكيف قيد نفسه ؟ أجاب عن هذا السؤال عمليا ، فسلك مسلكا وعرا ، وفرض على نفسه فروضا لم يوجبها كتاب ولا سنة ، ولو عاش في زمن غير زمنه لكان له شأن أى شأن ، ولاتخذ الناس من قبره مزارا ، ولكنه كان في عصر الخلفاء الراشدين ، والخلفاء الراشدين ومن نحا منحاهم لا يقبلون الغلو في الدين أو الدنيا ، لا يقبلون من مسلم أن يجعل الزهد وكده يعرف به ، وينفرد بعلاماته ، ويشار اليه بالبنان لمقارفته ، وكان عامر قد صار علما على الزهد ، واشتهر عنه أنه لا يأكل اللحم ولا السمسم ولا يتزوج النساء ، ولا يصلى في المساجد ، ولا تمس بشرته بشرة أحد ، ويقول — حسب الرواية — انى مثل ابراهيم ، يقصد ابراهيم

تسبون جاريتكم هذه ؟ قالوا نخاف
الله أن تصد علينا ، فطلب اليهم
بيعها وغالى في الثمن فلم يقبلوا ،
فذهب وأتى ثوبين أبيضين فوجدتها
« ماتت » فقال : ولونها • قالوا :
نعم ، فصلى عليها ودفنها • وقد
تكون تلك الجارية هي التي زهدته
في النساء ، ويروون أن سائلا سأله :
ألا تزوج ؟ قال : ما عندي من
نشاط ، وما عندي من مال ، فما
أغر امرأة مسلمة ، وسأله آخر :
ما هذا الذي صنعت ؟ ألم يقل
الله : « ولقد أرسلنا رسلا من
قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية » ؟
قال : أقلم يقل الله : « وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون » ؟
وبتحيرون من مذهبه ، وكيف لمثله
يمتنع عن الزواج ؟ وما دروا أنه
دعا الله أن يغنيه عن النساء
فاستجاب له • فقد حكوا أنه كان
في غزاة ، وأنه ابتذ مكانا قصيا عن
زملائه المقاتلين ، فبقى ليله راكبا
ساجدا داعيا ورآه أحد أصحابه في
مقامه هذا بعد أن بحث عنه ووافاه
في وجه الصبح وهو يدعو ، فكان
فيما يدعو : اللهم سألتك ثلاثا

عليه السلام ، وكان عنيقا في قول
الحق ، ينصح بلسانه فاذا لم
يستجب من ينصحه استعمل يده ،
مر على رجل من أهل الذمة قد
أخذ فكلهم فيه فأبوا وكرر القول
فلم يستمعوا له فتعدهاهم قائلا :
كذبتهم والله لا تظلمون ذمة الله
اليوم وأنا شاهد ، وكان راكبا
فتزل فظمه منهم • والأغرب من
هذا أنه سمع من يقول له
— لا أدري أفي يظلة أم منام —
فلانة امرأتك في الجنة ، فذهب في
طلبها فاذا هي وليدة لأعراب سوء
ترعى غنما لهم ، ولا تنال منهم
الا السب والأذى ، وكانوا في
اطعامها مقترين عليها ، وما تناله
تذهب بمطعمه الى أهل بيت
مسهم الضر ، وتتبع عامر خطاها
ومرعاها فوجدتها في مكان صالح
تصلى ، فتقرب اليها وحادثها
وسألها عن حاجتها فنفت الحاجة
الى أحد ، فلما أكثر عليها قالت :
وددت أن عندي ثوبين أبيضين
يكوفان كفتي • قال : لم يسبونك ؟
قالت : اني لأرجو في هذا الأجر ،
فتركها ورجع اليهم ، فقال : لم

تغيرت ، وولى الخلافة عثمان
ابن عفان رضى الله عنه ، ولم يكن
صورة من عمر ، بل كان له رأى
واتجاه ، وظهر الحسد فى بعض
النفوس : حسد قريش على ما آتاهما
الله من النجوة والخلافة ، وحسد
بنى أمية أن يكونوا موضع الرعاية
من الخليفة ، ففشت فى الناس
اذاعات وشائعات تنال من الخليفة
وتصرفاته ، ولم يكن عامر ممن
يعنى بالسياسة ، ولا ممن يطلقون
الستهم فى الولاة والجبلة ورجال
الحرب ، انما كان منصرفا الى زهد
وصلاته كان عطاؤه على عهد عمر
أففين ، فكان يوزع منها ما يراه
واجبا عليه ، ويقولون فى كراماته
انه اذا ذهب الى داره ، وأخذوا
يمدون المطاء وجدوه كما هو لم
ينقص شيئا ، ولما رأى المشرف على
المطاء يريد أن يزيد . قال له :
حببك أنا لا أريد شيئا . قال له :
انك تنفق على غيرك ممن يحتاج
اليك . وبأبى الزيادة ، رجل
زاهد ، لا زوج ولا ولد وشقيقاته
على نفسه قليلة ، فهو يرفض لين
الطعام ، وينفر من الفاخرة رغبة

فأعطيتى اثنتين ، ومنعتى واحدة ،
اللهم فاعينها حتى أعبدك كما
أحب وكما أريد ، فلما قضى صلاته
ودعاه التفت الى صاحبه وأنذره
بالويل والثبور ان تحدث عما
رأى . قال له صاحبه وهو يحاوره :
دعك من تهديدى والله لتحدثنى
بهذه الثلاث التى سألتها ربك
أو لأخبرن بما تكره مما كنت
فيه الليلة . قال : ويلك لا تفعل .
فلما رآه غير منته قال له : لا تحدث
به ما دمت حيا . فوافقه صاحبه ،
وهنا أنفضى اليه بغيء أمره .
قال : سألت ربى أن يذهب عنى
حب النساء ولم يكن شيء أخوف
على دينى منهن ، فوالله ما أبالى
امرأة رأيت أم جدارا ، وسألت
ربى ألا أخاف أحدا غيره فوالله
ما أخاف أحدا غيره ، وسألت ربى
أن يذهب عنى النوم حتى أعبد
بالليل والنهار كما أريد فمنعنى .
استقام له أمره أيام عمر رضى
الله عنه ، فانقضى الله حق تقاته ،
وابتهج أن يكون ممن ينطبق عليهم
قول القرآن الكريم : « انما يتقبل
الله من المتقين » لكن الأمور

ما سكوتى الا تعجبا ، لوددت أنى
كنت غيارا على قدميه يدخل فى
الجنة ، قال : ولم تركت النساء ؟
قال : أما والله ما تركتهن الا أنى
قد علمت أنه متى تكن لى امرأة
ففى أن يكون ولد ، ومتى
ما يكون ولد يشعب الدنيا قلبى
فأحببت التخلّى من ذلك . ولم
تعجب الاجابة الأمير ابن عامر
فأجلاه على قتب الى الشام ،
فكان فى نظر شيعة بنى أمية أنه
مثل صعقة بن صوحان ، ومذعور
وغيرهما ممن يناهضون الحكم ولم
يكن معاوية متساهلا مع هؤلاء
الثوار ، ولا راضيا عن موقفهم من
الخلافة وحديثهم عن فريش ، وكم
ناظرهم فافرحهم ، وكم تخفف منهم
فرد بعضهم الى مواطنهم ، وكانت
له أساليب مختلفة يعرف بها دخيلة
من ينهى اليه ، ومنذ وصل اليه عامر
ابن عبد الله وضعه تحت رقاته .
وافتن فى التعامل معه ، بعض هذه
السياسة رسمها له الخليفة نفسه ،
وبعضها كان من تشكيده . المهم أن
عامرا المقترى عليه نجح فى الاختبار
غير قاصد ولا متعمد ، لأنه - وقد

فى نعيم الآخرة ، ولكن السياسة
تجرفه والواقع أن الشكوى منه
لم تمس عثمان من قريب أو بعيد ،
ولكن الاضطرابات حين تحدث ،
والنفوس حين تحذر الفتنة تسيء
الظن بمن يحتطب ومن يبتعد ،
تأخذ المطيع بالمعاصى ، والمحسن
بالمسيء - كما يقول زياد .

كان عبد الله بن عامر (من بنى
عبد شمس اخوة أمية) عاملا
لعثمان على البصرة فوشى اليه
بعامر بن عبد الله البصرى بأنه يقبل
أن يقال له : ما ابراهيم خير منك
فيست وقد ترك النساء . فكتب
فيه الى عثمان ، فجاءه الرد : أن
الله الى الشام وكانت سياسة عثمان
أن كل مشاغب فى البصرة أو الكوفة
يلقى القبض عليه ثم يرسل الى
الشام ليكون تحت رقابة معاوية
ابن أبي سفيان ، ولكن ابن عامر
لم ينفعه ببجرد أخذ الموافقة ،
وانما أراد أن يسأله ويخبره
فأحضره وسأله على رهوس
الأشهاد :

أنت الذى قيل لك يا ابراهيم
خير منك فسكت ؟ قال - أما والله

بعد عن مستقرة - جعل العبادة مأواه ومأناه ، قدم عامر على قتب في سفر هو قطعة من العذاب ، فقابلته معاوية بروضة من الجنة أنزله معه الخضراء ، وبعث اليه بطعام شهى مع جارية حسناء أمرها أن تعلمه ما حاله ، فراقبته فوجدته لا يأكل الطعام الشهى ويقبل على كسرة يابس يجعلها في ماء ثم يأكل منها ويشرب من ذلك الماء . انتهى الزهد ثم يقوم مقامه حتى يسمع النداء ، فيخرج الى المسجد فلا تراه الى مثل ليلتها : وأنهت الى معاوية حاله كما شاهدت ، فكتب معاوية الى عثمان يذكر ما عليه الرجل ، ولكن عثمان لم يقتنع . وكيف يقتنع والزوال حوله ؟ فكتب الى معاوية « أن اجعله أول داخل وآخر خارج ، ومعه عشرة من الرقيق وعشرة من الطهر . فسا أتى معاوية الكتاب أرسل اليه فقال له : ان أمير المؤمنين كتب الى أن آمر لك بعشرة من الرقيق . فقال : ان على شيطاننا غلبنى : فكيف أجمع على عشرة ؟ قال معاوية : وأمر لك بعشرة من

الطهر . فقال : ان لى بقلة واحدة والى لشفق أن يسألنى الله عن فضل طهرها يوم القيامة . - يشير الى حديث النبى صلى الله عليه وسلم . « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له . . . » قال : وأمرنى أن أجعلك أول داخل وآخر خارج . قال : لا ارب منها لى فى ذلك . وستل معاوية بعد حين عن تقوا اليه فقائ عنهم : يدخلون بالكذب ويخرجون بالقش غير رجل واحد هو رجل نفسه : (عامر بن عبد القيس) وظهرت براءة هؤلاء فرجعوا الى موطنهم وتخلف عامر الزاهد . وكل أرض عنده طيبة ما استطاع أن يقوم الليل ويصوم النهار ، وقد حصر الدنيا فى أربع خصال : المال والنساء والنوم والطعام ، وقد نجا من المان والنساء ، ولكن لم يجد مفرا من النوم والطعام . ومع ذلك فقد اندمج فى جند الشام وصار غازيا فى سبيل الله ، وقد استرعى نظر رفاقه بتصرفاته فهو لا يركب حصانا بل يركب بقلته التى يقدم فضلها لمن يحتاج الى الحمل رجاء الثواب ،

له العبادة ، وسمى اليه الناس من العراق ولا سيما البصرة ليقفوا على حاله ، فكان يلقيهم كأنه لم يفارقهم لا يسأل عن الأحياء ولا عن الأموات ، فاذا عوتب في ذلك قال : ما أسأل عن قوم ، من مات منهم فقد مات ، ومن لم يست فسيموت ، واذا قال له أحدهم : لم لا تدعونا الى طعامك ؟ كان جوابه : لقد علمت أنك تأكل طعام الأمراء وفي طعامي خشونة أو جشوبة .. وقصده (كعب الأحمار) واتخذ جليسا ، فكان يعرض عليه أسفار التوراة ، فاذا أعجبه منها شيء فسر له ، وكان مما فسر له عبارة . قال عنها كعب : انها الرشوة أجدها في كتاب الله « تطمس البصر ، وتطبع على القلب » فلما سئل كعب عنه : قال : « هذا راحب هذه الأمة » وأنا لا أميل الى ما يقوله كعب سواء حديثه عن الرشوة أو عن رهبانية عامر البصري ، فالرجل له من القرآن الكريم ما فيه هديه

ثم يختار الرفاق ، ويشترط عليهم شروطا تنعتها الآن بالنبل يقول لهؤلاء الرفاق وهم بأرض الروم : اني أريد أن أصحبكم على أن تعطوني من أنفسكم ثلاث خلال : فيقولون : ماهن ؟ يقول : أكون لكم خادما لا ينازعني أحد منكم الخدمة ، وأكون مؤذنا لا ينازعني أحد منكم الأذان ، وأنفق عليكم بقدر طاقتي . فاذا قالوا ، نعم انضم اليهم ، فان فازعه أحد منهم شيئا مما اشترطه رحل عنهم الى غيرهم . ويحكون عنه أنه كان في جيش فاصابوا جارية من عظماء المدو ، فوصفت له فقال لأصحابه : هبوا لي ، فاني رجل من الرجال ، ففرحوا أن تكون له امرأة فجاءوه بها . فقال : اذهبي فانت حرة لوجه الله . قالوا : يا عامر ، والله لو شئت أن يعتق بها كذا وكذا لأعتقت . قال : أنا أحاسب ربي .

ورجع من غزواته وجهاده الى الشام وقد استقر به المقام ، وطابت

قال : اللهم من وثى بى وكذب على ، وأخرجنى من مصرى ، وفرق بينى وبين اخوانى ، اللهم أكثر ماله ، وولده ، وأصح جسمه ، وأطل عمره . وظاهر الكلام أنه يدعو له والحقيقة أنه يدعو عليه لينال متاع المال والولد والصحة وطول العمر ، فهو مسئول عما يقترب وما يجب عليه نحو ذلك الخير ، وهكذا يكون دعاء الزهاد .

لقد كان عزيزا عليه أن يفارق البصرة ، وينأى عن أصحابه ممن تزدان بهم المساجد ، ويحلو بهم ذكر الله ، انظر اليه حين أحس بالرحيل ، لقد مضى الى أخيه فى العلم والزهد والتقوى (مطرف ابن عبدالله بن الشخير) ليسلم عليه فدىق الباب ليلا ، فقال مطرف للخادم : انظرى من هذا ؟ فقالت عامر ، فخرج اليه فسلم عليه ثم انصرف . فلما مضى من الليل ما مضى رجع فدىق الباب . فقال مطرف لخادمه : انظرى من هذا ؟

وسراجة ومنهاجه ، فالقرآن ذم الرشوة كما أن الرسول لعنها ، والرهبانة وصف يأباه عامر ، وإن بعد عن النساء ، فهو رجل نقى تقى من قمة رأسه الى أخمص قدمه ، فقد عرضت عليه الدنيا فأبأها أيما أباء ، ووهبت له الحسناء فأعطأها الحرية اسلاما وانسانية .

اتخذ الشام داره فهل نسي عراقه ؟ ان الجاحظ يروى عنه أنه قال : ما آسى من العراق الا على ثلاث : ظماء الهواجر ، وتجاوب المؤذنين ، واخوان لى منهم الأسود ابن كلثوم . وأغلب الظن أن جفائه للعراق يرجع الى الوشاية التى جعلت منه عدوا للخليفة ، ومنفيا عن وطنه واخوانه . قال محمد ابن سعد فى الطبقات . لما سير عامر بن عبدالله تبعه اخواته فكان يظهر المربد : — مربد البصرة — قال : انى داع فأمنوا . قالوا : هات ، فقد كنا نتظر هذا منك .

لم يرجع الى مصره ، ومات في غربته ، ويقولون : انه لما حضرته الوفاة بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : ما أبكى جزعا من الموت ، ولا حرصا على الدنيا ، ولكن أبكى على نلأ الهواجر ، وعلى قيام ليل الشتاء . وهذه الشخصية الجليلة لم أستطع أن أعرف سنة ميلاده ولا سنة وفاته ، وحسبنا أن نرى فيه قدوة حسنة ونموذجا صالحا للاقتداء والاهتداء .

قالت : عامر ، فخرج اليه فقال : ماردك بأبي أنت وأمي ؟ قال : والله ماردني الا حبك ، فسلم عليه وودعه ثم ذهب . فلما مضى من الليل ما مضى رجع فلدق الباب . فقال مطرف لخدامه : انظري من هذا . قالت : من هذا ؟ قال : عامر . فخرج اليه مطرف . فقال له مثل قوله .. ثم انصرف ونفسه تتقطع حشرات .

السيد حسن قرون



الطفل والطفولة

ومدى الاهتمام بهما من جانب الإسلام

بقلم المستشار محمد عزت الطهطاوى

الأطفال هم طلائع أجياد الآباء ، وهم المهج وفؤاد الامهات وهم الزهور والورود واشعة الضوء فى حياتهم - بل هم الأمل الذى يرجونه فى مستقبل الأيام .

اهمال الحضارات القديمة لشئون الطفولة

الأطفال ويريان فيه وسيلة مشروعة للحد من زيادة النسل ومنع تقسيم الأرض الزراعية تقسيما يؤدى الى الفاقة - يحكى كل ذلك بول ديورانت فى موسوعته قصة الحضارة فى الجزء الثانى وفى الجزء السابع .

وفى شعب بنى اسرائيل وهم أهل الكتاب الأول كان من عاداتهم أنهم يجيزون أطفالهم فى النيران الموقدة اذ يضعونهم فوق ذراعى مولك المدودتين فتهبطان بهم فيها بعد ايقاد النيران تحته وبذلك قتلوا كثيرا من أطفالهم بتلك المادة

ولقد كانت الحضارات القديمة السابقة على ظهور الاسلام لاتولى عناية بشئون الطفل ولا تراعى أو تهتم بالطفولة العناية الواجبة .

١ - فالفينيقيون فى حدود عام ٥٥٠ قبل الميلاد كانوا يضحون بأطفالهم قربانا لآلهتهم عندما يحزبهم أى أمر فيقيمون الحفلات التى تختلط فيها صرخات الأطفال بدقات الطبول .

٢ - كما أن الحضارة اليونانية التى يعتبرها علماء الغرب وفلايفته قمة الحضارات القديمة كان القانون والرأى العام فيها ييحيان قتل

حق الطفولة البريئة لبنات حواء
حتى جاء الاسلام ففضى على تلك
العادة السيئة قال تعالى :

«واذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت»
سورة التكاوير ٨ ، ٩ .

ثانيا :

أن من حق الولد على والده في
نظر الاسلام أن يحسن اسمه
وموضعه وأدبه لذلك يقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم (من حق
الولد على والده أن يحسن اسمه
ويحسن موضعه ويحسن أدبه)
رواه أبو داود .

ويقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حديث آخر (انكم تدعون
يوم القيامة بأسمائكم وأسماء
أبنائكم فأحسنوا أسماءهم) أخرجه
أبو داود .

وقد ضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم المثل للحسن والقبيح
فقال (تسموا بأسماء الانبياء
وأحب الاسماء الى الله تعالى
عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها
حارث وهمام وأقبحها حرب
ومرة) .

الذمية التي تشبهوا فيها بالمجوسية
في تقديسهم للنار والى هذا أشار
سفر أرميا فيقول : (بل وضعوا
مكرهاتهم في البيت الذي وعى
باسمى لينجبوه وبنوا المرتفعات
للبعسل التي في وادي ابن هتوم
ليجيزوا بنيهم وبناتهم في النار
لمولك الأمر الذي لم أوصهم به
ولا صعد على قلبي ليعملوا هذا
الرجس ليجعلوا يهوذا يخطيء)
انظر سفر أرميا في الاصحاح ٣٢
عدد ٣٤ ، ٣٥ من أسفار الكتاب
المقدس في المهد القديم .

كيف عنى الاسلام بأمر الطفولة

لما أشرقت على الدنيا شمس
الاسلام وبعث الله سبحانه وتعالى
رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
بالرحمة والهدى أولى الطمولة
عناية كبيرة تمثلت فيما شرعه
القرآن الكريم والسنة النبوية
المطهرة من أحكام تمثل فيما يلي :

أولا :

حرم القرآن الكريم عادة وأد
البنات ، فلقد كانت بعض القبائل
العربية تقترب هذا الائم الكبير في

اما الاول :

اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حربا كبيرا •
سورة النساء ٢ •

وقال جلت كلماته :

« ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » سورة النساء ١٠

كما قال سبحانه « ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان نفووا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما » سورة النساء ١٢٧ •

وقال تعالى : « فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة » سورة البلد ١١ الى ١٦ •

كما قال جلت كلماته « فاما اليتيم فلا تقهر » سورة الضحى ٩ •

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشهر بالسبابة الوسطى وفرج بينهما » رواه البخاري •

فلما فيه من اقرار بالعبودية لمن لا تجب في الحقيقة الا له وفيه تمييز للمولود بالايمان وتذكير بافه والرحمن كلما نودي فسمع اسمه •

واما الثاني :

فلما فيه من تناول بالخير وأنه يعيش وينتج لأمة •

واما الثالث :

القيح فلا مندوحة من اقرار النفس ببشاعته والنفور منه •

ثالثا :

دعا الاسلام الى البر بالأطفال والشفقة عليهم - كما أمر بتوفير الرضاعة لهم ورعاية الأيتام منهم وحفظ حقوقهم •

قال تعالى « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين ان أراد ان يتم الرضاعة » سورة البقرة ٢٣٣

ويجوز الاختصار على ٢١ شهرا لا أقل والزيادة بشهر أو شهرين لا أكثر وقال سبحانه « وآتوا

رابعاً :

محرم من النساء أو وجدت وليست أهلاً لحضاته اتقل الحق في حضاته الى محارمه من الرجال العصبية - فان لم يوجد عاصب محرم له أو وجد وليس أهلاً لحضاته اتقل الحق في حضاته الى محارمه من الرجال غير العصبية .

ولما كانت أم الطفل أوفر محارمه شفقة به كانت أحق بحضاته ما دامت أهلاً لها سواء كانت زوجة لأبيه أم مطلقة منه - وكانت محارمه اللاتي يتسبن اليه بأمه أحق بحضاته من محارمه اللاتي يتسبن اليه بأبيه عند استواء المرتبة قرباً - وأجرة الحضاة هي من نفقة الصغير شأنها شأن أجرة رضاعه .

وتنتهى مدة الحضاة حتى السن التي يستغنى فيه الصغير والصغيرة عن خدمة النساء لقدرة الواحد منهما على أن يقوم وحده بحاجاته الأولية من أكل ولبس ونظافة ونوم .

أهتم الاسلام بيئة الأسرة التي يولد فيها الطفل المسلم لأنه يجد فيها عائله ومقومات سلوكه فلا يقع سمه ولا نظره ولا فكره إلا على المعاني الاسلامية البناءة التي تجاوب مع فطرته السليمة والاسلام دين الفطرة ينهيا وينهيا ويسمو بطاقتها الى التكامل الشامل للشخصية الاسلامية قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) سورة الروم ٣٠

خامساً :

من الاسلام نظماً محكمة تتعلق بمصلحة الأطفال لا سيما في مسائل الحضاة والنفقة والارث .

أ - فالحضاة هي تربية الطفل والقيام بشئونه في أول أطوار حياته حتى من مينة وذلك بتدبير طعامه وملبسه ونومه ونظافته وجعل الاسلام هذا الحق لمحارم الطفل من النساء - فان لم توجد له

العرب من جعل الارث بالنسب مقصورا على الرجال دون النساء والاطفال وقد كانوا يقولون في ذلك (لا يرث الامن طاعن بالرماح وزاد عن الحوزة وحاز الغنية) فأبطل الله ذلك وجعل الميراث بالنسب عاما للرجال والنساء والصغار والكبار قال تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) سورة النساء ١١ •

سائلا :

ما قرره الاسلام ضرورة الاهتمام بالوصول الى سن الرشد الديني مبكرا حتى يكون السلوك في الحياة بعد ذلك مستقرا فتزرن انفعالات الطفل وتتوافق دوافعه ونزعاته المراهقة وذلك بفضل توجيهه الوجهة الدينية السليمة قال تعالى : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى) سورة طه ١٣٢ •

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (مروا أولادكم بالصلاة وهم

وكل ذلك على التفصيل الذي وضعه علماء الاسلام في كتب الفقه المختلفة •

ب - أما النفقة على الصغير فهي واجبة على والده لقوله تعالى (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) سورة البقرة ٢٣٣ فقد أوجب سبحانه على المولود له رزق الوالدات وكسوتهن وهذا الرزق وهذه الكسوة من حققة الاولاد وسبب وجوبها الجزئية أى كون الولد جزءا من أيه فكما تجب على الانسان حققة نفسه يجب عليه نفقة جزئته وقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت) رواه أبو داود وفي صحيح مسلم رواه بمعناه قال (كفى بالمرء اثما أن يحبس عن يملك قوته) •

أما الارث - فقد قرر القرآن الكريم عن الصغير فيه المساواة بينه وبين الكبير وجعل لكل حقا في الميراث وبهذا أبطل ما كان عليه

سابعة :

من تعليمات الاسلام العدل بين
الأطفال - والعدل فيهم يتيح لهم
نموا نفسيا وعقليا سويا ويحقق
السلامة للمجتمع - أما التفريق
في المعاملة بينهم فانه يورث البغض
والكراهية والجفاء بينهم وقد
تنقلب الى عداوة تضر بسلامة
الأسرة وأمن المجتمع .

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه
وسلم قوله : (اتقوا الله وأعدلوا
بين أولادكم كما تحبون أن
يبروكم) رواه الطبراني عن النعمان
ابن بشير وفي مسند أحمد وصحيح
ابن حبان قوله (اعدلوا بين أبنائكم
- اعدلوا بين أبنائكم - اعدلوا
بين أبنائكم) .

وقد ذكر البيهقي من حديث
أبي أحمد بن عدي مرفوعا الى
أنس أن رجلا كان جالسا مع النبي
صلى الله عليه وسلم فجاء بني له
فقبله وأجلسه في حجره ثم جاءت
بنته فأخذها فأجلسها الى جنبه فقال
النبي عليه السلام فما عدلت
بينهما .

أبناء سبع واضربوهم عليها وهم
أبناء عشر وفرقوا بينهم في
المضاجع) رواه أبو داود والحاكم
عن عمر بن شبيب عن أبيه عن جده
وأخرجه الزارعي أبي رافع .

وهذا التطبيق العملي من
الرسول صلى الله عليه وسلم أثر
في أقس الصحابة حتى رأينا من
حبيان المسلمين من يؤم قومه في
الصلاة كمرو بن سلمة الذي يقول
أمت قومي وأنا ابن ست أو سبع
سنين وكنت أكثرهم قرآنا .

وزاه صلى الله عليه وسلم في
معاملة الحسن بن علي وقد كان
طفلا فتناول إحدى ثمرات الصدقة
فالتفت اليه منكرا عليه كخ - كخ
- ارم بها أما شعرت أنا آل محمد
لأفلك الصدقة) رواه الشيخان عن
أبي هريرة .

أما تفريق الولدان في المضاجع
فله حكمة بالغة من الوجهة الصحية
والوجهة السلوكية - ولعل الكثير
من أمراض المجتمع تبدأ بذوره من
عدم المبالاة بهذه الوصايا .

ثامنة :

تاسعا :

والقرآن الكريم يحتوى على كثير من الارشادات والتوجيهات القرآنية في مجال تربية الأطفال مع مرحلة النضوج فجد قوله تعالى « واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يسين الله لكم آياته والله عليم حكيم » سورة النور ٥٩ - فعندما يصل الاطفال

الى مبلغ الرجال عليهم أن يستأذنوا في كل الاوقات على والديهم كما استأذن الذين بلغوا الحلم من قبلهم ، وحتى في مجال تناول الطعام تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشد فيه الى التوجيه السليم كما يحكى ذلك أبو حفص عمر بن أبى سلمة فيقول : (كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام سم الله تعالى وكل بيمينك وكل مما يليك فما زالت تلك طعمتى بعد) متفق عليه .

يوصى القرآن الكريم - في مجال تربية الابناء ورعايتهم - الآباء برعاية أولادهم وتربيتهم بأسلوب نموذجى سليم مترون بتقوى الله عز وجل قال تعالى : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فایتقوا الله وليقولوا قولاً سديدا » سورة النساء ٩ .

عاشرا :

يوضح القرآن الكريم دور الآباء المهم بوصفهم القدوة الحسنة في تربية أبنائهم قال تعالى : « والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين » سورة الطور ٢١ وفى قوله تعالى : « وأما الجدار فكان لفلانين يقيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يلفتا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك » سورة الكهف ٨٢ . مثال للابوة الصالحة وأثرها في امداد الخير الى

ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)
سورة التحريم ٦ •

ويروى عن علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه في شرح تلك الآية
قوله : (علموا أنفسكم وأهليكم
الخير) وفي معجم الطبراني من
حديث مساك عن جابر بن سمرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : (لأن يؤدب أحدكم ولده
خير له من أن يتصدق كل يوم
بنصف صاع على المساكين) •

لذلك فإن اهمال تعليم الولد
ما ينفعه وتركه سدى فيه اساءة
اليه غاية الاساءة - وأكثر الاولاد
انما جاء فسادهم من قبل الآباء
واهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض
الدين وسنته فأضاعوهم صفاراً فلم
ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا
آباءهم •

ولا أوقى للنفس والأهل والولد
الا بالسير على تعاليم الاسلام
والتزام خلقه والتقويم منذ الصغر
بكريم آدابه حيث يجعل الأب
من عمله ومن قوله لولده القدوة
فينشأ على نهجه ويتطبع بسنته ومن

الولدان حتى بعد وفاة والدهم
وانتهاء حياته من الدنيا فيحرص
كل أب على صلاح نفسه عسى أن
يكون في ذلك صلاح ولده وصلاح
رزقه من بعده •

حادى عشر :

أما القدوة السيئة فيشير اليها
القرآن الكريم في قوله تعالى عن
أبناء الكافرين (انهم ألفوا آباءهم
ضالين فهم على آثارهم يعرعون)
سورة الصافات ٦٩ - ٧٠ فنتيجة
تلك القدوة السيئة من الآباء يسرع
أبنائهم على تتبع خطاهم من غير
تدبر أو أدنى تأمل منهم رغم ظهور
كونهم على الباطل •

ثاني عشر :

اهتم الاسلام بتهديب الاطفال
وتربيتهم وتعليمهم وحسن رعايتهم
وصيانة أخلاقهم وجعل ذلك حقا
على آباءهم وأولياء أمورهم وعلى
مجتمعهم لقوله تعالى : (يا أيها
الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم
نارا وقودها الناس والحجارة عليها
ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله

بنت زينب بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام وهي لأبي الماص ابن الربيع - فإذا قام حملها وإذا سجد وضعها وعن البراء رضى الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه يقول : (اللهم انى أحبه فأحبه) رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى بكر رضى الله عنه : قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فيجئ الحسن رضى الله عنه وهو ساجد وهو اذ ذاك صغير فيجلس على ظهره ومرة على رقبته فيرفعه النبي صلى الله عليه وسلم رفعا رفيقا - رواه الحافظ أبو نعيم .

وأوصى المؤمنين فقال : (ليس منا من لم يوقر كبيرا ويرحم صغيرا ومن لم يعرف لعالمنا حقه) رواه الترمذى وراه الاقرع ابن حابس يقبل الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فأجابه صلى الله عليه وسلم فانظروا اليه نظرة ذات معنى (من

قبل نادى ابراهيم عليه السلام ربه قال تعالى : حاكيا عنه فى القرآن الكريم) رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء (سورة ابراهيم ٤٠ .

ثالث عشر :

ضرورة الرفق بالاطفال وبذل الحنان لهم والحنو عليهم .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انى لا قوم الى الصلاة وأريد أن أطول فيها فاسمع بكاء الصبي فاتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه) رواه البخارى .

ولقد بلغ من رفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ورعايته للصغار ما جعلهم يجترئون عليه كلما قدم من سفر اذ يتلقونه فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون بين يديه ومن خلفه وكان يأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم وكان الصبيان يتفاخرون بذلك رواه البخارى ومسلم .

وثبت فى الصحيحين عن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى وهو حامل أمامة

لا يرحم لا يرحم - وما أملك
ان كان الله نزع من قلوبكم
الرحمة (متفق عليه)

رابع عشر :

بلغت رعاية الاسلام بالاطفال حد
منع الآباء أن يبدوا أموالهم في
حياتهم سواء في المباح أو غير المباح
بحيث يتركوا أولادهم من بعدهم
فقراء فقد أراد سعد بن أبي وقاص
أن يوصي بكل ماله للفقراء ويحرم
وريثه الوحيد وكانت طفلة صغيرة
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
(انك ان تذر وريثك أغنياء خير
من أن تدعهم يتكفون الناس)
رواه الامام مسلم في كتاب
الوصايا .

خمس عشر :

ان في وصية لقمان لابنه في
القرآن الكريم مثالا طيبا عن عطف
الأب وحرصه على تربية ابنه
واصلاح حاله وماله تنفق مع أصول
التربية ونوعيتها يقول سبحانه
وتعالى عنه : « واذا قال لقمان لابنه
وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان

الشرك لنظم عظيم ووصينا الانسان
بوالديه حملته أمه وهنا على وهن
وفصاله في عامين أن اشكر لي
ولو اليك الى المصير وانجاهداك
على أن تشرك بي ما ليس لك به
علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا
معروفا واتبع سبيل من أناب الى
ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم
تعملون . يا بني انها ان تك مثقال
حبة من خردل فتكن في صخرة
أو في السماوات أو في الأرض يأت
بها الله ان الله لطيف خبير . يا بني
أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن
المنكر واصبر على ما أصابك ان
ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر
خدك للناس ولا تمش في الأرض
مرحاً ان الله لا يحب كل مختال
فخور . واقصد في مشيك واغضض
من صوتك ان أنكر الأصوات
لصوت الحمير » سورة لقمان
١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ،
١٩ .

سادس عشر :

ان من آداب الاسلام أنه اذا
بلغ الولد يسع والده على تزويجه

نبيا • اذ قال لآييه يا أبت لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى
عنك شيئا • يا أبت انى قد جاءنى
من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك
صراطا سويا • يا أبت لا تعبد
الشیطان ابن الشیطان كان للرحمن
عصيا يا أبت انى أخاف أن يمسك
عذاب من الرحمن فتكون للشیطان
وليا « سورة مريم ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
٤٤ ، ٤٥ »

ويقول سبحانه عنه وعن ولديه
اسماعيل واسحق عليهم السلام في
سورة الصافات مشيرا الى نموذج
عال في طاعة الابن اسماعيل لوالده
« وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين •
رب هب لى من الصالحين •
فبشرناه بغلام حليم • فلما بلغ معه
السعى قال يا بنى انى ارى فى المنام
أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال
يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان
شاء الله من الصابرين • فلما أسلما
وتلاه للجبين • وناديناه أن يا ابراهيم •
قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي
المحسنين • ان هذا لهو البلاء
المبين • وفديناه بذبح عظيم • وتركنا
عليه فى الآخرين • سلام على ابراهيم

صيانة لمرضه وحماية لابنه من
ارتكاب الاثم لذلك فقد ورد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله : (من ولد له ولد فليحسن
اسمه وأدبه فاذا بلغ ولم يزوجه
فاصاب اثما فانما اثمه على آييه)
ذكره البيهقى مرفوعا الى ابن عباس
رضى الله عنهما •

القرآن الكريم وقصص الانبياء في طفولتهم •

ان ما قصه القرآن الكريم عن
طفولة بعض أنبياء الله هو نماذج
فاضلة حية عن طهارة تربيتهم
واستقامتهم فى طفولتهم يحكيها
لنا القرآن عن هؤلاء الاصفياء
كابراهيم واسحق ويوسف وموسى
ويعسى والمسيح عيسى بن مريم -
ومحمد عليهم جميعا الصلاة
والسلام •

فمن ابراهيم عليه السلام وحرصه
على هداية والده الى عبادة الله
واقضاه من الكفر وغواية الشيطان
حتى لا يقع فى عذاب النار يقول
الله سبحانه وتعالى عنه « واذكر
فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا

والشمس والقمر رأيتهم لي
ساجدين • قال يا بني لا تقصص
رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك
كيدا ان الشيطان للانسان عدو
مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك
من تأويل الأحاديث ويتم نعمته
عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها
على أبويك من قبل إبراهيم واسحق
ان ربك عليم حكيم • لقد كان
في يوسف وأخوته آيات للسائلين)
سورة يوسف ٣ الى ٧

ثم تمضى السورة حتى قوله
تعالى مشيرا الى مقولة عزيز مصر
الى امرأته عن يوسف بعد شرائه
له ثم عناية الله به وحفظه له
(وقال الذى اشتراه من مصر
لامراته أكرمي مثواه عسى أن
ينفعنا أو نتخذه ولدا • وكذلك
مكننا ليوسف فى الأرض ولنعلمه
من تأويل الأحاديث والله غالب على
أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون •
ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما
وكذلك نجزي المحسنين • وراودته
التي هو فى بيتها عن نفسه وغلقت
الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ
الله انه ربي أحسن مثواي انه

كذلك نجزي المحسنين انه من
عبادنا المؤمنين وبشرناه بإسحاق
نبيا من الصالحين وباركنا عليه
وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن
وظالم لنفسه مبين » سورة الصافات
٩٩ الى ١١٣ •

وعن يوسف عليه السلام يقص
الله عنه أحسن القصص فلقد
تضمنت السورة التى سميت باسمه
فى القرآن الكريم عدة حوادث
ورغم قسوتها وعنفها كانت عاقبتها
حميدة فقد رماه أخوته فى الحب
لكن الله سبحانه نجاه منه وأخذته
السيارة التى مرت بالحب فباعوه
لعزيز مصر عبدا وبشمن بخص ،
لكن الله جعله سيدا - وراودته
سيدة القصر التى هو فى بيتها عن
نفسه لكن الله عصمه منها -
ثم أدخل السجن ليلا لكنه خرج
منه عزيزا مكرما حيث استخلصه
الملك لنفسه وولاه أمور البلاد -
قال تعالى : (نحن نقص عليك
أحسن القصص بما أوحينا اليك
هذا القرآن وان كنت من قبله
لن الغافلين • اذ قال يوسف لأبيه
يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا

وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين • وقالت امرأة
فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه
عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم
لا يشعرون • وأصبح فتاد أم
موسى فارغا ان كانت لتبدي به
لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من
المؤمنين • وقالت لاخته قصيه فبصرت
به عن جنب وهم لا يشعرون •
وحرنا عليه المراضع من قبل فقالت
هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه
لكم وهم له ناصحون فرددناه الى
أمه كى ترضعها ولا تحزن وتعلم
ان وعد الله حق ولكن أكثرهم
لا يعلمون • ولما بلغ أشده وامتوى
آتيناه حكما وعلمنا وكذلك نجزي
المحسنين (سورة القصص
الى ١٤ •

وعن المسيح عيسى عليه السلام
يذكر القرآن الكريم موقفه وهو
طفل من بنى اسرائيل عندما طعنوا
فيه وفى والدته بنير الحق فيقول
الله عنه فى محكم آياته « فأشارت
اليه قالوا كيف تكلم من كان فى
المهد صبيا • قال انى عبدا لله آتاني
الكتاب وجعلنى نبيا • وجعلنى

لا يفلح الظالمون • ولقد همت به ،
وهم بها لولا أن رأى برهان ربه
كذلك لنصرف عنه السوء والعشواء
انه من عبادنا المخلصين (سورة
يوسف الآيات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ،
٢٤ •

وهكذا تمضى تلك السورة فى
حوادثها حتى تصل الى نهايتها
باعتراف يوسف بفضل المولى
سبحانه وتعالى عليه ويشير الى ذلك
قوله تعالى عنه (رب قد آتيتنى
من الملك وعلمتني من تأويل
الاحاديث فاطر السموات والأرض
أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى
مسلمًا والعقنى بالصالحين)
سورة يوسف ١٠١ •

وعن موسى عليه السلام يشير
القرآن الكريم الى عناية الله به
وحفظه من أعدائه حتى بلغ أشده
فآتاه الله حكما وعلمنا قال تعالى
(وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه
فاذا خضت عليه فالقيه فى اليم
ولا تخافي ولا تحزنى انا رادوه
اليك وجاعلوه من المرسلين •
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا

كفله جده عبد المطلب بن هاشم
ثم من بعده عمه أبو طالب شقيق
والد .

وكان قبل تكليفه بالرسالة غافلا
عن معالم النبوة وأحكام الشريعة
التي لا تهتدى إليها العقول وحدها
فهده سبحانه وتعالى إلى مناهج
النبوة في تضاعيف ما أوحى إليه
سبحانه من الكتاب المبين وعلمه
مالم يكن يعلم كما قال سبحانه
« ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الآيات » سورة الشورى ٥٢ .

وكان فقيرا فأغناه الله من فضله
ورضاه بما أعطاه من الرزق .
قال تعالى :

« ألم يجعلك يتيما فأوى
ووجدك ضالا فهدى ووجدك
عائلا فأغنى » سورة الضحى
٨ ، ٧ ، ٦

ومع شيوع الشرك بين قومه
فان قلبه الشريف كان مشغولا بالله
خالق الأكوان فكان لا يعرف له
ربا غيره - وقيل مبعثه الشريف
حيث الخلوة إلى نفسه عن الخلق
ومجتمع الشرك ويخلو بشار

مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة
والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتي
ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام
على يوم ولدت ويوم أموت ويوم
أبعث حيا » سورة مريم
٢٩ إلى ٣٣ .

وعن يحيى عليه السلام يقول
الله عنه وعن البشارة لوالده زكريا
عليه السلام بمولده اثر دعائه :
« يا زكريا انا نبشرك بظلام اسمه
يحيى لم نجعل له من قبل سميا »
سورة مريم ٧

« يا يحيى خذ الكتاب بقوة
وآتيناه الحكم صيبا . وحنانا من
لدا وزكاة وكان تقيا وبرأ بوالديه
ولم يكن جبارا عصيا . وسلام عليه
يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث
حيا » سورة مريم ١٢ إلى ١٥ .

وعن محمد صلى الله عليه وسلم :
يشير القرآن الكريم إلى فضل
الله عليه حين مات أبوه وتركه يتيما
ولم يخلف له مالا ولا مأوى فأواه
وضمه إلى من يقوم بأمره حيث

وبعد

فهذا هو منهج الاسلام في
ظرفته الى الطفل والطفولة : عطف
وحنان وذوق مرهف وأدب مهذب
منذ الولادة الى أن يبلغ الصغير
أشدّه وحتى يصل الى مصاف
الرجال .

فها قامت الدول الاسلامية
بتوجيه أجهزتها التربوية المتخصصة
في شئون التعليم والتربية والاعلام
والثقافة الى مراعاة تلك الآداب
السامية التي لم يعرف الذوق
الطف منها كمالا ولا أكمل منها
لطفًا وجمالًا حتى تشب تلك البراعم
الغضة الطيبة شبابًا نافعا لشعوبها
صالحا لأمتها وبمبت فخر للاسلام
وجماعة المسلمين .

حراء يتعد فيه لربه الليالي
ذوات المدد ويشغل فكره
فيها بالتأمل في كون الله ويتجه
نحو ربه جل وعلا بالتقديس
والاجلال وما شاء الله من العبادة
على دين جده ابراهيم الخليل عليه
السلام - واستمر على ذلك حتى
جاءه ملك الوحي جبريل عليه
السلام وبشره بأنه رسول الله الى
العالمين وأقرأه أول الآيات نزولا
من القرآن الكريم على سمعه وقلبه
الشريف صلوات الله وسلامه عليه
وهي : « اقرأ باسم ربك الذي خلق
خلق الانسان من علق اقرأ وربك
الاکرم الذي علم بالقلم علم
الانسان ما لم يعلم » سورة الطلق
١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

المستشار محمد عزت الطهطاوى

الشورى فى الإسلام

للدكتور عبد الحليم حفى

السياسة أو السلطة العامة اهتماما خاصا فى الحديث عن الشورى ، فليس ذلك لذات السلطة ، وإنما لخطورة ما يصدر عنها ، من حيث مساسه بحياة كل من ترعاهم هذه السلطة ، فكما طالب الإسلام ولى أمر المسلمين ، وهو صاحب السلطة العامة فيهم بالشورى ، ووجه الخطاب فى ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : (وشاورهم فى الأمر) بوصف النبى هو الذى يشغل هذه المنزلة فى حياته ، تقول ، كما طالب القرآن ولى أمر المسلمين بالشورى ، فكذلك جعل الشورى صفة من صفات المؤمنين فى قوله عن المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) بل زيادة فى ابراز أهمية الشورى فى حياة المسلمين ، تصبح اسما

أهمية الشورى ليست مقصورة على محيط الحكم والسلطان ، فليس صاحب الحكم أو السلطة هو وحده الذى يوجه اليه حديث الشورى ، بل كل من له صفة الولاية أو القيادة سواء أكانت ياية أم عسكرية أم اجتماعية ، أم حتى فى محيط الأسرة كالأب والزوج والأخ الأكبر ، وكل من يقتضى وضعه أن يكون فى موضع الحكم أو التوجيه ، فهو معنى فى نظر الإسلام بالشورى ، وحينما يتحدث التشريع الإسلامى عن الشورى ، فإنه لا يقصر توجيهها على مجال معين ، وإنما يوجهها عامة لكل من يملك شيئا من أحد المجالين : مجال السلطة ، ومجال التوجيه والاشراف ، وحينما يولى

التشاور • وكذلك كل من يكون فى وضع الولاية على غيره ، سواء أكانت هذه الولاية تابعة من سلطة ورياسة ، أم من مجرد التوجيه والاشراف •

ومن هذه الأهمية الكبيرة للشورى فى اتصالها وتأثيرها فى كل تجمعات الناس فى الأسرة والعمل والسياسة ، من هذا كله نرى اهتمام القرآن الكريم بإبراز الشورى وتوجيه الناس الى التزامها فى كل أمورهم •

وقد سلك القرآن الكريم أساليب مختلفة كشأنه دائما فى توصيل المعنى الى الناس فى صور متنوعة ، وبأساليب متعددة ، لتجد كل نفس منها ما يلائمها ، ومن هذه الأساليب هذا المثل الذى ضربه القرآن فى الشورى ، متضمنا أسلوب احدى الملكات مع قومها فى غابر الزمان ، وهى ملكة سبا فى قصتها مع سليمان عليه السلام ، حين أرسل اليها كتابه مع الهدء ، طالبا أن تأتى اليه مذعنة خاضعة هى وسادة قومها ، وكان يمكنها

لاحدى سور القرآن الكريم ، وهى سورة الشورى •

ويترتب على كون الشورى من صفات المؤمنين ، ألا يستبد صاحب أمر منهم برأيه ، طالما كان هذا الأمر مرتبطا بغيره ، أو مشتركا مع غيره ، فالأب صاحب الولاية والتوجيه فى الأسرة ، ولكن لما كانت شئون الأسرة لا تعنيه وحده ، ولا تعود آثار توجيهه عليه وحده ، وانما على أفراد الأسرة جميعا ، لذلك كان عليه ألا يستبد برأيه فى توجيه شئونها ، بل يجعل ذلك شورى بينه وبين من يصلح للشورى ، من كل ذى رشد فى الأسرة ، وكذلك رئيس العمل ، مهما صغرت رياسته ، وسواء أكان هذا العمل حكوميا أم عملا خاصا ، فانه وإن كان هو صاحب السلطة فى ادارة هذا العمل ، الا أنه لما كانت شئون هذا العمل لا تعود عليه وحده ، فانه ينبغى أن يجعل أمره شورى بينه وبين كل من يصلح للتشاور ، فى أى صورة تنظم طريقة

بوصفها ملكة غير منازعة في سلطانها أن تصدر ما تشاء من قرارات ، ولكنها التزمت أسلوب الشورى في أدق وأحكم أساليبها ، مما يبدو بوضوح أن القرآن لورضاء مثالا لأسلوب التشاور في الحكم ، ومن هذه القصة في سورة النمل « قالت يا أيها الملأ انى اتى الى كتاب كريم ، انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تملؤ على وأتوني مسلمين ، قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون ، قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين ، قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ، وانى مرسل اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون » ومضمون هذه المحاورة بين الملكة والملأ وهم أصحاب رأى والقيادة ، أنها عرضت عليهم موضوع الكتاب ، وقد بدا من عرضها ومن وصفها للكتاب بأنه (كتاب كريم) أنها تقدره وتقدر عواقبه وآثاره ، ولكنها لم تتخذ

حياله بعد قرارا ، وأنها تطلب رأيهم ومشورتهم ، وكان الموقف حينئذ يكاد ينحصر فى اتجاهين ، اما للاستجابة للكتاب بالاذعان والاستسلام ، واما رفضه بالتحدى والاستعداد للحرب ، وقد أعلن المستشارون رأيهم ضمنا ، وهو أنهم ما داموا يملكون القوة والبأس الشديد فلا مبرر للخضوع والاذعان وقبول الهوان ، ويترتب على ذلك اعلان الاستعداد للحرب ، ولكنهم صاغوا هذا الرأى فى أسلوب بالغ التهذيب ، معلنين أن الأمر كله بيد الملكة ، وهنا تجلّى حكمة الملكة وسداد رأيها ، فلا تسلك أيا من الخيارين المروضين ، الاذعان الذليل ، أو المجازفة بحرب مخوفة بالمخاطر ، وانما تلجأ الى حل وسط ، هو كسب الوقت بأن ترسل سليمان ، وفى هذه المراسلة تتحقق لها عدة فرص ، منها أن تعرف حقيقة سليمان ، هل هو نبى حقا يتصرف باسم الله وأمره كما يقول فى كتابه ، أم هو مجرد ملك يريد الغزو والتوسع ؟ ومنها أن رسلها

الى سليمان لا بد أن يفيدوها
بمعلومات وأخبار واستطلاع عن
سليمان وجنوده ومملكته
وأحوالها ، ومنها أنها تستطيع فى
هذا المتسع من وقت المراسلة أن
تزيد من تدعيم قوتها واستعدادها
للحرب .

ومن البدهى أن القرآن
لا يسوق القصص والأخبار لمجرد
التسلية والترفيه ، وإنما يهدف
قبل كل شئ الى أن يكون فى كل
ما يسوقه تعليم وعبرة للناس
يستقونها من خلال هذه القصص
والأخبار ، ومع أن مواضع التعليم
والعبرة متعددة متنوعة خلال
محاورة الملكة ومستشاريها ، إلا أننا
نستطيع أن نقتطف مما حفل به هذه
المحاورة ، ومما يوحى أن القرآن
جعلها من نماذج الشورى المرتضاة
ما يأتى :

١ - الشورى :

فمن الجواب التى تبث على
الرضا فى سياسة الملكة ، التزامها
الشورى ، وجعلها ذلك سياسة
ثابتة لها ، وليس لمجرد الاهتمام

بأمر خطير ، أو موقف معين ،
وشعار ذلك « ما كنت قاطعة أمرا
حتى يشهدون » والقرآن لا يرى
الشورى منة من الحاكم أو تفضلا ،
وإنما هو واجب أساسى فى
الحكم ، وجزء أصيل فى السياسة ،
ولذلك يجعلها طلبا واضحا ،
لا لبس فيه ولا تأويل « وشاورهم
فى الأمر » ، كما يجعلها صفة من
صفات المؤمنين ، ومعنى ذلك أن
يختل جانب من إيمانهم بفقدانها
« وأمرهم شورى بينهم » .

٢ - الأمانة فى عرض الأمور :

حيث يبدو واضحا أن موقف
سليمان وكتابه كانا ضد المصلحة
الشخصية الدنيوية للملكة ، فهو
تهديد صريح وخطير للملكة وحياتها
أن أبت ، وللملكة وعزتها أن
خضعت ، وتحت هذا الاهتمام
الذى يبرز كيانها ، ويتهدد حياتها
كان يمكن أن ترف كتاب سليمان
أو شيئا منه ، أو تخفيه عن قومها ،
أو أن تصوغه لهم بما يوافق رأيها
الذى رآته ، مهما يكن هذا
الرأى .

الدين ، وانما تعنى طريق الصواب فيما انتهى اليه حوار الملكة مع قومها ، من تأجيل التفكير في الحرب ، ثم سلوك طريق آخر اتفقوا على أنه أفضل الطرق في هذا الظرف ، فان الحوار لم يكن في الدين ، وانما كان في التماس وسيلة لمواجهة هذا الموقف .

والملكة سلكت في حزمها ثلاث مراحل : اولها دراسة الموضوع حتى يتكون لديها فهم وحكم تقتنع به ، ولذلك كان حديثها عن كتاب سليمان ، ووصفها اياه بالكرم ، ينبىء عن أنها فهمته ، وكونت في نفسها فكرة واضحة عنه ، وثانية المراحل عرض القضية على قومها ، ومراجعتهم ومحاورتهم لعلها أن تعثر فيهم على رأى أصوب من رأيها ، أو أن تقنعهم برأيها الذى تكون لديها ان لم تجد عندهم خيرا من رأيها ، ولكنها لم تجد خيرا من رأيها ، وثالثة المراحل أنها حين اتى التشاور الى الرأى الذى اتفقوا عليه كانت حازمة في التنفيذ دون تردد أو تراخ (وانى مرسله اليهم ..)

ولكنها أبت الا عرضه عليهم كاملا كما هو ، وهذا يمثل الأمانة التى يجب أن يلتزمها المسئول في كل أمره ، بأن يجعل محكوميته على بينة كاملة من كل أمورهم ، فهذا أدعى الى أن يحيطوه بالثقة والمون مهما قست عليهم الأمور ، أما عدم الأمانة في عرض الأمور ، فانه بالاضافة الى مجافاته للدين والخلق ، فانه فساد في الحكم ، ولكنه فساد من طراز خطير ، فان زلة واحدة من زلاته ، قد تدمر مصلحة جماعة أو أمة ، حسبما يكون حجم المسؤولية التى يتولاها هذا المسئول .

وكون الأمانة من صلب الدين أمر لا يحتاج الى توضيح ، ومن هنا تبين سببا من أسباب رضا القرآن الكريم عن هذا الجواب من هذه القصة .

٣ - الحزم

فقد كانت الملكة حازمة عازمة ، بأن صممت على التنفيذ بعد أن استبان طريق الحق لها ولقومها ، ولا تعنى بطريق الحق هنا طريق

تبسط لهم أولا حيثيات القرار ، بأسلوب المنطق والحجة ، واستلهم الحكمة وتجارب التاريخ (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) فمن عادة الغزاة الفاتحين بصفة ملتزمة أن يلجأوا الى التحريب والاذلال بكل ما يتاح لهم من وسائل ، وبعد أن تنهأ نفوسهم للقرار عن طريق الاقتناع ، يأتى دور التنفيذ الحازم (وانى مرسله اليهم ٠٠٠)

وليس فى حاجة الى بيان أن القرآن دائما يدعو الى العقل والتفكير والفقه ، كل ذلك ليكون انقياد المؤمن فى كل جوانب حياته الدينية والدنيوية عن اقتناع و يقين ، لا عن مجرد تبعية عشواء ، حتى ان كثيرا من العلماء يجزمون بأن ايمان المقلد باطل ، وأن الايمان لا يكون صحيحا ولا مقبولا الا اذا كان نابعا من فهم واقتناع .

ومن هنا أيضا نعلم أن هذا الجانب من القصة ليس جديدا ولا مبتورا ، وانما هو مثال متفق مع أسس الاسلام ومبادئه .

والحزم أيضا مما رسمه القرآن بوصفه - أعنى الحزم - تشريعا سياسيا ملزما وواجبا ، حيث يقول تبارك وتعالى (وشاورهم فى الأمر فاذا عزمتم فتوكل على الله ٠٠٠) فالمشورة واجبة حتى يتضح وجه الصواب للقائد والمقودين معا ، فاذا اتضح فالمسئولية حينئذ ينفرد بها القائد ، حيث يجب أن يمضى وهم معه ، وقد حققت الملكة هذا فى سياستها ، حيث تقول (ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) فهى التى تقطع الأمر ، ولكن بعد المشورة .

٤ - قيادة الاقتناع :

ومن مكملات الشورى الاقتناع ، ومن الواضح أن مستشارى الملكة بعد أن قدموا اليها تقريرهم عن قوتهم واستعدادهم للحرب ، فوضوا اليها الراى فيما تتخذ من قرار ، وكان يمكن للملكة حينئذ أن تستند الى أنها حققت الشورى ، وأنها تتخذ أى قرار بناء على ما انتهت اليه المشاورة من تفويضها فيما تراه ، ولكنها أصرت على أن

٥ - طاعة المحكومين :

حيث كان أرباع هذه المملكة يشلون خير ما ينبغي أن يكون عليه الأرباع ، وذلك أنهم جمعوا في موقعهم هذا بين ثلاث خصال : أولاهما الاخلاص ، ممثلا في استعدادهم للتضحية ، وشعاره (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد) وثانيتهما الطاعة ، وشعارها (والأمر اليك فاطري ماذا تأمرين) فهم لا ينازعونها سلطانها ، وهم مستعدون لتنفيذ أمرها ، وثالثتها نصح الحاكم وتوجيهه نحو السداد ، وشعار ذلك (فاطري) بمعنى فكرى وتدبرى ، فهم مع الاخلاص والطاعة لا يعضضون أعينهم ، ولا ينقادون عن جهل وعى ، وانما يطلبون منها أن تكون قيادتها اياهم عن بصيرة وتمقل وتدبر .

وكل ذلك مما يجعله الاسلام تشريعا وتوجيها عاما ، فأما الطاعة لولى الأمر فهي صريحة فى أوامر القرآن الكريم دون شرط ، الا شرطا واحدا ، هو أن يلتزم ولى

الأمر شريعة الله ورسوله فى حكمه وسياسته (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ...) ، فاذا اختلف أى مسئول مع الشريعة ، فالطاعة والمرد الى الشريعة . وكذلك الاخلاص لولى الأمر ولغيره ، هو من صلب الدين ، ويعبر عنه بالنصيحة التى يعنى عن كثير ، ولا يعنى عن شىء منها ، كقوله تعالى (ليس على الضمء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ..) وفى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : (الدين النصيحة ، قيل : لمن ؟ قال : لله ولرسوله وللمسلمين) وكذلك النصح لولى الأمر وتوجيهه نحو الصواب والسداد فى طريق الله وشريعته ، كل ذلك فى القرآن شديد الوضوح ، وليس فى حاجة الى كبير تبيان .

٦ - أهمية الغاية :

ومما يوحى برضا القرآن الكريم عن هذا الموقف بما تضمنه من سياسة هذه الملكة وأسلوبها فى الشورى والحكم ، أن هذا الموقف كان وسيلة أو بداية للطريق الى الايمان بالله ، ثم كانت الخطوات التالية كلها اتجاها الى الله ، حتى انتهت بقرار الملكة (قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) . فالخطوات كانت وسيلة الى غاية محددة ، هي الايمان ، والوسيلة والغاية لا يفصلان ، من حيث انها يكونان موقفا واحدا .

ومن أسس الاسلام التكامل فى تشريعه ، بمعنى أن كل جوانب التشريع وفروعه يرتبط بعضها ببعض ، وتنبع جميعا من أسس محددة ، فليس فى الاسلام تشريع مبتور يشذ عن قواعد الاسلام وأسسه العامة ، والأساس الأول فى كل تشريع يتعلق بالسلوك فى أى وجه من وجوهه ، أن يكون هادفا الى الخير ، ومقصودا به وجه

الله ، ووجه الله هو الخير فى أى صورة من صور الخير .

ومن هذا نستطيع أن نتصور جوانب من أهمية الشورى ، ومدى حرص القرآن الكريم على أن يجعلها أساسا واضحا لكل ما يتعلق بسياسة المجتمعات وقيادتها وتوجيهها ، ولا يعنى بذلك مجتمعا معينا ، وانما يستهدف كل أنواع المجتمعات ، من أصغر مجتمع وهو مجتمع الأسرة ، الى أكبر مجتمع وهو مجتمع الأمة .

وقد يتساءل متسائل : فاذا كان صاحب رأى مطمئنا الى سداد رأيه ، وصواب فكره ، فهل عليه أيضا أن يلجأ الى المشورة ؟

والجواب أن الأساس الذى تبنى عليه أهمية الشورى ليس عجز صاحب رأى ، أو قصور تفكيره . أو احساسه بعدم المقدرة على تكوين رأى السديد ، بل على العكس ، يفترض فى الشخص الذى يلجأ الى مشورة غيره أنه سليم الفكر ، وصاحب رأى ، بل يفترض فيه فوق ذلك أنه انسان يتصف

واذن فليس أساس المشورة
الاحساس بالحجز أو القصور في
سداد الرأي ، وانما أساسها أنها
مظهر لنضج شخصية المستشير ،
واحساسه بأن له كياناً يريد أن
يدعنه ، ويخشى أن يزل ، أو يقصر
عما يليق به وبمثله ، فهو يبحث عن
أفضل الوسائل التي تمكنه من
المحافظة على كيانه ، بالإضافة الى
رغبته في تحقيق أقصى الخير . وإذا
أردنا شيئاً من تفصيل لحقيقة
الشورى أو ما تستخلص عنه من
ثمرات فيمكن إيجاز ذلك
فيما يأتي :

١ - الأصل في اللجوء الى
المشورة أن الماقل لا ينبغي أن
يجعل للغرور مكاناً في نفسه ،
فحينما يريد الاقدام على أمر ،
لا ينبغي أن يفترض في نفسه أنه
صاحب الرأي المصيب ، أو الأصوب
بل ان الحكمة تعرض عليه أن
يضع نصب عينيه أحد احتمالين ،
أحدهما جواز أن يخطئ فيما
سيقدم عليه من أمر ، وحيثئذ
يجب أن يبحث عن الصواب ، لأن

بشيء من الحكمة ، التي تمثل قمة
النضج والاكتمال في الشخصية ،
ومصدر وصفه شيء من الحكمة ،
أنه لو لم يكن لديه هذا القدر
من الحكمة ما لجأ الى مشورة
غيره ، فان العقلاء والحكماء هم
الذين لا ينطوون على تفكيرهم
وآرائهم ، بل يجعلون شعارهم
دائماً التماس المزيد من المعرفة ،
والمزيد من الصواب ، والمزيد من
كل ما فيه تدعيم واثراء لما يصلونه
من علم أو معرفة أو آراء ،
أما الجاهلون والحمقى ، فهم أشد
الناس اعتزازاً بما لديهم مهما كان
صغيراً أو غير ذي شأن ، ومن
المعروف أن المرء كلما توغل في
العلم ازداد استصغارا لما لديه من
العلم ، وكلما قل نصيبه من العلم
أو العقل ازداد اعتزازاً بهذا
النصيب واكباراً له ، ولذلك جعل
الله تبارك وتعالى شعار العلماء
والباحثين عن العلم ، في صورة
خطاب يوجه الى نبيه صلى الله عليه
وسلم « وقل رب زدنى علماً » .

يجعل صاحب الموقف يتصرف باطمئنان وثقة وقوة ، وهذا مما يساعد على نجاحه فيما سيؤديه من موضوع الشورى ، فالفرق كبير بين من يتصرف بثقة واطمئنان، وبين المزعزع أو المتردد المضطرب ، من حيث ان الثقة تساعد على النجاح ، وعلى الجودة والالتقان فى أداء العمل ، بينما التردد يدفع غالبا اما الى الفشل ، واما الى عدم اجادة العمل .

٣ - ومن المزايا التى تحققها الشورى اشاعة روح الألفة والتعاون بين المستشار والمستشار ، فأما الألفة فلان المستشار يشعر بأن المستشار حريص على أن يحقق له أقصى الخير ، وأكبر النفع ، والمستشار يشعر حينئذ بأن الذى جاء يطلب منه رأى والمشورة انما يكرمه ويشق فيه ، ولولا هذا ما جاء يطلب مشورته ، فكلاهما اذن سيحمل للآخر روح الود والألفة ، وأما أن المشورة تحقق التعاون عادة بين طرفى المشورة ، فلان المستشار مهتم بتحقيق

النتيجة سواء أكانت خطأ أم صوابا ستعود عليه هو ، والاحتمال الآخر ، أنه حتى لو كان مصيبا فيما سيقدم عليه ، فيجوز أن يكون هناك من هو أصوب منه رأيا ، وأقرب منه الى السداد ، وحينئذ أيضا يجب أن يلتصق هذا الأصوب ، لأنه هو المستفيد بالنتيجة ، حيث ان الموقف كله انما يعنيه هو وهو صاحب المصلحة ، أما المستشار فهو مجرد انسان متفضل على المستشار بإبداء الرأى واسداء النصيحة فى أمر يفترض أنه لا مصلحة له فيه .

٢ - من المزايا التى تحققها المشورة للمستشير أن تبعث فى نفسه الثقة بسلامة موقفه ، فالمفروض أنه اقتنع بهذا الرأى الذى اتهمت اليه المشورة ، واطمأن الى أنه ليس وحده الذى رأى أو اقتنع بهذا الاتجاه ، وانما يؤيده الذين يشق فيهم ، ويطمئن الى حسن رأيهم ، وسداد مشورتهم وهذا من شأنه بالاضافة الى ما يحققه من الراحة النفسية ، أن

موضوع الاستشارة بطبعه لأنه موضوعه هو وكذلك المستشار سيهتم بتحقيق هذا الموضوع ، لأنه بعد أن استشير ورأى هذا الرأي ، يهمله أن يتحقق رأيه ، ويهمله أن تظمن نفسه الى نجاح هذا الأمر ، ولو ليزداد اطمئنانا الى سداد رأيه ، ولو وجد فرصة لمعاونة المستشار فانه في أغلب الأحيان لن يدخرها ، واذن فستلتقى رغبة

طرق المشورة في تحقيق هذا الأمر الذى كان موضوع الاستشارة ، ولو تصورنا مجتمعا سادت فيه روح المشورة كما يهدف القرآن الكريم ، فبالتالى متشيع في هذا المجتمع روح التعاون •

وأى شيء في أى مجتمع أجل وأسمى من اشاعة روح الألفة ، وروح التعاون ، وبكفى الشورى فضلا أن تحقق هذا في المجتمع •

دكتور عبد العظيم حنفى



أمل في التصوف مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

ويظهر نزعة الاتكالية والأنايية
والركون الى الترف والميل الى
التخاذل والاستسلام ؟ هل يمثلون
هذه الذكرى حقاً فيرون صاحبها
— صلى الله عليه وسلم — كيف
أنشأ بروحه العظيمة أمة تبوأ
مكانها المرموق وسارت شرقاً وغرباً
ورفعت لواء الاسلام خفاقاً عالياً في
كل مكان ؟

وهل تمثلوا صحابته الغر الميامين
الذين رباهم الرسول صلى الله عليه
وسلم على عينه وسكب فيهم من
روحه فأصبح كل فرد منهم أمة
وحده يستطيع أن ينشئ أجيالاً
ويصنع رجالاً ويؤسس أمصاراً
ويسير أقطاراً ؟

وهل يتذكرون ماذا يجب عليهم
الآن نحو هذا الدين الذي هجروه
والصرح الذي هدموه والتراث

في هذه الذكرى العطرة التي
ينبث أريجها في كل مكان فيبعث
في نفس كل مسلم نشوة ، ويرسل
الى قلب كل مؤمن عبرة ، ويهدي
الى الانسانية بأسرها قصة البطولة
والتضحية والكفاح من أجل المبدأ
الكريم والمثل الأعلى والقيمة
الشماء .

في هذه الذكرى العطرة تتوارد
الخواطر على القلوب . فهل مضى
على المسلمين حقاً أربعة عشر قرناً
من الزمان ؟ وهل هم الآن
يستقبلون قرناً جديداً من حياتهم ؟
وهل يستشعرون في هذا الاستقبال
عظمة ماضيهم وقصور حاضريهم ؟
وهل يتطلعون الى مستقبل مشرق
يميد اليهم روحهم التي فقدوها
بتفريق كلمتهم وطفیان المادة عليهم

آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك
أنت العزيز الحكيم • وقهم
السيئات ومن ق السيئات يومئذ
فقد رحمته ، وذلك هو الفوز
العظيم » •

هل تذكروا هؤلاء الذين آثروا
النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه
على أنفسهم حتى نزل فيهم قول
الحق جل وعلا « والذين تبوءوا
الدار والايمان من قبلهم يحبون
من هاجر اليهم ولا يجدون في
صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
ومن يوق شح نفسه فأولئك هم
المفلحون » ؟

هل تذكروا المهاجرين الذين
باعوا نفوسهم لله واستهانوا بكل
رخيص وغال في سبيل نصرته هذا
الدين الذي آمنوا به طواعية
وجبا ، فأخرجوا من ديارهم وأوطانهم
في سبيل الله وقاتلوا وقتلوا ،
وتمرضوا لما لا يمكن أن يتحملة
بشر من الشر والبغى والظفیان
حتى مجدهم القرآن بقوله :
« للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا

الذي ضيعوه ؟ هل يسترحون
نسيم يثرب التي استقبلت النبي
صلى الله عليه وسلم مهاجرا تردد
نشيدها في حب وأمل وفداء :

طبع البدر طينينا
من ثيبت السجود
وجب التمسك طينينا
ما دمستنا لله داع
ابها البعث طينينا
جنت بالامر الطينينا

هل يتذكرون الأنصار الذين
كان يود كل منهم لو يشتدي النبي
صلى الله عليه وسلم بروحه ،
ويتطلع الى نظرة رضا من صاحب
هذه الرسالة السمحة التي وصلت
الأرض بالسماء ، وجاءت لترفع
بالانسان من وهدة الشرك والضياع
الى فضاء الانسان الواسع وأفق
الملا الأعلى حيث يسبح المخلصون
في عالم نوري فسيح تصافحهم
الملائكة وتبارك خطواتهم وتلعب
لهم بدعاء القرآن « ربنا وسعت
كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين
تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب
الجحيم • ربنا وأدخلهم جنات
عدن التي وعدتهم ومن صلح من

القرآن وأشاد بهم مثنيا عليهم
بقوله « والذين جاءوا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل
في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا
إنك رؤوف رحيم » ؟

هل عرفوا من هؤلاء موسى
ابن نصير وطارق بن زياد وصلاح
الدين الأيوبي وغيرهم من الأبطال
القاتلين ؟

هل عرفوا من هؤلاء أئمة
المسلمين من أمثال سفيان الثوري
وسعيد بن المسيب وأبي حنيفة
ومالك والشافعي وابن حنبل
والليث بن سعد وسعيد بن جبير ،
وكثير غيرهم حفظوا لهذا الدين
هيته وعرفوا له مكاتبه وقيمه
فصانوه بقلوبهم وأذاعوه بعلومهم
وأدوا أمانته بهمتهم وعزمهم ؟

هل نظر المسلمون الآن إلى
واقعهم الأليم واستلهموا الشعر
ليرسم لهم صورتهم الكليلة
ويجسمها أمامهم بقوله :

من ديارهم وأموالهم يتفنون فضلا
من الله ورضوانا وينصرون الله
ورسوله أولئك هم الصادقون ؟
هل تذكروا عليا وفدائيته
والصديق وأريحيته والفاروق
وعظمتهم وذا النورين وحياءه
وتضحيته ؟

وهل تذكروا الأبطال القاتلين
من أمثال خالد بن الوليد وسعد بن
أبي وقاص والزبير بن العوام
وشرحيل بن حنيفة وعكرمة بن أبي
جهل وأبي عبيدة بن الجراح والمثنى
ابن حارثة الشيباني وآلاف غيرهم
دانوا بعظمة هذا الدين وامتلات
قلوبهم حباً له وإيماناً به واستمسكا
بجبله واعترافاً بفضله ، فكانوا
جنوداً أوفياء له وأبطالا يجاهدون
رفعا لشأنه وتجييدا لذكره .

هل تذكروا من ساروا على
نهجهم من التابعين وتابعي التابعين
الذين لم يفقدوا المثل ولم يهدموا
القيم ، بل كانوا صورة صادقة
لسابقيهم ونسخة أخرى من هذا
المنهج السليم الذي لم يدخله زلف
ولم يتناوله تحريف ، ولقد ذكرهم

من مادة الإسلام يرفع ~~مسار~~
ويسود القسود والفساد
ظلمته السنة واخذ به بكم
وظلموه مفسرطين كسالى

وهذا ما نراه • تشتت بعد
اجتماع وخذلان بعد قوة وذل
بعد عز ومنعة ، وأصبح الإسلام
يشكو الغربة في دياره بعد ضياع
أنصاره •

هل يتذكر المسلمون ذلك كله
وهم في مطلع عام جديد في قرن
جديد يهيب بهم أن يعيدوا النظر
في سجلاتهم ويحاسبوا أنفسهم على
هذا المسخ الذي وصلوا اليه
والتشويه الذي أصابهم فحولهم
من القمة الى الحضيض وأخرجهم
من النقيض الى النقيض ووصل
بهم الى حالة يرثى لها الصديق
ويشت بها العدو ويباركها
الشیطان •

نظرة الى التصوف :

ولم يسبق الا التصوف الذي
يلوذ به المؤمن على أنه دماء الروح
وبقية الحياة في جسم المريض ،
لعله يحث الناس على الاستمساك
بالجوهر والبعد عن المظهرية

انى تذكرت والاكبرى عروقكم
مجبىبا تليدا بأيدينا الصمحاء
انى اتجهت الى الإسلام فى بسلك
تجده كالطير مقصوحا جناحا
وبع المبروة كل الكون مسرعا
فاصبحت تنوارى فى زواياها
كم صيرفتنا يد كسبا نصرفها
وبات يملكنا شعب ملكناها
سل المصالى عنا اتنا عرب
شعرا المجد يهوانا وبهوان
هى المبروة لك ان نطقت به
فالتشرق والفساد والإسلام مضى
استرشد الغرب بالماضى فارشده
ونحن كان نسما ماضى نسسيناه

أجل كان لنا ماضى لسيناه ،
وبأيدينا أضعناه ••

« فما أصاب المسلمين لم يكن
بأيدى أعدائهم بقدر ما كان
بأيديهم أنفسهم ، لقد تغلبنا عن
بنائنا طائمين لأعدائنا فثلما
جدرانهم وحطوا أبوابه ونهبوا
أثاثه ، ثم عدنا لرمى أعداءنا بالويل
والثبور وعظائم الأمور ، ولقد
جاءت الحكمة على ألسنة أجدادنا
تقول : ان بيت المهمل يتعرض
للخراب قبل الظالم • وهى حكمة
مردها الى التجربة الملية
والاحساس الصادق » •

فهل يتذكر المسلمون الآن أنهم
قرطوا في المحافظة على هذا الدين
الذى استودعهم الله اياه فكانت
النتيجة ما قاله شوقي :

الجوفاء والمادية البغيضة ، ولكنه لم يسلم كذلك من عدوى الضعف وأصابه ما أصاب غيره من العلل والأدواء .

لقد غلبت عليه في كثير من الأحيان المظهرية وبعد كثير من أربابه عن التخلق بجوهره الحقيقي الذي ورثوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام الزهد والورع ورسول البر والرحمة والعطف وقائد التواضع والتقوى والخضوع والخشوع وحامل لواء المراقبة والمحاسبة ، وأعرف الخلق بالله وأقربهم إلى الله وأحبهم لله وأخوفهم من الله .

فلعل أهل التصرف يتذكرون هذه المعاني في مطلع هذا القرن ليكونوا قدوة لغيرهم ، فيبتعدوا عن هذه المظهرية التي تؤخر ولا تقدم وتضر ولا تنفع ، ويتخذون منهج رسولهم الكريم الذي تخلق به أئمة التصوف القدماى تمام التخلق منهاجهم ، هؤلاء الأئمة من أمثال الفضيل ابن عياض الذي يقول : « من

جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة » ويقول : « في آخر الزمان أقوام يكونون اخوان العلانية أعداء السريرة » ويقول : « لا ينبغي لحامل القرآن أن يكون له إلى مخلوق حاجة لا إلى الخلفاء فمن دونهم ، ينبغي أن تكون حوائج الخلق كلهم إليه » ومن أقواله « من أظهر لأخيه الود والصفاء بلسانه وأضر له العداوة والبغضاء لمنه الله فأصه وأعشى بصيرته » .

ومن أمثال ذى النون المصرى الذى يقول : « اياك أن تكون بالمعرفة مدعيا أو تكون بالزهد محترقا أو تكون بالعبرة متعلقا » ويقول جوابا لسائل سأله عن المحبة « أن تحب ما أحبه الله وتبعض ما أبغضه الله وتعمل الخير كله وترفض كل ما يشغل عن الله وألا تخاف في الله لومة لائم ، مع العطف للمؤمنين والغلظة للكافرين واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين » .

وأبي سليمان الداراني الذي يقول : « لكل شيء مهر ومهر الجنة ترك الدنيا بما فيها ، لكل شيء حلية وحلية الصدق الخشوع .. من أراد واعظا بينا فلينظر الى اختلاف الليل والنهار »

وكثير غيرهم كانوا أرباب حقائق التوحيد وأصحاب التراسيات الصادقة والآداب الجميلة ، وهم ومن سار على نهجهم متبعون لسنن الرسل ، وستظل طائفة منهم على ذلك الى أن تقوم الساعة ، مصداقا لما رواه السلمي « لا يزال في أمتي أربعون على خلق ابراهيم الخليل عليه السلام اذا جاء الأمر قبضوا » ولما رواه أيضا في طبقاته التي رويت منها الأخبار المتقدمة « مثل أمتي كالطير لا يدري أوله خير أم آخره » .

وهذا خبر مطمئن يمتثل التأمل في النفوس ويشر بأمل في أن يستيقظ المسلمون بعامة والصوفية بخاصة فينهجوا نهج الرسول الكريم متخذين من حدث الهجرة زادا يحفزهم الى النضال في سبيل

وابراهيم بن أدهم الذي قال لرجل طلب وصيته « اتخذ الله صاحباً وذرا الناس جانباً » .

وبشر الحافى الذي يقول : « لا تكون كاملاً حتى يأمرك عدوك ، وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمرك صديقك ؟ » .

« لا تجد حلاوة العبادة حتى تجمل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد » .

وسرى السقطي الذي يقول : « أربع خصال ترفع العبد : العلم والأدب والأمانة والعفة .. قليل في سنة خير من كثير مع بدعه . كيف يقل عمل مع التقوى ؟ »

والحارث المحاسبي الذي يقول : « اذا أنت لم تسمع نداء الله فكيف تجيب داعي الله ؟ من استغنى بشيء دون الله جهل قدر الله » .

وأبي يزيد البسطامي الذي يقول : « علامة العارف ألا يفتر عن ذكر الله ولا يمل من حقه ولا يستأنس بغيره »

— انهم مطالبون اليوم بأن يعيدوا
للإسلام مجده ، ويرجعوا له
منعته وهيبته ؟

وهل يتذكر الصوفية أن عليهم
عبئا مضاعفا بما يملكون من
طاقات روحية وبما فى أيديهم من
قدرة على التحكم فى توجيهات
الأفراد والشعوب ؟ ليتنا جميعا
تدبر قول الشاعر اليمنى العزى
المصرعى فى ديوانه « ألعان
الشاطيء » •

مالم تب كضياغم الآجام
لأبادة الاتحاد والاجرام

فالويل للإسلام من متربص
بمبادئ الاغواء والآثام

هذى مبادئهم فهل من ثورة
لله والقرآن والإسلام ؟

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

رفعة هذا الدين القويم الذى
اختاره الله ديناً لعباده ولن يقبل
من أحدهم سواه « ومن يتغ غير
الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو
فى الآخرة من الخاسرين » •

ان الهجرة كلها دروس نافعة
وفى الصوفية لفحة كريمة تحمل
على هجر ما سوى الله مما يعوق
الفرد فى سيره الى الله والتعرف
عليه عن طريق مجاهدته نفسه
وشهواته والتفكر فى خلق
السموات والأرض والتخلق
بالأخلاق الكريمة التى بعث النبى
صلى الله عليه وسلم ليتممها ومدحه
الله جل وعز بها قائلاً له : « وانك
لعلى خلق عظيم » •

فهل يتذكر المسلمون — وهم
على أبواب فصل جديد فى سفر
حياتهم الحافل بالعبير والعظات

أبو عمرو بن العلاء

ومنهجه في القراءات واللغة

للدكتور صلاح الدين صالح

اسمه وكنيته :

اختلف في اسمه وكنيته ، فهناك من يرى أن اسمه وكنيته واحد ، وهما : أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان ^(١) بن عبد الله ابن الحصين والتبسمي المازني ^(٢) واستدل أصحاب هذا الرأي على ذلك بما نسب إلى الأصمعي بأنه قال : قلت لأبي عمرو : ما اسمك ؟ فقال لي : أبو عمرو .

وهناك من يرى أن اسمه : زيان ^(٣) ، ويستدل أصحاب هذا الرأي على ذلك بالبيت الذي أشده عندما جاء الفرزدق يعتذر إليه من أجل هجو بلغه عنه ، وهو :

هجوت زيان ثم جئت معتذرا

من هجو يزان لم تهجو ولم تدع ^(٤)

وقيل إن اسمه : العريان ،

وقيل : يحس ، وقيل : محبوب ،

وقيل : عيينه ، وقيل : عثمان ،

وقيل : عياد .

ولادته ، وفاته :

ولد أبو عمرو سنة ثمان وستين

وقيل سنة سبعين ^(٥) في مكة

وعاش في البصرة ، حيث كان فيها

مشاهير العلماء على عهد الفرزدق

وكان وثيق الصلة بالحسن

البصري .

ورحل أبو عمرو إلى دمشق

وافدا على واليها عبد الوهاب

(١) أبو العلي / مراتب النحويين ٣٣ .

(٢) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ٣٥ .

(٣) مراتب النحويين ٣٣ .

(٤) ابن الأثير ، نزهة الألباء ٢٤ .

(٥) معرفة القراء الكبار ٨٢ .

إذا سمعت أبا عمرو بن العلاء
يتكلم ظننت أنه لا يحسن شيئاً
ولا يلحن ، ويتكلم كلاماً
سهلاً .

وفي أخريات أيامه تفرغ
للعباد ، وأحرق كل ما كتب ،
وكانت دفاتره ملاء بيته إلى
السقف . (١)

عقيدته :

كان من أهل السنة ، وكان
بينه وبين المعتزلة جدولات
وجولات ، من ذلك ، ما كان بينه
وبين عمرو بن عبيد زعيم المعتزلة
آنذاك . (٢)

مكانته العلمية :

اهتم أبو عمرو بن العلاء بقراءة
القرآن الكريم ، وجمع اللغة
وأشعار العرب القدماء وبدأ في
تحصيل العلم وهو صغير ، قبل
أن يفتن ، وقد تفوق في العلم
تفوقاً ملحوظاً لدرجة أنه فات

ابن إبراهيم الإمام ، فتوفي في
طريق عودته من هذه الرحلة سنة
أربع وخمسين وقيل سنة تسع
 وخمسين وقيل أنه مات في
الكوفة (٣) .

شخصيته :

كان أبو عمرو زاهداً متسككاً ،
يروى عنه الأصمعي أنه قال :

وان امرأ دنياه أكبر همه

لمستك منها بحبل غرور (٤) .
وكان كريماً يتصدق على
المحتاجين ، وفي هذا يقول
الأصمعي : كان لأبي عمرو بن
العلاء من غلته كل يوم : فلسان ،
فلس يشتري به كوزاً ، وفلس
يشتري به ريحاناً ، فيشم الريحان
يومه ، ويشرب في الكوز يومه ،
فاذا أمسى تصدق بالكوز ، وأمر
الجارية أن تجفف الريحان وتدقه
في الأشنان (٥) وكان متواضعاً
بسيطاً ، يقول الأصمعي : كنت

(١) نهضة الألباء : ٢٩ ، مصروفة القراء الكبار ٢٨٤ ، بروكلمان ، تاريخ

الأدب العربي ٢ : ١٢٩ .

(٢) الزبيدي / طبقات النحويين / ٣٣ .

(٣) طبقات الزبيدي / ٣٦ - ٣٧ .

(٤) د. أحمد مكي الأنصاري ، يونس البصري : ٦٥ .

(٥) طبقات الزبيدي ٣٤ .

حينما مر على حلقته بالمسجد ورأى
الناس عكوفاً من حوله يستمعون
إليه في شغف ولهف ، فقال : من
هذا ؟ فقالوا : أبو عمرو بن
العلاء . . . فقال : لا إله إلا الله ،
كادت العلماء أن تكون أرباباً ،
كل عز لم يؤيد بعلم فالى ذل
يؤول ، وفيه يقول أبو عبيدة معمر
ابن المشي : أبو عمرو أعلم الناس
بالقراءات والعريية وأيام العرب
والشعر (*) ، ويقول أبو الطيب
اللغوى انه كان سيد الناس وأعلمهم
بالعريية والشعر ومذاهب
العرب (١) غير أنه يبدو أنه كان
متفوقاً على معاصريه في اللغة فقط ،
قال الخليل : فكان عبد الله يقدم
على أبي عمرو في النحو وأبو عمرو
يقدم عليه في اللغة . (٢)

معاصريه ، يقول الأصمعي :
وسمعت أبا عمرو يقول ، ولم يقله
إن شاء الله نبياً ولا تطاولاً ،
ما رأيت أحداً قط أعلم مني ، وقال
أبو عمرو أيضاً : ما سمع حماد
الراوية حرفاً قط إلا سمعته (٣) .
وقال يونس عنه : لو كان أحد
ينبئني أن يؤخذ بقوله كله في شيء
واحد لكان ينبئني لقول أبي عمرو
أن يؤخذ كله ، ولكن ليس من
أحد إلا وأنت آخذ من قوله
وتارك . (٤) ولهذا يمتدحه معاصروه
ثقة ، قال يحيى : أبو عمرو بن
العلاء ثقة (٥) وقال الأصمعي :
لم أر بعد أبي عمرو بن العلاء
أعلم منه (٦) وروى عنه أنه قال :
كنت رأساً والحسن حمى ، يريد
الحسن البصري شيخ البصرة وأمام
العصر آنذاك ، وقد أعجب الحسن
البصري بأبي عمرو أيما إعجاب

(١) طبقات الزبيدي ٣٧ .

(٢) طبقات الزبيدي ٢٥ ، ونزهة الألباء ٢٥ .

(٣) طبقات الزبيدي ٣٧ .

(٤) د. أحمد مكي الانصاري ، يونس البصري ٦٥ .

(٥) السابق ٦٥ ، وعبد المال سيد مكرم ، أثر القرآن الكريم في

الدراسات النحوية ٦٣ .

(٦) مراتب النحويين ٣٤ .

(٧) مراتب النحويين ٣٣ .

دراسته :

أهل الحجاز ، وأهل البصرة ، وتعلم في مكة على مجاهد وسعيد بن جبير ، وعطاء وعكرمة بن خالد ، وابن كثير .^(١)

وكان أبو عمرو يحاول أن يقرأ القرآن باللغة التي قرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال اليزيدي : كان أبو عمرو قد عرف القراءات فقرأ من كل قراءة بأحسنها ، وبما يختار العرب ، وما بلغه من لغة النبي صلى الله عليه وسلم وكان ثقة في القراءة : قال شجاع بن أبي نصر ، رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فعرضت عليه أشياء من قراءة أبي عمرو فما رد على إلا حرفين أحدهما ، وأرنا مناسكنا ، والآخر قوله : « ما ننسخ من آية أو ننسها »^(٢)

وقال سفيان بن عيينه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قد اختلفت على القراءات ، فبقراءة من تأمرني

بدا يدرس وهو صبي ، وفي هذا يقول الأصمعي : قال أبو عمرو : أخذت في طلب العلم قبل أن أختن (١) وقد درس القرآن الكريم وقراءاته وتفسيره ، واهتم بجمع المأخذ العربية ونواذرها وبشعر الشعراء الجاهلين واهتم بدراسة النحو .

منهجه في القراءات القرآنية :

كان أبو عمرو يقرأ القرآن بما روى ، ولم يكتف بذلك بل كان يصحح القراءة بما سمع وبما قال العرب ، قال أبو عبيدة : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقرأ قوله تعالى : « لتأخذن عليه أجرا » (الكهف : ٧٧) فسأله عنه : فقال هي لغة فصيحته ، وأنشد قول

المزق العبدى :

وقد تفلحت رجلى الى جنب رجليها
نسيما كالخروس القطب الطروق
يقال : انشد مسجدا انقادا ونطق بتخذتقادا
بمعنى (١)

وقد أخذ أبو عمرو القراءة عن

- (١) طبقت الريدي ٣٧ .
- (٢) الاشباه والنظائر : ٤١/٢ .
- (٣) طبقات القراء الكبار ٨٣ .
- (٤) معرفة القراء الكبار ٨٤ .

أجد إذا ضمرت تعزز لحمها
 وإذا تشد ينسجها لا تنبس
 وقال أبو عمرو في قوله تعالى :
 فرهن مضبوطة ، الرهن بتشديد
 الراء وضما والرهان بتشديد
 الراء وكسرهما عريتان ، والرهين
 في الرهن أكثر والرهان في الخيل
 أكثر . (١)

خصائص القراءة عنده :

الخصائص الصوتية : يتناز
 أبو عمرو بالخصائص الصوتية
 الآتية :

١ - التوافق الحركي :

Vowel Harmony

يميل أبو عمرو بن العلاء إلى
 توافق الحركات المتتابعة ، وهذا
 من خصائص لهجة تميم وقيس
 وأسد وأهل نجران ، وعلى العكس
 من ذلك لغة أهل الحجاز (٢) ، من

أقرأ ، فقال : اقرأ بقراءة أبي عمرو
 ابن العلاء . وقال وهب بن جرير ،
 قال لي شعبة : تمسك بقراءة أبي
 عمرو ، فانها ستصير للناس
 اسنادا . (٣)

وأبو عمرو أحد القراء المبيعة
 المشهورين ، وكان يقرئ الناس
 القرآن في مسجد البصرة ، والحسن
 على أبي الحسن حاضر (٤) ، وقد
 ألف كتاب القراءات في القرآن
 الكريم (٥) وكتاب مرسوم المصحف
 واختصره أبو عمرو الداني ، وكتاب
 شرح ديوان خرق أخت طرفه (٦)
 وكتاب : مفردة قراءة أبي عمر (٧)

واهتم أبو عمرو بتفسير القرآن
 الكريم ، فقد روى أنه سئل عن
 قوله تعالى : « فمزنا بثالث »
 « يس : ١٤ » فقال : المعنى :
 شددا وأنشد للمتلمس :

(١) معرفة القراء الكبار ٨٤ ، ومراتب النحويين ٣٥ .

(٢) المحتسب ١ : ٣ ، تاريخ الادب العربي لسروكلمان ٢ : ١٢٩ .

(٣) طبقات الزبيدي ٣٧ ، ورواية اللغة ١٨ .

(٤) المعرست ٥٣ .

(٥) علم الدين الجندی ، اللهجات في التراث ١٨٩ .

(٦) الرواية ٦٥ .

(٧) أوضحنا من قبل أن أبا عمرو بن العلاء تميمي . وهذه الخاصة
 تتناسب مع كونه من تميم .

ذلك ما أخلفنا موعدهك بملكنا
براءة من الله . (١)

٢ - الإمالة :

تميز أبو عمرو بالإمالة كل فتحة
طويلة « ألف » رسمت « في
المصحف ياء » وكان قبلها راء
نحو : اشترى ، ويشري ، وأسرى ،
والنصارى أما ياء بشرى في سورة
يوسف فقد روى عنه أنه قرأها
بافتحة وبالإمالة ، وكذلك ترى
ورجح ابن الجزري أنه قرأهما
بافتح . والإمالة من خصائص
تميم أما الفتح فمن خصائص
الحجاز ، ويبدو أن الآيات التي
قرأها بالفتح قد تأثر فيها
بأسانذته . (٢)

٣ - الهمزة :

والهمزة من الأمور التي تذبذب
أبو عمرو حولها ، فتارة يهزم متأثراً
ببيته تميم وتارة يحول الهمزة إلى
ياء متأثراً بأسانذته الحجازيين ،
ومما قرأه مهموزاً . . مرجسون
« التسوية : ١٠٦ » ، ترجيء
« الاحزاب : ٥١ » ومما قرأه

مسهلاً ، قوله تعالى : من كان عدواً
لله وملائكته ورسله وجبريل ،
وميكال ، ومنساته ، وكذلك واللاي
بدلاً من اللائي .

وكان أبو عمرو يميل - إذا
التقت همزتان في بداية الكلمة ،
وكانت الأولى همزة استفهام
والثانية فاء الكلمة - إلى تسهيل
الثانية نحو قوله تعالى :
أأنذرتهم (٣) .

٤ - حذف الحركة « التسيكين » :

مال أبو عمرو إلى حذف الحركة
سواء من فاء الصيغة أو من عينها
أو من لامها « والمقصود بذلك
الحركة الاعرابية » .

أ - حذف الحركة التي تلي الفاء :

كان أبو عمرو يميل إلى حذف
الحركة التي تلي هاء الضمير هو
أو هي إذا سبقتها واو أو فاء أو
لام ، من ذلك قوله تعالى : « وهو
بكل شيء عليم » ، « البقرة : ٢٩ »
وقوله تعالى : « وإن تخفضوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم »

(١) اللهجات في التراث ١٩٥ - ٢٠١ .

(٢) اللهجات في التراث ٢١٤ - ٢١٥ .

(٣) اللهجات في التراث ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٩ .

الميم « تشديد الميم » . معنى هذا أنه أجاز الجمع بين الساكنين في وسط الكلمة ، وقد وصفت هذه القراءة بأنها قراءة النبي صلى الله عليه وسلم . (٢)

وروى عن أبي عمرو أيضا أنه قرأ قوله تعالى : في قلوبهم مرض (البقرة : ١٠) .

ويرى ابن جني أنه لا يجوز أن يكون مرض مخففا من مرض ، لأن المفتوح لا يخف ، وإنما ذلك في المكسور والمضوم كابل وفخذ وطنب وعضد ، وما جاء عنهم من ذلك في المفتوح فشاذا لا يقاس عليه ، نحو قول الأخطل :

« البقرة : ٢٧١ » ، « وإن الدار الأخيرة لى الحيوان » ، (المنكبوت : ٦٤) .

وأبو عمرو بهذا يكون متأثرا بلهجة نجد ونسب التحريك فيه إلى الحجاز . (١)

٢ - حذف الحركة التي تلى العين : روى عن أبي عمرو أنه كان يحذف الحركة التي تلى العين في كلمة نعم ، فقد قرأ قوله تعالى : إن الله نعم يعظكم به (النساء : ٢٥٨) وقوله تعالى : إن تبدو الصدقات فنمما هي (البقرة : ٢٧١) وقد قرأ هاتين الآيتين بحذف الحركة التي تلو العين مع تكرار

(١) اللهجات في التراث / ١٧٣ .

(٢) أيد الكوفيون احتمال التقاء الساكنين في وسط الكلمة ، كالإمام أبو عبيد القاسم بن سلام والفراء واللداني وينسب إليه قوله أن الإخفاء أقيس والإسكان أثر ، أما البصريون فقد وجهوا اتهامات شنيعة لتلك القراءات ، فللزجاج مثلا وصفها بأنها ليست مضبوطة تارة وبأنها شاذة تارة أخرى وتارة أخرى بأنها رديئة ، ووصف أبو علي الفارسي من قرأ هذه القراءة بأنه لم يكن مستقيما عند اللغويين ، لأنه جمع بين ساكنين ، الأول منها ليس بمدلولين « اللهجات في التراث ١٣٦ » ويرى محمد بن برید أن التقاء الساكنين في وسط الكلمة محال وعلل ذلك قائلا : أما إسكان العين والميم مشدودة فلا يقدر أحد أن ينطق به « أثر القرآن الكريم في الدراسات النحوية / ٧٥ » . ولنا في هذه المسألة رأى في ضوء الدراسات القرآنية ، فتحس برى أن العربية تشبه في هذه الظاهرة العربية والآرامية فهما تحيران التقاء الساكنين في وسط الكلمة غير أن السكون الأول ينطق مشربا بحركة الكسر . ونحى يعتقد أن أبا عمرو أيضا كان ينطق السكون الأول مشربا بحركة الكسر .

أحق بردهن (البقرة : ٢٢٨) ،
وكذلك يتصركم في قوله تعالى :
« فمن ذا الذي يتصركم من بعده
آل عمران) ، ويعلمهم الكتاب
والحكمة (آل عمران : ١٦٤)
والهدى والقلائد ذلك لتعلموا .
خزائن رحمة ربى (١) .

وذكر أبو عمرو أن ذلك لفة
تميم ، أما أهل الحجاز فيميلون
الى اظهار الحركة (٢) .

وما كان كل مبتاع ولو سلف صفته
يراجع ما قد فاتته ببرداد
يريد : سلف فانسكن ففطرا

وينفى أن يكون مرض هذا
الساكن لفة في مرض المتحرك
كالطب والعلب والطرد والطرد
والشل والشل (١) .

حذف الحركة التي تلى لام الكلمة
« اى الحركة الاعرابية » .

قرأ أبو عمرو « فتوبوا الى
بارئكم (البقرة : ٥٤) وبمولتهن

(١) المحتسب ٥٣/١ - ٥٤ .

(٢) د. ابراهيم انيس ، من أسرار اللغة ٢٢٩ .

(٣) سيبويه ، الكتاب ٢٠٢/٤ طبعة هارون ، ويرى سيبويه أن أبا
عمرو يختلس الحركة ولا يحذفها ، واستدل على ذلك بقولهم : من
مأمة فيشتون النون ، فلو كانت ساكنة لم تحقق النون « الكتاب
٢٠٢/٤ » ، أما المرد وانجنى فقد وصفا قراءة ابي عمرو بأنها لحن ،
ورد أبو حيان عليهما وقال : أن ما ذهب اليه المبرد وأهوانه من النحاة
ليس بشيء ، لأن أبا عمرو لم يقرأ الا بأثر عن الرسول (ص) وقد ثبت
نقل ابي عمرو وأن الاسكان منقول محكى عن تميم (اللهجات في
الترات : ١٧٧) .

ويرى أن حذف العلامة الاعرابية من علامات التطور اللغوى عند تميم
ذلك أن اللغات السامية في تطورها تميل الى حذف الحركة الاعرابية
ونستدل على ذلك بما هو الحال في اللغة الاكدية فاللغة الاكدية
القديمة كانت تهتم بالاعراب والمتوسطة كانت تتأرجح بين الاهتمام
بالاعراب وعدم الاهتمام به أما اللغة الاكدية الحديثة فانها أهملت
الاعراب تماما وفي اللغة الحثية بعد انها أهملت حركتى الضم
والكسر وأبقت على الفتح ، والأمثلة التي وردت عن ابي عمرو تشر
الى أهمال الرفع والجر في حين لم يشر الى أهمال النصب . وهذا
يدل على أن لفة تميم قطعت شوطا في التطور اللغوى لم تقطعه لفة
أهل الحجاز التي حافظت على الحركات الاعرابية الثلاث . أما
ما يستدل بذلك على ضلالة دور الاعراب في إيضاح المعنى فهو
رأى مردود فيه في رأينا .

الذى يجرى على ألسنتها
ولا يحسنون غيره (١) ، وكان
يميل الى :

أ - ادغام المثلين ، من ذلك
تكرار الراء ، كما فى قوله تعالى :
خذ العمو وأمر ، وشهر
رمضان (٢) ونحو قوله تعالى
« لا تضار والدته بولدها »
(البقرة : ٢٣٣) .

وظاهرة ادغام المثلين من
خصائص لهجة تميم أما أهل الحجاز
فكانوا ينكرون الادغام (٣) ، ومن
ذلك أيضا ادغام الراء فى اللام :
فى قوله عز وجل : « يغفر لكم
خطاياكم » (البقرة : ٥٨) (٤) .

حذف حرة ضمير الغائب المتصل
فى حالة الوصل :

قرأ أبو عمرو .. تؤته مها
(آل عمران : ٤٥) ، ونحشره
يوم القيامة (طه : ١١٤) . ومن
أهل الكتاب من ان تأمنه بقتنظار
يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمنه
بدينار لا يؤده اليك (آل عمران :
٧٥) (٥) ، ونسب الكسائى ذلك
الى لغة عقيل وكلاب ونسبه الفراء
الى أزد السراء (٦)

الادغام :

كان أبو عمرو يميل الى الادغام،
وكان يقول : الادغام كلام العرب

- (١) اللهجات فى التراث ٤٠٧ .
- (٢) لم يعترف البصريون بهذه القراءات ، فزعم الزجاج وابن السراج
ان القراءة غلط بين ، ورأى سيبويه انها ضرورة ، ورد عليهم
أبو حيان ، وقال ان هذه قراءة فى السبعة ، وهى متواترة ، وكفى
انها منقولة عن امام البصريين أبى عمرو بن العلاء ، فانه مريب صريح
وسامع لغة وامام فى النحو .
- (٣) اللهجات فى التراث / ٢٤١ .
- (٤) ويرى النحاة ان هذا ليس ادغاما حقيقيا بل هو اخفاء المثلين
« شرح الشافية » ٢٤٧/٣٠ .
- (٥) اللهجات فى التراث ٢٢٣ - ٢٢٤ .
- (٦) وصف النحاة هذا الادغام بالخطا ونسب الى الراوى ، وقالوا ان
أبا عمر أحصى الراء فحصى على الراوى فتوهمه ادغاما (أثر القرآن =
الكريم فى الدراسات الحوية ١٧٥ فى حين ان الادغام كما قلنا من
خصائص لهجة تميم وأبو عمر تميمي لهذا نرجح اننا هنا امام ظاهرة
الادغام وليس امام ظاهرة الاخفاء .

وكان يميل أيضا إلى التضعيف
في الأفعال المضاعفة دساها في
قوله تعالى وقد خاب من دساها
(الشمس : ١٠) وكان يميل
كذلك إلى الوقوف بالتضعيف مع
نقل الحركة للحرف الأخير إلى
ما قبله ، نحو قوله تعالى وتواصوا
بالصبر (٤) والوقف بالنقل يعزى
إلى تميم * (٥) .

الخصائص الصرفية :

أرجح أبو عمرو بن العلاء في
نطق الأبنية ، سواء أبنية الأسماء
أو الأفعال بين لهجتى الحجاز
وتميم * .

١ - أبنية الأسماء :

١ - قرأ بلهجة أهل الحجاز
قوله تعالى : ينشر لكم ربكم من

ومن ذلك أيضا ادغام اللام في
الشاء : فقرأ أبو عمرو : هشوب
الكفار (المطففين : ٣٦) ، يريد
هل ثوب الكفار (١) فمن ذلك
أيضا ادغام الحاء في المين في قوله
عز وجل : « فس زحزح عن
النار ، وهنا قلب الحاء عينا
ثم ادغمها في عين عن
التضعيف :

كان أبو عمرو بن العلاء (٢) يميل
إلى التضعيف وهو من خصائص
تميم وسفلى قيس فقد قرأ
بالتضعيف للدال في الهدى في
الآيات الآتية : حتى يبلغ الهدى
محله (البقرة : ١٩٦) والهدى
معكوكفا أن يبلغ محله (الفتح :
٢٠) ، فإن احصرتهم فما استيسر
من الهدى (البقرة : ١٩٦) (٣) .

(١) مسيبويه ، الكتاب ٤/٥٩ تحقيق هارون .
(٢) شرح الشافعية ٢/٢٧٤ - ٢٧٧ ويسمى الرضى ذلك احفاء وغيره ادغاما
محاذرا .

(٣) اللهجات في التراث ٥٢٩ .

(٤) اللهجات في التراث ٢٧٣ .

(٥) نفسه ٣٨١ - ٣٨٤ .

نون الوقاية :

تمتاز لهجة أهل الحجاز بأنها لا تقحم نون الوقاية اذا أضيف ضمير المتكلم في حالة المفعولية الى الفعل المضارع المرفوع بالواو والنون ، أما تميم فانها تقحم النون ، وقد قرأ أبو عمرو متأثراً بلهجة تميم قوله تعالى « فبم تبشروني » (الحجر : ٥٤) .
أما أهل المدينة فقرأوا « فبم تبشروني » .

الاعراب :

تأثر أبو عمرو بن العلاء في الأعراب بأرائه النحوية ، فمن المعروف عنه أنه يميل الى التقدير وهكذا قرأ يا جبال أوبى معه والطير ، وقال بالنصب على اضمار وسخرنا الطير لقوله على أثر هذا ولسليمان الريح أى وسخرنا الريح .

وبالإضافة الى ذلك كان يؤيد القراءة التي تتلائم مع المروى عن العرب ، لهذا تجده ايد قراءة

رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا (الكهف : ١٦) ف « مرفق » بالكسر لهجة أهل الحجاز وبالفتح لهجة تميم (١) وقوله تعالى : اذ أتم بالعدوة الدنيا (الانفال : ٤٢) . وقوله تعالى : الا من اغترف غرفة بيده (٢) (البقرة : ٢٤٩) :

ب - ابنية الأفعال :

تأرجح أيضا في نطق الأفعال بين لهجتى الحجاز و تميم ، فمما نطقه بلهجة الحجاز ومن يقنط (الحجر : ٥٦) ويقنطون (الروم : ٣٩) لا تقنطوا (الزمر : ٥٣) بكسر النون أى من باب ضرب يضرب أما الباقر بفتحها أى من باب علم يعلم وهذه لغة تميم (٣) . ومما نطقه بلهجة تميم كسر حرف المضارعة من الأفعال من باب فعل يفعل : فعو ولا تركنوا الى الذين ظلموا (هود : ٢١٣) وتعرف هذه الظاهرة بالقلقة (٤) ، ونحو من أن تأمنه (٥) .

(٢) نفسه ١٨٢ .

(٤) نفسه ٤١ .

(١) نفسه ٤٨٧ .

(٣) نفسه ٨٨ - ١٩٩ .

(٥) اللهجات في التراث ٣٠٣ .

(٦) نفسه ٣٠٤ وعزيت هذه الظاهرة الى تميم وبهراء .

وكذلك وأرجلكم في قوله تعالى :
 واستحووا برءوسكم وأرجلكم إلى
 الكعبين (المائدة : ٣) • (١)
 منهجه في الدراسات الصرفية :
 إذا التقت الهمزتان وكل واحدة
 منهما في كلمة ••

يرى أبو عمرو تخفيف الأولى
 وتحقيق الأخرى : فقد قرأ الآية
 الكريمة فقد جاء اشراطها (محمد :
 ١٨) فقد جاء اشراطها ، يا زكريا انا
 نبشرك (مريم : ٧) يا زكريا انا
 نبشرك • (٢)

وإذا كانت الهمزة همزة استمهام
 والثانية أصل من أصول الكلمة
 فانه يخفف الهمزة الأولى أيضا كما
 يخفف بنو تميم في اجتماع الهمزة
 نحو انك وأنت (٣) •

بالنسبة إلى الاسم المقصور :
 الوقت ••

كان أبو عمرو يقف على الأسماء
 المقصورة بالالف ويرى أنها عوض
 عن حذف التنوين ، ذلك أنه اذا
 حذف التنوين ردت اللام إلى

النصب في (ايهم) في قوله تعالى :
 « ثم لنزعن من كل شيعة ايهم
 أشد » (مريم : ٦٩) قال أبو
 عمرو : خرجت من الخندق ، يعنى
 خندق (البقرة) •

وكان أبو عمرو يميل إلى العطف
 على الجوار لهذا قرأ بالنصب بدلا
 من الجزم أى أكون بدلا من أكن
 في الآية الكريمة :

« لولا أخرتني إلى أجل قريب
 فأصدق وأكن من الصالحين »
 (المنافقون : ١٠) ، فقرا وأكون
 عطف على فأصدق المنسوب على
 جواب التمني في قوله لولا أخرتني
 لهذا قرأ تكذب بالرفع عطف على
 نرد في الآية الكريمة : فقالوا
 يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا
 ونكون من المؤمنين (الأنعام :
 ٢٧) (١) •

وقرأ نحاس عطف على نار في
 الآية الكريمة : يرسل عليكما
 شواظ من نار ونحاس (الرحمن :
 ٣٥) •

(١) القرآن الكريم / دائرة في الدرر النحوية / ٧٦ •

(٢) صيبويه ٥٤٩/٣

(٣) نفسه ٣١٦ •

(٤) صيبويه ٣٤٢/٣ •

ويعامله أبو عمرو معاملة الاسم المنقوص ربي (الفجر : ١٥) ربي أهانن (الفجر : ١٦) •

الممنوع من الصرف

١ - يرى أبو عمرو أن العلم المؤنث الذي يتكون من ثلاثة أحرف وكان الأوسط منه ساكناً فأتت بالخيار أن شئت صرفته وإن شئت لم تصرفه •

وإن سميت المؤنث بعمر أو زيد لم يجز الصرف • (١)

٢ - من الممنوع من الصرف أيضاً أسماء القبائل مثل سبأ • (٢)

٣ - القاب تمنع من الصرف مثل هذا سعيد كسر وهذا قيس قفة وهذا زيد بطة وإذا فونت فقلت التعريف • (٣)

٤ - غدوة أو بكرة إذا دلت على معرفة لم تنون وكذلك العام الأول • (٤)

أصلها وهو الياء ثم تقلب الما لوقوعها بعد فتحة (١) وإطلاقاً من هذا الاتجاه قرأ أبو عمرو تترى بالتثوين في الآية الكريمة (٢) : ثم أرسلنا رسلنا تترى (المؤمنون : ٤٤) على أنه مقصور كقولك حمداً وشكراً والوقف على هذا - كما هو مذهبه على الألف المعوضة من التثوين (٣) ومما يدل على أن أبا عمرو يعامل تترى معاملة الأسماء المقصورة أنه نونها فأما من لم ينونها فإنه يعامل الألف المقصورة على أنها للتأنيث كآلف سكرى •

بالنسبة إلى الاسم المنقوص :

يرى أبو عمرو أنه يوقف عليه بحذف الياء فيقول هذا قاض وهذا غاز •

٣ - بالنسبة إلى الفعل المسند إلى ضمير النصب للمتكلم : أكرم من

(١) شرح الشافعية ٢/٢٨٢ - ٢٨٤ •

(٢) شرح الشافعية ٣/٨١ هـ ١ •

(٣) القرطبي ١٢/١٢٥ •

(٤) سيبويه ٣/٣٤٢ •

(٦) سيبويه ٣/٢٩٤ •

(٥) سيبويه ٣/٢٥٣ •

(٧) سيبويه ٣/٢٩٣ - ٢٩٤ •

الميزان الصرفي :

يرى أبو عمرو أن موسى ، على وزن مفعَل ، وشرح ذلك فقال : هو أيضا مفعَل بدليل انصرافه بعد التنكير وقال أيضا أن مفعلا أكثر من فعلى ، فحمل الاعجبى على الأكثر أولى وهو ممنوع ، لأن فعلى يجيء مؤثا لكل أفعل تفضيل ومفعَل لا يجيء الا من باب أفعل يفعل وهو عنده لا ينصرف للمعجمة والعلمية وينصرف بعد التنكير كميس (١) .

هذا ويوضح لنا مذهب أبى عمرو فى القياس فهو يرى أن اللفظ علم لهذا فهو اسم مفعول من أفعل ومن ثم فوزته مفعَل وانه لا يمكن أن يكون فعلى لأنها مؤث أفعل .

الحقيقة أن هذا اللفظ عبرى وهو اسم فاعل من الفعل الناقص : ماشا Maasha

٥ - كان أبو عمرو بن العلاء يجعل مثل يوم يوم وصباح مساء وبيت بيت وبيتين بيتين بمنزلة الاسم الواحد فى حال الظرف أو الحال (١) والآخر من هذه الأسماء فى موضع جر ، وجعل نطقه كلفظ الواحد وهما اسمان أحدهما مضاف الى الآخر .

٦ - ويرى انه ان سميت رجلا بضارب من قولك : ضارب وأنت تامر فهو مصروف وكذلك ان سميته ضارب أو ضرب . (٢)

٧ - صيغة التصغير من الاسم المتصرف تكون منصرفة من ذلك سرحان (٣) وسريعين أما غضبان فتصغيره غضيان (٤) .

قال أبو عمرو فى قوله تعالى : أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع (فاطر : ١) صفة كأنك قلت : أولى أجنحة اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة . (٥)

(١) سيبويه ٢/٣ - ٢٠٦ .

(١) سيبويه ٢/٣ - ٢٠٢ .

(٢) سرحان مصروف بالرغم من انه يحتوى على الالف والنون وذلك لانه علم وانما يمنع من الصرف الصفات .

(٥) سيبويه ٢/٣ - ٢٢٥ .

(٤) سيبويه ٢/٣ - ٢١٦ .

(٦) شرح الشافية ١/٣٤٨ .

واثنان وابنة أى الألفاظ الثنائية
المزيدة بألف وصل - اسمى -
استى - ابنى واثنى فى اثنين
واثنتين • (٤)

التصغير

١ - كان أبو عمرو يرى أن
التصغير من مر هو مرى ،
ويرى هو يرى أى أنه يمز
ويجر • (٥)

٢ - كان يرى أن تصغير
أحوى هو أحي (٦) وذلك على
قياس أسود أسود وأصل
صفة التصغير هو أحيوى وكان
أبو عمرو يحذف الواو الثالثة
مع التنوين قياساً على حذف ياء
قاضى - قاض - أحي ويميلها
مع التعريف بال أو بالاضافة فيقال
الاحى • (٧)

والتنوين فى أحي عوض عن
حذف الواو ولا يدل على الصرف
فهى ممنوعة من الصرف وتعريف
مع التعريف • (٨)

ويقابل معنى فى العرية ، وجاء
فى اللسان ومسييت الناقة اذا سطوت
عليها وأخرجت ولدها (اللسان
١٤٨/٢٠) والمعنى العبرى كالمعنى
العربى تماماً أى اخراج الجنين من
رحم أمه واسم الفاعل منه

« ويقاس ماسى وماس • وكان
أبو عمرو يقول ان حلقة وحلق
جمع ويرى السيرافى أن ذلك هو
القياس فهو بمنزلة شجرة وشجر
أما غيره فقال حلقتة* وحلقت
وفلكه وذلك وهذا هو
الشاذ » • (٩)

النسب

١ - وزن فعله اذا كان معتل
اللام بالياء حية ولىة - تصبح
فى النسب حى ولى أما غيره
فيقول حيوى وليوى • (١٠)

٢ - وكذلك ظبية وظبى أما
يونس فيقول ظبوى • (١١)

٣ - ابن وأسم واست واثنان

- | | |
|------------------------------------|-----------------|
| (١) سيويه ٥٨٤/٣ | (٢) ٣٤٥/٣ |
| (٣) سيويه ٣٤٧/٣ | (٤) سيويه ٣٦١/٣ |
| (٥) سيويه ٤٥٧/٣ | (٦) سيويه ٤٧٢/٣ |
| (٧) شرح الشافعية ٣٢٤/١ - ٢٢٦ - ٢٢٣ | |
| (٨) شرح الشافعية ٢٣٤/١ | |

العين نحو يقوى ، يستعاد ذلك من
القصة الآتية :

أخطأ رجل في نطق الفعل الناقص
بحضرة أبي عمرو بن العلاء حيث
أشد قول المرقش الأصغر :

أفمن بقى خيراً بعمد الناس امره
ومن يفوه لا يمدح على الله لا نسا
فقال له أبو عمرو أقومك أم
أتركك تسكع في طمتك فقال :
بل قومني ، فقال : قل : ومن يفوه
يكسر الواو ، ألا ترى إلى قوله
تعالى : وعصى آدم ربه فغوى (١)

ويرى أبو عمرو أن يهلك الحرف
بفتح اللام وركن بركن من
التداخل لأن ركن مضارعه
يركن . (٢)

منهجه في النحو :
وتبعد هنا الجملة : أنواعها
وتراكيبها :
اجملة المثبتة :

الجملة المثبتة الاسمية :
تحدث أبو عمرو عن العناصر

٣ - وكان يرى أن تصغير
خبازي هو خبيزة ، وكان يرى
أنه إذا حذف ألف التأنيث
المقصورة أبدل منها تاء (١) . ولم
ير ألف غيره من النحاء . (٢)

التذكير والتانيث

كانت العرب تميل إلى الحمل
على المعنى ، حكى عن أبي عمرو
أنه سمع رجلاً من اليمن يقول :
فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها ،
فقلت له : أقول كتابي فقال :
نعم أليس بصحيفة . (٣)

المصدر

كان أبو عمرو يرى أن القبول
بافتح مصدر وأنه لم يسمع غيره
واعترض أن يكون الوضوء
مصدراً وقال الأصمعي : قلت لأبي
عمرو : ما الوضوء فقال الماء الذي
يتوضأ به . قلت فما الوضوء بالضم
قال : لا أعرفه . (٤)

العمل المضارع من الفعل الناقص :

يرى أبو عمرو أن المضارع من
الفعل الناقص مثل عوى هو بكسر

(٢) شرح الشافعية ١/ ٢٤٤ .
(٤) شرح الشافعية ١/ ١٥٨ هـ ٢ .
(٦) شرح الشافعية ١/ ١٢٥ .

(١) سيويه ٤/ ٤٣٦ .
(٣) اللهجات في التراث / ٥٠٣ .
(٥) اللهجات في التراث / ٤٥٦ .

الخبر :

ظرف المكان يمكن أن يكون
خبرا عندما يكون المبتدأ اسم
ذات (١) فهو داري من خلف
دارك فرسخان . (٢)

المفعول به :

هناك تراكيب وردت فيها أسماء
منصوبة ويرى أبو عمرو أن
الناصب لها فعل محذوف مثل
منطلق في التعبير الآتي . أما أت
منطلقا أطلق معك وفي رأيه أن ذلك
بمشابة لأن صرت منطلقا أطلق
معك . (٣) ومن ذلك أيضا الأرجل
أما زيدا وأما عمروا ، ويرى أن
الرجل بمشابة اللهم اجعله زيدا
أم عمروا أو وفق لى زيدا أو عمرا
ومن هنا يرى أن المفعول
محذوف . (٤)

ظرف الزمان أو المكان يكون
منصوبا دائما : وابنته ظرف المكان

الصرفية التي تكون الأجزاء
الأساسية في الجملة المثبتة الاسمية
من ذلك مثلا أنه أوضح :
١ - بالنسبة إلى المبتدأ :

١ - الضمائر الشخصية : يمكن
أن تكون مبتدأ نحو ما أظن أحدا
هو خير منك ، وما أجعل رجلا
هو أكرم منك وما أخال رجلا هو
أكرم منك . فالضمير هو في
الأمثلة السابقة مبتدأ وليس ضمير
فصل لأن ما قبله فكرة ، ذلك أن
الضمير يكون فصلا إذا سبق
بمعرفة وبناء على ذلك وصف
القراءة الآتية باللحن : هؤلاء بناتي
هن أظهر لكم بنصب أظهر
(هود / ٧٨) . (٥)

تستخدم كم مبتدأ إذا أضيفت
إلى ما بعدها وكان الاسم التالي
مرفوعا على أنه خبر ، نحوكم رجل
أفضل منك . (٦)

(١) سيبويه الكتاب ٢/ ٣٩٣ ، ٣٩٧ (٢) الكتاب ٢/ ١٦١ .

(٣) الكتاب ١/ ٤١٧ .

(٤) الكتاب مصدر أما طسرف الرمان فيكون خيرا للمصادر مفع .

(٥) سيبويه ١/ ٢٨٦ .

(٦) سيبويه ٢/ ١٠١ .

أداة للشرط والتعريض فتكون أداة للشرط إذا رفع الاسم بعدها وفي هذه الحالة يشترط أن يكون الاسم الواقع بعد الفاء تكراراً لما قبلها وألا يكون الاسم بعدها مصدراً أو وصفاً ويرى أبو عمرو أن الاسم هنا يعرب مبتدأ وخبره مابعد الفاء : نحو : أما العبيد فذو عبيد ، وأما العبيد فذو عبيد ، وأما عبيدين فذو عبيدين

وقد لا تستخدم أداة للشرط إذا لم تتحقق الشروط (٤) السابقة وفي هذه الحالة يكون الفعل في جملة الجواب مرفوعاً وليس معزوماً نحو أما وأنت منطلقاً أطلق معك (٥) ، ويرى أن معنى هذا التركيب هو بمثابة قولك لأن صرت منطلقاً أطلق معك .

هي خلفك قدامك - أمامك - نحو قولهم : منازلهم يمينا ويسارا وشمالا ونحو قول عمرو بن كلثوم :

صدت الكأس عنا أم عمرو
وكان الكأس مجراها اليمين (١)
المستثنى :

يكون المستثنى بدلا من المستثنى منه نحو ما أتاني القوم إلا عبد الله . (٢)
الجملة

١ - الجملة المنفية :
من المعروف أنها تتكون من مبتدأ وهو اسم لا ، والخبر ومن الممكن أن يكون الخبر اللام الجارة مع مجرورها مثل ذلك لا غلامين ولا جارتين لك . أو لا غلامين لك . (٣)
جملة الشرط :

يرى أن أما « أن + ما » تستخدم

-
- (١) سيبويه / الكتاب ٤٠٥/١ .
(٢) سيبويه / الكتاب ٣١١/٢ .
(٣) الكتاب ٢٨٢/٢ طبعة هارون .
(٤) الكتاب / سيبويه ٣٨٧/١ - ٢٨٨ طبعة هارون ، شرح الكافية ٣٩٧/٢
(٥) الكتاب / سيبويه ١٠١/٢ .

جملة النداء

يرى أنه اذا تكرر المتادى العلم
فانه يكون بمثابة البدل ويرفع نحو
يازيد زيد الطويل ويخالف بذلك
رؤبة فكان يقول : يا زيد زيد
الطويل . (١)

ويرى أيضا أن الياء تبقى في

المتادى سواء في الوصل والوقف
وكذلك كان يقرأ يا عبادي
فاتقون . (٢)

يرى أن أداة النداء « يا »
تدخل على ويلا لك ، ويحا لك ،
ويصبح التركيب يا ويل لك ،
يا ويح لك .

دكتور صلاح الدين صالح

(حقائق)

- * حفظ الصحة أسر من علاج العلة .
- * أوجع الضرب مالم يكن معه بكاء .
- * الدنيا كالحية : لين لسها ، قاتل سمها .
- * حياتنا احلام تنتهي برفاد الموت .
- * طوبى لمن كان لبصره في قلبه ، والويل لمن كان قلبه في بصره .
- * نعمة الادب العقل الراجح ، ونعمة العلم العمل الصالح .

(١) سيبويه ١/ ١٨٥ .

(٢) اتحاف فضلاء البشر / ٣٧٥ .

إياك نعبد وإياك نستعين

فضيلة الشيخ موسى محمد على

مولى أعظم النعم ، وهى إيجاد
العبد من المدم الى الوجود ،
ثم هداة الى دينه ، فكان العبد
حقيقا بالخضوع والتذلل له
سبحانه ، وما سمي العبد عبدا
الا لذاته واتباعه .

وقول العبد : « إياك نعبد »
معناه : إياك نخص بالعبادة ،
ونوحذك ونطيعك خاضعين لك
لا نعبد أحدا سواك .

والذى يدل على حصر العبادة
لله وحده سبحانه ، أن العبادة
عبارة عن نهاية التعظيم ، والاجلال
مع وجود الذلة والافتقار
والانكسار ، والخضوع
والخشوع ، والتواضع ، وحرف
الهمة وعدم الانشغال والاشتغال .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد
لله رب العالمين ، والصلاة والسلام
على أشرف المرسلين سيدنا محمد
القانع لما أغلق والخاتم لما سبق ،
وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه
الى يوم الدين .

وبعد :

فيقول الله تعالى :

« إياك نعبد وإياك نستعين » .

العبادة : هى الفعل الذى يؤدى
به الفرض لتعظيم الله سبحانه
وتعالى ، وهو مأخوذ من قولهم :
« طريق معبد » أى مذل .

والعبادة أقصى غاية الخضوع
والتذلل ، من العبد ، ونهاية التعظيم
لله سبحانه ، لأنه العظيم المستحق
للعبادة ، ولا تستعمل العبادة
الا فى الخضوع له تعالى ، لأنه

وكان ميتا فأحياء الله تعالى كما
قال : « كيف تكفرون بالله وكنتم
أمواتا فأحياكم » .

وكان جاهلا فعلمه الله كما قال :
« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم
لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع
والأبصار والأفئدة » .

والعبد انما انتقل من العدم
الى الوجود ، ومن الموت الى
الحياة ، ومن المعز الى القدرة ،
ومن الجهل الى العلم ، لأجل أن
الله تعالى كان قديما أزليا ، فقدرته
الأزلية وعلمه الأزلي ، أحذته ونقله
من العدم الى الوجود ، فهو اله
لهذا المعنى .

وأما الحال الحاضرة للعبد
فحاجته شديدة ، لأنه كلما كان
معدوما كان محتاجا الى الرب
الرحمن الرحيم ، فلما دخل في
الوجود افتحت عليه أبواب
الحاجات ، وحصلت عنده أساب
الضرورات ، فقال الله تعالى :
(أنا اله لأجل أنى أخرجتك من
العدم الى الوجود ، أما بعد أن

والعبادة على هذا النحو لا تليق
الا بمن صدر عنه غاية الانعام
والافضال والاحسان .

وأعظم وجوه الانعام : الحياة
التي تفيد التمكّن من الاتمّاع ،
وخلق المنتفع به .

ولما كانت المصالح الحاصلة في
هذا العالم انما تنتظم بالحركات
العنكية على سبيل اجراء العادة ،
ثبت أن كل النعم حاصلة بإيجاد
الله سبحانه ، فوجب أن لا تحسن
العبادة الا لله تعالى ، ولهذا قال :
« اياك نعبد » .

وبإفادة الحصر في قوله : « اياك
نعبد » تعين أن الله تبارك وتعالى
سمى نفسه بأسماء هي : الله ،
والرب ، والرحمن ، والرحيم ،
ومالك يوم الدين .

وللعبد أحوال ثلاثة : الماضي ،
والحاضر ، والمستقبل .

أما الماضي فقد كان معدوما
محضا كما قال تعالى : (وقد
خلقتك من قبل ولم تك شيئا) .

فاستحقاق العبادة يستدعى قدرة
الله تعالى ، بأن يمسك سماء بلا
علاقة ، وأرضا بلا دعامة ، ويسير
الشمس والقمر ، ويخرج النار من
السحاب تارة ، والهواء أخرى ،
والماء ثالثة .

وأما في الأرض : فتارة يخرج الماء
من الحجر ، وهو طاهر ، وتارة
يخرج الحجر من الماء ، وهو
الجمد ، ثم يجعل في الأرض
أجساما مقيمة لا تسافر وهي
الجبال ، وأجساما مسافرة لا تقيم
وهي الانهار .

وخف بقارون فجعل الأرض
فوقه ، ورفع محمدا صلى الله عليه
وسلم ، فجعل قاب قوسين تحته ،
وجعل الماء قارا على قوم فرعون :
أغرقوا فأدخلوا قارا ، وجعل النار
بردا وسلاما على ابراهيم ، ورفع
موسى فوق الطور ، وأغرق الدنيا
من التنور ، وجعل البحر يسا
لموسى عليه السلام .

فما كانت قدرته كذلك ، كيف
سموى في العبادة بينه وبين غيره
من الجمادات ، أو النيات

صرت موجودا فقد كثرت حاجاتك
الى فأنا رب رحمن رحيم) .

وأما الحال المستقبل للعبد :
فهو حال ما بعد الموت والصفة
المتعلقة بتلك الحالة هي قوله :
« مالك يوم الدين » فصارت
هذه الصفات الخمس من صفات
الله تعالى متعلقة بهذه الأحوال
الثلاثة للعبد ، فجميع مصالح العبد
في الماضي ، والحاضر ، والمستقبل ،
لا تتم ولا تكمل الا بالله وفضله
واحسانه ، فلما كان الامر كذلك
وجب أن لا يشتغل العبد بعبادة
شيء الا بعبادة الله تعالى وحده ،
فلا معبود الا هو ، ولهذا قال
سبحانه :

« اياك نعبد واياك نستعين » .
ولما كان الله تبارك وتعالى ،
أشرف الموجودات وأعلاها قدرا ،
وقبضته سبحانه أعلى من قدرة
غيره ، وعلمه أكمل من علم غيره .
وجوده أفضل من وجود غيره ،
وجب القطع أن عبوديته تعالى أحق
وأولى من عبودية غيره .

والعبادة لله بالذكر المشهور هو
أن تقول :

سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم .

وقولنا : الحمد لله يدخل فيه
معنى قولنا سبحان الله ، لأن قول
سبحان الله يدل على كونه كاملاً
تاماً في ذاته ، وقول الحمد لله ،
يدل على كونه مكملًا متمماً لغيره ،
والشيء لا يكون مكملًا متمماً لغيره
الا اذا كان قبل ذلك تاماً كاملاً في
ذاته ، فوضح أن قولنا الحمد لله
دخل فيه معنى قولنا سبحان الله .

ولما قال العبد الحمد لله وأثبت
جميع أنواع الحمد : ذكر ما يجري
مجري العلة لاثبات جميع أنواع
الحمد لله ، فوصفه بالصفات
الخمس وهي التي لأجلها تتم مصلح
العبد في الأوقات الثلاثة ، ثم
ذكر بعبارة قوله « اياك نعبد » ،
وقد ذكرنا أنه قائم مقام
لا اله الا الله ، ثم ذكر قوله
« اياك نستعين » ومعناه أن الله
تعالى أعلى وأجل وأكبر من أن

أو الحيوان أو الانسان ؟ ان
التسوية بين الناقص والكامل ،
وبين القادر وبين المعدم منه وجهل ،
فلا ينبغي أن تتأني بحال .

ومتى كان الأمر كذلك ، ثبت
أنه لا معبود الا الله ، ولا اله الا
هو ، وأن قوله : « اياك نعبد
واياك نستعين » يدل على التوحيد
المحض لله رب العالمين .

فمن اتخذ لله شريكاً فانه لا بد
وأن يكون مقدماً على عبادة
ذلك الشريك من بعض الوجوه ،
اما طلباً لتفمه أو خوفاً من ضرره .

أما الذين أصروا على التوحيد ،
وأبطلوا القول بالشركاء والاضداد ،
ولم يعبدوا الا الله تعالى ، ولم
يلتفتوا الى غير الله سبحانه ،
فكان : رجاؤهم من الله ، وخوفهم
من الله ، ورغبتهم في الله ، ورهبتهم
من الله . لم يعبدوا الا الله ، ولم
يستعينوا الا بالله ، فلهذا قالوا :
« اياك نعبد واياك نستعين » .

فكان قولهم : « اياك نعبد
واياك نستعين » قائماً مقام قولهم
« لا اله الا الله » .

والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن
منها وحملها الانسان » .

وأداء الامانة واجب عقلا
وشرعا ، يقول سبحانه :

« ان الله يأمركم أن تؤدوا
الامانات الى أهلها »

وأداء الامانة صفة من صفات
الكمال محبوبه بالذات ، وأداء
الامانة من أحد الجانبين سبب لأداء
الامانة من الجانب الثاني ، قال
بعض الصحابة :

رأيت أعرابيا أتى باب المسجد
فنزّل عن ناقته وتركها ودخل
المسجد وصلى بالسكينة والوقار ،
ودعا بما شاء ، فتمجينا ، فلما خرج
لم يجد ناقته ، فقال :

الهي أديت أمانتك فأين أمانتي ؟
قال الراوي : فزدنا تمجيبا ، فلم
يمكث حتى جاء رجل على ناقته
وقد قطع يده وسلم الناقة اليه .

والنكتة أنه لما حفظ أمانة الله
حفظ الله أمانته ، وهو المراد من
قوله عليه الصلاة والسلام لابن
عباس : يا غلام احفظ الله » في

يتم مقصود من المقاصد ، وغرض
من الأغراض ، الا باعاقبه
وتوقيفه ، واحسانه ، وهذا هو
المراد من قولنا : « ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم » .

فمن عرف فوائد العبادة طاب
له الاشتغال بها وثقل عليه
الاشتغال لغيرها ، فان الكمال
محبوب بالذات ، وأكمل أحوال
الانسان وأقواها - في كونها مساعدة -
اشتغاله بمباداة الله سبحانه ، فانه
يستثير قلبه بنور الالهية ، ويتشرف
لسانه بشرف الذكر والقراءة ،
وتتجمل أعضاؤه بجمال خدمة الله
تعالى ، وهذه الأحوال أشرف
المراتب الانسانية والدرجات
البشرية ، فاذا كان حصول هذه
الأحوال أعظم السعادات الانسانية
في الحال ، وهي موجبة أيضا لأكمل
السعادات في الزمان المستقبل ،
فمن وقف على هذه الأحوال زال
عنه ثقل الطاعات وعظمت حلاوتها
في قلبه .

فان العبادة أمانة « انا عرضنا
الامانة على السموات والأرض

الخلوات » يحفظك « في
القلوات » •

والاشتغال بالعبادة اتقال من
عالم القرور الى عالم السرور ، ومن
الاشتغال بالخلق الى حضرة
الحق ، وذلك يوجب كمال اللذة
والبهجة : فمن أبى حنيفة أن حية
سقطت من السقف وتفرق الناس ،
وكان أبو حنيفة في الصلاة ولم
يشعر بها •

ووقعت الأكلة في بعض أعفماء
عروة بن الزبير ، واحتاجوا الى قطع
ذلك العضو ، فلما شرع في الصلاة
قطعوا منه ذلك العضو فلم يشعر
عروة بذلك القطع •

وسيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، حينما كان يشرع في الصلاة
كانوا يسمعون من صدره أزيزا
كأزيز الرجل ، ومن استبعد هذا
فليقرأ قوله تعالى : (فلما رأيته
أكبرته وقطن أيديهن) فان النسوة
لما غلب على قلوبهن جمال يوسف
عليه السلام وصلت تلك الغلبة الى
حيث قطعن أيديهن وما شعرن
بذلك •

فاذا جاز هذا في حق البشر فلان
يجوز عند استيلاء عظمة الله على
القلب أولى •

وأهل التحقيق يقولون : العبادة
درجات ثلاث : الأولى : أن يعبد
الله طمعا في الثواب أو خوفا من
العقاب ، وهذا هو المسمى بالعبادة ،
وهذه الدرجة نازلة ساقطة ، لأن
معبوده في الحقيقة هو ذلك
الثواب ، وقد جعل الحق وسيلة
الى نيل المطلوب •

الثانية : أن يعبد الله لأجل أن
يتشرف بعبادته ، أو يتشرف بقول
تكاليفه أو يتشرف بالاتساب اليه ،
وهذه الدرجة أعلى من الأولى ،
الا أنها أيضا ليست كاملة ، لأن
المقصود بالذات غير الله تعالى •

والثالثة : أن يعبد الله لكونه
الها وخالقا ، ولكونه عبدا له ،
والالهية توجب الهية والمزة ،
والعبودية توجب الخضوع والذلة ،
وهذا أعلى المقامات وأشرف
الدرجات وهو المسمى بالعبودية ،
واليه الاشارة بقول المصلي في
أول الصلاة أصلى لله •

توجب الرجوع من الخلق الى الحق ، وذلك يوجب زوال ضيق القلب •

ذلك لأن العبد محدث ممكن الوجود لذاته ، فلو لا تأثير قدرة الحق فيه لبقى في ظلمة العدم وفي فناء الفناء ، ولم يحصل له الوجود ، فضلا عن كمالات الوجود ، فلما تعلقت قدرة الحق به وفاضت عليه آثار حوده وإيجاده ، حصل له الوجود ، وكمالات الوجود •

ولا معنى لكونه مقدور قدرة الحق ، ولكونه متعلق إيجاد الحق ، الا بالعبودية •

فكل شرف وكمال وبهجة وفضيلة ومرة ومنقبة حصلت للعبد ، فانما حصلت للعبد ، بسبب العبودية •

فثبت بذلك أن العبودية مفتاح الخيرات ، وعنوان السعادات ، ومطلع الدرجات ، وينبوع الكرامات ، ولهذا السبب قال العبد : « اياك نعبد واياك نستعين » •

وكان الامام على كرم الله وجهه يقول :

والعبادة والعبودية مقام عال شريف ، يدل عليه : قوله تعالى :

« ولقد علم أنك يضيق صدرك بما يقولون ، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » •

فأله سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالمواظبة على العبادة الى أن يأتيه الأجل ، ومعناه أنه لا يجوز الاخلال بالعبادة في شيء من الأوقات ، وذلك يدل على غاية جلالة أمر العبادة •

وأنه قال : (ولقد علم أنك يضيق صدرك بما يقولون) •

ثم انه تعالى أمره بأربعة أشياء : التسبيح وهو قوله : « فسبح » والتحميد : وهو قوله « بحمد ربك » •

والسجود : وهو قوله : « وكن من الساجدين » •

والعبادة : وهي قوله : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين »

وهذا يدل على أن العبادة تزيد ضيق القلب ، وتفيد انشراح الصدر ، وما ذاك الا لأن العبادة

الغايات ، وبمدها جاءت مصرفة
المبودية ، ولها مبدأ وكمال ،
وأول وآخر •

أما مبدأها وأولها فهو الاشتغال
بالمبودية وهو المراد بقوله (إياك
نعبد) •

وأما كمالها فهو أن يعرف العبد
أنه لا حول عن معصية الله تعالى
الا بمعصية الله سبحانه ، ولا قوة
على طاعة الله الا بتوفيق الله ، فعند
ذلك يستعين بالله في تحصيل كل
المطالب ، وذلك هو المراد بقوله
(وإياك نستعين) •

وبعد : فإن الابتداء بذكر
المعبود أتم من الابتداء بذكر صفته
التي هي عبادته واستقامته ، وهذه
الصفة أجزل في اللفظ ، وأعذب
في السمع •

والعبادة الايتان بغاية ما في بابها
من الخضوع ، ويكون ذلك
بموافقة الأمر ، والوقوف حيثما
وقف الشرع •

« كفى بي فخرا أن أكون لك
عبدا ، وكفى بي شرفا أن تكون لي
ربا ، اللهم انى وجدتك الها كما
أردت فاجعلني عبدا كما أردت •

والمقامات محصورة في مقامين :
معرفة الربوبية ، ومعرفة المبودية
وعند اجتماعها يحصل العهد
المذكور في قوله (وأوفوا بعهدى
أوف بعهديكم) •

أما معرفة الربوبية فكمالها
مذكور في قوله : (الحمد لله رب
العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك
يوم الدين) •

فكون العبد منتقلا من المدم
السابق الى الوجود يدل على كونه
الها •

وحصول الخيرات والسعادات
للعبد حال وجوده يدل على كونه
ربا رحمانا رحيمًا •

وأحوال معاد العبد تدل على
كونه مالك يوم الدين •

وعند الاحاطة بهذه الصفات
حصلت معرفة الربوبية على أقصى

والاستعانة طلب الاعانة من الحق	في العبادة وجود شرفه ،
سبحانه وتعالى •	وبالاستعانة أمان تلقه •
فالعبادة تشير الى بذل الجهد	فالعبادة ظاهرها تذلل ، وحقيقتها
والمنة ، والاستعانة تخبر عن	تعزز وتجميل ، والاستعانة اجلال
استجلاب الطول والمنة •	لنعوت كرمه ، وتسليم بحكمه
فبالعبادة يظهر شرف العبد ،	وأمره •
وبالاستعانة يحصل اللطف للعبد •	وبالله التوفيق

موسى محمد على

« وحداية الخالق »

مما روى عن الامام جعفر الصادق :

انه رأى جده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى منامه ،
فسأله عن حقيقة التوحيد ؟ .

فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « كل ما حطر سالك
فهو هالك ، والله بخلاف ذلك » .

مشروعية الجهاد في الإسلام

دكتور سعد ضلّام

الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق
الا أن يقولوا ربنا الله ... » (١)

ويرى هذا الرأي كثير من
العلماء والمؤرخين والدارسين منهم
المرحوم الشيخ محمد الحضري
الذي يرى أن أكثر القرآن نزل في
مكة ، وأهم ما تناوله في المهد
المكي ما يلي :

١ - التوحيد ورفض الاوثان
والاصنام .

٢ - الإيمان بالبعث واليوم
الآخر والحساب

٣ - بين القرآن لهم الخصال
التي تقرب الانسان من الله .

٤ - بيان العبادات العملية التي
تربطهم بالله وتوجههم الى الخير .

الاذن بالقتال سبق فرضيته ،
ولكن هل الاذن بالقتال نزل في
مكة ؟ أم نزل الاذن به بعد استقرار
الرسول بالمدينة وتأيد الله بنصره
لمعباده المؤمنين ؟

يرى ابن هشام (١) ان آية الاذن
بالقتال مكية وان الاذن بالقتال
جاء بعد بيعة العقبة الثانية ، وكان
الرسول قبل هذه البيعة يؤمر
بالدعاء الى الله والصبر على الأذى
والصفح عن الجاهل ، فلما عنت
قريش عن أمر ربها اذن الله عز وجل
لرسوله في القتال والانتصار من
ظلمهم وبغى عليهم فكانت أول آية
نزلت في اذنه له تعالى بالصرب
واحلاله الدماء والقتال فنزل قوله
تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم
ظلموا وان الله على نصرهم لقدير »

(١) البيرة ج ٢ ص ٧٩ .

(٢) الآيات ٣٩ - ٤١ من سورة الحج .

٥ - مما شرع في آخر أيام الرسول بمكة الاذن له بالقتال (١)

ويرى ابن القيم انه لما استقر رسول الله بالمدينة وأيده الله بنصره وبعباده المؤمنين وألف بين قلوبهم بعد العداوة والاحن التي كانت بينهم فمنعته الانتصار وبذلوا نفوسهم دونه .. وكان أولى بهم من أنفسهم ودمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة وشروا لهم عن ساق العداوة وصاحوا بهم من كل جانب والله سبحانه يأمرهم بالصبر والمعو والصنع حتى قويت شوكة واشتد الجناح فاذن لهم حينئذ بالقتال ولم يفرضه عليهم فنزلت الآية التي فيها اذن بالقتال .

ورد على من قال ان هذا الاذن كان بمكة وان السوردة بمكة بوجوه ، منها ان الله لم يأذن بمكة لهم في القتال ولا كان لهم شوكة ، وان سياق الآية يدل على الاذن بعد الهجرة واخراجهم من ديارهم وان قوله تعالى : « هذان خصمان

اختصموا في ربهم » نزلت في الذين تبارزوا في يوم بدر أى وهى في السورة المكية ومنها ان الله خاطبهم في آخرها بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون .. » والخطاب على هذا الأسلوب مدنى فاما الخطاب « يا أيها الناس » فم مشترك ، ومنها انه قد يكون أمرهم في هذه الآية بالجهاد الذى يعم الجهاد باليد وغيره ، ومنها ما روى عن ابن عباس قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبهم انا لله وانا اليه راجعون ليهلكن قانزل الله عز وجل : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » ، وان سياق السورة يدل على ان منها المكي والمدنى .

ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم ، « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا » (١) .

(١) محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ج ١ ص ٨٦ - ٩٢ ط ٨ -

التجارية - مصر

الآية ١٩٠ من سورة البقرة .

والذود عن حياضها والدفاع عن الوجود المسلم ، لأن الدولة دون الاعداد لحمايتها لا تعيش ، ولا تصمد ولا يكتب لها البقاء .

ولقد كان الرسول يدرك جيدا أن لحظة الصدام مع قرىش وشيكة الوقوع وكان أبعد الناس نظرا وأرجحهم عقلا ، فمئذ أن وصل أخذ في اعداد العدة لحماية الدعوة من قوم لا يحترمون غير القوة ، ولم يفلح فيهم النصيح ثلاثة عشر عاما (١) أو زهاءها .

فبدأ الرسول في اعداد أصحابه وتدريبهم على وسائل الدفاع عن النفس والصحب والمهارات الفردية كالمصارعة والرماية والمسابقات وركوب الخيل ، فأحسن ابتكارها ، وهياهم وأعدلهم لحمل السلاح ، وبدأ يتهايم ويعددهم للعمل الحاسم الذي يرد به قرىشا الى صوابها باصابتها في أعز ما تعتمد عليه حياتها وهو تجارتها ، ويكسر نطاق الحصار الذي ضربه الشرك حول

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان محرما ، ثم مآذونا به ، ثم مأمورا به لمن بدأهم بالقتال . ثم مأمورا به لجميع المشركين (١) . « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » (٢) .

والترتيب الزمني أن ينزل الأذن بالقتال أو فرضيته بعد أن يشتد أذى المسلمين ويقوى ساعدتهم وأن يجيء الأمر بالقتال دفاعا عن كيان يصرف قوته وحسن استعداده ، كيان يدافع عن وجوده ، ولم يكن للمسلمين قوة ولا وجود مستقل يصح الدفاع عنه ، ولقد أمر الرسول أصحابه بعد بيعة العقبة الثانية بالهجرة ، فأين يقع الأذن بالقتال ؟ ولهذا نرى أننا مع ابن القيم في رأيه ، ويمكن توحيد الأذن بالجهاد قبل المدينة الى أن يكون اذا بأي نوع من أنواع الجهاد .

كان لابد من الأذن بالقتال وفرضية الجهاد لصيانة الدولة

(١) راجد المعاد ج ٢ ص ٥٨ .
(٢) الآية ٣٦ من سورة التوبة .
(٣) بطل الأبطال ص ٧٥ .

المدينة ليؤمن المدينة ذاتها من الفتن
والفلاقل والاضطرابات •

الموت ، فكانوا رهباة بالليل
فرساة بالنهار •

تلك اغراض ثلاثة لا بد لادراكها
من القوة ، وخلق هذه القوة
وتنظيمها وتدريبها والاستعانة بها
على أسس المقاصد عمل امتاز به
محمد صلى الله عليه وسلم على من
سبقة من الرسل ، وذلك الدور فى
تدريب المهاجرين والانصار
والخروج بهم على الناس جميعا
قوة ضاربة هو من أدق ما امتحن
به محمد مصلحا ورحل دولة ، وفيه
تجلى له من حسن الذوق السياسى
والعسكرى مالا يضاهيه الا أخلاقه
الفاضلة •

وبدا يعتمد على المهاجرين أولا
فى توجيه بعض الفزوات
والسرايا (١) ، فبعد وصوله بسبعة
أشهر فقط عقد أول راية فى الاسلام
لحمزة أو لعبيدة بن الحارث ابن
عبد المطلب ، وفى أقل من عام
ونصف بلغت سراياه وغزواته ثمانيا
كان هدفها أولا احياء مآل المهاجرين
فى الظمر بممتلكاتهم ورفع روحهم
المعنوية وابعاد شبح القنوط الذى
كان قد بدأ يساورهم وضميم عليهم ،
والتدريب العملى الدائم والاعداد
المشترك لخطط الحرب ، واعلام
أهل المدينة ومن حولها من الاعراب
الطامعين فيها ان الرسول جاد فى
مقاومة القوة بالقوة ، وان الرجل
الذى يتعرض لقريش ليس بالرجل
الذى ينال منه أو يظفر به أو يتباح
حماء •

لم يضيع الرسول فرصة واحدة
ولا لحظة واحدة منذ قدم المدينة ،
ولم تغفل عنه طرفة عين ، كان يصل
بكل ما أوتى من قوة ، وكأنه فى
صراع مع الزمن ، فلم يستقر به
المقام فى المدينة حتى بدأ تدريبه
للمهاجرين والانصار ، ليصوغهم
صياغة خلقية ودينية وعسكرية
جديدة ، أساسها النظام واحتقار

وعلمت قريش ان محمدا
والمستضعفين معه من الذين
أخرجتهم قريش بالامس أصبحوا

(١) بعد عامروه مخرج الرسول فيها معه سواء قاتل أم لا وبالسرعة
ماوجه فيها جيشا بقيادة بعض الصحابة •

وصحبه الا أن الزعماء القرشيين نادتهم مصارعهم فأبوا الا ورود ماء بدر والتحرش بالمسلمين واغابتهم وعزف القيان وشرب الخمر .

واتصرت القلة المسلمة في بدر ثم كانت « أحد » واتصمر القرشيون في جوتها ، ثم كانت غزوة الاحزاب التي ابتلى فيها المسلمون وزلزلوا زلزالا شديدا ، لأن اليهود نقضوا عهد الرسول وجاء العدو من فوقها ومن أسفلها ، ولكن الرسول أتم بالرأى والحيلة ما بدأه بالشجاعة والصبر فانصرف الاحزاب .

كانت غزوة الاحزاب قمة الصراع بين المسلمين والمشركين ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن انهزم المشركون يوم الاحزاب ، قال :

« ان المشركين لن يفزوكم بعد اليوم »

ولكنكم تفزونهم وتسمعون منهم أذى ويهجونكم » (١) ثم صالح

خطرا داهما على ثرواتها وكيانها الاقتصادي وهو أعز ما تملك ، بقدر ما أصبحوا خطرا على كيانها الديني وسيطرتها وزعامتها للعرب .

كانت الغزوات والرايا يانا عمليا وتدريبات بالذخيرة الحية التي أحسن المسلمون استخدامها والعمل عليها في عام ونصف ، وهو زمن قياسي في قوة وليدة .

ولما أنس الرسول فيهم القوة والمهارة وحسن الاستعداد ، ووثق في قدرتهم وإيمانهم وصبرهم وبلائهم وكفاءتهم القتالية ، لم يتردد في معركة حاسمة .

وقد علم الرسول بمير قريش التي ضمت أموالا كثيرة ، لم يغفل من الاشتراك فيها بيت في مكة ، فأراد أن يضرب اقتصاد مكة ويهدم كيانها ، فتعرض للقافلة ، ولكن أبا سفيان نجح في الهرب بها .

ورغم تهذيرات أبي سفيان وحكيم بن حزام والخنس بن شريك لقريش بعدم التعرض لمحمد

وسورة الاحزاب في بني قريظة ،
وصالح أهل خير على اجلاتهم منها
ولهم ما حملت ركابهم ، ثم طرد
اليهود بعد ذلك من الجزيرة كلها •

وامتد نور الله بعد ذلك ليمحو
ضلال الشرك والوثنية في فارس
وفساد المسيحية المتهاكمة في
الروم •

كانت حياة الرسول عليه الصلاة
والسلام في المدينة سلسلة متصلة
الحلقات من الاعمال والجهاد
والاعداد ووضع الخطط
والتشريعات والنظم ، ورسم سياسة
الامة الناشئة ، لم يهدأ ولم يفل ،
ولم يكل ، ولم يدع الظروف
تغلبه ، حتى ثبت أركان الدولة
وأخضع لنورها القاهر رقاب
الشرك وجحافل الوثنية واعترف
بها عتاة قريش وسادة الجزيرة ،
وبدأت فتوحات الاسلام تتجه الى
خارجها •

قريشا في الحديبية على أن تضع
الحرب أوزارها بينه وبينهم عشر
سنوات ، ولكنهم نقضوا العهد
بقتل بكر لخزاعة فكان فتح مكة
وازالة معقل الشرك ، ثم اتصرف في
حين وطهر ما حول مكة أيضا
وأما اليهود فقد حاربت بنو قينقاع
بعد غزوة « بدر » فقد ساءهم نصر
المسلمين وملا الحقد نفوسهم فصار
اليهم بعد « بدر » بأقل من شهر
فمن عليهم وأخرجهم من المدينة
الى اذرعاء بالشام وطهر المدينة
منهم •

وأما بنو النضير فقد نقضوا
العهد بمدة « بدر » بستة أشهر
فأجلاهم أيضا •

وأما بنو قريظة فكانوا أشد
عداوة ، وقد انتهزوا فرصة غزوة
الاحزاب فنقضوا عهدهم مع
الرسول وسبوه ، فظفر بهم فقتل
بنو قريظة وسبى ذراريهم ، ونزلت
سورة الحشر في بنو النضير ،

كانت الهجرة بداية ارساء الدولة
والعامل الحاسم الأهم في نشأتها
وقوتها وازدهارها وانتصارها ..
ولقد وضع الرسول في اعتباره
قبل الهجرة هذا كله ، فعمل له ولم
يضيع لحظة واحدة ولا فرصة
واحدة .

عمل ما وسعه العمل ، وجاهد
ما وسعه الجهاد حتى أقام دولته
وأتمه التي التهمت في أحشائها في
زمن قياسي أكبر دولتين في العالم
آنذاك ، وصارت الامبراطورية
الاسلامية .

دكتور سعد عبد المقصود فلام



السريعة الإسلامية والقانون الإنجليزي

المبادئ العامة في التشريع الجنائي الإسلامي

المستشار حسن حسب الله

أو عطشا فهنا لم يكن القتل نتيجة مباشرة للحبس .

وبهذا أخذ المالكية والحنابلة لأن السببية متحققة والقصد الى القتل ثابت بالقصد الى الفعل الذي ترتب عليه الموت . وخالفهم في ذلك الامام أبو حنيفة لأن المباشرة لم

تتحقق عنده في الحالة الأخيرة ونرى الأخذ برأى المالكية والحنابلة لأن العبرة هي السببية والمدوان والقصد فمتى تحققت كل هذه الأمور وجب العقاب على الجريمة المرتكبة .

كذلك يشترط في الجاني ليكون مسئولاً عن جريمته أن يكون من أهل التكليف بأن يكون بالغاً عاقلاً فلا عقاب على الصغير والمجنون .

اتهمنا من الكلام عن جرائم الحدود وجرائم القصاص وجرائم التعزير وتكلم في هذا المبدأ في المبادئ العامة في التشريع الجنائي الإسلامي والتي يجب مراعاتها في جميع الجرائم الى جانب الشروط الخاصة بكل جريمة على حدة .

المبدأ الأول يتعلق بمسؤولية الجاني ، فالجاني لا يعد مسئولاً عن الجريمة التي يرتكبها الا اذا توافر فيه القصد الجنائي بأن يقصد الفعل والنتيجة المترتبة عليه سواء كانت هذه النتيجة أثراً مباشراً للفعل أو أثراً غير مباشر له فيستوى القتل بالضرب مباشرة بآلة تستخدم في هذا الغرض والقتل بالحبس في مكان ما ومنع الطعام والشراب عن المجنى عليه حتى يموت جوعاً

في حالة الإكراه على تناول شيء منها .

كذلك لا عقاب على من ارتكب جريمة وهو في حالة دفاع عن نفسه أو ماله أو عرضه متى كان لا يستطيع وقف العدوان عليه إلا بارتكابه ما ارتكب . والدفاع عن النفس لا يسقط العقوبة فقط بل يسقط الجريمة أيضا ويصبح العمل واجبا بعد أن كان منهيًا عنه لقوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون نفسه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد » .

والمبدأ الثاني هو درء الحدود بالشبهات .

وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : « ادروا الحدود بالشبهات فان كان له مخرج فخلوا سبيله فان الامام ان يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة » . والشبهة هي الحال التي يكون عليها مرتكب إحدى جرائم الحدود ويكون معها المرتكب معذورا في ارتكابها عذرا يسقط الحد عنه وتستبدل عقوبة

وأختلف الفقهاء فيس يرتكب جريمة تحت ضغط الإكراه قذوب أبو حنيفة الى أن العقوبة على من أكره لا على من باشر فاذا أكره شخص شخصا آخر على قتل ثالث فلا يقتص الا ممن أكره وليس من القاتل الذي باشر القتل تحت ضغط الإكراه لينجو بنفسه والذي قصد اختياره وأصبح كالآلة في يد من أكرهه وذوب المالكية والحنابلة الى أنه يجب قتلها جميعا لأنهما شريكان هذا بالأمر وذلك بالفعل وأن كليهما قصد القتل وكليهما معتد بفعله يستحق العقاب ، وقد أخذ بذلك أيضا الشافعي ويزي الأخذ بهذا الرأي لأنه أردع وأحفظ لحق الحياة وصيانة المجتمع . هذا اذا كان موضوع الإكراه أمورا لا تباح إطلاقا لأي سبب من الأسباب أما اذا كان موضوع الإكراه أمورا تباح عند الضرورة بنص الشارع أو بالمقررات الثابتة من مجموع الأحكام الشرعية ، ومن ذلك أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وشرب الخمر فلا جريمة ولا عقوبة

وسقط الحد لأنه يجب أن تكون الأدلة قاطعة في الاثبات .

والمبدأ الثالث يتعلق بتكرار الجرائم وتعدد العقوبات وقد أجمع الفقهاء على أنه إذا تكرر ارتكاب الجاني لحد من الحدود قبل رفع الأمر الى القضاء فإنه لا يقام عليه الا حد واحد فمن تكرر منه الزنى لا يعاقب الا باقامة حد واحد عليه من حدود الزنى ومن تكرر منه شرب الخمر لا يقام عليه الا حد واحد من حدود شرب الخمر ، وهكذا بالسبب للحدود التي لا يتعلق بها حق للعباد وكانت من جنس واحد ، أما الحدود التي يتعلق بها حق للعباد كالسرقة والقذف فقد أنقسم بشأنها الفقهاء الى فريقين فريق يرى تكرار اقامة الحد بتكرار الجريمة فمن سرق من عدة أشخاص أو قذف عدة أشخاص فإنه يقطع أو يجلد لكل حد ارتكبه الجاني وذلك لتمدد المعنى عليهم ولأن كل واحد منهم له دعوى خاصة به لا تدخل في دعوى غيره ولأن الوقائع مختلفة ومادام الأمر كذلك وقد تعددت

الحد يعقاب أحد يحدده الحاكم حسب ما ورد في جرائم التعزير .

والشبهة قد تكون في تحريم الفعل كالزواج بدون شهود فقد ذهب الامام مالك الى أن الشهود ليسوا بشرط لانشاء العقد وأن الاعلان وحده كاف لانشاء الزواج وأدلت في ذلك تنتهي الى الشك في تحريم الوطء في مثل هذا الزواج وبالتالي لا يمكن القطع بأن مثل هذا الوطء يعتبر زنا يقام فيه حد الجلد أو الرجم .

قد قرر الفقهاء ان كل فعل يختلف فيه الفقهاء حلا وتحريما فان الاختلاف يكون شبهة تمنع اقامة الحد .

وقد تكون الشبهة في الاثبات فقد أجمع الأئمة الأربعة وغيرهم على أنه يجب أن تكون عبارات الشاهد الذي يتقدم لاثبات جريمة من جرائم الحدود صريحة في الدلالة على الجريمة وأن يذكر الشهود مكان الجريمة ووقتها فان اختلفوا في ذلك سقطت الشهادة

كذلك اختلف الفقهاء في حالة ارتكاب عدة جرائم عقوباتها مختلفة كمن شرب الخمر وزنا وسرق هل تقام عليه كل هذه الحدود أم يكفي بإقامة أشد حد منها فذهب البعض الى أنه متى كان القتل أحد هذه العقوبات كحد الزنا للمحصن فإنه يكفي به ويسقط ما دونه من الحديد أما اذا لم يكن فيها قتل فإن كل حد يقام فيجلد للزنا مائة ونشرب الخمر ثمانين وتقطع يده للسرقة وعلى هذا الرأي الحنفية والمالكية والحنابلة أما الشافعي فقد ذهب الى ضرورة استيفاء جميع الحدود سواء كان القتل من بينها أم لم يكن وبالنسبة لجرائم القصاص فتستوفى كلها مهما تعددت ، ويبدأ بأخضا حتى تستوفى كلها وهذا قول الأوزاعي والشافعي ومالك أما أبو حنيفة فقد ذهب الى أن القتل يجب ما دونه فيدخل فيه قياسا على الحدود الخالصة لله . ونرى الأخذ برأى مالك والشافعي القاضي بأن عقوبات القصاص لا تتداخل فلا تجب

الدعوى وتعدد من تملقت بالسرقة أو القذف حقوقهم فإن الحد يتعدد وإن كان من جنس واحد فمن تكررت منه السرقة يتكرر إقامة حد السرقة عليه ومن تكرر منه القذف يتكرر إقامة حد القذف عليه بعدد من قذفهم وعلى هذا الرأي بعض المالكية وبعض الشافعية وبعض الحنابلة .

أما الفريق الثاني من الفقهاء فيرى إقامة حد واحد فقط رغم تعدد الدعوى لأن الحد يقصد به الردع والزجر ، وذلك يتحقق بإقامة حد واحد وعلى هذا الرأي أكثر الشافعية والحنفية والمالكية . ونرى الأخذ بالرأي القائل بتعدد الحدود بقدر تعدد ارتكابها لأن كل حد جريمة مستقلة بذاتها لا يسقط العقاب عليها متى رفعت الدعوى بشأنها حتى يتحقق الردع والزجر وعدم العودة الى ارتكاب الحد متى عرف الجاني أن عقابه سيتكرر بعدد ما ارتكب من جرائم وأنه لن يفلت من العقاب عن أية جريمة يرتكبها .

فيها لا يعتبر تعدياً على الكتاب والسنة .

والمبدأ الرابع يتعلق بالاشتراك في الجريمة .

الجريمة كما تقع من فرد واحد على فرد آخر أو جماعة فإنها قد تقع أيضاً من جماعة على فرد واحد فقد يشترك عدة أفراد في قتل فرد واحد ولا يشترط أن يشتركوا في نفس الفعل المؤدى للقتل بل يعد مشتركاً من يقتصر دوره على مراقبة الطريق فالاشتراك في الجريمة تعدد صورته وأشكاله وكيفما كان شكل الاشتراك فإن الجريمة التي تقع من مجموعة مثل الجريمة التي تقع من واحد فقط من ناحية العقوبة فيعاقب كل مشترك مهما كان دوره كما لو كان هو وحده الذي ارتكب نفس الفعل المؤدى للقتل وبهذا أفتى الصحابة وجمهور الفقهاء فقتل عمر بن الخطاب جماعة من سبعة أشخاص اشتركت في قتل واحد فقط باليمن وشدد في ذلك وقال رضي الله عنه « لو تملاً عليه أهل صنعاء لقتلتهم به » .

العقوبة الكبرى ، العقوبة الصغرى ، وذلك لتحقيق مبدأ المساواة بين الجريمة والعقوبة وهو أساس القصاص .

وتذهب القوانين الوضعية الى تشديد العقاب في حالة عودة الجاني الى ارتكاب جناية مماثلة لما سبق أن ارتكبه وعوقب عليه ولكن طبقاً لأحكام التشريع الجنائي الاسلامي فانه يفرق بين جرائم الحدود وجرائم القصاص وجرائم التعزير فبالنسبة لجرائم الحدود وجرائم القصاص فان عقوباتها مقدرة بالكتاب والسنة ولا يجوز الزيادة عليها أو النقصان منها لأى سبب من الأسباب فهي لا تزيد بالتكرار والعود ولا تنقص لأى ظرف خاص بالجاني . أما جرائم التعزير فيجوز التعديل في العقاب المقدر لها سواء بالزيادة بسبب العود أو بالنقص لأى ظرف خاص يقتضى الرأفة بالجاني لأن جرائم التعزير يقدر عقوباتها الحاكم أو القاضي بما يتناسب مع الجرم المرتكب والصالح العام والتعديل

كما قتل على بن أبي طالب الجماعة بالواحد أيضا . وذهب أبو حنيفة الى قصر القصاص على من يشترك في الفعل المباشر للقتل أما من كان دوره دون ذلك فلا يقتص منه ، وإنما يعاقب تعزيراً وذلك تطبيقاً لنظره في أن القتل الموجب للقصاص هو القتل العمد المباشر فقط — كما ذهب الشافعي وأحمد الى أن القصاص على من قتل فقط دون من أمر ومن ساعد فلا يعتبران شريكين الا اذا كان المأمور بالقتل صيباً أو مجنوناً فيكون القصاص على الأمر في هذه الحالة بينما يرى أبو حنيفة أنه حتى في هذه الحالة لا قصاص على الأمر ونرى أن الأولى بالاتباع هو ما أخذ به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيكفي الاشتراك بأية صورة وأي شكل حتى ولو كان الأمر بارتكاب الجريمة وقد كان دور بعض من اشترك في قتل قتيل اليمن هو مجرد منع اغاثة المغيثن وهو ما يعبر عنه في الاصطلاح الشرعي بالريثة وقتلهم عمر جميعاً وبهذا الرأي أخذ الإمام مالك .

كذلك ذهب الإمام أبو حنيفة رغم تضييقه لمعنى الاشتراك الى أنه متى كان بين الجناة من لا يمكن أن يقتص منه بأن كان صيباً أو مجنوناً مثلاً فإن باقى الشركاء يستفيدون من هذا الظرف ولا يقتص من أحدهم لأن الجريمة مشتركة وقعت من الجميع وبطلهم مجتمعين وخالفه في ذلك الإمام مالك لأن كلا من الجناة يشترك بمقتضى ما تتحقق به مسئولية فاذا كان أحدهما قاصراً والآخر بالغاً فإن القصاص يكون من البالغ ولا يكون من القاصر ولا نظر الى كون فعل الشريك موضع مؤاخظة أو ليس موضع مؤاخظة وعلى هذا الرأي أحد قولي الشافعي وهو أيضاً رواية عن أحمد رضي الله عنهما ونرى أن مذهب مالك هو الأولى بالاتباع فهو أحزم الآراء وأحفظها للحياة لأنه اذا قيل بعدم وجوب القصاص عند الاشتراك أو عند عدم وجوبه على أحد الشركاء لا نسد باب القصاص وفتح باب الفساد باستعانة القاتل

بغيره وهذا ما دفع الصحابة للفتيا
بقتل الجماعة بالواحد .

هذا كله اذا كان الاشتراك في
الاعتداء على النفس بالقتل أما اذا
كان الاعتداء دون ذلك ، وكانت
المقوبة فيه القصاص فقد
أنقسم الفقهاء الى فريقين
فالأحناف يرون أن الاشتراك في
جرائم القصاص فيما دون القتل
لا يوجب القصاص من كل واحد
من الشركاء ويستندون في ذلك الى
أن القصاص في الأطراف يوجب
التساوي فلا يقطع باليد الواحدة
يدان ولا يقطع بالرجل الواحدة
رجلان وإن قتل الجماعة بالواحد
ثبت بالاجماع وليس بالقياس لأن
موجب القياس كان يوجب ألا يقتل
بالواحد الا واحد وما جاء على
خلاف القياس يقتصر فيه على
مورد النص ولا يتجاوز الى غيره
وبذلك فلا يقاس قطع الأطراف على
ما أنعقد عليه الاجماع بقتل الجماعة
بالواحد في حال القتل وبذلك فلا
قصاص في حالة الاشتراك
في الاعتداء على ما دون النفس
لعدم امكان التساوي حيث ستقطع

أكثر من يد وأكثر من رجل في
سبيل يد واحدة أو رجل واحدة .

أما الفريق الثاني فيرى أنه
لا فرق بين الاشتراك في جرائم
القصاص فيمادون النفس والاشتراك
في جرائم القصاص في النفس
القصاص فيما دون النفس
أي القتل ويستند هذا الفريق الى
أنه روى عن علي بن أبي طالب
ما يدل على جواز قطع يدين في يد
واحدة وأنه اذا كان قد ثبت
بالاجماع أن القصاص يتعدى الى
كل الشركاء في حال قتل الجماعة
بالواحد فالأولى أن يكون متعددا
أيضا بالنسبة الى قطع عضو من
الأعضاء لأنه اذا كان قتل الجماعة
بالواحد جائزا فالأولى قطع الجماعة
بالواحد لأن النفس يجب الاحتياط
لها أكثر من الاحتياط للأطراف
وعلى هذا الرأي الأئمة الثلاثة
مالك والشافعي وأحمد ونرى أن
هذا الرأي هو الأولى بالاتباع
فيقتص من الشركاء جميعا في كل
الجراح .

أما في جرائم التعزير فإن عقوباتها
متروكة تقديرها اما للحاكم

الامام أبو حنيفة استنادا الى أن القاضى الذى يحكم بالعقوبة انما يستمد سلطانه من الامام الأعظم وهذا السلطان مقصور على اقامته بين الناس والامام الأعظم ليس داخلا في عموم الناس هذا الى جانب أنه على فرض امكان القضاء بالمقاب على الامام الأعظم فان التنفيذ متعذر وقد رد جمهور الفقهاء على ذلك بأن القاضى في حكمه انما ينفذ حكم الله تعالى لا حكم الامام الأعظم وهذا الحكم يخضع له الامام الأعظم وغيره وأن القاضى ليس نائبا عن ولى الأمر بل منفذا لأحكام الله تعالى قاض بها وهو لا ينزل بموت الامام الأعظم أو تغييره وأن سلطان القاضى مستقل عن سلطان ولى الأمر وان ما تصوره الاحناف من مانع من التنفيذ لا يجعل التنفيذ مستحيلا بل هو ممكن دائما ما دامت الأمة تحترم دينها وتنفذ الأحكام الشرعية وتخضع لأوامر الله تعالى ونواهيه ففى هذه الأحوال لن يملك الامام في الخروج عن الأحكام الشرعية أو اقرار المعاصى لخشية من ثورة

أو للقاضى ولكل منهما الحق في التفرقة بين عقوبة الفاعل الأصلي والشريك حسب دوره وحسب خطورته وحسب درجة الزجر والردع المطلوب تحقيقها وبذلك يمكن التفرقة بين عقوبة من يفرض بالربا وبين من يتوسط في عملية الاقراض كما يمكن التفرقة بين عقوبة من يصنع الخمر ومن يتجر فيها وذلك حسب ما يمليه صالح الجماعة .

والمبدأ الخامس يتعلق بعمومية العقاب .

وعومية العقاب تتناول ناحيتين الأولى العمومية بالنسبة للأشخاص والثانية العمومية بالنسبة للمكان .

فمن ناحية الأشخاص فان كل الناس أمام التشريع العقابى الاسلامى سواء لا فرق بين كبير وصغير ولا حاكم ولا معكوم فالعقوبات الاسلامية تنفذ على الحكام أيضا ولو كان الحاكم هو الامام الأعظم المسئول عن حكم جميع المسلمين وعلى هذا رأى جمهور الفقهاء وخالفهم في ذلك

الأمة عليه وتمكنها منه وعدم افلاته من العقاب ، فجرائم الحكام لم يخلع عليها الاسلام صفة الاعفاء ولم يخلع عليهم صفة التنزيه عن الاجرام كما تذهب الى ذلك القوانين الوضعية فتنص على أن ذات الحاكم مصونة لا تمس أو أنها مقدسة كذلك لا يملك الحاكم في الاسلام حق العفو سواء كان العفو عن الجريمة وهو ما يسمى بالعفو الشامل أو العفو عن العقوبة بمد الحكم بها وذلك على عكس ما تفرض جميع الدساتير في القوانين الوضعية والتي تجعل دائما لرئيس الدولة حق العفو وهذا اخلال خطير بمبدأ المساواة التي تدعيها كل هذه الدساتير .

ويخضع لجميع العقوبات جميع الأشخاص المقيمين بالديار الاسلامية سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين وبهذا أخذ جمهور الفقهاء وخالفهم في ذلك الامام أبو حنيفة وأصحابه اذ يرون اعفاء غير المسلمين من العقوبات المتعلقة بشرب الخمر وأكل الخنزير والزواج من المحرمات متى كان دينهم يبيح لهم

ذلك حتى لا يكون هناك تدخل في حريتهم الدينية ونرى أن رأى الجمهور هو الأولى بالاتباع لأن المقصود من تحديد الجرائم والعقوبات هو تحقيق الصالح العام ومنع الفساد في كل ربوع الدولة ولا يمكن أن يتحقق ذلك بالسماح لطائفة من المقيمين بها بشرب الخمر وغيره من المحرمات لأن أثر ذلك لن يتوقف عند غير المسلم بل قد يتعداه الى المسلم سواء بطريق مباشر أو غير مباشر وأن ترك غير المسلم يشرب الخمر ويفتح الحانات لشربها فيه اغراء لضعاف النفوس من المسلمين بشربها ولذلك يجب تعميم العقاب على المسلم وغير المسلم لدفع الفساد عن الجماعة الاسلامية ولأن النصوص الموجبة للعقاب نصوص عامة لا تخصيص فيها تبعاً لجنس أو دين أو وظيفة ولذلك فانه لا اعفاء من العقاب في التشريع الاسلامي للممثلين السياسيين أو رؤساء الدول الزائرين أو القوات الأجنبية التي تستضيفها الدولة الاسلامية أو تسمح لها

إسلامية فعلية لتقوم بإجراء المحاكمة وتنفيذ العقوبة ساعة ارتكاب الجريمة فإذا وقع الفعل في دار الحرب فقد وقع غير معاقب عليه لعدم وجود من يملك العقاب ساعة الارتكاب •

ونرى أن رأى الجمهور هو الأولى بالاتباع دفعا للفساد لأن الإسلام يخاطب بتحريم هذه الأفعال في كل مكان وليس في الديار الإسلامية فقط ولا يصح أن يكون المسلم أو من ينتمى إلى الديار الإسلامية مفسدا في أى أرض •

ومن ذلك تبين أن عمومية العقاب تشمل المكان والأشخاص فيخضع للتشريع العقابى الإسلامى كل من يقيم في الديار الإسلامية من مسلمين وغير مسلمين وكل من ينتمى إلى الديار الإسلامية من مسلمين وغير المسلمين متى ارتكبوا جريمة معاقبا عليها في التشريع الإسلامى في غير الديار الإسلامية •

والمبدأ السادس يتعلق بتنفيذ العقوبة •

بلمرور عبر أراضيها للوصول إلى مكان آخر فمتى ارتكب أحد هؤلاء أية جريمة فإنه يحاكم عليها وينفذ فيه العقاب ولا يترك لدولته أن شاءت حاكمته وإن شاءت تنازعت عن فعله أو برأته استنادا إلى أن ما ارتكبه لا يشكل جريمة معاقبا عليها في قوانينها •

وإذا ارتكب أحد المسلمين جريمة من الجرائم المعاقب عليها في التشريع الإسلامى خارج البلاد الإسلامية ثم عاد بعد ذلك إلى الديار الإسلامية فإنه يحاكم عنها وينفذ فيه عقابها ويسرى نفس الحكم أيضا على غير المسلمين المنتسبين إلى الدولة الإسلامية وعلى هذا رأى جمهور الفقهاء وخالفهم في ذلك الإمام أبو حنيفة وأصحابه بقوله أنه لا عقوبة على مسلم أو ذمى يرتكب جريمة في دار الحرب •

واستند أبو حنيفة في ذلك إلى أن العقاب جزاء فعلى يقع على مرتكب الجريمة وقت ارتكابها ، وفى هذه الحال فلا توجد ولاية

عقوبات التعزير إلا أنه يجب التضييق منها إلى أقصى درجة ممكنة ذلك أن العقوبات البدنية هي أقوى في الردع وأكثر صيانة للمجتمع ولا يتحقق ذلك في عقوبة الحبس فقد يكون المكان الذي يحبس فيه الجاني أكثر راحة له من الأماكن التي يعيش فيها وهو طليق إلى جانب ما قد يتعلمه في السجن من فنون الجريمة على يد زملائه من نزلاء السجون ثم ما هو مصير من يعولهم خلال فترة سجنه إن طالت ومن يتكفل بالانشاق عليهم لو لم يكن لهم مورد رزق يعيشون عليه وكأننا بسجن فرد واحد حولنا عائلة بأكملها إلى مجموعة من المنحرفين والمجرمين الجدد .

ينما أنه لو عوقب بالجلد ثم انصرف إلى منزله بعد عقابه واستراح به إلى الوقت الذي يسترد فيه صحته لكان في ذلك رادعا له فلا يعود إلى ارتكاب الجريمة وحفظا لأسرته من الضياع والتشريد وحفظا للقوة الانتاجية في الدولة بعدم تعطيل أحد أدواتها نتيجة حبسه . كذلك فإن الحياة في

إن وظيفة العقوبة في التشريع الإسلامي ليست مجرد وظيفة جزائية أو انتقامية من الجاني فحسب بل إن لها وظيفة وقائية أيضا تتحقق بما يحدثه تنفيذها من الزجر العام ولذلك حرص التشريع الإسلامي على أن تكون المجازمة سريعة فور ارتكاب الجريمة وأن تكون متصلة حتى صدور الحكم وأن لا يتراخى تنفيذ الحكم بعد صدوره وأن يتم تنفيذه بصورة علنية فيشهد بالتنفيذ جمع من المسلمين ولذلك ينفذ العقاب عقب صلاة الجمعة وأمام المسجد الجامع في المدينة التي ارتكبت فيها الجريمة حتى يتحقق الردع والزجر لكل من تحدثه نفسه بارتكاب إحدى الجرائم فيعدل عنها . والأصل في العقوبات الإسلامية أنها عقوبات غير مستمرة فالعقوبة في التشريع الإسلامي هي أذى يلحق بالجاني ولا يستمر معه أمدا طويلا وهي تتراوح بين الجلد والقتل والرجم فمقوبة الحبس ليست من العقوبات المقدرة في الكتاب والسنة وإن كان يجوز فرضها في

العالم عقوبة السجن فيها فأوصلتها
الى عشرات السنين ومع ذلك زادت
نسبة الاتجار في المخدرات وامتدت
الى كافة الدول .

ولهذا كان حرص التشريع
الاسلامى في عدم الأخذ بعقوبة
السجن كعقاب في جرائم الحدود
والقصاص وهو ما يجب أن يراعى
أيضا في العقوبات التي تتقرر
لجرائم التعزير . وبهذا نكون قد
اتهمنا من الكلام عن التشريع
الجنايى الاسلامى ونبدأ بعد ذلك
افشاء الله بالكلام عن التشريع
الجنايى في القانون الانجليزى .

المستشار - حسن حسب الله

السجن يشوبها التمييز بين فقراء
المجرمين وأغنيائهم الى جانب
ما تتكلمه الدولة من تعقات لحراسة
هؤلاء المجرمين واقامتهم واطعامهم
وعلاجهم وكان المجتمع لا يكفيه
ما قاساه منهم وانما هو مطالب
بالاتفاق عليهم أيضا .

وقد ثبت بالتجار العملية في
جميع الأمم أن العقاب بالحبس
مهما طال لم ينجح في الاقلال من
عدد الجرائم والمثل الواقع على
ذلك جريمة الاتجار في المواد
المخدرة فقد شددت جميع دول



الأزهر جامعاً وجامعة

أومصر في ألف عام

للأستاذ محمد كمال السيد

- ١١ -

ويضيق المقام عن الترجمة
لجميعهم • ولكن ترجم لأربعة منهم
على سبيل المثال لريادة الأزهر في
هذه النهضة العلمية في شتى
المجالات • وهم :

- ١ - رفاعه رافع الطهطاوى •
- ٢ - الدكتور أحمد حسن
الرشيدى
- ٣ - الدكتور حسين غانم
الرشيدى •
- ٤ - الدكتور محمد الشافعى

رفاعه بك رافع الطهطاوى

كان مولده سنة ١٨٠١م
(١٢١٦هـ) بطهطا من مديرية
جرجا (محافظة سوهاج) بالصعيد
- وينطق العامة وبعض العلماء اسم

ذكرت في المقال السابق أن محمد
على - بعد أن استقرت له الأمور
في الداخل - بنى السيد عمر مكرم
الى دمياط سنة ١٨٠٩ ، وابتعاد
الصرفة بين العلماء ، ومدح
الماليك في القلعة سنة ١٨١١م -
لم يعد في حاجة الى تعضيد العلماء
• فانطلق في تنفيذ مشروعاته
واصلاحاته • وأن من ضمن هذه
الاصلاحات نشر التعليم في مصر
على الطريقة الحديثة •

فبدأ بارسال البعثات الى أوروبا
فأرسل ٢٨ طالبا في السنة من
سنة ١٨١٣ - سنة ١٨٢٥ • وأرسل
٢٩١ طالبا في السنة من ١٨٢٦ -
١٨٤٨م • وكان الكثيرون في هذه
البعثات من طلبة الأزهر •

الأوائل والأواخر —

Depping, Moeuro

• (et Usages des Nations) •

وعاصر ثورة سنة ١٨٣٠ في فرنسا • واطلع على دستورها وترجمه الى العربية في أشهر كتبه (تخلص الأريز في تلخيص باريز) (باريس) الذي ترجم فيما بعد الى التركية ، واجتهد في ترجمة المصطلحات الدستورية • وتناول فصل السلطات العامة في الدولة • والسلطة التشريعية ومداه • والحقوق المدنية للأفراد • والمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات • والحريات العامة من حرية الدين والتملك والحرية السياسية • وكان فيما يكتب يلخص ما قرأه وما فهمه من الدستور الفرنسي والمراجع الفرنسية عن نظم الحكم عند الغربيين • فلم يكن يستطيع أن يطالب بهذا في مصر وهو الموظف في الدولة • ولكنه كان المعلم والرائد • فقد وضع البذرة • وسقاها تلاميذه حتى أينعت • وكان تقديمه في تفكيره • فتكلم عن الموسيقى والفناء وأثرهما

طهطا بالحاء بدلا من الهاء — من بيت شريف يتصل نسبه بالأمام الحسين بن علي رضي الله عنهما • كما أن أخواله يصلون بنسبهم الى قبيلة الخزرج أنصار الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة •

وتلقى دروسه في صباه على شيوخ مساجد طهطا وفيهم علماء جليلون ذكرهم على مبارك في خطبه (ج ١٣ ، ص ٥٣) • ثم قدم القاهرة والتحق بالأزهر • فتلمذ على شيوخه المعروفين وقتذاك مثل الشيخ حسن المطار والشيخ حسن القويسني والشيخ ابراهيم البيجوري • وكلهم تولوا مشيخة الأزهر • وعلى غيرهم من كبار العلماء • ثم درس بالأزهر ما يقرب من الستين •

وعين واعظا في الجيش المصري سنة ١٨٢٤ • ورشحه أستاذه الشيخ حسن المطار واعظا لطلبة البعثة التي أرسلت الى فرنسا سنة ١٨٢٦ • وهناك تعلم الفرنسية وترجم عدة كتب منها كتاب أسماء (قلائد الفاخر في غريب عوائد

وكان مقر مدرسة الألسن في بيت الدفتردار محل فندق شبرد بشارع ابراهيم باشا (الجمهورية) شمال شارع الألفى • واحترق هذا الفندق في حريق القاهرة في يناير سنة ١٩٥٢ • ونقل الفندق بعد ذلك الى مقره الحالي على النيل بجاردن سيتى •

وفي سنة ١٨٤١ أشرف على تحرير القسم العربى بالوقائع الرسمية • وجريدة الوقائع الرسمية أنشئت سنة ١٨٢٨ م (١٢٤٤ هـ) • وكانت الصحيفة نصفين ، النصف الأيمن تركى • والأيسر عربى • وفى سنة ١٨٤٦ م (١٢٦٢ هـ) ، بدأ اصدار الوقائع من نسختين • احدهما عربية والثانية تركية • وكل نسخة منهما قائمة بذاتها • وقال أمين باشا سامى فى تقرير النيل (ج ٢ ص ٥٤٤) أن أقدم الأعداد العربية الموجودة - بوضعها الأخير - هو العدد ٦٨ الصادر فى ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٢٦٣ هـ وفى نوفمبر سنة ١٨٤٨ تولى الحكم عباس حلى الأول ابن طوسون بن محمد على بعد وفاة

فى تهذيب النفوس • وتكلم عن حرية المرأة وتعليم البنات • وغير ذلك من الأفكار الجديدة بالنسبة لعصره •

وعاد من فرنسا سنة ١٨٣١ ، فمبنى مترجما بمدرسة الطب بأبى زعبل • ثم بمدرسة المدفعية بطرا • وترجم كتاب (مبادئ الهندسة) وكتاب (المعادن النافعة للمعلم فيراد) وكتاب (التعريفات الشافية لمريد الجغرافية للمط يرون) وغيرها •

وتزوج بعد عودته من فرنسا بأبنة الشيخ حسن الطار • ومنها أولاده • والشيخ حسن تولى مشيخة الأزهر من ١٨٣٠-١٨٣٤ م

وفى سنة ١٨٣٥ نقل رفاعة رافع ناظرا لمكتبة المدرسة التجهيزية بقصر المينى • ثم ناظرا لمدرسة الألسن التى أنشأها فى نفس السنة فأشرف عليها وعلى المدارس المجاورة لها وهى : مدرسة فقه الشريعة الإسلامية • ومدرسة المحاسبة • ومدرسة الادارة الأفرنجية • والمدرسة التجهيزية •

ليكونوا مدرسين بتلك المدرسة الابتدائية .

وظل رفاعة رافع في منفاه حتى قتل عباس الأول سنة ١٨٥٤ وتولى مكانه عمه سعيد باشا . فأعادته ومن معه من مدرسي الهندسة إلى القاهرة . ثم عينه وكيلا ثم ناظرا للمدرسة الحربية سنة ١٨٥٦ فأدخل إلى تلك المدرسة إلى جانب العلوم العسكرية علوم اللغة والآداب والرياضيات وأنشأ بها قسما للترجمة .

وفي يناير سنة ١٨٦٣ تولى الخديو اسماعيل بن ابراهيم باشا بعد وفاة عمه سعيد باشا . فعين رفاعة رافع ناظرا لقلم الترجمة .

فترجم القانون المدني الفرنسي والقانون التجارى الفرنسي . وألف وترجم عدة كتب دراسية منها (أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل) وهو أول كتاب علمي في تاريخ مصر القديم اعتمد فيه على نتائج الأبحاث التاريخية والأثرية حتى عصره . (التحفة المكتبة لتقريب

عمه ابراهيم باشا . بحكم أنه أكبر أفراد أسرة محمد على سنا . كما كان متبعا وقتذاك .

وكان حكم عباس الأول ثكبة على البلاد وتضييكا لما بذله جده محمد على من القيام بمراقبتها . وكانت الثكبة الكبرى على شئون التعليم . فقد ألغى جميع المدارس وحصرها في مدرسة واحدة لها ناظر واحد وتجمع جميع المدارس . . . وبلغت نفقات التعليم في آخر عهده (٥٠٠٠) خمسة آلاف جنيه ، بعد أن كانت في آخر عهد محمد على ٨٨٠٠٠ ثمانية وثمانين ألفا من الجنيهات . وكانت حجته في ذلك أن تعليم الشعب مضر بالحاكم ، وأن من يتوسم فيهم الصلاح والنبوغ سحرة ويجب التخلص منهم .

فألغى في سنة ١٨٥٠ مدرسة الألسن ونقل ناظرها رفاعة رافع ليكون ناظرا على مدرسة الخرطوم الابتدائية . وهو في الواقع قبيح . ونقل معه الكثيرين من كبار مدرسي مدرسة الهندسة

من محمد على ٢٠٠ فدان من
سعيد ، ٢٠٠ فدان من اسماعيل •
فضلا عن ٣٦ فداقا حديقة فادرة
المثال بجهة الخافكة من ابراهيم
باشا •

واشترى هو ٩٠٠ فدان فكانه
ترك أكثر من ١٦٠٠ فدان • وقد
زاد أولاده من بعده هذه الثروة
حتى بلغت ٢٥٠٠ فدان (على
مبارك ج ١٣ ص ٥٥) • رفاعة
الطهطاوى للدكتور حسين فوزى
النجار ، أصول الفكر العربى
الحديث عند الطهطاوى للاستاذ
محمد فهمى حجازى • بحث فى
العدد الاول من المجلد الرابع من
مجلة عالم الفكر الكويتية فى ابريل
— يونية سنة ١٩٧٣) •

ويعد رفاعة رافع الطهطاوى
بحق رائد النهضة الفكرية الحديثة
فى مصر ، تخرج على يديه الكثيرون
من قادتها وروادها •

وتوفى الى رحمة الله سنة ١٨٧٣
• • وظلت بلدية القاهرة اسمه
بأطلاقه على أحد شوارع مصر
الجديدة •

اللغة العربية) فى النحو على طريقة
جديدة غير طريقة المتون والشروح
القديمة • (القول السديد فى
الاجتهاد والتقييد) • (مباهج
الالباب المصرية فى مباهج الآداب
المصرية) فى التثقيف السياسى
والاجتماعى والاقتصادى •
(المرشد الأمين للبنات والبنين) فى
التربية الحديثة • (نهاية الایجاز
فى سيرة ساكن الحجاز) فى سيرة
الرسول عليه الصلاة والسلام •
وغیرها •

وأثنى اسماعيل فى سنة ١٨٧٠
مجلة أدبية اسمها (روضة
المدارس) • وعهد على باشا مبارك
— وكان ناظرا للمعارف — بنظارتها
الى رفاعة رافع • وتولى ابنه على
فهمى رافع رئاسة تحريرها •
وساهم فى تحريرها الكثيرون من
أعلام مصر وقتذاك مثل عبد الله
باشا فكرى واسماعيل باشا الفلكى
ومحمد باشا قدرى • وغيرهم •

وكان محل رضى من جميع
الحاكمين الذين عاصروهم •
وتوالت انعاماتهم عليه : ٢٥٠ فداقا

الدكتور محمد بك الشافعى

أصله من طلبة الأزهر • ثم درس
بمدرسة الطب بأبى زعبل • ثم
أرسل في بعثة الى فرنسا سنة ١٨٢٦
وعاد سنة ١٨٣٨ • فعين مدرسا
للأمراض الباطنية فى أبى زعبل •
ثم مدرسا للطب بقصر العينى •
ثم ناظرا لها سنة ١٨٥٨ • وهو أول
ناظر مصرى بها •

ومدرسة الطب فى أبى زعبل
أنشأها محمد على سنة ١٨٢٧ •
ثم أغلقت فى عهد عباس حلمى
الأول ضمن ما أغلقه من المدارس •
وفى عهد سعيد تقرر فتح مدرسة
للطب فى قصر العينى • الذى
كان وقتذاك مستشفى تحت ادارة
كلوت بك • وفتحت مدرسة الطب
فى قصر العينى فى سبتمبر
سنة ١٨٥٦ وتولى نظارتها
كلوت بك مع ادارة المستشفى •
وفى سنة ١٨٥٨ تولى نظارتها محمد
بك الشافعى صاحب الترجمة
(كلوت بك توفى سنة ١٨٦٨) •
وتوفى الدكتور محمد بك
الشافعى سنة ١٨٦٠ • وله من

ومن أشهر تلاميذه الدكتور
سالم باشا سالم عاد من بعثته الى
ألمانيا سنة ١٨٥٤ (١٢٧١ هـ) •
وتولى عدة وظائف منها مدير
الصحة العمومية ، وكان فى آخر
عهد الطيب الحاص للخديو
توفيق • وباسمه شارع بجهة
العجوزة بالجيزة •

ونذكر أيضا من تلاميذ رفاعة
بك محمد باشا قدرى المشرع
القانونى مؤلف الكتب الثلاثة
المشهورة (مرشد الحيران الى
معرفة أحوال الانسان على مذهب
الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان)
(العدل والانصاف للقضاء على
مشكلات الأوقاف) ، (الأحكام
الشرعية فى الأحوال الشخصية) •
وجميعها طبعت بعد وفاته ، وكانت
من المراجع الهامة لكافة رجال
القانون • وتوفى سنة ١٨٨٦ بعد
أن كف بصره • وباسمه شارع
يصل بين شارعى بورسعيد
والصلبية بالقرب من ميدان السيدة
زينب (أسماء ومسميات من
تاريخ وخطط القاهرة لكاتب
المقال) •

بأبي زعبل الى أن عطلت • وتوفى
سنة ١٨٦٥ • وله من المؤلفات
العلمية (الروضة البهية في الأمراض
الجلدية) ، (بهجة الرؤساء في
أمراض النساء) ، (ضياء النيرين
في أمراض العين) •

ومن هذه الأسماء يبدو أن
التخصص في فروع الطب لم يكن
معروفا •

الدكتور حسنى غانم الرشيدى

وهو أيضا من طلبة الأزهر •
واشتغل مصححا بمدرسة طب
أبي زعبل • وسافر الى فرنسا في
بعثة سنة ١٨٣٣ • وعاد لمصر
سنة ١٨٤٥ • ومن مؤلفاته (الدر
الشمين في الأقربازين) •

وقد أسست البلدية شارعا باسم
شارع الرشيدى متفرعا من شارع
قصر العيني أمام قصر العيني •
ولا أدري هل هو تخليد لذكرى
الأول أو الثانى • وإن كنت أرجح
أنه للأول الدكتور أحمد حسن
الرشيدى •

المؤلفات العلمية : (أحسن الأغراض
في تشخيص ومعالجة الأمراض) ،
(السراج الوهاج في التشخيص
والمعالج) • وترجم عن الفرنسية
(الدرر القوال في معالجة الأطفال
لمؤلفه كلوت بك) •

وتوجد حارة صغيرة متفرعة
من شارع عبد العزيز بالقرب من
محلات عمر أفندى ، تصل بين
شارع عبد العزيز وشارع
الجمهورية وتمتد شمال مسرح
الجمهورية ، اسمها حارة شافعى •
حيث كان منزله هناك • وكان رحمه
الله جديرا بمكان أكبر لتخليد
ذكره • أو على الأقل تذكره
اللافتة باسم حارة الدكتور شافعى
للتعريف والذكرى (المرجع السابق
لكاتب المقال) •

الدكتور السيد احمد حسن الارشيدى

أصله من طلبة الأزهر •
ثم اشتغل مصححا للكتب الطبية
بمدرسة أبي زعبل • وسافر الى
أوروبا في بعثة سنة ١٨٣٣ • وعاد
من فرنسا سنة ١٨٣٨ • فعين مدرسا
للعلوم الطبيعية بمدرسة الطب

عودة إلى الأزهر

ذكرنا أن محمد علي بعد تولى
عمر مكرم سنة ١٨٠٩ ومذبحة
المماليك سنة ١٨١١ استهان بشأن
علماء الأزهر • فقد أمكنه تحريق
وحدتهم • واغراء بعضهم على
بعض بالمناصب • اذ شعر بالاستغناء
عن تمضيدهم • فحرم عليهم
الاشتغال بالسياسة إلا ما يصرح
هو به عندما يجتمعهم للموافقة على
أمر معين •

مثل ما جمعهم في مارس
سنة ١٨١٦ (جمادى الأولى
سنة ١٢٣١ هـ) عندما أراد الحد
من تصرفات القاضى التركى الذى
بالغ في فرض الرسوم على التقاضى
•• كما تدخل بالأهواء والأغراض
في محاسبة نظار الأوقاف • وقدر
على نصارى الأقباط والأروام
مبلغا كبيرا سنويا بحجة المحاسبة
على أوقاف الديور والكنائس •
وغير ذلك •

فاجتمع العلماء في بيت الشيخ
البكرى • وكما يقول الجبرتي
(بأمر باطنى من صاحب الدولة) ،

وكتبوا محضرا يطلبون فيه تدخل
ولى الأمر ليوقف القاضى عند
حده • والمقصود من ذكر هذه
الواقعة أنهم لم يجتمعوا من أنفسهم
ولكن بإيماز من محمد علي •

وخفض محمد علي مخصصات
المساجد ومنها الأزهر • واختصر
مزايأ علمائه • فقد ذكر الجبرتي
أنهم أحصوا الرزق الأجاسية
المرصودة على المساجد والبر
والصدقة بالصعيد ومصر فبلغت
ستمائة ألف فدان • وأشاعوا أنهم
يطلقون على المساجد خاصة نصف
المفروض (وهذا النصف ثلاثة
أربعة ونصف • وهو نصف قيمتها
الاجبارية) • فضج أصحاب
الرزق • وحضر الكثيرون منهم
يستغيثون بالعلماء • فركبوا الى
الباشا وتكلموا معه وقالوا له ان
هذا يترتب عليه خراب المساجد •
فقال لهم : وأين المساجد العامرة ؟
الذى لا يرضى بذلك يرفع يده وأنا
أعمر المساجد المتضرية • وأرتب
لها ما يكفيها • ولم يفد كلامهم
شيئا •

وفي يونية سنة ١٨٢١ (رمضان سنة ١٢٣٩ هـ) صدر أمر محمد على الى دفتر دار مصر أن جارى صرف مرتبات علماء الأزهر مقدارها (١١) ١١٥٨٥ أردبا من الحنطة قدر لها ثمن ٣٦٠٠٠ قرش . ولتضرر العلماء من الثمن استعجن أعتباره ٦٩٥١٠ قروش . أى متوسط ثمن الأردب على التقدير الأول أقل من ثلاثة قروش . وعلى التقدير الثانى ستة قروش للأردب . وتفهيم معنى هذا اذا علمنا أنه كان يستولى على القمح من الفلاحين بأقل من عشرة قروش ويبيعه للانجليز تسليم الاسكندرية بمائة قرش . وأن سعره الجارى فى الداخل كان أكثر من ثلاثة أضعاف الثمن الذى قدره للعلماء .

وبرغم الاستبداد الذى كان فى طبيعة محمد على . فلا جدال أنه كان رجلا فذا . فقد أمكنه أن ينشئ حكومة مستقرة على أنقاض فوضى الولاة العثمانيين والمماليك . وأن يستقل بحكومته عن الدولة

العثمانية استقلالاً شبه تام . وأن ينشئ جيشاً قوياً من صميم الشعب المصرى حارب به وعزا واتصر فى كل المارك . وأن ينشئ « الأسطول المصرى » وأرسل البعثات العلمية الى الخارج ليستغنى بأبناء مصر عن المستشارين الأخاب . وأنشأ الصناعات الحربية وكثيرا من الصناعات المدنية . ونمى الزراعة باستصلاح الأراضى وشق الترع واستجلاب البذور والأشجار لتحسين الأصناف الموجودة . أو لاستنبات أصناف جديدة . وغيرها من الاصلاحات معتمدا فى هذا كله على موارد وامكانيات مصر . فلم تمتد يده الى القروض الأجنبية التى كانت سببا فى ضياع البلاد .

صحيح أن كل هذا كان لمصلحته الخاصة . فالتعليم والبعثات العلمية لتزويد الحكومة بالموظفين . وتحسين المرافق والخدمات لمصلحة الإنتاج . اذ قد أمم الصناعة والزراعة . واحتكر التجارة الداخلية والخارجية لحسابه .

الذى حدث فى عهد خفيده عباس
حلى الأول من اغلاق المدارس
وقفل بقية المصانع • ولقاوم الشعب
الأسراف الذى اتجه اليه اسماعيل
مما أغرقها فى الديون وعرضها
للأفلاس الذى أدى لتدخل الدول
الأجنبية • وبالتالي الى الاحتلال
الانجليزى •

وللاستطرد نوضح أن صحة
محمد على تدهورت فاعتزل الحكم
سنة ١٨٤٨ • وتولى بعده ابنه
ابراهيم باشا ولكنه توفى بعد
شهور فى نفس السنة • فتولى
عباس حلى الأول ابن طوسون بن
محمد على حتى قتل سنة ١٨٥٤ •
فتولى سعيد باشا بن محمد على
حتى توفى • وتولى بعده اسماعيل
ابن ابراهيم باشا فى يناير سنة ١٨٦٣
حتى خلع سنة ١٨٧٩ • أما محمد
على فقد توفى فى أغسطس سنة
١٨٤٩ (١٢٦٥هـ) •

حقيقة أن محمد على فى أمر من
أوامره لأحد موظفيه بالأقاليم
بلغه عنه أنه يسىء معاملة الفلاحين •
فأرسل اليه ينهائهم ويقول اثنى مدين

وأكثر من فرض الضرائب المختلفة
على كل نوع من مرافق العيش من
مأكل وملبس ومسكن وانتقال •
ولكن دائما يختلط الأمر عند
الحاكم المستبد بين المصلحتين العامة
والخاصة • فهو الدولة • عظمته
وثراؤه عظمة وثراء لها • والمكس
• وما دامت ميزانية الدولة
مليمة وفى تقدم فلا تهمة الميزانية
الشخصية للأفراد •

ومن السهل على حاكم قوى أن
ينشئ حكومة قوية تفرض النظام
وتحفظ الأمن • ولكن الأصعب
تربية شعب قوى واع بجانب هذه
الحكومة يراقبها ويمنعها من
الانحراف •

ولو اتجه محمد على الى هذا
الاتجاه لبكر بنضوج الشعب
المصرى عشرات السنين • ولما
تورط هو فى مطامعه الشخصية
وحروبه الغارجية التى لم يستفد
منها شيئاً • والتى أدت الى نكسة
البلاد فى أواخر حياته وتعطل
أغلب المصانع التى أنشأها •
ولوقت الشعب حائلاً ضد التدهور

فضى الله • أو كما نعبر الآن
بالديمقراطية الصحيحة التى تكفل
حرية الفكر والكلمة •

وكان الاستبداد دأب من تلا
محمد على من أفراد أسرته • فلم
ينسوا أبدا أصولهم التركية •
واستعلاءهم على العرب • وكان
الحاكم منهم يلقب بولى النعم •
ولا يطبقون معارضة وجزاء المعارض
النفى والتشريد • ان لم يكن
الاغتيال •

صحيح أن بعضهم كان يصرح
بموالفة طيبة • مثل ما ذكره
المؤرخ المرحوم عبد الرحمن
الرافعى أن سعيدا ألقى خطبة في
قصر النيل مخاطبا فيها الحاضرين
من العلماء والرؤساء الروحانيين
وأفراد الأسرة الحاكمة وكبار رجال
الحكومة من الملكيين والعسكريين
•• فقال : (أيها الأخوان انى
نظرت فى أحوال الشعب المصرى
من حيث التاريخ فوجدته مظلوما
مستعبدا لغيره من أمم الأرض •
فقد توالى عليه دول ظالمة كثيرا •
وحيث أنى أعتبر همى مصرى •

بالفضل لاثنتين هما السلطان محمود
والفلاح المصرى • وصحيح أيضا
أنه أصدر أمرا فى سنة ١٨٤١ الى
عموم المصانع (الفابريكات كما
كانت تسمى) بصرف ٥٠٪ خمسين
فى المائة من أرباح المنسوجات
المختلفة للأسطوانات حتى يترتب على
ذلك التسافى فى الأبداع والانتقان
(تقويم النيل لأمين باشا سامى
ج ٢ ص ٥١٥ ولكنه ذكر فى
النهرست أن النسبة ٢٠٪ عشرون
فى المائة) •

ولكن هذا وذاك لمصلحة
الأتاج • وليس بدافع انسانى •
فأنا نجد فى أوامر أخرى يطلب
التشديد على الفلاحين ولو بضرب
النبت • ولا يسكن أن تنسى
الاعداد الوفيرة من العمال الذين
كان يسخرهم للعمل فى شق الترع
والمشروعات المختلفة بأبخس
الأجور وفى أسوأ حالات الطقس •
مما أدى الى وفاة الآلاف •

والدولة ليست فردا يملئ ارادته
•• ولكنها الشعب بمجموعه •
والحكم المليم هو الشورى كما

فوجب على أن أربي أبناء هذا الشعب • وأهذه تهذيبا حتى أجعله صالحا لأن يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة • ويسمى نفسه عن الأجانب • وقد وطدت نفسى على إبراز هذا الرأي من الفكر الى العمل) •

ويقول الرافعى فى (الزعيم الثائر أحمد عرابى ص ١٣) نقلا عن أحمد عرابى فى مذكراته تعليقا على هذه الخطبة أنه لما انتهى سعيد من القائها خرج المدعوون من الأمراء والعظماء غاضبين حائقين مدهوشين مما سمعوا • وأما المصريون فقد خرجوا ووجوههم تتهلل فرحا واستبشارا • ويقول انه اعتبر هذه الخطبة أول حجر فى أساس مبدأ مصر للمصريين •

ولكنه كان قولا فى الهواء • أو على الأقل لم يضع موضع التنفيذ • وتوفى سعيد وخلفه ابن أخيه اسماعيل وأراد اسماعيل أن يعيد عهد جده فى الإصلاحات • ولكن محمد على اعتمد فى إصلاحاته على موارد البلاد •

أما اسماعيل فلم يكتف بهذه الموارد بل استدان واقترض حتى أدى بالبلاد الى الخراب والضياع • وإذا كان محمد على لم يحاول فى حركته الإصلاحية النهوض بالشعب المصرى • فلم يتعمق الى جذور الإصلاح الحقيقى • فان اسماعيل كان فى حركته الإصلاحية أكثر سطحية من جده • فاكفى بالمظاهر • فجيش الجيوش للتوسع الخارجى • وبنى القصور • وعمر منطقتى الأريكية والاسماعيلية اللتين لا تزالان للآن صرة المدينة • وبهما أهم مرافقها من وزارات ومصالح ومتاجر وخلافه • وكان ميدان التحرير اسمه لقاية ثورة سنة ١٩٥٢ ميدان الاسماعيلية • فخطط شوارعها التخطيط الباقى للآن وجعل الميادين بالمتنزهات والتماثيل • ولكنه بالغ فى الأسراف فى انشاء القصور والترف واغداق آلاف الأفدنة على أسرته والمقرين اليه •

وكلنا يعلم البذخ المبالغ فيه فى احتفالات افتتاح قناة السويس

(بجاردن سيتى) سكن والدته •
أو قصر القبة • أو سراى الجزيرة
• التى كانت مساحتها ٦٠ فدانا
وتكلمت ٨٩٨٦٩١ جنيها وأصبح
جزء منها الآن فندق عمر الخيام •
وأقيمت الاحتفالات الشعبية بحى
المنيرة • فنصبت السراوقات
للمطربين • ومدت الجبال فى
الساحات ليلعب عليها البهلوانات •
واستمرت الاحتفالات أربعين يوما
باعتبار عشرة أيام لكل زيجة •

ولا يزال بحى المنيرة شارع
اسمه أفراح الأنجال بين شارعى
محمد عز العرب (المبتديان سابقا)
وأمين باشا سامى • تخليدا لذكرى
هذه الأفراح • وربما كانت تسمية
المنيرة ترجع الى هذه الأفراح •

وكان حى المنيرة اسمه تل كوم
العقارب وفيه تم حكم الأعداء
على سليمان الطبقى وزملائه لقتل
كبير خليفة نابليون فى مصر •
وأزيل تل العقارب فى عهد محمد
على • وخطط حى المنيرة فى عهد
اسماعيل (أسماء ومسميات فى
تاريخ وخطط القاهرة لكاتب
المقال) •

سنة ١٨٦٩ • فقد قال على مبارك
(الخطط التوفيقية ج ١٨ ص ١٣٨) :
(أنها تكلفت من أجر أشخاص
ومنقولات وماكولات وغير ذلك
١٨٩٣ر ١٠١١ جنيها انجليزيا •
وأنه لو أضيف الى ذلك أجر
السكك الحديدية وما صرف على
وابورات البحر فى التيل والخليج
المالح • وما صرفته الحكومة على
المبانى فى مدن القنال والقاهرة
وغير الاسكندرية وغيرها •
وما صرف فى الزينة ومهمات •
وشراء عربات ومهمات للسكك
الحديد لأجل المهرجان المذكور
بلغ مصرف هذا المهرجان ما يزيد
على مليون ونصف من الجنيهات •
وذلك قدر السدس من ايراد مصر
سنة كاملة) •

واحتفل اسماعيل بزواج أربعة
من أولاده هم : محمد توفيق
(الخديوى بعده) • حسين كامل
(السلطان حسين) • حسن ، فاطمة
على أربعة من أمراء الأسرة المالكة •
فى يناير سنة ١٨٧٣ • وبولغ فى
الاتفاق على الولائم فى قصور
اسماعيل • سوله فى القصر العالى

وكان على رأس حركة التعليم
ثلاثة رجال : اثنان منهما أزهريا
النشأة وهما رفاعة رافع بك
الطهطاوى - وقد مر ذكره -
وعبد الله باشا فكرى - والثالث
أزهرى النزعة وهو على باشا مبارك
• • • وستكلم عنهما فى المقال التالى
بإذن الله •

محمد كمال السيد

واسراف اسماعيل وماجره من
خراب البلاد معروف • وليس هنا
مكانه • ولكن نذكر لأسماعيل أنه
توسع فى شئون التعليم • فقد
زاد عند المدارس حتى وصل الى
١٣٠١ مدرسة ومعهدا • عدا الأزهر
والمعاهد الأجنبية والمعاهد التابعة
للاوقاف والمدارس الحربية لتعليم
الجيش (تاريخ مصر لعمر
الأسكندرى ص ٢٢٥) •



أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٥٤١ كتبت صحيفة الأهرام في

صدر صفحتها الأولى بخط

عريض عنوانا قالت فيه :

السادات : اذا كانت

مقترحات ييجين غير مقبولة

سأعلن ذلك لمصر والعالم •

وفي هذا العنوان غلطة نحوية

كان من الواجب على الصحيفة

ألا تقع فيها ، هي قولها :

سأعلن ذلك بدون فاء

الجواب •

والفصح أن يقال : فسأعلن

ذلك بدخول الفاء وجوبا على

جواب اذا

واذا في هذا العنوان ظرف

للمزمان المستقبل شرطية ،

والقاعدة تقول : اذا لم يصلح

الجواب لأن يكون شرطا

وجب اقترانه بالفاء ، وذلك

بأن يكون جملة اسمية نحو

قولك من سعى في الخير

فسميه مشكور ، أو جملة

فعلية فعلها طلبى نحو اذا

مرضت فاستشر الطبيب

واعمل بنصحه ، أو جامد نحو

من أفنى سر الصديق فليس

بأمين ، أو مسبوق بـن نحو

ان عصيت أمرى فلن تنال

محبتى ، أو قد نحو ان نهضت

مصر اليوم فقد نهضت من

قبل أو ما النافية نحو ان

تجتهد فما أقصر في مكافأتك

•• أو السين نحو من يتعب

في صفه فسيستريح في كبره

•• أو سوف نحو من ظلم

الناس فسوف يندم •

ومن أمثلة اذا التى نحن

بصدد الحديث عنها قولك :

اترك لى نعمة الايمان يارب :
اذا آمنت الى الناس أعطنى
شجاعة الاعتذار اليهم ، واذا
أساء الناس الى أعطنى
شجاعة العفو عنهم •

وكل جملة من هذه الجمل
يشوبها الفساد ، لأن اذا فيها
شرطية ، وحوابها جملة فعلية
فعلها طلبى ، فلا بد أن يقرن
بالفاء فيقال فى الجملة
الأولى : فاترك لى الأمل ،
وفى الثانية فاترك لى قوة
العناد ، وفى الثالثة فاترك لى
نعمة الايمان ، وفى الرابعة
فأعطنى شجاعة الاعتذار
اليهم ، وفى الخامسة فأعطنى
شجاعة العفو عنهم

ويؤيد كل هذا قوله تعالى :
« واذا حييتم بتحية فحيوا
بأحسن منها »

٥٤٣ ويقولون : وضعنا طعامنا
على السفرة ، وهذا خطأ ،
لأن السفرة هى الطعام الذى
يتخذ للمسافر ، تقول : أكل
المسافرون سفرتهم أى طعامهم

اذا أكثر من عتاب صديقك
فسترى منه الانصراف عنك ،
واذا لم تستعد للسفر مبكرا
فسيفوتك القطار ، واذا
احتقرت الناس فستحس منهم
كرهية لك واشتزازا منك •
ومما يقوم مقام أداة الشرط
وفعله أما ، وهى حرف
تفصيل ، ومنها قوله تعالى
« فأما من أوتى كتابه يمينه
فسوف يحاسب حسابا يسيرا
وينقلب الى أهله مسرورا ،
وأما من أوتى كتابه وراءه
ظهره فسوف يدعو ثبورا
ويصلى سعيرا » •

٥٤٢ وذكرت صحيفة الأهرام فى
صفحتها الأخيرة مما له وثيق
العلة بهذا الباب عدة جمل
يدعو ربه بها الدكتور يوسف
وهبى ، فقد قال :

يا رب اذا جردتنى من المال
اترك لى الأمل ، واذا جردتنى
من النجاح اترك لى قوة العناد
حتى أتغلب على الفشل ،
واذا جردتنى من نعمة الصحة

والفصحى أن يقال : وضعنا طعامنا على الخوان ، وفيه ثلاث لغات ، كسر الخاء ، وهذا هو الأكثر ، وضما حكاة ابن السكيت ، واخوان بهزة مكسورة ، حكاة ابن فارس ، وفي الحديث « حتى أن أهل الإخوان يجتمعون » وجمع المكسور في القلة أخِونة ، وفي الكثرة خُون بالضم ، والأصل خَوْن بضمين ككتب لكن سكن تخفيفا ، ويجوز أن يجمع المضموم في القلة على أخوة كغراب وأغربة

أما الإخوان فيجمع على أخوين كآزهار وأزاهير . ولك أن تقول بدلا من تمييزهم : وضعنا المائدة ، لأن من معاني المائدة الطعام ومن معانيها أيضا الإخوان وعليه الطعام ، فإن لم يكن عليه طعام فهو خوان لا مائدة تقول : ماد الرجل أهله إذا نمشهم ، وامتادوه فمادهم ، قال :

ياخيرا تمسا وخيرا والدا
وكنتم للمسودين سائدا
وكنتم للمتجبن مائدا
أى ناعشا من سيدهم ،
والمائدة فاعلة بمعنى مفعولة
لأن المالك مادها للناس أى
أعطاهم إياها وميد بفتح
فكون لغة في ييد بمعنى
غير ، وفي الحديث « أفا
أفصح العرب ييد أنى من
قرش ، ونشأت في بنى سعد
ابن بكر » وقيل معناه ، من
أجل أنى .

٥٤٤ وهم يخطئون في بعض أسماء
النباتات والبقول وبعض
ما يؤكل ، أما في المعانى وأما
في الضبط .

١ - من ذلك قولهم لنبت
ممرور خبيزة بالضم
وتشديد الباء مكسورة ،
والصواب خبْزَازى بضم
الخاء مع تشديد الباء ،
وخبازى بالتخفيف ، وخباز
وزان قهاز ، وخبازة وزان
تماحة ، وخبيز بالضم
وتشديد الباء مفتوحة .

الذهب والفضة والتحاس
وغيرها •

٧- وقولهم لبقلة جيدة لوجع
المفاصل واليرقان ولوجع
الكبد وللإستقاء ، ونهش
الافاعي والمقارب ، وبعد
الطعام تهضم وتلين فجل
يكسر فسكون وزان قرد ،
والصواب فجل بالضم وزان
برج الواحدة بهاء •

٨- وقولهم لبقيل مسخن مدر
جدا ، جيد للنسيان والربو •
والسعال المزمن يجلو ويحل
ويسر النفس ثوم بفتح
فسكون ، والصواب ثوم
بالضم •

٩- وقولهم لعلواء معروفة
فالوذج والصواب فالوذ
بدون جيم أو فالوذق بالقاف
بدلا من الجيم ، قال يعقوب :
ولا يقال فالوذج •

٥٤٥ وينكرون أن يقال : وهبتك
مالا ، أى بتعدية العمل الى
مفعولين بنفسه ، والحق أن

٢- وقولهم لحب نافع ملين
مدر مقو للبذن : حمص
بضمتين •

ثانيتها مشددة ، والصواب
حمص بكسر الحاء وتشديد
الميم مفتوحة على رأى المبرد
بتشديدها مكسورة وزان
عليز وهو القصير على رأى
ثعلب •

٣- وقولهم لنبات فيه قوة
جالية غسالة ينفع الصدر
والظهر ملين : سبانخ ،
والصواب اسفاناخ كسر
الهمزة •

٤- وقولهم لبقلة معروفة
جرجير بفتح فسكون ،
والصواب جرجير ، وجرجير
بكسر فسكون فيهما •

٥- وقولهم لبقيل معروف
خص بفتح الخاء وتشديد
الصاد ، والصواب خص
بالسين بدلا من الصاد •

٦- وقولهم شبت وزان سبب
والصواب شبت وزان فلز
وهو اسم جامع للجواهر من

ذلك جائز كما يستبان
مما يأتي :

والأصل في هذا الفعل أن
يتعدى الى مفعولين ، بيد
أن كثرة تعديه لأولهما باللام
ولثانيهما بنفسه كما في قوله
تعالى : « الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر اسماعيل
واسحاق » وقوله : « ووهبنا
له من رحمتنا أخاه هارون
نبيا » وقوله « ووهبنا لداود
سليمان » وقوله « يهب لمن
يشاء اناثا ويهب لمن يشاء
الذكور » وقوله « فهب لي
من لدنك وليا يرثني » وقوله
« ربنا هب لنا من أزواجنا
وذرياتنا قررة أعين »

وقد يكون ذلك بالمعكس أي
أنه يتعدى الى الأول بنفسه ،
والى الثانى باللام كما في
قوله سبحانه : « وامرأة
مؤمنة ان وهبت نفسها
للنبي »

وقد يكتفى بالمعدي اليه
باللام ، ويحذف المعدي

اليه بالنفس كما في قوله عز
وجل « ووهبنا لهم من
رحمتنا وجعلنا لهم لسان
صدق عليا » أي وهبنا لهم
من رحمتنا النبوة والكتاب
والأموال والأولاد . وقوله :
« رب هب لي من الصالحين »
أي رهب لي ولدا يعينني على
الطاعة ويؤنسني في الغربة ،
ولذا قال تعالى بعد ذلك :
« فيشرناه بفلام حلیم » .
وقال ابن القوطية والسرقسطي
وجماعة : ولا يتعدى الى
الأول بنفسه الا اذا ضمن
معنى جعل كما في قولهم :
وهبني الله فذاك أي جعلني
فذاك

ولكن جاء في المخصص جزء
١٢ ص ٢٢٧ مانصه : « ذكر
أبو علي أنه سمع أعرابيا
يقول لآخر : اطلق معي
أهبك نبلا » حكاه أبو سعيد
السيرافي

وقد نبه هبة الله بن الشجري
في أماليه النحوية على جواز

المعل للامر فقط ولا يستعمل
منه ماض ولا مستقبل ،
قال :

فهبها أمة هلكت وأودت^(١)

يزيد امامها وأبو يزيد

٥٤٦ في صدر صحيفة الأهرام

عنوان كتب بخط عريض هو

حقيقة الصراع السياسى فى

تونس ، هل يتولى الجيش

السلطة ليوقف حدة الصراع ؟

وفى هذا العنوان غلطة تدل

على جهل قائلها بلغة العرب

هى قوله : ليوقف حدة

الصراع بالفعل الرباعى ،

والصواب أن يؤدى ذلك

بالفعل الثلاثى فيقال : ليقف

حدة الصراع

وبيان ذلك أن الفعل الرباعى

أوقف يوقف لا يستعمل

الا فى قولك :

كلمنى فلان فأوقت أى

أمسكت عن الحجة عيا ،

وأوقف فلان عن الأمر اذا

أمسك وأقطع .

تعديته بنفسه الى مفعولين ،

وقال ابن هشام فى المغنى

جزء ١ ص ١٦٩ : ان العرب

حذفت اللام من الأفعال

المتفردة اليها ، كما فى قوله

تمالى : « والقمر قدرناه

منازل » أى قدرنا له ، وقوله :

« واذا كالوهم أو وزنوهم

يخسرون » أى كالوا لهم أو

وزنوا لهم ، وكما قالت

العرب : وهبتك ديناراً أى

أى وهبت لك ، وجنيتك ثمرة

أى جنيت لك ثمرة ، قال

الشاعر :

ولقد جنيتك اكما^(٢) ومسا^(٣)

ولقد هبتك من نبات الأوبر^(٤)

مما عرضنا آفها اتضح أنه

يجوز أن يقال : وهبتك مالا ،

بيد أن الأفضح أن يقال

وهبت لك مالا كلغة القرآن

الكريم .

ويقال : هبنى فعلت كذا أى

احصينى واعددتنى ، وهذا

(١) الاكما : نبات

(٢) المسائل الكماء للواحد عسقل وعسقول .

(٣) نبات أوبر : ضرب من الكماء صيفار مزغبة بلون التراب .

(٤) أودت : هلكت ، تقول أودى الرجل اذا هلك فهو مود .

قال صاحب القاموس : ليس في فصيح الكلام أوقف الا لهذا المعنى •

وقال صاحب المختار : قولهم أوقف فلان الدار بالالف لغة رديئة ، وليس في الكلام أوقف الا حرف واحد • هو أوقفت عن الأمر الذي كنت فيه أى أقلت

وقال صاحب المصباح : الواجب أن يقال : وقتت بغير ألف في جميع الباب الا في قولك لآخر : ما أوقفك هنا ؟ وأنت تريد أى شيء حملك على الوقوف هنا ؟

فان سألت عن شخص قلت : من وقفك بغير ألف

ويقال : وقف الرجل ابنه على ذنبه اذا أطلعه عليه ، ووقت الدابة تقف وقوفا ، ووقفها راعيها من باب وعد وقفا ، ووقت الدار للمساكين وقفا أى حبستها في سبيل الله ، ووقت الرجل عن الشيء منعه عنه ووقت

بعرفات وقوفا شهدت وقتها ، وقتت الأمر على حضور فلان أى عقلت الحكم فيه بحضوره ، ووقت قسمة الميراث الى أن تضع زوجة المتوفى أى أخبرت القسمة حتى تضع •

٥٤٧ وفي الصحيفة نفسها عنوان آخر قالت فيه (المهمة الخاصة التي كلف بها الرئيس وزير الاسكان لحل كل مشكلات الصيادين في بحيرة ناصر) •

وفي هذا العنوان خطأ بين ، وذلك لأن كلف المضعف لا بد أن يتعدى بنفسه الى مفعولين كما في قوله تعالى : « لا يكلف الله قسرا الا وسعها » ، أما الثلاثي فقد يكون لازما كما في قولك كلف الرجل المرأة من باب تعب كلفا اذا أحبها وأولع بها فهو بها كلف ، وقد يتعدى الى واحد كما في قولك : كلفت الأمر من باب

تعب أيضا اذا حملته على
مشقة .

والتكاليف المشاق واحدهما
تكلفة بكسر اللام ومن هذا
قول زهير

سئمت تكاليف الحياة ومن يش
لعائن حولا لا ابالك بسام

والتكلفة بضم الكاف المشقة ،
يقول : ليس عليه كلفة أى
مشقة ، وفي المثل

« من لم يصبر على الكلف
لم يصل الى الزلف » والزلف
جمع زلفة وهى القربة والمنزلة
والدرجة .

٥٤٨ ويقولون : قلّس علينا فلان
تقليسا ، يعنون أنه سخر
منهم واستهزا بهم وهذا
التعير فاسد ، لأن للتقليس
معانى عدة لا صلة لكل منها
بالسخرية .

أحدها : الغناء والضرب
بالدف حين استقبال الولاة
عند قدومهم والاحتفاء بهم
والمقلسون هم الذين يلعبون

فى الأعياد بين أيدي الأمراء
بالسيوف والحرايا ،
ويضربون الطبول ، وفي
الحديث « لما قدم عمر الشام
لقىه المقلسون بالسيوف
والريحان وأصناف اللها » .
قال الكميت : ثم استمر يفنيه
الذباب كما غنى المقلس
بطريقا بمزمار

والثانى : وضع اليدين على
الصدر ، تقول : قلّس الذمى
اذا وضع يديه على صدره .
والثالث : الخضوع وإظهار
الهيئة لأحد الأمراء ، قال
الفرزدق :

اذا ما رأونا قلّسوا من مهابة
ويسعى علينا بالطعام جرير
٥٤٩ ويقولون : نستدق ،
(بالدقاية) بتشديد القاء ،
وكلمة الدقاية لا تعرفها
العرب ، لأنها عامية ،
والفصحى أن يقال : نستدق .
بالمصطفى ، أو بالمدقاة بكسر
الميم .

أما المصطلح فهو اسم مكان من الاصطلاء بمعنى الاستدفاء .. وبمنه قوله تعالى : « لعلكم تصطلون » ويطلق المصطلح على الموضع الثابت في الحائط ، وأما المدفأة فهي اسم آلة من الدفء وتطلق على الأداة المنقولة للاستدفاء ، وتضاف الى مصدر الحرارة فيقال مدفأة الكهرياء ومدفأة البخار ، ومدفأة النفط .

٥٥٥ ويقولون : تقضى الحاجة في « الأدبخانه » أو في (الكابنيه) وكلا هذين اللفظين أعجمي ، والصواب أن يستبدل بهما أحد الألفاظ الآتية التي وضعتها العرب لهذا المعنى .

١ - الكنيف وزان أمير ، وسمى بهذا لأنه يكنف قاضى الحاجة ويستره عن الأنظار ، جمعه كنف بضمين .

٢ - المرحاض بالكسر وأصله المقشسل ، تقول رحضت

الثوب رحضاً من باب فح إذا غسلته ثم كنى به عن الكنيف لأنه موضع غسل النجس ، وجمعهم مسراحيض ، وفي الحديث « وجدنا مراحيضهم قد استقبل بها القبلة » .

٣ - المستراح بضم الميم اسم مكان من الاستراحة وهي زوال المشقة والتعب ولذا يسمى بيت الراحة .

٤ - الخلاء بالفتح وهو في الأصل مصدر ثم استعمل في المكان الخالي ، ثم في الموضع المتخذ لقضاء الحاجة لا للوضوء كما قال بعضهم ، وقال الترمذى : سمي باسم شيطان فيه يقال له خلاء ، وأورد فيه حديثاً ، أو لأنه يتخلى فيه أى يتبرز فيه ، جمعه أخليه .

٥ - الغائط ، قال المختار : قولهم أتى فلان الغائط ، أصله المطمئن الواسع من الأرض ، وكان الرجل منهم إذا أراد أن يقضى الحاجة أتى الغائط وقضى حاجته ،

فقل لكل من قضى حاجته قد
أتى الغائط يكنى به عن
العذرة ، وقد تفوط .

٦ - البراز بالفتح هو القضاء
الواسع ، تقول : تبرز الرجل
إذا خرج إلى البراز لقضاء
الحاجة ومن الكناية قولك :
خرج الرجل إلى البراز
وتبرز ، والبراز بالكسر كناية
عن الغائط .

٧ - المنصع بزنة مقعد ، ففى
الأساس خرجوا إلى المناصع
وهى المبارز ، ونصموا إليها
أى برزوا ، وفى القساموس
والمناصع المجالس أو مواضع
يتخلى فيها لبول أو حاجة ،
الواحد كمقعد .

٥٥١ ويقولون لمن يخرج من فمه
ريح مع صوت عقب الشبع
من الطعام ، أو الرى من
الماء : هو يتكرع تكرعا ،
وهذا من أوهام العوام ،
والصواب أن يقال : هو
يتجشأ تجشؤا وزان يتجمل
تجملا والاسم الجشاء بالضم

وزان غراب ، وفى المثل
« تجشأ لقمان من غير شبع »
يضرب فيمن يتحلى بغير
ما هو فيه ، تقول لمن تجشأ
أمامك : ما بك إلا الغداء
والعشاء والكظة والجشاء ،
ويقال : جشأت نفسه
جشوءا من باب قعد إذا
نهضت : وجاشت من حزن
أو فزع وثارت للقيء
وجاشت الغنم إذا أخرجت
صوتا من حلقها : وجاشت
الأرض إذا أخرجت جميع
نباتها : كما يقال قاءت الأرض
أكلها ، قال عمر بن الخطاب :
أقول لها إذا جشأت وجاشت
مكانك تحمدى أو تستريحي
أما التكرع فهو التوضؤ ،
تقول : تكرع الرجل إذا
توضأ ، لأنه يفسل أكارعه ،
وتكرع فى الماء أو فى الاناء من
بابى سمع ومنع كرها ،
وتكروعا أيضا إذا تناوله بفيه
من موضعه .

٥٥٢ ويقولون لما يحصل عليه

الرجل من رشوة ونحوها
حلوان بثلاث فتحات ، وهذا
غير سليم والفصحح أن يقال
له حلوان بضم فسكون ،
تقول لمن أدى اليك خدمة
لأحلونك حلوانك أى
لأجزيتك جزاءك .

والحلوان أيضا أجرة الدلال ،
وأجرة الكاهن ، وفي الحديث
« نهى عن حلوان الكاهن »
وهو ما يعطاه على الكهانة ،
وكذلك هو مهر الفتاة ، تقول
أخذ الرجل حلوان ابنته أى
مهرها والبسلة أجرة الراقي ،
والبركة أجرة الطحمان ،
كلتاهما وزان غرفة ، والنول
وزان القول هو جمل
السفينة .

٥٥٣ ويقولون : لا بد من ملافاة

هذه المسألة ، يعنون تداركها
وتركها ، والصواب أن يقال
لا بد من تلافى هذه المسألة .
تقول : تلافيت التقصير اذا
تداركته وعملت على تركه ،

وهذا أمر لا يتلافى أى
لا يدرك ويترك ، وتقول :
جاء فلان بالعمل المتنافى ولم
يعقبه بالتلافى ، أى جاء بالخطأ
ولم يعمل على تركه .

أما الملافاة فليست عربية ،
اذ لم يرد عن العرب لافى
يلافى ملافاة ولفاء بكسر اللام
وانما ورد اللفاء بفتح اللام ،
ومعناه الخيس الحقيق من
كل شيء ، تقول : رضى فلان
من الوفاء باللفاء ، أى من
حقه الوافر بالقليل الحقيق .

٥٥٤ ويقولون : يعمل المجدد على

نوال المكافأة ، والصواب أن
يقال : يعمل على نيل المكافأة
تقول : نال المجدد المكافأة
ينالها نيلا ومنالا اذا أصابها ،
وتقول : ما أصبت منه فولة

أو ما أصبت منه نيلا أى لم
أحصل منه على معروف .

أما النوال والنائل والنال
فمعناها العطاء ومثلها النيل ،
تقول : نلت فلانا ونلت له
ونلت به وأنلت المال ونولته ،

ونولت عليه ونولت له اذا
أعطيته ، ورجل نال أى جواد
أو كثير النائل ، قال :
اذا كان مالا كان نالا مرزاً^(١)
ونال نداه كل داء وجانب^(٢)

٥٥٥ ويقولون : نده الرجل ابنه
أو خادمه ، يعنون أنه صاح
به يطلب اقباله ، وهذا خطأ
والصواب أن يقال : ناداه
مناداة ، ونداه من باب قاتل ،
كما في قوله تعالى : « ونادى
نوح ابنه »

أو يقال : نادى الرجل بابنه
كما في قوله سبحانه « ونودوا
ان تلکم الجنة أورثتموها »
أى بأن تلکم الجنة ، وتقول
نادى فلان بـره اذا أظهره ،
ويقال أيضا نادى لكذا ومنه
قوله تعالى « اذا نودى
للصلاة من يوم الجمعة فاسموا
الى ذكر الله » ونادى الى
كذا ، ومنه قوله جل شأنه
« واذا ناديتم الى الصلاة
اتخذوها هزوا ولعبا » .

ويقال : تنادوا اذا نادى
بعضهم بعضا ومن هذا قوله
تعالى « فتنادوا مبحين »
وتنادوا أيضا اذا تجالسوا في
النادى .

أما النده فهو الزجر والطرده
والسوق ، تقول : نده الراعى
البعير اذا زجره وطرده
بالصياح ، ونده الابل اذا
ساقها مجتمعة ، وكان طلاق
الجاهلية اذهبى فلا أنده
سربك أى لا أرد ابلك لتذهب
حيث شئت ، والنده بالفتح
والضم الكثرة من المال .

٥٥٦ ويقولون لشر معروف
(بدفجان) وهذه كلمة
عامية ، والفصح أن يقال له
بادفجان معرب ، وهو عند
العرب الأنب بفتح كل من
الهمزة والنون ، والمفد بفتح
فسكون ، وقد تفتح الفين ،
والرغد بفتح فسكون ،
والكهكب وزان جعفر .

(١) المرزا : الكريم يصيب الناس من عطائه .

(٢) الدانى والجانب : القريب والبعيد .

٥٥٧ ويقولون : سقينا ضيوفنا
(الكازوزة) وهذه كلمة
عامية ، ولو استبدلوا بها
كلمة القازوزة لكان ذلك
صوابا على سبيل المجاز
المرسل باطلاق المحل من ارادة
الحال ، وذلك لأن القازوزة
هى القارورة الزجاجية
الصغيرة ، أما القارورة
العظيمة .

أسفلها فتسمى الحوطة .
والحرقة هى القارورة
الطويلة العنق ، وجمع
القارورة قوارير ، ومن قوله
تعالى : « ويطاف عليهم بآنية
من فضة وأكواب كانت
قوارير قوارير من فضة
فدروها تقديرا » .

ولسداد القارورة أسماء هى
الصمام ، والصماد ، والملاص
بكسرهن ، تقول :

علمت القارورة اذا عالجتها
لتستخرج منها علها صها وهو
صمامها .

٥٥٨ ويقولون : فلان حائز على
كثير من الشهادات ، فيعدون
اسم الفاعل يعلى
والصواب أن يعدى الى
المفعول بنفسه كما يعدى
فعله ، تقول : حاز فلان
كثيرا من الشهادات يحوزها
حوزا ، وحيازة من بابى قال
وكتب ، وكل من ضم شيئا
الى نفسه فقد حازه واحتازه ،
ويقال لمن تكح المرأة قد
حازها واحتازها .

وفى معنى آخر يقال : حاز
الراعى الابل اذا ساقها الى
الماء مجتمعة ، وانحاز فلان
عن القوم اذا اعتزلهم ، وانحاز
اليهم وتحييز اذا انقسم اليهم
ومن الأخير قوله تعالى :
« أو متحييزا الى فئة »
ولاصلاح عبارتهم ينبغى أن
يقال : هو حائز الشهادات
الكثيرة بتووين اسم الفاعل ،
أو حائز للشهادات بلام
التقوية ، كما فى قولك ان
يحدثك انى فاهم لكل
ما تقول وكما فى قوله تعالى :

« ان ربك فعال لما يريد »
وقوله « نزل عليك الكتاب
بالحق مصدقا لما بين يديه »

٥٥٩ في صحيفة الأهرام عنوان
كتب بخط عريض هو :
(السادات أكد على ضرورة
الحل الشامل) •

وهذا العنوان مشوب بالغلط ،
لأن الفعل أكد يتعدى بنفسه
دائما الى المفعول به ،
ولا تستعمل معه كلمة على
أبته ، وإنما يقال : أكد الرجل
الخبر ، وأكد الفتى ثبوت
رؤية هلال رمضان ، أى أنه
قواه ووثقه فتأكد ، ومثله فى
المعنى قولك وكنت الخبر
توكيدا فتؤكد وهو بالواو
أفصح ، ومنه قوله تعالى :
« ولا تنقضوا الأيمان بعد
توكيدها » •

والفصح أن يقال : السادات
أكد أو وكد ضرورة الحل
الشامل •

ومما يدل على أن الفعل
المضغف المذكور يتعدى بنفسه

أن الثلاثى يتعدى بنفسه أيضا
فيقال : وكد المتماقدان المتقد
وكودا اذا أوثقاه ، وكذا أكد
الفلاح الحنطة اذا داسها •

والتأكيد والتوكيد عند النحاة
نوعان : لفظى وهو اعادة
الأول بلفظه نحو قولك
طلعت الشمس طلعت الشمس
ومنه قول المؤذن الله أكبر
الله أكبر ، ومعنوى كما فى
قولك حضر الملك نفسه ،
وفائدة التوكيد رفع توهم
المجاز لاحتمال أن يكون
المعنى حضر وزيره أو نائبه
أو أخوه أو نحو ذلك •

والمؤكد القائم المستعد
للأمر ، ومثل أكد الشيء
تأكيدا ووكدته توكيدا قولك :
أكدته وأؤكدته إيكادا وأصل
الإيكاد من قولك أؤكدته :
أؤكد بالكسر ، قلبت الواو ياء
لناسبة كسر الهمزة قبلها •

٥٦٠ وشاع فى الصحف وعلى
السنة كثير من المتأدين
قولهم : لا بد وأن تفعل

كذا ، وهذا خطأ لأن الواو لا تؤدي أى معنى كما أنها ليست زائدة ، والصواب أن يقال لا بد أن تفعل كذا ، وتكون لا نافية للجنس ، وبد اسمها ، وخبرها الجار والمجرور بعدها ، اذ أن الأصل لا بد من أن تفعل ، ثم حذفت من حذفاً مطرداً مع أن ، ومثل ذلك قولك لا محالة أن تفوز أى فى أن تفوز ، ثم حذقت فى حذفاً قياسياً ، ويان ذلك أن الجار يطرده حذفه مع أن المشددة وأن المخففة كما فى قوله تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات » أى بأن لهم جنات ، ومن هذا الباب لا جرم عند الفراء فقد قال : انها بمنزلة لا رجل ومعناها لا بد ومن بعدها مقدرة ، تقول : لا جرم

أنك تؤدي الواجب ، ومثل هذا قوله تعالى : « لا جرم أن الله يعلم ما يسرون » أما سيوية فقد قال ان لا رد على الكفرة فيما زعموا ثم ابتدء بعدها بجمله ، وكلمة جرم فعل لا اسم ومعناها وجب وثبت ، والمصدر المؤول فاعل .

وحكى الفراء أن بعض العرب ينزلها منزلة اليمين فيقول : لا جرم لا تينك ، ولذا أجيبت باللام كما يجاب بها القسم ، وعلى هذا يكون الجواب مغنيا عن الخبر عند الفراء ، ومغنيا عن الفاعل عند سيوية ، وقد يحذف خبر لا اذا علم فى قوله تعالى : « لا ضير انا الى ربنا متقلبون » أى لا ضير علينا عباس أبو السعود

حكم... و طرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

تعرفه عنه ، فان لك الاجر وعليه
الوزر ، وخرج الرجل من عند
الرسول - صلوات الله وسلامه عليه
- مسرورا محبوبا .

((المواساة))

المواساة للمؤمنين انواع : مواساة
بالمال ومواساة بالجاء ، ومواساة
بالبدن والخدمة ، ومواساة
بالنصيحة والارشاد ومواساة
بالدماء والاستغفار لهم ،
ومواساة بالتوجه لهم وعلى قدر
الايمان تكون هذه المواساة ، فكلما
ضعف الايمان خففت المواساة
وكلما قوى قوى وكان رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - اعظم
الناس مواساة لاصحابه بذلك كله ،
وفى يوم شديد البرد شوهده « بشر
الحافى » وقد تجرد وهو ينتفض
فقيل له : ما هذا يا ابا نصر ؟ قال :
ذكرت الفقراء وبردهم وليس لى
ما اواسيهم به ، فاحببت ان
اواسيهم فى بردهم .

((اوصيك باربع))

جاء رجل من اقصى البادية ،
الى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - وحده قائلا : يا رسول الله
انك تعلم ان السفر بيننا وبينك
طويل ، وان اهل البادية غلاظ
القلوب ، وجئتك لاستفيد بشئ
من علمك ، انفع به نفسى واهلى ،
فقال رسول الله - صلوات الله
وسلامه عليه : اوصيك باربع :
استمسك منها بالثنتين ، وابعد عن
النتين اما ما انصحك بالاستمسك
به : فهو ان تتحلى بالاخلاق الكريمة
الفاضلة يحبك الله والناس ، وامرك
بالمعروف بين اهلك وعشيرتك ،
ولو بعل جرة ، فان الحسنة مهما
صغرت فلها جزاء الحسنى عند الله

اما ما انهاك عنه : فابالقول الكفر ، فانه
مقضب لله ، لان الله سبحانه وتعالى
لا يرغبى لانس ان يشاركه العزة
والكبرياء ، وهما لله وحده ، وان
استباح انسان لنفسه ذلك ، غضب
الله عليه وحرمه عز الدنيا ونعيم
الآخرة .

اما الثانية : فان سيك احد بما
هو فيك ، وآلمك أشد الالم بعيب
يعرفه عك ، فلا تسه ات تعيب

فانما هو خير تقدموى اليه ، او
شر تضعونه عن رقابكم . ثم بكى
فقل له : ما بك ؟ قال خسر
السماء لا ادري الى جنة ينطلق بي
او الى نار !!

« حسن التخلص »

صمد خالد بن عبد الله القسري
النسر في يوم جمعة ، وهو اذ ذاك
على مكة ، فذكر الحجاج ، فحمد
طاعته واثنى عليه .

فلما كان في الجمعة الثانية ورد
عليه كتاب سليمان بن عبد الملك ،
يامره فيه بشتيم الحجاج ونشر
عيونه ، واظهار البراءة منه ، فصعد
المنبر ، فحمد الله واثنى عليه ، ثم
قال : ان ابليس كان ملكا من الملائكة
وكان يظهر من طاعة الله ما كانت
الملائكة ترى له به فضلا ، وكان الله
قد علم من غشه وجبته ما خفى على
الملائكة ، فلما اراد فضيخته امره
بالحدود لادم يظهر لهم ما كان
يخفيه عنهم ، فلمنوه .

وان الحجاج كان يظهر من طاعة
امير المؤمنين ما كنا نرى له به
فضيلا ، وكان الله اطلع امير
المؤمنين من غشه وخبثه على ما خفى
عنا فلما اراد الله فضيخته اجري
ذلك على يدى امير المؤمنين فلعله ،
فالمنوه لعنه الله ، ثم نزل .

« عبد الملك والفسال »

لما ثقل عبد الملك بن مروان : راي
عسلا يلري بيده ثوبا ، فقال :
وددت لو اتي كنت فسالا لا اعيش
الا بمسا اكسبه يوما فيوما ، فبلغ
ذلك ابا حازم فقال : « الحمد لله

« لست بشاعر »

طغر طغلى الى قوم ذاهبين ،
فلم يشك انهم في دعوة داهيون
الى وليمة ، فقام وبعهم فاذا هم
شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح
لهم ، فلما انشد كل واحد شعره
واحد حائزه لم يبق الا الطفلى ،
وهو حائس ساكت ، فقال له :
انشد شعرك فقال لست بشاعر ،
فقل له : فمن انت ؟ قال : من
الساويين الذين قال الله فيهم ا
« والشعراء تبعهم الفاوون »
بضحك السلطان وامر له بحائزة
الشعراء .

« نصيحة سيدنا عمر عند موته »

لما طعن سيدنا عمر بن الخطاب
- رضى الله عنه - دعا بلن فشربه
فخرج من طعنه فقال : الله اكبر ،
محمل جساؤه شون عليه فقال :
وددت ان اخرج منها كفاها كما
دخلت فيها ، لو ان لى اليوم ما طلعت
عليه الشمس وغربت لا فتديت به
من هول المطلق .

قال ابن عمر : ولما حضرت الوفاة
عمر فشي عليه ، فاخذت راسه
فوضعتها في حجرى فقال : ضع
راسى بالارض لعل الله يرحمنى ،
فمسح خديه بالتراب وقال : ويل
لعمري ، ويل لامة ان لم يفسر له ،
فقلت : وهل فضيضى والارض الا
سواء يا ابتاه ؟ فقال : ضع راسى
بالارض لا ام لك كما امرك ، فاذا
قضيت فاسرعوا بي فى حفرتى ،

قال : أكثرهم أحساناً ، وأقومهم
ميزاناً ، وأدومهم فقراتاً ، وأوسمهم
ميداناً .

فقال الحجاج له أبوك : فمن
العاقل ؟ ومن الجاهل ؟

قال : أصلح الله الأمير !
العاقل الذي لا يتكلم هدراً ، ولا ينظر
هدراً ، ولا يضمر هدراً ، ولا يطلب
هدراً ، والجاهل هو المهدار في
كلامه ، المنان بطعامه ، الضنين
بسلامه ، المتطاول على أمامه ،
الفاحش على غلامه .

قال : له أبوك ! فمن الحسبازم
الكبي ؟

قال : القبل على شأنه ، التارك لما
لا يعنيه .

قال : فمن العاجز ؟

قال : المعجب بأرائه ، المنفت إلى
ورائه .

قال : هل عندك من النساء خبر ؟

قال : أصلح الله الأمير ! أتى
بشانهن خبر ، أن النساء من أمهات

الأولاد بمنزلة الإضلاع ، أن عدلتها

انكسرت ، ولهن جوهر لا يصلح إلا

على المداراة ، فمن دارهن انتفع

بهن ، وفرت عينه ، ومن شاورهن

كدون عيشه ، وتكدرت عليه

حياته ، وتنفست لذاته ، فأكرمهن

اعفهن ، وافخر أصحابهن العفة .

فاذا زل منها فهن أنتن من الجيفة .

الذي جعلهم يتمنون منسد الموت
ما نحن فيه ، ولا نتمنى عنده ما هم
فيه .

« الحجاج والفضبان ابن القبعثري »

سأل الحجاج يوماً الفضبان (١) ابن
القبعثري من مسائل يمتحنه فيها ،
قال له : من أكرم للناس ؟

قال : أعتقهم في الدين ،
وأصدقهم في اليمين ، وأبذلهم
للمسلمين ، وأكرمهم للمهائنين ،
وأطعمهم للمساكين .

قال : فمن الأم للناس ؟

قال : المعطى على الهوان ، المقتر
على الإخوان ، الكثير الألوان .

قال : فمن شر الناس ؟

قال : أطولهم جفوة ، وأدومهم
صبوة ، وأكثرهم خلوة ، وأشدهم
قسوة .

قال : فمن أشجع الناس ؟

قال : أضربهم بالسيف ، وأقراهم
للضيف ، وأتركهم للحيث (٢) .

قال : فمن أجبن الناس ؟

قال : المتأخر من الصفوف ،
المتقبض من الزحف ، المرتعش

عند الوقوف المحب لظلال السقوف
الكاره لضرب السيوف .

قال : فمن خير الناس ؟

(١) الفضبان بن القبعثري : من أشراف العراق ، وكان من دعاء الروائية

أيام حرب عبد الملك بن مروان مع مصعب بن الزبير . (٢) الحيث :

الجور والظلم .

« أتعبت الخلفاء من بعدك »

راى على بن ابي طالب عمر وهو يعدو الى ظاهر المدينة ، فقال له : الى اين يا امير المؤمنين ؟ قال : قد شردت بعير من ابل الصدقة فانا وراءه اطلبه !! . فقال على بن ابي طالب : « أتعبت الخلفاء من بعدك ! . يا عمر » وهكذا كان حرصهم على مال الله وحق الفقراء والمساكين .

« عجبت . . . ! »

قال الامام جعفر الصادق - رضى الله عنه - عجبت لمن ابتلى بخصس كيف يفعل من خصس ! عجبت لمن ابتلى بالضر ، كيف يذهب عنه ان يقول : « انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين » والله تعالى يقول : « فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر » وعجبت لمن ابتلى بالفم ، كيف يذهب عنه ان يقول : « لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين » والله تعالى يقول : « فاستجبنا له ونجيناه من الفم وكذلك ننجي المؤمنين » وعجبت لمن خاف شيئا كيف يذهب عنه ان يقول : « حسينا الله ونعم الوكيل » والله تعالى يقول : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » .

وعجبت لمن مكر به ، كيف يذهب عنه ان يقول : « وافوض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد » والله تعالى يقول : « فوقاء الله سيئات ما مكروا » .

وعجبت لمن انعم الله عليه بنعمة خاف زوالها ، كيف يذهب عنه ان يقول : « ما شاء الله لا قوة الا بالله » والله تعالى يقول : « ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قسوة الا بالله » .

« العلم والعمل »

الدنيا كلها ظلمات ، الا موضع العلم ، والعلم كله هباء ، الا موضع العمل والعمل كله هباء ، الا ما كان خالصا لوجه الله الكريم . قال جل وعلا : « الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى » .

« لا تحرمنا »

قيل لاعرابي : اتحسن ان تدعو ربك ؟ قال : نعم . . ثم قال : « اللهم انك اعطينا الاسلام من غير ان نسالك ، فلا تحرمنا الجنة ونحن نسالك » .

عبد الحفيظ محمد عبد العظيم

باب الضاوى

الأستاذ عبد الحميد شاهين

س :

— فى الوقت الذى نرى فيه بشائر
صحوة اسلامية تسرى فى كيان
الأمة الاسلامية كلها ، نرى عدوانا
شرسا على المسلمين فى كل مكان ،
وتواطؤا بين قوى البغى والعدوان
العالمية لاجهاض هذه الصحوة ،
والاستمرار فى اخضاع المسلمين
واذلالهم ، وقد بلغ ذلك المدون
مداه عندما اجتاح المدون
الشيوعى الآثم تحت سمع العالم
وبصره شمس أفغانستان المسلم !!!
فما هو واجب المسلمين شعبيا
وحكومات ؟ وما هو حكم من
يؤيد هذا المدون وأمثاله ؟

ج :

— المعركة بين الاسلام وأعدائه
معركة قائمة منذ دعا النبى
محمد عليه الصلاة والسلام اليه
حتى اليوم وهى دائمة بين المسلمين
وأعداء الاسلام حتى يمز الله دينه
« يقوم يحبهم ويحبونه » ، أذلة
على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ،
يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله واسع عليم » (١) .
نعم انه الجهاد بكل ما تعمله
هذه الكلمة من معنى ، الجهاد
بالنفس ، والجهاد بالمال ، والجهاد
بالعلم ، وهو الجهاد الفردى
والجهاد الجماعى ، انه الجهاد العام
الشامل الذى يبذل فيه كل مرتخص
وغال ، انه جهاد الشعوب وجهاد

(١) الآية ٥٤ من سورة المائدة

هذه الحرب فقد خرجت على الله
ورسوله ، خرجت على تعاليم الله
وتعاليم رسوله صلى الله عليه
وسلم .

اننا ندعو باسم الأزهري وباسم
علماء الاسلام جميع الدول
الاسلامية في أى موقع من أرض
الله أن تبذل أقصى ما تستطيع من
المال ، تبذل أقصى ما تستطيع من
السلاح ، تبذل أقصى ما تستطيع
من الرجال ، وهذا البذل فرض
محتم وواجب مقدس .

وقد آن الأوان أن تنفق أموال
المسلمين المكسدة في البنوك
الأجنبية في سبيل الله . انه ما دامت
هذه الحرب الاسلامية بكل
ما تحمله من أبعاد ، فإن منطق
الايان لا يرضى بالاكتماء من بعض
الدول الاسلامية بكلمات التشجيع
أو بكلمات الشناء ، وانما يرضى
هذا المطلق بالعمل الجاد .

ان الله سبحانه وتعالى يقول :
« اهزوا خفافا وثقالا وجاهدوا »

الحكومات الاسلامية ، لا يتخلف
عنه متخلف ولا يتخاذل عنه
متخاذل ، ويوم يصرف أعداء
الاسلام أن المسلمين قد شهروا
في وجوههم سلاح الايمان ورفضوا
راية الجهاد سوف يمودون الى
جحورهم مهزومين حتى قبل أن
يلتقوا بالجنود المؤمنة « ان الله
يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
كانهم بنيان مرصوص » (١) .

وقد أعلنها فضيلة الامام الأكبر
الدكتور عبد العظيم محمود يوم
أن خاض المسلمون معركة العاشر
من رمضان (والمعركة واحدة)
قال رحمه الله :

أيها الأخوة المؤمنون (٢) :
باسم علماء الاسلام بعامة نعلن
أن الحرب التي فحوضها فريضة
عينية على جميع المسلمين في جميع
أقطار الأرض ، على كل مسلم
وعلى كل مسلمة ، وعلى كل دولة ،
وعلى كل جماعة وعلى كل قطر ،
وأنه اذا قصرت دولة من الدول في

(١) الآية ٤ من سورة الصف

(٢) من كتابه « جهادنا المقدس » مطبعة الازهر

وبالذات • وإذا كان موجها الى
الأفراد بنفس القوة الموجه بها الى
الدول فان الدول الآن هي التي
تملك الطائرات والصواريخ
والمدماح والدبابات • أى تملك
ما أمر الله بأعداده في مواجهة
العدو • وعبر عنه بقوله تعالى :
« وأعدوا لهم ما استطعتم من
قوة » •

فمستوليتها الآن مسئولية كبرى،
وهذه المسئولية تقع على الدول
الاسلامية •• انها تقع على كل
الدول الاسلاميه البعيدة عن ميدان
القتال والقربة منه •

فالجهد الحالى هو جهاد يعنى
كل الدول الاسلاميه مهما نات بها
الدار ، فان الطائرات لا تقف في
سبيلها مسافات ••

ويجب ان يتأمل الأفراد وتتأمل
الدول الاسلاميه النصوص القرآنية
الكريمة ، والأحاديث النبوية
الشريفة الخاصة بالجهاد •

انه سبحانه يقول : « يا أيها الذين
آمنوا هل أدلكم على تجارة

بأموالكم وأنفسكم في سبيل
الله (١) • وهذه الآية الكريمة لم
تدع عذرا لمعتذر ، لأن الانسان
اما خفيف واما ثقيل ، ولا تخرج
حالاته عن ذلك ، وقد أمر الله
هذا وذاك بالجهاد في سبيله •

وهذا الجهاد فرض عين على كل
مسلم ومسلمة اذا كان العدو في
أية أرض اسلامية •••••

وقد بين الله سبحانه وتعالى
الحكم في المجاهدين وفي المتخلفين
فقال سبحانه : « لا يستأذنك الذين
يؤمنون بالله واليوم الآخر أن
يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله
عليم بالمتقين ، انما يستأذنك
الدين لا يؤمنون بالله واليوم
الآخر وارتابت قلوبهم فهم في
ريبهم يترددون » (١) •

وبهذا أصبح واضحا أن الايمان
اتفى عن المتخلف ، وأن المتخلف
خرج بتخلفه عن الاسلام ، وهذا
الحكم الصريح ينطبق على الدول
كما ينطبق على الأفراد ، بل انه في
هذا المعنى موجه الى الدول أولا

(١) من الآية ١١ من سورة التوبة •

(٢) الأيتان ٤٤ ، ٤٥ من سورة التوبة •

في التوراة والانجيل والقرآن ،
ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا
ببيعكم الذي يبيعتم به وذلك هو
الفوز العظيم » (١) .

ان المؤمن في عقد الايمان باع
نفسه وماله لله وهذا العقد بينه
وبين الله ... وليس من شروط
هذا العقد أن يستشهد المقاتل ،
كلا فمن قاتل وانتصر وعاد سالماً
فهو الجنة .. ان الجنة للمقاتل ،
سواء استشهد أو انتصر وعاد الى
بيته ...

والرسول عليه الصلاة والسلام
يقول : « الجنة تحت ظلال
السيوف » .

ثم يوجه - رحمه الله تعالى -
خطابه الى أولئك الذين يخافون على
أنفسهم أو أموالهم فلا يجاهدون
في سبيل الله ولا يستجيبون لله
ولرسوله فيقول :

أيها الاخوة المسلمون في مشارق
الأرض ومقاربها :

تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل
الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير
لكم ان كنتم تعلمون ، يغفر لكم
ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الأنهار ومساكن طيبة
في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ،
وأخرى تحبونها ، نصر من الله
وفتح قريب وبشر المؤمنين » (١) .

وقد ختم سبحانه هذه الآيات
بقوله : « وبشر المؤمنين » وعم
البشرى للمؤمنين ، وهي تعني :
بشرهم بالفوز ، بشرهم بالنصر ،
بشرهم بمرضاة الله ، بشرهم بالأمن
بشرهم بالتوفيق ، بشرهم بسعة
الرزق ، بشرهم بكل خير .

وحينما أعلن الله عن هذه التجارة
تقدم المؤمنون الصادقون يتاجرون
مع الله سبحانه وتعالى ، ويقول الله
عن ذلك : « ان الله اشترى من
المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم
الجنة ، يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا

(١) الآيات ١٠ - ١٣ من سورة الصف

(٢) الآية ١١١ من سورة التوبة .

والحرص على الحياة أو الجبن
ليس من أسباب اطالة الأجل ،
والشجاعة والاقدام لیس من
أسباب تقصير الأجل ، وقد بين الله
ذلك في كتابه الكريم ابانة تامة ..
وكما أنه « لكل أجل كتاب » (١)
فانه « لكل أمة أجل » .

أما هؤلاء الذين قالوا : « لو
كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا
ها هنا » فان الله سبحانه وتعالى
يرد عليهم : « قل لو كنتم في يوتكم
ليبرز الذين كذب عليهم القتل الى
مضاجعهم » (٢) .

وهؤلاء الذين قالوا لاخوانهم
وقعدوا : « لو أطاعونا ما قتلوا »
فان الله سبحانه يرد عليهم قائلا :
« فأدرأوا عن أنفسكم الموت ان
كنتم صادقين » (٣) .

أما الذين يفرون أمام الأعداء
فهم : « انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا » (٤) .

ماذا يخشى المؤمنون دولا كانوا
أو أفرادا من الاستجابة لله
ولرسوله ؟
أهو الموت ؟

حقا ان الانسانية منذ أن وجدت
تغاف الموت وتخشاه خشية
لا تعدلها خشية .

وكان لذلك نتائج سلوكية
كثيرة ، من هذه النتائج : الجبن ،
وقد أحب الله سبحانه وتعالى
ألا تقع الأمة الاسلامية فيما يقع
فيه غيرها من الجبن خشية الموت
فبين سبحانه الأمر في القرآن ،
وبينه الرسول - صلى الله عليه
وسلم - في السنة بيانا لا لبس فيه .

ان مالك الملك انما هو وحده
الذى يملك الموت والحياة ، وهو
الذى قرر الآجال وحددها « فاذا
جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون » (٥) .

-
- (١) الآية ٢٤ من سورة الاحرف
(٢) من الآية ٢٨ من سورة الرعد .
(٣) من الآية ١٥٤ من سورة آل عمران
(٤) الآية ١٦٨ من سورة آل عمران
(٥) من الآية ١٥٥ من سورة آل عمران

.. وقد أخبر الله أن الرزق في السماء محدود ومقسوم ، وأقسم على ذلك سبحانه ، لما يعلم من ضعف الطبيعة البشرية ، واشفاقها وقلقها بالنسبة لأمر الرزق ، يقول : « وفي السماء رزقكم وما توعدون فرب السماء والأرض انه لحق » (١) .

وبعد .. فلقد فرض الله سبحانه على المسلمين الجهاد في أسلوب حاسم فقال تعالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » (٢) .

اذن المؤمن الصادق الايمان لا يعرف الجبن ، ولا يستزله الشيطان موسوسا له بالخوف من غير الله .. والله سبحانه وتعالى يؤكد : « وما كان لنفس أن تموت الا بأذن الله » ..

ونعود فنقول : ماذا يخشى المؤمنون دولا كانوا أو أفرادا ؟

أهو هم الرزق ؟

ان الاسلام كما حرر المجتمع الاسلامي من خوف الموت فقد حرره أيضا من هم الرزق ، يستوى في ذلك حالة السلم وحالة الحرب ، ذلك أن الرزق بيد الله . « وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها »

(١) الآية ٢٢ ، ٢٣ من سورة الداريات .

(٢) الآية ٢١٦ من سورة البقرة .

عبد الحميد شاهين



فهرس العسند

صفحة	الموضوع
	دراسات قرآنية : النبى الامى الذى ملا الارض رحمة وعدلا واشراقا ونسورا
٢٤١	لفضيلة الشيخ محمد الطير
	تصحيح واجب : القرآن والعلوم الانسانية
٢٥١	للدكتور محمد رجب البيومى
	فى مواجهة الاتحاد المعاصر : عدم كفاية العلم فى مجال المعرفة
٢٥٩	للدكتور يحيى هاشم
	الاسلام فى الفكر الاوربى
٢٨٠	عرض وتحليل لمؤلفات اوربية بقلم الدكتور محمد شامه
	زاهد البصرة
٢٩٨	للاستاذ السيد حسن قرون
	الطفل والطفولة ومدى الاهتمام بهما من جانب الاسلام
٣٠٧	بقلم المستشار محمد عزت الطهطاوى
	الشورى فى الاسلام
٣٢٢	للدكتور محمد عبد الحليم حفى
	امل فى التصوف مع مطلع القرن الخامس عشر
٣٣٣	للاستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى
	ابو عمرو بن العلاء ومنهجه فى القراءات واللفة
٣٤٠	للدكتور صلاح الدين صالح
	اياه نعبد واياه نستعين
٣٥٩	فضيلة الشيخ موسى محمد على
	مشروعية الجهاد فى الاسلام
٣٦٨	دكتور سعد ظلام
	الشريعة الاسلامية والقانون الانجليزى
	المبادئ العامة فى التشريع الجنائى الاسلامى
٣٧٥	المستشار حسن حسب الله
	الازهر جامعا وجامعة (او مصر فى الف عام)
٣٨٧	للاستاذ محمد كمال السيد

الموضوع

صفحة

أخطاء شائعة

للاستاذ عباس أبو السعود ٤٠١

حكم ... وطرائف

أعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٤١٦

بياب الفتاوى

الأستاذ عبد الحميد شاهين ٤٢٠

مطابع شركة الاعلانات الشرقية

الجزء الثالث - السنة الثانية والخمسون - ربيع الآخر ١٤٠٠ هـ - مارس ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسات قرآنية :

حسن الجوار من آداب الإسلام

فضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

قال تعالى في وصيته بالاحسان الى طوائف من الناس :
« والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب »
من الآية ٣٦ من سورة النساء .

شفاء وعاقما ، وحلوها ، مرا وصابا ،
فستريح بذلك قوسهم حين تعبها
الفيرة العارمة ؟ أم هي النظرة
الحقماء الى الحياة ، فلا يرونها الا
شجارا وخلافا ، وصغبا وعفا ،
فاذا خلت الحياة من ذلك زعموها
مئة أهل القور .

ليست الحياة كما تهمون أيها
الحاقدون ، انها لين الجانب ،
وتبادل المودة ، واتسامه الشر

البيان

لست أدري ما الذي يدفع بعض
الناس الى عداوة جيرانهم وتضييق
عيشهم ، وجعل الحياة عليهم
جحيمًا وعذابًا أليماً ؟ أهى غريزة
التلذذ بعذاب الناس ؟ أم هى
الغيرة المجنونة من نعمة كريمة
يعيش فيها أولئك الجيران ، فتدفعهم
هذه الغيرة الى التضيق عن أنفسهم ،
بإبدال نعمة الحياة على جيرانهم

واليوم الآخر فليكرم جاره « (١) .
فقد جعل الرسول : أكرام الجار من
آثار الإيمان بالله واليوم الآخر ،
ولم يقيد أكرامه بأن يكون مؤمناً .

ولقد ارتفع الاسلام بحق الجار
حتى جعل من يؤذيه ضعيف الإيمان
الى درجة تشبه العدم ، قال صلى
الله عليه وسلم : « لا يؤمن عبد
حتى يأمن جاره بوائقه » والحديث
متفق عليه ، ولقد عني جبريل
بتوصية النبي صلى الله عليه وسلم
باستمرار ، وفي ذلك يقول الرسول
« ما زال جبريل يوصيني بالجار
حتى ظننت أنه سيورثه » والحديث
متفق عليه أيضا .

ومن كان يؤذى جيرانه فلا تشفع
له صلاته ولا صيامه ، فقد قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ان فلاة تصوم النهار وتقوم
الليل وتؤذى جيرانها » فقال صلى
الله عليه وسلم : « هي في
النار » (٢) .

والرضا ، والحب المشترك وهناء
القلب ، ومكون النفس ، وهدوء
البال ، والبعد عن المكار والمكاره
في الخير .

وليس أولى بحسن المعاملة وتبادل
المودة من الجيران ، فانهم عوض عن
الأقارب والأرحام والأصهار ، ليس
الرجل منا يترك أهله وذوى قريبه
وأصهاره ، ليمش بين أولئك
الجيران ، فعليه أن يحسن معاملتهم ،
حتى اذا مسته ضراء سارعوا الى
نجدته ومعوته ، واذا غمرته
سراء فرحبوا لمسترته ، وكانوا له
أهلاً يبدل أهله ، وصهراً يبدل
صهره ، فهم أقرب اليه ، وأسرع
الى تلبية لدائه منهم .

ان الاسلام رتب للجيران حقوقاً
لم يمن بمثلها دين من الأديان ،
ولم يجعل هذه الحقوق خاصة
بالمسلمين ، بل أوجبها لكل جار
مهما كان دينه ، قال صلى الله عليه
وسلم : « من كان يؤمن بالله

(١) الحديث متفق عليه بين كتب السنة .

(٢) أخرجه أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة وقالوا صحيح الإسناد .

احسان السلف الى جيرانهم من اهل الكتاب

وكان السلف الصالح لا يخلون بالاحسان على جيرانهم من اهل الكتاب ، ويرونهم دخليين في الوصية بالجار ، قال مجاهد : كنت عند عبد الله بن عمر ، و غلام له يسلخ شاة ، فقال يا غلام : اذا سلحت فابدأ بجارتنا اليهودي ، حتى قال ذلك مرارا ، فقال له : كم تقول هذا ؟ فقال : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه يورثه » .

فأنت ترى أن عبد الله بن عمر وهو من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يكرر على غلامه الأمر بأن يبدأ بجواره اليهودي فيعطيه قبل غيره من شاته التي يسلخها ، ويحتج لذلك بأنه صلى الله عليه وسلم أطلق الوصية بالجار ، ولم يخص المسلمين ، وكان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودي والنصراني من أضحيتك .

دستور الاسلام في معاملة الجار

اذا تتبعنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاملة المسلمين بعضهم بعضا ، وفي معاملة الجيران ، استطنا أن نأخذ منها المبادئ الآتية : لنجعل منها دستورا ومنهاجا في معاملة الجيران يضمن السلام والمودة ، ويستتبع هدوء النفس وراحة القلب ، وتبادل النفع ودفع الضرر ، واليك هذه المبادئ : ينبغي أن تبدأ جارك بالسلام ، وتفرح لفرحه وتسلم لألمه ، ولا تبحث عن عوراته ، واذا ظهر لك شيء من زلاته حاد به عن جادة الهدى ، فانصحه برفق ، وكن لأولاده أبا أو أخا ، واذا مرض عدته ، واذا استعان بك أعتته ، واذا استشارك أخلصت له الرأي ، واذا قاله خير هنأته ، واذا نزلت به ملامة سلّيته وعزّيته .

وعليك أن تغض البصر عن معارمه ، وتحافظ على كرامة ذويه ، وألا تقتحم بيته بغير استئذان ، وأن تلزم أهلك الاحتشام والبعد عن مجالسة جارك ، وأن تعذر رفع

الكلفة بين أهلك وبين جيرانك ، فكم من مصائب نزلت بالأسر المجتمعة ففرقتها ، وكم من عفة وحصاة أصابتها الفتنة فخطمتها ، وكل ذلك فاشيء من رفع الكلفة بين الرجال والنساء ، جيرانا كانوا أو غرباء ، وقتنة الجار أقوى من فتنة سواه ، فالتزام العشمة والتصون واجب بصمة عامة ، وعلى الجيران بصفة خاصة ، ومن التزم شرع الله حفظه الله من فتنة سواه .

ومن أدب الجار أن يعرض على بقاء المودة بين أولاده وأولاد جاره ، فلا يسلطهم عليهم ، ولا يوغر صدورهم نحوهم ، وإذا غاب جارك عن بيته فلا تفضل عن ملاحظته حتى يعود .

نماذج من أدب البر بالجار

قال أبو ذر الغفاري : « أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال : إذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ، ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها » أخرجه الامام مسلم .

وإذا لم يتسع خيرك لجيرانك المستحقين للبر ، فاعط أقربهم اليك ، قالت عائشة : يا رسول الله : ان لي جارين ، أحدهما مقبل على يبابه ، والآخر ناء يبابه عني ، وربما كان الذي عندي لا يسمعهما ، فأيهما أعظم حقا ، قال : « المقبل عليك يبابه » . أخرجه البخاري .

والاسلام يرى وجوب تكافل أهل الحي ، فان عجز أحدهم عن الكسب ومات جائعا كانوا آثمين ، وكانت قسوتهم هذه أمارة على ضعف الايمان ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره الى جانبه طاو » أي (جائع) . وقال : « أي رجل مات ضياعا بين أغنياء ، فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله » .

وعن الحسن البصري ، قال : « لقد عهدت المسلمين وان الرجل منهم يصيح فيقول : « يا أهليه يا أهليه : يتيمنكم يتيمنكم ، يا أهليه يا أهليه : مسكينكم مسكينكم ، يا أهليه يا أهليه ، جاركم جاركم » رواه البخاري في الأدب المفرد .

بل يكون أمرا رتيا كلما وجد
داعيه .

حرص السلف على رضا الجيران

رأى أبو بكر الصديق رضى الله
عنه ولده عبد الرحمن يناجى جارا
له - أى يزعبه - فقال له :
لا تناج جارك ، فإن هذا يبقى
والناس يذهبون .

وقال الحسن بن عيسى
النيسابورى : سألت عبد الله بن
المبارك فقلت : الرجل المجاور يأتينى ،
فيشكو غلامى أنه أتى اليه أمرا ،
والغلام ينكره ، فأكره أن أضربه
ولعله يرى ، وأكره أن أدعه - أى
أترك عقابه - فيجد على جارى
- أى يفضب - فكيف أصنع ،
قال ابن المبارك : ان غلامك لعله
أن يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب
فاحفظه عليه - أى لا تمجل بضربه
من أجل هذا الحدث - فإذا شك
جارك فأدبه على ذلك الحدث ،
فتكون قد أرضيت جارك وأدبته
على ذلك الحدث - وهذا تلميح فى
الجمع بين الحقيقين ولو أن ذلك
الجار أحسن الى غلام جاره بالعفو

وإذا أهداك جارك هدية صغيرة
فلا تحتقرها ، فإن الهدية مهما
كانت قيمتها أو حجمها ، فهى سبيل
المودة ، وبرهان على أنك فى ذهن
جارك وقلبه ، قال أبو هريرة :
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « يا معشر المسلمين ،
لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرش
شاة » . أخرجه البخارى ، وفرش
الشاة حافرها .

وانما نهى النبى صلى الله عليه
وسلم عن احتقار الهدية ، لما فيه
من كسر قلب مهديها ، الذى لم
تسع حاله لأكثر منها .

وبلغ من اهتمام النبى صلى
الله عليه وسلم بالجيران الفقراء ،
أنه أوصى المياسير ، أن يكونوا
بارين بهم كلما طبخوا طعاما ،
قال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه :
« أوصانى خليلى صلى الله عليه
وسلم وقال : « اذا طبخت قدرا
فاكثر ماءها ، ثم انظر بعض أهل
بيت فى جيرانك فاغرف لهم منها »
يعنى ان البر بالجار الفقير لا يكون
شيئا عابرا أو من باب الصدقة ،

انهىء » أخرجه الامام أحمد
والحاكم وقالوا صحيح الاسناد .

وقال صلى الله عليه وسلم :
« اليمين والشؤم فى المرأة والمسكن
والفرس ، فيمين المرأة خفة مهرها ،
ويسر نكاحها ، وحسن خلقها ،
وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها ،
وسوء خلقها ، وبين المسكن سعة
وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه
وسوء جوار أهله ، وبين الفرس
ذله وحسن خلقه ، وشؤمه صغوبته
وسوء خلقه » أخرجه الامام
مسلم .

ومن سعادته أن يصف جاره ،
وينتقله من كبوته المالية ان قدر
على ذلك ، ليكون على المستوى
الرفيع الذى دعا اليه الرسول صلى
الله عليه وسلم بقوله : « المؤمن
للمؤمن كالبنيسان يشد بعضه
بعضا » ومن أمثلة ذلك أن ابن
المقفع بلغه أن جاراً له يبيع داره
فى دين ركبته ، وكان يجلس فى
ظل داره ، فقال : ما قمت اذن
بحرمة ظل داره ان باعها مقدما ،
فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعتها .

عنه وحسن معاملته ، لما احتاج الى
أن يشكوه الى سيده ، فانه يراه
بعد ذلك شديد المودة له ، فالانسان
عبد الاحسان ، وقد ندب الله
عباده للنفوس وجعله نوعا من
الاحسان يستتبع حب الله تعالى ،
وذلك فى قوله سبحانه : « والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين » .

خلال المكارم كما تراها عائشة

قالت عائشة رضى الله عنها :
خلال المكارم عشر ، تكون فى
الرجل ولا تكون فى آية ، وتكون
فى العبد ولا تكون فى سيده ،
يقسمها الله لمن أحب - صدق
الحديث ، وصدق الناس ، واعطاء
السائل ، والمكافأة بالصنائع ،
وصلة الرحم ، وحفظ الأمانة ،
والتذم للجار - أى البعد عن
المريب معه - والتذم للصاحب ،
وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء .

سعادة المراء السلام وشقاؤه

يقول النبى صلى الله عليه وسلم :
« ان من سعادة المراء المسلم المسكن
الواسع ، والجار الصالح والمركب

كان له جار في حائط أو شريك
فلا يبيعه حتى يعرضه عليه « (١)
أى من كان له جار في بستان يملكه
وحده أو يشاركه فيه جاره ،
فلا يبيعه لغيره حتى يعرضه
عليه .

ولابن ماجه من حديث ابن
عباس (٢) : « من كانت له أرض
فأراد بيعها فليعرضها على جاره »
وبعد فهذه جولة مباركة حول
حقوق الجار وواجباته ، وقد تمتعنا
فيها بمبهر كتاب الله وسنة رسوله ،
وسيرة السلف الصالح ، أسأل
الله أن ينفع بها كل مسلم ومسلمة .

مصطفى محمد الحديدي الطبر

واعلم أن شهادة الجار لجاره
برهان على احسانه واستحقاقه أجر
المحسنين السعداء ، قال عبد الله بن
مسعود قال رجل يا رسول الله كيف
لى أن أعلم اذا أحسنت أو أسأت ،
قال : « اذا سمعت جيرانك يقولون
قد أحسنت فقد أحسنت ، واذا
سمعتهم يقولون قد أسأت فقد
أسأت » أخرجه أحمد والطبراني ،
واسناده جيد .

لاتبع دارك قبل عرضها على جارك
ومن أدب الاسلام أنك لا تبع
دارك أو أرضك حتى تعرضها
على جارك ، مراعاة لعروة الجوار ،
قال صلى الله عليه وسلم : « من

(١) أخرجه ابن ماجه عن جابر ، والحاكم وقال صحيح الاسناد .
(٢) رجاله رجال الصحيح .

المشكلة الاقتصادية

في

ضوء تعاليم الإسلام الحنيف

دكتور روف سلمي

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فإن الإسلام منهج حياة أوحاه الله إلى نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لينظم الناس حياتهم على شريعته ، ويمشون في درب الحياة على نوره وهديه ، ويمشون هذه الأرض باستخدام النعم التي لا تحصى ولا تعد « وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

« سورة النحل »

والإسلام هو الدين الوحيد الذي يربط الإنسان بالكون وربطه بالآخرة وجعل سعيه في الدنيا

مشكورا في الآخرة إن قام نشاطه على هديه وأنواره ، وجعله هباء منثورا لا وزن له يوم القيامة إن ضل سعيه في الحياة الدنيا .

ولقد قدم الإسلام لبنى البشر طرا

مناهج حياتهم :

- * الفردية .
- * والاسرية :
- * والاجتماعية .
- * والاقتصادية .
- * والمكرية .
- * والسياسية .

وللإسلام ذاتيته في هذه المناهج سواء اتفقت معه المناهج الأخرى أو اختلفت فإن امتياز المناهج الإسلامية أنها تكفل السعادة للبشرية وتغاطب فيها النطرة ،

ج - قوانين الاتفاق والتصدق .

د - العدالة الاجتماعية .

هـ - التداول .

وهذه النظرية ليست حكومية بل هي منهج للأمة والشعب لأن التنمية تحتاج الى جميع جهود الأمة كلها وجهود الحكومة وحدها لا تكفى بل هي جهود عاجزة ، ولذا فان الاسلام يعيىش جهود الأمة الاسلامية كلها لتضافر على العمل والانتاج وقد دعا القرآن الكريم جماعة المسلمين الى العمل : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

« التوبة »

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه بذل الجهد للحصول على الرزق الحلال .

❖ فجاءه يوما رجل يسأل فقال له خذ حبلك على ظهرك واحتطب .

❖ وجاء رجل آخر يسأل ، فسأله النبى صلى الله عليه وسلم ما عندك من الأمتعة فقال حب وحصير فباعها النبى صلى الله عليه

وتسوى مع واقمها وتأخذ بيدها عند العشرة بالمهددة واللين واليسر .

والمذهب الاقتصادى الاسلامى لا ينفك عن هذه الخاصية فهو يلتزم مع بقية المناهج الاسلامية بسمات الاسلام العامة انه منهج يقوم على العقيدة كسائر مناهج الحياة التى شرعها الله لعباده وهو منهج يقوم على الأناة والثؤدة .

وهو منهج يقوم على الواقعية والتوازن .

والاسلام لا يدعى أنه يقدم علما للاقتصاد فالمسلمون ليسوا فى حاجة الى علم اقتصاد وانما هم فى حاجة الى ضابط اقتصادى يسيرون على هديه .

ولقد صنع الاسلام لهم ضابطا هو المذهب الاقتصادى الاسلامى يقوم على :

أ - الملكية وحرية الانتاج .

ب - تسخير الله لوسائل

الانتاج للبشرية .

وسلم بدرهمين وقال له : خذ درهما
اتقنه على أهلك ، واشتر بالدروهم
الثاني قادوما ثم اذهب الى الجبل
لا أرينك خمسة عشر يوما .

✽ ورأى النبي صلى الله عليه
وسلم يد رجل عليها آثار الممل
فقال : هذه يد لا تمسها النار .

فالتنية في نظر الاسلام ليست
مسئولية الحكومة وحدها وليست
طاقة الحكومة بكافية في تحقيق
التنية بل التنية تحتاج الى تعامل
شامل من أفراد المجتمع كله .

كما تحتاج الى خفض حجم
الاتفاق عن معدل الانتاج وهذا
ما دعت اليه النظرية الاسلامية
« والذين اذا اتفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

« الفرقان »

والذى نمانيه في بلادنا العربية
والاسلامية اليوم انما هو انحراف
عن الطريق الجاد الصحيح .

١ - فموارد الأمة لم تستغل
فكم من ملايين الافدنة الصالحة
للزراعة في عالمنا العربى والاسلامى
لما تستخدم حتى الآن .

ب - والقوى العاملة التى تزج
بخرمجي الجامعات الى مكاتب
الحكومة والقطاع العام فى أعمال
لا صلة لهم بما تعلموه فى الجامعة
مما خلق جوا كثيبا فى الادارة عطل
الانتاج وأفسد العلاقات الاجتماعية
بين الناس .

ج - وتحمل الحكومة وحدها
عملية التنية مما جعل الناس جميعا
يقفون موقف المتفرج وينتظرون
اغداق الخيرات عليهم كاليتامى
الذين ينتظرون حسنات الأغنياء .

د - والتبذير الفاضح والاسراف
الأموج فى المظاهر المفضضة
التي تضيق الانتاج فى الهواء .

هـ - والتبعية الاقتصادية
للادبولوجيات الاقتصادية التى
تسمى لافساد اقتصادنا كأمة عربية
واسلامية فرضت فى أدهان الناس
عدم الثقة فى جدوى معالجة قضايا
الاقتصاد وشككت فى كثير من
البرامج بالاضافة الى وجود طبقة
داخل الجهاز الحكومى تستطيع
أن تحصل على مال سحت بأسلوب

أو بآخر مما يشجع الشعب على التهاون في المشاركة في عملية التنمية .

ولو استخدم المنهج الاسلامي لأقالتنا الله تبارك وتعالى من هذه العثرات ، وفتح علينا بركات من السماء والأرض كما وعد الذين يلجأون اليه ويحتمون في حماه ، ذلك لو أرادوا الإصلاح والملاج . ولقد آثرت أن يكون موضوع البحث عن المشكلة الاقتصادية لأضع التصور الاسلامي في حل هذه المشكلة .

وينقسم البحث الى الموضوعات التالية :

أولا : مشوار مع المذاهب الاقتصادية الكبرى الرأسمالية والاشتراكية .

ثانيا : مفهوم المشكلة الاقتصادية عند علماء الاقتصاد .

ثالثا : الاسلام والمقومات الاقتصادية .

رابعا : المشكلة الاقتصادية في نظر الاسلام وحلولها .

خامسا : نتائج لا مبرر لها .
١ - التبعة للادبيولوجيات الاقتصادية كحل للمشكلة الاقتصادية .

ب - تحديد النسل .
سادسا : الامكانيات العربية في مواجهة التعدي الخارجي .

اولا - مشوار مع المذاهب الاقتصادية الكبرى :

(١) الرأسمالية

(ب) الاشتراكية الام

تسمى النظريتان : الاشتراكية بأنماطها ، والرأسمالية بتطور تاريخها .. أهما تهدفان الى خير الانسان واشباع حاجاته ، واسباغ الرفاهية عليه ومنحه السعادة التي يطمح اليها .

✽ وتبدأ أول خطوة في المشوار بمجالة عن أقطاب الاقتصاد الطبيعي الكلاسيكي اولئك الذين وضعوا بذور علم الاقتصاد وسط فهم اقتصادي يدور حول مسألتين :

المسألة الأولى :

وقد بدا هذا المضمون متخلفا علميا لأن قوانين الطبيعة لا تتخلف اذا توافر لها الظروف اللازم وعليه فمن الخطأ أن تعتبر الحريات الرأسمالية قوانين طبيعية وتعتبر بناء على هذا مخالفتها جريمة في حق تلك القوانين ، اذ أن قوانين الاقتصاد الطبيعية تعمل ولا تكف عن العمل في جميع الاحوال بل ومع اختلاف درجة الحرية في حق التملك ، والاستغلال والاستهلاك .

والأصوب أن يقال : ان هذه القوانين يختلف مفعولها تبعاً لاختلاف ظروفها والشروط المتوفرة حولها .

وقد أوصى فقهاء الاقتصاد بالنظر الى هذه الحريات في جو بعيد عن الطابع العلمي المطلق لأنها تمثل اتجاهها مذهباً خاصاً وهنا يتضح فارق رئيسي بين نظرية الاسلام الى القوانين الاقتصادية في مستواها الطبيعي وبين النظرية الرأسمالية .

وهذا الفارق هو : ان الاسلام بوصفه ديناً - وان كان لا يعالج

أن الحياة الاقتصادية تسير حسب ما تعطيه قوى الطبيعة وحكموا تبعاً لذلك بأن هذه القوى هي التي تحكم في الكيان الاقتصادي للمجتمع والواجب العلمي بناء على هذا يفرض على العلماء استكشاف قوانين الطبيعة ومالها من قواعد أساسية بحيث تكون صالحة لتفسير مختلف ظواهر الاقتصاد واهداثه ومجرياته .

المسألة الثانية :

ان هذه القوانين اذا اكتشفت فهي كميلة بضمان السعادة للبشرية بشرط أن تنفذ في جو من الحرية لكافة أفراد المجتمع .

والحرية المطلوب كمالاتها للمجتمع هي حرية : الاستغلال ، والتملك ، والاستهلاك .

وذهب العلماء بناء على هذا الى أن الوقوف في وجه الافراد هو وقوف في وجه الطبيعة وقوانينها فالرخاء وحل مشكلات الحياة الاقتصادية مرتبطة طردا وعكسا باحترام هذه الحريات الثلاث : التملك ، الاستغلال ، الاستهلاك .

يقدمه المسلم لمجتمعه تلبية لنداء العقيدة ، فإن الحرية في الرأسمالية ترتبط بإحدى ضرورات ثلاث :

أ - ضرورة ارتباط فكرة التوافق بين مصالح الفرد ومصالح المجتمع لأنه إذا تم التوافق توفرت المصالح العامة وعلى ذلك لا تكون الحرية الا أداة لتوفير المصالح العامة .

ب - ضرورة ارتباط تنمية الانتاج بناء على النظرية القائلة بأن الحرية الاقتصادية هي أفضل قوة تدفع الى الانتاج ولتنجيز الطاقات ولمضاعفة الثروة الاجتماعية .

ج - ضرورة ارتباط الحرية الاقتصادية بالحرية الرأسمالية لأنها ليست مجرد أداة ، لتنمية الانتاج أو للوفاء الاجتماعي وانما هي تحقيق لانسانية الفرد ووجوده الطبيعي الصحيح .

وملخص الرأي عند علماء هذا المذهب ان الحرية تعتبر ضرورة في التصميم الاجتماعي لأنها اما وسيلة لتحقيق المصالح العامة ، أو لأنها

موضوعات الاقتصاد علميا غير انه يملك مذهباً اقتصادياً يؤثر على أحداث الحياة الاقتصادية عن طريق مفهوم الحياة ودوافعها وغايتها لدى الفرد المسلم وذلك بأن صهر الفرد المسلم في قالب رومى أبدع به الفرد المسلم حياة أفضل من حياة المجتمع الرأسمالى الذى كان يعيش معه في نفس الفترة مما جعل المبادئ التى جعلت المسلم في ذلك الحين ميزانا لتحقيق الحياة الأفضل في العصر الحديث فاية أمة تلك التى يشهد لأفرادها بأنهم : يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

أنها الأمة التى تستطيع بفردتها المسلم الذى يضع الانتاج وسيلة لاسعاد أمته ويقدم ثمرات عمله خدمة للأمة عن رضا وقبول . واستحسان وفي الحديث الشريف :

« ان الأشعرين اذا ارملاوا اقتسموا الطعام فهم منى وأنا منهم » .

واذا كان جوهر الحرية في الاسلام هو هذا الرخاء الذى

ففى الحديث ثلاثة أمور :

١ - ان الاجر لا يعطى الا بعد قيام العامل بالعمل .

٢ - ان المامل يستحق أجره حسب حاجته .

٣ - ان العمل الذى أدى قد استفرغ جهد العامل ولذا فله عرق من كثرة العمل .

أما الرأسمالية فقد كانت حرمتها الاقتصادية سيقا مسلطا على الاخلاق والقيم فى المجتمع الانسانى ، وانها لوصة عار تلك التى جعلت أصحاب نظرية الحرية الاقتصادية تسابق الدول الأوربية بشكل جنونى على استعباد البشر الآمنين القانعين ، ولعل الهجرة الأوربية على أفريقيا من بريطانيا وبلجيكا واغتصاب أمم من البشر وبيعهم رقيقا لأصحاب المصانع فى أوروبا .

وان الطريقة التى تمت بها سرقة هذه الأمم البائسة لتفزع القلب الفظ بل الانسانى فقد عمد الاوريون الى قرى أهالى افريقيا فحرقوها ليهب الناس فرعين الى

سبب لتنمية الثروة والاتساج ، أو لأنها تعبیر أصيل عن كرامة الانسان ، ولقد أصبح من السخرية بمكان الحديث عن التوافق بين المصالح العامة والدوافع الذاتية لما سجله التاريخ من جنایات على الاخلاق والروحانيات ومآسيها فى المجتمع وكفى من نتائج ذميمة لهذه الحرية الاقتصادية ان الانسان كسلعة تخضع لقوانين العرض والطلب فاذا زادت القوى البشرية العاملة وزاد المعروض منها على مسرح الاتاج انخفض سعرها لأن الرأسمالى سوف يعتبر ذلك فرصة حسنة لامتناس سعادته من العامل الشقى ، ولذلك وصفت الرأسمالية بقانون الاجور الحديدى ذلك القانون الذى تحطم أمام ثورات العمال المتكررة كل عشية وضحاها وهنا تأتى عظمة الاسلام الحنيف ، اذ يجعل الاجر نظير العمل بقدر يكفى ويتناسب مع كرامة العامل فيقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » .

(رواه ابن ماجه)

نتيجة ثورة مسلحة وليست ثورة
بسبب شدة التناقضات الطبقة
التي يدعيها ماركس والماركسيون •

ولقد سقط الحكم في روسيا
نتيجة انهيار عسكري صاحب
الحرب العالمية الأولى الأمر الذي
مكن لقوى المعارضة من الانتصار
السياسي •

والصين لم يطبق فيها النظام
الاشتراكي نتيجة صراع بين الطبقات
بل كان نتيجة حرب عسكرية
كذلك •

وكذلك الحال في بلاد المغرب
العربي ، في اليمن وفي سوريا وفي
العراق لم يكن هناك صراع طبقي
ولا تناقضات تاريخية سارت في
مسارها المتبدأ به حتى وصلت
الى الحكم بل هو انقلاب مسلح •
والنظرية اذا فشلت في التطبيق
فشلت في الاصل الفكري الذي
تقوم عليه وهو نفس القياس الذي
تأخذ به الحركة الشيوعية
أو الاشتراكية •

مكان ياورهم فتستقبلهم النخاسة
فيحملونهم على البواخر ويرسلونهم
الى أسواق الرقيق في أوروبا ••
ولقد ظلت هذه الجريمة الى القرن
التاسع عشر حتى استبدلتها أوروبا
باحتلال كامل لبلاد الشرقين
الافريقي والآسيوي •

ذلك بإيجاز مستوى المذهب
الرأسمالي في دعواه تحقيق الرخاء
والسعادة للبشر •

* ولم يكذ المذهب الرأسمالي
يفيق من قضاياء حتى عاجلته
النظريات الاشتراكية بأنماطها
المتعددة •

ونحب أن نقول في بادئ الأمر
انه لم يقم في العالم كله نظرية
اشتراكية بناء على المادية التاريخية
التي تعتمد عليها نظرية ماركس ،
فالثورات الداخلية التي مارست
عملية تطبيق الاشتراكية الماركسية
لم تعتمد في انتصارها على الصراع
الطبقي •

ولعل أحداث أفغانستان في
ديسمبر سنة ١٩٧٨ ومن قبل ذلك
المجر وتشيكوسلوفاكيا لم تكن الا

يقول جورج بولتزيو :

ان من يهمل النظرية يقع في فلسفة الممارسة فيسلك كما يسلك الاعمى ، ويتخبط في الفلاسف ، أما ذلك الذى يهمل التطبيق فيقع في الجمود المذهبى .

ويقول ماوتسى تونج :

ان نظرية المعرفة فى المادية الديالكتيكية تضع التطبيق فى المقام الأول فهى ترى أن اكتساب الناس للمعرفة يجب أن لا ينفصل بأية درجة كانت عن التطبيق وتشن نضالا ضد كل النظريات الخاطئة التى تنكر أهمية التطبيق أو تسمح بانفصال المعرفة عن التطبيق .

وعلى هذا المقياس الذى ارتضاه الشيوعيون أنفسهم يؤمن ان الاشتراكية بأنماطها مذهب كاذب وفاشل لأنه وضع قواعد للنظرية لم تتحقق مرة واحدة فى كل البلاد التى ساد فيها هذا المذهب الا بقوة السلاح .

* فروسيا كانت بلدا زراعيًا وحركة التصنيع فيها منخفضة ، وكان الرأسمال المحلى عاجزا عن الانتاج وكانت المشاكل السياسية

والمسكينة فادحة ، وقد رفض ماركس من قبل أن تكون روسيا أرضا تتحقق عليها شيوعيته لأنه كان يحلم بالثورة الاشتراكية من انجلترا أو من فرنسا لوجود كثافة عمالية ومصانع كثيرة طنها يوما تحقق أحلامه ، ولكن حتى الآن لم تستطع القوى العمالية فى انجلترا وفرنسا مطمح آمال ماركس ان تحيلهما الى دولة شيوعية .

ولقد دفن ماركس فى انجلترا بعد أن حلت مشاكل العمال عام ١٨٤٨م أى أثناء قيامه بتسويد المناقستو الشيوعى الفاشل .

* ودول أوروبا الشرقية وضعت عليها الاشتراكية قبوة الجيش الأحمر مثل دولة بولونيا والمجر والتشييكوسلوفاكيا ولم تنبثق من هذه الدول ثورة نتيجة صراع الطبقات .

معالم الاشتراكية الأساسية :
والمعالم الرئيسية لكل الاظمة الاشتراكية أربعة :

١- محو الطبقة وتصفية حسابها بنطق مجتمع لا طبقي .

وذوقاً ولم يبدل العامل أمام الآلة
أى جهد يحتسب في قيمة السلعة •
وعلى هذا يظهر فكر ماركس
فكراً متخلفاً عن التطور العلمى
والصناعى •

وإذا كانت النظرية قائمة على
أساس أن العامل يعطى للمادة قيمة
بما يعطيه من ساعات العمل وقد
آلت ساعات العمل الى الآلة وصار
العامل يقف ليضبط على زر لتدوير
الآلة وهى التى تضع المواد الخام
فقد انهارت النظرية ولم يمد لها
محل للنقاش •

ولعل من ألمع الأدلة على كذب
ادعاء الاشتراكية انها تريد الرخاء
للشعب ثورة العالم الفيزيائى
زخاروف على النظام والحكم
الروسى •

ومن قبل فقد رفض برنشتاين
مبدأ الصراع بين الطبقات ومبدأ
فائز القيمة •

وبذلك فقد انتهى مشوار
الاقتصاد الى الفشل فى الغاية التى
ادعاها لنفسه انه يعمل لخير
الانسانية ورخائها •

البحث موصول

دكتور : عوف شلبى

ب - تسلم البروليتاريا للإدارة
عن طريق تكوين حكومة
ديكتاتورية قادرة على تحقيق رسالة
المجتمع •

ج - تأميم مصادر الثروة
ووسائل الإنتاج واعتبارها ملكاً
للمجتمع •

د - التوزيع يكون على أساس:
من كل حسب طاقته ولكل حسب
عمله يستند ماركس الى قوانين
المادية التاريخية التى ظنها تفسر
حركة التاريخ فى ضوء تطورات
القوى المنتجة وأشكالها المختلفة •

وهذا خطأ علمى لأن الواقع
التاريخى لا يسير فى موكب المادية
ولا يستمد محتواها الاجتماعى من
وضع القوى المنتجة فقط لأن
الواقع التاريخى من صنع الانسان
نفسه بكل ما له من ملكات
وانجازات وقيم وأخلاق على أن
هذه التناقضات تركز على قانون
القيمة ، والقيمة الفائضة وكلا
القانونين قد سقط عليهما فان عالم
التكنولوجيا المعاصر جعل قيمة
الفائز لا لجهود الانسان وعرقه بل
لذكائه وقدرته على صنع آلات
تجيد مستوى الصناعة وشفافة ودقة

من الأدب النبوي :

التفسير النبوي للقرآن الكريم

للمكتوب محمد رجب البسوي

الكريم دون أن يستنبط منه ما ينبغي
عن تذوقه عليه السلام للنص
البياني تذوقا مرتفع المستوى ،
شامخ الاتجاه .

وإذا كان الله عز وجل قد يسر
القرآن للذكر ، فإن آثار هذا
التيسير من السهولة والنساجة
والوضوح ، وقوة الحججة بحيث
جعلت كتاب الله ساطع البرهان
وضئ الدلالة قوى التأثير لدى
سامعيه ، وهم في عصر النبوة
أفصح أهل العربية بياناً ، بحيث
كان ألد أعدائه يتسلل في ظلمات
الليل ليسمع آيات الكتاب الميسر
في خفة عن الاقطار ، وبحيث نقل
لنا التاريخ عن أحدهم ، وقد كان
شديد الخصومة للإسلام ، قوى

لم يتحدث رسول الله صلى الله
عليه وسلم - فيما نقل عنه -
كثيراً عن شعراء الجاهلية وخطبائها
إلا بضعة أقوال متناثرة لا تتيح
لنا أن نعرف حكمه المفصل على
النصوص الأدبية المشتهرة في
عصره ، لأن أعباء الدعوة الإسلامية
لم تترك لديه فراغاً يفتح مجال
القول في أدب السالفين ، ولكن
ما فاتنا من رأيه المفصل في الأدب
الجاهلي لا يعد شيئاً جوار ما تركه
عليه السلام من الحديث عن كتاب
الله ، وهو أروع نص أدبي معجز
عرفته اللغة العربية في القديم
والحديث ، لذلك كان على الدارس
المنقب عن البيان النبوي ألا يصر
بتفسيره صلى الله عليه وسلم للقرآن

اللدد لرسول الله ، أنه استمع ما استمع من بيان القرآن ثم رجع الى قومه ليقول عنه : ان له لطلاوة ، وان عليه لحلاوة ، وان أعلاه لمشر ، وان أسفله لمغلق .

واذا كان خصوم الاسلام قد دهشوا لروعة القرآن ، فان رسول الله كان أشد الناس تأثرا بمنطقه البليغ وكان يتلوه تلاوة تظهر معانيه ظهورا رائعا أخاذا ، قال جبير بن مطعم رضى الله عنه : « سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى صلاة المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآيات : « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ، أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون » كاد قلبى أن يطير » (١) . فهذا صحابى كريم كاد يطير قلبه من روعة تأثير الالتقاء النبوى للذكر الحكيم ، لأن بلاغة الترتيل لدى رسول الله تنبع من قوة يقينه ، وشدة إيمانه بما يقرأ ، ولا رب

أنه وهو أفصح الناطقين بالضاد - كان دائم التفكير فيما ينزل عليه من روائع الكتاب ، اذ يزن كل آية بميزان حساس شفاف بحيث تنكشف له عن دلائل عميقة لا يلحها سواء ، لذلك يذكر أصحابه أنه كان غزير الدمعة حين يتلو الكتاب وحين يسمعه ، قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : اقرأ على ، قلت : اقرأ عليك ، وعليك نزل ؟ قال : فاني أحب أن أسمعه من غيرى ، فقرأت عليه - عليه السلام - سورة النساء حتى بلغت قوله تعالى : « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » قال امسك ، فاذا عيناه تذرفان » (٢) . وكان فى ذهابه وإيابه وقيامه وقعوده يفكر فى القرآن ، ليستحضر آياته فى كل موقف يمر به ، ومن ذلك ما حدثت به أم المؤمنين عائشة رضى الله

(١) التاج ج ٤ ص ٢٥٢ .

(٢) التاج ج ٤ ص ٩٦ .

الألفاظ والمعاني والتراكيب تتبعها
يكشف كل ما تحمله الأسلوب من
أفكار ولوامع وإيهامات ، وقد
سئل رسول الله عن بعض المعاني
من أصحابه فجلاها في تفسير
كاشف هادف ، تصديقا لقول الله :
« وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس
ما نزل إليهم ولعلهم يتقون » •

ولن نتعرض هنا لما ناقشه
الأصوليون حول مدار الاجتهاد
النبوي ، اذ ذهب فريق منهم الى
أنه صلى الله عليه وسلم ليس له أن
يجتهد في الحكم بدليل قول الله
عز وجل : « وما ينطق عن الهوى •
ان هو الا وحى يوحى • » عليه شديد
القوى » •

كما ذهب الجمهور الى أن
الاجتهاد من حقه صلى الله عليه
وسلم ، بدليل قوله تعالى : « انا
أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم
بين الناس بما أراك الله ولا تكن
للخائنين خصيما » فمعنى بما أراك
الله ، ما جملة لك رأيا ، كما قال
القاضي أبو يوسف ، أقول : لن

عنها ، قالت : كان محمد صلى الله
عليه وسلم اذا رأى غيما ، أو ريحا
عرف في وجهه ، قلت : يا رسول
الله ، ان الناس اذا رأوا الغيم
فرحوا وجاء أن يكون فيه المطر ،
وأراك اذا رأيته عرفت في وجهك
الكراهية ، فقال عليه السلام :
يا عائشة ، ما يؤمنني أن يكون
فيه عذاب ، عذب قوم بالريح ،
وقد رأى قوم السحاب فقالوا هذا
عارض مطرنا » (١) • يشير بذلك
الى قوله تعالى في سورة الاحقاف
عن قوم عاد « فلما رأوه عارضا
مستقبل أوديتهم قالوا هذا
عارض مطرنا ، بل هو ما امتجلتهم
به ريح فيها عذاب أليم • تدمر
كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى
الا مساكنهم كذلك نجزي القوم
المجرمين » (٢) •

فرسول الله اذن كان يتذكر من
آيات القرآن في كل موقف ما يند
عن غيره ، مهما أمعن في التدبر
والتأمل ، وذلك لطول استغراقه
عليه السلام في معاودته ، وتتبع

(١) التاج ٤ ص ٢٤٠ •

(٢) سورة الاحقاف ٢٤/٢٥

رسول الله يستشف البيان العربى
فى أفصح كتاب يتلوه الناس .

ان الذى يتأمل أقوال محمد
صلى الله عليه وسلم يدرك أنه
كثيرا ما كان يقدر الوحيدة
الموضوعية للنص القرآنى ، فهو
ينظر الى السياق نظرة كلية
متصلة ، بحيث لا يقتصر على الكلمة
الجزئية ، أو الآية الواحدة ، صارفا
النظر عما يحيط بها ، كما تعودنا
ذلك من بعض المفسرين ، هذه
النظرة الكلية يفصح عنها حديث
أبى هريرة رضى الله عنه حين روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم ،
« أنه قال : قال الله تعالى : قسمت
الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ،
ولعبدى ما سأل فإذا قال : الحمد
للّٰه رب العالمين ، قال الله تعالى :
حمدنى عبدى ، وإذا قال : الرحمن
الرحيم ، قال : أثنى على عبدى ،
وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال
تعالى : مجدنى عبدى ، وقال مرة
أخرى : فوض الى عبدى ، فإذا
قال : إياك نعبد ، وإياك نستعين ،
قال : هذا بينى وبين عبدى ، وله

تعرض لذلك لأن اجتهاد الرسول
صلى الله عليه وسلم أوضح من أن
يختلف فيه ، بدليل أن القرآن
الكريم كان يراجع فى بعض
اجتهاده ، كموقفه من أسرى بدر
فى سورة الأنفال ، ومن عبد الله
ابن أم مكتوم فى سورة عبس ،
وغيرهما ، وبدليل أن القرآن جعل
الاجتهاد من حق العلماء ، فى مثل
قوله تعالى : « فاعتبروا يا أولى
الأبصار » وأولى انسان بالاعتبار
رسول الله ، لذلك كان تفسيره
عليه السلام لآيات الكتاب العزيز
من وحي اجتهاده النبوى ، وإذا علم
أن اجتهاده الصائب نوع من الهامه
الصادق فقد اقتسرت شقة
الاختلاف .

ونحن هنا لا نبحث عن التفسير
النبوى لنحلل الجوانب الفقهى منه
أو الجوانب التاريخية والعقدية ،
فذلك ما تكفل به العلماء فى شرح
الحديث النبوى ، ولكننا نريد أن
نشير الى الجوانب الأدبى فى شرح
النص القرآنى ، أو استشفاف
بعض معانيه ، لنعرف كيف كان

وهم بعد أهل اللغة وخبرائها
الثقات ، إلا ما وجد من كلمات
يسيرة كانت تغييب معانيها عن فريق
دون فريق ، مثل كلمة (بضع) فقد
روى ابن عباس أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : « البضع ما بين
الثلاث والتسع من السنوات »^(١) .
ومثل كلمة (المهل) فقد روى
أبو سعيد الخدري أنه صلى الله
عليه وسلم . قال في تفسير قوله
تعالى : « وان يستغيثوا يغاثوا بماء
كالمهل » أي (كعكر الزيت ، فإذا
قرب اليه سقطت فروة وجهه
فيه)^(٢) . أما ما عدا ذلك فليس
بالتفسير اللغوي بل بما توحى به
الدلائل ، ويكشف عنه السياق .

ولنا أن تقسم بعض ما نستشهد
به من النماذج النبوية للتفسير
القسراني الى ثلاثة أنواع : نوع
يكشف عن المعاني المجهولة للألفاظ
لا يوحى بها المنطوق ، ونوع ثان
جاء تفسيره في سياق إرشادي يسهل
لمراميه ، ويكشف عن مدلوله ،

ما سأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط
المستقيم ، صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين ، قال : هذا لمعنى ،
ولمعنى ما سأل « (١) » .

فإن هذا الحديث ينبيء أن
محمدا صلى الله عليه وسلم كان
ينظر الى سورة الفاتحة نظرة كلية ،
بمعنى أن آياتها قد رتبت ترتيبا
متناسكا يسلم أوله الى آخره ،
هذه النظرة الصائبة تدل على بصر
كامل بالبيان الرفيع ، وتتخطى
أزماها كثيرة لتثبت أمام النقد
المعاصر أن ما يكثر الحديث عنه من
وحدة الموضوع كان مفهوما واضحا
لدى رسول الله في عهد النبوة .

وقارئ النصوص التفسيرية
المأثورة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، يدرك أنها لم تكن في
أكثر حالاتها تفسيرا لغويا ، لأن
القرآن قد خاطب العرب بما يفهمون ،
وما نهد الذكر الحكيم الى شغاف
قلوبهم إلا لوضوحه في أذهانهم ،

(١) التاج ج ٤ ص ٣٧ .

(٢) التاج ج ٤ ص ٢٠٩ .

(٣) التاج ج ٥ ص ٤٥٤ .

بذلك عناء مرهقا للنفس المؤمنة ،
اذ لا يخلو أي انسان من ظلم نفسه ،
فأراح التفسير النبوي من هذا
الغناء •

٢ - روى النعمان بن بشير عن
النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه
قال : الدعاء هو العبادة ، ثم
قرأ « وقال ربكم أدعوني أستجب
لكم ، ان الذين يستكبرون عن
عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » (١)
وهذا تفسير معقول اذ أن قوله
تعالى عقب الأمر بالدعاء : « ان
الذين يستكبرون عن عبادتي »
يكشف المراد من معنى الدعاء ،
وهو ما اهتدى اليه الرسول حين
قرأ الآية جميعها ، وبذلك يخطئ
من يظن أن كل دعاء مستجاب
كما هو الظاهر من المعنى اللفظي •

٣ - قال أبو أمية الشعماني :
سألت أبا ثعلبة عن معنى قوله
تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم
أنفسكم ، لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم » فقال : أما والله لقد

ونوع ثلث أوحى به المقام من
توجيه سؤال أو واقع حال ، وكلها
تصور وقوفه صلى الله عليه وسلم
على أسرار البيان القرآني ، وتشرع به
معانيه تشرياً لا يتاح الاثله •

فمن النوع الأول من هذه
الآثار •

١ - عن عبدالله بن مسعود رضى
الله عنه قال : لما نزلت : « الذين
آمَنوا ، ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ،
أولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون » ،
شق ذلك على المسلمين ، فقالوا
يا رسول الله : وأينا لا يظلم نفسه ،
قال ليس ذلك ، إنما هو الشرك ،
الم تسمعون ما قال لقمان لابنه
« يا بني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم » (١) •

فواضح من تفسير الرسول أنه
يقرر أن القرآن يفسر بعضه بعضاً ،
فقد جاء بالنص الثاني من سورة
لقمان ليفسر معنى الظلم في النص
الأول من سورة الأنعام ، وهي قاعدة
أصبحت من المسلمات الآن ، فأزال

(١) التاج ج ٤ ص ٢٢٤ •

(٢) التاج ج ٤ ص ٢٧ •

عن المنكر يؤكد ذلك ، فقد روى أبو عبيدة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان بنى اسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه ، فاذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وشربه وخليطه فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، وفيهم نزل قول الله : «لن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبش ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبش ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون » .

قال الراوى : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس ، فقال : « لا ، حتى تأخذوا على يد الظالم فتأخروه أطرا » (١) .

(٢) التاج ج ٤ ص ١٠٨ .

سألت عنها خيرا ، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « بل اتثمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، واعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك » (١) .

فالتفسير المحدث هنا لا يفصل الأهداف العريقة التي دعا اليها الاسلام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد يظن بعض السذج أن قول الله تعالى : « عليكم أنفسكم » مما يدعو الى التفات المرء الى نفسه دون غيره ، بمعنى أنه لو رأى معصية ترتكب فلا ينهى عنها ، ما دام هو في ذاته لم يقارف اثما ، فجاء التفسير النبوي ليبدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قدر الاستطاعة ، حتى اذا ظهر اليأس من القدرة على الاصلاح ، كان على المؤمن أن يتولى أمر نفسه اذ لا يضره من ضل حين اهتلت نفسه .

وأكثر ما روى من تفسير رسول الله لآيات الأمر بالمعروف والنهي

(١) التاج ج ٤ ص ١١٢ .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا الى تصحيح ما يتوهمه المسلمون من الخطأ في تفسير بعض آيات الكتاب العزيز ، فما يكاد يصل الى سمعه بعض ما جاء في غير موضعه من القول حتى يبادر الى احقاق الحق ، فقد قرأت عائشة ذات مرة قول الله عز وجل : « والذين يؤتون ما أتوا ، وقلوبهم وجلة ، أنهم الى ربهم راجعون » فسألت رسول الله : أنهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : لا يابنت الصديق ، ولكمهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ، ويخافون ألا يقبل منهم » .

فكان عائشة رضي الله عنها ظنت الوجل من حدوث الذنب ، وغفلت عن سياق الآيات ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا يبتسر قطعة من النص ليستشهد بها دون النظر الى جميعه ، فهو يعلم أن الآية سيقت في مجال الحديث عن المؤمنين الأتقياء اذ يقول الله عز وجل عنهم في سورة (المؤمنون) : « ان الذين هم من خشية ربهم

مشفقون • والذين هم بآيات ربهم يؤمنون • والذين هم بربهم لا يشركون • والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة ، أنهم الى ربهم راجعون • أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » وواضح أن الذين يسرقون ويشربون الخمر ليسوا هم الذين من خشية ربهم يشفقون ، وليسوا ممن يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ، ولو تدبرت عائشة رضي الله عنها النص الكامل ما سألت سؤالها ، أما الخوف والوجل مع هذه الأعمال فخشية ألا يتقبلها الله ، وهذا ما عبر عنه القرآن بالاشفاق في مجال آخر حيث قال عن المؤمنين في الجنة : « وأمددناهم بأكمة ولحم مما يشتهون • يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم • ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون • وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون • قالوا انا كنا في أهلنا مشفقين • فمئن الله عذبنا ووقانا عذاب السموم • انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم » .

دكتور : محمد رجب البيومي

في مواجهة الإلحاد المعاصر:

خلاصة تناقضات الإلحاد العلمي

للدكتور جيمس هاشم

(١)

وكل الخلاف بين العالم والمؤمن هو أن تحقيق الفرض العلمي يتم في وقت أقصر من تحقيق الفرض الديني « (١) » .

ونحن لا نسلم بأن تحقيق الفرض العلمي يتحقق - دائما - في وقت أقصر ..

إن الملحدين الماديين عندما يرفضون الدين لقيامه على مسلمة افتراضية إيمانية ، يتناقضون عندما يقبلون العلم التجريبي في قيامه ابتداء على مسلمة إيمانية مماثلة .

وقد بينا ذلك في بحثنا في عقائد العلم عن الإيمان الأولى .

يقول شلر :

« إن فروض العلم كفروض الدين .. »

العالم يسلك كما لو كان فرضه صحيحا انتظارا لتحقيقه ..

والمؤمن لم يفعل أكثر من ذلك . إذ يسلم بفرضه وينتظر نتائجها العملية .

(٢)

إن الماديين الملحدين عندما ينكرون الدين الإلهي لأنه يتعلق بالمجردات التي لا سبيل للإنسان إلى العلم بما يتناقضون مع أنفسهم عندما يؤمنون ببيئات العلم وعلى قمتها المادة التي كشف العلم الحديث عن أنها شيء مختلف تماما عما ندركه بأدواتنا الحسية المباشرة أو غير المباشرة .

« الموضوعية أو الواقعية » وفى
مبحثنا عن أخطاء التزييف الحسى •

(٤)

والماديون الملحدون عندما
ينكرون الله سبحانه وتعالى
ويرفضون التعبد له يتناقضون مع
أنفسهم اذ يتخذون معبودات
أخرى • •

وقد بينا ذلك فى مبحثنا فى
عقائد العلم ، عن تمبد الماديين
لغير الله •

(٥)

والماديون الملحدون الذين
ينكرون الخالق لانكارهم خلق
شئ من لا شئ وزوال شئ الى
لا شئ • • • يتناقضون مع أنفسهم
عندما يقرون بأن للطبيعة حركة
ونظاما وغاية تطورية ناشئة من
لا شئ • •

يقول الاستاذ اسماعيل مظهر • •
« وأنت أينما وليت وجهك فى
نواحي الطبيعة وعرفت شيئا من
أسرارها وقمت على قصد ونظام

وقد أوضحنا فى كتابنا عقائد
العلم كيف أن العلم التجريبي
الحديث يقوم على الايمان بقييات
خاصة به (١) •

(٣)

واذا كان الماديون الملحدون
ينكرون موضوعات الدين لأنها
لا يمكن ادراكها • • • فانهم
يتناقضون مع أنفسهم حين يقبلون
موضوعات التمييز بالرغم من :

١ - أن العلم الحديث يقر أننا
عاجزون عن ادراكها كما أثبتنا ذلك
فى عجز العلم عن ادراك حقائق
الأشياء •

ب - اننا عاجزون عن التعبير
عنها كما بينا ذلك فيما يذهب
اليه أقطاب الماركسية عن « التمثيل
العلمى للحقيقة وصعوباته » •

ج - أن العلم الحديث يذهب
الى أن ادراكنا الحسى لها ادراك
مزيف تقوم فيه الذات بتزييف
الموضوع ، وقد بينا ذلك فى
مبحثنا عن عجز العلم عن تحقيق

(١) انظر كتابنا عقائد العلم

يتناقضون مع أنفسهم عندما
يعترفون بعجز العلم عن معرفة
الأسباب الكبرى للطبيعة ..
فيلجأون الى القول بالمصادفة وقد
بيننا ذلك فى بحثنا فى عجز العلم
عن تجنب القول بالمصادفة .

(٧)

ويتناقض الماديون الملحدون
المتشككون بالعلم التجريبي ..
عندما يرفضون الدين لعدم
كشفه عن جميع الحقائق ...
ثم يقبلون العلم مع مجهولاته
لمجرد اعتقادهم بأنه صائر الى
كشفها فى المستقبل .

وقد بينا ذلك فى بحثنا فى
عقائد العلم عن « الايمان الغيبي
بالمستقبل » .

(٨)

ان الماديين الملحدين الذين
يرفضون حقائق الدين لمجرد أن
الدين لم يقدم تفسيره لها :

ونسبة تضبط تركيب المادة وتكون
طهاراتها .

فسلهم :

كيف يخرج القصد والنظام من
الفوضى المطلق والعماء الصرف ؟

وكيف تأتى النسبة من
اللانسبة ؟ (١)

وقد أثبتنا أن جدلية الجزئيات
المكونة للذرة غير كافية فى اقامة
العلاقات بينها (٢) . فضلا عن
القول بأنها كافية فى قيادة حركات
التطور والتقدم على الوجه الرائع
الذى نجد الانسان على قمته ..

« لقد خلقنا الانسان فى أحسن
تقويم » صدق الله العظيم ..

(٩)

ان الماديين الملحدين عندما
ينكرون الله سبحانه لأن القول به
فى نظرهم محض عجز من الانسان
عن معرفة الأسباب الطبيعية ..

(١) ملقى السبيل ص ٤٦ .

(٢) انظر ما ذكرناه فى بحث العبادة عند المادية الجدلية
فى كتابنا عقائد العلم .

لماذا تقع ١٠٠٠ ؟

يتناقضون مع أنفسهم عندما
يقبلون حقائق العلم بالرغم من
عجزه عن تقديمه لهذا التفسير وقد
بيننا ذلك فى مبحثنا عن عجز العلم
عن « التفسير » واقتصاره على
« الوصف » .

(٩)

واذا كان الماديون المحدون
ينكرون موضوعات الدين لأنها لم
تصل الى أن تصبح موضوع معرفة
يقينية — وهم كاذبون فى ذلك —
فانهم يتناقضون مع أنفسهم حين
يدعون الناس الى أفكارهم التى
يعترفون فى نهاية المطاف بأنها غير
يقينية .

وقد بينا ذلك فى بحثنا عن
لا حتمية قوانين الطبيعة فى كتابنا
« مزاعم الاتحاد العلمى » وفى
بحثنا « عجز العلم عن اليقين » .
(١٠)

إن الماديين المحدين عندما
ينكرون الدين الالهى لأنه خارج
عن نطاق العلم المادى يتناقضون مع
أنفسهم عندما يعترفون بأن المعرفة
المادية لا تشمل كل مناطق المعرفة .

وهذا فى حد ذاته هو مبدأ

الاعتراف بالميتافيزيقيا .

وقد بينا ذلك فى مبحثنا فى
« عجز العلم » عن طرق جوانب
مختلفة للمعرفة الانسانية .

(١١)

الماديون المحدون عندما يعترفون
بأن المعرفة العلمية معرفة نسبية...
يتناقضون مع أنفسهم عندما
يفررون انها كافية الآن ، أو انها
ستكون كافية فى المستقبل لكى
تشمل كل مناطق المعرفة التى يتطلع
اليها الانسان ...

ذلك لأن المعرفة النسبية تشير
بالضرورة الى المعرفة المطلقة ؟

فكيف يصل العلم الى هذه
المعرفة — المطلقة — وقد أقررنا
بنسبية العلم ؟

وقد بينا هذا فى عجز العلم عن
ادراك المطلق .

(١٢)

والماديون المحدون عندما يدعون
الاقتصار على المنهج العلمى
التجريبى يتناقضون مع أنفسهم
عندما يضعون « القواعد العامة »

من خلال النظرية المادية الى
التطور •

(١٥)

والماديون الملحدون عندما
ينكرون الدين بما يقدمه من بناء
للقيم لا تستغنى عنه الحياة
الانسانية أو « العملية » ، أو
« العملية » ...

يتناقضون مع أنفسهم عندما
يحاولون الاحتفاء بهذه القيم التي
يعجز العلم التجريبي عن تبريرها .
وهذا ما يناه في مبحثنا عن عجز
العلم عن ارساء « القيم » •

(١٦)

وأخيرا :

إذا كان العلم يقف موقفا
لا أدريا من الحقيقة فإن الملحدون
العلميين يتناقضون عندما يؤكدون
بطلان العقائد الدينية ، وإن الانسان
سوف يترك سدى وإنه ذاهب الى
المدم ، وقد ينا ذلك في عجز
العلم وبخاصة فيما ذكرناه عن
عجز العلم عن الوصول الى
اليقين •

د. يحيى هاشم حسن هرغل

التي يميز هذا النهج عن
تبريرها ...

وقد ينا ذلك في مبحثنا في
عجز العلم عن التعم •

(١٣)

والماديون الملحدون عندما
يؤمنون بامراد سنن الطبيعة ايمانا
أوليا نزولا على حكم الضرورة
العملية فحسب ...

يتناقضون مع أنفسهم عندما
يرفضون الدين مع صحة اقامته
على هذه الضرورة العملية نفسها •
وقد ينا ذلك في لا حتمية القوانين
الطبيعية في كتابنا « مزاعم الالحاد
العلمي » •

(١٤)

والماديون الملحدون عندما
يؤمنون بالتطور ... يتناقضون مع
أنفسهم عندما ينكرون الدين
المصدر الوحيد الذي يمكنه أن
يقدم لهذا التطور مفهومه
التقدمي •

وقد ينا ذلك في مبحثنا عن
عجز العلم عن استنباط معنى التقدم

الإسلام في الفكر الأوربي

عرض وتحليل لمؤلفات أوربية
بقلم الدكتور محمد شامة

(٧)

الباب السابع الفن الإسلامي

ويتضمن :

١ - ملامح الفن الإسلامي الأصلية :

✽ ذكر القرآن الكريم التماثيل في معرض حديثه عن أعمال الشيطان ، وكان المقصود من هذا - في المقام الأول - هو التحذير من اتخاذ الأصنام آلهة تعبد من دون الله . كما جاء في الحديث الشريف أيضا تحريم النبي صلى الله عليه وسلم على المسلمين إقامة التماثيل لأي كائن حي . وبهذا حرم الإسلام ما أباحه اليهود من تصوير الله بصورة إنسان ، ورفع منزلة الله إلى مقام لا يستطيع الإنسان أن يصل إليه ، وبالتالي لا يمكنه تخيل صورته أو رسمها بأي شكل من الأشكال .

✽ التزمت دوائر الفن الإسلامي بهذا التحريم إلى أقصى درجة ممكنة ، فلم يجرؤ مسلم على رسم صورة لله ، إذ أن أي محاولة في هذا المجال ، هي رجوع - حسب ما جاء في الحديث الشريف - إلى عبادة الأصنام . غير أنه ظهرت بعض الصور في مجال الفن الشعبي بعد انتهاء القرن الأول نتيجة الوقوع تحت تأثير الثقافة الاغريقية ، وفيما بعد بتأثير الثقافة الفارسية أيضا . فقد رسمت - على سبيل المثال - صور على الأواني والسجاد ، فجاء معظمها في شكل معبر جذاب كانت هذه الأشكال بعيدة عن محيط الدين ، قصد بها جذب السياح القادمين من الغرب ودفعهم إلى

شرائها ، كما صدرت الى كل أنحاء العالم ، كما يحدث في عصرنا الحالي ، لأن عدم ارتباطها بالزمن أكسبها الدوام والاستمرار عبر القرون .

✽ اذا تأملنا هذا الطراز الثابت - أى الذى لم يتغير بتقلب العصور والأزمان - فى الفن اليدوى ، لتأكد لنا أنه يتجه الى الزخرفة العامة ، ولا يعبر عن ميول الفنان الذاتية ، فقد تنازل عن التعبير عن ذاتيته فى سبيل إبراز الألوان والأشكال التى تبعث السرور فى نفس المشاهد . حتى الفن الذى يذكر بتاريخ وعصر معين لم يفقد اهتمام المشاهد وتمتعه باقتنائه ، وذلك على عكس الأعمال الفنية اليدوية فى الغرب ، حيث يتحول نظر المشاهد من الشكل الى المضمون وملامح الفنان الذاتية ، وقد ركز العلماني منها على إبراز المضمون لدرجة أن اتجاه الفنان فى جانب الشكل لم يفهم الا نادرا ، ان لم يظهر رفضه اياه .

أصبحت الزخرفة هى موضوع الفن الاسلامى الذى احتفظ بقواعد

ثابتة - الى حد ما - على امتداد العصور ، حتى فى رسومات السجاد التى تحتوى على صور آدمية ، ورسومات حيوانية ، نجد أن الأشكال الهندسية المتداخلة معها ، تلقى اهتماما أكثر من الصور والرسومات ، لأنها ليست هى الأساس ، بل الزخرفة هى المحور الذى يقوم عليه العمل الفنى .

✽ لم يقتصر هذا الاتجاه على جانب دون آخر ، بل شمل جميع الجوانب اذ كان الفن مرآة الدين ، والتاريخ باحداثه التى لا حصر لها ، يعنى فى الاسلام معبرة الى عالم الالوهية اللازمى . وقبول هذا المبدأ فى الأعمال الفنية ، يبرهن - أكثر من أى كتاب - على مدى تعمق العقيدة الاسلامية فى وجدان المجتمع . ومن هذا المنطلق تكونت فى كل مجالات الفن الاسلامى وحدة ، جمعت بين المبادئ الدينية ، وما يستعمله المؤمن فى حياته اليومية ، ووحدة لانعرفها نحن المسيحيين ، اذ يوجد عندنا حناط يفصل بين الفن الدينى والدنيوى ،

هَذَا دَارُ حَدِيثِنَا حَوْلَ الْفَنِّ الْمَسِيحِيِّ،
كَانَ الْمَقْصُودُ الْفَنِّ الدِّينِيِّ ، أَمَّا
اصْطِلَاحُ « الْفَنِّ الْإِسْلَامِيِّ » فَهُوَ
يُعْبَرُ عَنِ الْمَجْمُوعِ الْكُلِّيِّ لِلْفَنِّ ،
الَّذِي اتَّجَهَتْ الشُّعُوبُ الَّتِي تُؤْمِنُ
بِالْإِسْلَامِ .

✽ تَمِيزُ الْفَنِّ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ بَدَايِهِ
عَصْرَهُ عَنِ كُلِّ الْإِتْجَاهَاتِ الْفَنِّيَّةِ فِي
الْعَالَمِ ، فَقَدْ وَجَّهَ إِلَى أَهْدَافٍ
خَاصَّةٍ ، وَخَضَعَ فِي مَجَالِ الْإِسْتِمَالِ
لِلْمُنَافَسَةِ . كَذَلِكَ بِذَلِكَ النِّقَابَاتِ
الْمُهْنِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ جُهُودَهَا فِي مَجَالِ
التَّسْوِيقِ ، فَاعْتَنَتْ بِجُودَةِ الصَّنَاعَةِ ،
وَرَاقَبَتْ تَنْفِيزَ الْمَوَاصِفَاتِ فِي
التَّصْنِيعِ ، فَانْفَرَسَتْ فِي تَقْوِيسِ الْعَمَالِ
الرَّغْبَةَ فِي تَحْسِينِ مَا يَنْتُجُونَ
فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى خَلْقِ بَدَائِعٍ فَنِّيَّةٍ ،
وَرَوَائِعٍ زَخْرَفِيَّةٍ ، اكْتَسَبَتْ شُهْرَةً عَلَى
مَدَى قُرُونٍ عَدِيدَةٍ .

✽ أَخْرَجَ الْوَعْيُ الْفَنِّي شَيْئًا مِنْ
مَجَالِ اللَّاوعِي ، وَمِنْ هُنَا جَاءَ السَّحَرُ
الَّذِي شَعَّ فِي فَنِّ الزَّخْرَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ،
إِذْ يَحْمِلُ اللَّاوعِي - لَدَى كُلِّ
إِنْسَانٍ - فِي أَعْمَقِ دَرَجَاتِهِ الْعَاطِسَةَ
الْأَصْلِيَّةَ لِتَذْوُقِ الْجَمَالِ .

✽ اسْتَلْهَمَ الْفَنُّ الْإِسْلَامِيُّ
أَفْكَارًا مِنَ الْفَنِّ الْأَغْرِيْقِيِّ وَالْعَارِصِيِّ
وَالْمَسِيحِيِّ ، وَلَكِنْ مَا أَخَذَهُ مِنْ هَذِهِ
الْفَنُونِ الْمُخْتَلِفَةِ إِعَادَهُ فِي شَكْلِ
اتِّخَاذٍ طَائِفًا مُخْتَلِفًا كُلَّ الْإِخْتِلَافِ عَنِ
مَصَادِرِ هَذِهِ الْأَفْكَارِ الثَّلَاثَةِ ، إِنْ
عَبَّرَ عَنِ اتِّجَاهٍ إِسْلَامِي خَالِصٍ يَحْمِلُ
بِصِمَاتِ الرُّوحِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي
تَخْضَعُ لِأَرَادَةِ اللَّهِ ، الَّذِي حَدَدَ فِي
الْلُوحِ الْمَحْفُوظِ مَصِيرَ الْعَالَمِ كَكُلِّ ،
وَقَدَّرَ لِكُلِّ كَائِنٍ حَيْثُ قَدَرُهُ عَلَى
حَدٍّ ، فَمَا يَبَاشِرُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَعْمَالٍ
هِيَ فِي وَاقِي الْأَمْرِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى اللَّهِ
وَفِي ضَوْءِ هَذَا الرَّأْيِ يَسْتَطِيعُ الْمُرءُ
أَنْ يَدْرِكَ عَدَمَ وَجُودِ الْإِتْجَاهِ
الطَّبِيعِيِّ « Naturalism »

- بِمَفْهُومِنَا - عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنْ
الشُّعُوبَ الشَّرْقِيَّةَ كَانَتْ - وَلَا يَزَالُ -
عِنْدَهَا دَائِمًا حَاجَةً وَاقِعِيَّةً قَوِيَّةً .

✽ انْحَصَرَ الْأَعْجَابُ بِالصُّورِ فِي
الْأَشْكَالِ الَّتِي تَجْنَحُ لِلْخِيَالِ ، وَكَذَلِكَ
أَيْضًا الْمَوْضُوعَاتِ التَّارِيخِيَّةِ ، الَّتِي
قَدِمَتْ لِفَنِّ الزَّخْرَفَةِ وَصَنَاعَةِ الْمَسْجَدِ ،
فَرِصَةٌ لِرَسْمِ صُورٍ فَنِّيَّةٍ فِي أَطَارِ أَكْثَرِ
حُرِّيَّةٍ مِنَ التَّصَوُّرِ الْخِيَالِيِّ .

قواعده الفنية ، ولكنهم أضافوا إليها نماذج الرسوم والزخرفة ، بفضل ابتكارهم في هذا المجال . ظهرت رسومات ثابتة - أى لا تزول بالفصيل أو التعرض لأشعة الشمس - على نسيج الحرير والصوف الفارسي ، وقلدته مصر وسوريا . فتلفت المصانع طلبات عديدة لتوريد هذا النوع من الملابس والستائر ، ولكن مدن النسيج الفارسية فاقت المدين الأخرى في صناعة نسيج الحرير والقطن والصوف . وبعد تدمير المنفولين هذه المصانع استطاعت بعض هذه المدن أن تستعيد قدرتها على الإنتاج تدريجياً . فانتجت المنسوجات الحريرية ، وصدرتها إلى أوروبا ، كما أضافت إلى الرسوم الزخرفية المحلية رسومات أخرى استنبطت من عالم الأساطير ومن المجالات الثقافية لشعوب شرق آسيا كالأفاعى والسحب ، والطائر السحري الذي اتخذ رمزا لعودة الروح .

* بلغت صناعة الأنواع الفاخرة عصرها الذهبي في عهد الدولة

* قد تكون أفكار الفن الإسلامي غير معروفة في كل العالم ، أو مختلطة على بعض الناس ، ولكن يستطيع كل إنسان إدراكها في مسجد أو حتى في النقوش العبرية ، إذ تعني كل الشعوب الإسلامية بهذا النوع من فن الزخرفة التي تستخدم رسومات الزهر والبراعم ، ولا يستطيع أى فن فى العالم اتقان هذا التناسق الموجود فى لوحات الرسوم الإسلامية .

* وبالإضافة إلى هذا فقد ظهر فى رسومات النسيج أشكال هندسية وصور للإنسان والحيوان وخطوط عربية فى أشكال زخرفية بديعة . وهكذا دخلت الآيات القرآنية والحكم والأمثال فن الزخرفة فصنع منها الفنانون لوحات زخرفية رائعة .

٢ - النسيج

* عرف المسلمون فن النسيج من سكان المناطق التى فتحوها ، وبالذات من المصريين والسوريين والعراقيين ، فقد أخذوا منهم

يوجد حتى اليوم مراكز خاصة
لبحث ودراسة صناعة السجاد
الهندي ، فقد توصل الباحثون
الى أن هذه الصناعة كانت منتشرة
فى القدم بين البدو الرحل فى
وسط آسيا ، ثم انتقلت الى منطقة
الشرق الأوسط ، ويرجع أقدم
ما وجد من هذه الصناعة الى القرن
الرابع قبل الميلاد ، ولكن الباحثين
لم يجزموا بأنها لم توجد قبل هذا
التاريخ .. ثم يضى المؤلف فيبين
المادة التى صنع منها السجاد وطرق
صناعته المتنوعة فى العقد
والرسومات ، ومجال استعمال
المصنوع .

✽ عندما رحل «ماركوبولو»
الى الشرق الأقصى كانت صناعة
السجاد مزدهرة فى الأناضول ،
فكتب عنها بأسلوب ينم عن إعجابه
ودهشته عندما شاهد هذه الصناعة .
ازدهر هذا الفن فى آسيا الصغرى
وفى مصر - فى عصر المماليك - ،
فإن أقدم القطع الشرقية الأصلية
بما عليها من رسومات زخرفية
جاءت من هاتين المنطقتين

الصفوية عندما طلبت قصور أوروبا
ذلك النوع المصنع بالذهب
والفضة من أصفهان ، وظلت
تستورده منها ابتداء من عام ١٥٠٢م
على امتداد مائتين وخمسين عاما .
ثم ضاعت هذه الصناعة . بذهاب
الدولة الصفوية ، إذ كانت هزيمتها
أمام الأفغانيين انهيارا لهذه
الصناعة .

٣ - صناعة السجاد الهندي :

✽ يعتبر اقتناء السجاد الفارسي
عندنا علامة على ثراء وتعضد من
يملكها إذ ينظر اليه على أنه من
الطبقة المميزة فى المجتمع . يندرج
تحت كلمة « سجاد فارسي »
العديد من أنواع السجاد الشرقى
المستورد من بلاد كثيرة . فعلى
الرغم من أن السجاد المصنوع آليا
بلغ درجة ممتازة ، إلا أن خبراء
السجاد لا يزالوا يفضلون السجاد
المصنوع يدويا ، لأنه لم يزل
محتفظا بقيم وتقاليد الفن الشرقى .
✽ احتلت عقد السجاد - على
امتداد التاريخ ، منذ القدم حتى
الآن - مرتبة عالية ، لدرجة أنه

الألوان والأشكال في ذلك الوقت على أشدها .

✽ وجد بجانب السجاد الفاخر أنواع أخرى من السجاد اليدوي للاستعمال الشخصي وللطبقات الشعبية ، اذ أن كل انسان في حاجة الى سجادة للصلاة فأحدث هذا الطلب المتزايد رواجاً في صناعة وتجارة السجاد ، لدرجة أن البدو الرحل كانوا دائس العمل في نسج السجاد وكانوا يحملون معهم في حلهم وثرحالهم الأدوات التي يستعملونها في نسج السجاد .

✽ ظل الشرق حتى اليوم أكبر مورد سجاد للعالم ، وكان السجاد التركي أوسعها انتشاراً في العهد العثماني ، ولا زال مطلوباً في كل أنحاء العالم حتى اليوم بجانب الفارسي والقوقازي .

٤ - فن الخطوط :

✽ أظهر الخطاطون قدراتهم الفنية في رسم الكتابة العربية في أشكال فنية رائعة بصرف النظر عن كون الكلمة العربية في الأصل كان تركيا أو فارسياً أو عربياً ،

الاسلاميتين ، اذ تحمل طابعاً اسلامياً ، وإن اختلفتا في الزخرفة اذ يسما كان السجاد المصري - غالباً - قطعاً صغيرة ، محلاة برسومات هندسية حول دائرة كبيرة في الوسط ذات رسومات أشبه ما تكون بالميداليات ، نرى السجاد الاناضولي - وخاصة ما صنع في العصر العثماني - يميل الى الزخرفة النباتية .

✽ أخذت مصانع الدولة القائمة في قلب المملكة الاسلامية - ومنها ما كان في كونيا وفي القاهرة وتبرير - نماذج رسوماتها الزخرفية من كتب الرسامين ، اذ توجد نفس النماذج في الكتب وعلى السجاجيد ولهذا عندما تفقد قطعة من السجاد الأصلي ، فيمكننا التعرف على رسوماتها بسهولة من الكتب ، واعادة طبعها على قطعة أخرى . أخذت أشهر الرسومات الأصلية على السجاد ، من أشهر الرسامين في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي ، فقد كانت منافسة

أشكال الكتابة المختلفة ، وأنواع الورق المستعمل فيها ، وحجمه ودرجة جودته ، ثم ذكر أن بعض نسخ القرآن المكتوبة بخط اليد فى تلك العصور السابقة ، مازالت موجودة فى متاحف القاهرة .

✽ استعرض المؤلف أنواع تجليد الكتب ، واستعمال الجلد ، والحرير فى صنعها وبين أن أنواعا عديدة من جلود الفهم والماعز استعملت فى تجليد الكتب فى جميع المناطق الاسلامية ، من فارس حتى اسبانيا . أخذ الفارسيون استخدام الحرير والمواد اللامعة فى تجليد الكتب من الصينيين ، كما زينوا المجلدات بالفيسفاء وبقطع من العاج .

✽ لم تستغرق كتابة الكتاب فقط وقتا طويلا ، بل أخذ التجليد فى بعض الحالات سنين طويلة ، اذا كان المجلد مكلفا بتحقيق رغبة ملك أو سلطان فى تجليد الصفحات المكتوبة بالذهب ، والمرصعة بالنقوش الفنية تجليدا يضافى عليها رونقا أكثر مما فى داخل المجلد .

فقد أوجت الكتابة فى حد ذاتها — ولا زالت توحى الى الآن الى الفنانين بالابداع فى خلق اللوحات الفنية . ويرجع السبب فى اهتمام الفنانين باستعمال الكتابة فى لوحاتهم الى تحريم التصوير فى الاسلام . فكيف يمكن للمرء أن يقترب من تعظيم كلمة الله ، سوى بذل كل ما يستطيع فى كتابتها بخط جميل بديع . . وهكذا كانت العقيدة سببا فى تطوير فن الخطوط فى بداية النهضة الاسلامية .

✽ احتل الخطاط مكانا ساميا فى بلاط الخليفة فقد كان يكتب النصوص الطويلة من أوامر ومراسيم ورسائل دبلوماسية ، فكان خطه يمتد السرور فيمن يراه ، حتى لو كان أميا لا يعرف القراءة والكتابة . ولذا كان الخلفاء فى بغداد والماليسك فى مصر يدفعون مبالغ كبيرة فى لوحات الخطوط الجميلة ، ويطلبون كتابتها بمادة ذهبية أو فضية كما رغبوا فى اقتناء الكتب التى كتبت بخط جميل . . ثم يستعرض المؤلف

الفارسيون فقد اجتدعوا موضوعات خاصة لهم ، استنبطوها من الأعمال الأدبية الحرة ، ومن الطبيعة وأضافوا إليها أنماطا من الحياة والمناظر الشخصية .

* كانت رسومات الصور الصغيرة في القرون الأولى أمرا مكروها في مجال الفن في العالم الاسلامي ، وخاصة عند العرب بسبب نفور المسلمين من الصور .

وتردد المؤمنون كثيرا في رسم صورة ، عندما كانت ظروف اللوحة الفنية تقتضى رسمها . ولهذا التزموا في فهم رسم الخطوط المتداخلة مع الكتابة ، وتركوا

تصوير الأشخاص للمسيحيين والمناوئين الذين اكتسبوا شهرة بين قومهم بفضل ابداعهم في هذا المجال الفني . ومن هنا كانت الكتب المصورة التي صدرت في القرون الستة الأولى من تاريخ الاسلام ، من عمل المسيحيين ، حتى القصور التي أقامها الأمويون ، لم يرقم برسم ما فيها من صور سوى مسيحيين ويونانيين ، ورسامين عالميين جاءوا من بلاد غير اسلامية .

* ولما كانت الصور الفنية بجميع أنواعها - عاجزة في العالم الاسلامي عن الاقتراب من نص القرآن الكريم في مجال فن الخطوط ، فليس من المستغرب أن تحتل اللوحات الفنية للآيات القرآنية مكان الصدارة في هذا المجال الفني .

٥ - الرسومات الصغيرة :

* خضع تزيين الكتب لفن رسامي الرسومات الصغيرة ، فقد قاموا بعملهم بعد الانتهاء من كتابة النص ورسم العناوين والزخرفة الهامشية .

* كما لم يكن عمل هؤلاء الفنانين قاصرا على ما يضيفونه في الكتب المصورة ، بل استغلّموا ريشتهم أيضا في كتب علمية ، وكتب الرحلات . ومنحت لهم بجانب هذا العمل فرصة رسم كتابة أسماء الحملات الشهيرة مسزينة بالورود والزهور ، وقد اقتصر الفن العربي في هذا المجال على تزيين الكتابة بالصور ، أما

مسيطرة بصورها ولوحاتها حتى القرن التاسع عشر الميلادي .

✽ كانت مركز تجمع صغوة الرسامين في أواخر السدولة التيمورية في هراة ، وفي عهد الصفويين في تبريز ، فكانت كلتا المدينتين — على التوالي — مقر أكاديمية الرسم العليا التي اكتسبت شهرة واسعة ، ثم انتزعت منها هذه الشهرة مدرسة قزوين المقر الثاني للصفويين ، حيث وصلت في القرن السادس عشر الميلادي الى ذروة مجدها فبسطة أسطوبها على البلاط المنغولي في الهند ، ذلك الأسلوب الذي مال الى تناسق الصورة والكتابة ، مع الملاءمة بين الألوان والأشكال .

٦ — اعمال السيراميك والخزف والعبيساء :

✽ وجد فن الخزفة الاسلامية سوقا كبيرة في مجال تزيين الاواني بالسيراميك لأنها صنعت لتستعملها كل طبقات المجتمع ، وقد أمكن اعادة ما وجد في الحضريات من أوان وقطع زجاجية الى حالتها

✽ استعاد الفن مركزه بعد اصابته في الزحف المنغولي ، فقد انتقل معهم — وهم شمسوب آسيوية — تذوق الفن الصيني ، وخاصة ما احتوى على صور وخطوط مستقيمة ، وما أوحى باللين والتخيالات . تأثرت فارس — وهي وطن المنغوليين — بالنماذج والألوان والتراكيب الأجنبية ، فحررت من قيد تحريم تصوير الانسان وتجاوز الرسامون الحد في هذا المجال ، لدرجة انهم رسموا صورة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم . ففتحوا مجالا جديدا في تاريخ الحياة الانسانية ، حيث رسموا صوراً خيالية لأعمال التقرب الى الله ، كما يتصورها المتصوفون .

✽ كانت شاهنامه الفردوسي — التي احتلت مركزا مرموقا عند الفارسيين — مرجعا للرسامين أثناء الحكم المنغولي ، ولكنهم استلهموا أيضا كثيرا من صورهم من قصص الحب التي أذاعها الشعراء في المجتمع ، سواء كان ذلك في الجانب المدني أو الصوفي وظلت

غزا الاسكندر الأكبر هذه المناطق كانت هذه الصناعة قد اندثرت وطواها النسيان ، ومن المحتمل أن نماذج الأواني المكسوة بالطبقة الزجاجية اللامعة بعثت هذه الصناعة من جديد في القرن التاسع الميلادي ، وخاصة في بلاط الخلفاء في سامراء وبغداد ثم أمكن تحسينها بواسطة التقدم في مجال صنع المواد اللامعة فقد استطاعوا طبع ألوان - حمراء وصفراء وسراء - لامعة على مسطح أبيض شفاف مثل الزجاج . ومن أقدم قطع هذا اللون من الفن محراب جامع سيدى عقبة فى القيروان ، فقد صنع فى سامراء ، وما زال محتفظا بلمعانه حتى اليوم .

✽ كانت النقابات المهنية آنذاك حريصة على حصر سر المهنة فى محيط أبنائها ولكنها لم تستطع أن تمنع تسربها منعا كليا ، وعلى كل فقد توصل الفارسيون الى دقائقها ، فطوروها الى أحسن فى « سلطان آباد » و « كاشان » و « الرى » ثم اخترع أخيرا الفسيفساء اللامع . ولما كانت

الأصلية فأعطت الأشكال والألوان التى كانت طابع الفن فى العصور الإسلامية ، ففى العصر العباسى كانت زخرفة الأواني نماذج مبسطة تبدو فى صورة خطوط زجاجية صفراء وسوداء وخضراء ، وبرز مائنة على سطح الزجاج الشفاف . كما طبعت نماذج زرقاء مالطية على أرضية بيضاء .

✽ يبدو من محاولة تقليد الفن اليندوى الآسيوى - وخاصة الفن الصينى - أنه كان مشهورا فى ذلك العصر ، فقد ظهر فن صناعة الثريات من محاولة تصنيع الخزف الصينى ، ونشأ عنها أيضا صناعة الأواني الفاخرة التى حلت فى الاستعمال محل الأحجار الكريمة المحرم استعمالها . كانت زخرفة الأشكال الزجاجية غاية فى الابداع من ناحية الأشكال والألوان فقد بذلت محاولة ضخمة لتطويرها فى جميع المناطق من فارس حتى اسبانيا .

✽ كان من عادة قدماء المصريين وسكان غرب آسيا أن يكسوا الحوائط بمائل لامع ، ولكن عندما

✽ يبدو أن لجوء العمال الفنين الى قطع المعادن كان راجعا الى ندرة وجود الأحجار الكريمة فى المملكة الاسلامية ، فقد طعم البرونز بخيوط من الاحجار الكريمة فثبتت فيها بطريقة خاصة . يصعب اتزاعها • اتقلت هذه الصناعة من سوريا الى فينيسيا ، ومنها الى أوروبا •

✽ لم يتردد الصناع فى رسم صور الكائنات الحية فى زخرفة القطع المعدنية ، فقد ورثوا هذا الاتجاه عن الساسانيين فى الفرس ، وكان المسيحيون هم أول من قلدوا الفرس فى هذا المجال ، لأنهم لم يكونوا ملزمين باتباع تعاليم القرآن الكريم تحريم رسم صور الكائنات الحية ، وهكذا ظهرت صور الحيوانات - وفى بعض الأحيان صور ذات مدلول معين من العالم المملوكى - على الأواني والأسلحة • وحوائط المنازل وكانت المباخر المصنوعة على هيئة حيوان من أحب الأشياء عند الناس ، كما وجدت الأواني المصنوعة على

صناعته تحتاج الى وقت طويل ومال وفير فقد استعاض عنه الفارسيون برسم دوائر دقيقة على مسطحات كبيرة بصورة تعطى الإيحاء بأنه فسيفساء • وجد هذا النوع فى بلاط الشاه عباس ، كما لاقى رواجا كبيرا فى اسبانيا •

✽ سارت تركيا فى عهد العثمانيين فى اتجاه النهضة الإيطالية ، فتحورت من النماذج الفارسية منذ القرن السادس عشر الميلادى ، ومنذ ذلك التاريخ وهى تلبى فى فنها الأذواق الاوربية التى تأثرت بالطابع الشرقى •

٧ - صناعة المعادن :

✽ انجزت البلاد الاسلامية فى مجال صناعة المعادن انجازات رائعة ، فقد اتخذ المسلمون البرونز والمعادن الحام أرضية لزخرفتهم لأنهم رفضوا استعمال الذهب والفضة امتثالا لتحريم القرآن الكريم استخدامها فى الزينة ، ولكن على الرغم من هذا التحريم فقد ذكر ابن خلدون انها استخدمت فى قصور العباسيين •

القطع الفنية الرائعة الى عهد الفاطميين في مصر ، وهى الفترة الزمنية المحددة فيما بين عام ٩٠٩ م ، وعام ١١٧١ م ، فقد كان حجاج أوروبا المسيحيون مغرمين باحضار قطع تذكارية مصنوعة من الكريستال على صورة حيوانات معهم الى أوروبا كما أحضروا معهم أيضا فوارير لاستخدامها في المجالات المختلفة كأواى للعطور والأدوية .. و .. الخ .

* زيت الأباريق الكبيرة ذات المفضيين ، وأقداح الشرب ، والزجاجات (القيسان) من الكريستال بصور الحيوانات كالأسد والزرافة ، وبأشكال الطيور على اختلاف أنواعها . كما وجدت أيضا أوانى زخرفت بخطوط فقط ولما كانت مادة الكريستال تعتبر من الكماليات ، فقد نافس الزجاج المجلخ فن الكريستال ، اذ غطى انتاجه الاستعمال المنزلى كالأكواب والقيتان ، والأدوات المستعملة فى الكتابة ، حتى مصابيح الاضاءة المطلية بالذهب والفضة فى المساجد

صورة الحية - وعلى صور حيوانات الأساطير أيضا - فى أوروبا تقليدا لمثيلاتها المصنوعة فى الشرق ، كذلك قام الخطاطون بأعمال فنية على القطع المعدنية وخاصة على الأسلحة ، وكانت ترفع من قيمتها لو كان المكتوب عليها آية قرآنية .

* نشأ فن تطعيم المعادن فى فارس فى القرن الثانى عشر الميلادى ، ولكن القاهرة أصبحت المركز الرئيسى له بعد ذلك بأعوام قليلة ، فتطور فيها وازدهر ازدهارا لا مثيل له .

٨ - صناعة الزجاج :

* كانت بلاد فارس ولسن صناعة الكريستال والزجاج أيضا ، ثم انتشرت فى جميع البلاد الاسلامية . ويوجد الآن فى الكنائس المسيحية وقصور الامراء التى أقيمت فى القرون الوسطى جبال من الأوانى المصنوعة فى الشرق من الكريستال والزجاج . وتنسب الابحاث كثيرا من هذه

سحر حمل المشاهد على الاعجاب بها ، لما فيها من العاج المنحوت بشكل في نادر .

✽ ازدهر فن العاج في الاندلس وصقلية ، ثم انتشر من هناك فمع جميع بلاد الشرق الاسلامي ، كانت القطع الفنية تنقل من هناك وهناك فجاءت قطع فنية من مناطق

اخرى الى تلك المنطقتين وامن العاج الاصلي ، لان التبادل التجاري في ذلك العصر كان نشيطا لا يتوقف عن الحركة ابدا . فالتجار دائمو الرحلات الى الاماكن التي تروج فيها بضاعتهم ، فحيث لا يرغب الناس في اقتناء الاشكال المنحوتة يمرض التجار قطع الطرنج المصنوعة من العاج : وهكذا يرحلون يبضاعتهم الى حيث توجد الرغبة عند الناس لاقتنائها .

✽ تبدل المهارة المائلة في صناعة العاج في نحت الاشكال الخشبية على التفوق الاسلامي في هذا الفن ، اذ على الرغم من ارتفاع ثمن الخشب ارتفاعا فاحشا - فبسبب

✽ اشتهر الصانع المهرة في عهد الصفويين - وعلى امتداد قرون لاحقة - بصناعة الزجاج الملون بالالوان المفرحة ، فقد تناسقت أنوانهم الحمراء والصفراء والخضراء مع اشكال القطع الفنية ، سواء كانت ابريقا أو زهرية ، أو صهريجيا للزينة أو للاستعمال .

٩ - فن العاج :

✽ أعجب جنود الحملات الصليبية القادمين من العرب بالفن اليدوي الاسلامي فأخذوا معهم كل ما وقع في أيديهم الى أوطانهم ليهده الى ذوبهم أو ليطلعوهم على روعة هذا الفن . كان من بين هذه الهدايا والقطع التذكارية ، قطع فنية من العاج ، نحتها المسلمون على اشكال فنية ، بلغت درجة الكمال الفني فكانت دقائق قلب كل امرأة ترتفع من الفرح عندما يهدي لها زوجها العائد من الشرق مع الحملات الصليبية علبة مجوهرات مطعمة بالعاج . وكانت الخناجر ذات المقابض المصنوعة من العاج من الأسلحة الممتازة ، كما شح من الأبواق

نقص الانتاج المحلي ، وخاصة في مصر والعراق . استوردوا الحشب الهندي - لم يهملوا صناعة المنابر ومحامل الكتب للمساجد وقصور الاغنياء . كذلك ظهرت أيضا البلكنونات ذات الأسوار الخشبية في القاهرة وبغداد ، كما صنعت الأبواب والشبابيك من الخشب وزينت بالرسومات والتماثيل المطعمة بالعاج .

١٠ - فن المعمار الاسلامي :

* أراد الامويون المحافظة على الاسلام كواجهة ظاهرية ، بجانب النمو في جانب السلطة الدينية . ولما كانت هذه المملكة واقعة تحت تأثير الحياة البدوية التي خرجت منها فقد دارت حياتها بين مقرها في دمشق وبين الصحراء ، اذ بينما كان الخلفاء حريصين على الجانب الديني بجانب السلطة السياسية ، مال اخوانهم في الدم الى الاقامة في الصحراء ، حيث شيدوا لهم قصورا فخمة هناك . وفي هذا العصر - وهو عصر صدر الاسلام - لم يكن الفن المعماري

قد تحرر بعد عن النماذج البيزنطية والمسيحية ، ويدل على ذلك التجهيزات الداخلية لهذه القصور ، وكذلك النقوش وأسلوب الزخرفة ، التي جلب لها فنانون يونانيون وبيزنطيون . وفي مقابل هذا تطور الطراز الأموي في مجال الهيكل الخارجي المعماري تطورا ذاتيا فأصبح طرازا اسلاميا . ثم يمضي المؤلف في وصف اقامة المساجد بآذنها في هذا العصر وزخرفتها ، ويخص بالتفصيل المسجد الأقصى وبناء قبة بآمر الخليفة عبد الملك وزخرفتها بالفسيفساء والآيات القرآنية ، ويرى أن وجوده في المنطقة علامة على سيادة الاسلام في مواجهة الدولة اليهودية .

١١ - قصور الصحراء :

✽ قلد الاغنياء الخلفاء في الاهتمام بفن المعمار ، ومنهم من اهتم ببناء المساجد وزخرفتها . فاذا كان الخلفاء الأربعة الراشدون - الذين قعدوا تعاليم القرآن الكريم تنفيذا دقيقا - قد حرموا على أنفسهم كثيرا من متع الحياة

١٢ - الفن المعماري في العصور المختلفة :

✽ تناول المؤلف معالم الفن المعماري في كل عصر من العصور الإسلامية بالتفصيل مبينا أهم المعالم المعمارية من مساجد وقصور ، ومفصلا في وصف دقائقها •• وما بقي منها وما ضاعت معالمه ، وأفرد لكل عصر بابا ، فجاءت في كتابه على التوالي :

أ (فن المعماري في العصر العباسي •

ب (بغداد المدينة الدائرية •

ج (الفاطميون •

د (الفن في العصر السلجوقي •

هـ (الفن في العصر المملوكي •

و (الأبهة في الدولة التيمورية

ز (الفن في الدولة الصفوية

الفارسية •

ح (اسبانيا وشمال افريقيا •

ط (الفن في العصر العثماني •

ثم ختم الباب بقوله :

« كان الإسلام بالنسبة لأوروبا

- على الرغم من قسريه في

اسبانيا - عالما غريبا ، بل عالم

الديوية خوفا من أن يتعدوا عن الأسلوب الذي التزمه النبي صلى الله عليه وسلم في حياته فلم يشيدوا قصورا ولم يزخرفوا دورا ، فإن الوضع قد تغير في عهد الامويين ، فشيّدوا لهم قصورا في الصحراء ليستريحوا فيها من عناء السياسة والادارة ، وقد اطلق على قصر الصحراء « مشتي » •• ويمضي المؤلف في وصف هندسة بناء بعض هذه القصور وزخرفتها وتعرض بالتفصيل لكل لوحة من لوحاتها ، كما يبين معالم الفن الساساني والروماني ثم قال :

« كانت معالم الفن في العصر الأموي هي الأخذ من كل النماذج الفنية الموجودة سواء كانت منحرفة من شعوب آسيا أو من اليونان أو من الرومان ، اذ يجد المرء فيه سمات الفن اليوناني والروماني ، وفنون الشعوب الآسيوية حتى الهند » •

المغامرين والأعداء ، وعلى الرغم من هذا فقد أمكن الاستمتاع بنفسه الجميل دونما ضرر كما نقلنا عنه إنجازاته الهائلة في مجال التجارة ، ومجال الأبحاث العلمية ، ولكن ظل بين عقل الدين الاسلامي باقتناجه الخصب في كل مجالات الحياة ، وبين الدوائر المسيحية هوة عميقة لا يمكن التغلب عليها .

✽ تدين كل البلاد - من اسبانيا حتى الهند - بالطاعة والخضوع

لتعاليم الاسلام غير أن كل تناسير هذه التعاليم اختلفت تبعاً لما يراه انفسر في ضوء المتغيرات الاجتماعية التي يحياها . ومع ذلك لم يبعدهم الشراء الواسع - الذي عم بعض مناطقهم اليوم - عن تذكر الله ، بل زاد من قربهم له ، وقوى عقيدتهم في وحي الله الواحد القهار » .

للحديث بقية ..

دكتور : محمد شامه



الباحث عن الحقيقة

للمرحوم "محمد عبد الحليم عبد الله"

من منظور الفن الروائي

للدكتور فتحي محمد أبو عيسى

(١)

الرواية في كلماته التي تنقلها إلينا
العبارة الآتية :

« ان لم تكن احدى حسناتى
فاعض بها احدى سيئاتى يا ربى » •

وهى عبارة تصدر الرواية تقع
عليها عين القارئ قبل أن يلج
ساحتها ، ويقف على موضوعها •

(٢)

والرواية تمرد على الالف ،
وثورة على التقليد الأجوف ،
وانعتاق من عالم المادية المظلمة ،
والحيوانية الكاسرة الى عالم أثيرى
آخر ، تنامي فيه الروح عن
لذات الحياة ومغرياتها ، ويتبوأ
المراء فيه المكانة التي كانت له منذ
طق الملائكة يعجبون أن تكون
الآدمية اصطفاء لعبارة الأرض ،
فضلا عن استغلال الآدمي فيها ،

«الباحث عن الحقيقة» رواية
حاكت خيوطها أمجاد التاريخ
وأحداثه ، ولكنها — مع ذلك —
ليست تاريخا بحتا ، يقف بالحدث
التاريخى عند تخوم الحقيقة المجردة
بل عملا يرتفع بالأحداث والمواقف
الى حيث أقواف الخيال ، وروعة
التصوير ، فاذا المشهد الذى دوت
أصداؤه منذ فجر التاريخ ما يزال
موتقا غصن الالهاب ، لم تذو منه
النضرة أو تذبل على تقادم العهد أو
تتابع الأحداث ، بفضل هذه الغلائل
الشفيفة التي خلعتها عليه ملكة
الكاتب ومعايشته الموقف بماطفة
مترعة بالحب ، مفعمة بالأمانى ،
يتراءى ذلك من رجائه الضارع
الذى قدمه بين يدي أحداث هذه

الشخصية فى نطاق معين بعيداً عن التجسيد وأبعاده ، والرؤية الفنية التى تمكسها ايماءة لموقف ، أو ايعاء مستور فى ثنايا كلمات نسجها الكاتب حول بطل أو شخصية ، وتلك خيوط قد تفصل بين التراحى الساكنة ، والتراحى الحيوية التى تترقرق فى وعى الروائى أو خيال الكاتب ، أو لعلها الفرق بين التاريخ حين يأتى عطلا من الفنية وعارياً عن ارادها ومزداناً بأبهى حله من رواء العبارة ، وشحنة العاطفة ، وخلاصة الصورة .

(٣)

تكلفت « الباحث عن الحقيقة » بالترجمة الحية التى تكشف عن جانب — لعله أهم الجوانب — فى « سلمان الفارسى » الصحابى الجليل الذى اهتدى الى الحقيقة بيقينه وفطرته ، فتلمس الجانب النفسى والعقدى فيه .

ولكى يبدع الأديب الراحل فى وضع النقط على الحروف كان

وهو ذلك المعنى الذى أبرزته الآية القرآنية :

« واذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم ما لا تعلمون » (١) .

هى قصة العزم الأكيد ، والتصميم الجاد ، والتردد الذى يداخل النفس ، ليمضى بها فى طريق اليقين ، بحثاً عن الحقيقة التى تتجاوب مع « الفطرة » .

وقد ترتقى أحداث تلك الرواية فتشكل ما يمكن أن نطلق عليه « ترجمة فنية » — تتباين طويلاً وقصراً — تكشف عن الدخائل والحنايا التى استقرت فى وعى شخصيات ، تمثل أحداث هذه الرواية .

ونعنى بالترجمة الفنية ، ألا تكون من قبيل التراجىم التى تتوخى الموقف ، وتعتمد الحدث مجرداً عن الرتوش والأصباغ ، بحيث تقدم

(١) الآية (٣٠) .

هو الشيء الوحيد المنفصل عن كل ما حوله ، وكأننا اتفقت الكائنات جميعا على خصامه ، فنزل عليه الليل أشد ظلمة ، وكأننا الفجر على بقية الأشياء « واذ صار » بيت النار « على هذه المثابة من النفرة والشذوذ ، لا ينسجم أو يتسق مع ما حوله فعلى عكس ذلك بدا والنجم والحجر فى تفاهم وتناغم ، فقيم يكمن السر ؟

خطرات قلب ، ونجوى نفس دفعت الى أن يستغرق بكليته فى العبادة الصامتة والتأمل الخاشع ، غير أن آهة بددت هذا الصمت ، وقطعت عليه هدأة القواد لتحمل من معانى العبادة ما يعيش فى أعماقه ، وما تنطوى عليه حناياه .

(٤)

ويواجه « سلمان » - رضى الله عنه - قصة الصراع المرير ، وما كان أشد ما لقى فى سبيله من معاناة ومكابدة باحثا عن الحقيقة ولا شيء سواها ، فمن أين يبدأ ؟ أبا المجتمع وقد صار غريبا بكل ما فى الكلمة من معنى ، وهو الذى كان الى

مطلقه فى تصويره ورسم أبعاده منطلقا انسانيا ذا غاية متشودة ينعطف به الى ساحة الايمان ، ومرفأ النجاة ، ويتمثل فى الفطرة النقية الصافية التى يخلق صاحبها - ما أراد - الى عالم النور يستبطنه ويسير أغواره حتى يصل الى ضالته ومراميه .

وفى « الباحث عن الحقيقة » تتكثف الأضواء على مواقف تشكل حياة « سلمان » لحمة وسدى ، منذ أحس أنه فى مسيس الحاجة الى عالم آخر يتماذج به ، وذلك حين لاحظ أن كل مجربات الأمور - فى البداية - فى لدد وتنافر مع ما يهدر فى كيانه ، ومن هنا صب جام سخطه على « بيت النار » ، هذا المعبود الذى شبوا على قداسه ، وجد فى البحث عن هذا العالم الذى يود أن يستشعر فيه مسكينة النفس ، واستقرار القواد .

لم يعد « بيت النار » - كما كان - ذا مهابة ، بل غدا غريبا عليه ، يرى فيه الشذوذ ، و « هذا

عليه ، وأضحت اللهجة التي ألهمها
من أبيه نشازا لا يستريح الي
سماعه .. وأزمع أن يكون ذا
استقلال يميزه ، وإن كان هذا
الاستقلال بالنسبة الى الضعفاء
والمقهورين والمجلودين يتلشى أمام
ضعفهم ، فإذا به كأنه بضعة منهم .
وهكذا كان صراعه : مع بيت
النار ، ثم مع أبيه . وفي اصراره
على أن يزود عن المستضعفين ..
كل أولئك أكد له أن اطار التوافق
بين النجم والحجر هذا قد يشمل
الانسان ، ويدخل في دائرته .

ويقوى شعور « سلمان »
بالمطحونين من نبي البشر ، ويمضي
في تحليل هذا الشعور فيه ، فيصل
الى أن سعادة الانسان تفتقى
وراء تلك الأقنعة الزائفة التي
صنعها زيف الطغاة من كتبهم
وبارهم ، وطقوسهم ، وهل ذلك
كله الا خسر لمشاعر هؤلاء
المساكين ؟ !

لكم كان الفرار الى عالم يترنج
فيه احساسه ورؤيته أملا باسما .
وكانما الرؤى الوردية ظلت تخامر

الأمس القريب مهذا ينعم فيه
بالعيش الرافه ، والسعادة الطامرة ؟
وهل يملك في بداية هذا الصراع
أن يطوع كل شيء لما يرى ؟

دون ذلك خرط القتاد بعد
أن استقرت العادات في بؤر
الشعور ، واعتاد حياة الصغار
والمهانة يرتكس في مهاويها ، وما له
عنها بد ، وكأنما كتوس المذلة التي
يتجرعها أسلمته الى حالة من اليأس
القاتل .

لا بد - ادن - من وقمة يضحى
فيها بما استبعد سواء من المفتونين
برواء الحياة ومباهجها ، ولكن مع
من يبدأ جهاده وجلاده ؟

أبو الده الذي انصهر في كيانه،
والذي لا يخاطبه الا بـ « أنا »
أماره على الحب ؟ وماذا لو كان ؟
وشهدت حلبة الصراع جسولة
عمقت في الأذهان ان الحياة التي
امتلات بالجور والظلم واستنزاف
الحقوق واهدار الآدمية ما كان لها
أن تقيم وزنا للمبرة حتى بين الأب
وولده .. ومن ثم أعلن - في
غير موارد - رفضه لما درج

كيان الأب للحظته ، حتى لقد قال له
« أوجدت الله عند رعاة الخنازير ؟ »
واتتبه السمار ، والجواب يصك
مسامحه :

« نعم ، انه رب المساكين ،
وجدته على صورة جديدة : على
صورة الحق ليس في النار ، فاركم
التي تعبدونها ، وليس في الشمس :
الشمس الضعيفة التي غلبتها النار
على سلطانها في المعابد ، وجدته
في آلام الانسانية ، وفي الدعوات
الضارعة اليه في السماء » .

لم يعهد الأب في ابنه - من
ذئ قبل - صراحة أو حسبا على
هذا الفرار ، وجن جنونه
و « سلمان » مأخوذ بالمشهد الذي
رأى .. حين رأى النصارى
يصلون .. وعبثا حاول الأب أن
يقنع ابنه بأن ملك المجوس في
العبادة يبذ ملك النصارى فالمجوس
انما يتقربون بالعبادة الى ما يرون
توصلا به الى ما لا يرون .

وتنطلق - على الفور - ضحكة
من « سلمان » دليلا ماديا على
تهافت آييه في دعواه الضاوية

احساسه الى أن اغرورقت عيناه
بالدموع لا لشيء غير شوق مبهم
يخالطه وعد غامض باللقاء .

وتنمو قصة الصراع وتطرد
مواقفها حين تهيأ الفرصة أمام
« سلمان » فيرى قوما أمعنوا في
خدمة الروح ، فيشده الحنين الى
أن ينفق سحابة يومه بين
طهرانيهم .

« وفي هذا اليوم اقتطع عن
العالم المادي ، فلم يشعر بجوع
ولا ظمأ ، كان الجسم الطينى الأصل
في منتصف الطريق الى الشفافية
والاستغناء مثلما يتصل بأصل
الوجود ومصدره ومدبره ..
ومسيرة الأفلاك فيه .

واحتبل « سلمان » تلك الفرصة
وخالطت بشاشتها قلبه بعد أن رأى
الله في مجالى الكون ، ولسان حاله
يقول :

وفي كل شيء له أية
تدل على أنه الواحد

أجل ، تحدثم حلقات الصراع ،
وتستحكم ، وتحتوى هذه الحقيقة
التي هتف بها صدى مثيرا زلزل

بين الحق والباطل، وتقامى الباطل
 فى مواجهة الحق ، وما قصة
 « أصحاب الأخدود » الا تجسيد
 لهذا الصراع ، وهى واحدة من
 عشرات القصص التى يزخر بها
 القرآن الكريم .

ترى كيف يكون التصرف ؟
 وعم يتفق ذهن الأب ؟

القيود والأغلال ، ظنا منه أن
 ما يبيد « سلمان » سيرته
 الأولى ، أو لعلهما على الأقل تقل
 من عزمه ، وتسوى من ارادته ،
 وهيهات أن تكون هذه وسيلة
 ناجحة ، فما كان لأصحاب المبادئ،
 أن يفرضهم وعد ، أو يرهبهم وعيد .
 (يتبع)

دكتور : فتحى محمد ابو هيسى

المتخاذلة التى حفظها ليردها أمام
 ضوابط الموقف اذا لزمته الحجة .

وهكذا بدأ مد الصراع ينتشر،
 فبعد أن عاش فى أعماقه حبسا
 يهدر كانت مرحلة المواجهة ،
 مواجهة الأب مع عفوانه ومكابرته
 وكبرائه ، ثم راح بنأى عن الذاتية
 لكى يشتغل بالآلام البشر قاطبة .

واذا أخذ الصراع هذا المد رأى
 الأب أن يتصرف تصرفا طائشا فيه
 رعونة ونزق ، شأن الطماعة حين
 يرهبون الناس بالسلطة والعنف .
 ولكن النتيجة - كما تؤكد
 العادة - أن يذوب جليد الصراع
 مهما يتراكم أمام وهج الايمان
 ونور اليقين ..

ويحكى القرآن الكريم مواقف
 من ذلك القبيل ، تشير الى الصراع

بين الأصول والفروع

في التغير الصوتي الصوفي

دكتور أحمد عام الدين الجندي

١ - الأصل الاشتقاقي

يرى بعض العلماء أن الأصل — هو الثنائي : فرمى : أصلها الثنائي : رم — حرك حرفه الثاني بفتحة مشبعة علامتها ألف • فلامه ليست حرفا بل اطالة أو اشباع الفتحة السابقة • والمثال : وثب • أصله الثنائي : (ث ب) زيدت فيه الواو تنويجا • والأجوف : قام — أصله : قتم* أشبعت حركة حرفه الأول • أما المضاعف فهو مركب من حرفين مثل لع* لع* • مر* مر* ، فهو عبارة عن ثنائيين مكررين ، ومن العلماء الذين يرون ثنائية الأصل : ابن فارس والشدياق وجرجي زيدان والكرملي والدومنيكي ، ولهم حجج كثيرة منها :

أن أصول الكلمات السامية كانت مؤلفة من حرفين اثنين ثم زيد فيما بعد على كل أصل منها حرف ثالث ، وقالوا : بأن الثنائيات صورة بعيدة مفرقة في القدم ودليل ذلك التدرج الطبيعي والاتصال من هذه المرحلة الى ما استقرت عليه الكلمات من ثلاثية الأصوات •

ويرى معسكر آخر أن أصل اللغة يرجع الى الثلاثي ، وأنه لم يتطور عن غيره ، ولهم أدلتهم أيضا ، على أنه يجب أن تشير الى أن النظرية الثنائية لا زالت فرضا واحتمالا ، وأنها لم ترق الى مجال القواعد الثابتة ، كما أنه اعترض على النظرية الثلاثية بأنها تنفي أصالة ما عدا الثلاثي وهم مع ذلك يلجأون في اثبات نظريتهم الى التأويل •

وعلى مذهب القائلين بأصالة
الثنائي وتنميته لما فوقه الى الثلاثي
عن طريق تضعيف الحرف الثاني
أو اضافة حرف علة الى أول المادة
الثنائية أو في وسطها أو في آخرها ،
يرون أن اللغة وجدت في أثناء
تطورها في المضعف ثقلاً فراح
تبدل من أحد الضمفين حرفاً من
حروف العلة : انظر مايلي :

كع* تطورت الى كاع .

ضر* يضر* ضر* تطورت الى
ضار يضير ضير* .

ذم* تطورت الى ذام .

طبة* ، غم* تطورت الى طاب ،
غام .

مد* تطورت الى ماد

صر* (الصوت) تطورت الى
صار .

حف* تطورت الى حاف .

غب* تطورت الى غاب .

طم* يطم* طموما تطورت الى
طما يطمو طموا

همر تطورت الى همي

محق تطورت الى محا

حم* (الحديد) تطورت الى
حمي .

شجب تطورت الى شجا (أحزن)

هذا وقد يبدل أحد الضمفين

نونا مثل احرحم تطورت الى

اخرنجم .

افلكم تطورت الى افظم .

وأبدلت نونا ، لأن النون حرف

موسيقى محبب في اللغة ، ولهذا

يرى بعض الباحثين (١) أن وزن

(اِفْعَل) هو الأصل ثم تطور الى

(اِفْعَل) فهي صورة جديدة

للمطاوعة وهي فرع عن (اِفْعَل

واقفعل) .

فالتضعيف هو الوسيلة الأولى

لتنمية اللغة ونقلها من الثنائية الى

الثلاثية ، فالمضعف تولد منه على

طريق الابدال : الأجوف ثم الناقص

وكأنه نوع من القطعة

(الترخيم) (٢) ثم المثال ثم السالم ،

فالسالم جاء آخرها ، لأن زيادة

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٩ ، د. مصطفى جواد .

(٢) ثنائية الأصول اللغوية ١٢٦ مقال للاستاذ حامد عبد القادر

نشر بمجلة مجمع اللغة العربية ج ١١ .

فهذه صور للتطور ورسوم
للازدياد .

على أن حدود التطور لم تقتصر
على الأعمال واشتقاقها بعضها
من بعض ، بل نرى من (الأفعال)
ما تطور إلى (حرف) خالص
انظر مثلا :

البدوي " علا الجبل " - فهي فعل
ومع كثرة الاستعمال والتداول
أصبحنا نقول : البدوي على الجبل
فهي تسبها حرف جر ، والعلاقة بين
المثالين واضحة مدلولاً
واستعمالاً (١) .

كما كان الأصل الاشتقاقى محل
خلاف بين البصريين والكوفيين ،
فيرى البصريون أن المصدر هو
الأصل والفعل فرع عليه ،
والكوفيون على العكس يرون أن
الفعل هو الأصل والمصدر فرع
عليه .

وحجة البصريين منها :

أن الفعل يدل على الحدث
والزمان ، فلو كان المصدر مشتقاً

حرف على المضعف أليق بحكمة
الواضع في التقن في قصصه ،
اذ لو جعلت السالم أصلاً لزم عنه
المدول من الكمال إلى النقصان .
والدليل على أصالة المضعف قراءة
أبي حيوة (وعزنى في الخطاب
٢٣ ص) ، قال ابن جنى في
المحتسب ٢/٢٣٢ دار احياء الكتب
العربية تحقيق الأستاذ النجدي
ومن معه : أصله : عززنى غير أنه
خفف الكلمة بحذف الراء الثانية
أو الأولى كما حكاه ابن الأعرابي
من قولهم ، ظننت ذلك : أى ظننت
هذا ويمكن لظاهرة المخالفة أن
تفسر الصلة بين المضعف وبين
الأجوف والناقص :

الجب " تطورت إلى الجوب
(القطع) .

دعس تطورت إلى دسى « وقد
خاب من دساها » .

تسرر تطور إلى تسرى .
« وليلال الذى عليه الحق »
تطورت إلى « فهي تملى عليه بكرة
وأصيلا » .

(١) من دلائل القدم في اللغة العربية . د. أحمد عبد الستار الجواوى .
نشر في البحوث والمحاضرات . دورة ٣٣ . مجمع اللغة العربية .

واعتل لاغتلاله دل على أنه فرع عليه . كما تمسكوا بأن المصدر يذكر تأكيداً للعمل ، ولا شك أن رتبة المؤكد قبل رتبة المؤكد ، فدل على أن الفعل أصل والمصدر فرع (١) وهناك من الأدلة للفرق غير هذا . وأرجح رأى الكوفيين في هذا النزاع مسترشداً بما يلي :

١ - ما يراه هر من المستشرقين من أن أغلب الكلمات يرجع اشتقاقه إلى أصل ذي ثلاثة أحرف (لبعضها أصل ذو حرفين) وهذا الأصل فعل يضاف إلى أوله أو آخره حرف أو أكثر ، فتكون من الكلمة الواحدة صور مختلفة تدل على معان مختلفة .

٢ - أن العقلية الفعلية - قد سادت على اللغات السامية ، لأن لأغلب الكلمات في هذه اللغات مظهراً فعلياً ، ففي الساميات الفعل هو كل شيء (٢) ، أما من ذهب إلى أن أصل المشتقات هو المصدر

من الفعل لدل على ما يدل عليه الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث : كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولن على الحدث وعلى ذات الفاعل والمفعول ، فلما لم يكن المصدر كذلك علم أنه ليس مشتقاً منه .

كما استدلوا على أن المصدر هو الأصل بتسميته مصدراً ، والمصدر هو الموضع الذي يصدر عنه . . . فلما سمي مصدراً دل على أن الفعل قد صدر عنه ، وكذلك احتجوا بأن قالوا : بأن المصدر يدل على زمان مطلق ، والفعل يدل على زمان معين ، فكما أن المطلق أصل للقيّد ، فكذلك المصدر أصل للفعل .

كما احتج الكوفيون بأدلة منها :

أن المصدر يصح لصحة الفعل ويمتل لاغتلاله ، ألا ترى أنك تقول : قاوم قياماً - فيصح المصدر لصحة الفعل ، وتقول : قام قياماً - فيمتل لاغتلاله ، فلما صح لصحته

(١) الانصاف في مسائل الخلاف . لابن الأنباري . مسألة ٢٨ .

(٢) تاريخ اللغات السامية ١٤ تأليف ولغنون . الطبعة الأولى .

— فهو مذهب نشأ عن الفرس حيث بحثوا في اللغة العربية بعقليتهم الآرية ، والأصل في الاشتقاق عند الآريين هو : المصدر — فعلماءونا متأثرون ومقلدون .

وليس النزاع الذي ذكرنا طرفاً منه وحده فحسب ، بل وقع خلاف في دوائر البصرة نفسها حيث قال جمهورهم : ان المصدر متى ثبت أنه أصل للفعل ثبت أنه أصل للمشتقات بالواسطة ، اذ المشتقات متعلقات بالأفعال ، ومتى ثبتت فرعياً المتعلق ، ثبتت فرعياً المتعلق ، وقال جماعة منهم السيرافي : ان المصدر أصل للفعل ، ولكنه ليس أصلاً للمشتقات ، بل الفعل هو الأصل للمشتقات ، اذ لا يلزم من كون الفعل متفرعاً عن المصدر ، أن تكون متعلقات الفعل متفرعة كذلك عن المصدر ، بل ينقل السيوطي عن طائفة من المتأخرين اللغويين بأن : كل الكلم مشتق ، كما نقل عن طائفة من أهل النظر أن : الكلم كله أصل ! واذا كنا

قد رجحنا رأى الكوفيين فلا زال الطريق شائكاً ، فأى الأفعال هي الأصل ؟ يذهب بعض العلماء المحدثين أن اسم افعال هو الأصل ، وبعضهم يذهب الى أن صيغة الأمر هي أصل اشتقاق الأفعال . أما نخاة العرب فبعضهم يرى أن الفعل الماضي هو الأصل ، وبعضهم يرى أن فعل الحال هو الأصل ، وآخرون يرون أن فعل المستقبل ، الى غير هذه الآراء . كما يرى بعضهم أن بدايات الفعل في العربية انما هي تطور من استخدام بعض صيغ اسم الفعل (١) ، أو أن الفعل انما تطور عن كلمات استخدمت وقصد بها الاسم والفعل معا ، ثم أخذ مدلول العمل فيها يتحدد ، ويستقل بإضافة فكرة الزمن ، ويرى ثمر من العلماء أن نظر الى (الجذر) (٢) ، وهذا يحل مشكلة الأصل الاشتقاقي ، فمسألة الاشتقاق تقوم على مجرد العلاقة بين الكلمات واشترائها في شيء معين ، والقدر المشترك بين

(١) الفعل زمانه وابنيته ١٢١ ، د. السمرائي .

(٢) مناهج البحث في اللغة ١٨٢ ، د. تمام حسان . الانجلو . القاهرة

الحرف في الخصائص (١) : سألتك حاجة ملوئت لي : أي قلت لي (لولا) فاشتقوا الفعل من الحرف المركب من (لو + لا) ، ومعنى ذلك أن (الأصل) في اللغة متعدد ، إذ قد اشتقت العرب من الأفعال ومن الأسماء الجامدة والمشتقة ومن الحرف .

وفي المشتقات تطالعنا أحوال عجيبة ، فقد نجد مصادر ولا أفعال لها ، كما أهملت بعض المفردات واستعملت جموعها . كما استعملوا بعض المصغرات من غير أن يستعملوا لها مكبرا ، كما روى عنهم أنهم أماتوا بعض المصادر . والحقيقة أن المشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها ، وقد يسبق بعضها بعضها في الوجود ، ولهذا لا يمكن أن تكون الأفعال حين وجدت وجدت معها مشتقاتها ، فقد تعيش اللغة زمنا وليس بها إلا الفعل وحده أو المصدر وحده — حسب حاجة اللغة واستعمالاتها في حضارتها وبداءتها .

الكلمات المترابطة . وأصح ذلك هو الحروف الأصلية الثلاثة ، فأنف اذا نظرت الى : ضرب ضارب مضروب مضرب ضرب ، رأيت أنها تشترك في (ض ر ب) وتتفرع منها ، فهذه الحروف الثلاثة جذور العربية التي تتفرع منها الكلمات . فالفعل واسم الفاعل واسم المفعول . الخ . صور من صور التعبير الشكلى للمادة التي لا يصدق عليها وصف بالفعلية أو الاسمية .

وفي كتب العربية نجدهم يتوسعون فيشتقون من أسماء المعاني : فلمد اشتقوا من أسماء العدد وهي أسماء معان جامدة ، ففي المخصص (١) : كانوا تمة وتسمين فأمايتهم . كما اشتقوا من أسماء الأزمنة ففي اللسان (٢) : وأخرف العم — دخلوا في الخريف . كما اشتقوا من أسماء الذوات : يديه : ضربت يده ، فهو يدي ، ويدي : شكايته (٣) ، ومن العجب أن العرب قد اشتقت من

(١) ٤٠٩/١٠ .

(٢) ٤٣٦/١ ط الهلال ١٩١٣ م .

(٣) ١٢٩/١٧ .

(٤) اللسان ٣٠٣/٢٠ .

ملحوظتان :

(راجع القائمة في الزهر

للسيوطي) •

الأصل والفرع في المشتقات :

ولكن كيف تبين الأصل والفرع

في صيغتين مختلفتين مشتقتين

ويحسن قبل أن نجيب أن نتقدم

بعدة نصوص تفحصها وفي ضوء

ذلك يكون الجواب ، فمنهجنا يسير

على استقرار اللغة وفحص مفرداتها

أولا وأخذ صفة عامة لها ثانيا ،

وذلك قبل أن نتورط في تعليقات

وهية ، وتقديرات مجردة :

يقول ابن خالويه : ليس في كلام

المرب مصدر تفاعل الا على

التفاعل — بضم العين الا في حرف

واحد جاء مفتوحا ومكسورا

ومضموما • قالوا : تفاوتت تفاوتًا

وتفاوتًا وتفاوتًا (بالفتح والكسر

والضم) ثم علق ابن خالويه على

هذا بقول أبي زيد : وهذا غريب

مليح (١) •

١ — اذا ترددت الكلمة بين

أصلين في الاشتقاق فالتمس ما يرجح

أحدهما ، وله وجوه :

أ — كون أحد الأصلين أشرف

ب — كونه أخص فيرجح على

الأعم •

ج — كونه أسهل وأحسن تصرفا

د — كونه أليق •

٢ — قد يمرض للفرع المشتق

مع الأصل المشتق منه تعبيرات

منها :

أ — زيادة حركة كمكلم من العلم

ب — زيادة مادة : كطالب

وطلب

ج — زيادة حركة وحرف

كضارب من الضرب

د — نقصان حركة كعُرس من

العرس •

(١) ليس في كلام العرب •

وجاء في البحر (٢) أن معادا أجاز فتح الميم والفاء . وأرى أن هذه الصيغة الأخيرة هي أحدثها في التطور ، لأن بها توافقا حركيا ، واللغة في أثناء تطورها تهدف إليه ، لأنه يقلل المجهود العضلي ، اذ عمل الانسان فيه يكون من وجه واحد .

وكان الحريري يخطئ من يقول : فلان أشعر من فلان . ويقول : الصواب : شعر بغير ألف ، وكذلك يقال : فلان خير من فلان ، بحذف الهزة ، ولا يقال أخير - على وزن أفعل . والأسلوب الذي خطأه الحريري ورد في كتاب الله و في التراث العربي جاء عن ابن خالويه أن أبا قلابة قرأ قول تعالى « من الكذاب الأشر » (القمر ٢٦) بفتح الهزة والشين وتشديد الراء (٣) ، كما ورد أخيرا - في قول رؤبة (بلال خير الناس وابن الأخير) (٤) فأصل : شر وخير . أشر وأخير ، وهما أفعل

وقيلة (كلاب) في النص السابق فتفتح ، (وبلغنبر) تكسر (١) . وأرجح أن الضم هو الأصل لورود ذلك في القرآن : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » (الملك آية ٣) كما أرجح أيضا أن الفتح في لهجة (كلاب) ، والكسر في (بلغنبر) فرع من الضم ، بدليل أن صيغة الفتح حدث فيها مماثلة : أى توافق حركى ، واللغة في أثناء تطورها في السلم التاريخي تهدف الى هذا الانسجام .

وصيغة : مرفق - القياس فيه فتح العين ، لأن مضارعه على يفعل - بضم العين ولكنه ورد بكسر العين ، وقالوا : بأن الكسر شاذ . ولكن هذا الذي اعتبروه شاذاً ورد أنه بلهجة (الحجاز) ، بل قرأ به جعفر وشيبة ونافع وابن عامر وأبو بكر وأبو عمرو في رواية هارون - بفتح الميم وكسر الفاء في قوله تعالى « وبهء لكم من أمركم مرفقا » ، (الكهف ١٦) ،

- (١) اصلاح المنطق لابن السكيت ١٢٢ تحقيق الاستاذين .
 أحمد شاعر ، وعبد السلام هارون . (٢) ١٠٧/٦ .
 المحتسب : لابن جنى ١٤٧ مخطوط بمكتبة تيمور .
 (٤) شرح الدرر ٦٤ ط أولى .

تفضيل ، وفي قراءة أبي قلابية
وشعر رؤية جاءت على الأصل ،
بدليل سماع لهجة عربية نطقت ،
هذا أخير من هذا . لكن لما كثر
استعمال هاتين الكلمتين - حذفوا
الهمزة منها تخفيفا ، فكاتفا في
الفصحى (شر وخير) .

وكان الحريري لا يؤمن بالأدوار
التطورية التي مرت فيها العربية ،
والدليل على تطور العربية لا سيما
في باب المشتقات زيادة على
ما سبق :

١ - صيغة فِعْمَل - بكسر
ف تكون تقابلها صيغة فَعُول .
تقول الحجاز شرب وتيم :
شروب .

٢ - التبادل بين اسم الفاعل
والمفعول (عضد ناشلة
ومنشولة) (١) .

٣ - التبادل بين فِعْمَل (بكسر
وسكون) ومفعول . ومن ذلك :
« وفديناه يذبح عظيم » .

٤ - لتبادل بين فَعْمُول ومفعول
.. فاسم المفعول من الثلاثي من :
ركب : مركوب وبجانبها نجد :
ركوبا وجزورا بدل : مجزور ،
ورسولا بدل : مرسول .

وربما كانت صيغة (فَعُول) هي
الأصل في الاستعمال بدليل وجود
بقايا لها ، ثم بمرور الزمن ضعف
مناها على هذه الصيغة فحاولوا
تقويتها بميم زائدة حتى تستعيد
قوتها المعبرة فقالوا : مركوب ...
وكذلك الميم في اسم الآلة ، فانها
اتصلت بالاسم في مرحلة متأخرة
للتأكيد - فأصبحت : مفعمل -
مثل : مبرد ، والأصل : ما يبرد ،
فما موصولة فارغة من معنى
الموصول ، ثم اتصلت بها الميم ،
فهذه الزوائد كما يراها بعض
المحدثين ما هي الا كلمات مستقلة
قديمة (٢) . وكذلك (مفعَل) في
اسم الزمان والمكان انما جاء
تطورا عن اتصال الميم سابقة بصيغة
فعلية مضارعة مفتوحة العين .

(١) المخصص ١٦٤/١ ط اولي .
(٢) الفلسفة اللغوية ٩٣ جورجى زيدان .

وعندما قالوا ان اسم الآلة يأتي على : مفعال ومفعلة ومفعول - فالرأى أن الأصل هو : مفعان بصيغة المد - أما ما عداه ففصرع منه ، ألا ترى أن الحركات في العربية كانت في القديم أحرف مد ثم اختفت وحل مكانها أحرف صغيرة ، ولهذا كان الخليل يسمى الضمة واوا صغيرة ، والكسرة ياء صغيرة ، والفتحة ألفا صغيرة - فالحركات فصرع وأحرف المد الساقطة هي الأصل (١) .

٣ - حركية الصيغة بين الاصل والفرع :

معلوم أن الثلاثي المجرد له الأوزان الآتية : فعل • يفتح العين وكسرها وضما والصيغة المضمومة وكذلك المكسورة يمتورهما تغيرات عدة لا سيما في الأوزان الصرفية ، والقصد من هذه التغيرات هو التخفيف وتوفير الجهد الذي ينزع اليه العربي في أثناء كلامه .

١ - فعل : بكسر العين سواء أكانت اسما أم فعلا حيث ينطق بها (فعل) بتسكين العين مثل :

علم • فخذ ، وهذه التفرعات تختص بقبيلة تميم ، على حين أبقتها لهجة الحجاز على حالها بدون تفرع •

وبالاستقراء وجد أن صيغة : فعل بكسر العين يتفرع عنها :

١ - تسكين العين

ب - تسكينها بعد نقل حركتها الى الفاء فتصير فِعْل مثل : شهيد في حلقى المين • وكثف في غير الحلقى •

ج - فِعْل ، ويختص بما كان حلقى المين مثل : ضحك •

أ - فَعْل - بكسر العين وتفرعها الى فعل بسكون العين :

وذلك مثل قوله تعالى : « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » (البقرة ٢٨٠) قرأ أبو رجاء ومجاهد والحسن وغيرهم - بكسر الظاء ، وهذا التسكين في الظاء للتخفيف من نظرة - بكسر الظاء - ب - وقد تفرغ صيغة (فَعْل) بكسر العين الى (فِعْل بسكونها) من ذلك :

(١) انظر مقدمة للدرس لفة العرب ١٧٩ . الملايلى . ط المصرية .

الحجازيون فيها الا الأصل • ولقد
علل الرضى هذا التفرع في تلك
الصيغة فقال : وانما جعلوا ما قبل
الحلقى تابعا له في الحركة مع ان
حق الحلقى ان يفتح نفسه أو ما قبله
كما في (يدمع) لثقل الحلقى وخفة
الفتح فأتبع فاؤه لعينه في الكسر (١)
وعلل سيبويه لهذا التفرع بأن
حرف الحلق لا يناسبه الا الفتح ،
ولم تفتح العين الحلقية هنا خوفا
من أن تلبس صيغته (فعل) بفتح
العين مع صيغة (فعل) بكسرها •
فلما لزمّت العين الكسر ، وهي
حرف حلق ، وفي ذلك شيء من
الثقل — أتبعوا الفاء العين ليحدث
نوع من التخفيف بالميل من كسره
الى كسرة ، وذلك لأن اللسان يعمل
في جهة واحدة ، فيكون العمل على
وجه واحد (٢) •

٢ - فَعَلٌ - ففتح الفاء وضم
العين وتفرعها الى فَعَلٌ بفتح
فسكون مثاله ما قرئ به « كبرث
كلمة » (الكهف ٥) بسكون الباء

(١) تفسير الطبري ٢/٢٣٨ . ط دار المعارف بالقاهرة . تحقيق محمود شاكر .

(٢) شرح الشافعية ١/٤٠ . ط حجازي .

(٣) سيبويه ٢/٢٥٥ بولاق ، وانظر المخصص ١٤/٢١٣ .

فوله تعالى (بسمنا اشتروا به
أنفسهم) (البقرة ٩٠) فأصل
بِئْسَ : بِئْسَ من البؤس سكنت
هزتها ، ثم نقلت حركتها الى الباء ،
قال الطبري « وهي من لغة الذين
يقولون حركة العين من فَعِلَ الى
الفاء اذا كانت عين العمل أحد
حروف الحلق الستة ، وذلك فيما
يقال لغة فاشية في تميم (١) •
والغرض من هذا التفرع كراهة
الانتقال من الأخف الى الأثقل ،
ولهذا آثرت تميم تسكين العين
والسكون أخف من الحركة •

ج - فَعِلٌ - بفتح الفاء وكسر
العين وتفرعها الى (فَعِلٌ) بكسر
الفاء والعين •

وهذا لا يكون الا في الحلقى
العين كَسِمَ وبِئْسَ فتقول فيها
على التفرع : نعم وبئس بكسر
الفاء والعين ، والاصل فيها : نعم
وبئس بفتح فكسر ، وكسر الحرفين
الأوليين معزو الى تميم ، ولا يجوز

(عضد) جاز تسكين الهاء من
(فهو) التي بوزن (فعل) فتصير
(فهو وهو) بسكونها •

ويمكن أن نميز الأصل والمرع
من هذه الصيغة ، ففي قوله تعالى :
« وما كنت متخذ المصلين عضدا »
(الكهف ٥١) فالصيغة الأصلية :
عضد بفتح فضم ثم تطورت الى
عضد بفتح فسكون ثم أخيرا الى :
عضد • بضم العين والضاد ، وهي
متطورة عن الأصل ، ولأنها أخف
من (عضد) بفتح فضم ، وقد
وردت قراءات قرآنية على الطور
الأول والثاني •

٣ - تفرع (فعمل) بضم فكسر
ولا يكون الا في المبنى للمجهول
ومنه :

١ - قول أبي النجم (لو عُصِر
منه البان والمسك انعصر) وأصلها :
عُصِر بالبناء للمجهول •

ب - وفي كتاب (العقبة
والبررة) ما عزي الى معبد بن قرط
العبدى في هجاء أمه :

فى كبر ، وعزيت لميم (١) • على
حين لا تصرع الحجاز فى تلك
الصيغة ، قرأ زيد بن على « بما
رحبت » التوبة ١١٨ • بسكون
الحاء (٢) ، ويجوز فى هذا التفرع
أى صيغة (فعل) بفتح فضم أن
تنقل ضمة عينه الى فائه فيكون
على وزن (فعل) بضم فسكون ،
وبها قرئ « وحسن أولئك رفيقا »
(النساء ٦٩) بضم الحاء وسكون
السين • والنقل فى الحركة هنا
لا يصح الا اذا لمعنا معنى التعجب
فيها ، لأن التغير فى اللفظ بالنقل
صاحبه معنى آخر زائدا وهو
التعجب • والتسكين كما كان فى
الكلمة الواحدة شمل الكلمتين
أيضا ، ومن ذلك أنهم يسكنون
هاء (هو) و (هى) اذا سبقتهما
واو أو فاء أو لام مثل : « وهو
بكل شئ • عليم » ، « فهو خير
لكم » ، « لى الحيوان » قرئت
يسكون الهاء من الآيات السابقة ،
والبب فى هذا التسكين أن
(فهو) على وزن (فعل) فكما جاز
أن نسكن (عضد) فتكون

(٢) المراجع السابق ٢٤/٥ •

(١) البحر المحيط ١٧/٦ •

يفتح الجيم واسكان الميم ، وذلك
في قوله تعالى : « حتى يلج الجمل »
(الأعراف ٤٠) .

ومما سبق يتضح أن اسكان
البنية ، وهو ما سمي بالتفريع -
كان من خصائص شرقى الجزيرة
العربية وهو مرحلة متطورة عن
الصيغ المتحركة التى هى الأصل
وهذا الأصل كان فى قبائل الحجاز ،
يؤيد هذا ما جاء فى الخبر (نزل
القرآن بالتفخيم) وقد اختلف
الأئمة فى معنى (التفخيم) فبعضهم
يرى أنه نزل بذلك (لعله يقصد
الفتحة الصريحة) ثم رخص فى
الامالة ، وبعضهم يرى : أنه يقرأ
على قراءة الرجال ، لا يخضع
الصوت فيه ككلام النساء ،
وآخرون : أنه نزل بالثدة والغلظة
على المشركين ، وبعضهم يرى أن
المراد بالتفخيم : تحريك أوساط
الكلم بالضم والكسر دون

٠ () كأنما وجهها قد منفتح
بالنار (١) يسكون الفاء .

ج - وقرأ أبو السمال « ولعنوا
بما قالوا » . (المائدة ٦٤) يسكون
العين ، ولقد حسنت هذه القراءة
لأن الكسرة وقعت بين
ضمتين « (٢) .

أما صيغة فعمل - يفتح الفاء
والعين - فلا تفريع فيها ، لأن الفتح
خفيف فلا داعى للخروج عنه ،
يقول سيويه مؤيداً (وأما ما تواتر
فيه الفتحان ، فانهم لا يسكنون
منه) . (٣) وأرى أن سيويه ومن
تبعه من علماء العربية قد جانبهم
الصواب ، فقد خفف المفتوح بعض
القراء (٤) ، أقول : وهم على حق ،
إذ السكون أخف من الفتح ، لأنه
يختصر المقاطع ويوفر المجهود ،
وعلى ذلك قراءة أبى السمال وأبى
المتوكل وأبى الجوزاء (الجمل)

(١) كتاب : العقدة والبردة . لأبى عبيدة معمر ٣٦٥ ، تحقيق :
عبد السلام هارون .

(٢) البحر للحيط ٥٢٣/٣ .

(٣) شرح السيراقى على سيويه ١٦/٥ مكتبة تيمور . مخطوط ٥٢٨
(نحو) .

(٤) المحاسب ٣٠٧/١ مخطوط بالتيهورية رقم ٣٧٩ (تفسير) .

- اسكانها (١) • وأرجح أن هذا المعنى الأخير هو المقصود دون غيره ، لأن من يرى أن معنى التفخيم نزوله بالشدة والغلظة على المشركين مردود ، لأن القرآن كما نزل بالغلظة نزل كذلك بالرحمة والرافة ، والذي يؤيد ما أرجحه ما ورد عن أبي عبيدة من قوله : (أهل الحجاز يغممون الكلام كله) (٢) ، وكان المقصود هو نطق الحركات كاملة دون الجور عليها بالتسكين ، وذلك هو الأصل •
- ٤ - التوافق الحركي وعكسه ودلالتهما على الأصل والفرع وما يتصل بحركة الصيغة ما يتوارد عليها من توافقات حركية أو عكسه ويكون هذا في كلمة واحدة في الأسماء أو الأفعال أو الظروف أو الضمائر ، وفي كلمتين ، واليك الأمثلة والشواهد :
- أولا : التوافقات الحركية في كلمة :
- ١ - ويكون في الأسماء وشواهد :
 أ - سكارى • كمالى ، غيارى
 ب - بالضم والفتح (٣) •
 ب - يقال في الضأن : الضئين ، والضئين بالفتح والكسر (٤) •
 ج - قرأ أبو عمرو (ما أخلطنا موعذك بملكننا) بكسر الميم وقراءة العامة بالفتح (٥) •
 د - فكاك الرقبة - بفتح الفاء وكسرها •
- ٢ - ويكون في الأفعال وشواهد :
 أ - فرغ يفرغ - بوزن فعمل يفعل - بفتح العين فيهما ، وبوزن فعل يفعل - بفتح العين في الماضي وضما في المضارع •

(١) الاتفاق : للسيوطي ١ / ٩٥ . ط حجازى .

(٢) المرجع السابق •

(٣) إصلاح المنطق ١٢٢ •

(٤) التذكير والتأنيث للسجستاني ١٢ مخطوط بدار الكتب رقم ٢٦٤ •

(٥) مفردة قراءة أبي عمرو بن العلاء ٥٨ مخطوط بمكتبتي •

القبائل تقول : (حوث) (١) ، يضم
الثاء ، فأرجح أنها آثرت التوافق
الحركي لأن الواو أصلها امتداد
لنضم ، فكأنهم جانسوا بين الواو
والضمة .

٤ - ويكون في الضمائر
وشواهد :

أ - كقراءة ابن عامر « آية
المؤمنون » . (النور ٣١) يضم
الهاء ، فاللهجة آثرت التماثل .

ب - قراءة سلام : « ثوبته
منها » (الشورى ٢٥) يضم
الهاء (٢) .

ج - وقرأ حفص « وما أنسانيه
الا الشيطان » ، « بما عاهد عليه
الله » ، « قال لأهله امكثوا » (٣)
وكان ابن شهاب الزهري يضم تلك
الهاء في جميع القرآن ، لأنه مدني
حجازي . وأصل هاء النساب
- الضم . والحجاز يضمونها
مطلقا - يعني تبقيه على الضم
وهو الأصل .

ب - المشهور في قبائل
(الحجاز) أن أسماء الأفعال
التي على وزن فعال - تبنى على
الكسر ، وعن أبي حيان : أن
(أسدا) تبنيتها على الفتح (١) .

فلهجة أسد أحدث ، ولهجة قبائل
الحجاز أقدم ، لعدم المماثلة .

ج - وفي القرآن (سفرغ لكم
أيها الثقلان) قرأت تميم بفتح
الراء ، والعامية بالرفع .

د - مضارع : مات ، يموت
أو يميت ، ولكن (بنى طيء)
يقولون : (بمات) . فللهجة طيء
هي الفرع للتوافق الحركي ، وغيرها
الأصل .

٣ - ويكون في الظروف
وشواهد :

حيث - ينصب الثاء على كل
حال في الخفض والنصب والرفع ،
والنصب في الثاء جاء لينسجم مع
فتحة الهاء ، فاذا ورد أن بعض

(١) التذييل والتكميل لأبي حيان ٢٩/٥ مصور بجامعة القاهرة .

(٢) اللسان ٤٤٦/٢ .

(٣) تاج البحر المحيط ٥١٤/٧ .

(٤) التمهيد للسيوطي ٥٨/١ فما بعدها .

شواهد متطورة (فرع) عن
(أصل) .

ب - ومثل ذلك قولهم : أخذه
ماحدث وماقدم . وصت الدال
من حدث حين قرن بـقدم ، لأجل
كمال النسق الصوتي حفاظاً على
الموازنة ، والأصل في : حدث
- على وزن فَعَلَ - بفتح العين
والضم : فرع عن هذا (الأصل) .
• - أبواب التثلاثي بين الأصل
والفرع .

من المعروف الثابت أن فعل
- بفتح العين يأتي مضارعه على
يفعل بضمها ، ويفعل - بكسرها ،
وفيفل - بفتحها إن كانت عينه
أو لأمه حرف حلق • وأن مضارع
فِعل - بكسر العين يكون على
يفعل - بفتحها ، وجاء كسر العين
في المضارع في أفعال محصورة ،
وأن مضارع فَعَلَ - يضم العين
لا يكون إلا مضموم المين في
المضارع هذا هو نظام الفعل
الثلاثي • فإذا وجدنا فعلاً غير

ثانياً : التوافق الحركي في
كلمتين :

١ - ويكون في التقاء الساكنين :
أ - اخشوا القوم - بفتح
الواو ، وقوله تعالى : « اشتروا
الضلالة » بفتح الواو (١) « وأتم
الأعلن » (آل عمران ١٣٩) بضم
الميم • « وقالت أخرج عليهن » •
(يوسف ٣١) باتباع ضمة التاء في
قالت - ضمة الراء في - أخرج •
وحكى أبو عمرو عن أهل
(نجران) : « براءة من الله » :
بكسر النون (٢) .

٢ - كما جاء في غير التقاء
الساكنين :

أ - قرأ بعضهم « فإنيهم
لا يكذبونك » ، (الأنعام ٢٣)
بكسر الفاء والهمزة (٣) ويقرأون :
« وإنا ظننا » (الجن ٥) بكسر الواو
والهمزة • ويطلب عامل التوافق
الحركي على هذه الشواهد ، لتمام
النسق الصوتي وكماله ، فهي

(١) الهمع للسيوطي ٢ / ٢٠٠ .
(٢) مختصر شواذ القرآن ٥١ لابن خالويه . نشره : برجستراسر .
(٣) السابق ٣٠ .

أو كسرها - حال كون عين فعله
أو لامة حرفا من حروف الحلق -
لأدى إلى الجمع بين الثقيلين ،
فيجىء مضارعه على يفعل - بفتح
العين ، لأن الفتح أخف الحركات ،
وليكون خفة الفتحة في مقابلة ثقل
حروف الحلق (١) ، ولهذا رأى
النحاة أن الباب الذي اتفقت فيه
حركة عين ماضية وحركة عين

مضارعه في غير باب فعل - بضم
العين فرع عن غيره - أى أن الفتح
فرع عن الضم والكسر ، إذ لو كان
الفتح أصلا لجاء من غير قيد
ولا شرط ، ولكنه قيد بكون
الحرف حلقيا ، أما الضم والكسر
فقد ورد بدون قيد . ولهذا نجد
مواده في المعاجم اللغوية أقل من
مضموم العين أو مكسورها .

أما مضارع فعل - بضم العين ،
فلم تختلف حركة العين في مضارعه ،
لأنه يعتبر أصليا في الثلاثي ، فهو
لازم لا يتجاوز فعله الفاعل ،
فأرادوا أن حركة عين الفعل الماضى
لا تتجاوزها حركة عين المضارع

هذا النظام بأن يكون ماضيه على
فعل - بفتح العين ومضارعه على
يفعل - بفتحها ، وليست عينه
أو لامة حرفا من حروف الحلق .
أو يكون ماضيه على فعل - بكسر
العين ومضارعه مضموم العين .
أو يكون على فعل - بضم العين
ومضارعه خلاف ذلك قرروا بأنه من
تداخل اللغات .

ومن القواعد الأساسية أنه دلت
الدلالة على وجوب مخالفة صيغة
الماضى لصيغة المضارع ، لأن
الهدف إفادة الأزمنة ، فجعل لكل
زمان مثال مغالف لصاحبه ،
وكلما ازداد الخلاف ، كانت في
ذلك قوة الدلالة على الزمان (٢) ،
والمدول عن المخالفة بين الماضى
والمضارع لا يجوز إلا لأمر
طارىء ، وذلك إذا كان عين الفعل
أو لامة حرفا من حروف الحلق ،
إذ حروف الحلق ثقيلة ، لخروجها
من أقصى الحلق ، والضم والكسر
ثقلان ، فلو جاء مضارعه على
(يفعل) أو (يفعل) بضم العين

(١) الخصائص ١/ ٣٨٠ ط . الهلال .

(٢) شرح الجرجاوى على تصريف العزى ٣٠ .

كما قلنا أن يخالف بين حركتي عين الماضي والمضارع في اللفظ كما خالفه في المعنى ، ولهذا يطلقون على كل من الباب الأول والثاني والرابع (دعائم الأبواب) لأصالتها وكثرة المواد في المعاجم العربية التي تتوأكب عليها . أما باب (فعل يفعل) بالكسر فيهما فقليل نادر ، يؤكد هذا أن قراءة حفص القرآنية لا تشتمل على باب (فعل يفعل) بالكسر فيهما طبقا لأحصائية في الأفعال الثلاثية الصحيحة في القرآن الكريم ، كما أن قراءة حفص قد خلت أيضا من باب (فعل يفعل) بالضم فيهما إلا فطين اثنين وهما : كثر يكثر وبصر يبصر بالضم في الماضي والمضارع .

د. أحمد علم الدين الجندى

لتكون حركتا عين الفعل (الماضي والمضارع) متوافقتين ليدل اللزوم اللفظي على اللزوم المعنوي حتى يكون اللفظ مطابقا للمعنى . ويرى الدكتور أنيس أن صيغة فعل - بالضم - فرع عن فعل - بالفتح لأنه لا يلجأ إليها إلا حين يراد المبالغة في معنى الحدث الذي تتضمنه الصيغة الأصلية (فعل) بالفتح (١) .

أما باب نصر (الأول) وباب ضرب (الثاني) فكلاهما أصل . وأما باب فعل يفعل - بالفتح في الماضي والمضارع ففرع عنهما . وأما باب فعل - بالكسر - يفعل - بالفتح فأصلى أيضا ، لأن الأصل

(١) في اللهجات العربية ١٦٩ ط ٣ ، من أسرار اللفظة ٢٨ ط ٢ .
للدكتور أنيس .

حفيد النفس الزكية

من مواليد السند

للأستاذ السيد حسن قرون

وقد بدأها الطبري هكذا :

ولي المنصور « عمر بن حفص
ابن عثمان بن أبي صفرة » (هزار مرد
السند) فأقام بها حتى خرج محمد
ابن عبد الله بالمدينة وأخوه إبراهيم
بالبصرة ، فوجه محمد بن عبد الله
ابنه « عبد الله » الذي يقال له
الأشتر في نفر من الزيدية الى
البصرة ، وأمرهم أن يشتروا خيلا
عتاقا ، ويمضون بها الى السند ،
لتكون سببا في الاتصال بالوالي
عمر بن حفص ، وقد فعل ذلك لأن
عمر كان له ميل الى آل أبي طالب ،
وكان ممن بايع محمد بن عبد الله
المعروف بالنفس الزكية قبل وصول
بنى العباس الى الخلافة .

بلغ هؤلاء النفر بقيادة الأشتر
العلوي البصرة والتقوا بالأمير
الحسنى « إبراهيم عبد الله » وكان

في سنة ١٥١ هـ جرت مراسلات
رسمية بين الخليفة أبي جعفر
المنصور وواليه على السند بشأن
غلام للتأثر العلوي « عبد الله بن
محمد بن عبد الله » وهذا الغلام
من مواليد السند ، وأمه
سندية ، وكانت نتائج المراسلات
بعث الغلام وأمه الى المنصور
بمدينة بغداد ، فكتب المنصور الى
واليه بالمدينة يخبره بصحة نسب
الغلام وبعث به اليه ، وأمره أن
يجمع آل أبي طالب ، وأن يقرأ
عليهم كتابه بصحة نسب الغلام ،
ويسلمه الى أقربائه . وعرف
الغلام في التاريخ باسم « أبو
الحسن محمد العلوي » ويقال له
ابن الأشتر ، والأشتر أبوه ، وله
قصة .

حتى فخرج من بلادك راجعين •
 فأعطاهم الأمان ، فقالوا : ما للخيل
 أتينك ، ولكن هذا ابن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم « عبدالله
 ابن محمد بن عبد الله بن حسن
 ابن حسن بن علي » أرسله أبوه
 إليك ، وقد خرج بالمدينة ، ودعا
 لنفسه بالخلافة ، وخرج أخوه
 إبراهيم بالبصرة وامتلكها ، وغلب
 عليها • والرجل له صلة قديمة
 بالنفس الزكية وكان ممن بايعه قبل
 أن تسقط الدولة الأموية فما كان
 منه إلا أن رحب بهم ، وبسط وجهه
 لهم ، ثم بايعهم له ، وأمر بآبائه أن
 يتوارى عنده ، ليتدبر الأمر ويهيئ
 النفوس له ، فدعا أهل بيته وقواده
 وكبراء أهل ولايته للبيعة فأجابوه ،
 وآذن له أن يستبدل بالسواد
 البياض ، فقطع الأعلام البيض ،
 والأقبية البيض ، والقلائس البيض ،
 وهياً لبسته من البياض يصمد فيها
 إلى المنبر ، وحدد لها نواه يوم
 خميس ، وبينما هو في شأنه وما
 أعده لنفسه وخاصته وولايته أتى
 ما قلب عليه عمله كله • في يوم

قد ملك البصرة والأهواز وفارس
 وحوله جلة العلماء ممن يسمون في
 ذلك الوقت أولى البصائر ، فأفضى
 بما قدم به إلى عمه إبراهيم ، فرحب
 بالفكرة وأعانهم على شراء الخيل ،
 وابتهج لأن وإلى السند سيكون
 قوة إلى قوتهم • واجتمع للاشترا
 وأتباعه ما أرادوا من الخيل المتاق ،
 وركبوا البحر وبلغوا السند ،
 وكانوا في هيئة تجار في زيجهم
 وحركاتهم فلما صاروا إلى ولاية
 عمر بن حفص نزلوا واتجهوا إليه ،
 فلما كانوا بين يديه قالوا : نحن
 قوم نفاسون ومعنا خيل عتاق ،
 فأمرهم أن يعرضوا خيلهم ،
 فعرضوها عليه ، وأخذ يتأملها وينظر
 شياتها وملاحمها ، فانتهزوا فرصة
 الحديث معه ، وتقدم إليه أحدهم ،
 فاستأذن منه أن يدينه منه ليذكر
 له شيئاً ، فأدناه منه وقال له :
 انا جئناك بما هو خير لك من الخيل ،
 ومالك فيه من خبر الدنيا والآخرة ،
 وطلب منه الأمان على خلتين :
 قائلا له : أما أنك قبلت ما أتينك
 به ، وأما سترت وأمسكت عن أذا

عهدا ، وأوجهك اليه تكون عنده ،
فلمست ترام معه •

قال عبد الله : افعل ما شئت •

وذات يوم رحل عبد الله الأشتر
العلوي الى ملك السند بمعونة عمر
بن حفص فوجد ماحدثه به عمر كاملا
كما يحب ويرضى ، وجد اكرام
ملك السند وبره ، وحفاوته به
وبشره وترحيبه ، وتسامعت
الزيدية بما لاقاه عبد الله عند هذا
الملك الكريم فتسللوا اليه لو اذا
حتى صار اليه منهم اربعمائة رجل
من أهل البصائر ، فكان عبد الله
يركب فيهم فيصيد ويتنزه في هيئة
الملوك والآلهم • هكذا يقول
الراوى •

واتهى خبر عبد الله الأشتر الى
المنصور ، والمنصور حازم يقظ
يحرس ملكه بكل ما يملك من جند
وقوة ، بل يسهر الليل والناس
نيام ، وينظر الى كل اقليم فى ضوء
ما يأتیه من أخبار ، وثورة بنى
الحسن من العلويين نهت مناصرا
المعا لودعيا لا يعرف الهوادة

الأربعاء قبل الخميس الذى حددته
وافت الثغر (حراقة) : سفينة بها
مراعى نيران للعدو ، وافت هذه
الحراقة من البصرة فيها رسول
« لخليدة بنت معارك » زوجة عمر
ابن حفص معه كتاب منها الى زوجها
تخبره باخفاق محمد « النفس
الزكية » فى ثورته وقتله ،
وامتقرار الأمر للخليفة العباسى
أبى جعفر المنصور ، فتخير الرجل
ثم تماسك ، وكان هجاءا دكى
القلب ، فدخل على عبد الله بن
محمد فى مكانه وعزاء فى فقد
أبيه • ثم قال له : اننى كنت بايعت
لأبيك وقد جاء من الأمر ما ترى ،
فقال له عبد الله وهو حزين حائر :
ان أمرى قد شبر ، ومكانى قد
عرف ، ودمى فى عنقك ، فانظر
لنفسك أو دع • قال الوالى عمر :
قد رأيت رأيا ، ها هنا ملك من
ملوك السند عظيم المملكة ، كثير
الأبباع وهو على شركه أشد الناس
تعظيما لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وهو رجل وفى ، فأرسل
اليه واعقد بينك وبينه عقدا أو

يشف غلته وما زال ظنه بعمر
 سيئا ، ، وأخذ يفكر فيمن يوليه
 السند بدل عمر بن حمص ،
 ويقول : فلان وفلان ، ثم يعرض
 عنه ، فهو يريد رجلا خالصا له
 مخلصا لدولته ، ولكن المصادفات
 تفعل الأعاجيب . أقبل المنصور من
 رحلة في زيبته ، وفي موكب ليلى ،
 وأبسة فائقة ، وكان في موكبه
 (هشام بن عمرو التغلبي) ونظر
 إليه المنصور وهو ينصرف الى
 قصره ، فلما نضا عنه ثياب الرحلة
 دخل عليه الربيع فأذنه بهشام
 التغلبي .

قال المنصور : أو لم يكن معي
 آفا ؟ قال الربيع : ذكر له حاجة ،
 عرضت له مهمة ، فدعا بكرسى
 فجلس عليه ، ثم أذن له . فلما
 مثل بين يديه قال : يا أمير المؤمنين ،
 انى انصرفت الى منزلى من الموكب
 فلقيتنى أختى ، فرأيت من جمالها
 وعقلها ودينها ما رضيتها لأمير
 المؤمنين ، فجئت لأعرضها عليه ،
 فأطرق المنصور ، وجعل ينكت

واللين لا يعدوه ولا بنفسه ، فلما
 جاءت أخبار هذا الفتى العلوى
 وما هو عليه من الأمن والاطمئنان
 زادت اهتماما وهما ، وامتلا فؤاده
 قلقا ، وبلغ منه الأمر مبلغا نفص
 عليه اتصاره وحياته فكتب الى
 عمر بن حفص يستطلع كنه ما بلغه ،
 فجمع عمر بن حفص قرابته وقرأ
 عليهم كتاب المنصور اليه وقال لهم :
 ان أقر بالقصة لم ينظره المنصور أن
 يعزله ، وان صار اليه قتله ، وان
 امتنع حاربه ، وسكت القوم
 مفكرين فى الأمر وعواقبه ، فانبرى
 فتى من أهل بيته وقال لعمر : ألق
 الذنب على ، واكتب اليه بخبرى ،
 وخذنى الساعة فقيدننى ، واحبسنى
 فلم يكن ليقدم على لموضعك فى
 السند ، وحال أهلك بالبصرة .
 قال انى أخاف عليك خلاف ماظن .
 قال الفتى : ان قتلت أنا فنفسى
 قداؤك ، فان حييت فمسن الله ،
 فأمر به فقيد وحبس . وكتب الى
 المنصور يخبره بذلك ، فكتب اليه
 المنصور بحمله اليه ، فلما صار
 اليه قدمه فضرب عنقه . ولكنه لم

الأرض بخيزرانة في يده... وقال :
اخرج يأتك أمرى ، فلما ولى
قال : يا ربيع لولايت قاله جرير
في بنى تغلب لتزوجت أخته
والبيت هو :

لا تطلبن خسولة في تغلب
فالزنج أكرم منهم أخوالا
فأخاف أن تلد لى ولدا فيعير
بهذا البيت ، ولكن اخرج
اليه فقل له : يقول لك أمير
المؤمنين ، لو كانت لك حاجة الي
لم أعدل عنها غير التزويج ، ولو
كانت لى حاجة الى التزويج لقبلت
ما أتيتنى به ، فجزاك الله عما عمدت
له خيرا ، وقد عوضتك من ذلك
ولاية « السند » وأمره أن يكتب
الملك الذى آوى عبد الله العلوى
فان أطاعه وسلمه اليه والا حاربه
وجد المنصور ضالته في هشام
هذا ، وكتب الى عمر بن حفص
بولايته « افريقية » فخرج هشام
التغلبى الى السند فولياها ، وأقبل
عمر بن حفص يخوض البلاد حتى
صار الى افريقية ، وحمد الله اذ
نجا .

كان هشام يرجو مصاهرة
الخطيفة ، ليكون له شأنه ووزنه في
بغداد ، هو ذا يتولى أمر
السند يبلاد الهند ، ومطلوب منه
أن يستحوذ على العلوى القار من
وجه المنصور ، وأن يقتله ويرسل
برأسه اليه ، واعتقد في نفسه أن
الذى اختير له صعب الأداء ، فطبع
الفاية ، ان سلم من المنصور لم
يسلم من الآخرة ، وابن رسول الله
لم يهيج أحدا ، ولم يتعرض لبلاده ،
والملك الذى ينزل عنده مسالم ،
لم يعث بالجوار ، ولم يعاد الدولة
الاسلامية ولم يناهضها وما جبال
فى ذهنه أن فى ايواء رجل مثل
العلوى ما يثير الخطيفة فى بغداد ،
وما دار فى خلد ما دار فى خلد
هشام حين اقتلب لهذه الفاية ، ان
هشاما يعرف من الخطيفة شمائل
تقضى مضجعه ، وتهز كيانه ، وتجعله
يفكر فى أمره بياض النهار وسواد
الليل ، فالرجل الذى لم يرحم عمه ،
ولم تعطفه قرابة ، ولم يردده جميل
كيف يخالف عن أمره ، فلتكن
المطاوله والتأني سبيله الى اجابة

أن المطاولة والتباطؤ ينفعه ، أيغير طريقته ؟ أيطالب ملك السند بتسليم ذلك اللاجيء ؟ وإذا امتنع أيحاربه ؟ ليس له حق الحرية في الاختيار ، ولو استقبل من أمره ما استدير لرفض أن يكون واليا ، وواليا قاتلا أترك الأمر للمصادفة ؟ انه يريد حلا ، وقد جاءه الحل مصادفة ، كيف كان ذلك ؟ يقول التاريخ :

خرجت خارجة ببعض بلاد السند ، أي قامت ثورة في ولايته لأمر لم يذكره الرواة ، فوجه اليهم أخاه « سفنجا » فخرج سفنج يجر جيشا عرمرما ، وطريقه بجنابات ملك السند ، فبينما هو يسير اذا هو برهج قد ارتفع من موكب ، فظن أنه مقدمة للعدو الذي يقصده ، فبمئط طلائع من جيشه ليجلو الخبر ، فذهبت ثم رجعت فقالت : ليس هذا عدوك الذي تريد ، ولكن هذا عبد الله الملوي ركب متزها ، انه يسير على شاطئ مهيران ، فمضى يريد فقا لخلصاؤه ينصحونه : هذا ابن رسول الله

مطالبه ، ولكن الأيام قليلة بحل معضلاته ، وراح يرى الناس أنه يكتب الملك ويرفق به عنه يستجيب لطلبه ، فيسلم اليه الملوي وكفى الله المؤمنين القتال ، على حين أنه لا يكتب الملك ولا يفكر في القبض على الملوي أو قتله ، وما أشك في أنه كان بمسلكه يعرض نفسه للكوارث لا يعلم الا الله مداها ، فكل من كان في الدولة الاسلامية حينذاك كان يعرف سطوة المنصور وبطشه ، وأن له عيونا يثا في الأمصار فتأتيه الأخبار جديدة في أوانها حتى لقد قرر في الأذهان أن المنصور وقعت في يده مرآة آينا آدم وبها يعرف ما يجري في المعمورة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، ذلك أن الحاكم اذا صار غنيفا مخيفا دارت حوله الأساطير ، وخافه القريب والبعيد على السواء ، فلما جاءت رسائله الى هشام يستحثه على قتل الملوي أو الهجوم على ملك السند اذا لم يسلم الملوي أخذته رعشة تركته لا يدري ماذا يصنع ؟ كان يظن

قذفوا به فى نهر مهران ، ولحق
بآبائه ممن بذلوا أرواحهم دفاعا
عن الدين أو العرض •

هل حلت مشكلة هشام التظلى
بما جرى مصادفة ؟ كتب الى
المنصور أنه قصد العلوى قصدا ،
فقاتله وقتله •

فكتب المنصور اليه يحمده أمره ،
ويأمره بمحاربة الملك الذى آواه ،
فلم يجد بدا من حربه ، عبأ جيشه
وأعد نفسه واقتحم ديار ذلك الملك ،
وكانت قوة الجيش الاسلامى
ظاهرة ، ودارت المعركة واتصر
هشام ، واستولى على تلك البلاد .
وكان عبد الله العلوى قد اتخذ
جوارى حين نزوله بجوار ذلك
الملك الكريم فأولد منهن واحدة
فلما صارت بيد هشام أرسلها
وابنها الى أبى جعفر المنصور ،
فكان منه ما أشرنا اليه فى أول
الحديث ، فأبو الحسن محمد بن
عبد الله العلوى من مواليد السند
وسيكون له شأن فى البيت
العلوى •

صلى الله عليه وسلم ، وقد علمت
أن أخاك تركه متعمدا مخافة أن
يبوء بدمه ولم يقصدك ، انما خرج
متنزاها وخرجت تريد غيره فأعرض
عنه ، وكان فتى غمرا لم يجرب
الأمور يستعجل الوصول الى غاية
فى نفسه ولو أدى ذلك الى ترك
المروءة والنبيل ومكارم الأخلاق ،
قال : ما كنت لأترك أحدا يحوزه ،
ولا ادع أحدا يحظى بالتقرب الى
المنصور بأخذه وقتله . وكان العلوى
فى عشرة من أصحابه ، وفى غفلة
مما يريد سفينج ويتوق اليه ،
فقصدته سفينج ، وصاح فى جنوده
وحثهم على قتاله ومن معه ، وحمل
وحملوا عليه •

لم يفكر عبد الله بن محمد العلوى
فى الهرب ، بل دفعته همته
وهاشيته الى أن يتصدى لذلك
الجيش الكبير فقاتل قتالا عظيما
وقاتل أصحابه بين يديه حتى قتل
وقتلوا معه ، ولكن أصحابه حين
قتل ضيعوا على سفينج فرصة أخذ
رأسه ، فما أن سقط شهيدا حتى

من آداب وشروط القضاء في الإسلام

المستشار محمد عزت الطرطاوي

القضاء لغة :

يعنى الحكم قال الله تعالى :
(وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه)
(سورة الاسراء ٢٣)

أى حكم ربك ألا تعبدوا الا
اياه .

أما القضاء شرعا :

فهو كما يقول ابن رشد
(الاخبار عن حكم شرعى على
سبيل الالتزام) أى أن فيه الزاما
من السلطان على تنفيذ حكم
القاضى .

الفرق بين القضاء وعلم الفتوى :

هما يشتركان فى أن كليهما
اخبار عن حكم شرعى الا أن علم
الفتوى لا الزام فيه بعكس
القضاء ففى حكمه الزام لذلك
فان الفتى يكون أقرب الى
السلامة من القاضى لأنه لا يلزم

بفتواه . وانما يخبر بها من
استفتاه فان شاء قبل قوله وان
شاء تركه .

وأما القاضى فانه يلزم بقوله
لذلك كان خطره أشد - وقد
كره العلماء للقاضى أن يفتى فى
مجلس القضاء لئلا يلبس الامر
على العوام - وقد نقل عن القاضى
شريح انه سئل مرة عن مسألة
الحبس فقال (انما أقضى ولست
أفتى) .

أهمية القضاء فى الإسلام :

لما كان الإسلام هو الدين العام
على وجه الأرض يجمع بين الدين
والدنيا ربط بين الأمور الاعتقادية
وبين شئون المعاملات ارتباطا وثيقا
لا يقبل التحلل منها بأى حال من
الاحوال لذا كان من وظيفة
النبي محمد صلى الله عليه وسلم

فوق الارشاد والتوجيه وتربية النفوس الفصل بين الخصومات والحكم في المنازعات بين المسلمين طبقا لموازين العدل التي قررتها شريعة الاسلام والسدير لمنهج القرآن الكريم يرى أنه بعد تقريره التوحيد والتحذير من الاشراك بالله قرر اقامة موازين العدالة والقسط بين الناس صيانة لحقوقهم وحفاظا على أموالهم وأعراضهم .

ما كان يجب توافره فيمن يرشح لمنصب القضاء :

قال أبو يعلى الفراء - لا يجوز تقليد القضاء الا لمن كملت فيه الشرائط الآتية وهي :

الذكورية - والبلوغ - والعقل - والحرية - والاسلام - والعدالة والسلامة في السمع والبصر - والعلم .

١ - أما الذكورية فان المرأة تنقص عن كمال الولايات وقبول الشهادات بقول الله سبحانه وتعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض » ، (سورة النساء ٣٣) فلم يجز أن

يقمن على الرجال . وقد جاء في صحيح البخاري من حديث أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (لن يفلح قوم وليتهم امرأة) الا ان الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه جوز قضاءها فيما تصح فيه شهادتها وهي فيما سوى الحدود والقصاص .

٢ ، ٣ - وأما البلوغ والعقل فلأن الصبي والمجنون لا يلبان على أنفسهما فأولى أن لا يلبا على غيرها ولأن طريق الاجتهاد في الحوادث وأعيان الشهود معدومة فيهما .

٤ - وأما الحرية فلأن العبد ليس ممن أهل الولايات ولا كامل الشهادات يقول الماوردي (ان نقص العبد عن ولاية نفسه يمنع انعقاد ولايته على غيره) لكن الرق لم يكن مانعا للرقيق أن يفتى أو أن يروى لعدم شرط الولاية في الفتوى والرواية .

٥ - وأما الاسلام

فلأن الفاسق المسلم لا يجوز أن يلي قأولى أن لا يلي الكافر ويقول الماوردى لكونه شرطا في جواز الشهادة مع قوله تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » (سورة النساء ١٤١) فلا يجوز أن يقلد الكافر القضاء على المسلمين ولا على الكفار . لكن الامام أبو حنيفة رضى الله عنه جوز تقليده القضاء بين أهل دينه لكن اذا امتنعوا من تحاكمهم اليه لم يجبروا عليه وكان حكم الاسلام عليهم أقمذ .

٦ - وأما العدالة

فلأن الفاسق متهم في دينه والقضاء طريقه الامانات . قال الماوردى في الأحكام السلطانية (والعدالة معتبرة في كل ولاية) وهى أن يكون صادق اللهجة ظاهر الإمامة غنيا عن المحارم متوقيا المآثم بعيدا عن الرب مأمونا في الرضا والغضب مستعملا لمروءة مثله في دينه وديناه . فاذا تكاملت فيه فهى

العدالة التى تجوز بها شهادته وتصح معها ولايته وان انخرم منها وصف منع من الشهادة والولاية فلم يسمع له قول ولم ينفذ له حكم .

٧ - وعن السلامة في السمع والبصر :

فليعرف المدعى من المنكر ولا يتحصل هذا للضرر ولا للطرش ويقول الماوردى في كتابه السابق الاشارة اليه (السلامة في السمع والبصر) ليصح بها اثبات الحقوق ويزق بين الطالب والمطلوب ويميز المقر من المنكر ليميز له الحق من الباطل ويعرف الحق من المبطل فان كان ضريرا كانت ولايته باطلة لكن الامام مالك جوز ولايته كما جوز شهادته وان كان أصم .

٨ - وأما العلم فلا بد أن يكون ملما بالعلم الشرعى الضرورى عالما بالاحكام الشرعية ومعرفتها تقف على معرفة أصول أربعة هى : أولا : المعرفة من كتاب الله بما تضمنه من الاحكام .

وصدقه وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : « قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين » وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن إن كيدكن عظيم » (سورة يوسف ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨) .

وعن هذا الفهم يقول النبي صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) ، ودعا لعبد الله بن عباس فقال : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) كما ورد عنه صلى الله عليه عليه وسلم أنه دعا له أن يزيده علما وفهما .

ذلك أن الحق يكون متواريا مع أحد الخصمين فإذا لم يكن القاضي فطنا على قدر من الفهم يصعب عليه تبيان الحق بينهما والقضاء به لأن الخصمين يحتاجان أمامه بأدلتهم وبراهينهما مما يعجزه أحيانا عن التمييز بينهما

ثانيا : العلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : علمه بأقاويل السلف فيما أجمعوا عليه وفيما اختلفوا فيه .

رابعا : علمه بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها الى الأصول المنطوق بها والمجمع عليها .

ولقد زاد بعض العلماء على الشروط السابقة شرطا آخر وهو الفطنة ولا خلاف في أن القاضي يجب أن يكون على فهم وإدراك وفطنة فيما لم يرد فيه نص صريح وهذه موهبة من الله زائدة على العلم الشرعي الضروري وعن هذا الفهم يقول سبحانه وتعالى : « وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين » ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » (سورة الانبياء ٧٨ ، ٧٩) .

وهذا الفهم توصل شاهد يوسف عليه السلام بشق القميص من دبره الى الحكم ببراءته

عبد - بل ما أعطى عبد عطاء بعد
الاسلام أفضل ولا أجل منهما بل
هما ساقا الاسلام وقيامه عليهما)

**اهم الآداب التي وردت بشأن
القضاء**

هذه الآداب ورد ذكرها في
الصحاح والسنن وذكرها العلماء
في مصنفاتهم مما يجب على كل
مشغل بالقضاء مراعاتها والتقيّد
بها عند قيامه بالفصل بين الناس .
أولاً - عدم القضاء في حالة
الغضب :

ذلك لأن الغضب كما يقول
علماء النفس ينشأ من غليان الدم
فيعمى الرجل عن معرفة الحق
من الباطل - وشرعية الاسلام
قائمة على احقاق الحق وابطال
الباطل - يقول النبي صلى الله عليه
وسلم :

(لا يحكم أحد بين اثنين وهو
غضبان) رواه مسلم والترمذي
والنسائي « لا يقضين حكم بين
اثنين وهو غضبان » . رواه
البخاري في كتاب الأحكام .
ثانياً : لا يقضى حتى يسمع من
الخصم الآخر :

والى هذا يشير النبي صلى الله
عليه وسلم في حديثه بقوله :
(انما أنا بشر مثلكم وانكم
تختصمون الى ولعل بعضكم أن
يكون ألحن من بعض فمن قضيت
له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ
منه شيئاً فانما أقطع له قطعة
من نار) رواه البخاري في صحيحه
في كتاب الشهادات .

ويستقى من الحديث الأخير
أن حكم القاضي لا يحل حراماً
ولا يحرم حلالاً ولكن حكمه
واجب التنفيذ سواء أصاب الحق
أو لم يصبه بعد أن توافرت لديه
شهادات من استشهد بهم الخصوم
أو البيّنات التي تقدموا بها في
مجلس القضاء فإذا لم يكن القاضي
على قدر من الوعي والفهم ضاعت
الحقوق وسادت الموضى وتعطل
النظام وفقدت الطمأنينة على
الانفس والأموال والأعراض .

وعن هذا الفهم يقول الامام
ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين
(صحة الفهم وحسن القصد من
أعظم نعم الله التي أنعم بها على

والحارث بن أبي أسامة في مسنده .

رابعا - التسوية من جانب القاضي في نظره وإشارته إلى الخصوم : وذلك حتى لا يتوهم أحد الخصمين أن القاضي يميل إلى صاحبه فيضف عن الاستمرار في مطالبته بحقه .

والى هذا يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه فيقول (من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظه وإشارته ومقعدته ومجلسه) أخرجه البيهقي والدارقطني في سننهما عن أم سلمة رضي الله عنها .

خامسا - ألا يرفع القاضي صوته على أحد الخصمين دون الآخر : والى هذا يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : (من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فلا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لم يرفع على الآخر) أخرجه البيهقي والدارقطني في سننهما عن أم سلمة رضي الله عنها .

والى هذا يشير النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (إذا تقاضى إليك رجلان فلا تقض للأول حتى تسمع كلام الآخر فسوف تدري كيف تقضى) أخرجه أبو داود والترمذي في سننهما والحاكم في المستدرک .

ثالثا - التسوية في جلوس الخصمين بين يدي القاضي :

لأن عدم التسوية بينهما يؤدي إلى إكرام أحد الخصمين مما يشجعه على الظلم والتماذي فيه قال محمد بن نعيم عن أبيه (شهدت أبا هريرة رضي الله عنه يقضى فجاء الحارث بن الحكم فجلس على وسادته التي يتكىء عليها قال فظن أبو هريرة أنه جاء لحاجة غير الحكم قال فجاء رجل فجلس بين يدي أبي هريرة فقال له مالك فقال استأدى على الحارث فقال أبو هريرة قم فاجلس مع خصمك فانها سنة أبي القاسم) ولفظ استأدى يعنى استعدى رواه وكيع في أخبار القضاة

سادسا - عدم استضافة أحد الخصمين دون الآخر :

روى اسماعيل بن مسلم عن الحسن قال نزل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجل وهو بالكوفة ثم اختصم اليه فقال له علي هل أنت خصم ؟ قال نعم قال فتحول فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نضيف الخصم الا وخصمه معه - وذلك لكمال المساواة بينهما رواه الطبراني .

سابعا - ان لا يسمع القاضى الدعوى من الخصمين حتى يجلسا :

وذلك حتى يؤدي كل خصم بما لديه من أقوال ودفاع بهدوء واطمئنان روى عن عبد الله بن الزبير قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلس الخصمان بين يدي القاضى رواه أبو داود والبيهقى في سننهما والحاكم في المستدرک .

ثامنا - التسوية بين الشرف وغير الشرف وبين العبد والحر :

فالناس في دين الله مبوءاء وكذلك شأنهم أمام القضاء

لا فضل فيه لشرف على مشروف ولا لرفيع على وضيع ولا بين الحر والعبد وبين الصغير والكبير وبين الفنى والفقير وبهذا تتحقق المساواة الحقيقية في المجتمع الانسانى .

والى هذا يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله :

(الناس كالابل المائة لا يجد الرجل فيها راحلة) أى لا تكون فيها الذلول التى ترحل وتركب اشارة الى أن القاضى لا يفرق بينهم في حكم الله .

أخرجه البخارى ومسلم في صحيحهما عن ابن عمر رضى الله عنهما .

تاسعا :

الا يقبل الشفاعة أو الوساطة لأى من المتقاضين مهما كانوا فعن عائشة رضى الله عنها أن قرشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه

وسلم ؟ فكلّمه أسامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع في حد من حدود الله تعالى ؟ ثم قام فاختطب ثم قال : (إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) متفق عليه - وفي رواية (فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقال : (أتشفع في حد من حدود الله ؟ فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله ، قال : ثم أمر بتلك المرأة فقطعت يدها) •

أورد ذلك الإمام محيي الدين أبو زكريا النووي في كتابه رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين في باب تحريم الشفاعة في الحدود وأورده الإمام البخاري بلفظ آخر في باب كراهية الشفاعة في الحد : عاشرًا - أن يجتهد القاضي في أن ينحري العدل في حكمه ما أمكنه ذلك •

فمن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا) رواه مسلم وذكره الإمام محيي الدين أبو زكريا النووي في كتابه رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين في باب الوالي العادل •

حادى عشر :

الآ يتبع القاضي الهوى في حكمه •

ثانى عشر :

الآ يخش الناس مهما كانوا •

ثالث عشر :

الآ يشتري بحكمه ثمنًا قليلًا •

قال الحسن : أخذ الله على الحكام ألا يتبعوا الهوى ولا يخشوا الناس ولا يشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا ثم قرأ « يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله أن الذين

قال مزاحم بن زفر قال لنا عمر بن عبد العزيز (خمس اذا أخطأ القاضى منهن خصلة كانت فيه وصمة - أن يكون فهما حليما غنيا صليبا عالما مسؤولا عن العلم) هذا ما أورده البخارى فى الباب السابق متى يستوجب الرجل القضاء فى كتاب الاحكام .

خامس عشر - الا يقضى القاضى الا وهو شعبان ريان .

وذلك لأن شدة الجوع والعطش تحول بين الانسان وأفكاره فتصرفه عن معرفة الحق والى هذا يشير النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه فيقول (لا يقضى القاضى الا وهو شعبان ريان) أخرجه البيهقى والطبرانى عن أبى سعيد وكان شريح القاضى اذا غضب أوجاع قام فلم يقضى بين الناس . سادس عشر - ألا يأخذ القاضى فى حكمه بالظنة والشبهة .

فعلى القاضى ألا يقضى فى حكمه بالظنة والشبهة والا يحكم بغير دليل فاذا لم يكن هناك دليل قاطع على الادانة فان البراءة

يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » .

وقرأ « انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا (استودعوا) من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس وأخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

وقرأ « وداود وسليمان اذ يحكما فى الحرث اذ قشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان » ولم يلم داود ولولا ما ذكر الله من أمر هذين لرأيت أن القضاة هلكوا فانه أئنى على هذا بطلمه وعذر هذا باجتهاده - هذا ما أورده البخارى فى باب متى يستوجب الرجل القضاء فى كتاب الاحكام . رابع عشر :

أن يكون القاضى فهما حليما غنيا صليبا عالما مسؤولا عن العلم

أولى طبقا لقواعد الإسلام ومنهجه فقد ورد في الأثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم (فان الامام أن يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة) (١) .

ومن هذا الأثر أخذ رجال القانون القاعدة التي تقرر أن الشك يفسر لصالح المتهم . وهذا المبدأ يعتبر من المبادئ الأساسية في القضاء الجنائي .

هذه بعض من الآداب الهامة التي كان من اللازم أن يتحلى بها رجال القضاء في صدر الإسلام ، فملا قامت الاجهزة المشرفة على القضاء في الدول الاسلامية في زماننا المعاصر بتوجيه نظر القضاة اليها والتحلى بها تحقيقا للعدالة وصيانة لسعة القضاء وحرصا على مصالح المتقاضين ا .

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

١ - وهو جزء من حديث نعه هو كما يقول النسي صلى الله عليه وسلم : (ادرموا الحدود من المسلمين ما استطعتم فان كان له مخرج فخلوا سبيله - فان الامام ان يخطيء في العفو خير من ان يخطيء في العقوبة) أخرجه الترمذى والحاكم والبيهقى وأبو يعلى عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا - وأخرجه ابن حزم في الإيصال سند صحيح .

من أعلام التصوف القدامى في اليمن

للمؤلف: عبد الحفيظ فرغلي القرني

مقدمة :

جئت الى هذا القطر العربي الشقيق « جمهورية اليمن العربية » منذ ما يزيد على أربعة أشهر ، وفي ذهني أشياء كثيرة ، فهذه أول مرة تقريباً أغادر فيها مصر ، ولا أبالغ حين أقول : انني لم أشعر حين هبطت اليمن بالغربة . فقد وجدت بأنني في مصر الا أن أهلها قد غيروا من أزيائهم وانطبعوا بزي قومي موحد ، وغيروا من لغتهم فأصبحوا يتحدثون بلهجة فيها الكثير جداً من الفصحى ، أما المعاملة فهي التي أعنيها بأنني لم أشعر بالغربة التي كنت أتوقعها ، فقد رأيت قوماً يكونون لمصر والمصريين كل احترام وحب وود . وحسبك في هذا مقالاً قرأته في جريدة الثورة

اليمنية كتبه الدكتور عبد العزيز المقالح يقول فيه ما معناه : ان أول مصحف قرأه كان مطبوعاً في مصر ، وأول ديوان اطلع عليه كان لشاعر مصري وأول تعليم تعلمه كان على يد مدرس مصري ، فلمصر فضل لا ينسى وحق لا يجحد .. الى آخر ما جاء في هذا المقال .

وبحثت عن مكان التصوف في هذا البلد المرقى الذي كان الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أول مبعوث وجهه النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن ، والامام علي هو أبو التصوف ، ورثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول ابن عجيبة في كتابه ايقاظ الهمم : « واضح هذا العلم هو النبي صلى الله عليه وسلم ، علمه

التصوف فى صدر الاسلام قبل اشتغال المسلمين بفلسفة اليونان وحكمة الأمم الأجنبية ، وربما وقع الشك فى نسبة بعض هذه الكلمات الى الامام على رضى الله عنه لأنها تجملت بعد عصره بزمن طويل وامتزج بها مالا بد أن يمازجها من علوم القرن الثالث وما بعده ، ولكن شيئا على هذا النهج لا بد أن يكون قد صدر منه حقا حتى جاز أن يتصل النسب بينه وبين أئمة التوحيد وعلم الكلام على النحو الذى تواترت به الأقوال وأجمله ابن أبى الحديد فيما تقدم .

فليس بغريب أن يترك الامام على كرم الله وجهه أثرا من آثاره الروحية الفياضة فى هذه البقعة التى تتابع فيها الصحابة الأجلاء وباركها النبى صلى الله عليه وسلم بدعائه حين بشر بمجيء وفد اليمن قبل قدومه الى المدينة بقوله : « يقدم قوم هم أرق منكم قلوبا » . فقدم الأشاعر الذين حثهم الشوق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فجعلوا يرتجزون :

الله له بالوحي والالهام ، فنزل جبريل بالشريعة فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة فخص بها بعضا دون بعض . . . وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا على كرم الله وجهه وأخذه عنه الحسن البصرى « ويزيد العقاد رحمه الله هذا رأى بقوله فى كتابه عبقرية الامام ص ٣٠ ط دار المعارف سلسلة افرا : « قال ابن أبى الحديد : ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف ، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن فى جميع بلاد الاسلام اليه (أى الى على كرم الله وجهه) ينتهون وعنده يقفون ، وقد صرح بذلك الشبلبي والجنيد وسرى وأبو يزيد البسطامى وأبو محمود معروف الكرخى وغيرهم ، وبكفيك دلالة على ذلك الخرقعة التى هى شعارهم الى اليوم وكونهم يسندونها باسناد متصل اليه عليه السلام » ثم يعلق العقاد على ذلك قائلا : « وقد جمع نهج البلاغة نماذج شتى من الكلمات التى تنسب اليه ويصح أن تصلح أصلا للعلم الالهى أو لأسرار

غدا تلقى الأحبة ..

محمدًا وصحبه

ولقد أكرم النبي صلى الله عليه وسلم وفادتهم حين علم أن مجيئهم إليه لم يحركه غير الاخلاص لهذا الدين الذي استجابوا إليه طائعين بمجرد أن عرضه عليهم رائد منهم ذهب الى يثرب متاجرا وهو « منقذ بن حيان » ولقيه النبي صلى الله عليه وسلم وعرض عليه الاسلام فأسلم طائما وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم الفاتحة وسورة اقرأ ، وكتب معه كتابا الى قومه .

وأحسن القوم الاستجابة لهذا الكتاب فتجهزوا للوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الثامن الهجري قبل الفتح ، وفي هذا الوفد عبد القيس أبو موسى الأشعري ، والأشج المصري واسمه المنذر بن عايثة ، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم هذا الوفد بقوله : أتاكم وفد عبد القيس خير أهل المشرق ، مرحبا بالقوم غير الخزياء ولا الندامى ، وتتابعت لوفود بعد ذلك في العام التاسع

الذي يسمى بعام الوفود حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتاكم أهل اليمن ، هم ألين قلوبا وأرق أفئدة ، الايمان يمان والحكمة يمانية .

وليس بغير أن يترك هؤلاء الصحابة الأجلاء الذين تولوا الامارة على اليمن ومنهم معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري والبراء ابن عازب وغيرهم من كبار الصحابة . ليس بغير أن يتركوا الأثر الروحي الكبير الذي لرجو أن يعود قويا زاخرا كما كان في عهد الأسلاف الأول الصالحين .

تاريخ عريق لليمن :

ولليمن تاريخ عريق في الاسلام وقبل الاسلام ، والذي يذكر لليمن بالفضل والتقدير أن أهله استجابوا لله ورسوله وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ويقول بعض المفسرين : ان سورة النصر : « اذا جاء نصر الله والفتح .. » نزلت في أهل اليمن . جاء ذلك في كتاب : (هذه هي اليمن) .

فرنسا فى أوربا ، وحقا ذلك ظن
يبنى أحد عبد الرحمن الغافقى بطل
الفتح فى اسبانيا ، ولا ينسى أحد
أمير الأندلس . السمع بن حالك
الخولانى فاتح قرطبة ومؤسس
الامارة بها عام ٩٨ هـ .

لقد أسس اليمانيون قلاعا فى
الأندلس تعمل أسماهم من ذلك
قلعة همدان بقرطبة ، وقلعة خولان
فى غرناطة وقلعة يحصب فى أشبيلية،
وقصور الكلبيين فى عاصمة
صقلية .

هذا كلام نقوله للذكرى التى
تنفع المؤمنين فأين الأندلس ؟
وأين صقلية ؟ ضاع ذلك بفضل
المسلمين فهل يتعظ المسلمون بما
فات ؟ حتى لا يضيع منهم مابقى ؟
وللذين عبر تاريخ الاسلام دور
مشهور فى تشييد الحضارة
الاسلامية ، ولمس ذلك من زورها
ويرى معالمها ومساجدها وآثارها ،
وهى كغيرها من بلدان الاسلام
مرت عليها فترة ظلام حالك
استطاعت الآن أن تعبرها ، ورجو
لها ولنميرها من بلاد الاسلام وأقطاره

وأصبح اليمانيون أكبر عون
للخلفاء الراشدين فى نشر الاسلام،
فلم يكادوا يسمعون بدعوة سيدنا
أبى بكر الصديق رضى الله عنه
للجهاد حتى هب عدد كبير من
قبيلة « ذى الكلاع » بقيادة
زعيمها « ذى الكلاع الحميرى »
ومن قبيلة « مذحج » بقيادة زعيمها
« قيس بن هبيرة » ومن قبيلة
« الأزد » بقيادة زعيمها « جندب
ابن عمرو الدوسى » ومن قبيلة
« طيء » بقيادة زعيمها « حابس بن
سعد الطائى » ووصل هؤلاء جميعا
الى الصديق رضوان الله عليه فى
يوم واحد ، وكان غندهم يزيد على
عشرين ألفا بكامل سلاحهم وعتادهم
فبعثهم الى العراق والشام فجاهدوا
أصدق جهاد وأبلوا أعظم بلاء ،
وكانوا فى طليعة المواقع العظيمة
كالقادية واليرموك .

وبرز فى أعقاب هؤلاء
المجاهدين من حملوا راية الاسلام
التي أصبحت تخفق فى ربوع
افريقيا والأندلس ، وحتى وصلوا
بها الى تخوم الصين ، والى جنوب

أنفسهم ويحققون على غيرهم •
وهؤلاء حسبوا على التصوف زورا
وبهتاناً •

ان التصوف - وتاريخه وكتبه
خير شاهد على ذلك - يدعو
أربابه وأبناءه الى أن يتحققوا
بالعزة الروحية والكرامة الاسلامية
والجهاد في سبيل الله والاسلام
واتقان العمل والتضحية بالشهوات
وحب الناس جميعا حبا يجعله على
التعاون معهم والسعى في اعلاء كلمة
الجماعة الاسلامية • ان الصوفية
الأوائل كانوا يجتهدون في الجهاد
أسمى غاية • وهذا عبد الله بن
المبارك يقول :

يا عابد الحرمين لو ابصرنا
لطمت أذنك في الميمنة تلعب
من كان يخطب جيده يمدحه
فنهزوا بدمائنا تتغلب
او كان يتمب خيله في سافل
فنبولنا يوم الصبيحة تمب
ريح العبير لكم ونحن عبيدنا
وهج السنايك والفيار الاطيب

قال الدكتور عبد الحليم محمود
رحمه الله في كتابه عن ابن المبارك :
كان ابن المبارك منغمسا في الجهاد
الى درجة أن كثيرا ممن كانوا
يحبون أن يسمعوا منه كانوا

المودة الحميدة القوة لتعاليم
الاسلام المزهرة التي بها اتصر
المسلمون قديما وسادوا وعزوا ،
لعل هذه الأقطار جميعا تسهم معا
في رفع لواء المروية والاسلام
خفاقا من جديد •
عودة الى الموضوع :

أرجو ألا أكون قد ابتعدت عن
جوهر الموضوع ، فليس التصوف
سوى عودة الى روح هذا الدين
العظيم الذي يدعونا الى الكفاح
والجهاد والى أن يكون الله جل
شأنه رائدنا واعلاء دينه غايتنا
وطريق نصرته طريقنا • هذا هو
التصوف الحق ، وليس التصوف
مدعاة الى الكسل أو التواكل بل
هو سمو بالروح وفكران للذات
وحفظ للمروءة وتشديد لفضائل
الأخلاق ، هو عمل من أجل هذا
الدين الذي تشرف بالانتساب
اليه • لقد قدح خصوم التصوف
اليه يوم أن رأوا قوما ينسبون
أنفسهم الى التصوف يعتنون
بالمظهر دون الجوهر ويكثرون
الكلام وينسون الأفعال يحبون

ينهبون اليه فيجدونه في الغزو .
ولقد مات في أثناء عودته من
الجهاد . وماذا كان تعليق الفضيل
ابن عياض على هذا الشعر عند
سماعه ؟ ذرفت عيناه ، وقال : صدق
والله أبو عبد الرحمن ، وروى هذا
الحدث عن أبي هريرة قال : ان
رجلا قال : يا رسول الله علمني عملا
أنال به ثواب المجاهدين في سبيل
الله ؟ فقال الرسول صلى الله عليه
وسلم : هل تستطيع أن تصلي فلا
تفتر وتصوم فلا تمطر ؟ فقال :
يا رسول الله أنا أضعف من أن
أستطيع ذلك . ثم قال النبي صلى
الله عليه وسلم : فوالذي نفسي
بيده ، ولو طوقت ذلك ما بلغت
المجاهدين في سبيل الله .
فالتصوف لا ينفر عن العمل من
أجل رفع بناء المجتمع على أسس
الاسلام الصحيح عن طريق جهاد
النفس والشيطان وجهاد عدو
الاسلام وكلا الجهادين مطلوبان .
من اعلام التصوف في اليمن :
ولقد وجد التصوف في اليمن
مرتعا خصيبا حين نزل اليها قوم
اشتهروا بالزهد والعبادة من أمثال

أبي عبد الرحمن طاووس بن كيسان،
وكان فقيها محدثا زاهدا عابدا
ناسكا فاضلا يروى عن عبد الله
ابن عباس وأبي هريرة . نزل
« التجند » وهي اسم بلد
باليمن وانظر مادة « جند
في اليمن - وهي « تعنز »
الآن - ومما يروى عن زهده أن
أحد امراء اليمن واسمه أيوب بن
عبد الملك ، بعث الى طاووس
بسبعمائة - أو خمسمائة دينار -
وقيل للرسول : ان أخذها منك
فان الأمير سيكسوك ويضمن
ان أخذها منك فان الأمير سيكسوك
البك ! قال فخرج حتى قدم
على طاووس التجند ، فقال :
يا أبا عبد الرحمن ، تفقة بمث بها
الأمير اليك ؟ فقال : مالي بها
حاجة ، فداراه على أخذها فأبى ،
ففعل طاووس غرما بها الرجل في
الكوة التي في البيت ثم ذهب .
فقال لهم : قد أخذها ، فلبثوا حيناً
ثم بلغهم من طاووس شيئا يكرهونه
فقالوا : ابعثوا اليه قليلتنا بماننا ،
فجاءه الرسول فقال : المال الذي
بعث به الأمير اليك ! ؟ فقال :

وهم" به بقيق • فقال له مشيخة
من حضر : لن يمكنك يا أمير
المؤمنين قتله ولا هضمه وهو في
حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه
وسلم ، وقد تقدمنا إليك بأنه
لا معرفة له بتحية الملوك والخطباء
وأنه شيخ فأن من بقايا التابعين •

فقال هشام : فما حمله أن فعل
ما فعل ؟ قال طاووس : ما الذي
فعلت يا هشام ؟ قال هشام : خلعت
نعليك بحاشية بساطي ولم تسلم
بامارة المؤمنين ولم تقبل يدي ولم
تقف بين يدي حتى أجلسك ثم
جلست بازائي وسميتني ولم تكني ،
فما يكون أعظم من ذلك ؟

قال طاووس : فهل شيء غير
ذلك ؟ قال هشام : وما يكون أعظم
من ذلك ؟

قال طاووس : أما خلعت نعلي
بحاشية بساطك فما من يوم ولا ليلة
إلا وأنا أدخلها بين يدي الله عز
وجل خمس مرات • أمرني بذلك
وأمرني ألا أتكبر عليه • ان الله
لا يحب المتكبرين •

ما قبضت منه شيئا ، فرجع الرسول
فأخبرهم فعرفوا أنه صادق ، وبعثوا
إلى الرجل الذي ذهب إليه بالمال
فقال : أنا وضعت في الكوة التي
بمنزله • فعينوا ذلك فوجدوه كما
وضعه وقد بنت العنكبوت على
الصرة التي بها المال
موقفه مع هشام :

روى صاحب تاريخ مدينة صنعاء
قال : روى أن هشاما حج وهو
خليفة ، فحضر الأشراف والعلماء
والزهاد فسلموا عليه ، فلما غص
المجلس بالناس قال هشام : هل
بقي أحد ؟ فقيل : نعم طاووس
اليمني ، فقال : علو به ، فقال
له بعض القوم : انه شيخ كبير
فأن لا معرفة له بتحية الملوك
والخطباء • فقال : لا بد من
احضاره ؟ فقام مشيخة من القوم
فأتوا بطاووس فلما صار بين يديه
خلع نعليه بحاشية البساط ولم
يسلم عليه بأمر المؤمنين ولم يقف
بين يديه إلى أن يجلسه ولم يقبل
يده وجلس بازائه ؟

وقال : ما خبرك يا هشام - سماء
ولم يكن - فاستشاط هشام غضبا

كريم : يا آدم يا ابراهيم يا موسى
يا عيسى يا محمد ، وكفى أعداءه
فقال تعالى : « تبت يدا أبى لهب
وتب » فجعلتك أسوة للسادة الأخيار
وصنك عن الأنجاس الأشرار ! ؟
فقال هشام : أحسنت يا أخا
اليمن زدنا ؟ فقال : حدثنى أمير
المؤمنين على بن أبى طالب رضى
الله عنه . قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : ان فى جهنم
واديًا فيه حيات كالنخل الطوال
وعقارب كالبحال يلدغن راعيها
لا يسير فى رعيته بطريق الحق .

وقام طاووس فاحتذى نعليه .
فقال له هشام : زدنا يا أخا
اليمن ؟ فقال : حسبك على الله أن
كماك حسبك . فأمر له هشام
بصلة . فلم يقبلها .

هذا وبالله التوفيق .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

وأما سلامى عليك بغير امرة
المؤمنين فليس المسلمون كلهم
راضين أن تكون أميرهم فخشيت
أن أكون فى سلامى كادبها والله
لا يحب الكاذبين . وأما قيامى
بين يديك حتى تجلسنى ، فحدثنى
أمير المؤمنين على بن أبى طالب
رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : من كثر قيامه
بين يدى المجالس فقد تبوأ مقعده
من النار ، فلم أحب أن أكون كذلك
وأن أكون غدا فى زمرة الظالمين .

وأما تقبيلى يدك فنحن معاشر
العرب لا نعرف القبلة الا لأحد
رجلين رجل قبل امرأته لشهوة
ورجل قبل ولده لرحمة .

وأما جلوسى بازائك وسميتك
ولم آتكنك فإن الله تعالى سعى أجباه
ولم يكنهم فقال عز من قائل

الأدب الأردني وتطوره

دور المتصوفة ورجال الدين في رفعة الأدب

(١٤٤٢هـ - ١٤٥٠م / ١١١٩هـ - ١١٧٠م)

دكتور سمير عبد الحميد البراهيم

الخط العربي والحروف العربية ،
فاخترع أبو الأسود الدؤلي تلميذ
على رضى الله عنه الاعراب في سنة
٥٠٠ للهجرة ، وذلك في شكل نقط
فكانت الكسرة نقطة تحت الحرف
والفتحة نقطة فوق الحرف والضممة
نقطة على جانب الحرف بينما
النقطتان تدلان على التنوين .

وبعد فتح مصر ويران كان من
الصعب على أهل البلاد المفتوحة
قراءة حروف مثل : ج ح خ
أو ب ت ث أو غيرها من الحروف
المتشابهات ، ومن هنا أمر الخليفة
عبد الملك بن مروان (٦٥ هـ)
الحجاج بن يوسف والى العراق
باصلاح الخط العربي فقام نصر بن
عاصم بناء على طلب الحجاج بوضع
نقط الحروف سوداء بينما نقط
الاعراب توضع قرمزية اللون ومن

بعد أن عرضنا في المقالين
السابقين لنشأة اللغة الأردنية ،
تتناول في مقالنا الحالي تطور الأدب
الأردني في مراحله الأولى ، تلك
المراحل التي ساهم فيها المتصوفة
ورجال الدين بنصيب واضح
يجعلنا نقرر بكل ثقة أن الأدب
الأردني قد ظهر وتطور على أيدي
رجال الدين والمتصوفة قبل غيرهم .

يكتب الأدب الأردني بالخط
العربي الذي خضع في شبه القارة
الهندية الباكستانية الى تفسيرات
طبيعية استلزمها التطور الطبيعي
للغة الأردنية نفسها ، فقد ظلت
الحروف العربية حتى عهد الخلافة
الرشيدة تكتب غير منقوطة وكانت
مجرد اشارات يستطيع العربي
قراءتها ، ومع انتشار الاسلام في
غير العرب كان لا بد من تطوير

سنة ٣٣٨ هـ) قد وضعه حتى يسهل على التلاميذ الصغار تعلم العربية.

كان للعامل الديني أثره البعيد في انتشار الكتابة العربية في مصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش والسودان والحبشة والصومال وزنجبار والشام والعراق وإيران وأفغانستان وتركيا (حتى عهد كمال أتاتورك) وشبه القارة الهندية الباكستانية وقازان والملايو وجاوه كما كان منتشرا في الأندلس وصقلية ومدغشقر ، ومن الجدير بالذكر أن بعض السكتانس في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا تحمل نقوشا لا تزال قائمة تمثل آيات القرآن الكريم بخطوط جميلة .

وحين وصل الخط العربي الى إيران حدثت فيه بعض التعديلات والتفسيرات بحيث أمكن استيعاب الأصوات الزائدة في اللغة الدرية أو الفارسية الجديدة فأضيفت حروف مثل ب ، ج ، ز ، ك ، أي باء وجيم تحتها ثلاث نقط وزاى عليها ثلاث نقط وكاف مزدوجة .

هنا صار التمييز سهلا بين الحروف المنقوطة .

وظل هذا النظام معمولاً به حتى أربعين سنة تقريبا حين قام عبد الرحمن خليل بن أحمد (توفي سنة ١٠٠ هـ) بوضع حركات الاعراب المعروفة .

كانت حروف اللغة العربية ٢٢ حرفا أضيفت إليها فيما بعد ستة حروف هي ث ، خ ، ذ ، ض ، ظ ، غ ، وهذه الحروف الست هي حروف خاصة باللغة العربية تكونت بزيادة نقطة على الحروف القديمة : (ت ، ح ، د ، ص ، ط ، ع) ثم زيد حرف (لا) حوالي القرن الرابع الهجري وكذلك همزة ، وكان ترتيب الحروف في البداية هو : أبجد هوز حطى كلمن سحفص قرشت ثخذ ضظغ (والحروف الستة الأخيرة أضيفت فيما بعد كما سبق أن ذكرنا) وقد وضع هذا الترتيب طبقا للمخارج الصوتية إلا أن الترتيب الحالي يختلف عن السابق ويقال إن ابن مقلة (توفي

(فوقها طاء) والجيم العربية
والجيم الفارسية المثلثة والبدال
العربية والبدال الهندية (فوقها طاء)
والراء الهندية (فوقها طاء) والكاف
العربية والكاف الفارسية المزدوجة .
ولا تعتبر (هـ) حرفا منفصلا بل
تمثل وما قبلها حرفا واحدا ينطق
بصوت واحد وهذا الصوت في
الأصل موجود في اللغة
السنسكريتية .

في بداية كتابة اللغة الاردية
كانوا يضيفون أربع نقط توضع
بدل حرف ط على ت ، د ، ر
ولا تزال هذه الطريقة تستخدم في
اللغة السندية حتى اليوم ، كما
كان البعض يقوم بوضع ثلاث نقط
تحت الدال والراء والكاف وأربع
نقط فوق التاء (١) .

وفي الكتابات القديمة (حوالى
١٥٢٨ هـ - ١٦١٩ م) نلاحظ
اختفاء الطاء من فوق ت ، د ، ر ،
وكذلك اختفاء حرف الكاف
الفارسي وعدم الاهتمام باستخدام
صوت هـ مضافا الى الحرف السابق

ولما وصل العرب الى بلاد السند
واختلطوا بأهلها وانتشروا فيما بعد
في شبه القارة ، ثم ظهرت اللغة
الاردية الى الوجود وبدأ الهنادكة
في كتابتها بالخط الديوناجرى
بينما اتجه المسلمون الى استخدام
الخط الفارسي (العربي) ، فلم
يكن في مقدور الخط الديوناجرى
استيعاب الأصوات العربية
والفارسية الموجودة باللغة الاردية ،
ولا تزال هذه قضية تثار داخل اللغة
الهندية حتى اليوم اذ لا يوجد بها
مثلا حرف يمر عن صوتي ذ ، ز
فهم ينطقونها (ج) ثم أضافوا
نقطة تحت حرف ج الديوناجرى
للتعبير عن ذ ، ز فلم يكن من
المعقول أن ينطق أهل الهند اسم
رئيس وزرائهم السابق ذاكر حسين ،
جاكر حسين .

وللتعبير عن الأصوات الهندية
استخدم حرف الطاء موضوعا على
حروف : ت ، د ، ر وحرف هـ ،
مضافا الى حرف الباء والباء المثلثة
وحرف التاء العربى والتاء الهندى

(١) لغات كبرى ، تقديم وتصحيح نجيب أشرف ندوى مبنى ط ١٩٦٢

للتعبير عن صموت الحروف
الهندية (۱) •

وعلى كل حال فالتطور فى كتابة
اللغة الاردية كان أمرا طبيعيا فم
تكن هناك مطابع وكان كل كاتب
يكتب ما يلى عليه طبقا لقدراته
وكما هو مشاهد فى المخطوطات
الاردية القديمة كان بعض الكتاب
يكتبون ت مكان ط مثل (واسته بدلا
من واسطه) (أى من أجمل)
ويكتبون الهاء مكان الحاء مثل :
(هواس بدلا من حواس) وباختصار
كان الاملاء يعتمد فى معظم الأحيان
على الصوت فتصادفنا كلمات
مثل : مهنت (معنت) ، منا (منع)
صواب (ثواب) وغيرها كثير •

وقد قام بعض المصلحين (أكثرهم
من الشعراء) سنة ۱۷۴۰ م
تقريبا من أمثال شاه حاتم (شاعر)
وسراج آرزو (شاعر ولفوى
ألف مجما وتوفى سنة ۱۱۶۹ هـ)
وغيرهما بتنقية اللغة مما أحسوا
هم بفراتته عليها كما قاموا بتصحيح

كتابة العديد من الألفاظ التى داجت
بين الشعراء وأطلق على حركتهم
اسم « اصلاحي تحريك » أى
الحركة الاصلاحية وتعد هذه أول
حركة لغوية اصلاحية فى تاريخ
اللغة الأردية وقد شملت هذه
الحركة تصحيح الاملاء وطريقة
الكتابة وتصحيح الأساليب
والتركيب اللغوية أيضا •

النماذج الاولى للأدب الأردى فى
شمال الهند

(۱۷۰۰ م / ۱۰۵۰ م - ۱۱۱۲ هـ)
(۱۷۰۰ م)

يتناقل كتاب التذاكر بعض الجمل
والعبارات الأردية وينسبونها الى
« أمير خسرو » (متوفى ۷۲۵ هـ /
۱۳۲۵ م) الا أنهم يقررون أن
« مسعود سعد سلمان »
(۴۳۸ هـ - ۵۱۵ هـ / ۱۰۶۶ م
- ۱۱۲۱ م) أحد سكان مدينة
لاهور هو أول شاعر نظم الشعر
باللغة الهندوية « الأردية » وقد

(۱) د. وانا احسان الهى : واحد نارى - تحقيق لاهور ۱۹۶۰
(بالانجليزية) •

الموطن الأصلي للغة مما جعل البعض يطلق عليها اسم « هندوستاني فارسي » أي الفارسية الهندية ، ورغم انتشار الأردية كلغة يتحدث بها الناس إلا أن الفارسية كلغة للبلاط احتلت مكانة عالية فاتجه اليها الأدباء يعبرون بها عن أفكارهم في شكل أعمال شعرية أو ثرية .

وتحت نداء النزعة الوطنية قام أمير خسرو الذي مزج بين الموسيقى الإيرانية والموسيقى الهندية بالمزج بين الشعر الفارسي والشعر الهندي، وقد اتبع في ذلك عدة أساليب منها كتابة أشعار يكون فيها مصرع بالفارسية وآخر بالاردية أو يكون فيها نصف مصرع بالفارسية ونصف مصرع بالاردية ، ومن هنا اتسمت هذه الأشعار بالغموض بل ظهر نوع من الشعر يسمى « بهليان » أو شعر الألفاظ فاللفظة الفارسية لها معنى بالفارسية يختلف عن

أشار إلى هذا أمير خسرو في مقدمة ديوانه المسمى « غرة الكمال » ونقل محمد عوفي صاحب « باب الألباب » نفس الفكرة قائلاً : « بأن لمعود سعد سلمان ثلاثة دواوين ، ديوان بالعربية وديوان بالفارسية وديوان بالهندوية « الاردية » (١) إلا أنه لا وجود لهذا الديوان الذي كتبه مسعود سعد سلمان بالهندوية ، ومع هذا فالمبارات الأردية تتناثر بين أبيات ديوانه الفارسي ، والحقيقة أن الكلمات الاردية توجد في أشعار حكيم سائي (متوفى ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م) وكذلك في الكتابات الفارسية لكل من منهاج وأمير خسرو وضياء الدين يرنى وسيد محمد بن سيد مبارك كرمانى (٢) ولم يقتصر الأمر على الألفاظ الاردية بل تعداه إلى طريقة التعبير التي جعلت اللغة الفارسية في الهند تختلف عن مثيلتها في إيران

(١) مقدمة غرة الكمال ولباب الالباب صفحة ٢٤٦ ج ٢ كمردح ١٩٠٢ م
(٢) في كل من : طغفان ناصري (٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) وقران السعدين (٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م) وتاريخ فيروز شاهي (٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م) وسير الاولياء (حوالي ٧٩٥ هـ / ١٣٩٣ م) على التوالي .

نصر فراهي سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م
معجما باسم « نصاب الصبيان »
طل يدرس ضمن مناهج المدارس
النظامية لقرون وقد نظم المؤلف
أشعارا أوضح فيها معاني الكلمات
العربية بالفارسية ، وهكذا فعل
أمير خسرو حين نظم «خالق باري»
الذي لا يحمل أية أهمية أدبية أو
شعرية ولكنه يوضح ما كانت عليه
اللغة الاردية من أهمية جعلت من
الضروري على الناطقين بالفارسية
والعربية والتركية معرفتها والوقوف
على معانيها .

ويضم « خالق باري » ١٧٠
بيتا من الشعر ، فأضاف اليه
« صفى » ١٢٠ بيتا من الشعر
وأسماء « مطبوع الصبيان »
وكتب في مقدمته « كتاب مطبوع
الصبيان عرف (المعروف به)
خالق باري تصنيف أمير خسرو
دهلوي قدس سره العزيز » .

وقد كتبت عدة كتب على نمط
« خالق باري » مثل « واحد

معناها حين تستخدم في
الأردية إلا أن الأمير خسرو قد ترك
كتابا له أهمية عظيمة في تاريخ الأردية
ويطلق عليه « خالق باري » وقد
اختلف المحققون في نسبة هذا
الكتاب اليه حتى أن البروفيسر
حافظ محمود شيراني نشر هذا
الكتاب وجعل عنوانه هكذا :
« حفظ اللسان معروف به خالق
باري مصنفه ضياء الدين خسرو
در (في) سنة ١٠٣١ هـ جو
(الذي) عموما منسوب به حضرت
أمير خسرو دهلوي » (١) .

و « خالق باري » معجم منظوم
يضم الألفاظ العربية والفارسية
وما يرادفها من ألفاظ هندية والمعاجم
المنظومة قديمة جدا ، ومن أقدم
المعاجم العربية المنظومة كتاب
« مثلثات قطرب » لأبي علي محمد
قطرب النحوي ، يضم ٣٢ بيتا من
الشعر ، كما يحتل كتاب «صاحح»
لأبي نصر اسماعيل بن حماد
الجوهري مكانة عالية بين المعاجم
القديمة ، وفي الفارسية كتب أبو

(١) حفظ اللسان ، انجون ترقى اردو - دهلي ١٩٤٤ م .

وخواجه فام الدين أوليا (توفي ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) وللأخير عدة أبيات شعرية على نمط هندي يسمى «دوها» أو «دوهر» يشبه المثنوى، كما كتب شيخ شرف الدين يحيى منيري (متوفى ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م) عدة أشعار على النمط السابق وله أيضا بعض الأقوال المأثورة والأمثال التي اشتهرت فيما بعد. أما شيخ عبد القدوس كنكوهي (٨٦٠ هـ - ٩٤٥ هـ / ١٤٥٥ - ١٥٣٨ م) فقد كان شاعرا مجيدا بلغة «برج بهاشا» وعالما فقيها من علماء عصره وقد لقب بـ «مجتهد وقت» و «مقتدای زمان» أي مجتهد وقته ومرشد زمانه، وترك ماثورات وأشعار وخطابات وكان يعبر عن أفكاره الدينية بالشعر الفارسي أولا ثم يفسر هذه الأفكار بالهندية على نمط «دوها» أو «دوهر».

ومن العجيب أن يقوم واحد من الهادكة يدعى كبير (متوفى ١٥١٨ م) بشاركة أهل التصوف في دعوة

باري «لأشرف ياباني (٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م) و «مثل خالق باري» (٩٦٠ هـ / ١٥٥٢ م) لاجئ جند و «حفظ اللسان» لضياء الدين خسرو (١٠٣١ هـ) .

يعد أمير دهلوي من معاصري أمير خسرو متوفى (٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م) وقد لقبه عبد الرحمن جامي شاعر الفارسية الشهير بلقب «سعدى هندوستان» أي سعدى شيرازي الهند فقد كان شاعرا مجيدا بالفارسية كما كتب أشعارا تقاسمت فيها الفارسية والأردية الأبيات ومزج بين الفارسية والأردية مزجا رائعا (١) .

في هذه المرحلة التي تمثل مولد الأدب الأردی تطالعنا أقوال وحكم رجال التصوف المسلمين من أمثال شيخ فريد الدين مسعود كنج شکر «أي كنز السكر» (٥٦٩ هـ - ٦٦٤ هـ / ١١٧٣ م - ١٢٦٥ م) وهو من سكان مدينة ملتان وشيخ حميد الدين فاكوري (٥٩٠ هـ - ٦٧٣ هـ / ١١٩٣ م - ١٢٧٤ م)

(١) جميل جالبی : تاریخ ادب اردو - ١ ص ٢٤ - ٣٥ .

وهو فى هذا يحاول اىصال افكاره اليهم بالوسيلة السهلة مما أدى الى وجود العديد من الأخطاء اللغوية والاملائية فى أشعاره فقد كان يكتب الكلمات العربية والفارسية والتسركية كما ينطقها العامة ، واستعصى عليه نطق بعض الحروف العربية فالحاء هند كه ، والقاف كاف ، والفاض والزاي عند ه جيم وهكذا نرى أن : وضوء تصبح وجوه (وضوء) ، غريب (بمعنى فقير) تصبح « كريب » ، كما أن الشين تصبح عنده سينا والغين كافا فارسية والذال دالا . ورغم كل هذا فقد أطلق عليه «شاعر الشعب» لأنه كان يتكلم فى أشعاره كما يتكلم العامة لا يهمل أن تصدر عنه أخطاء لغوية أو املائية أو حتى عروضية فيكتب كبير كبيرا أو كبيرا ويكتب محل « بمعنى قصر » محليا ودرويش درويسا ومقام مكانا حتى كلمة غفلت (العربية غفلة) يكتبها كهلثي « وكتب كتيب » وهكذا (١)

الناس الى عبادة اله واحد ، وكان يصلى مع المصلين من المسلمين ثم يطلق الى معابد الهادكة ليقدم معهم القرابين الى آلهتهم رغم انه كان ينكر عبادة الأصنام وانشره باله واحد وكان شاعرا مجيدا اعتبره المسلمون شاعرهم واعتبره الهادكة شاعرهم ، ويرى كبير أن « رام » (اله الهادكة) - و « الرحيم » (اله المسلمين) شيء واحد ويرى أن رام ليس باله الهادكة ولكنه اسم هندی يعنى « الرحيم » وهو الله الذى يحتوى كل الصفات وهو أيضا ما وراء الطبيعة وهو الكل لا شكل له يوجد فى كل مكان ، وقلب الانسان هو بيت الله كما أنه يمكن الوصول الى الله عن طريق العشق والهدف هو الله فمن وجد الله وجد كل شيء ، وهكذا يلتقى كبير مع المتصوفة فيما يتعلق بنظرية العشق . ومن الجدير بالملاحظة أن يقوم كبير باستخدام الألفاظ الفارسية والعربية والتركية التى كانت تروج على السنة العامة،

(١) بندت متوهر لال : كبير صاحب ، ط اله آباد ١٩٣٠ م ص ١٢٩/١٣٠

فكلمة لت كيا اردية معناها :
انقلب وكلمة قتا هي اردية معناها :
انكسر والألفاظ الأخرى فارسية
ومعنى البيت : أصبحت ذليلاً
أقالم وأنوح وأتقلب متوجعاً ، فقد
انكسر ظهري في طريق عشقتك .
ولشيخ جمال أشعار في الغزل
يستهلها بقوله :

آن برى رخسار چون شاه به جوى ن کند
جان دواز عاشقان را عمر جهرى می کند

أى : تلك العشاء صاحبة
الوجنات الملائكية حين تعقد
ضفائرها (جوتى كلمة اردية تعنى
الضفائر) على كفها تقصر بذلك
عمر المحبين المعمرين (جهوتى
كلمة اردية تعنى قصير) .

يطالعنا بعد ذلك شاعر له
اتجاهات أخرى وهو « أجى جند
بهتا » الذى قام سنة ٩٦٠ هـ /
١٥٥١ م بكتابة منظومة على نمط
« خالق بارى » يشرح فيها معانى
الكلمات الفارسية بالأردية ، ومن
هنا سماها مولوى عبد الحق
« مثل خالق بارى » (١) .

كان هذا هو حال معظم الألفاظ
العربية التى اتخذت شكلاً عجيباً على
ألسنة أهل شبه القارة الهندية
الباكستانية من المسلمين وغيرهم
حتى تم تصحيحها فيما بعد كما
سبق أن اشرنا ، ومن أمثلة الكلمات
المصرية التى تعيرت صورتها
ما يلى :

مسجد : مسيت ، صدق : سدك ،
كعبة : كابا ، كلمة : كلماء ،
تسبيح : تسبيه ، صاحب : ساهب ،
درويش : درويس ، عشق : معب :
اسك مهبت ، قبول : كبول
وغیرها .

يؤسس بابر (توفى ١٥٣٠ م)
الدولة المغولية ويحاول توسيع رقعة
امبراطورته ، وفى زمانه اشتهر
شيخ جمال كنبوه (متوفى ٩٤٢ هـ /
١٥٣٥ م) بأشعاره الفارسية التى
تتخللها الكلمات والعبارات الأردية
مثل :

خوار شدم زار شدم لت بيا
درد عشق تو کمر تنهائى

(١) د . مولوى عبد الحق : قديم اردو - ص ١٩٨ - ٢٠٧ ط كراشى
١٩٦١ م .

ومن أمثلة أشعاره :

فلح شیدن هی کروا هونا
کمنه سسگون کفتم نتوانم
أى : يصير مرا (بالفارسية)
يصير مرا (بالاردية) : لا يمكن
الكلام . لا يمكن الكلام .

ومن الملاحظ ان لغة أجي جند
تشابه مع لغة أمير خسرو فهو من
ساكني ضواحي دهلي وهي اللغة
التي أطلق عليها « اللغة الدهلوية »
أو « اللغة الهندوية » .

وفي زمان الامبراطور أكبر
مؤسس نادى « الدين الالهى »
امتلا البلاط برجال من
جميع مناطق الهند : البنجاب ،
السند ، الكجرات وبعض مناطق
الدكن والبنغال واقليم بهار وغيرها
كما ضم العديد من الاجناس :
المغول والایرانیین والطورانیین
والعرب والاقفان والهنود جمعهم
الوظائف الرسمية وصمم العمل
داخل البلاط ، ورغم أن لغة البلاط
كانت الفارسية الا أن أمور البلاط
لم تكن لتسير بالفارسية فقط اذ
كانت هناك لغة أخرى تضم افغانى

والكجراتى والسندى والبنغالى
والدكنى والبنجابى وهي اللغة التي
أطلق عليها البعض « لغة التمايش »
أو « لغة الساعة » أو « اللغة
الهندية » .

توضح النماذج الشعرية في
زمان أكبر أن أدب اللغة الأردية
كان قد بدأ يتخذ شكلا يمكننا من
أن نطلق عليه أدبا بالشكل المفهوم
حاليا فالشعر ، والغزل بصفة خاصة ،
ملوء بالكلمات الأردية الصحيحة
والتعابير السليمة كما أن الألفاظ
الأردية كانت دائما تستخدم في
القافية والريف رغم سيطرة طابع
الغزل الفارسي على الغزل الأردى .
كما كانت الأشعار التي تضم حوارا
معينا يعبر عنها دائما بلغة هي
في الواقع لغة التخاطب اليومية
التي يتداولها الناس في أحاديثهم
وزاد هذا من روعة الشعر وصبغه
بصبغة طبيعية خلاصة الا أننا يجب أن
نقول بان الصورة الادبية للشعر الا ردى
لم تكتمل بعد لأن الشعر الفارسي
كان يسيطر ايضا بالفاظه فسمى
هذا القسم من الشعر الهندوى أو

له الزوجة التاجيكية باللغة الفارسية
وحين يصل الى الهندية تستقبله
قائلة :

زن هندی زیبک طرف کسبید
هو تری لوندی تورا غوندگار
نم جو مجهکون بیارگری هو
هون بهی گری هون تمهارة بیلر

« تقول الزوجة الهندية - من
ناحية - ها أنا جارتك ياسيدى ،
على قدر حبك لى أهيم فى حبك »
والرجل الفقير حين يصل الى بيته
تنفر منه زوجته ، تشتم واحدة
والأخرى تلمن والثالثة تصرخ
وتصبح حياة المسكن جحيما لا
يطاق تصرخ الهندية فى وجهه
قائلة :

زن هندی زیبک طرف کسبید
تیری مان گوی تیرا باب جمار
نجهتین مجهکون نه دوی وبانی
لجم تین مجو کوننن سوادوستگار

« تقول الزوجة الهندية - من
ناحية - يا ابن الوضيعة يا ابن
الاسكافى ما أتيتنا يوما بطعام
أو شراب ، لم أعد أطيقك ، لم
أعد استلطفك » .

والاشعارا لى ذكرها الشاعر
على لسان المرأة الهندية تعبر تماما

الأولين ردى باسم « ريخته » أى
الشعر الممزوج - وفى بلاط أكبر
عاش شاعر مشهور يدعى « بهرام
سقه بخارى » له ديوان بالتركية
وآخر بالفارسية كما كتب أيضا
شعرا بالاردية « ريخته » غلبت فيه
الاردية الفارسية (١) . ولم يقتصر
الأمر على مزج الفارسية بالاردية
بل تعداه الى مزج الاردية بالتركية
والفارسية معا كما فعل « عشقى
خان عشقى » (متوفى ٩٩٠ هـ /
١٥٨٢ م) فى قصيدته الفارسية
« سرد وكرم زمانه » أى « برد
الزمان وحرارته » (٢) وتناول
فى قصيدته هذه الحديث عن حاله
بعد أن فاز بوظيفة موزع هبات
السلطان ، وهو يصور كيف
يتكالب الناس على أصحاب الثروات
ويتملقونهم بينما يعتمدون عن
مجالسة الفقراء والمساكين كما يعبر
عن الحياة الزوجية للرجل الفنى
الذى يعود الى بيته فتسابق
زوجاته على خدمته وتدعسوا له
الزوجة التركية باللغة التركية وتدعو

(١) جميل جالبى : تاريخ أدب اردو - ص ٥٩ ط لاهور .

(٢) مجلة الكلية الشرفية لاهور أغسطس ١٩٣١ ص ١٢٢ - ١٢٥ .

التذاكر ان له ديوانا بالهندية الا
انه غير موجود .

وما يهنا هو محمد أفضل
باني بتي (متوفى ١٠٣٥ هـ /
١٦٢٦ م) وهو من شعراء الفارسية
والاردية المجيدين وكانت له مقدرة
فائقة على كتابة النثر الفارسي وبعد
من أهم شعراء زمانه ، خلف منظومة
بالاردية بعنوان « بكت كهاى »
أى « حكاية البلاء » ، نالت شهرة
كبيرة ، ولا تزال تحمل أهمية
واضحة فى تاريخ الأدب لاردى .
كان شاعرا هذا يعمل بالتدريس ،
وحين بلغ من العمر عتيا هام فى
عشق صبية هندوكية قلبت حياته
رأسا على عقب فمبر عن معاناته
ال عاطفية وعما اعتلج فى قلبه من
نيران العشق فى هذه المنظومة
الطويلة التى أشدها على غرار
حكاية هندية تسمى (باره ماسه)
أى القبول الأربعة وهى حكاية
تضم اثنتى عشرة أغنية هندية على
لسان امرأة تشكو فراق شهور
السنة الاثنتى عشر (١) .

عن الحوار الذى كان يروج داخل
البيوت فى ذلك الزمان ، وهو
حوار يسوقه بلغة سهلة صافية
واضحة ولهجة مؤثرة كما نلاحظ
وجود ألفاظ بعينها تروج فى مناطق
الهند المختلفة مثل : تهين بمعنى
أنا فى اللغة الكجراتية ، وهون
بمعنى أنا فى الراجستانية وهكذا .

بدأ نجم الاردية يصعد فى زمان
الامبراطور نور الدين جهانكير
الذى ولد من أم كانت فى الأصل
أميرة هندوكية ، وظلت الفارسية
تحتل مكان الصدارة وخاصة فى
شمال الهند بينما احتلت الاردية
المقدمة فى منطقة الدكن والكجرات
فى الجنوب واطلق عليها اسم
كوجرى روكنى وقالت رعاية البلاط
هناك .

فى بلاط جهانكير اشتهر محمد
صالح نسبتي بشعره الفارسي
والهندي ، وكان رجلا زاهدا فى
الحياة استضاف الشاعر صائب
حين زار الهند ، وتذكر كتب

(١) مسعود حسين خان : قديم اردو ج ١ ص ٢٨٧ ط الجامعة
العثمانية حيدر اباد ١٩٦٥ م .

« استمعن أيتها الصديقات الى
حكايتي المعزنة ، حكاية غم العشق
الذي أصابني بالجنون - لا ينالني
جوع في النهار ولا يأتيني نوم
بالليل ، ويكتوى الصدر «القلب»
بألم الفراق - آه أهذا عشق ؟
ما هذا البلاء الذي احترقت فاره
الدنيا جميعا .. انها حكاية بلاء
شديد ... حكاية صعبة من أولها
الى آخرها ، فاستمعن أيتها
الصديقات الى حكاية الجنون »

ويبدأ فصل المطر ومعه تبدأ
الأحزان والآلام :

ادى جب كوه كوتل في سنانى
تمامى تن بدن مين آه لكانى
اندھيرى رات جكنو چكنكانا
ادى چكلى كى اوبر بهوس لا

« آه حين بدأ الوقواق يسجع
بصوته الغنم اندلعت النيران
انظي في جسمي ولحي ، وحين
بدأت البراعة تسلالاً في الليل
الحالك احترقت وأصبحت
هشيماً » .

وتحكي المرأة حلماً يعبر عن
شوقها لمن تهوى فتقول :

جه مى بينم قنكتا آوتا مى
به حشنى ماء را شرماتا مى
كيا مى ان لباس زعفرانى
بهنى هون ديكو كراسى كودانى

ومن الجدير بالذكر أن ديوان
خواجه مسعود سعد سلمان
الفارسي يشتمل على منظومة
اشتهرت باسم «غزليات شهورية»
أي الغزليات التي كتبت عن شهر
للسنة ، ومن العجيب أن يكتب
الشاعر الانجليزى سبنسر في سنة
سنة ١٥٧٩م أشعاراً على هذا النمط
تحت عنوان
«Shepherd's Calender»

تضم أبياتاً مختصرة عن كل شهر
من شهور السنة في بحر منفصل .
يسوق أفضل حكايته على لسان
امرأة تركها حبيبها ، ويرسم صورة
رائعة لمعاناة الفراق والهجر ،
فساعة من ساعات الهجر تساوى
مائة ألف شهر وتعاقب الشهور
والفصول ويزداد الألم وتشتد
الحرق واللوعة وهما هي المرأة
تحكي لرفيقاتها قصة عشقها قائلة :

سنو سكهوبكت ميرى كهانى
بهنى هون عشق كى فم سون دوانى
نه مجو كو بهود دن نانيند راتا
بهره كى درد سون سينه براتا
ادى به عشق هى يا كيا بلا هى
كه چس كى آه سى سب جك جلا هى
بكت مشكل نيت مشكل كهانى
دوانى كى سنو سكهيو ، كهانى

وتوضح لغة هذه الحكاية وأسلوبها البياني تفوقاً على ما كانت عليه أشعار الدكن في ذلك الوقت، وهذا هو السبب الذي جعل شعراء الدكن يقبلون على هذا الأسلوب الرائج في شمال الهند حين فتح انكزيت عالمكير (متوفى ١٧٠٧م) منطقة الدكن واتصل الشمال بالجنوب .

في زمان الامبراطور شاه جهان (١٠٣٧هـ - ١٠٦٨هـ / ١٦٢٧م - ١٦٥٧م) تأصلت جذور اللغة الأردنية في المجتمع حتى أصبح من الضروري على أي موظف في البلاط أن يكون عارفاً بالأردية ، وكان شاهجان نفسه عارفاً بهذه اللغة (٢) .

يعتبر منشي ولي رام ولي من شعراء زمان شاه جهان ، قال الشعر بالفارسية والعربية أيضاً وجاءت أشعاره الأردنية محشوة بالكلمات والجميل الفارسية، يقول في إحدى غزلياته :

« ما رأيت هو طيف معلق قادم
في خجل ، له جمال القمر ،
يا لحسنه ... جاء في رداء
زعفراني ... آه لقد أصابتني
رؤياه بالجنون » .

والواقع أن أسلوب ولغة هذه الفصاة يختلف عن أسلوب ولغة القصص المعاصرة لها والمنظومة في الدكن مثل : « سيف الملوك بديع الجمال » (١٠٣٥هـ - ١٦٢٥م) فالتأثير الفارسي واضح تماماً في شمال الهند ، الأفعال والضائير الفارسية تستخدم في النظم الأردني، وتبلغ أشعار الحكاية ٣٢٥ بيتاً من بينها ٤١ بيتاً من الشعر الفارسي و ٢٥ بيتاً من الشعر الملمع « فارسي وارو » وتكمن الأهمية اللغوية للحكاية فيما نشاهده من ابدال لبعض الحروف فالراء تأتي بدل اللام والجيم بدل الذال والزاي وهناك فرق في شكل الضائير فهي تختلف عما هي عليه اليوم وكذلك الحال بالنسبة للحروف الجر وتصاريف الأفعال (١) .

(١) جميل جالبی : تاریخ ادب اردو ج ١ ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) شاهجهان نامہ جلد اول ص ١٣٢ ط لاهور .

عقد الذهب ولا عقد السورود —
يا برهمن (١) (اسم الشاعر) كيف
تغتسل وتطهر لتؤدي صلواتك ولم
تعد « هناك مياه » في نهر الكنكا
ولا في نهر الجمننا وقد تلاشت
جميع الانهار والقنوات » .

تعبّر الأبيات السابقة في الواقع
عن أفكار الشاعر الهندوكي الذي
عرضها بالأردية ، واستخدم ألفاظ
عقيدته الهندوكية بالإضافة الى
ألفاظ العقيدة الإسلامية فكلمة
« سمرن » كلمة خاصة بالهنداكة
يقابلها لدى المسلمين كلمة « تسبيح »
والمسبحة يقال لها في الاردية
« تسبيح » وفي العقيدة الهندوكية
تقابلها لفظة « مالا » كما أن اللفظة
تفسر تعني عقد الزهور الذي
يطوق به الهنداكة أصنامهم ، كما
يتضح تأثير الفارسية والعربية على
الشاعر فهو يستخدم كلمات مثل :
خدا « الله » — شهر « مدينة »
دلبر « محبوب » — مساقى —
تسبي « تسبيح » وامطى « من
أجل » وهكذا الا أن شعر بندت

جه دل داري دین دنیا که دنیا می جلانا می
جه دل بندی دین عالم که سریر جهور جانامی
تو مهران آمدی این چاشنی خود خانه خلوت
تو ابنی کوبهولا کوی گونا بجهانا می
« أي رغبة لك في هذه الدنيا
نحن راحلون عنها — لا محالة —
وأي رغبة لك في هذا العالم الذي
سيترك كل شيء على رءوسنا ويمضي ،
لقد جئت ضيفا وحلت بيت سيدك
(ربك) فلتنس نفسك ولا تغدع
أحدا » .

وبعد بندت جنيدر برهمن
(٩٨٢ هـ — ١٠٧٣ م / ١٥٧٤ هـ —
١٦٦٢ م) من وزراء شاهجهان ومن
الشعراء المجيدين بالفارسية والأردية
ومن غزلياته الشهيرة هذه الأبيات :
خدا می کسی شهر اندر
همان کو لای دالا می
نه دلبر می نه مساقی
می نه شیشه می نه
نفسه بیبا می
برهمن واسطی اشکنان
کی بهسوا می بکیمین
نه کنکاهی نه جمننا می
نه ندی می نه نلامی
« في أي مدينة هدمجاء بنا الله ،
حيث لا محبوب ولا ساقى ولا كأس
ولا قدح — ماذا أطلب في دعواتي
من أجل قارب العبيب ومن أطلبه
وليس لدى مسبحة الشيخ ولا
مسبحة البرهمن ، ولا يوجد معي

(١) وهذه كناية عن رحل الدين عند الهنداكة ذي الحسب الرفيع .

شرح زليخا ، وحمد بارى المشهور باسم « جان بهجان » • ويمد كتابه « غرائب اللغات » الذى يحتوى على معانى الكلمات الأردنية بالفارسية أول معجم فى اللغة الأردنية ولم يكتب بعده أى معجم الا بعد خمسين سنة حين كتب سراج الدين آروز (١٦٨٧ م - ١٧٥٦ م) « نوادر اللغات » واضعا أمامه معجم عبد الواسع « غرائب اللغات » كأساس يحتذيه •

من هنا يعد « غرائب اللغات » أول حلقة من حلقات المعاجم الأردنية ولا يمكننا بطبيعة الحال أن نضع هذا الكتاب على مقاييس معاجمنا المصرية والا فظن يمثل أية أهمية على الإطلاق فأهميته تمثل فى أنه أول محاولة معجمية فى تاريخ اللغة الأردنية - وكانت محاولته الثانية هى حمد بارى « أوجان بهجان » فقد أورد عبد الواسع فى كتابه هذا الكلمات العربية والفارسية والأردية المترادفة وذلك فى آيات شعرية حتى يتمكن الطلبة من معرفة الكلمات العربية

برهمن يوضح التخلص من التأثير الفارسى على الألفاظ الشعرية الى حد ما حتى أصبحت الأردنية هى « لغة جميع اللغات » فهى توجد فى كل لغة كما أن كل لغة موجودة فيها •

يأتى أوردنكزيب (١٦٥٧ م - ١٧٠٧ م) الى العرش وتتسع رقعة مملكته ومع اتساعها بدأت ينابيع الثقافة فى النضوب رويدا رويدا ومعها بدأت أنهار اللغة الفارسية فى الجفاف وأخذت الأردنية تستعد لتحل محلها تماما ، فأصبحت لغة التعليم فى المدارس والكتاتيب واتصل الشمال بالجنوب وبدأ تأثير الدكن على أهل العلم والأدب فى الشمال وأصبحت الفارسية تدرس كلغة ثانية ، ومن أشهر أعلام زمان عالمكير العالم الفاضل مير عبد الواسع هانسوى الذى اشتهر بكتابه « غرائب اللغات » وكان يعمل بالتدريس فآلف عدة كتب لتلاميذه منها : رسالة عبد الواسع ، شرح بوستان،

الجارى » ، « مياه الآبار » ،
« الضوء » ، « الفصل » ،
« الحيض والنفاس » ، « المسح
على النعال » وغيرها .

يقول الشاعر موضحاً أهمية
كتابه :

مكتب مسئلة بوجهنا فرض عينى جان
عربى تركى فارسى ، هندى يا افغان
علم شريعت بوجهنا فرض عينى جان
مالغ ممورت مردكون جو هووتى مسلمان

« ان معرفة قضايا الفقه هي
فرض عين لو سئل عنها عربى أو
تركى أو فارسى أو هندى أو
افغانى » .

« ان معرفة علم الشريعة فرض
عين على كل بالغ مسلم ، رجل كان
أو امرأة » .

ويلاحظ القارئ العربى كم هي
سهلة هذه الأشعار الدينية وكم هي
مليئة بالالفاظ العربية التى اقتضتها
ضرورة عرض موضوع دينى ففى
البيتين السابقين أتى الشاعر
بالكلمات العربية التالية : مطلب
مسئلة ، فرض عين ، عربى تركى
فارسى هندى أفغانى علم شريعت
فرض عين ، بالغ ، مسلمان (أى

والفارسية باللغة الأردية ويقول عبد
الواسع فى مقدمته :

عبد الواسع بنى به كتساب
بين دباون كى هي نصيب
« هذا الكتاب لعبد الواسع
منهج للغات الثلاث » .

وبينما يستفيد الطلبة من مؤلفات
عبد الواسع التعليمية يستفيد العامة
والخاصة من الكتابات الدينية
لمولانا شيخ عبد الله الانصارى
الذى كتب (سنة ١٠٧٤ هـ /
١٦٦٣ م) رسالة بعنوان « فقه
هندى » شرح فيها شعرا الفقه
الاسلامى وقضايا بطريقتيه يفهمها
الرجل العادى وفى بحر يمكن
للملحنين أن يلحنوه للمطربين
ليغنى فى مجالس الفاء ومحافل
الصوفية ، وأفرد لكل قضية فقهية
باباً خاصاً بها مثل : فصل فى بيان
أركان الايمان » ، « فصل فى بيان
شروط الايمان » ، « توحيد الحق
تعالى » ، « فى بيان أحوال
الملائكة » ، « القيامة وعلاماتها » ،
« فرائض الايمان » ، « واجبات
الايمان » ، « الماء الراكد والماء

٦٠٪ كلمات عربية و ٤٠٪ كلمات فارسية و هندية) .

بدأت الكتابات الدينية تأخذ طريقها الى الوجود فها هو الشيخ محبوب عالم من كبار علماء عهد عالمكير يخلف لنا ثلاث رسائل : محشر نامه ، مسائل هندی ، درد نامه ، وقد كتب أولاً محشر نامه ثم مسائل هندی وأخيراً درد نامه وفى منظومته الثالثة والأخيرة يتضح صفاء أسلوبه وقوة بياحه :

الهى تكبر خودى كهنج لى
مسلمان محبوب عالم كون دى
كه عشق سون نعمت احمد رسول
در عالم مين هو جانى مقبول
« يا الهى احفظنا من التكبر
والعطسة ، وامنح المسلمين عالماً
بالحب ، فانتى أنشد بالمعجة فى
مدح الرسول ليكون وردة مقبولة
فى الدارين » .

ونلاحظ أن الكلمات العربية موجودة بكثرة . الهى تكبر مسلمان محبوب عالم عشق نعمت احمد رسول عالم مقبول (٥٠ ٪) كلمات عربية ، ٥٠ ٪ كلمات فارسية وأردية) .

واذا عرجنا على لون آخر من ألوان الانتاج الأدبى ألا وهو الغزل نلاحظ أن التأثير الفارسى يتفوق من حيث المضمون والشكل إلا أن قوة اللغة الأردية تتمثل بوضوح أكثر مما كانت عليه سابقاً . ويمثل الاتجاه شيخ ناصر على سرهندي (متوفى ١٩٦٧ م) فترة يسيطر عليه التأثير الفارسى ومرة أخرى يسيطر عليه تأثير الأدب الدكنى المعاكس لسابقه حيث يقول فى احدي غزلياته :

سجن مى حسن قران
برهيا مى مين نظر مركزر
نمين نائى غلظ اوس
مين ديگيا ذير وذر مركزر
معانى اوديسان بهتر بديع
اس كسو سمجها هون
سرهى مى حسن كيرى
كى مطول چس فكر مركزر
سلام العشقى هينسا كون
سنا حكمت سون منطق مون
وكسره اس مطبول كون
دمهاها مختصر مركزر

« انظر الى حسن الحبيب وكأنى أقرأ القرآن ، لم أجد فيه خطأ واحداً لا فى فتحة ولا فى كسرة ، أفهم كل معانيه أفهم بياحه وبديعه طالمت حسنه وغرقت فى تفكير عميق لا قرار له ، لقد سمعت كلام

الدين خلجي للكجرات ، وكان ذلك عام ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م حين استولى على منطقة مالوه والدكن جميعها - ولما كانت هذه البلاد تبعد كثيرا عن دهلى فقد قام علاء الدين خلجي بإعادة تنظيمها وتقسيمها الى محافظات ومراكز ، وعين المحافظين والمديرين وأقر الأمن والأمان فى المنطقة وقسم صفوف الجيش الذى ضم العديد من الأتراك الذين أقاموا بعائلاتهم وأسرهم فى مناطق الكجرات ومالوه والدكن ، وبعد مرور أكثر من ثلاثين عاما شعر هؤلاء الأتراك بأن هذه المنطقة أصبحت موطنهم الثانى ، ورغم أن هؤلاء المستوطنين كانوا فى الأصل من الأتراك الا أنهم قدموا من منطقة شمال الهند الممتدة من البنجاب حتى دهلى بعد أن أقاموا فيها سنوات عديدة ، فنزحوا ومعهم اللغة التى كان الشعب يتخاطب بها والتى كانت تروج فى الأسواق فلم يكن هؤلاء الناس يتكلمون فيما بينهم بالفارسية أو بالتركية ومن هنا حملوا هذه

العشق بالحكمة وبالمنطق ، والا فكيف اختصرت قصة عشقى الطويلة ها هنا « . »

النماذج الأولى للأدب الأردى فى جنوب الهند :

من المعجب أن اللغة التى ولدت حول دهلى فى شمال الهند اتجهت الى الدكن فى جنوب الهند لتصبح فى فترة بسيطة فى عمر اللغات لغة الأدب والكتابة ولتزدهر ازدهارا كبيرا وتتفوق على لغة الشمال التى كانت تن تحت سطوة اللغة الفارسية ، وكان للتفوق الأدبى للغة الأردية فى الجنوب فى الكجرات والدكن عدة أسباب نذكر من بينها ما يلى :

أولا : قام السلطان محمود الغزنوى بفتح الكجرات عام ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م ثم قدم اليها السلطان معز الدين محمد بن سام الغورى سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م الا أن قطب الدين أيبك يعد أول سلطان مسلم يفتح هذه المنطقة بمعنى كلمة الفتح بينما الفتح الحقيقى الذى غير وجه المنطقة حضاريا وثقافيا واجتماعيا هو فتح علاء

والضباط ورجال الأعمال الى دول
آباد ، وتمثل هذه الهجرة نقطة
تحول فى تاريخ المنطقة فقد انتقل
قسم كبير من سكان منطقة دهلى
الى دول آباد مما أدى الى زيادة
التأثير الحضارى والثقافى لشمال
الهند على مناطق الجنوب وكانت
هذه الهجرة سادا خصبافاد افادة
شاملة تلك الأرض التى زرعت من
قبل وظهر نبتها .

ثالثا : فى سنة ١٣٤٧ م قام
أحد الأمراء الأتراك من عمال محمد
طفلق بإعلان العصيان ، وانسرد
بالدكن وهكذا انقطعت صلة
الجنوب بالشمال وظهرت الى
الوجود الدولة البهنية على يد
أسرة تركية كانت تشمر بالفخر
لاتسابها لمنطقة الدكن ، وأصبحت
الدكنة هى لغتهم التى تقوم على
أساسها قوميتهم وثقافتهم الدكنية ،
واعتمد الأتراك فى ترتيب أمورهم
على عناصر دكنية خالصة ، وشمر
أهل الدكن بفخر لقيام دولتهم
وانفصلت ثقافة الجنوب عن ثقافة
الشمال وتميزت عنها الا أن لغة

اللغة وأضافوا اليها كلمات اللهجات
المحلية لمنطقة الدكن والكجرات
وكذلك كلمات اللغة العربية حتى
يعبروا عن أفكارهم ، وهكذا
أصبحت لهذه اللغة القادمة من
الشمال مكانة سياسية واجتماعية
عالية وكان من الطبيعى أن تسرك
اللهجات واللغات المحلية أثرها على
هذه اللغة الوافدة من الشمال الذى
ظل يتعامل مع الجنوب فأصبحت
لهذه اللغة صفة « العالمة » بين
المديد من اللهجات المتناثرة داخل
منطقة شبه القارة ، وبدأ الشعراء
والمثقفون فى استخدامها كوسيلة
للتعبير عن أفكارهم وكحلقة وصل
تربطهم وعامة الشعب وأطلقوا على
هذه اللغة الأدبية اسم « كوجرى »
فى منطقة الكجرات و « دكنى »
فى منطقة الدكن .

ثانيا : قام السلطان محمد طفلق
بعد استيلائه على دهلى بنقل
العاصمة الى دول آباد حتى
يمكن من ادارة شئون الدكن
والكجرات ، وأصدر أمرا (سنة
١٣٢٧ م) بنقل موظفى الحكومة

الجنوب كانت في الواقع هي اللغة الهندوية .

رابعا : ظلت أبواب الدكن مغلقة أمام الشمال نتيجة لسياسة الدفاع التي انتهجتها الدولة البهمنية الا أن الكجرات ظلت على علاقة بشمال الهند على مستوى بسيط فقد استقل بها عاملها الا أنه لم يعلن استقلاله هذا ، وفي سنة ٨٠٠هـ / ١٣٩٨م انتشر في الهند جميعها خبر قدوم تيمور بجيوش جرار فتركناصر الدين محمود عامل آل طلق دهلي وانطلق الى الكجرات ومنها الى مالوه ، ولما رأى الشعب هذا الحال انطلق الناس الى حيث الطرق المفتوحة أمامهم ، ولما كانت أبواب الدكن مغلقة فقد اتجهوا الى الكجرات وكانت في حالة اجتماعية واقتصادية طيب مما كانت عليها الدكن ، ومن هنا أصبحت جزيرة النجاء امام سكان الشمال الذين هرب ملاحهم من السعينة وتركهم لا يدرون الى أين يتجهون ، وفي عام ٨٠٤هـ / ١٤٠١م انتشر مرة ثانية خبر هجوم الأمير تيمور فبدأت

الهجرة الثانية لسكان الشمال الى الكجرات ومنها هاجر البعض الى الدكن ، وشعر الناس بالأمان في الدكن والكجرات بعد صلح عقده تيمور مع فيروزشاه حاكم المنطقة الذي أعلن ولاءه لتيمور .

خامسا : حين ضعفت سلطنة دهلي أعلن عامل الكجرات ظفرخان استقلاله بالكجرات ، وحتى يعطي دولته بهالة من المظنة والأبهة قام برعاية أهل العلم والفن ومشايخ الدولة ورجالها مما دفع العديد من رجال الدين والعلماء وأصحاب الحرف المختلفة الى المجيء الى الكجرات طلبا لرعاية السلطان .

وهكذا أصبحت الأردية لغة التفاهم ولغة التخاطب ولغة البلاط في منطقة الدكن والكجرات ، وبدأ المتصوفة بنشر أفكارهم الدينية باستخدام هذه اللغة التي أصبحت حلقة الوصل بين مختلف طبقات الشعب ، يتفاهمون بها في حياتهم اليومية ، يتم عن طريقها الدرس والتدريس . وبها ينشد الشعراء

من العلماء والمشايخ والأدباء
والشعراء ، ولما كانت المنطقة تعج
بأناس ينتمون الى أجناس مختلفة
فقد أصبحت الأردية هي اللغة التي
تضمهم معا وتحقق التجانس فيما
بينهم كما قام رجال التصوف بدور
فعال في نشر هذه اللغة ورفعها الى
مستوى لغة الأدب ، وهذا ما
سنوضحه في المقال التالي
ان شاء الله .

أشعارهم ويتغنى بها المطربون ،
وتعزف الموسيقى نغماتها .

وهكذا ازدهرت الفارسية في
شمال الهند على حساب الأردية
بينما حققت الأردية تطورا عظيما
وازدهرت في الكجرات والدكن ،
فقد اعتبر سكانها الأردية لغتهم
التي تمثل حائطا عاليا بينهم وبين
الشمال ، كما قام الحكام برعاية
هذه اللغة وتشجيع المتحدثين بها

د. سمير عبد الحميد إبراهيم



مع آيات من سورة النساء في ليلة من رمضان

للإستاذ عبد الحميد الفضالحة

(٢)

الطريق .. ولا يسيرون على هدى
وبصيرة .. وانما يتخبطون في
سيرهم ، ويخبطون في أمورهم
خبط عشواء .. يستوى في ذلك
مع الأسف الشديد - أغلب
الحاكمين والمحكومين ، وأكثر
الرؤساء والمرعوسين .. !!

انهم لا يوحدون الله التوحيد
الخالص النقي اللائق بالله ، وفق
ما تدعو اليه وتدل عليه النصوص
التي لا شك فيها ، من القرآن
والسنة .. وبالتالي لا يعملون
بمقتضى هذا التوحيد الخالص النقي
الذي لا شرك فيه ولا اشراك
معه .. فلا يخشون أحدا الا الله ،
ولا يمترون الا بالله ، ولا يستعينون
بغير الله ظل ، ومن اعتر بغيره
الا به .. سبحانه .. فمن استعان
ذل .. !!

جاء في ختام الكلمة الأولى قول
الشاعر :

والناس في غلاتهم
ورحى المنيعة تطحن
وقد مهدت له بقولى : وكان
الشاعر يصور بيته أحوال المسلمين
الغافلين وحدهم من دون الناس .

فالفلة قد شاعت فيهم شيوعا
لا ظير له في غيرهم .. مع وجود
الغافلين في كل أمة ، والطائشين
والحمقى في كل شعب .. وبخاصة
في الشعوب المتخلفة التي استولى
عليها الغرب باسم الاستعمار ،
وهو في حقيقته الافساد والاذلال
والدمار .

فما أكثر الغفلات التي غطت
على أبصار المسلمين وبصائرهم .. !!
فصاروا بها لا يتبينون معالم

نهارهم نوما وخبولا ، وتفرطا
واهمالا ، وتقصيرا في أداء
الواجبات ، وقصودا عن فعل
الخيرات ، وانصرافا الى الشهوات ،
وابتعادا عن تعاليم الاسلام ، وهدى
الرسول والقرآن - ضاعت الأمجاد
وزادت الأحقاد ، وانتشر فيهما
بينهم الفساد ، وتقلصت الأرض
وضاعت البلاد ، وضاع العباد ١٠٠!

وان تاريخ المآسى والويلات
والحشرات - ليستعيد نفسه
وفيهم ٠٠ بسبب ما بهم من غفلات -
لا يريدون الاقلاع عنها ، أو التخلص
منها ، أو الاعتبار بما كان منها ١٠٠!
والتاريخ دائما يمد نفسه ٠٠
وما مأساة فلسطين ، والجولان ،
واحتلال سيناء ، إلا من هذا
القبيل ١٠٠!

ان أعداء الاسلام ، يعلمون
ما في المسلمين الآن ، من جهل
وسفه ، وحماسة وفرقة ، وضعف
أمام الشهوات والملذات ٠٠ وهم من
أجل ذلك لا يفوتون على أنفسهم
الفرصة ، بل يستغلون في العرب
وفي المسلمين - أهواءهم ،

وانهم بذلك لا يتقون الله في
أنفسهم ، ولا في أولادهم ، ولا في
أوطانهم ، ولا في معاملتهم ، ولا
في دينهم ٠٠ فهم لا يعملون بما
تستوجبه شريعتهم السمحة التي
شرعها الله لهم ، لتحقيق أمنهم
واسعادهم - مع ثبوت نعمها لهم ،
بالتجارب التي مرت بهم ، أيام
الصحر واليقظة والبعد عن الغفلة ،
في العاملين بها من آبائهم وأجدادهم ٠
أولئك الذين عرفوا الله فعرفهم ،
واستعانوا به فأعانهم ، فدانت لهم
الدنيا ، وخضعت لهم الأيام ،
وطاب بهم ولهم المقام ، في المشرق
المغرب ، وفي مغربه ٠٠ بشهادة
المؤرخين النصفين من غير
المسلمين ٠٠ فهم يذكرون على
حد تعبيرهم - أن المسلمين أيام
أمجادهم - كانوا رهبانا بالليل
وفرسانا بالنهار ٠٠

وأن ذلك كان شأنهم في
الأندلس ٠٠ فلما استحالت ليايلهم
خمرا وطربا ، ونجسا وسلبا ،
ولها ولعبا ، ونساء وقمارا ،
واسرافا وافراطا ٠٠ واستحال

أمثالهم .. غير أن أثمان الشراء
تفاوتت .. فضمير يشتري بالعم ..
وضمير يشتري بمشرة آلاف ..
وضمير يشتري بمئات الآلاف
فكل الضمائر كما تقول أمثالهم
تشتري .. غير أن أثمانها
تفاوتت .. !!

ولكن - كل هؤلاء الذين
تشتري ضمائرهم ، متاعهم قليل ..
فمرهم مهما طال قصير .. ثم
مأواهم جهنم وبئس المصير ..
خسروا الدنيا والآخرة ، وذلك هو
الحمران المبين .. !!!

ان المشكلة اذن في أن ينجح
المسلمون في تصحيح العقيدة ،
وفي العمل بالشرعة .. ليتحقق
لهم الخير والقوة والهيبة والسيادة
والقيادة والريادة - كما تحققت
لأسلافهم من قبل ، في عصور كان
فيها غير المسلمين يعيشون في
ظلمات الجهل وفي دياجير الضلال ..
وكان المسلمون وحدهم ، هم الأعزة
الشرفاء ، والقادة الأمناء ، والسادة
العلماء .. لأنهم كانوا يعملون
بالكتاب والحكمة ، بالقرآن

ويستثمرون غفلاتهم ، ويباركون
فيهم انحرافاتهم ، ويسرون لهم
سبلها ، لاغراتهم فيها الى الأذقان ،
فلا يفيقون منها الى اسلامهم الذي
يوقظهم ، والذي يأخذ بأيديهم
الى عزهم وحياتهم وأمنهم وأمانهم
ويخلصهم من أوهامهم وحقاقتهم
ومنكراتهم وغفلاتهم ، ويردهم الى
صوابهم ورشادهم ، والى مكانهم
اللائق بهم في هذا الوجود .. !

ولذا ، فإن أعداء الاسلام
والمسلمين - ليقفون دائما حجر
عثرة أمام النهضة الاسلامية ،
والدعوات الاصلاحية ..
ويحاولون ما استطاعوا - قتل أية
نهضة في مهدها ، وواد كل دعوة
في مكانها .. بوسائلهم الخاصة
التي يحسنونها ، ويذلون المال ،
وما هو أغلى من المال .. الى
الحكام وأعوانهم - لحربها
ومحوها .. وانهم ليستخدمون في
سبيل ذلك - عملاءهم وغير
عملائهم ، على سواء .. بخداعهم
وتضليلهم وشراء ذممهم .. فكل
الضمائر عندهم تشتري كما تقول

مدون فقط في شهادة الميلاد ، أو
في البطاقة الشخصية ، أو
العائلية ؟ !!

اتنا في الحقيقة — مسلمون
وفق ما هو مكتوب في خاتمة
الديانة .. وهذا قد ينفع في حصر
أعداد المسلمين ، ونسبتهم العددية ،
بالنسبة لغيرهم من المواطنين ، في
وطننا العزيز ، وفي سائر الأوطان
العربية والإسلامية !!

فنحن لا شك كثير .. ولكننا
غناء كغناء السيل .. كما أخبر
بذلك سيدنا وقائدنا ومرشدنا —
رسول الله المبعوث رحمة للعالمين ..
صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى
آله وأصحابه ، ومن عمل بسنته
واهتدى بهديته ، إلى يوم الدين ..
إن الدين الإسلامي — ليس مجرد
شعارات ولافتات .. ولا مجرد
كلمات تنطق بها الأفواه ، ولا تعمل
بها الجوارح .. ولكنه ، وكما
أومأت من قبل — دين يتطلب من
كل مسلم يتنسب إليه أن يلم
بحقائقه المامة يجعله على بصيرة من
الأمر ، وتضمنه على الطريق الصحيح ،

والسنة .. وهما جماع مكارم
الأخلاق ، وحميد الصفات ،
وشريف الغايات ، وأمن الحياة
وأمانها .. !!

فهل من عودة اليهما ، والتزام
بهما ، ووقوف عند حدودهما ..
في جميع المجالات .. تطبيقاً عملياً ،
وسلوفاً فعلياً .. ؟ !!

أنا إذن لهتدون .. !!

لكننا ، والأسف يملأ قلوبنا
— نعيش في عصرنا وأيامنا — في
جاهلية جهلاء ، وحمقة حمقاء —
أشد وادهم ، مما كان في الجاهلية
الأولى .. كما سبق إيضاحه
والإشارة إليه ، في عندي رجب
وشعبان من هذا العام ، في مجلة
الأزهر الشريف ، تحت عنوان
« المجتمع الفاضل كما يصوره النبي
صلى الله عليه وسلم » !! ..

فهل نحن ، مع بعدنا عن الدين ،
ومخالفتنا لشرعه القويم — نعد
من المسلمين ؟ !!

أم أن الأمر لا يعدو ، في حقيقة
اتسابنا إلى الإسلام — ما هو

بالله .. وبهذا وحده يتحقق
للمسلمين في أنحاء الدنيا - الوحدة
الشاملة ، والسعادة الكاملة ، وعز
الدنيا والآخرة ١١٠٠

أما أن تسيّر كل دولة مسلمة على
هواها ، وتنغمس في خيس الملهيات
والشبهوات ، ولا تتقى الله في
المهرمات والمصرمات .. سرا
وعلاية .. وترتكس في معاصيها
الى الأذقان .. فذلك هو الوبال
والضياع والخسران ١١٠٠

وأما أن نأكل عندنا أموال اليتامى
فلما .. ونمطل آيات الموارث ،
فلا نعمل بها ، ولا نورث النساء
والبنات ، ونحتال على ظلمهن
بشتى ألوان الاحتيالات .. فوق
ما نشارك فيه غيرنا من سائر المعاصي
والانحرافات .. فذلك هو السر
في بلائنا وضعفنا وذلنا ، وتفرق
قلوبنا ، وتشتت جموعنا ، وغضب
الله علينا ، وانتقامه منا ١١١٠٠

وانما كانت هذه الثقلات في
غية الدين والايمان .. ونديان
المسوت الذي تطحننا كل يوم
رحاه ..

ونقصه من الزلل والانحراف ، في
سيره وسلوكه ١١٠

وتلك مهمة المستحفظين على
الأمانات .. والمسئولين أمام الله
الكبير المتعال - في حدود
ما استرعاهم .. أعمالا للحديث
الشريف : « كلكم راع ، وكلكم
مستول عن رعيته .. »

فالمسئولية عامة شاملة .. من
رئيس الدولة وكبير العائلة .. الى
الخادم في مال سيده .. فان الله
سبحانه وتعالى - لسائل كل راع
عما استرعاه .. حفظه أم
ضيعه ١١١

فالتطبيق العملي للشريعة
الاسلامية - هو السلوك المطلوب
من كل مسلم ينتسب بحسب الى
الاسلام .

وان التزام كل دولة مسلمة ،
بحدود الله وشرعته - فهو الدليل
على صدقها في اسلامها ، وعلى
أنها تنتمي بحق الى خير دين ،
والى خير أمة أخرجت للناس ، تأمر
بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن

وذلك في قوله تعالى : « فان خفتهم ألا تعدلوا فواحدة ، أو ما ملكت أيمانكم » .

لقد لفت نظري أن الله تبارك وتعالى ، قد سوى بين الحرة الواحدة ، وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عند .

وقد أجاب عن ذلك صاحب الكشف .. بأن الاماء وإن كثر عددهن — أقل تبعاً وأقصر شغياً ، وأخف منوثة من المهار ، أى الزوجات الحرائر .. وأنه لا عليك من الاماء ، أكثرت منهن أم أقلت ، عدلت بينهن في القسم أم لم تعدل ، عزلت عنهن أم لم تعزل ١١٠٠

وقد يؤيد ما ذهب اليه صاحب الكشف — ما يحكى عن الشافعى رحمه الله — من أنه قرر « أن لا تمولوا » في قوله « ذلك أدنى أن لا تمولوا » — بأن لا تكثر عيالكم .. مأخوذ من : عال الرجل عياله يمولهم ، كما أنهم يمولهم — اذا أهدق عليهم .. لأن من كثر عياله ، لزمه أن

ان الايمان ، هو حمام الأمن والأمان ١١٠٠

وان المؤمن الصادق — هو من أمنه الناس على أعراضهم ، ودمائهم ، وأموالهم .. فلا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن .. ولا يقتل القاتل حين يقتل وهو مؤمن .. ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ١١٠٠ وان تذكر الموت — لا كبر واعظ لمن أراد أن يحظ ١١٠٠

ولذا ورد في الاثر : « من أرادو واعظاً فالموت يكفيه .. » .
وقد قيل : صاح شمر ولا تزل ذاكر الموت فنتيانه ضلال مبين .
ورحم الله القائل :

هو الموت فاحبب ان يجيئك بفتنة
وانت على سوء من الفعل مكاف
واباد ان تعصى من الدهر سائمة
ولا تعطى لينة الا وقلبك واجف
فبادر باعمال يسره ان تسرى
اذا نشرت بسوم الحساب الصحتف

والى العيش مع الله فى آيات من سورة النساء :

✽ جعل الله الحرة الواحدة فى مقابل الاماء من غير حصر :

* التسرى رق : فكيف أباحه
الاسلام ؟ !

ان الزواج من أمة - خطوة لرد
اعتبارها وتكريمها ، أو المحافظة
على كرامتها الانسانية كانساة ..
أما التسرى بها ، ففيه الإبقاء على
رقها ، وفيه الاهانة لأدميتها ..
فكيف أباح الاسلام التسرى ؟ !

* * انها الضرورة التي أباحت
استرقاق الاسرى هي ذاتها
الضرورة التي اقتضت إباحة
التسرى .. لأن مصير المسلمات
حين يؤسرن من الكفار - كان
كذلك .. بل كان شرا من ذلك ..
فهى اذن الضرورة .. وهى اذن
المعاملة بالمثل .. والمعاملة بالمثل
ضرب من العدل .. حتى يتم
الاتفاق على نظام لأسرى الحرب ،
خير من هذا النظام الذى كان
يسود العالم أيام تلك الحروب .. !
* * هذا ، مع ملاحظة أن
الاسلام قد أباح الزواج بالأسيرة ،
كخطوة الى تحريرها ورد اعتبارها
.. قال تعالى : « ومن لم يستطع

يعولهم .. وفى ذلك ما يصعب معه
المحافظة على حدود الورع وكسب
الحلال والرزق الطيب ..

وكلام الشافعى وهو من اعلام
المسلم وأئمة الشرع ورءوس
المجتهدين - حقيق بالحمل على
الصحة والسداد ، وأن لا يظن به
تعريف « تميلوا » الى « تمولوا » ..
فقد قرأ طاووس « أن لا تميلوا » ،
من أعال الرجل اذا كثر عياله ..
وهذه القراءة تعضد الشافعى
رحمه الله - من حيث المعنى الذى
قصده ... !

* * *

* كيف يقل عيال من تسرى ؟

أما كيف يقل عيال من تسرى ،
مع كثرة السراى ، وفيهن ما فى
الزوجات من الاستعداد للتناسل ؟ !
فجوابه ، أن العرض بالتزوج التوالد
والتناسل .. بخلاف التسرى ..
ولذلك جاز العزل عن السراى بغير
إذنه .. فكان التسرى مظنة لقلة
الولد ، بالإضافة الى التزوج ..
كتزوج الواحدة بالإضافة الى تزوج
الأربع ..

التي كانت تبيح الاسترقاق بوجه عام ، للرجال والنساء ، على حد سواء .. قاتل الله تلك الحروب .. وقاتل المعتدين فيها .. وما كانت حروب الاسلام عدوانا .. بل كانت دفعا للظلم ، وردا للعدوان ، وإيقافا للمعتدين عند حدودهم !!

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا .. » .. « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » ..

* أما شراء الجوارى فمخالف لروح الشريعة :

وأحب أن يكون مفهوما أن ما حدث بعد عصر الخلفاء الراشدين - في أيام الأمويين والعباسيين ، ومن كان بعدهم - من تلك الحيوانية الشهوانية .. حيث كانت القصص تزدحم بالجوارى والسراري ، عن طريق الشراء .. فقد لعبت فيه النحاسة دورا هاما .. وإن الاسلام ليرى من هذا الشراء ، ومن الاتجار في النساء وغير النساء .. انه مخالف لروح الشريعة السمحة بلا جدال !!

منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات ، فيما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ، والله أعلم بإيمانكم ، بعضكم من بعض ، فانكحوهن باذن أهلهن ، وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان » .

*** كما حث الاسلام على عتق الرقاب ، في مواطن كثيرة من الكفارات .. كما سبقت الإشارة الى ذلك ، وفيه التخلص من هذا الاسترقاق شيئا فشيئا ، والتدرج في ازالته .. فهو ثقل على نفوس الأحرار ..

والاسلام نصير الحرية وعزة الإنسان .. وهو حرب على العبودية والمذلة لغير الله !!

*** ان هؤلاء الأسيرات المسترققات - لهن مطالب فطرية ، يحسب حسابها في حياتهن .. فاما أن تتم عن طريق الزواج ، وفيه الاعزاز والتكريم .. واما أن تتم عن طريق التسرى ، ما دام نظام استرقاق الأسرى بضروراته قائما .. !! في ظل تلك الحروب

المشتري معلوم السرقة قطعا ، والا
لتبايع الناس بعضهم بعضا ١١٠٠

✻ ✻ الظاهر أن هؤلاء الذين
يتعاملون مع النخاسين في شراء
الجواري .. لاشباع نهمهم في
شهواتهم التي يمشسون لها -
لا يفهمون دينهم ، ولا يفهمون روح
الاسلام ، ولا حقائق الاسلام ١١٠٠

✻ ✻ ان السرقة كان ضرورة
حروب اقتضتها أنظمتها .. وكان
المسلمون فيها مكرهين على معاملة
الكافرين بالأسلوب الذي يفهمه
الكفار في الارهاب والاذلال ..
مهم مضطرون للتعامل بالمثل ، والا
سقطت هيبتهم في نظر أعدائهم ..
والضرورة دائما تقدر بقدرها ١١٠٠

✻ ✻ فهل للذين يهتمون الاسلام
عن جهل بمدائمه للحرية أن يتبينوا
حقائق الامور ؟ ! وأن يعلموا أن
تجار الرقيق - هم من الأوربيين ،
وبخاصة من الانجليز .. فهم
الذين كانوا يوردون الى أمريكا
وغير أمريكا الآلاف ، وآلاف
الآلاف من سود أفريقيا .. رجالا
ونساء ١١٠٠

انها الشرسة المكرمة لبنى الانسان .
» ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم
في البر والبحر ، ورزقناهم من
الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن
خلقنا تفضيلا » ١١٠٠

✻ ✻ ✻

✻ ✻ وكذلك الأمر ، فيما هو
موجود الآن ، من الجوارى
والسرارى - في قصور أمراء
الدول العربية والاسلامية .. من
أثرياء البترول وغير البترول ..
فهو حرام قطعا ، والاسلام يرى
منه يراة من النخاسة ودورها في
شراء الجوارى والسرارى
واسترقاق النساء .. هؤلاء
مجلوبات عن طريق الشراء ..
ولسن بأسيرات حروب نشبت بين
مسلمين وغير مسلمين ، اقتضى
نظامها هذا التعامل الضروري
البنيفض - وبخاصة في نظر
الاسلام ١١٠٠

✻ ✻ وانه لا يعقل على الإطلاق
أن يكون على وجه البسيطة من
فيه رق الآن .. لأن طول الزمن
يورث جهالة بواقع الأمر ..
والتملك بالشراء شرطه أن يكون

تأكل من خشاش الأرض » ،
ويقول : « الراحمون يرحمهم
الرحمن ، ارحموا من في الأرض
يرحمكم من في السماء » !!٥٥

وليس أدل على ساحة الاسلام ،
وتأكيد على اخاء الانسان لأخيه
الانسان وعلى دعوة الخير بين
بنى الانسان ، من قول الله تبارك
وتعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند
الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » •

✽ حق المرأة في صداقتها :

انها في الحقيقة - لوقمة حول
معنى قوله تعالى :

« وآتوا النساء صدقاتهن
نحلة .. » الى قوله : « فكلوه
هنيئا مريئا » •

ففي هذه الآية الكريمة - يحدد
الله تبارك وتعالى - حق المرأة
في صداقتها ، أي حقها في مهرها ،
فيوجب على الأزواج أن يعطوا هذا
الصداق لنسائهم .. ويتحتم أن
تقبض كل امرأة صداقتها ، نحلة ،

ان الاسلام ليس أبغض اليه من
الرق والاذلال ، واستبعاد الانسان
لأخيه الانسان ..

انه شجع على عتق الرقاب ..
وجعله كفارة في ارتكاب الكثير
من الأخطاء .. حتى في كفارة
اليبين .. كما جعل للمكاتبين
لتحريرهم - نصيبا في الزكاة ،
لماوتهم على تحريرهم من الرق ،
ولتخليصهم من الاستبعاد .. « انما
الصدقات للفقراء والمساكين ،
والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ،
وفي الرقاب » •

✽ ✽ أما أن الأوان يعلم أعداء
الاسلام ، أنه خير دين يحترم حرية
الانسان وكرامة الانسان وحقوق
الانسان ، في جميع مناحي
الحياة ١١٩٢٠٠

انه دين الرحمة بالانسان
وبالحيوان ، على سواء ... فهذا
رسول الاسلام - رسول الرحمة
المهداة - يقول : « من لا يرحم
لا يرحم » ، ويقول : « دخلت
امراة النار في هرة حبستها ،
لا هي أظمتها ، ولا هي تركتها

معاشرته ، فليس ذلك عن طيب نفس ، ولا يحل للزوج أن ينسحق منه شيئا . . ولذا قالوا : فإن وهبت له ، ثم طلبت منه بعد الهبة ، علم أنها لم تطب عنه نفسا . . .

فقد ورد عن الشعبي : أن رجلا أتى مع امرأته « شريحا القاضى » فى عطية أعطتها إياه ، وهى تطلب أن ترجع ، فقال شريح : رد عليها . . فقال الرجل : أليس قد قال الله تعالى : « فإن طبن لكم . . » ؟ قال شريح : لو طابت نفسها عنه ، لما رجعت فيه . .

وعنه أنه قال : « أقبلها فيما وهبت ، ولا أقبله ، لأنهن يخضعن » . وعن عمر - رضى الله عنه - أنه كتب الى قضائه : « ان النساء يعطين رغبة ورهبة ، فأياهما امرأة أعطت ، ثم أرادت أن ترجع ، فذلك لها » . .

*** أما حكمة قبض المهر كاملا قبل التنازل عن شيء منه ، فهو تمكينها من حقها ، حتى إذا ردت منه جزءا ، ردت عن رضى حقيقى ، وعن اختيار كامل . . .

أى ملكا خاصا ، منحسولا لها ، مسلما ليدها ، فهو حقها . . .

وقيل : ان الخطاب للأولياء ، وليس للأزواج ، لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم ، وكانوا يقولون : « هنيئا لك النافجة » لمن تولد له بنت . . يعنون تأخذ مهرها ، فتنتفع به مالك ، أى تعظمه . . .

وقيل : المراد بقوله « نحلة » أى ديانة ، أى آتوهن مهورهن ديانة . . أى دينا من الله شرعه وفرضه . . فالنحلة وردت فى اللغة بمعنى الملة والديانة . . ولذا قيل : نحلة الاسلام خير النحل . . أى خير الديانات . . وفلان يتنحل كذا ، أى يدين به . . .

*** ثم ماذا

ثم انه اذا شاءت الزوجة أن تنزل عن شيء من صداقتها ، كهبة بعد قبضه عن طيب نفس ، فهو عندئذ فقط - حلال للزوج ، هنيء مرى . . .

اما ان اضطرت الى الهبة ، نتيجة مشاكسة الزوج لها ، وسوء

والخطاب في قوله تعالى :
« ولا توتروا السفهاء أموالكم »
للأولياء .. والأموال هنا أموال
السفهاء ..

وانما أضيفت الى الأولياء
اشعارا لهم بمظم المسؤولية الملقاة
على عواتقهم بشأنها .. هذا من
فاحية - فهم مسئولون عنها
مستوليتهم عن أموالهم الخاصة التي
يولونها رعايتهم ، أمام الله .. في
حسن ادارتها ، وحسن التصرف
فيها لصالح السفهاء من اليتامى ..
ومن فاحية أخرى - فهم عادة من
أقرب الأقربين الى السفهاء ..
من أسرة واحدة ، وعائلة متعاونة
مترابطة .. والمال في أصله
وحقيقته - مال هذه الأسرة ،
بحكم ما بينهم من توارث وتكافل ،
ومن حقوق وواجبات توجب تعاونهم
وتضامنهم ، وأن يمد القادرون
أيديهم الى غير القادرين منهم ..
فلا غرابة اذن ، في اضافة أموال
السفهاء الى الأولياء ، لما ذكر من
هذه المعاني ، وغيرها !!

أما لو تركت منه هذا الجزء
مبيل قبضه ، فربما كانت هناك
شبهة اضطراب في أنها تنزل عن جزء
لنحصل على الباقي !!

*** هذا ، والعلاقات بين
الزوجين يجب أن تقوم على رضى
كامل ، واختيار مطلق ، وسماحة
نابعة من القلب ، زائدة عن
الفريضة !!

أبعد هذا سمو ورفعة ،
واخلاص وحسن عشرة !!
ان في هذا لتكريما للمرأة ،
وللرجل على سواء !!
انه الاسلام ، جاعل مكارم
الأخلاق ..

ثم وقفة مع السفهاء :

السفهاء في آية « ولا توتروا
السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم
قياماً ، وارزقوهم فيها واكسوهم ،
وقولوا لهم قولا معروفا » - هم
المبذرون أموالهم ، الذين ينفقونها
فيما لا ينفع ، ولا طاقة لهم
باصلاحها وتثميرها وحسن التصرف
فيها !!

ويقول صاحب الكشف :

وأضاف أموال السفهاء الى الأولياء ، لأنها من جنس ما يقيم به الناس معاشهم .. كما قال : « ولا تقتلوا أنفسكم » ، « فبما ملكت أيماكم من قياتكم المؤمنات » ١١٠٠

أما الدليل على انه خطاب للأولياء في أموال اليتامى - فقوله تعالى : « وارزقوهم فيها واكسوهم » ، ووصفها « بالتي جعل الله لكم قياما » ، أي تقومون بها وتتعشون .. ولو ضيعتموها لضعتم ، فكأنها في أنفسها قيامكم واتماشكم ١٠٠

ان المال اذن - مال الجماعة ، أعطاء الله لها ، لتقوم به أمورها ، ويتعشون بحسن رعايته وتديره واستثماره ، والاتفاق منه فيما ينبغي .. واليتامى أو مورثوهم - انما يملكون فقط حق الاتصاف بهذا المال ، ما داموا عليه أمناء ، وما داموا قادرين على تديره وتسييره ..

فان عجزوا عن تديره وتسييره وحسن التصرف فيه - فلا حق لهم في التصرف في هذه الأموال . وانما تعطى لمن يحسن التصرف فيها من الجماعة ، مع مراعاة قرب درجته من قرابته لليتيم . وبهذا يتحقق مبدأ التكافل العائلي الذي هو جزء هام من التكافل العام ١٠٠

أما السفيه فله حقه الكامل في الرزق والكسوة وحسن المعاملة ، حتى بالكلمة الطيبة المشعرة بحبه وتقديره ، والمشجعة له على ما فيه خيره واسعاده ، « وقولوا لهمم قولا معروفا » ..

قال ابن جريج : القول المعروف - عدة جميلة . « كان يقال لهم : ان صلحتم ورشدتم - سلمنا اليكم أموالكم »

ولكن المعروف لهم من ذلك .. فكل ما سكنت اليه النفس وأحبته ، لحسنه عقلا أو شرعا ، من قول أو عمل - فهو معروف - وما أنكرته وكرهت منه ، لقبحه فهو منكر ١١٠٠

وقد أمر الله سبحانه ، الأولياء
 باختبار عقول اليتامى ، وتعريف
 أحوالهم وتصرفاتهم ، قبل البلوغ ،
 حتى إذا ما تبينوا منهم رشداً ، أى
 هداية — دفعوا اليهم أموالهم من
 غير تأخير عن حد البلوغ .. وذلك
 فى قوله تعالى : « وابتلوا اليتامى
 حتى إذا بلغوا النكاح ، فإن آنستم
 منهم رشداً فادفعوا اليهم
 أموالهم ... » •

• • • واختلف فى الابتلاء
 والرشد ، عند الفقهاء ..
 فالابتلاء عند أبى حنيفة
 وأصحابه — أن يدفع اليه ما
 يتصرف فيه ، حتى يستبين حاله
 فيما يجيئ منه ..
 والرشد — التهدى الى وجوه
 التصرف .. وعن ابن عباس :
 الصلاح فى العقل ، والحفظ
 للمال •

وعند مالك والشافعى :
 الابتلاء — أن يتبصر أحواله
 وتصرفه ، فى الأخذ والاعطاء ،
 ويتبصر مخطئه وميله الى الدين •
 والرشد — الصلاح فى الدين ،
 لأن الفسق مفسدة للمال ! •

• • المال سلاح المؤمن :

وكان السلف — رضوان الله
 عليهم — يقولون : المال سلاح
 المؤمن .. ولأن أترك مالا ليعاسبنى
 الله عليه — خير من أن أحتاج الى
 الناس ! • •

وعن سفيان ، وكانت له بضاعة
 يقلبها ويقول : لولاها لتمنل بى
 بنو العباس ! •

وعن غيره ، وقد قيل له : ان
 أموالك تدريك من الدنيا .. فقال :
 لئن أدتني من الدنيا ، لقد صانتني
 عنها ! • •

وكانوا يقولون : اتجروا ،
 واكسبوا ، فانكم فى زمان اذا
 احتاج أحدكم كان أول ما يأكل
 دينه • • وربما رأوا رجلاً فى جنازة
 فقالوا له : اذهب الى دكانك ..
 فماذا كانوا يقولون ، لو عاشوا فى
 عصرنا الذى نحن فيه ! • •

• • فى ابتلاء اليتامى والنهى
 عن الاسراف والمبادرة :
 الابتلاء هو الاختبار
 والامتحان • •

الاتفاق ، ويقولون : ننفق كما
نشتهى قبل أن يكبر اليتامى
فينتزعوها من أيدينا . وذلك بعض
ما يفهم من قوله تعالى : « ولا
تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا » .

وان واقع الحياة ليثبت وجود
هذه الظاهرة الأسيسة ، كلما قرب
ميعاد تسليم الأموال من أيدي أولئك
الأوصياء الذين لا يقنعون
بالحلل ١١٠٠

انهم ليأكلونها في زماننا ، من
بدء اشرافهم على اليتامى ١١٠٠

بل انهم ليستلبونها منهم ، قبيل
موت مورث اليتامى ، أو بميد
موته - بوسائلهم وحيلهم
الاجرامية التى برعوا فيها . لأنهم
لا يتقون الله ، ولا يخافونه على
أنفسهم ، ولا على أولادهم من
بعدهم ١١٠٠

وهم بذلك انما ياكلون فى
بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا .
كما أخبرت بذلك الآية المنذرة
لهؤلاء المعتدين الذين لا يقنعون
بحلالهم عن حرامهم . فانتزعت
الرحمة من قلوبهم .

*** فان لم يؤنس منه رشد
الى حد البلوغ . .

فعند أبى حنيفة رحمه الله -
ينتظر الى خمس وعشرين سنة ،
لأن مدة بلوغ الذكر عنده بالسن
- ثمانى عشرة سنة . فاذا زادت
عليها سبع سنين ، وهى مدة معتبرة
فى تغير أحوال الانسان ، لقوله
عليه السلام : « مروهم بالصلاة
لسبع » - دفع اليه ماله ، وأنس
منه الرشد أو لم يؤنس .

وعند أصحابه - لا يدفع اليه
أبدا ، الا بإئناس الرشد .

*** وتكثير الرشد ، فى قوله
تعالى « رشدا » يفيد أنه
نوع الرشد ، وهو الرشد فى
التصرف والتجارة . أو هو طرف
من الرشد ، ومخيلة من مخيله .
حتى لا ينتظر به تمام الرشد .

*** ثم ينهى الله الأوصياء
هنا ، عن أكل أموال التامى عن
طريق الاسراف والمبادرة .

يقول لهم : لا تأكلوا أموال
اليتامى مسرفين ، ومباعدرين
كبرهم . انهم كانوا يسرقون فى

« ومن كان غنيا فليستغف ،
ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف » .
وذلك يدل على أن الوصى حقا
في أموال اليتامى ، لقيامه عليها .
ولكن الآية تدل أيضا على أن
الوصى لا يخلو أمره ، من أن
يكون غنيا ، أو يكون فقيرا ..

ولكل حكمه .. فان كان غنيا ،
فليستغف ، أى فلا يأكل من مال
اليتيم ، ولا يطمع فيه ، وانما يقنع
بما رزقه من الفنى ، اشفاقا على
اليتيم ، وابقاء على ماله ، ورحمة
به .. !!

وان كان فقيرا ، فليأكل
بالمعروف .. قوتا مقدرا ، محتاطا
فى تقديره ، على وجه الأجرة ..
أو استقراضا .. على ما فى ذلك
من الخلاف .

فمن النبى - صلى الله عليه
وسلم - أن رجلا قال له : ان فى
حجرى يتيما ، أفأأكل من ماله ؟ !
قال : « بالمعروف ، غير متائل »
مالا ، ولا واق مالك بماله » فقال :
أفأضربه ؟ قال : « مما كنت ضاربا »
منه ولدك » .

والمعنى أنهم باكلهم لأموال
اليتامى - انما يأكلون ما يجز
الى النار ، فكأنه نار فى الحقيقة .
أما السعيير التى سيصلون
نارها - فهى نار مستمرة شديدة
الاحراق والتعذيب .

ولكن تنكير « سعييرا » -
يفيد أنها نار مبهممة الوصف ،
لا يعلم مدى شدتها وفظاعتها
وحقيقتها ، الا الله خالقها ، لتعذيب
هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى
طلما .. !!! فهل من معتبر ؟ !!!

وقد ورد فى الأثر الشريف ، أن
أكل مال اليتيم ، يبعث يوم القيامة
والدخان يخرج من قعره ومن
فيه ، وأنفه .. فيعرف الناس أنه
كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا .. !!
وتلك لافتة تدل عليه ، وتشير
اليه ، يفضح بها يوم القيامة ،
يوم يقوم الناس لرب العالمين ..
يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
أتى الله بقلب سليم .. !!!

*** الأكل بالمعروف والاستغفاف
ورد بهما الأمر للوصى على مال
اليتيم .. فى قوله تعالى :

أكلت بالمعروف ، وإذا أيسرت
قضيت « !!

هذا ، واستنف أبلغ ممن
عف ، كانه طالب زيادة العفة •

وكل ما تقدم وغيره كثير — يدل
أبلغ دلالة ، على واجب الأوصياء ،
وعظيم مسئوليتهم ، حيال أموال
اليتامى • • فلا يمسونها بسوء
أبدا • • ولا يتناولون منها الا عند
الضرورة القصوى • • فان أيسروا
قضوا • • !!

ان هذا هو الاسلام ، فى حديه
وعطفه على الأيتام • • !!

فهل آن للناس أن يتقوا الله
فيهم ؟ !!

ان الله كان على كل شيء حسيبا •
« وليخش الذين لو تركوا من
خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ،
فليتقوا الله ، وليقولوا قولا
سديدا » •

عبد الحميد الفصالي

وعن ابن عباس رضى الله عنه —
أن ولى اليتيم قال له : أفأشرب من
لبن ابله ؟

قال : « ان كنت تبغى ضالتها ،
وتلوط حوضها ، وتهنا جرباها ،
وتسقيها يوم وردها ، فأشرب غير
مضر بنسل ، ولا فاهك فى
الحلب » •

وعن الشعبي : يأكل من ماله
بقدر ما يعين فيه • • وعنه : كالميتة
يتناول عند الضرورة ويقضى •

وعن مجاهد : يستلف ، فاذا
أيسر أدى •

وعن سعيد بن جبير : ان شاء
شرب فضل اللبن وركب الظهر ،
ولبس ما يستره من الثياب ، وأخذ
القتوت ، ولا يجاوزه • • فان أيسر ،
قضاء ، وان أعسر ، فهو فى حل •

وعن عمر بن الخطاب — رضى
الله عنه — : انى أزلت نفسى من
مال الله منزلة والى اليتيم • • ان
استغثت استعفت ، وان افتقرت

المعرفة بين الفلسفة والإسلام

للأستاذ احمد عبد الرزيم الساج

المعرفة :

مفعول واحد كان بمعنى المعرفة
كقوله تعالى : « وآخرين من دونهم
لا تعلمونهم الله يعلمهم » (١) .
وأما الفرق من جهة المعنى فمن
وجوه :

احدها :

أن المعرفة تتعلق بذات الشيء ،
والعلم يتعلق بأحوال الشيء ،
فتقول :

عرفت أباك وعلمته صالحا ،
ولذلك جاء الأمر في القرآن الكريم
بالعلم دون المعرفة كقوله تعالى :
« فاعلم أنه لا اله الا الله » (٢) .
فالمعرفة : تصور صورة الشيء ،
والعلم حضور أحوال الشيء ،
وصفاته ، والمعرفة نسبة التصور ،
والعلم نسبة التصديق . . .

ادراك الشيء بتفكير وتدبر
لأثره . . . والمعرفة أخص من
العلم ، ويقال فلان يعرف الله . .
ولا يقال يعلم الله ، متعبدا الى
مفعول واحد . .

وعرفه يعرفه معرفة وعرفانا ،
فهو عارف . . والعلم والمعرفة ،
يفرق بينهما من جهة اللفظ ، ومن
جهة المعنى . .

أما اللفظ :

ففعل المعرفة يقع على مفعول
واحد . قال تعالى : « فعرّفهم
وهم له منكرون » (٣) . وفعل
العلم يقتضى مفعولين كقوله
تعالى : « فان علمتوهن
مؤمنات » (٤) . وإذا وقع على

(٢) سورة الممتحنة الآية رقم ١٠ .
(٤) سورة محمد الآية رقم ١٩ .

(١) سورة يوسف الآية رقم ٥٨ .
(٣) سورة الانعام الآية رقم ٦٠ .

ثانيها :

رابعها :

ان المعرفة في العالب تكون لما غاب عن القلب بعد ادراكه ، فاذا أدركه قبل عرفه ، أو تكون وصفا له بصفات قامت في نفسه . فاذا رآه وعلم انه الموصوف بها قيل : عرفه . قال تعالى : « وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون » (٥) . فالمعرفة نسبة الذكر في النفس ، وهو حضور ما كان غائبا عن الذاكر . ولهذا كان ضدها الانكار ، وضد العلم الجهل . قال تعالى : « يعرفون نعمة الله ، ثم ينكرونها » (٦) . ويقال عرف الحق فاقربه ، وعرفه فأنكره . . .

ثالثها :

ان المعرفة قيد تميز المعروف عن غيره ، والعلم يفيد تميز ما يوصف به عن غيره .

انك اذا قلت : علمت محمدا لم تعد مخاطب شيئا ، لأنه ينتظر أن تخبره على أى حال علمته . . فاذا قلت كريما أو شجاعا ، حصلت له الفائدة . . واذا فت عرفت محمدا ، استفاد المخاطب انك أثبتته وميزته عن غيره ، ولم يبق أن ينتظر شيئا آخر . .

خامسها :

ان المعرفة علم يعين الشيء مفصلا عما سواه ، بخلاف العلم فانه يتعلق بالشيء مجملا . . والفرق بين العلم والمعرفة عند المحققين أن المعرفة هي العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه ، فلا يظننون المعرفة على مدلول العلم وحده (٧) . . ولكن اذا كانت المعرفة لها كل هذا ، فهل هي فطرية ؟ أم مكتسبة ؟ أم مزيج ؟

(٥) سورة يوسف الآية رقم ٥٨ (٦) سورة النحل الآية رقم ٨٣
(٧) راجع بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي الجزء الرابع ص ٤٧ طبع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة .
وانظر مقالنا « المعرفة في ظل الاسلام » في مجلة قافلة الريت ع ١١ ص ٢ مجلد ٢٠ السعودية ١٣٩٢هـ .

لا يمكن أن نعرف الشيء الخارجى
كهذا الكتاب الا عن طريق هذه
النوافذ التى تطل منها على العالم
الخارجى •

وعن طريق هذه الاحساسات
التى تتجمع وتنظم بعد تفادها من
هذه النوافذ « الحواس » نعرف
الأشياء •• فانا لا أعرف الكتاب ،
وانما أعرف الاحساسات الموجودة
فى عقلى عن هذا الكتاب ••
معنى ذلك :

أن هناك عقلا يتلقى هذه
والاحساسات ، وأن العقل كالصفحة
البيضاء يتلقى الاحساسات فتكون
المعرفة ••
ثانيا :

وقالت فئة أخرى : ان المعرفة
فطرية بمعنى أن الانسان يولد
وهو عاقل بكل شيء ، لأن
النفس قبل اتصالها بالبدن كانت
تعيش فى عالم المثل فاطلعت على
كل شيء وعرفت كل شيء ، ولما
اتصلت بالجسد نسيت •••
وبمعنى آخر أن الانسان يولد

فى هذا تحصل للدارسين
والباحثين ثلاثة آراء ، ولكل رأى
من الأدلة والبراهين ما ينهض
مدعيا له :
أولا :

يقرر كثير من رجال الفكر
الفلسفى أن المعرفة الانسانية
جميعها مكتسبة وأن طريق
اكتسابها الحواس •

ويرى الفلاسفة : أننا ندرك
الأشياء عن طريق الحواس ،
فالشخص الذى يولد أصم
لا يمكن أن يعرف الأصوات
وهى موضوع السمع •

وكذلك الشخص الذى يولد
أعمى لا يمكن أن يعرف الألوان •
فنحن ندرك الأشياء الخارجية
عن طريق الحواس : البصر
أو السمع أو اللمس أو الشم •
وبمعنى آخر :

أن الأجسام الخارجية هى
مجموعة من الاحساسات ••
أو بمعنى ثالث :

نحن لا ندرك الأشياء الخارجية
•• وانما ندرك أنفسنا ، لأننا

المحسوسة للأشياء الخارجية يصيب اليها شيئا من جوهره وطبيعته ، ويصوغ المعرفة للمحسوسات الخارجية في قالبين :
القلب الأول : المكان .

والقلب الثاني : الزمان .

وكان الفيلسوف « كانت » يريد أن يقول : أن المكان والزمان لا يتعلقان بالأشياء الخارجية فحسب ، بل هما إنسانيان ، فمن طبيعة العقل وجود هاتين الصورتين وبخاصة صورة المكان وصورة الزمان ، اللتين لا نستطيع أن ندرك الأشياء المحسوسة إلا داخلة فيهما .

والرأى الذى يذهب اليه علماء الطبيعة ، وخصوصا الذين يأخذون بنظرية « اينشتاين » وهى أحدث النظريات فى تفسير الكون يتضمن أن المعرفة الموجودة فى عقولنا لا تنفصل عن جملة الحضارة أو الثقافة السائدة فى العصر الذى يعيش فيه صاحب المعرفة . وأتينا نرى أن أدقاء

ونفسه قد فطرت على معرفة الاشياء .. فإذا عرفت النفس شيئا ، أو ادرك الانسان شيئا ، فإنه فى الواقع لا يترك شيئا جديدا ، ولا يكتسب معرفة جديدة ، ولكنه يتذكر ما كان يعرفه فى عالم المثل .. وهذا تفسير قول (أفلاطون) : « العلم تذكر ، والجهل نسيان » ولعل بعض الآراء فى التصوف تنحو هذا النحو ، وتزعم امكان المعرفة بغير الحواس (٨) .

ثالثا :

ويذهب آخرون الى أن العقل البشرى بطبيعته يحتوى على جزء من المعرفة الفطرية ، يضاف اليها جزء آخر مكتسب .

واختلف العلماء فى هذا الجزء الفطرى .. فقال بعضهم : ان المعرفة البديهية ، هى المعرفة الفطرية مثل : الكل أعظم من الجزء .. ويذهب « كانت » الفيلسوف الألماني الى أن العقل البشرى حين يكتسب المعرفة

(٨) معانى الفلسفة للدكتور احمد فؤاد الأهواى ص ٨٨ الطبعة الاولى / القاهرة .

القسم الاول :

أن المعارف الانسانية هي عبارة عن مجموعة المشاعر والاحساسات المادية المتحصلة للانسان بواسطة بعض أجزاء بدنه .. وهي تمتاز بأنها بسيطة ساذجة خالية من الدقة والتعمق .. ويصفها الفيلسوف « هيراقليطس » بأنها أشبه بماء يسيل يمين شطآن غير محدودة سيرا غير محدود المصير .. ونحن مدينون بهذه المعارف للحواس التي تستعين في توصيلها اليها بالزمان والمكان .

ولكن ليس هذا هو كل شيء .. بل ان الحواس تعاني في نقل تلك المعارف عمليتين لا بد منهما لحصولهما لدينا وهما :

اولا :

ارتسام تلك الأشياء المادية المراد نقلها .

ثانيا

نقل تلك الرسوم الى مكانها الطبيعي من النفس البشرية . فالمعرفة العمامية لها بالضرورة درجتان :

الباحثين قد أجمعوا على أن الثقافة البشرية سلسلة متماسكة الحلقات .. تؤثر سوابقها في لواحقها ، على صورة قد تكون واضحة ، وقد تكون غامضة .. وجوهر المعرفة موجود وجودا محققا ، ولكن نعت المعرفة من قلة أو كثرة أو نسبية أو اطلاق ، أو فطرية أو اكتسابية .. هو الذي يختلف فيه الفلاسفة منذ أقدم عصور الفلسفة الانسانية .. فهي تارة نسبية .. وأخرى مطلقة .. وثالثة فطرية كلهما .. ورابعة مكتسبة كلهما ترتكز على التجارب .

وكذلك تبين القوة العارفة وتحديد مدى اختصاصها ، مرة هي الحواس وحدها كما عند « هيراقليطس » وأخرى هي الحواس مع العقل كما يرى « أرسطو » وثالثة هي البصيرة كما يرى « أفلاطون » ورابعة هي العقل وحده كما يرى « ديكارت » .

وبيننا أن تصرف أن المعارف الانسانية تنقسم الى قسمين :

الدرجة الأولى :

على حين أن المعرفة الفلسفية مقصورة على أصحاب العقول المفكرة .

المعرفة الاحكامية البحتة ، وهي لا علاقة لها بذكريات الماضي ، ولا بأخبار المستقبل .

الدرجة الثانية :

* أن المعرفة العامة فطرية توجد لدى كل من توفر فيه القدر المحقق للإنسانية من العقل ، ولكن المعرفة الفلسفية مكتسبة بالمران والتطبيق الدقيق .

هي ما تشترك النفس في عملياته ، وهو منظم ثابت ، يتناول ماضى الحياة وحاضرها ، ومستقبلها .

القسم الثانى :

* أن المعرفة العامة معرضة للتأثر بالفرزة أو بالعاطفة ، فى حين أن المعرفة الفلسفية خليقة بأن تكون بعيدة من أثر هذين الباعثين « (١) » .

المعرفة العلمية : وهي التى يعول عليها فى الحياة الإنسانية ، ويعتمد عليها الإنسان فى الوصول الى ما قدر له .

فالمعرفة تشمل محيطات واسعة تبدأ بالمعرفة العامة التى يشترك فيها جميع أفراد النوع البشرى . ثم تصعد الى درجة التجارب الحسية على أيدي الطبيعيين أو الكيميائيين . ثم تستمر فى صعودها الى درجة النظر العقلى عند الرياضيين والفلاسفة ، لكن تنتهى عند مرتبة التجارب التنسكية .

وأظهر الفروق بين المعرفة العامة العلمية هي :

* أن المعرفة العامة مقصورة على النواحي المادية والاجتماعية فى الحياة ، بينما المعرفة الفلسفية تتناول فوق هذا تدبر أسرار الكون والوجود .

* ان المعرفة العامة موجودة لدى جميع أفراد بنى الانسان ،

(١) المعرفة عند مفكرى المسلمين للدكتور محمد غلاب ص ٢١ ، ٢٢ طبع الدار المصرية للنشر .

ويصور التجريبيون نشأة العلوم الرياضية ، بأن الانسان قد اتجه منذ القدم الى القلواهر الحسية ، فقامس الأبعاد والحصى والسطوح والأشكال ، واستخدم بعض الوسائل الحسية كالأصابع والحصى في التعبير عن الأعداد ، ثم استطاع آخر الأمر أن يجرد المعاني الرياضية من ملاساتها الحسية ، فاهتدى الى الخط المستقيم والخطوط المتوازية والمربع والدائرة وغير ذلك من الأشكال الهندسية (١٠) .

وطريق المعرفة في المذهب التجريبي هو : الخبرة الحسية واذا أغلقت الحواس أبوابها انعدمت المعرفة ، فلن تنشأ في العقل أفكاره ، الا اذا سبقتها مؤثرات حسية (١١) .

الرأى العقلى :

« ورجال هذا الرأى » يرون أن العقل وحده كاف في الوصول الى المعارف وادراك مفاهيمها .

ومن هذا يتبين أن المعرفة تتطلب جهوداً ضخمة ، للاحاطة الشاملة التى تضمن القدرة على منح كل غصن من أغصان دوحتها المترامية الأطراف ، الطابع الذى يميزه عن غيره .

واذا أردنا أن تبين المعرفة فى الاسلام ، فيجدو أن تشير الى نظريات المعرفة فى أكثر الآراء الفلسفية مع أبعاد الآراء المتطرفة التى ابتدعها المنحرفون ، وسنكتفى بالآراء التى تتمتع بالسيادة الفكرية ، وتعتمد على أدلة فوق مالها من رجال ومؤيدين .

الرأى التجريبي :

ورجال هذا الرأى يقولون : أن المعارف مهما بلغت من التجريد والاستقلال عن الأمور الحسية . فلا يمكن القول بأنها أمور مركزة فى الفطرة ، بل هى كغيرها يكتسبها الانسان عن طريق الملاحظة والتجربة .

(١٠) محاضرات فى مناهج البحث للشيخ محمد خطيب هراس ص ١٢ دار الطباعة المحمدية .

(١١) المحاضرات العامة للموسم الثقافى الثانى للأهرس ص ٩٠ مطبعة الأزهر ١٩٦٠ م .

الرأى النقدى :

ويطلق الباحثون على رجال هذا
الرأى « الموقنين » ويرى هؤلاء :
أنه لا تعارض بين المذهب التجريبي
والرأى العقلى بل انه من الممكن
الجمع بينهما ، وان كلا من العقليين
والتجريبيين قد أدرك وجهى الحقيقة
• • وغفل عن وجهها الآخر ،
فتمسب لرأيه ، وغلا فى الاتصار
له • • والحقيقة انما تتم بالعقل
والتجربة ، فكلاهما متمم للآخر •
فليست المعانى فطرية فى النفس كما
يزعم العقليون ، وليس العقل وحده
كافيا فى كشف المعارف • كما أن
الملاحظات والتجارب لا يمكن أن
تكون هى المنبع الوحيد للمعرفة
أو هى العدة فى ادراكها •

فالرأى النقدي يجمع بين الرأى
التجريبي والرأى العقلى • وقد
رأى • • • (كانت) هذا الرأى
مقررا أن المعرفة لا تتم الا بالخبرة
الحسية والمبادئ العقلية معا
ولا شك عند « كانت » فى ان جانبا
منها يأتى من الخارج ، وهو جانب
الحسية التى تثبت من الأشياء

وليس الانسان بحاجة الى أن يرجع
الى الطبيعة لكى توحى اليه بفكرة
« الكم المتصل » أو « الكم
المنفصل » أو ترشده الى التعاريف
الرياضية • • بل ان هذه المعانى
توجد فى العقل بصفة فطرية
وليست مكتسبة بالتجربة • •
والأمور الظاهرية هى عوامل ثانوية
تحفز العقل على الابتكار والابداع
والايجاد •

وطريق المعرفة فى الرأى العقلى
لا يرتكز على الحواس وحدها لأنها
تخطئ وتصيب ، ولهذا لا تصلح
أساسا للمعرفة • وانما أساس
المعرفة هو العقل الذى يدرك ادراكا
مباشرا والعقل الذى يشك ويفهم
يدرك ويثبت ويريد ويشعر - كما
يقرر « ديكارت » وهو صاحب
الرأى العقلى فى الفلسفة الحديثة •
والعقليون لا يرفضون ما تجيىء
به الحواس ، ولكنهم لا يعتمدون
عليها اعتمادا كليا ولا يقطعون فى
الإخذ بها •

وتوقن به ايقاناً لا سبيل الى دفعه (١٣) .

الحس :

اذن كشف عقلى بلغ من الظهور والوضوح أن زال معه كل شك وبلغ من السرعة والبساطة أن يتم دفعه لا على التعاقب ، والحس عند الصوفيين ينهض على صفاء القلب ، ومجاهدة النفس حتى تصل الى مرتبة من الصفاء تتيح لها من المعارف مالا تصل اليه الحواس والعقول معا (١٤) .

الرأى العلى :

(البراجماتزم)

وهذا يخالف الرأى الصوفى كما لا يرضى لأى رأى أو مذهب ، وفلسفة البراجماتزم فلسفة تقدم العمل ثم تستخلص منه المعرفة ومن هنا أجاز هذا الرأى جميع الظواهر (١٥) .

وحينما يتلقى العقل ذلك ، ينظمه فى حدوده . . ومن ثم يكون جزء من المعرفة معتمدا فى مضمونه على خبرة الحواس وفى قلبه على فطرة العقل فى طريقة الادراك . وهكذا يكون كل جزء من المعرفة حسيا وعقليا فى آن واحد معا (١٦) .

الرأى الصوفى :

إذا كانت وسيلة المعرفة عند التجريبيين هى الحواس ، ووسيلتها عند العقليين هى العقل ، ووسيلتها عند النقديين هى الحواس والعقل معا . فإن وسيلة المعرفة عند الصوفيين والنسكيين تختلف عن الآراء والمذاهب السابقة لأن هؤلاء يرون أن العلم اليقين انما يجىء عن طريق الحس .

والحس :

هو الادراك العقلى المباشر الذى يدرك به العقل الحقائق ادراكا ، وتدعن له النفس ادعانا ،

(١٢) راجع مقالنا فى مجلة (قافلة الرت) عدد ذو القعدة ١٣٩٢ ص ٣ وكتاب (المعرفة فى ظل الاسلام) ص ٢٩
(١٣) محاضرات فى الفلسفة للدكتور سليمان دنيا « مذكرات »
(١٤) المحاضرات العامة للموسم الثقافى الثانى بالازهر ص ٩٠ سنة ١٩٦٠م
(١٥) فصول فى الفلسفة ترجمة ماهر كامل ص ٢٥٨

والبراجماتية :

اصطلاح فلسفى يطلق على المذهب القائل بأن الحقيقة فى صميم التجربة الانسانية ، وأن المعرفة آلة أو وظيفة فى خدمة مطالب الحياة وأن صدق قضية ما هو فى كونها مفيدة ، وأن الفكر فى طبيعته غائى (أى له غاية) ويعنى هذا أن التاريخ البرجماتى معناه : الكشف بالاستناد الى معرفة الماضى وكلمة برجماتية كلمة قديمة ومستعملة بمعان مختلفة الا أنها تعرف الآن مقترنة باسم الفيلسوف الأمريكى « تشارلس ساندرز بيرس » رافع أسس المذهب البرجماتى (١٦) . والمعرفة فى حقيقتها ليست مجرد العلم بالواقع كما هو ، بل هى أداة السلوك العلى الذى يأتى النفع (١٧) .

وتلك أهم مذاهب المعرفة التى اهتمت اليها علماء وفلاسفة الغرب ، وبعض الصوفيين والتنسيكين . وقد تفرعت عن هذه المذاهب نظريات فكرية عديدة وراح كل

فريق يعالى فى التأييد لرأيه ومذهبه حتى أصبح لا يرى الحقيقة الا فيه .

والنظريات والآراء التى ذهب اليها التجريبيون والعقليون والنقسيون والتنسيكون والبراجماتيون وغيرهم ، هى من وضع ناس فكروا وبحشوا وأصلوا الأصول ، وقعدوا القواعد ، فوصلوا الى ما هداهم اليه البحث والفكر والنظر والعقل .

أما الاسلام فخير هذا كله ، لأن الاسلام من عند الله ، الذى خلق الانسان وعلمه البيان ، وما كان من عند الله كان أتم وأكمل .

والباحث يرى أن الاسلام وثب بالمسلمين وثبتت هائلتين :

الوثبة الاولى :

كانت على أثر اشعاع القرآء الكريم فى جنبات الدنيا والانسانية فأثارها بعد ظلمة ، وهدى الانسانية بعد حيرة ، ونظمها بعد اضطراب ، وفق اذهان أبنائها بعد ارتفاق ،

(١٦) دائرة معارف مجلة العيصل ص ١٥٣ عدد رقم ٢٠ السعودية .

(١٧) مجلة الهادى المجلد الاول العدد الاول ص ٢٩ « قم ايران » .

بين الكم والكيف ، وبين المادة والروح ، وبين الفاية والسبب ، وبين الدنيا والآخرة ، فلا افراط ولا تفریط ، طبقا لقوله تعالى : « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتعرق بكم عن سبيله » (١٨) •

لقد ربط الإسلام بين الحواس المرهفة ، وبين العقل الباحث المنظم أو الوجدان النقي السليم • فالإسلام يدعو إلى استعمال الحواس ، وبخاصة حاستي السمع والبصر • قال تعالى : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بيناها وزيناها ومالها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » (١٩) •

وقال تعالى : « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » (٢٠) •

وأزال الاصماد والقيود التي كانت تقف حجر عثرة أمام الفكر • وكان من ذلك أن فيه إلى وجوب النظر في الكون العام ، وفي النفس الإنسانية ، وفي الأسباب والمسببات • فكان بهذا مصباحا أثار الدنيا ، وأضاء أفق الإنسانية وأشرق بالمعرفة الصحيحة •

الوثبة الثانية :

كانت بعد نقل الحكمة والعلوم إلى اللغة العربية ، وبهذا تفتحت العقول إلى ألوان مختلفة من الثقافات والمعارف • •

والباحث المخلص يرى أن الإسلام في وثبيته الأولى والثانية قد وضع أسس المعرفة التي تهدى الإنسان إلى الخير وتحيط بجميع الجوانب ، وتستوعب الطرق كلها ، وتجمل منها كلا متكاملا غير قابل للتزق والشتات •

وتقوم المعرفة في الإسلام لا على أساس نظرية تحتاج إلى دراسة وتأمل وإنما على أساس التعادل

(١٩) سورة ق الآية رقم ٦ - ٨

(١٨) سورة الانعام الآية رقم ١٥٣

(٢٠) سورة الاعراف الآية رقم ٢١

وفى قوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » (٢٥) . وفى قوله تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » (٣١) .

فالاسلام الحنيف قد جمع بين جميع المواهب والملكات ، سواء منها الحسية أو المعنوية ، المنطقية أو الروحية ، ليصل الانسان الى الكمال المنشود فى ظلال تعاليم القرآن الكريم التى جاءت لترشد الانسان الى ما فيه السمو بالفكر والعقل .

وقد سجل القرآن الكريم طرقا شتى لكشف الحقيقة ، ليتخذ كل فرد من بنى الانسان الطريق الذى يلتزم مع مستواه ، ويتسق مع عقلية . . والطرق التى جاء بها الاسلام تتطابق مع مراتب الانسانية ودرجاتها ، وتتجاوب مع حاجاتها ورغباتها .

وقال تعالى : « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » (٣١) . الى غير ذلك من الآيات القرآنية التى تدعو الى التدبر والتبصر والتفكر ، والتأمل والنظر ، واستعمال الملكات العقلية . قال تعالى : « ان السمع والبصر وانفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (٣١) .

والحواس وحدها قد لا تنفى فى أمور كثيرة ، ولهذا نستعين بالبصيرة الملهمة والعقل الراجح النفاذ « فانها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التى فى الصدور » (٣٣) . أما طريق الحدس الوجدانى الذى يصل اليه الانسان بمجاهدة النفس وتقوى الله ، فقد أشار اليه القرآن الكريم فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقا » (٣٤) .

(٢١) سورة آل عمران الآية رقم ١٩٠ (٢٢) سورة الاسراء الآية رقم ٣٦

(٢٣) سورة الحج الآية رقم ٤٦ (٢٤) سورة الانعام الآية رقم ٢٩

(٢٥) سورة الطلاق الآية رقم ٢ (٢٦) سورة البقرة الآية رقم ٢٦٩

الطريق الاول :

(طريق النظر والتأمل في
السموات والأرض)

ولهذا الطريق مرحلتان :
أرضية وسماوية ، والمرحلة الأرضية
الصق المراحل بالأرض ، وهي
تخاطب عامة الناس بما بين أيديهم
من مرئيات ، ثم توجههم الى
استنباط ما هو بعيد عنهم لعلمهم
يهتدون .

قال تعالى : « أفلا ينظرون الى
الابل كيف خلقت ، والى السماء
كيف رفعت ، والى الجبال كيف
نصبست ، والى الأرض كيف
سطحت » (٣٣) .

والمرحلة السماوية استطاعت أن
تظفر بحظ من تطور الانسانية
ورقى العقلية . وهذا دليل على أن
الانسانية قد ارتقت بمحض الشئ ،
وأصبحت جديرة بالنظر الى السماء
ثم النظر في السماء . قال الله تعالى :
« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم
كيف بنيناها وزيناها ومالها من
فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها

رواسي وأبنتنا فيها من كل زوج
بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد
منيب » (٣٨) .

فالآية الكريمة : « أفلا ينظرون
الى الابل كيف خلقت .. » مليئة
بالرحمة فائضة بالاشفاق على
أولئك الناس ، ومن ثم تتواضع
فتنزل الى مستوى الناس العكري
وتجاربهم حتى يتمكنوا من
المعرفة ..

أما الآية الكريمة . « أفلم ينظروا
الى السماء فوقهم .. » فتفيد أن
فريقا من الناس قد ارتقى وصعد
بعض الشئ ، وأصبح جديرا
بالنظر الى السماء أولا .. ثم بالنظر
فيها ثانيا ، ثم بمقياس ما لا يرى
على ما يرى ، واستنباط تسائج
محقة سامية من مقدمات بسيطة
ميسورة .

والاسلام لم يشأ أن يقفز بهؤلاء
قفزة قد تكون فوق مستواهم
العقلي ، لهذا وقف بهؤلاء رشا
يعدهم للدرجة التي تليها وهي
درجة النظر في ابداع السموات
وسير الكواكب في أفلاكها ..

من الناس لا يقنع الا بأفاعيل
الأسباب في مسبباتها ولا يرضيه
سوى التأمل في نشوء المسببات عن
أسبابها .. وهذا الطريق يصل
ما بين الارادة والوجدان ويضع
الخطوط المثالية للسلوك .. وهذا
الطريق يمكن الأسباب والمسببات
من الصعود الى ما وراء الطبيعة
ليصل الانسان الى معرفة الخالق
وعظمته وعدله وحسانه وجزائه .
وكيفية استعمال هذا الطريق
يقول عنها أحد قادة الفكر :

« هي ان المستدل ينظر أولا
الى ما حوله من المرئيات ، ثم يحاول
أن يتبين أسبابها المباشرة أى المؤثرة
فيها بلا أية واسطة ، فاذا تبينها
أسرع الى الاغفاء عن سببها
وأعبرها مسببات لما قبلها ثم يادر
الى البحث عن التي قبلها فاذا
احتدى اليها سلك بازائها نفس
مملكه بازاء ما سلف ، حتى ينتهي
الى الحق الذي هو الغاية المنشودة
والنهاية المقصودة » (٣٠) .

وفى هذا يقول الله تعالى : « ان فى
خلق السموات والأرض واختلاف
الليل والنهار والفلك التى تجرى
فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل
الله من السماء من ماء فأحيا به
الأرض بعد موتها وبث فيها من
كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
المسخر بين السماء والأرض لآيات
لقوم يعلمون » (٣٩) .

وقال تعالى : « أولم ينظروا فى
ملكوت السموات والأرض وما خلق
الله من شئء وأذ عسى أن يكون
قد اقترب أجلهم فبأى حديث
بعده يؤمنون » (٣٠) .

وقال تعالى : « ومن آياته أن
تقوم السماء والأرض بأمره ثم اذا
دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم
تخرجون » (٣١) .

الطريق الثانى :

(الأسباب والمسببات)

والأسباب والمسببات طريق من
طرق المعرفة فى الاسلام وهو
طريق لفريق من البشر ، لأن كثيرا

(٢٩) سورة القرة الآية رقم ١٦٤ (٣٠) سورة الاعراف الآية رقم ١٨٥

(٣١) سورة الروم الآية رقم ٢٥ (٣٢) المعرفة فى ظل الاسلام ص ٤٦

وهذا شيء من آيات السببية
والمسببية الدالة على وجود المبدع ؛
أو الدالة على البحث وامكانه .
قال تعالى : « ونزلنا من السماء ماء
مباركا فأنبثنا به جنات وحب
الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع
نضيد ، رزقا للعباد وأحيينا به بلدة
ميتا كذلك الخروج » (٣٣) .

وقال تعالى : « هو الذي أنزل من
السماء ماء لكم منه شراب ومنه
شجر فيه تسمون ، ينبت لكم به
الزروع والزيتون والنخيل والأعناب
ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية
لقوم يتفكرون » وسخر لكم الليل
والنهار والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات
لقوم يعقلون . وما ذرا لكم في
الأرض مختلفا ألوانه ان في ذلك
لآية لقوم يذكرون » (٣٤) .

وقال تعالى : « والأرض مددناها
وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من
كل شيء موزون ، وجعلنا لكم
فيها معاش ومن لستم له برازقين ،
وان من شيء الا عندنا خزائنه

وما ننزله الا بقدر معلوم .
وأرسلنا الرياح فأنزلنا من
السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له
بخازنين . وانا لنحن نحي ونميت
ونحن الوارثون » (٣٥) .

وقال تعالى : « ومن آياته انك
تري الأرض خاشعة فإذا أنزلنا
عليها الماء اهتزت وربت ان الذي
أحيانا لمحي الموتى انه على كل
شيء قدير » (٣٦) .

ومن طريق الاسباب والمسببات
وصل المفكرون الى أسرار الكون
وخفايا الوجود ومعرفة الخالق
حل وعلا ..

الطريق الثالث :

(طريق المعقولات المحضة)

ويمكن الشعور على ذلك في
قوله تعالى : « وفي أنفسكم أفلا
تبصرون » والمعقولات المحضة
لا يدركها الا علية الصفوة من
المعكرين والتي يطلق الباحث عندها
أعين المادة والذهن المعتمد على
الحواس ، ويفتح عين القلب النقي
لينفذ بواسطة نوره الى ما وراء

(٣٣) سورة ق الايات ٩ - ١١ (٣٤) سورة النحل الايات ١٠ - ١٤

(٣٥) سورة الحجر الايات ١٩ - ٢٤ (٣٦) سورة فصلت الاية رقم ٣٦

والتجربة على كل حال ، فهذا الطريق يعد في عالم الفكر المنطقي المحض أسنى الطرق وأقربها الى القمة ، وأدناها الى أوج الكمال الانساني . وهذا الطريق منبثق

من داخل النفس ، مؤسس على الحق الواضح الثابت ، وهو الفكر المحتوى في آية : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » .. ومجمل هذا الفكر ان كلا من المؤمن والجاهد والمرتاب يصدر فيما يذهب اليه عن فكر .. وهناك طرق أخرى كثيرة لا تقل شأنا عما سبق مثل الآيات في الكون وفي الانسان . وفي الكائنات الحية ، وفي النبات ، وفي العالم العلوي ، وفي الأرض وما عليها . ومن كل هذا يتبين أن طرق المعرفة في الاسلام تلائم الانسانية كلها حسب درجاتها في الكمال الفكري .. وان القرآن الكريم خاطب الناس على قدر ثقافتهم وفكرهم ليصل بهم الى ذروة ما قدر لكل من الفهم والادراك .

احمد عبد الرحيم السايح

حجب المراتب فيتفكر في ملكوت المقولات والذي لا يقاس به ملك المحسوسات لأن النسبة بينهما منعدمة بالطبع (٣٧) .

الطريق الرابع :

(طريق البديهيات العقلية)

والبديهيات قضايا عامة شديدة العموم يضعها العقل ويسلم بصدقها وتبدو كأنها مركزة في العقل ، فهي ضرورية لا يمكن اقامة البرهان على صدقها مثل :

أ - الكميات المساويات لثالث

متساويات .

ب - اذا أضيفت كميات

متساوية الى أخرى متساوية كانت النتائج متساوية .

والبديهيات تستخدم كمقدمات لاستنباط النتائج التي ترتب عليها ، وقد اختلف الباحثون في نشأة البديهيات . فذهب العقليون الى أن البديهيات قواعد عامة وضرورية فلا يستطيع العقل انكارها والا تناقض .

وذهب التجريبيون الى أنها من أصل حسى وأنها مكتسبة بالملاحظة

حكم... و طرائف

اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« الصمت وصون اللسان »

قال الله تعالى : « ما يحفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » ، وقال تعالى : « ان ربك لبالمرصاد » وينبى للعاقل ان يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الامساك عنه ، لانه قد يجر الكلام المباح الى حرام او مكروه بل هذا كثير وغالب ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا او ليصمت » . وقال الامام الشافعي - رضي الله عنه : « اذا اراد احدكم الكلام فعليه ان يفكر في كلامه فان ظهرت المصلحة تكلم ، وان شك لم يتكلم حتى تظهر » ..

وقد اجتمع قيس بن ساعدة ، واكرم الصيفي ، فقال احدهما لصاحبه : « كم وجدت في ابن آدم من العيوب ؟ فقال : هي اكثر من ان تحصر وقد وجدت خصلة ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها ، قال : وما هي ؟ قال : « حفظ اللسان » .

« خلق صحابي »

لما نزل قول الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تعلمون » اغلق ثابت بن قيس عليه داره ، وطفق يبكي !!

واعتقده النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأل عنه ، ثم ارسل من يدموه ، وجاء ثابت ، فسأله النبي - صلى الله عليه وسلم - عن سبب غيابه فأجابه : « اني امرؤ جهمير الصوت ، وقد كنت ارفع صوتي فوق صوتك يا رسول الله ، واذن فقد حبط عملي وانا من اهل النار » ، وأجابه النبي - صلى الله عليه وسلم قائلا : « انك لست منهم ، بل تعيش حميدا ، وتقتل شهيدا ، ويدخلك الله الجنة » .

وصدق رسول الله - عليه افضل الصلاة والسلام - فقد استشهد ثابت في موقعة (اليمامة) .

رضي الله عن ثابت بن قيس وأرضاه .

فقال : والله لقد قال جرير بيتا ذهب منه صدره وبقي عجزه وهو : - وليس لداء الركبتين طيب - .
فقال المريض : لا يشرك الله بالخير لبتك ذكرت صدره وسيت عجزه .

« اليسر بعد العسر »

جمعت الرحلة بين محمد بن جرير الطبري ومحمد بن اسحاق بن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن هارون الروياني بمصر ، فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوهم ، وأصر بهم الجوع ! فاحتتموا ليلة في منزل كانوا يأوون اليه - يكتبون فيه الحديث - فاتفق رأيهم على أن يستنهموا ويضربوا الفرعة ، فمصر حرجت عليه الفرعة سأل لأصحابه الطعام ، فخرجت القرعة على محمد ابن اسحاق بن خزيمة .

فقال لأصحابه : أمهلوني حتى اتوضأ وأصلي صلاة الحيرة - أي الاستخارة - فاندفع في الصلاة ، فاذا هم بالشروع ، وخفى من قبل والى مصر يدق الباب ، فنزل عن دابته ، فقال : ايكم محمد بن النصر ؟ فقيل له هو هذا ! فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها اليه . ثم قال : ايكم محمد بن جرير ؟ فقالوا هو هذا ! فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها اليه .

ثم قال : ايكم محمد بن اسحاق ابن خزيمة ؟ فقالوا : هو هذا بصلى ، فلما فرغ من صلاته دفع

ومن حكم الامام علي - رضي الله عنه - « اذا تم العقل نقص الكلام » وقال اعرابي : « رب منطق صدع جمعا ، وسكوت شعب صدعا » وقال وهب بن الورد : « بلفنا أن الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت ، والعاشرة في عزلة الناس » ومن كلام بعض الحكماء : « من نطق في غير حيز فقد لفا ، ومن سكت في غير اعتبار فقد سها ، ومن سكت في غير فكر فقد لها » وقيل لرجل بم سادكم الاخنف ! فوالله ما كان باكركم سنا ولا ناكثركم مالا ؟ فقال : « بقوة سلطانه على لسانه » ، وقال عمرو بن العاص - رضي الله عنه - « الكلام كاللدواء ان اقللت منه نفع ، وان اكثرته منه قتل » ومن وصية لقمان لابنه : « يا بني اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك » يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف أنتن فقلن بحير ان تركتنا .

قال الشاعر :

احفظ لسانك ايها الانسان
لا يلدغنيك انه ثعبان
كم في المقابر من قتل لسانه
كانت تهاب لقاءه الشجعان

« لا يشرك الله بالخير »

عاد ابو الحسن بن برهان وجيلا مريضا .

فقال له : ما علتك !!!

قال : وجع الركبتين .

بر وقربة ، وفكر بجول فيما لا ينفع
وحدمة من لا تقربك خدمته الى الله
ولا تعود عليك بصلاح دنياك ،
وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد
الله وهو أسير في قبضته ، ولا يملك
لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة
ولا نشورا .

واعظم هذه الإضاعات ، اضاعتان
هما اصل كل اضاءة : اضاءة القلب
واضاءة الوقت ، فاضاعة القلب من
اثار الدنيا على الآخرة واضاعة
الوقت من اتباع الهوى وطول
الامل .

« رأى خالد بن صفوان في الشعراء »

قال هشام بن عبد الملك لشبة
ابن عقال ، وعنده جرير والفرزدق
والأخطل ، وهو يومئذ أمير :
الا تحبني عن هؤلاء الذين قد
مرقوا أمراضهم ، وهتكوا
أستارهم ، وأغروا بين عشائهم في
غير خير ولا بر ولا نفع ، أتهم
أشعر ؟

فقال شبة : أما جرير فيعرف
من بحر ، وأما الفرزدق فينبحت
من صخر ، وأما الأخطل فيجيد
المدح والفخر .

فقال هشام : ما فمرت لنا شيئا
نحصله !

فقال : ما عدي غير ما قلت !

فقال لخالد (٢) بن صفوان :
صعهم لنا يا بن الأهتم ،

اليه الصرة وفيها خمسون دينارا
ثم قال : أيكم محمد بن هارون ؟
وفعل به كذلك .

ثم قال : ان الأمير كان قائلا
بالامس (١) ، فرأى في المنام خيالا
قال له : ان المحامد طووا كسحهم
جباعا ، فأنفذ اليكم هذه الصرة
وأقسم عليكم اذا نفذت فمرقوني .

« موقفان »

للمسيد بين يدي الله موقفان :
موقف بين يديه في الصلاة ، وموقف
بين يديه يوم لقائه ، فمن قام بحق
الموقف الأول هون عليه الموقف
الأخر ، ومن استهان بهذا الموقف
ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك
الموقف ، قال تعالى : « ومن الليل
فأسجد له وسبحه ليلا طويلا ، ان
هؤلاء يحبون المساجلة ويلبرون
وراءهم يوما ثقيلا » .

« عشرة أشياء ضائعة »

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها :
علم لا يعمل به ، وعمل لا اخلاص
فيه ولا اقتداء ، ومال لا ينفق فيه
فلا يستمتع به جامع في الدنيا
ولا يقدمه أمامه الى الآخرة ، وقلب
فارغ من محبة الله والشوق اليه
والإس به ، وبدن معطل من
طاعة الله وخدمته ، ومحبة
لا تنقيد برياض المحبوب وامتناع
لوامره ، ووقت معطل عن اقتسام

(١) كان قائلا : أي نائمسا وقت الظهيرة .

(٢) أحمد فصحاء العرب وخطائهم ، وهو مشهور برواية
الأخبار ، وكان يجالس هشام بن عبد الملك ، وتوفي سنة ١٣٥ هـ .

فقال خالد : اتم عليكم نعمه ،
واحزل لديكم قسمة (٤) وأنس بكم
الغربة ، وفرح بكم الكربة .

فضحك هشام . وقال : ما رايت
كتخلصك يا بن صفوان في مدح
هؤلاء ووضعهم ، حتى أرضيتهم
جميعا وسلمت منهم .

« يوم القيامة »

حيء بأعرابي الى أحد الولاة
لمحاكمته على جريمة اتهم بارتكابها ،
فلما دخل على الوالي في مجلسه ،
أخرج كتابا ضمنه قصته ، وقدمه
له وهو يقول :

« هاؤم القراوا كتابيه » .

فقال له الوالي : انما يقال هذا
يوم القيامة .

فقال : هذا والله شر من يوم
القيامة . . ففي يوم القيامة يؤتى
بحسناتي وسيناتي ، أما أنتم فقد
حُتِم بسيناتي وتركتم حسناتي !

عبد الحفيظ محمد عبد العظيم

فقال : اما أعظمهم فضيلا ،
وأبعدهم ذكرا ، وأحسنهم عذرا ،
وأسيرهم مثلا ، وأقلهم غزلا ،
وأحلامهم غلا ، الطامى (١) اذا
ذخر ، والهامى اذا زار ، والسامى
اذا خطر ، الذى ان هدر (٢) قال
وان خطر صال ، الفصيح اللسان ،
الطويل المنان ، « فالتزددق » .

واما أحسنهم نعمتا ، وأمدحهم
بيتا ، وأقلهم قوتا ، الذى ان هجا
وضع (٣) وان مدح رفع فلا يخطئ .

واما أفزروهم بفسادا ، وأرقهم
شعرا ، وأهتكم لعدوه سترا ،
الأغر الأبلق ، الذى ان طلب لم
يسبق ، وان طلب لم يلحق ،
« فجرير » وكلهم ذكى الفؤاد ،
رفيع العماد ، وأرى الزناد .

فقال له ابن عبد الملك : ما سمعنا
بمثلك ياخالد فى الأولين ، ولا رأينا
فى الآخرين ، وأشهد أنك أحسنهم
وصفا ، وألينهم عطفيا ، وأعمهم
مقالا وأكرمهم لمالا .

(١) الطامى : من طمى الماء اذا ارتفع وملا النهر .

(٢) هدر البعير : ردد صوته فى حنجرته .

(٣) وضع : خفض .

(٤) القسم : جمع قسمة وهى الرق وما قسم .

باب الفتاوى

الأستاذ عبد الحميد شاهين

اللقيط في نظر الشريعة :

عنت الشريعة الإسلامية بالنظر إلى الأطلاق ، وعرض الفقهاء لنوع خاص منهم ، هو أجدرهم بالعناية ، نظرا لفقده من يموله ويتعهد من أب أو قريب ، وذلك النوع هو المعروف عند الناس باسم «اللقطاء» فعرّفوا اللقيط ، وبينوا أحكامه من جميع جهاته في بحث مستقل وتحت عنوان خاص هو باب « اللقيط » وقد عرفوه : « بأنه مولود حي ، طرحه أهله خوفا من الفقر أو فرارا من التهمة » . وهو تعريف يصور لنا شأن اللقيط باعتبار الأسباب التي تدعو غالبا إلى نبذه وطرحه ، وأنها لا تكاد تخرج عن أمرين : أما الخوف من الفقر وعدم القدرة على تربيته والاتفاق عليه ، وأما الخوف من تهمة العرض .

س : من المشاكل التي لا يخلو منها مجتمع ولها آثار سيئة تهدد المجتمع في سعادته واطمئنانه اذا تركت دون حل مشكلة « الأطلاق اللقطاء » ..

ماذا يفعل باللقيط ؟ وماذا يجب على الملتقط ؟ وعلى من يكون الاتفاق عليه وتربيته وتهذيبه ؟ ومنها مشكلة « التبني » ولا سيما أن بعض المسلمين يفتنون بما يجري في المجتمعات الغربية من اعتباره أمرا مشروعاً والتزاماً واجب النفاذ ..

فهل يجوز التبني ؟ وما هي الآثار التي تترتب عليه ؟

ج : تحت عنوان « في اللقطاء والتبني » يجيب فضيلة الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله في كتابه الفتاوى عن ذلك فيقول :

يمتد أنه ليس ابن غيره ، ثبت
نسبه ، حفظ لكرامته ، واعزازا له
بين أمته باتسابه الى أب معروف ،
ومتى ثبت نسبه ثبت له جميع
حقوق البنوة ، من نفقة وتربية
وميراث ، أما اذا لم يدع أحد
نسبه فانه يظل بيد الملقط ، تكون
له ولايته ، وعليه تربيته وتثقيفه
بلعلم النافع في الحياة ، أو الصنعة
الكريمة المثمرة ، حتى لا يكون
عالة على الأمة ، ولا منبع شقاء
للجنس ، ونفقته في هذه الحالة
واجبة على بيت المال ، ينق عليه
وهو في يد الملقط ، ويكون الملقط
مسئولا عنه في كل ما يحتاج وينفقه
من عمل وتوجيه .

وقد ورد عن عمر رضي الله عنه
أنه قال لمن التقط طفلا : « لك
ولاؤه وعلينا نفقته » وكان يفرض
له من النفقة ما يصلحه ويقوم
بشأه ، ويمطيه لوليه كل شهر ،
ويوصى به خيرا .

ومع هذا قرر الفقهاء أن الملقط
اذا كان سيئ التصرف ، لا يهتدى
الى وجوه التربية المثمرة ، أو كان
غير أمين على ما يعطى من نفقته ،

وقد قرروا أن أخذه والتقاطه
واجب على من يجده ، لأنه أحياء
لنفس صار لها حظ في الوجود ،
ويرجى أن يكون لها نصيب في
الحياة ، والله سبحانه وتعالى يقول :
« ومن أحيائها فكأنما أحيانا الناس
جميعا » والواقع أن تركه - مع
القدرة على التقاطه وأخذه - تضييع
له وقضاء عليه .

وهذا القدر كاف في تحقق
مسئولية التقصير في حفظ حياة
الحى ، وهى مسئولية تدخل في
حو المسئوليات الجنائية في نظر
الشرائع والقوانين .

ومن هنا قال الفقهاء - ترغيبا في
التقاطه وتحذيرا من تركه -
« مضيقه آثم ، وأخذه غانم »
وكيف لا يكون أخذه واجبا وغنما
وتركه محرما واثما ، وقد دل تاريخ
الملقطاء على أن فيهم من يختصه الله
يكثر من فضله ، فيقود الأمم ،
ويرشد الناس الى الخير والصلاح .

نسب اللقيط ونفقته :

وافق أهل الفقه أنه اذا ادعى
نسب اللقيط رجل مسلم ، وهو

وجب نزعها من يده ، ويتولى الحاكم عندئذ تربيته والاشراف عليه ، كما يتولى رزقه ونفقته .

واجب الجماعة للقيط :

ولم يقف الفقهاء عند هذا الحد في تمهيد طريق الحياة للقيط ، ووسائل العناية بتربيته والاتفاق عليه ، بل قدروا خلويته المال عن سداده حاجة القيط ، وتمنوا الاتفاق عليه من جهة ولى الأمر وعجزه عن القيام بشأنه . . قدروا ذلك وقرروا أنه يجب فى تلك الحالة على جماعة المسلمين أن يتعاونوا على البر به والاتفاق عليه ، ويكون ذلك من الشئون الخيرية العامة التى رغب القرآن فى التعاون عليها وحسب فيها ، وأنكر على المتخاذلين عنها «وتعاونوا على البر والتقوى» (١) «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً» (٢) «أرايت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين» (٣) «كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تعاضون على طعام المسكين» (٤) .

ولا شك أن اللقيط قد جمع معانى اليتيم والمسكن والأسير ، فهو يتيم فقد أباه ومن يرعاه ، ومسكين أسكن فى التراب وفى الزقاق وفى الشواطىء . وأسير شد وثاقه ، وكبت حياته . وعقدت عليه سبلها . فهو إذن أحق بالمعطف والرعاية ، والحض على أطعامه من كل ذى حاجة سواء ولا يبعد أن يكون لهذه الآيات الكريمة أثر كبير فى توجيه أهل الخير الى تأليف جمعيات الطفولة المشردة ، ومدها بوسائل الحياة لايوائها والعناية بها .

التبني فى نظر الشريعة :

هذا ما قرره فقهاؤنا أخذاً من قواعد الشريعة وروحها بالنسبة للقطاء .

أما التبني فينبغى لمعرفة حكم الشريعة فيه أن له فى معناه صورتين : احدهما أن يضم الرجل الطفل الذى يعرف أنه ابن غيره الى نفسه . فيعامله معاملة الأبناء من جهة المعطف والاتفاق عليه ، ومن جهة التربية والعناية بشأنه كله ،

(١) الآية ٢ من سورة المائدة . (٢) الآية ٨ من سورة النور .

(٣) أول سورة الماعون . (٤) الايتان ١٧، ١٨ من سورة الفجر

وليس ولدا له ، ينسبه الى نفسه
نسبة الابن الصحيح ، وثبت له
أحكام البنوة ، من استحقاق ارثه
بعد موته وحرمة تزوجه بحليته .
وهذا شأن كان يصرفه أهل
الجاهلية ، وكان سببا من أسباب
الارث التي كانوا يورثون بها ، فلما
جاء الاسلام - وبين الوارثين
والوارثات بالعناوين التي قررها
سببا في استحقاق الارث - أسقطه
من أسباب التوارث ، وحصرها في
البنوة والأمومة والزوجية والاخوة
والأرحام على ترتيب بينهم «وأولوا
الأرحام بعضهم أولى ببعض في
كتاب الله» (١) .

ولم يقف الاسلام في ابطال آثار
التبني الجاهلي عند حد اسقاطه
من أسباب الميراث ، بل صرح
ببطلانه ، وأهدر آثاره ، وأرشد
نبيه الى التمسك بالواقع الصحيح ،
وقد جاء ذلك في قوله تعالى :
« وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم
قولكم بأفواهكم والله يقول الحق
وهو يهدي السبيل ، ادعوهم لأبائهم

دون أن يلحق به نسب ، فلا يكون
ابنا شرعيا ، ولا يثبت له شيء من
أحكام البنوة ، والتبني بهذا المعنى
منيع يلجأ اليه بعض أرباب الخير
من الموسرين الذين لم ينعم الله
عليهم بالأبناء ، ويرونه نوعا من
القربة الى الله بتربية طفل فقير ،
حرم من عطف الأبوة ، أو حرم من
قدرة أبيه على تربيته وتعليمه ، ولا
رب أله عمل يستحبه الشرع ،
ويدعو اليه ويشيب عليه .

وقد فتحت الشريعة الاسلامية
للموسر في مثل تلك الحالة باب
الوصية ، وجعلت له الحق في أن
يوصي بشيء من تركته بسد حاجة
الطفل في مستقبل حياته ، حتى
لا تضطرب به المعيشة ، ولا تقسو
عليه الحياة .

التبني المظهور :

أما الصورة الثانية ، وهي المفهومة
من كلمة « تبني » عند الاطلاق ،
وفى عرف الشرائع ومتعارف
الناس ، فهي أن ينسب الشخص
الى نفسه طقلا يعرف انه ولد غيره

طلب منه أن يتزوج بحليلة متبناه زيد بن حارثة ، وقد اتفق في ذلك الوقت أن زيدا كان قد طلقها ، وقد جاء ذلك في قوله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا فضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا » (١) . وبذلك بطل هذا النوع من التبني ، وصار محرما على المسلم أن يلحق بنسبه الطفل الذي يعرف أنه ابن غيره وليس ابنا له ، عرف أباه أم لم يعرفه .

ابطال هذا التبني :

ولعل من واجب المسلمين أن يعرفوا الحكمة في ابطال هذا النوع من التبني ونزول القرآن بانكاره وتحريمه وابطال آثاره ليتبين لهم مقدار حذب الشريعة الاسلامية على صون الانسان وحفظ الحقوق الاسرية ، التي ارتبطت في التشريع الاسلامي بجهات القرابة ذات العماد الواقعي بين الوارثين ومورثهم .

هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم » (١) .

زيد بن حارثة :

وقد تبني النبي صلى الله عليه وسلم - على ستة العرب وقبل التشريع - زيد بن حارثة وكان يدعى : زيد بن محمد ، وحسبما طلبه أبوه وأهله من النبي صلى الله عليه وسلم وكل النبي الأمر الى اختيار زيد ، فأثر زيد أبوة النبي على أبوة أبيه ، ورضى الجميع بذلك ، وانصرفوا عنه ، وتركوه متبني تبني الرسول فـرحين مسرورين .

فلما جاء القرآن بابطال التبني أمر الله نبيه أن ينفذ بنفسه تطبيق ذلك التشريع الجديد في متبناه ، ليكون ذلك عند الأمة باعشا على الامتثال والمصارعة الى القبول ، دون تحرج من ترك ما ألفوا .

أمر الله نبيه بتنفيذ التشريع الجديد واهدأ السنة السابقة فيما يختص بالتبني ، وفي سبيل ذلك

(١) الايتان ٤ ، ٥ من سورة الاحزاب .

(٢) الآية ٣٧ من سورة الاحزاب

الدعى الذى تبناه وضع به حقهم
فى التركة .

هذا ، وقد قال بعض العلماء
اجمالا لتلك الحكمة : لو فتح
باب الالتقاء مسن الأب لأهملت
المصالح ، ولاخلطت الأنساب ،
ولضاعت حكمة الله فى جعل الناس
شعوبا وقبائل .

وبعد :

فهذا هو الوضع الشرعى لمن يريد
أن يقرب الى ربه بضم ابن غيره
اليه : يرييه وينفق عليه ويوصى
له . دون أن ينسبه الى نفسه ،
ويجعله ابنا يرثه وتعلم عليه
حليلته .

وداك هو الوضع الآخر الذى
يسقته الله ويشكره : ينسب ولد غيره
اليه ، ويثبت له حقوق البنوة
الصادقة ، ويمنع به المستحقين
حقوقهم . .

وأرجو ألا يختلط أحد الموضعين
بالآخر عند من يريد التبني ممن
يؤمنون بالله وشرعه . . آمين .
والله أعلم . .

عبد الحميد شاهين

وليس من ريب أن فى هذا التبني
حرمان الأب الحقيقى المعروف من
أن يتصل به نفيه المتولد منه .
المنسوب اليه فى الواقع وفيما يعلم
الله والناس ، وفيه ادخال عنصر
غريب فى نسب المتبنى ، يدخل
على زوجته وبناته باسم البنوة
والاخوة ، ويمارهن على أساس
منهما وهو أجنبى عنهما ، لا يباح
له منهن ما يباح للابن أو الأخ
الحقيقى لهن . وبقدر ما تتركز
هذه البنوة الكاذبة فى هذه الأسرة
فإن البنوة الحقة ، فى الأسرة الحقة
تسير الى الفناء والمحو والزوال ،
وبذلك تضيع الأنساب ، ويختل
نظام الأسرة .

وفيه وراء ضياع الأنساب
واختلال نظام الأسرة - تضييع
لحقوق الورثة الذين تحقق سبب
ارثهم الشرعى من الأب الكاذب
(المتبنى) فلا ترث اخوته ولا
أخواته لوجود الابن « الزور »
الذى منع بينوته الكاذبة ارثهم
الشرعى . وبذلك تقع العداوة
والبغضاء بينهم وبين مورثهم ، بهذا

كتاب الشهر

الكون بين العلم والقرآن

الدكتور منصور محمد عيسى النبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

واعجاز علمى بالغ يوقظ عقل
الإنسان فى رفق ويسر ، ويخاطب
كل البشر على اختلاف مستوياتهم
العقلية والعلمية بحيث يستطيع كل
إنسان أن يستوعب هذه الحقائق
بالقدر الذى يتسع له عقله وزماته ،
ولهذا أردت أن أقدم لكم اليوم
عرضا لبعض الآيات الكونية
الكريمة فى القرآن الكريم ، والتي
تعرض للحقائق الكونية التى
اكتشفت حديثا كالذرة ، والمادة ،
والطاقة ، والجاذبية ، والنسبية ،
والفضاء ، وليسمع ويرى غير
المؤمن أن القرآن معجزة الله
الخالدة التى لا يقف اعجازها عند
عصر معين ولا تحددها ثقافة معينة .
كما أرجو أن تفسح الجامعات

يسعدنى أن ألتقى بحضراتكم
ونحن والعالم الإسلامى على أبواب
القرن الخامس عشر الهجرى ،
فى موضوع هام فى هذا العصر
عصر الذرة والفضاء والنسبية وهو
موضوع « الكون بين العلم
والقرآن » (*) .

وبهذا أتحدث اليكم بلغة العصر
« عصر العلم » حتى يدرك كل
إنسان عظمة الكون وعظمة القرآن
الكريم . وإن القرآن الكريم كتاب
الله خالق هذا الكون . وإن
محمدا رسول الله إلى البشرية
كلها .

ولقد أحسست أن الحديث عن
الكون فى القرآن الكريم يكاد
لا يتوقف وفى أسلوب رائع

* أقيمت هذه المحاضرة فى الموسم الثقافى بجامعة أم درمان الإسلامية
فى ١٩٨٠/١/٢٠ م وفى الموسم الثقافى لجامعة عين شمس فى
فى ١٩٨٠/٣/١٠ .

الله ، وتحرك عقولنا نحو ثلاث حقائق أساسية هي :

١ - قدرة الله : من خلال دراسة الكون، فتكشف لنا قدرة الله اللانهائية .

٢ - وجود الله : من خلال النظام في الكون . لأن النظام لا بد له من منظم .

٣ - وحدانية الله : من خلال التشابه والتماثل في الكون . مما يدل على وحدانية الخالق .

والكون كتاب الله المفتوح الذي يشمل كل شيء في السماوات والأرض وما بينهما ، وكلمات الله في الكون لا تعد ولا تحصى . وصدق الله العظيم في قوله تعالى :

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ، ولو جئنا بمثله مددا » (الكهف ١٠٩) .

حقا ان ما نعلمه عن الكون بفضل الاكتشافات العلمية لا يزال ضئيلا بالنسبة الى ما لا نعلمه أو

الاسلامية في العالم الاسلامي صدرها لاطهار الاعجاز العلمي للقرآن تيسيرا للدعوة الى دين الله في هذا العصر .

فالاعجاز العلمي لا يجروؤ أى مكابر أو ملحد أن يجد موضوعا للتشكيك فيه . فالحقائق العلمية الكونية الثابتة التي لم يعرفها الناس الا في هذا القرن والتي ذكرها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا ، سوف تعطى دليلا محسوسا على أن خالق الكون هو منزل القرآن الكريم . وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » (يوسف ١٠٥)
وقوله تعالى :

« مشرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » (فصلت ٥٣)

حقا ان دراسة الكون تكشف لنا النقاب عن العديد من آيات

ونيزك ، وجسيمات دقيقة مجهرية لا حصر لها من الغاز والتسراب الكونى والأشعة الكونية والاشعاعات الضوئية المرئية وغير المرئية. ولهذا علينا أن ن فكر بمقياس اللانهاية بالنسبة لعنق الكون ونفكر أيضا - بما يساوى بلايين السنين بالنسبة لعمر الكون - وعلينا أن نعلم أيضا أن أساس الكون هو الذرة بما فيها من مادة وطاقة . ولهذا فسوف أبدا جولتى هذه من الذرة الى المجرة ، أى من المستوى المتناهى فى الصغر الى المستوى اللانهائى فى الكبر .

اولا - الذرة والكون :

لقد أعلن الفيلسوف ديمقراط عام ٤٥٠ قبل الميلاد أن الكون يحتوى على عدد لا حصر له من جسيمات متناهية فى الصغر تدعى الذرات . وأن الذرة لا تنقسم لأنها الشيء الصغير جدا الذى لا يتجزأ . ولقد سادت هذه الفكرة حتى وقت قريب ، فقد أعلن دالتن عام ١٨٠٢ م النظرية الذرية التى تنص على أن الذرة أصغر شيء مادى فى الوجود وأنها لا تنقسم .

لا نستطيع تعريفه أو تحليله . اننا ما زلنا نقف على حافة المجهول فى الكون الفسيح رغم ما وصلنا اليه من علم فى القرن العشرين . وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (الاسراء ٨٥) .

ان محيط الكون ملئ بالمعرفة . وسوف أقلب فقط فى الأصدا ف الموجودة على شواطئ الكون بينما محيط الكون ملئ باللاى . اننى اعتبر قصى كالأحد المازفين على احدى الآلات النحاسية المتواضعة وأنا أشارك فى عرض سيفونية الكون الرائعة .

ولست أدري ! بماذا أبدا ؟ وكيف أتهى ؟

فالكون اتساع خيالى تسبح فيه بلايين المجرات أو الجزر الكونية ، وكل مجرة تحتوى على مئات البلايين من الشمس أى النجوم ، وهذه النجوم يدور حول معظمها كواكب وكسويكبات وأقمار ومذنبات ، ويسبح فى فضاءها شهب

ولقد ثبت حديثاً أن كتلة الذرة كسر من مليون بليون بليون من الجرام ! لدرجة أن المستيتر المكعب من النحاس مثلاً يحتوى على مائة ألف بليون بليون ذرة ! وأن الذرة رغم صغرها هذا تحتوى على جسيمات أصغر كالإلكترون والبروتون ، وقد تم اكتشافهما فى مطلع هذا القرن • كما تم العثور على جسيم متعادل يدعى النيوترون داخل نواة الذرة فى عام ١٩٣٢ م • ومنذ ذلك الحين توالى اكتشافات الجسيمات دون الذرية المستقرة وغير المستقرة مثل النيوترونات ، والميزون ، والهيرون • كما يتوقع العلماء فى المستقبل اكتشاف جسيمات أخرى دون ذرية مثل الكوارك والجرافيتون !

ولقد اتضح حديثاً أن النظام الشمسى للذرة الذى يعتبر الذرة مكونة من نواة تدور حولها الإلكترونات تماماً كالشمس تدور حولها الكواكب ما هو الا نظام شامل فى هذا الكون ، فالأقمار أيضاً تدور حول كواكبها، والنجوم

وفى عام ١٩١٢ م اكتشف رذرفورد أن الذرة يمكن أن تنقسم الى ما هو أصغر منها ، فالذرة تتركب من نواة موجبة الشحنة تحتوى على البروتونات ويدور حولها الكيترونات سالبة الشحنة، تماماً كالكواكب وهى تدور حول الشمس •

ولقد تعرض القرآن الكريم لهذه الحقيقة حيث أشار الله سبحانه وتعالى بأن السموات والأرض تتكون من ذرات لها ثقل معين صغير جداً • ورغم صغر مثقال الذرة فإن هناك ما هو أصغر من الذرة كما يتضح من الآيات الكريمة التالية •

« وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين » (يونس ٦١) • وقوله تعالى :

« عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين » (مباء ٣) •

فما هي هذه الأزواج يا ترى
على المستوى الذري ؟ سوف
تندهش عندما أقول لك أن علماء
الطبيعة قد اكتشفوا منذ سنوات
قليلة أنواعا مختلفة من الجسيمات
الذرية المضادة تماما كما اكتشف
الإنسان صورته في المرآة ؛
فالإلكترون السالب له ضديد
يدعى البوزيترون (اليكترون
موجب) ؛ والبروتون الموجب له
ضديد يدعى البروتون السالب ؛ ،
وحتى النيوترون المتبادل له ضديد
يدعى النيوترون المضاد بعزم
مغناطيسي معاكس ، ولقد أصبح
علماء الطبيعة الآن يبحثون عن
الجسيم المضاد اذا اكتشفوا أى
جسيم جديد ؛ ومن خواص
الجسيمات المضادة أنها تفنى سريعا
فور تقابلها مع الجسيمات العادية
المنافرة لها لتحولهما معا الى طاقة
وذلك فى عملية افناء خفية معروفة
لدى علماء الطبيعة بل وتخصصت
معاهد كثيرة فى جميع أنحاء العالم
لدراسة المادة والمادة المضادة .
ويتوقع العلماء أن ذرة المادة المضادة
لا تختلف فى صفاتها الطبيعية

تدور حول مركز مجراتها ، وكل
جرم فى الكون يدور حول نفسه
وحول شئ آخر ، انه نظام الخالق
الواحد الأحد . وصدق الله
العظيم بقوله تعالى :

« وكل فى فلك يسبحون »
(يس ٤٠) .

فهل عرفنا نحن المسلمين حكمة
الطواف حول الكعبة . انها الدوران
الذى يمثل سنة الله فى الكون .
وتسبيح للمولى عز وجل بأسلوب
يمثل الظاهرة التى فطر الله عليها
الكون كله . وبهذا فان الطواف
رمز لسر عظيم . وحكمة افرد
بها الاسلام من بين الأديان كلها .

ولقد تعرض القرآن الكريم
لحقيقة علمية هامة أخرى بقوله
تعالى :

« ومن كل شئ خلقنا زوجين
لعلكم تذكرون » (الذاريات ٤٩) .
وقوله تعالى :

« سبحانه الذى خلق الأزواج
كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم
ومما لا يعلمون » (يس ٣٦) .

القرآن الكريم قد أشار الى فناء الكون بزوال السماوات والأرض اذا تغير نظام هذا الكون بإرادته سبحانه • كما أشار الى عجز جميع الكائنات عن منع هذا الفناء عند حدوثه : بقوله تعالى :

« ان الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده » (فاطر ٤١) •

وقوله تعالى :

« واذا السماء كشطت » (التكويد ١١)
وقوله تعالى :

« يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار » (إبراهيم ٤٨) •

فتأمل معى هذه الآيات واعلم أن زوال السماوات والأرض واعادة تشكيلها حدث حقيقى يعترف به العلم الحديث كما فى تحول المادة الى طاقة وتحول الطاقة الى مادة طبقا لقانون أينشتين •

كما أن وجود المادة والمادة المضادة أمر منطقى فلا تستعجب

والكيميائية عن ذرة المادة العادية ، واحدهما صورة معكوسة للآخرى • ولا يمكن التمييز بينهما الا اذا تقابلا فتحدث الكارثة بفنائهما وتحولهما الى طاقة فى شكل أشعة غير مرئية تدعى أشعة جاما ؛

ولقد كان لهذه الاكتشافات الحديثة لنظام الأزواج على المستوى الذرى الفضل فى محاولة تفسير بعض الظواهر الكونية الغامضة • فلقد أعلن الدكتور تريون عام ١٩٧٣ أن الكون كله قد نشأ من طاقة تحولت بدورها الى نوعى المادة بحيث أن كمية المادة فى الكون لا بد وأن تساوى كمية المادة المضادة وبحيث يظل النوعان متباعدين بدليل تباعد النجوم والمجرات عن بعضها بمسافات خيالية شاسعة ، وهذا التباعد ضرورى حتى يمنع تلاقى المادة مع المادة المضادة وبالتالي يمنع فناء الكون وزواله ؛

واذا فكرنا نحن المسلمين فى هذا الموضوع الخطير نجد أن

لذرات الأرض ، كما أن الاشارات الراديوية القادمة من الفضاء الكوني تدل على وجود غاز الايدروجين كغاز كوني شامل علاوة على مركبات عضوية وبخار ماء ثم اكتشافها عام ١٩٧٠ في السحب الباردة بين بعض نجوم مجرتنا والمجرات الأخرى مما يشير الآن احتمالات الحياة على كواكب أخرى تابعة لنجوم أخرى غير الشمس .

٤ - العينات التي أحضرها رواد الفضاء من على سطح القمر تتكون جميعها من نفس عناصر الأرض وبها نسبة عالية من الزجاج ؛

ولقد أشار القرآن الكريم الى وحدة المادة بين السموات والأرض في اعجاز علمي بقوله تعالى :

« أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي » (الأنبياء ٣٠) .

ولقد أعلن جامو (الروسي) عام ١٩٤٨ نظريته عن نشأة الكون التي تلخص في أن الكون كان في

ولا تندهش فلولا المادة والمادة المضادة ولولا الموجب والسالب ولولا التفضيلة والرديلة ولولا الخير والشر ولولا العدل والظلم لما كان الكون ولما كانت الدنيا ؛ وسبحان الخالق الواحد القهار .

وقد تسأل بصرف النظر عن المادة المضادة . هل العناصر الموجودة في الأرض هي نفسها العناصر الموجودة في السموات ؟ وللإجابة على هذا السؤال أوجز فيما يلي النتائج التي توصل اليها العلم الحديث وأبحاث الفضاء عن هذا الموضوع :

١ - التحاليل الكيميائية للنيازك التي قد تصل الى الأرض من السماء تدل جميعها على أن عناصرها من نفس عناصر الأرض .

٢ - التحليل الطيفي للضوء القادم إلينا من الشمس والنجوم أثبت وجود عناصر نعرفها في الأرض في هذه الأجرام السماوية .

٣ - الأقمار الصناعية وسفن الفضاء أثبتت أن السماء تمتج بالأشعة الكونية التي تتكون من نوى ذرات خفيفة وثقيلة منافرة

ويطىء تدرجيا ، وفى المستقبل سوف تسيطر الجاذبية على تأثير التمدد ويبدأ الكون فى الانكماش حتى يصل فى النهاية الى حيث بدأ • وتشير الآية الكريمة التالية الى هذا المعنى بقوله تعالى :

« يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين » •
(الانبياء ١٠٤) •

ولقد اختلف العلماء فى تقدير عمر الكون وتوقع القرآن الكريم هذا الخلاف كما فى قوله تعالى :

« ما أشهدهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم » •
صدق الله العظيم

ثانيا - الجاذبية والنسبية والكون :
الجاذبية العامة ظاهرة كونية اكتشفها نيوتن عام ١٦٨٧ م حيث أعلن أن كل شيء فى الكون يجذب كل شيء آخر فى الأرض أو فى

الأصل كتلة واحدة عظمى متماسكة تسمى البيضة الكونية ، وان هذه البيضة انفجرت عند نشأة الكون وتجمعت شظاياها لتكوين النجوم والمجرات فى أنحاء متفرقة متباعدة •

كما أعلن هبل بعد قياسات (١) بدأت منذ عام ١٩٢٩ وحتى الآن عن تباعد المجرات عن بعضها مما يوحى بأن الكون مازال يتمدد ويتسع منذ الانفجار الكونى العظيم عند نشأة الكون • ويشير القرآن الكريم أيضا الى هذه الظاهرة بقوله تعالى :

« والسماء بيناها بأيدى وانا لموصعون » (الذاريات : ٤٧) •

كما أعلن تالمان حديثا أن تمدد الكون حاليا ما هو الا حالة مؤقتة ستبمها تقلص مابرا بدورات متتالية من التمدد والانكماش •

فالكون الآن فى حالة مستمرة من التمدد الذى بدأ باشجار كبير

(١) تعتمد هذه القياسات على ظاهرة تدعى ظاهرة دوبلر لازاحمة الطيف . وقد لوحظت الإزاحة الحمراء فى طيف المجرات مما يدل على تباعدها عن بعضها •

السماء فالشمس تجذب الأرض ،
والأرض تجذب القمر ، وتجذب كل
ما عليها ، مع ملاحظة أن الجذب
متبادل بين الأشياء

وأن الجاذبية حقيقة علمية كونية
بل قانون عام ^(١) موجود في
طبيعة الأشياء ويعمل في صمت
في الأرض والسماء . وعلى قدر
ضائلة قوة الجاذبية على الأرض
فهى جبارة عارمة فى السماء حيث
الكتل عظيمة هائلة تماسك رغم
تباعدها بفضل قوة الجذب التى
تمسك أجرام السماء وتمنعها من
الانقراض لأن مدبر الكون لم يشأ
بعدها لها اضطرابا . حقا ان قانون
الجاذبية قانون المدبر الأعظم .
قانون الله الواحد الأحد الذى رفع
السموات بغير عمد وصدق سبحانه
بقوله تعالى : « ويمسك السماء
أن تقع على الأرض الا باذنه ان
الله بالناس لرؤوف رحيم »
(الحج ٦٥) .

وقوله تعالى :

« الشمس والقمر بحسبان ،
والنجم والشجر يسجدان والسماء
رفعها ووضع الميزان » (الرحمن
٥ - ٧) .

وقوله تعالى :

« الله الذى رفع السموات بغير
عمد تزونها ، ثم استوى على العرش
وسخر الشمس والقمر ، كل يجري
لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل
الآيات لعلكم توفقون »
(الرعد ٢) .

حقا انه ميزان الهى محسوب
بدقة متناهية ، لأن قانون الجاذبية
يرغم الأجرام السماوية على
الدوران .

« وكل فى فلك يسبحون » .
وعند الدوران تتولد قوة تدعى
القوة المركزية الطاردة خارج مركز
الدوران لتتوازن تماما مع قوة
الجاذبية التى تشد الجسم الدائر
نحو مركز الدوران . ولولا هذا

(١) قوة الجاذبية بين اى كتلتين فى الوجود = ثابت الجذب العام ×
الكتلة الاولى × الكتلة الثانية
مربع المسافة بينهما

بسبب كثرة تصادمات المادة عند تجاذبها ويبدأ بذلك التفاعل النووي في باطن النجم فتولد الطاقة التي تؤدي الى استقرار حجم النجم وكتلته في مرحلة تدعى مرحلة الشباب حيث تتزن قوة الجاذبية التي تشد جميع مادته نحو المركز مع قوة الضغط الاشعاعي والحرارى خارج المركز . وعندما تنتهى التفاعلات النووية تغلب الجاذبية وبذلك ينكمش النجم متحولاً الى قزم أبيض أو نجم نيوترونى أو ثقب أسود حيث ينكسر النجم نهائياً ويموت . ويشير القرآن الكريم الى هذه الحقيقة الكونية التى اكتشفها العلم الحديث (١) بقوله تعالى :

« اذا الشمس كورت ، واذا
النجوم انكدرت » « التكوير
١ - ٢) »

وقوله تعالى :

« والنجم اذا هوى »
(النجم ١) »

الدوران لو قمت الأرض على الشمس ولوقع القمر على الأرض ؛ ولولا التوازن بين القوتين لما استقرت الاجرام فى مداراتها فى هذا الكون ؛

ولقد استخدم علماء الفضاء هذه الظاهرة الكونية لاطلاق الأقمار الصناعية وسفن الفضاء فى مداراتها بسرعة معينة بحيث تتزن قوة الجاذبية مع القوة المركزية الطاردة . ومن الطريف أن أقمار الاتصالات اللاسلكية تبدو للمراقب لها من الأرض كأنها معلقة ثابتة فى السماء نظرا لدورانها حول الأرض بسرعة تعادل سرعة دوران الأرض حول نفسها ؛

وتلعب الجاذبية دورا هاما فى الكون كله . وعلى سبيل المثال فان النجوم تولد وتموت بسبب الجاذبية . فعندما يولد النجم تتجمع مادته بفعل الجاذبية من الغاز والتراب الكونى وتتراكم تدريجيا فترتفع درجة حرارة النجم

(١) يتوقع العلماء تكور الشمس الى الخارج وتحولها الى عملاق احمر عند شيخوختها ، ثم تكورها الى الداخل وتحولها الى قزم ابيض عند وفاتها .

١٩٦٧ وهو نجم منكش على نفسه
بالبجاذبية انكماشاً شديداً ويدور
حول نفسه مرة كل $\frac{1}{٣}$ ثانية
وبهذا يمت ببضات راديوية نتيجة
تسارع الاليكترونات الموجودة في
غلافه الكثيف. وأما الثقب الأسود
فقد تم اكتشافه عام ١٩٧١ برصد
أشعة اكس التي تصدر من مادة
نجم أزرق يدور بالقرب من هذا
الثقب الأسود الخفى وذلك أثناء
تسارع مادة هذا النجم بالبجاذبية
نحو الثقب الأسود الذى سيلتهم
حتما النجم المذكور. وسبحان الله
نجم صغير منكش ميت يلتهم هذا
النجم الكبير الشاب ؛ * ان الثقوب
السوداء (١) تلتهم بفضل جاذبيتها
الخارقة كل ما يقترب منها من
غازات واشعاعات وأتربة كونية
ونجوم فهي تكس السماء أثناء
جريانها علاوة على اختفائها وعدم
صدور أى ضوء منها * وقد تشير
آية الكريمة التالية الى هذه
الحقيقة الكونية بقوله تعالى :

حقا ان النجوم تولد وتموت
وسبحان من له الدوام وصدق تعالى
بقوله :

« تبارك الذى بيده الملك وهو
على كل شئ قدير * الذى خلق
الموت والحياة ليلوكم أيكم أحسن
عملا وهو العزيز الغفور » (الملك
١ - ٢) *

حقا ان النجوم التي تراها في
السماء والتي تسطع بألوانها المختلفة
ما هي الا نجوم شابة باستثناء
النجوم العملاقة الحمراء والأقزام
البيضاء والنجوم التي تسطع رغم
وفاتها لأن الضوء الذى يملأ من
خبر وفاتها بآخر شعاع صدر منها
لم يصل الى بُعد نظرا لبُعد
المسافة عنا ؛

كما أن النجوم النيوترونية
والثقوب السوداء نجوم ميتة تم
الكشف عنها حديثا بواسطة الفلك
الراديو والأقمار الصناعية التي
تقيس الأشعة السينية * ولقد تم
كشف أول نجم نيوترونى عام

(١) الثقوب السوداء نجوم ميتة منكشة على نفسها وتمثل مقبرة في
السماء تجذب كل ما حولها ولا تسمح بهروب أى شئ منها حتى لو كان
ضوءا .

أرضيا بينما تساوى ٨٨ يوما
أرضيا لكوكب عطارد ، ٢٢٥ يوما
أرضيا لكوكب الزهرة ، ١١٩ سنة
أرضية لكوكب المشتري ، ٢٥٠ سنة
أرضية لكوكب بلوتو ، وقد
تندعش اذا علمت أن يوم مجرتنا
التي تتبع لها شمسا مقاسا بالفترة
التي تدور فيها المجرة حول نفسها
مرة واحدة يعادل ٢٥٠ مليون سنة
مما نعد على الأرض .

ولقد أشار القرآن الكريم الى
نسبية الزمن بقوله تعالى :
« وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون » (الحج ٤٧) .
وقوله تعالى :

« ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة
سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم
بما لبثوا له غيب السموات
والأرض » (الكهف ٢٥ ، ٢٦) .
وهذه اشارة الى أن ٣٠٠ سنة
ميلادية تعادل ٣٠٩ سنة هجرية على
الأرض . ونظرا لأن الزمن نسبي
فإن الآية تستطرد بعبارة : « قل
الله أعلم بما لبثوا » .
صلى الله العظيم .

« فلا أقسم بالخنس . الجوار
الكنس » (التكوين ١٥ - ١٦) .
وقوله تعالى :

« والسماء والطارق ، وما أدراك
ما الطارق . النجم الثاقب »
(الطارق ١ - ٣) .

حيث تصف هذه الآية النجم
بالطارق والثاقب معا . . والطارق
لفظ يوحى بالحركة ، والثاقب
لفظ يوحى بالنجم الذي يخترق
الفضاء الكوني أثناء حركته الجبارة
ويجمع بجاذبيته الشديدة كل ما
حوله وكأنه يثقب الفضاء الكوني .
واتقل الآن الى النظرية
النسبية :

لقد أعلن اينشتاين عام ١٩٠٥
أن الزمن نسبي وليس مطلقا . وأن
كل شيء متحرك يحصل زمنه معه ،
وهذا طبعا أمر بديهي ، فالزمن
مرتبط بالحركة أو المكان ، فلا
زمان بدون مكان ، ولا مكان
بدون زمان ، وعلى سبيل المثال
فالسنة الشمسية على الأرض ممثلة
في مدة دوران الأرض حول
الشمس تساوى ١/٤ ٣٦٥ يوما

زمنها الى مئات أو آلاف المرات اذا تحركت بسرعة قريبة من سرعة الضوء • ولهذا أدعوكم يا أخى المسلم أن تأمل الآيتين الكريمتين التاليتين :

« تخرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » (المعارج : ٤) •
وقوله تعالى :

« ثم يرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » •
(السجدة : ٥) •

وانكماش الزمن هنا واضح فى الآيتين • فالمروج فى الرحلة الأولى يتم فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة بينما المروج فى الرحلة الثانية يتم فى يوم كان مقداره ألف سنة • وليس هذا تعارضا على الإطلاق بل اشارة الى أن عروج الملائكة والروح يتم أسرع من المروج الآخر الخاص بالمخلوقات الأخرى ، وهذا على ما اعتقد أمر بديهى حيث تسبقنا الملائكة (١) •

ويا لروعة القرآن الكريم ، ودقة تعبيره واعجازه العلمى البالغ •

ولم يقف الاعجاز العلمى عند هذا الحد بل تطرق القرآن الكريم لتفاصيل النظرية النسبية كما يلى :

لقد أعلن اينشتين فى النسبية الخاصة أن الشئ المتحرك سواء كان مادة أو طاقة ينكمش زمنه بالنسبة للراصد الساكن • وخاصة عندما تقترب سرعة الشئ المتحرك من سرعة الضوء • وتوضح ذلك فإن الرحلة التى تستغرق آلاف السنين حسب الساعة الأرضية قد تدوم يوما واحدا بالنسبة لطاقم صاروخ منطلق بسرعة تقترب من سرعة الضوء • ويزداد انكماش الزمن بازدياد السرعة •

ولقد ثبتت صحة هذه النظرية فهناك جسيمات ذرية تطول أعمارها فى نظر راصدها نظرا لانكماش

(١) مصداقا لقوله تعالى : « وترى الملائكة حافين من حول العرش ، يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » •
(الزمر : ٧٥) •

والسلام كان يعرف النسيية قبل ظهورها ، وذلك في نظر أولئك الكفار الذين يدعون ظلما وبهتاناً أن القرآن الكريم من تأليف البشر ! !

ولقد ثبت فعلا أن الضوء ينحني في الفضاء وأن الاجرام السماوية تنحني في مسارها في الفضاء وأن المجرات كلها تتباعد عن بعضها كما لو كان الكون كله يتسع ويتمدد. وان الكون كروى يشبه البالون المستمر في الاتفاخ ويشير القرآن الكريم الى اتساع الكون وتمدده بقوله تعالى :

« والسماء بينناها بأيدينا
لومعون » (الذاريات ٤٧) •
ثالثا - الطاقة والكون :

لقد خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون من مادة وطاقة •

فالمادة قد تشع الطاقة كما في ضوء الشمس والنجوم ، وقد تحترق لتعطى الطاقة كسما في الخشب والفحم والبتروئ ، وقد تنحل اشعاعيا لتعطى الطاقة كما في

والعروج هنا مقصود به الصعود في مسار منحني وليس في خط مستقيم وقد فندهن عندما نعلم أن أينشتين قد أعلن في نظريته النسبية العامة عام ١٩١٦ أن الحركة في الفضاء الكوني لأي شئ سواء مادة أو طاقة تنسم في مسارات منحنية نظرا للجاذبية العامة !

فهل عرفت الآن لماذا يصبر القرآن الكريم دائما عن الحركة في الفضاء الكوني بكلمة عروج كما في الآيتين السابقتين والآيات الكريمة التالية التي تعرضت لأسفار الفضاء :

« ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون »
(الحجر ١٤)

وقوله تعالى :

« يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها » (سبا ٢)
فهل قرأ أينشتاين القرآن الكريم قبل أن يعلن نظريته النسبية أم أن سيدنا محمدا عليه الصلاة

عصر الفضاء نظرا لخطورتها على رواد الفضاء الذين يخترقونها ولهذا يجب عليهم تجنب المرور بها • كما أن الغلاف الجوي للأرض يقوم بامتصاص الأشعة غير المرئية والعالية الطاقة مثل الأشعة فوق البنفسجية والمينية وجاما ، فلا يصل إلينا منها إلا القليل علاوة على أن الغلاف الجوي يحرق ملايين الشهب التي تتحرك به أثناء هبوطها فلا تصل إلى الأرض • وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون » (الأنبياء ٣٢)

والشمس تعتبر المصدر الرئيسى للطاقة فى عالمنا • فهى حقا شجرة الطاقة التى تنفرد منها كل أنواع الطاقة التى نعرفها على الأرض • فالرياح تنشأ بتسخين سطح الكرة الأرضية بدرجات حرارة متفاوتة بواسطة أشعة الشمس • كما أن مساقط المياه تكون بسقوط الأمطار التى نشأت أصلا من تبخر مياه المحيطات والبحار بتأثير حرارة

المواد الذرية المشعة ولهذا فالكون يمج بالطاقة المرئية وغير المرئية • وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون » (الحاقة ٣٨ ، ٣٩)
وقوله تعالى :

« الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون » •
(النمل ٢٥)

فنحن نرى ضوء الشمس والنجوم بأعيننا وهو جزء ضئيل من طاقة النجوم التى تبعث بأشعاعات غير مرئية مثل الاشعاعات الراديوية ودون الحمراء والفوق بنفسجية والمينية وجاما علاوة على الجسيمات الذرية غير المرئية العالية الطاقة كالأشعة الكونية التى تتلا أرجاء الكون والتى يتم اصطياذ معظمها بفضل المجال المغناطيسى للأرض بدوران هذه الجسيمات فى أحزمة تحيط بالأرض (بعد الغلاف الجوى) تدعى أحزمة فان ألن الاشعاعية والتى تم اكتشافها فى

المسافة بسرعة قدرها ١٨٦٠٠٠ ميل / ثانية فيصل إلينا في زمن قصيره $8\frac{1}{3}$ دقيقة ضوئية . وأقرب النجوم إلينا بعد الشمس هو النجم العاقلطوروس الذي يبعد عنا ٢٦ مليون مليون ميل أى مايعادل ٤ر٤ سنة ضوئية^(١) ، وأما نجم الشعرى اليمانية ، وهو ظاهريا ألمع نجوم السماء فيبعد عنا ٩ سنوات ضوئية . ونجوم مجرة المرأة المسلسلة تبعد عنا ٢٣٥ مليون سنة ضوئية ويمكن رغم هذا رؤيتها بالعين المجردة . فما بالك بالنجوم التي أمكن رصدها بالتلسكوبات الحديثة (مثل تليسكوب بالومار في أمريكا) والتي تبعد عنا أكثر من مليون سنة ضوئية . وما بالك بالتلسكوبات الراديوية التي تمكنت حديثا من رصد نجوم تبعد عنا عشرة بلايين سنة ضوئية .

ولقد اتضح أن جميع النجوم ليست ثابتة كما تبدو في السماء ولكنها تتحرك وتجرى بسرعات جبارة لا نستطيع ادراكها ظهرا لبعدها عنا .

الشمس . كما أن الخشب والفحم والبترول أصلها نباتات أو حيوانات قديمة نمت وعاشت بفضل الشمس والطاقة الكهربائية من الدينامو تتولد من مصادر أصلها الشمس كالبترول أو مساقط المياه أو الطاقة الذرية . والطاقة الذرية تنشأ من مواد مشعة موجودة بالأرض وتم طبخها منذ بلايين السنين في باطن الشمس . فهل اقتنعت الآن أن الشمس هي شجرة الطاقة في عالمنا . وصدق الله العظيم بقوله تعالى :

« أفرايتم النار التي توردون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين . سبح باسم ربك العظيم . فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » (الواقعة ٧١ - ٧٦)

حقا ان الشمس شجرة الطاقة . وان الشمس نجم من النجوم . وان مواقع النجوم شيء مذهل ؛ فالشمس تبعد عنا مسافة قدرها ٩٣ مليون ميل ؛ ويقطع الضوء هذه

(١) السنة الضوئية = ٦ مليون مليون ميل = ٩٥ مليون مليون كيلو متر .

والشمس كما نعلم نجم من ١٣٠ بليون نجم في مجرة مسكة الثبانة. وهي إحدى مجرات الكون العظيم الذي يحتوى على أكثر من ٢ بليون مجرة !

والشمس كتلتها ٢ بليون بليون بليون طن أى ما يعادل كتلة ٣٣٣٤٠٠ كرة أرضية مثل أرضنا . وحجمها قدر حجم الأرض أكثر من مليون مرة ، ودرجة حرارة سطحها ٦٠٠٠° م بينما باطنها أتون قسدر العلماء حرارته بأكثر من ٢٠ مليون درجة مئوية . وتنشأ الطاقة من اختفاء المادة وليس احتراقها . حيث يتحول الايدروجين بالاندماج النووي الى هيليوم على حساب النقص فى الكتلة بمعدل يصل الى ٤ مليون طن فى الثانية !

وطبقا لهذه الأوصاف العلمية التى تفيد بأن الطاقة بالشمس طاقة نووية اندماجية وليست طاقة احتراق بمعنى أن الشمس ليس بها النار التى نعرفها والا لما دامت بلايين السنين . وطبقا للتقارير الواردة بواسطة رواد الفضاء عن

ولكن العلم الحديث قد اكتشف هذه الحركة بملاحظة الازاحة الناشئة فى طيف هذه النجوم . ولقد ثبت فعلا أن للشمس مثلاً عدة تحركات مثل :

١ - دوران الشمس حول نفسها مرة كل ٢٧ يوما .

٢ - الشمس تجرى ومعهها مجموعتها الشمسية ونحن طبعاً معها بسرعة فائقة قدرها ١٣٨ ميل / ثانية أثناء دوراتها حول مركز مجرتنا والمعروفة بسكة الثبانة .

٣ - الشمس تجرى ونحن معها بسرعة ١٢ ميل / ثانية بالنسبة لما حولها من نجوم مجرتنا .

٤ - تجرى الشمس مع نجوم مجرتنا وذلك نظراً لانطلاق مجرتنا فى الفضاء الكونى بسرعة تصل الى المليون ميل / ساعة ضمن ظاهرة التمدد الكونى . وذلك الى جهة غير معلومة .

وصدق الله العظيم بقوله تعالى :
« والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (١) .

(١) لفظ تجرى هنا يعبر عن الحركة الحقيقية للشمس وليس الحركة الظاهرة اليومية من الشرق الى الغرب .

رواد الفضاء فأننى أعتقد أن السماء بعد الغلاف الجوى هي المشكاة فالسما لا يوجد بها ما يشتت الضوء الى أعين الرواد ، فهى ليل سرمدى دائم .

وهذه حقيقة فالليل هو الأصل كما يتضح من قوله تعالى :

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » .

(يس - ٣٧)

وقوله تعالى :

« أأنتم أشد خلقا أم للسما بناها ، رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها » .
(النازعات ٢٧ - ٣٠)

وبهذا فان ليل السماء الدائم هو المشكاة ، وحيث أن المشكاة فيها مصباح ، والمصباح فى زجاجة . فان هذا المصباح هو القمر الذى ثبت أن صخوره السطحية تحتوى على نسبة عالية من الزجاج طبقا لنتائج فحص الصخور القمرية التى أحضرها رواد الفضاء فى رحلاتهم المتعاقبة الى القمر (١) .

ظلمة السماء بعد مفادرة الغلاف الجوى وعن صخور القمر السطحية التى ثبت أنها تحتوى على نسبة عالية من الزجاج . فأننى أقترح فهما وتصورا جديدا للآية الكريمة التالية :

« الله نور السماوات والأرض مثل نوره كشمسكة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاج كأنها كوكبدرى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه نار نور على نور يبدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم » .

(النور ٣٥)

ويقصد بمطلع الآية : « الله نور السموات والأرض » أن الله منورها . ويقصد بالمشكاة : الكوة أو المكان المظلم الذى لا نور فيه . وحيث أن السماء بعد مفادرة الغلاف الجوى تكون حالكة الظلام رغم يزوغ الشمس والنجوم فيها طبقا لوصف

(١) زجاج القمر ورد ذكره فى تقارير وكالة ناسا وجميع الكتب والبحوث التى تحدثت عن صخور القمر حيث ثبت أن نصف العينات عبارة من قضبان وكرات لامعة من الزجاج ١

القرآن الكريم الى هذا الحدث
الرائع فى اعجاز علمى بالغ بقوله
تعالى :

« والقمر اذا امسق ، لتركبن
طبقا عن طبق ، فما لهم لا يؤمنون
واذا قرئ عليهم القرآن
لا يسجدون » •

(الانشقاق ١٨ - ٢١)

حقا لقد ركب الانسان طبقا عن
طبق بغرض الوصول الى القمر ،
ولقد تم هذا الركوب كما يلي :

١ - تلرب رائد الفضاء على
مرحلة انعدام الوزن قبل القيام
بالرحلة ، وذلك بالدوران فى أطباق
بسرعات مختلفة •

٢ - يركب رائد الفضاء فى
كابسولة فى أعلى صاروخ متعدد
المراحل كما لو كان الصاروخ طبقا
عن طبق •

٣ - اختراق الصاروخ لطبقات
الغلاف الجوى المختلفة مثل طبقات
التروبوسفير والستراتوسفير
والأيونوسفير •

٤ - لقد تم ارسال العديد من
سفن الفضاء قبل نجاح الوصول

ونعود الى آية النور فى وصفها
للزجاجة « كأنها كوكب درى يوقد
من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية
ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم
تمسه نار » ومعنى هذا أن
الزجاجة التى تمثل فى مفهومى
الغلاف السطحى للقمر تظهر مثل
كوكب لا يضىء بداته ، ولكنه
يعكس الاشعة القادمة من شجرة
الطاقة أى من الشمس التى تشبه
الزيتونة وليست فى الشرق أو
الغرب فهى متنقلة متحركة علاوة
على أن طاقتها نووية وليست طاقة
احتراق أى لا تحتوى على النار
كما أنها مباركة تمتد عليها
حياة الانسان ، بل ان الانسان
نفسه وجميع الكائنات على
الأرض قد تم تكوين ذوات مادتهم
فى الشمس منذ بلايين السنين !

هذا هو تصورى فى فهمى لآية
النور • والله بكل شىء عليم •

رابعا - غزو الفضاء :

لعل أعظم ما وصل اليه الانسان
فى القرن العشرين هو وصول
الاسان الى القمر فى ٢١ يوليو
عام ١٩٦٩ • ولقد سبق أن أشار

طبقا عن طبق فى سبيل الوصول
الى القمر ؟

وصدق الله العظيم بقوله تعالى :
« فما لهم لا يؤمنون ، واذا
قرئ عليهم القرآن لا يسجدون »
وعلىنا أن نعتر بديننا الذى جعلنا
نعيش كل عصر بسروح العصر .
وعلىنا أن نفخر بقرآنا الذى قدم
لنا الحقائق الكونية فى اعجاز علمى
رائع يتحدى كفار الأمم واليوم
والمستقبل وسيظل العلم الحديث
قزما أمام ما قدمه القرآن الكريم
من حقائق عملاقة عن هذا الكون
النسيح . ولن يحدث تناقض بين
العلم والقرآن الا اذا ضل العلم
طريقه . كما أن تخلف المسلمين
للأسف الشديد يرجع الى تقصيرهم
ومخالفتهم للقرآن الكريم والسنة
النبوية الشريفة وابتعادهم عن
العلم . فالاسلام قد حث المسلمين
على العلم والتقدم ودراسة الكون
بقوله تعالى :

« قل انظروا ماذا فى السموات
والأرض » .

(يونس ١٠١)

الى القمر . وكانت هذه السفن
كالأطباق تحمل ركابا متعاقبين طبقا
عن طبق وهؤلاء الركاب أو الرواد
هم على الترتيب :

جارجين ، شبرد ، جرسوم ،
شير ، كوبر ، بايكوفسكى ،
فالانتينا ، ثم تسابت الرحلات
برائدين ، ثم ثلاثة رواد فى مركبة
بعد مركبة . ألا يبهر هذا كله
عن العبارة « طبقا عن طبق » ؟

٥ - لقد نجح رواد الفضاء
الامريكيون فى رحلة أبوللو ١١ فى
يوليو عام ١٩٦٩م فى الوصول الى
القمر حيث هبط نيل آرمسترانج
والدرين بالمركبة القمرية على سطح
القمر بينما كان زميلهم الثالث
كولينز ينتظرهما فى مركبة أخرى
تدعى كولومبيا فى مدار حول القمر
حيث التحمت بها المركبة القمرية
بعد أداء مهمتها وعادوا جميعا
سالمين الى الأرض ، وقد ركبوا
فعلا طبقا عن طبق :

٦ - لقد تابعت رحلات أبوللو
١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ وانهت
فى عام ١٩٧٢م . اليس هذا أيضا

قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم
ويتفكرون في خلق السموات
والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا
سبحانك فقنا عذاب النار » •

(آل عمران ١٩٠ - ١٩١)

وفقنا الله لخدمة الاسلام
والمسلمين •

والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته •

الدكتور منصور محمد حسب النبي
استاذ ورئيس قسم الطبيعة (الفيزياء)
كلية البنات - جامعة عين شمس

وقوله تعالى •

« قل سيروا في الأرض فانظروا
كيف بدأ الخلق » •

(العنكبوت ٢٠)

وقوله تعالى :

« ان في خلق السموات والأرض
واختلاف الليل والنهار لآيات
لأولي الأبصار ، الذين يذكرون الله



فهرس السند

الموضوع	الصفحة
دراسات قرآنية (حسن الجوار من آداب الإسلام)	
فضيلة الشيخ : مصطفى محمد الطير	٤٢٩
المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف	
دكتور : رؤوف شلبى	٤٣٦
من الأدب النبوى (التفسير النبوى للقرآن الكريم)	
للدكتور : محمد رجب البيومى	٤٤٦
فى مواجهة الاتحاد المعاصر : خلاصة تناقضات الاتحاد العلمى	
للدكتور : يحيى هاشم	٤٥٤
الإسلام فى الفكر الأوربى	
دكتور : محمد شامة	٤٥٩
البحث عن الحقيقة	
دكتور : فتحى محمد ابو عيسى	٤٧٥
بين الأصول والفروع فى التعبير الصوتى الصرفى	
دكتور : أحمد علم الدين الجندى	٤٨١
حفيد النفس الزكية من مواليد السند	
للاستاذ السيد : حسن قرون	٤٩٩
من آداب وشروط القضاء فى الإسلام	
المستشار : محمد عزت الطهطاوى	٥٠٦
من اعلام التصوف القدامى فى اليمن	
للاستاذ : عبد الحفيظ فرغلى القرنى	٥١٦
الأدب الأردى وتطوره (دور المتصوفة ورجال الدين فى رقى الأدب)	
دكتور : سمير عبد الحميد إبراهيم	٥٢٤
مع آيات من سورة النساء فى ليلة من رمضان	
للاستاذ : عبد الحميد الفضالى	٥٢٦

المعرفة بين الفلسفة والاسلام	
للاستاذ : احمد عبد الرحيم السايح	٥٦٣
حكم ... وطوائف	
للاستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٥٧٦
الفتاوى	
للاستاذ : عبد الحميد شاعين	٥٨٣
كتاب الشهر : الكون بين العلم والقرآن	
للدكتور : منصور محمد حسب النبي	٥٨٩



الأزهر مجلة

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة

محمد صابر البرديسي

الجزء الرابع - السنة الثانية والخمسون - رجب سنة ١٤٠٠ هـ - يونيسنة ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة

إفتتاح العدد

للأستاذ محمد صابر البرديسي
مدير المجلة

عن الصدور : شهرى جمادى
الأولى ، وجمادى الآخرة من كل
عام لتبدأ نشاطها من جديد في
شهر رجب .

وأسرة المجلة اذ تقدم لقرائها
عددها الجديد ، نرجو أن يشمر
القارىء بلمسات طيبة فيما
يتصفح من صفحات ، وفيما
يتذوق من أفكار وموضوعات .

وفي هذا العدد ، والأعداد

يطيب لى وقد أسند الى
(ادارة مجلة الأزهر) أن أبعث
الى قرائها لى كل مكان ، داخل
جمهورية مصر العربية
وخارجها ، بتحية الاسلام ، راجيا
الله أن يوفقنى فى هذه المهمة
الجليلة ، لتكون مجلة الأزهر
مؤدية لرسالة الأزهر ، معبرة عن
جوهره الأصيل .

وقد اعتادت المجلة أن تتوقف

« وبمشيئة الله » سنوالى في الأعداد القادمة نشر ما لم نستطع نشره للكتاب الأفاضل ، وستكون لبعضهم أبواب ثابتة يكتبون فيها . ونحن نرحب برجال الفكر الاسلامى ممن يهمهم أن يساعدوا في تطوير المجلة ، تطويرا يحقق لها التفوق في كل المجالات .
 وأسرة المجلة تحرص على أن تقوم بمراجعة الطبع قبل الاعتماد مراجعة دقيقة ، بقدر ما تتحمل وتطبق ، حتى تخرج المجلة (بمشيئة الله) أقرب ما تكون الى الصواب .

وستدرس كل الأسباب التى تعوق ظهور المجلة في حينها في أول كل شهر عربى ، وستعمل على ازالة كل مايعترض ذلك من معوقات .

رب ان الهدى هداك ، والخير بيدك ، ولا ملجأ الا اليك .
 رب اهد الأمة الاسلامية الى محاسن دينك ووفقها لما تحبه وترضاه .

والله الهادى الى سواء السبيل .
 محمد صابر البرديسى

التالية (بمشيئة الله) كتاب جدد من رجالات الفكر الاسلامى ، والأساتذة المتخصصين الذين تتلمذ عليهم آلاف الطلاب ، وعرف فضلهم وعلمهم قراء كثيرون .

وقد تفضلوا مشكورين بالمشاركة في اعداد المجلة بما جادت به قرائحهم ، ايماننا منهم بأن هذه المجلة هى لسان الأزهر ، وعنوان الأزهرين .

ومن الخير للأزهر والأزهريين ولغيرهم من المسلمين ممن يهمهم أمر الدين أن تشرح رسالة السماء ، وأن توطد في أذهان الناس وأن يقوم أولو الفكر من رجال الاسلام ، أهل العلم والحكمة والتجربة في نشر أسس هذا الدين ومعالم حضارته .

وهم اذ يتقدمون بهذا الجهد في هذا السبيل انما يبتغون به وجه الله .

أسرة المجلة اذ تقدر لهم هذا الجهد الجليل ترجو الله أن يجزيهم بخير مايجزى به عباده المصنفين .

رداً على ماورد في بعض الصحف
من القول على علماء الأزهر ،
ومشيعته ونسبة القول اليهم في
موضوع تنظيم الأسرة وتصويره
أحياناً بتحديد النسل ، وتوضيحها
لوجه الحقيقة وانصافاً للحق ،
أثّرنا أن ننشر ما سبق أن نشر في
مجلة الأسرة والسكان وحتى نخلص
الأفكار من بعض الأهواء والأغراض
التي لا تتفق مع الدين .

لتقاء مع
فضيلة

الإمام الأكبر

الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار
شيخ الأزهر

السائل : على الرغم من المهابة والجلال اللتين يمكن أن
تستحضرهما النفس عند مجرد التفكير في الالتقاء به الا أن تخلقه الحق
بخلق الاسلام ، يجعل الأمر أكثر من عادى .

فالرجل يلقاك هائلاً باشاً ودوداً محبباً ، بطريقة لا تلبث أن تشرم
مهما بأنك سبق والتقيت به من قبل .

فاذا كان أكبر لقب في عالمنا الاسلامي اليوم — فضيلة الامام
الأكبر — جدير بأن يحملك على الشعور بالمهابة والجلال ، فانه يكفي
الرجل أن يكون خلقه الاسلام ، حتى تشرم تجاهه بالآلفة والمودة ، قدر
ما يحلق بك الخيال .

فمنذ الوهلة الأولى تجدك أمام رجل مفتوح العقل والقلب ، مرهف

الحس والوجدان يحترم العقل ويتحدث بالمنطق ، ولكنه قبل ذلك ومن بعده يؤكد على الحقيقة الكبرى وأعنى حقيقة الايمان .
كل ذلك جعلنى أتصور أن مهمتى ستكون سهلة وأنا ألتقى به فى حوار حول المشكلة السكانية ، أو مشكلة الانفجار السكانى ، ولكنه بادرنى بقوله :

فضيلة الامام : أنا فى الواقع أرى أنه لا توجد مشكلة وإنما المشكلة توجد فى ضوء معين ، فلو أننا عدلنا هذا التصور لما كانت هناك مشكلة .

ونحن عندما نتحدث لانتكلم من وجهة نظر قومية محلية وإنما من وجهة نظر أعم وأوسع ، أعنى أننا نتحدث من خلال المجتمع الإسلامى ككل ، ذلك أن إقامة العدل فى المجتمع لا تقاس ببقعة معينة من الأرض دون الأخرى ، وإنما طالب الله المسلمين أن يقيموا العدل بينهم فى جميع البقاع والاصقاع ، وعلى أى مستوى من المستويات . لأن الإسلام لا يعرف الحدود الجغرافية ، ولا الفواصل الجنسية ، ولا يعرف الاقليميات أو المحيطات بحال من الأحوال .

حينما تقول بأن هناك انفجارا سكانيا ، كيف نشأ هذا الحكم ؟ لاشك أنه نشأ نتيجة لفظرتنا الى مواردنا فى داخل حدود بلدنا وقياس الزيادة فى هذه الموارد على الزيادة فى عدد السكان وحينما نجد أن معدل الزيادة فى السكان أسرع منها فى الموارد نقول : ان هناك انفجارا سكانيا .

المصرى يتقن الفلاحة منذ القدم :

حقيقة هناك مشكلة سكانية فى مصر ولكنها نشأت نتيجة أننا حصرنا أنفسنا فى شريط ضيق من الأرض الزراعية على جانبي النيل وأهملنا باقى البقاع الأخرى التى تصلح للزراعة ، أهملنا توصيل المياه اليها أزمانا طويلة ، وكان يمكن أن نخلق منها وديانا زراعية جديدة ، تتمتع

لأضعاف أضعاف ما تحمله من سكان الآن ، وليس هذا بالامر الصحيح الذى نستطيع أن نبني عليه حكما من الأحكام ، لأن عنصر التقصير فيه حاصل ، وعنصر التكاسل والتواكل هنا موجود .

لا شك أنك تعلم أن الجهد البشرى ينمو على أساس النمو السكانى والزيادة السكانية ، بشرط ألا تكون زيادة قاحلة أو قفزة كما هو الحال في المجتمعات التى تتسم بالكسل والتواكل والعجز ، فإذا اتسم المجتمع بالجد في العمل والاستثمار النافع لكل ما هو كائن في الأرض فإن الزيادة السكانية هنا تعنى مزيدا من الطاقة البشرية والجهد الانسانى ، ونحن في مصر لدينا هذه الطاقة البشرية ولكنها شبه معطلة ، ولدينا كما يقول الرئيس السادات، الامكانيات اللازمة للزراعة : كالمياه والأرض القابلة للزراعة والمناخ الممتاز ، بالإضافة الى الخبرة بل أقول العبقرية ، فمنذ قدماء المصريين حتى الآن ، والمصرى معروف باتقائه للزراعة والفلاحة ، لكنه لم يتوسع في مساحة الأرض المنزرعة لفنية دور الادارة في التخطيط والتنفيذ ، ولو وجد هذا الدور منذ القدم لكانت كل هذه البقايا - التى نسعى الى ترميمها الآن - قد عمرت وأصبح فيها حضارات قائمة .

السائل : هذا صحيح .

لماذا لا يتعاون المسلمون ؟

فضيلة الامام : وعلى هذا الأساس فأنا أرى أن فكرتنا عن الانفجار السكاني ناتجة عن أمرين :

الأول : أننا لا نريد أن نعمل وننشط الأيدي العاملة لنضيف جديدا ونريد فقط أن نمنع النسل منبع هذه الكثرة السكانية مع أن ابن خلدون رائد علم الاجتماع يرى أن العمران البشرى أساسه كثرة السكان وبهم تقوم الحضارات .

الأمر الثاني : أننا لو نظرنا الى المجتمع الاسلامى لوجدنا بلدا اسلاميا تعداداه ثلاثة ملايين نسمة وامكانياته وشرواته المادية تعدل امكانيات مجتمع آخر تعداداه أربعون مليوناً مثلاً . لماذا لا يكون بينهما تعاون وتكافل ؟

نحن لا نقول بتقسيم الثروة بينهما وانما نقول بالتعاون ، وبدلاً من أن تستثمر هذه الدول الغنية تلك الأموال في أوروبا وفي دول غير اسلامية تستثمرها في دول شقيقة في الدين والعقيدة ، وليس في هذا أى ظلم أو اجحاف لأى من الطرفين لو نظرنا الى المسألة من هذه الناحية لا نقول بأن هناك انفجاراً سكانياً ، أيضاً يجب ألا يغيب عن بالنا ما نعانيه الآن في مصر من نقص في الأيدي العاملة بالزراعة والذي يتمثل في الشكوى من ارتفاع أجورها الى حد غير معقول .

ثم هناك الشكوى أيضاً من قلة الأيدي العاملة المهنية والحرفية ، كالسباك والنجار والحداد ، وما الى ذلك ، والمغالات في أجورها الى درجة أصبح يتندر بها في رواية لملك تمرغها .

السائل : لا بأس من ذكرها هنا لو أذنت .

فضيلة الامام : (حينما استحضرتها فضيلة الامام الأكبر في ذهنه ضحك قبل أن يرويها) ثم قال :

جاء السباك ليصلح حنفية في منزل استاذ جامعى ، ولم يستغرق ذلك أكثر من ربع ساعة ، وحينما سأل الاستاذ عن الأجر الذى يقدره لنفسه طلب خمسة جنيهاً ، وبعد أن عقدت الدهشة لسان الاستاذ الجامعى بعض الوقت تمالك نفسه وقال له : أتريد خمسة جنيهاً في ربع ساعة !! ألا تعلم أنى أحاضر في الجامعة لمدة ساعة نظير جنيهين !! فكان رد السباك : «أنا مالى يا أخى حد قال لك خيب نفسك واطلم استاذ جامعة .

فلنعد النظر في السياسة التعليمية :

وأيا ما كان نصيب هذه الرواية من الصحة فإن الأمر يدلنا على أن هناك عجزاً في الأيدي الحرفية والمهنية يستوجب أن نخطط لعلاج داخل الأسرة ذاتها ، ومن ثم فإن الذين يعنون بتنظيم الأسرة يجب أن يهتموا بتغيير النظرة إلى العملية التعليمية بحيث يوجه القدر الأكبر من التلاميذ إلى التعليم الفني بعد الشهادتين الإعدادية والثانوية . ولست بحاجة إلى أن أشير إلى تفوق دخل الحرفي أو الفني على خريج الجامعة ، بل إنه أصبح من الصعب أصلاً إيجاد نوع من المقارنة .

التنظيم لا يتعارض مع الشرع :

أما عملية تنظيم النسل فإنه لا يصح أن تكون حكماً عاماً ، وإنما يجب أن يترك الأمر لكل أسرة على حدة وفقاً لظروفها ، فالأسرة التي لديها من الأسباب ما يقتضي المنع كمرض الزوجة أو إرهاقها أو إصابة الأولاد بمرض وراثي كالعته أو التخلف العقلي أو الشلل عندئذ يجب المنع لأن ظروف الأسرة تقتضي ذلك .

السائل : ولا يتعارض هذا مع الشرع ؟

فضيلة الامام : لا يتعارض مع الشرع طبعاً ، ولا مع نظام الأسرة ومصلحتها وهذا ليس رأيي فقط وإنما هو رأي مجمع البحوث الإسلامية حينما سئل في هذه المسألة .

السائل : ولعل هذا ينفق مع معنى الحديث الشريف « يوشمك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها » قالوا أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : لا ، بل أنتم حينئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل » .

أي أنه — صلى الله عليه وسلم — يريدنا أمة قوية بين الأمم ،

ولاشك أن قوة الأمة تقوم على قوة أفرادها ، ولا يريدنا الرسول — صلى الله عليه وسلم — غناء أو كثرة بدون فعالية ، ما هو الحال حينما يكون النسل مصاباً بالعتة أو التخلف العقلي أو الشلل أو غير ذلك مما أشرتم إليه من قبل كموجب لمنع النسل •

فضيلة الامام : نعم ، ويضاف الى ذلك المنحرف أخلاقياً ، أو غير المتماثل ، لأنه لم يرث النزيرة الصحيحة ولم ينشأ التنشئة الطيبة الصالحة ، فقد يكون صحيح البدن والعقل ، ولكنه لا يريد أن يعمل لمجتمعه ويؤثر نفسه ، ولا يشترك بإيجابية في بناء المجتمع • هذا يكون غناء كغناء السيل أيضاً ، وليس المرض فقط ، صحيح أن المرض قاطع بأن هذه الأسرة يجب أن تمنع من الانجاب لأن الله لا يريد للمسلمين ولمجتمعهم أن يكونوا جماعة من المتخلفين عقلياً والمشلولين وما الى ذلك اذا كان ذلك مرضاً وراثياً ، أو ثبت أن الأسرة غير صالحة للانجاب • لكنى أريد التأكيد على ضرورة استثمار الزيادة السكانية في مجالات العمل ، خاصة ونحن نسعى الى توسيع الرقعة الزراعية ، من الذي سيلتحق الأرض ولدينا هذا المعجز في الأيدي العاملة في الزراعة ؟ ولتذهب الى الريف لقرى •

السائل : أنا من أعماق الريف •

فضيلة الامام : اذن أنت تعرف ذلك ، ولا يخفى عليك أن الميكنة الزراعية ليست في مقدور الأفراد ولا بد أن تتولاها الدولة وهذا أمر يحتاج الى امكانيات قد لا تكون متوفرة الآن وحتى لو توفر لنا استخدام الميكنة الزراعية وأصبح لدينا فائضاً من الأيدي العاملة فان هذا الفائض يجب استثماره في مجالات أخرى من العمل ، وهنا يأتي دور التخطيط للسياسة التعليمية في مصر •

أن الشباب الجامعي يجب أن يدرب ويؤهل للقيام بأعمال أوسع من دائرة الدراسة التي تلقاها ، حتى يزيد من دخله ، ولا يقتصر على

الوظيفة الحكومية ، وهذا موجود في جامعات أوروبا كلها • ولا يغيب عن بالنا ما تحتاجه سوق العمل العربية من الأيدي العاملة في كافة المجالات •

اذن نحن بحاجة الى سياسة تعليمية جديدة بحيث لا يخطو الى المرحلة الثانوية الا مستوى معين من التلاميذ ، ويوجه الباقون الى الحرف ، والصناعات ، ثم لا يمر الى التعليم الجامعي الا الأفذاذ الذين يسدون حاجة التخصص الدقيق الذي نحتاجه ، ويوجه الباقون الى التعليم الفني وهكذا •

مزيديا من التنسيق والتنظيم لأمر حياتنا :

أيضا نحن نفتقر الى التنسيق العام بين أجهزة الدولة والنظرة الشمولية في التخطيط ، فلا يصح أن يكون البحث دائرا بين أعضاء بعض لجان مجلس شعب وادى النيل حول أزمة اللحوم ومشكلة الأعلاف وما الى ذلك ، وفي نفس الوقت نقرأ في الصحف أن محافظة مرسى مطروح صدرت خمسة آلاف رأس من الأغنام الى ايطاليا ، وتزعم تصدير مثل هذا العدد على رأس كل شهر !!

مثال آخر ، لانتقاد التنسيق والتنظيم في أمور حياتنا ، أنك تجد كل مصلحة تعمل منفصلة عن الأخرى ، مصلحة التليفونات تحفر الشارع ، وبعد ردمه تحفره هيئة الكهرباء ، ثم بعد ذلك المياه ثم المجارى وهكذا •• لماذا لا يتم التنسيق والتنظيم بين هؤلاء جميعا قبل البدء في المشروع اذ أن ، كل ذلك وثيق الصلة بتنمية موارد المجتمع لتتعادل مع الزيادة السكانية •

المسائل : تأذن لى فضيلتك بالقول بأن جهاز تنظيم الاسرة والسكان أصبح يهتم فعلا بعملية التنمية بعد أن لاحظ أن عملية تنظيم النسل وحدها ليست كافية خاصة ، وأن ارتفاع المستوى الصحى للمام يسهم بطريقة غير مباشرة في زيادة السكان •

وبالتالى فهناك الآن عدة مشروعات للتنمية على مستوى القرية فى اثنتى عشرة محافظة وأنا شخصيا زرت مواقع هذه المشروعات على الطبيعة فى قرية « نواج » بمحافظة الغربية ، وشاهدت مشروعات لتربية الدواجن والنحل ، ومصنعا للالبان وآخر ثلبلاط ، وورشة للنجارة وقد حققت هذه المشروعات نجاحا كبيرا بالفعل لأنها خلقت موارد جديدة بالقرية ، وأصبح يتهاافت على انتاجها : لجودته من جهة ، ولرخصه من جهة أخرى ، لكن هذه الجهود تحتاج الى دعم ورعاية السادة المحافظين لها - خاصة - بعد منحهم سلطات رئيس الجمهورية .

وقل اعملوا

فضيلة الامام : اعرف قرية « نواج » وهذا عمل طيب ولا شك بالانضافة الى اننى لا اطالب جهاز تنظيم الأسرة بأن يرفع يده نهائيا عن مراقبة النسل ، وانما عليه أن يستمر فى مراقبته وتنظيمه بل ومنه فى الحالات الى أشرت اليها من قبل ، والتي تجعل المسلمين غناء كغناء السيل لأن الله سبحانه وتعالى أراد بالمسلمين خيرا ، والاسلام جعل قيمة الفرد فى أن يعمل ، وبمقدار ما يكون الفرد عاملا ومصلحا ، تكون منزلته من الله ومكانته عند الناس « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » ، « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة** » .

أذن السبيل الى الحياة التى ننشدها لمجتمعنا هو التنمية ، تنمية الحياة وترقيتها وسد حاجات المجتمع أفرادا وجماعات ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى المولى فى ذلك على العمل واستثمار الطاقات ، فليست حياة طيبة حياة الكسالى الذين لا يريدون أن يعملوا أو يريدون أن يتقاضوا من الدولة مرتبات أو معونات ثم لا يستثمرون جهودهم فى العمل لصالحهم وصالح المجتمع ، قال تعالى : « **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فلنفسها » ويقول أحد الفلاسفة فى هذا الصدد « **إذا لم تكن لنفسك فلن تكون ؟ ولكن إذا كنت لنفسك فقط غلم تكون ؟** »**

اذن طولب المرء بأن يؤهل نفسه ويرقيها في جوانبها المادية والفكرية والروحية ، الفكرية بتحصيل المعارف والخبرات ، والروحية بممارسة الفضائل والأخلاقيات ، أما الجانب المادى فيتميز الجسد على الرياضيات البدنية وتحمل المشاق من الأعمال ، شريطة الا يطغى بقوته على الضعفاء • أو يتباهى على الجهلاء ، أو يستغل بذكائه الأغبياء •

بهذا يكون الفرد عضوا نافعا لنفسه ولمجتمعه وهذا أمر يجب أن تستهدفه التنمية ، تنمية الانسان في ذاته وتنمية الانسان باعتباره عضوا في المجتمع ، وليكن ذلك هدفا ورسالة يتحملها لا أقول جهاز تنظيم الأسرة فحسب وانما كل أجهزة الدولة ، هذا وبالله التوفيق •

« أشياء سميت بالرحمة »

سمى الله — تعالى — الايمان رحمة ، فقال سبحانه :

« وآتاني رحمة من عنده » أى الايمان •

وسمى الاسلام رحمة فقال — عز وجل :

« يدخل من يشاء في رحمته » أى الاسلام •

وسمى القرآن رحمة ، فقال :

« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين »

وسمى التوفيق رحمة ، فقال :

« ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكانت منكم من أحد

أبدا » أى التوفيق •

وسمى الرسول رحمة ، فقال :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »

مكانة الحديث في التشريع الإسلامي

الدكتور الحسين هاشم

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة الإسلامية

وبه تصدى الانس والجن « قل
لئن اجتمعت الانس والجن على
ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كلن بعضهم لبعض
ظهيرا » •

وعرف أرباب الفصاحة والبلاغة
حالاته وطلوته وبلاغته
وفصاحته ، وأيقنوا أنه ليس من
كلام البشر ، وأن الذي جاء به
انما هو رسول رب العالمين ، وحمل
القرآن الأسمى الكاملة للرسالة
العامة الخالدة •

« قل يا أيها الناس انى رسول
الله اليكم جميعا » وأمره الله
بتبليغه •

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل
اليك من ربك وان لم تفعل فما

اصطفى الله سبحانه وتعالى
سيدنا محمدا « صلى الله عليه
وسلم » وأعدده اعدادا كاملا
ليتحمل أسمى رسالة يعطر بأريجها
الدنيا تزكية للنفوس ، وتطهيرا
للقلوب ، وتثبيتا للعقيدة الصحيحة
وسيرا نحو النور في الطريق
المستقيم في ميدان العقيدة
والشريعة فأنزل على نبيه « صلى
الله عليه وسلم » كتابا لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه
« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للمتقين » •

وأشرق ذلك الكتاب المبين يحمل
في نفسه دليل صدقه ذاتيا وهو
الدليل الخالد على صدق الرسول
« صلى الله عليه وسلم » في كل
ما جاء به ، وكان المعجزة الكبرى ،

بلغت رسالته ، والله يعصمك من
الناس ان الله لا يهدي القوم
الكافرين » .

ولكن هل كل القول مستمدة
لفهم كل ما جاء به القرآن ؟
واذا فهمته فهل من سبيل الى
تفصيل اجماله ، وبيان ابهامه ؟
اذن لابد من البيان والتفصيل
والتوضيح فأمر الله نبيه في
كتابه ان يبين للناس منزل اليهم
بسنته .

قال تعالى : « وانزلنا اليك
الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم
ولعلهم يتفكرون » « وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي
اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون » وتكفل الله بعصمة
الرسول وامداده بالوحي وعصمته
عن الخطأ والهوى في كل ما يأتي
به من قرآن وسنة فيها بيان
للقرآن أو مشرع مستقل » وما
ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي
يوحي طمعه شديد القوى » « فاذا
قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا
بيانه » .

ومهد له الطريق وعبده لتذليل
مهمته ، فأمر الناس بطاعة
الرسول ونص في قرآنه على أنها
طاعة لله ، كما نص على أنه
لاخيرة في الأمر بعد كلام الرسول
« صلى الله عليه وسلم » « من
يطع الرسول فقد اطاع الله ومن
تولى فما أرسلناك عليهم حفيفاً »
« يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله
ورسوله ، ولا تولوا عنه وانتم
تسمعون » وقال تعالى « فلاوريك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم
رجاء مما قضيت ويسلموا
تسلياً » .

قال ابن القيم : أقسم سبحانه
وتعالى بنفسه على نفى الايمان
عن العباد حتى يحكموا رسوله في
كل ما شجر بينهم من الدقيق
والجليل ولم يكتف في ايمانهم
بهذا التمكيم بمجرد بل حتى
ينتقل عن صدورهم الحرج
والضيق من قضائه وحكمه ، ولم
يكتف منهم أيضاً بذلك حتى
يسلموا تسلياً وينقادوا انقياداً .

يوجب علينا الا اتباع الرسول فلا
يمكن أن تكون شيئاً غير السنة •
« من يطع الرسول فقد
اطاع الله » •

وحب الله في اتباع الرسول
وسنته « قل أن كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ، ويغفر لكم
ذنوبكم » •

فالقرآن هو الأصل الأول في
الدين الداعي الى السنة ، والسنة
هى الأصل الثانى في الدين ، وهى
المبينة للقرآن ، المفصلة لاجماله ،
والمستقلة بالتشريع ، فيها يعرف
مثلا أوقات الصلاة ، وعدد ركعاتها
وسجدياتها وما يقيما أو يبطلها مما
لم يفصله القرآن ، بل أجمله في
الأمر بالصلاة كما انفردت السنة
ببعض الأحكام مما لم يذكره
القرآن مثل : تحريم نكاح المرأة
على عمتها أو خالتها ، وتحريم
الحمر الأهلية وكل ذى ناب من
السباع أو مقلب من الطير ، الا
أن مثل هذه الأمور يمكن أن يقال
بأنها ليست مستقلة استقلالاً تاماً
عن القرآن ، حيث ان الأخذ بها

وقال الامام الشافعى « نزلت
هذه الآية فيما بلغنا — والله
أعلم — في رجل خاصم الزبير في
أرض فقتى النبی صلى الله
عليه وسلم للزبير ، وهذا
القضاء سنة من رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا حكم منصوص
في القرآن • أ هـ فكل ما جاء به
الرسول صلى الله عليه وسلم
وأثر عنه من السنة فاتباعه انما
هو واجب لصريح أمر الله في
قرآنه باتباعه ، وهو بالتالى اتباع
الله وقرآنه ، وهذا صريح فيما
تقدم • وفي قوله تعالى : « وما
آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم
عنه فانتهوا » وأخبر تعالى : أن
الرسول أوتى القرآن والحكمة
وهما مصدر التشريع فقال : « لقد
من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم
رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين »
وذهب جمهور العلماء والمحققين
بأن الحكمة هى السنة ، وجزم
بهذا الامام الشافعى لتغايرهما
بالمعطف ، وهى في مقام المنه ، ولم

بمكة والمدينة مركزى اشـماع
الدعوة الى الدنيا ثلاثا وعشرين
سنة يقيم الناس معالم الدين على
منهاج الحق بالكتاب والسنة ،
توفى وهو مطمئن الى أنه تركهما
لنا ميزان حق وصديق لن نضل
ما تمسكنا بهما قال « صلى الله
عليه وسلم » « تركت فيكم ما ان
تمسكتم به لن تضلوا يمضى كتاب
الله وسنتى » .

تكوين الحديث الشريف

بعث الله فى الاميين رسولا منهم
يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة ، وبيعه الرسول،
وتلاوته الكتاب والحكمة النبوية ،
وهى السنة ، زكت نفوس وطهرت
قلوب وعمرت صدور بالايمان
فأقبلوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتعلمون الكتاب
والحكمة ، وأذكى فيهم ذلك الاقبال
قدوة حسنة متمثلة فى الرسول ،
وبلاغـة نادرة متمثلة فى الكتاب
والسنة ، وذوق عربى أصيل فى
المصاحبة ، حبيب اليهم الكتاب
والحكمة ، وذاكرة واعية ضربوا بها

مندرج تحت أمر القرآن ، باتباع
الرسول وسنته ، وأخرج أبو داود
والترمذى عن المقـدام
ابن معدى كرب . قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« يوشك رجل منكم متكئا على أريكـة
يحدث » بحديث عنى ، فيقول
بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا
فيه من حلال استحلناه وما وجدنا
فيه من حرام حرماه إلا وان
ما حرم رسول الله مثل ما حرم
الله — زاد أبو داود — ألا انى
أوتيت الكتاب ومثله معه »
والمماثلة للكتاب هى السنة .

ومن رياض السنة تفجرت
ينابيع التفسير بالمأثور ، ومن
رياض القرآن والسنة تكونت
ثروة الفقه الاسلامى ، وهما أصل
مصادر التشريع وهما ميزان العدل
الالهى الصادق ، وعلى هديهما
يستطيع المصلحون فى كل وقت أن
يقيسوا أعمال الأفراد والجماعات
والأمم ، ولا يكون الاعتدال
الكامل فى الأخلاق والمعاملات
والعبادات إلا بالكتاب والسنة وقد
توفى الرسول بعد أن ظل الناس

المثل الأعلى في قوة الحفظ ،
أسعفهم بتسجيل ما يلقي عليهم
من الرسول ، ووضعوه في
صدورهم الأمانة التي طهرها
الاسلام .

والقرآن يدفعهم ويوجههم الى
العناية بالسنة واتباع الرسول
والرسول يفسر ويشرح بالسنة
وهم يحفظون ، ومعلوم أن القرآن
نزل في خلال ثلاثة وعشرين عاما ،
فكان الرسول يبلغ الآيات ويفسرهما
وتطبق عمليا ، وفي ذلك يقول
أبو عبد الرحمن السلمي . حدثنا
الذين يقرئوننا القرآن كعثمان
ابن عفان ، وعبد الله بن مسعود ،
أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي
صلى الله عليه وسلم . عشر آيات
لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من
العلم والعمل . قالوا فتعلمنا
القرآن والعلم والعمل جميعا .
ونهج النبي معهم المنهج التربوي
النبوي ، فكان يتعهدهم بالموعظة
كراهة السأمة وفي ذلك تثبت
للمعلومات .

روى البخاري بالسند المتصل
عن ابن مسعود قال : كان النبي

صلى الله عليه وسلم : « يتخولنا
بالموعظة في الأيام كراهية السأمة
علينا » والقرآن يدعوهم الى العلم
« قل هل يستوى الذين يعلمون
والذين لا يعلمون » والسنة تدعوهم
الى العلم روى البخاري بالسند
المتصل قال النبي صلى الله عليه
وسلم : « من يرد الله به
خيرا يفقهه » وانما العلم
بالتعلم وفي رواية « من يرد الله
به خيرا يفقهه في الدين » ويأمرهم
النبي صلى الله عليه وسلم .
بالتبليغ ويقول لهم « هذا فيبلغ
الشاهد منكم الغائب فان الشاهد
عسى أن يبلغ من هو أوعى منه »
ودعا ابن أدي مقاتله كما
حفظها فقال : نصر الله امرأ سمع
مقاتلي حفظها ووعاها حتى يبلغها
غيره » وقد التزموا أوامر رسولهم
وتفانوا في الحرص على تبليغ
العلم .

روى البخاري ، قال أبو ذر
رضي الله عنه : لو وضعت
الصمصامة (السيف) على هذه -
وأشار الى قفاه - ثم ظفنت أنى
أنفذ كلمة من رسول الله صلى

السنة هي سنة رسول رب العالمين، فلو تخصص عشرة من الصحابة، وحفظ كل واحد منهم في صدره ما يساوي كمية نصف القرآن الكريم الذي حفظوه لكانوا جديرين بحراستها، فما بالك، قد جند لها الآلاف الثقافات الحفاظ أنفسهم؟

هذا فضلا عن أن منهم من بدأ يكتب الحديث في عهد النبي « صلى الله عليه وسلم » وأن لم يكن التدين عاما قد كانت هناك صحائف خاصة، كان عبد الله بن عمرو « رضى الله عنه » كاتبها مصفاة، اشتهرت صحيفته التي دون فيها الحديث « بالصحيفة الصادقة » لأنه كتبها عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » مباشرة فهي أمسوق ما يروى عنه، ويقول عبد الله بن عمرو بن المصاحف لجاهد: « هذه الصحيفة الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وليس بيني وبينه أحد، وكانت عزيزة عليه للغاية حتى كان يقول ابن عمرو

الله عليه وسلم قبل أن تجيزوا على وتقطعوا رأسي لأنفذتها .
وقال ابن عباس: « كونوا ربانيين حكما فقهاء » ويقال الرباني - الذي يربى الناس بصغار العلم قبل كباره .
وكان من عناية الصحابة بحديث النبي أنه كان الواحد منهم إذا شغله عمل أرسل صاحبه الثقة ليخبره بما يقول الرسول فكانوا يتناوبون في السماع ويبلغ الشاهد الغائب ويسأل الغائب الشاهد، وسطروا السنة على صفحات قلوبهم، ووعوا كل ما سمعوا وما شهدوا، وحرصوا على نشره وتبليغه، وتعاون ثقافات المجتمع الاسلامي من الصحابة في حياة الرسول وبعد وفاته على حراسة سنة نبيهم، وهل يشق على الآلاف الثقافات من الصحابة المخلصين حراسة تراث رجل واحد رأوا فيه سمادتهم في الدنيا والآخرة؟

وعدتهم في ذلك ايمان عميق، بنبيهم، وبسمو سنته وذاكرتهم الواعية، التي فاقوا فيها جميع الأمم، وشعورهم الفياض بأن

« ما يرغبني في الحياة الا الصادقة والوهط » (١) .

وكان لجابر بن عبد الله الأنصاري صحيفة ، وكان لأنس ابن مالك صحيفة كان يبرزها اذا اجتمع الناس ، واشتهر ابن عباس يطلب العلم ، ودا به عليه ، وكان بعد وفاة الرسول « صلى الله عليه وسلم » يسأل الصحابة ويكتب عنهم وكان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قد دعا له كما في صحيح البخاري في باب العلم بالسند المتصل عن ابن عباس قال : ضمنى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وقال : « اللهم علمه الكتاب » وفي الكفاية : اللهم علمه الحكمة وعلمه التأويل ولهمام ابن منبه صحيفة وتسمى الصحيفة الصحيحة ، وهو أحد أعلام التابعين ، رواها عن أبي هريرة ، ويقول الأستاذ الندوي : ان تأليف هذه الصحيفة يرجع الى أواسط القرن الأول لأن أبا هريرة توفي سنة ٥٨ هجرية ، وهي من

أملأه أبي هريرة ويقرر الأستاذ أبو الحسن الندوي متفقاً مع صاحب تدوين الحديث العلامة مناظرا حسن الكيلاني رئيس القسم الديني العلمي بالجامعة العثمانية « بحيدر آباد » بأنه اذا اجتمعت هذه الصحف والمجاميع ، وما احتوت عليه من الأحاديث كونت العدد الأكبر من الأحاديث التي جمعت في الجوامع والمسانيد والسنن في القرن الثالث ، وهكذا يتحقق أن المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث سبق تسجيله من غير نظام وترتيب في عصر الرسول « صلى الله عليه وسلم » وفي عصر الصحابة « رضى الله عنهم » . وقد شاع في الناس — حتى المثقفين والمؤلفين ، أن الحديث لم يكتب ولم يسجل الا في القرن الثالث الهجري ، وأحسنهم حالا من يرى أنه قد كتب ودون في القرن الثاني ، وما نشأ هذا القلط الا عن طريقتين : الأولى : أن عامة المؤرخين

(١) الوهط : أرض لعمر بن العاص تصدق بها ووقفها .

بالنبيات « يروى عن سبعمائة طريق ، فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل من الأحاديث .

وقد صرح الحاكم أبو عبد الله الذى يعتبر من المتسامحين المتوسمين : أن الأحاديث التى فى الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف .

ومعظم هذه الثروة الحديثة قد كتبت ودونت بأقلام رواة العصر الأول وقد يزيدها ما حفظ فى الكتب والدفاتر كتابة وتحريراً فى العصر النبوى ، وفى عصر الصحابة (رضى الله عنهم) على عشرة آلاف حديث اذ جمعت صحف ومجاميع أبى هريرة ، وعبد الله بن عمرو ابن العاص وأنس بن مالك وجابر ابن عبد الله ، وعلى بن أبى طالب، وابن عباس « رضى الله عنهم » فيمكن أن يقال : أن ما ثبت من الأحاديث فى الصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتبت ودونت فى عصر النبوة ، وفى عصر الصحابة قبل أن يدون الموطأ

يقتصرون على ذكر تدوين الحديث فى القرن الثانى ، ولا يحنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التى كتبت فى القرن الأول لأن عامتها ضاعت مع أنها اندمجت وذابت فى المؤلفات المتأخرة .

الثانية : أنهم لا يتصورون سمة هذه الصحف لكثرة الأحاديث الموجودة ، ويقول الكيلانى ، قد يتعجب الانسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية .

فيقال : ان أحمد بن حنبل كان يحفظ رضى الله عنه أكثر من سبعمائة ألف حديث ، وكذلك يقال عن أبى ذرعة .

ويروى عن الامام البخارى أنه كان يحفظ مائتى ألف من الأحاديث الضعيفة ، ومائة ألف من الأحاديث الصحيحة ، ويروى عن مسلم أنه قال : جمعت كتابى من ثلاثمائة ألف حديث . ولا يعرف كثير من المتعلمين فضلاً عن العامة أن الذى يكون هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد فحديث « انما الأعمال

وقبيلت حركة الوضع الهزيلة
من الذين لا غناية لهم بالسنة ولا
معرفة لهم بها ، بصركة قوية
جبارة من علماء السنة ووضعوا
المقاييس الفريدة ، والمنهج
القويم ، يساند ذلك الحق
والإلهام والفوق والملكة ، ومعرفة
أبطال السنة وحرصهم عليها ،
فالتزموا الإسناد .

يقول محمد بن سيرين في ذلك :
لم يكونوا يسألون عن سناد فلما
وقعت الفتنة ، قالوا سموا لنا
رجالكم فينظر الى أهل السنة
فيؤخذ حديثهم ، وينظر الى أهل
البدع فلا يؤخذ حديثهم ويقول
أبو العالية « كنا نسمع الرواية
بالبصرة ، عن أصحاب رسول الله
« صلى الله عليه وسلم » فما
رضينا حتى رحلنا اليهم فسمعنا
من أفواههم » .

ويقول عبد الله بن المبارك :
« الإسناد من الدين ، ولولا
الإسناد لقال من شاء » .

وعنه أنه قال : « بيننا وبين
القوم القوائم » يعني الإسناد .
ويقول سيفان الثوري : « لما

والصحيح بكثير » أ هـ » وهكذا
تعاون الحفظ والتدوين على حفظ
سنة النبي « صلى الله عليه
وسلم » في عصر الصحابة ،
وعضوا عليها بالنواجذ ، وعرفوا
قدرها .

ولا ننفل ما حصل من أمر الوضع
في الحديث منذ سنة أربعين من
الهجرة بعد وقوع الفتنة ، وحرب
الامام على ومعاوية والخلافات
السياسية والمذهبية والاحادية .
ولكن من الطبيعي أن ذلك
لا يصدر الا عن لا معرفة
ولا غناية لهم بالسنة ، ولا ثقة
للفاس بهم ، ولا صحبة لهم
حقيقة مع الرسول ، ومن يحاول
تقليد شيء لا علم له به يكون أمره
مفضوحا واهيا ، وماذا يفعلون
امام التيار الجارف من
الحرص على السنة ، وقد أحس
الثقات بهم فحصرهم في قوائم
سوداء ، وحصرهم معهم الضعفاء
في قوائم الكذابين ، والوضاعين
والضعفاء .

وحصرنا أحاديثهم في قوائم
الموضوعات .

البخارى ومسلم عن أبى هريرة
 « رضى الله عنه » أنه قال : « لما
 فتح الله على رسول الله « صلى
 الله عليه وسلم » مكة قام في
 الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم
 قال : « ان الله حبس عن مكة
 الفيل وسلط عليها رسوله
 والمؤمنين ، فقام أبو شاة (رجل
 من اليمن) فقال أكسب لى
 يا رسول الله . فقال رسول الله
 « صلى الله عليه وسلم » : اكتبوا
 لأبى شاة « وما روى البخارى في
 كتاب العلم ، عن ابن عباس قال
 « لما استند بالنبي « صلى الله
 عليه وسلم » وجعه قال : أتونى
 بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا
 بعده ... » الحديث .

وهكذا كان عصر الصحابة الذين
 شهدوا الوحي والتتزيل ،
 واختارهم الله لصحبهه ،
 وجعلهم أعلاما وقدوة ونفى عنهم
 الشك والكذب والريبة ، وسامهم
 عدول الأمة ، فقال عز ذكره في
 محكم كتابه « وكذلك جعلناكم أمة
 وسطا لتكونوا شهداء على
 الناس » .

استعمل الرواة الكذب ، استعملنا
 لهم التاريخ « ورحلوا من أجل
 الحديث .

يقول سعيد بن المسيب « ان كنت
 لأسير الليالى والأيام في طلب
 الحديث الواحد » . ووضعوا
 قواعد الاسناد والمتن وقضوا على
 حركة الوضعين .

ولا يعارض كتابة الحديث في
 عصر النبوة والصحابة ، ما روى
 مسلم في صحيحه عن أبى سعيد
 الخدرى « رضى الله عنه » أنه
 قال : قال رسول الله « صلى الله
 عليه وسلم » لا تكتبوا عنى غير
 القرآن ومن كتب عنى غير القرآن
 فليحبه وحادثوا ولا حرج ،
 ومن كذب على متعمدا فليتبوأ
 مقعده من النار « فان ذلك كان في
 بدء الدعوة حتى لا يفتلظ
 القرآن بالسنة ، ولم يستقر
 الأسلوب القرائى بمد في
 النفوس ، أو كان ذلك النهى
 بالنسبة لكتاب الوحي خاصة حتى
 يتفرغوا لمهمة القرآن ، أو النهى
 كان خاصا بكتابة الحديث مع
 القرآن في صحيفة واحدة ، فانه
 يدل على الكتابة ، ما رواه

فكان التدوين الرسمي بأمر الخليفة على رأس المائة حينما رأى اتساع الفتوحات الإسلامية وانتشار الصحابة في الأقطار وموت أكثرهم .

روى البخارى في كتاب العلم من صحيحه « وكتب عمر بن عبد العزيز الى أبى بكر ابن حزم ، انظر ما كان من حديث رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فاكتبه ، فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا تقبل الا حديث النبى « صلى الله عليه وسلم » ولتفشلوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا » .

وأبو بكر بن حزم هو عامله وقاضيه على المدينة .

وأوصاه أن يكتب ما عنده عمرة بنت عبد الرحمن الأنصاري ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر المتوفى سنة ١٢٠ هـ .

وكذلك كتب الى عماله في أمهات المدن الإسلامية بجمع الحديث .

وفسر النبى « صلى الله عليه وسلم » وسطا : عدلا فكانوا أئمة الهدى ، وحجج الدين ، ونقله الكتاب والسنة والحراس عليها ومعهم التابعون ، اختارهم الله لأقامة دينه ، وفقهوا فيه فأخذوا السنة عن الصحابة ، والذين اتبعوهم باحسان « رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

يقول ابن أبى حاتم : ندبهم الله عز وجل لأثبات دينه ، وأقامة سنته وسيله المستقيم ، فلم يكن لأستغالنا بالتمييز بينهم معنى اذ كنا لا نجد منهم الا اماما مبرزا مقدما فى الفضل والعلم وفى السنة وأثباتها ولزوم الطريقة واحتذائها ، رحمة الله ومنفرته عليهم أجمعين ، الا ما كان ممن ألحق نفسه بهم ودسها بينهم ، ممن ليس يلحقهم ، ولا هو فى مثل حالهم لا فى فقه ولا حفظ ولا اتقان ولا تثبت .

على أنه قبل أن ينقضى عمر الصحابة أمر الخليفة العادل عمر ابن عبد العزيز بتدوين الحديث ،

ابن الحجاج (١٦٠ هـ) ونجرسان
ابن المبارك (١٨١ هـ) وباليمن
معمّر (١٥٣ هـ) وبالري جرير
(١٧٥ هـ) وبمصر عبد الله
ابن وهب (١٩٧ هـ) وهؤلاء كانوا
في عصر واحد لا يدري أيهم
أسبق في التدوين ومنهجهم في
التدوين جمع حديث رسول الله
« صلى الله عليه وسلم » مختلطا
بأقوال الصحابة والتابعين ، مع
ضم الأبواب بعضها الى بعض ثم
تلاهم كثير من أهل عصرهم نسجا
على منوالهم الى أن رأى
بعض الأئمة أن يفرد حديث النبي
« صلى الله عليه وسلم » خاصة
على رأس المائتين في أوائل القرن
الثالث ، فالقت المسانيد ، ومنهج
المسانيد أن يجمع أحاديث كل
صحابي على حدة ، وأن تعدد
الموضوع ومن هذه المسانيد مسند
عبد الله بن موسى العباسي الكوفي ،
ومسند مسدد بن مسرهد
البصري ، وأسند بن موسى
الأموي ، ونعيم ابن حماد
الخزاعي .

فقد أخرج أبو نعيم في تاريخ
أصبهان أن عمر بن عبد العزيز
كتب الى أهل الآفاق : انظروا
حديث رسول الله « صلى الله
عليه وسلم » فاجمعوه .

وأمر خليفة المسلمين كعمر
ابن عبد العزيز كفييل بأن يشط
الهمم ، ويصادف القبول في النفوس
المستعدة فتسرع للإجابة لتنفيذ
أمره على خير وجه ، وقد لبى
الأمر الامام الكبير محمد بن مسلم
ابن شهاب الزهري المتوفى سنة
١٢٤ هـ وللزهري مكانته وأمانته .

ثم شاع التدوين في الجيل
الذي يلي جيل الزهري .

وكان أول من جمعه بمكة
ابن جريح (١٠٥ هـ) وابن اسحاق
(١٥١ هـ) ومالك (١٧٩ هـ)
بالمدينة وسعيد بن أبي عروبة
(١٥٦ هـ) والربيع ابن صبيح
(١٦٠ هـ) وحماد بن سلة (١٧٦ هـ)
بالبصرة ، وبالكوفة سفيان الثوري
(١٦١ هـ) وبالشام أبو عمرو بن
الأوزاعي (١٥٦ هـ) وبواسط
هشيم بن بشر (١٨٨ هـ) وشعبة

ثم اقتفى الأئمة أثرهم كالامام
أحمد بن حنبل واسحاق
ابن راهوية وهما من اساتذة الامام
البخارى ، وكان منهج هؤلاء مزج
الصحيح وهو ما ثبت صحته
بغيره ، ثم افرد البخارى الحديث
الصحيح في كتاب الجامع
الصحيح .
د . الحسينى هاشم

من كلمات السيد الرئيس محمد أنور السادات في خطابه
التاريخى في ١٤ مايو سنة ١٩٨٠ م
« رئيس مسلم لدولة اسلامية »

أقول لكم ولشعبنا — اننى يوم أن توليت الحكم في
مصر ، أحكم كرئيس مسلم — أنا قلت يجب أن تسمى
الأشياء بمسمياتها مصر ، دولة اسلامية ، ومثل دولة
اسلامية عادية ، بل لها مركز قيادى في عالمها الاسلامى ،
ومركز ريادة ، حيث حافظ الأزهر على الاسلام طوال
ألف سنة بشهادة مسلمى العالم ، وكان يجب أن يعلم
مثيروا الفتنة أن الضمانة الحقيقية للمسيحية في مصر هو
الاسلام .

لما أقول رئيس مسلم لدولة اسلامية ، ليس معنى هذا
أبداً أننى لا أؤدى حق المسيحي قبل المسلم ، ولكن هذه
دولة اسلامية — من عهد « البطريرك بنيامين » — وقت أن
أرسل جميع المسيحيين لكي يعاونوا الجيوش العربية
« جيوش عمر بن العاص لكي ينتهى الاصطهاد الدينى
البيزنطى لأقباط مصر » .

دراسات إسلامية

انتشار الإسلام خارج بلاده لا تزرعوا السموم فتقتلكم لفضيلة الشيخ مصطفى الطيبر

قال تعالى في آخر سورة محمد : « وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

اليان

بنظرة فاحصة الى الاسلام
اليوم ، نراه بين امتداد وانتشار
في بعض بقاع الأرض ، وخصول
واسترخاء بين أهله وذويه ، وقد
خرست السنة الدعاة فيوم ، رهبا
من حاكميهم ، أو رغبا في
استرضائهم ، والله من ورائهم
محيط .

يضمنه المسيحيون في نشر دينهم
في مجاهل أفريقيا ونحوها .

في حين أنك تجد الاسلام في
بلاده يندب حظه مع أهله ، الذين
أدبروا عن تعاليمه ، ووالوا
أعداءه ، ومكثوا لهم في بعض
معاقله ، ويسروا لهم سبيل القضاء
على حماسة أهله في نصرته ، وبث
مبادئهم الهدامة بين ربوعه .

صورة مشرقة من انتشار الاسلام

في سنة ١٩٣٤ حضر الى مصر
رجل سوداني اسمه محمد ساتي
ماجد ، وقابل شيخ الأزهر وقتئذ
— فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ
محمد الأحمدي الظواهري —
وأخبره أنه أسلم على يديه في
ولاية نيويورك ألفان معظمهم من

ألست ترى الاسلام في البلاد
الغربية وغيرها ينمو وينتشر بين
المثقفين وسواهم ، وأنهم حين
يتعرفون على عقائده السمحة ،
ومبادئه الرشيدة ، يقبلون عليه
اقبال الهمم النظماء على الماء ، من
غير أن يبعث اليهم المسلمون بخيل
ولا مركب ، ودون أن يوفدوا
اليهم بعثات تبشيرية ، كالذي

ليس هذا المقال موضع الحديث عنها .

وفي مدينة البعوث طلاب وطالبات من أمريكا وإنجلترا أصلهم مسيحيون ، ثم اقتنعوا بما فرغوه عن الاسلام فأسلموا ، وجاعونا ليحفظوا القرآن ويعرفوا الاسلام من معينه .

ومن الأنبياء الطريفة أن قرية انجليزية يطلق عليها اسم نوريش ، أسلم أهلها جميعا ، ورفضوا حياة الغرب التي يسيطر عليها الترف ، وهم يخططون لبناء قرية على غرار المدينة المنورة كما يتصورونها ، وقد ذكرت هذا الخبر صحيفة القبس في عدد ١٦/٢/١٩٧٩ ، وفي اليابان عشرات الألوف من المسلمين ، قرأ بعضهم ترجمة لمعاني القرآن فأسلم ، وأسلم بإسلامه خلق كثير هناك وبتزعمهم طيب كبير ، وفي كل عام يذهب الى حج بيت الله الحرام ومعه عشرات منهم ، وفي المولد النبوي يقيم حفلا كبيرا ، في صالة أفخم فنادق طوكيو ، ويدعوا اليه المسلمين وسواهم ،

السود ، وطلب من شيخ الأزهر أن يمدّه ببعض العلماء ليعاونوه في مهمته ، فاعتذر له شيخ الأزهر بأنه لا يوجد في ميزانية الأزهر وقتئذ شيء بشأن البعثات التبشيرية أو التربوية ، ووعدّه بأن يضمن الميزانية مستقبلا ما يغطى هذا الفراغ ويملؤه ، ولم يستطع الرجل أن يعود الى نيويورك فعاد الى بلاده ، وقام خلفاؤه ممن أسلموا على يديه أولا ، وعرفوا بعض المعارف الاسلامية — قاموا — بتتقيف المستجدين منهم ، وقد نما هؤلاء نموا عجيبا ، ومن أسلموا على أيدي خلفائه محمد علي كلاي بطل العالم في الملاكمة .

وكان السيد محمد ساني ماجد — عليه رحمة الله — طويل القامة فصيح العبارة ، وهو من أسرة سوار الذهب بالسودان ، وكان ينعت نفسه بشيخ اسلام أمريكا ، ويكتب ذلك في بطاقة باسمه لا تزال عندي منذ قدم الى مصر ، وقد حسدثني عن بعض مواقفه في الدعوة الى الله تعالى في نيويورك

الاسلام ، فانها أسماء الله وصفاته ، لئلا له واحد ، وصفاته متعددة ، وذلك أمر واقعي فالرجل منا واحد وله صفات كثيرة ، ولا يخرجها تعدد صفاته عن أن يكون واحداً في ذاته ، وقد أذيت هذه الواقعة في حينها على القناة (٩) في التليفزيون المصرى .

ولنا قريب اسمه : أحمد خالد الغزاوى ، ذهب الى أمريكا في بعثة ليكمل دراسته العليا في الطب هناك فعجب من اقبال الشباب المنقف على الاسلام هناك ، ووجدهم يعرفون كبار الكتاب المسلمين ، والمفسرين المعاصرين ، ورأى لديهم تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب ، وأرسل الى والده يطلب منه نسخة من الظلال وكتبها اسلامية أخرى ، فبعث له بها — الى غير ذلك من الصور المشرقة الكثيرة .

حالة الاسلام بين اهل

وبينما ترى الاسلام يمتد وينتشر في بلاد غير مسلمة ، نراه أصبح في أوطانه هدفا للرماة من

وفي كل حفل يقيميه مسلم عدد من المثقفين .

ولصديقنا الفاضل الاستاذ عباس العوضى نجل يسمى الدكتور عباس على اسم أبيه ، وهو استاذ في إحدى الجامعات بولاية من الولايات المتحدة ، وقد اتاه الله ديناً قيماً وأسلوباً حكيماً ، فأسلم على يديه كثيرون هناك ، وأقام بينهم إقامة ، وممن أسلم على يديه زوجته الأمريكية .

وحدث أن رجلاً أمريكياً أسلم هو وزوجته ، وقدموا الى مصر على متن إحدى الطائرات ، وكان في يد الرجل مسبحة يتلو عليها أذكاره ، فلقبه في رحلته رجل يهودى وسأله ماذا يقول فأخبره أنه أسلم ، وأنه يذكر الله على حبات المسبحة ، فقال له أن اليهودية دين التوحيد أما الاسلام فإن الآلهة فيه يصل عددهم ٩٩ تسعة وتسعين ، وكان الرجل فقيها دارساً فأجابه على الفور : لا تجد التوحيد الحقيقي الا في الاسلام دون غيره من الاديان ، وأما الآلهة التسعة والتسعون فشيء تفتقر به على

الملحدين وأهل المذاهب الهدامة ،
في حين أن حكام المسلمين لا هون
في المتعة والثراء ، أو مسخرون
لدول تعادى الاسلام ويعادىها ،
وتسعى لهدمه والقضاء عليه على
أيدي بعض حكامه الأجراء وعن
طريق الهيئات الشيوعية التي
اشتروها في المجمعات الطلابية
والعمالية .

وإذا كان الله تعالى يدعو
المسلمين الى الاتحاد بقوله
« واعتصموا بحبل الله جميعا
ولا تفرقوا » فانهم بدنياسهم
مشغولون ، وعلى شهواتهم
عاكفون ، وحكامهم مأجورون
أو غافلون ، والمحكومون بالحديد
والنار يحكمون .

ولقد أضعف بعضهم بعضا
بحقده على جيرانه ، وتدبير
المؤامرات له ، وقد أدى ذلك الى
طمع الكفار في ثروات البلاد
الاسلامية ، وشراء طغمة فاسدة
من أهل تلك البلاد ، ليصنعوا فيها
الامقلابات لهسابهم ، حتى اذا تم
لهم ما أرادوا ، نشروا فيها

الاحقاد ، وعطلوا دعوة الاسلام
وصادروها ، ولقد استطاع
الشيوعيون بأساليبهم المكرة ،
أن يضعوا لهذه الانقلابات مناهج
ناجحة ، مكتنهم من الاستيلاء على
أقاليم عظيمة التأثير في العالم
الاسلامى ، ومكتنهم من تطويق
المسلمين وثرواتهم في المشارق
والمغرب .

ألم يضموا أيديهم بهذا الأسلوب
المكرر على اليمن الجنوبية ، حيث
يتحكمون في مداخل البحر الأحمر ،
ويجعلوا من اليمن الثمالية
والسعودية ودول الخليج البترولية
مرماهم في أية جولة مقبلة ؟ كما
وضعوا أيديهم على حاكم ليبيا
وحكومة الجزائر وحكومة سورية
والحبشة ، وأدخلوهم في دائرة
نفوذهم ، ليطوقوا مصر
والسودان ، وتونس والمغرب .

وأخيرا فاجئوا العالم بغزو
أفغانستان والاستيلاء عليها ،
وحرب أهلها وثوارها المسلمين
حرب إبادة ، وما كان لهم أن
يحدثوا ذلك في بلاد الاسلام لو

لا مفر من الاعتراف بها ، واذا كانت أمريكا من خلفها تشد أزرها ، وتدافع عنها لمصالح تراها ، فما هو السبيل لاسترداد الأرض التي احتلتها في الدول العربية سنة ١٩٦٧ ، أنتركونها في يدها تصنع فيها ما تشاء ، وتبنى فيها المستوطنات اليهودية ، وتجعلكم أمام الأمر الواقع ، أم تعلمون على تخليصها من يدها ، فإذا كان لا يرضيكم ما فعلت مصر من التفاوض والصالح ، فما هو البديل لديكم ، وحيث لا بديل غير السلام ، فلماذا لا تسلكونه ، وانتم تتنادون به قولاً وسكوتاً ، وتتركون عدوكم وتحاربون مصر أختكم التي رفعت بالنصر رموسكم •

قالت مصر : ان السبيل الى استرداد الأرض العربية المحتلة هو السلام والمفاوضة ، بعد أن قدمت العرب فرصة السلام بانتصارها الساحق على إسرائيل ، حتى دخلت أمريكا لانقاذها بعد ركوعها ، وما رست مصر السلام

كان حكامها على مستوى قوله تعالى «واعتصموا بحبل اللجمية ولا تفرقوا» وقوله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » •

أضاع العرب فلسطين أو كادوا

لقد أضاع العرب بتفرقهم وسوء سياستهم ، وطاعتهم لأعداء دينهم — أضاعوا فلسطين أو كادوا فلا ترى دولة منهم تعمل لاستردادها واقرار أهلها فيها ، وكل الذي يحدث منهم أفعال بلا أعمال ، ووعود بلا وفاء ، وصراخ بلا عمل ، وهجوم على مصر التي تركوها وحدها ، تجاهد بالسلام والمفاوضة من أجلها ، بعد أن جاهدت بالسلام وحدها ، وانتصرت على إسرائيل بالسلام وحدها في حرب ١٩٤٨ رمضان سنة ١٣٩٣ — الموافق ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ولولا تدخل أمريكا لانتهت إسرائيل الى الأبد •

واذا كان المجتمع الدولي قد فرض إسرائيل ، وجعلها حقيقة

وبأمرها تأتمرون ، وقفت في سبيل السلام ، وقدمتكم للخصام ، كما يفعل اللئام ، فاندفعتم لتنفيذ سياستها رهبا ورغبا في مساعدتها ، وأقسم بمن خلق الحب والنوى لن يكون أمرها معكم أحسن من أمرها معنا ، ولن ينالكم منها أى نصر تبغفون ، وأية أرض محتلة تستردون ، وما أنتم معها الا مغالب قط ، وعبيد سيد متسلط ظالم قاس القلب ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، ولو فطنتم كما فطنت مصر ، وكنتم معها في سلامها ومفاوضاتها ، لوصلنا الى خير أكثر وسلام أسرع ، ولكنكم غافلون ، وغدا ستأكلكم كما أكلت مسواكم ، والمخطط الشيوعي للاستيلاء عليكم واحدة بعد أخرى قد أعده المختصون منهم ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

الصلح مع الأعداء مشروع في الاسلام

أفتونا أيها العرب : هل الصلح مع الأعداء حرام في الاسلام حتى تحاربوا مصر من أجله ؟

وتفاوضت عن طريقه ، واستردت به معظم سيناء ، والبقية في الطريق اليها خلال عامين بمشيئة الله ، وهى الآن جاهدة في مفاوضات الحكم الذاتى لفلسطين ، تمهيدا لحصول أهلها على حقوقهم فيها كاملة ، فما الذى جعلكم تنفرون من مصر ، وتؤلبون عليها الدول في المؤتمرات الدولية ، لقطع علاقاتهم بها كما فعلتم ؟ ولم تقتصروا على ذلك بل سميتم في تجويع أهلها واذلالهم !!

لماذا فعلتم كل ذلك بمصر أختكم الكبرى ، وسندكم في المعارك ضد أعدائكم ؟ وما فعلت ذنبا يستوجب ما فعلتم ، سوى أنها فطنت قبلكم لدسائس روسيا الشيوعية ، فأبعدت خبراءها ، وانتصرت بدونهم ، وأنهت معاهدتها معهم ، لأنهم يريدونها كسيرة الجناح ، راکمة أمامهم مستعبدة لسياستهم ، كافرة بدينها وأخلاقها من أجلهم ، فلماذا كله جن جنونهم حين انتصرت بدونهم ، ولم توقف الحرب وهى منتصرة من أجل سواد عيونهم ، فسلطتكم عليها وأنتم تزددلون

وأصحابه من السلاح سوى
السيوف في القرب .

وحينما وصل الجيش الى
عسفان — على مرحلتين من مكة —
جاءه أحد رجاله يخبره أن قريشا
أجمعت على صددهم عن مكة ،
وتجهزوا للحرب ، وكان خالد
ابن الوليد حينئذ مشركا ، فخرج
في مائتي فارس طليعة لهم ،
ليصدوا المسلمين عن التقدم ، فقال
صلى الله عليه وسلم ، هل من رجل
يأخذ بنا على غير طريقهم ؟ فقال
رجل من قبيلة (أسلم) أنا يا رسول
الله ، فصار بهم في طريق وعرة ،
حتى وصل بهم الى مستوى سهل
يملك مكة من أسفلها .

فلما علم خالد ما فعله المسلمون ،
رجع الى قريش وأخبرهم الخبر ،
ولما كان الرسول بشية (المزار) —
مهبط الحديبية — بركتناقتيه
فزجروها فلم تقم ، فقالوا خلأت
القصواء — أي حرفت وبركت من
غير علة « فقال صلى الله عليه
وسلم » والله ما خلأت وما ذلك
بخلق لها ، ولكن حبسها حابس

ألم يصلح الرسول « صلى الله
عليه وسلم » قريشا صلح الحديبية
سنة ست ، مع أنها أخرجته مع
المؤمنين من ديارهم ، وكان بالصلح
شروط واضحة الاجفاف بالمسلمين ،
فقبلها الرسول رغبة في السلام ،
وتطلعا الى مستقبل مشرق يراه
بنور النبوة .

رأى الرسول « صلى الله عليه
وسلم » في منامه أنه دخل هو
وأصحابه المسجد الحرام آمنين
مطلقين رموسهم ومقصرين ، فأخبر
أصحابه بذلك وأنه يريد العمرة
تحقيقا لمنامه ، واستنفر الأعراب
حول المدينة ، ليكونوا معه حذرا
من أن ترددهم قريش عنه عمرتهم ،
لكن الأعراب أبطأوا وتقايسوا ،
بظنهم أن الرسول والمؤمنين
لن ينقلبوا الى أهلهم أبدا ،
واعتذروا قائلين : (سفلتنا أموالنا
وأهلونا فاستغفر لنا) فخرج صلى
الله عليه وسلم في ألف وخمسمائة
من المهاجرين والأنصار ، وأخرج
معه الهدى ليعلم أهل مكة أنه لم
يأتهم محاربا ، ولم يكن مع الرسول

عليه وسلم مع أصحابه ، فقد قال : انه لا يتوضأ وضوءه الا كادوا يقتتلون عليه ، ليمسحوا به ، واذا تكلموا بحضرتة خفضوا أصواتهم أجلا لا لقامه ، ولا يجدون النظر اليه ، وقال : والله يا معشر قريش • جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في عظمته ، فما رأيت ملكا في قومه مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا ، فانظروا رأيكم ، واقبلوا ما يعرضه عليكم ، وانى أخشى أن لا تنصروا عليه ، فأصروا على رده في هذا العام ليمود الى العمرة في العام المقبل ، واختار النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ، ليبغلوهم أنه لا يريد سوى العمرة ، وأنه ساق الهدى ولا يريد حربا ، واستأذن معه عشرة من الصحابة ليزوروا أقاربهم ، وأمر النبي عثمان بن عفان أن يأتي المستضعفين ويشرهم بقرب الفتح واظهار الاسلام ، فدخل عثمان في جوار أبان بن سعيد الأموي ، ثم بلغ الرسالة ، فأصرت قريش على منع

الفيل ، والذي نفس محمد بيده : لا تدعوني قريش لخصلة فيها تمنعني حرمة الله الا أجبتهم اليها - مع أن المسلمين لو قاتلوا أعداءهم في هذا الوقت لظفروا بهم ، ولكن الله تعالى كف أيدي المسلمين عن قريش ، وأيدي قريش عن المسلمين ، حفاظا على حرمة البيت الذي جعله الله حرما آمنا ، يوطد المسلمون دعائم الأمن فيه ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول أقصى الحديبية •

واختصارت قريش عروة ابن مسعود الثقفي سيد الطائف ، ليتكلم باسمهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد كانوا يظنون أنه جاء لحربهم والاستيلاء على مكة في مسورة مريد للعمرة ، فحضر اليه صلى الله عليه وسلم ، وذكره بأن قريشا أهل فكيف يحاربهم بالغرباء ، وقال انهم أقسموا أن لا يدخلها عليهم عنوة ، وبعد نقاش عاد عروة بن مسعود الى قريش ، وحدثهم بمكانة النبي صلى الله

وليصيبوا منهم غرة ، فأسرهم محمد بن مسلمة حارس الجيش ، وفز رئيسهم مكرز بن حفص ، فجاء جمع منهم للمناوشة المسلمين ، فأسر المسلمون منهم اثني عشر رجلا ، وقتل من المسلمين رجل واحد .

شروط الصلح

لما رأت قريش النتائج الأولية للمناوشات ، أرسلت سهيل ابن عمرو ليتكلم في الصلح مع الرسول ، فاعتذر عما حدث من المناوشات بأنها من عمل سفهاءهم ، وطلب منه رد الأسرى ، فقال حتى تردوا عثمان والعشرة الذين أسرتهم ، فردوهم ، وعرض سهيل شروط الصلح التي تريدها قريش ، وهي (١) وضع الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنوات (٢) من جاء من المسلمين مريثا إلى قريش لا يلزمون برده إلى المسلمين ، ومن جاء من قريش إلى المسلمين مؤثما فأنهم يلزمون برده إلى قريش (٣) أن يرجع النبي بغير عمرة هذا العام ، ثم يأتي مع

الرسول من دخول مكة هذا العام ، وحلفت أن لا يدخلها عليهم عنوة ، ثم طلبوا من عثمان أن يطوف بالبيت ، فقال : لا أطوف ورسول الله ممنوع ، ثم حبست قريش عثمان ، فشاع عند المسلمين أنهم قتلوه ، فقال صلى الله عليه وسلم « ان كان ذلك فلا نبرح حتى نناجزهم الحرب » .

بيعة الرضوان نذير الحرب

دعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ليبياعوه على القتال ، فبيعوه تحت شجرة هناك على الموت ، وفيهم نزل قوله تعالى « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » . الآيات من سورة الفتح ، سميت هذه الشجرة شجرة الرضوان ، لأنه تعالى رضى عن المؤمنين الذين بايعوا الرسول على الموت في سبيل الله تحتها .

وشاع أمر هذه البيعة عند قريش ، فربحوا منها رعبا عظيما ، وكانوا أرسلوا خمسين رجلا ليطوفوا حول عسكر المسلمين ،

فأمره الرسول بذلك ، ثم قال : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل : لو تعلم أنك رسول الله ما خالفناك • اكتب محمد ابن عبد الله ، فأمر الرسول عليا بمحوها وكتابة محمد بن عبد الله ، فلم تطاوعه نفسه ، فمحاها النبي بيده ، وكتبت نسختان ، احدهما لقريش والأخرى للمسلمين •

وبعد ذلك تحال النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون من احرامهم بالحلوق ونحر الهدى ، وكان ذلك عليهم كحز الرقاب ، ولكن هذا الصلح بشروطه القاسية كان خيرا وبركة على الاسلام والمسلمين ، واتفشت لهم مع الأحداث حكمة الرسول في قبوله ، وما أكثر أحداث هذا الصلح وآثاره العظيمة !!!

ومن أحداثه أن عتبة بن أسيد الثقفى - وكنيته أبو بصير - فر بدينه من قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلت قريش في أثره رجلين يطلبان تسليمه ، فأمره النبي بالرجوع معهما ، فقال : يا رسول الله ،

أصحابه في العام المقبل سيدخل مكة ، ويقيم بها ثلاثة أيام وليس معه ومع أصحابه الا السيف في القراب والقوس (٤) من أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه ، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الشروط ، ولكن المسلمين داخلهم منها أمر عظيم • وقالوا كيف نرد اليهم من جاعنا مسلما ، ولا يردون الينا من جاءهم منا مرتدا ؟ ورد النبي قائلا : من ذهب منا اليهم فقد أبعد الله عنا ، ومن جاعنا منهم مسلما مخلصا فرددناه فسيجعل الله له فرجا ومخرجا •

وقد سأل عمر أبا بكر : أليس رسول الله قد أخبرنا أنه رأى في منامه أننا سندخل المسجد الحرام آمنين ؟ فأجابه بقوله : وهل ذكر أنه في هذا العام ؟

ثم ألقى النبي صلى الله عليه وسلم شروط الصلح قائلا : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل ابن عمرو : اكتب باسمك اللهم ،

ابن سلاوى ملك البحرين وملكى عمان جيفر وعبد ابنى الجلندى وغيرهم من الملوك والأمراء ، يدعوهم الى الاسلام فمنهم من أجاب بالاسلام ، ومنهم من أحسن الرد ولكنه لم يسلم ، ولكن هذه الكتب كان لها أثرها العظيم فى الحديث عن الاسلام ، وتهيئة الجو لقبوله وتعرف أخباره ، والحديث فى ذلك يطول فنكتفى بذلك الموجز الآن .

الصلح مع تيماء اليهودية

وكما صالح النبى صلى الله عليه وسلم المشركين ، وقبل شروطهم الجائرة كمرحلة فى سبيل السلام والفتح ، فانه صالح اليهود أيضا فبعد أن فرغ من عقاب يهود المدينة وخير على نكثهم عهودهم معه ، وغدرهم وخيانتهم له ، سالم من وجده مسلما منهم وعاهده على البقاء فى دياره ، ومن هؤلاء يهود تيماء - قرية على ثمانى مراحل من المدينة - فانهم لما عرفوا مصير اخوانهم الذين خانوا

أتردنى الى الكفار يفتتونى فى دينى بعد أن خلصنى الله منهم ؟ فقال : ان الله جاعل لك ولاخوانك فرجا ، فرجع مع الرجلين ، ولما بلغ ذا الحليفة قتل أحدهما وهرب منه الآخر ، فرجع أبو بصير الى المدينة ، وقال : يا رسول الله . لقد وقت ذمتك ، أما انا فنجوت ، فقال له : اذهب حيث شئت بولايتكم بالمدينة ، فذهب الى موضع بطريق الشام تمر به قوافل قريش فأقام به ، واجتمع معه جمع ممن كانوا مسلمين بمكة وجمع من الأعراب وقطعوا الطريق على تجارة قريش ، فأرسلت قريش يستغيثون به ، ويطلبون منه ابطال هذا الشرط ، ويعطونه الحق فى امساك من جاءه مسلما ، فقبل منهم وأزاح الله بذلك غمهم من هذا الشرط ، وعلموا حكمة الرسول فى قبول بنود الصلح التى كان من آثارها اتصال الكفار بالمسلمين ، ومعرفتهم سماحة الاسلام ، فخالطت بشاشة قلوبهم وأعدتهم لقبوله ، كما أنه مكن الرسول من مكتبة قيصر والمقوقس والنجاشى وكسرى والمنذر

وسمّيتهم وسمّياتهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله ومحمد النبي ، ومن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر) ثم قال (وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ، ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر) .

وكتب لأهل أذرب وجرباء (بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرب وجرباء أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب والحية طيبة ، والله كفيّل بالنصح والاحسان للمسلمين) وصالح أهل ميناء على ربيع ثلثهم .

صلحه مع أهل نجران المسيحيين

وصلاتهم في المسجد

وفد على النبي نصارى نجران ، وكانوا بسنتين راكبا ، ودخلوا المسجد وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير ، مختمين بالذهب ، ومعهم بسط فيها تماثيل ومسوح جاءوا بها هدية للرسول ، فقبل المسوح ورد البسط لما فيها من

عهودهم مع الرسول ، صلحوه على دفع الجزية ، ومكثوا في بلادهم آمنين .

يهود وادي القرى

أما يهود وادي القرى فقد هاسرهم ودعاهم الى الاستسلام ، فلما أبوا قاتلهم ، ولما انتصر عليهم أبقاهم في الأرض يزرعونها بشطر ما يخرج منها .

صلحه مع المسيحيين

لا خرج صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، ولم يجد هناك جيشا يلقيه ، مكث هناك أياما جاءه خلالها صاحب أيلة واسمه يوحنا ، وصحبته أهل جرباء - قرية جنوب الشام - وأهل أذرب - مدينة قرب السراة - وأهل ميناء ، فصالح يوحنا رسول الله على اعطاء الجزية ولم يسلم ، وكتب له الرسول كتابا نصه كما يلي : -

(بسم الله الرحمن الرحيم : هذا أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ، ليوحنا وأهل أيلة ،

السميع العليم ، وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين » •

فكيف يعترض الراضون على الصلح مع اليهود وتخليص حقوقنا منهم بالمفاوضات ، حيث تعذر حصولنا عليها بالحرب لدخول أمريكا الحرب معهم حماية لهم ، ولأن المجتمع الدولي في صفهم فيما أخذوه من الأرض قبل سنة ١٩٦٧ ١٢ فإذا كانت المفاوضات لاتعجبهم والسلام لا يرضيهم ، فلماذا لم يدخلوا الحرب مجتمعين لينفوا إسرائيل في البحر كما يريدون ، ماداموا راضين للصلح الذي يستردون به الأرض التي انتزعت في حرب سنة ١٩٦٧ •

يا قوم : ان الاسلام يجنح للسلام ، وان موقفكم السلبي يضر أكثر مما ينفع ، وان أهل فلسطين هم الذين يقاسون ويلات العذاب في أرضهم وفي مخيمات لبنان وأنتم عنهم لاهون ، وبسوء سياستكم متورطون مكبلون ،

التمثيل ، ولما جاء وقت صلاتهم ، سمح لهم الرسول بالصلاة في المسجد مستقبلين بيت المقدس ، ودعاهم الى الاسلام فامتنعوا ورضوا باعطاء الجزية ، وهي ألف حلة في صفر وألف حلة في رجب ، مع كل حلة أوقية من ذهب ، ثم قالوا : أرسل معنا أمينا ، فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح ، وكان لذلك يسمى أمين هذه الأمة.

خاتمة

تبين من هذا السرد أن الصلح مع أهل الكتاب مشروع ، وأن النبي بإثراء بنفسه مع اليهود والنصارى ، كما أنه معروف بأول النظر أن الاسلام انما شرع الجزية مع أهل الكتاب عندما نصالحهم ونعاهدهم ، وأنه تجاوز أهل الكتاب الى المشركين فأجاز الصلح معهم ، اذا وجدت فيه مصلحة للمسلمين — مع أنهم أشد بعدا عن الاسلام من اليهود والنصارى ، كما حدث من النبي في صلح الحديبية ، وتجاوبا مع قوله تعالى « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو

فان لم ترجع اليكم عقولكم ،
وتتيقظ فيكم ضمائرکم ، فلسوف
تنقلب بكم عروشكم وكراسيكم ،
ويحل بكم انذار ربكم « وان
تقولوا يستبدل قوما غيركم ثم
لا يكونوا أمثالكم » ولا يبعد أن
يكون البديل عنكم من بلادكم ،
ثم من بعد ذلك من بلاد غيركم ،
حيث انتشر الاسلام وعاد اليه

شبابه بينهم ، وتنبه في أعماقهم
شعور ديني دافق ، يدعو الى
تنفيذ شريعة القرآن ، لابقاذ
البشرية من سوء المصير ، بعد أن
انتشر الكفر والطغيان ، والظلم
والحرمان ، وفشلت سياسة البشر
في علاج بلايا الاسان ، اللهم انى
بلغت • اللهم فاشهد •

مصطفى محمد الحديدى الطير



نظرات قرآنية :

من الجريد عن أصحاب الكهف

للدكتور محمد رجب البيومي

« نحن نقص عليك نبأهم بالحق ، أنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه ألها ، لقد قلنا انن شططا »

قرآن كريم

اذ لا يكفى أن نفهم أحداث السورة بعيدا عن مسرحها التاريخي حيث يحدد الاطار الدقيق للملامح الخافية فتكمل الصورة بقسماتها الواضحة أمام الناظرين •

لقد بعث الله أصحاب الكهف في زمن معين ، تبرز أحداثه الحكمة الخالصة في بعث هؤلاء النائمين من سباتهم العميق ، اذ أن دعوة عيسى عليه السلام كانت في عهده دعوة التوحيد الخالص ، وكذلك دعوات الأنبياء جميعا من لدن آدم عليه السلام الى خاتم النبيين

قصة أهل الكهف ذائعة مشتهرة وقد شرح المفسرون سورة الكهف شرحا يجلوها أمام من تخفى عليه رائعات المعاني ، ودقائق الاشارات وخصصها نفر من العلماء بكتب مستقلة منها ما يشرح الأحداث شرحا وعظيما ، ومنها ما يحلل الأسلوب القصصي في كتاب الله تحليلا فنيا يظهر قوة الترابط ، وتتابع الأحداث ، وتفسير النوازع ولكن ذلك كله لا يمنع أن نتحدث عن السورة الكريمة بما نعتبره كالجديد ، لدى بعض القارئ ،

وليذكروا قومهم بالاله الواحد
فاطر السموات والأرض ، وبتقريبه
عن الأبوة والبنوة ، وما يمت الى
البشرية من صفات ، وتجد أدلة
ذلك في مفتتح سورة الكهف اذ
يقول الله عز وجل (الحمد لله
الذى أنزل على عبده الكتاب ، ولم
يجعل له عوجا ، فيما لينذر بأسا
شديدا من لدنه ، ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات أن لهم
أجرا حسنا ، ما كنا فيه أبدا ،
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا
مالهم به من علم ، ولا لبائهم ،
كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن
يقولوا لا كفبا) (١) .

فهذا الافتتاح المجمل بحمد
الله الذى أنزل على عبده الكتاب
ليبشر المؤمنين وينذر الذين قالوا
اتخذ الله ولدا دون علم صحيح ،
يعتبر براعة استهلال جيدة تمهد
لقصة هؤلاء المبعوثين بعد الرقاد
لأن الله عز وجل قد جعل
استيقاظهم الواجب تصحيحا لخطأ

محمد « صلى الله عليه وسلم » تصديقا
بقول الله عز وجل : (شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا ، والذى
أوحينا اليك ، وما وصينا به إبراهيم
وموسى وعسى أن أقيموا الذين
ولا تتفرقوا فيه ، كبر على
المشركين ما تدعوهم اليه ، الله
يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه
من ينيب) (١) .

هذه الدعوة الحاصلة لله ، ذات
التوحيد الحاصل من شوائب
التعدد ، قد حرفت بعد فترة ،
وخرجت عن لبابها الالهى الى
نحو يتجه وجهة التثليث ، ويتحدث
عن الأب والابن وروح القدس ،
وقد تشعب الجدل بين رؤساء
الكنائس دون أن يتجه وجهته
الصحيحة ، حتى افترس الناس ،
وضلوا معنى الألوهية المنفردة
بالكمال ، فشاء الله عز وجل أن
يبهض أصحاب الكهف من رقادهم
الطويل ، ليطنوا كلمة التوحيد
الخالص ، لن حادوا عن الطريق ،

(١) سورة الشورى . الآية : (١٣)

(٢) سورة الكهف الآيات من (١) الى (٥)

كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، قل الله أعلم بما لبثوا ، له غيب السموات والأرض ، أبحر به واسمع ، طالعهم من دونه عزولى ولا يشرك فى حكمه أحدا (١) ، وهكذا تلتئم براعة الاستهلال مع توجيه الخاتمة فى نهاية المقطع بما يوضح القصة فى حيز مميز غاطق الدلالة ، واضح التفسير .

هذا الرمن المشرى الذى احتلط فيه معنى التوحيد احتلاطا ملتبسا لدى اتباع عيسى عليه السلام ، كان ظرفا مهبطا لمبعث هؤلاء الفتية ، كى يعلنوا حقيقة الاعتقاد الصحيح ، فيعيدوا الى المسيحية روحها الأولى كما دعا اليها نبيها الكريم ، اد يجهرن وسط المحنفلين ببعثهم الخارق بأن الله واحد مالهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا ، واذ يعلنون أنهم فروا من تعدد الآلهة حين اضطهدهم دقيانوس الوثنى فمضوا الى الكهف هاتفين (ربنا رب السموات

وفى فيه المتدينون حين ضلوا سبيل التوحيد واتخذوا من دون الله آلهة تشاركه السيطرة والنفوذ وذلك بعض ما يفهم من قول الله عز وجل (نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه آلهة ، لقد قلنا ان شططا ، هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة ، لولا يأتون عليهم بمسلطان بين ، فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، واذ اعتزلتموهم وما يعصون الا الله ، فآووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ، ويهيىء لكم من امركم مرفقا) (١) .

وتمضى السورة الكريمة متحدثة عن أمر هؤلاء الفتية بما يعلمه قارئها المتأمل ، حتى اذا أوفت على نهايتها شاء الله عز وجل أن يعود الى حديث التوحيد الخالص فيقول تعالى شأنه (ولبثوا فى

(١) سورة الكهف - الآيات من (١٢ : ١٦)

(٢) سورة الكهف - ٢٥ ، ٢٦

في فلسفة تفسر ما تظنه ديانة المسيح ، وقد كان لها رجالها الأعلام ، ودعاتها المؤثرون ، فألبسوا العقيدة لباسا تتكره دعوة التوحيد ، وشاركوا العامة في تعدد الآلهة ، فكان مبعث أهل الكهف هاتفين بالتوحيد الخالص ، تصحيحا لما ارتطم فيه العامة والخاصة من ضلال ، لو وجدوا من يستجيب للحق على وجهه الصحيح .

وأكبر ما مز دعاة الافلاطونية من بعث أهل الكهف هو تحطيم مبدئهم الفلسفي في الايمان بالعلية التي تربط السبب بالمسبب ، وتتنكر لمعجزات النبوة والخوارق الشاذة عن طبائع الأشياء ، لأن بعث هؤلاء النائمين في كهفهم العتيق بعد أكثر من ثلاثمائة عام أمر حارق يحطم هذه العلية المقدسة لدى المتحمسين لها من أصحاب الأقيسة والأدلة ، اذ يجعل هذه الفجاءات المدهشة ذات قطر جديد لدى من يحتمون أن تصير الأمور في طريقها المعهود ، واذا فعد بعث الله أصحاب الكهف ليقولوا

والأرض ، لن ندعو من دونه لها ، لقد قلنا اذن شططا) وتلك احدى آيات الله في بعثهم الخارق ، ونشرهم المعجز بعد أكثر من ثلاثمائة عام .

واذا كانت العامة حينئذ قد ضلت سبيل التوحيد ، فان ذوى العقول المفكرة من متعاطي الفلسفة الجدلية مناقشى القضايا الفكرية قد وقعوا في ضلال مماثل حين أخذت الافلاطونية الحديثة ، تغمر الفلسفة المسيحية اذ ذاك بضباب قاتم ، يطمس لآلاء الحقيقة ، فأخذ مفكرو المسيحية بنظرية العقول المتعددة ، متأثرين بفلسفة اليونان ، اذ تجمل من العقول المتعددة ما يرمز الى الأب والابن وروح القدس ، لتوائم بين الوثنية القديمة في فلسفة الاغريق ، وماتظنه يتصل بما جاء به المسيح عن السماء ، ونحن نعرف أن الافلاطونية الحديثة قد تأثرت بالاغريق غربا ، والهند شرقا ، فأخذت نظرية العقول من الاغريق وأخذت انبثاق الابن عن الأب الآلهة من الهند ، ومزجت ذلك كله

وكما كان بعث أهل الكهف
مفاجأة لمن عرفوا دعوة المسيح
عن اعتقادها الصحيح ، فقد كان
نزول سورة الكهف مفاجأة مماثلة
لمشركي مكة ، حيث أرادوا أن
يعجزوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بما ظنوا أنه ليس في مقدوره
فأرسلوا وفدا من المشركين إلى
يهود المدينة ، يتقدمهم عقبه
ابن أبي معيط ، والنضر بن الحارث
وغيرهما من صناديد قريش
ليعلموا من أخبار أهل الكتاب
ما يظنونه هذما لدعوة الإسلام ،
وقد سأل عنه هؤلاء الأجهار
أسئلة من يتطلع إلى أمر يضايقه
وجوده ، ويود بجذع الأنف أنه
لم يكن ، ولذلك أعملوا تفكيرهم
الجاهد في ابتداع أسئلة يظنونها
ذات أجابة مستعصية ، وقد
أفهموا المشركين أن محمدا إذا لم
يجب عنها فليس برسول ، وفي
ظنهم الواهم أنه لن يجيب ، وكان
في طليعة هذه الأسئلة المتصدية
سؤال تاريخي عن فتية بعثوا من

لدعاة الأفلاطونية السفين يصرون
على ربط المسيبات بالأسباب دائما
دون تصديق لمعجزة ربانية تخرق
السنن الطبيعي حين تجتازه إلى
سواه ! أجل لقد بعث الله أصحاب
الكهف ليقولوا لهؤلاء : لقد قمنا
من الرقاد العميق منذ ثلاثمائة عام
على غير ما تتوقعون ، فأين يذهب
إيمانكم الشديد بمبدئكم الفلسفي
في إنكار المعجزات ؟ وإذا كنتم
— أو بعضكم بالتأكيد — تفكرون
البعث الأخرى بدعوى استحالية
في أفهامكم المحدودة ، فإن بعث
أهل الكهف قد هدم هذا الإنكار
بملا شبهة فيه ، إذ جاء دليلا
لموسا على البعث الأخرى دليلا
يراه العيان ، وهو أقوى من كل
برهان ، ولذلك يقول الله عز وجل
(وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن
وعد الله حق ، وإن الساعة لأريب
فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم ،
فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم
اعلم بهم ، قال الذين غلبوا على
أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) (١)

رقلدهم بعد مدى طويل ، وواضعو هذا السؤال يفترضون افتراضا لا حليل عليه أن رسول الله قسّد قرأ التوراة والانجيل ثم ادعى الرسالة ليكون نبيا من طراز موسى وعيسى ، فشاءوا أن يتقدموا بسؤال عن قوم لم يذكروا في التوراة والانجيل حتى يعجزوا الرسول فلا يجيب ، وقد طار المشركون فرحا بما أحضروه من الأسئلة وتقدموا بها الى الرسول في تحد صريح ، وشاء الله أن يمكث الرسول قرابة خمس عشرة ليلة دون لجابة ، إذ أبطل عنه الوحي ، فعصوا ذلك التلخير انتصارا مبينا على رسول الله ، ولم تقدم لهم هذه الفرحة الشامتة إذ نزل الوحي الأمين بسورة الكهف ليكشف للجولب للصريح في صدق أمين .

أما المفاجأة المذهلة التي نعيمها في هذا النطاق ، فهي مفاجأة المشركين أنفسهم بدعوة التوحيد في قصة أهل الكهف ، إذ أعلنت صراحة ايمان المبعوثين بالوحدانية ، وأكدت ما يدعو اليه رسول الله حين جعل التوحيد عقيدة الاسلام ، ونادى

بمحاربة من يدعون من دون الله ، فماذا عسى أن يقول هؤلاء المشركون ، وهم يسمعون حديث فتية آمنوا بربهم فزادهم هدى ، وقد ربط على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها ، لقد قلنا اذن شططا ، يا الله ، لقد نزلت آيات شافية صدور قوم مؤمنين ، وكاتمة أفواه نفر مشركين ، ثم هي بعد تملأ بالحيرة والدهش عقول الأبحار بالمدينه حين أذهلهم أن يعلم نبأ هؤلاء المستيقظين عسرى أمى نشأ في بلد بعيد عن موقع هذا الحدث الخطير وقد أتى بأدق وصف يعلمه هؤلاء من أمر القوم ، إذ جاء بوصف الشمس متيامنة متياسرة ، وبمشهد النائم في فجوة مستترة لا يحيط بعلمها غير له « وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ، وهم في فجوة منه ، ذلك من آيات الله ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ،

ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال،
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا
وللئت منهم رعبا» (١) .

لقد أبدعت السورة الكريمة
تصوير هذا البعث المفاجئ ،
وما يتضمن من حيرة مذهلة شملت
أهل الكهف أنفسهم كما غمرت من
بعثوا في عهدهم من الناس ، وقد
تدرج الأمر طبيعيا حين استيقظ
الفتية من النوم وهم يظنون أنهم
رقدوا يوما أو بعض يوم ، ثم
أهسوا بالجوع فطلبوا من أحدهم
أن يذهب الى المدينة ليشتري
الطعام ، وأوصوه أن يكون حذرا
كيلا يدركه الأعداء فيوقعوا بهم
أشد العذاب ، (أنهم ان يظهروا
عليكم يرجوكم أو يعيدوكم في
ملتهم ولن تفلحوا أئن أبدا) (٢) .
أما الدهشة الكبرى وهي انتفاضة
البعث بعد النوم الطويل فقد
أوجزها القرآن أيجازا بليغيا
لأنها بواقعها المشاهد تمثل اطنابا

نفسيا يمتد ويتمتع ، ليشمل أفسح
الفراغات في المشاعر والعقول ؛
وقد عصفت حقيقتها الخارقة بكل
سفسطة وأئت على كل اعتراض .
ومعلوم « أن القصص القرآني
في كل مشاهد لا يساق لذاته ، بل
لما يطوى من عبر تهدي الى الخير
في الحياة ، وترتفع بالسلوك
الانساني حين تشبه المسالك ،
وتوحش الدروب ، وقد ختمت قصة
هؤلاء بما يجب التقيد به من هدى
رباني حين يجدر أن نعقب بمشيئة
الله اذ تصور مانأتى به من الافعال
« ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك
غدا الا أن يشاء الله ، وانكر ربه
اذا نسيت ، وقل عسى أن يهدينى
ربى لأقرب من هذا رشدا » (٣) هو
تنبيه ضرورى للمؤمن اذ يجعله
متصرفا وفق مشيئة خالقه ، تلك
التي تسيطر على الكون بما يضم
ومن يضم من الكائنات ، وبها تنتظم
الأمور وتطرّد الأحوال .

د . محمد رجب البيومي

(١) سورة الكهف آية : ١٧ ، ١٨

(٢) سورة الكهف آية : ٢٠

(٣) سورة الكهف آية : ٢٢ ، ٢٤

المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف

دكتور روف شاہی

(٢)

« قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » « ١٠٣ ، ١٠٤ الكهف ٠ »

للتطور الحضارى فلن يسع هذا
التطور جميع الافراد ، ومن هنا
ينشأ عندهم ما يسمى بالمشكلة
الاقتصادية نظرا لعدم امكان
اشباع جميع الافراد بحاجاتهم •

فالمشكلة الاقتصادية اذن في نظر
الرأسماليين :

ان الثروة الطبيعية لا تستطيع
مواكبة التمدن المتلاحق وبالتبع
لا تستطيع اشباع جميع ما يستجد
من البشر خلال التطور المدنى •

وعناصر المشكلة في نظر هؤلاء
ثلاثة :

تتفق النظريات الاقتصادية على
وجود ما يسمى اصلاحيًا بالمشكلة
الاقتصادية •

* فالرأسمالية تذهب الى ان
المشكلة الاقتصادية هي :

قلة الموارد الطبيعية نسبيا نظرا
الى أن الطبيعة محدودة فالارض
لا يمكن زيادة كمها ولا يمكن زيادة
ثرواتها المتنوعة رغم ان احتياجات
الانسان تنمو وتزيد وتطرد وفقا
لتقدم المدنية وازدهارها •

ويظنون أن الطبيعة عاجزة عن
تلبية جميع تلك الحاجات بالنسبة

التنفس عن ضيقه والبحث عن
مصادر للمواد المعيشية •

(ب) انه لا يملك مصدرا في
عقيدته يغذيه بأبعاد ما تحتويه
الارض من قدرة على اشباع جمع
الرغبات حتى تأخذ هي زينتها •

(ج) ان الدين لم يستطع ان
يضع لهم تصورا صحيحا عن علاقة
الانسان بالكون •

* وأما الشيوعية أو
الاشتراكية فتذهب الى ان المشكلة
الاقتصادية هي : مشكلة التناقض
بين شكل الانتاج وعلاقات
التوزيع فادا تم الوفاق بين الانتاج
والتوزيع ساد الاستقرار في
الحياة الاقتصادية •

واذا كان الشيوعيون يقولون
بنظرية التناقض فما هو الحد الذي
تقف عنده موجات التناقض ومن
الذي سيوقف هذا التناقض ، ومن
الذي سيحدث الوفاق بين الانتاج
والتوزيع اذا سلب الفرد حريته
في اختيار العمل المعين ولم يأمل في
توزيع عادل يضمن له حاجاته من
بعد •

١ — الحاجة

٢ — الموارد

٣ — الموازنة بينهما •

* فبالنسبة للحاجات : فانها
رغبة طبيعية تتجدد وتتطرد
وتتنوع وهذا يتطلب موارد تغطي
الكم لاشباع الرغبات •

* وبالنسبة للموارد فالارض
الزراعية لا يمكن ان تنتج لنا من
الماكولات كل مانشتهيه ومن الغذاء
كل ما نحتاج اليه وكذلك بقية
المواد الطبيعية فهناك ندرة نسبية
بين الحاجات والموارد وتبعاً لهذا
هان المواد تتناسب طرذا وعكسا في
ندرتها •

* يظهر من ذلك ان الرغبات
لا تعطىها كمية الموارد وعليه تقوم
مشكلة اقتصادية هي محاولة
التوفيق بين الحاجات والمواد بقدر
ما يمكن •

وعلة هذا الخلط في الفكر
الرأسمالي :

(١) انه يعيش في رقعة ضيقة
سببت له عدة حروب من اجل

(د) تحويل مفهوم الربح من محتواه الانساني في المحافظة على استمرار رأس المال ليؤدي وظيفته الاجتماعية الى رغبة جامحة في الثراء بشتى الطرق .

(هـ) انفاق مسرف على المظاهر البسراقة في الدعاية ، والترغيب والأمزجة غير الاخلاقية وهي ممارسات تحمض مشكلة اقتصادية من حيث :

(أ) ضياع جزء من المال هباء .
(ب) ضياع وقت من الزمن دون انتاج .

(ج) الاصابة بأمراض تسبب خسارة في انفاق طبي دون مقابل ، لأنه كتطبيب لصحة معلولة .

(د) تعطيل قوة من قوات وسائل الانتاج .

ولهذا حذر الاسلام من كل هذه المظاهر التي تسبب الضيق الاقتصادي على نحو ما سنعالجه ان شاء الله فالؤمن القوى خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف .

ولعل الواقع الشمسيوى والاشتراكي يعطينا من الاطالة في تصوير فشل المذهب بكل أبعاده وقضاياها فالاشتراكية في جميع البلدان فاشلة في تحقيق حاجة الانسان الى الحرية قبل الطعام .

والخلاصة : ان المشكلة الاقتصادية نتاج طبيعي للنظريات الاقتصادية حسب تصورهما بدليل ان الحياة الاقتصادية في عصر المقايضات والبدائل المينية لم تشعر بمشكلة اقتصادية فان الكل ينتج حاجاته وتبادل الحاجات عن طريق المينات قبل ان يكون التداول نقديا هو عصب التوازن الاقتصادي قديما .

فالمشكلة الاقتصادية نتيجة (أ) ظهور النقد كبديل في المقايضات .

(ب) استخدام النقد في الادحار وابعاده عن مجال الاستثمار الفطلى لصالح المجتمع .

(ج) استخدام النقد في التعامل السربوى الذى يعطى رأس المال نسبة من العمل دون أن يجهد صاحبها في الانتاج .

الاسلام والمقومات الاقتصادية

(ا) الملكية وحرية الانتاج .

(ب) وسائل الانتاج .

(ج) الاتفاق والتضيق .

(د) العدالة الاجتماعية .

(هـ) التداول .

نظرية الاسلام الاقتصادية
أهدى النظريات التي تدخل في
الاطار العام للدين الاسلامي كمنهج
للحياة .

فاذا كانت الاديان الاخرى قد
تحددت بقوم مخصوصين وأماكن
وأزمنة محددة حسب نصوصها ،
فان الدين الاسلامي دين عام
وشامل للناس جميعا ، وللزمان
كله ، وللمكان بأجمعه
« وما أرسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا » ٢٨ سبا

« قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا » ١٥٨ الأعراف

والاسلام كمنهج للحياة
الانسانية يضع الاسلوب الذي
يتعيش الناس عليه قد وضع

للاقتصاد حدودا وقواعد تحقق
الغاية التي ينشدها الانسان في
حياته وهو أن يعيش راضيا وسعيدا
مشرئبا لحياة افضل في دار النعيم
يوم يحاسب المرء على ما قدم
وأخر ، وعلى ما كسبت يده وعن
ماله مما جمعه ونعيم انفقته ؟

والمقومات التي وصفها الاسلام
كمذهب اقتصادي ينسب اليه وبه
يتحقق الخير للناس هي :

• الملكية .

• وسائل الانتاج : الارض ،
البحار ، والافلاك ، والقوى
البشرية .

• وقواعد الاتفاق والتضيق .
• وتحقيق العدالة الاجتماعية .
• والتداول .

أولا - الملكية وحرية الانتاج :

تقوم نظرية الاسلام في الملكية
على تحديد مفهوم المال في نظر
الاسلام .

فالملك في الاسلام وسيلة لخدمة
الجماعة ولتحقيق اغراضها واغراض
الجماعة الاسلامية هي :

ولذا فعندما تأتي التكاليف التي يترتب عليها الثواب والعقاب واللوم والمؤاخذة ينسب الله تعالى الملكية الى العباد فيقول جل جلاله :

« الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » .

٢٧٤ - ٢٧٥ البقرة

« مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم، الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منها ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله فنى حليم ،

يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والذى ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان

(ا) حفظ النفس •

(ب) حفظ الاسرة •

(ج) حفظ العقيدة •

(د) حفظ الوطن الاسلامى •

في مجال الصلح على الانفاق يطالب الاسلام المسلمين ان ينفقوا مما هم مستخلفين فيه •

يقول الله تعالى :

« آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جطحكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير »
٧ - الحديد

ويقول جل جلاله :

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم »
٣٣ - النور

وهذا دليل على ان الملكية الاصلية هي لله جل جلاله ••

« والله ميراث السموات والارض » •

« له ملك السموات والارض » • وهذا يشير الى ان ملكية الناس للمال انما هي ملكية بالوكالة

او ملكية انتفاع وادارة •

اشكال متنوعة :

✽ فالاسلام يؤمن بالملكية الخاصة ويجعل الدفاع عنها حقاً مشروعاً والحديث الشريف يقول :

« ومن قتل دون ماله فهو شهيد »
رواه أبو داود والترمذي

✽ كذلك الاسلام يؤمن بالملكية العامة وحدها في نظر الاسلام كل ما لا دخل للفرد في انتاجه مثل الارض والمعادن والبتروك ، والبهار والغابات ، وكوكز الجبال .
✽ كذلك الاسلام يؤمن بملكية الدولة وهو بيت المال غرماً وغنماً يقول النبي « صلى الله عليه وسلم » :

« من ترك مالا فلو رثته ومن ترك كلاً فآلينا » « حقيق عليه »

وغنائم الحرب ، والفىء كلها من حقوق الدولة الاسلامية .

ومن هنا يظهر الخطأ الفادح علمياً لمن يصف النظام الاقتصادي في الاسلام بأنه رأسمالى أو اشتراكى .

وسبب ذلك الخطأ يرجع الى أن :

عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرن على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين »
٢٦١ - ٢٦٤ البقرة

« ولا تؤتو السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً »
٥ - النساء

اذن الملكية في نظر الاسلام لها جانبان .

جانب اصى ثابت هو ان الله وحده هو الذى يملك السموات والارض والعباد .

جانب تفويضى وظيفى هو ان العباد موكلون من قبل الله تعالى في الانتفاع بهذا المال فهى ملكية انتفاع ، والنبي « صلى الله عليه وسلم » يصور هذه الملكية اصدق تصوير في قوله الشريف :

« يتبع الميت ثلاثة : يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه : أهله ، وماله ، وعمله فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » .

متفق عليه

وملكية الانتفاع هذه ملكية ذات

تنزع في الآونة الأخيرة الى نوع من الملكية الخاصة الجماعية - لكنه نزوع سببه فشل التجربة وليس ملكية خاصة بالمفهوم الصحيح والملكية العامة التي يقرها الاسلام ليست هي الملكية العامة في نظر الاشتراكية لأن الملكية العامة في نظر الاسلام هي المصادر الأساسية التي لا دخل للاكتساب الفردي فيها مثل الارض والنهر والبحر، والمعادن الأخرى .

أما الملكية العامة في نظر النظام الاشتراكي فهي التلصص على ممتلكات الافراد .

ومن هنا يفترق نظام الإصلاح بين الاسلام والاشتراكية ، ومن هنا أيضا نقول بخطأ إطلاق لفظ الاشتراكية على النظام الاسلامي . كما أن مفهوم الملكية الفردية في الاسلام ليس هو مفهومها الرأسمالية لأن الملكية الفردية في الاسلام معاطة بقوانين تحد من استقلالها للمجتمع .

لأن الانتاج في نظر الاسلام مرتبط بالقيم والمبادئ الاسلامية .

(أ) النظام الرأسمالي يؤمن بالملكية الفردية وبحريتها غير المقيدة كتقاعدة عامة ولا يلجأ الى الاعتراف بالملكية العامة الا في ظروف اجتماعية خاصة .

والحرية الفردية عندها : الغاية تبرر الوسيلة ، وعندها الربح قبل خدمة المجتمع ولهذا فان المجتمع الاسلامي يرفض ان يطلق على نظامه الاقتصادي مثل هذه التسمية لاختلاف قواعد العمل الاقتصادي بين الاسلام والرأسمالية ، فالاسلام يرى ان الملكية متنوعة وأنها لخدمة المجتمع ، والرأسمالية ترى ان الملكية فردية ولها ان تفعل ما تشاء في سبيل الحصول على ربح اكبر .

(ب) والنظام الائتماري لا يؤمن بالملكية الفردية ولا يضع لها ادنى حساب فهو قائم على قاعدة الملكية العامة .

ومن الخطأ علميا أن يوصف نظام الاقتصاد الاسلامي بأنه اشتراكي .

صحيح ان الاشتراكية بدأت

والرحمة بعيدا عن التنافس والسعي وراء ربح أكثر ولو على حساب الضعاف والمساكين •

وسائل الانتاج

من سمات الحياة الاسلامية أنها حياة انتاج لا استهلاك والملاحظون لنظام العبادة يرون نظام الصوم المفروض والمسنون يوحى بأن الامة الاسلامية أمة انتاج لا أمة استهلاك •

ولقد دعا الله الامة الاسلامية الى العمل والى زيادة الانتاج في عديد من آيات القرآن الكريم واحاديث السنة الشريفة المطهرة •

يقول الله تعالى :

« هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى هنكبتها واكلوا من رزقه واليه النشور » •

الملك

ويقول النبى « صلى الله عليه وسلم » :

« اذا بات الرجل كالا من عمل يده بات مغفورا له »

* فلا يجوز للأفراد اقامة مصنع للخمر وان صح ذلك فى النظام الرأسمالى لان الاسلام حرم الخمر •

* ولا يجوز للأفراد التعامل بالربا وان صح ذلك فى النظام الرأسمالى لأن الاسلام حرم الربا الى يوم القيامة •

* ولا يجوز ان يفسد او يحتال أو يفتنصب ، أو يسرق أو يغفل أو يخون •

* ولا يجوز للحاكم أن يتاجر على المسلمين فان فى عمله بالتجارة خلخلة لموازين العمل الاقتصادى بما يبيته أو يحتكره من طعام المسلمين يقول النبى صلى الله عليه وسلم « من أخون الخيانة تجارة الوالى فى رعيته »

رواه الطبرانى حديث صحيح

ويمكن ان نصوغ مجتمعا الاسلامى فى حياته الاقتصادية على هذا اللون من الملكية ومن الحرية فى الانتاج المشروط بقواعد الشرح الحنيف حيث يبرز الجانب الانسانى فى النواحي بالخير والحق والعدل

✽ وكيفية التسويق ... الخ .
ولهذه النظرة الصيقة حكموا على
وسائل الانتاج الطبيعية بأنها ضيقة
وأنها لا تكفى لأقوات الناس ورتبوا
على ذلك قضايا منها تحديد النسل
وافجار اسسكان .. والبدرة
الاقتصاديه ... الخ .

ولقد كانت نظرتهم من منطلق
اعتقادهم وعجز اديهم الاوربية
عن اعطاء تصور صحيح لقدرة الله
ابرزاق المتين وما اودعه في هذه
الارض وما ادخره في السماء
وما اودعه البحار والجبال من
كنوز .

ولهذا كانت نظرة الاسلام اشمل
واصدق فقد اصناف انى هذه
الوسائل .

(أ) الكون .

(ب) طاقات الانمان .

فصارت وسائل الانتاج في
الاسلام أشمل وأكثر وأدق فهي .

(أ) الارض وما عليها وما فيها .

(ب) والسماء وما فيها .

(ج) الرياح اللواتح .

«ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من
أن يأكل من عمل يده ، وأن نبي
الله داود كان يأكل من عمل يده »
رواه أحمد

ووسائل الانتاج في الاسلام
أكثر من التي عرفها الاقتصاديون .
انهم يرونها في : العمل ، والموارد
الطبيعية ورأس المال ويقصدون به :
الات والمعدات والمنشآت التي
تمكن الافراد من القيام بعملية
الانتاج ، ثم التنظيم ويقصدون به
دراسة المشروعات من حيث
احتمالات النجاح وانشغال فهم
يدرسون :

✽ عوامل الانتاج وقت انشاء
المشروع .

✽ وأسلوب الانتاج .

✽ وتحديد الفصل النسب التي
يعزج بها عناصر الانتاج اللازمة
للمشروع .

✽ واختبار الموقع .

✽ وتجميع رأس المال .

✽ ومستوى تواجد الايدي

العاملة .

(د) السمع والبصر والفؤاد •

أولاً — الأرض وما عليها وما فيها:

يقول الله تعالى :

« هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم أسستوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم »

٢٩ — البقرة

« وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يفتشى الليل النهار أن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » •

٣ — الرعد

« والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له بزاقين •

وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » •

١٩ — الحجر

« والأنعام خلقها لكم فيها دفع ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا

بالغية الا بشق الانفس أن ربيكم لرعوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين » •

٥ — النحل

« وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه أن فى ذلك لآية لقوم يذكرون ، وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون •

وألقى فى الأرض رواسى أن يمتد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون »

١٣ — النحل

« وما يستوى البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح اجاج ، ومن كل تأكلون لحماً طرياً ، وتستخرجون حلية تلبسونها ، وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »

١٢ — فاطر

« الله الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن

والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل
الثمرات ان في ذلك آية لقوم
يتفكرون •

وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بأمرة ان في ذلك آيات
لقوم يعقلون «

١٠ - ١٢ النحل

* « و في السماء رزقكم
وما توعدون ، فويرب السماء
والارض انه لحق مثل ما انكم
تنطقون » ٢٢ - ٢٣ الذاريات

ثالثا - الرياح اللواقح :

* « وارسلنا الرياح لواقح
فانزلنا من السماء ماء فاسقينا كموه
وما أنتم له بخازنين «

٢١ - ٢٢ الحجر

* « وهو الذي ارسل الرياح
بشرا بين يدي رحمته وانزلنا من
السماء ماء طهورا ، لنحيي به بلدة
ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما
واناسي كثيرا » ٤٨ - ٤٩ الفرقان
« وهو الذي ينزل الغيث من بعد
ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي
الحميد » ٢٨ - الثوري

صوركم ورزقكم من الطيبات فلكم
الله ريكم فتهبأرك الله رب
العالمين « ٦٤ - غافر

« قل اننكم لتكفرون بالذي خلق
الارض في يومين وتجعلون له اندادا
ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها
اقواتها في اربعة ايام سواء
للناسئين » ٩ - ١٠ فصلت

ثانيا - السماء وما فيها :

يقول الله تعالى :

« الله الذي خلق السموات
والارض وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم
وسخر لكم الفلك لتجری في البحر
بأمرة وسخر لكم الانهار ، وسخر
لكم الشمس والقمر دائبين وسخر
لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل
ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله
لاتحصوها ان الانسان لظالم
كفر » ٣٢ - ٣٤ ابراهيم

« هو الذي أنزل من السماء ماء
لكم منه شراب ومنه شجر فيه
تسليمون ، ينبت لكم به الزرع

رابعاً - السمع والبصر والفؤاد :

الانتاج •

انه من غيره لن تستطيع جميع الموارد الطبيعية ان تثمر شيئاً ما الا بجهد الانسان البشري ، وهذا الجهد طاقة جسمانية ، وطاقة روحية ، وطاقة عقلية .. وتلك لاتعطي مداها الطبيعي من القوة المطلوبة في الانتاج الا اذا كانت سليمة معفية من النقص وهذا هو السرف في جعل الاسلام قوى الانسان عنصراً من عناصر الانتاج فهي مركز التكليف الشرعي في هذا المجال يقول الله تعالى :

« ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » •

٢٦ - الاسراء

« والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »

٧٨ - النحل

هكذا يربط الاسلام الفرد المسلم بهذا الكون الفسحيح في عملية

• فالأرض سهلة مدللة له •
• والبحار والأنهار مهياة لعمله •

• والشمس والقمر والليل والنهار مسخرات لخدمة زرعه وسفره وراحته وسميه •

• والرياح تسببه في البر والبحر فتسوق اليه السحب المزن الثقال لتروى ظمأه وزرعه في الواحة البعيدة ، كما تسوق اليه سفينه في الشط البعيد كذلك •

وقد جمل الله ذلك تذكرة من آياته الدالة على عظمة ابداعه وتدبيره للكون :

« ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ، ان يشا يمسن الرياح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ، او يوبقهن بما كسبنوا ويعف عن كثير » •

٣٣ - ٣٤ - الشورى

والاسلام بهذا يحرر المسلم من ربقة اليأس كما يحسره من

العجز والكسل ، ويفتح له باب
التفاؤل في رحمة الله الواسعة ،
فهو وحده جل جلاله فالق الحب
والنوى ، كما هو فالق الاصباح ومع
هذا الرجاء في رحمة الله وهذا
الفيض المدارر من نعمة جل جلاله

فانه لا ندرة ولا مشكلة في الاقتصاد
الاسلامى الا ان يجنح المسلمون
الى غير ما افاءهم الله به من نعم
وخيرات ومبادئ ودين قويم •
والحديث موصول
دكتور رموف ثلبي

من كلمات السيد الرئيس محمد أنور السادات في خطابه
التاريخي في ١٤ مايو سنة ١٩٨٠ م

« تكريم القرآن للمسيح »

أخبرنا انه سبحانه وتعالى في القرآن بالحديث الذي
دار بينه سبحانه وتعالى وبين المسيح عيسى عليه السلام :

« واذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس
اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانه ،
ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق •• ان كنت قلت
فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك
أنت علام الغيوب » •

هذه أوامر ربنا سبحانه وتعالى ، لك فى القرآن — مريم
أظهر نساء العالمين الى يوم القيامة ، والمسيح يخلق من
الطين كهية الطير فتكون طيرا باذن الله ، ويبرىء الأكمه
والأبرص باذن الله ويحيى الموتى باذن الله •

في مواجهة الإلحاد العلمى

منشأ القصور في النهج العلمى

للكنور يحيى هاشم

(١٣)

(اقرأ باسم ربك الذى خلق •
خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك
الاکرم ، الذى علم بالقلم ، علم
الانسان ما لم يعلم) •

ثم تأتى تتمتها من قوله تعالى
اثر ذلك :

« كلا ان الانسان ليطغى ، ان
راه استغنى ، ان اليربک الرجى »
وبيان ذلك ، ان هذه الآيات تقول
لنا :

١ - ان المعرفة لا يعثر عليها
في أعماق النفس البشرية ذاتيا (١)
وانما تأتى باجتهاد تمثله كلمة
(اقرأ) •

منشأ القصور « العلمى » على
النحو الذى بيناه كامن في عزم
الانسان على الاستقلال بالفهم عن
طريق العقل ، أو عن طريق العلم ،
اما « اقرأ » •

« اقرأ باسم ربك » •

أى العلم المستند الى الله منذ
الخطوة الأولى ، فهو عاصم عن
كل هذا التخبیط ، فضلا عن كونه
ضرورة عملية لا محيص عنها •

ومن عجيب الاتفاقات أن حقيقة
المعرفة في القرآن الكريم هي أول
ما نزل من القرآن •

انها موجودة في قوله تعالى :

(١) « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا » صدق الله العظيم

- ٢ — هذا الاجتهاد لا يقوم به
الانسان مستقلا وإنما يقوم به :
- باسم الله •
- وباسم الله لا تمنى مجرد
البركة وإنما تمنى الاستعداد •
- فهو اجتهاد يستمد جهاده
ورسائله ووسائله وغاياته من
الله •
- ٣ — ولتوضيح المقصود من كون
المعرفة اجتهادا بشريا مستمدا من
الله •
- تذكر الآية نظير ذلك في حياة
الانسان :
- وهو خلق الله للانسان •
الذي خلق (١) •
- الانسان لم يعثر عليه في
الطبيعة ، ولم يصدر عن الطبيعة
الأولى بطريق الفيض •
- ١ — ولكن الله هو الذي خلقه •
خلقه من بداية صغيرة •
- « خلق الانسان من علق » •
- وصاحب هذا الخلق جهد بشري
ضئيل ، مجرد مصاحبة •
- هكذا الأمر في المعرفة •
- فهل خلق الله الانسان وتركه
دون أن يعلمه ؟ ذلك لا يتفق مع
وصفى :
- ١ — الربوبية •
- ٢ — الكرم ، أو الأكرم •
- فهو اجتهاد يستمد جهاده
ورسائله وغاياته من الله •
- ٣ — ولتوضيح المقصود من كون
المعرفة اجتهادا بشريا مستمدا من
الله :

(١) لعل في هذا إشارة الى أن المعرفة الحسية موقوفة على تدبير من
الله سبحانه فلقد أثبت العلم الحديث أن المعرفة الحسية لا شأن لها بما يسمى
الشيء في ذاته وإنما هي تمثل هذه الأشياء وكما تؤثر في هوائنا فحسب ،
وبما أن هذه الحواس قد خلقها الله سبحانه على نحو معين دون غيره فإن
الخالق سبحانه يحدد لنا بذلك وجه التأثير الذي تتأثر به الحواس من هذه
الأشياء ، وبناء عليه يمكن القول بأن معارفنا الحسية تنفذ إلينا من خلال
إرادة الهبة ، وتدبير الهى • •

- تذكر الآية نظير ذلك في حياة الانسان :
- « وهو خلق الله للانسان » .
- « الذى خلق » (١) .
- الانسان لم يثمر عليه في الطبيعة ولم يصدر عن العلة الاولى بطريق الفيض .
- ولكن الله هو الذى خلقه .
- خلق من بداية صغيرة .
- « خلق الانسان من طلق » .
- ومصاحب هذا الخلق جهد بشري ضئيل ، مجرد مصاحبة .
- هكذا الامر في المعرفة .
- فهو خلق الله الانسان وتركه دون أن يعلمه ؟ ذلك لا يتفق مع وصلى :
- ١ - الربوبية .
- ٢ - الكرم « أو الاكرم » .
- وذلك ما تقوله الآية الثالثة .
- « اقرأ وريك الاكرم » .
- فالنتيجة اذن في الآية الرابعة .
- ٤ - « الذى علم بالقلم » .
- فهو الذى علم .
- كما أنه هو الذى خلق .
- واذا كان الطلق من الله مع مصاحبة جهد بشري ضئيل .
- مجرد مصاحبة فان التعليم من الله مع مصاحبة جهد بشري ضئيل أيضا هو الامساك بالقلم .
- والقراءة .
- فماذا علم الله للانسان ؟

(١) لعل في هذا اشارة الى ان المعرفة الحسية موقوفة على تدبير من الله سبحانه فلقد اثبت العلم الحديث ان المعرفة الحسية لا شأن لها بما يسمى الشيء في ذاته وانما هي تمثل هذه الاشياء وكما تؤثر في حواسنا فحسب وبما ان هذه الحواس قد خلقها الله سبحانه على نحو معين دون غيره فان الخالق سبحانه يحدد لنا بذلك وجه التأثير الذى تتأثر به الحواس من هذه الاشياء وبناء عليه يمكن القول بان ممارفنا الحسية تنفذ الينا من خلال ارادة الهية وتدبير الهى .

تعالى « الذى خلق ، خلق الانسان
من علق » يوضح الأسلوب العادى
فى الخلق •

• أما الأسلوب غير العادى •

• أسلوب خلق آدم •

• وأسلوب خلق عيسى •

• وأسلوب الخوارق والمعجزات •

فذلك موضوع آخر لا يصحح

أن يختلط بما نحن ازاءه •

ذلك موضوع الوحي أو الكشف

أو الالهام الخاص ، موضوع

لا يتعلق بنظرية المعرفة العادية

التي يشترك فى الخضوع لها

البشر جميعا على سواء •

ثم تبين الآيتان التاليتان أن

استقلال الانسان بالتعلم ، أو

بالتعلم انحراف عن مصدر

التعليم •

« كلا أن الانسان ليطغى ، ان

رآه استغنى » •

٧ — ثم تبين الآية الأخيرة فيما

ذكرناه أن المرجع فى المعرفة هو

هذا ما تجده فى الآية الخامسة •

« علم الانسان ما لم يعلم » •

• — علمه الأشياء التى لم

يتعلمها •

الأشياء التى لم يعلمها أصلا أو

التى لم يتعلمها — فى الحقيقة —

بنفسه ، وان كان قد صاحب عملية

تعلمها بجهد بشرى ضئيل •

وهذه العلوم نجدها فى البداية :

فى العلوم الضرورية •

ويلحق بها أدوات المعرفة •

وفى الوسائط : فى افاضة هدى

الله على جهد الانسان فى مسالك

الوصول الى النتائج •

وفى النهاية : فى افاضة اليقين ،

لجبر ثغرات الظن فيما يتعلق

بالوثوق بالنتائج •

٦ — ولكى لا يلتبس أمر هذا

كله بالوحي أو الكشف أو الالهام

الخاص فقد جاء قوله تعالى « الذى

علم بالقلم » ليؤكد الأسلوب

العادى فى التعلم كما أن قوله

- الله « ان الى ربك الرجعى » (١) .
- ان كلا من المعتزلة والاشاعرة
يقررون أن العلوم الضرورية —
وهي أساس اليقين في حركة
العقل مخلوقة لله .
- واذن فجملة البناء العقلي الذي
بنوه يحتاج أولا الى معرفة
الخالق وبهذا وقعوا في الدور الذي
حسبوا أنهم يهربون منه . .
- ظنوا أنهم يحتاجون في بناء
الايمان الى العقل المستقل فاذا
هم :
- يجدون أنفسهم محتاجين في
بناء العقل الى الايمان .
- والحقيقة هي هذه :
- يحتاج العقل الى الايمان لكي
يقوم ، ولا يتطلب الايمان الا
مصاحبة العقل ، مجرد مصاحبة ،
للتلقى .
- وتلك سنة الله في المعرفة .
- كما هي سنته في الخلق .
- كما هي سنته في الرزق .
- وكما هي سنته في كل ما يحصله
الانسان . . .
- فاذا هو — أى العقل —
بتواضعه ، وبمصاحبته للايمان ،
يصل الى هدفه الذي يعجز عنه
مستقلا .
- الا وهو اليقين (٢) .
- ليكون كلمة طيبة أصلها ثابت
وفرعها في السماء . . وفي هذه
النظرية تعود الثقة بالضروريات اذا
قلنا انها من الله سبحانه وتعالى .
- ومع ذلك فهي لا تصلح أساسا
أوليا . في منهج وبناء العلوم
لأنها تحتاج الى أساس والأساس
هو في الاعتقاد في الله .
- يقول أبو الحسن محمد
ابن يوسف العامري :

(١) لا داعي لتخصيص بدلول هاتين الآيتين بطغيان الغنى بمسأله
وانذاره بالرجوع الى الله في اليوم الآخر ، مادام النص أكثر شمولاً ، ومادام
المعنى الذي نراه مرتبطاً بالسباق ولا يؤدي الى محذور .

(٢) هذا ما تبينه في القسم الثالث من هذا الفصل .

ولكن الله هو الذى أعطاه إياها •
 أعطاه بذرتها منذ البداية فى
 البدهيات أو العلوم الضرورية
 وصاحب نمو هذه البذرة اجتهد
 بشرى مشروط بالاستعداد من
 الله •

وتتمو هذه البذرة لتقوم على
 ساقها شجرة طيبة أصلها ثابت
 وفرعها فى السماء •

« ألم تر كيف ضرب الله مثلا
 كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها
 ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها
 كل حين بلئن ربها ويضرب الله
 الأمثال للناس لعلهم يتذكرون »

(سورة إبراهيم ٢٤ : ٢٥)
 ومن هنا تتقرر حقيقة هامة :
 أن العقل يحتاج الى الإيمان
 بالله •

فالعقل المستقل طغيان وانحراف
 وخبط •

(ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة)

من فلاسفة الاسلام فى القرن
 الرابع الهجرى (ت ٣٨١ هـ) •
 (أن العلم الدينى قد يصير
 أساسا تبغى عليه العلوم •

فانه لن يقتبس الا من المشكاة
 التى تعزى اليها الأوضاع الأولية
 لكل صناعة نظرية • هذه المشكاة
 هى الوحي الالهى الذى لا يعرض
 الشك عليه ولا يجوز السهو والغلط
 فيه •

فأما العلوم الآخر فليس واحد
 منها بحيث يقوى على أن يؤسس
 عليه علم الدين أو يقضى على شىء
 من أبوابه •

فاذن العلم الدينى لا محالة
 ينزل فى ذاته منزلة أصول
 الصناعات النظرية ومبادئها فى
 الصد والقوة • (١) •

والنتيجة أن نظرية المعرفة
 القرآنية يمكن صياغتها على النحو
 التالى :

الانسان لم يعثر على المعرفة

«الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم
ليكتنون الحق وهم يطمون» •
١٤٦ البقرة •

لم يقل سبحانه وتعالى « كما
يعرفون انفسهم » لان هذا
مستوى من المعرفة لا يصل اليه
الانسان ويكفى مستوى معرفة
الابن ، كجهد بشرى •

اما اليقين الكامل فمن الله

لذلك تأتى الآية التالية لتقول :

« الحق من ربك فلا تكونن من
المحترين » • ثم تأتى الآية التى
بعدها لتعقب ببيان سبب عجز
الانسان عن المعرفة الكاملة التى
هى اليقين • ذلك •• اذ تقول :

« ولكل وجهة هو موليها » •

فهذه طبيعة البشر ، ونقصه ،
الاتجاه الواحد فى الرؤية ، الاتجاه
الجرئى ، الاتجاه غير المحيط •

وهذا لا يحصل الا حاطة فى
المعرفة ، ومن ثم لا يحصل اليقين
الكامل بالمقل •

ومن هنا كانت تكملة الآية :

اجتثت من فوق الأرض ما لها من
قرار) •

(سورة ابراهيم) •

كلمة اجتثت من أصولها : من
البدهيّات ، ضربت البدهيّات —
باعتبارها يقينيات فى الفلسفة
النقدية ، اجتثت •

كلمة خبيثة مهتزة بالشكوك
التي لا هاسم لها ، محوطة
بالاوهام والاحتمالات التى
لا خروج منها ، كما قدمها فلاسفة
الشك •

والعقيدة لا تتبنى على العقل
النظري المستقل

وانما هى تتبنى على منطق
آخر •

منطق الضرورة العملية •

والتعرض للانذار بعذاب
الآخرة •

والتعرض لعوامل تصديق
الرسول •

وهى بداية وتترقى الى اليقين ،
بهدى الله •

يقول تعالى :

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم انك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه الا بك اللهم فاعطنا ما يرضيك عنا » (١)

واذن فالنتيجة النهائية ان مصدر المعرفة هو الله ..

وهو مصدر قريب •

« واذا سالك عبادى عنى فانى قريب » •

١٨٦ البقرة •

« ونحن اقرب اليه من جبل الوريد » •

١٦ ق •

« فاینما تولوا فثم وجه الله » •

٦٧ الزمر •

هذا هو اصل المعرفة بوجه عام كما نراه في القرآن الكريم • (٢)

اصول الهداية :

اذا كان من عجيب الاتفاقات كما قلنا ان تكون الآيات التي

مسحة حنان على هذا الضعف البشرى ووعد بالرعاية الالهية التي تكمل النقص وتلم الثمث •

« .. فاستبقوا الخرات .. أينما تكونوا يات بكم الله جميعا .. ان الله على كل شيء قدير .. »

١٤٨ البقرة •

اذا تقرر ذلك فاننا نجد الآيات القرآنية تزيد ايضا وتوثيقا من ذلك قوله تعالى :

« وعلم آدم الاسماء كلها »

٣١ البقرة

« قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا » •

٣٢ البقرة

« وقل رب زدنى علما »

١١٤ طه

« ولا يحيطون بشيء من علمه الا بماشاء »

٢٥٥ البقرة •

(١) ذكره الامام السيوطى فى الجامع الصغير بسنده عن أبى هريرة ورمز له بالصحة •

(٢) انظر ما ذكرناه انما فى هذا القسم من ان المتكلمين لا ينكرون ان الله هو مصدر المعرفة ، لكن خطاهم كان منهجيا

تستقى منها نظرية في المعرفة
القرآنية هي أول ما نزل من
القرآن •

ان الهدى يأتى من الله سبحانه
وتعالى :

« اهدنا الصراط المستقيم » •

فانه من عجيبتها كذلك ان تكون
الآيات التى نستقى منها نظرية في
الهداية القرآنية هي أول ما صدر
به القرآن •

ويؤكد ذلك بآيات اخرى
كثيرة :

« قل ان هدى الله هو الهدى »
١٢٠ البقرة

تلك هي سورة الفاتحة •

« ان علينا للهدى ٠٠٠ »

« بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين ، الرحمن
الرحيم ، مالك يوم الدين ، اياك
نعبد و اياك نستعين ، اهدنا الصراط
المستقيم ، صراط الذين انعمت
عليهم فى المفضوب عليهم
ولا الضالين » •

١٢ الليل

« من يهد الله فهو المهتد »

٩٧ الاسراء

« وما كنا لنهتدى لولا ان
هدانا الله » •

٤٣ الاعراف

« وان اهتديت فيما يوحى الى
ربى »

وبيان ذلك ان هذه السورة
تبين :

٥٠ — سبأ

أولا : مصدر الهدى •

« فاما ياتينكم منى هدى ، فمن
تبع هداى فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون »

ثانيا : اسباب افاضته من الله •

ثالثا : اسباب منعه •

٣٨ البقرة

رابعا : فائدته

ويقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

أولا : مصدر الهدى :

ان صدر السورة الكريمة يبين

(والله لولا الله ما اهتدينا) — « اهدنا الصراط المستقيم » •
صحيح البخارى •

ويقول عليه الصلاة والسلام :
(سل الله تعالى الهدى

والسداد ، وأذكر بالهدى هدايتك
الطريق ، وأذكر بالسداد تسديدك
السهم) •

وهذا الحديث يدعو الى
الاستعانة بهدى الله فى الصغيرة
والكبيرة من شئون حياتنا •

ثانيا : أسباب افلاحة الهدى من
الله :

تبين السورة أيضا أن الهدى
نعمة من الله تأتى نتيجة التوجه
اليه بحمده والثناء عليه بأسمائه
الحسنى •• من حيث هو سبحانه
المستحق وهذه — للعبادة ••

ومن حيث هو سبحانه وحده
المستعان •

« الحمد لله رب العالمين • الرحمن
الرحيم ، مالك يوم الدين •

اياك نعبد •

واياك نستعين ••

ويقول تعالى « والذين جاءوا
فينا لهندينهم سبيلنا » ٦٩
المنكوت •• ويقول تعالى « يهدى
به الله من أتبع رضوانه سبيل
السلام » •

يقول تعالى « والذين جاءوا
فينا لهندينهم سبيلنا » ٦٩
المنكوت •• ويقول تعالى « يهدى
به الله من أتبع رضوانه سبيل
السلام » •

(١٦ المائدة)

ويقول تعالى « ويهدى اليه من
أناب » •

(٢٧ الرعد)

ويقول تعالى « هدى وذكرى
لأولى الألباب »

« ٥٤ غافر »

ويقول تعالى « يا أيها الذين
آمَنُوا ان تتقُوا الله يجعل لكم
فرقا » •

(٢٩ الانفال)

يقول الغزالى : (أى نورا يفرق
به بين الحق والباطل ويخرج به من

- الشبهات (١) • يقول صلى الله عليه وسلم :
(والله لا يهدي القوم الظالمين)
٢٥٨ البقرة
- (والله لا يهدي القوم الكافرين)
٢٦٣ البقرة
- (والله لا يهدي القوم الفاسقين)
١٨ المائدة
- (فان الله لا يهدي من يضل)
٣٧ النحل
- (ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار)
٣ الزمر
- (ان الله لا يهدي من هو مصرف كذاب)
٣٨ غافر
- (كذلك يضل الله من هو مصرف مرتاب)
٣٤ غافر
- (ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)
٣٧ ابراهيم
- (١) • يقول صلى الله عليه وسلم :
(من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة •
ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم (٢) •
ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار) •
ويقول تعالى :
(واتقوا الله ويعلمكم الله) •
- ثالثا : اسباب منع الهدى :
تبين السورة أيضا ان الهدى لا يحصل عليه صنفان من الناس من يمادون الله فيخضب عليهم •
(غير المفضوب عليهم) •
ومن يستقلون بمنهجهم عن الله فيصلون :
(ولا الضالين) •
وتفصل الآيات الاخرى جوانب من اسباب منع الهدى •

(١) احياء علوم الدين ج ٨ ص ٤١

(٢) قوله « تاه فيما يعلم » تصريح بخلال النظر التجريدي • والحديث صحيح رواه الامام مسلم والبخاري ، وهو حديث مشهور •

ويقول تعالى :

(فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ، بَلْ طَبَعَ اللَّهُ
عَلَيْهَا بِكَفَرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا
وَبِكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا
عَظِيمًا) .

١٥٥ ، ١٥٦ النساء

ويقول :

(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ
يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَإِنْ
يُرَوْا كُلُّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يُرَوْا
سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ
يُرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ،
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا
غَافِلِينَ)

١٤٦ الاعراف

ويقول :

(فَأَعْقِبَهُمْ نَفَقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى
يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ
مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) .
٧٧ التوبة
ويقول (فلما زأغوا أزاغ الله
قلوبهم)

٥ الصف

ويقول :

(الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ أَضَلُّ أَعْمَالُهُمْ) .
١ محمد

رابعاً : نتيجة الهدى :

تبين السورة ان نتيجة الهدى
هى الوصول الى « الصراط
المستقيم » (اهدنا الصراط
المستقيم ، صراط الذين انعمت
عليهم) .

وفى هذا الصراط المستقيم يحصل
اليقين المنشود الذى أثبتنا انه
لا يمكن الحصول عليه بالجهود
العقلية الذاتية ، المستقلة عن الله ،
ان العقل المتمرد أو المستقل
يمكنه ان يصل الى شئ من الظن
لكنه لا يصل مستقلاً الى شئ من
الهدى ، الذى تنشر فيه النفس
بالطمأنينة والسكون واليقين .

ان الفلسفات والعلوم التجريبية
التي يصل اليها العقل مستقلاً
خاضعة حتماً لما تخضع له عقولنا من
النسبية والنقصان .

لذلك فان ما نصل اليه اليوم من
علم يظهر لنا نقصه غداً ، وما نزال

نكتشف بتقدم البحث جهلنا ، وهزال معارفنا ، وحاجتنا الى تهدى واليقين الذى لا تفرزه عقولنا .

وفى ظل هذه العلوم النسبية والفلسفات الناقصة يتقدم العلم التجريبي ويطرده الحصول على بعض منافع الدنيا ، لكن الانسانية لا بد من حركتها الى الامام — سواء عن طريق العلم أو الفلسفة — من أن يكون لها أهداف ثابتة واضحة ، راسخة على مدى الدهور ، والا كان ضلالها على أهدافها لا يمكن تلافيه أو الخلاص منه ، والعلوم النسبية تصل دائما عن الاهداف الراسخة .

ان دور العلم المحدود فى حياتنا ان مرح العلم العظيم يحتاج دائما الى من يحركه نحو هدف نضمه وفقا لعقائدهنا . . اننا اذا ما سألنا عالما عن الطريق الذى يجب ان نسلكه ، فان الجواب الوحيد الذى نجده لديه هو : ان هذا يتوقف على المكان الذى نقصده، انه يتوقف على الهدف الذى نحدده .

وكما يقول الدكتور كيميلى — الفيلسوف العالم الذى عمل مساعدا لا يششتين (علينا ان نقرر بوسائل غير وسائل العلم الهدف الذى نود بلوغه ، وبعدئذ يبرز دور العلم ، حيث يكون باستطاعته ان يبيننا بكيفية المسير واتجاهه وأسرع الوسائل وافضلها لبلوغ الهدف) (١)

فهذا ليس من شأنها ، ولا يمت الى قدرتها بسبب ، ومن هنا كان الانسان بحاجة الى مصدر خارجى يهديه الى هذه الاهداف ، ويرسم لها الطريق .

(الصراط المستقيم)

وليس ثمة غير هدى الله :

« قل ان هدى الله هو الهدى »

١٢٠ البقرة

وخلاصة هذا البحث :

- ١ — ان مصدر الهدى هو الله .
- ٢ — ان اسباب افاضة الهدى من الله تكمن فى التمسك به ،

- والاخلاص في طلبه منه سبحانه •
- ٣ - أن أسباب الضلال عن هدى الله تكمن في الاعراض عنه، والاتجاه الى مصادر من النظر أو العمل مقطوعة الصلة بالله •
- ٤ - أن فائدة الهدى تحصيل
- اليقين ، الذي نحن بحاجة اليه
لصون النفس أولا ، وللعلم
بلاهداف العليا والطريق اليها
ثانيا ••
- دكتور يحيى هاشم

« الصبر »

قال خالد بن الوليد . ان الصبر عز ، وان الفشل
عجز ، وان النصر مع الصبر ••

وقال حكيم : الضميف الصبور قوى بصبره . وااقوى
الجزع ضعيف بجزعه •

وقد آخر : لا توجد العظمة بين الرجال الا حين يوجد
الصبر •

القرآن والدراسات النفسية

دكتور عبد الفتاح الربيع

فهدي • وكل شيء خلقه بقدر
وأعطى كل شيء خلقه ثم هدي •
ولعله مما يشير الى هذا المعنى
ويؤكد به بالنسبة للإنسان مراحلة
هذا الاستفهام الإنكاري الذي
صدر الله به سورة الإنسان حيث
يقول: « هل أتى على الإنسان
حين من الدهر لم يكن شيئاً
مذكوراً • أنا خلقنا الإنسان من
نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه
سميعاً بصيراً • أنا هديناه السبيل
أما شكراً وأما كفوراً » خلق مادي
تكويني وهداية وتربية حتى نهاية
الطريق • لم تهمل البشرية ولم

عالم الكائنات هو الكون الكبير
وعالم الإنسان هو الكون الصغير
وخلق السموات والأرض أكبر
من خلق الناس (١) والنفس
البشرية لا تعدو أن تكون مظهراً
من مظاهر الكون • والله سبحانه
وتعالى برحمته وحكمته وجوده
الذي أفاضه على جميع الكائنات
قد تمهدها هي الأخرى بالإصلاح
والتقويم والهدايات والامدادات
التي يعد بها كل كائن لإصلاح حاله
واستقامة وجوده وكيثونته • فهو
الذي أحسن كل شيء خلقه • وهو
الذي خلق موسى • والذي قدر

(١) أنظر سورة غافر آية ٥٧ وسورة يس: « أوليس الذي خلق
السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم » سورة النازعات: « أنتم
أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها
والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها » .

واتهامات تتعلق بأعجازه وهديه وأحكامه وبلاغته ويمكن إبطالها وردها من أقصر طريق على ضوء مقررات علم النفس الحديث الذى نأخذ من وليد النهضة العلمية فى العصور الحديثة والتي كانت بعد نزول القرآن بقرون كثيرة فيكون فى ذلك نمط من أعجاز القرآن شاهد بصدقه وحقيقته ونزوله من عند الله ويكون الشأن فى ذلك كما وعد الله بقوله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بريك أنه على كل شيء شهيد » سورة فصلت السجدة .

ولنأخذ مثلاً قضية التكرار الذى جاء فى القرآن الكريم والذي كان مثاراً للشبهات واتهامات توجه بسببه الى القرآن الكريم بدعوى أن التكرار لأفائدة منه وأنه محل بالبلاغة والأساليب البلاغية وليس فيه أى جمال تعبيرى سواء كان المكرر لفظاً بعينه كقوله تعالى : « دكا دكا »

تحرم من الهدايا والنبوات على طول العصور والدهور . « وأن من أمة إلا خلا فيها نذير » . سورة فاطر آية ٢٤ .

لابد اذن للقرآن الكريم الذى أنزله الله لمصالح النفوس الإنسانية من أن تكون له فى بلاغته وأساليبه وهديه وتشريعه التصاقات بالنفس البشرية . ولمسات قوية لأعماقها وانفعالاتها وطبائعها وانطباعاتها ليستنى له علاجها ومداراتها كما يقتضى للطبيب علاج مريضه بوضع الدواء حيث يكون الداء . ولا بد اذن وبالتالى أن يكون دارس القرآن ومفسره على معرفة بالنفس وغرائزها وانفعالاتها وكل ما تبحث فيه علوم النفس والاجتماع حتى يتسنى له الكشف عن عظمة القرآن وجلاله ، وأخذه بمجامع القلوب ، ونسواى النفوس وصلاحيه مبادئه وأحكامه لكل زمان ومكان لأنه كتاب الفطرة والنفس البشرية حيثما كانت . ثم تفنيد وإبطال ما يوجه الى هذا القرآن العظيم من شبهات

والنقص واختلاف طرق الأداء باختلاف العبارات والألفاظ . وإن كان المعنى الأصلي واحداً أو كالواحد كالذي كان من تكرار قصص موسى وآدم ونوح وإبراهيم وكثير من الرسل في كثير من الآيات والسور وقد جاءت هذه الظاهرة أيضاً في غير القصص من آيات التوحيد والعقائد واليوم الآخر والحلال والحرام وسائر الأغراض التي سقت لها آيات الذكر الحكيم .

عيب القرآن بذلك المستشرقون والباحثون الغربيون الذين هم بمعزل عن معرفة البلاغة العربية وأدراك أسرارها وتذوق حلاوتها مهما استشرقوا ودرسوا من القرآن ولغة العرب . « ومن يك ذا فم مر مريض .. يجد مرا به

وقوله تعالى : « صفا صفا » (١) . أم تكرار جملة وعجالة بعينها كقوله تعالى : « إن مع العسر يسراً .. إن مع العسر يسراً » (٢) وقوله « كلا سوف تطمنون ثم كلا سوف تطمنون » (٣) وقوله : « ويل يومئذ للمكذبين » (٤) وقوله : « فبأى آلاء ويكما تكذبان » (٥) وقوله : « فكيف كان عذابي ونذر » (٦) وقوله : « إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » (٧) أم كان تكرار المعاني والعبارات بأساليب تختلف أطناباً وإيجازاً يمتثل في بعض الألفاظ تقديماً وتأخيراً وتذكيراً وتعريضاً وذكرًا وحذفًا ، وإبدال لفظ بآخر ونحو ذلك ، كالذي كان من تكرار قصص القرآن في أكثر من سورة وأكثر من موضع تكرر القصة أو يكسر طرف منها مع الزيادة

(١) سورة النجر « كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك

صفا صفا .. »

(٢) سورة الشرح .

(٣) سورة النكاث .

(٤) سورة المرسلات .

(٥) سورة الرحمن .

(٦) سورة القمر .

(٧) سورة الشعراء .

الحسن ، لا أن يكون دونها
بمراتب •

هذه هي قضية التكرار في القرآن ، وإن كان لها جذور في أعماق الماضي البعيد إلا أنها كثيراً ما تثار في أحوال المحدثين من الباحثين ، فتأخذ أوضاعاً وأشكالاً وتكيفات تتناسب مع الزمن الذي تثار فيه ، فيجب أن تكون دراستها والرد عليها وتفنيد مطاعنها كذلك مكيفاً ومتناسباً مع الزمن الذي يقال فيه ، وقد ذكر علماؤنا الأولون — طيب الله ثراهم — الردود القوية والمفهمة التي تتلخص في أن التكرار اللفظي في الكلمة والعبارة ظاهرة معروفة في الكلام العربي والأساليب العربية التي نزل بها القرآن العربي المبين ، وفائدته التأكيد وزيادة التقرير في نفس السامع ووعيه ، لا يخل بشيء من فصاحة الكلام وبلاغته ، بل يريده فصاحة وبلاغة ، لاسيما إذا كان في مقامات التضخيم والتهويل وعظائم الأمور وفحول المعاني ، واستشهدوا على ذلك بعشرات الشواهد من بليغ

الماء الزلالا » جاء في دائرة المعارف البريطانية مادة قرآن ، قول الكاتب بعد أن أشار إلى ما في القرآن من تكرار فقال : « وليس هناك مهارة أدبية عظيمة واضحة في هذا التكرار الذي لا لزوم له » . وعيب القرآن بذلك الزنادقة والمحدون منذ فجر الإسلام . حيث يحكى الإمام السكاكي ذلك عنهم في كتابه « مفتاح العلوم » فيقول : « ومنها — أى من اعتراضات الزنادقة على القرآن — أنهم يقولون أننا نرى المعنى يعاد في قرآنكم في مواضع إعادة مع تفاوت في النظم بين حكاية وخطاب وغية وزيادة ونقص وتبديل كلمات ، فإن كان النظم الأول حسناً لزم في الثاني الذي يضاده بنوع من الزيادة والنقصان أو غير ذلك أن يكون دونه في الحسن ، وفي الثالث الذي يضاد الأولين بنوع مضاده أن يكون أدون ، وقرآنكم مشحون بأمثال ذلك فكيف يصح أن يدعى في مثله أنه مجسز ؟ والاعجاز يستدعى كونه في غية

كلام العرب الذي نزل القرآن بلغتهم ، وان تكرر المعنى الواحد بعبارات وأساليب مختلفة يعتبر في القرآن الكريم زيادة على ما أشرنا إليه من حكمة التكرار مقدرة فائقة ومعجزة حارقة للمادة ، حيث يكون المعنى الأصلي واحدا لكنه تحدث بتكراره زيادات ومعان ثانوية وفنسون متجددة من التعبير ، فيلبس الأسلوب في كل موضع يقع فيه المكرر ثوبا جديدا موشى بالحسن والرويق والجلال ، فلا يزداد المكرر بالتكرار الا حلاوة ، وطلاوة ويكون المعنى الأصلي كالجوهرة الثمينة التي تقلبها بين يديك ، وأمام ناظريك فتعطيك من كل جهة من جهاتها وجها من وجوه الحسن ، تزداد لرؤيته نفسك ابتهاجا لاستطيع أن تفضل وجها منها على وجه وذلك على خلاف المعبود في كلام الناس ، فانه كلام البليغ والأديب اذا تكرر في موضوع واحد ومعنى واحد هجمت عليه أعراض التخاذل والتفاوت والتفكك ، وتبدل حاله وتردد بين

الضعف والقوة على حسب تبدل المراج البشرية واختلاف قواه وطاقته من حين لآخر حسب الطبيعة البشرية والقصور الانساني ، أضف الى ذلك أن العرب كانوا يقولون عن القرآن حين يسمونه : «قد سمعنا لونهاء لقلنا مثل هذا ، ان هذا الا أساطير الأولين ، اكتبها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلا» فتعدهم القرآن أن يأتوا بمثله ، فمجزوء ، فأخذ القرآن نفسه يكرر المعنى الواحد والقصة الواحدة في أكثر من موضع وبأكثر من أسلوب ليوسع لهم في مجال المعارضة بالايجاز تارة وبالاطناب أخرى كأنه يعطيهم أنماطسا للامثال المطلوب ، ومع كل ذلك فقد عجزوا عجزا تاما عن أن يعارضوا القرآن أو يأتوا بمثله من أي أسلوب شاموا ، فقد كان منهم من يجيد بطريقة الاطناب وأسلوبه ، وكان منهم من يجيد بطريقة الايجاز وأسلوبه ، فجاء القرآن مجيدا بليغا بكل أسلوب ، فكان ذلك ضربا آخر من ضروب الاعجاز

العرب الا بلغوا منه عجا ، وهو التكرار الذى يجىء في بعض آياته فتختلف في طرق الأداء ، وأصل المعنى واحد كالذى يكون في قصصه وتوكيد الزجر بالوعيد والوعيد ، وهو مذهب للعرب معروف لا يذهبون اليه الا في ضروب من خطابهم للتهويل والتوكيد والتخويف والتضجيع وما يجرى مجراها من عظام الأمور ، لكن وروده في القرآن مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته لقوة غريبة منه لأن المعنى الواحد يتردد في أسلوب واحد بصورتين أو صور ، كل منها غير الأخرى ، وجها وعبارة ، وهم على ذلك عاجزون عن الاتيان بصورة ، ومستثمرون على المعجز لا يطيقسون ولا ينطقون . السكاكي - رحمه الله - ينقب عن حكمة دقيقة وعميقة لهذه الظاهرة حيث يرى أنها كانت للتبكيك والرد على الخصم لو قال عند تحديه بالقرآن بألفاظه ومعانيه قد سبق الى صوغها الممكن فكيف نأتى لها بالمثل ، فكان القرآن

ينطق بأن القرآن ليس من كلام بشر ، ولكنه من كلام خلاق القوى والقدر .

يقول السكاكي في كتابه مفتاح العلوم باب التقديم والتأخير : « ولله حر التنزيل واحاطته على لطائف الاعتبارات في ايراد المعنى الواحد على انحاء مختلفة بحسب مقتضيات الاحوال ، لا نرى شيئاً منها يراعى في كلام البلغاء من وجه لطيف الا عثرت عليه مراعى فيه من لطف الوجوه ، وانا ألقى اليك من القرآن عدة أمثلة مما نحن فيه لتستضيء بها فيما عسى أن يظلم عليك من تظاهرها ، اذا أحببت أن تتخذها مسلح فكرك ومطارح نظرك - ثم أطلب - رحمه الله - بذكر أمثلة كثيرة لما أشار اليه ، نعتقد أن مراجعتها هناك لمن شاء مغنية عن الاطالة بذكرها هنا . » ويقول المرحوم مصطفى صادق الرافعي في كتابه اعجاز القرآن وتحت عنوان أسلوب القرآن : « وهنا معنى دقيق في التحدى ما نظن

يقول له هذا هو المثل بل المثالن
بل الامثال حسب عدد التكرار •

اننا بعد ذلك كله نستطيع
بانعطافة بسيطة نحو دروب علوم
النفس والاجتماع ان نجد في
مقرراتها التبرير النفساني
والاجتماعي لوجود هذه الظاهرة
ظاهرة التكرار في القرآن الكريم
وانها وجدت فيه لاتصالها الوثيق
بتحقيق الأهداف التي من أجلها
نزل القرآن وذلك حيث يقول
الدكتور غوستاف لوبون الفيلسوف
الفرنسي الاجتماعي المعروف في
كتابه « الآراء والمعتقدات » :
« التوكيد والتكرار عاملان قويان
في تكوين الآراء وانتشارها
وبالجملة تستند التربية في كثير من
المسائل ، وبها يعتنى رجال
السياسة والزعماء ، والتكرار هو
التنمية الضرورية ، وهو يحول
المكرر الى معتقد » وفي كتابه
« روح الاجتماع » يقول : « للتكرار
تأثير في عقول المستنيرين وتأثيره
أكبر في عقول الجماعات • والسبب
في ذلك كون المكرر ينطبع في تجاويف
الملكات اللاشعورية التي تختمر

فيها أسباب أفعال الانس •
ويقول الأستاذ مظهر سعيد
العالم النفساني الكبير في كتابه علم
النفس الاجتماعي : « على الداعي
والزعيم أن يكثر من ترديد المسائل
الهامة في مناسبات عدة كأنه يلقيها
للناس ، فذلك يكسبها قوة
تستهويهم ، وقد ورد في القرآن
آيات التوحيد ونبذ الشرك ثلاثمائة
 وخمسين مرة والايمان والاعتقاد
في الله ثلاثمائة مرة ، ووصف جهنم
لردع الناس مائة وتسعين مرة ،
 ووصف الجنة للترغيب مائة
 وخمسة وتسعين مرة وذكرت
 الصلاة مائة مرة وذكر الصبر كذا
 مرة • • ، ويقول الأستاذ أحمد
 أمين عالم الأخلاق الكبير في كتابه
 (الأخلاق) : « من القوانين
 النفسية ان الفكرة اذا عرضت
 للمخ ورحب بها وقتا طويلا اثرت
 فيه أثرا كبيرا ثم تحولت الى عمل
 وان الفكرة لأول عرضها تؤثر في
 المسخ اثرا ما وكلما تكررت كبر
 أثرها وسهل ورودها وانتجت
 العمل لا محالة ثم يصير ذلك عادة
 بالتكرار ، وقد ترفض الفكرة لأول

بالوحدانيات ، الأمر الذي أشاد به
وامتدح نفسه به القرآن الكريم
نفسه ، حيث يقول الله تعالى فيه:
« الله نزل أحسن الحديث كتابا
متشابها مثاني تقشعر منه جلود
الذين يخشعون ربهم ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ،
ذلك هدى الله يهدي من يشاء ..
ومن يضل الله فلما له من هاد » .
سورة الزمر آية ٢٣ .

وبعد : فإذا كان ذلك كذلك وكان
التكرار في القرآن ضربا من ضروب
عظمته وجلاله وكان الجاهلون قد
عيبوه به ، فما الأمر في ذلك الا
كما قال القائل .

إذا محاسنني اللاتي أدل بهما
كانت ذنوبي فقل لي كيف أعذر ؟

د : عبد الفنى الراجحي

مرة ، ولكن كثرة ورودها على المخ
تجلعه يقبلها » .

ويمكننا نحن أن نضيف الى ذلك
كله أننا نرى في عصورنا الحديثة
التي نضجت فيها علوم النفس
والاجتماع كيف يعمد أصحاب
الدعوات والدعايات الى التكرار في
نشراتهم واعلاناتهم مع التلويين في
عباراتها على غرار ما جاء في كتاب
الله قبل أن تخلق علوم النفس
والاجتماع ، وأنه كان من مظاهر
ذلك أن القرآن الكريم اهتمت عن
الافراط في الجدل والقياسات
المنطقية التي لا تلزم الخصم الا في
الظاهر ، لئلا يقرر النفسى
والانقياد الجوابى الباطنى
والامثال النابع من الأعماق انما
يكون الاعتماد في تكوينه على
الموعظة الحسنة والتأثير



مع العلامة الندوي في روائع اقبال

عضو المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة

مقدمة :

يقول الجرجاني : « أن من كمال الجمال البلاغي أن تكون مادته الخير والفضيلة » ، والأدب الهادف هو أعظم ما يقصده النقاد ويدعون اليه ، وهو أن تكون له رسالة سامية ينشرها ويدعوو لتحقيقها ، والأديب الحق رسول يجمل بيده مشعل الحب والحق والحرية ، ويبحث بكل ما في ضميره من شوق وشغف وما في نفسه من نشاط وأخلاص عن مصدر السعادة والمرغوة في الحياة ليهدى إليها نفوس البشر الحائرة - كما يقرر ذلك بعض الأدباء .

وان ذلك لينطبق تماما على شاعر الاسلام محمد اقبال الذي

يقول العلامة الندوي عنه في كتاب صدر له بعنوان « روائع اقبال » أن أعظم ما حملني على الإعجاب بشعره هو الطموح والحب والايمان وقد تجلى هذا المزيج في شعره وفي رسالته أعظم مما تجلى في شعر معاصر ، ورأيت نفسي قد طبعت على الطموح والحب والايمان وهي تتدفق اندفاعا قويا الى كل أدب ورسالة تبعثان الطموح وسمو للنفس ويمد النظر والحرص على سيادة الاسلام وتسخير الكون لصالحه والسيطرة على النفس والآفاق ، وينغذيان الحب والعاطفة ويمعنان الايمان بالله والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبحبقرية سيرته وخلود رسالته

لا يشق له غبار ، فقد نشأ في ظلال
 أب صوفي في بيئة عرفت بالصلاح
 والتصوف في مدينة : « سيالكوت »
 البنجابية ، وكان له أستاذ يعلمه
 الفارسية والعربية من نـوادير
 المعلمين الذين يطعمون تلاميذهم
 بطابعمهم ، ويبحثون فيهم ذوق
 العلم ، غائر في الشاب الذكي أكبر
 تأثير وغرس فيه حب الثقافة
 والآداب الإسلامية ، وكان لديه
 الاستعداد الخاص لتلقى العلم
 والطبع الصافي لقول الشاعر
 والاستجابة السليمة والانفعال
 الصادق والمثابرة المستمرة ، حتى
 انه لم يتجاوز الثانية والثلاثين من
 عمره حتى حقق نجاحا منقطع
 النظير في العلم والتدريس والقاء
 المحاضرات في مختلف المواسم ،
 ونبع في كثير من المواد ومنها مادة
 الاقتصاد والسياسة التي نال فيها
 اجازة الدكتوراه من جامعة
 « ميونيخ » في ألمانيا .

لقد طوف اقبال في كثير من
 البلدان التي ترك في كل منها أثرا
 لا ينسى ، ومن بينها : « حقلية »
 بلد القائد جوهر المقلد قائد

وعوم امامته للأجيال البشرية
 كلها .

وهذا تحليل معقول لاقبال
 العلامة أبو الحسن الندوي -
 وهو أستاذ جليل ورائد من رواد
 النهضة الإسلامية ، وحبه لدينه
 وأمته الإسلامية مازال منبعا ثرا
 فياضا بالخير والمطاء نرجو الله
 أن يمتد الى أن تتحقق آماله وآمال
 المسلمين في نهضة عظيمة تؤتى
 أكلها وثمارها شهية يانعة باذن الله
 - هذا تحليل مقبول لاقباله
 على شعر اقبال ذلك الشاعر
 الاسلامي الذي يعد فلتة من
 فلتات التاريخ ، فيقدم لنا باقات
 منه في هذا الكتاب الذي أصدرته
 دار القلم في طبعة ثالثة بعد أن
 نفذت طبعته الأولى والثانية في
 وقت وجيز . . ويقدم بين يدي
 هذه الباقات دراسة مستفيضة
 للشاعر وشعره نوجزها فيما يلي :

شاعر الاسلام :

أما اقبال فقد تصافت
 العوامل المهيبة لتكوين شخصيته
 الفذة لتخرج منه شاعرا اسلاميا

وروعة الأخيلة ، ما يقول قصيدة حتى تصبح أسير من المثل الذائع ، ومازال نشيده الوطني ، وأنشودة المسلم لهما دويهما الرائع في الأوساط والحفلات والمجتمعات •

كما كان للأحداث التي تتتاب الأمة العربية أثر كبير في جيشان عاطفة الشاعر واثارة مشاعره حتى انه أصبح عدوا لحدودا للحضارة الأوروبية التي أقامت بنيانها على تقويض حضارة العرب والاسلام وله في ذلك قصائد لا يشق له فيها غبار ، وقد نص على الزعماء الاسلاميين الذين ليست لهم بقائدهم الأعلى المصطفى صلى الله عليه وسلم صلة روحية ، حتى لقد أنشأ قصيدة بعنوان « شكوى الى الرسول » يقول فيها : أنا برىء من أولئك الذين يحجون الى أوربا ويشدون اليها الرحال مرة بعد مرة ولا يتصلون بك أبدا في حياتهم ولا يعرفونك •

كما أنه أنشأ قصيدة من وهي أحداث طرابلس سنة ١٩١٠ بعنوان « هدية الى الرسول » جاء فيها :

المعز لدين الله الفاطمي ومنشئ
القاهرة والازهر وسكب على
ترابها دموعا وقال قصيدة افتتحها
بقوله :

« أبك أيها الرجل آدميا لا دميا
فهذا مدفن الحضارة الحجازية »

لطالما حز في نفس اقبال ذلك التأخر الذي أصاب المسلمين ونظم في ذلك قصائد رائمة ومن بينها تلك القصيدة التي يحتب عليهم فيها ضعفهم ويشكو الى الله على لسانهم ما حل بهم ، مذكرا لهم بأعمالهم الخوالد في سبيل الله وفي الجهاد من أجل الإصلاح .. وأبان في قصيدة أخرى على لسان الحضرة الالهية أن ما أصابهم من ضعف وتأخر إنما كان بسبب اهمالهم للدين وعدم اتقانهم أمر الدنيا فاستحقوا الخزي والهوان ، ولقد كان لهاتين القصيدتين أثر كبير بين الناس ، فقد تغنى بهما الاطفال وحفظهما الرجال والنساء وأصبحتا مشهورتين تماما •

لقد كان في شعره كله مبتكرا ، في الأسلوب والمعاني وقوة العاطفة

التي تلى اللغة العربية في الأهمية والانتشار في العالم الاسلامي ، ويتكلم بها قطران مهمان هما ايران وأفغانستان ، وتفهم في الهند ويحذقها كثير من أهلها وأهل تركستان وروسيا وتركيا .

وقد ذاعت مؤلفاته وشعره وترجم أكثر كتبه الى مختلف اللغات ، وألفت في ألمانيا وإيطاليا مجاميع وهيئات باسمه لدرس شعره وفلسفته ، وانتخب رئيسا لحفلة الرابطة الاسلامية السنوية التي عقدت في « آله آباد » سنة ١٩٣٠ م وأثار فكرة باكستان لأول مرة ، وتقلب في عدة مناصب رئيسية وسياسية هامة ، ودعى الى عدة دول من بينها : فرنسا وأسبانيا وإيطاليا ، وألقى عدة محاضرات اسلامية ، وزار في أسبانيا مسجد قرطبة ، وصلى فيه لأول مرة في التاريخ بعد جلاء المسلمين ، وذرف على تربته دموعا غزارا وتذكر العرب الأوائل الذين حكموا هذه البلاد عدة قرون واستثنى غير حضارتهم ، وشعر كأن هذا المسجد العظيم يشكو اليه حرمانه

أنه حضر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ماذا حملت الينا من هدية ؟ فاعتذر الشاعر عن هدايا الدنيا وقال : انها لا تليق بمقامكم الكريم ولكنني جئت بهدية يتجلى فيها شرف أمتك ، وهو دم شهداء طرابلس .

وكان له موقف لا يبارى من الحرب العالمية الأولى حيث انفجر البركان الأوربي عام ١٩١٤م ففاض خاطره بالقصائد الرائعة التي تفيض بالحكمة والتجربة الصادقة والحماس للإسلام ، وكان تاج هذه القصائد قصيدة « طلوع الاسلام » التي لا يوجد لها نظير في الشعر الاسلامي في القوة والانسجام .

اختيار الفارسية لشعره :

وظل فكر اقبال يقصع وأفق معارفه يزداد حتى انتظمت دعوته واتضحت رسالته ، فنشر له عدة كتب فارسية ، وقد أثر اللغة الفارسية لشعره لأنها أوسع من اللغة الأردية وهي اللغة الاسلامية

أنا لا أخشى الموت ، أنا مسلم ،
ومن شأن المسلم أن يستقبل الموت
باسما .

وكان ذلك آخر برهان أقامه على
صدق الاسلام وايمان المسلم
ويقينه ، وغربت هذه الشمس التي
ملأت القلوب حرارة ونورا قبل أن
تطلع شمس الحادي والعشرين من
ابريل عام ١٩٣٨ م .

العوامل التي كونت شخصيته :

لقد جمع اقبال بين مختلف
الثقافات المصرية واردا مناهلها في
مختلف الأمصار والبلدان ، ولكنه
لم يكتف بذلك ، ولكنه كان يرد
الفضل الأول في تكوين شخصيته
الى تعاليم المدرسة الالهية والتربية
الروحانية التي تشرب بها قلبه
ووجدانه . لقد كان شديد الايمان
بالاسلام وقوى الاخلاص لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ، مقتنعا
بأن الاسلام هو الدين الخالد
الذي لا تسعد الانسانية الا به ،
وأن النبي صلى الله عليه وسلم
هو خاتم الرسل والبصير بالسبل
وامام الكل . . ولقد كان هذا

من سجد المؤمنين ، وجو قرطبة
يشكو اليه بعد عهده من الادان ،
وكان في زيارته لهذه البلاد موضع
حفاوة وتكريم بالعين .

رفضه زيارة المستعمرات الفرنسية
وسألته حكومة فرنسا أن يزور
مستعمراتها في شمال افريقية ،
ولكن الشاعر العيور رفض ذلك ،
كما رفض أن يزور جامع باريس
وقال كلمته المشهورة . ان هذا
شمن يحس لتدمير دمشق واحراقها .

ولقد ظل طول حياته يؤرقه حال
المسلمين ، وقد وقف شعره على
دعوتهم الى النهوض ورثاء أحوالهم
وتدخيرهم بماصيدهم المجيد لعلمهم
يحسبون به مستقبلا مشرقا زاهرا ،
ولم يقعه انحراف صحته ومعاودة
الملك له عن رسالته وقال قبل أن
يفط أنفاسه بعشر دقائق : ليت
شعري هل تعود النعمة التي
أرسلتها في الفضاء ؟ وهل تعود
النعمة الحجازية ؟ قد أظنني موتى
وحضرتي الوفاة ، فليت شعري
هل حكيم يخلفني ؟
وقال وهو يجود بنفسه :

وهو ينجي الله عز وجل : « أنت غنى عن العالمين وأنا عبدك الفقير ، فاقبل معذرتي يوم الحشر ، وإن كان لأبد من حسابي فأرجوك يا رب أن تحاسبني بنجوة من المصطفى صلى الله عليه وسلم فاني أمتحي أن أنتسب اليه وأكون في أمته وأقترف هذه الذنوب والمعاصي » .

الشعر والحب :

ان هذا الايمان وهذا الحب العميق هو الذي كون شخصيته الشعرية ، ولا عجب : فان من تتبع التاريخ عرف أن الحب هو مصدر الشعر الرقيق والحلم العميق والحكمة الرائعة والمعاني البديعة ، والى الايمان والحب يرجع الفضل في غالب عجائب الانسانية والآثار الخالدة .

ان الشخص اذا تجرد من الحب أصبح صورة من لحم ودم ، والأمة اذا تجردت منه أصبحت قطعة من غنم ، والشعر اذا تجرد منه كان كلاما موزونا مقفى فحسب ، والعبادة اذا تجردت منه أصبحت

سببا في تماسكه أمام المادة ومنغرياتها ، فالحب خير حارس للقلب وحافظ له ، فما بالك اذا كان هذا الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ استمع اليه وهو يقول في ذلك : « لم يزل فراعنة العصر يرصدونني ويكمنون لي ، ولكني لا أخافهم فاني أحمل اليد البيضاء ، ان الرجل اذا رزق الحب الصادق عرف نفسه واحتفظ بكرامته واستغنى عن الملوك والسلطين . لا تعجبوا اذا اقتنمت النجوم وانقادت لي الصباب ، فاني من عبيد ذلك السيد العظيم الذي تشرفت بوطائه الحصباء فصارت أعلى قدرا من النجوم ، وجرى في أثره الغبار فصار أعبق من العبير » .

ولم يزل حبه للنبي يقسوى ويسيطر عليه حتى اذا كان في آخر عمره اذا جرى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فاضت عيونه بالدموع الغزار ، وقد ألهمه ذلك دررا غوالي ستظل على الدهر تتحدى الشعراء البلغاء ، ومن هذه المعاني العجيبة في شعره قوله

شخصية اقبال وشعره : هو القرآن الكريم الذى أثر فى عقلية ونفسه تأثيرا كبيرا • لقد اقبل على قراءته بشوق ونهم وذوق وقال فى ذلك : « قد تعمدت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم ، وكان أبى يرانى فيسألنى : ماذا أصنع ؟ فأجيبه : أقرأ القرآن ، وظل على ذلك ثلاث سنوات متتاليات يسألنى سؤاله فأجيبه جوابى ، وذات يوم قلت له : مابالك يا أبى تسألنى نفس السؤال وأجيبك جوابا واحدا ثم لا يمنحك ذلك عن اعادة السؤال من الغد ؟ فقال : انمما أردت أن أقول لك : يا ولدى افرأ القرآن كأنما نزل عليك • ومنذ ذلك اليوم بدأت أفهم القرآن وأقبل عليه ، فكان من أنواره ما اقتبست ومن حرره ما نظمت • »

ولم يزل اقبال الى آخر عهده بالدنيا يغمص فى لجج القرآن فيخرج بطم جديد واشراق جديد ، وكلما تقدمت دراسته واتسعت آفاقه ازداد ايمانا بأن القرآن هو الكتاب الخالد والعلم الأبدى وأساس السعادة ، ولم يزل يدعو

طقسا من الطقوس وهيكلابلا روح ، والحياة بدونه تصبح طبعا كليا وقريحة جامدة وعقلا مجدبا وشعلة خابية ومواهب معطلة • • هذا اذا كان الحب صادقا خالصا لا زيف فيه •

وهذا الحب الصادق للحقائق والمعانى الباقية هو الذى يتفاضل به العظماء وهو المقياس الحقيقى لقوتهم ، لقد جنت المدنية الحديثة على الانسانية جناية عظيمة لأنها قضت على هذه العاطفة التى كانت قوة كبرى ومنبعا فياضا للحياة ، وملأت فراغا بالنفعية والمادية أو الحب الجنى والفرام المادى ، ولم تستطع بحكم ماديتها وضيق تفكيرها أن تفهم أن هناك حبا للمعانى السامية أقوى من هذا الحب الرخيص • لقد أساءت المدرسة المصرية اذ لم تحتفل بهذه العاطفة النبيلة والوجدان الصادق ولم تحسن توجيه القلوب واشغالها بحرارة الايمان •

القرآن الكريم واثره :

وهناك عامل آخر أثر فى تكوين

القلب لا تفارق صاحبها ، أما ثروة الجسم فظل زائل ونعيم راحل • ان عالم القلب لم أر فيه سلطة الاغرنج ولا اختلاف الطبقات لقد كدت أذوب حياء ويندى جبينى عرقا اذ قال لى حكيم : اذا خضعت لغيرك أصبحت لا تملك قلبك ولا جسمك » •

يستطيع العبد أن يسمو بنفسه الى درجة الملوك بل يملوهم اذا كان جريئا مقداما ، ويقول اقبال في ذلك : « ان الانسان اذا عرف نفسه بفضل الحب الصادق وتمسك بآداب هذه المعرفة انكشفت على هذا المملوك أسرار الملوك » •

ومن أجل هذا الاعتداد بالنفس كان اقبال يرمض الرزق اذى يقيد حريته ، وقرأه يقول في ذلك : « يا صاح ان الموت أفضل من رزق يقص من قوادى ويمنعنى من حرية الطيران » •

ومع اعتداده بنفسه لم يكن صلفا أو مغرورا ، وفرق كبير بين الغرور والاعتزاز بالكرامة والمحافظة عليها ، وقد رفض في

المسلمين وغير المسلمين الى التدبر في هذا الكتاب العجيب وفهمه ودراسته والاهتداء به في مشكلات العصر ، وحينما زار أفغانستان قدم الى الملك نادرخان نسخة من القرآن الكريم وقال له « ان هذا الكتاب رأس مال أهل الحق ، في ضميره الحياة وفيه نهاية كل بداية وبقوته كان على فاتح خيبر » فبكى الملك وقال : لقد أتى على نادرخان زمان وماله أنيس سوى القرآن وهو الذى فتحت قوته كل باب •

معرفة النفس :

ويضاف الى ما سبق عامل هام هو معرفة النفس ، والنسوص في أعماقها والاعتداد بقيمتها ، كان يخاطب غيره بقوله الذى يؤمن به « انزل في أعماق قلبك وادخل في قرارة شخصيتك حتى تكتشف سر الحياة ، ما عليك اذا لم تتصبنى وتعرفنى ، لكن أنصف نفسك واعرفها وكن لها وفيا ، ما ظنك بعالم القلب ؟ هو كله حرارة وسكر وحنان وشوق • أما عالم الجسم فتجارة وزور واحتيال • ان ثروة

وكان شاعرا محبوبا فلو أريد له أن يكون غير شاعر لما استطاع ، وكان مع ذلك هبدا سلم له شعراء عصره بالامامة والاعجاز وتأثر به كافة الشعراء .

يتميز شعره بابتكار المعاني وجدة التشبيه والاستعارات ، وساعده على ذلك اتصاله بالشعر الانجليزى والالمانى والفارسى ، الا أن أهم ما يتميز به اقبال هو أنه أخضع شاعريته القومية وعبقريته لرسالة الاسلام .

لقد وقف على الاسلام شعره واستخدمه كما تستخدم الرسائل أسلاك الكهرباء فتكون أسرع وصولا ، ولطيب الازهار نفحات الهواء فيكون أكثر انتشارا ، وبذلك الشعر : أيقظ أمة وأثقل قلوبها ايمانا وحماسا وطموحا الى حياة الشرف والاستقلال والسيادة والحكم الاسلامى ، حتى أصبحت هذه الامة لا ترضى الا بدولة تحكمها وتدير دفتها .

ولا نعرف شاعرا أو أدبيا يرجع اليه الفضل في تأسيس دولة وتهيئة

سبيل ذلك كل عرض رأى فيه جرحا لكرامته ، عرضت عليه الحكومة البريطانية وظيفة نائب الملك في أفريقية الجنوبية — ومن تقاليد هذه الوظيفة أن حرم نائب الملك تكون سافرة تستقبل الضيوف في اللوائح الرسمية وتشترك زوجها في حضور الاحتفالات ، فرفض هذه الوظيفة وقال : « مادام هذا شرطا لقبول الوظيفة فلا أقبله لأنه اهانة دينى ومساومة كرامتى » .

كان طرازا جديدا في شاعريته ولذلك لم يحصد حزو الشعراء التقليديين في انشاء قصائد المناسبات ، وهذا اعتزاز آخر بشخصيته وكرامته ، انه ينأى بنفسه أن يكون موقعا يهتف مع الهاتفين ويمشى في ركاب المعظماء والسلطين .

رسالة الشعر :

لقد ركز اقبال فكره وشعره على بحث الحياة والروح في المسلمين ويجاد الثقة والاعتزاز بشخصيتهم والايمان برسالتهم ،

أبي حامد الغزالي في علمه وذكائه
وكن من شئت في العلم والحكمة
ولكنك لا ترجع بطائل حتى تكون
لك أنة في السحر « وكان يقول :
« خذ مني ما شئت يارب ولكن
لا تسلبني اللذة بأنة السحر
ولا تحرمني نعيمها » ♦

وكان يتمنى على الله أن يشعر
بهذه الساعة شباب الامة المتتمعون
فتحرك لها سواكن قلوبهم بميبتل
قائلا : « اللهم اجرح أكباد الشباب
بسهم الآلام الدينية ، وأيقظ
الآمال والاماني النائمة في صدورهم
بنجوم سمواتك التي لا تزال
ساهرة ويعبادك الذين يبيتون
سجدا وقياما ولا يكتهلون بنوم ،
ارزق الشباب الاسلامي لوعة
القلب وارزقهم حبي وفراسي » ♦

تأثره بجلال الدين الرومي :

ولقد كان للمثنوي المعنوي الذي
ألفه «جلال الدين الرومي» في ثورة
وجدانية ضد الموجة الاغريقية التي
اجتاحت العالم الاسلامي في عصره
أثر كبير في نفس اقبال وشعره ،
لقد انتصر جلال الدين الرومي في

النفوس لها مثل ما يرجع الى هذا
الشاعر الاسلامي . كان شعره
هو الذي أقام دولة باكستان ،
وهي الثورة الفكرية لها ♦

وكم ضاع رجال من العباقرة
وأصحاب المواهب لأنهم لم يحسنوا
تقدير أنفسهم ، وباعوا أعلامهم
وضمائرهم بالمزاد الحلى وقتلوا
مواهبهم « وما ظلمهم الله ولكن
كانوا أنفسهم يظلمون » ♦

اقبال والطبيعة :

ومن العوامل المؤثرة في شعر
اقبال اتصاله بالطبيعة من غير
حجاب ، وتعرضه للنفحات
السحرية ، يقوم آخر الليل مناجيا
ربه شاكيا بثه وحزنه اليه ، فيتزود
بنشاط جديد واشراق قلبي جديد
وغذاء فكري جديد ، ويطلع كل يوم
على أصدقائه وقرائه بشعر جديد،
فيه قوة جديدة وحياة جديدة ونور
جديد ، وكانت ساعات السحر
رأس ماله يقدرها حق التقدير
ويقول في ذلك : « كن مثل الشيخ
فريد الدين العطار في معرفته
وجلال الدين الرومي في حكمته أو

على راحته يطلب ألف حكيم قد
أحنوا رموسهم للتفكير « . وكان
يتوق الى أن يحمل رسالة الرومي
ويجدد علمه في القرن العشرين ،
ولكنه كان يعترف بتفوق جلال الدين
عليه في الجانب الروحي ولذلك قال
في احدي قصائده : « لم ينهض
رومي آخر من ربوع العجم مع ان
أرض ايران لا تزال على طبيعتها
ولا تزال تبريز كما كانت ، الا أن
« اقبال » ليس قانطا من تربته
فاذا سقيت بالدمع أنبتت نباتا
حسنا وأنت بحاصل كبير » .

اقبال ونظم التعليم :

جنت المدرسة الحديثة في نظر
اقبال على هذا الجيل جنانية عظيمة
لأنها اهتمت بعقله ولسانه وغفلت
عن قلبه ووجدانه . ولذلك أنشأت
جيلا غير متوازن القوى وأصبحت
المسافة بين ظاهره وباطنه شاسعة،
وهو يقول في ذلك « ان الشباب
المثقف فارغ الاكواب ظمآن
الشفقين ، مصقول الوجه مظلم
الروح ، مستثير العقل كليل البصر
ضعيف اليقين كثير اليأس ، لم

هذا المثنوي للايمان ، وانتصف
للقلب والروح والحب الصادق
والمعاني الصافية من المباحث
الكلامية الجافة والقشور الفلسفية
التي كانت تشغل أذهان المسلمين
وأوساطهم العلمية ومدارسهم
الدينية .

وكان عصر اقبال يشبه الى حد
كبير عصر جلال الدين وزاد عليه
ما أنتجت المدنية الاوربية من
مخترعات صناعية وآلات للدمار
صبغت الحياة بصبغة مادية
أرجوانية ، حتى مكث اقبال فترة
يتنازعه عاملان : عامل العقل وعامل
القلب ، وكان للمثنوي أثره الكبير
في انقاذه من هذا الاضطراب
الفكري والاضطراب النفسي ، وقد
اعترف بذلك الفضل للمثنوي فقال
للمأخوذين بعلم الغرب « قد سحر
عقلك سحر الافرنج ، فليس لك دواء
الا لوعة القلب الرومي وحرارة
ايمانه ، لقد استنار بصري بنوره
ووسع صدري بهرا من العلوم »
وقال أيضا « لقد أفدت من صحة
شيخ الروم ، وان كليما واحدا
— يشير الى سيدنا موسى — هامت

بالقوارع ، كل ما عندهم من علم
رفن ودين وسياسة وعقل وقلب
يطوف حول الماديات ، قلوبهم
لا تتلقى الخواطر المتجددة ،
وأفكارهم لا تساوى شيئاً ، حياتهم
جامدة ، واقفة ، متعطلة » .

ويرجع السبب في كل هذه
الظواهر الى نظم التعليم الحاضرة
ذلك :

— أن التعليم الآن يبعث على
انتعاش وحب الهدوء والراحة
ويجعل المتعلم كالمحيط الهادئ ، لا
حركة فيه ولا اضطراب .

والتعليم الآن يحدث الفوضى
الفكرية ويقسول في ذلك : « أن
المدرسة تحرر العقل بلا شك ولكنها
تترك الأفكار بغير نظام ولا
ارتباط » .

— والمدرسة الآن تقوم على
التقليد والجمود ومجردة من
الابتكار والاجتهاد ، انه يرى أن
هذا الجيل ليس حياً قائماً بنفسه
مفكراً بعقله ، ولكنه ظل لأوروبا وأن
حياته مستعارة من الغرب .

يشاهدوا في هذا العالم شيئاً ،
هؤلاء الشبان أشباه الرجال ولا
رجال ، ينكرون نفوسهم ويؤمنون
بغيرهم ، يبنون الأجانب على ترابهم
الاسلامى كنائس وأديارا ، شباب
ناعم رخو رقيق في الثياب كالحرير
يموت الامل — في مهده — في
صدورهم ، ولا يستطيعون أن
يفكروا في الحرية . ان المدرسة
نزعت منهم العاطفة الدينية
وأصبحوا خبر كان . أجهل الناس
لنفوسهم وأبدهم عن شخصياتهم
شفقتهم الحضارة الغربية ،
فيمدون أكفهم الى الأجانب
ليتصدقوا عليهم بخبز شمير ،
ويبيعون أرواحهم في ذلك . ان
المعلم لا يعرف قيمتهم فلم يخبرهم
بشرفهم ولم يعرفهم بشخصيتهم ،
مؤمنون ولكن لا يعرفون سر
الموت ولا يؤمنون بأنه لا غالب الا
الله ، يشقرون من الافرنج اللات
ومناة ، مسلمون لكن قلوبهم تطوف
حول الاصنام . ان الافرنج قد
قتلوه من غير حرب وضرب ، عقول
وقحة وقلوب قاسية وعيون لاتعف
عن المحارم وقلوب لا تذرب

موسى ، وأن يؤدي رسالته في العالم ، وكل أدب استقل لجمع المادة أو لارضساء الأغنياء وأثارة الشهوات أو اتحد أداة للهو والتسلية فهو أدب ضائع مظلوم استعمل لغير ما خلق له .

والأدب لا يصل الى حد الإعجاز الا اذا استمد حياته وقوته من أعماق القلب الحى وسقى بدمه ، ومهمة الأدب والشعر تظهر في قوله « يا أهل الذوق والنظر العميق ، أنعم وأكرم بنظركم ، ولكن أى قيمة للنظر الذى لا يدرك الحقيقة ، لا خير في نشيد شاعر ولا في صوت من اذا لم يفيض على المجتمع الحياة والحماس ، لا بارك الله في نسيم السحر اذا لم تستفد منه الحديقة الا الفتور والخبول والذوى والذبول . ما قيمة شرارة تلتهب سريعا وتنطفئ سريعا ، وما قيمة لؤلؤة كريمة أو صدف لامة لا تحدث اضطرابا في الأمواج ولا اضطرابا في البصار ، لا نهضة للامم الا بمعجزة في أدب ولا شعر اذا تجرد من عصا موسى » .

— لقد أضعف نظام التعليم الغربى الروح المعنوية في الشباب المسلم وجنى على رجولته ، فأصبح شبابا رخوا رقيقا مائما ، لا يستطيع الجهاد ولا يتحمل المكروه .

انه يطالب المعلم بأن يعلم ابنائه المثل الاسلامية التى درست في نفوس الشباب حتى تعود اليهم شخصيتهم الايمانية والمحمدية ، وكان لا يغتفر للغرب جريمة جنائته على نظم التعليم في بلاد الاسلام ، ويقول في ذلك : « أنا لا أقيم لذلك العلم وتلك الحكمة وزنا ، الحكمة التى تجرد المجاهد من سلاحه وتجعله أعزلا ضعيفا » .

رسالة الأدب :

يرى اقبال أن الأدب موهبة من الله يحدث به صاحبه ثورة فكرية تضرب الأوضاع الفاسدة الضربة القاضية ، وتشعل القلوب حماسة والبلاد ثورة ، وتملا النفوس تذكرا من الشر وتطلعا الى الخير ، فلا بد أن يكون في قلم الاديب التأثير الذى في عصا

الفلسفة الى اقتناعه باخفاقها في حل المشكلات الحيوية ، وشيئاً بهما بالصدفة اللامعة الخالية من اللؤلؤ مادامت هذه الفلسفة في معزل عن الحياة والكفاح .

والدين في رأيه هو الذي ينظم المجتمع وينير الطريق ، ويقدم دستور الحياة ، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو المصدر الوحيد الذي يستفاد منه هذا العلم . يقول في رسالة الى صديق له من الهاشميين كان مشغوعاً بالفلسفة حتى تزلزلت عقيدته الإسلامية : « ان الحكمة الفلسفية ليست الا حجاباً للحقيقة وأنهما لا تزيد صاحبها الا بعداً عن صميم الحياة وأن بحوثها وتدقيقاتها تقضى على روح العمل . هذا « هيجل » الذي تبالح في تقديره ان صدفته خالية من اللؤلؤة ، وان نظامه ليس الا وهماً من الأوهام . لقد انطفت شحنة القلب في حياتك أيها السيد وفقدت شخصيتك فأصبحت أسيراً » لبرجسان . « ان البشرية تريد أن

لقد استعبدت المرأة - في نظر اقبال - الأديب في الشرق الاسلامي ، فأصبح لا يتحدث الا عنها ولا يتخلى الا بها ، وهذه عقيدة جديدة في وحدة الوجود التي يمكن ان تسمى الوجودية الأدبية ، وكان الأدب المصري ينادى بلسان هاله لا موجود الا المرأة « أسفا للشعراء والرسامين وكتاب القصة في بلادنا ، لقد استتوت على أعصابهم المرأة » ولا شك أنه تصوير صادق للاتجاه الأدبي العام في الشرق الاسلامي واندفاع الأدب المتهور وراء المرأة وهيامه بها .

ورأيه في الفلسفة :

يرى اقبال أن الفلسفة لا تعيش الا بالجهد والتضحية ، والفلسفة التي تقتصر على الدراسات والبحوث العلمية وتلكى بالمناقشات اللفظية ، ولا تدخل في صميم الحياة والمجتمع هي فلسفة مناهرة انه يقول « ان الفلسفة التي لم تكتب بدم القلب فلسفة ميتة أو محتفزة » .

لقد انتهى اقبال من دراسة

والبيت في الخى ، غيور في العسر ،
 رعوف كريم في اليسر ، يظلمباً ان
 أبدى له الماء مئة ، ويموت جوعاً ان
 رأى في الرزق ذلة ... يقينه بين
 أوهام العمر كمصباح الراهب في
 ظلمات الصحراء ، يعرف في محيطه
 بحكمته وفراسته وبأذان البحر ،
 الشهادات في سبيل الله أحب اليه
 من الحكومات والفنائم ، يقتص
 النجوم ويصطاد الأسود ، ويبارى
 الملائكة ويتحدى الكفر والباطل
 أينما كان ، يرفع قيمته ويزيد في
 سعره حتى لا يستطيع أن يشتريه
 غير ربه ، شعلته مآربه الجليلة
 وحياة الجد والجهاد عن زينة
 الجسم والتأنق في اللباس ، وشعر
 بانسانيته فترفع عن تقليد الطاووس
 في لونه والعنديل في حسن
 موته » .

الحضارة الغربية :

لاحظ اقبال جوانب الضعف
 الأساسية في حضارة أوربا ، لأنها
 اتجهت اتجاهها مادياً صرفاً ، ولأن
 أصحابها ثاروا على الديانات والقيم
 الخلقية والروحية ، وعلى فساد

تعلم كيف تتقن حياتها وكيف تحلد
 شخصيتها • ان بنى آدم يطلبون
 الثبات ويطلبون دستور الحياة
 ولكن الفلسفة لا تساعدهم في ذلك •
 بالعكس من ذلك ان المؤمن اذا نادى
 بأذانه أشرق العالم واستيقظ
 الكون • ان الدين هو الذى ينظم
 الحياة وأنه لا يكتسب الا من
 ابراهيم ومحمد صلى الله عليه
 وسلم ، فعليك أيها السيد بتعاليم
 جدك صلى الله عليه وسلم • الى
 متى يا ابن على رضى الله عنه تقلد
 أبا على بن سينا ؟ اذا لم تكن
 بصيراً بالطريق فالقائد القرشى خير
 لك من القائد البخارى » .

هو والشباب المسلم :

انه يتمنى للمسلم جيلاً
 جديداً ، شبيبته طاهر
 نقى ، وضربه موجع قوى ، في
 الحروب أسد الثرى وفي السلام
 غزال الحمى ، يجمع بين حلاوة
 العسل ومرارة الحنظل ، هذا مع
 الاعداء وذاك مع الأولياء ، وهو في
 حالتي الحرب والصلح عفيف نزيه ،
 آماله قليلة ومقاصده جليلة ، غنى
 القلب في الفقر ، غنى الجسم

نفسها بخنجرها ، فان كل وكر يقوم على غصن ضئيف ليس له استقرار .

ان اقبال يصف المجتمع الاوربي — على اختلاف نظمته الرأسمالية والاشتراكية — بمجتمع يحركه تنافس وحشى ، ويصف حضارته بحضارة فقدت وحدتها الروحية بما انطوت عليه من صراع بين القيم الدينية والقيم السياسية . ان الرأسمالية والشيوعية فرعان من دوحه المادية ، وهما أسرتان للحضارة الغربية احدهما شرقية والاخرى : غربية ملتقيان على النسب المادى ، والتفكير المادى ، والنظر المحدود للانسان ، استمع اليه وهو يقول بلسان جمال الدين الافغانى « ان الغربيين فقدوا القيم الروحية والحقائق الغيبية ، وذهبوا يبحثون عن الروح فى المعدة ، ان الروح ليست قوتها وحياتها من الجسم ، ولكن الشيوعية لا شأن لها الا بالمعدة والبطن ، وديانة ماركس مؤسسه على مساواة البطون ، ان الأخوة الانسانية لا تقوم على وحدة

القلب والفكر الذى اتسمت به هذه الحضارة بأن روح هذه المدنية ملونة غير عفيفة وبأنه استولى عليها القلق الدائم » لقد أظلم الجو فى عواصمها بدخان المصانع المتصاعد الكثيف ولكن بنيتها على كثرة أنوارها غير متهيئة لفتح جديد فى الفكر واشراق من عالم الغيب » .

وقد أشار الى أساس الحضارة اللادينية بأنها عجت مع الثورة على الدين فهى فى خصومة دائمة مع السدين والأخلاق وهى عاكفة على عبادة آلهة المادة ، ان القلب يعمى بتأثير سحرها والروح تموت عطشا فى سرابها ، انها لمص تمرن على اللصوصية فيغير نهارا جهارا ، انها تدع الانسان لا روح فيه ولا قيمة له ، ان شعار الحضارة الحديثة الفتك ببنى آدم الذى تقوم عليه تجارتها ، ليست هذه المصارف الا وليدة دهاء اليهود الأذكياء والذى انتزع نور الحق من صدور بنى آدم ... وليس غريبا أن تنهار هذه الحضارة وثيكا ، وان لم تمت حتف أنفهما فسيتضر وتقتل

الانسان الكامل في نظر اقبال :

ان المسلم في نظر اقبال هو الانسان الكامل ، ولكن من هو المسلم ؟ هو المسلم المثالي الذي يتميز بالايمان واليقين والشجاعة والقوة الروحية والتوجيه الخالص والأفق الواسع ، والانسانية والتجرد من الشهوات والتمرد على موازين المجتمع الزائفة والقيم الضيقة ، هو الذي يعيش برسائله ولرسالته ، هو ذلك المسلم الحق الذي مهما اختلفت الأوضاع وتطورت الحياة لا يزال الحقيقة الثابتة التي لا تتغير ، هو الشجرة الطيبة التي اصلها ثابت وفرعها في السماء .

ان المسلم له وجودان ، الوجود الانساني والوجود الايجابي ، والوجود الانساني يشاركه فيه كل انسان ، أما الوجود الايجابي فهو أنه يحمل رسالة خاصة هي رسالة الأنبياء والمرسلين ، ويؤمن بمبادئ خاصة ويعيش لغاية خاصة ، فهو من هذه الناحية سر من أسرار الحق وحاجة من حاجات البشرية يستحق أن يعيش وأن ينتصر ، فصاحة

الاجسام والبطون ، انما تقوم على محبة القنوب وألفة النفوس » .

أثر التعليم العصري في نقل هذه الحضارة :

والقنطرة التي تعبر عليها الحضارة الاوربية الينا هي : التعليم الذي يقول فيه اقبال « اياك أن تكون آمننا من العلم الذي تدرسه فإنه سيسقطيح أن يقتل روح أمة بأسرها ... انه الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كما يشاء .. ان نظام التعليم الغربي مؤامرة على الدين والخلق » .

انه على الرغم من أنه خاض لجحيم التعليم الغربي الا أنه ومعهم قلة معدودة خرج من هذه اللجج سالما ، لم ينصهر في بوتقة الغرب كما انصهر غيره ولكنه تغنى قائلا : « كسرت طلسم العصر الحساسر وأبطلت سحره ، التقطت الحبة وأملت من شبكة الصياد ، يشهد الله أني كنت مقلدا لابراهيم فقد خضت في هذه النار واثقا بنفسى وخرجت منها سليما محتفظا بشخصيتي » .

والمسلم : خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ويفرض على البشرية اتجاهه ويملى عليها ارادته ، لأنه صاحب الرسالة وصاحب العلم واليقين وهو مسئول عن هذا العالم وسيره واتجاهه فلا ينبغي أن يكون مقلدا متبعا ، فمقامه مقام الامامة والقيادة والارشاد والتوجيه ، ويقول في ذلك « يقول من لا خلاق له : در مع الدهر حيث دار واذا لم يسالك الزمان فساله ، وأنا أقول : اذا لم يسالك الزمان فصارعه وحاربه حتى يفى الى أمر الله » .

والمسلم هو مصدر الانقلاب انصالح في التاريخ ومطلع فجر السعادة في العالم ، وهو رسول الحياة ومؤذن الفجر في الليل البهيم « ان المؤمن اذا نادى الآفاق بأذانه أشرق العالم واستيقظ الكون » .

ان قوة المؤمن مستمدة من رسالته وإيمانه وبادماجه واضمحلاله في إرادة الله ، فعند ذلك يتحول جارية للقدره الالهية وقوة

البشرية اليه ليست أقل من حاجتها الى الماء والهواء والنور والحرارة ، فاذا كانت أشكال الحياة مرتبطة بهذه كانت معاني الحياة وحقائقها مرتبطة بالغايات والأرواح والايمان والأخلاق ، التي تتكفل رسالات الأنبياء بشرحها وبيانها وتتكفل المسلم باعلانها والجهاد في سبيلها ، فلولاها لضاعت هذه الغايات والرسالات وأصبحت سرا مكتوما .

والمسلم بذلك حي خالد لأنه يحمل رسالة خالدة ، يقول اقبل في ذلك « لا يمكن ان ينقرض المسلم من العالم لان وجوده رمز لرسالات الأنبياء ، وان أذانه اعلان للحقيقة التي جاء بها ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم » .

والمسلم هو غاية هذا الكون خلق العالم له وخلق هو لله : وهو جارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخادم له وهو خليفة الله في أرضه . يقول في ذلك « ان العالم تراث للمؤمن المجاهد لا يشتركه فيه أحد ، ولا يعد مؤمنا كاملا من لا يعتقد أن العالم خلق له » .

طالعة ، كذلك الاسلام لم ينكب في ناحية الا قامت له دولة في جانب آخر .

والمسلم الحق ليس يائسا ولا متشائما ولا غانيا عن نفسه فناء يقمعه عن كل تطلع ويقيده عن كل حركة ، ولكنه عزيز أبى واثق بنفسه وبربه يعرف مكانته في الوجود ومركزه في العالم الانساني ، اسمع اليه يخاطب المسلم ليعرف واجبه : « عجا لك أيها المسلم تجلت لك الآفاق وغابت عنك نفسك ، الى متى تظل غافلا جاهلا وتجلس ضائعا عاطلا ؟ ان نورك الوهاج اضاء العالم القديم ، ونسخ الليل البهيم ، ولا تزال اليد البيضاء التي ورثتها عن موسى في كرمك ، فأنت السابق لها والفائق عليها ، فقد كنت ولم تكن وستكون ولا تكون . هل تخاف الموت أيها الانسان الخالد ؟ لقد كان جديرا بالموت أن يخافك » .

ويقول له « افتح عينيك أيها الزهر النائم مثل النرجس الذي لا يطبق عينيه لحظة ولا يعرف الكرى اليه سبيلا ، لقد أغار على

قاهرة لاتصدها الجبال ، ولاتقف في سبيلها البحار ، والتاريخ الاسلامي القديم يصمدق ذلك حينما قهر المسلمون الأوائل جميع العقبات أنتى وقفت في طريقهم .

والمسلم لا ينحصر في الأوطان والشعوب فهو حقيقة عالمية تتخطى حدود المكان والزمان ، وتفويض كاتبيعة البشرية وكالانسانية العامة في مساحة زمانية شاسعة كمساحة التاريخ الاسلامي ، وفي مساحة مكانية كمساحة العالم الاسلامي ، ويقول في ذلك « المسلم الرباني ليس بشرقى ولا غربى ، ليس وطنى دهلى ولا أصغهان ولا سمرقند انما وطنى العالم كله » .

والمسلم متخلق بأخلاق الله يأخذ من صفات الله المغفرة والتسامح ، كما يأخذ الغضب للحق ، وهكذا .. ولا يكون المثل الكامل لدينه والمصورة الصادقة للإسلام حتى يجمع بين هذه الاخلاق العلوية الالهية .

والمسلم كالشمس اذا غربت في جهة طلعت في أخرى فلا تزال

من روائع اقبال :

لقد قدم القدوى — أبقاه الله —
في هذا الكتاب بعد تلك المقدمة
المستقيضة التي درس فيها حياه
اقبال وشعره وفلسفته وآراءه
ورسائله — مجموعة من القصائد
الرائعة ، منها « برلمان إبليس »
التي تخيل اقبال فيها مؤتمرا
شيطانيا يعقد جلسة يناقش فيها
خطورة الاسلام ، ويضع الخطط
للقضاء على ذلك المسلم المنافس
الوحيد لحيله ومؤامراته ، وأدلى
كل برأيه وخطته ، واتفقوا على شيء
واحد وهو أن يظل الدين الاسلامي
متواريا عن أعين المسلمين ،
فليشغلوا المسلم عنه حتى لا ينتبه
الى جوهره ولا يعرف أسرار
قرآنه ، عليهم أن يخرجوا روح
محمد من جسمه فيصبح قليل
الصبر جزوعا من الفقر شديد
الخوف من الموت ، وعليهم أن
يشغلوا العرب بالأفكار الغربية
وينتزعوا من أهل الحرم تراثهم
الديني حتى يجلو الاسلام الحجاز
واليمن — وان في الافسان غيرة

وكرها الأعداء ، ونهبوا كل ما فيه من
كنوز وخيرات ، ألا يكفي سحير
الحمام وصفير الأذان وأنين القلوب
والارواح أن يوقظك ، انتبه من هذا
السببات العميق الذي طال أمده
واشتدت وطأته •

ان شعر اقبال كله يجرى على
هذا النمط الذي يوقظ الشباب
المسلم وتنبيهه الى واجبه ، ويذكره
بماضيه المجيد ، ليصل به مستقبلا
مشرقاً مضيئاً مليئاً بالخير
والمعاده •

ان شعره بلاغ للشباب المسلمين
الذين خضعوا لنظام التربية
الحديثة والفلسفات المادية التي
حجبت عنهم شخصيتهم وأعمتهم
عن حقيقة أنفسهم وغطت على
تاريخهم وأغفلتهم عن الطموح
الروحي المشرق ، ولم تصور لهم
العالم الا سوق تجارة أو مركز
انتاج أو هانوت خمر أو بيت
مقامرة أو مكان تنافس على القيادة
وصراع في مجال الاقتصاد • ذلك
مبلغهم من العلم •

واحدة : أمة الاسلام ، فصرتم اليوم
أما وكنتم حزبا واحدا حزب الله
فأصبحتم أحزابا ، لقد فرقتم
جمعكم ومرفتم شملكم وانقسمتم
على أنفسكم » .

وفي جامع قرطبة :

حيث زار الشاعر أسبانيا
عام ١٩٣٢ م وقف وقفه المؤمن
الفاشع ، وتحركت في قلبه
الذكريات الجليلة ، وتخطت عاطفته
القرون ، حيث شهدت طارق بن زياد
يفتح الاندلس ، وراحتصقر قریش :
عبد الرحمن الداخل يحضض هذه
البلاد النائية الجملة لعقيده وعزمه
ومعه حفنة مؤمنة . انه تذكر هذا
الجامع اذى لم يشهد صلاه
المسلمين منذ جلوا عن الاندلس منذ
قرون ، ميمول وقد حنفته العبرات :
« تدين أيها المسجد العظيم في
وجودك لهذا الحب البرىء ولهذه
الماطفة القوية التى كتب لها اخنود
فهى لا تعرف الزوال والانقراض ،
ان البدائع الفنية اذا لم ترافقها
الماطفة ولم يسبقها دم القلب الحب
أصبحت مصنوعات سطحية من

دينية وعلاجها أن يقصى العلم
الدينى من جبالها وسهولها » .

رحمك الله يا أقبال ، لقد كنت
تنخر بعين العيب ، تستئسف صحف
المستقبل ، فما هو حادث الآن في
أفغانستان تطبيق رهيب لخطط هذا
المؤتمر الشيطاني الخطير . فهل آن
للمسلمين أن ينتبهوا من نومهم ؟

الى الأمة العربية :

كما قدم قصيدة الى الأمة
العربية يسجل فيها
فضلها وسبقها وحملها لرسالة
الاسلام والاحد بيد الانسانية
وافتحها لتاريخ جديد وفجر سعيد
— انه يرثى لحالها الآن بعد أن تبدل
الحال غير الحال ، وأصبح العرب
ذيو لا بعد أن كانوا رعوسا ، وتابعين
بعد أن كانوا متبوعين ، وسوقة بعد
أن كانوا ملوكا . اسسمع اليه
يقول لهم أسفا على
هذا الخمود والجهود :
« أيها العرب ، ألا ترون الأمم
الأخرى كيف تقدمت وسبغت ؟
أما أنتم فما قدرتم صدر هذه
الصعراء التى نشأتم فيها ، وهذه
العربة التى ورثتموها . كنتم أمة

السريع ، وكل رنة أو نشيد لم يدم
له القلب ولم تألم له النفس ضرب
من العبث والتسلية ولا مستقبل له
في المجتمع وعالم الافكار » .

أجل وهذا سر خلود الادب
العظيم — كما يقول العلامة الندوي
— وهذا سر ثقافة الادب الجديد
الذي يولد سريعاً ويموت سريعاً
وهذا هو سر التأثير والخلود في
شعر اقبال وانتاجه . فهل يسمع
أدبؤنا وشعراؤنا ؟

ان مجموعة القصائد التي قدمها
المؤلف في هذا الكتاب جديرة بلقب
الروائع التي أطلقت عليها ، تشهد
عناوينها قبل أن يشهد مضمونها
بذلك . ومن هذه القصائد :

« في أرض فلسطين » « في غزنين »
وغزنين هذه عاصمة اسكندر
الاسلام السلطان محمود الغزنوي
صاحب الفتوحات الاسلامية العظيمة
« دعاء طارق » فاتح الأندلس الذي
قال في خطبته المشهورة أين المفر ؟
البحر من ورائكم والعدو أمامكم ،
وليس لكم والله الا الصدق

لون أو قرميد أو حجر أو لفظة ..
لا حياة فيها ولا روح . ان المعجزات
الفنية لا تعيش الا بالحب ، ولا تقوم
الا على العاطفة والاخلاص ..

انه يذكر هذا المسجد العظيم
بالمسام العظيم ، الذي رفعه وشاده
وبالأمة الاسلامية التي تمجد الله
في أمثال هذا البيت ، فيرى أنه
صورة صادقة للمسلم ويقول : « ان
المسلم حي خالد لا يزول ولا ينقرض
لانه يبلغ في آذانه تلك الحقائق
والرسالات التي جاء بها ابراهيم
وموسى والأنبيون ، وقد قضى الله
بحلودها وبقائها ، فكيف تنقرض
الأمة التي حملت هذه الأمانة
وتكفلت بتبليغ هذه الرسالة » ؟

ان هذه القصيدة — كغيرها من
قصائد اقبال — تحفة فنية ابداعية
فيها عسارة روح ودماء قلب
وانفاس ملتهبة لشاعر يعشق دينه
العظيم ، وما أعظم النتاج الأدبي
اذا كان كذلك « ان كل مائتة وكل
انتاج لم تذب فيه حشاشة النفس
ناقص وجدير بالفناء والزوال

موازنابين عصرين : عصر المصطفى
الخير المشرق وهذا العصر المضطرب
الملىء بالفتن والضياح .

انه من العسير تقديم ملخص
لهذه القصائد الرائعة ، فالشعر
لا يلخص ، ولكنه يقرأ بتأمل ، فكل
كلمة فيه نبضة من نبضات الشاعر ،
وكل بيت فيه جزء من عاطفته وروحه
وفكره واحساسه ، يحمل معنى
لا غنى عنه ، والقصيدة الفنية كل
لا يتجزأ — ومن الخير أن تقرأ
هذه القصائد في دواوين الشاعر
لينتفع بها القارئ ويتذوق ما فيها
من ابداع فنى ومنوى .

لقد انتهى العلامة أبو الحسن
الندوي في تقديم هذه الروائع
بدراسة حول الحقائق التاريخية في
شعر اقبال كان أهم ما فيها أن
اقبال لم يقرأ التاريخ قراءة علمية
جافة ولكنه قرأه ليستخلص منه
نتائج وحقائق لا يصل اليها
الباحثون والعلماء والمؤرخون الذين
حرموا هذه الحاسة الفلسفية ، وقد
دله على الوصول الى هذه الحقائق
فهمه العميق للقرآن الكريم

والصبر . » « وحديث الربيع » وفي
ذلك رمز يتطلع به الى أن يعود للأمة
الاسلامية ربيعها فيبدل هذا الجفاف
والذبول الذي اعتراها .

و « نياحة أبى جهل » ويتحدث
فيها عن نور الاسلام الذي ملأ
قلوب العرب من رجس الجاهلية
والتفاخر بالآباء والاجداد ، وجمل
منهم خير أمة أخرجت للناس .
و « عودة الجاهلية » وهو يأسى في
هذه القصيدة على ما أصاب المسلمين
من ضياح وجهالة نوارتماء في أحضان
الغرب ، ويعد عن تعاليم الاسلام .
و « ساعة مع جمال الدين الأفغانى »
وفيها يتحدث عن رسالة

هذا العالم الجليل ، وقضى
وقف عليها حياته ، وقضى
فيها أيامه سائحا يثير في المسلمين
النخوة والعزة ، حتى يعود مجدهم
ونهضتهم ووجدتهم . و « في هدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم »
و « شكوى ومناجاة » وفي هاتين
القصيدتين يناجى المصطفى صلى
الله عليه وسلم سعيدا بزيارته
متشوقا الى رحابه شاكيا له تقريط
المسلمين في واجبه ودينهم ،

ودراسته المخلصة المتواصلة له .
 أجل : فالقرآن الكريم هودك الكتاب
 الذي يقول اقبال فيه « ان هذا
 الكتاب كتاب خالد ، حكمته غارقة في
 الأزل ، مسارية الى الأبد ، انه
 يفشى اسرار تكوين الحياة ، ويثبت
 الضعيف الذي تزلزلت أقدامه
 بالقول الثابت » .
 اللهم اهد المسلمين الى كتابهم
 الخالد ووثق صلتهم به .
 عبد الحفيظ فرغلي القرني

من كلمات السيد الرئيس محمد انور السادات في
 خطابه التاريخي في ١٤ مايو ١٩٨٠
 «الأقباط واليهود مسئوليتي»

وانا أقول اننى رئيس مسلم لدولة اسلامية ،
 أعرف مسئوليتي الأقباط واليهود المصريين كالمسلمين
 تماما « بنص القرآن » .
 من أجل هذا أنا أقول ان الاسلام هو أكبر ضمانه .
 ماذا أمرنا الله سبحانه وتعالى ، وأمرنى به كولى أمر
 مسلم لدولة مسلمة ، يسكن فيها مع المسلمين مسيحيين ،
 ماذا أرنى به . « قل آمنا بالله ، وما أنزل علينا ، وما أنزل
 على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط —
 وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم
 لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » .
 هكذا أمرنا الله ، وأمرنى كولى الأمر في دولة
 اسلامية ، أن أومن بما أنزل على ابراهيم ، واسماعيل
 واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى
 والنبيون ، وألا نفرق بين أحد منهم .

الباحث عن الحقيقة

للمرحوم "محمد عبد الحليم عبد الله"

من منظور الفن الروائي

للدكتور فاضل محمد أبو موسى

(٥)

انطريق التي استبانته له ، ثم ما
هذا الوثائق أمام سبحة انقب في
واد ريان يندى بالشوق ويغرى
بالتفحيط ؟ !!

وتخف اليه أخته « بوران »
ضارعة متوسلة أن تحله من وثاقه ،
ويعتف بها « سلمان » :

« لا تفعل ، مانقوه التي حبت
وثاق القلب ليست عاجزة
يا «بوران» عن أن تحل وثاق القدم ،
مده ذراعاي خلفي ، وهذه قدماي
موثوقتان ، ولكن الراحة تملأ
القلب ، عيني وراء أفقكم
يا « بوران » هناك صلاة ذات
أجنحة ترتفع بأصحابها الى السم ،
وهناك صلاة كسلاسل (الميناء)
تشد السفينة الى الأرض » .

كان على « سلمان » أن يدعن لما
برق في خاطر أبيه حين فكر أن هذا
التمرد من الابن أضحت الملاينة
ازاءه سيفاً مفلولاً لا يجدى في
حسم الموقف ، وأن عليه — كي يعيده
الى صوابه — أن يستبدل المخاضنة
بالملاينة ، متمثلاً في ذلك قول
الشاعر :

ان الحديد تذيب النار قسوته
ولو صببت عليه البحر مالانا
فماذا لو أوثقه بالقيود ، وأدماه
بالأغلال !!

واستسلم « سلمان » في غير برم
ولا مرارة ، وحله تقه أكيدة بأن هذا
العنف سيرتد مدحوراً في النهاية ،
وزاده ذلك اصرار على المضي في

(٦)

المغريات التي كانت تشده الى البقاء
واندعة دليلا على أن هناك سرا من
الأسرار الكوامن يدفعه في غير ريث
الى أن ينضم الى القافلة التي أخذت
صوبها تجاه هذه البلاد ؟

وبينما القافلة تضرب في السير
اذ بصر بشاب يحذو بغناء مرن ،
انساب في مسامعه لحنا بعث الطرب
والنشوة .. ويعرف « سلمان » أن
صاحب الصوت الرخيم يدعى
« سهيل » وأنه مفتون بدين يأخذ
عليه لبه ، ويملك عقله ، الا أنه — مع
تلك الفتنة واليهام — يحس بفتور
العلاقة بين صاحبه (سهيل) والله
الذى يعبد ، كان ذلك في وقت
اضطرت فيه الأمواج ، وعلت
الاثباج ، وتقاذفت السفينة يمنة
ويسرة ، وطلب « سلمان » الى
رفيقه الايكف عن الغناء .

فهمهم « سهيل » به على استحياء ،
وواجهه « سلمان » قائلا :

« مالي لا أشم من ندائك رائحة
الحقيقة ، لا تظننى يا أخى أسفه
الهك ، ولكنى أسفه ضحالة العلاقة
بينك وبينه الآن ، لو كان حساميك

بسط الظلام رداءه على الكون ،
ودنت ساعة الخلاص في التماعه
برق ، تسدل منه شمعاع هدى
« سلمان » الى أعمال الحيلة ، بعد
أن لمح — في حجرته — سيفا أثريا
معلقا على الحائط ، أجل ، دنت
ساعة الخلاص ، لم يبق الا أن يبذل
جهدا ومحاولة في الوصول الى هذا
السيف ، أملا في نشدان ضالته ،
ومضى الى السيف جاهدا ومازال به
حتى تظلمن للمحاولة ، ثم راح
يعالج القيد ، فيحكه بالسيف مرة
ومرة الى أن استخذى واستكان
وقد كان صلفا يتأبى ولا يلين ..

وسيطرت على « سلمان » لحظات
أكدت له أن المقام في تلك البيئة لن
يثمر غير العقم والخواء ، وأن عليه
أن يسعى الى حيث يعانق الحياة
انناصرة ، فمن له أن يقتسلل الى
« الشام » .

(٧)

وهاجر « سلمان » الى أرض
« الشام » وكان حنينها يناديه
ويجذبه ، أليس استعلاؤه على

(٨)

ويحل « سلمان » بأرض الروم ، بعد أن جاوز « الشام » ، ليكون التحول الكبير في حياته ، ويلتقى — هناك — بعباد معروف بالورع والتقوى ، وتصافح سمعه كلمات عجيبة تصدر من العابد :

« مرحباً بك ، ولكنك جئت والشمس تغرب ، ليت الله يمد قليلاً في عمري » .

ومضى العابد يسأله : كيف حال « كسرى » ؟ وبجيب « سلمان » لفوره بما يعرف ، بيد أن العابد ما يلبث أن يقول : حاله ستتحول وأنت كذلك .

وصكت كلمة « التحول » أذنيه ، وداخله شيء من الخوف ، ولكنه سرعان ما تبدد ، نعم أن التحول عنده رغبة مودودة ، والا ففيم كانت خدمته للاساقفة والاحبار سخين عدداً !!

ثم تحدث إليه العابد ببعض ارهاصات سوف يعايشها بنفسه ، ويمالنه بقوله له :

« أنت خير مني أيها الشاب !! لا تعجب ، فأنت تركت أرضك وأهلك

ما أخافك النهر ، انظر واسمع ، فلو تصورت أنك تعبد هذا النهر كبعض اليهود ربما لم تخف من الغرق فيه ، ولو عبدت لها تسع مملكته السموات والأرض ماخفت من شيء في الأرض إلا مما يرضى هو عنه غن يسهل أن كنت تحب صـنـمـك فمن له في المخاطر بقلب مطمئن ، إلا تسمع همهمة المجوسى ، أن فكه يرتعش من الخوف من اله الظلام » .

وانحسرت المخاوف بعد قليل ، ومضى الليل بظلماته العاتية ، وألقى كل من العربى والفارسى بلابله ، وراح « سلمان » يسأل العربى : لماذا يتوسل بالصنم الى الله ؟ ! وكانت مفاجأة مذهلة أن يفضى العربى الى « سلمان » بسر ينوء به ، حين قص عليه أن عبادة الاصنام تقليد ، نزل على الاخذ به قسرا ، وأن قلبه — لذلك — خلو من البقين . واستيقن « سلمان » ووقف على السر في فتور العبادة عند صاحبه . . واختلفت السبل — بعد ذلك — بالصديقين ، ونسى كل منهما نفسه مع صاحبه . .

أعقاب ذلك ما أثار دهشة واستياءه حين كان يمضى في سوق شاهدها فيها اثنين من النصارى يتسابان ويتأكد ذلك بصورة أخرى لمعينيه حين قدم الى العابد رجل تكسو ملامح وجهه آيات الكآبة يسأله أن يفتيه في أمر ابنه الذى مات في « مصر » وهو يتجر في المنسوجات بسبب الفتنة التى اجتاحت النصارى في عقائدهم، فكان أن قتل .. وتكلم العابد، وتنبا بأن الانسانية في حاجة الى دين جديد ، فقد سادت الفتنة أوساط الناس ، يستوى في ذلك اتباع « المسيح » المحكومون بشريعته ، أولئك الذين كانت تظلمهم قوانين « روما » الارضية ، هذه القوانين الرثة التى هرمت وأصابها البلى .

(١٠)

واذ قد أشرب « سلمان » حب العابد فمكر في الرحيل عنه ، ابتغاء أن يفسح الطريق لغيره من جهة ، ورغبة منه في أن يستقل بحياته وشؤونها من جهة أخرى ، شريطة أن تظل الشائكة بينهما موصولة قائمة ، ولم لا ؟ ألم يخرج من

والمراكب والعبيد ، وخرجت تبحث عن الحقيقة ، لانك لم تجد الحقيقة في شئ من حولك ، لم تجدها في طريق الذهب ، ولكنك ربما ستجدها فوق رأس نخله وأنت تحصد ، أو تحت افدامها وأنت تزرع ، وستجد تلك الحقيقة المطلقة الكبيرة التى هي « الله » أو الطريق اليه ، ستجدها في الحب لا في الحرمان ، ستجدها في ابن ترعاه لترعى غيره من عباد الله ، وفي زوجة تحبك وتخلص لك ، وتخلص لها ، وفي هذه الارض تزرع الفضائل ، الارض التى لا تلقى من الانسان شيئاً ، بل تعترف به طينياً ونورانياً ، ويكون في كلنا الحالتين عبداً طيباً من عبيد الله » .

وكان أمراً مهتوماً أن يخبر كل منهما الآخر بجلية أمره وحقيقته ، واستطاع العابد — وهو يقص خبره — أن يشمل الاضواء أمام « سلمان » حتى يعرف الطريق الى الله ، والاشواق التى تهديه الى ادراك الوجود وحقائقه الاساسية .

(٩)

واتفق أن رأى « سلمان » في

(١١)

أحسن (سلمان) — وقد انضم
الى القافلة — بشوق طاغ يستحث
كل فرد فى القافلة أن يطوى الارض
طيا ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء
يدركه ، فقد كانت القافلة قافلة
سوء ، فاليهود هم الرعوس فيها ،
وناهيك بذلك من معنى ، اذ كيف
تسمح القافلة لغتى وسيم فاره
كسلمان أن ينضم اليها ليبلغ مأمنه
دون أن تتقاضاه أجرا على ذلك !!
وبالرغم من تضحياته الجسام بكل
ما فى يديه من مال لم يشبع ذلك
اليهود ، فكان لامناص من استرقاقه
.. والله « سلمان » ، فهم ضريبة
باهظة لا تعدلها ضريبة !!

ترى ماذا فعل ؟

لا شيء غير أن نبعا من الخواطر
الايمانية انساب بين جوانحه هروى
منه المواجد والاشواق ، لقد أخذ
ينالجى نفسه : « وماذا يضر مادمت
فى الطريق اليه ؟ ان المملوك لا يملك
مرتتين فى وقت واحد ، ونفسى ملك
لله ، فهم فى طلاقة الافق ، وحرية
النسيم ، وماذا يفعلون بجسم

(سلمان) — فى صحبة العابد الشيخ
— انسان جديد بعد أن مات فيه
انسان ؟

ومضت الحال بهما على تلك
النحيزة أياما معدودات ، أعقبتها
اشارة من الشيخ لسلمان بالرحيل ،
وعليه أن يتأكد أن مستقبلا مضيئا
يترقبه ، كذلك عليه الا يخاف من
الاشواق فنارها نور . ولكن
ذلك لن يكون له الا بضريبة يدفعها ،
وتبعات يتحملها ، وعلى الرغم من
قسوتها ستبقى روحه طليقة ..
هكذا لخص الشيخ الموقف ، وأردف
يزف اليه البشرى الندية فى
كلمات :

« قد أظلك زمان نبى يبعث بدين
« ابراهيم » حنيفا ، يهاجر الى
أرض ذات نخل بين هرتين ، فان
استطعت أن تذهب اليه فافعل » .
وهولت الايام ، وتغير كل شيء ،
فالعابد قد عبر الى الشاطئ الآخر
مودعا الحياة ، والمكان — كذلك —
استحال شيئا آخر ، وكل ما حوله
يهيب به أن يأخذ أهبتة وسمته الى
« الجزيرة العربية » .

لا فرق بين سادة وعبيد ، وملوك
وسوقة ، فيخفق قلبه ، ويخطر له
أن هذا هو النبي الذي كان يحلم به ،
ويقتوق الى الايمان به قبل لقيائه ،
ويسترعى انتباه (سلمان) قيام
« بنى قريظة » على قدم وساق
في ترميم حصونهم وتجديدها ،
ويردد كلمات كان قد سمعها من
قبل :

يا نخل تحت ظلك الحبيب
يا ليت لي في الظل من نصيب

ويجهد (سلمان) في الذهاب الى
حيث ينزل النبي صلى الله عليه
وسلم ، وما ان بلغ المكان حتى
« أخذته عينا النبي » .. أحس بقوة
رفعته ثم التقطته ، شمر أنه في
محتواها ، في حيزها بكل كيانه ،
التلاشى مع الوجود في وقت واحد ،
لكنه عاد يشمر بوجوده أكثر من
تلاشيه ، وعرف النبي صلى الله
عليه وسلم أن ذلك الرجل الذي
تقدم نحوه (سلمان) ، كما عرف
(سلمان) أن ذلكم هو « النبي »
الذي كان شيع « عمورية » يفيض
في الحديث عنه .

رقيق ؟ لمست أرى في هذا تناقضا
ياربى .. آه أين أنت يا عابد
« عمورية » لتقول لي رأيك ، لمست
أرى تناقضا في أن أخدم عبدا ،
وأعبد ألها مادمت ياربى قد كتبت
على أن أبكى في الطريق اليك ..
كان استرتاق « سلمان » صفقة
ود الجميع لو يحصلون عليها ، بيد
أن (أبا يعقوب) وقعت له هذه
الصفقة بثمن بخس ، وفجأة أحس
« أبو يعقوب » أن الفتى الفارسي
مهيب كان الشرر ينفدح في عينيه
كلما نظر اليهما ، فمادا عسى أن
يفعل حتى يطفىء فيهما ذلك البريق
واللمعان ؟ لقد بيت النية على أن
يرهقه من أمره عصرا ، وذلك بأن
يحملة من العمل فوق طاقته ، وقام
« سلمان » بما وكل اليه خير قيام
غير ملول أو ضجر ، ثم اسلفته يد
(أبا يعقوب) هذا الى (أبا كب
القرظي) بعد أن حملة فوق ظهر
ناقته الى المدينة .

ويترامى الى سمع (سلمان)
خبر النبي الجديد في أثناء رجوعه
بالقطيع الى الحظائر ، وأن دعوته
التي ينشرها تسوى بين الناس ،

حتى جاءها النبي صلى الله عليه وسلم في فطين لقبضته •

(١٣)

عاش المسلمون — بعد ذلك — أحداثا تعاورتهم الى أن أظلم عهد الخليفة الراشد (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه ، وتنداح الفتوحات الاسلامية ، ويشهد (سلمان) بعينه كيف وقعت بلاد « فارس » في حوزة المسلمين ، ووقتها أخذت الخواطر اللامعة تنثال عليه ، فإذا هو في حديث مع نفسه ، وحديث الى « سهيل » :

« هل أنا عائد الى وطني ؟ أو هل أنا قد تركت خلف ظهري وطني في المدينة ؟ اننى أشعر أن وطني خلفي ، لقد وطئت قدماي هاتفتين الى الرسول في مجلس ، فأهسست أنهما تطآن — مقدما — بساط « كسرى » ترانى يا « سهيل » أرى أحدا من أهلى ؟ أهلى بحكم أنهم نسلونى ، أخذت منهم اللون ، وليس اللون هو البناء كله •• أن (محمدا) هو الذى بنانى ، ماذا أقول يا « سهيل » لا شيء وبهسسبى

ويتحرر (سلمان) — رضى الله عنه — في هذا الوقت من ربقة العبودية ، منتشيا بدعوة الاسلام التى جاءت تؤكد ذاتية (الانسان) وتعمل على اسعاده ، ثم تمضى الايام بالمسلمين حتى يكونوا وجها لوجه أمام أعدائهم من « بنى قريظة » ، وهنا يزداد نجم « سلمان » تألقا ، حيث أشار — رضوان الله عنه — بحفر خندق حول مدينة النبي صلوات الله عليه على غرار صنيع الفرس اذا توجسوا خيفة من هجمات الأعداء •• ويأخذ (سلمان) مكانه بين المسلمين ويحظى بهذا الشرف الرفيع •• وفجأة تنبعث في الجو أصدا حبيبة ليست غريبة على (سلمان) وبرعت سمعه ، ليتأكد من صاحبه ، ولشد ما كان فرح « سلمان » حين رأى صديقه « سهيلا » يشارك المسلمين في حفر الخندق •• ويلمح (سلمان) صخرة عاتية جاثية ، فيحاول — كما حاول غيره من المسلمين — تفقيتها ، وتقف من دونه الصخرة تتحداه ،

ولكن أترأى مع هذا قد نسي موقف الراعى منه ، وقد عقد العزم على الرحيل من البيئة في بداية الأمر ؟ كان مستحيلا أن يغيب هذا الموقف عن وعيه ، فكم تمنى أن يكون الراعى موجودا وهو يصحب « سهيلا » في الطريق اليه وهائته رؤية الراعى لا على سابق العهد به ، بل على صورة أخرى أصبح فيها رجلا من رجالات الاسلام ، وبقدر ما كان فرحه كانت المحاذير والمخاوف التى بثها ، ووجهها الى « سهيل » اذ قال :

« أخاف أن يمتد بى الأجل حتى أرى المسلمين وقد فتنهم متاع الدنيا وزخرفها ، فى هذه الزخارف التى هولك يا « سهيل » لا يستطيع أحد أن يرى الله ، لكنها اليوم تحت ظل الاسلام الفتى القوى تتحدث عن « الله » ، لأن فيها حقا لكل مسلم ، ولكن يا « سهيل » ، انها يوم يمتدثر بها القوى دون الضعيف ، والحاكم دون المحكوم فانها ستتكف عن التحدث عن الله ، سيعود زخرفا أخرس

ما قلت ، دعنى أذهب لسعد بى أبى وقاص للأسأله ما ينتظر ، فقد جاء الى منذ قليل ، وأخبرنى أن الفرس يرحلون بكل ما يملكون عن مدينة (الايوان) »

وترك (سلمان) صديقه ، ويمم صوب (سعد) و « سهيل » يذكر ما كان من « سلمان » وهو شاهر سيفه يوم دخل المسلمون « المدائن » الدنيا ، وكلماته العذبة تنرى بالالتفاف حوله ، كان يقول :

« ليس غاية المسلمين ما فى أيديكم بل غاية المسلمين ما فى قلوبكم ، اننا نريد أن تخرجوا من ضيق الدنيا الى سعة الآخرة ، كنت ابن دهقان « كسرى » ، كسرت بالشرك ، وتركت أرضكم ، وخرجت أبحث عن الله فهدانى (محمد) اليه ، وهانذا قد عدت لا لأبحث عن أرض أبى ، وحظائره ورقيقه ، فقد ذقت ذل الرق ، ولكننى عدت مع المسلمين ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » .

ويقلده « عمر » وساما من الأوسمة ، فيوليه على « المدائن » ،

ذا لغة شيطانية ، وسيقول الناس قبيح لا يساوى شيئاً ، فأهلاً
 مقالة الرسول صلى الله عليه وسلم : بالمكارة ما دامت هي الطريق
 « رحم الله أباه » • إليه •
 آء يا « سهيل » ، ما أجمل (يتبع)
 احتياجن الى الله وكل شئ يلهى —
 حتى ننسى احتياجن الى الله — فهو
 دكتور فتحي محمد أبو عيسى

« من أقوال السلف »

- (أربعة) يسود بها المرء : الأدب ، والعلم والعفة ،
والأمانة •
- (أربعة) ينبغى للماقل أن يمنع نفسه منها : المجلة
واللجاجة والمجب والتواني •
- (أربعة) تزيد ماء الوجه : الوفاء بالمعهد ، والكرم ،
والكلام الطيب ، وطاعة الله سبحانه وتعالى •
- (أربعة) من علامات الكرم : بذل الندي ، وكف
الأذى ، وتعجيل المثوبة ، وتأخير العقوبة •

القرآن الكريم .. وعربة الرأي

للكتور عبدالمعطي مفتاح

أبى وأستكبر وكان من
الكافرين» (١) •
١ - طابع المحاوره :

هذه المحاوره من طراز يختلف
عن سائر المحاورات ، فهي نموذج
أعلى للإرشاد والقذوة والتوجيه ،
حيث يجعل الله سبحانه من ذاته
فيها معلما ومثلا أعلى يقتدى به
في مثل موضوع المحاوره •

وهي بهذا المقياس أسلوب من
أساليب التعليم المتعددة التي
يسوقها القرآن الكريم التماسا
لكل السبل في إرشاد البشر
وتوجيههم ، وبين ذلك أن
موضوع المحاوره كما سنرى
مراجعة بين الملائكة وربهم في

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل
فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء
ونحن نمسبح بحمديك ونقدس لك
قال انى اعلم ما لاتعلمون • وعلم
آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على
الملائكة فقال انبئونى باسماء
هؤلاء ان كنتم صابقين • قالوا
سبحتك لا علم لنا الا ما علمتنا
انك انت العليم الحكيم • قال يا آدم
انبئهم باسمائهم فلما انباهم
باسمائهم قال ألم اقل لكم انى
اعلم غيب السموات والارض
واعلم ما تبسدون وما كنتم
تكتمون واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس

تكوينهم يستطيعون مراجعة الله في أمر قط ، لأن الذي يراجع غيره ، انما يكون غير مطمئن في الأمر الذي يراجع فيه ، وهذا يجوز في البشر اذا راجعوا الله لتصور عقولهم حين لا يفهمون حكمة الله أو لمخالفة بعضهم لله حين يفهمون ، أما الملائكة فهم جنس خالص لله ، ليس في طبيعته ما يدعو الى المراجعة أو الى المخالفة ، واذن فهناك هدف تحمله المصاورة أبعد من ظاهرها .

والذى لا شك فيه أن هذه المصاورة حقيقة ، ولكن موضع التأمل هو : لماذا أوجد الله سبحانه هذه المحاورة ؟ ولماذا ساقها ؟ ويمكن الاجابة عن ذلك بأن من أبرز الأهداف الواضحة التعليم ، أى أنها سيقنت لتكون وسيلة من وسائل التعليم ، وأن الله سبحانه ييسر للناس أساليب التعليم والتوجيه حتى انه يجعل من ذاته سبحانه قدوة يتعلم منه الناس ، فمع أنه في غير حاجة الى المشورة والرأي الا أنه يلتمس

بعض ما خلق ، أو ما قضى بخلقه ، ولا يصلح قط أن نفهم هذا الأمر على ظاهره البسيط القريب ، فالله سبحانه يستشير الملائكة في خلق آدم ، والملائكة يظهرون في وضوح عدم موافقتهم على خلق آدم ، أو على جعله خليفة في الأرض ، وينكرون على الله سبحانه أن يفعل ذلك ، بل يسوقون انكارهم على الله في أسلوب يشبه التقرع أو وصف الله سبحانه بعدم الحكمة ، متسائلين : كيف يترك الله سبحانه الجنس المتسم بالخير وهم الملائكة ، ثم يستخلف الجنس المتسم بالشر وهم بنو آدم ؟ (قالوا) أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟

ومن البدهى أن شيئاً من هذا كله غير مقصود في ظاهره ، فلا الله سبحانه في حاجة الى المشورة لأن المستشير انما يلتمس خير الآراء وليس هناك رأى يعلو حكمة الله حتى يلتصم به الله سبحانه . ولا الملائكة بطبيعة

أو طرافته ، ومن ذلك حرية الرأي التي أبدعها الملائكة فيما يشبهه الإنكار على الله سبحانه في خلقه آدم واستخلافه إياه في الأرض ثم قبول الله ذلك منهم دون غضب ، بل فيما يشبه التشجيع لهم على ابتداء الرأي الصريح الواضح ليكون سبيلا إلى الحوار ، ثم الوصول إلى الحق المقنع ، الذي يبعث في النفس اليقين والاطمئنان وهو غاية الإيمان وهدفه .

٢ - مراحل المحاورة :

من حيث أن أظهر أغراض المحاورة الإرشاد والتعليم ، نلاحظ أنها صيغت في قالب العادي المألوف للبشر ، وكأنها محاورة بين طرفين من الناس ، حيث تمرض علينا المحاورة ما يأتي :

١ - الله سبحانه يعرض على الملائكة الموضوع فيما يوحى بأنه يطلب رأيهم ، وقد عرض سبحانه الموضوع على الملائكة بصيغة تجعل فيما تعمل معنيين :

(١) أحدهما أنه قضى بجعل آدم خليفة في الأرض أي مالكا

المشورة والرأي من الملائكة ويجعلهم مستشارين له ، ليعلم أصحاب الأمر والسلطان ألا يتخلوا عن الشورى مهما تكن الأحوال كما فعل الله سبحانه ، وليعلم المحكومين أن يبدو رأيهم صريحا واضحا ما كان مخالفا للسلطان ، ومهما كانت سلطة هذا السلطان ، كما فعل الملائكة ، ولكنه يعلمهم أن يرجعوا إلى الحق إذا استطاع السلطان أن يقنمهم بالمحاوراة والنطق كما رجع الملائكة ، وألا يتمادوا حينئذ في الخلاف ، لأن خلافهم إذن سيكون باطلا وليعلمهم سبحانه أثمياء أخرى مما تضمنته المحاورة .

٢ - الموضوع :

والواقع أن الموضوع الأساسي للمحاورة هو تكريم آدم بوصفه جنسا وليس شخصا ، أعنى تكريم جنس بنى آدم الذين يعمررون الأرض ويصبحون خلفاء لله فيها . ولكن تكرار هذا المعنى في القرآن الكريم بأكثر من أسلوب يجعله وإن كان واضحا بازرا إلا أن في المحاورة ما هو أبرز منه لغرابته

ويشرب ، فليس غريبا أن يكون من في مثل درجة الملائكة من الادراك متوقعا لما سيصدر من بنى آدم ، ويحتل أيضا أن تكون لهم تجارب مع مخلوقات أخرى سابقة لآدم ، ففاسوا طبيعة آدم عليها .

وأما عن كيفية استخلاف الله آدم ، فمع مراعاة اختلاف المفسرين فيها يمكن القول بأن أقرب ما يناسب العقول من هذا المعنى أن الله جعل بنى آدم هم المالكين للأرض ، والمسيطرين عليها دون أن ينلفسهم في ذلك جنس آخر ، وكأنهم بذلك ناثبون عن الله في هذه الملكية والسيطرة وذلك أن الأرض تحوى مالا يعد ولا يحصى من أنواع المخلوقات الحية وغير الحية، وهذه المخلوقات على كثرتها واختلافها ليس من بينها قط جنس له سيادة أو سيطرة الا بنو آدم ويمكن أن نتصور كيف يكون حال الأرض لو خلت من بنى آدم ؟ والتملك في حقيقته لله وحده ولكنه سبحانه كأنه أناب بنى آدم واستخلفهم

لها ، ومسيطرا عليها نيابة عن الله المالك الحقيقي وأن هذا القضاء لا رجوع فيه ، وكل قضاء الله لا رجعة فيه ، ولذلك كان التعبير « انى جاسل فى الأرض خليفة » .

(ب) والمعنى الآخر أنه سبحانه لا يطلب رأيهم في خلق آدم وانما في جعله خليفة ، كما هو واضح من التعبير السابق . ومفهوم الآية يتضمن أن الملائكة لديهم علم بطبيعة بنى آدم الذين سيجعلهم الله خلفاء في الأرض ، وليس يعني كيف كان لديهم هذا العلم ، فهذا أمر قد يطول حديثه أو الاختلاف فيه ، وانما يعني أن الوضع الطبيعى أن من يرشح شخصا لمنصب ، أو لتولى أمر ذى أهمية يعرض عادة تعريفا بهذا المرشح واذن فمن المتوقع ان الله حينما أخبرهم باستخلاف بنى آدم أخبرهم بطبيعة هؤلاء الأدميين ، أو أن الملائكة توقعوا ذلك من فهمهم لطبيعة آدم في تكوينه ويكفى أن يكون من هذه الطبيعة أنه يأكل

نسبح بحمك ونقدس لك « ؟ »

٣ - يرد الله سبحانه على الملائكة بما من أجله اختار آدم خليفة ، ولم يكن الله في حاجة الى تبرير شيء مما يفعل وما كان لاحد أن يكون له في خلق الله رأى « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » ولكنه سبحانه يريد أن يعلم الناس ، ومما يعلمهم إياه ألا يستبد صاحب الامر برأيه يفرضه فرضا على الاتباع ، بل ينبغي أن يكون سبيله دائما الحوار والاقتناع بالمنطق والحجة كما فعل الله سبحانه ، في اقتناعه الملائكة .

ونلاحظ أن جواب الله سبحانه في بيان استخلافه آدم ، يتضمن جانبين :

(١) أحدهما أن آدم استحق هذه المنزلة لأسباب خاصة يعلمها الله ، ولا يريد أن يبسطها للملائكة أو أن يبسطها غير ذى نفع لأنهم لن يفهموها ، حيث أن طبيعة آدم في تكوينه تختلف عن طبيعتهم فلن يفهموا الحديث عن طبيعة لا يعرفونها عواذا أراد امرؤ

عنه في تملك الأرض وما فيها ، والتعبير يشير بوضوح الى أن الأرض وما فيها سابقة لآدم وهذا مطابق للبحث العلمى .

٢ - الملائكة يظهرون فزعهم من أن يكون بنو آدم خلفاء لله في هذا الكوكب ذى الأهمية أو في أى مكان ، وذلك بعد أن علموا أن من طبيعة بنى آدم الانفساد وسفك الدماء ، والملائكة جنس لا يحمل في طبيعته وتكوينه الا الخير ، فهم يستغربون الشر وينفرون منه ، ولا يتصورون كيف يرضى الله بأن يستخلف مخلوقا يحمل شيئا من الشر ، مهما كان فيه من الخير وكأنهم يفترضون على الله أن يجعلهم خلفاء له في الأرض ، ليس حبا في الخلافة ، وانما محافظة على طهر الأرض وجعلها مكانا خالصا لتسبيح الله وتقديسه ، وليس مكانا للانفساد وسفك الدماء ، وتوجهوا بكل ما في نفوسهم الى الله ، لأنهم لا يخفون عنه شيئا ، ومانع الاخفاء عن يعلم كل شيء ؟ « قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن

يبسطها الله للملائكة في تفضيل آدم عليهم ، فهناك سبب أو أسباب من أجلها استخلف الله آدم ومن أجلها فضله على الملائكة حتى أمرهم بالسجود له ليس بسجود العبادة وإنما سجود التكريم والاعتراف بالأفضلية .

(ب) والجانب الآخر في فضل آدم على الملائكة ظاهر واضح ، وهو العلم المكتسب فالملك يعلم ما يعلمه منذ خلقه الله وبطبيعة تكوينه ، فهو لا يبذل جهدا في العلم ولا تزيد معلوماته بمرور الزمن ، وأما آدمي فعكس ذلك ، لأنه يخرج من بطن أمه جاهلا كل الجهل ، ثم يتدرج في المصرفة والعلم في بطنه وعناء شديدين وكل ما يحصله من المعرفة والعلم إنما يأتي بالجهد ، قل هذا الجهد أو عظم ، ولا يتصور أن يعرف الإنسان شيئا دون أن يبذل فيه جهدا .

ويريد الله سبحانه أن يبرز هذا المعنى للملائكة بصورة واضحة لهم ، فيعقد امتحانا علميا يعرض عليه الملائكة أولا ، فإذا هم يفشلون فيه كل الفشل ، حيث

أن يتخيل شيئا من هذه الأسباب التي حجب الله هديتها عن الملائكة فقد يلتبس أسبابا من أبرزها في فضل آدم على الملائكة أن عمل الخير لدى الملائكة يسير هين ، لأن طبيعتهم مهياة للخير ، ولا تحمل إلا الخير أو الدافع إلى الخير ، أما آدمي فإن عمل الخير لديه شاق عسير ، حيث أن نفسه تحمل الشر والدوافع إلى الشر ، وهين يريد عمل الخير فتثور في نفسه توازن شتى لتنتبه عن هذا الخير ، فلا يستطيع عمل الخير إلا بعد اجتياز صراع مع نفسه ، وحينئذ يكون آدمي صاحب الخير أفضل من الملك ، لأن الملك يفعل الخير بسجيته دون عناء ، أما آدمي فيفعله ضد سجيته وفي صراع وجهد ، كما أن آدمي الشرير أخف شرا من الملك الشرير وهو إبليس — باعتباره أصلا من الملائكة

— وبهذا المقياس يكون الآدميون في كل أحوالهم خيرا من الملائكة فهم في الخير أعظم منهم خيرا وفي الشر أبسر منهم شرا ولئن صلح هذا سببا من الأسباب التي لم

(ج) أن آدم اختص بهذا العلم دون الملائكة ، كما هو واضح في الآيات .

أما ذكر الأسماء فأغلب الظن أنها مجرد رمز لهذه النقاط التي سبقت ، حيث أن السياق لا يركز على بيان نوع العلم ، وإنما على تمييز آدم وانفراده بعلم لا يمرره الملائكة .

٤ - رجع الملائكة إلى الحق فاعترفوا بفضل آدم عليهم ، وهذا يمثل النتيجة للمحاورة فالموضوع الاساسى للمحاورة كما سبق ، هو تكريم آدم وبيان فضله ، وقد أثر الله سبحانه الا يفرض هذا على الملائكة فرضا وإنما أراد أن يقنمهم به اقتناعا بأسلوب المحاورة وقد أبدى الملائكة اعترافهم بفضل آدم من جانبين على سبيل التضمن :

(أ) أحدهما اعترافهم ضمنا بفضل آدم في العلم ، حين أعلنوا عجزهم عن الاجابة ، بينما أجاب آدم ، ونتيجة الموقف حينئذ واضحة وهي تفوق آدم على الملائكة .

لا يجيبون عن شيء منه قط ثم يعرض عليه آدم بما علمه الله من علم مكتسب ، فإذا هو ناجح كل النجاح ، حيث يجيب عن كل ماطلب منه .

هنالك أيقن الملائكة بفضل آدم عليهم ، وباستحقاقه الخلافة ، وقد عبروا عن ذلك بالسجود لآدم حين طلب الله منهم ذلك تكريما لآدم وأظهارا لفضله .

وفيما يتعلق بنوع العلم الذي اختص به آدم ، يمكن أن نقول : أن التعبير في الآيات يوحي بأنه ليس المراد تحديد نوع معين من العلم ، وإنما الواضح إبراز نقاط معينة تبدو من خلال الالفاظ وأوضح هذه النقاط :

(أ) أن علم آدم مكتسب ، وليس نابعا من طبيعة تكوينه أو نحو ذلك ، ويشير إلى هذا (وعلم آدم) فهو صريح في أن آدم تعلم أشياء لم تكن معلومة له .

(ب) أن علم آدم واسع ، ومتسم بالشمول ، ويدل على هذا التأكيد بلفظ (كل) في قوله : (وعلم آدم الاسماء كلها) .

٣ - حرية الرأي يجب أن تكون مكفولة للجميع ، ولا يشترط في صاحب الرأي أن تكون له صفات معينة أو منزلة خاصة ، فإن الملائكة ليسوا جميعا في منزلة واحدة ، بل فيهم أعلام متميزون ذكر القرآن بعضا منهم بأسمائهم كجبريل وميكائيل أو بصفاتهم كحمله العرش ، ولكن الله لم يخصهم وحدهم بالمشورة ، كما أنه لم يجعل لهم وحدهم حق التعبير عن رأيهم وإنما منح هذا للملائكة في جملتهم ، ولذلك صدر الرأي عن الملائكة جميعا « قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » فقد استطاع الملائكة أن يعبروا عن رأي يعتبر في ظاهره غاية في الجراءة على الله ، لأن الله يريد أن يعلم الناس أن يجهروا برأيهم مهما كان مخالفا لمصاحب الأمر والسلطان ، وليس ذلك للشقاق أو الخلاف ، وإنما هو تنمة لمبدأ الثورى الحقيقية ، فالمستشار الصادق المخلص لا يبد أن يعبر عن رأيه كما يراه هو ، وليس كما يرضى ولى الأمر ، ولكن

(ب) سجودهم لآدم حين أمرهم الله بذلك ، فإن السجود لا يكون الا للأفضل والأعظم ، ولذلك امتنع إبليس عن السجود لآدم حين لم يعترف بفضله .

العبارة :

ومن الواضح كما سبق أن المحاورة مسوقة للتعليم ، ومواطن العبارة التى ينبغى أن يتعلمها الناس في هذه المحاورة كثيرة وأبرزها :

- ١ - يجعل الله سبحانه من ذاته ، ومن الملائكة ، قدوة يتعلم منها البشر ، وفي هذا أقصى ما يمكن من حفز الى التعليم والاقتداء .
- ٢ - الثورى يجعلها الله منهجا أساسيا في كل أمور الناس وشئون حياتهم ، وخاصة ولاية الأمر فلا ينبغى لولى الأمر مهما بلسخ من سداد الرأي أو النفوذ والسلطان أن يستبد برأيه وحكمه وحسبه أن يجد الله سبحانه يشاور بعض خلقه في شئون ملكه ، بل فلمس من خلال التعبير كان الله شاور الملائكة جميعا (واذا قال ربك للملائكة) .

آدم عليهم أجرى لهم وله امتحانا في العلم وحين تفوق عليهم بالعلم اعترفوا بعلو قدره عنهم وبلاحظ ايضا أن الله سبحانه حينما وصف نفسه بأنه فوق الجميع ، جعل صفته في هذا المقام العلم « ألم أقل لكم أني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » مبينا أن العلم هو الذي يحدد المنازل ، فالله سبحانه فوق الجميع لأنه يعلم ما لا يعلمه أحد ، وآدم فوق الملائكة ، لأنه يعلم ما لا يعلمونه ، والملائكة دون آدم لأنهم لا يعلمون ما يعلمه آدم ، ويكفى تعظيما للعلم أن صفة العلم في آدم كانت أهم دواعي سجود الملائكة له .

• — الأحكام يجب أن تكون مبنية على الاقتناع مهما يكن مصدرها ، حيث نجد في المحاوراة أن الله سبحانه قضى بفضل آدم فجعله خليفة عنه في الأرض وبتفضيله على مخلوقات أخرى منها الملائكة حتى أمرهم بالسجود له وقد كان الله سبحانه يملك أن يقضى بما يشاء وأن يأمر بما يريد

هذه الحرية التي يمنحها القرآن للتعبير عن الرأي مفيدة بقيدين : (١) أحدهما صدق التعبير عما في النفس ، بمعنى أن يكون الرأي نابعا عن صدق وإخلاص ولو كان في حقيقته خطأ ، كما فعل الملائكة ، فانهم بداهة لم يظهروا رأيهم هذا للمخالفة وإنما خوفا من الشر الذي سيفرسه آدم في الأرض ، ورغبتهم في الخير الذي تعودوه هم .

(ب) والآخر الرجوع الى الحق فور ظهوره ، فلا ضير في خلاف الرأي مهما يبلغ ، وإنما الشر في التماذي في الباطل ، أو عدم الرجوع الى الحق حين يتضح ، وقد أسرع الملائكة الى الحق حين ظهر .

٤ — العلم أعظم ما يحمله الانسان ، بل أعظم ما في الكون على الإطلاق ، وذلك شديد الوضوح في آيات هذه المحاوراة ، فآدم إنما علا على الملائكة بشيء معين حددته الآيات هو العلم وشعره (وعلم آدم) وحين أراد الله سبحانه أن يقنع الملائكة بفصل

سبق القول بأن هذا هو الموضوع الأساسي للمحاورة ويؤكد ذلك أن هذا المعنى تردد كثيرا في القرآن الكريم ، سواء في صورة محاورة كهذه المحاورة أو في أسلوب آخر كقوله تعالى « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .
ويطبق الاسلام هذا المعنى في كل تشريعه من جانبين : أحدهما المحافظة على كرامة الآدمي وحقوقه مجرد كونه آدميا ، مهما صغرت منزلته في أعين المجتمع ، والآخر المساواة بين الآدميين جميعا وعلى الاطلاق في كل الحقوق والواجبات .

دكتور عبد الحليم حنفى

ويملك أن يفرض طاعة على كل مخلوق ، ولكنه جلت حكمته يريد أن يعلم الناس أن تكون أحكامهم مبنية على الاقناع فبين للملائكة مايقنعهم بفضل آدم ، بل جعل هذا الاقناع عمليا في صورة امتحان وصل فيه الملائكة في اقتناعهم الى حد اعلانهم العجز عن مجارة آدم في العلم ، وهذا يقتضى تسليمهم الكامل بتفوقه وفضله عليهم .

٦ - من أبرز ماتضمنته المحاورة اظهار تكريم الجنس الآدمي ، ليتعلم الناس أن كل آدمي يكتسب كرامته من مجرد كونه آدميا ، وأن الآدميين جميعا في هذا سواء ، حيث انهم لايتفاوتون في صفة الآدمية ، وقد



اللغة العربية والبيان القرآني

ألفاظ القرآن

للكاتب إبراهيم عوض

يختلف بناء الجملة في لغة عنه في لغة أخرى .

وأما روح اللغة فمعاني التعبير وأخيلته ، حيث تتباين اللغات في معانيها وأخيلتها ، استجابة لتباين البيئات البشرية ، إذ روح اللغة ترتبط أوثق الارتباط بمناخ كل لغة وبيئاتها وظروف حياة أبنائها ، وأسلوب تعاملهم ومعايشتهم .

ونحن حين نوجه بحثنا وتأملاتنا إلى لغة البيان القرآني نجد أن علينا تأمل كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة المكونة للغة على حدة ، حتى يتم لنا التعرف والتعريف الشافي بها ، وسنبداً بعنصر الألفاظ فنقول: ليس لدينا مجال بحث في ألفاظ القرآن ونسبتها للعربية ، إذ أن اللغة معروفة ، والألفاظ محددة

العربية لغة البيان القرآني ولسانه ، لا شك في هذا على إجماله ، فقد قال الله تعالى : « انا أنزلناه قرآنا عربيا » (٢ يوسف) واللسان أو اللغة لا تعنى شيئا واحداً — كما قد يتبادر إلى الذهن — انما تعنى مناحى ثلاثة هي : المادة ، والشكل ، والروح . ولكل أبعاده ومظاهره وأسمه .

أما مادة اللغة فهي اللفظ المستعمل في اللغة ، حيث تتميز كل لغة بألفاظها ، بالقدر الذي يتناسب مع أهلها وقدراتهم الصوتية التي تمنحهم إياها بيئاتهم المختلفة . وأما شكل اللغة فهو ذلك البناء التركيبي القائم على تجميع الألفاظ في هيئة معينة توحى بها طبيعة الحياة التي تكثف أصحابها ، حيث

المعنى ، واضحة الدلالة ، بينة
الأصل .

بيد أن باب القول في الفاظ القرآن
لم يظل مغلقا ، بل لقد فتح ذلك
الباب عنوة حين بدت اختلافات
طائفة من الباحثين والدارسين فيه ،
فاضطربنا الى خوض البحث فيه .
شأن كثير من المباحث المتصلة
بالقرآن الكريم !

إن دارس القرآن الكريم ولعته
يواجه بأقوال منسوبة الى الاقدمين
تبدو متضاربة حول طائفة من
الفاظه ، لما رأوا فيها من الغرابة .
فقد قالت جماعة بأن هذه الالفاظ
ليست من لغة العرب ، وعملت على
ارجاعها الى أصولها ونسبتها الى
لغاتها غير العربية . وكان في مقدمة
هذه الجماعة عبد الله بن عباس ،
وعكرمة ابن أبي جهل ، وأبو موسى
الاشعري .

فكلمة (الطور) معناها جبل
بالسريانية ، و (هدنا اليك) معناها
تبنا اليك بالعبرانية ، وكلمة (درى)
معناها مضى بالحبشية (سورة)

تعنى الاسد الحبشية .

وقرر آخرون أن القرآن الكريم
عربي ، لغته عربية خالصة ، ليس
فيه أية الفاظ غير عربية ، لأن الله
تعالى جعله معجزة شاهدة لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم ، ودلاله
قطعة لصدقه ، وليتحدى العسب
العرباء به ، ويحاضر البلغاء
والفصحاء والشعراء بآياته ، فلو
اشتمل على غير لغة العرب لم تكن
له فائدة .

والى هذا ذهب الامام الشافعى ،
وبه قال جمهور العلماء ، ومنهم :
أبو عبيدة ، ومحمد بن جرير
الطبرى ، والقاضى أبو بكر بن
الطيب ، وأبو الحسين بن فارس
اللغوى وغيرهم (١) .

ثم اختلف هؤلاء في نحو تلك
الكلمات التى نسبت الى لغات غير
العربية .

فقال الطبرى : هذه الامثلة
والحروف التى تنصب الى سائر
اللغات انما اتفق فيها أن تواردت
اللغات فتحدث بها العرب والفرس

(١) الرسالة للامام الشافعى ص ٤١ بتحقيق احمد محمد شاكر .

ونسب أبو عبيد القاسم بن سلام القول بوقوعه الى الفقهاء ، ونسب المنع الى أهل العربية . ثم قال : والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا ، وذلك أن هذه الاحرف أصولها أعجمية ، كما قال الفقهاء ، الا أنها مسقطت الى العرب فعربتھا بالسنتھا ، وحواتها عن ألفاظ المعجم الى ألفاظھا ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال انها عربية فهو صادق ، ومن قال أعجمية فصادق (٣) .



حول هذه الآراء دار الاختلاف في بعض كلمات القرآن الكريم .
وواضح أن هذا الاختلاف يقوم على واحد من اتجاهين هما : القول بأن في القرآن الكريم ما هو غير عربي ، والقول بأنه لا يمكن أن يكون في القرآن ما هو غير عربي .
أما القول الأول فلا يصح أن

والنحشة بلفظ واحد . وحكاه ابن فارس عن أبي عبيدة (١) .
واستبعد ابن عطية هذا الذي قال به ابن جرير الطبري ، ثم قرر أن القرآن بلسان عربي مبين ، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا نفهمها الا من لسان آخر .

أما هذه الالفاظ وما جرى مجراها فقد عريت قبل نزول القرآن بتغيير بعضها بالنقص من حروفها وتخفيف ثقل عجمتها واستعملتها العرب في اشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي المريح ، ووقع بها البيان ، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن الكريم (٢) .

وقال القاضي أبو المعالي عزيى ابن عبد الملك : انما وجدت هذه في كلام العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظا ، ويجوز أن يكون العرب قد سبقها غيرهم الى هذه الالفاظ .

(١) انظر تفسير الطبري ج ١ ص ١٢ وما بعدها بتحقيق أحمد محمد

شاکر .

(٢) تفسير ابن عطية ج ١

(٣) المصالح في فقه اللغة لأحمد بن فارس ص ٢٩ .

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا
لقوم يطمون » •
(٣ فصلت)

« وكذلك أوحينا إليك قرآنا
عربيا لتتخبر أم القرى ومن
حولها » •
(٧ الشورى)
« أنا جعناه قرآنا عربيا لعلكم
تعقلون » •
(٣ الزخرف)

« ومن قبله كتاب موسى إماما
ورحمة ، وهذا كتاب مصدق لساننا
عربيا لينذر الذين ظلموا » •
(١٢ الاحقاف)

فقد وصف جل شأنه القرآن
الكريم فى تلك الآيات — على
اختلاف مواردها — بأنه عربى
مبين ، وأنه بلسان عربى مبين ،
وأنه عربى غير ذى عوج ، وأنه لسان
عربى • فكيف يسوغ — مع هذه
الصفات المتكررة — لقائل أن يزعم
بأن فى القرآن ما هو غير عربى ؟ !
بل لقد شاء سبحانه وتعالى
الأن يقف بنا عند حد الصفات
المثبتة ، فعرّفنا بلغة القرآن بطريق
السلب فى قوله :

يكون — أيا كانت تحليلاته — مع قول
الله تعالى :

« وما أرسلنا من رسول
إلا بلسان قومه ليبين لهم » •
(٥ ابراهيم)

« وما أنزلنا عليك الكتاب
إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » •
(٦٤ النحل)

« أن أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم
تعقلون » •
(٢ يوسف)

« وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل
به الروح الامين ، على قلبك لتكون
من المنفذين ، بلسان عربى مبين » •
(١٩٢ — ١٩٥ الشعراء)

« وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا
وصرفنا فيه من الوعيد » •
(١١٣ طه)

« ولقد ضربنا للناس فى هذا
القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون
قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم
يتقون » •
(٢٧ ، ٢٨ الزمر)

لما في ذلك من نفى العربية عن بعض القرآن، ولما فيه من اثبات الاعجمية — كذلك — لبعض القرآن • والله سبحانه وتعالى يصف القرآن بأنه عربي مبين ، وينفي عن القرآن جميعه أن يكون ذاعوج أو يكون أعجميا •

وليس لنا أن نخصص مشمول الصفة التي وصف الله تعالى بها كتابه ، لانه لو صح ذلك لكان جائزا أن يقول واحد : بعض القرآن حبشي لا عربي، أو فارسي لا عربي، وأن يقول آخر : القرآن حبشي أو فارسي أو رومي أو أعجمي ، وذلك لأن مبدأ تخصيص شمول الصفة يعتمد على وصف الله تعالى القرآن بأنه عربي انما هو وصف يقوم على تغليب احدى الصفات على سائر الصفات الاخرى ، ومثل ذلك يجيز للآخرين أن يخلبوا احدى الصفات الاخرى ، فيقولون : هو حبشي ، أو هو رومي • الخ •

ومن ثم فمنطق الايمان يستبعد أن يكون في القرآن الكريم كلاما غير عربي ، قل ذلك أو كثر •

« ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » •
(١٠٣ النحل)

حيث يخبر سبحانه وتعالى عن قالة طائفة من المشركين ، فقد ادعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما جاء بما جاء من القرآن الا اثرا من التقائه ببعض أهل الكتاب حيث تعلم منهم وأخذ عنهم ما قال • ثم يفند سبحانه هذه الدعوى في ايجاز واضح مقتنع ، وذلك بلغت النظر الى اللغة التي يقدم فيها تلك الاحكام والتعاليم ، حيث الضلال البين بين لغة من يدعون أنه يعلمه وبين لغة القرآن الكريم • • « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » •

اذن أين مكان الكلمات غير العربية من هذا اللسان العربي المبين ؟ !

ان المؤمن بكتاب يتناقض مع ما آمن به لو أنه خالغ نفسه مجرد شك في أن بعض القرآن غير عربي ،

اختلاف كبير حول المهد الاصلى
للسامية ، فهي أرمينية ، أو شمال
أفريقية ، أو شبه الجزيرة العربية ،
أو ما بين النهرين أو بلاد العموريين
في سورية — فالساميون الذين
نزلوا جزيرة العرب تنوعت لغتهم
تنوعاً يناسب ما يحيط بهم من
الاحوال ، فتميزت عن أخواتها
بأمور خاصة هي خصائص اللغة
السامية الأصلية .

وتشعبت هذه اللغة في أثناء ذلك
الى فروع يختلف بعضها عن بعض
باختلاف الاصقاع ، وهي لغة
الحجاز ، واليمن ، والحبشة .
وتفرعت لغة كل من تلك البقاع الى
فروع باعتبار القبائل والبطون ..
الخ (١) .

من ذلك يتبين أن اللغة العربية
فرع من فروع السامية الأم ، وأن
هذا الفرع كذلك نشأ عنه فروع هي
لغة الحجاز واليمن والحبشة .

ومن ثم فإذا وجدت في اللغة
العربية كلمة تماثلها أخرى في لغة

فاذا ذهبنا الى منطق التاريخ
واللغوى والتاريخ العام نجدهما
يقرران أن القرآن لا يشتمل الا ما
هو عربى .

يقول جرجى زيدان في كتابه
(اللغة العربية كائن حي) :

نعتقد أن اللغة العربية نشأت
ونمت ، أى تميزت فيها الاسماء
والافعال والحروف ، وتكونت فيها
معظم الاشتقاقات والمريسدات ،
وهي لا تزال في حجر أمها ، أى قبل
أن تنفصل عن أخواتها (الكلدانية
والعبرانية والفينيقية) وغيرها من
اللغات السامية . وبعبارة أخرى :
ان أم هذه اللغات — ويسمونها
اللغة السامية أو الآرامية — تم
نحوها ، فتكونت أفعالها وأسمائها
وحروفها واشتقاقاتها ومزيداتها
قبل أن يتشتت أهلها أو ينزحوا الى
فينيقية وجزيرة العرب وما بين
النهرين ، حيث اختلفت لغة كل قوم
منهم بعد ذلك النزوح باختلاف
أحوالهم .. فتولدت منها اللغات
السامية المعروفة — مع وجود

الابجدية العربية حرف من حروف الحلق ، فإنه في الابجدية اليونانية يقابل بحرف آخر يقاربه في النطق الاوربى ، لان الاوربيين لا ينطقون حروف الحلق كما هو معلوم لاختلافات عضوية في أدوات النطق بمعامل البيئة •

فالابجدية اليونانية تبتدىء بحروف (ألفا وبيتا وجاما ودلتا) وهى حروف الالف والباء والجيم والدادل في (أبجد) وعلى ترتيبها نفسه ، ثم تتقابل حروف (هوز) بما يقاربها مع اختلاف نطق الهاء ونطق الواو حيث تكون حركة من عندهم وحرفا منطوق عندنا في بعض الاحيان • ثم تأتى حروف (كلمن) متتابعة كما هى عندنا بغير اختلاف لخلوها من حروف الحلق والمد ، وهم ينطقونها (كافا ، ولا متا ، ومى ، ونى) ، ويتبعونها ببقية حروفنا على النحو الذى أشرنا اليه (١) • ولا يمكن أن تكون تلك الموافقة الا بين آخذ ومأخوذ عنه •

الحبشة لم يكن من المنطق المعادل أن نسلب عنها عربيتها لذلك السبب • بل ان الامر على العكس من ذلك فالحبشية واليمية فرعان عن العربية المتفرعة عن السامية •

فاما أن نسلم بوجود المشترك بين اللغات باعتبار أن الاصل واحد ، واما أن نقرر بأن كل ما هو حبشى عربى • وليس العكس ، لأن الحبشية فرع العربية •

هذا بالنسبة للعلاقة بين العربية وشقيقاتها أو فروعها الساميات من حبشية وعبرية ويمانية •

أما عن العلاقة بين العربية واليونانية فالتاريخ البشرى واللغوى يقران وجود العلاقة القديمة بين الحضارة العربية والحضارة اليونانية منذ عصر الملك (قدموس) — على ما ذكر العقاد — ولعل أوضح مظاهر تلك العلاقة موافقة الابجدية التى يكتبها اليونانيون فى عصرنا هذا بترتيبها حرفا حرفا لترتيب الابجدية العربية ، اللهم الا اذا كان فى

(١) مشتقات ومجتمعات اللغة والادب للعقاد ص ٢٥ طبع دار المعارف •

لم يسلبوا عن تلك الكلمات عربيتها
في واقع الامر — وان ظنوا ذلك —
لأن العربية أصل تلك اللغات جميعا ،
على ما تبين لنا من النظرة
التاريخية •

وعلى ذلك نستطيع أن نقرر أن
لغة القرآن عربية خالصة ، صدورا
من منطق الايمان بما جاء به القرآن
نفسه ، ومن منطق التاريخ اللغوي
والتاريخ العام •

ثم من منطق العقل المجرد من
الغرض • • ا

وذلك لأن نسبة بعض الكلام
الى لغات غير العرب لا ينفي عنها
عربيتها ، فلم يرد نص ثابت يقرر
أن شيئا من هذا الكلام لم يكن من
كلام العرب قبل نزول القرآن ، أو
أن العرب كانوا يجهلونه •

فنسبة الكلمة الى من يعرفها
أو يعرف استعمالها أو الى من
سمعت منه لا ينفي أن هناك غيره
يعرف استعمالها وسمعت منه ،
وبالتالي يصح نسبتها اليه كذلك •
فالكلمة التي يستعملها العربي
وحده تكون عربية ، والكلمة التي
يستعملها الفارسي وحده تكون

وغير مقبول أن تكون العربية
هي الآخذة عن اليونانية لأن أسماء
الحروف العربية عرفت بمعانيها
وأشكالها ، أما في اليونانية فلم
يعرف لها معنى ولا شكل يعود بها
الى لغة من لغات الاوربيين •

ومن معاني هذه الحروف في
العربية ما نفهمه في أحاديثنا اليومية
الى هذه الايام ، كالباء من البيت ،
والجيم من الجمل ، والعين من
العين المبصرة ، والكاف من الكف ،
والنون من النون أى الحوت •

ومن ثم فإذا صادفنا في نسخة
العربية كلمة تماثلها أخرى في لغة
من اللغات الاوربية لم يكن معنى
ذلك أن العربية أخذتها عن تلك اللغة ،
وانما الامر على العكس من ذلك ،
يعنى أن اللغة الاخرى هي التي
أخذتها عن العربية لأن العربية هي
اللغة الاقدم ، وحضارتها هي
الحضارة المظاهرة منذ أكثر من
خمسین قرنا •

ومن هذا يتبين لنا أن أصحاب
القول الأول حين نسبوا بعض
كلمات القرآن الكريم الى الحبشية
أو العبرانية أو الرومية أو الفارسية

والقعود في وقت واحد من شخص واحد .

ومن ثم فالكلمة اذا نسبت الى جنس لم يلزم عليه نفيها عن غيره من الاجناس الاخرى ، فقولنا فلان قائم لا ينفي عنه الكلام والضحك ، ولا ينفي القيام عن غيره ، وانما الذي ينفي عنه هو نقيض القيام فقط وهو القعود في الوقت نفسه .

وبذلك يتقرر أن لغة البيان القرآني هي العربية ، وأن عربية القرآن ضرورة يحتملها النص القرآني ، ويسلم بها الواقف القاريض ، ويوجبها العقل .

دكتور / ابراهيم عوضين

فارسية ، ولكن هذا لا يعنى أنهما متافران لا يلتقيان حول كلمة يستعملها العربى كما يستعملها الفارسي ، فتكون عربية فارسية ، وذلك كالدهرم والدينار ، والدواة والقلم والقرطاس .

ولا يظن ظان أن اجتماع ذلك في الكلام مستحيل ، فقد عرفنا من تاريخ اللغة أن اللغات العبرية والحبشية والعبرانية والفينيقية من أصل واحد .

هذا الى أن الكلام ينسب الى من يعرف أنه يستعمله ، ومثل ذلك لا ينشأ عنه تناقض ، وانما التناقض ينشأ من وصف الشيء بمصفتين لا يلتقيان في شيء واحد ، كالقيام

« حوائج الناس اليكم نعمة » .

قال فيص بن اسحاق : « كنت عند الفضيل بن عياض اذ دخل عليه رجل فمسأله حاجة والح في السؤال فقلت : لا تؤذ الشيخ .

فقال لى الفضيل : اسكت يا فيض ، أما علمن أن حوائج الناس اليكم نعمة من الله فاحذروا أن تملوا النعم متحول نقما ، ألا تحمد ربك أن جعلك موضعاً للسؤال .

مدارح الأصالة في الفكر العربي الإسلامي للدكتور محمد الحميد محمد العبيسي

فضائيا ، لأنها تمس الوجود
الإسلامي كله في الصميم •

إن المتأمل في جوهر هذا الفكر
الإسلامي ، وطبيعة نشاطه الأولي
القرآني ، يدرك بجلالة أنه قد
انبعث من باطن الأمة الإسلامية ،
وصدر عن ذاتيتها الفرقانية ،
ليغدو أداة تعبير عن منهج حياتها ،
وليطور مظاهر رقيها وحضارتها ،
ويضيء مسالك مسيرتها ، وليصور
أمانى وآلام أفرادها وجماعاتها •

كما يعلم الباحث حقيقة
الاختلاف في طبيعة الفكر الإنساني
من أمة إلى أمة ، ومناطق التفاوت
بين مذاهبه وقضائيه ، وإذا كان
الفكر العربي الإسلامي يمثل حلقة
من حلقات الفكر الإنساني — فإن

تشير الدراسات الفكرية الحديثة
إلى أن قضية أصالة الفكر العربي
الإسلامي لم تعد بحاجة ما إلى
إثبات أو تأكيد ، فقد بات مقرا
خطأ تلك الفكرة الشاذة التي كان
يروج لها البعض بنفي أصالة هذا
الفكر العربي الإسلامي ، وهو
شخصيته !! ••

وفي مواجهة محاولات الغزو
الفكري الأجنبي التي تهدف فيما
تهدف إلى إلغاء كل أصالة ، وإنكار
كل إبداع لدى الأمة العربية
والإسلامية — فإنه قد يكون من
المفيد حقا أن نعرض في تلك
الدراسة بشيء من التركيز — أبرز
سمات الأصالة في فكرنا العربي
الإسلامي العريق ، وهي كبرى

الاولون وصاغوه ، وطبقوه علميا وعمليا ، فصبح حضارتهم وثقافتهم مما ، بخلاف ذلك المنهج العقلي القياسي الذي ارتضاه اليونان ، حيث احتقر (أرسطو) معلمهم : التجربة ، والتجريب ، بقوله :

« النظر للسادة ، والتجربة للعبيد .. » ، بل ان فكرة القياس التي افترعها العرب المسلمون تجافى تماما : القياس الارسطي ، اذ ان قياس اليونان يعتمد على حركة فكرية ينتقل فيها العقل من حكم كلى الى أحكام جزئية ، أو من حكم عام الى حكم خاص ، بواسطة استخدام الحد الثالث .

بينما قياس العرب المسلمين يكون الانتقال فيه من حالة جزئية الى حالة جزئية ، لوجود جامع وشبه بينهما ، بواسطة تحقيق علمي دقيق .

ولقد سيطر ذلك المنهج التجريبي العربي الاسلامي سيطرة كاملة على مناهج العلماء الغربيين منذ أواخر العصر الوسيط لدى (روجر بيكون) وحتى عصرنا الحديث ، وبخاصة

ذلك لا يعنى أن تتطابق أو تتشابه الافكار في جوهر مذهبها ، بل تختلف تبعا لاختلاف واقع البنية الاجتماعية واللغوية لتلك المجتمعات فلنا أن نقسم : هل تشابه اليونان مع الهنود في شيء ؟ وهل استطاع الهنود - وهم أمة آرية عريقة - أن تقدم للانسانية ما قدمه اليونان ؟ وهل استطاعت ايران القديمة - وهي أمة آرية أخرى - أن تقدم للفكر الانساني ما قدمه الهنود أو اليونان ؟ لكن المسلمين القادمين من شبه جزيرة العرب بتبليغهم دعوة القرآن في بسط السيطرة على الحياة ، وايجاد الابداع العملي في أرجائها ، والتحامهم بغيرهم من الامم والشعوب ، وتكوينهم معدلا بشريا جديدا ، ومزيجا فكريا فريدا - استطاع هؤلاء العرب المسلمون أن يقدموا للانسانية كلها فكرا خلاقا لم يعرفه اليونان ولا غيرهم !! .

وكذلك يقف الدارس الفاحص على خصائص المنهج التجريبي أو الاستقرائي ، كمنهج ادراكى تأملى وهو المنهج الذى ابتكره المسلمون

بتيارات الاحاد — بخلاف الفكر العربى الاسلامى الذى يابى (بقوة) هذا النمط الشاذ من التفكير ، بل المخالف لصورة الكون الجلية العميقة ، وبدهى أن الاسلام دين اجتماعى لا يأخذ بمبدأ الفردية فى التفسير الوجودى .

وأبسط ما يقال : ان روح الفكر اليونانى مجافية لروح الفكر الاسلامى ، فان الروح اليونانية حينما أعلنت ايمانها الكامل بفناء الفرد فناء أبديا ، وبخلود النوع خلودا سرمديا ، لم تعرف قصة البعث ، ومن ثم لم تدرك قصة الخالق ! وظلت هذه الروح تبحث هائمة فى زوايا العقل عن الحقيقة ، فضلت الطريق إليها ، لأنها لم تعلم أن هناك قوة علوية فوق هذا الوجود العقلى ! .

لكن الروح الاسلامية كانت منسجمة تماما مع هذه الحقيقة الكبرى ، فقد كفى القرآن المسلمين عناء البحث عنها ، ووضح لهم أصول الغيبيات ، وبين لهم حدود العقل الانسانى وآفاقه ، ومدى

فى العلوم : الطبيعية ، والكيمائية ، والدراسات التاريخية ، والاجتماعية والنفسية ، وغيرها .

ومن المعلوم أن الفلسفة العملية التى شغل المسلمون بوضعها فى ضوء الهدى القرآنى ، وهم يسمون نحو صياغة منهجهم التجريبي المتميز — كانت هذه الفلسفة تدرك بداهة عجز العقل الانسانى عن التوصل الى الشئ فى ذاته ، وادراك كنهه وحقيقته ، ومن ثم فلا مجال للبحث فى تلك المسائل التوقيفية التى لم يشأ الوحى كشفها للرسول (ص) نفسه فان القرآن الكريم قد حدد مسائل : « ما بعد الطبيعة » تحديدا وافيا وطلب عدم البحث فيما وراءها ، ثم حث على النظر فى آفاق الكون ، والبصر فى أنفوس البشر ، ترسيخا لقاعدة الايمان فى القلوب ، ووضح أن هذا بحث عن (الخصائص) ، لا عن (الجوهر) الذى لا طائل من ورائه ، على أن الفكر اليونانى بمذاهبه المتعددة المتعارضة — يبدو تعبيرا خاصا متلائما صادرا عن نات مفسرة فى عالم يعوج

الاسلامى صورة من الفكر اليونانى
وأن (أرسطو) هو المعلم الاول
للمسلمين فى الفلسفة الى جانب أنه
المعلم الاول فى علم البيسان
العربى (١) !!

وان نظرة فاحصة الى الخريطة
فى شبه الجزيرة العربية حين ظهور
الاسلام لترينا أن العرب فى
مجموعهم كانوا يدينون بالوثنية ،
وأن قلة منهم محدودة آمنت
باليهودية والمسيحية ، وهذا دليل
على انعدام أثر ما لهاتين الديانتين
فى الجانب الفكرى عند العرب
المسلمين .

وحتى الفلسفات الوضعية
الآخري وبخامة الهندية لم تجد
رواجا لدى العرب ، ولا يكاد
الباحث يجد لها أثرا فى الحياة
الفكرية عندهم .. وعلى هذا
فيمكن القول : ان الفلسفة المسلمة
— وهى إحدى شعب الفكر
الاسلامى — ظلت بمنأى عن
الأفكار الآخري .

فاعييته ، ثم نهاهم عن الخوض فى
علم الوجود ، وحذرهم منها ! .

وقد استطاعت هذه الروح
الاسلامية أن تقدم للبشرية كلها :
فلسفة مسلمة معبرة عن حقائق
واضحة كاملة فى الجانب الالهي ،
والمعالم الطبيعى ، والكيان
الانسانى .

ولا بدع فى ذلك ، فان الامة التى
تفتح قلوبها لبواعث الهدى ودلائله
فى الكون والنفوس — هى أمة مهتدية
الى الله سبحانه بالاهتداء الى
نواميسه المؤدية الى معرفته
وطاعته ، والامة التى تغلق قلوبها ،
وتصم آذانها دون تلك البواعث
والدلائل هى أمة ضالة ضائعة
تزداد ضلالا وضياعا كلما زادت
اعراضا عن الهدى وبواعثه .

واذ وضع لك هذا التباين بين
الفكر اليونانى وبين الفكر العربى
الاسلامى فى الاسلوب ، والمنهج ،
والخصائص — فهل يمكن قبول
هذه الدعوى المزعومة من أن الفكر

الكريم المحمدر الاساسى للتفكير عند المسلمين بلغة العرب كان عاملا مهما فى نشر هذه اللغة عالميا ، وصبغها بالقدسية والجلال ، ولقد كان ظهور النحو ، وبروز البلاغة من أهم الظاهرات التى جعلت تبحث من منطلق فكرى رتيب ، لتأكيد عالمية تلك اللغة الشاعرة الشريفة ، وتكون النحو العربى معتمدا على دوافع لغوية فى البداية وسرعان ما نضج واستوى بأحكامه وقضاياه ومذاهبه على يد (ابن الانبارى) فى القرن الخامس الهجرى ، ولا ريب أن هذا التفكير النحوى الاصيل المستند الى أعماق اللغة ، وأصول الاحكام قد صدرت عنه فلسفة اسلامية خالصة فيها تتضح فكرة الزمان بأحواله : (الماضوية ، والحاضرية ، والمستقبلية) ، كما تبدو فكرة العلية ، والاخذ بالقياس النحوى بالاضافة الى السماع الذى هو الاصل •

أما ما عرف بالفلسفة الاسلامية التى رأيناها عند الكندى ، والفارابى ، وابن سينا ، وابن رشد ، وابن طفيل ، وابن باجة وغيرهم - فان هذه الفلسفة شابتها فلسفات أجنبية وبخامة اليونانية بعد ترجمة مصادرها الى العربية خلال القرن الثالث الهجرى وقد اعتبرها بعض (١) المعاصرين : « ترفا علميا قامت به مجموعة من الاسلاميين انفصلت فكريا عن هذا المجتمع الاسلامى » •

وقد يكون من الاولى أن نتناول بشيء من التفصيل شعب الفكر العربى الاسلامى الاخرى المتمثلة فى : فلسفة النحو والبلاغة واللغة وعلم الاجتماع ، وعلم الكلام ، وعلم أصول الاحكام ، وعلم التصوف ، لتتضح لنا مدى أصالة هذه الانماط وابداعها :

أولا - فلسفة النحو ، والبلاغة ، واللغة :

لا جدال فى أن نزول القرآن

(١) المشار : د. على - نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ج ١ ص ٢٢٦

العالمى ، وما يزال تأثيره فى الفكر العربى بخاصة قائما حتى الآن^(١) .

ثانيا - علم الاجتماع :

ويسميه البعض فلسفة التاريخ أو السياسة ، ونرى فيه اتجاهين مختلفين :

١ - الاتجاه الاول : ويقوده الماوردى فى (الاحكام السلطانية) بنظريته السياسية ، ومن بعده فلاسفة المنهج التاريخى من المسلمين كالمسعودى ، واليعقوبى ، والطبرى ، والفزالى ، ثم ينتهى الى ابن خلدون صاحب المقدمة ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وابن الأزرق .. وخير مثل توضيحي لهذا الاتجاه المسلم الخالص هو مؤلف ابن خلدون (المقدمة) التى استقى مادتها من التاريخ الإسلامى والعالمى ، كما ارتكز على البناء الفقهى ، والكلامى ، والسياسى للفكر الإسلامى - فى عرض فكرته .

أما حظ البلاغة فكان أوفر ، باعتبارها علما حضاريا يحقق الارتباط بين المتكلم وبين المخاطب أو السامع ، ويقدم الكلام فى صورة محببة ، وخصوصية مقبولة ، فيكتسب الكلام قوة وشرفا ، ويتحقق الغرض من اللقاء الكلامى ، ولقد نضج هذا العلم على يد الامام (عبد القاهر الجرجانى) فى القرن الخامس الهجرى كذلك ، وقد استطاع بكتايبه البلاغيين المشهورين : (أسرار البلاغة) ، و (دلائل الاعجاز) - وضع ، ومياغة أهم نظرية فى العلاقات بين الكلم ، وهى النظرية التى عرفت باسم « النظم » ، توصلنا الى اثبات أعجاز القرآن بنظمه ونسقه .

وجهود الجرجانى تكشف عن تفكير عربى إسلامى خالص ، مما يجعلنا مطمئنين الى أصالة فكرنا الإسلامى فى هذا المجال ، ومدى إبداعه واقتداره على المستوى

(١) العبيسى : د. عبد الحميد - الأعجاز النظمى للقرآن ص ٧٢ .

وحقيقة الامر فان المطلع على جهود علماء الكلام المسلمين يدرك بيقين أن هذا العلم ظل اسلاميا خالصا حتى القرن الخامس الهجرى ، ثم دخلته عناصر يونانية ومزج بالعلوم الفلسفية •

وقد أنكر بعض فقهاء المسلمين هذا الاتجاه الذى فرضته ظروف — فيما يظهر — من رد هجوم الآباء المسيحيين على الاسلام منذ فتحت بلادهم ، ودخلها المسلمون ، وواضح أن هؤلاء الآباء كانوا قد درسوا منطق (أرسطو) ، واتخذوه أساسا فى حوارهم وجدالهم مع المسلمين ، فكان على علماء الكلام المسلمين أن يستخدموا هذا المنطق اليونانى ، درءا للخطر ، ودفاعا عن العقيدة •• وعلى الرغم من ذلك فان علم الكلام بأى مقياس يظل مفخرة للتفكير الاسلامى الخالص ، وتبدو فيه الاصالة جلية !!•

رابعا — علم أصول الاحكام :

ويطلق عليه اسم (أصول الفقه) وتتضح أصالته فى أنه منهج الفقيه ومسلكه ، بل أدواته ومنطقه ، اذ

٢ — الاتجاه الثانى : وكان يقوده عبد الله بن المقفع الكاتب الاديب ، وغيره من المفكرين الاعاجم من بعده ، الى أن انتهى الى المارابى وغيره من الفلاسفة الاسلاميين •

ولا شك أن هذا الاتجاه يتميز بالحرص على التوفيق ، والتنسيق بين الفكر الاسلامى وبين الفكر اليونانى — ما أمكن — فبدت صورته مشوبة غير خالصة للروح الاسلامية •

وعليه فاننا مطمئنون الى ابداع الفكر الاجتماعى من خلال الاتجاه الاول دون الثانى ••

ثالثا — علم الكلام :

ويطلق عليه علم التوحيد ، وقد أودع المسلمون فى نطاقه عملهم العظيم فى تفسير الكون ، ومعرفة القوانين الوجودية ، وتوصلهم الى مفهوم للوجود وللحركة وللملة عنى نحو مخالف لمفهوم اليونان ، وقد حقق علماء التوحيد بهذا سبقا على مفكرى أوربا المحدثين !!•

٢ - تيار مسلم : ويستمد أصوله من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، ويهتم بالجانب السلوكي في الانسان ، ويركز على الاناحية الخلقية فيه ، كما ينكر على التيار الاول الفلسفى معظم عقائده .

وهذا التصوف المسلم الخالص في جوهره ثورة اجتماعية على الترف العقلى من جهة ، وعلى الترف الاجتماعى والاقتصادى من جهة أخرى . وقد استطاع التصوف المسلم أن يصف حركات انقلب الدقيقة ، ويضع المذهب الذوقى في الاسلام ، ويكتشف فكرة الضمير ، ويجعل من التصوف سبيلا لثورة المحرومين الفقراء على مجتمع القهر والاحتكار .

وهذه كلها بلا شك نسجها له بكل اعزاز ، وهى أمور تنهض دليلا على ابداعه .

وخلاصة القول : أن هناك جانبا كبيرا من الفكر الاسلامى قد خلص من شوائب الثقافات الاجنبية ،

بقواعده يتسنى للفقيه أن يستنبط الاحكام ، وقد أرسى قواعده ، وأقام مبادئه الصحابة الاولون حين تحدثوا عن : نقد الاخبار نحو القياس وقد أضاف التابعون بعد ذلك بعض عناصره حتى رأيناه كاملا على يد الامام الشافعى وتلاميذه .

وقد قدر لعلماء الكلام من الاشاعرة والمعتزلة أن يؤلفوا في أصول الفقه فكانت صورة الاختلاط بين علمى الكلام ، وأصول الاحكام في العصور المتأخرة ، مما أسفر عن وجود مذهب فلسفى متكامل : نظرية في المعرفة ، ونظرية في المنهج ، ثم تطبيق لهذا المنهج ، ثم بحث الهى ، وأخلاقى .

خامسا - التصوف الاسلامى :

ونجد فيه تيارين :

١ - تيار فلسفى : وقد تأثر بأخلاق من الفكر اليونانى ، وبخاصة الافلاطونية المصدثة ، والمجموعة الهرمسية ، وبعض الافكار الاجنبية الاخرى ، وأمشاج من اليهودية والمسيحية والاسلام

في مناجيه ، كما يظهر مبـدعا في
مجالاته ، وواجبنا جميعا أن
نراجع باستمرار جوانب الفكر
الاسلامي المضيئة ، لنبدد الغشاوات
وننفض الشبهات والله متم نوره
واو كره الكافرون •

د. عبد الحميد العبيسي

مما أبقي على ذاتيته الاسلامية ،
كما أن هناك جانبا آخر محدودا
كان للتأثير الاجنبي دوره في جعله
فكرا مشوبا غير خالص •

وعموما فان الفكر العربي
الاسلامي في شتى العصور ،
ومختلف الأمكنة يعدو أصيلا

« رموس النعم »

قيل رموس النعم ثلاثة :

- أولها : نعمة الاسلام التي لا تتم النعم الا بها •
- ثانيها : نعمة العافية التي لا تطيب الحصة الا بها •
- ثالثها : نعمة الغنى التي لا يتم العيش الا بها •

الأزهر جامعاً وجامعة أو مصر في ألف عام للدكتور محمد كمال السيد

— ١٢ —

بالجيش المصرى • واشترك فى
حرب المورة (اليونان) فى عهد
محمد على • حيث أتى منها بوالدة
عبد الله فكرى • ثم ذهب بها الى
الحجاز مع الجيش المصرى حيث
ولدت المذكور فى مكة المكرمة •

وتوفى أبوه وهو صغير مكفله
بعض أقاربه • فأحفظه القرآن
ثم أرسله الى الأزهر حيث تلقى
العلوم الدينية واللغوية التى
كانت تدروس به وقتذاك • وأتقن
علاوة على ذلك اللغة التركية مما
أهله أن يعمل فى وظيفة مترجم •
ثم انضم الى حاشية سعيد باشا
ومن بعده الى حاشية اسماعيل
باشا • فعينه مدرسا الأولاده
وبعض أمراء الاسرة الحاكمة —
ومنهم الخديوى توفيق والسلطان

ذكرنا فى المقال السابق توسع
الخديوى اسماعيل فى حركة
التعليم بمصر • وكان على رأس
هذه الحركة ثلاثة رجال : اثنان
منهم أزهرى الناشئة هما : رفاعة
بك رافع الطهطاوى وعبد الله
باشا فكرى • والثالث أزهرى
الفرقة وهو على باشا مبارك •

أما رفاعة رافع فقد مر ذكره
فى المقال السابق •

وعبد الله باشا فكرى (١٨٣٤
— ١٨٨٩ م = ١٢٥٠ — ١٣٠٧ هـ)
هو الاديب الشاعر الناصر • كان
جده الشيخ عبد الله محمد من
العلماء المدرسين بالأزهر • وتلقى
أبوه : محمد افندى بليغ العلم
بالأزهر • ثم بالمدارس الحكومية
حتى تخرج مهندسا التحق

على مبارك تاريخ فاته ، لان الخطط
التوفيقية انتهت طبعها سنة
١٣٠٦ هـ .

وعلى باشا مبارك (١٨٢٣ -
١٨٩٣ م = ١٢٣٩ - ١٣١١ هـ)
هو العالم المؤرخ المهندس . فصله
معروف في نهضة التعليم والاكثار
من المدارس .

التحق على مبارك بأحد كتاتيب
قريته برمبال (محافظة الدقهلية)
فحفظ به القرآن . ثم دخل
مدرسة (أبو زعبل) . ثم مدرسة
القصر العيني . فدرس الرياضة
والهندسة . وأرسل الى أوروبا في
بعثة سنة ١٨٤٤ م (١٢٦٥ هـ) .
ومكث هناك أربع سنوات درس
فيها الهندسة والعلوم الحربية .

وعينه عباس حلمي الاول
رئيسا لديوان المدرس . لأنه
مجاراة لرغبة عباس نفذ ما أراده
من إلغاء المدارس وادماجها جميعا
في مدرسة واحدة وبلغت نفقات
التعليم في عهد عباس الاول ٥٠٠٠
خمس آلاف جنيه بمسند أن
كانت في عهد جده محمد علي
٨٨٠٠٠ جنيه .

حسين كامل ولدا اسماعيل -
ونقلب في عدة وظائف حتى وصل
الى نظارة المعارف سنة ١٨٨٢
(١٢٩٩ هـ) وكان محمود سامي
باشا البارودي ناظرا للنظار .

وقامت الثورة العرابية .
فسقطت الوزارة . واتهم عبد الله
فكري بالانضمام الى الثورة
فسجن وأوقف صرف معاشه . ثم
أطلق سراحه وعفا عنه الخديوي
توفيق لما تقدم له بقصيدة طويلة
يذكر فيها براعته وأنه برغم
اشتراكه في الوزارة كان بعيدا
عن أحداث الثورة . ورد اليه
توفيق معاشه . فشكره بقصيدة
طويلة من تسعين بيتا .
وقد أورد له على مبارك ترجمة
مطولة ذكر فيها القصيدتين
وغيرهما (الخطط التوفيقية ج ٢
ص ٤٦) .

ويعد عبد الله فكري من
واضعي الاصطلاحات والالفاظ
الديوانية المصرية الحديثة وبعضها
مقتبس من اصطلاحات دولة
الماليك . وشعره متوسط الجودة
وتوفي سنة ١٣٠٧ هـ ولم يذكر

نسبة المتعلمين في مصر تبلغ ٢٣٪
حين أنها تبلغ في الدولة العثمانية
١٠٪ وفي روسيا ٣٪ وفي إيطاليا
لم تتجاوز ٣١٪ .

وعندما قامت الثورة العربية كان
على مبارك من (المعتدلين) الذين لم
ينضموا الى الثورة فعينه توفيق
ناظرا للمعارف . وظل في وظيفته
الى قبيل وفاته . فاعتزل العمل
وتوفي سنة ١٨٩٣ م (سنة
١٣١١ هـ) .

ومن آثاره الباقية اشياء دار
الكتب سنة ١٨٧١ م . وانشاء
مدرسة دار العلوم سنة ١٨٧٢ م .
دار الكتب :

جمع على مبارك الكتب المنسوخة
باليده . والمصاحف المزخرفة التي
كانت مبعثرة في المساجد وفي أنحاء
البلاد . كما أن الخديوي اسماعيل
اشترى مجموعة الكتب التي كانت
عند أخيه مصطفى فاضل . بعد وفاته
بمبلغ ٤٠٠٠٠ جنيه . وكان هذا
وذاك نواة لدار الكتب التي جعل
على مبارك مقرها بسرائ مصطفى
فاضل بدرب الجماعيز (التي

وبعد عباس لم يكن مرضيا عنه
في عهد سعيد . فأرسل في حرب
تركيا مع روسيا في القرم ولاقى
هناك مشقة وأموالا .

وفي سنة ١٨٦٤ (١٢٨٢ هـ) في
عهد اسماعيل عين وكيل لديوان
المدارس . ثم تقلب في عدة
وظائف : مديرا للسكة الحديدية .
وناظرا للمعارف وللانشغال .
وللاوقاف . وللقاطر الخيرية .

وفي أواخر عهد اسماعيل بلغ
عدد التلاميذ ١٤٠٩٧٧ وعدد
المدارس ٤٨١٧ مدرسة . وكان
في القاهرة وحدها مايزيد على
٢٩٥ مدرسة بلغ عدد تلاميذها
١٠٠٠٠ تلميذ . عدا طلبة

الأزهر الشريف والمعاهد الاجنبية
والمعاهد التابعة للاوقاف .
والمدارس الحربية (تاريخ مصر في
الفتح العثماني تأليف عمر
الاسكندري وسليم حسن ص
٢٢٥) . وقد نقل المؤلفان عن
ادون دي ليون في كتابه عن
اسماعيل مقارنة بين عدد المتعلمين
ممن في سن التعليم في مصر وبين
نظرائهم في أوروبا وقتذاك أن

وفي سنة ١٩٤٥ ضمت مدرسة دار العلوم الى جامعة القاهرة واصبحت احدى كلياتها • وبطل تخصصها بالطببة الازهريين •

الخطط التوفيقية :

وأهم ما يذكر به على مبارك كتابه الخلد : الخطط التوفيقية (نسبة الى الخديوى توفيق) فى عشرين جزءا وما يقرب من ٢٨٠٠ صحيفة من القطع الكبير كاملة السطور تكلم فيها عن القاهرة وشوارعها وأحيائها وآثارها من مساجد ومدارس وقصور • وتاريخ كل ذلك • وتناول فيها المدن والقرى المصرية مرتبة ترتيبا أبجديا • ونشأة هذه القرى • حتى يرجع بعضها الى أصولها الفرعونية • وما فيها من زراعات وصناعات وما مر بها من أحداث تاريخية • وتراجم النابهين منها • وتكلم عن مقياس النيل والنقود والمكايل والموازين والأقيسة والقرع والآلات الرائعة المركبة عليها وغير ذلك من المعلومات التى ترتفع بكتابته الى مستوى الموسوعات •

ويعمد كتاب الخطط التوفيقية

اخترقها الآن شارع مجلس الشعب وفى جزء من مكانها توجد المدرسة الخديوية الحالية) •

وظلت دار الكتب هناك حتى انشئت لها الدار بباب الخلق فى عهد عباس حلمي الثانى •

دار العلوم : خطوة لتطوير الازهر : كان انشاء دار العلوم لتزويد المدارس بحاجتها من المدرسين • وكان طلبتها من النابهين من طلبة الازهر • ومدرسوها فى اللغة العربية والشريعة من علماء الازهر • وكانت تدرس بمدرسة (دار العلوم) العلوم المختلفة من طبية وكيمياء ورياضيات ولغات تركية وفرنسية وغيرها مما كان الازهر قد ابتعد عن دراستها • فكان انشاء دار العلوم فى الواقع أولى المحاولات لتطوير أو اصلاح الازهر •

وكانت عند انشائها فى سراى مصطفى فاضل بدرب الجاميز السابق ذكرها • ثم نقلت الى سراى عثمان بك البرديسى بالناصرية (محل المدرسة السنوية للبنات) • ثم الى مكانها الحالى فى المقرة •

السابقة يرجع الى أن محمد على أصدر أمره سنة ١٨٣٩ بأن يكون سير حسابات الحكومة المصرية على مقتضى السنة القوتية (نسبة الى توت أول شهور التقويم القبطى) وفى سنة ١٨٧٥ أصدر الخديوى اسماعيل أمرا باستعمال التقويم الميلادى الجريجورى فى مصر رسميا بجانب التقويم الهجرى .

السيد جمال الدين الأفغانى :

وفى سنة ١٨٦٩ م (١٢٨٦ هـ) شهدت مصر حادثا من أهم المؤثرات فى مجرى الأحوال وهو قدوم السيد جمال الدين الأفغانى .

وهو الزعيم الاسلامى الثائر . الذى رأى ما فيه الأمة الاسلامية من عوامل التخلف والتفكك . وما عليه الدول الغربية من تقدم . فنار على هذه الأوضاع فى بلاده . ثم قدم الى مصر واستقر بها . واخذ يبيت دعوته الى وحدة اسلامية . أو على الأقل الى دولة اسلامية تقود بلى الدول الاسلامية الى التقدم . ووجد فى مصر الارض الطيبة لانبثاق بذرة هذه الدولة ونموها .

وصلا لأعمال المؤرخ الكبير المقرئى . وبينهما ما يقرب من الخمسة قرون .

مجلس شورى النواب :

وفى سنة ١٨٦٦ أنشأ اسماعيل مجلس شورى النواب . لتأخذ مصر الشكل الدستورى للدول الاوربية . ولكنه كان مجلسا مشوها . مكونا من ٧٥ عضوا ينتخبهم مشايخ البلاد والقرى . وللمديرين بذلك أثر كبير فى توجيه الانتخاب . ومدة المجلس ثلاث سنوات . ثم يعاد الانتخاب .

ويكفى لمعرفة الحالة الثقافية للأعضاء أنه نص فى اللائحة التأسيسية أنه فى الانتخاب السابع (أى بعد ١٨ سنة) يشترط فى العضو معرفة القراءة والكتابة . وفى الانتخاب العاشر (أى بعد ٢٧ سنة) يشترط هذا الشرط أيضا فى الناخبين .

وتقرر انعقاد المجلس سنويا مدة شهرين من ١٥ كيهك — ١٥ أمشير وكان هذا يوافق من ٢٤ ديسمبر الى ٢٢ فبراير) .

وذكر التقويم القبطى فى الفقرة

وعدم استبداد الحاكم — ومثل هذه الأفكار كانت جديدة على الأذهان — فوجد من تلاميذه والمستمعين له آذانا صاغية • وعقولا واعية • وقلوبا دب فيها الحماس والرغبة في مجتمع أفضل • وبدأ يدور في الأذهان خلع الخديوي اسماعيل •

وكان اسماعيل — دون ان يدري — من جانبه يساعد بتصرفاته السيئة على انتشار قوة هذا التيار • فقد استبد برأيه في مسألتين ضاربا برأى العلماء عرض الحائط : هما انشاء المحاكم المختلطة سنة ١٨٧٥ • والعمل على إلغاء الرقيق •

كما أنه عزل الشيخ مصطفى العروسي من مشيخة الأزهر سنة ١٨٧٠ • وعين مكانه الشيخ محمد المهدي العباسي •

والشيخ مصطفى العروسي أول شيخ يعزل من مشيوخ الأزهر • فقبله كان شيخ الأزهر يظل في منصبه حتى يتوفى الى رحمة الله • حتى انه في مشيخة الشيخ الباجوري — السابق للعروسي — لما تقدمت به السن • وعجزت

وكان في دروسه بالأزهر • وفي الندوات الخاصة والعامة • يدعو المسلمين الى الاشتغال بالعلوم الحديثة من طبعة وكيمياء ورياضيات • فقد كانت لهم سابقة التفوق فيها على الغرب • ثم أهملوا دراساتها • وجمدوا عن متابعتها أثناء الركود الذي أصاب العالم الاسلامي بالحكم العثماني •

وكان حسن الحديث • واسع الاطلاع • قوى الحجة • شديد الاقتناع • فالتف حوله الكثيرون من المثقفين منهم : الامام الشيخ محمد عبده وأحمد عرابي وسعد زغلول وعبد الله النديم • وغيرهم • وكلهم ازهريو النشأة •

ونحسب عبد الله النديم من الازهريين تجوزا • فهو لم يدرس بالأزهر • ولكنه درس في مقتبل حياته في جامع الشيخ ابراهيم (ابراهيم باشا) بالاسكندرية • وكان والمسجد الاحمدى في طنطا يسيران على غرار الأزهر • وقبسين من اشعاعه •

وكان السيد جمال الدين ينادى بضرورة حكم الشعب بنفسه •

مصر من سفدات قناة السويس •
فقد باعه اسماعيل الى انجلترا بمبلغ
أربعة ملايين من الجنيهات •

وقد حرت الديون على مصر في
تسويتها الأخيرة بمبلغ ٩٨ ثمانية
وتسعين مليوناً من الجنيهات • ولكن
ما قبضه اسماعيل فعلاً لا يزيد عن
النصف • والباقي عمولات وفوائد •

وتدهورت ثقة الدول في مالية
مصر • فلجأ اسماعيل الى القروض
الداخلية فأصدر قانونين : الأول
عرف بقانون المقابلة • مجمله أن من
يدفع المطلوبات الأميرية معجلاً عن
ست سنوات يما في منها نهائياً •

والثاني عرف بقانون الروزنامة
مجمله أن من يدفع للحكومة مبلغاً
يأخذ عنه فائدة قدرها تسعة في
المائة على الدوام •

وبدا العجز عن السداد • فتدخلت
الدول صاحبة الديون • وتشكلت
لجنة في ٢ / ٥ / ١٨٧٦ عرفت
بلجنة صندوق الدين • واقترحت
عدة اقتراحات • ولكن وجد
اسماعيل أنها تعد من تصرفاته فلم
يقبلها • ولكنه قبل تعيين مراقبين
اثنين على التصرفات المالية للحكومة

صحته عن أعباء العمل • استمر في
منصبه • وتعين معه أربعة وكلاء :
واحد من كل مذهب من المذاهب
الأربعة • برئاسة الشيخ
العروسي • وظلوا يديرون شئون
الجامع والوظيفة حتى توفي
الباجوري سنة ١٨٦٠ م
(١٢٧٧ هـ) •

واستمر اسماعيل في سبغه •
دون تبصر في عواقب الأمور • وكم
خدعوه في صفقات • وكم سهل
المقربون اليه الاستدانة بأسوأ
الشروط نظير ما يعود عليهم خاصة
من عمولات •

ونذكر على سبيل المثال أنه اتفق
على تعمير ميناء الاسكندرية نظير
مليونين ونصف من الجنيهات •
وربحت الشركة التي قامت بالعمل
أكثر من مليون جنيه • كذلك تنازل
عن نصيب مصر من أرباح شركة
قناة السويس — وقدر هذا النصيب
١٥ في المائة • نظير مبلغ تافه هو
٧٠٠,٠٠٠ جنيه • وليته قبضه •
ولكنه كان سداداً للقروض عجز عن
سداده للشركة التي اشترى هذا
النصيب • وهذا غير ما كانت تملكه

ولم تكن موافقة اسماعيل
الا ظاهرية • فما فيه من طغيان
يأبى القيود • فافتل مظهرة قام
بها بعض ضباط الجيش في مبنى
الوزارة الجديدة بحجة تأخر صرف
مرتباتهم • كما عجزت الوزارة عن
تحصيل الضرائب لسداد الفوائد
والأقساط في مواعيدها لعدم
مساعدة الخديوى بنفوذه الأدبى •
وأعطى هذا وذاك الحجة لاسماعيل
للتصل من المسئولية مادام غير
حر التصرف •

فاستقال نوبار • وتشكلت وزارة
جديدة برئاسة توفيق بن اسماعيل •
وكان من أعضائها المندوبان
الانجليزى والفرنسى أيضا •

ووضحت نية الدول على اعلان
مصر • لتعامل معاملة المفلسين •
فلم يقبل اسماعيل • واحتج مجلس
شورى النواب بتحرير من
اسماعيل • واحتج الطماء • فأقال
اسماعيل الوزارة • وتشكلت
أخرى برئاسة شريف باشا • وكان
جميع اعضائها من المصريين •

خلع اسماعيل :

وسممت الدول من هذا التلاعب

أحدهما انجليزى والثانى فرنسى •
ثم رأت لجنة صندوق الدين
تأليف لجنة اسمها : **لجنة التحقيق**
لتنقصى مدى استطاعة الحكومة
السداد • وكان يرأس هذه اللجنة
الأخيرة ديلبس ولها وكيلان هما :
رياض باشا والسير رفرز ويلسن •
والأعضاء هم مندوبو الدول في
صندوق الدين • وهى لجنة كما ترى
كلها أجنب ماعدا رياض باشا •

ورأت لجنة التحقيق أنها
لا تستطيع المضي في أعمالها الا اذا
وافق اسماعيل على اقتراحين :
أحدها أن يتنازل اسماعيل عن
جميع أملاكه للحكومة مقابل أن
يجعل له مرتب سنوى مناسب •
والثانى أن يشترك في الحكم وزراء
مسئولون عن أعمالهم • فلا ينفرد
اسماعيل بالسلطة •

الوزارة الأولى :

ووافق اسماعيل • وتشكلت أول
وزارة في مصر بالمعنى المفهوم •
برئاسة نوبار باشا في
٢٣ / ٨ / ١٨٧٨ • وأدخل
اسماعيل ضمن أعضاء هذه الوزارة
المراقبين الانجليزى والفرنسى •

الامر بوصول الفرمان حتى ظهر
على طبيعته .

وقدم شريف باشا الى توفيق
مشروعا يجعل الحكومة نيابية . ولم
يوافق توفيق وعزل شريف باشا في
١٨ أغسطس . وتشكلت وزارة
جديدة برئاسة رياض باشا .

كما أنه أصدر قرارا في ٣١
أغسطس بإبعاد السيد جمال الدين
الأفغانى عن البلاد بمنشور فيه
بذاعة . تكلم فيه عن الأمن وقطع
داير المفسدين الساعين فيما يضر
الدنيا والدين . ويقول فيه عن
جماعة جمال الدين (رئيسها
شخص يدعى جمال الدين الأفغانى
مطرود من بلاده . ثم من الأستانة
العليا . لما أوتكبه من أمثال هذه
المفسدة في ديارنا المصرية وهذا
من أكبر ما يغير الافكار . ويجب
أن يعامل مرتكبه بالتشديد
والانكار . فالتزمت هذه الحكومة
الحازمة . أن تتخذ الطرق اللازمة .
وتستعمل السداد في قطع عرق هذا
الفساد . فأبعدت ذلك الشخص
المفسد من الديار المصرية . بأمر
ديوان الداخلية . ووجهته من

وخشيت أن تصل الوزارة الجديدة
الى تسوية حاله مصر
فيزداد مركز اسماعيل توطدا ،
فاتصلت بالباب العالي في استانبول
ومحلا صدر القرار بخلع اسماعيل
في ٢٦/٦/١٨٧٩ .

وخرج اسماعيل من مصر في ٣٠
يونيه بعد أن عهد الى ابنه توفيق
بإدارة شؤون البلاد .

ورأت تركيا الفرصة سانحة
لاسترجاع الامتيازات التى نالها
اسماعيل في سنوات ١٨٦٦ ، ١٨٦٧ ،
١٨٧٣ ومنها انحصار ارث الاركة
الخدوية في أكبر أولاد اسماعيل
جيلا بعد جيل . بعد أن كان في
الأكبر من أسرة محمد على . فأخرت
إصدار الفرمان (المرسوم) بتميين
توفيق حتى ١٤/٨/١٨٧٩ لولا
تدخل انجلترا وفرنسا مما جعل
توفيق يشعر بالجميل والامتنان
للدولتين .

وكانت الآمال معقودة على توفيق
لما كان يبدى من الحطف على مطالب
الشعب . والتودد الى جمال الدين
الأفغانى وجماعته . والتقدير
بنصرهات أبيه ولكن ما أن استقر له

رئيسا لتحرير الوقائع الرسمية •
فحررها من السجع الذي كان
سائدا على أقلام الكتاب •

وكانت نصائحه لأحمد عرابي
مترنة بالعقل وعدم الشطط
والتهور • ولكن لما سادت الأمور
وفشلت الثورة لم يتكرر لها ولم
يهرب من مسئولية المشاركة فيها •
فنفى إلى الشام • وتولى هناك
التدريس مدة • ثم انتقل إلى
باريس حيث شارك مع جمال الدين
الأفغانى فى إصدار مجلة العروة
الوثقى •

وقد صدر من هذه المجلة وقتذاك
١٨ عددا فى ثمانية شهور حتى عام
١٨٨٤م (١٣٠١ هـ) • ثم توقفت
عن الصدور • فالمشتركون فيها
كانوا يعرضون للاضطهاد من
حكوماتهم ويعرفون من وصول
أعدادها اليهم •

وعاد إلى مصر فى عهد توفيق •
فعين قاضيا بالمحاكم الاهلية ثم فى
سنة ١٨٩٤ فى عهد عباس حلمى الثانى
عين عضوا بمجلس إدارة الأزهر
وفى سنة ١٨٩٩ عين مفتيا للديار

السويس إلى الاقطار الحجازية (
محمد عبدالمعز حوم عباس العقاد
ص ١٤٦) • ولكن البذور التى
وضعها جمال الدين كانت قد أينعت
نباتات قوية صالحة للتحرر والثورة
ومن أنضج ثمارها الشيخ الامام
محمد عبده • فقد خرج جمال الدين
من مصر وهو يقول لمن يسألونه عن
وصيته فى البلاد : حسبكم محمد
عبده •

الشيخ محمد عبده (١٨٥٠ -
١٩٠٥ م = ١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ) •
الامام العالم الكاتب المفكر المصلح
ذو النزعة التحررية والافكار
التقدمية •

درس أولا بالجامع الاحمدى فى
طنطا • ثم أتم دراسته فى الجامع
الأزهر • ونبغ فى علومه • وتتمذ
للسيد جمال الدين الأفغانى عندما
كان يلقي دروسه فى الأزهر وكان
من أنبغ تلاميذه •

وحصل على درجة العالمية سنة
١٨٧٧ م • (١٢٩٤ هـ) ثم اشتغل
مدرسا بمدرسة دار العلوم • ولكن
مالبث أن أبعد عن وظائف التدريس
لما كان يجاهر به من آراء • وعين

المصرية مع مواظبته على القاء الدروس بالأزهر .

وكان له الفضل في استصدار قانون عام ١٨٩٥ لاصلاح الأزهر في مشيخة الشيخ حسونة النواوى وهو ثانى القوانين لاصلاح الأزهر بعد قانون عام ١٨٧١ كما سنرى باذن الله . ولو أن بعض المحافظين من علماء الأزهر أخروا تنفيذه .

ومن مؤلفاته رحمه الله تفسير جزء عم وجزء تبارك سلك في تفسيرهما طريقة غير مسبقة . وله رسالة في التوحيد . وأملى تفسير سورة البقرة وآل عمران والنساء . وله شرح نهج البلاغة . وشرح مقامات الهمذاني . وغيرها من المؤلفات . ولو أنه يعد من غير الكثيرين في التأليف لانشغاله بالنواحي السياسية والاصلاحية . الأزهر والثورة العربية في سطور قد أطلنا في بعض هذه المقالات عن الأزهر بعض الاطلاء مما قد يعد خروجاً عن الموضوع . ولكن كان واجبا أن نجتزئ من التاريخ صفحات نبين عليها تقدم الأزهر على مدارج الزمن .

ولا نريد أن نؤرخ الثورة العربية الا بقدر ما يرتبط بموضوع الأزهر . فقد شارك فيها الأزهريون بجهودهم وأسلامهم وخطاباتهم .

وأحمد عرابى نفسه كان أزهري النسأة . فقد حضر من قريته بمحافظة الشرقية وهو صبي الى القاهرة عام ١٨٤٩ والتحق بالأزهر ومكث به أربع سنوات أتم فيها حفظ القرآن الكريم . وتلقى شيئاً من علوم اللغة والفقه والتفسير . ولم يتم دراسته بالأزهر حيث التحق بالمسكينة تنفيذاً للقوانين وقتذاك .

وقد جرت الثورة العربية نكبة الاحتلال الانجليزى لمصر . بمسا كان لدى قادتها من تسرع وشهور وشطط . وعدم التخطيط لها . وقصر النظر عن ادراك المطامع الأوربية في مصر . خصوصاً انجلترا . منذ أخرجت الفرنسيين منها في أوائل القرن . ومنذ هزيمتها في رشيد عام ١٨٠٧ كما سبق ذكره . ولم تجد فرصتها في عهد محمد على . ولكن وجدتتها في

من رتبة معينة • واتفقوا على كتابة
(عريضة) الى رياض باشا ناظر
النظار بمطالبهم • وهى عزل عثمان
باشا رفقى ناظر الحربية •
واختاروا أحمد عراجى زعيما لهم •
وتعهدوا على الوفاء والاتحاد •

وكن عثمان رفقى أصدر أمرا
بنقل الأميرالاي عبدالعال بك حلمى
قائد آلاى طره الى ديوان الجهادية
(وزارة الحربية) معاونا بها • وفى
هذا انقاص لدرجته • وعين بدله
ضابطا جركسيا كما أصدر أمرا
بفصل أحمد بك عبد الغفار قائمقام
سلاح الفرسان وعين بدله أيضا
ضابطا جركسيا (الزعيم الثائر
أحمد عرابى لمجد الرحمن
الرافعى) •

وكان هذا الاجتماع بمنزل أحمد
عرابى بباب اللوق فى ١٦ يناير
سنة ١٨٨١ •

وكان اسناد الزعامة لأحمد
عرابى طبيعيا • فقد كانت له
شخصية قوية • فضلا عما هيأته له
دراسته بالأزهر من مستوى علمى
فوق مستوى زملائه • يضاف الى

الارتباك المالى الذى أدى اليه
اسراف اسماعيل •

ولكنها كانت ثورة قومية أذكت
الشعور الوطنى • ونفضت عن
الشخصية المصرية تراب القرون من
الحكم العثمانى • وكانت البعثات
العلمية للخارج — وقوام أغلبها من
طلبة الأزهر كما ذكرنا — قد بدأت
تؤتى ثمارها • فصار الشعب الى
الأمم قدما • وقد فتح له الطريق
ومهدت له أسبالتة وعراقته
التاريخيتان هذا الطريق فانطلق
يريد تعظيم ما فى طريقه من
مواقات •

ومرت سنة ١٨٨٠ م • هادئة •
تمكنت فيها الحكومة من الوصول
الى تسوية موضوع الدين المصرى
وتبسيطه • وكانت هذه أكبر
مشاكل البلاد •

ثم بدأت الثورة العرابية سنة
١٨٨١ ثورة عسكرية • فقد اجتمع
بعض ضباط الجيش من المصريين
وتدارسوا هالتهم • وما يلقاه
الضباط الجركس والأتراك من
حظوة فى التقدم والترقى • حين
لا يرتفع الضابط المصرى الى أكثر

سراى الاسماعيلية (مكان مجمع التحرير ومجاوراته) وقد شاهد منها تحرك الجيش •

ثم اتجه رجال الجيش المتحالفون الى ميدان عابدين • حيث اجتمعوا هناك بأسلحتهم وعتادهم الحربى • واضطرب توفيق وحكومته • فأشار محمود باشا سامى البارودى — وكان وقتها ناظرا للوقوف — باجابة طلبات الضباط • وهى عزل عثمان باشا رفقى والعفو عنهم • لأنه السبب فيما حصل • فقرر عزله من نظارة الحربية واسنادها الى محمود سامى البارودى • وهكذا توطدت الصلة بين البارودى والعرايين •

وأراد توفيق أن يزيل أثر أول فبراير سنة ١٨٨١ من النفوس • فدعا كبار ضباط فرق الجيش بالعاصمة الى سراى عابدين فى ١٢ منه وأعلن لهم عفو • وطلب منهم التزام الطاعة والنظام • وأجاب الضباط بالشكر على العفو • والوعد بالقيام بالأوامر والقوانين العسكرية •

ولكن لم يفته الأمر • فقد كان

هذا ما كان لديه من فصاحة وملكة خطابية • مما أهله لهذه الزعامة • وفى اليوم التالى تقدم بالعريضة أحمد عرابى وزميلاه عبد العال حلمى وعلى فهى وقابلوا رياض باشا فهددهم بأن هذه العريضة تعرضهم للضياع • ولكنهم أصروا على موقفهم •

واجتمع مجلس الوزراء فى ٣١/١/١٨٨١ • وقرر مصالحة الضباط الثلاثة • وتمهد ناظر الحرية بتنفيذ ذلك • فدعاهم للحضور عنده بنظارة الحربية (وكانت بقصر النيل كما سبق ذكره) فى اليوم التالى بحجة ترتيب أحد الاحتفالات • فارتابوا فى الأمر • واتفقوا مع زملائهم أنهم سيذهبون تلبية للأمر • فإذا كانت هناك مكيدة وتأخرت عودتهم فعلى اخوانهم العمل على اطلاق سراحهم •

وفعلا بمجرد أن ذهبوا الى قصر النيل ألقى القبض عليهم • فتحرك زملاؤهم متجهين الى قصر النيل • واقتحموا المكان وأخرجوا عنهم • وكان الخديوى توفيق وقتذاك فى

فغضب توفيق وأمر بمحاكمة هؤلاء الجنود أمام مجلس عسكري • وحكم عليهم — وكانوا ثمانية — بعضهم بالاشتغال الشاقة المؤبدة وبعضهم المؤقتة • على أن يمضوا مدة العقوبة في ليمان (سجن) المخرطوم •

وطلب البارودي — بناء على ايعاز أصدقائه العراقيين — تخفيف الحكم • فاعتبر الخديوي هذا الطلب اهانة وقرر عزل البارودي — فاستقال • وعين الخديوي بدله صهره داود باشا يكن ناظرا للحربية • كما عزل محافظ العاصمة احمد باشا الدرة مللي وعين بدله عبد القادر باشا حلمي • لميل الاول وعداء الثاني للعراقيين • وحرّم الوزير الجديد اجتماعات الضباط في المنازل أو نواحي المدينة وراقب المحافظ الجديد تنفيذ هذا الأمر •

وشعر العراقيون أن المقصود هو تفنيت وحدتهم وعدم تمكينهم من الاتفاق على شئونهم فقرروا عدم الطاعة • وكان هذا بادرة التحرك الثاني •

للضباط طلبات تختص بمرتباتهم ونظام الترقية والتقاعد والأجازات والمكافآت وغير ذلك من الشؤون • فقدموا الى ناظر الحربية عريضة بذلك • فأجيبوا الى كثير من هذه الطلبات • مثل تحسين المأكل وزيادة رواتب الضباط والجنود • وتقرر تأليف لجنة لوضع قانون ينظم الترقيات والمكافآت وغير ذلك من الشؤون العسكرية •

وألهب هذا النجاح حماس العراقيين • وأصبح اسم احمد عرابي ملء الأفواه والأسماع وذاع صيته في الداخل والخارج لما حققه من انتصار •

ثم حدث في يولييه سنة ١٨٨١ أن توفي أحد الجنود في الاسكندرية نتيجة لحادث تصادم عادي • فحمل جثته زملاؤه الى سراي رأس التين • حيث كان يصطاف الخديوي • مطالبين بالعمل على عقوبة الجاني • وكان في هذا التصرف كثير من عدم اللياقة وسوء الادب • والخروج على النظم • فهذا من شأن الشرمة لا الخديوي صاحب السيادة •

العسكريين في شئون الحكم • ولكن قدم له العرابيون وعدا كتابيا بعدم التدخل • ما دام يقبسل أن يجعل بين وزرائه محمود باشا سامى البارودى ومصطفى باشا فهمى •

وتشكلت الوزارة الجديدة في ١٤ سبتمبر وسميت هذه الوزارة بوزارة الأمة فتشكيلها أول نجاح يمارسه الشعب في إدارة شئونه •

محمد باشا شريف أزهرى النشأة

ويجدر بنا أن نذكر أن محمد باشا شريف تلقى دروسه الأولى في الأزهر فقد كان والده أحمد أفندى شريف تركيا حضر من استانبول للدراسة بالأزهر • فلما أتم علومه عاد الى استانبول فمِن هناك شيخا للاسلام • وأرسل ابنه محمد شريف الى القاهرة ليدرس أيضا بالأزهر • فجاور في رواق الأتراك •

ولما ذهب محمد على الى استانبول والتقى هناك بشيخ الاسلام أوصاه على ابنه محمد • فلما عاد محمد على طلب محمد شريف وألحقه بالمعية وهى من

فقرروا القيام بمظاهرة عسكرية من جميع فرق الجيش الموجودة في العاصمة في ميدان عابدين • على أن يقدموا في هذه المظاهرة طلبات الجيش •

وحددوا لذلك ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ • وأخطر أحمد عرابى ناظر الحربية بذلك كما أرسل لقناصل الدول يطمئنهم على أرواح الاجانب وأموالهم • وأن هذه مسألة داخلية المقصود منها تحقيق مطالب عادلة لمصلحة البلاد •

واجتمع الجيش في الموعد المحدد • وواجه أحمد عرابى الخديوى توفيق • وهذه المواجهة تاريخية مبسطة تفصيلها في كتب التاريخ وتقدم أحمد عرابى بطلبات الجيش • وهى اسقاط وزارة رياض باشا وتشكيل مجلس نيابى • ووجد توفيق نفسه لا حول له ولا قوة • فاضطر للموافقة • واستقل رياض باشا • ودعى محمد باشا شريف لتشكيل الوزارة الجديدة في ١١ سبتمبر •

وتردد شريف باشا — وقد كان حرا أبيا • خوفا من تدخل

(مع) وتعنى الملازمين لشخص الحاكم معه وفي خدمته •

وتزوج محمد شريف باشا الكلونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوى) ورزق منها بابنتين تزوجت احدهما بعبد الرحيم باشا صبرى • فولدت له نازلى والدة فاروق الملك المخلوع •

وحضر محمد شريف مؤتمر لندن سنة ١٨٤١ مندوبا عن الحكومة المصرية • بصفته مستحقا فقط • وهذه الصفة هي آخر ما أمكن الوصول اليه في تمثيل مصر في هذا المؤتمر الذى كان يقرر مصير مصر وعلاقتها بالدولة العثمانية •

وتقلب محمد شريف فى عدة مناصب فى عهد محمد على • ثم فى عهد سعيد عين فى وظيفة باشمعاون الوالى • وهى الوظيفة

التي حلت محل الكتخدا (الكفيا يعنى الوكيل) وتعادل رئاسة الوزارة تقريبا • ثم لما أنشأ اسماعيل المجلس المخصوص — وهو يعادل الوزارة — وكان اسماعيل يتولى رئاسته • فتولى شريف باشا وكتلته أكثر من مرة • ثم شكل وزارته الاولى سنة ١٨٧٨ م • بعد الوزارة التي كان يرأسها توفيق بن اسماعيل كما سبق ذكره • فأخذ يعد فيها الدستور • ولكن عزل اسماعيل وأقال توفيق وزارة شريف باشا وتشكلت وزارة رياض باشا •

ثم توالى الاحداث كما ذكرنا حتى شكل شريف باشا هذه الوزارة التي عرفت بوزارة الامة فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ •

محمد كمال السيد

قيس بن عاصم سيد أهل الوبر

لذكره مفضته عبد الرحمن

على النماذج التالية :
المهلل : بطل حرب البسوس
وعنترة : بطيل حرب داحس
والغبراء ، وقيس بن عاصم : بطل
حروب تميم * ولكنى اكتفيت
حيما أعددت البحث للمناقشة
بائنين من ثلاثة هما : المهلهل
وعنترة ، وكان ذلك بسبب قلة
ما توفر لدى في ذلك الحين من
شعر قيس بن عاصم *

ومن خلال تدريسي لمادة الأدب
الجاهلي في الجامعة بدأت تتضح
لي صورة قيس بن عاصم بصورة
أفضل مما كانت عليه قبل ثماني
سنوات ، كما أحسست أن قيس

وفد قيس بن عاصم المنقري
على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فقال عليه الصلاة
والسلام : « هذا سيد أهل
الوبر » (١) *

هذا هو قيس بن عاصم
المنقري التميمي موضوع البحث
وتعود صلتى بقيس بن عاصم إلى
ثماني سنوات خلت ، حينما كنت
أعد رسالة الدكتوراه ، وكان
موضوعها : « الشعر وأيام العرب
في العصر الجاهلي » * وقد جعلت
الباب الثالث من البحث في البداية
للحديث عن نماذج متميزة من
شعراء الايام ، ووقع الاختيار

(١) انظر : الاعاني (دار الكتب) ٧٤/١٤ ، معجم الشعراء للمرزباني
٣٢٤ ، الاصابة ٢٤٢/٣ ، املى المرتضى ١١٢/١ *

الهجيم بن عمرو بن تميم ، وبنو
أسيد بن عمير ، وبنو مالك
ابن عمرو بن تميم ، وبنو عمرو
ابن الملا بن عمار بن عدنان
ابن الحارث ، وبنو أمرياء القيس
ابن زيد مناة وبنو سعد بن زيد مناة
وبنو منقر بن عبيد بن مقاعس
وبنو صريم بن مقاعس ، وبنو
عرف بن كعب بن زيد مناة ، وبنو
مالك بن سعد بن زيد مناة ، وبنو
ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، وبنو
ثعلبة بن يربوع بن حنظلة ، وبنو
الحارث بن يربوع ، وبنو رياح ،
وبنو طعية بن مالك ، وبنو دارم
ابن مالك بن حنظلة (٢) .

ومن منازلهم : صلب والدهناء
والاحساء ، ووبرة ، والصمان
وشرف الارطى ، والهـراء
والصمان الشعر ، والرمادة (٣) .
ومن مياههم : حمض كهل

ابن عاصم شخصية متميزة ، وان
قل شـعره ، تستحق البحث
والدراسة . ولا أظن أن الرسول
(ص) قد اطلق عليه هذا اللقب :
« سيد أهل الوبر » من باب
المجاملة ، وحقا لقد وجدت الكثير
من أخباره المبثوثة في المصادر
وان كان بعضها يؤكد بعضها
ويكرره ، الا ان هذه الاخبار
تؤكد قيما معينة كانت سائدة ، وكان
قيس يمثلها أصدق تمثيل ، وأقربها
الاسلام قيما بعد .

وينتهي نسب قيس : الى قبيلة
تميم التي تنتسب الى مضر (١)
وكانت منازلهم بأرض نجد
دائرة من هنالك على البصرة
واليمامة ، حتى يتصلوا بالبحرين
وانتشرت الى العذيب في أرض
الكوفة .

ومن بطونهم : الحارث
ابن تميم ، وبنو العنبر ، وبنو

(١) انظر : الاشتقاق لابن دريد ٢٠١ وما بعدها ، العقد الفريد
٢٤٤/٢ - ٢٤٦ ، معجم البكري ٢٠٧/١ ، ٢٢٤ ، ٢٥٦ ، نهاية الأرب
للقلقشندي ١٨٨ ، معجم قبائل العرب لكحالة ١٢٦/١ .

(٢) انظر المصادر السابقة .

(٣) انظر المصادر السابقة .

الضعيفة الى العشائر القوية
لتحميها وترد العدوان عنها (٣) .
وتعتبر قبيلة تميم من القبائل
التي خاضت حروبا كثيرة في الجاهلية
خاضتها مع قبائل يمانية ، وخاضت
بعضها مع بكر عدوها اللدود
وخاضت بعضها مع الضاسنة
وبعض هذه الحروب كان مع
قبائل عربية مختلفة . وقد أتيج
لى خلال بحثى الآنف الذكر أن
أجمع ما يقرب من ثلاثمائة
وخمسين يوما ، كان نصيب تميم
منها مائة يوم ، انتصرت فى ستين
يوما منها ، وهزمت فى أربعين
يوما (٤)

ومن الأيام التى انتصرت
فيها : طخفة (لتميم على
الفاذرة) : والكلاب الثانى : (لتميم
على اليمن) ، والبناج : (لتميم
على بكر) والخطالى : (لتميم على
بكر) ، ومخطط : (لتميم على
بكر) ، وجدود : (لتميم على بكر)

والجفسار ، وأواره ، وطويلع
واللهيماء ، ونطاع ، والكلاب (١) .
وقد عد الذين أُرغوا للمصر
الجاهلى وعنوا بدراسته ودراسة
حروبه وصلات القبائل ، وأعنى
المؤرخين القدامى : قبيلة تميم من
جمرات العرب (٢) ، وعنوا
بالجمرة تلك القبيلة القوية الكثيرة
العدد والعدة ، التى تستطيع أن
تدافع عن نفسها ، وأن تغزو غيرها
وتجبرهم على احترامها . فقد
كانت القبائل تسمى الى المحالفات
طالباً للأمن ، ودفعاً للعدوان
وايثارا للعافية ، ومع ذلك : فلم
تستطع هذه المخالفات حقن الدماء
التي كانت تسفك لأتفه الاسباب
بل ربما كان الحاف نفسه من
اسباب الحرب ، الا أننا يجب أن
لا ننسى أن هذه الاتحادات :
اتحادات الأحلاف ، قد لعبت
دورا كبيرا ايجابيا فى تكوين
القبائل ، اذ كانت تضم العشائر

(١) انظر المصادر السابقة .

(٢) انظر : اللسان مادة (جمر) وكذا تاج العروس (جمر) .

(٣) شوقى ضيف ، العصر الجاهلى ، ٥٨ .

(٤) الأرقام والمعلومات من جداول ملحقة برسالة الدكتوراه .

قبيلته ، ثم كفارس شجاع في حروب تميم ، ثم كفرد دخل في الاسلام ، فودته ، ثم عودته الى حظيرة الاسلام ، وأخيرا كشاعر .

وينبغي أن ننبه منذ البدء على أن قيسا ، شأنه في ذلك شأن معظم الجاهليين ، لم تتوافر لديننا معلومات متكاملة عن نشأته ومراحل حياته بدقاتها المختلفة .

وهو : قيس بن عاصم بن سنان ابن خالد ، بن منقر ، بن عبيد ، ابن عبيد ، بن مقاعس ، بمقاعس ينتمي الى الحارث بن عمرو ، ابن كعب ، بن سعد بن زيد ثمة ، ابن تميم (١) . وكنيته : أبو علي (٢) . ويضيف ابن قتيبة أنه : « لم يكن في الجاهلية أحد يكنى « أبا علي » غير قيس بن عاصم وعامر بن الطفيل » (٣) ونبحث عن سبب الكنية فلا نجد تفسيراً لأن المصادر لم تذكر أبنا له اسمه علي . أما أمه : فكانت أم أسفر

وفو ذرائح : (لتمييم على اليمن) ، والستر : (لتمييم على بكر) ، وغول الثاني : (لتمييم على الخساسة) .

ومن الايام التي هزمت تميم فيها المسلمين : (لعامر على تميم) وأواره الثاني : (لعمر بن هند على تميم) ، والصفقة : (للفرس على تميم) ، والجفار : (لبكر على تميم) ، ورهران الثاني : (لعامر على تميم) ، وشعب جبلة : (لعامر وخلفائها على تميم وخلفائها) والشيطين : (لبكر على تميم) .

بعد هذه المقدمة عن قبيلة الشاعر ومكانتها في الجاهلية : ننقل للحديث عن قيس بن عاصم . وسننتجول في حديثنا في رحلة تشمل : قيس بن عاصم الانسان والفارس البطل ، والمثال الجاهلي وقيسا المسلم ، وقيسا الشاعر . وهكذا فسنتقل في رحلتنا من مرحلة قيس في جاهليته كفرد في

(١) الاغاني (دار الكتب ٦٩/١٤) ، معجم الشعراء للمرزباني ١٩٩ .
(٢) الاغاني ٦٩/١٤ ، المعارف لابن قتيبة ٢٠١ .
(٣) المعارف ٥٥٦ .

محمد بن سليمان بن العباسي
ومنهم : عسيمة بن عاصم بن قيس
ابن عاصم وقد قطعت يده في يوم
الوقبي وعرف يعاصم الجويرية
كما عرف بمصيبة الأجزم ، وقد
قطع يده اليسرى أريد بن سنان
في يوم الوقبي الذي كان لبنى
مازن ، من بكر علي (٦) .

أما بنته : فلم يذكر لنا التاريخ
بنقا لقيس ، وقد كثر ذكر الخبر
الذي يروى عنه ، عنهما قدم على
الرسول صلى الله عليه وسلم
يسأله عن كفارة بسبب وأده عددا
من البنات له ، وسنناقش ذلك في
موضعه من البحث ، وما عدا ذلك
لم يرد ذكر الابنت واحدة له
حدث بخبرها بعض الانصار
والرسول (ص) (٧) . وسيأتى
تفصيل ذلك في حديثنا عن الواد
أيضا .

بنت خليفة ، بن جرول ،
ابن منقر (١) .

وينسب قيس الى بنى منقر
من بنى تميم ، وقد عدد صاحب
الجمهرة من ولد منقر : فقيما
وبطنا ، وخالدا ، وسعدا ، وجرولا
وصفرا ، وعوفا ، وأنيسا ، وذكر
قيسا أنه : بن عاصم بن سنان
ابن خالد بن منقر (٢) .

ولم تهمل المصادر أبناءه
وذريره ، فقد ذكرت : أن أولاده
كانوا ثلاثة وثلاثين ابنا (٣) .
ولكنها لم تذكر لنا منهم الا طلبة
والقمعاع ، والشماخ (٤) .

وذكرت من بنات أولاده : مية
صاحبة ذى الرمة وهى : ابنة مقاتل
ابن طلبة بن قيس (٥) . وأما
ما ذكرت من ذريته فهم : شملة
ابن بردة بن مقاتل بن طلبة ، وكان
من الشراة هرج بالبادية فقتله

(١) الاسمانى ٦٩/١٤ .

(٢) جمهرة انساب العرب — ابن حزم ٢١٦ .

(٣) المعارف ٣٠١ .

(٤) المصدر السابق ٣٠١ .

(٥) المصدر السابق ٣٠١ ، والجمهرة ٢١٦ .

(٦) الجمهرة ٢١٧ .

(٧) الاغانى ٦٩/١٤ .

ما تعلمت الحلم الا من قيس
ابن عاصم المنقري ، لانه قتل
ابن اخ له بعض بنيه ، فأتى بالقاتل
مكتوها يقاد اليه ، فقال : ذعرتم
الفتى ، ثم أقبل على الفتى فقال :
يا بنى : بئس ما صنعت
نقصت عددك ، وأوهنت عضدك
وأثمت عدوك ، وأسأت بقومك
خلوا سبيله ، واحملوا الى أم
المقتول ديته ، فأنها غريبه ، ثم
أصرف القاتل ، وما حل قيس
حبوته ، ولا تغير وجهه (٤) .

وقد ضرب به المثل في الحلم
فقال : « أحلم من قيس » (٥) ،
وكان الاحنف يقول : لقد اختلفنا
الى قيس بن عاصم في الحلم كما
تختلف الى الفقهاء في الفقه (٦) .
وقد كانت السيادة في الجاهلية
يفض بها من توفرت فيه خصال
حدد تلك الخصال أحد الباحثين

وتجمع المصادر على أن قيسا كان
سيدا في قومه كما كان شريفا ،
قال عنه ابن قتيبة : « كان شريفا
سيدا » (١) . وقد سئل قيس : بم
سدت قومك ؟ قال : ببذل القرى
وترك المرا ، ونصرة المولى (٢) .
وفي رواية أخرى أنه قال : ببذل
الندى ، وكف الاذى ، ونصرة المولى
وتعجيل القرى (٣) . وقد : وصفه
صاحب الاغانى : بأنه شاعر فارس
شجاع حلیم كثير الخرات مظفر
في غزواته ، أدرك الجاهلية
والاسلام فساد فيهما .

وسنحاول في عجالة أن نضرب
أمثلة لهذه الخصال التي كان
يتحلى بها قيس . أما الشاعرية
فسنرجى الحديث عنها قليلا
وكذا غروسيته . أما الحلم : فقد
رددت المصادر خبرا مفاده : أن
الاحنف ابن قيس كان يقول :

(١) المعارف ٣٠١ .

(٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ٢٢٥/١ والاغانى ٧٦/١٤ .

(٣) بلوغ الأرب للأولى ١٨٧/٢ .

(٤) أنظر الخبر من الاغانى ٧٢/١٤ ، وفيات الاعيان ٥٠١/٢ ، الجمان

لأن ثلثيا ٢٥٣ مع اختلاف في بعض الكلمات لكن المضمون واحد .

(٥) الرسيط في الأمثال الواحدى ٦٦ .

(٦) عيون الاخبار ٢٨٧/٢ .

أخاف ملامات الاحاديث من بعدى
وانى لعبد الضيف من غير ذلة
وما بى الا تلك من شميم العبد
قال : فأرسلت جارية لها مليحة
فطلبت له أكىلا ، وأنشأت
تقول له :

أبى المرء قيس أن يخوق طعامه
بغير أكىل انه لكريم
غبورك حيا يا أخا الجود والندى
وبورك ميتا قد حوتك رجوم (٢)

ولم يتوقف قيس بن عاصم عند
حدود قبيلته وهو فارسها
وسيدها ، بل كان فيمن وفد على
النعمان بن المنذر للمفاخرة ، فقد
كان منهم : الاقرع بن حابس
وقيس بن عاصم . ومن بكر :
بسطام بن قيس ، والحوغزان
ابن شريك (٣) .

ولم يخل سجل قيس من بعض
السقطات ، فقد ذكر صاحب
الاغانى أن ممّا يعبر به قيس
وقومه أن عبادة بن مرثد بن عمر

حين قال : « كان أهل الجاهلية
لا يسدون الا من تكاملت فيه
ست خصال : السخاء والنجدة
والصبر والحلم والتواضع
والبيان » (١) ولعله من الواضح :
ان هذه الصفات كان يتصف بها
قيس بعد ان نستكمل حديثنا عن
شجاعته وشاعريته . ومن أجل هذا
كله قال عنه الرسول الكريم : « هذا
سيد أهل الوبر » .

وكان قيس بن عاصم كريما
يطعم الزاد لغيره ، ويكره أن
يسأثره به . تزوج قيس
ابن عاصم المنقرى منقوسة بنت
زيد الفوارس الصبى ، وأنته في
الليلة الثانية من بنائه بها بطعام
فقالت : فأين أكىلى ؟ ، فلم تعلم
ما يريد ، فأنشأ يقول :

يا ابنة عبد الله وابنة مالك
ويا بنت ذى البردين والفرس الورد
إذا ما صنمت الزاد فالنمى له
أكىلا فانى لست آكله وحدى
أخا طارق أو جار بيت فانى

(١) بلوغ الأرب ثلاثون / ٢ / ١٨٧ .

(٢) الاغانى ٧٢ / ١٤ .

(٣) المرجع السابق ٢٨٠ / ١ .

ولست أدعى لقيس العصمة
ولكن بكرا، عدو تميم اللدود، قاسم
مشارك في الخبرين ، عبادة
ابن مرثد وبنو عجل كلاهما من
بكر . وقيس لا يريد ان يعترف
لبكر بالانتصار عليه وعلى قومه
لذا نجده لم يشكر عبادة بقول
بيغله ، لان في ذلك اذلالا لقيس
بطل تميم ، ولم يعترف بالهزام
عجل الا به ويقومه . وليست
بمصدق ان يهزم فارس قبيلة مهما
كانت شجاعته .

ويرتبط قيس بن عاصم بقضية
خطيرة في الجاهلية ، تلك هي قضية
وأد البنات . فقد ذكر القرآن
الكريم في سورة التكوين « واذا
المسودة سئلت بأي ذنب
قتلت » (٢) .

والمسودة : المدفونة حية
وكذلك كانت العرب تفعل ببنااتها .
هذا ما يورده الطبري في تفسيره
ثم ينقل خبرا مرفوعا الى قتادة :

ابن مرثد أسر قيس بن عاصم
وسبى أمه وأختيه يوم أبرق
الكبريت ، ثم من عليهم فأطلقهم
بغير فداء ، فلم يثبه قيس ، ولم
يشكره على فعله بقول بيغله
فقال عبادة :

على أبرق الكبريت قيس بن عاصم
أسرت وأطراف القناقصد حمر
متى يعلق السعدى منك بذمة
تجده اذا يلقي وشيمته الخدر (١)
ويذكر الاغانى خبرا آخر
مفاده : ان زيد الخيل الطائي خرج
عن قومه ، وجاور بنى منقر
فأغار عليهم بنو عجل ، وزيد
فيهم ، فأعلنهم ، وقاتل بنى عجل
قتالا شديدا ، وأبلى بلاء حسنا
حتى انهزمت عجل ، فكفر قيس
فعلته ، وقال : ما هزمهم غيري
فقال زيد الخيل : يميته ويكذبه
في قصيدة طويلة منها :

ولست بوقاف اذا الخيل احجمت
ولست بكذاب كقيس بن عاصم (٢)

(١) قصة الخبر والشعر في الاغانى ٨٩/١٤ .

(٢) الاغانى ٨٩/١٤ .

(٣) آية ٨ من سورة التكوين .

جبة من صوف، أو شعر، ترعى الإبل
والغنم في البادية • وأما أن أراد
قتلها تركها حتى إذا كانت سادسية
فيقول لامها طيبها وزينها حتى
أذهب بها إلى أحمائها ، وقد حفر
لها بئرا في الصحراء ، فيبلغ بها
البئر ، فيقول لها : انظري فيما
ثم يدفعها من خلفها ، ويهيل عليها
التراب حتى تستوى البئر
بالأرض (٥) •

ولم يكن الرجل هو الذي يهد
فحصب ، بل أن الحامل كانت إذا
أقربت حفرت حفرة فتمخضت
على رأس الحفرة ، فإذا ولدت
بنقا رمت بها في الحفرة ، وإن
ولدت ابنا حبسته (٦) •
وفي ذلك يقول الراجز :
سـيـمـتـها اذ ولدت تموت
والقبر صـر ضـمـن زميت (٧) •

قتلت بلا ذنب ، كان أهل الجاهلية
يقتل أحدهم ابنته ويغزو كليـه
فعماب الله ذلك عليهم • • • وكانت
العرب أفعل الناس لذلك (١) •
وقد سـمـيت بالمومودة : لأن
التراب يطرح عليها فينقلها حتى
تموت (٢) •

يقول حاتم بن نويرة :
ومومودة مقبورة في مفارة
بأمتها موسودة لم تمهد (٣)
ونسبه صاحب لسان العرب إلى
حسان وأورده هكذا :

ومومودة مقرورة في مفاوز
بأمتها مرسومة لم توسد (٤)
ويورد صاحب « الكشف »
خبرا في سياق شرح الآية المتعلقة
بالوآد : بأن الرجل كان يستحي
ابنته أحيانا فلم يكن يقتلها دائما
فكان إذا أراد أن يستحيها ألبسها

(١) تفسير الطبري (طبعة بولاق) ٤٦/٣٠ •

(٢) تفسير القرطبي ٢٣٢/١٩ •

(٣) تفسير القرطبي ٢٣٢/١٩ •

(٤) تفسير القرطبي ٢٣٢/١٩ •

(٥) لسان العرب مادة (عوز) •

(٦) الكشف للزمخشري ٢٢٢/١٤ •

(٧) المصدر السابق ٢٢٢/٤ ، تفسير القرطبي ٢٣٢/١٩ والقرطبي يرمع

الخبر إلى ابن عباس •

(٧) تفسير القرطبي ٢٣٢/١٩ •

ابن عاصم شاهد على ذلك ، فقد حدث قيس بن عاصم الرسول (ص) أنه ما ولدت له بنت قط الا وأدها ، وما رحم منهن مومودة قط لا بنية له ، ولدتها أمها وهو في سفر ، فغفلتها أمها لى أخوالها فكانت فيهم ، وقدم ميس فسأل عن الحمل ، فأخبره امرأته انها ولدت ولدا ميتا ، ومضت على ذلك سنون حتى كبرت المصيبة وبيعت فزارت أمها ذات يوم ، فدخل قيس فرآها وقد ضفرت شعرها وجعلت في قرونها شيئا من خلوق ونظمت عليها ودعا ، وألبستها قلادة جزع ، وجعلت في عنقها مختنقة بلح ، فسأل عنها قيس لأنها أعجبت به بجمالها وكيسها فبكت وقالت : هذه ابنتك ؟ كنت أخبرتك أنى ولدت ولدا ميتا وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ ، فأمسك قيس عنها حتى استغظت أمها عنها ثم أخرجها يوما فحفر لها حفيرة

وتشير هذه الأخبار أموراً عدة منها : هل كان السواد منتشرا بين القبائل العربية ؟ ، من أول من وأد البنات في الجاهلية ؟ هل كان الواد من اختصاص الرجل أم أن المرأة كانت تؤد أيضا ؟ ما سبب قيامهم بذلك ؟ .

أما التساؤل الاول فممنطلق الامور ينبغي ، لان الواد لوعم القبائل العربية لما استقر بقاء الجنس العربى بعد جيل أو جيلين أو ثلاثة . وأما أول من وأد بناته في الجاهلية فيطالعنا خبران ، الاول أن قيسا أول من وأد البنات في الجاهلية (١) والثانى أن الواد عند العرب أقدم من قيس ، وربما يعود الى ما قبل الميلاد ، مثل ما ذكروه من سودة بنت زهرة الكاهنة ، وهى أقدم من قيس (٢) وقد كان الرجل يؤد بناته كما كانت المرأة أيضا تفعل ذلك ، وربما كانت تفعله لأنها تعرف رغبة زوجها ، ولعل ما فعلته زوج قيس

(١) وفيات الاميان لابن خلكان ١٨٣/١ .

(٢) الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد على ٩١/٥ - ٩٢ .

العرب يقولون : « ان الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به ، فهو أحق بهن » (٣) أما القرطبي فيرى انهم كانوا يدفنونهن لخصلتين : الاولى انهم كانوا يقولون . ان الملائكة بنات الله ، فألحقوا البنات به . والثانية : مخافة الحاجة والاملاق أو خوفا من السبى والاسترقاق . (٤) •

وهكذا نرى انه يمكن رد أسباب الوأد الى الغيرة والانفة من النكاح والى الخوف من الحاجة والاملاق والخوف من السبى والاسترقاق . واخيرا الى عقيدة يعتقدونها : وهى ان الملائكة اناث وهن بنات الله ، ولذا ألحقوا البنات به فقتلوهن ونستطيع بمناقشة هذه الدوافع ان نقبح ان الخوف من الحاجة والاملاق والسبى والاسترقاق أمور يشترك فيها العرب جميعا ومن باب أولى : أن يخشى هذه الأمور ضعاف العرب وفقراءهم ،

فجعلها فيها ، وهى تقول يا أبت ما تصنع بى ؟ ، وجعل يقذف عليها التراب وهى تقول : يا أبت أمطى أنت بالتراب ، أتركى انت وحدى ومنصرف عنى ؟ ، وجعل يقذف عليها التراب ، حتى واراها وانقطع صوته ، ويختتم قيس مقولته هذه : فما رحمت أحدا مما واريته غيرها (١) •

وهذا يعنى ان المرأة الجاهلية كانت تعلم مصير ابنتها ، ولو أخفتها الى حين ، ولهذا كانت تثدها منذ ولادتها حتى لا تأسى عليها وهى تراها شابة ياغمة تدفن حية • وإذا ما انتقلنا الى سبب الوأد نرى تحليل فعلتهم الشنيعة تلك تأخذ عللا وأسبابا كثيرة : ففى خبر عن قيس بن عاصم انه كان يئد بناته « للغيرة والانفة من النكاح » (٢) وتبعه الناس فى ذلك الى أن أبطله الاسلام • ويورد صاحب الكشف خبرا : يفيد بأن

(١) الاغانى ٦٩/١٤ - ٧٠

(٢) وفيات الاعيان ١٨٢/١

(٣) الكشف ٢٢٢/٤

(٤) تفسير القرطبي ٢٣٢/١٩

اصطفاه لنفسه فمسأه فيها
فقال : قد جعلت أمرها اليك ، فان
اختارتك فخذها ، فغيرت
فاختارت عمرو بن المشمرج •
فانصرف قيس ، فسواد كل بنت
وجعل ذلك سنة في كل بنت تولد
له ، واقتدت به العرب في ذلك
فكان كل سيد يولد له بنت يؤدها
خوفا من الفضيحة (١) •

وهذا الجزء الاخير من الخبر
يتعارض مع ما ذكرنا من سبب
الواد بسبب الخوف من الحاجة
والاملاق ، كما انه يتعارض خبر
أورده القرطبي : بأن « الإشراف
منهم يتمتعون من هذا ويمنعون
منه » (٢) ، وربما ارتبط خبر
القرطبي بما ذكر عن معصمة
ابن ناجية : جد الفرزدق الذي
اشترى ثلاثين موعودة منهن بنت
لقيس بن عاصم ، وفي ذلك اغتحر
الفرزدق فقال :

وجدى الذى منع الواثدات
وأحيا الوئيد فلم يواد (٣)

فلماذا يكون قيس بن عاصم — وهو
سيد قومه وعزيزهم ، وقبيلته من
أقوى القبائل وهى احدى جمرات
العرب — هو الذى يؤد بناته ؟ وإذا
كانت العرب تعتقد أن الملائكة
بنات الله ، وتؤمن بذلك كل القبائل
العربية ، فلماذا لم تجمع على
الواد ؟ ، أم أن الامر متعلق بعقيدة
معينة ، وهذا ما أشار اليه القرآن
الكريم • ولم لا يكون السبب
شخصيا خاصا بقيس بن عاصم
أو من صادف حالة مشابهة ؟ فقد
أورد صاحب الاغانى : أن سبب
واد قيس بن عاصم بناته أن
المشمرج اليشكري البكرى ، وبكر
خصم لحدود لتميم ، أغار على بنى
سعد فسبى منهم نساء واستاق
أموالا ، وكان فى النساء امرأة
خالها قيس بن عاصم ، وهى :
رميم بنت أحمر بن جندل
السعدى ، فرحل قيس اليهم
يسألهم ان يهبوها له أو يفدوها
فوجد عمرو بن المشمرج قد

(١) الاغانى ٧١/١٤ وتفسير الطبرى ٤٥/٣٠

(٢) تفسير القرطبي ٢٢٢/١٩

(٣) ديوان الفرزدق وانظر وفيات الاعيان ٨٩/٦

الطبري: ان قيسا جاء الى النبي (ص) وأخبره أنه وأد ثمانى بنات في الجاهلية ، قال : فاعتق عن كل واحدة بدنة (٢) .

وفي خبر مرفوع الى قتادة انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انى وأدت ثمان بنات كن لى في الجاهلية . فقال : فاعتق عن كل واحدة منهن رقبة . قال : يارسول الله انى صاحب ابل ، قال : فاهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت (٣) .

ويروى ابن كثير ثلاث روايات: لا تعدد الاولى عدد البنات الثلاث وأدهن في الجاهلية . وتعدد الثانية العدد : بثمان ، وتذكر الثالثة : انه وأد اثنتى عشرة أو ثلاث عشرة (٤) .

ولقيس بن عاصم موقف من الخمر في الجاهلية قبل أن يحرمها الاسلام ، فقد عده رواية الاخبار انه ممن حرموا الخمر في

ولا أدري كيف يستوى هذا المطلق ، فاذا اشترى صمصمة بنت قيس بن عاصم بالمال ومنع وأدها ، هل يمنع هذا العار من أن يلحق بقيس لو ارتكبت عملا مثينا ؟ ذلك سبب لا يقبله منطق العقل ، كما أن قيسا لا يفعل أن يبيحها بسبب الاملاق . يبقى احتمال من احتمالات كثيرة . سيكون فخر الفرزدق والخبر المتصل به من صنع الرواة ؟ .

وقد شغلت قضية الواد بال قيس بن عاصم عندما دخل في الاسلام ، فتعددت الروايات التي تجمع على ان قيسا كان يفد على النبي (ص) .

ففى خبر وأده لابنته بعد ان كبرت : أن الرسول (ص) دمت عيناه ثم قال « ان هذه لقسوة ، وان من لا يرحم لا يرحم » (١) وهذا ما شغل بال قيس وأهمه . وفي خبر مرفوع الى قتادة رواه

(١) الاغانى ٧٠/١٤

(٢) تفسير الطبري ٤٦/٣٠ .

(٣) تفسير القرطبي ٢٢٣/١٩

(٤) تفسير ابن كثير ٤٧٨/٤

إذا دارت حميهاها تلت
طوالع تسمه الرجل الحليما (٢)
وفي رواية أخرى عن عاصم بن
الحدثان أن الزبرقان قال : أنها
كانت أخته ، وقد أرادها على
نفسها . ويضيف الخبر أنه أول
عربي حرّمها على نفسه في
الجاهلية (٣) .

وتحريم قيس للخمر مخزرة
يضيفها قيس الى سجله الحافل
بالمحامد والمكرّمات ، علها تكفر عن
فعلته بالبنات اللاتي كن يولدن له .
تلك كانت جاهلية قيس ، فكيف
نرى قيسا في الاسلام ؟ ومتى بدأت
صلته بهذا الدين الجديد ، وهل
حسن اسلامه ؟ وما مدى تفاعله مع
قيم هذا الدين ومثله ؟ .

تعود صلة قيس وقومه بالاسلام
الى ما بعد فتح مكة (٤) ، فقد بحث
النبي (ص) بشر بن سفيان على
صدقات بني كعب بن خزاعة ، فجاء

الجاهلية ، وذكروا منهم نفرا
منهم : قيس بن عاصم ، وعامر
ابن الظرب العدواني ، وصفوان
ابن أمية ، وعفيف بن معد يكرب
النكدي ، والعباس بن مرداس
السلمي ، وورقة بن نوفل
والوليد بن المغيرة ، وزيد بن عمر
ابن نفيل ، وأبو ذر الغفاري
وقس بن ساعدة ، وعبيد
ابن الأبرص ، وزهير بن أبي
سلمى ، والنايلة الذبياني
والنايلة الجمدي ، وحاتم الطائي
وغيرهم (١) .

ويرجع سبب تحريم قيس لها أنه
سـكـر ليلة ، غفغ غفغ عكته ابنته
فهربت منه . فلما صحا منها ، سئل
عما صنع البارحة فلم يعرف
فأخبروه بصنعه ، فحرّمها على
نفسه ، وقال في ذلك شعرا منه :

فلا والله أشربها حياتي
ولا أدعو لها أبدا نديما

(١) انظر المعبر لابن حبيب ٢٣٧ . أمالي للقاضي ٢٠٤/١ ، نهاية الأرب
للفنوبري ٨٨/٤ ، بلوغ الأرب للأكوسي .

(٢) الأغاني ٨٤/١٤

(٣) المصدر السابق ٨٥/١٤

(٤) المعارف لابن قتيبة ٣٠٢

ولكن الخبر لم يحدثنا لماذا تنبيه
الرسول الكريم الى قيس دون بقية
الوفد وقال عنه انه سيد اهل الوبر،
هل فعل ذلك لانه احسن القول ؟
أم لان الرسول (ص) كان على علم
بمآثر قيس ؟ أم انه توسم فيه
اخير لهذا الدين ؟

ويبدو ان قيساً قد التقى
بالرسول أكثر من لقاء ، يدل على
ذلك حواراه معه بشأن وأد من البنات
وقد سبق ذكره ، وفي خبر آخر
مرغوع الى قيس بن عاصم عن
سفيان الثوري انه أمر من النبي
(ص) ان يفتسل بماء وسدر (٢) .
ومن الاخبار أيضا ما رواه صاحب
الاغاني ان قيساً دخل على
الرسول (ص) وفي حجره بعض
بناته يشمها ، فقال له : ما هذه
السطة تشمها ؟ فقال : هذه ابنتي .
فقال : والله لقد ولد لي بنون
ووأدت بنات ما شممت منهن انثى
ولا ذكرا قط . فقال الرسول
الكريم : فهل الا أن ينزع الله
الرحمة من قلبك (٣) .

وقد حل بنواحيهم بنو عمرو بن
جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ،
فجمعت حزاعة مواشيها للصدقة ،
فاسستكر ذلك بنو تميم وأبوا
وابتدروا القسي وشهروا السيوف ،
فقدم المصدق على النبي (ص)
فأخبره ، فقال : من هؤلاء القوم ؟
فاستدب لهم عيينة بن بدر الفزاري
فبعثه النبي (ص) في خمسين
فارسا ، فأغار عليهم فأخذ أحد عشر
رجلا واحدي عشرة امرأة وثلاثين
صبيا ، فجلبهم الى المدينة .

وعندها قدم وفد من رؤساء بني
تميم منهم : عمارد بن حاجب ،
والزبرقان بن بدر ، وقيس بن
عاصم ، وقيس بن الحارث ، ونعيم
ابن سعد ، والاقرع بن حابس ،
ورباح بن الحارث ، وعمرو بن
الاهتم . . ويذكر الخبر ان الرسول
(ص) قال في قيس بن عاصم : هذا
سيد اهل الوبر . ورد عليهم
الاسرى والسبي وأمر لهم بالحوائر
كما كان يجيز الوفود (١) .

(١) طبقات ابن سعد ٢٩٢/١ - ٢٩٤ .

(٢) الاغاني ٨٩/١٤ .

(٣) الاغاني ٧٠/١٤ .

« انما لك من مالك اكلت فأفقيت ،
أو لبست فأبليت أو تصدقت
فأبقيت » (١) •

وفي خبر آخر عن ابن جعدبة أن
النبي (ص) لما فتح مكة قدمت
عليه وفود العرب ، فكان فيمن قدم
عليه قيس بن عاصم وعمرو بن
الاهتم ابن عمه ، فلما صارا عند
النبي (ص) تسابا وتهاترا ، وحاول
عمرو بن الاهتم ان ينال من نسب
قيس وحسبه ، فيقال ان النبي (ص)
نهى عمرو بن الاهتم عن هذا القول
في قيس ، وقال : ان اسماعيل بن
ابراهيم صلى الله عليهما وسلم كان
احمر (٢) •

وفي حديث آخر عن جرير عن
المغيرة عن ابيه شعبة عن التؤم ان
قيسا سأل الرسول (ص) عن
الحلف فقال : « لا حلف في
الاسلام ، ولكن تعسكوا بحلف
الجاهلية » (٣) •

ويذكر رجل قيسا عند النبي (ص)

وفي خبر آخر عن ابن جعدية أن
قيس بن عاصم قال : أتيت الرسول
صلى الله عليه وسلم ، فرحب بي
وأدنانني فقلت : يا رسول الله ،
المال الذي لا يكون على فيه تبعة
ما ترى في امسـاكـه لضيـف ان
طرقني ، وعيـال ان كثـروا على ؟
فقال : نعم المال الاربـعون ، والاكثر
الستون ، وويل لاصحاب المثـين
— ثلاثا — الا لمن أعطى من رسلها
وأطرق فحلها ، وأفقر ظهرها ،
ومنح غزيرتها ، وأطعم القانع
والمعتر « فقلت : يا رسول الله ،
ما أكرم هذه الاخلاق ! انه لا يحل
بالوادي الذي أنا فيه من كثرتها •
قال : « فكيف تصنع في الاطراق ؟ »
قلت : يغدو الناس ، فمن شاء أن
ياخذ برأس بعير ذهب به ، قال :
« فكيف تصنع في الافقار ؟ »
فقلت : اني لا فقر الفـاب المـدبـرة
والضرع الصغيرة • قال : « فكيف
تصنع في المنيحة ؟ » قلت : اني
لا منع في السـنـة المائـة • قال :

(١) الاغانى ٧٧/١٤

(٢) الاغانى ٨٨/١٤

(٣) الاغانى ٩٠/١٤

فخلى سبيله (٣) •

وقبل مناقشة صحة هذه الرواية أو التطبيق عليها نورد خبرا آخر عن المدائني يفيد : بأن قيس بن عاصم كان على عهد الرسول (ص) قد ولى صدقات بنى مقاعس والبطون كلها ، وكان الزبرقان بن بدر قد ولى صدقات عوف والابناء • فلما توفي الرسول (ص) دس اليه الزبرقان من زين لقيس منع ما في يده من الصدقات وخدعه بذلك ، ففرق قيس الابل في قومه ، فانطلق الزبرقان الى ابي بكر بسبعمائة بعير فأداها اليه • فلما عرف قيس بالمكيدة قال : لو عاهد الزبرقان أمه لغير بها (٤) •

والذي نميل اليه أن قيسا وقع ضحية مكيدة من الزبرقان فتأخر عن دفع الصدقات لابي بكر ، وربما فرقها لملا في قومه ، كما نميل الى أن العصبيية القبلية ربما دفعت

وكانه توعدده فبرد النبي (ص) : « اذا تحول سبيلك دونه بكرأكرها » (١)

هذه الاخبار تشير الى انه وفد على الرسول (ص) كثيرا ، كما تدل على ان الرسول (ص) كان ييشي في وجهه ، ويرحب به ، كما تشير الى أن قيسا كن غنيا ولم يكن يخشى الاملاق •

وتحدثنا الروايات بأن قيسا ارتد بعد النبي (ص) عن الاسلام وآمن بسجاح التميمية وكان مؤذنها ، وقال في ذلك :

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها
وأصبحت انبياء الله ذكرا (٢)
ويضيف صاحب الاغانى أن خالد ابن الوليد غزا اليمامة لقتال سجاح ومسيلة الكذاب زوجها وأخذ قيسا أسيرا ، وأن قيسا ادعى عند خالد انه جاء يطلب ابنا له اخذه مسيلة ، فأحلفه خالد فحلف ،

(١) الاغانى ٩٠/١٤ •

(٢) الاغانى ٨٨/١٤ ، وهذا البيت وابيات اخرى ذكرت في ثمار القلوب للثعالبي ٣١٥ ، والمعارف لابن قتيبة ٤٠٥

(٣) الاغانى ٨٨/١٤ •

(٤) الاغانى ٧٦/١٤ •

« المحبر » بخبر آخر يعد فيه قيس ابن عاصم من الجرارين (٣) ، والجرار هو القائد الذي يقود ألف رجل . وبدهى ان القائد الجرار الذي يقود ألف رجل محارب في الجاهلية يعنى أنه فارس شجاع اذا ما اعتبرنا عدد الجيوش المقاتلة في تلك الايام .

ونقلب في المصادر التي أوردت أخبار تلك الايام والغارات في الجاهلية فنرى أن قيسا كان قائدا وفارسا مبرزا في الايام التالية : يوم جدود ، ويوم ثيثل أو النجاج ، ويوم الكلاب الثاني ، وقتاله عبد القيس .

أما يوم جدود فقد كان من حديثه أن الحارث بن شريك جمع بنى شيبان وبنى ذهل واللاهزم أغار على بنى مقاعس واخوتهم بنى ربيع فلم يجيبوهم ، فاستصرخوا بنى منقر ، فركبوا حتى لحقوا بالحارث ابن شريك ويكر بن وائل وهم قاتلون في يوم شديد الحر .. وكانت نتيجة

قيسا الى تأييد سجاح النميمية . وبخاصة أن العسرب بعامة — الا الفزر اليسير — قد ارتدوا بعد وفاة النبي (ص) من هذا المنطلق . ولكن الذي نميل اليه ان قيسا زعزعت ثقته بسجاح عندما تزوجت من مسيلمة ، ولهذا نسبت اليه بعض المصادر هذه الأبيات :

يا لعنة الله والاقوام كلهم
على سجاح ومن بالافك أغرانا
أعنى مسيلمة الكذاب لا سقيت
أصداؤه ماء مزن حيثما كنا (١)
وربما كان قيس عندما أسره خالد ابن الوليد قد تراجع عن رده قبل ان يأسره خالد ، وأن يمينه كانت صادقة .

واذا انتقلنا بعد هذا الى جانب هام من جوانب شخصيته وأهم مقوماتها ، ونعنى به قيس بن عاصم الفارسي نجد أن أول ما يطالعنا خبر في الأغاني يصفه فيه بأنه فارس شجاع كثير الغارات ، مظفر في غزواته (٢) . ويطلعنا صاحب

(١) ثمار القلوب للثعالبي ٣١٥ ، المعارف لابن قتيبة ٤٠٥ .

(٢) الاعاني ٦٩/١٤ .

(٣) المحبر — لابن حبيب ٢٤٦ .

أبنيه علي بن قيس بن عاصم :
 أنا ابن الذي شق المزداد وقد رأى
 بثيتل أحياء اللهازم حضرا
 فصحبهم بالجيش قيس بن عاصم
 وكان إذا ما أورد الأمر أصدر (٢)
 وفي يوم الكلاب الثاني ، وكان
 تاريخه بعد يوم الصفقة حيث أوقع
 كسرى بتميم ، اجتمعت تميم الى
 سبعة منهم وشاوروهم في أمرهم .
 وكان من بينهم قيس بن عاصم ،
 وقال كل رجل منهم ما رأى ،
 ووافقوا على رأى النعمان بن
 الحساس ، حيث أشار عليهم
 بالبحث عن ماء يجمعهم ولا يعلم
 الناس بأى ماء هم حتى يقوى
 ظهرهم ، وتصلح أحوالهم ، واقترح
 عليهم ماء قعدة . وعلمت اليمن
 بضمف أمرهم بعد أن بطش بهم
 كسرى ، فتنادت واحلافها من
 قضاة ، وخرج الجميع لغزو تميم ،
 ففزع تميم الى الكثم ليثير عليها
 ان تنزل حنظلة بالدهناء ، وسعد
 والرباب بالكلاب ، وأى الطريقين
 اخذ القوم كفى احدهما صاحبه ،

المعركة ان هزم الحارث وبكر ،
 وقصد قيس بن عاصم الحوفزان ،
 ولم يكن له همة غيره ، والحارث على
 فرس له قارح مدعى الزيد ، وقيس
 على مهرزه ، فخاف قيس ان يسبقه
 الحارث ، فخفزه بالرمح في امته ،
 فتحفز به الفرس فنجأ ، فسمى
 الحوفزان ، وأطلق قيس أموال بنى
 مقاعس وبنى ربيع وسباياهم وأخذ
 أموال بكر بن وائل واسراهم ،
 وانتفضت طعنة قيس على
 الحوفزان بعد سنة فمات (١) .

وفي يوم النجاج وثيتل ، أغار
 قيس بن عاصم على اللهازم ، فقتلهم
 بنو كعب بن سعد بالنجاج وثيتل ،
 فتهخوف ان يكره أصحابه لقاء بكر بن
 وائل ، فقام ليلا فشق مزادهم ،
 لئلا يجدوا بدا من لقاء العدو ،
 فلما فعل ذلك أذعنوا وصبروا
 للقائهم ، فأغار عليهم ، فكان أشهر
 يوم يوم شيتل لبنى سعد ، وظفر
 قيس بما شاء ، وملا يديه من
 أموالهم وغنائمهم . وفي ذلك يقول

(١) الاغانى ٧٩/١٤

(٢) الاغانى ٨١/١٤

وقبل القوم مشورته • واقتل القوم وقتل النعمان بن الحبحاس آخر النهار ، ولما أمسبحوا تولى قيس بن عاصم امرأة تميم ، وحملوا على أهل اليمن حملة صادقة ، فانهزموا ، وقيس ينادى : يا لتمييم ! لا تقتلوا الا فارسا ، فان الرجالة لكم (١) •

ومن غارات قيس بن عاصم ، تلك الغارة على عبد القيس ، وقد كان بنو سعد برئاسة سنان بن خالد ، وكان بنو عبد القيس بأرض البحرين ، فأصاب بنو سعد ما أرادت ، وقد أبلى بنو سعد بلاء حسنا ، واحتالت عبد القيس في أن يفعل ببني تميم كما فعل بهم بالمشقر يوم أغلق عليهم بابهم فامتنعوا • ويبدو أن هذا اليوم ، بين عبد القيس وبني سعد كان هو يوم جؤاشي ، لأن سوار بن حيان

المنقري يقول مفتخرا :
فيالك من أيام صدق أعدها
كيوم جؤاشي والنباج وشيتلا (٢)
ومن أخبار الايام ما نجده في خبر يوم الستار ، وهو يوم بين بكر وتميم ، وفي هذا اليوم قتل قيس بن عاصم ، كما قتل فيه أيضا قتادة بن سلمة الحنفي فارس بكر (٣) •

هذا ما استفتنا به المصادر التي عنيت بأخبار الايام ، ومن المؤكد أن أياما أخرى قد ضلت طريقها اليينا ، لان لا يبي عبدة كتابين في الايام ، كتاب الايام الكبير ، وكتاب الايام الصغير • وقد ذكر أبو عبدة ألفا ومائتي يوم في الكتاب الاول ، وأورد في الثاني خبر خمسة وسبعين يوما (٤) • كما ألف صاحب الاغانى كتابا في الايام جمع فيه ألفا وسبعمئة يوم (٥) • ولكننا بالرغم من كل هذا لا نمثر

(١) أنظر خبر هذا اليوم مفصلا في مصادرہ : شرح النقائض ١٢٧/١ ، الاغانى والعقد الفريد ٣٥٤/٢ ، الكامل في التاريخ لابن الاثير ، خزائن الادب ٣٧٠/١ •

(٢) الاغانى ٨١/١٤ •

(٣) مجمع الامثال للميداني ٢٩٦/٢

(٤) كشف الظنون لصاحي خليفة ٤٩٩/١

(٥) كشف الظنون ٤٩٩/١

الخمير التي حرمها على نفسه في الجاهلية . فلى خبر عن أبي حاتم أن قيسا شرب ليلة حتى سكر، وكان يجاوره دارى تاجر ، فربط الدارى وأخذ ماله، وشرب من شرابه فازداد سكرًا ، وجعل يتناول ويشاور النجوم من السكر ليبلغها وليتناول القمر فقال :

وتاجر فاجر جاء الاله به
كان عثونه أذئاب أجمال
فلما أصبح أخبر بما كان منه ،
فألى الا يدخل الخمير بين أضلاعه
أبدا (٢) .

وفي رواية أخرى عن عاصم بن الحذثان وهشام بن الكلبي عن أشياخهما أنه حرم الخمير لسبب آخر ذكرناه سابقا وأنشد في ذلك :
وجدت الخمير جامحة وفيها
خصال تفضح الرجل الكريم
فلا والله أشربها حياتي
ولا أدعو لها أبدا نديما
ولا أعطي بها ثمنًا حياتي
ولا أشفي بها أبدا سسقيما

على أخبار ما يقارب ثلاثمائة يوم أو يزيد قليلا (١) . وبعبارة أخرى أن ما وصلنا إليه يعادل خمس الايام التي دونها العلماء الرواة .

ونتابع الرحلة مع سيد أهل الوبر لنبحث في جانب آخر من جوانب شخصيته ، ونعنى قيسا المساعر، فقد أسمعنا المصادر بمقطوعات من شعره ، ولم نتح لنا المصادر أن نظفر بقصيدة واحدة له يزيد عدد أبياتها على العشرة . وقد كان هذا من أبرز الدوافع عندي لالتقاء الفصل الخاص بقيس ، إذ لا ديوان شمس له بين أيدينا ، وليست بين أيدينا قصائد مطولة له ، كما أن عدد أبيات المقطوعات التي ظفرنا بها لا تربو على خمسين بيتا موزعة على احدى عشرة مقطوعة . وسنحاول في عجالة أن نعرض لنماذج من شعره لنتبين الموضوعات التي طرقها ، ولنتبين صلتها بجوانب شخصيته .

وأول ما نطالعه هنا حديثه عن

(١) احصائيات مطمعة يبحثي المشار اليه آنفا

(٢) الاغانى ٧٦/١٤ ، ٨٥

يكون عبيد القوم في السر والجهر
ويبشرونهم في كل أمر ينوبهم
ويعصمهم ما نابهم حادث الدهر
فيا شارب الصبأ دعها لأهلها
الغواة وسلم للجسيم من الأمر
فأنك لا تحدرى إذا ما شربتها
وأكثرت منها ما تريش وما تبرى (٢)

ونستخلص من هذه الأبيات
القليلة الأسباب التي حملته على
الامتناع عن شربها ومهادته الله
على ذلك ، ومن ذلك أنها تزرى
بصاحبها ولو كان ذا عقل ومحمدة
يفخر بها ، ومنها أنها لم تزل
بصاحبها حتى تجعله ينغمس
في الرذيلة ويتمادي في الغدر ،
ومنها أنها تجعل شاربها حديث
القوم وتضرب به الأمثال في السفه
والغدر بعد أن كان سيد القوم
في السر والعلن ، وبعد أن كان
صاحب المباحرة في كل أمر ينزل بهم ،
وكان يعصمهم ويحميهم من نوائب
الدهر . ونراه في البيتين
الآخرين لا يقصر التحريم على

فإن الخمر تفضح شاربها
وتجشمهم بها أمرا عظيما
إذا دارت حمياها تعلت
طوالع تسفه الرجل الحليما (١)
ونلاحظ في الأبيات السابقة أن
تحريمها على نفسه جاء نتيجة
تجربة مريرة عاشها قيس ، قد تكون
محاولة مع ابنته أو أخته ، ودليل
هذا قوله في البيتين الرابع
والخامس ، كما نلاحظ ربط ذلك بما
تحدثه للرجل الحليم . وهذه
الإشارة ربما تعود إلى تصرفه
أيضا مع تاجر الخمر نفسه وربطه
إلى دوحه في داره ، ولطمه أخته
وخمش وجهها ، وهذه تصرفات
تسفه الرجل الحليم .

ولقيس مقطوعة أخرى رويت
عنه تتصل بالخمر ، يقول فيها :
فوالله لا أحسود الدهر خمرة
ولا شربة تزرى بذى اللب والفخر
فكيف أذوق الخمر والخمر لم تزل
بصاحبها حتى تكسح في الغدر
وصارت به الأمثال تضرب بعد ما

(١) الأغاني ٨٤/١٤ .

(٢) الأغاني ٨٥/١٤ .

أبى المرء قيس أن يذوق طعامه
بغير أكيل لأنه لكريم
فبوركت حيا يا أبا الجود والندى
وبوركت ميتا قد حوتك رجوم (١)
بورك قيس بن عاصم ، فقد كان
يخشى ملامات الاحاديث من بعده ،
وقد كان يرغب أن ينفرد بالزاد
وهو يأبى إلا أن يكون عبدا لضيفه
الذى هدده بالطارق أو بالجار ،
وكلاهما له عليه حق في زاده

ونرى قيسا حينما خدعته
الزبرقان وزين إليه أن يفرق كل
منهما الصدقات في قومه ، وفعلها
قيس ، وذهب الزبرقان بما لديه من
الصدقات الى أبى بكر ، نراه يقول
محددا سبب فعلته تلك ومعلنا ذلك
ليصل الى قريش :

إلا أبلغا عنى قريشا وسسالة
إذا ما أنتهم مهديات الودائع
حبوت بما صدقت في العام منقرا
وأيأست منها كل أطلس طامع (٢)
ويتبين من البيت الثاني أنه خاف
بعد موت النبي (ص) أن تقع

نفسه بل تراه يوجه حديثه الى كل
شارب لها ناصحا له بأن يتركها
للخوفا الضالين السبادرين في
الضلالة . وأن يتفرغ للأمور الهامة
التي تهتم قومه وتهمة ، ويحل ذلك
بأن الذى يشربها ويكثر لا يدري
ماذا يفعل ولا يستطيع أن يميز بين
الضار والنافع .

ومما أثر عن قيس بن عاصم
كرمه وإطعامه زاده الآخرين أن
زوجه أتته في الليلة الثانية من بنائه
بها بطعام فقال : أين أكيلى ؟ فلم
تفهم قصده ، فأنشأ يقول :

يا ابنة عبد الله وابنة مالك
ويا بنت ذى البردين والفرس الورد
إذا ما صنعت الزاد فالتمسى له
أكيلا فأنى لست أكله وحدى
أبا طارقا أو جارا بيت فانى
أخاف ملامات الاحاديث من بعدى
وانى لعبد الضيف من غير ذللة
وما بى إلا تلك من شيم العبد
فأرسلت جارية لها مليحة فطلبت
له أكيلا ، وأجابته :

(١) الاغانى ٧١/٤ - ٧٢

(٢) الاغانى ٧٥/١٤

لنكوصها على نصرة اخوتها ، انى
الفخر بقومه فيقول :

عصمنا تميما في الحروب فأصبحت
معادتها تحيى سواك وحيرها
وهرت بنو يربوع اذ هشها الوغى
ميرير كلاب أوجعتها أيورها
ثم يذكر يومين آخرين لقومه

وهما جواثى والنباج فيقول :

ويوم جواثى والنباج وثيتل
منعنا ربيما ان تباح ثغورها
وغزكم من رهطكم كل مربيـم
جواثى جهنم يمد نحيرها
تساقط اطلاق الحمى في نحوركم
بصحن العراق فاستبنتم نحورها (١)
ويرتجز قيس في يوم الكلاب الثانى:
لمسا تولوا عصمنا شوازبا
أقسمت لا أظعن الا راكبا
انى وجدت الطعن فيهم صائبا (٢)
ويجيب راجز مذحج قائلا :

عما قليل تلتصق أربابـه
مثل النجوم هرا سحابه
ليمنعن للنعم اغتمسـابـه
سعد وفرسان الوغى أربابه (٣)

هذه الصدقات في يد لص خبيث
طامع ، والاولى أن يقسمها في قومه ،
وربما كان عذره في ذلك أنه لم يكن
قد تمثل الاسلام بعد ، وأن موت
النبي (ص) لا يغني أن عقد الامور
قد حل وعادت الامور الى سابق
عهدا في الجاهلية .

أما قيس الفارس الشاعر فلم
نعثر له الا على مقطوعات ثلاث ،
الاولى قلها في يوم جدود ، وفيها
يقول :

جزى الله يربوعا بأسوا سمحيا
اذا ذكرت في النائبات أمورها
ويوم جدود قد فضحتم اباكم
وسالتم والخيـل تدمى نحورها
فأصبحتهم والله يغلـ ذاكم
كمهنثوة جرباء أبرز كورها
كمعوودة لم يبق الا زفيرها
وأصبحت وغلا في تميم وأصبحت
عظاما مساعيا سواك ودورها
أفخرا على المولى اذا مسا بخلنتم
ولوها اذا ما الحرب شـب سـميرها
وينتقل بعد هذا اللوم ليربوع

(١) شرح النقاظ لابی عبیده ٤٦/١ ، ٣٢٨ ، الأغاني ٨١/١٤ .
العقد الفريد ٢٠٠/٥ ، الكامل لابن الاثير ٦١١/١
(٢) شرح النقاظ ١٥٢/١
(٣) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٦٢٤/١

والبنى ، هما بنى قوم قط الا قلوا
وذلوا .

وقد امثل بنوه لما أو أوصاهم
فكان بعضهم يلطمه قومه أو غيرهم
فينهى اخوته عن أن ينصروه (٣) .
وأوصاهم بحفظ المال ، وقد حمل
عليه وعلى قومه من أجل ذلك لانه
يناقض الكرم ولا يلتقى معه . وربما
كانت وصيته الا ينفقوا المال الا فى
اهداف نبيلة ، وأن يتجنبوا اتلافه
فى اللهو وغيره مما لا ينفع ، ومما
يؤكد هذا الاتجاه ما سـيرد فى
وصيته الاخيرة .

ويروى ابن عدى أن قيسا جمع
ولده حين حضرته الوفاة وأوصاهم
بما يلى : يا بنى اذا مت فسودوا
كباركم ، ولا تسودوا صغاركم
فيسفه الناس كباركم . وعليكم
باصلاح المال فانه منبهة
للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ،
واذا مت فادفنونى فى ثيابى التى
كنت أصلى فيها وأصوم . واياكم
والمسألة فانها آخر مكاسب العبد ،

وفى الأغاني أن مهاترة نشبتين
قيس وابن عمه عمرو بن الاهتم عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم
حينما قدما عليه بعد فتح مكة ،
وقال قيس يرد على ابن عمه
ويفتخر :

لولا دفاعى عنكم كنتم أعبدا
مسكنها الحيرة فإلسـيلحون
جاءت بكم غفرة من أرضها
حيرة ليست كما تزعمون
فى ظاهر الكف وفى بطنها
وسم من الداء الذى تكتمون (١)
ويبدو أن العمر قد امتد بقيس ،
فقد عاصر أبا بكر ، لأن صاحب
فتوح البلدان يذكر خبرا عن فتوح
السواد ، ذلك أن المثنى بن حارثه
الشيحاني كان يغير على السواد ،
فبلغ أبا بكر خبره ، فسأل عنه ،
فقال قيس بن عاصم لأبى بكر : هذا
رجل غير خامل الذكر ولا مجهول
النسب ، وأنتى عليه (٢) .
وأكسبته تلك السنوات حكمة
أودعها بنيه ، فكان يقول لهم : اياكم

(١) الأغاني ٨٨/١٤

(٢) فتوح البلدان - البلاذرى ٢٤٢

(٣) الأغاني ٧٧/١٤

بجديد مما عـرفنا من جوانب شخصيته المتفردة في الجاهلية :
الصدق في الفعل ، وتمام الفضل
يتمثل بالشجاعة والحلم إذا اقترن
به عفاف وكرم ، وحفظ مقام الكبير ،
والعطف واحترام حقوق الصغير
حتى يكبر . كل هذه الخصال عشنا
معا في مسيرة حياة قيس وضرينا
امثلة لكل منها .

ويرثى عبدة بن الطبيب قيسا ،
بعد أن كانت بينهما ملاحاة ، انتهت
بصداقة عندما جعل قيس دية كان
عبدة يسعى في طلبها وجمعها ، ومنذ
ذلك التاريخ أفلح عبدة عن ملاحاته .
يقول عبدة في رثائه :

عليك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمته ما شاء أن يترحمـا
تحية من أوليته منك نعمـة
إذا زار عن شحط بلادك سـلما
فما كان قيس هلكـه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تـهدما (٢)

دكتور عفيف عبد الرحمن

وان امرأ لم يسأل الا ترك مكسبه
.. ثم جمع ثمانين سهما فربطها
وتر ، ثم قال : اكسروها ، فلم
يستطيعوا ، ثم قال : فـرقـوا ،
فقال : اكسروها سهما سهما ،
فكسروها . فقال : هكذا انتم في
الاجتماع وفي الفرقة ، ثم أنشد :
انما المجد ما بنى والد الصدـق
ق وأحيا فعاله المولـود
وتمام الفضل الشجاعة والحـم
إذا زانه عفاف وجـود
كثلاثين من قـداح إذا مـسا
شدها للزمان قدح شـديد
لم تكسر وان تفرقت الـاسـم
أودى بجمعـها التـبـديد
وذووا الحلم والاكابر أولـى
إن يرى منكم لهم تـسـويد
وعليكم حفظ الاصـاغـر حتى
يبليخ الحنث الاصفر المـجهـود (١)
ومات قيس بن عاصم بعد أن
انتهى من وصيته . هكذا يروى
صاحب الاغانى .

والوصية بنثرها وشعرها لم تأت

(١) الاغانى ٨٢/١٤

(٢) الاغانى ٨٢/١٤

باب الفَتَارِك

الاستاذ عبد الحميد شاذلي

سبيلا « (١) يكون حينئذ أى يوم القيامة ولكنه رضى الله عنه أورد رأيا آخر وهو أن يكون ذلك فى الدنيا • • كما فسر السبيل بالحجة • ولعل هذا الرأى الاخير هو الذى استند اليه الاستاذ سيد قطب - رحمه الله تعالى - فى تفسيره لهذه الآية حيث قال • « انه وعد من الله قاطع وحكم من الله جامع • انه متى استقرت حقيقة الايمان فى نفوس المؤمنين • وتمثلت عملا فى واقع حياتهم كما يجب أن تكون ، فلن يجمع الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ، ولن يغلب المؤمنون غلبة حقيقية ، ولن يهرموا الا هزيمة طاهرية ووقتية ، والنصر

س : ما معنى قول الله تبارك وتعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » ؟

وكيف نوفق بين ما تليده هذه الآية وما يبطل به المسلمون أحيانا من نكسات وهزائم تجعل لاعدائهم الكافرين السيطرة عليهم • والتحكم فى كثير من مقدراتهم ومصائرهم ؟ كما هو واقع المسلمين اليوم !
ج : تنأتى هذه الآية فى ثنايا استعراض سمات المنافقين ، وقبلها مباشرة قول الله تعالى : « الله يحكم بينكم يوم القيامة » ولهذا فقد قال الامام البيضاوى فى تفسيره : ان قوله تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين

لوجدنا شيئا من هذا نعرفه أولا نعرفه .. أما وعد الله فحق في كل حين .

نعم : ان المحنة قد تكون للابتلاء ، ولكن الابتلاء انما يجيء لحكمة في استكمال حقيقة الايمان .. وايقاظ كوامنه في الصدور ، فمتى اكتملت تلك الحقيقة ، ومتى انبعثت بالابتلاء قوية ، جاء النصر وتحقق وعد الله .

على أننى انما أعنى بالهزيمة معنى أشمل من مدلولها الظاهري ، انما أعنى بالهزيمة هزيمة الروح ، وكلال المزيمه ، فالهزيمة في معركة لا تكون هزيمة الا اذا تركت آثارها في النفس همودا وكلالا وقنوطا . فأما اذا بعثت الهممة ، وأذكت الشعلة ، فهي مقدمة للنصر ، ودافعة الى الاستعلاء .

ان غلبة الكفسار علينا لا تتم يوم يطلبوننا في معركة . ولكن يوم يطلبون ارواحنا ، فتراهم قوة لا تقهر ، ونراننا الى جانبهم ضعافا لا أمل لنا في الانتصار .

لهم مكتوب من عند الله لا يضيع . هذه حقيقة يقررها الله ، ووعد لا يتخلف لمن استقرت في نفسه حقيقة الايمان بالله . ولكننا قد نرى الظاهر يخالفها في بعض الاحيان ..

ويقرر رحمه الله في ثقة بوعد الله لا يخالفها شك .. أن الهزيمة لا تلحق المؤمنين ولم تلحقهم في تاريخهم كله الا وهناك شفرة في حقيقة الايمان : اما في الشهور واما في العمل وبقدر هذه الشفرة تكون الهزيمة الوقتية ، ثم يمود النصر للمؤمنين .

ففى « أحد » : كانت الشفرة في ترك الطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي الطمع في الخيعة ، وفي « حنين » : كانت الشفرة في الاعتزاز بالكرمة ، لا في الثقة المطلقة في عون الله : « ويوم حنين اذ عجبتمكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا » (١) .

ولو ذهبنا نتبع كل مرة تخلف فيها النصر عن المسلمين في تاريخهم

مع حقيقة الايمان وحقيقة الكفر في هذه الحياة .. ان الايمان صلة بالقوة الكبرى التي لا تضعف ولا تفنى ، وان الكفر انقطاع عن تلك القوة التي لا قوة سواها . فطبيعى الا يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ، لأن هذا لو كان — ولن يكون — فان معناه أن قوة ظاهرة محدودة فانية تملك أن تطلب قوة موصولة بمصدر القوة في هذا الكون جميعا .. وهو ما لم يكن ولن يكون أبدا .

غير انه يجب أن نفرق دائما بين حقيقة الايمان ومظهر الايمان . ان حقيقة الايمان قوة حقيقية ثابتة ، ذات أثر في النفس وفيما يصدر عنها من العمل ، وهى حقيقة كفيلة بأن تواجه حقيقة الكفر المنزلة المبتوتة المحدودة فتقهرها ، ولكن حين يتحول الايمان الى مظهر فان حقيقة الكفر قد تغلبه اذا هي صدقت وعملت في عالم الواقع ، لان حقيقة أى شئ أقوى من مظهر أى شئ في هذا الوجود .

ونحن اليوم مع خصومنا

وحين يقرر النص القرآنى الكريم أن الله لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا .

فانما يشير الى أن الروح المؤمنة هى التى تنتصر ، والفكرة المؤمنة هى التى تسود . وانما يدعو المسلمين الى أن يستكملوا حقيقة الايمان في نفوسهم شمورا ، وفي حياتهم عدة وعملا ، وألا يعتمدوا على مجرد أنهم مسلمون ، فالنصر ليس للعنوانات . انما هو للحقائق التى خلف العنوانات .

وليس بيننا وبين النصر فى أى زمان وفى أى مكان . الا أن نستكمل حقيقة الايمان ، ومن حقيقة الايمان ألا نركن الى أعدائنا . وألا نطلب العزة الا من الله . ولا يقولن أحد : نتقوى بهم حتى نتقوى ، فان هذه الفولة بذاتها هى الخطوة الأولى في طريق الهزيمة ، فالضعف لا يلد الا الضعف، والقوة لا تكون الا بالله الذى وعد ووعد الحق «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا» .

هذا الوعد يكفى بذاته لتقرير حقيقته وتحليلها ، وهو يتفق كذلك

لا تفرق بين موطن وموطن •

س : ما حكم وجود المرأة مع الرجل في دور التعليم ؟

ج : لا يجوز للمرأة أن تخلو بالرجل أو بالرجال ، حتى ولو كان ذلك للتعليم ، أما إذا كان هناك عدد من الرجال وعدد من النساء للتعليم مع المحافظة والستر وأمن الفتنة فهو جائز •

س : ما حكم عمل الموظف في البنوك التي تتعامل بالربا ؟

ج : الموظف الذي يعمل في بنك يتعامل بالربا ، أن كان عمله يتصل بعمليات الربا فليس له أن يعمل إذا وجد عملا آخر يقوم بمعيشته ، إذ أنه كما حرم تناول الربا حرم كتابته والشهادة عليه •

وان لم يجد عملا آخر فهو محتاج ، له أن يعمل حتى يجد المخرج من ذلك •

والله اعلم

عبد الحميد شاهين

وأعدائنا نمثل مظهر الايمان يواجه حقيقة الكفر ، لهذا هم يغلبوننا •
انهم يكفرون بالله ويؤمنون بالمادة والمادة ولو أنها صغيرة فهم يواجهوننا بحقيقة الايمان بشيء ما — ولو كان هذا الشيء صغيرا — ونحن نواجههم بغير ايمان •
لا بحقيقة كبرى ولا بحقيقة صغيرة صغرى !!

فأما يوم أن نحقق في نفوسنا وفي واقعنا حقيقة الايمان بالله ذى الجلال فلن يغلبونا أبدا « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » اهـ (١) •

وقد أجابت لجنة الفتوى بالازهر على الاسئلة التالية فيما يأتى :
س : ما حكم حجاب المرأة المسلمة الأوروبية وهل يختلف الحجاب بالنسبة لها ؟

ج : المرأة المسلمة يجب عليها أن تستر جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين وذلك عند أمن الفتنة أي كانت اقامتها — في بلاد اسلامية أو أوروبية أو غيرها فأوامر الدين

حِكْمٌ .. و طُرَائِفٌ

اعزاز الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد السلام

« ذكروا الله »

قال تعالى : « الذين يذكرون
الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم »

وقال جل ثنائه : « والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات ، أعبد الله
لهم مغفرة وأجرا عظيما »

فالرجل المؤمن « هو الذي
يجلس بين الخلق يبيع ويشترى
ويختلط بالناس ولكنه لا يعمل عن
ذكر الله » فذكر الله في الغافلين
كالشجرة الخضراء في وسط
الهشيم »

وقيل لعابد أنك صائم ؟

قال : نعم صائم بذكره ، فإذا
ذكرته غيره أفطرت .

وقيل للجنيد عند موته : قل

لا اله الا الله ؟

قال : مانسيته فادكره ثم أشد :
حاضر في القلب يعمسره

لست أنساء فأذكسوه
فهو مولاي ومعتدى

ونصيني منه أوفسره

ومر إبراهيم بن آدم برجل
يتحدث بما لا يعنيه ، فوقف عليه .

وقال له : أكلامك هذا ترجو به
الثواب ؟

قال : لا .

قال : أفأمن عليه العقاب ؟

قال : لا .

قال : فما تصنع بكلام لا ترجو
عليه ثوابا ، وتخاف منه عقابا ؟

عليك بذكر الله تعالى .

« لأعمك »

كان لبعض الناسك شاة فراها
على ثلاث قوائم •

فقال : من فعل بها هذا ؟

قال غلامه : أنا •

قال له : ولم ؟

قال : لأعمك •

قال : لأعمن من حملك على هذا
أنت حر لوجه الله تعالى •

« أنتهزأ بي !! »

بينما النبي - صلى الله عليه
وسلم - في الطواف إذ سمع
أعرابيا يقول :

يا كريم •

فقال النبي خلفه « يا كريم »
فالتفت الأعرابي إلى النبي •

وقال : يا صبيح الوجه ، يارشيح
القد ، أنتهزأ بي لكوني أعرابيا ؟

والله لولا سباحة وجهك ،
ورشاقة قدك ، لشسكتك إلى
حبيبي محمد - صلى الله عليه
وسلم - •

فتبسم النبي ، وقال : « أما
تعرف نبيك يا أبا العرب » ؟
قال الأعرابي : لا •

فقال النبي : « فما إيمانك به » ؟

قال : آمنت بنبوته ولم أره ،
وصدقت برسالته ولم ألقه •

فقال النبي : « يا أعرابي أعلم
أني نبيك في الدنيا وثفيك في
الآخرة » •

فأقبل الأعرابي يقبل يد النبي •

فقال النبي : « مه يا أبا
العرب ، لا تفعل بي كما تفعل
الاعاجم بطوكها ، فإن الله سبحانه
وتعالى بعثنى لا متكبرا ، ولا
متجبرا ، بل بعثنى بالحق بشيرا
ونذيرا » •

« هكذا زهد .. كلا بنا »

قال إبراهيم بن أدهم :
ما غلبني غير فتى من سمرقند
لقيته في موسم الحج فقال : « أنت
إبراهيم بن أدهم » ؟ قلت : نعم ،
قال : « ما حد الزهد عندكم » ؟
قال : « نحن إذا حرمنا صبرنا ،
وإذا أعطينا شكرنا » •

طاعة ، وكما يتعلق الثواب والعقاب والمدح والذم بإخراج الدرهم فكذلك يتعلق باكتسابه ، وسيسأل عنه من أين اكتسبه ؟ ونعيم أنفقه ؟

« دعنى لمن خلقتنى »

دخل أحد الصحابة مسجدا يصلى ، فاستوقف نظره طفل لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره ، قائم يصلى بكل خشوع ، ويركع ويسجد فى هدوء واطمئنان ، فلما فرغ الصبى من الصلاة ، تقدم منه الصحابى وسأله : ابن من أنت يا هذا ؟

فرد عليه الصبى ، وقال: انى يقيم مقدت أبى وأمى •

قال الصحابى : أترضى أن تكون لى ولدا ؟

فقال الصبى : هل تطعننى اذا جئت ؟

قال الصحابى : نعم •

فقال الصبى : وهل تسقينى اذا عطشت ؟

قال الفتى : « هكذا تفعل كلاب سمرقند عندنا » !

قال إبراهيم : فما حد الزهد عندكم ؟

قال : « أما نحن فاذا حرمننا شكرنا ، واذا أعطينا أثرتنا !! »

قال ابن آدم : ما غلبنى غير هذا الفتى من سمرقند •

« الدراهم أربعة »

الدراهم أربعة : درهم اكتسب بطاعة الله وأخرج فى حق الله فذاك خير الدراهم ، ودرهم اكتسب بمعصية الله وأخرج فى معصية الله فذاك شر الدراهم ودرهم اكتسب بأذى مسلم وأخرج فى أذى مسلم فهو كذلك ، ودرهم اكتسب بمباح وأنفق فى شهوة مباحة فذاك لاله ولا عليه هذه أصول الدراهم ويتفرع عليها دراهم أخرى : درهم اكتسب بباطل وأنفق فى حق فانفاقه كفارته ، ودرهم اكتسب من شبهة فكفارته أن ينفق فى

قال الصحابي : نعم •

فقال الصبي : وهل تكسوني
إذا عريت ؟

قال الصحابي : نعم •

فقال الصبي : وهل تحييني إذا
مت ؟

فدهش الصحابي ، وقال : هذا
ماليس اليه سبيل ، فأشاح الصغير
بوجهه ، وقال : فاتركني اذن للذي
خلقني ثم يرزقني ثم يميتني ثم
يحيين •

فانصرف الصحابي وهو يقول :
لعمري من توكل على الله كفاء •

« من وصايا الحكماء »

لقى رجل حكيما فقال : كيف
ترى الدهر ؟

قال : يخلق الأبدان ، ويجدد
الآمال ، ويقرب النية ، ويباعد
الأمنية •

قال : فما حال أهله ؟

قال : من ظفر به منهم ثعب ،
ومن فاته نصب •

قال : فما الغنى عنه ؟

قال : قطع الرجاء منه •

قال : فأى الأصحاب أبر
وأوفى ؟

قال : العمل الصالح والتقوى •

قال : أيهم أضر وأردى (١) ؟

قال : النفس والهوى •

قال فأين المخرج ؟

قال : سلوك المنهج •

قال : وما هو ؟

قال : بذل المجهود ، وترك
الراحة ، ومداومة الفكرة •

قال : أوصني ؟

قال : قد فعلت •

(١) الردى : الهلاك •

« مترك الأعرابي لنا عذرا »

قيل ان بعض وفود العرب
قدموا على أمير المؤمنين عمر
ابن عبد العزيز - رضى الله عنه -
وكان فيهم شاب ، فقام ، وقال :
يا أمير المؤمنين ، أصابتنا مسنون
عجاف ، سعة أذابت الشحم ،
وسنة أكلت اللحم ، وسنة دقت
العظم ، وفي أيديكم فضول أموال
فان كانت لنا فعلام تمنعونها
عنا ؟ وان كانت لله ففرقوها على
عباد الله ، وان كانت لكم فتصدقوا
بها علينا « ان الله يجزي
المتصدقين » .

فقال عمر بن عبد العزيز
- رضى الله عنه - : ما ترك
الأعرابي لنا عذر في واحدة .

« الانسلان بين أعدائه »

كيف يسلم من له زوجة لا ترحمه
وولد لا يعذره ، وجار لا يأمنه
وصاحب لا ينصحه ، وشريك
لا ينصفه ، وعدو لا ينصام عن
معاداته ، ونفس أمارة بالسوء ،
ودنيا متزينة ، وشهوة غالبة له
وغضب قاهر ، وشيطان مزين ،

وضمف مستول عليه ، فان تولاه
الله انتهرت له هذه كلها ، وان
تغلى عنه ووكله الى نفسه
اجتمعت عليه فكانت الهلكة .

« كم نعمة مطوية »

قال سميد بن حميد الكاتب :
لا تعتب على النوائب
فالدهر يرغم كل عاتب
واصبر على حدثانه
ان الأمور لها عواقب
كم نعمة مطوية
لك بين أثناء النوائب
ومرة قد أقبلت
من حيث تنتظر المصائب

« ثلاثة »

ثلاثة : ينهى أن يجلو وتعرف
أقدارهم : العلماء ، وولاة العدل ،
والاخوان .

فمن استخف بالعلماء أضاع
دينه .

ومن استخف بالأمرء أضاع
دنياء .

ومن استخف بالاخوان أضاع
مروته .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

كتاب الشهر

التوراة والإنجيل والقرآن والعالم

تأليف الكاتب الفرنسي، موريس بوكاي
ترجمة نخبة بيت الرقعة

عرض : للأستاذ السيد حسن قرون

موضوع هذا الكتاب كما يفهم من عنوانه دراسة نصوص الكتب المقدسة ، وهي التوراة والانجيل والقرآن وعرضها على معطيات العلم الحديثة والمقارنة بينها ، وتنبيه المؤمنين بها الى حقائق يجب معرفتها والسير في ضوئها ، وهي دراسة حديثة تنسم بالموضوعية ، والتخلي عن نزعات الهوى والرواسب النفسية التي تحول بين الانسان والرؤية الصائبة البصيرة . ويعلن المؤلف (مورييس بوكاي) في مدخل الكتاب وهو المقدمة مقصده من دراساته وما لاقاه في سبيل ذلك ، « فاعتبار المعطيات الموضوعية لتاريخ الديانات يضع العهد القديم والانجيل والقرآن في مستوى واحد كمجموعة من الوحي المكتوب ، بيد أن هذا الامر وأن كان مبدئيًا مقبولاً لدى المسلمين فهو لدى مؤمنى بلادنا الغربية المتأثرين باليهودية والمسيحية المسيطرة غير

مقبول ، بل يرفضون اعطاء القرآن سمة الكتاب الموحى به . » ذلك أن لليهودية كتابها المقدس (التوراة العبرية) ولا تعترف بأى وحي جاء بعد وحيها ، وللمسيحية أنجيلها الأربعة القانونيية ، ولا تعترف بأى وحي جاء بعد عيسى ورسله . أما الوحي القرآنى الذى نزل بعد ستة قرون من المسيح فقد احتفظ بالعديد من تعاليم التوراة والانجيل اللذين أكثر من ذكرهما ، بل فرض على كل مسلم الايمان بالكتب السابقة (سورة ٤ آية ١٣٦) كما عني بالرسل السابقين مثل نوح وابراهيم وموسى . وعيسى الذى كان فيهم في مقام مرموق ، وقد أظهر القرآن ولادته كما كرم والدته مريم تكريماً خاصاً ، وأطلق اسمها على السورة رقم ١٩ يقصد سورة مريم .

ومن ثم فان مثقفى الغرب

بين الفاتيكان وجامعة الأزهر وكبار علماء الجزيرة العربية السعودية حيث تهيأت الفرصة لحوار بين المسلمين والمسيحيين عن « حقوق الإنسان الثقافية في العالم » وهذا التقارب في المستوى التخصصي لم يبلغه مستوى العامة في الشعوب الغربية لانشغالهم بدينامهم ولاكتفائهم بما وصل اليهم من الثقافة الدينية .

ربعد أن يفيض في هذا الشأن الذي حجب اليه ورغب فيه يتجه الى ما وضعه نصب عينيه من نقد النصوص المقدسة في الاديان الثلاثة واضعاً الاناجيل في مستوى الاحاديث ، لأنها دونت بعد موت محمد بعشرات السنين تماماً كما كتبت الاناجيل بعد موت عيسى بعشرات السنين ، وفي الحالين لم تكن الاحاديث والاناجيل سوى شهادات بشرية عن وقائع ماضية ، واذا كانت الاحاديث تناقش لمعرفة

— كما يقول المؤلف — يعنون بمقومات الاسلام الفلسفية والاجتماعية والسياسية ، ثم لا يتسألون كما هو الواجب عن ماهية الوحي المحمدي ، لأن قرونا متطاولة تباعد فيها العرب عن الاعتراف به (١) « لقد لمست ذلك عندما حاولت عقد حوار للمقابلة بين نصوص توراتية ونصوص قرآنية تتناول موضوعاً واحداً ، ولاحظت الرفض المبدئي لمجرد اعتبار مايتضمنه القرآن في الموضوع المطروح كما لو كان الاستشهاد بالقرآن بمثابة انتماء الى الشيطان » .

ولكنه يقول : الأمور تغيرت في أيامنا هذه ، والوثيقة التي صدرت عن أمانة الفاتيكان ووزعت لغير المسلمين ، وكانت ثالثة طبعتها بتاريخ ١٩٧٠ تشهد بعمق التغيير في المواقف الرسمية ، وتوالت نوعيات التقارب بين الغرب المسيحي والشرق الاسلامي ،

ريب الى عشرة آلاف سنة قبل الميلاد ، فلا يجوز اذن اعتبار النص التوراتى لسفر التكوين كما لو كان صحيحا • اذ يذكر السلالات البشرية والتواريخ التى تصدد بداية الانسان (خلق آدم) أنها ترجع الى سبعة وثلاثين قرنا قبل المسيح ، وبإمكان العلم أن يقوم فى المستقبل بتدقيقات فى التأقيت اعظم من التقديرات الحالية • ويبين جهده فى هذا الشأن فيقول : « بعد تدقيق النص العربى بامعان شديد قمت بجرده شاملة استبان لى منها أنه ليس فى القرآن تأكيد يمكن أن ينتقد من الوجهة العلمية فى هذا العصر الحديث » وأن التدقيق نفسه اتخذه بالنسبة للعهد القديم والاناجيل فاستبان له منه التناقضات مع المعارف الحديثة • « فكيف ندهش من ذلك ونحن نعلم أن الاسلام ينظر الى العلم والدين كتوأمين ، وأن تهذيب العلم كان جزءا من التوجيهات الدينية من البداية ، وأن تطبيق تلك القاعدة أدى الى التقدم العلمى المعجيب فى

أصالة هذا الحديث أو ذاك فان الكنيسة اعتبرت أربعة أناجيل فقط » رغم وجود التناقض فيما بينها ، والفارق الواضح هو غياب النص الموحى به عند المسيحيين واليهود ، بينما يملك الاسلام القرآن الذى يحقق هذا التعريف • ان القرآن هو نص الوحي المنزل الى محمد من سيد الملائكة جبريل •

ولهذا كانت مقابلة نصوص الكتب المقدسة بمعطيات العلم موضع تفكير الانسان ، لأن مقياس النص على العلم يعطى راحة الانسان نحو أصالة النص ، وأنه من الوحي لا من صنع البشر ، ومن هنا حدد المؤلف منهجه بالنسبة لمعطيات العلم فهو لا يعتمد منها الا ما ثبت ثبوتا لا يحتاج بعده الى كشف جديد ، واعتمد بصورة نهائية ، وبهذه القاعدة من منهجه ثبت خطأ التقويم العبرى المبنى على مبدأ ظهور الانسان على الارض منذ ٥٧٣٦ سنة كما شاء التقويم العبرى سنة ١٩٧٥ م لأننا اكتشفنا — كما يقول المؤلف — آثار أعمال انسانية ترجع دونها

فالكاتب مؤلف من تلك الأقسام
ومدخل في الأول وخاتمة .

وكنيت أود أن أعطي للقارىء
صورة موجزة عن المؤلف الكاتب
الفرنسى مورييس بوكاي : نشأته
ومسقط رأسه والعلوم التى درسها
ولكنى لا أمك المراجع التى
تؤهلنى لمثل هذا الامر الشائق ،
وكان ينبغى على النخبة التى
ترجمت كتابه أن تترجم حياته ،
والرجل مازال يزاوّل دراسته وهو
مستشرق يشترك مع رجال الفكر
والدين فى المؤتمرات واللقاءات
التي ترغب فى الحوار لتقارب
الغرب والشرق فى الديانات .

العهد القديم

أعلن بادىء ذى بدء فى صدر
حديثه عن العهد القديم متسائلا :
من هو مؤلف العهد القديم ؟ وكان
جوابه : كم من قارىء للعهد القديم
يلقى عليه هذا السؤال فلا يحير
جوابا الا مرددا ما قرأه فى مدخل
التوراة بأن مؤلف هذه الكتب
المقدسة كلها هو الله مع أن الذين
كتبوها هم بشر من الذين أوحى
الروح القدس اليهم . وبعد جولة

عصر الحضارة الاسلامية العظمى
التي استفاد منها الغرب قبل
نهضته « هكذا قال فى ختام
« مدخله » ومن المدخل تلحظ أنه
يجعل دراسته تنصب على الظواهر
الطبيعية والمعلومات التى تحتاج
الى تفسيرات ويمكن للعلم أن يصل
اليها ويفسرها ، فالعلم مثلا
لا يجد تفسيراً لكيفية تجلى الله
لموسى أو السر الذى يحيط بمولد
عيسى ومجيئه الى العالم من دون
أن يكون له أب طبيعى . ولا ينسى
أن يشير الى أن ثروة الوحي
القرآنى فى موضوع الظواهر
الطبيعية بالذات كثيرة ومطابقة
لمعطيات العلم الحديث . وحين
قرأت هذا الكتاب مرة ومرة بدا
لى أن أسير فى معطياته حسب
موضوعاته لا حسب تاريخ ،
الديانات ، فمثلا مسألة
(الخلق) اعالجها فى الاديان الثلاثة
مقارنا وموازننا ولكنى آثرت
مجاراة المؤلف فى أقسامه الثلاثة
وفصول كل منها ، فالقسم الاول
للتوراة والقسم الثانى للأناجيل
الأربعة والقسم الثالث للقرآن ،

المدرجات التوراتية المتباينة كانت بين مختلف الكنائس المسيحية سبب رفضها جميعها نفس الأسفار ، كما أنها حتى الآن ليس لها في اللغة الواحدة الأفكار الواحدة عن الترجمة ... وهكذا يبدو اسهام الانسان في نص العهد القديم عظيما » .

وحيث يتحدث عن « أصل التوراة » قبل أن تصبح مجموعة أسفار يقول عنها : انها كانت تقليدا شعبيا يرثى علويا من الذاكرة التي كانت في الاصل الوسيلة الوحيدة لتداول الافكار .. ويعلم أن العهد القديم مجموعة مؤلفات غير متساوية الطول ومختلفة النوع كتبت خلال أكثر من تسعة قرون في لغات عدة أخذت بالسماع ، ويفصل هذا الاجمال بذكر تاريخ الشعب الاسرائيلي ليبين عمل كل عصر في تلك المؤلفات التي هي أسفار العهد القديم ، ويجمل للانبيا قبل النفي الى بابل اسفارا ، والنفي حدث سنة ٥٨٥ قبل الميلاد ، وبعد النفي مشيرا الى ازدهار الكتابة في عهد المملكة الشمالية

تاريخية مع عمل الكنيسة نحو هذه الكتب من القرن الرابع الى العصر الحديث ينقل عن الاستاذ (آدموند جاكوب) كثرة النصوص للتوراة ، وأنه كانت هناك نحو القرن الثالث قبل المسيح ثلاثة أشكال لنص التوراة العبري على الاقل : منها نص الشارحين اليهود والذي استخدم على الاقل في جزء من الترجمة اليونانية ، والاسفار السامرية الخمسة ، لقد كان الاتجاه في القرن الاول قبل المسيح الى تثبيت نص مفرد ، ولكن كان لابد من الانتظار قرنا آخر بعد المسيح لكي يصبح نص التوراة محددا .. ولو كانت الاشكال الثلاثة باقية الامكن الوصول بالموارنة والمقارنة الى نص يصح أن ينسب الى الوحي . ويقول في هذا الصدد : « لقد أنجزت مجموعات متوازية متقاربة في لغات مختلفة تورد جنبا الى جنب النصوص العبرية ، واليونانية ، واللاتينية ، والسريانية ، والآرامية ، حتى العربية مثل تواراة (واتسون) الشهيرة ، ولتكمل المطاف نضيف أن

ولا من خلفه ، وعلى صدق دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن يعترفوا بالحق ، وصدق الله تبارك وتعالى اذ يقول « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون » البقرة ٧٩ .

والكاتب الفرنسى نفسه يقول : « ذهبت اليهودية والمسيحية عبر قرون طويلة الى أن مؤلفها هو موسى نفسه » ونحن — المسلمين — لا نقر بأن موسى هو مؤلف التوراة ولكننا نعتقد أن تغييرا ما حدث في آياتها . وبعد سباحة منه في تاريخ الشعب اليهودى والكتابات المتوالية بتولى العصور قام بوضع قائمة يبين فيها بالدراسة والموازنة ما يخص (النص اليهودى) (الله) والنص الكهنوتى من ١ الى ١١ من سفر التكوين ، ولسنا في حاجة الى ايرادها مكتفين بما سجله من تناقضات سنشير الى

والجنوبيه لهذا الشعب الذى « أنشد كثيرا وأجاد » ويخص أسفار موسى بالحديث (التوراة بالاسم السامى) وهى خمسة أسفار أو خمسة أجزاء : سفر التكوين وسفر الخروج وسفر الاخبار ، وسفر العدد ، وسفر التثنية ، وهى التى تشكل العناصر الخمسة الاولى من مجموعة التسعة والثلاثين كتابا من العهد القديم ، وقد مهد لهذا قبلا قائلا : « فقد اختلط الوحي بكل هذه الكتابات ولا نعرف اليوم الا ما تركه لنا منه الذين عالجوا نصوصه حسب هواهم وفقا للظروف التى وجدوا فيها ، والضرورات التى واجهوها » . ويطلق المترجمون على هذا القول : (١) بأن هذا الكلام من الأهمية بمكان ، وأن على الذين يقرمون هذه الكلمات التى يكتبها فرنسى في أواخر القرن العشرين أن يروا فيها شهادة مشاهدة على اعجاز القرآن ، وأنه كلام الله الذى لا يأتية الباطل من بين يديه

الرواية في اليوم السادس ولم تذكر السابغ السبت الذي استراح فيه الله — جل الله وتعالى عن ذلك — كما يقول المترجم • بل ولو كان هو الحال بالنسبة للرواية القرآنية، قد سمح بالاعتبار بأن المراد في الواقع فترات غير محدودة ، لا أيام بمعناها الحرفي ، فان ذلك كله لا ينقص من ضرورة رفض الرواية الكهنوتية ، لأن تتابع هذه الاحداث هو في تناقض صريح مع القيم العلمية الاولى » وواضح من سياق الرواية أن الاحبار يريدون أن يجعلوا من السبت يوما مقدسا للراحة موصولا بالله الخالق ولم تتعرض الرواية الثانية للتدقيق الذي سجلته الرواية الاولى (فصلت اليوم الاول خلق كذا واليوم الثاني خلق كذا الخ) ولم ينقد منها مفندا الا تلك الآية : « زرع الله بستانا في الوقت الذي خلق فيه الانسان » فقد نبه على الخطأ بقوله : وهكذا كان ظهور النبات في الوقت ذاته الذي ظهر فيه الانسان على الأرض ، وهذا ليس بصحيح علميا ، فقد ظهر

بعضها مما كتبه هو وسجله فهو يقول : ان في سفر التكوين تناقضات صريحة مع العلم المعاصر وهي في الموضوعات الآتية :

(أ) خلق العالم •

(ب) تاريخ خلق العالم وتاريخ

ظهور الانسان على الأرض •

(ج) رواية الطوفان •

وقد تناول هذه الموضوعات

بحييدة تامة كما هو منهجه ، ففي

« خلق العالم » قال : في سفر

التكوين روايتان مقاربتان :

الرواية الاولى فصلت عمل الاله

الذي تم عمله في ستة أيام

واستراح في اليوم السابع • رفض

المؤلف هذه الرواية لم ؟ يؤكد أنه

من الجلي أن الاستراحة التي

أخذها الله بعد عمل دام ستة أيام

هي أسطورة وهي كهنوتية من

الاحبار ، وغير مقبولة من وجهة

النظر العلمية ، « اننا نعلم تماما

في أيامنا أن تكوين العالم والأرض

قد أنجز في مراحل ممتدة في عهود

زمنية متطاولة جدا لا تسمح

المعطيات المعاصرة بتحديد مداها

حتى التقريبي •• بل ولو انتهت

ونصف من السنين ، وهكذا نقيس
 اذن الخط الذي يفصل الحقيقة
 المؤكدة اليوم عن المعطيات
 المستخلصة من العهد القديم ٥٥ «
 وقد عنى المؤلف بنسب ابراهيم
 حسب ما جاء في التوراة ، وبدأ
 بموت آدم سنة ٩٣٥ وانتهى بموت
 ابراهيم سنة ٢١٢٣ واستخلص من
 الانساب الواردة فيها أن مولد
 ابراهيم بعد آدم بـ ١٩٤٨ سنة ،
 وهذا يتدقيق في اثبات آباء ابراهيم
 الى آدم لا أصل له في المعتقد
 الاسلامي الا فيما يتعلق بحياة
 نوح ، فقد ثبت بالقرآن انه لبث
 في قومه ألف سنة الا خمسين عاما .
 والتوراة جعلت تاريخ ولادته ١٥٥٦
 بعد آدم ومدة حياته ٩٥٠ عاما
 وتاريخ وفاته بعد خلق آدم سنة
 ٢٥٥٦ ، لكن هذا التدقيق في
 السلالة وتقدير زمن كل أب لم نجده
 من ابراهيم الى العصر المسيحي
 كما كان قبل ابراهيم ، وبعد
 أن يفرض في الحديث عن نسخ
 التوراة ومعطياتها التاريخية

الانسان على الارض بعد وقت
 طويل جدا من حملها النباتات مع
 العلم بأننا لا نعرف كم من مئات
 الملايين من السنين كانت قد مضت
 بعد ظهور الحدين .

وينتقل المؤلف الى « تاريخ خلق
 العالم وتاريخ ظهور الانسان على
 الارض » فيرفض التقويم العبري
 الذي يفيد أن الانسان ظهر منذ
 ٥٧٣٦ في سنة ١٩٧٥ من خلق العالم
 — كما اشار الى ذلك في المحل —
 وبعد أن يفض النظر عن الفارق بين
 الحساب القمري والحساب الشمسي
 يقرر « أننا (١) نحدد وضع خلق
 العالم في هذا التقدير العبري بنحو
 سبعة وثلاثين قرنا تقريبا قبل
 المسيح . فمماذا يعلم العلم
 الحديث ؟ انه لمن الصعوبة بمكان
 الاجابة عما يتعلق بتكوين العالم ،
 وكل ما يمكننا تحديده هو عصر
 تكوين النظام الشمسي القابل بأن
 يوضع في الزمن بصورة تقريبية
 مقننة ، والمقدر أن الزمن الذي
 يفصلنا عنه هو أربعة مليارات

(١) من ٤٠ من الكتاب .

عناصر المصدر الآخر ممساة عن الحقيقة بالخطأ .. والرواية في مجملها : لما كن فساد الناس قد عم ، فقد عزم الله على افنائهم مع جميع الخلائى الاخرى فأحبر نوحا وأمره أن يصنع فلكا وأن يحمل فيه زوجته وأولاده الثلاثة مع زوجاتهم الثلاث وغيرهم من المخلوقات الحية الاخرى والمؤلف لا ينساق مع الرواية بل يرجع الى المصدرين ناقدًا ومعلقًا هكذا : المصدران يختلفان بالنسبة الى هذه الاخريات ، فبينما يشير في مقطع من الرواية (هو من أصل كهنوتى) أن نوحا قد أخذ معه زوجا من كل نوع يثبت في مقطع آخر (من أصل يهوى) أن الله أمره بأن يحمل معه من الحيوانات الطاهرة فقط سبعة من كل نوع ذكسرا وأنثى ، ومن الحيوانات النجسة زوجا واحدا .. وبعد قليل يثبت أن نوحا لم يدخل معه في الفلك الا زوجا واحدا من كل واحد من الحيوانات .. والاختصاصيون مثل (دوفو) يؤكدون بأن المعنى هو مقتطع من الرواية الكهنوتية

«الحاضمة للهوى» يعلن أنه لم يعد بالامكان عقليا في القرن العشرين تقدير الزمن استنادا لمثل هذا الوهم . ويقول ويمكن الاقتناع بأن الانسان وجد على الارض بكفايته الذهنية والعملية التى تميزه عن كائنات الحية المشابهة له بعد تاريخ يمكن تقديره ، ولكن أحدا لا يملك أن يحدد تاريخ ظهوره بدقة . ويمكن التأكيد بأنه وجدت في هذه الأيام آثار انسانية مفكرة فاعلة بحسب قدمها في وحدات زمنية وقوام كل منها عشرات الآلاف من السنين .. فهناك إذن تناقض واضح بين ما يمكن استنتاجه من المعطيات الرقمية من سفر التكوين فيما يتعلق بتساريج ظهور الانسان على الارض والمعارف العلمية الاكثر ثبوتا في هذا الزمان . ويتحدث عن « الطوفان » وينقل عن سفر التكوين روايتين ذكرتا في انفصول ٦ ، ٧ ، ٨ منه ، وينص على التناقض الذى أرجعه الى أنه ناتج من وجود مصدرين متمايزين : المصدر اليهوى ، والمصدر الكهنوتى وقد توالى عناصر كل مصدر مع

وخمسون يوما حسب الرواية الكهنوتية ، والرواية اليهودية لا تحدد الوقت الذي جرى فيه الحادث في حياة نوح ، ولكن الرواية الكهنوتية تذكر أنه وقع ، ولنوح من العمر مئتمائة سنة ، وهذه الرواية بالذات توحى ببعض الملاحظات على أقلمتها في أنسابها بالنسبة الى آدم وإبراهيم ، فلما كان نوح قد ولد حسب الحسابات المجراة في افادات سفر التكوين بعد ١٠٥٦ سنة من آدم فيكون الطوفان قد حدث بعد ١٦٥٦ سنة من خلق آدم . هذا ويذكر سفر التكوين أن الطوفان حصل قبل ٢٩٢ من ولادة إبراهيم وأن الطوفان أصاب النوع البشري وقضى على جميع الكائنات الحية ، ثم أعيد بناء الانسانية انحدارا من أبناء نوح الثلاثة وزوجاتهم بحيث انه لما ولد إبراهيم بعد ثلاثة قرون تقريبا كانت قد تكونت مجتمعات ، فكيف في هذا الزمن القليل يكون وجود تلك المجتمعات التي عاصرها

المحرقة ، ويعلق المترجم هنا قلثلا : انا كمسلمين نعتقد بما ورد في القرآن ولايزيد وهو قوله تعالى : « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول » وأضيف الى ذلك أن القرآن قد جعل الطوفان خاصا يقوم نوح ولم يجعله عاما كما أنه انفراد بذكر ابن نوح الضال ، وهذا يغنى عن ذكر الطوفان في الجزء الثالث وقد عالجه المؤلف بتوسيع واعجاب .

ولنساير المؤلف في عطائه الفكرى فهو يسوق لنا أن لفقرة (من أصل كهنوتى) تظهر أن سببه ماء المطر وينابيع الارض معا ، وقد غمرت المياه الارض كلها حتى أصابت ذرا الجبال ، وانعدمت فيها كل حياة ، وبعد أن غيض الماء خرج نوح بعد نسخة من فلكه التي استوت على جبل (أرارات) وأضاف أن الطوفان بحسب المصادر كان ذا مدة مختلفة هي أربعون يوما حسب الرواية اليهودية (١) ومائة

وقوع الحادث ، وسأذكرها هنا
لطرفتها • يقول العقاد :
تؤلف قصة الطوفان البابلية من
اثني عشر فصلا على حسب
البروج ، وراوي القصة يسمى
(أسديار) وقد عبر بحر الموت
ليصعد الى السماء ويلقى (زستور)
الذى ارتفع اليها بعد نجاته من
الطوفان • والباقي من ألواح هذه
القصة في المتحف البريطاني
يحكيها على هذا المثال :

« ابن بيتا واصنع سفينة تحفظ
النبات والحيوان ، واخزن البذور ،
واخزن معها بذور الحياة من كل
نوع تحمله السفينة وليكن طولها
ستمائة قدم في ستين عرضا ...
وتدخل السفينة وتحكم اغلاقها ،
وتضع في سطحها الحبوب والمتاع
والأزواد والخدم والجند ، وتضع
فيها كذلك أجناس الوحش لتحفظ
ذريتها ... وقال الله ليلا : اني
سأرسل السماء مدرارا ، فأدخل
الى جوف السفينة ، وأغلق عليك
بابها ، وتنطى وجه الأرض ، وهلك
كل ما عليه من الأحياء ، وفار الماء
حتى بلغ السماء ، ولم ينتظر أخ

إبراهيم ؟ ويعلن أنها تناقض
المعارف العلمية • وللتعميل على
ذلك نسوق الفترة التي سبقت
المملكة الوسطى (٢١٠٠ قبل المسيح
تقريبا) في مصر ، وهي تاريخ
المرحلة الاولى المتوسطة قبل
الاسرة الحادية عشرة ، بينما كان
في بابل الاسرة الثالثة (لأور) ونهن
نعرف تماما بأنه لم يكن ثمة من
انقطاع في هذه المدنيات ، وبالتالي
ليس من غناء عام أصاب الانسانية
جمعاء كما أرادت التوراة •

وعلى هذا فإنه لا يمكن اعتبار
ما جاء في التوراة كما لو كانت
حاملة سردا مطابقا للحقيقة ، والله
لا يعلم الناس بواسطة الاوهام —
هكذا يقول — الامر الذى ينتهى
بنا الى الوصول بصورة طبيعية الى
آثار افتراض تشويه حصل بواسطة
الناس أو تقاليد نقلت هرفيا من
جيل الى جيل •

وكما تحدثت الأديان عن الطوفان
تحدثت الأساطير ، وقد نقل الينا
الكاتب عباس العقاد في كتابه
« أبو الأنبياء » قصة الطوفان وان
كانت أسطورة الا أنها تشير الى

القصة منسوخة من مصدر قديم أقدم منها ، فهذه الألواح لا يقل تاريخها عن ألفين وخمسمائة سنة ، والمصدر الذي نقلت منه يرجع الى أوائل الألف الثالث قبل الميلاد .

وهذه القصة البابلية فيها مشابه مما ذكرته التوراة غير أنها تؤيد الكاتب الفرنسي من حيث البعد الزمن ، وأستواء السفينة أخذ أسماء متعددة ، (أرات) كما ذكرت التوراة ، (والجودي) كما ذكر القرآن و (نيزار) كما ذهبت للقصة البابلية وهذه الاسماء لجبل في شمال العراق سوى هذه امكنة ، وكلها تنيد وقوع الحادث في بلاد النهرين .

على أن موقف المسيحيين من الأخطاء العلمية لنصوص التوراة أخذ مساحة كبيرة من الجدل بين مؤيد ومعارض في دراسات كثيرة ومتصلة ، والذي يعيننا قول المؤلف في هذا الموقف : « أن ذكر كل هذه المواقف من الكتاب المسيحيين تجاه الأخطاء العلمية في نصوص التوراة يوضح جيداً الاستياء الذي تجلبه ، واستحالة

أخاه ولم يعرف جار جاره ، ستة أيام وست ليال والريح تعصف والأثوار تطفئ » ، ثم كان اليوم السابع فانقطع المطر ، وسكنت العاصفة ، وانحسر البحر وانتهى الطوفان . وعج البحر بعد ذلك عجيجه ، واستحال الناس طينا ، وطلت أجسادهم على وجه الماء . ثم استوت السفينة على جبل (نيزار) . . . وأرسلت أنا الحمامة فذهبت وعادت ولم تجد من مقر تهبط عليه ، فأرسلت عصفور السمانة فعاد وما هبط على مكان ، وأرسلت الغراب فراح ينهش الجثث الطافية ولم يرجع ، ثم أطلقت الحيوانات في الجهات الأربع ، وبنت على رأس الجبل مذبحاً فقربت لديه قرباناً وفرقتة في آنية سبعة وفرشت حوله الرياحان ، وشمعت الأرباب رائحة جيدة فاجتمعت على القربان ، ونظرت أعظم الأرباب من بعيد ، وأرتفعت أقواس السحاب تحيياً عند اقترابها » من ٢٠٣ من كتاب « أبو الانبياء » ويطلق العقاد على القصة : وقد حلم المتعبون أن هذه

الروايات واستحالاتها » وأخيرا « الخلاصة » ودراسة هذا القسم بفصله وبحوثه يقفك على كثير من معالم الديانة المسيحية ، وموقف الدارسين لها ولاسيما في العصر الحديث حيث أتيح لكل ذي رأى صائب أن يدلى به وأن ينشره ، لأن أزماننا متطولة مرت وعملت أن تكتب الرواية وأن تزيد فيها أو تنقص حسب « الفضل » أو « المناسبة » كما يقول الكاتب . وأول ما يطالعك به نشأة المسيحية والاتجاهات التي كان لها تأثير فيها ، ومن الغريب أنه يصدح المؤمن بالإنجيل على أنها شهادات لا ريب فيها عن الأحداث التي شغلت وجود المسيح ووعظه — يصدحهم « بأن هذا الأسلوب لا يبرز الأشياء لا يتفق مع الواقع أبدا .. » « وينبغي أن يعرف فيما يخص عشرات السفين التي نلت رسالة المسيح بأن الأحداث لم تجر مطلقا كما قيل ، وأن مجيء (بطرس) الى (روما) لم يركز أبدا الكنيسة على اسمها ، بل على العكس ، لقد شاهدنا خلال أكثر

تحديد موقف منطقي غير موقف الاعتراف بمصدرها البشري ، واستحالة قبولها على أنها جزء من الوحي .. » .

المسيحية والإنجيل

في بحث عميق ضاف تناول الكاتب الفرنسي موريس بوكاي المسيحية مؤرخا لها ، مبينا نشأتها متحدثا عن صراعاتها ، دارسا أنجيلها ، مستخدما المعطيات الحديثة في نقد نصوصها ، ناقلا عن آباء الكنيسة حيناً ، وعن المفكرين حيناً آخر ، وانك ستجد تحت كل عنوان من العناوانات الآتية معلومات قيمة يحسن الوقوف عليها مثل : « عبودة تاريخية اليهودية — المسيحية والقديس بولس » « والإنجيل الأربعة مصادرها وتاريخها » (إنجيل متى) و (إنجيل مرقس) و (إنجيل لوقا) و (إنجيل يوحنا) وهي الإنجيل القانوني المعترف بها من الكنيسة ، والمتعبد في ضوئها « مصادر الإنجيل » و « تاريخ النصوص » و « الإنجيل والعلم الحديث » و « تضاد

« لما كانت اليهود قد ضممت في الامبراطورية (الرومان) فقد اتجه المسيحيون الى الانفصال عنهم (عن اليهودية المسيحية) فهيمن المسيحيون اليونان ، وحقق بولس نصرا بعد موته ، وتخلصت المسيحية اجتماعيا وسياسيا من اليهودية المسيحية المهيمنة ثقافيا حتى الثورة اليهودية الاخيرة سنة ١٤٠ م .

وبعد هذا مباشرة يؤرخ لظهور الانجيل الاربعة المعتمدة من الكنيسة فيقول : « (١) ومنذ سنة ٧٠ حتى مرحلة هي قبيل سنة ١٤٠ م ظهرت انجيل مرقس ومتى — ولوقا ويوحنا ، فهي لاتمثل الوثائق الثابتة الاولى للمسيحية لأن رسائل بولس سابقة جدا عليها ، اذ يرى (كولمان) أن بولس قد حرر رسالته الى أهل (تسالونيك) عام ٥٠ م ولكنها اختفت على الأرجح تبك بضع سنوات من انتهاء انجيل مرقس » وينقل المؤلف عن الكاردينال (دانيلو) نهاية اليهود المسيحيين

من قرن بين الفترة التي ترك فيها المسيح هذه الارض وحتى منتصف القرن الثاني معركة بين اتجاهين : بين مايمكن أن نسميه المسيحية البوليسية (نسبة الى بولس الرسول) واليهودية — المسيحية (نسبة الى من اعتنقوا المسيحية من اليهود) .

والاتجاهان بدت بينهما العداوة الى درجة أن اليهود المسيحيين وقد بقوا اسرائيليين أمناء وصفوا (بولس) بالخيانة والعداء والازدواجية المداينة ، ويفهم من مجرى الحوادث أن اتجاه (المسيحية اليهودية) كان لايريد الانفتاح على الوثنيين على أن بولس يرى عكس ذلك ، فقد أسقط بولس الحنان والسبب ومراسم المعبد حتى بالنسبة الى اليهود ، وقد كان على المسيحية أن تتحرر من انتمائها السياسي الديني لتفتتح على الوثنيين أي على غير اليهود .

ويؤرخ الكاتب لانتصار « المسيحية البوليسية » بقوله :

الأخذ حرفياً بالإنجيل وهي « مكتوبة بالمناسبة » أو « للنضال » والتي « أورد الكتاب خطياً روايات جماعاتهم عن المسيح » ان الإنجيل نصوص « تندمج في أوساط مختلفة ملبية حاجات الكنائس ، معبرة عن تفكير في الكتب المقدسة مصححة الأخطاء ومجبية حتى في المناسبة على حجج الخصوم .. هكذا جمع الانجيليون كل مانقل اليهم رواية وكتبوها حسب رؤيتهم الخاصة » « ترجمة مسكونية للتوراة » .

ومن هنا بدأ يفرد دراسة خاصة عن كل انجيل ، والتعريف بمن نسبت اليهم ، وجعل (انجيل متى) أولاً ، وأن كان (انجيل مرقس) أقدمها ، لأن انجيل متى « في صورة ما ليس الا امتدادا للمهد القديم ، انه قد كتب ليعرف بأن عيسى يكمل تاريخ اسرائيل » كما يفيد شراح الترجمة المسكونية .

وانجيل متى يبدأ بنسب المسيح

مسجلاً : « (١) بمجرد أن فصلوا من الكنيسة الكبرى التي تحررت تدريجياً من ارتباطاتها اليهودية قضى عليهم في الغرب سريعاً ، وتتبع آثارهم في الشرق من القرن الثالث حتى الرابع ، وبخاصة فلسطين والجزيرة العربية ، وشرق الأردن ، وسوريا وبلاد ما بين النهرين ، واندمج بعضهم في الاسلام الذي كان وريث قسم من تعاليمهم ، بينما ارتبط البعض الآخر بأرثوذكسية الكنيسة الكبرى محتفظين بترسب ثقافي سامي ولا يزال شيء منها موجوداً في الكنيسة الأثيوبية والكلدانية » .

ونعود الى الإنجيل فنراه يذكر أنها نقلت من الروايات الشفوية التي كانت سائدة بعد انتهاء عمل المسيح على الارض بسنين كثيرة ولا يعطى الكاتب تأكيدات الكنيسة التاريخية للإنجيل صفة الموافقة ، فينقل عن الأب (٢) (كنفسر) قوله : « لا ينبغي

(١) من ٥٨ المصدر نفسه .

(٢) من ٦٢ من المصدر نفسه .

له منه الرائحة والعلامات المميزة »
فكان متى يريد أن يجعل رسالة
المسيح خاصة لاعلمة •

ويميل المؤلف الى أن تأليف
الانجيل قام به متى في سوريا •
ويمكن أن يكون في أنطاكية أو في
غينيقيا لأنه كان يعيش في هذه
المناطق عدد كبير من اليهود ،
ويمف منهجه في الكتابة « بأن
متى تصرف بالنصوص بحرية جادة
فيما يخص العهد القديم عند ذكر
نسب عيسى الذي صدر به انجيله
فأدخل في كتابه روايات لاتصحق »
ويقول في موضع آخر « هذا
ويضرب متى في روايته لأحداث
رافقت موت عيسى مثلا آخر
لتحرره اذ يقول : « واذا ستر
الهيكل قد انشق شطرين من الأعلى
الى الأسفل وزلزلت الأرض
وتصدعت الصخور وتفتحت
القبور ، فقام كثير من أجساد
القديسين الراقدين وخرجوا من
القبور بعد قيامته ، فدخلوا المدينة
المقدسة ، وتراوا لأناس كثيرين »

ويرجمه الى ابراهيم بواسطة
داود ، وفي سرده يركز على
الأسس الكبرى من صلاة وصوم
وصدقة — كما هو القانسون
اليهودي — ويقول المؤلف : « (١)
يريد عيسى أن يوجه تعليمه أولا
الى شعبه وبالأفضلية فيقول الى
الاثنى عشر رسولا : « لاتسلخوا
طريقا الى الوثنيين ، ولا تدخلوا
مدينة للسامريين ، بل اذهبوا نحو
الخراف الضالة من آل اسرائيل »
(متى ١٠ ، ٥ ، ٦) « لم أرسل
الا الى الخراف الضالة من آل
اسرائيل » (متى ١٥ — ٢٤) وفي
ختام الانجيل يعرض متى لكل
الأوطان رسالة تلاميذ المسيح
الأوائل معطيا اياهم من هذا
التوجيه : « فاذهبوا وتلمذوا
جميع الامم » (متى ٢٨ — ١٩)
ولكن ينبغي تفضيل الذهاب نحو
« بيت اسرائيل » ويقول
(١ — تريكو) عن هذا الانجيل
« من تحت الكساء اليوناني فسان
الكتاب يهودي لحما وعظما وفكرا

نظر (كولمان) ويصف قدرة مرقس في التأليف ناقلا عن الاب روجيه « كاتب غير ماهر » « انه أسخف الانجيليين طرا » ويجعله في بعض الوقائع على خلاف مع متى ولوقا بالنسبة لمعجزات المسيح ، وضرب مثلا بآية يونان (يونس) فمتى يروى بينما عيسى وسط كتبة وفريسيين يحدثونه قائلين : « يامعلم نريد أن نرى منك آية » أجابهم « جيل فاسد فاسق (هكذا) يطلب آية ، ولن يجعل له سوى آية النبی يونان . فكما بقى يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال فكذاك يبقی ابن الانسان في جوف الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال » (نص الترجمة المسكونية) .
أما مرقس فيروى كما يقول المؤلف حادثة لاتصدق (٨ ، ١١ ، ١٢) « فاقبل الفريسيون وأخذوا يجادلونه طالعين آية من السماء ليجربوه فنتهد من أعماق نفسه وقال : « ما بال هذا الجيل يطلب آية » الحق أقول لكم . لايجعل لهذا الجيل آية . وتركهم وعاد

ويعلق المؤلف على تلك الرواية بقوله : ان هذه الفقرة من متى (٢٧ - ٥١ - ٥٣) لامتثل لها في الانجيل الاخرى . أنا لا أفهم كيف أن أجساد القديسين المعنيين بعثت من موتها ساعة موت المسيح (ليلة السبت تقول الانجيل) ولم تخرج من قبورها الا بعد قيامته (في اليوم التالي ليوم السبت حسب نفس المصادر) ويناقش المؤلف المدة التي مكثها المسيح في قبره ، وينهى حديثه عن هذا الانجيل بقوله :وزيادة عما يختص به انجيل متى من الاستحالات فانه قبل كل شيء انجيل طائفة يهودية - مسيحية » .

وحين يتحدث عن (انجيل مرقس) يصفه « (١) بأنه أقصر الاناجيل الاربعة وأقدمها ، ولكنه ليس كتاب رسول ، وكل ما فيه أنه كتاب محرر من تلميذ رسول » ويؤرخ لتأليف انجيل مرقس بأنه « على أقرب تقدير ما بين سنة ٦٥ وسنة ٧٠ بصحب الترجمة المسكونية وحوالي سنة سبعين في

(١) ص ٦٦ من الكتاب نفسه .

وبمعلومات الشهود (وهذا يعنى أنه لم يكن واحدا منهم) وكذلك المعلومات المأخوذة من مواعظ الرسل فهو عمل منظم اذن يقدمه في عبارات تفيد نقله عن غيره متوخيا تتبعها كلها من اصولها غاية التقيع ، كاتبها لها مرتبة ليتيقن تيوفيل صحة ما تلقى من تعليم (١) .

ويقرر أن لوقا كان أدبيا وثنيا اهتدى الى المسيحية ، ولأنه وثنى دخل المسيحية يهتم بنهر اليهود مخالفا متى ومرقس اليهوديين اللذين دخلا المسيحية ، فمتى يطلب البعد عن السامريين على حين لوقا يحسن علاقته بهم « وهذا مثل رهيب من كثير يوضح لنا أن الانجيليين كانوا يقولون المسيح مايناسب رؤاهم الشخصية ... » .

ويترجم لوقا بأنه طبيب ، ويستدلون على مهنته بالفاظه ، ويمود فيشكك في هذه المهنة قائلا: « والمفردات التي يستعملها هي

الى السفينة فركبها وعبر الى الشاطئ المقابل » وكان تطبيق المؤلف على تلك الرواية : « انه تأكيد من عيسى نفسه وبنيته بالأى يأتي أى عمل يمكن أن يبدو حارقا للعادة ، ولذلك فان شراح الترجمة المسكونية للانجيل حين يندهشون من اعلان متى بأن عيسى لايعطى سوى آية واحدة هي آية يونان يرون من الغريب أن يقول مرقس : « أن هذا الجيل لا تكون له آية » في الوقت السذى لاحظوا فيه بعد ذلك « المعجزات التي يقدمها عيسى نفسه كآيات » (لوقا ، ٧ ، ٢٢ ، ١١ ، ٢٠) .

ونأتى الى (انجيل لوقا) فنجد المؤلف الفرنسى يصدر كلامه عنه بقوله : أن لوقا في نظر كولمان مؤرخ وفي نظر الاب كنفنسر « قصاص بارع » انه يخبرنا في افتتاحيته الموجهة الى (تيوفيل) بأنه بعد آخرين جمعوا أخبارا عن عيسى سيكتب بدوره سيرة عن نفس الوقائع مستعينا بهذه الأخبار ،

الثلاثة الأخير إلى درجة أن الأب روغيه قال عنه في كتابه : « مدخل إلى الانجيل » « انه عالم آخر » وبينه الأب روغيه إلى أنه في الوقت الذي تنقل فيه اللوائح كلمات المسيح بأسلوب « مؤثر أكثر قربا من الأسلوب الشفوي » فانها عند يوحنا في التأمل لدرجة « أنا نستطيع أن نقسم أحيانا عما إذا كان عيسى هو الذي يتكلم أو أن أحاديثه قد وسعت دونما شعور من الانجيلي » .

من هو الكاتب ؟ انه سؤال موضوع جدال ، اذ الآراء تختلف كثيرا في هذا الموضوع ، وملخص ماذكره المؤلف في هذا الشأن هو : يذهب (أ - تريكو) والأب (روغيه) إلى أن انجيل يوحنا عمل شاهد عيان ، أنه يوحنا بن زبدا وأخو يعقوب الرسول والصورة الشعبية تمثله قريبا من عيسى كما في زمن العشاء السرى قبل الآلام ، وكتابة هذا الانجيل في زمن متأخر ليس حجة مقبولة

ذاتها التي يستعملها كل انسان مثقف في زمانه » وقد كان يلزم بولس في سفره رفيق اسمه (لوقا) فهل هو نفس هذه الشخصية ؟ ويحدد تاريخ انجيله « بأنه كان غالبا ما بين (سنتي ٨٠ و ٩٠) وان كان كثير ينسبونه إلى تاريخ أقدم » ويذكر أنه يختلف عن الانجيليين فيما يدونه من أخبار ، فأخبار طفولة عيسى خاصة به ، لأن متى يختلف عنه في سردها ، ولا يذكر مرقس كلمة واحدة عنها ، وهكذا ، فان أنساب عيسى لدى كل من متى ولوقا مختلفة ، فالتضاد بارز والاستحالة ظاهرة بالنسبة للنظرة العلمية ٠٠٠ » هذا وان مؤسسة سر القربان المقدس (الأفخارستيا) التي هي ذات أهمية أساسية هي أيضا موضوع خلافات بين لوقا والانجيليين الآخرين » وكذلك يختلف معهم في قيامة عيسى (١) . أما (انجيل يوحنا) فهو — كما يقول المؤلف يختلف في الأصل عن

(١) من ٧٠ من الكتاب نفسه .

نقصه خبر تأسيس الافخارستيا ،
وينفرد برواية ظهور عيسى القائم
من القبر لتلاميذه على صفحة طبريا
(يوحنا ٢١ ، ١ ، ١٤) •

« وثمة خلاف هام آخر بين
انجيل يوحنا والاناجيل الثلاثة
الآخري هو مدة مهمة عيسى، فبينما
يحددها مرقس ومتى ولوقا بسنة
فان يوحنا يطيلها الى اكثر من
سنتين ... » ويختم بحثه في
انجيل يوحنا بقوله : « فمن يجب
علينا أن نصدق اذن مرقس أو متى
أو لوقا أو يوحنا ؟ » •

ويبدو لي من دراسة ما خطه
الكاتب في بحث (١) « مصدر
الاناجيل » أن هناك دراسات
موسمة معاصرة في هذا الامر ، وما
من شك في أنه كانت روايات شفوية
قبل ظهور الاناجيل ، وأن لليهود
الذين دخلوا في المسيحية اتجاهها
يميل بهم الى مسلك العهد القديم
وأن الأميين (غير شعب اسرائيل)
لهم اتجاه آخر ، وأن الروايات
صارَت مدونات هي الاناجيل الكثيرة

ضد هذا الموقف ، وقد كتب نحو
نهاية القرن الأول ، وتحديد موعد
الكتابة هذه بعد ستين سنة من
المسيح يتفق مع وجود رسول في
شرح الشبَاب زمن عيسى عاش
حوالي القرن •

وقد توصل الأب (كنفغر) في
دراسته عن القيامة الى أن أى كاتب
من كتاب العهد الجديد (الاناجيل)
ماعدا بولس لا يمكنه أن يدعى أنه
شاهد عيان لقيامه المسيح ، ومع
ذلك فان يوحنا يروى الظهور
للمرسل المجتمعين • وتؤكد الترجمة
المسكونية للتوراة أن أغلبية الناقدين
لا تتبنى فكرة التحرير من الرسول
يوحنا ، ولكن كل شيء يوحى بأنه
كان للنص المنتشر حاليا كتاب
عديدون ، « وان من المرجح أن
الانجيل كما هو بين أيدينا نشره
تلاميذ الكاتب الذين أضافوا الفصل
٢١ وبعض الحواشي كما في
(٤ ، ٢) •

وانجيل يوحنا ينفرد بأخبار ،
وينقص عن غيره أخبارا ، ومما

(١) ص ٧٤ من المصدر نفسه •

آيات مشتركة بين متى ولوقا

• ٢٣٠

بينما يجعلون الآيات الخاصة بكل واحد من الانجيليين الثلاثة الأوائل هي ٢٣٠ لمتى و ٥٢ لمرقس و ٥٥٠ للوقا •

يقول المؤلف : وقد مضت ألف وخمسمائة سنة منذ آباء الكنيسة حتى نهاية القرن الثامن عشر دون أن تثار أية مشكلة جديدة عن مصادر الانجيليين ، وذلك لانهم كانوا يخضعون للتقليد •

وبعد الابحاث المعمقة في العصر الحديث وايراد نقد كولمان للمصادر في نقطتين هما أن مرقس الذى اقتبس منه لوقا ومتى ليس هو انجيل مرقس ، بل هو كتاب سابق وأنه ليس في هذه الصورة (التى جاءت في المصادر) اهتمام كاف بالرواية الشفوية التى اهتمت خلال ثلاثين أو أربعين سنة بكلمات عيسى وأخبار رسالته في الوقت الذى لم يكن فيه كل انجيلي الا ناقل كلمة الطائفة المسيحية التى ضبطت العرف الشفوي • وبعد جولات وجولات يخرج علينا

ومنها الاناجيل الاربعة المعتمدة من الكنيسة والتي سبق الحديث عنها في ضوء معطيات المؤلف القائل « ولقد عولج موضوع المصادر بأسلوب مبسط جدا في عصر آباء الكنيسة فكانت المخطوطات الكاملة تشهد لانجيل متى بأنه الاول كما كان يعتبر بأنه المصدر الوحيد لتاريخ المسيحية في القرون الاولى وقد طرحت مسألة المصادر فقط بالنسبة لمرقس ولوقا أما يوحنا فقد كانت له حالة خاصة ، وقد كان القديس (أوغسطين) يرى أن مرقس وهو الثانى في الظهور في ترتيب العرف قد اقتبس من متى ولخصه ، وأن لوقا وقد حل ثالثا في المخطوطات قد استعمل معطيات الاثنين •• وبمطابقة النصوص في الاناجيل وترقيم آياتها جاءت المطابقة كالآتى :

آيات مشتركة بين اللوائح

الثلاثة ٣٣٠ •

آيات مشتركة بين مرقس ومتى

• ١٧٨

آيات مشتركة بين مرقس ولوقا

• ١٠٠

متى وانجيل لوقا فيقول : « وينبئني أن يلاحظ أولاً أن هذه الأنساب المتعلقة بالذكر غير ذات معنى بالنسبة للمسيح ، بل انه كان يجب تحديد نسب له وهو ابن مريم العجيب والذي ليس له أب بيولوجي ، فينبئني أن يكون نسباً لأمه مريم ... » وأن هذا التحفظ سلطه واهتم به لكان أولى من دراسة النسب في كل من الانجيليين ، ولكنه بسدد أن يبين التناقضات التي جعلته يقول في ختام حديثه : « ولعل أنساب عيسى في الانجيل هي الموضوع الأهم الذي أثار بهلوانيات الشراح المسيحيين الفلسفية البارزة بنسبة تصرفات لوقا ومتى المستندة الى الهوى » (١) ولأغناء ما ذكره في القسم الثالث حين عقد (٢) « موازنة بين القرآن والاناجيل والمعارف الحديثة نقد وضع القرآن عيسى من خلال نسبه الامومي على خط نوح

بخلاصة كل هذا « أننا لدى قراءة الانجيل لانؤمن بأننا نتلقى كلام عيسى ، وأن الأب (بنوا) ليتوجه لقارئ الانجيل ويصذره من ذلك ويقدم له بديلاً ، فيقول : « اذا كان لابد لأحدنا من التخلي عن سماع الصوت المباشر لعيسى في أكثر من حال فإنه يسمع صوت المعلم الكنيسة ويثق بها ، وكأنها تكلمنا في مجده بعد أن كلمنا قديماً في الارض » ويعلق على ذلك : « فكيف يمكن التوفيق بين هذا التأكيد الصريح عن عدم أصالة بعض النصوص مع عبارة الوثيقة الايمانية عن الوحي الالهى في المجمع الفاتيكاني الثانى التى تؤكد لنا على العكس النقل الامين لعبارات عيسى ؟ ويدخل في بحث « الاناجيل والعلم الحديث » فيصدره بنسب المسيح ويسوق تحفظاً قبل أن يفند التناقضات التى جاءت في سلسلة النسب بين انجيل

(١) من ٩٢ من الكتاب نفسه .

(٢) من ١٨٢ من الكتاب نفسه .

بعيدا عن كل انتقاد يثار من المعارف الحديثة ، بينما نصوص الاناجيل بالمقابل ونصوص العهد القديم هي من هذه الزاوية غير مقبولة أبدا » وليعذرني القارئ اذا خالفت منهج المؤلف هنا ، فتحدثت عن نسب المسيح جامعا الأقسام في حيز واحد ، ولاعلى نفسى والقارئ من لائحة النسب في كل من انجيل متى ولوقا .

ويدخل في « تضاد الروايات واستحالاتها » في الاناجيل ، فيناقش روايات الآلام ذكرا قول الاب روجيه نفسه الذى يحدد الخلاف بأن (الفصح) في الاناجيل الثلاثة مختلف زمنيا مع عشاء المسيح الاخير مع الرسل عنه في الانجيل الرابع ، فبينما يضع يوحنا العشاء الاخير السرى قبل عيد الفصح يضمه الثلاثة الآخرون أثناء الفصح نفسه ، وهو اختلاف صريح مع الحقيقة ، ولا يمكن قبول هذه الواقعة بسبب وضع عيد الفصح المعين بالنسبة اليه ، « وعند ما نعلم أهمية الفصح في الطقوس الدينية اليهودية - وأهمية عشاء المسيح

وابراهيم ووالد مريم (عمران كما هو في القرآن) (سورة ٣ آية ٣٣ - ٤٣) .

« ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، فرية بعضها من بعض » بل هناك أخبار كثيرة عن عيسى في القرآن أسرة عمران وأخبار مريم بولادتها المعجزة لعيسى ، ورسالة عيسى ومعجزته ، وقد ابتعد القرآن عن سلسلة الانساب التى يرجعها الانجيل الى الآباء ولا تذكر مريم ، ويسجل أنه « لا توجد في القرآن أخطاء الاناجيل الاسمية المتعلقة بنسب عيسى ، واستحالات النظام النسبى الذى لدى العهد القديم فيما يتعلق بنسب ابراهيم الذى درسناه في الجزء الاول والثانى من هذا الكتاب » وينهى باللائمة على « الذين يدعون دونما سند أن محمدا كاتب القرآن وأنه توسع في النقل عن التوراة ، اننا نتساءل هنا عن الحجة وعمن صرفه أن ينسخها ، على الاقل فيما يخص نسب عيسى ليخرج في القرآن بدلا منه التصحيح الذى جمل نصه

من صمت يوحنا عما يرويه الثلاثة الآخرون ، وصمت هؤلاء عما بشر به المسيح برواية يوحنا » ولا يقبل محاولات التقريب بين يوحنا والانجيليين الآخرين للنقص الأكثر اضطرابا في انجيل يوحنا .

ويسوق الاختلاف بين الاناجيل حول « قيامة عيسى وصعوده » بعد حديثه عن « ظهور المسيح المبعوث من الموت » ذكرا نصـمـوس الاناجيل مبينا اتجاه كل منها ، والتأويلات التي تعمل للتقريب بينها ثم يصل بنا الى .

أحاديث عيسى الأخيرة

وبارقليط انجيل يوحنا

والبارقليط شغل مساحات كبيرة مكانية وزمانية ، وما هو ذا الكاتب الفرنسي يمالج أمره بمقتضى ما يهدف اليه ، ومن قبله تصدى له أناس كثيرون عنهم يتفون على حقيقة أمره ، وكشف موقف رجال الدين منه ، ويوحنا هو الانجيلي الوحيد الذي نقل في نهاية عشاء المسيح السرى وقبل توقيفه واقعة الأحاديث الختامية مع الرسل التي ختمت بخطاب

الوداعي مع تلاميذه ، فكيف يتصور أن تفقد الذاكرة مركز أحدهما بالنسبة الى الآخر في الرواية المنقولة فيما بعد عن الانجيليين ؟ . وتختلف روايات الآلام بصورة عامة بين الانجيليين ، وبخاصة بين الاناجيل الثلاثة الاول وانجيل يوحنا ، ويشغل العشاء الأخير للمسيح والآلام حيزا كبيرا في انجيل يوحنا يكاد يكون خضعفى الحيز الذى عند مرقس ولوقا . . ويروى يوحنا خطابا طويلا جدا للمسيح يملأ من انجيله أربعة فصول (٤ - ١٧) أعطى فيه تلاميذه الذين يودعهم آخر توجيهاته ووصيته الروحية ، بينما لاتجد لذلك أى أثر في الاناجيل الاخرى . وهذه الاناجيل تروى صلاة المسيح في حديقة الزيتون التى لا يتكلم عنها يوحنا .

والحدث الأهم الذى يصدى قارئ قصة الآلام في الانجيل يوحنا أنه لا يتعرض لأى ذكر لتأسيس سر (الأفخارستيا) خلال عشاء المسيح الاخير مع الرسل ، ويخرج من ذلك الى « أننا ندهش

بالتحديد ، من سيكون المرشد الذي يجب على الناس اتباعه بعد اختفائه ؟

ومن ثم كان « انجيل يوحنا هو وحده الذي يعينه بوضوح بالاسم اليوناني (بارقليطس) الذي أصبح باللغة الفرنسية حسب الترجمة المسكونية للتوراة ، العهد الجديد ، المقاطع اساسية » اذا أحببتموني فسأجتهدون في المحافظة على أوامري ، وسأعود الأب ، وسيرسل اليوم بارقليطس آخر » وهنا يدخل المؤلف في الصميم :

ما معنى بارقليط ؟ يوضح معناه النص الذي بين أيدينا اليوم من انجيل يوحنا في هذه الكلمات « البارقليط هو روح القدس الذي سيرسله الأب باسمي ، وسيعرفكم على كل شيء وسيذكركم بكل ماقلتكم لكم (١٤ - ٢٦) وسيشهد لي (١٥ - ١٦) انه فرستكم حين ذهابي » وفي الحقيقة فان البارقليط لن يأتي اليكم اذا لم أذهب . وعلى العكس فاني ان ذهبت سأرسله اليكم ، وسيدعش بمجيئه العالم وسيخلصه

طويل جدا خصص له أربعة فصول من انجيله ، أشرنا اليها سابقا ، وهذه الفصول تعالج عند يوحنا مسائل أولية في رؤى المستقبل ذات أهمية أساسية معروضة بأسلوب فخم واطار عظيم يتميز بها هذا المشهد الوداعي بين المعلم وتلاميذه .

وقارئ الاناجيل متعبدا بها وقارئها للمعرفة لابد أن يدور في خلد كل منهما لماذا انفرد يوحنا بنقل ذلك الخطاب في عشاء المسيح السرى دون غيره من انجيليين ؟ لذا كان من الطبيعي أن يتساءل المؤلف الفرنسى :

هل كان يوجد النص ابتداء لدى الانجيليين الثلاثة الأوائل ؟ هل حذف فيما بعد ؟ ولماذا ؟ يقول : ولنبادر الى القول بأنه لاجواب على ذلك ، وسيبقى السركاملا في هذا النقص الضخم في رواية الانجيليين الثلاثة أوائل .

موضوع الخطاب صورة مستقبل الناس التي نوه عنها عيسى ، وهاجس المعلم الذي يوجه تلاميذه وينصهم ويأمرهم ويصف لهم

ماذا تريد الارثوذكسية ؟ وماذا يريد المؤلف ؟ يدخل بنا المؤلف في شروح ناقلا شرح (أ - تريكو) ميينا عدد المرات التي ذكر فيها بارقليط بأنها أربع مرات تنطبق هذه الكلمة في انجيل يوحنا على « الروح القدس » وفي الرسالة الى المسيح وقد كانت كلمة « بارقليط » رائية بين اليهود الهلنيين من القسرون الأول بمعنى « الشفيح والنصير » « وقد أعلن عيسى بأن الاب والابن سيرسلان الروح ، وستكون مهمته الخاصة أن يقوم مقام الابن الذي كان له دور المنقذ طيلة حياته الفانية في صالح تلاميذه ، وسيأتي الروح ويتصرف كتابع للمسيح وبصفته بارقليط أو الشفيح القادر على كل شيء . يجعل هذا الشرح من « الروح القدس » اذن المرشد النهائي للناس بعد اختفاء عيسى ، فهل يتفق مع نص يوحنا ؟ ينبغي أن يطرح هذا السؤال ، لأنه أولا يبدو عجيبا أن نتمكن من نسبة الفقرة الأخيرة الواردة أنفسا الى الروح القدس « انه لن ينطق من تلقاء نفسه ، ولكنه سوف يتسول

بمادة الخطيئة والعدل والحكم . » (١٦ ، ٧ - ٨) « وعندما سيأتي روح الحق لمسيحكم على الارض بالحق كاملا لأنه لن ينطق عن الهوى ، ولكنه سيقول مايسمعه ويسمى بكم بكل ما سيأتي » ولسوف يمجدي » (١٦ ، ١٣ - ١٤) . ويضع ملحوظة هي (للتفكير فان المقاطع غير الموردة هنا من الفصول ١٤ حتى ١٧ من انجيل يوحنا لا تغير مطلقا المعنى العام لهذه الافادات .

وقبل أن نورد مناقشات المؤلف نذكرك بأن النقاش كله حول معنى بارقليط ووصفه بالروح القدس ، ولذلك يقول المؤلف « لو قرأنا بسرعة النص الفرنسي المثبت لتطابق كلمة بارقليط اليونانية مع الروح القدس فانه غالبا لا يستوقف الانتباه ، فضلا عن أن العناوين الصغرى للنص العام المستعملة في الترجمات وعبارات الشراح الموجودة في المؤلفات المعدة للعامة توجه القارئ الى المعنى الذي تريد (الارثوذكسية) الطيبة أن تضيفه على هذه المقاطع » .

تحريف المعنى الأساسى للمقطع الرابع الذى يخبر بمجىء رسول بعد المسيح يتضاد مع تعليم الكنائس المسيحية الناشئة التى تريد أن يبقى المسيح آخر الرسل . وما ذهب اليه المؤلف أخبر به القرآن منذ أربعة عشر قرنا . قال تعالى : « واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » الصف آية ٦ .

ويقول محمد لطفي جمعة رحمه الله في كتابه « ثورة الاسلام » بعد أن شرح كلمة « البارقليط » بأن معناها المعين والمدافع والنصير والمواسى في اللغة اليونانية أن خبر المسيح « وسيعرفكم بكل ما سيأتى » ولسوف يمجسدى « ينطبق على النبى العربى محمد لأن رسالته كاملة وشريعته تامة ، وهو الذى مجد عيسى وعظمه وكرمه ونفى عنه كل المعايب التى ألصقها خصومه به وبأمة السيدة الصديقة

مايسمعه ، وسيعرفكم على كل ما سيكون ، فكانما يبدو غير قابل للتصور أن تنسب الى الروح القدس قدرة التحدث بكل مايسمعه » وهذا السؤال لم يكن على العموم هدف شروح . هكذا قال المؤلف . ولايترك الأمر عند هذا الحد بل يدخل في مناقشات لفظية حول كلمة سمع وكلمة تكلم في اللغات الفرنسية والانجليزية واليونانية ، ويخرج من بحثه بالنتائج الآتية :

١ - ان المقطع من انجيل يوحنا غير مفهوم مطلقا اذا قبلناه بكيته مع كلمتى « الروح القدس » الذى ينص على أن : « البارقليط » الروح القدس الذى سيرسله الاب باسمى وهى جملة تثبت الوحدة بين البارقليط والروح القدس ويحذف هاتين الكلمتين « الروح القدس » يصبح النص معبرا عن معنى شديد الوضوح ، وهو سيمرسل الله الى الناس ببارقليط آخر أى شفيعا آخر للإصلاح .

٢ - وجود كلمتى الروح القدس في النص كان حسب التقدير بإضافة لاحقة مقصودة وهادفة الى

أتاهم من ضعفهم عن ادراك معانى
ألفاظ اللغة العربية واستعمالاتها ،
فخذ أصغر معجم وليكن مختار
الصحاح مثلاً تجده يقول (أله ياله
بالفتح فيهما الالهة أى عبد ومنه
قولنا « الله » وأصله (الـه) على
فعل معنى مفعول ، لأنه مألوف
أى معبود .. فلما أدخلت عليه
الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفاً
لكثرته في الكلام ، فلهذه هو الاله (١)
ويستطرد الكاتب الفرنسى في
حديثه عن تجافى الغرب عن ادراك
وحى الاسلام ، ويذكر التقارب الذى
قام في أيامنا هذه ، وينوه بالملك
فيصل عاهل السعودية الراحل ،
ويذكر فضله بترغيبه في معرفة اللغة
العربية ليوقف على جليلة الامر ههنا
يضطلع به من التعرف على الاسلام
وأصوله ، ويختتم ثناءه عليه بتلك
الجملة التى تعد عرفانا بالجميل :
« وسبقى كل ذلك منقوشاً في
ذاكرتى الى الأبد ؟ لأن مجرد
حصولي منه ومن يحيطون به على
معلومات قيمة كان ذا اعتبار خاص »

العذراء صفحة ٥١٠ من كتابه
**بتصرف القرآن والاحاديث والعلم
الحديث .**

من أول وهلة حين تناول الكاتب
الفرنسى الوحي الاسلامى تحدث
عن تيارين متوازيين : دهشته من
توافق القرآن مع معطيات العلم
الحديث ، وموقف الغرب المعادى
لذلك الوحي ، فقد جاءت أحكام
الغرب غالبة كل الضلال متناقضة
مع الحقيقة الى درجة الاعتقاد بأن
الله (اله المسلمين) كما لو كان
المسلمون يؤمنون بآله غير آله
المسيحيين .

وينبرى الكاتب للدفاع عن عقيدة
المسلمين فيقول : « أن لفظة «الله»
في العربية تعنى الألوهية الواحدة،
وهو معنى لا يستطيع النقص
الفرنسى الدقيق ترجمته الى المعنى
الصحيح للكلمة الا بمساعدة لفظة
(الاله) وآله هو بالنسبة الى
المسلمين نفس اله موسى وعيسى .
ونحن المسلمين نقول : ان
عجزهم عن فهم لفظ الجلالة الله

(١) هناك اشتقاقات لمعان أخرى تلتقى كلها لتعطي الاله المعبود ،
والله علم على الرب ويقال انه الاسم الاعظم لانه يوصف بجميع الصفات
ويرى بعضهم انه غير مشتق .

الكون ، بل هو في الأساس كتاب ذو هدف ديني يوضح أن ما جاء في القرآن بالنسبة لنظام الكون لم يكن انسان القرون الماضية قادرا على أن يكشف من ذلك الا ظاهر المعنى انذى قد يحمله في بعض الاحوال على الوصول الى نتائج غير صحيحة نظرا لعدم اكتمال معرفته اذ ذاك ، ويورد جهده في هذا السبيل فيقول : وقد عثرت أحيانا في بعض الكتب على تفسيرات علمية لا يبدو لى أنها صحيحة ، وقعت بانتقائها وتفسيرها تفسيراً شخصياً باستقلال فكبرى وإخلاص تامين (١) لقد بحثت أيضا فيما اذا كان في القرآن اشارات الى وجود كواكب شبيهة بالارض ، ويجب القول بأن عددا من العلماء يعتبرون هذا مقبولا تماما ، ولو لم تكن المعطيات الحديثة قد توصلت حتى الآن الى أقل تأكيد لها ، فرأيت أن على أن أعرضه مع كامل التحفظات .

وقد باشر تلك الدراسة منذ ثلاثين سنة تقريبا ووصل من دراسته

وبعد أن بين حقيقة الاسلام وأنه يدعو الى العلم ويحض عليه موردا قول الرسول : « اطلب العلم ولو في الصين » يدفع قالة السوء من أن الاسلام أدى الى تخلف المسلمين بأنه بحث أمة وحضارة تتلمذ عليها الغرب دخل فيما تصده وهو معطيات القرآن وتوافقها مع معطيات العلم الحديث كمدخل آخر غير المدخل الأول (المقدمة) ويشير الى موقف الغرب من العلم وموقف المسلمين منه مسجلا : « ينبغي أن تذكر أنه ما بين القرن الثامن والقرن الثاني عشر الميلادى فترة عظمة الاسلام حيث كانت التغيرات العلمية مفروضة في بلادنا المسيحية كانت كميات معتبرة من الابحاث والاكتشافات قد حققت في الجامعات الاسلامية » وبعد أن يؤكد أن الفترة النشيطه للمدنية الاسلامية مع النهضة العلمية التي واكبتها كانت لاحقة على نهاية الوحي القرآسى ، وأن القرآن ليس كتابا هدفه عرض بعض أنظمة

(١) ص ١١٥ من الكتاب نفسه .

معطيات العلم الحديث مع قبول معطيات القرآن في هذا الشأن . ثم لا يقبل قول الغربيين أن محمدا قد نسخ التوراة وهو حكم مطلق مجرد من أى مستند ، ويرى هو أن الاحاديث كالاناجيل روايات عن أفعال وأقوال النبي ليس كتابها شهود عيان .

والمرجعون (١) يردون عليه ، لقد ثبت أن بعض الصحابة كتب بعض الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عبد الله ابن عمرو بن العاص ، ورأيه مقبول في نظري ، لأنه يتحدث عن الاحاديث ككل ، ثم ان ما كتب مختلف في بقائه ، فقد نهى النبي عن كتابتها حتى لا تختلط بالقرآن ، وهو يصر على أنها كتابات لا تؤلف في أى نوع منها كتبها حاوية الوهي المكتوب . وهو رأى جدير بالتقدير والدراسة ، ويطل لرأيه بأننا نرى في الكتب المنتشرة يقينيات تحوى أخطاء من وجهة النظر العلمية وبخاصة الوصفات الطبيعية « غلفوضح أساسا ما يميزها من

الى أن في القرآن اشارة الى غزو الفضاء ، ويعود الى تحفظه في هذا الشأن لكي تكون المواجهة بين القرآن والعلم الحديث مقبولة وصحيحة « أن يكون السند العلمى الذى ترتكز عليه كامل الثبوت ولا يحتل أى شك » وقد أعلنه كشرط لبحثه في المقدمة ، ولهذا استبعد آية قرآنية فكرر عالم بالطبيعة مسلم بأنها تلحن مفهوم (اللامادة) وهى نظرية يدور الجدل حولها حاليا « وعلى العكس فإنه يمكن شرعا انتباهه الى آية من القرآن تذكر « أصل الحياة المائي » وهى ظاهرة لا يمكننا اثباتها مطلقا وان كانت تلتقى عليها آراء كثيرة ، أما بخصوص عوامل الملاحظة كتطور الجنين فإنه يمكننا أن نواجه تماما مختلف المراحل الموصوفة في القرآن بمعطيات علم الجنين الحديث . . » ويستمر في مقدمته للحديث عن القرآن ، فيشير الى أنه يقصد مقارنة بين التوراة والقرآن في مسألتين . الخلق والطوفان ، وقد وضع أن التوراة اختلفت مع

والنجوم وأنظمة السيارات • فكرة تعدد العوالم المواجهة مع معطيات القرآن عن الخلق • علم الفلك في القرآن الى آخر ما فكّر من المخلوقات كالنباتات والحيوان والطير • وعن الحديث عن تدوين القرآن يقول : ان لأصالة القرآن مكانة متفردة بين كتب السوحى لا ينازعه فيها العهد القديم ولا العهد الجديد • لماذا ؟ لأن العهد القديم والانجيل طرأت عليها تعديلات ، أما القرآن فليس كذلك ، لأنه ثبت في عهد الرسول بالذات ، بالحفظ والكتابة والتلاوة والترتيل ، ويبين لك أن تسجيل القرآن بدأ منذ نزوله ، ويستدل على صحة رأيه من القرآن نفسه قائلا : ان هناك أربعا من السور المكية تشير الى كتابة القرآن قبل الهجرة الى المدينة سنة ٦٢٢م ، ومما استشهد به سورة ٢٥ آية • « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » وهذه الآية تشير الى أن المسجل كتابة « وهو (١) ما يعترف به حتى خصوم محمد » ويشير الى أن

وجهة النظر هذه عن القرآن الذى لا يحوى أية يقينية علمية غير مقبولة » ويختم تلك المقدمة بقوله : ان الاعتبارات التى سيتوسع فيها فى هذه الدراسة ستوصلنا من وجهة النظر العلمية فقط الى الحكم بأن من المستحيل تصور رجل عاش فى القرن السابع الميلادى واستطاع أن يورد فى القرآن أفكارا فى موضوعات متنوعة جدا ليست أفكار عصره تلتقى مع ما سيكشفه الناس منها بعد قرون متأخرة عنه ، أما بالنسبة الى فليس للقرآن أى تفسير بشرى • يريد أن يقول انه من عند الله ، وليس للبشر أى دخل فى آياته •

وليؤكد ما يقوله يضع عنوانا هو « أصالة القرآن » تتدرج تحته عناوين فرعية : تاريخ تدوينه ، دورات الخلق الستة القرآن لم يحدد نظام تتابع فى خلق السموات والارض ، التتابع الزمنى الذى هو أساس تكوين العالم وانتهاؤه ببناء العالمين • النظام التسمي • المجرات • تكوين وتطوير المجرات

(١) ص ١٢١ من الكتاب نفسه •

وتوافقه مع المعارف الحديثة لكثرتها وكثرة مناقشتها فلا كتف بما يصور مقاصد الكاتب من دراساته وموازناته بين الكتب المقدسة ، وكأنما هي مقتطفات مما دبحه يراعه العلمي ، فالجزء الثالث أخذ من كتابه أكثر من نصفه ، اذ يبدأ من صفحة ١٠٦ الى ٢١٧ وهو آخر الكتاب .

ولنعد الى بحثه ، فتحت عنوان « تاريخ السموات والارض » يعقد موازنة بين خبر التوراة وخبر القرآن ، والغربيون يجدون في الموازنة والمقابلة متعة وحبورا ، لأنهما يتقاربان جدا ، ولكن هذا التقارب عنده يستحق الوقوف لأن التوراة تذكر (الخلق) دونما إبهام في ستة أيام متبعة بيوم الراحة (السبت) بالتماثل مع أيام الاسبوع « وكل يهودي مفروض عليه الراحة يوم السبت اتباعا لله الذي استراح بعد عمل دام ستة أيام من الاسبوع » والسبت معناه الراحة كما يقول المترجمون .

ومفهوم كلمة يوم في التوراة محدد بالمسافة الزمنية المحسنة من

الرسول كان يعرض القرآن مع جبريل كل سنة في رمضان ، وأنت تعرف من كتب السيرة قصة اسلام عمر بن الخطاب مع أخته فاطمة حين أعطته صحيفة فيها صدر سمورة (طه) وكان ذلك في مكة أسوقه تأييدا للكاتب . أما الكتابة في المدينة فهي معروفة موصوفة . ويتحدث عن الخلفاء وجهودهم في الحفاظ على القرآن بعد وفاة (الرسول بقليل سنة ٦٣٢ م) وينهى حديثه في أصالة القرآن بقوله : « ويمكن أن نقسائل عن الاسباب التي هدت بالخلفاء الثلاثة (أبى بكر وعمر وعثمان) وعثمان بالذات باجراء المراجعات على نص الكتاب وللإجابة نقول : لقد كان انتشار الاسلام في السنوات العشر الاولى عقب وفاة الرسول بسرعة عجيبة وبين شعوب تتكلم بأكثر من لغة غير اللغة العربية فكان لابد من الاحتياط الضروري في تناقل النص للمحافظة على صفائه وأصالته، وهذا ما كان من هدف مراجعة عثمان » وأرجو أن يكون معلوما أنى لا أستطيع عرض ما جاء عن القرآن

« يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » سورة ٣٢ آية ٥ وتجدر الإشارة هنا الى أن الآية التي سبقت الآية خمسة هذه تذكر الخلق في ستة أيام .

« تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » سورة ٧٠ آية ٤ .

ان استعمال كلمة يوم هنا بمعنى دورة من الزمن المخالف كل المخالفة لمعناه الدارج قد أذهل كثيرا من المفسرين القدماء الذين لم يكونوا يملكون المعارف الحديثة . . وقد ظل الأمر كذلك الى أن تنبه اليه في انقرن السادس عشر بعد الميلاد المفسر أبو السعود الذي لم يكن بعد قد حصل على تعريف اليوم الذي تحدد فلكيا نتيجة لدوران الأرض ، فكر بأنه ينبغي في موضوع الخلق اختيار تقسيم زمنه الى أيام بمعنى « نوبات » بالمعنى الذي اعتدنا استعماله . وهكذا فتح الباب للمفسرين بعده . ويؤكد المؤلف أن الأيام دورات طويلة من الزمن ،

مطلعين للشمس أو مغربين لها متتابعين بالنسبة الى سكان الأرض واليوم المحدد على هذه الصور هو حصيلة دوران الأرض حول نفسها .

ومن الواضح أنه لا يمكن منطقيًا التحدث في إطار هذا التحديد بمعنى الأيام ؟ لأن الكون لم يكن على ما نشاهده في دورات الخلق الأولى حسب رواية التوراة . والتوراة تجعل اليوم الرابع لخلق الأجرام المضيئة على حين تجعل النور لليوم الاول ، فمن المستحيل أن تكون انارة في اليوم الاول (انظر صفحة ٣٥ من الكتاب) .

واذا كان الوحي المحمدي حدد استمرار الخلق بستة أيام فهو لا يعنى الايام التي حددتها التوراة ، يأخذ على المفسرين أنهم لم يعرفوا مدلول القرآن ، لان ذلك لا يرجع الى اللغة ، وانما يرجع الى الدراسات العلمية ، فالمقصود بالايام دورة زمنية غير محددة ، وهذا المعنى يمكن أن يكون للكلمة موجود في أكثر من موضع في القرآن . واقرأ ما يأتي :

والحوار الرمزي بين الله من جهة
والسما والندنيا والارض البدائيتين
من جهة ثانية • والمراد خضوع
السموات والارض يعد تشكلهما
لاوامر الله •

ويدفع اعتراض القائل بأن العدد
ثمانية أيام المتحصل من اضافة
دورتى تكوين الارض الى الدورات
الاربعة والدورتين المحصصتين
لتكوين السماء فالمجموع ثمانى
دورات وهو ما يتخالف مع عدد
السته المحدد من قبل ، يدفع هذا
الاعتراض بأن هذا النص الداعى
الى التفكير فى القدرة الالهية يمثل
جزأين موصولين بلفظه ثم المترجمة
انى زيادة ولكنها تعنى « بعد ذلك »
أو « تبعاً لذلك » أكثر مما تعنى
« فيما بعد » فهى اذن تفرض معنى
تتابع مترتب على تتابع أحداث ،
ويمكن أن يراد مجرد ذكر عادى ،
وينتهى الى أنه لا تعارض ، وأن
التكوين حدث فى ستة أيام أى ست
دورات أو مراحل •

وتوضيح تفسيره هو أن الله خلق
الارض فى يومين ، وخلق ما ذكره
من الرواسى الى وقدر فيها أقواتها

ويعتبر فهنا اللفظة الايام الواردة
فى القرآن بالمعنى الذى ندركه عادة
مهزلة • وهنا يقول :

وقد ذكر القرآن الخلق فى أطول
مقاطعه التى عالجت موضوعه وهو
يسرد وقائع وجود الارض مقابل
أخرى لوجود السموات • يقول
الله مخاطباً الرسول سورة ٤١ آية
٩ - ١٢ يقصد سورة فصلت :

« قل أنتم لتكفرون بالذى خلق
الارض فى يومين وتجطلون له اندادا
ذلك رب العالمين • وجعل فيها
رواسى من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام
سواء للسائلين • ثم استوى الى
السماء وهى بخان فخاللها وللارض
انثيا طوعا أوكرها قالتا انثيا طائمين
ففضاهن سبع سموات فى يومين
وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا
السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك
تقدير العزيز العليم » •

ويملق على هؤلاء الآيات قائلا :
هذه الآيات الاربعة من السورة ٤١
تبرز مشاهد متعددة : الحالة الغازية
البدائية لمادة السماء ، والتحديد
الرمزى لعدد السموات السبع ،

والارض » بمعنى أيهما خلق أولا ، ويورد آيات كثيرة من القرآن ويذكر رأيا ارتأه قائلا : وقد بدا لى أن فى القرآن مقطعا واحدا ذكر فيه تتابع واضح بين أحداث متنوعة للخلق وهى الآيات ٢٧ - ٣٣ من السورة ٧٩ (النازعات) :

« أنتم أشد خلقا أم السماء بناها • رفع سمكها فسواها • وأغطى ليلها وأخرج ضحاها • والارض بعد ذلك دحاها • أخرج منها ماءها ومرعاها • والجبال أرساها • متاعا لكم ولانعامكم » •

ثم يتحدث عن « التتابع الزمنى الذى هو أساس تكوين العالم وانتهاءه ببناء العالمين » عارضا آيتين من القرآن فيهما خلاصة من الاحداث التى آلفت التتابع الزمنى الذى هو أساس لتكوين العالم :

« أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ • هى افلا يؤمنون » سورة ٢١ آية ٣٠ « • ثم استوى الى السماء

فى تنمة أربعة ايام ، فالارض وما عليها وتقدير الارزاق فى أربعة ايام وبقية الستة كانت يومين لخلق السموات ، ولذا استخدم ثم للفصل بين المجموعة الاولى والمجموعة الثانية ، الاولى لها أربع دورات والاخرى لها دورتان حسب رأيه العلمى •

وقد ذكر المفسرون أمثلة توضيحية لهذه المسألة منهم فى القديم (النفسى) ومن المحدثين الشيخ متولى الشمرأوى الذى مثل بالآتى :

« أقول وضعت أساس العمارة فى ثلاثة أشهر وأتممت بناءها فى عام ، هل معنى ذلك أن العمارة استغرقت عاما وثلاثة أشهر ؟

لا • لقد أتممتها فى عام ولكن جزء الأساس استغرق ثلاثة أشهر من عام البناء، هنا تحدثت بالتفصيل والجزء من الكل ليس منفصلا ولا زائدا عنه (١) •

ثم يذكر أن القرآن لم يحدد نظام تتابع فى خلق السموات

(١) معجزة القرآن ص ٧٢ •

« الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام » •
وهكذا يمضى فى تناوله للوحي
القرآنى عارضا معطياته مع
المعارف الحديثة وفى كل حالة
لا يتناقض أبدا مع تلك المعارف
الحديثة واليك لمحات مما سجله
فى كتابه ، وهى ومضات علمية تمثل
منهجه فى تناول الآيات القرآنية ،
ولا تغض من معارفنا التفسيرية :
١ - « أصل الحياة » •

شغلت هذه المسألة الانسان فى
كل زمن ، ومع تعرض القرآن لأصل
الحياة فى خطها العام فإنه يوجز
ذكر مجدا فى آية تعنى أيضا بموضوع
تكون الخلق سورة ٢١ آية ٣٠
« أولم ير الذين كفروا أن السموات
والارض كانتا رتقا ففتقناهما
وجعلنا من الماء كل شيء حى
أفلا يؤمنون » أن مفهوم أصل
الاشياء ليس موضع شك ، اذ يمكن
أن يفهم من هذه الآية أن الماء مادة
أساسية فى صنع كل شيء حى ، أو
أن الماء هو أصل كل شيء حى ،
وهذان المعنيان الممكنان متوافقان
تماما مع المعطيات العلمية ، فقد

وهى بخان فقال لها وللأرض
سورة ٤١ آية ١١ اللتين أطاعتا
الأوامر بالخضوع ونسجتن
الأتى :

١ - وجود طبقة غازية مشحونة
بذرات دقيقة ، لأنه كذلك ينبغى
تفسير كلمة « الدخان » فى العربية •
٢ - ذكر تتابع زمنى للفتق من
كتلة واحدة أساسية ملتزمة العناصر
فى الاصل (الرق) و (الفتق) فى
العربية هو الكسر والفصل والشق ،
والرق هو الجمع واللام بين
العناصر لتكوين كل متجانس •

٣ - رقم (٧) الوارد فى القرآن
أربعا وعشرين مرة لمحدودات
مختلفات معناه فى الغالب هو الكثرة ،
وبدون الآيات التى ورد فيها رقم
٧ ومنها تلك الآية :

« الله الذى خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يقنزل الامر
بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء
قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء
علما » • ويجعل منها دليلا على
وجود سموات كثيرة وأراض كثيرة
ووجود خلق وسيط بين السموات
والأرض ، ويستدل بقوله تعالى

شخصية محصنة : لأن الترجمات حتى المعاصرة تنسب إليها عادة معنى غير مقبول • ويسوق لنا مثلين مما لم يقبل من التفسير •

١ - ترجمة (بلاشير) «في الحقيقة ان لكم بالتأكيد عبرة في أنعامكم نسقيكم من حليب نقى سائغ للشاربين من هذا الذي في بطونها وبين الغذاء المهضوم والدم» •

٢ - ترجمة (حميد الله) «نعم لاشك أن ثمة ما يستوعى تفكيركم في الانعام وما بطونها نسقيكم من خلال البراز والدم حليبا صافيا سائغا للشاربين» •

ويطلق على هذين التفسيرين بأن هذه الترجمة غامضة جدا ولا تتسجم مع المفاهيم الحديثة حتى البدائية • ومع أن هذه الاسطر من صنع أكابر علماء العربية الا أننا نعلم جيدا بأن المترجم مهما كان بارعا عرضة لارتكاب خطأ في ترجمة المفاهيم العلمية الواردة فيها إذا لم يكن اختصاصيا في المادة المعينة هنا • والترجمة التي تبدو لي صحيحة هي :

عثر على أن أصل الحياة مائي وأن الماء هو العنصر الأول لكل خلية حية وأنه لا سبيل الى الحياة دون الماء ، وعندما ندرس امكانية الحياة على أى كوكب نبادر الى التساؤل : هل يحتوى هذا الكوكب الماء بكمية كافية ؟ ويسير في مفاهيمه ذاكرة العثور على البسات المائي من العصر السابق (لكامبرى) أى الاراضى الأكثر قدما في علمنا • • الى أن يقول : وهكذا فإن كل آيات القرآن المتعلقة بأصل الحياة سواء كان يراد أصل الحياة العامة ، أو العنصر الذى ينبت الزرع أو البذرة الحيوانية متفقة مع المعطيات العلمية الحديثة كل الاتفاق •

٢ - « منشأ مركب الحليب » ولنذكر الآية • قل تعالى :

« وأن لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » سورة النحل آية ٦٦ يقول الكاتب الفرنسى : أن وصف القرآن لمنشأ مركبات الحليب الحيوانى متفق تماما مع معطيات المعرفة الحديثة في تلك الآية ، وطريقة التفسير هي

فيها التحول الكيميائي تمر عبـرة غسـاوة نمو الدورة الدموية العامة ، وهذا العبور يتحقق بطريقتين : اما بطريقة مباشرة بواسطة ما نسميه الشرايين اللعفاوية ، واما بطريقة غير مباشرة بالدورة التي تسوقها الى الكبد أولا حيث تتلقى بعض التصويرات ثم تبرز لتصل اخيرا بالدورة الدموية العامة ، وبهذه الطريقة كل شيء يمر أخيرا عبر الدورة الدموية .

ان مركبات الحليب ترشح من الغدد الرضعية التي تتغذى — اذا أمكن القول — من حصيلة هضم الاغذية التي تصلها بواسطة الدم السائل ، اذ يلعب الدم دور المصدر والمورد للمواد المستفـلصة من الاغذية ليجلب الغذاء للغدد الرضعية المنتجة للحليب كما تجلب لغيرها من الاعضاء الاخرى .

وهنا كل شيء ينشأ من عنـدنا في وضع المحتوى المعوي بحضرة الدم في مستوى الجدار المعوي ذاته . هذا المفهوم الدقيق يرجع الى أبحاث كيميائية وعضوية في عملية الهضم ، وقد كانت مجهولة تماما

« في الحقيقة ان لكم في حيوانات قطعانكم عبـرة تعطىكم للشرب مما في داخل جسمها والذي ينتج من الصلة ما بين محتوى الامعاء والدم حلييا صافيا سائنا للشاربين » وقد تخالفه في رأيه هذا أو توافقه فللرجل فهمه ، وهو لا يقف عند هذا بل يقول: ان هذه الترجمة قـرية مما يوضحه المنتخب في طبـته المنشورة سنة ١٩٧٣ م من قبل المجلس الاعلى للشئون الاسلامية في القاهرة الذي يعتمد على معطيات من علم اعضاء الحيوان الحديث .

وبعد أن يوازن بين الكلمات في الترجمات التي قدمها في اللغة الفرنسية وما يقابلها في العربية يفسر لنا معنى الآية علميا قائلا : ينبغي لالتقاط معنى هذه الآية من وجهة النظر العلمية أن نذكر مفاهيم في علم الاعضاء الحيواني ، تتكون المواد الاساسية التي تؤمن تغذية الجسم بوجه عام من تحولات كيميائية تجرى في طول القناة الهضمية ، وهذه المواد تأتي من عناصر حاضرة في محتويات الامعاء، وعند ما تصل الى المرحلة المراد

استطعتم أن تنفخوا من أقطار
السموات والأرض فانفخوا
لا تنفخون إلا بسلطان» سورة
الرحمن •

وهنا يذكر الترجمة ويبين معنى
إذا وإن ولو وما يقابلها في اللغة
الفرنسية ويخلص إلى أن هذه الآية
تشير إلى الامكانية التي سيحقق
بها الناس مانسميه في عصرنا — على
سبيل التجوز — « غزو الفضاء »
وينبغي التنبية إلى أن النص
القرآني لا يتعرض فقط إلى
النفوذ من أقطار السماء فحسب ،
بل من أقطار الأرض أيضا ، وهذا
يعنى سبر الأعماق ، ويسبق هذا
قوله • ويبدو أن السلطان الذي
يملكه الناس ليحققوا هذه الخطوة
مستمد من القادر على كل شيء •

أما الآيتان الأخريان في السورة
١٥ آية ١٤ — ١٥ فيتحدث الله
فيهما عن كفار مكة كما يسدل عليه
سياق النص في السورة « ولو
فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا
فيه يعرجون • لقالوا إنما سكرت

في زمن الرسول ومعرفتها تعود
إلى الفترة الحديثة ، كما أن الدورة
الدموية هي من توضيح (هاري)
الذي ظهر بعد الوحي القرآني بما
يقارب عشرة قرون • وفي رأي أن
وجود الآية التي تشير إلى هذه
المعلومات في القرآن لا يمكن أن
يكون له تفسير بشري بسبب
العصر الذي أعطيت فيه •
والمترجمون (١) يعلقون : يعنى أنها
لا يمكن أن تكون من كلام البشر •

٣ — غزو الفضاء •

وقف المؤلف مذهوشا أمام آيات
ثلاث تستحق أن تجتذب كل انتباه
من وجهة النظر العلمية :

الأولى ، تذكر دون لبس ما يمكن
أن يفعله الناس في مضمار غزو
الفضاء وسيفعلونه • أما الأخريان
فيذكر الله فيهما لكفار مكة الدهشة
التي ستصيبهم إذا عرجوا في السماء
مشيرا بهذا إلى فرضية يستحيل
عليهم تحقيقها :

الآية الأولى : ٣٣ من السورة ٥٥
« يا معشر الجن والإنس إن

(١) من ١٧٢ من الكتاب نفسه •

متأثرين بهذه التحقيقات التي لا يمكننا أن نفترض ظهورها من فكر انسان عاش منذ أربعة عشر قرناً ؟

وهكذا يبدى رأيه هرا طليها في جميع ما تعرض له سواء في العهد القديم أو العهد الجديد أو القرآن واضعا نصب عينيه الحقيقة ، وقد فاز القرآن بشهادة من رجل منصف ، وان كان القرآن في عنى عن العالمين الا أن كلمة الحق يرضاها الله ، والحق أحق أن يتبع . وما من شك في أن قارئ هذا الكتاب «التوارة والانجيل والقرآن» يحصل منه على فوائد تكشف له عن معلومات تجلو البصر والبصيرة ان صح التعبير ، وتدعو الى مواصلة البحث واثراء المجال الفكرى ، والواقع أنى لم أقلغيه ما يكشف عن مراميى ولكنى ألقى لمحات ، واقتطعت مقتطفات قد تجد عند القراء اشارة لهم ليقروا الكتاب في ترجمته أو في أصل في لغته الفرنسية .

ولو خلا الكتاب من كلمات ابن الله ، وموت عيسى وما الى ذلك لاقترب من التعاليم الاسلامية ،

ابصارنا بل نحن قوم مسحورون» انه تعبير عن الاندهاش أمام مشهد غير منتظر مخالف لما كان يمكن للانسان أن يتصوره ، لقد بدئت الجملة الشرطية بحرف « لو » الذى يفرض معه استحالة تحقيق المطلوب من المخاطبين ، ولذلك فانا نجد أنفسنا اذن بمناسبة غزو الفضاء أمام فقرتين من القرآن : احدهما لما سيتحقق يوما ما بفضل القوى التى سيمنها الله للذكاء والبراعة الانسانيين ، وتذكر الاخرى حدثا لن يراه كبار مكة ، لان مفهوم الشرط هنا هو لما لا يتحقق قريبا، وان كان سيراه آخرون كما تسوغ الآية الأولى افتراضه وتصف ردود الفعل الانسانية أمام المشهد المفاجىء الذى سيواجه المسافرين فى الفضاء ، أيضا مضطربة مسكرة، وشعور بأنهم مسحورون .. وقد عاش هذه الدهشة رواد الفضاء منذ سنة ١٩٦١ وما بعدها .

ويختتم كلامه مظهرا دهشته راضيا بما وصل اليه : وكيف لا نجد أنفسنا هنا أيضا عند مقابلة نص القرآن مع المتجزات الحديثة

ولكن حسب ما أنه أبرز في سلامة نظره، وبراءة تفكر أصالة الوحي القرآني، وجعله الوثيقة الوحيدة من عند الله لهداية البشر التي جاءت إلينا منه دون تدخل من صنع البشر، أليس هو القائل عنه في الخاتمة : « أنه يبرز للذي يمارس اختباراه وتحليله بموضوعية كاملة في ضوء العلم ذاتيته الخاصة به ، وهي الاتفاق

التام مع المعطيات العلمية لحدیثة، ويكشف حقائق من النوع العلمي تجعل من المستحيل على رجل في عصر محمد أن يكتبه » .

انه الكاتب الفرنسي موريس بوكاي المستشرق الأمين يحسن أن تقرأ كتاباته وكتابه الذي بين أيدينا صورة من عطاءه وسداد تفكيره .
السيد حسن قرون

فهرس العدد

الموضوع	صفحة
● كلمة افتتاح العدد	
● للأستاذ محمد صابر البرنيسى	٦١٣
● لقاء مع فضيلة الإمام الأكبر	
● الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن بيسار - شيخ الأزهر	٦١٥
● مكانة الحديث في التشريع الإسلامى	
● للدكتور الحسين هاشم	
● الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية	٦٢٤
● انتشار الإسلام خارج بلاده - لا تزرعوا السموم فتقتلكم	
● لفضيلة الشيخ مصطفى الطير	٦٣٧
● نظرات قرآنية : من الحديد عن أصحاب الكهف	
● للدكتور محمد رجب السبوى	٦٥١
● المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف	
● الدكتور رموف شلى	٦٥٨
● في مواجهة الاتحاد العلمى - منشأ القصور في المنهج العلمى	
● للدكتور يحيى هاشم	٦٧١
● القرآن والدراسات النفسية	
● للدكتور عبد الفنى الراجى	٦٨٥
● مع العلاقة الندوى في روائع اقبال	
● عرض للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى	٦٩٢
● الباحث عن الحقيقة	
● للمرحوم « محمد عبد الحليم عبد الله »	
● من منظور الفن الروائى	
● للدكتور فتحى محمد أبو عيسى	٧١٧
● القرآن الكريم وحرية الرأى	
● للدكتور عبد الحليم حفى	٧٢٦
● اللغة العربية والبيان القرآنى ألفاظ القرآن	
● للدكتور إبراهيم عوضين	٧٣٦

الموضوع	صفحة
● ملامح الأصالة في الفكر العربي الإسلامي	
للدكتور عبد الحميد محمد العبيسي	٧٤٥
● الأزهر جامعا وجامعة او مصرفي ألف علم	
للاستاذ محمد كمال السيد	٧٥٤
● قيس بن عاصم : سيد أهل الوبر	
للدكتور منيفي عبد الرحمن	٧٧٠
● باب الفتاوى	
للاستاذ عبد الحميد شاهين	٧٩٦
● حكم وطرائف	
اعداد الاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٨٠٠
● كتاب الشهر – التوراه والانجيل والقرآن والعلم	
مرض للاستاذ / السيد حسن قرون	٨٠٥



المسئول
إدارة الأزهر
بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢
ت (٩٠٥٥٠٦)

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
محمد صابر البرديسي

الجزء الخامس - السنة الثمانية والخمسون - شعبان سنة ١٤٠٠ هـ - يوليو سنة ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحات من الإسراء والمعراج

للمؤلف محمد صابر البرديسي

قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده
ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى ،
أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه
نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى «
الآيات .

اعتاد المسلمون في الأيام
الآخرة من شهر رجب من كل عام
أن يحتفلوا بذكرى عطرة ،
تتعلق بالإسراء والمعراج ،
يحفزهم الى ذلك مشاعر طيبة
تتبع من الإيمان بالله ، والحب

قال تعالى : « سبحانه الذي
أسرى بعبده ليلاً من المسجد
الحرام الى المسجد الأقصى الذي
باركنا حوله . لنريه من آياتنا
انه هو السميع العليم » .

وقال تعالى : « والنجم اذا هوى
ما ضل صاحبكم وما غوى ،
وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا
وحى يوحى ، علمه شديد القوى ،
ثم مرة فاستوى ، وهو بالآفاق
الأعلى ثم دنا فتدلى ، فكان قاب

« صلى الله عليه وسلم » عندما يشتد به الضيق ، ويكثر أذى الكفار له ، وتتكرر قریش لما جاء به ، ويصبح في حيرة من أمر هؤلاء الناس .

وثانيهما : حماية عمه أبي طالب ، فقد أعانه ، ودافع عنه ، ومنع الكثير من أذى المشركين له ، لئلا من جاء ومكانة في قریش .

وشاء الله أن تموت زوجته السيدة خديجة في العام الذي يموت فيه عمه أبو طالب ، ويفقدونها فقد الحمايتين .

والله سبحانه لا يتخطى عن أنبيائه إذا فقدوا المعين ، فهم يفقدون الأسباب الظاهرية ، فإن الله يكون بجانبهم ، يحميهم وينصرهم ، ويكشف عنهم السوء « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ؟ » لقد جاء حدث الاسراء والمعراج تسلياً لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » حين فقد زوجته وعمه في عام واحد ، حتى لقد سمي هذا العام « عام الحزن » . أراد الله أن يشرفه ،

انصافاً لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقد كان حدث « الاسراء والمعراج » تكريماً لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » وتقوية لإرادته ، وبرهاناً على أن الله « سبحانه وتعالى » معه وأنه سيتولاه باحسانه وتوفيقه ، ويمده بنصره ولن يتخطى عنه .

لقد وقف المشركون من رسول الله « صلى الله عليه وسلم » منذ جهر بدعوته موقف العداء ، وترصدوا له في كل مكان ، وألحقوا به وبأصحابه أشد ألوان الأذى والنكال ، ولكن رحمة الله برسوله « صلى الله عليه وسلم » جعلته يحتل هذا العنت ، وذلك التحدي .

وقد شاعت إرادة الله أن تكون لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » في بدء رسالته « حمايتان » .

أحدهما : من جهة زوجته السيدة « خديجة » « رضى الله عنها » إذ كانت هي المسكن في بيته حين يلجأ إليه الرسول

اختبارا لطائفتين من الناس :
طائفة آمنت بالله ، واعتصمت به ،
لا تؤثر فيها الاحداث ولا تزعمها
الأعاصير ، وكان الحدث اهم هدى
ورحمة وبقينا وثبينا .

وطائفة أخرى أشركت بالله ،
وعصيت عن الحق ، فأجمعت أمرها
على الإنكار ، وعزمت بكل قوتها
على الوقوف ضد هذا الدين
الجديد ، والتصدى لرسول الله ،
والقضاء على الاسلام في مهده
قبل أن يستفحل أمره ، وارتد
بعض المسلمين الذين لم يصلوا
الى مرتبة اليقين .

هؤلاء المشركون ، والمرتدون ،
عجبوا أن جاءهم محمد بالمعجزات
ولم يصدقوا بالآيات ، ولم يدركوا
قدرة الله فباعوا جميعا بالخسران .
أنكروا حادث الاسراء والمعراج ،
وقالوا لرسول الله : أتدعى أنك
أتيتها في جزء ليلة ، ونحن نضرب
اليها أكباد الابل شهرا ؟

مالوا عن الحق ، وحادوا عن
الطريق السوى .

ولكن رسول الله « صلى الله

وأن يميزه بخصائص تنسيه همومه
وتعوضه ما فقد ، خصه بمعجزة
الاسراء والمعراج ، وخرق له
فيهما قوانين الكون فمعجزة
وتعوضه ما فقد ، المعراج
لم يصل اليها ، بشر ، ولم
يقدر عليها ملك ، فقد توقف
جبريل في المرحلة الأخيرة من
مرحلة السماء ولم يقدر عليها ،
وانفرد رسول الله صلى الله عليه
وسلم بها ، فكان ذلك شرفا لمحمد
صلى الله عليه وسلم ، وأنسا من
الله لرسوله بدنوه منه ، ورؤيته
للحق جل جلاله ، وبالاستماع الى
كلامه مباشرة وبلا واسطة .

كما شرفه الله تعالى بالنعائمه
بالأنبياء الذين سبقوه ، والتحدث
مهم ، وامامته لهم .

ان هذا الحدث العظيم مع ما
أفاضه الله على رسوله من نور
الهي وتجل رباني كان له تمزية
وسلوى لما أصابه من موت زوجه
وعمه ، وثبينا لقلبه ، وتأكيدا
لنصر الله له .

ان حدث الاسراء والمعراج جاء

الاسراء كان بالروح والجسد معا، ولذا وقفوا منه موقف التكذيب له فيما يظنون أنه ادعاء، فقالوا له :

« ادعى أنك أتيتها في جزء ليلة ، ونحن نضرب اليها أكباد الأبل شبرا ؟ » ولو أنهم فهموا أنه كان مناما أو بالروح فقط لما واجهوه بهذا السؤال .

وقد وصف لهم الرسول « صلى الله عليه وسلم » المسجد الأقصى كما رأوه وكما يعرفونه ، وهم يعلمون أنه لم ير المسجد الأقصى ولم يذهب اليه ولو شكوا في أنه رآه لما طلبوا منه أن يصفه .

ولم يكنف رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بوصف المسجد لهم كدليل على صدق قوله ، بل أخبرهم بالقوافل القادمة ، وبأشياء رأها على الأرض خلال الاسراء به من مكة الى بيت المقدس والعودة ، والقافلة بعد في طريقها الى مكة لم تصل ، ثم ترصدوا القافلة فوجدوا الامر كما قال الرسول « صلى الله عليه وسلم » . وكان يقصد بذلك كله أن يعطى

عليه وسلم « لم تمنعه سخرية المرتدين ، وارتداد ضعاف الايمان من المسلمين من المضي في اعلان هذا الحدث العظيم لثقتة بالحق الذي جاء به ، والحق الذي وقع له .

ايمانه بما رأى جملة يصارح قومه به غير محال برأيهم فيما رآه . بعد ألف عام ، من عمر الاسلام يأتي قوم شنفوا بجدل الكلام ، وانصرفوا عن جوهر الحدث الأصيل ، الى الجدل الشكلى فيقولون :

أكان الاسراء في اليقظة ؟ أم كان ذلك مناما ؟

أكان ذلك بالروح فقط ؟ أم كان ذلك بالجسد والروح ؟ وهل كان ليلا ؟ أم كان ذلك نهارا ؟

مثل هذا الجدل من الكلام ، لا يحدث الا حين تضعف الثقة في الله ويخف وزن الايمان . ان المشركين ، وهم في قمة عنادهم ، فهموا من رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أن

انفاس آيات أرضية حسية مشهودة • ولا يعجزه شيء في السموات والأرض ، فلا أسباب ولا زمان ولا مكان مع قدرة الله •

وكانت جزء ليلة بحسب المراتب التي تعرض لها الرسول « صلى الله عليه وسلم » ورآها في طريقه بنفسه وببشريته ، بمعنى أنه « صلى الله عليه وسلم » اذا رأى منظرا من المناظر ، فرويته لذلك المنظر هي التي تحتاج الى الزمن ، فالأشياء التي رآها هي التي صاحبت الزمن •

تعرض القرآن لحديث الاسراء صراحة في أول آية من سورة الاسراء وتعرض لحديث المعراج ضمنا والتزاما في الآيات الأولى من سورة النجم فلم يقل سبحانه وتعالى « لقد عرج محمد — وانما ذكر آيات تستلزم أنه عرج — وهذا من رحمة الله ، فالحدث الذي أقام عليه الرسول « صلى الله عليه وسلم » الدليل المادي — « كالوصف والآيات الأرضية الحسية التي شهداها خلال الاسراء به » — أتى به صراحة •

ومتى تأكدوا من صحتها يصبح ذلك دليلا على أن الله قد خرق له القانون في الأرض وصارت له معجزة تكون بمنزلة (صدق عبدي في كل ما يبلغ عني) •

فاذا أخبرهم بعد ذلك بأمر المعراج أو بأي شيء آخر فانهم يصدقون ولا يشكون •

فالاسراء كان مقدمة للدلالة على صدق ما حدث وما دام الله قد خرق له قوانين الأرض فهو قادر على أن يخرق له قانون السماء « وهو حدث المعراج » •

ربما كان الاسراء نقلة عجيبة بالقياس الى مألوف الناس ، ومقدور البشر ، فهو حدث عجيب غريب ، تقف فيه العقول ، ولكن اذا علمنا أن الله هو الذي أسرى بمحمد « صلى الله عليه وسلم » ، ومحمد أسرى به ، وما دام الله هو الفاعل فلا غرابة ولا عجب في أن يسرى به في جزء ليلة بل في لحظة ، فان الله يقول للشيء كن فيكون ،

يصحبه جبريل في رحلتيه « الأرضية والسمائية » وبعد سُدرة المنتهى توقف جبريل ، وانتهى هذه ، وزج برسول الله « صلى الله عليه وسلم » في سُبُحات من النور ، وارتقى الى ما يناسب ذلك الملا الأعلى .

ثلاثة أشياء حدثت لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » في رحلته الأرضية والسمائية :

١ - بشرية في الأرض : وكان جبريل فيها يرى محمدا « صلى الله عليه وسلم » الأشياء .

٢ - ملائكية في السماء : قبل سُدرة المنتهى ، كان يسمع فيهم بلا واسطة جبريل ، فقد تحولت ذاتية محمد وأصبحت ملائكية ، طرحت بشريته في الأرض ، وأصبحت ملائكيته هي المسيطرة عليه .

٣ - ملائكية فوق الملائكية : ارتقى فيها ، ولم يكن جبريل معه ، وهي التي كانت بعد سُدرة المنتهى ، تعرض فيها الرسول الى خطاب الله ورؤيته له سبحانه وتعالى .

أما الأمر الذي لا يمكن أن يقام فيه الدليل المادي « لأنه سماوي » أتى به التزاما ، وتركه لمدى يقين العبد بربه وتوثيق الخبر من الله أو من رسوله - ومن هنا قال العلماء (الذي يكذب بالاسراء يكون كافرا ، والذي يكذب بالمعراج لا يكون كافرا بل يكون فاسقا » . حدث الاسراء نقلة أرضية .

أما حدث المعراج فهو نقلة سماوية ، تخطى محمد « صلى الله عليه وسلم » الأرضين والسموات ، وتجاوز الكون كله ، ووصل الى ما لم يصل اليه نبي مرسل ولا ملك مقرب .

وصل « صلى الله عليه وسلم » الى اقرب ما يكون من النور الالهي .

« فكان قاب قوسين أو أدنى » .
وحيثما سعد رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الى الملا الأعلى ، وتنقل في السموات السبع ، وجاوزها الى سُدرة المنتهى ، بعد أن التقى بالأنبياء وبالملائكة ، يراهم ، ويتكلم معهم ، وكان

وكانت الصلاة هدية لأمة محمد « صلى الله عليه وسلم » لأنه كان في القرب من الله ، والصلاة تقرب المؤمنين من ربهم ، فهي « هدية القرب للقرب » قال تعالى « فاسجد واقترب » ويقول الرسول « صلى الله عليه وسلم » « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » .

فالله سبحانه وتعالى ، حيا محمدا « صلى الله عليه وسلم » وكرمه حين قربته منه في الملا الأعلى ، وأراد سبحانه وتعالى أن يكرم أمة محمد « صلى الله عليه وسلم » فحمله هدية « هي الصلاة » . يحملها الى أمته في هذه المناسبة الجليلة حتى تقربهم من الله كما كان للرسول حظه العظيم في القرب منه يقول الامام القشيري :

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق « رضى الله عنه » يقول : ان نبينا عليه السلام أتى للأمة بالمعراج على التحقيق « الصلاة » لنا بمنزلة المعراج .

وقد كان المعراج له عليه السلام ثلاث منازل — من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، ثم من المسجد

لم يستطع جبريل عليه السلام ، وهو أقرب الملائكة الى الله أن يصل الى هذه المكانة ، بل ان جبريل عليه السلام ، قال لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » عندما وصل الى سدره المنتهى وطلب منه أن يتقدم ، قال جبريل : « اذا تقدمت أنا احترقت ، واذا تقدمت أنت احترقت » وذلك لأن نور الله سبحانه وتعالى في هذا المكان بالذات لا يستطيع أن يتحملة حتى أعظم الملائكة (جبريل) عليه السلام .

في هذا المكان الجليل الشأن ، العظيم القدر فرضت الصلاة ، فدل ذلك على قدرها وجلال شأنها وقيمتها العظمى كركن من أركان العبادة كانت الصلاة التي فرضها الله على أمة محمد هي الصلاة الجامعة لكل المصلوات السابقة وكانت خمسين صلاة ، فما زال الرسول « صلى الله عليه وسلم » يسأل ربه التخفيف حتى صارت خمسا ، وبقيت في الثواب خمسين . وتختلف عن بقية الفرائض في أنها فرضت مباشرة ، وغيرها كان بطريق الوحي .

كان أبى بن كعب يحدث أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : « ما معناه » « وأنا بمكة نزل جبريل ففتح صدرى ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطشت من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدرى ، ثم أطبقه » لقد بدأت رحلة الأسراء والمعراج بتطهير القلب ، وانتهت إلى الرقى الروحى ، والفيوضات الإلهية ، انتهت إلى الغاية الحقيقية الانس بكلام الله ورؤية الحق (فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى) - (ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى) •

وفى هذا منتهى السعادة ، وغاية الانس •

نسأل الله أن يمتعنا بالنظر إلى وجه الله الكريم فى الجنة « وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة » • كما نسأله أن يسدد خطانا ، ويمنحنا التوفيق ، ويحفظنا من الأخطاء ، والله الهادى إلى سواء السبيل •

محمد صابر البرديسى

الأقصى إلى سدرة المنتهى ، ثم منها إلى قاب قوسين أو أدنى •

فكذلك لنا الصلاة ثلاث منازل • القيام ، ثم الركوع ، ثم السجود •

والسجود نهاية القرب ، قال تعالى « فاسجد واقترب » ويقول الامام القشيري :

ومن لطائف المعراج ، ومما خص به الرسول « عليه السلام » فى أول حاله فى تلك الليلة الطهارة -

« أن جبريل عليه السلام حملته إلى زمزم ، وشق صدره ، وغسل قلبه »

وقد شق قلب النبى « صلى الله عليه وسلم » مرتين ، مرة فى حال صعباء ، حين كان فى حجر حليمه •

والمرة الثانية : - ليلة المعراج - وإنما خص القلب بالغسل لكيلا يكون لغير الحق نصيب فى قلبه ولأنه إذا صلح القلب صلح الجسد كله •

ولتنبية الأمة على طهارة القلب • روى أحمد بسنده عن أنس بن مالك - « رضى الله عنه » قال :

حول رأى العلامة ابن خلدون

في اجتماع الناس والولاية عليهم

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد الطيب البخاري
وكيل كلية الزراعة

يقول الحكماء « ان الانسان مدنى بطبعه » ومعنى ذلك : أنه لا يمكن أن يعيش مستقلاً بنفسه ، بل لابد من اجتماعه مع الناس ، واجتماع الناس معه ، وتعاونهم جميعاً ، للحصول على ما تتطلبه الحياة من طعام ، وشراب ، وخبء وكساء . بل والحصول على ما وراء ذلك من الكماليات التي تتقبل الانسان الى مستوى كريم من الحياة ، وتوفر له من أسباب الراحة والطمأنينة ما تسعد له نفسه . وينهض به الى درجة لائقة ، تمكنه من استغلال ما سخره الله له على ظهر الأرض من حيوان ، ونبات ، وجبال ، وأنهار

وبحار . وفي بيان ذلك يقول ابن خلدون في مقدمته : « ان الله — سبحانه وتعالى — خلق الانسان وركبه على صورة لاتصح حياتها الا بالعداء ، وهدام انى التماسه بفطرته ، وبما ركب فيه ، من القدرة على تحصيله . . الا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته ، من ذلك الغذاء . . ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه ، وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً ، فلا يحصل ذلك الا بمد الطحن ، والعجن ، والطبخ » (١) . وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين ،

(١) طبخ العجين تحويله الى خبز .

العدوان طبيعيا في الحيوان ، جعل لكل واحد منها عضواً يقتصر بمدافعته ما يصل اليه من عدوان غيره ، وجعل للانسان عوضاً عن ذلك كله الفكر واليد ، فاليد مهياة للصنائع بخدمة الفكر ، والصنائع تحصل له الآلات ، التي تنوب عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات ، للدفاع . فالرمح مثلاً تنوب عن القرون الناطحة ، والسيف تنوب عن المخالب الجارحة ، الى غير ذلك » .

•• وهذا البيان الواضح من ابن خلدون ، فيه تفصيل دقيق ، عن موقف الانسان على ظهر الأرض في علاقته باخوانه من البشر ، وفي علاقته بما يوجد في الدنيا من كائنات •• فالانسان الواحد — كما ترون — لا يصل اليه الطعام الا اذا تعاونت معه أفراد وجماعات ، تشترك كلها في تهيئة الطعام ، واعداده ، والا اذا عملت فيه آلات ، وصناعات مختلفة ، تحتاج الى الأيدي العاملة الكثيرة ، كل في مجاله الذي يختص فيه • حتى ان اللقمة الواحدة من الخبز ، يشترك في

وآلات لا تتم الا بصناعات متعددة ، من : حداد : ونجار وغلخوري • وهب أنه يأكله حبا ، من غير علاج ، فهو — أيضاً — يحتاج في تحصيله حبا الى أعمال أخرى ، من الزراعة ، والحصاد ، والدراس ، الذي يخرج الحبة من غلاف السنبل ، ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة ، وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير ، ويستحيل أن توفي بذلك كله ، أو بعضه قدرة الواحد • فلا بد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ، ليحمل القوت له ولهم •• وكذلك يحتاج كل واحد منهم — أيضاً — في الدفاع عن نفسه ، الى الاستعانة بأبناء جنسه ، لأن الله — سبحانه — لما ركب الطباع في الحيوان كلها ، وقسم القدر بينها ، جعل حفظ كثير من الحيوانات المعجم من القدرة أكمل من حفظ الانسان ، فقدره الفرس مثلاً ، أعظم بكثير من قدرة الانسان ، وكذلك قدرة الحمار والثور ، وقدره الأسد والفيل ، أضاعف من قدرة الانسان • ولما كان

منفعته ، وميسرها لمصلحته ، وإذا كان الله — عز وجل — قد زود هذه الحيوانات العجم بوسائل لتدافع عن نفسها أمام غيرها ، من سائر الحيوانات ، فجعل لها القرون ، أو الأظفار ، أو الأنياب ، أو الأظفار فقد زود الله الانسان بالعقل ، ليستطيع بتفكيره أن يتعاون مع بنى جنسه في اختراع الآلات ، التى تقاوم هذه القوى • ثم تسخرها لما يجلب له النفع والخير حتى يصبح الانسان وحده سيد هذه الكائنات ..

حاجة للناس الى الوازع :

ثم يتحدث ابن خلدون بعد ذلك عن : حاجة الناس الى وازع يردعهم عن المظالم ، ويراقبهم فيه تحقيق التعاون والتضامن ، حتى لا يفتكسوا الى الحيوانية الشرسة ، فيطغى القوى على الضعيف ، ويفترس الكبير الصغير ، وتسود في الناس شرعة الغاب ، ومنطق الظفر والغاب ، • وهذا الوازع انما هو الحاكم ، الذى يتولى قيادة الناس ، وتوجيههم • ويفصل في مظالمهم ، ويرسم لهم المنهج ، الذى يصلح

توصيلا الى الفرد عدد كبير ، ما بين زارع ، وحاصد ، وطاحن ، وعاجن ، وخابز ، وتشترى ترك في تهيئتها آلات كثيرة ، صنعها صناع كثيرون ، وبفضل تنسيق التعاون بين الأفراد تسير أمور الناس ، وتنظم أحوالهم ، ويصحبون جميعا كالجسد الواحد ، لا تشيع فيه الحياة ، ولا تكمل له القوة الا اذا قامت كل جارحة فيه ، بل كل ذرة منه بواجبها المرسوم لها في خدمة الجسد كله • قال الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى • • » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « الناس بخير ما تعاونوا » وفي هذا المعنى يقول الشاعر العربى :

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم
والانسان محتاج — كذلك — الى
التعاون مع أبناء جنسه ، للدفاع عن نفسه ، أمام ما خلق الله في هذه الدنيا ، من حيوانات قوية ، ووحوش ضارية ، وقوى شريرة ، بل هو أشد حاجة الى التعاون ليحول هذه القوى الجبارة الى

الأساس في الولاية :

حياتهم ، ويظم أمورهم ..

موقف الفلاسفة :

.. ونحن لا نؤيد ابن خلدون في

مثل هذا الرأي ، ونعتقد أن الأساس الأول في الولاية ، أي ولاية أمور الناس والحكم فيهم ، إنما يرجع إلى النبوة . وأن آدم أبأ البشر هو الحاكم الأول على ظهر هذه الأرض ، وهو نبي ، وقد جعله الله خليفة فيها . وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** * **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** * **قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** * **قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** « (١) »

ولكن ابن خلدون لا يرتضى رأي الفلاسفة الذين يقولون : أن انوازع الذى يوجه الناس إلى طريق الحق هو النبى الذى يصطفيه الله من خلقه ليبلغ الناس رسالة الله التى يهذى بها من يشاء من عباده وأن هذا النبى لابد أن يكون مؤيدا من الله بالمعجزات الخارقة التى يعجز عنها البشر لتكون برهاناً على صدق دعوته .

موقف ابن خلدون :

.. نقول : أن ابن خلدون لا يرتضى هذا الرأي ، ويقول : لا يشترط في الحاكم أن يكون نبيا لأن الحكومات القائمة في هذا العالم لا يعتمد الكثير منها على الانبياء ، ومع ذلك فإن العالم يسير في طريقه ، وتمشى أمور الناس ومصالحهم في دقة وانتظام ، وقد يكون هؤلاء الحكام مجوسا أو مشركين ..

فهذه الآيات تشير الى أول
حكومة قامت على وجه الأرض وأول
خليفة لله فيها ، وهو آدم عليه
السلام ، وقد أفاض الله عليه من
علمه ما يمكنه من معرفة كل شيء في
هذا الوجود ، وهي منزلة لم يجعلها
الله للملائكة المقربين ، وإنما علمه
الله كل شيء ليسطيع أن يضرب في
الأرض ، ويبتلى من فضل الله هو
ومن يتناسل منه هو وحواء من
أولاد ، وهم الأسرة الأولى من
البشر ، وكان يتولى أمورهم ،
أبوهم وحاكمهم ، ونبيهم آدم
أبو البشر .

• • فلما تتابعت الأجيال ،
وتكونت الأمم والشعوب كانوا
يترسمون منهج أبيهم آدم في الحكم
بما علمه الله • • أو منهج الأنبياء

الدين جاءوا من بعده •

واذن فالأساس الذي تقوم عليه
الولاية على الناس هو النبوة ، وقد
جعلها الله في هذه الدنيا على فترات
متباعدة ، أو متقاربة ، وفي أماكن
مختلفة من أرضه الواسعة ، فإذا
وجدت على ظهر الأرض ولايات
لأناس من غير الأنبياء فهم في
سياستهم - لأموور الناس
وتنظيمهم لأحوال المجتمع - إنما
يسرون في ضوء النبوات التي
ظهرت من قبلهم ، ولن يطرد لهم
النجاح والتوفيق إلا بسيرهم على
هذا المنهج القويم ، وهذه سنة الله
في خلقه ولن تجد لسنة الله
تبديلا •

دكتور / محمد الطيب النجار

السنة والحديث والخبر والأثر

للكاتب المصنف هاشم
الزبيدي العام لجميع البحار والبحار

ولما كان النبي « صلى الله عليه وسلم » هو القدوة الحسنة بأقواله وأفعاله قال تعالى « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وفكر الله كثيرا » - كانت السنة في اصطلاح المحدثين هي كل ما أثر عن النبي « صلى الله عليه وسلم » من قول قائله ، مثل ما روى عن علي بن أبي طالب « رضى الله عنه » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن عبس حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا اله الا الله ، وأنى محمد رسول الله بعثنى بالحق ، ويؤمن بالموت ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر) رواه الترمذى .
أو فعل فعله « صلى الله عليه

السنة والحديث والخبر الفاظ لمعنى واحد ، يطلقها علماء الحديث على ما أضيف الى النبي (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير ، أو الى الصحابى أو التابعى .

فالسنة لغة : هي السيرة والطريقة حسنة كانت أم سيئة وفي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، فكل من بدأ عملا ليقتردى به غيره فقد سته له .

والحديث لغة : اسم من التحديث وهو الاخبار ، ويطلق أيضا على الجدة بمعنى الجديد في مقابل القديم ، قال شيخ الاسلام ابن حجر في شرح البخارى ، المرواد بالحديث في عرف الشرع ما أضيف الى النبى (صلى الله عليه وسلم) وكانه أريد به مقابلة القرآن لأنه قديم .

والنبى (صلى الله عليه وسلم) سمي قوله حديثا ، روى البخارى في باب الحرص على الحديث من كتاب الطم عن أبى هريرة أنه قال : يارسول الله . من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا « الحديث » أحد أولى منك ، لما رأيت من حرصك على « الحديث » أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه » .

كما أطلق ذلك على كل ما أثر عنه (صلى الله عليه وسلم) وعن الخلفاء الراشدين الذين اقتفوا أثره .

وسلم « ونقله الينا الصحابة ، مثل ما روى عن أبى هريرة : « أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يعتكف كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين » — رواه البخارى وأبو داود .

وما نقله الينا معاوية في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم وصلاته ، وأدائه المناسك والحج « صلوا كما رأيتمونى أصلى ، خذوا عنى مناسككم » — أو تقريره لأمر وموافقة عليه (صلى الله عليه وسلم) أو أمر فعل أمامه ولم ينكره مثل ما روى عن أبى داود عن أبى سعيد الخدرى ، أنه خرج رجلان في سفر وليس معهما ماء فحضرت الصلاة ، فقيمما صعيدا طيبا فصليا ، ثم وجدا الماء في الوقت فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يعد الآخر ، ثم أتيا الرسول (صلى الله عليه وسلم) فذكرا ذلك له فقال للذى لم يعد : أصبت السنة ، وقال للآخر : لك الأجر ، مرتين . رواه أبو داود والنسائى .

وسلم) وجعل الحديث عاما يشمل قول النبي « صلى الله عليه وسلم » وفعله ، وقال : ان الخبر ما أضيف الى غير النبي (صلى الله عليه وسلم) والآخر ما روى عن غيره من الصحابة والتابعين •

وقرائن الرواية عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين تعين وتحدد مفهوم هذه المصطلحات •

فالسنة ، والحديث • والخبر • والآخر ما سنده الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحدث به وأثر عنه وعن الصحابة والتابعين •

القلب المحدثين

لم يكن علماء الحديث في مرتبة واحدة ، أو يشملهم لقب علمي واحد بل تفاوتت الألقاب بحسب التمكن والفهم والمعرفة والنبوغ فهناك .

الطالب : وهو من يروى الحديث بإسناده ، وليس له علم بأسانيد المتن ، ومعرفة رجاله ، ولا بعال المتن ولا معانيها ، انه مجرد حافظ يحفظ أسماء الرواة • ويحفظ الأحاديث بأسانيدها •

عن العرياض بن سارية قال : صلى بنا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب • فقال رجل :

يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع • فماذا تعهد اليها ؟ قال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا ، فإنه من يمشى منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين : تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » •

رواه أبو داود •

ولذا أقرر رأى جمهور المحدثين بأن السنة والحديث والخبر والآخر ألفاظ مترادفة لمعنى واحد ، وهو ما أضيف الى النبي (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير أو وصفة ، أو الى الصحابي ، أو التابعي خلافا لمن جعل السنة خاصة بأعمال النبي (صلى الله عليه وسلم)

والبخارى ثلثمائة ألف حديث ، وكذلك مسلم • وحفظ أبو داود خمسمائة ألف حديث ، ويحيى بن معين مائة وثلثين ألفا حديث ، والحاكم خمسمائة ألف حديث من شتى أنواع الحديث ، ما بين صحيح وغير صحيح ، مما يتصل بالرسول « صلى الله عليه وسلم » أو الصحابة أو التابعين •

الحجة : هو الحافظ الذي بلغ في الحفظ والانتقان مبلغا يصح أن يكون حجة عند العام والخاص •

الحاكم : من عرف أغلب الأحاديث متنا وسندا وجرحا وتعديلا وتاريخا ونحو ذلك مما يتعلق بها من ناحية هذا الفن •

وأعلى درجات المحدثين « أمير المؤمنين في الحديث » أي أعلم عصره به وأجمعهم له وأكثرهم فهما لما يتصل به •

ومن لقب بأمير المؤمنين في الحديث الإمام مالك • والإمام أحمد ، والبخارى ، والدارقطنى وغيرهم •

ومن لقب بالحاكم • أبو داود

المحدث : وهو من توسع في الرواية والمعرفة فأشغل بالحديث رواية ودراية ، وجمع رواته وأطلع على كثير من الرواة والمرويات في عصره ، وتميز في ذلك حتى عرف فيه خطه ، واشتهر ضبطه • قال التاج السبكي : هو من عرّف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال ، وحفظ جملة مستكثرة من المتن ، وسمع الكتب الستة ، ومسند أحمد وسنن البيهقي •

ومعجم الطبراني ، وضمم إلى ذلك ألف جزء من الأجزاء الحديثة والمقصود أنه من حصل على معرفة بالرجال والكتب تجلته ذاذوق في معرفة الحديث •

الحافظ : من الحفظ ، ويختلف باختلاف العصور ، وهو من عرف شيوخه وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقة أكثر مما يجله ، وقد ذكروا نماذج من حفظ الحفاظ ليستدلوا بها على هؤلاء الحفاظ ومكانتهم •

فالإمام أحمد روى أنه كان يحفظ سبعمائة وخمسين ألف حديث

والترمذى ، والنسائى والحاكم
النيسابورى .

هذه فكرة اجمالية عن مدرسة
الحديث ، ودرجاتها العلمية
ونظامها الحقيقى البالغ الغاية فى
الدقة والنظام ، وقد تحدث علماء
الحديث من دعاة العلم والمتحفظين
على مائدتته فيما يتصل بهذا المجال
فقال التاج السبكى : ومن أهل
الحديث فرقة ادعت الحديث فكان
تصارى أمرها النظر فى مشارق
الأنوار الصاغاني ، فان ترفعت
غالى مصابيح البعوى ، ظنت أنها
بهذا القدر تصل الى درجة المحدثين
وما ذلك الا بجهلها بالحديث ، فلو
حفظ من ذكرناه هذين الكتابين عن
ظهر قلب ، وضم اليهما من المتون
مثليهما لم يكن محدثا ، فان رامت
بلوغ الغاية على زعمها اشغلت
بجامع الاصول لابن الأثير ، فان
ضمت الى ذلك كتاب « علوم
الحديث » لابن الصلاح ، أو
مختصره المسمى « بالتقريب
والتيسير » للنووى ، ونحو ذلك
نودى بمن انتهى الى هذا المقام
محدث المحدثين وبخارى العصر ،

وما ناسب ذلك من الألفاظ الكاذبة
وانما المحدث من عرف الأسانيد
والعلل ، الخ .. ما سبق ذكره فى
تعريف المحدث . وقال أيضا : ومن
أهل العلم طائفة طلبت الحديث ،
وجعلت دأبها السماع على المشايخ
ومعرفة العالى من المسموع والنازل
وهؤلاء هم المحدثون على الحقيقة ،
الا ان كثيرا منهم يجهد نفسه فى
تهجى الأسماء والمتون وكثرة
السماع من غير فهم لما يقرعونه ،
ولاتعلق فكرته بأكثر من تمديد
المشايخ ، والتفاخر بهم ، وانما كان
السلف يستمعون فيقرعون فيرحلون
يفسرون ، ويحفظون فيعملون . أم
بتصرف .

وقد عنف العلماء فى الحملة على
مدعى الحديث أو المنتسبون الى
مدرسته دون جدارة واستحقاق ،
فقال بعضهم :

ان الذى يروى ولكنه

يجهل ما يروى وما يكتب

كصخرة تتبع أمواها

تسقى الأراضى ولا تشرب

وقال فيهم بعض الظرفاء : ان

الواحد منهم قليل المعرفة والخبرة

يمشي ومعه أوراق ومحبرة ، ومعه أجزاء يدور بها على شيخ وعجوز ، لا يعرف مايجوز مما لايجوز ، فكم يرض العلماء التقعر في الحديث والسير فيه دون فهم دقيق وذوق رفيع ، وخبرة عالية ، حتى لقد سرى منهج علماء الحديث الدقيق الى غيرهم ، واشتهرت جديتهم عنهم ، وروى الحاكم النيسابوري بسنده عن محمد بن سهل بن عسكر قال :

وقد أفضنا في هذا المجال لنذكر الى أي مدى حفظ المحدثون مراكزهم ، وحددوا مناهجهم ، وكانت الشهادة لأحد منهم بالأمانة شهادة معبرة صادقة لها مدلولها الصحيح .

كثور الحسيني هاشم

وقد المأمون يوما للأذان ، ونحن وقوف بين يديه إذ تقدم اليه غريب بيده محبرة فقال : يا أمير المؤمنين صاحب حديث منقطع به فقال له المأمون : (ايش) تحفظ في باب كذا ، ؟ فلم يذكر فيه شيئا ،

« اعتراف »

(اني اعتقد أن رجلا كمحمد - صلى الله عليه وسلم - لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم ، لثم له النجاح في حكمه ، ولقاد العالم الى الخير ، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة) .

« برنارد شو »

مسامحة قرآنية .

ليلة النصف من شعبان

ليمت الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم

لفيلة النبي محمد بن عبد الله

« حم (١) والكتاب المبين (٢) انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا
منذرين (٣) فيها يفرق كل أمر حكيم (٤) » من سورة الدخان

البيان

ليلة القدر ، لقوله تعالى انا
أنزلناه في ليلة القدر « ليلة القدر
في رمضان ، لقوله تعالى « شهر
رمضان الذي أنزل فيه القرآن ،
فتبين من ذلك أن كل أمر حكيم
لا يفرق في ليلة النصف من شعبان ،
بل في الليلة المباركة التي أنزل فيها
القرآن ، وهي ليلة القدر من شهر
رمضان الذي أنزل فيه القرآن ،
وهذا هو الذي ارتضاه جمهور
العلماء وعلى رأسهم ابن عباس ،
أخرج محمد بن نصر وابن
المذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس
أنه قال في تفسير آية الدخان
(يكتب في ليلة القدر ما يكون في

ذهب بعض العلماء الى أن ليلة
النصف من شعبان هي الليلة التي
يفرق فيها كل أمر حكيم ، وهي
التي جاءت في سورة الدخان في قوله
تعالى « حم والكتاب المبين . انا
أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين
فيها يفرق كل أمر حكيم » ومن
ذهب الى ذلك عكرمة ، واحتج
بما جاء في بعض الأحاديث من أن
الآجال تنسخ في ليلة النصف من
شعبان ، حتى أن الرجل ليتزوج
وقد رفع اسمه فيمن يموت .

والصحيح أن الليلة المذكورة هي

عن عائشة رضى الله تعالى عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان ، وما رأيت أكثر صياما منه في شعبان » .

وفيهما عن عائشة أيضا قالت « لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهرا أكثر من شعبان ، فإنه كان يصوم شعبان كله ، وكان يقول : « خذوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا » .

أحياء ليلة النصف من شعبان

جرت عادة كثير من المسلمين أن يحيوا ليلة النصف من شعبان ، وأن يدعوا الله تعالى ، لما روى عن أحيائهما من أحاديث تدل على فضلها ، وتبث على أحيائها .

وهذه الأحاديث وإن لم تصل إلى درجة الصحة في أفرادها ، فإن بعضها يقوى بعضها ، كما هو شأن الأحاديث الضعيفة السند إذا

السنة من رزق أو موت أو حياة ، أو مطر ، حتى يكتب الحاج : حج فلان ويحج فلان » .

ومن ذهب إلى ذلك الحسن ، أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن ربیعة بن كلثوم قال : كنت عند الحسن فقال له رجل يا أبا سعيد : ليلة القدر في رمضان هي ؟ قال : أى والله إنها لى كل رمضان ، وإنها الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، فيها يقضى الله تعالى كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها ، وروى هذا التعميم عن غير واحد من السلف ، فهؤلاء جميعا قالوا أن كل مقدورات العام تنقل من أم الكتاب إلى الملائكة ليلة القدر ، ليقوموا بتنفيذها في موطنها ، كل في دائرة اختصاصه .

الصيام في شعبان

شعبان شهر كريم ، وهو مقدمة لشهر أكرم ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وفرض فيه الصيام ، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخصه من بين الشهور بكثرة صيامه فيه ، غفى الصحيحين

اجتمعت ، ولهذا تجمل العمل بها مشروعا غير بدعى ، وقد نقل عن كبار التابعين احياء ليلة النصف عملا بتلك الأحاديث ، على ما سنوضحه ، وفيما يلى بعض هذه الأحاديث :

روى الطبرانى وابن حبان عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يطلع الله الى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك أو مشاحن » وبهذا المعنى رواه أحمد فى مسنده .

وروى البيهقى فى كتاب السنن وغيره بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله عز وجل يطلع الى عباده فى كل ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمؤمنين ، ويمطر للكافرين ، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه » .

وروى البيهقى عن العلاء أن عائشة رضى الله عنها قالت « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما رأيت ذلك قممت حتى حركت إبهامه فتحرك ،

فخرجت فسمعت يقول فى سجوده « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برخصاك من سخطك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال « يا عائشة .. أو يا حميراء .. أظننت أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قد خاس بك » ؟ - أى غدر بك - قلت لا يا رسول الله ، ولكنى ظننت أنك قد قبضت لطول سجدتك ، فقال : « أتدرين أى ليلة هذه » ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : « هذه ليلة النصف من شعبان ، أن الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم » .

وروى محمد بن عيسى بن حبان المدائنى بسنده أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه دخل على عائشة رضى الله تعالى عنها ، فقالت عائشة : يا أبا سعيد ، حدثنى بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدثك بما رأيته يصنع

قاطع رحم ، ولا الى مسبل ، ولا الى علق لوالديه ، ولا الى مدمن خمر » ثم وضع ثوبيه وقبل « يا عائشة ، أتأذنين لى فى قيام هذه الليلة ؟ قلت : نعم بأبى وأمى فقام فسجد طويلا حتى ظننت أنه قد قبض ، فقممت ألتصمه ، ووضعت يدى على باطن قدميه فتحرك ، ففرحت وسمعت يقول فى سجوده « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك ، جل وجهك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، فلما أصبح ذكرتهن له ، فقال : تعلمين وعلمين ، وأمرنى أن أرددهن فى السجود » .

وفى رواية للدارقطنى عن عائشة قالت (كانت ليلة النصف من شعبان ليلتى ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم عندى ، فلما كان فى جوف الليل فقحته ، وأخذنى ما يأخذ النساء من الغيرة ، فتلففت بمرطى أما والله ما كان مرطى خزا ولا قرا ، ولا حريرا ولا ديباجا ، ولا قطنيا ولا كتانا ، قيل ومم كان ؟ قالت : شعرا ولحمته من أويرار الابل ،

يقال أبو سعيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى صلاة الصبح قال « اللهم املا سمعى نورا وبصرى نورا ، وبين يدى نورا ، ومن خلفى نورا ، وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا ، ومن فوقى نورا ، ومن تحتى نورا ، وأعظم لى النور برحمتك » قالت عائشة رضى الله عنها « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع عنه ثوبيه ، ثم لم يستقم أن قام فلبسهما ، فأخذتنى غيرة شديدة ظننت أنه يأتى بعض صويحباتى ، ففرجت أتبعه ، فوجدته بالبقيع بقيع الغرق ، يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ، فقلت : بأبى وأمى ، أنت فى حاجة ربك عز وجل ، وأنا فى حاجة الدنيا ، ثم قصصت عليه ما حدثت به نفسها ، فقال صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ، أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ قال - أتأثنى جبريل فقال : هذه ليلة النصف من شعبان والله عز وجل فيها عتقاء من النار » ثم قال « لا ينظر الله فيها الى مشرك ولا الى مشاحن ، ولا الى

تعالى الى سماء الدنيا نزول ملك
بأمره جل وعلا اليها ، فيبلغ عنه
سبحاته أنه يدعو عباده أن
يستغفروه فيها ليغفر لهم ،
ويسترزقوه ليرزقهم ، فان النزول
والطُوع من صفات الحوادث ،
ومثل ذلك المجاز مستعمل لغة ،
كقولهم هزم الأمير أعداءه - مع
أنه في قصره - يريدون أن قائده
هزمهم بأمره وتأييده .

أحياء النابسين ليلة النصف

كان التابعون من أهل الشام ،
كخالد بن معدان ومكحول ،
يجتهدون في العبادة ليلة النصف
من شعبان ، وعنهم أخذ الناس
تعظيمها ، وقد أنكر ذلك أكثر علماء
الحجاز ، ومنهم عطاء بن أبي مليك ،
ونقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
عن فقهاء المدينة ، وهو قول أصحاب
مالك وغيرهم ، وقالوا ان ذلك بدعة
وقد علمت أن أهل الشام يستفدون
الى مجموع تلك الأحاديث التي
يقوى بعضها بعضا ، وبذلك تخرج
عن البدعة الى السنة .

فطلبته في إحدى حجرات نسائه فلم
أجده ، فانصرفت الى هجرتي ،
فاذا به كالثوب الساقط على وجه
الأرض سائدا ، وهو يقول في
سجوده : « يا عظيم يرجى
لكل عظيم ، اغفر الذنب العظيم ،
سسجد وجهي للذي خلقه
وصوره ، وشق سمعه وبصره ، ثم
رفع رأسه فعاد ساجدا ثم قال :
أعوذ برضاك من سفطك ، ويعفوك
من عقابك ، وبك منك ، لا أحمى ثناء
عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك »
ثم قالت « ثم رفع رأسه فقال
« اللهم ارزقني قلبا نقيًا ، لا كافرا
ولا شقيا » الى آخر ما قاله .
صلى الله عليه وسلم .

وجاء في مشروعية صيام يوم
النصف من شعبان وقياس ليلة ،
مارواه عبد الرازق وابن ماجه من
قوله صلى الله عليه وسلم « اذا
كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا
ليلا وصوموا نهارها ، فان الله
عز وجل ، ينزل فيها لغروب الشمس
الى سماء الدنيا فيقول : ألا مستغفر
فاغفر له ، ألا مسترزق فأرزقه حتى
يطلع الفجر » والمراد من نزوله

رأى الدين في دعاء نصف شعبان

جرت عادة بعض المسلمين ليلة النصف من شعبان ، أن يؤدوا صلاة المغرب في جماعة ، وبعد الفراغ منها يقرعون دعاء معيناً في شكل جماعي ، ويقولون أنه دعاء نصف شعبان ، ومنهم من يقرأ بعد صلاة المغرب سورة يس ثلاث مرات ، يصلي بعد كل مرة ركعتين يليهما هذا الدعاء ، وتكون الصلاة الأولى بنية طول العمر ، والثانية بنية رفع البلاء ، والثالثة بنية الاستغناء عن الناس ويظنون كل ذلك مأثوراً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والواقع مغاير لذلك ، والدعاء الذي يقرؤونه فيه أخطاء شرعية ، كطلب الداعي من الله أن يمحو من أم الكتاب شقاوته وحرمانه وطرده وتقتسير رزقه ، إذ أنه لا يمحي شيء مكتوب في أم الكتاب ، فأم الكتاب هي علم الله تعالى أو اللوح المحفوظ ، وكلاهما لا محو فيما ثبت فيه ، لأنه أزلي لا يغير ، وأحوال العقائد الطاعات والمعاصي والتوبة مكتوبة فيه بتفصيلها وزمنها ، فكل ما يحصل

واختلف علماء الشام في صفة أحيائها على رأيين (أحدهما) أنه يستحب جماعة في المسجد ، وكان خالد بن معدان ، ونعمان بن عامر يلبسان أحسن ثيابهما ويتبخران ، ويقومان في المسجد ليلتهما تلك ، ووافقهما على ذلك اسحق بن راهويه (وثانيهما) أن أحياءها بالصلاة وإن لم يكن بدعة ، لكنه يكره الاجتماع لذلك في المساجد ، لعدم وروده في تلك الأحاديث ، بل يصلي الرجل لخاصة نفسه ، وهذا قول الأوزاعي امام أهل الشام وفقههم •

وتحیی ليلة النصف بالصلاة بغير تعيين عدد ، وبقراءة القرآن وذكر الله تعالى والدعاء والتسبيح ، والثناء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقراءة أحاديثه وسماعها ، وتفسير كتاب الله وسماعه ، وشرح الأحاديث وسماعه ويحصل أحيائها بمعظم الليل ، وقيل بساعة ، وقيل بصلاة العشاء في جماعة ، والمزم على صلاة الصبح في جماعة كما قال بعض العلماء في أحياء ليلتي العيدين وليلة القدر •

(الدعاء عند النوم) •

روى البخاري عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوئك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل اللهم أسلمت نفسي اليك ، وفوضت أمري اليك ، وألجأت ظهري اليك ، رهبة ورغبة اليك ، لاملجأ ولا منجى منك الا اليك ، آمنت بكتابتك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت - فان مت مت على الفطرة ، واجعلهن آخر ماتقول » •

(الدعاء عند الانتباه من النوم) •

أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتجهد قال : « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والارض ومن فيهن - ولك الحمد - أنت قيم السموات والارض ومن فيهن - ولك الحمد - أنت الحق ووعدك حق • وقولك حق ، ولقاؤك حق ، والجنة والنار حق والساعة حق ، والنبليون حق ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت ،

من تغير في أحوال العبد الى صلاح أو الى فساد فهو ثابت ، لأنه تعالى لا يبتدىء العلم حسب تغير المعلوم ، فكل المطلوبات بتغيراتها وأسبابها واختلافاتها ومواقبتها وأسبابها وغاياتها ، فهي ثابتة تفصيلا في علم الله وفي اللوح المحفوظ ، ولا حاجة فيها الى محو ولا الى اثبات •

فليدع الانسان ربه بما يشاء مما ليس فيه اثم ، ولا يقيد دعاءه برفع ضده من أم الكتاب ، فان صادق دعاؤه ما جاء في علم الله من شفاعته بعد مرض ، أو يسر بعد حسر ، أو ذرية بعد عقم ، أو غنى بعد فقر ، أو فرج بعد ضيق ، أو غير ذلك ، كان دعاؤه من قدر الله صادق قدر الله ، وان لم يكن في علمه تعالى تحقيق دعائه فلا بد أن يثاب عليه في الآخرة ، أو يبدل في الدنيا من دعائه خيرا غيره ، أو دفع شر عنه ، كما ورد في السنة المطهرة • ومن شاء دعاء حاثورا غنى السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير ، ونورد بعضه فيما يلي - وهو غير مقيّد بليلة النصف من شعبان •

والجبن ، وضلع الدين وغلبة الرجال » .

(استعاذة من البخل والجبن والفتن) .

أخرج البخارى بسنده عن مصعب قال « كان سعد يأمر بخمس ويذكرهن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بهن » اللهم انى أعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا — يعنى فتنة الدجال — وأعوذ بك من عذاب القبر » .

دهاء شامل :

أخرج البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم انى أعوذ بك من الكسل والهرم ، والمأثم والمغرم ، ومن فتنة القبر وعذاب القبر ، ومن فتنة النار وعذاب النار ، ومن شر فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، اللهم اغسل عنى خطاياى بماء الثلج والبرد ، ونق قلبنى من الخطايا ، كما نقيت الثوب

وعليك توكلت ، وبك آمنت ، وإليك أنبت وبك خاصمت ، وإليك حاكمت فاغفرلى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا اله الا أنت » .

(دعاء الصباح والمساء) .

أخرج البخارى بسنده عن شداد بن أوس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أبوء لك بنعمتك ، وأبوء لك بذنبي ، فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت ، أعوذ بك من شر ما صنعت — إذا قال حين يمضى فمات دخل الجنة — أو كان من أهل الجنة — وإذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله » أى دخل الجنة .

(استعاذة من الهم والدين)

أخرج البخارى بسنده عن أنس ابن مالك من حديث رواء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول « اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل

الابيض من الدنس ، وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب » .

صلاة التسابيح ليلة النصف

ينبغى للمسلم أن يصلى فى ليلة النصف من شعبان صلاة التسابيح التى علمها النبى صلى الله عليه وسلم لعمه العباس وغيره من أقاربه مبالغة فى طاعة الله واللجوء اليه .

وصفتها كما رواها أبو داود بسنده عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للعباس عمه : « يا عم ، ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبك ألا أفعل لك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره وقديمه وحديثه ، خطأ وعمده ، صغيره وكبيره سره وعلنه عشر خصال — أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة ، فإذا فرغت من القراءة فى كل ركعة وأنت قائم ، فقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خمس

عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ، وتهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا ، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة ، تفعل ذلك فى أربع ركعات ، ان استطعت أن تصلها فى كل يوم مرة فافعل ، فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة ، فان لم تفعل ففى كل شهر مرة ، فان لم تفعل ففى كل سنة مرة ، فان لم تفعل ففى عمرك مرة » قال الحافظ صلاح الدين : حديث صلاة التسابيح صحيح أو حسن ولا بد ، وقال الامام البلقينى : حديث صلاة التسابيح صحيح ، وله طرق يعضد بعضها بعضا ، فهى سنة ينبغى العمل بها ، وبعد لمطالع أيها المسلم باحيا هذه الليلة بتلك الصلاة أو بما شئت من طاعة سواها ، والله تعالى ولى التوفيق والقبول .

مصطفى محمد الحديدى الطبري

المسئلة الاقتصادية

ف

ضوء تعاليم الإسلام الخفيف

دكتور روف شامى

وخاطره على ربه خمس مرات في اليوم والليلة ، انه يشهد الله على نقاء سريرته ، وسلامة عرضه وصدق سلوكه وامثاله •

فتناول الحياة يأخذ هذا الحيز النقي من تفكير المسلم يقول النبي « صلى الله عليه وسلم » : المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء (١) •

فالشراة ، والنهم والتنافس على الحياة بصورة مفعوعة طائفة ليست اخلاقا اسلامية بل الأخلاق الاسلامية أن يقنع بما يكفيه والا يبذر الفائض في وجه غير شرعى • واقد حرص الاسلام منذ فجره

ثالثا : قواعد الانفاق :

لم يترك الاسلام قوى النفس البشرية رهوا تستهلك ما تنتجها أو تسرف في النفقة الواجبة شرعا •

بل جعل الله موازين للانفاق •

(أ) موازين للانفاق في صورته الحلال •

(ب) موازين للصدقة على الفقراء •

أولا : موازين الانفاق •

ان تناول الحياة في نظر المسلم تناول للطاعة ومجالات العبادة في الاسلام هي مجالات رقابة مباشرة بين العبد وربّه فالعبد يعرض قلبه

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه من طريق

ابن عمر •

جعلته سورة الفرقان خلقا ووصفا للمؤمنين يقول الله تعالى : «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما، والذين يقولون ربنا أنصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ، أنها ساءت مستقرا ومقاما » .

«والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .
٦٣ - ٦٧ الفرقان
وهذا ميزان يجعله النبي صلى الله عليه وسلم شرطا لتصرف الزوجة في مال زوجها ..

ففي الحديث :

إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجر بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثله ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا « مسلم » ويوم أن يتحقق ميزان الانفاق من الغنى والفقير على السواء :

لاتبذير بالانفاق في الكماليات والمهرجانات ولا اسراف في النفقة على البيت والأهل والأقارب .

الصادق بمكة المكرمة أن يدرب المسلمين على قانون الانفاق الذي يحقق التوازن بين قوة الانتاج وقوة الشراء بحيث لاتضطرب الجماعة الاسلامية الى الخروج على مبدأ الاكتفاء الذاتي ، وبحيث لا يحدث في المجتمع غلاء أو ندرة تؤدي الى رفع الاسعار أو احتكار السلع .

ولهذا يقول الله تعالى :

(١) وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا

٢٧ - الاسراء

ولاتجعل يدك مظلومة الى عنقك .
ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا، ان ريك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر انه كان بعباده خيرا بصيرا .

٢٩ - ٣٠ الاسراء

بل ان هذا القانون الذي تقرره سورة الاسراء كمبدأ لمسلوك الجماعة الاسلامية اقتصاديا قد

كان مزاجها كافورا، عينا يشرب بها
عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون
بالنذر ويخافون يوما كان شره
مستظرا ، ويطعمون الطعام على
حبه مسكينا ويقيموا وأسرا ، انما
نطمحكم لوجه الله لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا » •

٥ - ٩ الانسان

وعلى العكس تكون صفة البخل
والاحتكار للمجاهدين المكذبين ،
يقول الله تعالى : ﴿ كل نفس بما
كسبت رهينة ، الا اصحاب اليمين
في جنات يتساقطون عن المجرمين
ماسلطكم في سقر قالوا : لم نكمن
المصلين ، ولم نك نطمع
المسكين » •

٣٤ - ٤٤ المحدث

وسورة صغيرة في القرآن الكريم
تهز أفكار الاقتصاديين في شتى
المداهب حيث يجل الاسلام المال
لخير الجماعة والفرد على السواء
في الدنيا وفي الآخرة يقسول الله
تعالى .

« أرايت الذي يكذب بالدين
فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض
على طعام المسكين ، فويل للمصلين ،

انه في هذا اليوم تعرف الأمة
طريق الرضاء اذ لا يجد المتخصصون
لهم بابا يلجون منه وذلك لا يكون
الا بالقدوة من صاحب الشأن وولى
الأمر •

ثانيا : موازين الصدقة :

قلنا ان وظيفة المال في الاسلام
وظيفة اجتماعية وليس القصد منه
بالدرجة الأولى المسمى وراء الريح
الكثير، وليس في التصور الاسلامي
أن يكون تكديس الأموال وادخارها
هو الغاية التي يسعى اليها العمل
في نظر الفكر الاسلامي بل العكس
هو الصحيح ، فالمال خدمة للجماعة
فقد وضع الله في أموال الأغنياء
حقوقا للفقراء يقول الله تعالى :
« وفي أموالهم حق للسائل
والمحروم » •

١٩ - الذاريات

« والذين في أموالهم حق معلوم
للسائل والمحروم » •

٢٤ - ٢٥ الماعز

وجعل الاسلام البذل والعطاء
من صفات المؤمنين الأبرار
الصادقين •

« ان الأبرار يشربون من كأس

أخلده ، كلا لينبذن في الحطمة ،
وما أدراك ما الحطمة ، نزل الله
الموقدة التي تطلع على الأفئدة ،
أنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة »

فالانفاق في سبيل البر والخير
والصالح العام على الأفراد أو
المؤسسات الاجتماعية أمر يدعو
إليه الإسلام كمبدأ في النظام
الاقتصادي الإسلامي .

ولذلك جعل له موازين وهي :
(١) عدم الاسراف وهو قدر
عام في كل نظريات الانفاق عند
الإسلام .

(ب) ألا يكون من الأرءا جودة
يقول الله تعالى :
ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
ولستم بأخفيه إلا أن تنفضوا
فيه وأعلموا أن الله غنى هيد .
٢٦٧ - البقرة

ويقول جل جلاله :

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون وما تنفقوا من شيء فإن
الله به عليم .

٩٢ - آل عمران
(ج) اخفاء الصدقة إذا كانت

الذين هم عن صلاتهم ساهون ،
الذين هم يرأعون ، ويمنعون
الماعون » .

وقد توعد الله الذين يجمعون
المال ويكثرونه ولا ينفقونه في
سبيل الخير والرخاء يقول الله تعالى
في شأن القساوسة والأخبار الذين
كانوا يكثرون المال ولا ينفقونه في
وجوه البر :

« يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من
الأخبار والرهبان لياكلون أموال
الناس بالباطل ويصدون عن سبيل
الله ، والذين يكثرون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها في
نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم
لأنفسكم فنوقوا ما كنتم تكثرون »
٢٤ - ٣٥ - التوبة

ولقد جعل الإسلام جمع المساء
وعده وكنزه حون انفاقه في وجوه
الطاعة والبر من صفات الكافرين
يقول الله تعالى :

«ويل لكل همزة لمزة ، الذي
جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله

العمل الصالح من الفاسقين الكفرة
لأنهم لم يؤمنوا بالله ولا برسوله .
فانه في سورة الفرقان يصور
حالتهم يوم القيامة بصورة بشعة
في الخسران واحباط الأعمال ،
يقول تعالى :

« يوم يرون الملائكة لا بشرى
بيومئذ للمجرمين ويقولون حجرا
محجورا ، وقدئنا الى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورا » .

٢٣/٢٢ — الفرقان

وفصل القرآن هذه الصدقة في
سورة آل عمران يقول الله تعالى :

« ان الذين كفروا لن تغنى عنهم
أموالهم ولا أولادهم من الله
شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون » .

مثل ما ينفقون في هذه الحياة
الدنيا كمثل ربح فيها سر أصابت
حريث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته
وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون » .

١١٦ — ١١٧ آل عمران

ويقول الله تعالى :

«والذين كفروا أعمالهم كسراب

لشخص معين أو اخفاؤها مطلقا
خشية التهمة بالرياء .
يقول الله تعالى :

« ان تبدوا الصدقات فنحنما هي ،
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو
خير لكم ويكفر عنكم بن سيئاتكم
والله بما تعملون خبير » .

٢٧١ — البقرة

والنبي صلى الله عليه وسلم
يقول في شأن السبعة الذين يظلمهم
الله يوم لا ظل الا ظله ورجل تصدق
بصدقة فأخفاها فلم تعلم شماله
ما أنفقت يمينه .

(د) أن يكون مؤمنا بالله
الواحد الأحد وأن يكون مصدقا
لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .
يقول الله تعالى :

« قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل
منكم انكم كنتم قوما فاسقين » .
وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم
الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا
يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا
ينفقون الا وهم كارهون » .

٥٣ — ٥٤ — التوبة

واذا كان القرآن الكريم يرفض

بقية يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب» •

٣٩ البقرة

ولقد نجح الاسلام في اقتصاده التطبيقي حيث كان الاخفاء بين المهاجرين والأنصار احاء منبثقا من هذه القوانين التي تكفل العيش الرسمى للانسان فلم تحدث في المجتمع الاسلامى الأول حاجة ندرة رغم أنه مجتمع أرض صحراوية موسمية الأمطار النادرة الوقوع ومع هذا فلم يؤثر الوضع في نشر الدعوة والتغلب على كل المعاندين حتى حولت الجزيرة العربية كلها الى دولة اسلامية في أقل من ربع قرن •

ان صحة النظريات الاقتصادية تقاس بنجاحها في تحقيق الأغراض للدولة وقد أدت للدولة الاسلامية في فجرها الأول كل أغراضها التي بحثت من أجلها :

(١) قطعت الجزيرة العربية عن الشرك واستمدت لحمل مشعل الرسالة الى افريقيا ثم الى أوروبا في أقل من قرن •

(ب) وأوجدت مجتمعا متحابا ليس فيه صراعات ولا تنافس مع وجود الثراء والفقر لكن للفقراء حقهم في مال الأغنياء •

(ج) ولقمت العدالة الاجتماعية دون ثورة أو شعار أو بروبا جاندا • وتلك علامة من علامات الاعجاز الاسلامى أن تصح نظريته في عمر قصير مع التكامل في بقية الأهداف العليا للدولة ، ولما تستطيع الرأسمالية ان تقدم النجاح لمجتمعها الذى تجتاحه بفسية التلصص وشبح البطالة ، وعريضة التنافس المسادى الذى يقلق الأمن ويرفع الأمان عن النفوس •

ولن تستطيع الاشتراكية حصول شيء من هذا المستوى الرفيع للعدالة الاجتماعية لفسادها كمذهب ولفساد عناصرها وعدم تلائمها مع مطالب الحياة ، وطبائع البشر •

ذلك لأن نظام الرقابة على الانفاق يحتاج الى شعور بالاحترام الرقيب وذلك لا يتأتى في الأنظمة البوليسية ومأموريات الضرائب وانما يتأتى بنظام العقيدة التى تسوى بين الحاكم والمحكوم في الوقوف أمام الرقيب الأعلى وهو

ولا عند قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

البخارى

وانما الاخاء الاسلامى حركه اجتماعية قامت فى اللحظة الأولى لبناء المجتمع الاسلامى بعد الهجره تصنع من المهاجرين والأتصار أمة تلتزم بالتكاليف اشريعية التى تحقق مبدأ كرامة الانسان ، وربانية المجتمع كله .

ولقد سجل القرآن الكريم عملية الاخاء هذه فى قوله تعالى . « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

٩ - الحشر

العلاقة الثانية : تحمل المجتمع مسؤولية الولاية بين أفرادهِ ، فبين أفراد المجتمع الاسلامى مسؤولية الولاية فى تنفيذ أهداف المجتمع الاسلامى ، وحماية خصائمه يقول الله تعالى :

الله صاحب الملكوت والسلطان والتدبير وسبيل ذلك التربية فى معاهد التعليم ، والمقدوة الصنة فى ادارات المصالح والحكومة وطبقات العمل التجارى العلم .

رابعا العدالة الاجتماعية :

من سمات النظرية الاقتصادية الاسلامية أن العدالة الاجتماعية ركن من أركان الاقتصاد وعنصر هام ورئيسى من عناصره .

وليست العدالة الاجتماعية فكرة متروكة للاجتهاد بل هى مبدأ دينى منطلق من انتكافل الاجتماعى ائدى جعله الله تبارك وتعالى مسئولية المجتمع الاسلامى نحو افرادهِ ، فبين أبناء المجتمع الاسلامى علاقتان أساسيتان عليهما تقوم دعامة العدالة الاجتماعية .

العلاقة الاولى : الاخاء وهو

ليس لفظاً مجرداً بقدر ما هو حقيقة تاريخيه فى التطبيق لاسطام الاجتماعى الاسلامى فليس فقط مدلول الاخاء يقف عند قوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » .

١٠ - الحجرات

✽ جانب اقتصادي هو رعاية
المحاييج .
✽ وجانب أخلاقي هو احترام
القيم وحماية كرامة الانسان .
✽ والجانب الاقتصادي في
رعاية المحاييج يصور توظيف
المال لخدمة الانسان فشرع عدة
قوانين مالية للمحافظة على الضعاف
والمحاييج في المجتمع .

فالزكاة والصدقة ، والذور ،
والكفارات والهبة ، والوقف ،
والرقيبي ، والعمري ، والغى ،
والأنفال والركاز ، والميراث ،
والعدل بين الأولاد ، وتصوير
الرقبي واحياء الموات ، والأضحية
والهدى .

وهذا الجانب لا يقوم على المن
والأذى ، بل ولا يشعر أصحاب
هذه الحقوق أنهم مدينون للأغنياء
ذلك لأن الله تبارك وتعالى جعل
لهم حقوقا .

« والفن في أموالهم حق معلوم
للسائل والمحروم » .

٢٤ - ٢٥ المارج

وهذا الحق المعلوم قائم على

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
أولياء بعض يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وقيمون الصلاة
ويؤتون الزكاة ويطيعون الله
ورسوله أولئك سيرهم الله أن الله
عزيز حكيم » .

٧١ التوبة

وقد صور النبي صلى الله عليه
وسلم مسئولية الناص الاجتمعي
في المجتمع الاسلامي بقوله صلى
الله عليه وسلم :

« ترى المؤمنين في توادهم
وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد
الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى
له سائر الجسد بالسهر والحمى » .
البخارى

فالحياة في التصور الاسلامي
قائمة على التراحم والتواد ،
والتعاون ففي الحديث الشريف
« الراحمون يرحمهم الرحمن » .
وهي خاصية عامه للدين
الاسلامي : (وما أرسلناك الا رحمة
للعالمين » .

الانبياء

غير أن مفهوم العدالة الاجتماعية
له جانبان :

الاجتماعية في الاسلام رديف أو شبيحة بما يماثلها في القسمة في الأنظمة الأخرى •

لأنها في الاسلام منطلقة من العقيدة والايمان وقائمة على ركيزة الاخاء والولاية داخل المجتمع الاسلامي •

ومن جانب آخر فمصادر تحقيق العدالة الاجتماعية وفيرة وفرة تكفي شمولها لكل أفراد المحاويج •

ومن جانب ثالث : فإنها تحفظ على الفرد مروءته ، وكرامته وقيمه الإنسانية •

✽ وأما الجانب الأخلاقي في العدالة الاجتماعية فيبرز صحة قواعد العدالة حيث تكون قيمة الانسان وكرامته متساوية بين سائر أبناء المجتمع الاسلامي مهما اختلفت أشكال الوظائف •

✽ وقصة عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين يعني تحته هـ هذه الاقطار الاسلامية في أفريقيا وآسيا تقول له امرأة وهو على المنبر يوم الجمعة والناس كلهم شهود : أحطأت يا عمر أيعطينا الله وتمنعنا أنت ؟ لقد قال الله تعالى :

ثبوت حق الفقراء في مال الأغنياء يقول الله تعالى :

« وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » •

١٩ الذاريات

ولهذا فقد حذر الله أن يصاحب تسليم هذا الحق من أو أذى من الأغنياء يقول الله تعالى :

«الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » •

٢٦٢ - البقرة

وجعل الاسلام القول المعروف والعفو أفضل من صدقة تصاحب لفظا نابيا أو تأنيبا • الخ • يقول الله تعالى :

قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حلیم، يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والأذى كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر الآية » •

٢٦٣ - ٢٦٤ البقرة

ولذلك يكون من الخطأ علميا أن يتصور أن مفهوم العدالة

في الحصول على القوت ولقد روى
عمر بن الخطاب في الأسواق ومعه
الدرة يضرب بها من أخذ أكثر من
حظه في اللحوم .

✽ وعبادة بن الصامت تهدي
اليه هدية ومعه في الدار اثنا عشر
نفرًا من أهله ولكنه يرى أن آل فلان
أحق بها مع أنه معيل وله أسرة
كبيرة . قال الوليد بن عباد بن
الصامت فأخذتها فكنت كلما جئت
أهل بيت يقسولون أذهب بها إلى
آل فلان فهم أحوج منا إليها وظل
هكذا . حتى رجعت الهدية إلى
عبادة قبل الصبح . وكان امتثالاً
للمبدأ الإسلامي :

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان
بهم خصاصة » .

✽ ومن العدالة الاجتماعية
التساوى في الوقفة أمام القضاء
فيحتفظ التاريخ الإسلامي بهذه
الخاصية للدين الحنيف فقد وقف
على بن أبي طالب كرم الله وجهه ،
ورضى الله عنه كتفا إلى جوار كتف
يهودى خاصمه في شيء ، ولم يكن
مع أمير المؤمنين على بينة ففضى

« وآتيتهم أحداهن قنطاراً فلا
تأخذوا منه شيئاً ، أتأخذونهم بهتاتنا
وإنما مينا » .

وكان عمر يعظ الناس ألا يتغالوا
في المهور فقال لها : أصابت امرأة
وأخطأ عمر . أن للمحافظة على
القيمة الانسانية حظاً وافرًا في
النظرية الاسلامية وهى تقيم
العدالة الاجتماعية حتى ولو كان
ذلك المخاطب هو رئيس الدولة، ولم
يجد المجتمع الاسلامى من يخذل
المرأة لأنها عارضت رئيس الدولة ،
لأنهم جميعا يتحملون مسؤولية
الولاية يأمرهم بالمعروف كنثنا من
كان وينهون عن المنكر كاثنا من كان .

✽ ومن العدالة الاجتماعية أن
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في عام
المجاعة كان شاحب الوجه وفي ثوبه
ثلاث رقاع فأنفق عليه المسلمون
وطالبوه أن يأكل السمن ليقوى
ويلبس ثوبا يليق بالامارة — وكان
يستطيع أن يفعل — فقال : لا أشبع
حتى يشبع الناس .

✽ ومن العدالة الاجتماعية
مراقبة التوازن بين أفراد المجتمع

الرعاية الاجتماعية في جانبها
القيمي والأخلاقي قصة جبلة بن
الايهم ، فقد وطىء فزارى أزاره
وهو يطوف بالكعبة فلطمه جبلة
لطمه هتمت أنفه فاشتكى الفزارى
الى عمر بن الخطاب ، فقال
عمر لجبلة أما أن تدفع الديه ، وأما
ان تأذن له بلطمك لطمه مثلها ، فقال
جبلة متمجبا : كيف ذلك ، وأنا ملك
وهو سوقة ؟ فقال عمر : ان الاسلام
قد سوى بينكما •

✽ وتذهب العدالة الاجتماعية

كمبدأ في المجتمع الاسلامي انى
ماذهب من رعاية بنى آدم - فتذهب
الى رعاية الحيوانات فقد دخلت
امراة النار في هرة حبستها حتى
ماتت لا هى أطعمتها ، ولا هى
تركبتها تأكل من خشاش الارض •

وقد غفر الله لرجل لأنه سقى
كلبا كان ظامئا ، لقد سقاء في خفه
لأنه لم يجد وسيلة أخرى لرفع
الماء الى قم الكلب من البئر غير
خفه •

بل ان عقيدة الاسلام في شمولها
لمجالات الرحمة تجعل ممارستها

القاصي بها لليهودى ضد رئيس
الدولة فلم يضق صدره لأنه يعلم
أن القاضى ينفذ تعاليم الاسلام وأن
الحاكم لا يعلو فوق الحق ولا فوق
القضاء مع أنه يعلم أنه صاحب
الحق ، ولكن عجز أثبت ملكيته أمام
موارية اليهودى الذى استطاع -
ظلمًا - أن يقيم الدليل على ملكيته
للشئ المتنازع عليه وأدرك اليهود
عظمة الاسلام فـرد الى أمير
المؤمنين حقه وخرج اليهودى من
ربقة اعتقاده وصار واحدا من
جماعة المسلمين •

✽ والعدالة الاجتماعية بين

الأفراد كانت خلقا محمودا فقد
روى عن أبى ذر الغفارى قال : انى
ساببت رجلا فشكاني الى النبى
عليه الصلاة والسلام فقال النبى
عليه الصلاة والسلام: أعيرته بأمه
وفي رواية : انك امرؤ فيك جاهلية
فذهب ابو ذر الى الرجل الذى سبه
ووضع خده على الارض وقال :
ظأ رأسى لعل الله يغفر لى ويصفح
عنى •

✽ ولعله من أوضح البراهين
على صدق الاسلام في تحقيق

والاسلامية الا أنها تأخذ بأحد
الايديولوجيتين الفاسدتين وتترك
اسلامها الحنيف !!

خامسا : التداول

(أ) التداول بالمقايضة •

(ب) التداول بالنقد •

خامسا : التداول : —

معروف أن الانتاج ثم التوزيع
يقترنان بالوجود الاجتماعي
للإنسان : فمتى وجد إنسان فمن
الضروري أن يمارس نمطا ما من
أنماط الإنتاج ليواصل حياته
ويحافظ على معيشته وعندما ينتج
المجتمع لابد وأن يوزع ما ينتجه
على جميع أفراد •

ولما كانت الحاجة ضرورة
اجتماعية وكانت متنوعة وكان
الإنسان غير قادر على اشباع نفسه
بجميع متطلباته فقد مارس نوعا من
التبادل لسد حاجاته المتعددة •

ولقد كانت الأسرة القديمة تتغلب
على صعوبة المبادلة والتداول عن
طريق توزيع الاعمال التي تغطي
كل حاجاتها على جميع أفراد الأسرة

الحلال في هذا الاطار يقول النبي
صلى الله عليه وسلم :

« اذا فبجتم فأحسنوا الذبحة ،
وليحد أحدكم شسفرته وليرح
نبيحته » •

ولقد كانت العقيدة الاسلامية
وهي تربط الإنسان بهذا الكون في
تصور الربانية المهيمنة على الكون
أسمى في تشريعها للعادلة
الاجتماعية — الاقتصادية — من
كل تشريع بشري جعل منها بابا
للذل وسوط للتعذيب ، وبريقا
للسيطرة على الحكم •

ولقد فشل الاقتصاد البشري بكل
نظرياته في تحقيق شيء من العداية
الاجتماعية لبنى البشر •

فما هي الرأسمالية تغطي على
قيمة الإنسان فتحيله الى طاقة
تخدم اغراضها المادية لجمع المال
وكنزه وتجعل العرص والنسب
قانونا للابتزاز والنهب والسلب •

وما هي الاشتراكية توزع الفقر
على الشعب وتجمع الثروة كلها في
يد الحزب ورجال المخابرات
« وشلل » المنافقين •

وماعيب أممتا العربية

البر بالبر ربا الا هاء وهاء ،
والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء ،
والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء •
« رواه البخارى »

وروى البخارى : أن النبى
صلى الله عليه وسلم نهى عن
المزبنة وهى أن يبيع التمر
بالتمر كيلا ، ويبيع الزبيب بالكرم
كيلا وروى البخارى كذلك : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لا تبيعوا الذهب بالذهب الا سواء
بمسواه ، والفضة بالفضة
الا سواء بمسواه ويبيعوا الذهب
بالفضة والفضة بالذهب كيف شئتم
(ب) وأما فيما يتعلق بالنقد فقد
كان في فقه الاقتصاد الغربى معمل
تفريخ لمشكلتين هما السعى وراء
الاكثار من النقد مما أدى الى نهى
في جمع المال بغية اكتنازه
وثانى المشكلتين : تنمية المال عن
طريق الفائدة فى البنوك مما أدى
الى تزايد فى سعر الفائدة ترغيبا فى
ادخال الأموال فى البنوك وذلك مولد
لشعور خبيث عند التجار والصناع
والمستثمرين وهو أنهم لا يقدمون
على مشروع تنمية استثمارية الا

ثم تطور الامر حسب تطور حجم
المجتمع وانتقل من التداول عن طريق
المقايضة العينية الى التداول بالنقد ،
وصار فى الميزان الاقتصادى
للتداول نوعان من التداول :

الاول : التداول على أساس
المقايضة •

الثانى : التداول على أساس
النقد •

وللإسلام الحنيف رأى واضح فى
هذين الأسلوبين من التداول :

(أ) فيما يتعلق بالمقايضة فإن
عصرها يتسم بالهدوء والرخاء
وتحديد الغاية الاقتصادية بالخدمة
الاجتماعية وقد حافظ الإسلام على
أسلوب المقايضة من الغش والربا
أو الزيادة غير المشروعة فجعل
المقايضة مشروطة بشرطين : —

الشرط الاول أن يكون مثلا
بمثل عندما يتحد النوع مثل البر
بالبر والشعير بالشعير ، والزبيب
بالزبيب ، والحنطة بالحنطة •

الشرط الاول : أن يتحدد زمن
المقايضة فيكون يدا بيد يقول النبى
صلى الله عليه وسلم •

بعد تردد ودراسة للطمأنينة على مصادر الربح... والربح الكثير •

أما الاسلام فقد حافظ على أن يكون التداول النقدي في وضعه الطبيعي وليس مسبيلا الى جمع المال واكتنازه وليس أسلوب تنمية الربا أو الغش أو الاحتيال فشرع مجموعه مبدىء مالية للحفظ على سلامة النقد كأسلوب للتداول الصحيح •

فحرم الاسلام الربا بثتى أنواع : النسئة والفضل وحرم الاسلام الغش بصورة المتعددة •

ولذلك حرم أن يبيع حاضر لباد ، وحرم تلقى الركبان ونهى عن التصريف وهى حبس اللبن فى الضرع اذا أراحوا بيع المائسة... وحرم الاسلام التحليل وأكل أموال الناس بالباطل •

• ونهى عن المناذة : وهى بيع الثوب دون معرفة مافيه من عيوب •

• ونهى عن الملامسة : وهى جمل لس السلعة شرطا فى انتقاء

خيار العيب •

• ونهى عن البخس : وهو التحايل على زيادة الثمن عن طريق مزاييد لا رغبة له فى الشراء •

• وأعطى لرئيس الدولة المسلم عن طريق الرقابة الشعبية والمحتسب المسلم حق مراقبة تداول النقد فى الأسواق بين المسلمين وذلك ليحافظوا على التوازن الاجتماعى لكى لا يكون المال دولة بين الأغنياء فقط •

• كما حث على تيسير التداول فى الأمور الضرورية للمعيشة والأمر الأساسية للحرية فحضر القرآن الكسريم على :

— تحرير الرقبة •

— وألا يمنع المحتاجون الماعون ••

وهكذا يتميز الاسلام بنظريته الاقتصادية عن النظام الرأسمالى والاشتراكى بهذه الأسس الانسانية الراقية •

ويخطئ كل من يصف الاسلام بأنه اشتراكى ، كما يخطئ كل من

يصف الاسلام بأنه رأسماني
فستان ما بين وحى بوحي ومكر
يتخبط •
انه دين الله الشامل الوافي
الكافي لسعادة الانسان في دنياه
وفي آخرته فمن شاء أن يتخذ الى
ربه سبيلا فذلك هو الاسلام
الحنيف ••
(ان هذا القرآن يهدي للتي
هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات أن لهم
اجرا كبيرا) •
« الاسراء »
تكون رعون شلبي

« توجيهات صوفية »

« من اعتل قلبه اعتلت جوارحه ، ومن اعتلت جوارحه
كان في ضلال مبين ، ومن سلم قلبه سلمت جوارحه ،
ومن سلمت جوارحه هدى الى صراط مستقيم قال صلوات
الله وسلامه عليه - « ان في الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله » ألا وهى
القلب » •

« اطلب العلم من التقوى ، والعز من الايمان والرفعة
من التواضع »

« من سكن الى شئ اطمأن به ، ومن اطمأن بغير الله
فقد ضل سواء السبيل » •

محمد عبيد الشافعى

في مواجهة الإرادة المعاصرة

الإلحاد المادي.. والآخرة

للكثر محمد محيى هاشم

- وتشارك اتجاهات الإلحاد العلمى على اختلافها فى الاعتقاد بالحياة المؤجلة (الآخرة) التى يستكمل فيها ما نقص من هذه الحياة الحاضرة .
- وهى السمة الرابعة من سمات الدين التى أشرنا إليها فى المقدمة . ليست نظرة الإلحاد العلمى الى المستقبل مجرد نوع من التوقع لما يأتى فى الغد ، وإنما عقيدة لازمة من أجل تبرير ما يستمسك به من نظرة الى الماضى ، أو الى الحاضر ويدون هذه النظرة المستقبلية الاعتقادية ، ينهار البناء الكلى للاتجاه الإلحادى .
- يقول وليم جيمس :
(أن ثورة العلم ضد الكرامات
- وخوارق العادات .
وثورة بعض الفلاسفة ضد حرية الإرادة .
لم تثبت كلها الا من أصل واحد :
- وهو كراهية الاعتراف بوجود عنصر يمكن أن يشككتا فيما عرفناه عن المستقبل (١) .
- فهؤلاء يستقيمون الى غيبوبة لذيذة الى عقيدة غيبية عن المستقبل تزعمهم عنها الكرامات ... أو تزعمهم عنها حرية الإرادة ...
- ١ - ففى مجال العلم البحث - مثلا - لا بد من هذه النظرة عند سيطرة الإلحاد لتصح دعواه فى كفاية العلم التجريبي لتفسير

(١) الدين والعقل ص ٥٠

الوجود ، وتفسير المستقبل ، وازاحة الميتافيزيقا والدين عن هذا الطريق .

يرى كارل بيرسن أنه (من الخطأ الاعتقاد بأن جهل العلم حالياً يعنى أنه سيظل الى الأبد جاهلاً في المستقبل . فليس لنا أن نقطع بأن هناك ميادين ستظل مستعصية على العلم الى الأبد بموأن هناك أنواعا أخرى من المعارف غير العلمية هي التي تهدينا في هذه الميادين ذلك لأن قدرات العلم لا حدود لها ..) (١) .

ومع ذلك فان بيرسن يقر بعجز العلم عن ادراك العالم الخارجى وهذا هو التناقض بعينه .

ان العالم الخارجى في نظره فكرة مزعومة لأن أقصى ما تقترب به من ذلك العالم المسمى بالخارجى هو أطراف أعصابنا الحسية وموقف العالم في هذا يشبه موقف عامل التليفون الذى لا يتصل بالمتحدثين الا من خلال الطرف المجاور له من أسلاك التليفون .

بل اننا في موقف أسوأ من موقف صاحبنا هذا اذ أننا لم نخرج من مركز التليفون ولم نشاهد أبدا واحدا من أولئك المتحدثين الذين تصلنا أصواتهم من خلال الأسلاك فالعالم الخارجى بالنسبة الينا كما هو بالنسبة الى هذا العامل هو مجموع الرسائل أو المكالمات التي تنتقلها الأسلاك أو الأعصاب

اليان حيث نكون ، اننا لا نعرف شيئا على الاطلاق عن طبيعة الأشياء في ذاتها .

ان ما يسميه الميتافيزيقيون بالأشياء في ذاتها .. لا نعرف نحن عنه الا صفة واحدة هي « القدرة على تكوين انطباعات حسية وبعث رسائل تمر بأعصاب الحس حتى المخ ، فهذا هو القول العلمى الذى يمكن الادلاء به بشأن ما يوجد وراء الانطباعات الحسية .

وهنا يبدو كارل بيرسن في قمة اليأس من معرفة العالم الخارجى ومن معرفة الشيء في ذاته بالرغم من اعترافه بوجوده .

التجريبي الذي ربما استطاع في
أي لحظة أن يكتشف القوانين التي
تنظم سلوك الذرات الفردية (١) .

ويقول رسل (اننا لا نجد مبررا
كى نظن أن سلوك الذرات غير
خاضع لقانون ان الطرق
التجريبية لم تستطع الا في أزمنة
جد قريية أن تلقى أى ضوء على
سلوك الذرات الفردية ، فلا عجب
في أن قوانين هذا السلوك لم
تكتشف كلها ، ومن المستحيل الآن
نظريا وعمليا عدم خضوع مجموعة
من الظواهر لقوانين ، وانما
نستطيع أن نقول ان هذه القوانين
موجودة ولكنها لم تكتشف بعد ،
وقد يعترض أحدهم قائلا :

وأي مهارة علماء الذرة حتى
ليعجزوا عن اكتشاف مثل هذه
القوانين وبالتالي يستنتج عدم
وجودها ؟

بيد أنى لا أبذ مثل هذه
الاستنتاجات السريعة ، بخاصة

يقول (وعالم الانطباعات
الحسية هذا مغلق علينا تماما ولا
أمل لنا في أن نبعد عنه خطوة
واحدة) .

فأين هذا من ايمانه بقدرات
العلم الذي لا حدود له ؟

وفيم كان اذن طرد جميع
وسائل المعرفة الأخرى وانكارها ؟

٢ - ويقول برتراند رسل بنساء
على مبدأ عدم التحديد .

(ان اكتشافات العلم الحديث
تبين لنا أن الذرة غير خاضعة
لقوانين الطبيعة القديمة ، فهل
يعنى هذا أن الذرة غير خاضعة
للقوانين على الاطلاق) (٢) .

وبدلا من أن يفترض رسل أن
الذرة تدخل تحت قوانين غير قوانين
الطبيعة التى عجز العلم عن كشفها
فيفتح الباب للميتافيزيقا والدين ،
يفترض عن طريق الايمان الغيبي
(أيضا) .

(ان نظرية الذرة الفردية الحرة
تقع تحت رحمة علم الطبيعة

(١) تراث الانسانية من ٩٢١ العدد ١٢ المجلد ٣ .

(٢) مجموعة عالمنا المجنون لتنظمى لوقا من ٥٦ .

يصل فى المستقبل ان هو الا اعتقاد
ارادى مبنى على ايمان مطلق بقدرة
العلم .

يقول هانز ريشنباخ - وهو
ملحد أيضا (ليس هناك سبب
يدعونا الى افتراض أن الجزيئات
تخضع لقوانين صارمة *) (٦) .

ان رسل ليس لديه سبب
للاعتقاد بأن العلم سوف يتمكن فى
المستقبل من الوصول الى معرفة
ما يجله اليوم سوى قوله :

(ان النظريات العلمية قد فسرت
قدرا منها يكفى لترجيح الاعتقاد
بأن هذه النظريات ستفسرها كلها
مع الزمن ..) (٣) .

ان رسل باعتقاده هنا أن العلم
سيكشف فى المستقبل عن قوانين
الذرة التى اكتشفنا جهلنا بها
اليوم ، يناقض نفسه اذ يقول فى
موضع آخر :

(الآن وجب علينا أن نعترف
بالجهل التام المطلق الذى لا

اذا كان الأمر يتعلق بالكـون
ونظرياته) .

ويقول فى مجال الارادة الانسانية:

(ان كشف القوانين العلمية -
فى مجال أعمال الانسان - أمر يمكن
تماما كما هو ممكن فى أى ميدان
آخر ، حقا يعترف العلماء بعدم
قدرتهم على التنبؤ بأعمال الانسان
تنبؤا كاملا أو يقرب من الكمال ،
ولكننا نرجع ذلك الى تعقد الكيان
الانسانى وتضافر عوامل متعددة
لاحداث السلوك .

الأمر اذن لا يعنى أن نفترض
عدم وجود قوانين على الاطلاق ،
لأن مثل هذا الافتراض لن يثبت
أبدا أمام الفحص الدقيق ..) (١) .
ونحن نقول له :

وهل ثبت أمام الفحص الدقيق
أن العلم سيكشف حتما عن القوانين
التي تحكم أعمال الانسان واراדתه؟
ان جزم رسل بأن العلم سوف

(١) مجموعة نظمي لوتا عالمنا المجنون لبرتراند رسل ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) نشأة الفلسفة العلمية ص ١٤٧ .

(٣) مجموعة عالمنا المجنون ص ٧٧ .

استئصال له أبد الدهور تفعله الذرة في لحظاتها الساكنة (١) •
وهنا نضرب مثالا على ما ينطوى عليه مثل هذا الاعتقاد من مجازقة وفساد •

وهكذا كان ينظر الى الحيوان المنوى على أنه رجل صغير كامل بالفعل ، وجميع أجزائه متكونة من قبل ، ولا ينتظر الا الفرصة التي تسنح له للتكشف والتفتح •
ذلك أنه ذاع في القرن الثامن عشر مذهب في الانقلاب الجنيني يسمى « مذهب التكوين » وينحصر هذا المذهب في القول بأن كل جرثومة حية تحوز حتما كل الأعضاء والصفات التي تمتاز بها الصورة في حال بلوغها ، وغاية ما في الأمر ان المجهر المستعمل آنذاك ليس في استطاعه أن يكشف عن تلك الأعضاء الكائنة في البيضة الأولى لصغر حجمها وضعف قوة الكشف في المجهر •

واذن فالأمر مجرد قصور في أجهزة الكشف والقياس ، سوف يزول حتما بتقدم العلم والتوصل الى أجهزة أدق •
يقول الاستاذ استلى مونتاجيو ونحن نقصد بهذا أن تغطية

(في تلك الأيام التي كانت فيها المجاهر بدائية الى حد كبير كان خيال العلماء يعوض ما لا تستطيع العدسة القيام به •

وفي عام ١٧٥٩ وضع عالم ألماني يدعى « كاسببار غلف » نظرية مضادة تعرف باسم « نظرية الخلق أو التكون الجرثومي » تتلخص في أن تقضى أو تطور الجنين يحدث بطريقة تلقائية تماما ، وخطأ هذه النظرية ينحصر في الاعتقاد بأن الجرثومة تخلق تماما من أي تكون عضوى ••• هاتان النظريتان تنتميان الآن الى التراث التاريخي للعلم وليس هناك اليوم عالم يؤمن بأيهما (٢) •

(١) العقل والمادة مجموعة مقالات وابحاث لبرتراند رسل ، جميعها وترجمها أحمد ابراهيم الشريف ص ٢٠١ •
(٢) الوراثة البشرية ص ٩٤ - ٩٦ •

الذى أشرنا اليه يقول : (ان الاستدلال به ليس يقينا • فقد لا يسرى القانون الثانى للديناميكا الحرارية على كل زمان ومكان ، أو قد نكون مخطئين بأن الكون متناه فى المكان ••) هكذا •• يبدو لفسا شيئا فشيئا أن الحاد هؤلاء محض « ارادة » •

٤ - يقول الدكتور ليكونت دى نوى :

(لنا من أولئك الماديين العريقين الذين يتمسكون بأرائهم واعتقاداتهم رغم كونها سلبية بدون أى برهان :

فيعتقدون أن بداية الحياة ، والتطور ، والعقل البشرى ، وولادة الأفكار الخلقية سوف تصبح تحت سيطرة العلم فى يوم ما وينسون أن ذلك يتطلب تغييرا فى علومنا الحديثة ، وبالتالي :

فانه اعتقاد يركز على تعديلات عاطفية (١) •
ان هذه الموضوعات التى أثار

الحاضر المعيب بالثقة فى مستقبل تتوافر فيه الأدلة والبراهين • كثيرا ما انتهى الى خيبة ظن وانفضاح فساد •

ولا يستعمل الملاحدون العلميون سلاح الترقب للمستقبل هذا فى جبر عثرات العلم عندما يبدو ضعيفا فى مواجهة الدين فحسب • وانما هم يستعملونه فى الحالة العكسية أيضا •

أى يستعملونه فى اتهام « العلم الحاضر » عندما يبدو وكأنه قد توصل الى نتيجة مؤيدة للدين •

كما هو الحال فى القانون الثانى للديناميكا الحرارية الذى يدل على حدوث العالم ودلالة ذلك كله على الصانع •

هنا نجدهم يشكون فى هذا القانون العلمى على أساس الاعتقاد الغيبي فى أن « مستقبل » العلم سوف يتراجع عن تأييده للدين • انظر ما يقوله رسل عن هذا القانون الثانى للديناميكا الحرارية

(١) مصير البشرية من ١١٠ •

مالموات يؤثرون في الأحياء بما يبعثونه فيهم من غيرة نبيلة تدفعهم الى أن يكونوا جديرين بالانصواء تحت لواء أجسادهم العظماء (١) .

أما الخلود الموضوعي الذي تقول به الأديان الأخرى فترفضه ديانة الوضعية إذ ما قيمة الاستمرار المادي في المكان الى جانب الحياة المتصلة في الزمان وفي الضمائر هذه الحياة التي تحقق وحدها أعز رغبة لقلب الإنسان ألا وهي اتحاد النفوس في الأزل (٢) . هكذا !!

٣ - وفي الديانة الماركسية نجد الحلم الذي تنصبه للإنسانية في قيام مستقبل تتحقق فيه الشيوعية ، وتختفى الصراعات الطبقيّة ، وتزول الدولة ، وتتوافر الاحتياجات كلها ، لكل الأفراد .

والشيوعية إذ تمنى الشعوب الرازحة تحت سلطانها بمستقبل « آخرة » غير منظور فإنها تفصل ذلك لتبرير ما تقوم به من سحق

اليها ليسكونت دى نوى هي الموضوعات التي اختص بها الدين - أو الميتافيزيقا - وسماسة الاتحاد عندما يزيحون الدين عن هذه الموضوعات يضطرون - في مواجهة الحاح العقل البشري - الى ادخالها في نطاق المستقبل المجهول « آخرة العلم » لا لشيء الا لتستكمل الدائرة ، دائرة الحصار حول الدين .

٢ - وفي ديانة المذهب الوضعي « ديانة الانسانية » : يستطيع الناس أن ينعموا في الانسانية .. بالخلود الذي يتطلعون اليه .

ذلك أن الانسانية تضم اليها كل ما يطابق جوهرها وتحفظ به وتتحد معه وكل ما يجعلها أعظم وأجمل وأقوى . وتتألف الانسانية من الأموات .. أكثر مما تتألف من الأحياء . هؤلاء الأموات يعيشون .. في ذكرى الأجيال الحاضرة .. وهي ذكرى متحركة فعالة مؤثرة :

(١) هذه ليست حياة للأموات ولكنها في الحقيقة ارتكاس الى عبادة الأسلاف في الديانات الوثنية .

(٢) العلم والدين لأميل بوترو ص ٥١ .

واذا كان من الصحيح ما يقوله
أيضا من أنه لابد لكى ينجح هذا
التصور المستقبلى من أن :

(يتناسب مع قوانا وحيوانا
الذاتية) (١) •

فاننا نقول انه لابد لهذا التصور
من أن يتصف قبل ذلك وبعد
ذلك ••

أولا : بالصدق

ثانيا : بالقداسة

ثالثا : باليقين

رابعا : بالخلود

ولا شك أن هذه الأنظمة
الاحادية لا تتصف واحدة منها
بشيء من هذه القيم •

بل هى على العكس من ذلك •

تعلن انكارها لها

أو تجاهلها إياها

أو استخفافها بها

وهذا سر من أسرار فشل
المذاهب المادية ، وعجز أوثانها عن
أن تحوز قبول الانسان وإن لم
يمنعها هذا الفشل من انشباب
أظافرها فى كيانه •

الأجيال الحاضرة ، وتخديرها عن
عذاباتها الراهنة « الدنيوية » وهذا
هو ما تسجله الوقائع التاريخية فى
البلاد التى نكبت بهذا النظام •
ومن هنا فانه لينبئى القول بحق
ان هذه الآخرة الشيوعية هى
« آفيون الشعوب » •

ان للاحاد نظامه المثلوب
للمستقبل ، وتوقعاته العرجاء التى
يرسمها له ، وهو يدعو اليه بمنطق
الايمان ، لا بمنطق النقد العلمى
الذى استعمله فى هدم الأنظمة
الأخرى ، ولا نكون مبالغين اذا قلنا
ان ثورته ضد الخوارق والمعجزات
ليست — الا كراهية للاعتراف
بوجود عنصر يمكن أن يشككنا فى
المستقبل الذى يروج له فى سوق
العلم • كما أشعار الى ذلك
وليم جيمس •

واذا كان من الصحيح ما يقوله
وليم جيمس من أنه (لابد لكل
مذهب فلسفى أو عقيدة دينية من
تحديد اجمالى للمستقبل ••) ••

وهذا النص القرآني الكريم يذكر على الانسان تمسكه بحياته الدنيا اذا طلب اليه بذلها في سبيل الله ، ويوضح بشكل قاطع أن هذه الحياة لا قيمة لها في ذاتها ومن ثم لا يصح الرضا بها اذا قطعت عن الآخرة ، والتضحية بها في سبيل الله ، تضحية في الشكل ، لكنها من حيث الجوهر « كسب » حقيقي للانسان .

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ويتأكد هذا المعنى بآيات كثيرة أخرى . منها قوله تعالى :
« وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، وأن الدار الآخرة لهي الحيوان » .

(سورة العنكبوت — ٦٤)
كما يتأكد بقوله صلى الله عليه وسلم :

« والله ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم غلينظر به يرجع » .
حديث صحيح (انظر مصابيح السنة للبغوي)

واذا أردنا في هذا المقام أن نوضح نظرة الاسلام ، الى الآخرة .

غلابد أولاً من أن نأخذ في الاعتبار أن بحث هذا الموضوع يتوقف على نظرة مقارنة بين موقف الاسلام عن الدنيا ، وموقفه من الآخرة .

وأذن فإن الأسئلة هنا تطرح نفسها على النحو التالي :

١ — هل يعطى الاسلام للحياة الدنيا قيمة مطلقة بصرف النظر عن الآخرة ؟

٢ — أم يعطيها قيمة بحسب وضعها من الآخرة ؟

٣ — وما هي هذه القيمة وكيف تتحقق ؟

وفي مقام الجواب على السؤال الأول يأتي قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم اتفروا في سبيل الله اثأنتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل »

(سورة التوبة — ٣٨)

فجعلناها حصيدا كأن لم تغن
بالأمس • كذلك نفصل الآيات
لنقوم يتفكرون » •

(سورة يونس - ٢٤)
فهذه الآيات تلفتنا الى حقائق
تبين أن الحياة الدنيا سرية الزوال
مهما ازينت في الطبيعة ، ومهما قدر
عليها الانسان في التاريخ •
ومن هنا يصبح هذا العارض
السرير الزوال بغير قيمة حقيقية ،
ما لم يوصل بشيء له قيمة •
ويتقرر من ثم أن الدنيا - اذا
قطعت عن الآخرة - تبدو شيئاً
لا قيمة له •
ولا يقف الأمر هنا عند حد
فقدان القيمة ، ولكنها - أي الدنيا
تصبح كارثة ووبالا على المسكين
بها •

يقول تعالى :

« زين للذين كفروا الحياة الدنيا
ويسخرون من الذين آمنوا والذين
اتقوا فوقهم يوم القيامة ، والله
يرزق من يشاء بغير حساب »
(البقرة - ٢١٢)
هكذا يصبح امسك الكافر

روى عن رسول الله « صلى
الله عليه وسلم » أنه قال :
« لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح
بعوضة ما سقى الكافر منها شربة
ماء » (١) •

وروى عن رسول الله « صلى
الله عليه وسلم » أنه قال :
« الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه
والجنة مأواه • والدنيا جنة الكافر
والقبر سجنه والنار مأواه » •

وعندما يتأكد هذا المعنى يسوق
لنا القرآن الكريم صفة أساسية من
صفات الدنيا تبين تفاهتها في ذاتها
- أي عندما ينظر اليها مقطوعة عن
الآخرة - ذلك أنها تتصف بسرعة
الزوال •

يقول تعالى :

« انما مثل الحياة الدنيا كماء
أنزلناه من السماء فاختلط به نبات
الأرض مما ياكل الناس والأنعام
حتى اذا اخفت الأرض زخرفها ،
وازينت وظن أهلها أنهم قادرون
عليها انما أمرنا ليلاً أو نهلاً

(١) بسنن العارفين ص ٧٩ •

وكما يقول أحد مؤرخي النهضة الأوروبية عن الروح الجديدة التي سيطرت عليها •

(تقوم هذه الروح الجديدة في أعماقها على اهتمام متزايد بالحياة الانسانية كما يمكن أن نعيشها على هذه الأرض ، ضمن حدود الزمان والمكان ، ودون ارتباط بالعالم الثاني ، أو الأخرى) (١) •

وانسان هذه الحضارة هو النموذج العالمي الذي يغزو اليوم جميع أرجاء العالم ويسيطر على ذهن البشرى في الاقطار المتقدمة والمتخلفة على السواء •

وانسان هذه الحضارة اذا فشل فيما يريد من دنياه رسخ في وجدانه أن كل شئ قد ضاع من يده ، ولجأ الى سخط دائم ، وراودته فكرة الانتحار •

وهو من ثم في حالة فشل دائم • انه كما يقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم في عبارة موجزة دقيقة بالنسبة الروعة « فقره بين

بالدنيا - وهي زائلة مسبباً في خسارته للأخرة وهي باقية •

ولا شك أن ذلك خسران باى مقياس يحسب به حساب الكسب والخسارة ، بل هو الخسران التام الذى لا يقتصر على الضياع الأخرى •

بل ينسحب الى الضياع الدنيوى كذلك ••

انظر الى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك :

« من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ولم يأت من الدنيا الا ما قدر له »

(رواه الترمذى)

ولنطبق ذلك على الانسان المعاصر الذى ربطته الحضارة بمثل وأهداف قاصرة على الدنيا •

ان الدنيا هي هدف انسان الحضارة المعاصرة ، وهي همه الذى لا هم له سواه ، يسمى لكى يحصل منها على أكثر ما يستطيع من متعة ورفاهية ••

(١) تكوين العقل الحديث لجون هرمان راندال ترجمة جورج طعمه

فى الانسانية ذلك لأنه لا يرضى بما فى يده فيمدها الى ما فى يد الآخرين ، وكلما وصل الى شئ لم يجد فيه ما يريد ، فينطلق مسعورا الى غيره ، .. الى ما فى يد غيره ، وهنا يقع الصراع وهو صراع لا نهاية له ، ولا ضابط يضبطه من قيم ، لأن القيمة السائدة هى الحصول على المتعة ، والآخرون أصبحوا مثله ، يريدون ما يريد ، وهنا يتفرق الشمل الذى أراد الله له أن يجتمع ، الشمل الذى تفقد الانسانية ذاتها اذا تفرق ..

ومن الناحية الفردية يقع الانسان الطالب للدنيا المقطوعة عن الآخرة — فى صراع مع نفسه • ذلك لأنه يحاول أن يرضى فى نفسه شهوة الدنيا ، على حساب ما أودعه الله فى هذه النفس من قوى أخرى تريد الآخرة ، فهو لا يرضى هذه النزعة ، ولا يرضى تلك ، .. ويقع من ثم فى صراع مع نفسه ، أو تقع قوى نفسه فى صراع بعضها مع بعض ، وهنا يتفرق عليه شمله : شمل نفسه ،

عينه • انه لا يحسن بالغنى ، أو الرضا ، انه واقع فى الفقر ، الفقر مائل بين عينيه فى كل حال ، لا يترك خياله لحظة ، يجده فيما جمع لأنه لم يرض به ، ويجده فيما لم يجمع لأنه لم يحصل عليه • انه فى حالة فقر مستمر ، ينقص عليه حياته ، ويدفعه الى مزيد من جمع مظاهر هذه الحياة .. دون جدوى • فهو لم يحقق ما طلبه من هذه الحياة الدنيا التى جعلها همه وشغله الشاغل •

فقد فشل اذن فى الحصول عليها • بل فشل — أيضا — فى الحصول على نفسه •

وذلك ما يعبر عنه قوله صلى الله عليه وسلم « .. وفرق عليه شمله .. » أن طالب الدنيا — مقطوعة عن الآخرة — يفقد كيانه الذاتى من الناحيتين الاجتماعية والفردية ..

الأولى : انه يقع فى صراع مع الآخرين : مع أهله وقومه ، وأخوانه

هل تصبح للدنيا قيمة اذا وصلت
بالأخرة ؟

والجواب :

ان القول بأن الدنيا لا قيمة لها
على الاطلاق ، يعنى أنها وجدت
عبثاً وهذا ما لا تجيزه النظرة
الاسلامية . اذ يقول تعالى :

« وما خلقنا السماء والأرض
وما بينهما لاعين »

(الانبياء - ١٦)

ولا شك أن المهمة التي أوجد الله
الانسان من أجلها في هذه الحياة
الدنيا تبين لنا بوضوح أهمية هذه
الحياة .

وهذه المهمة هي الخلافة في
الأرض .

يقول تعالى : « واذا قال ربك
للملائكة انى جاعل فى الأرض
خليفة »

(البقرة - ٣٠)

ويقول « وعد الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم فى الأرض »

(النور - ٥٥)

ويقع فريسة للقلق والتمزق ،
والانفصام ، ورفض الحياة . .

فى بحث عن الانتحار تقول
الكاتبة مارجوريت كلارك :

(تزداد نسبة الانتحار فى أوقات
الرخاء عن أيام الكساد

وتحدث نحو ٣٠ - ٤٠ فى المائة
من مجموع حوادث الانتحار عندما
يكون الرجل ناجحاً اقتصادياً .

ويقول الدكتور توماس مالون
رئيس عيادة الأمراض العقلية
باطلنطا بولاية جورجيا مفسراً ذلك
« عندما يصل الرجل الى ذروة
النجاح فكثيراً ما لا يجد شيئاً باقياً
ليجمعه » (١) (٢) .

وهكذا . .

يتبين لنا أن الدنيا فى نظـر
الاسلام لا قيمة لها اذا أخذت
مقطوعة الصلة بالآخرة .

وهى بهذا ليست غير ذات قيمة
فحسب ، بل هى كارثة ووبال على
الانسان .

والسؤال الآن هو :

(١) كتاب الطب الحديث لمارجوريت كلارك ترجمة الدكتور محمد نظيف
نشر مرانكلين ودار الفكر العربى عام ١٩٦٣ صفحة ١٦٠ .

خالصة يوم القيامة «

(الاعراف — ٣٢)

ويقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون »

(المائدة — ٨٧ — ٨٨)

وهى لا تفتح أمامهم فحسب ، بل ان تعميرها يصبح مسئولية أساسية من مسئوليات المسلم . وتتبع هذه المسئولية من واقع ربطها بالآخرة ، اذ يكون جزاؤه فى الآخرة على حسب ما قدم من عمل صالح فى هذه الدنيا .

يقول تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة (أى فى هذا الدنيا) — ولنجزينهم أجرهم — (أى فى الآخرة) بأحسن ما كانوا يعملون »

(النحل — ٩٧)

ويقول تعالى « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

وتتأكد قيمة هذه الحياة الدنيا فى الاسلام عندما نتبين وظيفتها بالنسبة للحياة الأخرى .

لأنها الطريق الى الآخرة ولا طريق سواه ، واذا كان الطريق يستمد قيمته مما يؤدى اليه ، وكانت الآخرة هى الهدف الأسمى ، والقيمة العظمى « وان الدار الآخرة لهى الحيوان » سورة العنكبوت ٦٤ ، فان الدنيا تصبح ذات قيمة كبرى فى الاسلام بهذا الاعتبار .

يقول تعالى :

« وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما آتاكم » (الأنعام — ١٦٥)

ويقول أيضا « انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا »

(الكهف — ٧)

ومن هنا تفتح أبواب الدنيا أمام المؤمنين :

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا

ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف
الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم
الذي أرتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم أنا »

(النور - ٥٥)

ومن هنا لا تكون الزهادة في
الدنيا باسقاطها من الاعتبار وانما
في اعطائها قيمة عليا باعتبارها طريقا
الى الآخرة .

يقول صلى الله عليه وسلم
« الزهادة في الدنيا ليست بتحريم
الحلال ولا اضرار المال ولكن
الزهادة في الدنيا الا تكون بما في
يديك أوثق بما في يدي الله ، وأن
تكون في ثواب المصيبة اذا أنت
أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت
لك » .

(انظر مصابيح السنة للبغوي)

ويحكى عن الشيخ الشاذلي
قوله لأصحابه :

- كلوا من أطيب الطعام
- واشربوا من ألذ الشراب
- وناموا على أوطأ الفراش

والبسوا ألين الثياب •
فإن أحدكم اذا فعل ذلك وقال
الحمد لله يستجيب كل عضو فيه
للتشكر بخلاف ما اذا أكل الخبز
الشعير بالملح ••

• ولبس البعانة •
• ونام على الأرض ••
• وشرب المالح الساخن •
وقال الحمد لله : فإنه يقول
ذلك وعنده أشبه ممثراز وبعض
السيخط على مقدور الله عز
وجل (١) •

ويقول الشيخ الشمراني عن
أخلاق صوفية الاسلام :

(من أخلاقهم كثرة زهدهم في
المطاعم والملابس والمناكح
والمراكب والمساكن ونحو ذلك مع
ملاستهم لها فيأكلون ويلبسون
وينكحون ويركبون الحيل المسومة
- ويسكنون القاعات المزحمة ،
وهم مع ذلك زاهدون فيما حولهم
الله فيه من النعم فليس الزهد
بخلو اليد كما يفهم بعضهم وانما
الزهد بالقلب فافهم • اذ لو كان

المراد بالزهد خلو اليد من الدنيا
لنهى الشارح عن التجارة وعمل
الحرف ولم يكن يأمر أحدا بها
ولا قائل بذلك (١) .

ومن هنا نجد اهتمام الاسلام
بتنظيم الحياة الاقتصادية
للمسلمين .. فهو يضع أسس
احترام الملكية ، ويعتزم بأن تقوم
الحياة الاقتصادية على أسس
أخلاقية ، ويدعو الى اتقان العمل
ويشجع على ممارسة الحرف ،
والتجارة ، وينهى عن الغش
ويحرم الربا ، ويوجب التكافل ،
وينهى عن الاسراف ، .. الى غير
ذلك من الخطوط الاقتصادية
العامة التى لامجال لتفصيلها فى
هذا المقام . وانما ألحنا اليها هنا
لبيان أن العقيدة الاسلامية تربط
فى اطارها بين الحياتين الدنيا
والآخرة ، وتجمع بينهما كيانا
عضويا واحدا بل اننا نجد أن قيمة
الحياة الدنيا فى الاسلام تصل الى
أعلى درجاتها وذلك عندما نجد
القيم الأخروية ذاتها من أهم

العوامل للحصول على الدنيا .
وهذا مايعبر الحديث النبوى
عنه أروع تعبير فى قوله صلى الله
عليه وسلم « من كانت الآخرة
ممه جعل الله غناه فى قلبه ، وجمع
له شمله وأتته الدنيا وهى راعمة »
رواه الترمذى .

ومن هنا يتقرر :
أن الاسلام اذ يوجه الانسان
الى العمل من أجل الآخرة ،
لا يصرف نظره عن الدنيا ، ولكنه
فى نفس الوقت يحفزها للحصول
عليها ، الحصول عليها تابعة
لامتبوعة ، توضع للانسان ، ولا
يخضع لها الانسان .

بذلك يتحقق للانسان المسلم
الفوز الذى يريده : انه يفوز
بالدنيا والآخرة معا .

وهو بذلك يختلف عن انسان
الحضارة المعاصرة ويحصل على
ماله يحصل عليه هذا فى الحياتين
على السواء . انه يتحقق له من
الغنى ماله يتحقق لانسان هذه
الحضارة . ويتحقق له من صحة

(١) انظر الاخلاق النبوية ج ١ ص ٣٥٧ .

الآخرة خلود في الجنة أو في النار .

ذلك أن الانسان — ولناخذ مثلاً من يتمتع بالثواب في الجنة .. يخل يتذكر ما حدث له في الدنيا من حرمان .

وفي ضوء هذا التذكر يحس بمتعة الجنة .

ان الانسان له طبيعته الخاصة في ادراك الأشياء ..

ان ادراكه يدور في تلك النقائص ، أى أنه يدرك الشيء بادراك نقيضه وكما يقولون « وبضدها تتميز الأشياء » فمالم يدرك الانسان الحرمان لا يدرك النوال .

ولعل هذا هو السر في أمر الله لآدم بالأكل من الشجرة لقد كان ذلك في مصلحة آدم . كان هذا هو طريق آدم لادراك متع الجنة .

لكن آدم لم يصبر على هذا الأمر .

لم يصبر على هذا الحرمان الضئيل .

النفس ، والتثام الشخصية ، مالم يتحقق لطالب الدنيا المبتوثة عن الآخرة .

انه كما يقول الرسول الكريم « جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة » . يقول بعض الصوفية « الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعاً له » .

واذا كان مانقدهم يجيب على سؤال عن :

قيمة الدنيا اذا وصلت بالآخرة؟ فانه في نفس الوقت يجيب على سؤال عن :

كيف نحصل على هذه القيمة ؟ انه يكون بوضع الآخرة هدفاً أعلى ..

هنا تأتي الدنيا الى الانسان (.. وهي راغمة) ، وتأتي اليه رائقة من خلال مصفاة القيم العليا التي يفرضها الارتباط بالآخرة .

ولا يقف الأمر عند ذلك في تقييم دور الحياة الدنيا بالنسبة للانسان .. في الاسلام بل أنها تقسموم بدورها أثناء حياة الانسان في

الى ما وراء المطلق كأن هناك
موضوعات أخرى للتدبر
والتأمل) • (١)

يقول الامام ابن حزم :
(وان الله عز وجل لما خلق
الدنيا دار محنة وبلوى خلقها
أزوادا وأزواجا لتقع المحنة
وتتم الدلالة ، فتمام الدلالة بذلك
.. لأنه لا يعرف الشيء بحقيقته
الا من قبل ضده • فيالظلمة تعرف
النور ، وبالمكروه يعرف المحبوب ،
وبالشر يعرف الخير وبالبرد يعرف
الحر ، وبالتحت يعرف الفوق ،
وبالظاهر يعرف الباطن • كل
واحد منها يعرف بصاحبه ،
ويبتدى اليه بزوجه وضده •

ويبتدى بالأضداد كلها الى
وحدانية الخالق لها •

وأما وقوع المحنة من جهة
الأزواج فان الله تعالى جعل
الدنيا امتزاجا وانفصالا روحين
ايضا ضدين ليعرف هذا بهذا) (٢)
وروى عن أنس بن مالك رضى

فكان نزوله الى الدنيا تطبيقا
لنفس المبدأ •

أى ليواجه صنوقا من الحرمان
يمجز عن تجاوزها والتغلب عليها •
ذلك لكى يتأهل للجنة •

أى ليدرك نعيمها بعد احراك
حرمان الدنيا •

عن طريق المقابلة والتضاد •
ومن هنا نقول :

سيظل للدنيا دور فى الآخرة •
هذا الدور هو أن يتذكر
الانسان فيها ماحدث له فى الدنيا
من مشكلات وآلام وجهاد
وحرمان •

بذلك يدرك النعيم ويلتذ به •
ولا سجيل له الى هذا النعيم
الا عن هذا الطريق •

يقول وليم جيمس :

(ان عقولنا قد تعودت على
أن ترى (غيرا) بجانب كل
جزئية من جزئيات تجاربها واذا
فكرت فى المطلق نفسه تراها
تستمر فى عملياتها العادية وتتطلع

(١) العقل والدين ص ٤٢ •

(٢) رساله الرد على الكسدى الفيلسوف ضمن كتاب الرد على

ابن النفريلة ص ٢٢٥ •

لبعضهم فيها وعناية الله بكل
منهم وانقاذه من تأمر الكفار من
التردى في هاوية الكفر ، وما عاناه
كل في سبيل ذلك •

وفي الحديث فيما رواه ابن القيم
عن ابن أبي الدنيا بسنده عن
رسول الله ص قال (إذا دخل
أهل الجنة الجنة فيشتاق الإخوان
بعضهم لبعض حتى يجتمعوا فيقول
أحدهما لصاحبه تعلم متى عثر
الله لنا ؟ فيقول صاحبه يوم كنا
في موضع كذا وكذا •• (٢) •

ومن باب التذكر ما أعد الله
للمؤمنين من نعيم في الآخرة له شبه
بنعيم الدنيا •• لكنه في حقيقته
مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر •

وهذا يفسر لنا لماذا كان في
الجنة النخيل والعنب والزيتون
والرمان ••

ويرد على تخرصات الملحدين
أو تأويلات الفلاسفة •

الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال :

(أن في الجنة أسواقا لا شراء
فيها ولا بيع يجتمعون فيها حلقا
حلقا يتذكرون •

كيف كانت الدنيا •

وكيف كانت عبادة الرب •

وكيف كان فيها فقراء أهل الدنيا
وأغنيأؤها •

وكيف كان الموت •

وكيف مرنا بعد طول البلى الى
الجنة (١) •

وتؤيد النصوص القرآنية

والنبوية حقيقة التذكر هذه

كقوله تعالى عن أهل الجنة :

(انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن

الله علينا ووقانا عذاب السعير) •

وقوله تعالى عن أهل الجنة

كذلك (فاقبل بعضهم على بعض

يتساطون ، قال قائل منهم : انى

كان لى قرين •••) انظر سورة

الصفافات ، وما جاء فيها من

الحديث عن أحوال الدنيا وما حدث

(١) انظر بستان العارفين للسمرقندى ص ٢٥ •

(٢) انظر حلى الأرواح لابن القيم •

وأخيرا ، فإذا كانت هذه هي قيمة الدنيا في الاسلام ، فإن السؤال يصبح هو ما قيمة الدنيا في غير الاسلام ؟

والجواب على هذا السؤال الأخير نجده فيما قدمنا ، من قوله صلى الله عليه وسلم « من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ولم يأت من الدنيا الا ما قدر » .
والنتيجة الأخيرة التي نصل اليها من ذلك :

ان الاسلام — فيما نعلم — هو العقيدة الوحيدة التي تعطي للدنيا

قيمة حقيقية (١) وتصف للانسان طريق الحصول عليها وهو ربطها بالآخرة .

وهذا هو الطريق ، ولا طريق سواه :

« وأن هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله ذلك وصالحكم به
لعلهم يتقون » .

الانعام ١٥٣

وصدق الله العظيم ..

د . يحيى هاشم حسن

(١) وقد كانت المسيحية جذيرة بذلك لو أنها استمسكت بمعق ما جاء منسوباً الى السيد المسيح .
(اطلبوا أولاً ملكوت الله ...)
وكل ما سواه سيعطى لكم بالتبعية) .

تراث مفقود
مع كتابين مفقودين للفراء
 دكتور أحمد علم الدين الجزيري

أنف الفراء (ت ٢٠٧ هـ) كتب كثيرة ، وأغلبها مفقود (١) ، ومن هذه الكتب المفقودة :

أولا : كتاب (لغات القرآن) الفهرست لابن النديم ٥٩٠ هـ وقد أشار إليه أبو حيان في تفسيره (البحر المحيط ٣/١٩٣) وورد ذكره في حاشية الشيخ عبادة على شذور الذهب ١/١٤٨ هـ .

وثانيا : (كتاب اللغات) وهو مفقود كسابقه ، وقد عزاه ابن النديم (الفهرست ١٠٦) والسـيوطي في بغيته (٤١١) ومزهره (٩٦/١) هـ .

وقد ألف كثير من العلماء في الفن الأول ، منهم هشام بن محمد بن السائب الكلبي ٢٠٤ هـ ، وأبو زيد الأنصاري ٢١٥ هـ وابن دريد ٣٢١ هـ والقطيعي ٥٥٤ هـ والبيهقي ٥٤٤ هـ وغيرهم . كما ألف في الفن الثاني يونس بن حبيب البصري ١٨٢ هـ وأبو عمرو الأثيني ٢٠٦ هـ وأبو عبيدة

(١) انظر قائمة مؤلفات الفراء ، الموجود منها والمفقود في كتاب (أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ص ١٦٩ — وما بعدها ، للدكتور أحمد مكي الأنصاري . والمعجم العربي ، نشأته وتطوره : الجزء الأول . الدكتور حسين نصر) .

٢١٠ هـ وأبو ريد الانصاري ٢١٥ هـ والاصمعي ٢١٦ هـ وابن دريد وغيرهم، وجميعها مفقودة إذا استثنينا كتاب اللغات لابن عمرو الشيباني ٢٠٦ هـ، والمعروف بكتاب (الجيم) .

ولقد جمعت هذه الكتب المفقودة في هذين الفنين حيث تعقبت كتب العربية على اختلاف نحلها جرذا وبحثا حتى وصعت يدي على المادة التي أرجح أن هذه الكتب النائية قد اشتملت عليها هؤلاء الأعلام . فرصدت الروايات والسماعات والنقول الخارجية المبنوثة في كتب علوم القرآن والشعر والنحو والعربية والطبقات والأمثال ، والتي كان مصدرها هؤلاء العلماء الذين ألفوا هذه الكتب . وأعرض الآن هيكلًا لكتابي الفراء في (اللغات) و (لغات القرآن) .

وهما مفقودان . وقد وضعت على الجانب الأيسر رمز (ع) إشارة إلى أن النص — على ما أرجح — من (كتب اللغات) ، ورمز (ق) إشارة إلى أن النص من كتاب (لغات القرآن) .

١ — المستوى الصوتي ويشمل (علم الأصوات العام وعلم الأصوات التنظيمي أو علم التشكيل الصوتي)

أولا : هركية الكلمة :

١ — فاء الكلمة :

الفسراء :

١ — يقال فيه غلطة وغلطة (١) ، ويقال رفقة ورفقة ، لغة قيس وتميم .
اصلاح المنطق ١١٥/١ غ .

(١) وحكى ابو عبيدة وابن الاعرابي : غلطة : اصلاح المنطق ١١٧/١ وعريت في الانحاف ٢٤٥ بالفتح لغة لاهل الحجار . وفي البحر المحيط بالكسر لغة اسد وبالفهم لغة تميم : البحر المحيط ١١٥/٥ .

- ٢ — وسمعت من بعض كلب : وجنة ووجنة ، لبعض العرب بكسر الجيم وفتح الواو اصلاح المنطق ١/١١٧ غ •
وحكى الفراء عن الكسائي وجنة وأجنة ووجنة عن أهل اليمامة •
اصلاح المنطق ١/١١٦ •
- ٣ — هو يأكل الحينة ، والحينة لأهل الحجاز (١) غ •
- ٤ — قال الفراء في قوله تعالى : « ونمارق مصفوفة » هي الوسائد واحدها نمرقة •
- قال : وسمعت بعض كلب يقولون : نمرقة بالكسر • لسان العرب ١٢/٢٣٩ ق •
- ٥ — الجهد — بضم الجيم لغة أهل الحجاز ، والوجد ، ولغة غيرهم ، الجهد والوجد بالفتح • معاني القرآن للفراء ١/٤٤٧ (٢) •

٢ — عين الكلمة :

- ١ — ويقال : منح ير ورار • وزعم الفراء قال : لغة القناني رير بفتح الراء • وأنشد : (والساق منى بارادات الرير) اصلاح المنطق ١/٨٩ (٣) غ •
- ٢ — قال صاحب العباب ، قال الفراء في نوادره (٤) : الحلقة بكسر اللام لغة للحرث بن كعب في الحلقة بالسكون • وأورد شاهدا • غ •
- ٣ — حكى الفراء عن بنى أسد : هل رأيت عينا في معنى (أهد) يروى بسكون الياء وفتحها • كثر الحفاظ ٢٧٣ غ •
- ٤ — قال الفراء : البخل (٥) مثقلة لأسد ، والبخل خفيفة لتميم ، والبخل لأهل الحجاز ، ويخففون أيضا فتصير لغتهم ولغة تميم واحدة •

(١) أى وجنة في اليوم • اصلاح المنطق ١/١١٧ والمخصص ٥/٢٤ •
(٢) بمناسبة قول الله (ألا جهمهم) سورة براءة آية : ٧٩ •
(٣) الحركة السميطة تحولت الى حركة مركبة في لغة القناني •
(٤) يظهر أن كتب اللغات والموادر كانت تصير في فلك واحد •
(٥) في القرآن : « ويأمرون الناس بالبخل » : سورة النساء آية : ٢٧ •

وبعض بكر بن وائل يقولون : البخل • البحر ٢٤٧/٣ • ومختص
الشواذ لابن خالويه : ٢٦ ق •

٥ — أهل الحجاز يقولون : أعطى صدقتها بضم الدال • وتميم تقول :
أعطى صدقتها بسكون الدال • في لغة تميم • معاني القرآن لفراء
٥٩/٢ ق •

٣ — المماثلة في الحركات :

١ — حكم هاء التنبيه الفتح عند أكثر العرب : ويجوز صمها وهي لغة
عربية حكاه الكسائي والفراء • غل الفراء : هي لغة بني أسد
أبراز المعاني ٢٠٠ • وقرأ بها ابن عامر في (آية المؤمنون (١) —
يأياه الساحر — بضم الهاء • إرشاد المريد على إبرار المعاني ٢٠٠ ق
٢ — سيبويه (٢) والفراء : ناس من بكر بن وائل يكسرون الكاف من
نحو : منكم • وأحلامكم • وهي لغة رديئة جدا ، حكاه سيبويه
والفراء ، الهمع ١/٥٩ غ •

٣ — ذكر الفراء في (كتاب لغات القرآن) له : أن الصلب وهو انظهر
على وزن قفل — هو لغة أهل الحجاز • ويقول فيه تميم وأسد :
الصلب : بفتح الصاد واللام قال : وأشدنى بمعصم •

(وصلب (٣) مثل العنان المؤدم)

(١) وفي البحر المحيط ٦/٤٥٠ ، ١/٩٢ عزاه لغة لنبي مالك رهط
شقيق ابن سلمة • وبنو مالك من بني أسد •
(٢) اشترك الفراء مع سيبويه في حكاية اللهجة عن العرب •
(٣) والبيت في اللسان (صلب) للعجاج يصف امرأة وهو :
ربا العظام فحمة المؤدم .. في صلب مثل العنان المؤدم ويتال للظهر :
صلب ، وصلب ، وصلب • اللسان مادة : (صلب) •
ولعل نص الفراء الذي ذكر أنه في كتابه (لغات القرآن) كان
بمناسبة قوله تعالى « من أصلانكم » سورة النساء آية ٢٣ ، أو قوله « من
مين الصلب » سورة الطارق آية ٧ •

قاله : وافتدنى بعض بنى أسد :

(اذا أقوم اشتكى صلبى) البحر المحيط ١٩٣/٣ .

٤ - فى قوله تعالى « انحمد لله » أما أهل البدو فمنهم من يقول . الحمد لله ، ومنهم من يقول : الحمد لله ، ومنهم من يقول : الحمد لله .
فيرفع الدال واللام (١) معانى القرآن للفراء ٣/١ ق .

٥ - فى قوله تعالى « ما أنا بنصرخكم وما أستم بمصرخى ائى »
سوره ابراهيم آية ٢٢ . حكى الفراء كسر ايب ، لغة بنى يربوع (٢)
النشر ٢٩٨/٢ ، اتحاف ٢٧٢ ق .

وفى التصريح ٦٠/٢ أن هذه اللغة حكاهما الفراء وقطرب . وفى معانى
القرآن للفراء ٧٥/٢ « قال الفراء ولعلها من وهم الفراء طبقة يحيى
فانه قل من سلم منهم من الوهم . انظر البحر المحيط ٤١٩/٥ ،
والنهر الماد ٤١٨/٥ .

ثانيا : ظاهرة التقريب

١ - الامالة والفتح :

أهل الحجاز يفتحون ما كان مثل شاء وخاف وجاء وكاد وما كان من

(١) علل الفراء صوتيا لكل قراءة ، الا انه أهمل المرو ، فالحمد لله ،
بكسر الدال واللام لغة تميم وبعض غطفان ، الاتحاف ١٢٢ هامش ، نزهة
الألسنة ٣٦٤ . والحمد لله - يفتح اللام اثناعا لمصوب الدال وهى لغة بعض
قيس . النشر ٤٨/١ .

(٢) وعقب أبو عمرو بن العلاء على هذه القراءة بأنها « جائزة
وحسنة » ولا التفات الى انكار النحاة لها . الدر اللقيط ١٩٩/٥ ووصفها
الزجاج بأنها « عند جميع النحويين رديئة مردولة . الخزانة ٢٥٩/٢ ، ابراز
المعاني ٣٦٩ ، كما انكرها أبو حاتم (البحر المحيط ٤٢٠/٥) وربما
الزمخشري بالصف (الخزانة ٢٥٩/٢) وزاد فى اضاعافها وتوهينها بان
الشاهد الشمعى عليها لرجل مجهول . والحق ان الشاهد للأغلب العطل ،
ورآه أبو شامة فى أول ديوانه (حاشية رين الدين على التصريح ٦٠/٢) وقال
القاسم بن سنان عن هذه القراءة (انها صواب) النشر ٢٩٩/٢ ، وكان القاسم
ابن سنان ثقة بصيرا . ابراز المعاني ص ٣٦٩ .

ذوات الياء والواو • قال : وعامة أهل نجد من تعيم وأسد وقيس يرون إلى الكسر من ذوات الياء في هذه الأشياء ، ويفتحون في ذوات النواو مثل : قال وجمال • شرح الفصل ٩/٥٤ والأشموئي ٢٢١/٤ غ •

٢ - الإدغام والالقاء :

- ١ - وسمعت بعض بني أسد يقولون : قد اتغر (١) • وهذه اللفظة كثيرة فيهم خاصة ، وغيرهم قد اتغر • معاني القرآن للفراء ٢١٥/١ غ •
- ٢ - وسمعت بعض بني عقيل يقول : عليك بأبوال الطباء فاصعطها فانها شفاء للطحل (٢) • معاني القرآن : ٢١٦/١ غ •
- ٣ - في (مذكر) ومذكر في الأصل مذتكر - فصيرت الذال وطاء الافتعال دالا مشددة • قال : وبعض بني أسد يقول : (مذكر) لسان العرب ٣٧٩/٥ •

ثالثا : الهمز والتسهيل

- ١ - روى الأزهري بإسناده عن الفراء قال : سمعت أعرابيا من بني سليم ينشد :
(فانها جبل الشيطان يحتل)
قال : وغيره من بني سليم يقول (يحتال) بلا همز • اللسان ١٩٨ - ١٩٩ غ •

(١) وصيغة (اتغر) أسهل ، لأن اللسان قد يسهل عليه الاصطدام بالحنك والالتقاء به التقاء محكما بحيثيس معه النفس • وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة - من أن تقف حركته عند مسافة قصيرة من الحنك ، ليكون بينهما مجرى يتسرب منه الهواء ، كما يحدث في الأصوات الرخوة .
(٢) مرض ، (اصعطها) انعمل من الصعوط وهو لفة في السعوط وهو : ما يستنشق في الأنف •

- ٢ — سمعت امرأة من طيء تقول (١) • رثأت زوجي بأبيات • معانى القرآن للفراء ٥٩٩/١ ونقل اللسان عن الفراء أنه قال • سمعت امرأة من طيء تقول : رثأت زوجي بأبيات • اللسان ١٠/١ غ •
- ٣ — ونسأ الله في أجلك : أى راد الله فيه ، ولم يهزها أهل الحجاز ولا الحسن • معانى القرآن للفراء ٣٥٦/٢ غ • ومثلها : وقد ترك همز (التناوش • سورة سبأ آية ٥٢) أهل الحجاز وغيرهم جعلوها من نشته نوشا وهو التناول • • • • • وقد يجوز همزها • معانى القرآن للفراء ٣٦٥/٢ ق •

رابعاً : مدارج اللهجات في ابدال الحروف

- ١ — والتفتقر لبنى أسد • (وهى لغة في الدفتر) ابدال أبى الطيب ١٠٩/١ غ •
- ٢ — بنو أسد يقولون : المختور وغيرهم بالفاء • ابدال أبى الطيب ١٨٦/١ ، معانى القرآن للفراء ٤١/١ غ •
- ٣ — كل ياء مشددة للنسبة وغيرها فان بعض العرب يبدلها جيما • وزعم الفراء أنها لغة طيء • ابدال أبى الطيب ٢٥٨/١ غ • وقال الفراء أيضا : وهم يقلبون الياء الخفيفة أيضا الى الحيم • وذلك في بنى دبير من بنى أسد خاصة • الابدال لأبى العنيد ٢٦٠/١ غ •
- ٤ — يقال سكرات ملتخ وملتك • حكها الفراء عن امرأة من بنى أسد • الابدال لأبى الطيب ٣٤٣/١ غ •
- ٥ — أهل الحجاز أكثر شئء قولا : الفيعل من ذوات الثلاثة فيقولون

(١) وبعضهم يغلط العرب في مثل هذا ، ويرى الفراء انه من همز التوهم وهو همزهم ما لا همز فيه اذا ضارع المهور • المزهر : ٢٥٢/٢ ، ٤٩٦ •

- للصواغ : الصياغ (١) • معانى القرآن للفراء ١/١٩٠ ق •
 ٦ — ومرضوا (٢) لغة أهل الحجاز • معانى القرآن للفراء : ٢/١٧٠ ق •
 ٧ — وقيس تقول : طين لاتب • معانى القرآن للفراء ٢/٣٨٤
 في قوله تعالى « طين لازب » الصافات آية ١١ ق •

خامسا : الوقف

- ١ — حكى عن بعض العرب أنهم يسكنون حركة الهاء إذا كانت بعد متحرك (٣) • البحر المحيط ٢/٤٩٩ ق •
 ٢ — جمع التصحيح والمحمول عليه كالعنداء والبنات والأخوات •
 الأفضح الوقف عليه بالتاء ، ويجوز الوقف عليها بالهاء غ •
 وحكاة الفراء لغة لقوم من طيء • يقولون في مسلمات = مسلماء •
 عبث الوليد ص ٦٧ ، وفي الهمع ٢/٢٠٩ حيث أضاف قطربا الى الفراء
 في حكاية اللهجة عن العرب •
 ٣ — والعرب تقف على كل هاء مؤنث بالهاء الا طيئا فانهم يقفون عليها
 بالتاء مثل : هذه أمت (٤) وجاريت • لسان العرب ٢٠/٣٧٠ ، شرح
 السيرافي ١/٦١ غ •

- (١) في الحديث عن قول الله (القيوم : آل عمران آية : ٢) وقراها
 عمر بن الخطاب وابن مسعود (القيام) •
 (٢) بمناسبة قوله تعالى « مرضيا » سورة مريم الآية : ٥٥ •
 (٣) ولقد سمعها الكسائي من أعراب عقيل وكلاب : يقولون : « لربه
 لكتود » بالجزم وغير أعراب عقيل وكلاب لا يوجد في كلامهم اختلاس
 ولا سكن • البحر المحيط : ٢/٤٩٩ • وقال أبو اسحق عن الاسكان انه غلط
 بين • وقال أبو حاتم انه غلط : الالتفات : وانظر البحر المحيط ٢/٧١ •
 واللسان ٢/٣٦٧ • كما رآه بعضهم ضرورة • الخزائن ٢/٤٠١ كما نقل ابن
 حنى في المحتسب والخصائص ، واس السراج في الأصول أن الظاهرة لفظة
 الأزد السراة • الخزائن ٢/٤٠١ والمحتسب ١/٤٠٢ وانظر شاهدا من الشعر
 على هذه اللغة في الجمهرة ٢/١١٨ •
 (٤) وفي المصباح ٢/٩٦٧ مزاهة لحمر •

٢ - المستوى الصرفي

أولاً : التصحيح والاعلال .

المشهور في لسان العرب تسكين العين اذا كانت غير صحيحة في مثل : بيضات ، عورات . وقال الفراء : العرب على تحفيف ذلك الا هذيلاً فتنقل ما كان من ذوات الواو والياء . (١) البحر المحيط ٤٤٩/٦ ، اللسان ٣٠٣/٦ ، شرح المفصل ٣١/٥ ق .

ثانياً : الممدود والمقصور .

عندما ذكر ابن هشام أن (هؤلاء بالمد لغة الحجازيين) شذور الذهب : ١٤٧/١ . وبها جاء القرآن . وبالقصر لغة تميم — علق صاحب الحاشية بقوله : في لغة تميم وقبل وأسد وربيعة ، ذكر ذلك الفراء في كتابه (لغات القرآن) ولم يخصه بتميم . (حاشية عبادة على الشذور ١٤٨/١) كما ساق صاحب التصريح ١٢٨/١ هذا النص السابق وعزا الى الفراء في كتابه (لغات القرآن) ق .

ثالثاً : الأفعال .

١ — (المموز) أبو زيد والفراء ، روي : اسل زيدا ، لغة عبد القيس حكاه أبو زيد والفراء يريدون : اسأل . فنقلوا حركة الهمزة الى السين وأسقطوا الهمزة . (٢) ليس في كلام العرب ص ١٢ ق .

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط ٥١٥/٧ : ولم يقرأ احد ممن علمناه بلفظهم والصحيح أن الاعمش قرأ « ثلث عورات لكم » سورة النور آية : ٥٨ وقد عزاها ابن خالويه الى تميم . مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٠٣ .
(٢) وبلهجة عند القيس قرأت فرقه من القراء . البحر المحيط ١٢٦/٢ .

- ٢ — (تداخل) لغة الحجاز : دام يدوم • وتميم : دمت يدوم (بكسر الدال) في الماضي • فيجتمعون في المضارع ق •
وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ويحيى بن وثاب والأعمش : دمت — بكسر الدال وهي لغة تميم في (مادمت عليه قائما) (١) س ٣ آية ٧٥ • مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢٩ •
- ٣ — (باب نصر وضرب من الصحيح) في قوله تعالى : « واذا تيسل أنشزوا فاننشزوا » سورة المجادلة آية : ١١ • قال الفراء : قراها الناس بكسر الشين ، وأهل الحجاز يرفعونها • قال : وهما لغتان •
لسان العرب ٧/٢٨٥ ق •
- ٤ — (الأجوف) ضمت العامة الصاد في قول الله (فصرهن اليك س ٢ آية : ٢٦) وكان أصحاب عبد الله يكسرونها (٢) ، وهما لغتان •
وأما الصم فكثير ، وأما الكسر ففي هذيل وسليم قال : وأنشد الكسائي :
- (وفرع يصير الجيد وحف كانه) اللسان ٦/١٤٨ ومعاني القرآن للفراء ١/١٧٤ ق •
- ٥ — (لغتان في الصحيح من غير باب نصر وضرب) : عجزت عن الشيء بفتح الجيم (ما تلحن فيه العامة للكسائي ص ٢٤) والكسر لغة حكاها الفراء قال ابن القطاع (انه لغة لبعض قيس) :
ما تلحن فيه العامة ٢٤ هامش غ •
- ٦ — (المبنى للمجهول) في نحو قيل وبيع ثلاث لغات :
- ١ — اخلاص الكسر وهو لغة قریش ومن جاورهم من بنى كئانة •
البحر المحيط ١/٦٠ •

(١) وقال أبو اسحق : دمت تدام مثل : نمت تنام وهي لغة • البحر المحيط ٢/٥٠٠ •
(٢) والمعنى : قطعهم : من صريت أصرى أى قطعت فتقدمت يائوها •
الأضداد لابن الأثير ص ٢٩ •

٢ - وإخلاص الضم وهو لغة هذيل ، وبني دبير (١) : بني فقمس (١) .

(أسرار اللغة : تيمور ص ١١١ والبروض الانف ٢/٦٦ ، الأثموني : ٢/٦٢) وقد حكى الفراء إخلاص الضم الى بني أسد ، وأورد شاهدا (وقول لا أهل له ولا مال) (٢) اللسان ١٤/٩٣ ق .

رابعاً : المشتقات :

١ - اذا جاعك فعل مما لم يسمع مصدره فاجعله فعلاً للحجاز وفعولاً لنجد (٣) . شرح الشافعية ١/١٥٢ غ .

٣ - في قوله تعالى : « من ماء دافق » مدفوق . قال : وأهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم أن يفعلوا المفعول فاعلاً اذا كان في مذهب نعت كقول العرب : هذا سر كاتم ، وهم ناصب . ثم قال : وأعان على ذلك أنها وافقت رؤوس الآيات التي هي معهن . اللسان ١١/٣٨٧ ق .

٣ - يقولون . هو مسكن ، قال عنها الفراء : هي لغة يمانية فصيحة (٤) البحر المحيط ٧/٢٦٩ ق .

٤ - أهل الحجاز يقولون : مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء فيما ارتفعت

(١) من نصحاء بني أسد .

(٢) ولغة قيس وعقيل ومن جاورهم . الإسماع في ذلك . اتحاف ١٢٩ كما حكى إخلاص الضم عن لغة . التصريح ١/٢٩٤ - ٢٩٥ ، وقد قرئ بهذه اللغات في « قبل ، سيء ، فيض ، حيل » البحر المحيط ٧/١٥١ .

(٣) قيس أهل نجد أن يقولوا في مصدر ما لم يسمع مصدره من فعل المفتوح الميم : مفعول ، متمدياً كان أو لازماً . وقيس الحجازيين فيه : فعل ، متمدياً كان أو لا .

(٤) وأهل أبو زيد مزوها . المخصص ١٤/٢٠٤ ، اللسان ١٧/٧٤ .

- به ويكسرون مرفق الانسان (البحر ١٠٧/٦) • (١) ق •
 ٥ — ذكر لى أن بعض العرب يسمون مأوى الابل مأوى بكسر الواو
 — قال : وهو نادر لم يجيء فى ذوات الواو والياء مفعل بكسر
 العين الا حرفين : مأنى العين ومأوى الابل وهما نادران ، واللغة
 العالية فيها مأوى • اللسان ١٨/٥٤ ، شرح الشافية ١/١٨٢ غ •

٣ — الظواهر العامة فى لهجات القبائل

اولا : فعل وأفعل •

- ١ — العرب تقول •• أعصفت الريح ، وعصفت ، وبالألف لغة لبنى
 أسد ، وأنشدنى بعض دبير (٢) (حتى اذا أعصفت ريح
 مزعزة) معانى الفراء : ١/٤٦٠ •
 ٢ — أهل الحجاز يقولون : « ما أنتم عليه بفانين » (٣) وأهل نجد .
 « بمفتتين » السان ١٧/١٥٩ ، معانى الفراء ٢/٣٩٤ ق •
 ٣ — ينح الثمر وأينع : أحمر • وفى البحر ٤/١٨٤ بفتح الياء فى لغة
 الحجاز ، وبضمها لغة لبعض نجد ، وقرئ بها فى الأتعام آية
 ٩٩ « وينعه » مختصر شواذ القرآن ابن خالويه ٣٩ ق •

ثانيا : التذكير والتأنيث •

- ١ — الهدى مذكر ، الا أن بنى أسد يؤنثونه (٤) (المذكر والمؤنث
 للفراء ص ٢١) •

(١) لعل هذا فى قوله تعالى (وبهء لكم من ابركم مرفقا) الكهف
 آية ١٦ •
 (٢) ودبیر : بطن من بطون بنى أسد بن غزيمة من العدنانية معجم كحالة
 ١/٣٧٤ •
 (٣) السلفات آية ١٦٢ •
 (٤) فى التذكير والتأنيث للسجستاني ص ١٠ خط تيمور رقم ٢٦٤
 والمخصص ١٧/١٧ (بعض أسد) •

- ٢ - الأصابع اناث كلها الا الابهام فان بنى أسد أو بعضهم يقولون :
هذا ابهام • المذكر والمؤنث للفراء : ١٥ - ١٦ والبحر
٨٤/١ (١) ق •
- ٣ - الذراع أنثى • وقد ذكر الذراع بعض عكل • المذكر والمؤنث
للفراء : ١٥ ، عبت الوليد ١٣٤ غ •
- ٤ - والقعد أنثى ويذكرها بعض قيس • المذكر والمؤنث للفراء ١٨ غ •
- ٥ - الرياح كلها اناث • وشاهد من بنى أسد على التذكير • ويقول
الفراء : أنشدني عدة من بنى أسد • المذكر والمؤنث
للفراء ٢٧ غ •
- ٦ - رأيت بعض بنى تميم وسقط ابن له في البير - والله ما أخطأ
الركى - فوحده بطرح الهاء ، فاذا فعلوا ذلك ذهبوا به الى
التذكير كأنه اسم للجمع (٢) ، وهو موحد • المذكر والمؤنث
للفراء : ٣٥ ، والمخصص : ١٧/١٠ غ •
- ٧ - ذكرت كتب اللغة أنه يقال للرجل (زوج) ولامراته أيضا
(زوج) وذلك في لغة الحجاز ، ولغة تميم وكثير من قيس وأهل
نجد يقولون (هي زوجته) البحر ١/١٠٩ • المخصص ١٧/٢٤ •
وأبى الأصمى لهجة تميم وقال (زوج لاغير) لسان ٣/١١٧
ويقول ابن منظور وكانت من الاصمى في هذا شدة وعسر لسان
١٠٧/٣ •
- أما الفراء فقد وصف لهجة نجد في الظاهرة السابقة (زوجة)
بانها (أكثر) ، ولهجة الحجاز بأنها (أفصح) المذكر والمؤنث
للفراء : ٢٦ • وفي كل ذلك يستشهد الفراء ويحتج بالقرآن
والشعر •

(١) يتصل بـ (يجعلون أصابعهم) البقرة •
(٢) والفراء يشير الى أن من أسبأ باجتماع التذكير والتانيث في
الكلمة : الجمع والامراء : مثل ركية وركى •

ثالثاً : القلب :

١ - تميم تقول صاقعة في صاقعة وأنشد لابن أحرر :
ألم تر أن المجرمين أصابهم •• صواقع لابل من فوق
الصواقع (١) ق •

٢ - لغة أهل الحجاز عميق ، وبنو تميم يقولون : عميق (٢) اللسان
١٤٣/١٢ البحر ٣٤٧/٦ ق •

٣ - من العرب من يتم (حاش) وفي لغة الحجاز (حاش لك) وبعض
العرب حشى زيد - كأنه أراد . حشى لزيد . وهي في أهل
الحجاز • البحر ٣٠/٥ ق •

٤ - سمعت بعض قضاة يقول : اجتضى ماله • والبعة الفاشية اجتاح
ماله • وشاهد لها • معاني الفراء ١٢٤/٢ غ •

رابعاً : التشديد والتخفيف •

روى الفراء وأبو عبيد : يقال . اجس هنا أى قريباً •• قال:
وهنا أيضاً تقوله : قيس و تميم • اللسان ٣٧٤/٢٠ غ •

خامساً : مقل الحركات والحروف وانتقاصها في لهجات القبائل •

١ - أجاز الكوفيون حذف الياء المفتوح ما قبلها مثل اخشين يا هـ
فتقول على لهجتهم : اخشن يا هند بحذف الياء • وحكى الفراء أنها
لفظطي • الاشموني ٢٢٣/٣ ، الهمع ٧٩/٢ ، الحزانة ٥٨٠/٤ غ •

٢ - وقد تسقط العرب الواو وهي واو جماع ، اكتفى بالضممة قبلها فقالوا

(١) وفي القرآن : من الصواعق : البقرة ، وقرأ الحسن : الصواتع •
وهي لغة تميم وبعض ربيعة • الاتحاف ١٣٠ هامش •
(٢) في قوله تعالى « من كل فج عميق » الحج • ويقال : عميق •

في . ضربوا قد صرب . . وهي في هوازن وعليها قيس (١) معانى
الفراء ٩١/١ غ .

٣ - ويقال للمنخر . منحور (٢) وهم طيء . معانى القرآن للفراء
١٥٢/٢ غ .

٤ - المستوى النحوى

أولاً : الاعراب والبناء .

١ - وحكى الفراء عن كثير من أهل نجد أنهم يجرون الحبر بعد (ما)
بالباء وإذا أسقطوا الباء رفعوا . الخزانة ١٣٣/٢ ق .

وفي ابن عقيل ٢٦٦/١ أن سيبويه والفراء رحمهما الله تعالى نقلتا
زيادة الباء بعد (ما) عن بى تميم - فلا المتفات الى من منع ذلك .

٢ - عرا الفراء فتح لام كي الى تميم (٣) ، معانى القرآن للفراء
٢٨٥/١ غ .

٣ - حكى الفراء أن فتح لام الأمر لغة معزوة الى قبيلة سليم . وقد نقل
ذلك ابن مالك . البحر المحيط ٤١/٢ ، والنهر الماد ٤١/٢ غ .

٤ - بعض العرب يجرى (كلا وكلتا) مع الظاهر مجراها مع المضمر في
الاعراب بالحرفين وحكى (رأيت كلئ أخويك) وعزاها الفراء الى
كثانة . ارتشاف الضرب ٦٤/١ مصور بالدار رقم ٦١٥٦ ، الهمع
٤١/١ غ .

(١) وأورد شواهد ثلاثة على هذه اللهجة .

(٢) ولعل السبب في وجود صيغة (منحور) اختلاف موقع .

(٣) وزعم يونس أن ناساً من العرب يفتحون اللام التى في مكان (كي)

وزعم خلف الأحمر أنها لغة لبني العنبر . خزانة ٣٧٦/٤ . وفي حاشية الأمير

١٨٥ : أن عكلاً وبلغنبر يفتحون لام الجر بشرط أن تدخل على فعل منصوب

بأن مضمره .

٥ - عزاء الفراء فتح نون المشى مع الياء لغة لبنى أسد (١) . ارتشاف
الضرب ٦٤/١ غ .

٦ - بعض العرب يجزى (بنين وباب سنين) وإن لم يكن علما مجرى
غسلين في لزوم الياء والحركات على النون منونة غالبا على لغة
بنى عامر ، وغير منونة على لغة بنى تميم حكاه عنهم الفراء (٢)
التصريح ٧٧/١ ، الهمع ٤٧/١ غ .

٧ - الجرب - (لعل) لغة عقيلية حكاه أبو زيد والأحفش والفراء (٣) .
الهمع ٣٣/٢ لسان ٥٠٢/١٣ غ .

٨ - كما روى عن الفراء على المستوى النحوى ما يتصل بالاستثناء عند
القبائل . معانى القرآن للفراء ٤٨٠/١ .

٩ - بعض بنى أسد وقضاعة (٤) ينصبون (عيرا) إذا كانت في معنى
(الا) تم الكلام قبلها أم لم يتم يقولون : ما جاعنى غيرك ، وما
أتانى أحد غيرك غ .

التصريح ٣٦١/١ . اللسان ٣٤٤/٦ . معانى القرآن للفراء
٣٨٢/١ .

١٠ - في نقل عن الفراء نصب الجزئين بـ (ليت) وهى لغة تميم .
الخرانة : ٢٩١/٤ غ .

١١ - وكثانة يقولون : (اللذون) (٥) معانى القرآن للفراء ٧٨/٢ غ .

(١) وقال الكسائى هى لغة لبنى زياد بن مقمس . التصريح ٧٨/١ .

(٢) وأمراب هذا النوع : أمراب الجمع لغة الحجاز وعليا قيس .

الهمع ٤٧/١ .

(٣) وسبح أبو زيد من عقيل (لعل زيد قائم) .

(٤) وقد أشاف الجوهري الى هاتين القبيلتين بنى شهل . المصباح

٧٠٤/٣ .

(٥) عزيت هذه الصيغة لبنى عقيل . النوادر لابى زيد ٨٩ . وعزاها

الأسموى ١٤٩/١ لهذيل أو عقيل ، ثم يقول : وأو : للشك (التصريح

١٣٢/٢) وإن عقيل : ١٢٥/١ يعزوها لهذيل فقط ، وابن الشجرى في

الأملى ٣٠٨/٢ يعزوها كذلك لهذيل ، وفكر ابن مالك انها لغة طيء :

الارتشاف ١٣٦/١ .

- ١٢ - وقيل الفراء في (لغات القرآن) وربما قالوا : هذان ذوا تعرف .
وهؤلاء ذوو تعرف (التصريح ١٣٨/١) ق .
١٣ - وقال الفراء في (لغات القرآن) سمعنا أعرابيا من طيء يسأل في
المسجد الجامع ويقول (بالفضل ذو فضلكم الله به ، والكرامة ذات
أكرمكم الله به) التصريح ١٣٨/١ . فبنى ذات - على الضم ونقل
حركة الهاء الأخيرة الى ما قبلها وحذف الألف فسكنت
الهاء (١) ق .

٥ - التراكيب الأثرية في لهجات القبائل

قال الفراء : وسمعت بعض بني سليم يقول في كلامه : كما أنتنى

(١) أثرت امثلة لهذه الظاهرة في كتب علوم القرآن (البحر ٢/٣٣٨)
وكتب الادب والامثال (الامثال للميداني ١/٦٨) وكتب اللغة (نواذر أبي زيد
٦١ ، الكامل ١٣٨/٢ ، آمالي الشجرى ٢/٣٠٦ ، الزهر ١/٥٣٦ ،
٤٣٨/٢) ومؤلفات الشعر (شرح الحامسة ٢/٥٩١) والمعجم العربية
(المخصص ١٤/١٠٢ . اللسان : ٢٠/٣٤٨) ومصادر النحو العربى (شرح
السيراق على سيبويه ٤/٤٣ . الانصاف ١/٢٣٥ . ابن بيش : ٢/١٤٨ .
الثذور ١/٦٥ التصريح ١٣٨/١) كما اثير لها امثلة في كتب التاريخ القديمة
(الاكليل ٨/٢٣٨ للميداني) ونلخص الاتجاهات التى فى هذه المصادر : ذو =
استعملت بمعنى الذى عند طيء ، وعند غيرهم تكون بمعنى صاحب ، ويظهر
أن ذو - الطائية كانت مضطربة عند قبائل طيء فبعض طيء وهم اكثرهم
تكون عندهم بلفظ واحد للمذكر والمؤنث مفردا ومثنى وجمعا ، كما انها تكون
للعاقل وغيره .

والمريق الآخر من طيء كان يعربها بالواو رفعا وبالألف نصبا وبالياء
جرا - ومعنى هذا انها كانت مثل (دى) بمعنى صاحب - كما أن بعض
طيء قد انحه ناحية مخالفة لما مضى فهو يثنيها ويجمعها . كما وجدنا بعض
طيء يجعل مكان الذى - ذو ومكان التى - ذات ويرفعون التاء على كل
حاصل .

واذا كان المعروف فى طيء انها لا تنتى ولا تجمع كلمة (ذات) وابها تبقى مبنية
على الضم ، فقد حكى عن بعضهم تثنيها وجمعها .

وقال أبو حيان (حكى لى شيخنا الامام بهاء الدين الحلوى أن بعضهم حكى
اعرابا اعراب ذوات - بمعنى صواحب ثم عقب على ذلك بقوله : وهو نقل
غريب (الارتشاف ١/١٣٧ مصور) وقد ورد صدى لبعض هذه الظواهر فى
كل اللغات العربية الجنوبية ، وكذلك فى اللهجات العربية القديمة كالتمورية
والصفوية واللحيانية .

ومكانتني - يريد : انتظرنى فى مكانك (١) • معانى القرآن للفراء
٣٢٣/١ غ •

٦ - المستوى الدلالى

١ - سمعت أعرابيا يقول : بع لى تمرا بدرهم - يريد اشترلى تمرا •
وقيل لجوير من أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :
ويأتيك بالأخبار (٢) من لم تبع له • بتاتا ولم تضرب له وقت موعد
أراد من لم تشتتر له • والبنات : الزاد (الأضداد لابن الانبارى ٦١)
وفى معانى الفراء ٥٦/١ أن هذه اللغة فى تميم وربيعه • وكان الفراء
يفسر قوله تعالى « بئسما اشترتوا به أنفسهم » البقرة
آية ٩٠ (٣) ق •

٢ - يعزو الى بنى أسد كقوله : الحائب فى لغة بنى أسد (٤) القاتل
(الأضداد لابن الانبارى ١٤٦ • ولعله كان يتحدث فى تفسير قول
الله « انه كان حوبا كبيرا » النساء آية ٢ • وفى مكان آخر يقول
ورأيت بنى أسد يقولون ••••• معانى القرآن للفراء ٢٣٥/١ ق •
٣ - قال الفراء والكسائى فى (هيت) (٥) هى لغة وقعت لاهل الحجاز

(١) والمعروف فى العربية أن العرب تأمر بالظروف وحروف الجر ،
مثل عليك ، ودونك ، واليك ، يقولون : اليك اليك ، يريدون : تأخر •
(٢) فى معانى القرآن للفراء ٥٦/١ أشدده بعض ربيعة •
(٣) وقال قطرب : شريت بمعنى نعت لغة لغاضرة • الأضداد لابن
الانبارى ٦١ •

(٤) وفى اللسان ٣٢٩/١ : الحوب لاهل الحجاز ، والحوب لتميم
ومعناها : الاثم •

(٥) وقال أبو زيد الانصارى هى بالعبرانية واصـله (هيتالج) أى
تعال • الاتقان ١٤١/١ لسان (هيت) • وعن ابن عباس : بالقطبية • وقال
الحسن : بالمريانية وقال عكرمة هى بالخورانيـسة • الاتقان ١٤١/١ وفى
المؤكل للـسيوطى ص ١١ بالنبطية ، ومعناها = هلم لك • وقرأ
(هنت لك) ومعناها : تهبأت لك وانظر تطبيق أبا عمرو على هذه القراءة :
مجاز القرآن لأمى عبد ٣٠٥/١ • وقرأ على رضى الله منه : ها أنا لك •
شواذ القرآن لابن خالويه ص ٦٣ وقرأ هيت لك - فعل صريح مبنى
للمفعول : البحر ٢٩٤/٥ •

قال الفراء ، ويقال : انها لغة أهل حوران * ، سقطت الى أهل مكة فتكلموا بها • لسان (هيت) •

٤ — الهون في لغة قريش : الهوان ، وبعض بنى تميم يجعل الهون مصدرا للشيء الهين • معانى الفراء (١) ٢/١٠٦ ق •

المنهج الذى سار عليه الفراء من خلال الروايات والنقول والنصوص الخارجية التي نقلت عنه

١ — يلاحظ أن الفراء كان يعزو كثيرا الى قبائل أسد وبطونها فقد قمت باحصائية عن اللهجات في معانى القرآن له • وكان ميدان هذه الاحصائية من سورة الفاتحة الى آخر سورة الزمر وهى كما يلى :

١١	٢	١	٦	٢	٢	٥	١٦
عكل عقيل العالية قضاة عمان طيء فزارة كلاب عامر حوران نجد							
٣	١	٢	٣	١	٣	١	٤
الخم بنو انسان الانصار الحارث بن كعب كنانة حضرموت اليمن							
١	٢	١	١	١	٢	١	٢
تهامة نمير علياقيس •							
١	١	١					

وتشير الاحصائية الى أن قبيلة أسد لم يتقدم عليها في الكثرة الا لهجة الحجاز وحدها ، مما يحسم الخلاف بين المؤرخين حين

(١) مناسبة قوله تعالى « أيمسكه على هون » النحل آية ٥٩ •
* يراد بالهورانية أو النبطية — اللغة الآرامية عند اللغويين المسلمين كما أشار الى ذلك تولدكه في ZDMG ١٢٢/٢٥ •

اختلفوا في نسب الفراء هل هو مولى لبني أسد أم مولى بني منقر ؟ ، فهو اذن أسدي وقد رجح هذا الدكتور أحمد مكي الأنصاري في كتابه (أبو زكريا الفراء) ص ٤٢ ، ولا غرو اذا فتن بقبيلته ولغتها (وانما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى) •

٢ — والحديث عن معاني القرآن للفراء ، يدعونا الى الحديث عن كتاب آخر صنوه وهو كتاب (المجاز) لأبي عبيدة ، وحسبنا أن نذكر احصائية للهجات القبائل في كتاب (المجاز) حتى نقف على مدى اهتمام الفراء بتسجيل لهجات القبائل وروايتها عن العرب • وكان ميدان هذه الاحصائية كما سبق في معاني القرآن للفراء وهي :

تميم أكلوني البراغيث نجد الحجاز العالية كنانة بعض المكين •

١ ١ ١ ١ ١ ١

وهذا الخلاف بين الرجلين في رواية اللهجات يوضح الى حد كبير الخلاف بين المدرستين البصرية وهي التي ينتمي اليها أبو عبيدة ، والكوفية وهي التي ينتمي اليها الفراء • كما أنني أرجح أن كتابي الفراء كانا أعظم قدرا ، وأوفى نصيبا من كتابي الأصمعي في (اللغات) و (لغات القرآن) ولعل السبب في ذلك يرجع الى الاختلاف بين المدرستين التي ينتمي اليها كل منهما • فالأصمعي البصري كما يروي أبو حاتم لم يقل (ديار ولا ديور ، لأن ديارا في القرآن : الجمهرة ٤٨٣/٣) ويقول ابن دريد (ورغا اللبن وأرغى وسرى وأسرى ، ولم يتكلم فيه الأصمعي ، لأنه من القرآن) الجمهرة ٤٣٤/٣ • وسحته وأسحته • ولم يتكلم فيه الأصمعي (الجمهرة ٤٣٦/٣) ، لأن في القرآن (فيسحتكم) ولعله كان يخاف أن يزل في القرآن • كما كان الأصمعي ينكر لهجات عربية مثل : تميم (المصباح ١٠٣٨/٢) ونجد (اللسان ١٩٤/١٧) كما أنه لم

يتكلم في « عصفت الريح » و « أعصفت » ، لأن في القرآن (ريح عاصف) ، الجمهرة ٣/٤٣٥ . لكن الفراء المتحرر عزاها الى بنى دبير ، وهم بطن من أسد ، وأورد شاهدا لها . معانى القرآن للفراء : ١/٤٦٠ . كما كان الفراء يحتج للهجات العربية بالقراءات القرآنية توجيهها وتنظيرها (انظر نصوص الكتابين) .

٣ - ان كتابى الفراء كانا معينين استتقيا منهما اللعويون والمفسرون (البحر ٣/٢٤٧ ، ٣/١٩٣) ، (اللسان ٧/٢٨٥) ، (التصريح ١/٧٧) ، (الهمع ١/٤٧) .

٤ - بعض الظواهر الصوتية كان سييويه يراها ضرورة ويرأها الفراء لغة عن العرب (عبث الوليد ٢٢٥) وكثيرا ما كانت اللهجة تشتجر مع الغلط أيضا ، ولكن الفراء يحكيها لهجة عربية المزهر - ٢/٢٥٢ ، ٤٩٦ البحر ٢/٤٩٩ . وهذا يوضح اعتداده للهجات القبائل وتقديره لكل ما سمع من العرب .

٥ - أنه كان يؤكد لهجات القبائل بالسماع والسند وتسلسله ليحيطها بسياج من التوثيق ، حماية لها من الوضع والتدليس - وهذا يؤكد تأثره بمنهج المحدثين وبالنزعة السلفية (انظر معانى القرآن للفراء ١/٤١ ، ٥٦ ، ٩١ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٥٣ ، ٣٢٣ ، ٤٥٩) ٢/٣٣ ، ١٥٠ ، ٦٤ ، ٢٤٩ كما كان يوثق اللهجسة بالرؤية وهي ملاحظة مباشرة . معانى القرآن للفراء ١/٢٥٣ .

٦ - كما كان دقيقا في عزوه اللهجات فيستعمل الكثرة كقوله (ومي كثيرة في أسد وتميم وعامر . معانى القرآن للفراء ٢/٩٢) (وكثير من أهل نجد والخزاعة ٢/١٣٣) ويستعمل كلمة (بعض) : كقوله (سمعت بعض بنى عقيل) معانى القرآن للفراء ١/٢١٦) أو كلمة (خاصة) كقوله (وذلك في بنى دبير من بنى أسد خاصة) الابدال لأبى الطيب ١/٢٦٠ .

٧ - ويسم لهجة الأتصار بأنها من المرقوض (معاني القرآن للفراء ١٥٣/٢) أو يصف اللهجة بـ (العالية) اللسان ٥٤/١٨ . أو أنها (أفصح) أو (أكثر) المذكر والمؤنث للفراء . ٣٦ ، ويصف لهجة تميمية بأنها لا تصلح في الكتاب أى في القراءة (معاني القرآن للفراء : ١٦٤/٢) .

٨ - كثرة الاستعمل وأثرها في حذف جزء من الكلمة في لهجة بنى فزارة : معاني القرآن للفراء ٩/٢ .

٩ - كثرة الشواهد التي يحتج بها لتوثيق اللهجة . اللسان ١٤٨/٦ معاني القرآن للفراء ٤٦٠/١ ، ٩١ ، المذكر والمؤنث للفراء ص ٢٦٠ .

١٠ - ومن أوليائه أنه سمع نصا لهجيا من قبيلة بنى انسان (١) معاني القرآن للفراء : ١٠٧/٢ .

١١ - كما كان الفراء أمينا ثقة لا يتورع أن يقول (لا أعرف) فقد عقب على قراءة (صلنا) بالصاد في (ضلنا) السجدة آية ١٠ بقوله : ولست أعرفها إلا أن تكون لغة لم نسمعها . معاني القرآن للفراء ٣٣١/٢ .

١٢ - ويظهر أن لغات القرآن - للفراء - لم تكن مقصورة على لهجات القبائل العربية وحدها بل شملت لغات أخرى غير العربية يؤكد هذا قوله في سورة المؤمنين آية ١١ (الفردوس) قال الكلبي : هو البستان بلغة الروم وقال الفراء وهو عربى أيضا العرب تسمى البستان : الفردوس (٢) (معاني القرآن ٢٣١/٢) وتعليق

(١) وهى اسم قبيلة عربية . نهاية الأرب للقلقشندي : ٨٨ .
(٢) وفي المتوكلى : فيما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية والنبطية والقبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية (دمشق ٣٤٨ هـ) . للسيوطي وردت : الفردوس مرتين الأولى ذهب الى أنها رومية ص ٨ ، والثانية الى أنها : الكرم بالنبطية ص ١١ ، وأصلها (فرداسا) .

الفراء يوضح لنا مذهب في المغرب *

١٣ — وكان الفراء في حالات نادرة يشترك في حكاية اللهجة مع غيره كقطرب (الهمع ٢/٢٠٩) وأبى زيد (ليس في كلام العرب ١٢) وأبى عبيد (اللسان : ٢٠/٣٧٤) والأحفش (الهمع ٢/٣٣) والكسائي (النشر : ٢/٢٩٥) .

وبعد فإن بحث كتب (لغات القبائل) و (لغات القرآن) المفقودة :
أولا : تسد ثغرة في تاريخ الجانب اللغوي والقرآني ، لأنها
تعتبر أما في توثيقها للمهاجات القبائل *

وثانيا : تحمل في بطونها بذورا للعربية في تاريخها الطويل ، فهي
حقل غني ومعلمة زاهرة في الدراسات الصوتية والنحوية والدلالية .
وأخيرا : فإن استخلاص ما سبق من غصون حقل العربية الشتيت
على قدر استطاعتى *

— بعد أن بويته ونسفته وعلقت عليه — يعتبر عملا خطيرا ، لأنه
بحث إلى الحياة مرة أخرى — تراثا قد اختفى ، ونورا كاد يخبو ، والحمد
لله على ما هدى إليه وأعان عليه ، وسبحانك اللهم وبحمدك . أشهد
ألا اله الا أنت . أستغفرك وأتوب إليك *

للبحث بقية

دكتور أحمد علم الدين الجندي

مقطعات من عالم النفس البشرية

للدكتور محمد محمد هليفة

طبيعة وطبائع ودخائل وفزعات
والوان وظلال واشراقات أو ظلمات
تفردت بها عن غيرها من الصور
فقد اختلفت صور النفوس بين
الأمراض النفسية في شتى أنواعها ،
وبين الصحة في تباين قواها ، وبين
الخيرية في تساميتها ومعاليها ، وبين
البشرية في تحدرها ومهاويها ،
كما اختلفت من حيث الضمائر صحة
ومرغا وحياة وموتا ويقظة ونوما
وحبا وحقدا ، وحلاوة ومرارة
وسيطرة على الأهواء واستسلاما
لها ، ومن حيث العقيدة ايمانا وكفرا
أو نفاقا ، ومن حيث العقل ذكاء
أو غباء أو وعيا ، ومن حيث المشاعر
قوة أو ضعف ، وتلها أو خفوتا .

ولم تجتمع نفس وأخرى منذ
بدء الخليقة في كل ما أفردها الله به

يزدحم عالم النفس البشرية منذ
بدء الخليقة الى يوم القيامة بأشتات
من النفوس تباينت طباعها وأخلاقها
وسلوكلها وغرائزها وميولها وطاقاتها
وذكاؤها ووعياها وأحاسيسها
ومداركلها وطواياها وان كانت من
طينة واحدة ، أو ربطها دين واحد
أو عادات أو لغة أو اقليم ،
أو اجتمعت في رحم أو تلاققت في
وراثه ، ولو شاء الله لصنع النفوس
موحدة الطبائع والسلوك والميول ،
ولكن حكمته في ذلك التباين تقف
دونها أفهام البشر ، ولا تدرك كنهها
عبقريات العقول .

وان الغوص في عوالم النفس
البشرية لاستكشاف دخائلها
ليسلطنا الى صور مختلفة عدد
ما خلق الله من البشر ، ولكل صورة

الحيوانية وجبروتها حيث هزمت عليها سلطانها فاستسلمت لها أو أن الحيوانية التي تعيش في الإنسان هي الحيوانية التي غلبت إنسانيتها، وإن كان في بعض النفوس الإنسانية بعض الفضائل والخير أودعها فيها خالقها ، أو ساقها إليها طول التأمل ، أو الإيمان بالحق الذي أودعه الله في الخلق ، وربما كانت تلك الفضائل أثر الدين جاء به نبي ، أو لإصلاح دعا إليه مصلح ، وما أكثر ما كانت النفس البشرية منجمما يزدهم بمعادن الخير ، وما أكثر ما كانت مصنعا لنوازع الشر ، وما أكثر ما كانت مـرآة تنعكس عليها طباع الحيوانية الكامنة فيها ، أو فضائل الخير التي تفرق بإنسانيتها عن وحشية الحيوانية وطباعها .

وما زالت نوازع الخير ونوازع الشر تعيش في حيوانية الحيوان وحيوانية الإنسان فلا يقتلع جذور الشر من حيوانية الإنسان غير دين يهدي إلى الخير ويعود إلى الحق : فأنانية السمع التي يثيرها حب التملك والسلطان حتى يستتبع

من صفات خلقية أو خلقية ، وربما تشابهت بعض النفوس في الخلق أثرا للوراثة أو البيئة ، ولكنهما تختلفان فيما أودع الله في كل منهما من الصفات الخلقية والطباع .

وقد خص الله كل نوع من الحيوانات والزواحف والحشرات والطيور وعوالم البحار بطباع وغرائز تجلت فيها وامتاز كل نوع منها عن غيره بطباع خاصة :

فللسبع بطشه وأثرته ، وللذئب غدره ، وللثعلب مكره ولليربوع خداعه ، وللنمر شراسته وللحيات خبثها وللكلب وفاؤه وللجمل صبره وللبعض الطيور أيتهاها ، وقد شاركت بعض النفوس الحيوانية في تلك الطباع : فكثيرا بعض النفوس الإنسانية طبعت على حب البطش والأثرة ، وكثيرا ما ينطوى البعض على الغدر أو المكر وكثيرا ما يتبدى في البعض الخداع أو الشراسة أو الخبث ، وكثيرا ما يظهر في البعض الوفاء أو الصبر أو الأيثار ، وكان النفس الإنسانية حين تتأثر بتلك الطباع الحيوانية الغازية قد ضعفت فيها إنسانيتها أمام طغيان

ذلك عن تحقيق أحلامها ، وما يتخذها اليربوع في صنع جحره من وسائل التضليل والخداع هو ذلك الذي ينسجه المنافق من خداع ليحقق مظلما ، ويرضى خسائس نفسه الأمانة بالسوء وطالما جعل طول النفاق في المنافقين القدرة على صنع الأقنعة التي يوارون بها حقائق وجوههم ، وما تحمل من ألوان الغش والخداع ، ولكن تلك الأقنعة المضللة لن تحجب ما وراءها عن بصائر المؤمنين التي جعل الله فيها قدرة على النفاذ إلى دخائل النفوس واستشفاف ما يتفاعل فيها من الشر .

وشراسة النمر تثير فيه القسوة حتى بالضعاف من الحيوانات التي لا تملك شيئا من قوة تقاوم به عنف ثورته وبشاعة شراسته هي هي شراسة النفوس البشرية التي تفنن في تعذيب مناوئيهما حفاظا على سلطان من أصحاب تلك النفوس ، أو هي نفوس أولئك الذين باعوا رحمتهم بثمن بفساد لدينا غيرهم ممن حكموا فجاروا ، أو استرعاهم الله أمانة محكومهم ففشانوا أمانة

لنفسه الفتك بمن يتصدى له حين اقتناص فرائسسه هي هي نفس الأمانة التي تستبد بنفوس اللصوص ، وتنسبهم انسانياتهم حينما يفتكون بمن يحولون بينهم وبين ما يسلبون من مال أو متاع ، وانهم ليستبيحون سفك الدماء في سبيل أرضاء لصومعيتهم التي تثيرها شهوة التملك ، وغدر الذئب حين تمزق أنيابه وأظفاره من قد يحسن إليه فيطعمه رحمة به وانقادا له من غوائل الجوع هو هو غدر النفس البشرية التي تعض أيدي من ترد عطاياهم عنها غوائل المسغبة ، بل قد يثيرها الغدر والحقـد إلى الفتك بالمحسنين لا لشيء إلا أن الله جعل أيديهم هي العليا .

ومكر الثعلب ومراوغاته واحتياله على فريسته حتى إذا تمكن منها استبد بها هو هو مكر النفوس المريضة التي تراوغ وتحتال حتى تظهر بمآربها ، وانها لتدوس في سبيل أمانيتها كل القيم والمثل ، ولا يضرها التخلي عن الأخلاقيات والتجرد من كرامة الانسانية و قدسية الفضائل إذا كان يعوقها

في الحياة فان في بعض الحيوانية
التي تعيش في الوجود بعض
الفصائل الخيرة :

فوفاء القلب الذي ضرب به المثل
في ذلك حيث يتجلى في دورانه
وتواثبه وتمسحه بصاحبه حين يرام
بعد غياب وان كان لحظات هو هو
وفاء بعض الأصفياء حين يتملقون،
ونتلاقى أرواحهم مع عناقمهم فيفرغ
كل منهما في قلب صفيه اشراقات من
نور الحب الصادق ، وما أكثر أولئك
الذين تحابوا في الله في نجر
الاسلام ، وتأكفت أرواحهم في ظله
الايمان ، والتقوا في رحابه مع
أسمى جمال الخير والبر والرحمة .

وصبر الجمل الذي ضرب به
المثل في قوة احتمال عذاب الأسفار
في لفح الهواجر لم تنهه من قوته
وعزماته حرارة الصحراء ولا حرارة
العطش هو صبر المؤمن على
مشقات التكليف السماوية
وما يقاسيه في أدائها من الجهد ، بل
انه ليستعذب في سبيل رضوان الله
ما يكابده من عناء .

وما أكثر ما يبذل المؤمن الصادق

الله ، بل حلت لهم شهوة الظلم حتى
استباحوا في سبيل ارضاء شهواتهم
أنكى وسائل التعذيب ، وطالما احتفظ
التاريخ بصور المعذبين التي تحكى
على الزمن ما عانوا من شراسة
النفوس البشرية في سبيل دينهم
أو مبادئهم .

وخبت الحيات الذي قد يفتك
بمن يحسن اليها فيحميها من غوائل
البرد ، ويحفظ لها حياتها هو هو
حبث النفوس التي لا يعيش فيها
غير الحقد كل الحقد الذي يستبد
بحياتها ولا يدع بينها مأوى لذرة
من ذرات الخير تستطيع أن تطفىء
يوما جذوة الحقد التي يسرها حب
الانتقام وحب التغلب وحب السلطة
وحب التزعم .

وما أكثر أصحاب هذه النفوس
بين عالمنا الذي ألهب صراعه الخبث
الدفين فاستباح اوراقه الدماء
وتجويع البطون واذلال الألباة
وتمزيق الأواصر في سبيل ارضاء
ضراوة الخبث .

ومع كل هذه الخمائص التي
تفعل أفاعيلها في تدمير صروح الخير

وقد حدثنا تاريخ عائشة رضوان الله عليها أن معاوية بعث اليها في خلافته ثمانين ومائة ألف درهم فدعت بطبق وجعلت تقسمه بين اسس ، فلما أمسيت قالت : يا جارية هلمى فطوري (وكانت صائمة) فجاءتها بخبز وزيت ثم قالت لها الجارية : ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه ، فقالت : لو ذكرتيني لفعلت ، وقد نسيت عائشة نفسها التي بين جنبيها وهي تقسم الأموال ، فلم تثر شهوتها للحم وبين يديها أكوام الدراهم فتذكر نفسها وحاجة معدتها ، ولكنها ذكرت البيوت التي سكنها الحرمان فأثرتها على نفسها حتى أنفدت عطية معاوية فلم تبق منها درهما واحدا لنفسها ولجارياتها .

ولعل تلك النفقة من نفحات بيت النبوة تأخذ طريقها الى النفوس فتتنفّض فيها نوافح الخير والرحمة وتربط حياتها بعمل يقربها الى ساحات المؤثرين الذين زهدوا في متاع الحياة (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) وليت النفوس

من صبره وطاقاته في كل ما يقربه من ساحة الرضوان .

والايثار الذي نراه في الكثير من الطيور التي تغدو وتروح لتلتقط قوت فراخها وتؤثرهم به .

هو هو الايثار الذي عرفه المسلمون في نفوس آل بيت النبوة ، فطالما كان يراهم المسلمون وبيوتهم تضيق بما آفاه الله عليهم وعلى المسلمين من غنائم حتى اذا أمسوا خويت البيوت من كل شيء الا من شكر الله وحمده ، وخرج كل ما فيها فأخذ طريقه الى بيوت المعوزين وأفواه اليتامى وبطن المحرومين ، وهذا ما تحدث به الصديقة بنت الصديق عائشة رضوان الله عليها فتقول :

ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى غارق الدنيا ولو شئت لشبعن ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا ، وقد ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم آل بيته على الايثار وطبع نفوسهم عليه فعاشوا بعد الرسول يأتسون به ويعملون عمله .

انطوت فيها حيناً من الدهر لترجع
الى حياة مؤمنة تخاف في ظلها سوط
الضمير ، وتتطلق في سبيل الخير
الذى يدعوها اليه نداء الضمير
المؤمن .

وليت النفوس البشرية تصمو
الى انسانياتها راجعة الى ربها
راضية مرضية ؟ !

دكتور : محمد محمد خليفة

تنتزع من جوانحها أمسواك الشر
وضراوة الحيوانية لتعلو باسانيته
عنى أوحال الدنيا ، بل تستأصل
جذور الشر من طريق الانسانية ،
ثم تبذر بذور الخير لتطيب في
ظلالها حياة البشر .

وليت النفوس البشرية تصحو
نسمائها أو تمزق أكفانها التى

الذميون في بلاد الإسلام

مستشار محمد عزت الطرطوسي

لا يمنع المسلمين من مخالطة غير المسلمين ، ولا يمنع هؤلاء من الإقامة مع المسلمين في دار الاسلام .

والمجتمع المسلم ، وان كان يقوم أساساً على عقيدة الاسلام ، منها تنبثق نظمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه ، لكنه لا يحكم بالفساء على جميع العناصر التي تعيش في داخله وهي تدين بدين آخر غير الاسلام ، بل يقيم العلاقة بين أبنائه المسلمين وبين مواطنيهم من غير المسلمين على أسس وطيدة من العدالة والتسامح والبر والرحمة — وهي أسس لم تعرفها البشرية قبل أن تشرق عليها شمس الاسلام بل كانت تقاسى قبل ظهوره الويل من فقدانها — ولا تزال الى اليوم

الذمة لغة معناها العهد والضمان والأمان — والذميون هم أصحاب المصلحة في هذا العهد — وسعوا بذلك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في حماية الاسلام — وفي كنف المجتمع الاسلامي آمين مطمئنين فهم في أمان المسلمين وضمانهم بناء على (عقد الذمة) فهذه الذمة تمنح أهلها من غير المسلمين ما يشبه في عصرنا الحالي (الجنسية السياسية) التي تمنحها الدولة لرعاياها فيكتسبون بذلك حقوق المواطنين ويلتزمون بواجباتهم .

والأصل أن المسلمين هم أهل دار الاسلام — لكن قد يسكن معهم طوائف الذميين لأن الاسلام

في هذا الفريق من هو ذمى عن طريق القرائن الدالة على رضاه أو بالتبعية لغيره أو بالطلبية والفتح .

الجنسية الأصلية – والجنسية اللاحقة :

إذا اكتسب الدمى جنسية دار الاسلام في لحظة ولادته فهي جنسية أصلية وإذا اكتسبها بعد ولادته فهي جنسية لاحقة .

وتمتصوّر الجنسية الأصلية للذمى في حالة ما إذا ولد للدمى ولد فان هذا المولود يتبع أباه في الذمة من لحظة ولادته فيكتسب جنسية دار الاسلام ، أما إذا كان للدمى ولد صغير عند ارتباطه بعمد الذمة فان ولده الصغير هذا يتبعه في الذمة أيضا فيكتسب جنسية دار الاسلام وتكون هذه الجنسية في حقه جنسية لاحقة – وكذلك الزوجة تدخل في الذمة تبعاً لزوجها أو إذا تزوجت ذمياً فتكتسب جنسية دار الاسلام ، وتكون هذه الجنسية بالنسبة لها جنسية لاحقة .

تتملح الى تحقيقها في المجتمعات الحديثة نظراً لما غلب عليها من هوى وعصبية وأنانية وضيق في الألفق جرتها الى صراع دام مع المخالفين في الدين أو المذهب أو الجنس أو اللون .

عقد الذمة :

عقد الذمة عقد مؤبد – وقد يكون هذا العقد صريحاً ويتضمن اقرار غير المسلمين في بلاد الاسلام على دينهم وتمتعهم بحماية الجماعة الاسلامية ورعايتها ، بشرط تقديم الجزية – والتزامهم أحكام القانسون الاسلامي ، في غير الشؤون الدينية – وبهذا يصيرون من أهل دار الاسلام ، وبناء على هذا العقد تنشأ حقوق متبادلة لكل من طرفيه المسلمين وأهل ذمتهم فضلاً عما يرتبه من واجبات .

وقد يكون عقد الذمة عن طريق ارادة الدولة الاسلامية نفسها ، فهي التي تمنح الذمة أى الجنسية لغير المسلم بمحض ارادتها ، وتقديرها وفقاً لقواعد الشريعة ، وما تقتضيه مصلحة الدولة فيدخل

فقد الجنسية بالنسبة للذمي :

يفقد الذمي جنسيته اذا قام بما تنتقض به الذمة ، كما لو لحق بدار الحرب الا أنه مادام لم يظهر منه ما تنتقض به الذمة ، فإن الدولة الاسلامية لا تملك نزع الجنسية عنه .

القاعدة العامة في حقوق وواجبات الذميين :

ذكر الامام الكاساني في بدائعه حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم عن الذميين فيقول (قال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا قبلوا عقد الذمة ، فأعلمهم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين) .

ويقول الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (انما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودمائهم كدمائنا) .

وفي شرح السير الكبير للامام السرخسي يقول (ولأنهم قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم وحقوقهم كأموال المسلمين وحقوقهم) .
وطبقا لهذه القاعدة ، فإن الذميين

حكمهم كالمسلمين في الحقوق والواجبات ، الا أن هذه القاعدة يرد عليها استثناء هو أن الدولة الاسلامية تشترط للتمتع ببعض الحقوق توافر العقيدة الاسلامية في الشخص ، ولا تكفى بتبعيته لها — ولا غربة في هذا الاستثناء لأن الدول حرة في تنظيم تمتع مواطنيها بالحياة القانونية الداخلية فقد تساوى بينهم وقد تفرق ومادامت الدولة الاسلامية تعتبر الوصف الديني هو الأساس المقبول للتمييز بين الوطنيين في بعض الحقوق لأنها محكومة بالاسلام ، فلا تملك الخروج على أحكامه — والاسلام يشترط للتمتع بهذه الحقوق المعينة توافر العقيدة الاسلامية في هذا الشخص .

كما أن هذا الوصف الديني تعتبره الدولة الاسلامية في تفرقتها بين مواطنيها في بعض الواجبات التي تتطلبها أحكام الاسلام .

فالزكاة مثلا : يلتزم بها المسلم دون الذمي — والجزية يلتزم بها الذمي دون المسلم والجهاد بما فيه

(كما سبق بيانه) أن تشترط بعض الشروط الخاصة التي تراها ضرورية فيمن تكلفه بمثل هذه الوظائف التي لا يكلف بها الذمي ، لأنها تقوم على أساس العقيدة الإسلامية أو تتصل بها ، ويظهر فيها عنصر التدين بارزا فكان قصرها على المسلم سائنا مقبولا لأن الذمي لا يشارك المسلم في أمور الديانات ولا فيما يتصل بالعقيدة الإسلامية أو يقوم عاينها .

بالنسبة لحق الانتخاب وحقوق الترشيح لخليفة المسلمين :

يشترط فقهاء الاسلام في الشخص الذي يقوم بانتخاب امام المسلمين (وهو الخليفة) ما يشترط في الامام نفسه أي أن يكون مسلما — وعلى هذا يكون حق انتخاب الامام مقصورا على المسلمين وحدهم ممنوعا عن غيرهم .
ومما يؤيد هذا الاتجاه أنه لم ير أحد قط أن واحدا من أهل الذمة اشترك في انتخاب الخليفة في عصر الخلفاء الراشدين — كما لم ينقل أن أهل الذمة أو واحدا منهم طالب

الدفاع عن دار الاسلام يجب على المسلم دون غيره وإن كان للذمي أن يساهم فيه .

بالنسبة للوظائف العامة :

هناك من الوظائف العامة ما لا يكلف بها الذمي لأن طبيعتها تقتضي ألا يتولاها الا المسلم — فكان من شرط تقليدها للشخص أن يكون مسلما كالخلافة أي (الامامة) لأن الامامة في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا فكان من البديهي أن يكون رئيس الدولة الإسلامية مسلما — وعلى هذا جرى المسلمون في جميع عصورهم .
وكذلك الحال في امارة الجهاد لأن الجهاد يلتزم به المسلم دون الذمي وإن كان للذمي أن يشتركوا مع المسلمين في الدفاع عن دار الاسلام فكان من السائغ القول أن يكون قائد الجيش مسلما .

وحجب هذه الوظائف القليلة عن الذميين ، ينبغي ألا يثير استغرابا ولا دهشة ، لأن الوظيفة في نظر الاسلام تكليف لاحق — والدولة

لاتعرف لهم عداوة للدولة الاسلامية
يجوز للمسلمين اتخاذهم ببطانة
يستعينون برأيهم في شئون الدولة
وتطبيقا لهذا المعنى يجوز اسناد
بعض الوظائف العامة اليهم التي
هي دون البطانة في المركز والأهمية
لكن بالقيود التي أشرنا اليها آنفا .
أما ما ورد في السنة المطهرة —
أشارت كتب السيرة النبوية
بعدد معركة بدر الكبرى التي
وقعت بين المسلمين بقيادة النبي
صلى الله عليه وسلم وبين مشركي
مكة سنة ٢ هـ فقد انتصر فيها
المسلمون وأسروا من المشركين في
تلك المعركة سبعين أسيرا وكان من
هؤلاء من لا مال له فجعل النبي
صلى الله عليه وسلم فداهم أن
يعلموا أولاد الأنصار الكتابة بأن
يعلم الواحد منهم عشرة من أولاد
الأنصار ثم يخلى سبيله فهذا
الأثر يفيد أن النبي عليه الصلاة
والسلام استخدم غير المسلمين في
شأن من شئون الدولة الاسلامية
وهو تعليم بعض أبناء المسلمين
الكتابة وفي السيرة النبوية أيضا
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما

بهذا الحق — مما يدل على أن
المفهوم لدى الجميع أن هذا الحق
مقتصر على المسلمين دون غيرهم .

جواز تكليف الذميين بالوظائف العامة :

وفيما عدا الوظائف القليلة التي
يشترط فيمن يتولاها أن يكون
مسلمًا يجوز اشتراك الذميين في
تحمل أعباء الدولة واسناد باقى
الوظائف العامة اليهم وقد أشار الى
ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية
المطهرة .

ففي القرآن الكريم يقول الله
تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا
ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء
من أفواههم وما تخفى صدورهم
أكبر) سورة آل عمران ١١٨ —
فهذه الآية الكريمة لم تنه المسلمين
عن اتخاذ بطانة من الذميين بصورة
مطلقة — وإنما قيدت النهى بالقيود
الواردة فيها أى أن النهى منسب
على من ظهرت عداوتهم للمسلمين
فهؤلاء لايجوز اتخاذهم ببطانة
ومعنى هذا أن الذميين الذين

من أحكام - وتشبه وزارة التنفيذ في القديم مركز الوزارة في الدولة الحديثة حيث يقوم الوزير بتنفيذ قرارات مجلس الوزراء .

كما أجاز الفقهاء اسناد وظائف أخرى إلى الذميين كجباية الجزية والخراج وقد بلغ تسامح المسلمين في هذا الأمر أحيانا إلى حد المبالغة والجور على حقوق المسلمين مما جعل المسلمين في بعض العصور يشكون من تسلط اليهود والنصارى عليهم بغير حقوق يقول المؤرخ الغربي آدم ميتز في كتابه - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - (من الأمور التي نعجب لها كثرة عدد العمال خصوصا الولاة وكبار الموظفين والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية فكان النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الاسلام فالتشكوى من تحكيم أهل الذمة في أبحاث المسلمين شكوى قديمة .

حقوق وواجبات أهل الذمة

أولا : حقوق أهل الذمة :

لأهل الذمة حق التمتع بحماية

توجه إلى مكة سنة ست للهجرة ووصل إلى مكان يدعى ذى الحليفة بعث عينا منه من خزاعة يخبره عن قریش وكان هذا العین كافرا ومع هذا أسند إليه هذه المهمة الخطيرة ولاشك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مطمئنا إلى أمانته فوثق به وقيل ذلك عندما هاجر من مكة إلى المدينة استحدثهم أحد المشركين الموثوق في كفايته وعدم خيانتة (وهو عبد الله بن أريقط) ليدله هو ورفيقه الصديق على الطريق - مما يدل على جسواز اسناد وظائف الدولة العامة إلى الذميين ما داموا أهلا لها من حيث الكفاءة والثقة والأمانة .

وهذا في الحقيقة أعلى درجات التسامح والتساهل مع المخالفين في الدين لا يجد المرء نظيرا له في أي شريعة لا في القديم ولا في الحديث .

ومن هذا المنطلق الاسلامي الكريم في التسامح أجاز فقهاء الشريعة الإسلامية تقليد الذميين وزارة التنفيذ وهي المنوط بها ابلاغ أوامر ولى الأمر والقيام بتنفيذها وامضاء ما يصدر عنه

الدولة الاسلامية وحرية العمل
والكسب وحرية الدين •

وعن الحمالية من الاعتداء فان
ينصب على الاعتداء الخارجى
وحمليتهم من الظلم الداخلى •

فحمالية أهل الذمة من الاعتداء
الخارجى فان على ولى الأمر أن
يوفر لهم ما للمسلمين من حماية
وأن يدفع من قصدهم بأذى
ماداموا بدار الاسلام ومن المواقف
التطبيقية لهذا المبدأ الاسلامى
موقف شيخ الاسلام ابن تيمية
رحمه الله حينما تغلب التتار على
بلاد الشام فقد توجه الامام ابن
تيمية الى القائد التتارى (قطلو شاه)
لاطلاق سراح الأسرى وبمسند
الكلام معه وافق القائد التتارى
على اطلاق أسرى المسلمين فقط -
ورفض أن يطلق سراح الأسرى
من أهل الذمة فما كان من شيخ
الاسلام ابن تيمية الا أن طالبه
بضرورة افتكاك جميع الأسارى
من اليهود والنصارى لأنهم أهل
ذمة المسلمين فلما رأى القائد
التتارى تصميم الامام ابن تيمية
أطلقهم له •

أما حمالية أهل الذمة من الظلم
الداخلى فهو أمر يوجب الاسلام
ويحذر المسلمين أن يمدوا أيديهم
أو ألسنتهم الى أهل الذمة بأذى
أو عدوان وقد أورد القرآن الكريم
ما يشير الى مراعاة العدل معهم
وعدم ظلمهم قال تعالى
(ولا يجرمكم شنآن قوم على
الا تعذبوا اعداؤا هو اقرب
للتقوى) سورة المائدة ٨
ويقول الرسول صلى الله
عليه وسلم (من ظلم معاهدا أو
انتقمه حقا أو كلفه فوق طاقته
أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس
فأنا حجيجه يوم القيامة) رواه
أبو داود والبيهقى - وقال عليه
الصلاة والسلام (من آذى ذميا
فأنا خصمه - ومن كنت خصمه
خصمته يوم القيامة) رواه
الخطيب باسناد حسن ويقول
صلى الله عليه وسلم « من آذى
ذميا فقد آذانى ومن آذانى فقد
آذى الله » رواه الطبرانى فى
الأوسط باسناد حسن •

ويقول الامام على بن أبى طالب
كرم الله وجهه عن الذميين (انما

الضرب والتعذيب فلا يجوز إلّا بحق الأذى بأجسامهم حتى ولو تأخروا أو امتنعوا عن أداء الواجبات المالية المقررة عليهم كالجزية والفراج - هذا في الوقت الذي يتشدد فيه الإسلام كل التشدد مع المسلمين إذا منعوا إخراج الزكاة .

ولم يجز الفقهاء في أمر الذميين المانعين للواجبات المقررة عليهم أكثر من أن تأديبهم لكن بدون أن يصحب الحبس أي تعذيب أو أشغال تتسم بالمشقة .

أورد الإمام أبو يوسف في كتاب الفراج أن الصحابي الجليل حكيم ابن هشام رأى رجلاً وهو على مدينة حمص يشمس ناساً من النبط في أداء الجزية فقال ما هذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أن الله عز وجل يعذب الذين يمعنون الناس في الدنيا) رواه الإمام مسلم في صحيحه .

حماية أموال أهل الذمة :

وهذا ما اتفق عليه المسلمون في

بدلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا) .

ومقهاء المسلمين من كافة المذاهب الاجتهادية قرروا بأن على المسلمين دفع الظلم عن أهل الذمة والمحافظة عليهم لأن المسلمين حين أعطوهم عقد الذمة قد التزموا دفع الظلم عنهم وهم صاروا به من أهل دار الإسلام .

وحق الحماية المقرر لأهل الذمة يتضمن حمايتهم في دماءهم وأنفسهم وأبدانهم كما يتضمن حماية أموالهم وأعراضهم وكل ذلك على التفصيل الذي أورده فقهاء الإسلام في كتب الفقه المختلفة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً) رواه الإمام أحمد والامام البخاري في الجزية كما رواه الإمام النسائي والامام ابن ماجه في الديات .

وكما حمى الإسلام أنفس الذميين من القتل حمى أبدانهم من

علينا لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا
وذمتنا وذمة الله تعالى وذمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

كفالة المعيشة للذمي وإن يعولهم :

لقد ضمن الاسلام لغير المسلمين
في ظل مجتمعه الاسلامي كفالة
المعيشة الملائمة لهم وإن يعولونهم
لأنهم رعية لدولة الاسلام يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم
(كلكم راع وكل راع مسئول عن
رعيته) متفق عليه من حديث ابن
عمر - ورأى عمر بن الخطاب
شيخا يهوديا يسأل الناس فسأله
عن ذلك فأخبره بأن الشيخوخة
والحاجة الجأتاه الى ذلك فأخذ
بيده وذهب به الى خازن بيت مال
المسلمين وأمره أن يقرض له
ولأمثاله من بيت المال ما يكفيهم
ويملح شأنهم .

وعند مقدمة (الجابية) من
أرض دمشق مر في طريقه بقوم
مجذومين من النصاري فأمر أن
يعطوا من الصدقات وأن يجري
عليهم القوت - أي أن تتولى الدولة
القيام بطعامهم ومؤناتهم بصفة

جميع المذاهب وفي جميع الأقطار
ومختلف العصور . روى الامام
أبو يوسف في الخراج ما جاء في
عهد النبي صلى الله عليه وسلم
لأهل نجران (ولنجران وحاشيتها
جوار الله وذمة محمد النبي رسول
الله صلى الله عليه وسلم على
أموالهم وملتهم وبيعهم وكل
ما تحت أيديهم من قليل أو كثير) .

وفي عهد عمر بن الخطاب الموجه
الى أبي عبيدة بن الجراح أن
(امنع المسلمين من ظلمهم والاضرار
بهم وأكل أموالهم الا بملها)
كما ورد مثل ذلك فيما عهد به
عمر بن الخطاب الى أهل ايلياء عند
فتحها مما سيأتى ذكره .

حمية اعراض أهل الذمة :

ذكر الفقهاء أن الاسلام يحمي
عرض الذمي وكرامته كما يحمي
عرض المسلم وكرامته فلا يجوز
لأحد أن يسبه أو يتهمه بالباطل -
أو يشنع عليه بالكذب ويذكره
بما يكره في نفسه أو نسبه أو خلقه
أو خلقته أو غير ذلك مما يتعلق به
لأن عقد الذمة يوجب لهم حقوقا

على الذميين كالمسلمين فقد روى أن
النبي صلى الله عليه وسلم كتب
الى مجوس هجر (اما أن تغفروا
الربا أو تأذنوا بحرب من الله
ورسوله) •

ثانيا : منهم من بيع الخمر
والخنازير في أمصار المسلمين وفتح
الحانات فيها لشرب الخمر أو
ادخالها الى بلاد الاسلام ولو كان
ذلك لاستمتاعهم الخاص سدا
لذريعة الفساد واغلاقا لباب
الفتنة •

وفيما عدا هذه الأمور المحدودة
يتمتع الذميون بتمام حريتهم في
مباشرة التجارات والصناعات
والحرف المختلفة — وهذا ما جرى
عليه العمل ونطبق به تاريخ
المسلمين في شتى العصور وكادت
بعض المهن تكون مقصورة عليهم
كالصيرفة والصيدلة وغيرها —
واستمر ذلك الى وقت قريب في
كثير من بلاد الاسلام — وقد جموا
من وراء ذلك ثروات كبيرة كانت
مغارة من الزكاة ومن كل ضريبة
الا الجزية •

منتظمة — كما يلحق بأمثال هؤلاء
العجزة من أهل الذمة •

وبهذه المعاملة الكريمة تقرر
الضمان الاجتماعي في الاسلام
ليشمل أبناء المجتمع جميعا مسلمين
وغير مسلمين — اذ لا يجوز أن
يبقى في المجتمع الاسلامي انسان
محروم من الطعام أو الكسوة أو
المأوى أو العلاج فان دفع الضرر
عن الشخص الآدمي واجب ديني
سواء كان هذا الشخص مسلما
أو ذميا — وهذا ما درج عليه فقهاء
الاسلام في فقههم من أمثال الامام
النووي وغيره من الفقهاء •

حرية العمل والكسب :

لغير المسلمين في المجتمع
الاسلامي حرية العمل والكسب
بالتعاقد مع غيرهم أو
بالعمل لحساب أنفسهم
— ومزاولة ما يختارون من المهن
الحرّة — وبمباشرة ما يريدون من
ألوان النشاط الاقتصادي شأنهم في
ذلك شأن المسلمين ولم يستثن
الفقهاء الا الآتى : —

أولا : عقد الربا •• فإنه محرم

حتى يكونوا مؤمنين « سورة يونس
• ٩٩

ولم يعرف التاريخ شعبا مسلما
حاول اجبار اهل الذمة على
الاسلام ويشهد بذلك المؤرخون
خصوصا الغربيون منهم •

بل ان المسلمين صانوا الغير
المسلمين معابدهم وكنائسهم ويشير
الى ذلك عهد النبي صلى الله عليه
وسلم الى اهل نجد السابق الاشارة
اليه وتأيد ذلك بما أورده الطبري في
تاريخه عما عهد به عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الى اهل ايلياء
(مدينة القدس حاليا) فلقد نص
فيه على حرمتهم الدينية وحرمة
معابدهم وشعائهم (هذا ما أعطى
عبد الله عمر أمير المؤمنين اهل ايلياء
من الأمان - أعطاهم أمانا لأنفسهم
وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم
وسائر حلتها لا تسكن كنائسهم
ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من
حيزها ولا من صليبها ولا من شيء
من أموالهم ولا يكرهون على دينهم
ولا يضار أحد منهم - ولا يسكن
بأيلياء معهم أحد من اليهود) •

يقول آرم هيتز (لم يكن في
التشريع الاسلامي ما يخلق دون
أهل الذمة أى باب من أبواب
الأعمال - وكانت قدمهم راسخة
في الصنائع التي تدر الأرباح
الوافرة فكانوا صيارفة وتجارا
وأصحاب ضياع وأطباء -
بل ان أهل الذمة نظموا أنفسهم
بحيث كان معظم الصيارفة الجهابذة
في بلاد الشام من اليهود - على
حين كان اكثر الاطباء والكتبة من
النصارى) •

وكان رئيس النصارى ببغداد هو
طبيب الخليفة وكان رؤساء طوائف
اليهود والنصارى مقربين عنده •
حرية التدين :

كفل الاسلام لرعيته من الذميين
حرية الاعتقاد والتعبد لكل ذي
دين دينه ومذهبه لا يجبر على تركه
الى غيره ولا يضبط عليه أى ضغط
ليتحول منه الى الاسلام وأساس
هذا الحق قوله تعالى :

(١) « لا اكراه في الدين قد تبين
الرشد من الغي » سورة البقرة
• ٢٥٦

(٢) « افانت تكره الناس

شريعة الله وقانون السماء الذي لا تبديل لكلماته ولا يتم الايمان الا بطاعته لا يمسح أى مسلم يتمسك بدينه الا أن يقوم بتنفيذ أحكام هذه الشريعة ووصاياها من نفسه ليرضى ربه وينال أجره ومنها احترام الحقوق التى كفلتها للذميين يقول تعالى :

(١) وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)

سورة الاحزاب ٣٦

(٢) يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعولوا اعدلوا — هو اقرب للتقوى — واتقوا الله ان الله خير بما تعملون) سورة المائدة ٨ •

وحتى اذا شمر أو أحس الذمى بأى ظلم فله أن يشكو من ظلمه ليجد من يسمع لشكواه وينصفه من ظالمه مهما يكن مركزه ومكانه بين المسلمين بل حتى ولو كان الخليفة نفسه وهناك فى التاريخ الاسلامى

يقول المفكر الفرنسى غوستاف لوبون (رأينا من آى القرآن أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية — وأنه لم يقل بمثلها مؤسسو الأديان التى ظهرت قبله كاليهود والنصرانية على وجه الخصوص — وسار خلفاؤه على سنته وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوروبا المرتابون أو المؤمنون القليلون الذين آمنوا النظر فى تاريخ العرب والعبارات الآتية التى اقتطفها من كتب الكثيرين منهم تثبت أن رأينا فى هذه المسألة ليس خاصا بنا يقول يوبر —————ون فى كتابه (تاريخ شارلكن) ان المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الفيرة لدينهم وروح التسامح نحو اتباع الأديان الأخرى وأنهم مع امتثالهم للنصام نشرا لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحرارا فى التمسك بتمعاليمهم الدينية) •

ضمانات وفاء المسلمين بهذه الحقوق الى الذميين :

لما كانت الشريعة الاسلامية هى

وقائع صريحة تشهد على ذلك نذكر
منها الآتي على سبيل المثال
لا الحصر .

١ — فقدت درع الامام على بن
أبي طالب وقت خلافته فوجدها عند
رجل نصراني ادعى أنه صاحبها
فاختصما الى القاضي شريح — قال
الخليفة الدرع درعي ولم أبع ولم
أهب فسأل القاضي ذلك النصراني
فيما يقوله الخليفة فرد عليه بقوله
(ان الدرع درعي وما أمير المؤمنين
عندي بكاذب) فالتفت شريح الى
الخليفة يسأله يا أمير المؤمنين هل
لك من بيعة ، فضحك الخليفة وقال
أصاب شريح ما لي بيعة ونقض
شريح للنصراني بالدرع لأنه
صاحب اليد عليها ولم تقم بيعة على
خلاف ذلك فأخذها هذا الرجل
النصراني ومضى . . لكنه لم يمش
خطوات حتى عاد يقول (أما أني
أشهد أن هذه أحكام أنبياء — أمير
المؤمنين يدينني الى قاضيه فيقتضي
لي عليه أشهد أن لا اله الا الله وأن
محمدًا رسول الله الدرع درعك
يا أمير المؤمنين أخذتها وأنت منطلق

من صفين) فقال له الخليفة (أما إذ
اسلمت فهي لك) .

٢ — في خلافة عمرو بن الخطاب
توجه اليه بالمدينة أحد أبناء الأقباط
في مصر وشكا اليه ابن عمرو بن
العاص بأنه اعتدى عليه بالسوط
أثر سباق بينهما فاز فيه ابن
القبطى على ابن عمرو بن العاص
وقال له كيف تسبق ابن الأكرمين
فاستدعى الخليفة عمرو بن العاص
وابنه وأعطى السوط لابن القبطى
وأمره بضرب ابن الأكرمين (ابن
عمرو بن العاص) فلما انتهى من
ضربه التفت الخليفة الى عمرو بن
العاص وقال كلمته الخالدة يا عمرو
مضى استعبدتم الناس وقد ولدتهم
أمهاتهم أحرارا ؟

٣ — في خلافة الوليد بن
عبد الملك أخذ هذا الخليفة كنيسة
(يوحنا) من النصارى وأدخلها في
مساحة المسجد الأموي بدمشق —
فلما استخلف عمر بن عبد العزيز
شكا اليه النصارى ما فعل الوليد بن
عبد الملك في كنيسهم فكتب الى
عامله برود ما زاده في المسجد عليهم

المسلمين هو المساواة بين جميع المصريين في تولي الوظائف العامة فتستند الدولة اليهم تلك الوظائف حسب توافر الشروط القانونية فيهم والمساواة أيضا بينهم في الحقوق والواجبات طبقا لأحكام الدستور دون أي تمييز أو تفرقة بينهم بسبب الجنس أو الدين مع تقرير حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية لجميع المواطنين ولقد ورد في دستورها الدائم على أن المواطنين لدى القانون سواء وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة .

ولقد جاء في تقرير اللجنة التشريعية بمجلس الشعب حول تعديل المادة الثانية والنص فيها على أن تكون مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع أنه من المسلمات أيضا أن مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة تقرر الآتي :

أن غير المسلمين من أهل الكتاب يخضعون في أمور أحوالهم

لولا أنهم تراضوا مع الوالي على أساس أن يعوضوا بما يرضيهم .

٤ - شك أحد رهبان النصارى في مصر إلى الوالي أحمد بن طولون أحد قواده لأنه ظلمه وأخذ منه مبلغا من المال بغير حق فأحضره الوالي وأنبه وعزره وأخذ منه المال وردّه إلى راهب النصارى - وأعلن على الملأ أن بابه مفتوح لكل متظلم من أهل الذمة ولو كان المشكو من كبار القواد أو موظفي الدولة .

٥ - لما أجلى الوالي العباسي صالح بن علي بن عبد الله بن عباس قوما من أهل الذمة من جبل لبنان لخروج فريق منهم على عامل الخراج تصدى له الامام الأوزاعي وعارضه في اجلاتهم وحرر له رسالة .. يذكره فيها بأن أحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال (من ظلم ذميا أو كلفه فوق طاقتة فأنا حبيبه) .

ما عليه العمل في بلادنا المصرية :

أن ما يجري في جمهورية مصر العربية وغالبية سكانها العظمى من

الشعائر الدينية لأهل الكتاب من
المصريين يمثل مخالفة دستورية
صريحة وبصفة خاصة لأحكام المادة
الثانية من الدستور على النحو الذي
سبق أن أقره المجلس .

وإذا كانت هناك حقوق قررها
الاسلام لأهل الذمة فلا بد وأن
تقابلها واجبات عليهم مقابل التمتع
بتلك الحقوق لأنه من المبادئ
المقررة أن كل حق يقابله واجب .

والى مقال آخر لتفصيل تلك
الواجبات إن شاء الله .

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

الشخصية لشرائع ملتهم وقد استقر
على ذلك رأى فقهاء الشريعة
الاسلامية منذ أقدم العصور نزولا
على ما ورد فى الكتاب والسنة .

وأنة لا توجد ثمة شبهة فى أن حق
تولى الوظائف والمناصب العامة
وحرية العقيدة وممارسة الشعائر
الدينية تعد من الحقوق العامة
للمصريين الذين يتمتعون بها فى ظل
الدستور وطبقا لأحكام القانون
دون أى تمييز أو تفرقة بينهم
بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة
أو الدين أو العقيدة .

وأن أى انحراف بتفسير أى
نص فى الدستور بما يخل بمبدأ
المساواة أو حرية العقيدة وممارسة

« الصبر »

إذا بليت بحسرة فالصبر لها

صبر الكريم فان ذلك أحزم

الرب

قبل الإسلام وبعده

مؤلف د. زكريا إبراهيم الكارم صحت

مقدمة :

المصور ١ :

— ومع مرور الزمن .. رسخت
المذاهب الأربعة .. على ما بينها من
اختلاف ، ونسبت تلك المذاهب
الأخرى ؟

— وفي عصرنا الحديث .. أصبح
الاقتصاد : مشكلة عالمية ، تخوضها
الآراء الفلسفية والنظريات التحليلية
الوضعية ؟

— والحراسة التي أعرضها اليوم
.. محاولة — أراها واجبة — لاعادة
النظر .. بحثا عن (مفهوم : الرب)
قبل الاسلام ، وبعده ؟

من خلال النصوص القرآنية
والنبوية .. أولا ؟

— ثم أعرض .. باختصار —
تجديد — الى (الفكر الفقهي) ..
وأرجو أن يكون هذا البحث تحت

— اختلف الناس من قديم .. في
(مفهوم : الرب) وما يدخل فيه
فيكون محرما من المعاملات ،
وما يخرج منه .. فيصير حلالا ، في
كل معاملة .

— حدث هذا قبل الاسلام ،
يوحد أيضا بعد الاسلام ؟
— ولقد خاض العلماء والفقهاء

— بعد عهد الصحابة .. ميدان
البحث الفقهي .. وخرجوا مختلفين
.. اختلفا بينا ، الى مذاهب كثيرة ،
اشتهرت من بينها : المذاهب
الأربعة ، واحتفظت بطون الكتب
الفقهية — القديمة — بتدوين أكثر
من عشرة مذاهب .. في مفهوم
الرب ، قال بكل منها : امام
مجتهد ، أو جماعة من أئمة تلك

نظر الفيورين ، والمخلصين .. من (ق الاسلام)

٢ - « والنساء رفعها ووضع الميزان ، الا تظفوا في الميزان ، واقبحوا الوزن بالقسط ، ولا تخسروا الميزان » .
الرحمن ٥٥ : ٧ - ٩ -
وهي سورة مدنية

٤ - « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .
النساء ٤ : ٥٨ -

وهي سورة مدنية
في نور هذه الآيات :

يخبر الله - عز وجل - في الآيتين الأوليين أنه أنزل الكتاب والميزان ، وأرسل الرسل ، من أجل إقامة العدل ، ونصرة الحق ، والناس جميعا مكلفون أن يقوموا بالعدل في كل شأنهم . ويدلهم على العدل :

- مقياس معنوي يبين القيم غير المحسوسة ، ويهدي إليه « الكتاب » .

- ومقياس حسي يبين القيم المحسوسة ، ويهدي إليه : « الميزان » وما أشبهه من المقاييس

العلماء ، والفقهاء ، والاقتصاديين والاسلاميين - ونحن نخوض معركة الأمالة الاسلامية ، في عصر سيطرت فيه الصراعات البشرية ، تنافسا على خيرات الأرض ، بعيدا عن هدايات السماء ؟ !

النصوص

(١) القرآنية

من نصوص :

(١) العدل الالهي ومنه « العدل الاقتصادي » .

(قبل الاسلام) :

١ - « لقد أرسلنا رسالنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط »
سورة الحديد ٥٧ : آية ٢٥ -
وهي سورة مدنية

القسط : العدل .

٢ - « الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان »

سورة الشورى ٤٢ : ١٧ -
وهي سورة مكية

انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله
وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر
ان أجرى الا على رب العالمين :

- أوفوا الكيل •
- ولا تكونوا من المخسرين •
- وزنوا بالقسطاس المستقيم •
- ولا تبخسوا الناس
أشياءهم •
- ولا تصوا في الأرض ففسدين
- واتقوا الذى خلقكم ، والجبله
الاولين » •

الشعراء ٢٦ : ١٧٦ — ١٨٣ —
وهى سورة مكية ؟

- فى نور هذه الآيات :
- هنا (الاقتصاد الالهى) فيه
متسع عام ، والى جانب ذلك فيه
الضوابط الضرورية (للمعدل
الاقتصادى) ، وبدونها لا بد أن
يقع الظلم •
- والضوابط واضحة فى رسالة
« شعيب » عليه السلام :

- ١ — مقياس المحسوسات :
- المكيال والميزان ، وما مائلهما •
- ٢ — مقياس القيم المعنوية :
- لا يجوز بخسها ، ولا يجوز انقاصها

التي يكتشفها كل جيل بقدر تجاربه ،
وتفكيره فى سنن الله الكونية فى
علم : « المقاييس والمواصفات » •
والآية الثالثة : تبين جلال أمر
الميزان عند الله وتأمراً بإيفاء
« الميزان » بالمعدل ، وتنتهى عن
الظلم فى « الميزان » •
— أيجوز أن يقيم الانسان
« المعدل » فى « الميزان » المحسوس ،
وأن يظلم ويخسر فى (الميزان
المعنوى) للقيم ؟

— أبهذا يقوم (المعدل الالهى) ؟
— أين التفكير السليم ، والضمير
الصالح ؟ ؟

— هنا تجيء الآية الرابعة تأمر
فى وضوح بأداء « الأمانات »
والحكم بالمعدل بين الناس •
(ب) رسالة « المعدل » ، فى
(الاقتصاد الالهى) •

فى قصة رسول الله شعيب —
عليه السلام — مع قومه « أهل
مدين » وأصحاب الأيكة •

(قبل الاسلام)
(١) « كذب أصحاب الأيكة
المرسلين ، اذ قال لهم شعيب
الا تتقون !

— ويعبد الله أوفوا ، ذلكم
وصاكم به ، لعلكم تفكرون » •

الأنعام ٦ : ١٥١ — ١٥٢ —

وهي سورة حكية

— وفي نور هذه الآيات من
الرسالة الخاتمة ، نرى التأكيد على
ضوابط (المعدل الاقتصـادى)
بإيرادها في سياق أهم أركان
الاسلام ، إيجابا وسلبا •

— مقياس المحسوسات ، من
مكيال أو ميزان •• يجب إيفاءه •
بالمعدل بكل ما لدى الناس من وسع
— مقياس القيم المعنوية ، يجب
أن يكون القول فيه بالمعدل — ولو
الحق أذى ظاهريا بقريب أو يتيم
فقير ، فإلله أولى بهما ، ورحمته
تسع الجميع في أبواب أخرى من
خلال لا ظلم فيه •

ميزان

« القيمة العادلة »

القيمة

المبيع

القسط المستقيم

عن حقها العادل بأي وسيلة من
وسائل الفساد في الأرض •

— هذا هو (الاقتصاد الالهي)
قبل الاسلام ، وتلك ضوابطه
العلمية ، بماذا جاء الاسلام ؟

(في الاسلام)

٣ — « قل : تعالوا ، أتله ما حرم
عليكم :

— ألا تشركوا به شيئا •

— وبإلوالدين أحسانا •

— ولا تقتلوا أولادكم من أطلاق

نحن نرزقكم وإياهم •

— ولا تقربوا الفواحش ما ظهر

منها وما بطن •

— ولا تقتلوا النفس التي حرم

الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به
لعلكم تعقلون •

— ولا تقربوا مال اليتيم

إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ
أشدّه •

— وأوفوا الكيل والميزان

بالقسط ، لا تكلف نفسا إلا وسعها •

— وإذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان

ذا قرى •

المبيع : سلعة ، أو خدمة = الثمن :
ذهبا ، أو غيره

— ما العدل الالهي في هذا
النظام .

— ما الضوابط العلمية في (العدل
الاقتصادي) ؟

— ما أظن أن منصفاً يقرأ ما سبق
من آيات الله اليبينات يستطيع أن
يزعم أن هناك خفاء أو تمقيدا أو
غموضا ، بعد أن ظهر أن الهدف هو
« إقامة العدل » .

— والوسائل الى ذلك ، وسائل
علمية ، مما يقع في طاقة الناس في
كل جيل « لا تكلف نفسا الا وسعها
١٥٢ : ٦ » .

— وانظر قول الله — عز وجل :
« يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا
الصيد وانتم حرم ، ومن قتله منكم
متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم ،
يحكم به نوا عدل منكم ، هديا بالغ
الكمة » .

المائدة : ٩٥ : ٩٥ —
وهي سورة مدنية

— من أجل التقدير العادل للقيمة
يجب تحكيم رجلين عدلين . يحسنان
التقدير ، ومعنى ذلك تحكيم :

- « الخبرة العلمية النزينة »
- كما يجب احترام مقتضيات :
- « علم المقاييس والمواصفات »

(ج) آيات الرىا

— هل تؤكد (إقامة العدل
الالهي) ، وتقوى ضوابط « العدل
الاقتصادي » ؟

— أو تفتح أبواب الاضرار ،
والبخس ، وقد تقرر اغلاقها قبل
الاسلام ، وبعد الاسلام ؟

١ — « يا ايها الذين آمنوا :
لا تأكلوا الرىا أضعافا مضاعفة ،
وانتقوا الله ، لعلكم تفلحون » .
آل عمران ٣ : ١٣٠
وهي آية مدنية نزلت في السنة
الثالثة الهجرية (١)

٢ — « الذين يأكلون الرىا ،
لا يقومون الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك
بأنهم قالوا :

— وآيات الربا هذه نزلت في السنة الأخيرة من الحياة النبوية الشريفة (١) .

— في نور هذه الآيات :

— نقف عند آية (آل عمران) التي نزلت في السنة الثالثة من الهجرة ، ونلاحظ أنها تنهى عن الربا إذا بلغ « أضاعافا مضاعفة » وتسكت عن سواء ؟!

ومفهوم ذلك :

— أن النهى القاطع لم يتناول ما لم يبلغ « الأضعاف المضاعفة » ، من أنواع الربا في تلك المرحلة .
— ومعنى ذلك : أن بعض أنواع من الربا ظلت هبة قائمة ، معمولاً بها في المبادلات ، والمعاقدات .. عند بعض الناس ، بعد نزول هذه الآية .

— ومن الأدلة على ذلك :

١ — أن في آيات البقرة — وهي آخر ما نزل في أمر الربا قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بقليل —

— إنما للبيع مثل الربا .

— وأحل الله البيع ، وحرم الربا

— فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى ، فله ما سلف وأمره إلى الله .

— ومن عاد ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

— يمحى الله الربا ، ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم .

— أن الذين آمنوا وعطوا الصالحات ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، لهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

— يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله .
وذروا ما بقى من الربا

— أن كنتم مؤمنين .
— فإن لم تفتوا فأنفوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رموس أموالكم لا تظلمون ، ولا تظلمون .

البقرة ٢ : ٢٧٥ — ٢٧٩

(١) نزلت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة ، انظر تفسير الآيات عند ابن كثير وغيره ؟

هايدل على ذلك ويثبت ، حيث ورد
فيها : من أخطر القضايا في التشريع
الاسلامي الاقتصادي ؟

✱

— بعد فحص الأدلة يتبين أنها
« حقيقة » .

— والقضية : هي أن هذه
« الحقيقة » لم تأخذ حقتها من
البحث .

— وترتب على ذلك ، اقترار
افتراضات فقهية غير صحيحة ؟
واستتبطت أحكام على أساس هذه
الافتراضات في غيبة « الحقيقة »
ودراستها .

— والنتيجة : أن ما بنى على غير
الحقيقة يكون غير صحيح ، وغير
حقيقى ؟!

✱

— علما أن (الاقتصاد الالهى)
قبل الاسلام ، يحتم الالتجاء الى
المقاييس العادلة ، هسيا ومعنويا ،
ليصل الى (منع البخس) ؟
— وأن رسالة الاسلام جاءت

« يا أيها الذين آمنوا : اتقوا
الله وفروا ما بقى من الربا » .

— فعنى السنة العاشرة كانت
لا تزال هنالك معاملات ربوية باقية ؟

٢ — فى السنة السابعة من
الهجرة بعد فتح خيبر ، وصف
رسول الله صلى الله عليه وسلم
معاملة بأنها « عين الربا » ، فى حديث
بلال : (البيع الآخر) .

٣ — فى حجة الوداع قال صلى
الله عليه وسلم فى خطبة الوداع
« الا ان كل ربا فى الجاهلية
موضوع ، وأول ربا أضعه ربانا :
ربا عمى العباس بن عبد
المطلب » (١) .

✱

— قضية « ما بقى من الربا »
الى قبيل وفاة النبى صلى الله عليه
وسلم ، ليست قضية تافهة ، بل هى

(١) رواه ابو داود : الحديث ١٨٢٥ ، وأخرجه مسلم ، وابن ماجه
بنحوه ، مطولا ، وأخرجه النسائى مختصرا ، وانظر « بناء الاقتصاد فى
الاسلام » ص ١٧٢ ، ١٧٦ ؟ المطبوع بالقاهرة .

مؤيدة لما سبقها من رسالات الرسل وبخاصة رسول (الاقتصاد الالهي) شعيب عليه السلام ؟؟
 — فهل في آيات الربا الخاتمة ما يناقض (المعدل الاقتصادي) الذي قرره (الاقتصاد الالهي) السابق ؟؟
 — هل فيها ما يرفض (القسطاس المستقيم) أو يقبل (البخس) ؟؟

الصحابة بعد الوحي :

« من آخر ما فزل آية الربا ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها لنا ؟ فدعوا الربا والريبة » (٢) •
 ٢ — جادل عدد كبير من الصحابة عبد الله بن عباس في « الربا » وقد احتج عليهم بحديث « أسامة » (٣) •
 — ومع ابن عباس عدد من الصحابة ، منهم — :
 أسامة بن زيد •
 وعبد الله بن مسعود •
 وعروة بن الزبير •
 وزيد بن أرقم •
 وأعيان الفقهاء المكيين ، كما نص على ذلك — :
 — هل أجمع الصحابة على شيء في معنى « الربا » بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ؟
 ١ — قال عمر بن الخطاب — رضي الله عنه :
 « أنا والله ، ما ندري ؟ لعلنا نأمركم بأمور لا تصلح لكم ، ولعلنا ننهاكم عن أمور تصلح لكم ، وأنه كان من آخر القرآن نزولا : آيات

(١) المحلى لابن حزم ج ٩ : ٥١٩ ، مطبعة دار الاتحاد العربي — بالقاهرة

(٢) عمدة التفسير للشيخ أحمد شاكر ٢ : ١٩١ ، مطبعة دار المعارف

بالتاهرة •

(٣) مسلم ج ٥ : ٥٠ ، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، لابن

حجر المستقلاني .. الحديث ١٣٠٢ طبعة الكويت •

الامام الشافعى ، وابن تيمية ، « لا تظلمون ولا تظلمون —
وابن حزم ، وغيرهم (١) » ٢ : ٢٧٩ »

— أمذا يدل على اجماع الصحابة ، أم على اختلافهم ؟؟

١ — « آيات البقرة ٢ : ٢٧٥ —
٢٨١ » الفاتحة لأحكام الربا في السنة انعاشة تدل في قوة وحسم ووضوح على مطابقة الشريعة الإسلامية (للعدل الاقتصادي الإلهي) الذي ورد فيما قبل الإسلام من شرائع ، وتحرم جميع أنواع الربا ، من حيث القيمة ، لا من حيث الشكل « فان تبتم فلکم رؤوس أموالکم ٢ : ٧٩ » ولا تكتفى بالنهي عن « الأضعاف المضاعفة — كما سبق في آية آل عمران ٣ : ١٣٠ » فهي آيات خاسمة وناسخة ؟؟

رسم يوضح الآية الخاتمة

« فان تبتم ، فلکم رؤوس أموالکم ٢ : ٢٧٩ »

فلکم رؤوس أموالکم

البائع رأس مال .. (رأس مال)
المشتري .

(رأس ماله) : سلعة ، أو خدمة = — فعملها كمثل آية المائدة في ذهباً ، أو غيره : (رأس ماله) . « الضر ٥ : ٩٠ » حرمت الكثير

(١) اختلاف الحديث للشافعى — طبع القاهرة ص ٢٤١ .
— رفع الملام من الأئمة الأعلام ، لابن تيمية — طبع القاهرة ص ٣٤ .
— المحلى ، لابن حزم ج ٩ : ٥٣٧ مطبعة دار الاتحاد العربى بالقاهرة
— المغنى لابن قدامة — طبعة القاهرة ١٣٦٧ ج ٤ ، ص ١
— وكتابنا « مذهب ابن عباس في الربا » ٢٢ — ٦٣ طبعة دار التراث بالقاهرة .

والكلالة ، وأبواب من أبواب الربا « (١) » .

ج - موقف الذين بلغهم البيان المطابق للآيات الخاتمة ، وللعدل الإلهي كما ورد في شرائع الرسل والأنبياء قبل الاسلام ، وفي مقدمتهم - :

أسامة بن زيد .

وعبد الله بن عباس .

وعبد الله بن مسعود - رضى الله عنهم .

- وهؤلاء : عمدتهم النصوم القرآنية والنبوية ، يقوى بعضها بعضا بلا تعارض ، ولا تناقض ، ولا حاجة الى قياسات باطلة ، وآراء بشرية خاطئة !!

- هل يجوز أن ندعى (اجماعا) للمصاحبة في مواجهة النصوم القرآنية والنبوية الواضحة ؟

- هل يجوز أن يقبل اجماع ليس فيه عمر بن الخطاب وعبد الله ابن عمر ؟

والقليل في جميع الأوقات .
ونسخت آية « النساء ٤ : ٤٣ » التي وجهت التحريم الى فترات معينة هي أوقات الصلوات ؟!

٢ - الصحابة - رضوان الله عليهم جميعا - لم يجتمعوا على كلمة واحدة في تطبيق ماورد في آيات الربا من سورة البقرة ٢ : ٢٧٥ - ٢٢٨١ ؟

- والبحث يبين أنهم انقسموا الى مواقف ثلاثة - :

أ - موقف المتمسكين بحديث (الأصناف الستة) وهو يمثل مرحلة « ما قبل خير » وعلى رأسهم أبو سعيد الخدري - رضى الله عنه .

ب - موقف الطالبين للبيان أنصى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ، حيث قال - :

« ثلاث وددت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عهد إلينا فبين عهدا فنتهى إليه : الجد ،

(١) قال في عمدة التفسير ٢ : ١٩٠ (أخرجه البخارى) ١٠ : ٤٣ (فتح ومسلم ٢ : ٤٠١ ، ٤٠٢) . طبع دار المعارف بالقاهرة .

الاجماع يناقضه : أسامة بن زيد ،
وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن
مسعود ، وغيرهم ؟!

— هل يجوز أن نعطل نصا
قرآنيا ، أو حديثا نبويا صحيحا
ناسخا : بحجة أنه لم يعلمه عدد
كثير أو قليل من الصحابة رضوان
الله عليهم ؟!
أو بعبارة أخرى :

— هل يجوز أن نحتج بقول من
لم يحفظ ، ونجمله حجة على من
حفظ ؟!

(ب) النصوص

النبوية :

أولا :

ما عمدة تحريم الربا عند جميع
فقهاء المذاهب في قياساتهم
وتفريعاتهم ؟!

— حديث واحد : (حديث
الأصناف الستة) وهو يمثل — :
ولا توجد أحاديث أخرى ؟

— بلى ، هناك الكثير ، نذكر
منه — مما جاء بمعد (حديث
الأصناف الستة) تعديلا لأحكامه ،
وتخرجنا إلى « التقدير العادل » :

- (١) بلوغ المرام : الحديث ٦٩٦ ، وقال : رواه مسلم .
(٢) أبو داود ، الحديث ٣٢١٠ ، وقال : أخرجه : مسلم ، والترمذي
وابن ماجه بنحوه ، وفي الفاظه زيادة وتقص .
وانظر : (بناء الاقتصاد في الاسلام) ص ١٥٢ طبع القاهرة .

- (حديث البيع الآخر) وهو يمثل : — جاء بلال الى النبي
 المرحلة الثانية : مرحلة خير — : صلى الله عليه وسلم — بتمر برنى
 ٢ — عن أبى سعيد الخدرى ، (وهو صنف جيد) •
 وأبى هريرة — رضى الله عنهما — (فقال له النبي — صلى الله
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أين هذا ؟ » •
 — استعمل رجلا على خير ، فجاءه — قال بلال : كان عندنا تمر
 بتمر جنيب (وهو صنف جيد) فقال ردىء ، فبعت منه صاعين بصاع ،
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليطعم النبي — صلى الله عليه
 « أكل تمر خير هكذا ؟ » • وسلم •
 — فقال : لا ، والله يا رسول الله ، انا لناخذ الصاع من هذا
 (الجيد) بالصاعين (يضى من الردىء) والصاعين بالثلاثة ؟!
 — فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم :
 « لا تفعل ، بع الجمع (الردىء) بالدرهم ، ثم ابتع بالدرهم
 جيبا » • وقال فى الميزان مثل ذلك (١) •
 ٣ — وعن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — قال :
 ثم يأتى بعد ذلك حديث (البيع المباشر) بالتقدير ، بعد حديث
 خير ، وهو يمثل — : المرحلة الأخيرة : قبيل وفاة
 النبي صلى الله عليه وسلم —

(١) متفق عليه — وانظر كتاب (فتاوى رسول الله صلى الله عليه وسلم) صفحة ٧٠ (الحديث ٨ — بيع الردىء بالجيد) طبع مكتبة دار الاعتماد بالقاهرة .

(٢) عمدة الأحكام لابن قدامة ، الحديث ٢٧٠ • طبع القاهرة •

٤ - عن أسامة بن زيد - رضى الله عنهما :
(الأول :) حديث الأصناف الستة (قبل خير :

— من النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال — :

« انما الربا فى النسيئة » (١)

٥ - وعن أسامة - رضى الله عنه :

« انما الربا فى النسيئة ، وما كان يبدأ بيد فلا بأس » (٢) .

هذه المراحل الثلاثة :

— عندما نتجه الى البحث فى النصوص النبوية ينبغى أن يكون أمام أعيننا ما انتهت اليه الآيات القرآنية من نتائج وأحكام .

— والترتيب الزمنى له قيمته فى رفع التناقض ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ والأحاديث السابقة هذا ترتيبها :

وبالاضافة الى ذلك لابد من التقابض فى هذه الحالة . وللإنسان أن يسأل :

— هل من (العدل) أن أعطى صاعا من التمر الممتاز ولا آخذ فى مقابله الا صاعا واحدا من التمر الرديء ؟

— الجواب واضح بالنفى .

(١) رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، واحمد ، والشافعى — انظر (مذهب ابن عباس) ص ٢٥ طبع دار الاتحاد العربى بالقاهرة .
(٢) رواه الامام ابو حنيفة موقوفا فى مسنده ص ٥٨ (طبعة حلب) .
ورواه الامام الشافعى موصولا « انما الربا فى النسيئة » فقط .
الرسالة للامام الشافعى صفحة ٢٧٨ ، ومسلم (١ : ٤٦٩) ، والبخارى ٣ : ٧٤ ، ٧٥ وأخرجه ايضا احمد ، والنسائى ، وابن ماجه .
انظر (علم العدل الاقتصادى) ص ٩٢ طبعة دار التراث بالقاهرة .

— المؤمن المعاصر لذلك الحديث —
النبوي يقول :
بنظيره من الردىء دون بفس
لأحدهما ؟!

« سمعنا وأطعنا ٢٤ : ٥١ » •

« نهى رسول الله — صلى الله
عليه وسلم — عن أمر كان لنا نافعاً ،
وطوعية الله ورسوله أنفع لنا
وأنفع » (١) ، لأن القيادة النبوية
قائمة ، والوحي ينزل ، والحكمة
الربانية تسمى ، لتشفى المجتمع من
أمراضه الاقتصادية في اختلال
موازين القيم ؟!

— ويبقى السؤال بغير جواب
الى حين تأتى :

— المرحلة الثانية (مرحلة
خبير) •

— ويأمر النبي — صلى الله
عليه وسلم — بـ (البيع الآخر)
ويتحقق التفاوت العادل عن
طريقه ، بصورة غير مباشرة ، وهذا
أمر معقول ، أن يكون للممتاز من
كل صنف تقديره العادل إذا قوبل

— اذا كان المثلّم النبوي قد
أمر بالبيع الآخر ، رعاية للتقدير
العادل ، •

— فلماذا لا يسمح بالبيع
المباشر مع ملاحظة (التقدير
العادل) أيضا ؟!

— وهو سؤال منطقي ومعقول

(١) أبو داود في حديث رافع بن خديج ٣٢٢٥ ، وأخرجه مسلم ،
والنسائي ، وابن ماجه ، انظر (بناء الاقتصاد في الاسلام) ص ١٤٣ طبعة
بالقاهرة •

وأصبحت النصوص القرآنية
والنبوية مترابطة يعضد بعضها
بعضاً في تدرج ، يرفع صرح
(العدل الاقتصادي) •

— ويحمي (القيمة المعادلة) •
— ويحارب : البغض ، والظلم
والغبن ؟

رابعاً :

أليست هناك أحاديث أخرى في
موضوع : « الربا » ؟
— يلي ، كثيرة ؟

— ولكن اهتمامنا كان كبيراً
بتوضيح المراحل الثلاثة المتقدمة ،
لأن عدم اكتشافها كان سبباً فيما
رآه الفقهاء من تناقض بين
الأحاديث ، بعضها وبعض من جهة
وبينها وبين النصوص القرآنية من
جهة ثانية ؟

• — والآن : نفكر بعض
الأحاديث الأخرى :

٦ — عن عبد الله بن مسعود
— رضى الله عنه — عن النبي —
صلى الله عليه وسلم — قال :

« الربا : ثلاثة وسبعون باباً ،
أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه .

— وهو ما يحققه حديث :

— المرحلة الأخيرة (حديث
البيع المباشر) •
« لاربا الا في النسيئة » •

— أما التفاضل بين أفراد
المنصف الواحد ، تبعاً للجودة
والرداءة بالعدل ، فهو الأمر
المشروع المعادل ، وذلك مع
التفاضل في حالة البيع •

— ما الفرق بين (المرحلة
الثانية) و (المرحلة الأخيرة) ؟
— أنه في شيء واحد : تقدير
التفاوت بطريق (البيع المباشر)
دون لجوء الى توسط (البيع
الآخر) ؟

— هل تناقض أحاديث المراحل
الثلاثة ما انتهت اليه النصوص
القرآنية ، من وجوب التساوى
المالى بين البديلين بالطريق المعادل
دون بغض ؟

ان التناقض يأتى عند الاخلال
بحق الترتيب التاريخى للأحاديث
النبوية ؟

— أما بعد العثور على أدلة
الترتيب التاريخى بين هذه
الأحاديث : فقد زال التناقض ،

وان أربى الزبا عرض الرجل المسلم « (١) » .

انعادلة) وتسمح بالبخس ، وهو ريسا .

تذكر أمثلة منها :

٩ - عن حكيم بن هزام ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « البيعان بالخيار ما لم يفترقا ، فان صدقا وبينا ، بورك لهما في بيعهما ، وان كتما وكذبا : محقت البركة من بيعهما » (٤) .

٧ - عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لياتين على الناس زمان لا يبقى أحد الا أكل الزبا ، فان لم يأكله أصابه من بخاره » (٢) .

- وفي رواية : « من غساره »

- وتأمل العقوبة : انهـا

« المحق » وهو عقوبة « الزبا » .

١٠ - عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال :

قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم :

« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم

القيامة » .

٨ - وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يأتى الناس زمان يستحلون الزبا بالبيع » (٣)

- وهناك أحاديث كثيرة تمنع

صورا من البيوع ، ومساالك في

التجارة ، لأنها تغل بالقيمة

(١) بلوغ المرام : ٦٩٤ وقال : رواه ابن ماجه مختصرا ، والحاكم بتمامه وصححه ، وقال في عمدة التفسير ٢ : ١٩١ : « صحيح على شرط الشيخين » ولم يفرجاء ، ووافقه الذهبي « وانظر (بناء الاقتصاد في الاسلام) ١٥٦ . طبعة القاهرة .

(٢) رواه أبو داود : الحديث ٣١٩٠ ، ٣١٩١ ، وأخرجه النسائي وابن ماجه وانظر (مذهب ابن عباس في الزبا) ٨٤ ، ٨٥ طبعة دار التراث بالقاهرة . (٣) تهذيب سنن أبي داود ، أورده ابن القيم ٥ : ١٠٧ - انظر : (مذهب ابن عباس في الزبا) ص ٨٥ .

(٤) أخرجه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ٠٠ الحديث ٣٣١٤ ع والترمذى ، والنسائي - (بناء الاقتصاد في الاسلام) ص ١٦٢ طبع القاهرة .

- رجل منع ابن السبيل فضل
ما عنده .
- ورجل حلف على سلعة بعد
المصر — يعنى كاذبا .
- ورجل بايع اماما بفان أعطاه
وفى له ، وان لم يعطه لم يف .
- وفى رواية : « ولا يزيكهم ،
ولهم عذاب أليم » .
- وقال فى السلعة : « بالله
لقد أعطى بها كذا وكذا ، فصدقه
الآخر فآخذها » (١) .
- ١١ — عن قيس بن أبى غرزة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال :

« ان التجار هم الفجار ، الا من
بر وصدق » (٢) .

— لماذا حرمت هذه البيوع ؟



- هل نجد فى النصوص النبوية
ما يتناقض بعضها مع بعض ، بعد
اكتشاف الترتيب التاريخي ،
وظهور الناسخ المحكم ؟
- فكل تاجر فاجر الا اذا
صدق فى اعطاء البيانات الصحيحة
من سلعته ولم يضطر المشتريين
بأى وسيلة كي يدفعوا له ثمنها

(١) أخرجه البخارى ، ومسلم ، ورواه أبو داود ، الحديث ٢٢٢٨ ،
٢٢٢٩ ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، (بناء الاقتصاد فى الاسلام)
ص ١٦٢ طبع القاهرة .

(٢) وقد نصت على ذلك آيات المطففين : « كلا ان كتاب الفجار لفى
سجين ٨٢ : ٧ ، وانظر كتابنا « الاقتصاد الاسلامى » ص ٢٢ طبع الخانجر
بالقاهرة .

الفكر الفقهي

- سبق أن عرفنا أن الصحابة — رضوان الله عليهم — كانت لهم مواقف ثلاثة من (الربا) * .
- ١ — موقف المتمسكين بحديث المرحلة الأولى .
- ٢ — موقف طالبي البيان .
- ٣ — موقف الذين علموا البيان النبوي في حديث : (البيع المباشر) مع رعاية (القيمة العادلة) .
- فعماذا فعل أئمة الفقه ؟
- انحازوا الى الموقف الأول .
- وأهملوا الموقف الثاني .
- واعترض عليه الامام ابن حزم وانتقد الخليعة عمر ابن الخطاب ، قال :
- حاش لله ! من أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبين الربا الذي توعد الله فيه أشد الوعيد والذي أذن الله تعالى فيه بالحرب * *

- هل نجد في النصوص النبوية ما يتناقض بعضه مع بعض بعد اكتشاف الترتيب التاريخي ، وظهور الفاسخ المحكم ؟
- هل نجد أحكاما في السنة النبوية — بعد هذا — تخالف نصا قرآنيا ؟؟
- هل نجد في الشريعة الاسلامية ما يخالف الأساس الذي قامت عليه الرسالات الإلهية قبل الاسلام ؟؟
- ليس (العدل الاقتصادي) و (القيمة العادلة) في مقام التقدير والاحترام في جميع النصوص المحكمة ؟؟
- هل يجوز الاجتهاد عن طريق (القياس وعمله) مع وجود هذه النصوص ؟؟
- حكم الربا :
- هل تخالف حقيقته في الشريعة الاسلامية .
- حقيقته في الشريعة الإلهية ؟؟ بالحرب * *

(*) انظر صفحة ١٧ — ٢٥ الماضية .

(**) يعني بذلك قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا : اتقوا الله .. وفروا ما بقى من الربا .. ان كنتم مؤمنين .. فان لم تفعلوا .. فاذنوا بحرب من الله ورسوله .. وان تبتم .. فلكم عوص أموالكم .. لا تظلمون ولا تظلمون ٢ : ٢٧٨ ، ٢٧٩ » .

انتقل الى الموقف الثالث ، فرماه بالتناقض من ناحية ، ثم ادعى أن الصحابة أجمعوا على حديث « الاصناف الستة » من ناحية أخرى وأن ابن عباس خرج عن الاجماع .

— أما التناقض : فقد تم دفعه بالتاريخ ، واثبت أن الاول منسوخ بالآخر ؟؟
— وإذا وجد النص ، فهل يجوز الاجماع على خلافة ؟؟

■
وأي الاجماع ؟

— قال الامام ابن حزم : « وأعجب شيء مجاهرة من لا دين له بدعوى الاجماع على وقوع الربا فيما عدا الاصناف الستة المنصوص عليها ، فكيف في غيرها ؟؟

أو ليس ابن مسعود ، وابن عباس يقولان : لاربا فيما كان يدا بيد ؟؟ وعليه كان عطاء ، وأصحاب ابن عباس ، وفقهاء أهل مكة (٣) .

« ولئن كان لم يبينه لعمر ، فقد بينه لغيره (يعنى حديث الاثنياء الستة) وليس عليه أكثر من ذلك حولا عليه أن يبين كل شيء لكل أحد ؟؟

ولكن اذا بينه لمن يبلغه ، فقد بلغ ما لزمه تبليغه » (١) .

— كلامه كله صواب ، عدا حسابه أن عمر لم يكن يعلم بحديث (الاثنياء الستة) المشهور ، مع أن عمر — رضى الله عنه — من رواة هذا الحديث وحفاظه ، وقد نص على علمه بذلك ابن حزم نفسه في موضع آخر (٢) — والحقيقة أنه — صلى الله عليه وسلم — بينه لما شاء الله من الصحابة ومنهم « أسامة » الذي بلغه لابن عباس وحديث أسامة هو البيان الذي ينسخ المرحلة الاولى ويمثل المرحلة الأخيرة ؟؟

ماذا فعل الفكر الفقهي بعد ذلك ؟
لم يكتف بما فعل تجاه الموقف الثاني من مواقف الصحابة ، وانما

(١) المحلى لابن حزم ٩ : ٥١٩ طبعة دار الاتحاد العربى بالقاهرة .

(٢) المحلى لابن حزم ٩ : ٥٣٩ أول المسألة ١٤٨٢ .

(٣) المحلى لابن حزم ٩ : ٥٣٧ طبعة دار الاتحاد العربى بالقاهرة .

- ولكن الفكر الفقهي تغاضى
عند التدوين ، فلم يعط لمذهب ابن
عباس حقه ، بل تصدى لمهاجمته
وتشويهه بغير برهان ولا دليل •
- أصبح حديث المرحلة
الاولى هو الركيزة الاساسية في
تحریم الربا ، عند الفكر الفقهي :
- فهل يحرم التفاضل في هذه
الاشياء الستة وحدها ؟؟
- أم يجعلها أصلا ، يلتبس عليه
عن طريق الاجتهاد القياسي ؟
- التزم الظاهرية بالاتجاه
الاول •
- وعمل آخرون بالاتجاه
الثاني •
- ولكن : ما العلة التي يقاس
عليها ؟؟
- اختلفوا في ذلك الى نحو
عشرة مذاهب (١) •
- *
- هل أجمع فقهاء المذاهب على
سلامة هذا الطريق ؟
- كلا ! بل ظهر المنتقدون ،
ومنهم :
- امام الحرمين الجويني
الشافعي ، حكى قول الغزالي ،
قال :
- «والمختار : أن العلة قد تردهم
على حكم واحد :
- ويعلم أن الصحابة — رضى الله
عنهم — في اشتوارهم ، كانت
تتشعب آراؤهم الى مصالح
متظاهرة ، ولا يشتملون بالترجيح ؟
- ومسألة الربا ، ليست معلة
عندنا ، ولا هي مجمع عليها ، ولكن
كل اعتقد أن علة خصمه باطلة ،
لا تستعمل ، ولذلك لم يجمعوا ،
ومسالك الترجيع فيها باطلة » (٢)
- ومنهم : ابن عقيل
الحنبلي (٣) والامام الصنعاني (٤)

(١) فصلها ابن حزم في المحلى ٩ : ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ولخصناها في كتابنا
(علم العدل الاقتصادي) ١٠١ — ١٠٩ مطبعة دار التراث بالقاهرة .

(٢) المنحول للغزالي ٣٩٣ •

(٣) اعلام الموقعين لابن القيم (٢ : ١٥٥ ، ١٥٦) طبعة امبلي
بالقاهرة .

(٤) سبل السلام للأمير الصنعاني ٣ : ٥٤ طبعة مصطفى محمد ١٩٥٣
سبب الربا •

- فهم يرون أن عكس الفقهاء : باطلة
أو ضعيفة ، أو غير منصوصة (١) •
- ومع ذلك ، فإن ممن
استخدموا (الاجتهاد القياسي)
من وصل الى علة تماثل في نتائجها
— عند التطبيق — ما يؤدي اليه
النص الذي تمسك به ابن عباس :
— ابن الماجشون : يرى أن
العلة هي (المالية) فكل مالين —
عند التبادل — لا بد من التساوي
بينهما في (المالية) سواء كانا نوعا
واحدا ، أو أنواعا ، دفعا للغبن عن
البائع والمشتري (٢) •
- ولكن ، أين من انتفع
بمذهبه ؟
- ولماذا لا يكون رأى ابن
الماجشون هو الصواب في القياس
لو لم يكشف الناسخ في النصوص
النبوية ؟
- ويصبح الأصل الذي تدور
عليه (المعاملات) هو :
— اقامة العدل •
— حماية القيمة العادلة •
- تحريم البخس •
— اعطاء كل ذي حق حقه •
بالميزان العادل ، والتقدير
العادل •
- تحريم الربا •
— وبالعلة : اقامة :
العدل الاقتصادي !! ؟
نسائل أنفسنا ! ؟
ونستفتي :
- هل يجوز أن نظل نحكم في
أمور (معاملاتنا) اجتهادات
بشرية ، تختلف فيها الآراء ويجتهد
كل فقيه برأيه هو ، وتنقسم
المذاهب الى عشرات ، يضيع فيها
الحق ، ولا تطمئن ضمائر المسلمين
على تمييز الحلال من الحرام ،
والحق من الباطل ، وليس رأى
بأولى من رأى ، ولا اجتهاد بأولى
من اجتهاد ؟
- هل يجوز أن يستمر ذلك ،
ونترك الآيات القرآنية الواضحة
الاحكام ، •

(١) (علم العدل الاقتصادي) ١٠٤ — ١٠٦ طبعة دار التراث
بالقاهرة •
(٢) بداية المجتهد لان رشد الأندلسى .. ج ٢ ص ١٠٨ طبع الخانجي
بالقاهرة •

العالم » •
وقال أيضا :
« وليس لأحد أن يعارض
الحديث الصحيح عن النبي صلى
الله عليه وسلم ، بقول أحد من
الناس ، كما قال ابن عباس — رضى
الله عنهما — لرجل سأل عن مسألة
فأجابها عنها بحديث •

فقال له : قال أبو بكر وعمر •
فقال ابن عباس : يوشك أن
تنزل عليكم حجارة من السماء !!
أقول : قال رسول الله — صلى
الله عليه وسلم — •

وتقولون : قال أبو بكر
وعمر ؟! (١) •

— السابقون لهم عذرهم عولهم
أجر اجتهدهم !! ولكن . ما عذر
من تبين لهم النص القـرآنى
الواضح فى أن يتركوا العمل به ؟
وما عذر من تبين لهم الحديث
النبوى الناسخ المحكم فى أن يتركوا
العمل به ؟؟



— ونترك الأحاديث النبوية
المناسخة المحكمه ، لنخرج انى
آرائنا وآراء البشر ؟؟

— ولا حجة لنا الا أن نقول :
ان فقهاء المجتهدين — رحمهم
الله — : قد كفونا ، وبذلوا الجهد ؟
— ألا يجوز أن يكونوا — وهم

جميعا بشر غير معصومين — قد
خفى عليهم الأمر بسبب من
أسباب الخفاء التى نص عليها
شيخ الاسلام ابن تيمية فى رسالته
الجليلة « رفع الملام عن الأئمة
الاعلام » وقال فيها :

« •• فلا يجوز أن نعدل عن
قول ظهرت حجة بحديث صحيح
وافقه طائفة من أهل العلم — الى
قول آخر قتله عالم يجوز أن يكون
معه ما يدفع به الحجة ، وان كان
أعلم ، اذ تطرق الخطأ الى آراء
العلماء أكثر من تطرقه الى الأدلة
الشرعية •

— فان الأدلة الشرعية حجة
الله على جميع عباده بخلاف رأى

(١) انظر « الرسالة » المذكورة (رفع الملام .. عن الأئمة الاعلام)

القرآنية والنبوية كما اتضح من
(مذهب ابن عباس) فإنه لا يجوز
لذى رأى من أهل الفقه والعلم أن
يضمن بنصره ، ويجهر بتأييده حسبة
لوجه الله ، وخوفا من عقابه ؟؟

✱

أيها السادة العلماء : —

— فليذكر بعضنا بعضا بقول الله .
عز وجل : —

« ان الذين يكتمون ما أنزلنا من
البيانات والهدى من بعد ما بيناه
للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم
الله ، ويلعنهم اللاعنون ؟؟ »

الا الذين تابوا وأصلحوا ،
وبينوا ، فأولئك أتوب عليهم ، وأنا
التواب الرحيم ٢ : ١٥٩ ، ١٦٠ « .
وأمثالها من الآيات الكريمة .

✱ ✱ ✱

— ويقول حبيبنا محمد صلى الله
عليه وسلم : —

« من سئل عن علم فكتمه ألجمه
الله بلجام من نار يوم القيامة » .
وبأمثاله من الأحاديث النبوية
الشريفة .

✱ ✱ ✱

— هذا هو محل (الاستفتاء)
يتوجه الى ضمير كل فقيه أمين
على علمه ودينه :

(تنضية الرضا) :

— هل نجد حلها في النصوص
القرآنية .

والأحاديث النبوية ؟

— أو نستمر ندعى : أنه لا حل
لها الا في الآراء البشرية التي
تقدمها الاجتهادات المنسوبة الى
الفقه المذهبي ؟!

✱ ✱ ✱

— أيها السادة العلماء والفقهاء :

— ستظل كلمة الله هي العليا .
— سيظل القرآن ونصوصه
الواضحة تتحدى .
— ستظل الأحاديث النبوية
الناسخة تتحدى .

✱

— من وجد طريقا مستقيما ، فمن
الأمانة أن يعلنه ، حتى لا تتحمل
الكافة حرج الحيرة ، وضعف
الحياة ، ويتحمل هو اثم الكتمان ،
، ووزر العصيان ؟!

— أما ان كان الحق في النصوص

السليمة لحلها ، حفاظا على الثروة الاقتصادية في جميع بلادنا .

ما هذه القضايا ؟

— سوف يصحو الضمير المؤمن ، المراقب لله عند كثير ممن حازوا أموالا محرمة من الربا ، ومن فائض القيمة بصورهما المتعددة ، ويريدون التخلص منها ؟

— ماذا يفعلون ؟؟

— أين البرامج الاقتصادية : في الزراعة ، والصناعة ، والبناء . والخدمات المختلفة . لا عادة ثمرات هذه الأموال الى جميع أبناء الأمة ، كل بقدر حقه ، كل بقدر عمله الحلال ؟!

— هنا : تكون المسؤولية مشتركة بين الجميع ، ولكن هناك من عليه نصيب أكبر ؟ وهم : —

*حكام المسلمين في كل مكان .
* والاقتصاديون المؤمنون المخلصون للمعدل !

* أما أكثر أولئك فضلا ، وأقربهم الى الله ، وأعظمهم ثوابا فهم : —

« أن الله يامركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، أن الله نعماء يعظكم به ، أن الله كان سميعا بصيرا ٤ : ٥٨ » .

« يا أيها الذين آمنوا : لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، واتقوا الله ، أن الله سميع عليم » .

« يا أيها الذين آمنوا : لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم ، وأنتم لا تشعرون ٤٩ : ١ ، ٢ » .

« وسع ربنا كل شيء علما ، على الله توكلنا ، ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين ٨٩ : ٧ » .

قضايا خطيرة

وبعد الاستقرار على اتباع (هداية القرآن والسنة) في (تحريم الربا) : —

— فإن امام السادة العلماء ، والفقهاء ، والاقتصاديين ، وحكام المسلمين — قضايا خطيرة يجب التنبه لها واعتماد الاجراءات

— الأعياء الدين يستيقظ
 إيمانهم ، فيحاسبون أنفسهم ،
 ويعرفون أن المال الحرام الذى
 كسبوه : هو نار جهنمية تحيط
 بهم (١) وبأولادهم فيتقدمون
 لتسليمها ، متطهرين من آثامها فى
 شجاعة المؤمن التقى !!

« ٠٠ الا من تاب وآمن وعمل
 عملا صالحا ، فأولئك يبدل الله
 سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا
 رحيما »
 ومن تاب وعمل صالحا ، فإنه
 يتوب الى الله متابا ٢٥ : ٧٠ ، ٧١ »
 زيدان أبو المكارم حسن زيدان



(١) ورد فى تقرير وزير التخطيط المصرى . ان بضعة الاف من الناس
 جمعوا من المال الحرام ، ومن فروق الأسعار ، فى ثلاث سنوات (١٩٧٣ —
 ١٩٧٦ م) نحو ١٠٠٠ الف مليون جنيه (الأهرام ١٩٧٧/٩/٩ م) ، فهل
 حسب ذلك البلاد الأخرى ! ؟

الإسلام والحضارة

بمؤتاد أحمد عبد الرحيم السامح

بلور مفهوم الحضارة عند العرب على أنها : ذلك النمط من الحياة المستقرة والذي يناقض البداوة ، فينشئ القرى والامصار ويضفي على حياة أصحابها فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وإدارة شؤون الحياة والحكم وترتيب وسائل الدعة وأسباب الرفاهية .

إذا كان ابن خلدون بلور هذا المعنى التاريخي واعتبر الحضارة عاية العمران ، فإن مفهوم الحضارة في عصرنا قد امتد الى ألوان من المعنى هي أبعد وأوسع مما رآه ابن خلدون في عصره ، وفي بيئته العربية في انتقالها الاجتماعي والسياسي والثقافي والمدني من البادية الى الحضر .

مفهوم كلمة الحضارة مفهوم تطور مع الزمن لاسيما في تاريخ الحياة العربية . والمفهوم الاصيل لكلمة الحضارة في اللغة العربية أنها : تعنى حياة الحضر والاقامة الثابتة في المدن والقرى ، عكسها (البداوة) وهي حياة التنقل في البادية ، ولقد عرف الفارق بين حياة البادية وحياة الحضر ، منذ كانت بادية ومنذ كان حضر .

ولكن أول من تصدى لهذا التمييز على أساس من الدراسة الواعية والتسجيل والتحليل العلمي . هو عبد الرحمن بن خلدون ، بل ان هذا العالم هو أول من عالج شؤون الحضارة العربية بطريقة علمية تحليلية .

على أنه إذا كان ابن خلدون قد

الحياة في أنماطها المادية والمعنوية ، ولهذا كانت الحضارة هي : الخطة العريضة - كما وكيفاً - التي يسير فيها. تاريخ كل أمة من الأمم ، ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة .. ومنها الاطوار الحضارية الكبرى ، التي تصور انتقال الانسان أو الجماعات ، من مرحلة الى مرحلة .

والحضارة باختصار شديد هي جملة المظاهر المعنوية التي يخلفها التاريخ والتي تبقى في المجتمع على مر الايام دليلاً على القدرات الذهنية المميزة ، وتعبيراً عن روح هذا المجتمع والشعب الذي يمثله . ولا شك أن المظاهر المعنوية تأخذ قوالب مادية مختلفة تتجسم فيها تلك المعنويات ، وتشكل المظاهر المعنوية في صور مختلفة كالفنون والآداب والعلوم والمعارف ، ومجموع ما ينتج عن ذلك كله من تـجـيـلات ومشاهد في الآثار والعمائر وأسلوب الحياة وآداب المعاش اليومي وتقاليد المجتمع في التقارب والتفاهم والتعايش . والمدنية هي الوسائل والأدوات

ولئن كان بعض العرب القدامى قد استعملوا لفظ (مدنى) بمعنى (اجتماعي) فإن مفهوم آخر ظهر واتصل بها وأصبح الآن يعرف بالمدنية بل ان ابن خلدون ذاته كان سابقاً أيضاً في هذا المجال اللفظي فاستعمل صيغة التمدن وكان يعنى بها (التحضر) .

على أن تلك المفاهيم اللغوية انما نشأت في بيئة عربية كانت حياة الحضر فيها. تقابل حياة البادية . ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقليدية الا في جهات قليلة جداً خارج عالمنا العربي ولذلك فان لفظ الحضرة في مفهومه العالمي ومفهومه الحديث المعاصر بصفة خاصة قد أصبح أكثر اتساعاً مما كان يدل عليه في مفهومه اللغوي التقليدي .. واذا كان أصل الحضارة الاقامة في الحضر . فان المعاجم اللغوية الحديثة ، ترى أن الحضارة هي الرقى العلمي ، والفنى والأدبى ، والاجتماعى في الحضر .. وبعبارة أخرى أكثر شمولاً ، هي : الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة والفكر ، ومجموع

مساره وتربطه بأهداف انسانية عالية .

ولئن كان الاسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة الانسانية ، فان الواقع يبين للباحث والمفكر ، والدارس ، أن الحضارة الاسلامية استمدت كل مقوماتها وعناصر وجودها ، وأسباب نمائها وازدهارها .. من الاسلام ذاته .. والاسلام كان ولا يزال دين الحضارة والانسانية ، بمعنى أنه كان منذ نزوله دين عبادة ودين معاملته وانه انشأ لونها من الحضارة ، عرف باسمه ، وهو الحضارة الاسلامية .

وقد قامت الحضارة الاسلامية ، على دعائم أساسية ، جعلت منها حضارة عالمية متميزة ، وفريدة في تاريخ البشرية .. ومن ذلك .

أولا : أن الاسلام قد انطوى على طاقة روحية جعلت منه قوة فاعلة والثىء المهم في هذه القوة الفاعلة . أنها كانت أصلا جذريا ثانيا : ان الاسلام كان دين دعوة .. وفكرة الدعوة في الاسلام .. قد واثمتها ظروف الانتشار في

المادية التي يستعين بها الانسان على تحقيق حضارته وهي العديد من الاشياء والأدوات المادية التي تعين الانسان على التقدم في مضمار الحضارة واذا كانت الحضارة هي الابداع في مجالات الفنون والمعارف والعلوم فالمادية هي السبيل الى تذليل الصعاب الحضارية والأدوات المادية التي تبلغ بها الحضارة مستوى الابداع والتقدم . وكلما سيطرت الحضارة على وسائلها أمكنها أن تحقق ألوانا من الفن والابداع الذي تسجله الحضارة في جملة مظاهرها المعنوية .. وقد تؤدي الماديات المختلفة الى رفع مستوى التقدم الحضارى . وقد تؤدي الى تخلفه وانحداره . والذكاء الانساني في مجال استخدام الماديات هو الحكم في توجيه هذه الماديات فاما أن يسير بها سيرا حثيثا نحو الابداع والتألق والتقدم . أو أن يهبط بها الى مجال العبث والفساد والتدهور .. واما أن تسيطر القيم الروحية العالية على هذا الذكاء فتحدد

رابعاً : كان الاسلام ديناً رحباً يدعو الى سبيل العقل ، في حدود اصول العقيدة كما يدعو الى سبيل الضمير ، والحق .. ومن هنا كانت الدعوة الى النظر ، والى المعرفة ، أساساً من أسس الدعوة الاسلامية وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة للحضارة .

والاسلام في رحابته الحضارية ، استطاع أن يمتص ألوان الحضارات في البلاد التي أوقد فيها قناديل الضياء وأن يسبغ عليها طابعا اسلاميا شاملا ..

خامساً : البيئة بعواملها المحلية وموقعها الجغرافي ، قد ساعدت على اعطاء الحضارة الاسلامية ، ما كان لها من طابع ، ومن مكانة ..

سادساً : القرآن الكريم ذاته . وذلك أن القرآن كان أعظم ما عرفته الانسانية في تاريخها الممتد الطويل .. وقد تضمن القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانساني السليم . تنشده الانسانية فتجد فيه مبتغاها من التشريعات الفردية والعلائق الأسرية ، والمعاملات الاقتصادية والحربية ، والقوانين

النطاق العالمي ، وفي ظلال الدعوة المستمرة تمكن الاسلام من نشر طابعه الحضاري ، كمقيدة للحياة ، وأن يصبح في أقل من ربع قرن ، مقوماً أساسياً من مقومات الحضارة الانسانية .

ثالثاً : كان الاسلام ديناً سهلاً غير معقد ، ولا مركب في عقيدته ، وكان في الوقت ذاته ديناً مباشراً ، يتصل فيه الانسان بخالقه دون وساطة :

« وقال ربكم ادعوني استجب لكم »

« واذا سألك عبادي عني فاني قريب »

ولا نجد عقيدة تطلب من الانسان شهادة أبسط من شهادة الاسلام على عمقها وعظمتها :

« لا اله الا الله محمد رسول الله »

.. عبارة سهلة رائقة .. تقف بالعقل على عتبة الدخول في الاسلام ، موقفاً سهلاً والمقوم الاصيل في هذه البساطة ، أن القرآن الكريم هو الوعاء للأساس للعقيدة كلها .

المعاني ، ولا فكر من الافكار ،
ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية
علمية من النظريات ، تعجز اللغة
العربية عن تصويره بالاحرف
والكلمات ، وتجسيده داخل
الكلمات .

ثامنا : وبجانب هذا وذاك ،
كانت هناك مقومات تاريخية
وبشرية ، تتصل بالعصر الذي ظهر
فيه الاسلام ، ثم بالعنصر البشري
.. والتكوين السكاني ، فاما عن
العصر ، فقد كان الاسلام ختام
الاديان السماوية ، وكان الاسلام
بدلك رباطا لها من الناحية
التاريخية ، كما كان في الوقت ذاته
تصحيحا لها ، لما أصابها من تخريف
الفلاسفة والوثنيين .

ولقد كان هذا كله ، قوة دفع
للفكر الاسلامي ، وما اتصل به من
حضارة ومن هنا انطوى التفاعل
الاسلامي على قوة غلبت كل
التحديات الجاهلية فانتشر طابع
الحضارة الاسلامية على فعالية لم
يعرف لها مثيل في تاريخ الانسانية .
ثاسعا : ومما يذكر ان ترسيخ
معالم الحضارة الاسلامية ، قد

المدنية ، والانظمة الدولية وبعبارة
أوجز ... تجد فيه الامة كل ما
تحتاج اليه في حياتها العامة
والخاصة والدين والدنيا .

سابعها : اللغة العربية نفسها
كانت دعامة من دعائم الحضارة
الاسلامية وذلك لانها أعرق اللغات
منبتا وأعزها جانبا ، وأقواها جلادة
وأعزرها مادة وأدقها تصويرا لما
يقع تحت المحس وتعبيرا عما يجول
في النفس .

وعندها من المرونة على
الاستتقاق والقبول للتهذيب ، وسعة
صدرها للتعريب . ما يمكنها من
الاستمرار في عطائها ، نزل القرآن
بلسانها فجعلها أكثر رسوخا وأشد
بنيانا ، وأقوى استقرارا ، وبفضل
القرآن صارت العربية أبعد اللغات
مدى ، وأوسعها أفقا ، وأقدرها
على النهوض بمتبعاتها الحضارية
عبر التطور الدائم الذي تعيشه
الانسانية واستطاعت العربية في
ظل عالمية الاسلام ، أن تتسع
لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر ،
وترتقى حتى تصل أرقى اختلاجات
النفس ، وليس هناك معنى من

وإذا كان ظهور الإسلام قد سبقه في جزيرة العرب وما جاورها حضارات أقدم منه كما سبقته أيضا في البلاد التي انتشر فيها ألوان من الحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية والآشورية والبابلية والاعريقية .

فإن الإسلام استطاع أن يفسح على البلاد التي شملها لونا عظيما من الفكر الدينى والحياة والمعاملات والعلاقات الانسانية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية حتى أصبح هناك قدر حضارى مشترك بين المسلمين فى مختلف الاقطار وبلاد الدنيا ..

وهذه الحضارة الاسلامية تمتاز بأن كل مقوماتها الجوهرية تتبع من وحى رسالة السماء التى تمدها بالروح والقوة والمتماكب وتوجهها الى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد المعطل للعمل وعن المادية الجامحة المفسدة ..

فهى فى نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله وافراده بالعبادة

تضاعف بفعل مقوم انساني آخر ، وهى تنوع السلالات التى دخلت فى الاسلام ، ثم هناك ظاهرة اخرى ترتبت على كل هذه الجوانب والعوامل ، وهى ظاهرة الاتصال والاستمرار الزمنى فى الحضارة الاسلامية .

.. ومن وراء كل ذلك هناك الايمان بالله فهو القوة الدافعة الموجهة التى تسند الضعيف من أن يسقط ، وتمسك القوى من أن يجمع وتعصم الغالب من أن يطنى وتمنع المطلوب من أن ييأس .

ولئن كان الاسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة الانسانية من حيث تقديس حرية الفكر واعزاز حرية الانسان وكرامته وتشجيع المعرفة والنظام والمساواة بين الناس فى ظلال اخاء شامل وعدل تام وروحانية صافية واعتزاز بالمثل العليا والقيم الاخلاقية السامية .

فإن واقع الأمر يبين لنا أن الحضارة الاسلامية استمدت مقوماتها وعناصر وجودها من الاسلام ذاته .

الاسلامى تجلت فيها عبقرية الحضارة الاسلامية وتمثلت فيها حرية الاجتهاد الفكرى •

وفى نظامها الثقافى تعتمد على طلب المعرفة من كل طلب ممكن ومن أى مكان واستخدام العقل فى كسب المعارف وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة واعتبار الثقافة ايا كان مصدرها ومهدا تراثا عاما للانسانية ونستطيع أن نصل الى ان الحضارة الاسلامية • — وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما حفظت من تراث الأقدمين وما أضافت اليه من صنع عبقريتها المبدعة •

— انقذت العالم القديم مما كان يعيش فيه من فوضى وانحيار واضطراب فى الحضارة واستعباد وظلم اجتماعى •

— أعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد فى اسمى صورها وأصفاها ومجتمعا جديدا يقوم على التعاون والتسامح والحرية والتعايش السلمى بين الجميع •

والتنظيم والتمسك بما شرع من آداب السلوك والمعاملة •

وهى فى نظامها السياسى تقوم على الشورى والنزول على رأى الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الانسان والتزود بكل أسباب القوة والمنعة •

وفى نظامها الأخلاقى تقوم على خلوص النية ونقاء الضمير والتمسك بقيم الخير والحق والتزام الآداب الفسودية والاجتماعية التى تسير بالبشرية الى الكمال والسلام •

وفى نظامها الاجتماعى تقوم على الاسرة المتعاضدة القائمة على أساس من المودة والرحمة والاخلاص وتعاون المواطنين على الخير والبر وقيام كل راع بمسئوليته •

وفى نظامها الاقتصادى تقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية واحترام الملكية الفردية •

وفى نظامها التشريعى تقوم على أصول رئيسية واسعة وقد تمثلت هذه الناحية فى ثروة من الفقه

للإنسانية من أسباب النمو ،
وعوامل الازدهار .. ويلم بما جاء
به الفكر الاسلامي ، من مفاهيم
تناولت أهم معضلات الحياة •

ان من يتعمق في ذلك .. يدهشه
مدى عمق التفكير الواعي ، الذي
بلسغ ذروته طماء الاسلام ..
ويتضاعف أعجاب الباحث ، بهذا
الفيض الزاخر من الجهود العلمية
العظيمة التي ملأت الدنيا ••

وتزداد دهشة الفكر ، ويتعاضد
تمجيده ، لحركة التحول الخطيرة
التي أصابت المجتمع العربي ، في
تلك الفترة القصيرة ••

تري .. أي سر هذا الذي
استطاع أن يحول عرب الصحراء
الى أساطين في العلم ، ومشاعل في
الحضارة ، وأفذاذ في المعرفة ،
ومنارات في الثقافة ؟ وأي قوة
رفعت العرب من حال البداوة التي
كانوا عليها ، الى أبطال وقادة ،
غير هيايين ولا وجلين ؟ •

وتسرى .. كيف نفسر سرعة
تطور العرب من الجاهلية الجاهلاء ،
الى الحضارة العتيقة ، في أقل مدة
عرفتها الإنسانية ؟ •

— أعطت الإنسانية دحضاً
ضخمة من المعارف أفاد منها الغرب
في عصر الاحياء والنهضة واعتمد
عليها العالم العربي في يقظته
الحديثة في بناء نهضته المعاصرة •

— وضعت بعض أصول المنهج
العلمي الحديث — كطريقة الشك
عند (الغزالي) كما فتحت آفاقاً
جديدة في البحوث الإنسانية —
كفلسفة التاريخ عند (ابن خلدون)
وعلم البصريات على يد (ابن الهيثم)
وابتدأت مرحلة جديدة في تطور
علوم الرياضة على يد (الخوارزمي)
وعمر الخيام •

— ساعدت بآدابها على نهضة
الآداب في أوروبا وفتح آفاق جديدة
أمام شعراء الغرب وكتابه •

— ساعد خلفاؤها وقادتها —
بسلوكهم الأخلاقي وبنماذج
المروءة والشرف التي تطوا بها
على ائساعة المثل الاخلاقية الرفيعة
مما كان قدوة لمن احتك بهم في
المسلم أو في العرب •

ان من يمين النظر .. في أعماق
الحضارة الإسلامية ، وما حققت

ان المنبع الأول والأصيل في كل ذلك .. هو : القرآن الكريم ... وذلك أن القرآن ، لم يكن كتاب دين يحث على العبادة فحسب .. وإنما كان الى جانب تأكيد وحدانية الله ، وما يتبعها من عقائد ، وعبادات ، وأوامر ، ونواهي كان اعظم الدساتير التي عرفتها الانسانية ، في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن .. وذلك بما تضمنته من القواعد الرصينة المكفيلة بقيام المجتمع الانساني الصالح . ولقد كان أول أثر من آثار القرآن في الفكر الانساني .. ذلك اهتمامه الواسع بالعلم .. وذلك أن العلم أساس التقدم والتعاون ، وتبادل الخبرات والمنفعة ، وقد كانت العناية القرآن بالعلم .. تفوق حد الوصف .

تأمل القرآن وتدبر آياته ، تجده يدعو الى تحكيم العقل والمنطق ، في مظاهر الكون ، وأحداث الماضي . ولقد اشتمل القرآن على ستة آلاف ومائتين وست وثلاثين آية ، منها سبعمائة وخمسون آية كونية وعلمية .. احتوت أصولاً وحقائق

تقول الكاتبة الالمانية الدكتور (سيجريد هونكه) : « ان هذه الطفرة العلمية الجبارة ، التي نهض بها أبناء الصحراء ، من العدم ، من أعجب النهضة العلمية الحقيقية ، في تاريخ العقل البشري » .

وليس من المعقول في نظر المفكر .. والباحث ، والدارس .. أن يظفر الفكر العربي الذي قيده ظروف الحياة القبلية الآسنة الميوس ، الى مثل هذه المرتبة العالية ، دون أن تكون هناك الأسباب القوية التي دفعت به الى الحياة المتحركة دفعا .

ومن المسلم به ، أنه لم تظهر قبل الاسلام .. أية دلائل على التطور الفكري من العرب المنتشرين في الجزيرة العربية .. وكان الشعر ، والخطابة والتنجيم أحب شيء الى عرب الجاهلية ، اذن .. ما هي تلك الاسباب التي استقى منها الفكر العربي ، صلدة هيويته ، وتطوره ؟ وما هي الموارد التي نهل منها اسباب تكامله ونموه ؟ ..

له .. أيا كان مبلغهم من العلم ،
وبما يلقى بحاجاتهم في كل عصر ،
ويتجاوب مع أهل البداوة في يسر ،
ويبهر في عمقه أهل الحضارة الذين
صعدوا في سلم الرقي ويرعوا في
فنون العلم والمعرفة .

لقد كرم الاسلام العلم ، وحث
المسلمين على المزيد فيه ،
والاستفادة منه ، لأنه ينير العقول
المظلمة ، ويحيي القلوب الميتة ،
ويهدى النفوس الضالة ، ويرقى
بالمجتمعات الانسانية ، ويسمو
بالقواعد الحضارية . وقد كانت
عناية الاسلام بالعلم تفوق حد
الوصف . حتى ان كلمة العلم
بجميع تصرفاتها واشتقاقاتها ترد
في أكثر من خمسمائة آية من آيات
القرآن الكريم . وهذا ينبىء عن
مكانة العلم في الاسلام ..

والقرآن الكريم نفسه مشفق
من القراءة ، والقراءة مفتاح هائل
من مفاتيح العلم للانسان ، وطريق
دائم للمعرفة . والانسان مهما كان
ضعيف العلم والثقافة فإنه الى
نمو في الثقافة والعلم مادام يقرأ ..
وأول ما نزل على محمد رسول الله

تتصل بعلوم الفلك والطبيعة ، وما
وراء الطبيعة ، والأحياء ، والنبات
.. والحيوان ، وطبقات الارض ،
والأجبية ، والوراثة والصحة ،
والصحة الوقائية ، والتمهدين
والصناعة ، والتجارة ، والمال ،
والاقتصاد .. الى غير ذلك من
أمور الحياة .. واحتوت باقى
الآيات على الأصول والأحكام في
المعاملات ، وعلاقات الأمم
والشعوب ، في السلم والحرب ،
وفي سيلة الحكم واقامة العدل ،
والعدالة الاجتماعية .. وكل ما
يتصل ببناء المجتمع ..

وهذا كله بخلاف المباديات،
والعقائد ، والتكاليف ، والقصص ،
والمواعظ والأمثال ، وغير ذلك من
شئى أمور الدين والدنيا .. مما كان
محلا للدراسة والاستنتاج ،
والتحريج ، والتأصيل ، والبحث ،
والتنقيب .. وكان أساسا لعلوم
الفقه ، والتفسير ، والحديث
والأصول والأخلاق ، والبلاغة ،
والنحو ، والأدب .. ذلك أن القرآن
من العمق ، والاتساع ، والعموم ،
والشمول .. بما يقبل تفهم البشر

وتخبطت الاحكام ، ولم يعرف الخلفاء مذاهب السلف . وكان معظم الخلل الداخل على الناس في دينهم وحياتهم ، وانما يعترريهم من النسيان الذي يمحو صور العلم من قلوبهم فجعل لهم الكتاب وعاء حافظا من الضياع . كالأوعية التي تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطان . فنعمة الله عز وجل بتعليم القلم بعد القرآن من أجل النعم . والتعليم به كذلك » (١) . وقال تعالى في سورة القلم : « ن والقلم وما يسطرون » قاله يقسم بالقلم والكتب ، فتعالى باب التعليم بهما ، ولا يقسم الله الا بالأمر العظام . فاذا اقسم بالشمس والقمر ، والليل والفجر ، فانما ذلك لعظمة الخلق ، وجمال الصنع ، واذا اقسم بالقلم والكتب ، فانما ذاك ليعلم العلم والعرفان وبه تنهض النفوس ، وترقى شئوننا الاجتماعية والعمرانية (٢) . وما أروع لفظ (وما يسطرون)

صلى الله عليه وسلم ، من وحى السماء ، عندما كان يتحنث في غار حراء ، خمس آيات من القرآن الكريم ، هي قوله تعالى في سورة العلق : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

ففي هذه الآيات الخمس ، بدأ الوحي الإلهي بالقراءة في أول آية ، وكان ذلك بصيغة فعل الأمر . وقد تكرر الأمر بالقراءة في الآية الثالثة . وأوضحها مؤكدا ما رمى إليه من معنى . وهو التعليم بوزاد التأكيد بذكر القلم .

« والتعليم بالقلم من أعظم نعم الله على عباده . اذ به تخلص العلوم ، وثبتت الحقوق ، وتعلم الوصايا ، وتحفظ الشهادات ، ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس . وبذا تقيّد أخبار الماضين للباقيين اللاحقين . ولولا الكتابة لانتقضت أخبار بعض الأزمنة عن بعض بؤدرست السفن

(١) انظر : تفسير القاسمي ج ١٧ ص ٦٢٠٩ .

(٢) راجع تفسير الشيخ المراغي ج ٢٩ ص ٢٧ .

وكل ما يعود عليهم وعلى
الامة الاسلامية ، والمجتمعات
الانسانية بالخير والرقى .. قاله
تعالى في سورة التوبة : « وما كان
المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من
كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في
الدين ولينفروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون » .

فهذه الآية الكريمة تشير الى أن
تعلم العلم أمر واجب على الأمة
جميعا وجوبا لا يقل عن وجوب
الجهاد والدفاع عن العقيدة والوطن
الاسلامى . فان الوطن يحتاج الى
من يناضل عنه بالسيف ، والى من
يناضل عنه بالحجة والبرهان ..

وفي الآية — كما جاء في تفسير
المراعى — اشارة الى وجوب التفقه
في الدين والاستعداد لتعليمه في
مواطن الاقامة ، وتفقيه الناس فيه
بالمقدار الذى تصلح به حالهم .
فلا يجهلون الأحكام الدينية العامة
التي يجب على كل مؤمن أن يتعرفها
والناصبون أنفسهم لهذا التفقه .
على هذا القصد ، لهم عند الله من

حيث يشمل كل فنون الكتابة
والتعبير عما في الضمير بالرسم
والتصوير ، ويشمل كل آلة أو نظام
استحدث للتوصل الى ذلك من آلات
ومعدات حدثت أو ستحدث (١) .
فانسانية الانسان لا تكمل الا في
ظل المعرفة الصادقة ، والعلم البناء
المثمر الذى يوضح المعالم ، ويهdy
الى الرشاد . قال على رضى الله
عنه :

ما الفخر الا لأهل العلم انهم
على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم اعداء
فغز بعلم تعش حيا به ابدا
الناس موتى وأهل العلم احياء
والاسلام يحض المسلمين على
طلب العلم ، والتفقه في الدين ،
والبحث الدقيق في كل مجالاته
وفنونه وفروعه . وأن يتحملوا
المشاق في سبيل تعلمه وتحصيله
وأن يبذلوا كل طاقاتهم في طلب
المزيد منه . وأن يتعلموا كل ما ينفعهم
في دينهم ودنياهم ،

(١) كتاب التفسير الواضح للشيخ حجازي ج ٢٩ ص ١٢ .

آية من كتاب الله خير لك من أن
تصلي مائة ركعة لأن تغدو فتعلم
باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به
خير لك من أن تصلي ألف ركعة) •
وروى الترمذى عن أنس قال :
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : (من خرج في طلب العلم
فهو في سبيل الله حتى يرجع) •
وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه
قال : (تعلموا العلم • فان تعلمه لله
خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته
تسبيح ، والبحث عنه جهاد وتعليمه
لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لاهله
قربة • لانه معالم الصالح
والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة ،
وهو الانيس في الوحشة ،
والصاحب في الغربة ، والمحدث في
الخلوة والدليل على السراء
والضراء ، والسلاح على الاعداء ،
والزينة عند الاخلاء) • •
وانطلاقاً من تعاليم الاسلام ،
ودعوته الى العلم • ادرك المسلمون
مبلغ الحاجة اليه في بناء المجتمع
ودعم مراكز الأمة • لهذا وجهوا

أسمى المراتب ما لا يقل في الدرجة
عن المجاهد بالمال والنفوس ، في
سبيل اعلاء كلمة الله ، والذود عن
الدين والملة • بل هم أفضل منهم
في غير الحال التي يكون فيها الدفاع
واجباً عينياً على كل شخص (١) •
وروى البخارى ومسلم وابن
ماجة ، عن معاوية رضى الله عنه ،
قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « من يرد الله به خيراً
يفقهه في الدين » •

وروى أحمد والطبرانى عن
صفوان بن عسال المرادى • قال :
أتيت النبی صلى الله عليه وسلم ،
وهو في المسجد متكئ على برد له
أحمر • فقلت له يا رسول الله انى
جئت اطلب العلم • فقال : (مرحباً
بطالب العلم • ان طالب العلم تحفه
الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم
بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من
حبهم لما يطب) • وروى ابن ملجه
عن أبى ذر رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : (يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم

(١) تفسير المرافى ج ١١ ص ٤٨ •

الأول الذي بدأوا فيه بمزاولة (•
وتقول الكاتبة الألمانية الدكتورة
سجريد هونكه في كتابها المسمى
(شمس الله تشرق على الغرب) :
ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التي
نهض بها أبناء الصحراء من المم
من أعجب الهضات العلمية الحقيقية
في تاريخ العقل البشري • فسيادة
أبناء الصحراء التي فرضوها على
الشعوب ذات الثقافات القديمة ،
وحيدة في نوعها • وان الانسان
ليقف حائرا أمام هذه الهجرة
العقلية الجبارة التي يحار الانسان
في تحليلها وتكييفها » •

وقد قام العلماء والمفكرون
المسلمون بهذه النهضة العلمية التي
تخطت مراحل النهوض في الامم •
قاموا بها على رغم الاحداث
النامية التي حملوا اعباءها ،
والحروب الطاحنة التي خاضوا
غمارها • لأن الاحداث والحروب
وان بلغت من العنف ما بلغت
لا تستطيع ان تثقف في طريق
العقيدة الصحيحة التي اطوت
عليها القلوب ، وتفاعلت بها النفوس
• • ولا ان تمنع العزائم القوية من

المزائم الى طلب العلوم على
اختلاف انواعها • ولم يشغلهم عن
طلبها ترف الحضارة • ولم تثن
عزائمهم عنها بأساء الحياة
وضراوتها ، وبحثوا عنها في آيات
الله التشريعية ، وآيات الله
الكونية ، وأقاموا لها في كل مدينة
منارا عاليا ، وحملوا المشاغل المضيفة
الى مشارق الأرض ومغاربها • •
ولم يقف المسلمون بجهودهم عند
نتاج عقولهم وأفهامهم •

بل اتجهوا ايضا الى علوم
السابقين ، يدرسون ويبحثون ،
فسـتخرجوا العلوم من زوايا
الاهمال والنسيان • وكانوا يطلبون
العلوم طلب الناقد البصير • واكمل
لهم من ملكة العلوم والفنون في
جيل واحد ملهم يكتمل لأمة
من الأمم الناهضة في عدة
أجيال وفي ذلك يقول بعض العلماء
المؤرخين : (ان ملكة الفنون لم يتم
تكوينها في أمة من الأمم الناهضة
الا في ثلاثة أجيال : جيل التقليد ،
وجيل الخضمة ، وجيل الاستقلال
والاجتهاد • الا العرب وحدهم فقد
استكملت لهم ملكة الفنون في الجيل

الوصول الى تحقيق أغراضها في عماء الجهل وظلمته ويدونونها وأهدافها .

والاستطاع المسلمون في سرعتهم يعهد لها مثل في تاريخ الحضارة .
أن ينتقلوا من أمة الامية الى أمة العلم ، والقيادة الفكرية ، وأن يصبحوا قادة للفكر ، وروادا - للمعرفة والعلوم والفنون .
يدرسونها للأجيال المعاصرة كأحسن ما يكون التدريس والتطعيم ، وينشرونها في شعوب كانت تائهة

التدوين والتأليف .
وان الأمة التي اكرمها الله بالقرآن ، تتطلع الى غد مشرق بالعلم والحضارة ، وخير للأمة أن تعمل في حزم وعزم ، لتحقيق الأمجاد وتسعد الأفراد والجماعات .

أحمد عبد الرحيم السايح



الطب الإسلامي

دكتور عائ محمد مطاوع

— عليكم بالشفاهين : العسل
والقرآن •

— داووا مرضاكم بالصدقة •

— ماء زمزم لما شرب له •

— وأخيرا وليس آخرا : شفاء
أمتي في ثلاث : شربة عسل • •

شرطة محجم

والكي

وما أحب أن أكتوى

ولو أسعنا النظر في الحديث
الأخير لوجدنا فيه برنامجا شاملا
لعلاج جميع الأمراض • قشرية
العسل وحدها أو بإضافة بعض
العقاقير الأخرى شفاء لكثير من
الأمراض • والحجامة والتشريط
علاج لمجموعة أخرى والكي بنوعيه:
الكي الطبي والكي الجراحي هو

أرسل الله رسوله محمدا صلى
الله عليه وسلم الى الناس كافة
ونزل عليه الكتاب الذي لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه •
وجعل هذا الكتاب شاملا لأمر الدين
والدنيا « ما فرطنا في الكتاب من
شيء » وقال سبحانه وتعالى في هذا
الكتاب عن النحل « يخرج من بطونها
شرابا مختفيا ألوانه فيه شفاء
للناس » وقال : وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين الا تبارا » •

وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي أنزل عليه الكتاب
تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة •
والذي لا ينطق عن الهوى :

— تداووا عباد الله فان الذي
أنزل الداء أنزل الدواء •

الدين الحنيف الذي تكفل الله جل جلاله باظهاره على الدين كله ولو كره المشركون : « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كرهه المشركون » .

لقد بدأ الناس ينتبهون الى حقيقة كانت تخفى على الكثير وهي أن الأدوية المصنعة التي يتعاملونها لها آثار سيئة فهي تعالج شيئاً وتحدث أضراراً في أجزاء أخرى من الجسم ولذلك يعطى المريض دواء للمرض ويعطى أدوية أخرى في نفس الوقت لمعالجة الآثار الجانبية لهذا الدواء .

ان هذه الحالة غير معروفة في العلاج بالعسل أو بالأعشاب الطبيعية أو بالحجامة أو بالكي فليس لها آثار جانبية سيئة كما للأدوية المصنعة .

وهناك حيزة أخرى في وسائل العلاج النبوي وهي سرعة الاستجابة ورخص العلاج . فمن المعروف عند من يمارسون العلاج بالكي أن الالتهاب الرئوي يعالج بالكي على الظهر بين الإضلاع وأن

آخر العلاج لقوله صلى الله عليه وسلم « آخر العلاج الكي » . والجراحة نوع من الكي ونحن لانلجأ اليه الا عند ما يفشل العلاج الطبى بالوسائل الأخرى .

وفي كتاب الله العزيز قوله تعالى « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ، وقوله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم إنه الحق » .

ومن هذا المنطلق . وهو دراسة نفس الانسان وجسده وأمراضه وعلاجه سيرتنا المولى عز وجل من آياته ما يبين للناس طريق الحق أى أن الطب سبيل من سبل الدعوة الى الله . وأن الطب النبوي وهو الطب الاسلامى القائم على احاديث وتعاليم النبى صلى الله عليه وسلم سيكون وسيلة من وسائل الدعوة الى الله تعالى .

ولو انتبه المسلمون الى هذه الحقيقة . وبدأوا في دراسة هذه الاسس العلاجية التي أشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم لوجدوا فيها من الآيات ما يجذب الكثير من غير المسلمين الى هذا

القيء والاسهال والمغص يسبج
بالكى على الكعبين والعجيب أن
نتيجة العلاج تظهر في بضع دقائق
وبدون أعراض جانبية بصورة
لا نعرفها في أى علاج من الأدوية
المصنعة .

ان الأبحاث أثبتت أن العسل
مادة تمنعها النحل لتمنع حبوب
الملقح من النمو في العسل . وهذه
المادة توقف نشاط الخلايا السرطانية
كما أن النحالة الذين يمارسون
هذه المهنة فوق خمس سنوات
لا يصابون بالسرطان ان الأمر

يحتاج الى دراسة وأبحاث وتجارب
أرى أن أولى الناس بالقيام بها
هم القائمون بأمر طب الأزهر وأن
جامعة الأزهر يجب أن تهتم لهم
كل أسباب العمل في هذا السبيل
وعلى القادرين من اخواننا المسلمين
في بلاد البترول أن يرصدوا من
الأموال ما يكفى العاملين في هذا
الحقل من أداء هذا الواجب المقدس
ابتغاء مرضاة الله وطمعا فيما عند
الله . والله عنده حسن الثواب .

١ . د . على محمد مطاوع



أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه شيخ أمير على مصر

لقد أرسل الله تعالى إلينا
أشرف الوري ، سيدنا ومولانا
محمدا ، صلوات الله وسلامه
عليه ، بالهدى ودين الحق ، بشيرا
ونذيرا ، وداعيا إلى الله بأدبه
وسراجا منيرا ، فقام في مكة
وحيدا فريدا يدعو إلى العلى
القدير ، وآمن به رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه ، واعترض
طريقه آخرون فعدوا له
ولاصحابه كل مرصد ، وطهر الله
عز وجل أفئدة المؤمنين الأولين ،
وملأها تقوى ونورا فأدوا فرائض
ربهم وأطاعوه في سرهم وعلنهم ،
وسارعوا إلى الخيرات ، وتواصوا
بالحق وتواصوا بالصبر .

وكان من المألوف أن يعيشوا
كآبائهم وأجدادهم ، دون أن تسجل
أسمائهم في عداد المصلحين ، ولكن
الاسلام الحكيم بالقرآن العظيم
والأسوة الحسنة بإمام الهدى عليه
أفضل الصلوات وأتم التسليم ،
جعلت منهم الحكم العادلين ،
والقواد المنصورين ، الذين أدركوا
أنهم لم يخلقوا عبثا ، ولم يتركوا
في هذه الحياة سدى ، ولكنهم
مسئولون أمام مولاهم عن كل ما
قدموا في دنياهم . فعملوا بالحق
ليوم عظيم لا يقضى فيه الا بالحق ،
وأرھفت حواسهم فلم يكن شيء
أحب إليهم من الإصلاح ، ولا
أبغض لديهم من الافساد .

ولحق الرسول الكريم بلرفيق
الاعلى ، وقام بأمر المسلمين من
بعده أبو بكر الصديق ، فكان
متبعا ولم يكن مبتدعا لأنه صاحب

بما من عن الناس والرقباء ؟ فقالت
البنت : اذا كان أمير المؤمنين
لا يرانا يا أماء فرب أمير المؤمنين
يرانا ، ولا يخفى عليه شيء في
الأرض ولا في السماء .

وانشرح صدر أمير المؤمنين لهذه
الاجابة الصادرة من البنت ، التي
تقوم على الايمان واليقين
ومراقبة الله عز وجل في السر
والعلن ، وتمنى في قرارة نفسه
أن تكون هذه الفتاة النقية النقية
زوجة لابنه عاصم ، وتحقق ما دار
بنفسه ، ووضعت ليلى ونمت مع
الأيام ، وودع أمير المؤمنين الحياة
وباع الناس عثمان بالخلافة ،
فاستعان بمروان بن الحكم ، حتى
أمسى ساعده الأيمن ، وكان له
ولدان عبد الملك وعبد العزيز ،
ونشأ كل منهما بمدينة الرسول ،
يؤم المسجد النبوي ويستمع الى
كبار الصحابة ، وانتهت خلافة
عثمان وتلتها خلافة علي بن أبي
طالب ، ونازعه معاوية بالشام ،
وتم له الامر أخيرا ، وانتقلت
رؤيا أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب مع الأجيال ، وتمنى

المصطفى في الغار ، ورفيقه في
الأسفار ، وأمينه على الاسرار ،
وتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب
رضوان الله عليه ، وعدل فآمن ،
وراقب الله في الامة ، ورأى ذات
يوم رؤيا أضاعت لها جوانب نفسه ،
بأنه سيأتى من ولده رجل أشج ،
يلبى أمر الناس فيملا الأرض عدلا ،
وقص رؤياه على المقربين اليه ،
فذاغت هنا وهناك .

ولقد قدر أمير المؤمنين عظم
مسئوليته عن رعيته أمام الله
الواحد القهار ، فكان يتعمس
ويطوف ليلا بشوارع المدينة
المنورة ليتفقد أحوال الناس ،
واستمر في ذلك ليلة مع قائد جنده
حتى كاد يتبين الخيط الأبيض من
الخيط الاسود من الفجر ، وبينما
هو يتأهب للذهاب الى المسجد
النبوي الشريف ليصلى بالناس
سمع حوارا بين أم وبنتها ، قالت
الام لابنتها : قومي يا بنيتي واخرجي
اللبن واخليه بالماء ، فأجابتهما
البنت : وكيف أفعل ذلك وقد نهى
عنه أمير المؤمنين ؟ فقالت الام :
وما يدرى أمير المؤمنين بنا ونحن

ولقد كان بقصر عبد العزيز بالشام اصطبل يضم الكثير من الخيول العربية وكان عمر ابنه مولما بها ، يركبها ويمسح عليها ، وعلى حين غفلة من المشرفين على هذه الخيول ، ومع عمر فرس فشجه ، وطار الخبر الى أبيه فأسرع نحوه ، ومن خلفه رجال القصر ، وأبصر الدم يسيل من وجه ابنه فمسحه عنه ، وتذكر رؤيا جد زوجته ، وصم عمر الى صدره في حنان وقال له : ان كنت أشج بني مروان أنك اذن لسعيد . وبرئ عمر من شجته وأدرك مقتبل العمر وريعان الشباب ، وعكف على تلاوة التنزيل الحكيم ، وأحاديث الهادي البشير النذير ، والالمام بتاريخ جد والدته عمر ، والعوامل التي رفعت الى هذه المنزلة ، التي لا يرقى اليها حاكم . ومات جده مروان وقام بأمر المسلمين من بعده ابنه عبد الملك وعادت مصر الى الامويين بعد حروب طاحنة ، ورغب عبد الملك الى أخيه عبد العزيز أن يتولى أمارتها مشرع في التأهب للسفر اليها ، وتقدم عمر بن عبد العزيز من أبيه

عبد العزيز بن مروان أن تتحقق له ، فيقترن نجمه بليلى حفيدة عمر وبنت عاصم ابنه ، وبلغ سن الزواج وغاث أباء مروان بن الحكم في ذلك فاستولى الخوف على نفسه وعلى نفوس من علموا بهذا النبأ من الامويين ، وتذكروا شدة عمر وعدله ، وأدركوا أن العرق دساس ، فربما تأتي ليلي برجل يرث صفات جد أمه ، ويحول بينهم وبين ما ألفوه من ترف ونعيم وورثة للملك واحكم ، وحاولوا جاهدين أن يثثوا عبد العزيز عن رغبته ، ولكن دون جدوى .

وتزوج من ليلي وصحبها الى الشام ، وعاشا فيها عيشة راضية ، ومات معاوية بعد أن أخذ البيعة لابنه يزيد ، ولم تمض مدة طويلة ، حتى وضعت ليلي غلاما ، سربه أبوه سرورا عظيما ، وبلغ من إعجابه بجد زوجته أن سماه باسمه وتمنى أن تتحقق فيه رؤيا الفاروق نضر الله تعالى تاريخه ، ومات يزيد وبويع مروان بن الحكم ، فولى أمر المسلمين ، ورغب اليهم أن يبايعوا بعده ابنه عبد الملك وعبد العزيز ،

يرجوه في أن يسمح له بالذهاب إلى المدينة المنورة ليأخذ عن علمائها ، وحقق أبوه رجاءه وغادرت الشام قافلتان : قافلة عبيد العزيز بن مروان وزوجه والحاشية متجهة إلى مصر ، وقافلة عمر بن عبد العزيز تأخذ طريقها إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويحيط بها الخدم والحشم ، وما أن لاحت المدينة لعمر حتى امتلأ قلبه رهبة ، وراح يستعد لدخولها ، ولبس أجمل ثيابه ، ودخل المسجد النبوي خاشعاً خاضعاً وحياً بركعتين بين المنبر والروضة الشريفة ، ثم نهض من فوره ووقف أمام الرسول الأعظم ، صلى الله عليه وسلم في أدب ، مستحضراً عظمته وقال :

السلام عليك يا رسول الله ، والسلام عليك يا خاتم النبيين والمرسلين ، ورحمة الله تعالى للعالمين ، والشفيع يوم الزحام في المذنبين ، وجزاك الله عن الاسلام والمسلمين خير ما جزى نبيا عن أمته . ثم رجع إلى الورا حتى كان تجاه الصديق ، وقال :

السلام عليك يا صديق رسول الله ، وناصر الاسلام ، وواصل الأرحام ، ومقاتل لأهل الردة والبدع ، ولقد خلفته أحسن خلف ، وسلكت طريقه ومنهاجه خير مسلك ، وقمت بأمر الرعية من بعده أعظم قيام حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله أفضل ما جزى اماما عن أمته نبيه . ثم تحول حتى حاذى عمر ابن الخطاب جد والدته ، وقال :

السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ومظهر الاسلام ، ومحطم الأصنام ، وكافل الايتام بورافع لواء العدالة بين الانام ، ولقد كنت للمسلمين اماما مرضيا ، وهاديا مهديا جمعت شملهم ، وأغنيت فقيرهم بوجبرت خواطرهم ، فرضى الله تعالى عن استخلفك ، وجزاك عن الاسلام والمسلمين أفضل الجزاء ، وما أن استقر المقام بعمر بن عبد العزيز في المدينة ، حتى قصد صالح بن كيسان ، الذي أسند اليه أبوه عبد العزيز بن مروان أمر تعليمه وتنقيفه ، وقضى عمر معه معظم وقته ، واشتد اعجاب صالح بذكاء عمر وفطنته ، وصلاحه وتقواه ،

وعبده من موله ، وان كان لا يزال
غض الالهة . وفي يوم تأخر عن
شهود الجماعة أول وقتها بالمسجد
النبوي ، ولما حضر بדרه صالح
معصبا : ما شعلك ؟ فقال كانت
جاريتي تمشط شعري ، فتأسف
ابن كيسان أكثر وقال : قدمت ذلك
على الصلاة ، وكتب رسالة الى أبيه
عبد العزيز بن مروان بطولان ،
يخبره فيها بما كن من ابنه عمر ،
ولم يمض وقت طويل حتى جاء
عمر كتاب أبيه يرسم له فيه ما يجب
أن يسير عليه بالمدينة ، حتى يكون
خير خلف لخير سلف ، وينهض
بالأمر اذا وسد اليه على أروع
الوجوه .

ولما أقبل موسم الحج قدم
الحجاج من جميع الجهات على
الاماكن الطاهرة لاداء مناسكهم ،
والتشرف بزيارة خير الوري عليه
الصلاة والسلام ، وكان من بينهم
حجاج مصر يتقدمهم واليوم
عبد العزيز بن مروان وخف ابنه عمر
في لهفة لاستقبال أبيه وأمه ، يتمتع
نظره برؤيتهما ، ويستمتع الى هلو
حديثهما وأبناء مصر وأحسـوال
المسلمين فيها ، ووزع والده الهدايا
على أحيابه ومعارفه ، وسأل صالح
ابن كيسان ، وعبيد الله بن عبد الله

وما أن تلقى عمر كتاب أبيه حتى
بادر بحلق رأسه ، وزادت مكانة
أستذه لديه ، وبلغ من حبه للعلم
ورغبته في أخذه منه بأكر بصيب ،
أنه لم يكتف بأستاذ واحد ، بل راح
يختلف الى عبيد الله بن عبد الله
يسمع منه ، وكان عمر يتحامل في
أحاديثه على الامام على بعض
الشيء كما يفعل الامويون فظهرت
أمارات الغضب على وجه شيخه

سألها : هل ارتكبتما اثماً قط ؟
فأجابا بالنفي ، فكبّر عبد الملك فرحاً
وقال لقد نلتماها ورب الكعبة ،
ووردت الأخبار بعد حين من مصر
بموت عبد العزيز وجلس عبد الملك
يتقبل التمازي فيه ، ثم كتب عهداً
بولاية الحكم من بعده
لابنّه الوليد ، حتى
إذا فارق الوليد الحياة ولى أمر
الناس بعده أخوه سليمان
ابن عبد الملك ، وكتب بذلك إلى
الامصار فبايع الناس .

وحزن عمر بن العزيز لموت أبيه ،
فضمه معه عبد الملك إلى أولاده ،
وأعجب بتقواه وورعه ، واعتقد بأنه
أشج بى مروان الذى سيملا
الأرض عدلاً ، وزوجه من بنته
فاطمة ، وجعله حاكماً على خنصرة
قرب حلب ، ففرح أهلها بولايته ،
لما سمعوا من زهده وعدله . فسار
فيهم سيرة الخلفاء الراشدين ،
وسجل في حكمه من صحائف المجد
والعظمة ما لا تستطيع محوه
الدهور والمصور .

ولقد كان عمر بن عبد العزيز في
أعماله مخلصاً وفي حكم الرعيّة

مؤدبى ولده عنه ، فأنبأه بما شرح
صدره ، وملاً جوانب نفسه سروراً ،
فقد صرحا له بأنهما لم يريا أحداً
يعظم الله عز وجل كهذا العلام .

ورغب عبد الملك بن مروان ، في
أن يجعل للبيعة بعده لابنيه الوليد
وسليمان ، ولكنه خشى الشعب
الذى بايع أخاه عبد العزيز بها
بعده ونهاه المقربون عن ذلك حتى
لا يفتح باب الفتنة ، ولكن هذه
الفكرة ظلت تعاوده الحين بعد
الحين ، فكتب إلى أخيه بمصر : ان
رأيت أن تعيد هذا الأمر لابنى
أخيك فافعل . فلم يوافقـه
عبد العزيز على رأيه ، فأرسل إليه
عبد الملك يطلب منه خراج مصر .
فكتب إليه : يا أمير المؤمنين انى
وايك قد بلغنا سناً ، لم يبلغها أحد
من أهل بيتنا الا كان بقاءه قليلاً ،
وانى لا أدري ولا تدري أينما يأتية
الموت أولاً ، فان رأيت ألا تكسر
على بقية عمرى فافعل .

فنزل عبد الملك على رأى أخيه
وبادر ولديه بقوله : ان يرد الله
تعالى أن يعطينا لكما فلن نستطيع
أحد من العباد ردها عنكما ، ثم

منصفا ، وفي طاعة ربه صادقا ، ولكتابه تاليا ، ولرحمته راجيا ، ومن خشيته شافعا ، ويحميد الخلال متمسكا ، وللأرحام واصلا ، وعلى اليتامى عطوفسا ، وللمعروف باذلا ، وللمحقوق مؤديا ولا غرو في ذلك فقد نشأ نشأ عزيزة كريمة ، قبل أن تنهيا لغيره ، وقضى وقتا طويلا بمصر مع والده ووالدته ، والخدم والحشم بحلول ، ينعم بخيراتهما وطيب هوائها ، ويتمتع بجميل مشاهد البلاد المصرية ، وروائع الحسن والآثار فيها ، وشاعت ارادة العلى القدير ، أن يأخذ علومه من المنابع المذبة الفياضة ، في المدينة المنورة بلد الثقافة الاسلامية العربية حينذاك ، ومقر البقية الباقية ، والنجوم اللوامع من أفاضل الصحابة وكبار التابعين .

وكذلك كان عمه عبد الملك قبل خلافته واليا على المدينة في حياة

أبيه ، ولم يكن هناك أحد أفقه ولا أقرأ لكتاب الله منه ، وكان الفقهاء يومئذ بالمدينة أربعة : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة ابن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان ، ولم تنقض سنة على وفاة أخيه عبد العزيز ، حتى كان عبد الملك على فراش الموت يوصي ابنه الوليد بالتقوى ، والعمل على جمع الكلمة ، وصلة الأرحام ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، ودعوة الناس بعد موت أبيه الى مبايعته ، وودع الخليفة الحياة وما أن عاد المؤمنين من دفنه ، حتى سعد ابنه الوليد منبر المسجد الاعظم بدمشق فحمد الله وأثنى عليه وقال : انا لله وانا اليه راجعون ، والله المستعان على مصيبتنا في أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا به من الخلافة ، فوموا فبايعوا . فصدع الناس بالامر وأعطوه بيعتهم .

أحمد على منصور

الأمن ومقاومة الجاسوسية والتخريب في ضوء الإسلام

عبد محمد جمال الدين محفوظ

ويقول مـدير المقلب بوب جونسون: أن السوفيت لا يترددون في القاء قمامتهم هنا ، ولكن إدارة التحقيقات الفيدرالية تجسد في القمامة شيئا جديدا ، وهي تعلم الكتم مما يلقيه الروس من قمامة ، ويقول جونسون : انه لاحظ ان المخابرات تتعلم من ايضا لات المطاعم أين كان السوفيت ياكلون ومن كان معهم ، ومن تذاكر مخالفات المرور يطعمون أين تقف سياراتهم ثم يبحثون لما وقف في هذا المكان او ذاك .

ويقول جونسون : انه حدث مرة أن تقابل الغرب مع الشرق عندما وصل رجال إدارة التحقيقات الفيدرالية مبكرين الى المقلب وكان السوري الروسي مازال يلقي

كل عدة شهور يقف لورى أبيض اللون يقوده روسيان أمام مقلب للقمامة في احدى ضواحي واشنطن ، ويتخلص اللورى من قدر كبير من القمامة ثم يمضى في طريقه .

وقبل أن يهدأ القراب المثار ، تتصل احدى الماملات بإدارة التحقيقات الفيدرالية وتبلغها هذه الرسالة : جاء الروس مرة أخرى . وفي دقائق يصل الى نفس المكان فريق من خبراء القمامة للبحث عن شيء في كوم القمامة الذي تحلص منه الروس . ويقول العاملون في هذا المقلب ان ما وجدته رجال المخابرات فيه حتى الآن لا يتمدى ايضا لات من مطاعم وتذاكر غرامات مرور .

المهمات التي تتخلص منها السفارة
السوفيتية ») •

أرايت الى أى حد يبلغ اهتمام
الدول بالحصول على المعلومات عن
غيرها من الدول ، وكيف أن
« القمامة » تجد من يفتش فيها
بحثا عن خيط من المعلومات مهما
كان تافها ؟ ! وكيف أن الحرص
على صيانة الأسرار يصل الى حد
محو الكتابة بالمعالجة الكيميائية
للأوراق ثم تمزيقها بواسطة آلات
تحليل الورقة الى خيوط رفيعة
يستحيل الحصول منها على شيء من
المعلومات ؟ !

صيانة أسرار الدولة

والواقع أن كل دولة تعنى غاية
العناية بالحفاظ على أسرارها ،
وتعمل في نفس الوقت على مقاومة
كل محاولة للوصول الى تلك
الأسرار •

وتحرص كل دولة على أن تجعل
من الصعب على الدول الأخرى
وخاصة الدول المعادية لها ،
الحصول على معلومات عنها ، أو
القيام بمحاولات تهديد منشأتها

بالقمامة ، ونظر كل من الفريقين الى
الآخر ، وفي المرة التالية غير
الأمريكيون لون سيارتهم •

وأصبحت المخابرات المركزية
التي يبعد مقرها ١٥ ميلا عن المقلب
عميلا له بعد أن قررت القوانين عدم
احراق القمامة تجنبا للمزيد من
التلوث ، فاضطرت المخابرات الى
النقاء قمامتها في النهاية في المقلب
غير أن قمامة وكالة المخابرات
ليست كغيرها من القمامات :
فالأوراق تمزق أو تمزج بالمواد
الكيميائية فتحمى الكتلية من عليها
ثم توضع في صناديق قبل أن تلقى
في المقلب • ورغم ذلك فإن
المخابرات المركزية توفد أحد رجالها
بعد التخلص من القمامة لترى أن
كان أحد يبحث بها •

ونفس الشيء تفعله وزارة
الدفاع الأمريكية ، غير أن هؤلاء
ينتظرون حتى يتأكدوا من أن
« البولدوزر » قد سحق مخلفاتهم
نظاما (عن جريدة الأهرام
١٩٧٩/٩/٥ عن واشنطن بوست
تحت عنوان « سيارة المخابرات
الأمريكية تستولى يوميا على

فأصبح لدى كل دولة — وبخاصة الدول المتقدمة — جهاز للمخابرات يناط به خدمة أمنها القومي ويعنى هذا الجهاز بالحصول على جميع أنواع المعلومات التى تمكن الدولة من وضع سياستها المختلفة ، ومن توجيه ألوان العمل المختلفة ضد الدولة أو الدول المعادية لها .

والمخابرات لا تقصر نشاطها — كما قد يتبادر الى الأذهان — على الحصول على المعلومات العسكرية فحسب ، بل انها تهتم بالحصول على كافة أنواع المعلومات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية والجغرافية والطبوغرافية وحتى المعلومات الخاصة بالمواصلات والنقل .

وسائل الحصول على المعلومات :
وتحصل المخابرات على المعلومات بطريقتين : احدهما علنية والاخرى سرية : —

١ — فالطريقة العلنية تعتمد على المصادر العلنية للدول الاخرى ومن ذلك ما تصدره من مطبوعات رسمية وما تذيعه اذاعاتها وما يصرح به ساستها فى خطبهم أو

وأهدافها الحيوية ، أو التأثير على معنويات شعبها أو التشكيك فى مبادئها وقيمها . وهى فى سبيل ذلك تضع كل قسوداتها المادية والعلمية لمواجهة هذه المحاولات.. . يقول « فرانز موند رينتلين » رئيس الجواسيس الالمان فى الولايات المتحدة الامريكية خلال الحرب العالمية الاولى :

« ان لكل دولة الحق فى أسرارها الخاصة ، وهى — فى الوقت نفسه — ملتزمة بالمحافظة عليها .. ولكن هذا المعنى نفسه ، يعطى كل دولة الحق فى أن تكشف أسرار الدول الاخرى » .

من أجل ذلك : نرى كل دولة تهتم بمعرفة جميع أنواع المعلومات صغيرها وكبيرها المتعلقة بجميع الدول . وفى المقام الأول الدول التى تتخذ منها موقف العداء ، وتلك التى ينتظر أن تكون فى وقت ما طرف نزاع مباشر معها .

دور أجهزة المخابرات :
ولقد تأثر الى حد كبير شكل العلاقات الدولية بالتقدم العلمى والتكنولوجى فى مختلف مجالات الحياة ومع تطور أحداث التاريخ،

على المعلومات - القيام بأعمال التخريب المادى والتخريب المضى (أى ما يعرف بالحرب النفسية أو الحرب السياسية) أو القيام بمعطيات محددة ذات أثر مباشر كالتآمر لقلب نظام الحكم فى دولة ما ٠٠ وفى بعض الدول تتولى هذه الاعمال أجهزة أخرى غير المخابرات ، غير أنه فى كلا الحالتين يتم الافادة من المعلومات التى حصلت عليها المخابرات عند التخطيط لتلك الاعمال ٠

ويطلق على هذه الجهود التى تقوم بها إدارات المخابرات ضد الدول الأخرى اصطلاح « المخابرات الإيجابية » ٠

المخابرات الوقائية :

ولكى تواجه الدولة عظمات المخابرات الأجنبية المعادية لها ، فإن عليها أن تتخذ من التدابير والإجراءات والعمليات ما يكفل لها ضمان التحفظ على أسرارها ويمنع وقوع ما يمكن أن يلحق بها الضرر أو يؤثر على سلامتها وأمنها . وهذه التدابير يعبر عنها « بالمخابرات الوقائية » أو

لقد اتهم ، ويتم بعد ذلك تحليل وتقييم هذه المعلومات لاستخلاص الحقائق التى يراد معرفتها ٠

٢ - أما الطريقة السرية المستترة للحصول على المعلومات فتقوم أساسا على نشاط الجواسيس وعنى أساليب الجاسوسية التى تبدأ من « التصنت » على حديث يدور أثناء حفل خاص بواسطة أحد العملاء وتصل الى حد استخدام أحدث الأساليب العلمية والتقنية كأقمار التجسس الفضائية ٠

ويؤكد خبراء المخابرات أن المعلومات التى تحصل عليها المخابرات بالطرق السرية تمثل أقل من عشرين بالمائة من مجموع ما تحصل عليه ، ومع ذلك فهم لا يأخذون ما يصلهم بالطرق العلنية قضية مسلمة ، بل يعملون على التأكد من صحتها والتحقق من أسباب نشرها وهنا قد يعودون الى أساليب الجاسوسية !
أعمال التخريب والتآمر :

ومن أنواع النشاط الذى تقوم به أجهزة المخابرات فى كثير من الدول - بالإضافة الى الحصول

« اختراق » الخط الدفاعي الأول من تحقيق فرضهم وذلك بالقبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة قبل أن يتمكنوا — كلما كان ذلك ممكنا — من نقل أى جزء من المعلومات عن الدولة أو تنفيذ مخططهم التخريبي •

ويطلق على اجراءات حماية أسرار الدولة وحماية منشئاتها (الامن الوقائي) ويطلق على اجراءات منع اختراق سياج الأمن الوقائي (مقاومة الجاسوسية) (١) ويقول خبير الجاسوسية لاديبلاس فاراجو :

«ان نجاح الجاسوس أو المخرب لا يرجع الى نقص أو ضعف في نظام مقاومة التجسس ، بقدر ما يرجع الى النقص في تدابير الأمن الوقائية » •

مفاهيم خاطئة عن الجاسوسية : وهناك تصور خاطئ هـول الجاسوسية هو أن دورها في الشؤون الدولية ينحصر في المجال

« المخابرات المضادة » أو « المخابرات السلبية » ويعرّفها الخبراء بأنها هي « الجهد الذى يرمى الى حماية الأسرار الخاصة بالدولة ، ومقاومة من يحاول الوصول اليها » ، أى أنها هي العمل الدفاعي للمخابرات •

فالمخابرات الوقائية بمعنى آخر تعنى أمرين : —

الأول : حماية أسرار الدولة •

والثاني مقاومة من يحاولون الوصول الى هذه الأسرار •

وانطلاقا من هذا المفهوم ، واستنادا الى الوسائل التى تستخدمها المخابرات فى جمع المعلومات ، فإن كل دولة واعية تحرم على أن تقيم « خطا دفاعيا » يتمثل فى التدابير والاجراءات التى تستهدف حماية أسرارها ومنشئاتها الحيوية ، ثم تقيم خطا آخر ايجابيا يستهدف مع أولئك الذين يحاولون

كما تعتمد أجهزة المخابرات الأجنبية عند تجنيد أحد الجواسيس للعمل لحسابها على استغلال نقاط الضعف فيه . ومن ذلك : عدم قناعته بالدخل المشروع ورغبته في الثراء ، وفقدان الوازع الديني أو الوطني ، والشذوذ الجنسي والميل الى الجنس الآخر ، والاستهتار بالقيم الاخلاقية وادمان الخمر والميسر الى غير ذلك . . . أما مكان الاختبار أو التجنيد فقد يكون داخل البلاد أو خارجها ، وقد يكون الجاسوس من مواطني الدولة التي يعمل ضدها أو من رعايا دولة أخرى ويقوم في البلاد أو قد يكون غير مقيم بها لكنه يدخلها بطريقة ما لمزاولة التجسس .

أسلوبه في العمل :

ويقوم الجاسوس بالحصول على المعلومات عن طريق الملاحظة والمشاهدة والاستماع وقد يكون ذلك أثناء وجوده داخل المكان الذي يحتوي على هذه المعلومات أو قد يكون عن طريق أشخاص آخرين يتقنون به ولا يدركون حقيقة نشاطه ونواياه ، أو عن طريق ما يلتقطه من ثرثرة أولئك الذين يتحدثون بغير حذر أو حرص ، وفي كل هذه

العسكري فحسب ، والواقع أن الجاسوسية تعمل في كل المجالات التي تشكل مصادر قوة الدولة كالمجال الاقتصادي والسياسي والاجتماعي بالإضافة الى العسكري .

ويرجع التصور الخاطئ الى أن نشاط الجاسوسية الذي يستهدف الحصول على الأسرار العسكرية هو النشاط الأكثر خطراً والذي يحظى بالعناية الأكبر لكثيرون ومنه ، والواقع أن الجاسوس الذي يعمل في المجالات الأخرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية لا يقل خطراً عن زميله الذي يعمل في المجال العسكري .

اختيار الجاسوس :

واختيار الجاسوس — الذي هو العنصر الأساسي في عملية التجسس — يتم بكل الحرص والدقة ، فلا بد أن تتوافر فيه وتجتمع لديه من الصفات والخصائص والظروف والعلاقات والصدقات ما يمكنه من أداء مهمته في الحصول على المعلومات .

المدو بالمعلومات بحسن نية دون أن يتبادر الى أذهانهم أنهم بزلّة لسان أو تصرف طائش أو رغبة في الظهور والتفاخر يكونون السبب المباشر في حصول العدو على ما يريد من معلومات وأسرار وبذلك يمرضون أمن أمتهم وسلامتها للخطر .

الاسلام والمخابرات الوقائية :

من أجل ذلك كان جوهر « المخابرات الوقائية » هو كتمان الأسرار وحمايتها وهو ما اصطلح العسكريون على تسميته «بالامن»، وتعتبره المدارس العسكرية في جميع الدول خط الدفاع الاول عن الامة . وقد عنى الاسلام بالامن أشد العناية ، ووضع له المبادئ والأصول والأساليب ، وقد أثبت تاريخ صدر الاسلام أن من أسجل انتصار المسلمين على أعدائهم الكثيرين أن أسرار النبي صلى الله عليه وسلم وأسرار المسلمين كانت مصونة وبعدة عن متناول الأعداء ، في الوقت الذي كان صلوات الله وسلامه عليه ، يطلع

الأحوال لا يقف الجاسوس موقفا سلبيًا ، بل انه يستخدم أسلوبه الماكر في دفع الناس الى اخراج ما في صدورهم من معلومات ، ومن ذلك مثلا أسلوب الاثارة في الحوار أو المناقشة أو تقديم الاسئلة بحيث يدفع الشخص الآخر الى الانطلاق في الحديث ، ومنه أيضا استغلال ميل محدثه الى التفاخر وهب الظهور بمظهر العظيم ببواطن الامور وبذلك يحصل الجاسوس على المعلومات المطلوبة دون جهد أو عناء .

ويعمل الجاسوس بالدرجة الأولى على أن يكتسب ثقة الآخرين دون أن يثير الشك حول حقيقة مهمته أو نواياه حتى يجعلهم يقدمون له ما عندهم من معلومات ، ومن أجل ذلك تعد المعلومات التي تحصل عليها المخابرات عن هذا الطريق ، معلومات ذات قيمة وأهمية عند التخطيط .

وإذا كانت أجهزة الأمن قادرة على ضبط الخونة والجواسيس ، فانها لا تمك شيئا ازاء المواطنين الذين يتطوعون بامداد جواسيس

على نيات أعدائه العدوانية عن طريق عيونه وأرصاده (رجال مخابراته) قبل وقت مبكر فيعمل من جانبه على احباط ما يبيتونه للاسلام من غدر وخيانة أو عدوان . كذلك لم يستطع المشركون واعداء الاسلام أن يباغثوا قوات لواء محمد جمال الدين محفوظ

النبي صلى الله عليه وسلم في الزمان والمكان واسلوب القتال ، بينما استطاع عليه الصلاة والسلام أن يباغث اعداءه في معظم غزواته وسراياه .

دعاء

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم
يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي حزيناً هائماً قلقاً
فارحم بكائي بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفة
فمن يجود على العاصين بالكرم

أول وثيقة عالمية للضمان الاجتماعي قانون الضمان .. تشريع إسلامي أصيل

للمفتي محمد صالح المنجد

ومن أجل ذلك حفظ لنا التاريخ
أروع وثيقة في هذا المجال ويجب
أن يدرسها طلابنا في المعاهد
والجامعات قبل أن يدرسوا وثائق
أخرى .. بما في ذلك القوانين
وحقوق الإنسان .

• و • • الغريب • • أن أول
تطبيق شامل • • وكامل للتأمينات
الاجتماعية • • نفذ في مصر • •
وفي خلافة الامام علي كرم الله
وجهه • • وبعدها • • قلدها دول
العالم • • وما زالت • • ولكن ان
تصل الى ما كان • • الا اذا طبقت
نظام الاسلام • •

• و • • الوثيقة العالمية • • هي
التي ضمنها الامام علي تعاليم
الاسلام فيما يتعلق بالضمان
الاجتماعي • • وهو الأمر الذي لم

مظلة التأمينات الاجتماعية • •
عبارة حديثة معاصرة • • يتحدث
عنها كل حاكم مصلح • • يريد
الخير لشعبه ويبحث عن الأمان
لأمته • •

وهذه الأيام • • يكثر الحديث في
مجتمعاتنا المعاصرة عن قوانين
للتأمينات الاجتماعية • • ويتنافس
الشرق والغرب في « أنواع »
التأمينات الاجتماعية • • ويتباهى
الكل بالجديد فيها • •

ولكن • •

الذي يجب أن يعرفه الشباب ،
هو أن أول من فكر • • وطبق نظم
التأمينات الاجتماعية • • في أسمى
صورها • • وأكمل نظمها • • انما
هو الاسلام • • ومنذ أيام سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم • •

يعرفه العالم .. قبل ظهور الاسلام .

• و .. تقول الوثيقة .. وهي رسالة كتبها الامام على الى واليه في مصر يقول فيها بالحرف الواحد: الله • الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم • والمساكين • والمحتاجين • وأهل البؤس ..

والزمنى « المصابون بعاهة » • فان في هذه الطبقة ثمانا (سائلا) • ومعترا (متعرضا للمطامير بلا سؤال) •

واحفظ الله ما احتفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك ، وقسما من صواقي (غنائم) الاسلام في كل بلد فان للأقصى منهم مثل الذي للادنى •

وكل قد استرعت حقه فلا يشغفك عنهم بطرف فانك لا تعذر بتضييعك التافه ، ولا حطامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم ، ولا تصر خذك لهم ، وتفقد أمور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال • ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الحشوية

والتواضع .. فلترفع اليك أمورهم .. وتعهد أهل اليتيم وذوى الرقة في السن ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه .. وذلك على الولاية ثقيل .. والحق كله ثقيل ..

وفي تصوري أن رسالة الامام المتضمنة أروع نظام للتأمين الاجتماعي .. انما جمع فيما كل ما تعلمه من سيدنا رسول الله .. وما شارك فيه من تطبيقات عملية خلال عهد الخلفاء الثلاثة السابقين له رضى الله عنهم •

— فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرر مبدأ الضمان الاجتماعي كان بدء ذلك عندما جاءت أرملة سيدنا جعفر بن أبى طالب تشكو وتبكي يتم أولادها .. فقال لها عليه الصلاة والسلام (! العيلة تخافين عليهم .. وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ..) ؟

وبذلك كان أول قرار في التاريخ يحقق (تأمينا) من الدولة .. لأهل الشهداء •

— ويعددها جاءت التعاليم المحمدية .. والتي ظهرت أوضح ما ظهرت لكثرة تطبيقاتها أيام

الدولة الإسلامية كما حدث للعجوز اليهودي الذي كان يتسول في المدينة لعدم وجود عائل له .. وعدم قدرته على العمل .. وقال عمر كلمته المشهورة في رسالته إلى خازن بيت المال (انظر هذا وضرياءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخزه عند الهرم .. انما الصدقات للفقراء والمساكين .. وهذا من مساكين أهل الكتاب ..

• و. • • • بقى سؤال • •

هل قرر الاسلام مصدرا لهذا النوع من التأمينات الاجتماعية التي صورها الامام علي .. ونفذها من قبله الخليفة ابن الخطاب .. تنفيذا لأوامر سيدنا رسول الله .. أم .. أن المصدر هو مال الدولة (الميزانية العامة ..) • •

والحقيقة .. أن القرآن الكريم وهو شريع الأمة الخالد .. وهو يعلمنا حتمية تطبيق هذا النظام (التأمينات الاجتماعية) انما يبين لنا مع الأمر التنفيذي .. مصادر تمويل هذا (الباب) • • •

عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. فمثلا .. المعونات الاجتماعية التي يستحقها من مال الدولة الأراامل .. نذكر قرار الخليفة الثاني بعد ما شاهد امرأة تحاول فطم رضيعها، وهو يصرخ ويصيح ، فجادلها الخليفة ، وهي لا تعرف شخصيته عن سبب ذلك فقالت :

أنا أفطمه لأن عمر لا يفرض للرضيع ، فأردت أن أعجل فطامه لأخذ له نصيبه من بيت المال حتى استمن به على فقري •

فانزعج عمر .. وانصرف إلى بيته .. ولم ينم .. فلما صلى الفجر وسلم .. قتل لأصحابه يا بؤسا لعمر .. كم قتل من أولاد المسلمين وقص عليهم الأمر .. ثم أصدر قرارا وأمر مناديا بإعلانه (لا تعجلوا أولادكم من الفطام فانا نفرض لكل مولود في الاسلام) •

— وقرار التأمين الاجتماعي للشيخوخة والمرض .. فرضه الاسلام .. ونفذه ابن الخطاب على نطاق واسع حتى على غير المسلمين الذين يعيشون في كتف

واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفي الرقاب وأقام
الصلاة وآتى الزكاة) •

ثم قال أبو ذر • ألا ترى أن
الله تعالى قد فرق بين أداء الزكاة
واعطاء المال ذوى القربى واليتامى
• و • المهم • هو أن يؤدي
للمسلمين حقوقهم • في ضمان
حياة كريمة لهم • تتفق مع
انتسابهم لأشرف دين •

و • ألم أقل • انه قد آن
الأوان لكل مفكر مسلم أن يقوم
بواجبه نحو دينه • فيكشف لأبناء
أمته معالم هذا الدين ؟ • حتى
يعلموا أن كل النظريات الصديئة
وغيرها • والتي يرون فيها الخير
• سواء علمية أو اجتماعية أو
قانونية • الخ إنما سبق بها
الاسلام كل المفكرين • ليس هذا
نصب • بل ان ما في الاسلام
هو الكمال • ومن غير أدنى ضرر
لأنها من عند خالق الانسان •
ومصدق الله العظيم (ألا يعلم
من خلق وهو اللطيف الخبير) •

صلاح عزام

من (أبواب ميزانية) الدولة
بأسلوبه العصر الحديث •
وذلك عن طريقين •

الأول — الزكاة • ومصارفها
كما حددتها الآية الكريمة (للفقراء
والمساكين ، والعاملين عليها ،
والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب
والغرمين • وفي سبيل الله وابن
السبيل) •

والثاني — بما نسميه الآن •••
المتبرعات طوعية • أو كطلب
الخير من الولاية • وهذا الأمر قد
حسم في مجلس عثمان بن عفان
رضي الله عنه وخلال أيام خلافته
اذ طرح سؤالاً على الحاضرين
بقوله • رأيتم من زكى ماله هل
يبقى فيه حق لغيره ؟

فأجاب كعب الأحبار : لا

فأسكته الصحابي الجليل أبو ذر
• وصرخ فيه كذبت ثم تلا قول
الله تعالى (ليس البر أن تولوا
وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن
البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتب والنبيين وآتى
المال على حبه ذوى القربى ،

حكم و طرائف

اعزاز الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد السلام

« الاستغفار »

تعالى : « ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » لمن اشتكى جذب الأرض ، وقلة ريعها •

جاء رجل الى الحسين بن علي — رضى الله عنهما — واشتكى اليه الفقر ، فقال له :

وقال الرسول الكريم — صلوات الله وسلامه عليه : « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مفرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب » •

استغفر الله ، فجاء آخر واشتكى اليه جذب الأرض ريعها . فقال له : استغفر الله •

ويقول الامام علي — كرم الله وجهه : « العجب لمن يقنط والنجاة معه » ، قيل : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : « الاستغفار » •

فقال رجل : يا ابن بنت رسول الله ، شكاك اليك أناس كثيرون فهلا عندك ، دواء غير الاستغفار ؟

« الرجال ثلاثة »

قال قتادة : الرجال ثلاثة • رجل : وهو العاقل • ونصف رجل : وهو من لا عقل له ، ولكنه يشاور العقلاء •

فقال : أما سمعتم قوله تعالى : « فقلت استغفروا ربكم انه كان غافرا ، يرسل السماء ماء عليكم هدورا » أى لمن اشتكى قلة المطر ، وقوله تعالى « ويمدحكم بأموال وبنين » أى لمن اشتكى الفقر وقلة الولد ، وقوله

على الله ما ليس له ، ولا يرهب
رهبة يلقي فيها بيديه •

ألم تر يا عمر : إنما ذكر الله
أهل النار يأسوا أعمالهم وأمسك
عن حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلت :
اننى أخلف أن أكون من هؤلاء •
وأنه ذكر أهل الجنة بأحسن
أعمالهم ، لأنه تجاوز عما كان لهم
من سيئ ، فإذا ذكرتهم قلت : أين
عملى من أعمالهم ؟ فإذا حفظت
وصيتى ، فلا يكون غائب أحب اليك
من الموت ، وهو آتيك • وإن ضيعت
وصيتى فلا يكون غائب أبغض
اليك من الموت ، ولن تعجزه •

« خلطان »

دخل الوليد بن عبد الملك المسجد
فرأى شيخاً همد كيانه الزمن ،
وأحنى ظهره الكبر ، فاقترب منه ،
وقال له مداعباً :

ألا تؤثر الموت يا شيخ ؟

قال الرجل : لا يا أمير المؤمنين
•• لقد ذهب الشباب وشره ، وأتى
الكبر وخيره ، فأنا الآن إذا قممت
حممت الله ، وإذا تمعت ذكركه ،
وأحب أن تنحوم لى هاتان الحلتان •

ورجل لا شيء : وهو من لا عقل
له ، ولا يشاور العقلاء •

« أبو بكر يوصى عمر »

أحضر أبو بكر عمر ، وقال له :
اننى استخلفتك على أصحاب رسول
الله — صلى الله عليه وسلم —
وأوصاء بتقوى الله ، ثم قال :
يا عمر ان لله حقاً بالليل ، لا يقبله
بالنهار ، وحقاً فى النهار ، لا يقبله
بالليل ، وأنه لا يقبل نافلة حتى
تؤدى الفريضة •

ألم تر يا عمر : انما ثقلت موازين
من ثقلت موازينه يوم القيامة
باتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحق
لميزان لا يوضع فيه غير الحق
أن يكون ثقيلاً !

ألم تر يا عمر : انما خفت
موازين من خفت موازينه يوم
القيامة باتباعهم الباطل ، وخفته
عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه
الا الباطل أن يكون خفيفاً !

ألم تر يا عمر : انما نزلت آية
الرخاء مع آية الشدة بآية الشدة
مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغباً
راغباً ، لا يرغب رغبة يتمنى فيها

- « أيقبل الله العاصي إذا تاب ؟ »
 دخل عتبة على الحسن البصري
 — رضى الله عنه — وكان يفسر
 قوله تعالى : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ
 آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ »
 وقد أغاض البصري في تفسيرها ،
 حتى أبكى الحاضرين ، وبكى عتبة
 وكان فاجرا يعاقر الخمر ، ويزور
 النساء ، فلما سمع تفسير الشيخ
 لهذه الآية ، قام فقال : أيقبل الله
 — تعالى — الفاسق الفاجر مثلى
 إذا تاب ؟ !!
 فقال له الشيخ : نعم يقبل الله
 — تعالى — توبتك فاصفر لونه ،
 وارتمدت فرائصه ، وصاح صيحة
 عظيمة وخر منشيا عليه . فلما
 أفلق قال : يا شيخ هل قبل الرب
 الرحيم توبة العبد اللئيم ؟
 فقال الشيخ : وهل يقبل توبة
 العبد الجاني ، إلا الرب المعافي ؟
 فرفع عتبة رأسه ، وقال : الهى
 ان كنت قد قبلت توبتى ، فاكرمنى
 بالفهم والحفظ ، حتى أحفظ ، كل
 ما سمعت من القرآن ، الهى أكرمنى
 بحسن الصوت ، الهى أكرمنى
 بالرزق الحلال ، وحدث من شهر
- عتبة بعد ذلك ، أن الله جلته
 قدرته ، من عليه بالثلاثة .
 « من صحبنا فليصحبنا بخمس »
 قال عمر بن عبد العزيز — رضى
 الله عنه — : من صحبنا فليصحبنا
 بخمس ، والا فلا يقربنا .
 يرفع اليها حاجة من لا يستطيع
 رفعها .
 ويعيننا على الخير بجهد .
 ويدلنا من الخير ما لا نهتدى
 اليه . ولا يختابن أحدا .
 ولا يعترض فيما لا يعنيه .
 فانصرف عنه الشعراء والخطباء
 وثبت عنده الفقهاء والزهاد .
 « بين أبى حنيفة ومالك »
 حضر الامام أبو حنيفة عندما
 ذهب الى المدينة ، درس الامام
 مالك — رضى الله عنهما — ولم
 يكن يعرفه ، وألقى الامام مالك :
 سؤالا على أصحابه ، فأجاباه
 أبو حنيفة . فقال مالك : من أين
 هذا الرجل ؟
 قال أبو حنيفة : من العراق .

تدافعها صارت فعلا ، فان لم
تتداركه بضده صار عادة فيصعب
الانتقال عنها •

« احسن الاثياع »

قيل لحكيم : أى الاثياع خير
للمرء ؟

قال : عقل يعيش به •

قيل : فان لم يكن •

قال : فإخوان يسترون عليه •

قيل : فان لم يكن •

قال : فمال يتصب به الى
الناس •

قيل : فان لم يكن •

قال : فآداب يتطلى به •

قيل : فان لم يكن •

قال : فصمت يسلم به •

قيل : فان لم يكن •

قال : موت يريح منه العباد
والبلاد •

« وصية »

ان أردت أن تنم أحدا فخم
نفسك ، وان أردت أن تصادى
أحدا فعادى بطنك ، فليس لك
عدو أعدى منها ، وان أردت أن
تحمد أحدا فاحمد الله بوان أردت

فقال مالك — متفكها — : من أهل
بلد النفاق والشقاق !!

فقال أبو حنيفة : أتأذن لى
أن أقرأ شيئا من القرآن ؟
قال : نعم •

فقرأ ، « ومن حولكم من الأعراب
جانثون ، ومن أهل العراق
مردوا على النفاق » •

فصرخ ملك ، قائلا : ما قال
الله هكذا !

فقال أبو حنيفة : كيف قال
— تعالى — ؟

قال مالك ، قال تعالى : « ومن
أهل المدينة مردوا على النفاق » •
فصاح أبو حنيفة ، قائلا :
الحمد لله ! حكم الامام على نفسه
ووثب من مجلسه !
ثم عرفه مالك ، فأكرمه غاية
الاکرام ! •

« دافع الخطرة »

دافع الخطرة فان لم
تعمل صارت فكرة ، فدافع
الفكرة فان لم تفعل
صارت شهوة فطربها ، فان لم
تفعل صارت عزيمة ، فان لم

قال : أتري كل هؤلاء النامس ؟
قال : نعم •

قال : فإن كل واحد من هؤلاء
مستئول عن نفسه ، أما أنت
فمستئول عنهم جميعا ، فانظر بما
تجيب ربك غدا !! وترك ابراهيم ،
هارون الرشيد يبكي •

« من أقوال الحكماء »

إذا سألت كريما حاجة فدعه
يفكر فإنه لا يفكر الا في خير •
وإذا سألت لقيما حاجة فعاجله
لئلا يشير عليه يشير عليه طبعه
أن لا يفعل •

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أن تترك شيئا فأتارك الدنيا ، وإن
أردت أن تستعد لشيء فاستعد
للموت ، وإن أردت أن تطلب شيئا
فاطلب الآخرة •

« أعلم الله .. أنت مستئول عن
كل هؤلاء » !!

لقى هارون الرشيد ، ابراهيم
ابن أدهم في موسم الحج فأوقفه
ابن أدهم ، فقال :

يا هارون باسمه مجردا •
قال : لبيك يا ولي الله •

فقال ابن أدهم له : انظر خلفك
فنظر هارون •

ثم قال له : انظر عن يمينك فنظر
وعن شمالك فنظر ، ثم قال له :
انظر أمامك •

باب الفئادك

الشيخ عبد الحميد بن عبد الله

س : حدث كسوف الشمس واستعد العلماء في شتى أنحاء العالم لرصد هذا الحدث واستقبله الناس بصور مختلفة .. فما هو هدى الاسلام عند حدوث هذه الظاهرة ؟

ج : لا شك أن الشمس والقمر من نعم الله الكبرى • وتأثيرهما على حياة الانسان والحيوان والنبات وغيرها لا يقدر • يقول الله تعالى : « وسفر لكم الشمس والقمر دائبين وسفر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار » (١) •

وقد كان هناك في الجاهلية من يعظم الشمس والقمر ويتوجه اليهما بالعبادة ، ولهذا جاء النهي عن ذلك في قوله تعالى : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس

(١) الآيتان ٢٢ ، ٢٣ من سورة ابراهيم •

(٢) الآيات من ٧ - ١٠ من سورة القيامة •

يوم مات إبراهيم فقال الناس انكسفت الشمس لموت إبراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتموهما غادعوا الله وصلوا حتى تنكشف » متفق عليه واللفظ لمسلم وللبخاري من حديث أبي بكر : « فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم » .

وقد استدل بهذا الحديث وغيره على مشروعية صلاة الكسوف فذهب الجمهور الى أنها سنة مؤكدة ونقل عن أبي حنيفة أنه أوجبها .

أما كيفيتها : فقد اتفقوا على أنها ركعتان ولكنهم اختلفوا في عدد الركعات في كل ركعة فذهب الجمهور الى أنها تملى ركعتين ، في كل ركعة ركوعان : يقرأ في القيام الأول من الركعة الأولى الفاتحة وسورة ثم يركع ثم يرفع ويظل قائما ويقرأ الفاتحة وسورة

ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم ايها تعبدون» (١) .

كما كان هناك من يظن أن كسوف الشمس أو خسوف القمر يكون لموت عظيم أو حياته تعظيما له أو حزنا عليه .

وقد صرح أن كسفت الشمس يوم مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعض الناس كسفت الشمس لموت إبراهيم ، فلما سمع النبي عليه الصلاة والسلام مقاتلتهم خرج اليهم فزعا من تلك المقالة ، وحرصا على عقيدة أمته من أن يقرب اليها شيء من ضلال الجاهلية ودخل بهم المسجد وصلى بأصحابه صلاة الكسوف ودعا الله حتى انجلت الشمس ثم خطب الناس .

فمن الخيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : « انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم يركع ثم يرفع ويسجد مسجدين قيام أجزأه ، ولو اقتصر على سور
ثم يقوم للركعة الأخرى فيفعل قصار فلا بأس •
كما فعل في الركعة الأولى •

وبهذا أخذ مالك والثشافى والليث وأحمد وغيرهم •

يقول الامام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه (وهو شافعى المذهب) في كتاب أسرار الصلاة من احياء علوم الدين :

« فاذا كسفت الشمس في وقت - الصلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة - تؤدي الصلاة جامعة ، وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين • وركع في كل ركعة ركوعين أو ائلهما أطول من أواخرهما ، ولا يجهر •

فيقرأ في الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة ، وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة ، أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد •

ولو اقتصر على الفاتحة في كل

ومقصود التطويل دوام الصلاة الى الانجلاء •

ويسبح في الركوع الأول قدر مائة آية ، وفي الثاني قدر ثمانين ، وفي الثالث سبعين ، وفي الرابع خمسين • • • • • وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة •

ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة • ويسأمر الناس بالصدقة والعق ، والتوبة •

وكذا يفعل بخسوف القمر الا أنه يجهر لأنها ليلية •

فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف الى تمام الانجلاء • فان انجلي في أثناء الصلاة أتمها مخففة ! •

وذهبت الحنفية الى أنها تصلى ركعتين كسائر النوافل • ويصلى بهم امام الجمعة ، ولا يجهر ولا يخطب ، فان لم يكن صلى الناس فرادى • • • • • ويدعون بعدها حتى تنجلي الشمس • وفي خسوف القمر يصلى كل وحده •

س : شاب كثير الاحتلام يسأل هل المنى نجس أم طاهر ؟

ج : اختلف العلماء فقالت الشافعية المنى طاهر على ألا يخالطه نجس واستدلوا على طهارته بالأحاديث الدالة على الاكتفاء بفركه أو حكه • وحملوا الأحاديث التي تأمر بغسله على التذنب • وأن الغسل ليس دليل النجاسة • فقد يكون لأجل النظافة

أو ازاله الدرن ونحوه • • • الخ • ومن الذين قالوا بنجاسة المنى الخفية ولكن قالوا يطهره الغسل إذا كان رطباً ويجزئ فيه الفرق يابسا • • • وللاخ المسائل أن يأخذ بما هو أيسر له « ما يريد الله ليجمل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » (١) •

عبد الحميد شاهين

من أنباء العالم الإسلامى

توجيهات هامة من
الرئيس السادات
لوزير الأوقاف

حفظة القرآن فى باكستان

أن يبدأ الوزير في تشكيل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بحيث يكون التشكيل نواة لجامعة الشعوب الإسلامية وذلك بعضوية رجال الفكر الإسلامى والقيادات في مجال التجمعات الشعبية الإسلامية في جميع أنحاء العالم الراغبين في خدمة الإسلام وقضاياها •

وقال الدكتور البرى . أرى من واجبى تنقية المساجد من الشوائب التى تسيء الى الإسلام ولا سيما في الموالد حيث تتحول المساجد الكبرى الى مطاعم وأماكن للنوم مما يخرجها عن دورها ورسالتها كدور للعبادة والصلاة والتقرب الى الله تعالى •• وأنه قد اتفق مع مشيخة الطرق الصوفية للأعداد لذلك وترشيد السلوك الصوفى عن طريق اختيار المحتسب الصوفى ليكون مرشدا وموجها إسلاميا — وفى الوقت نفسه يتم تشكيل مجلس إدارة لكل مسجد للحفاظ على رسالته ونظافته •

وقال الوزير : بالنسبة لسياسة

دعا فضيلة الدكتور وزير الأوقاف الى مؤتمر صحفى عام حضره مندوبو الصحف والمجلات وقد بدأ فضيلته الحديث باسم الله •• ثم بين أنه تم لقاء بينه وبين رئيس الجمهورية وكانت لسيادة رئيس الجمهورية توجيهات حكيمة ورشيدة من بينها : العناية بالمسجد •• وحماية أموال الأوقاف ، مجلس أعلى للشئون الإسلامية من المفكرين في العالم •

أصدر الرئيس محمد أنور السادات توجيهات الى الدكتور زكريا البرى وزير الأوقاف بالعناية بالمسجد ورسالته في مجال الدعوة الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم ، ووضع القواعد التى تضمن الحفاظ على قدسية وممارسة وحماية العبادة ومدارس العلم والمعرفة •• وأن يتحمل الوزير مسئوليته الكاملة في حماية أوقاف المسلمين بشتى الوسائل والطرق القانونية والتشريعية والتنفيذية •

كما تضمنت توجيهات الرئيس

مسابقة احياء التراث

لصام ١٩٨٠ م

يعلن مجمع اللغة العربية عن جائزة سنوية قيمتها ٥٠٠ (خمسمائة جنيه) تمنح لأجود ما يقدم إليه من التراث العربى الذى ينشر لأول مرة محققا تحقيقا سهجيا فى اللغة العربية بلشروط الآتية .

- ١ - أن يكون العمل المقدم فى متن اللغة العربية أو فى أحد علومها • أو فى نص من نصوصها الأدبية (شعرا أو نثرا) •
- ٢ - تعد النصوص من التراث العربى اذا كانت مؤلفة باللغة العربية قبل نهاية القرن الثانى عشر الهجرى •

- ٣ - أن يكون المقدم عملا كاملا (لا يقل عن خمس وعشرين ملزمة من ذوات الست عشرة صفحة) •
- ٤ - أن يكون العمل المحقق مما لم يسبق نشره أو تحقيقه •

- ٥ - ألا يكون ممن منشورات مجمع اللغة العربية فى القاهرة •

الوزارة فى تحفيظ القرآن الكريم فقد تقرر تحويل مقارىء المساجد الى جمعيات لتحفيظ القرآن الكريم على أوسع نطاق •• وقال : انه سيتم توحيد الدعوة الاسلامية لمنع الازدواجية فى العمل •

حفظة القرآن فى باكستان

المقرء الأول فى باكستان يقول :
فى جمهورية باكستان الاسلامية يوجد ٥٠ خمسون ألف مواطن ياكستانى يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب ، ولكنهم للأسف الشديد لا يفهمون معانيه • يجب أن لا تكون هناك قطيعة بين الشعوب الاسلامية فى كل الدول الاسلامية حتى ولو اختلفت أو تحاصمت الحكومات •

ثم يقول :

علماء الدين الاسلامى يجب أن يستفاد بهم فى كل مكان ولا تجوز مقاطعتهم حتى ولو كانت هناك مقاطعة لحكوماتهم •

مجمع اللغة العربية

الادارة العامة للمجمعات واهياء المراقبة العامة لاهياء التراث

- ٦ - ألا يكون قد مضى على نشره أكثر من ثلاث سنوات ، والمعتبر في ذلك تاريخ آخر جزء (ان كان ذا أجزاء) •
- ٧ - ألا يكون قد نال جائزة ما - من المجمع أو من غيره من الجهات والهيئات الأخرى •
- ٨ - يجوز أن يكون العمل المقدم من تحقيق فرد أو أكثر ، كما يجوز أن يشارك المحقق - أو المحققين - مراجع أو أكثر ، وفي حالة تعدد المحققين أو مشاركة المراجعين توزع الجائزة على الجميع بالتساوي •
- ٩ - يستوى في التقدم الى هذه الجائزة المصريون وغيرهم من المشتغين بتحقيق التراث العربي في البلاد العربية والإسلامية وكذلك المستشرقون من غير العرب والمسلمين •
- ١٠ - يقدم المتسابق خمس نسخ من العمل المحقق الى المجمع باسم الأستاذ الدكتور الأمين العام للمجمع وليس له الحق في استردادها •
- آخر موعد للتقدم الى الجائزة هو ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩٨٠ م •

كتاب الشهر

دلالات التراكيب

دراسة بلاغية - تأليف الدكتور محمد أبو موسى

دراسة

بقلم الدكتور محمد عبد النعم خفاجي

الدراسة على منهج القدماء ، ذلك المنهج الذي يقوم على تأمل التركيب وتحليله ، والتعرف على ما أودعه فيه صاحبه من فكر وحس ، تعرفا يفرط في الجد والتقصي .

ويقول : منهج القدماء في التحليل البلاغى يقوم على الادراك الواعى للفروق بين أحوال التراكيب ، وأن هذه الاحوال قادرة على أن تكون مسارب جيدة تناسب منها مواجيد النفس ، فعكفوا على هذه الاحوال ، وهذه المسارب وساعطوها عمسا أودع القوم فيها من أنفاس نفوسهم ، وخلجات أفئدتهم .. «وأقول : أن سيبويه ومن سبقه من النحاة ارتبط تفكيرهم النحوى بهذا المنزع الذى لا أخطئه ، وهو تحليل السليقة اللغوية ، وكأنه ضرب من التحليل النفسى للغة ، أو ضرب من مدارسة الفكر والمنطق الكامن وراء هذه اللغة » .

ويوضح كذلك منابع هذه الدراسة فيقول : « جدت هذه الدراسة فى الاستمداد من هذه المنابع (أى التراثية طبعاً) ، واصطنعت هذا المنهج فيما عرضته

هل تتطابق البلاغة العربية من ميادين التراث البلاغى والنقدى لعلمائنا الأصلاء القدامى أو من نظريات الغرب وأفكاره الليبانية التى يكشف عنها علماء النقد والبيان فى أوربا ، أو منهما معا ؟ أن البلاغة العربية تراث حافل خالد ملئ بالذكاء والطبع والتفكير الرصين ، والاستنتاج الرزين .. ولكننا لن نستطيع دراستها من خلال هذا التراث الا اذا كان لها اجتهادات كبيرة فيه ، وزيادات واسعة عليه ، واضافات عميقة اليه .

وهنا ، فى كتاب « دلالات التراكيب » يدرس الدكتور المؤلف محمد أبو موسى بعض الاصول البلاغية فى البيان العربى ، على ضوء من تراث السلف ، وبخاصة تراث الامام عبد القاهر الجرجانى ، صاحب كتابى « دلائل الاعجاز » ، و « أسرار البلاغة » ، مع اجتهادات ملائمة ومفيدة لموضوع الدراسة وطبيعتها .

يقول المؤلف فى مقدمة كتابه الذى بين أيدينا : قضت هذه

— ٢ —

يتناول المؤلف في كتابه أسلوب
القصر بالدراسة في نحو السبعين
والمائة صفحة ، وأسلوب التقديم
كذلك في نحو العشرين صفحة ،
وأساليب الانشاء ، في أكثر من مائة
صفحة ، وأساليب الفصل والوصل
في نحو الثمانين صفحة . ولا شك
أن هذه الموضوعات هي من أهم
موضوعات البلاغة العربية ، التي
يقف عندها الباحث متأنيا مستظهما
التراث والذوق جميعا يعرض آراء
البلاغيين القدماء ، وآراء البلاغيين
الجدد ، ويناقش كل رأى وكل
فكرة ، معتمدا على ذوق أدبي
أصيل ، وثقافة عربية واسعة .

ويستمر المؤلف في الدراسة
والبحث ، حتى نهاية الكتاب ،
مسترشدا بذوقه وفطنته الى
أعماق الأسرار في التركيب البلاغي
ومهتديا الى الرأي الأمثل حين
يختلف البلاغيون والنقاد معا في
الفهم والتحليل والتعليل .

— ٣ —

ومن أمتع صور البحث في الكتاب

من أبواب وهي على يقين من سداده
في فهم الأدب ، وتذوقه تذوقا يقوم
على البصر بأحوال اللغة ، والتعرف
على ما يستكن فيها من أسرار .
وهي ترى أن التذوق ليس هو
الاستمتاع بجمال العمارة فحسب ،
وانما هو مع ذلك وعى بما تحتويه
المبارة من فكر وحق ، وما ترمى
اليه من مرام قريبة أو بعيدة ،
وما تفسح عنه بصوت صموع أو
توسوس به وسوسة خفية ، أو
تنغمم به غمضة مكتومة لا تلامس
الا قلة من ذوى البصر بأحوال هذا
اللسان « من مقدمة الكتاب .

ويؤكد ذلك فيقول : وإذا كانت
هذه الدراسة تجد في أن ننتفع بهذا
المنهج القديم المثر ، فإن لها رأيا
في الوجه الذي تراه نافعا في دراسة
تراث العلماء فليس المهم هو فهم
هذا التراث ومناقشته فقط ، وانما
المهم هو شيء بعد ذلك ، هو فقهه
وتمثله وإدارته في العقل والقلب .
المهم هو نفخ مقلتهم والتفتيش
في ظاهرها وباطنها علن فكرة
نافعة » — ص ١٠ ، ١١ من المقدمة .

دراسته للمناسبات البلاغية بين
انجمل ، ولأحوال الوصل وأحوال
الفصل فيها . وفي دراسته للقصر
أثار كثيرا من البحوث والمسائل
البلاغية ، وناقش كثيرا من الآراء ،
ونقد ما يستحق النقد منها ، في
دكاء وحذر شديدتين وما أكثر
ما عرض له من مسائل وقضايا
بلاغية ونقدية في كتابه .

في بحث « انما » مثلا يعرض
لمعنى انما ودلالاتها كما صوره
عبد القاهر الجرجاني ، ثم يناقش
رأيه والأدلة التي ذكرها البلاغيون ،
ويحلل ملاحظات لأبي عيسى
الفارسي ، ثم يستقصى طبيعة
المعنى الذي يأتي بانما ، ويحلل
الشواهد على ذلك ويستقصى
البحث في هذا المجال استقصاء
واسعا ، ويخرج بنتائج جديدة
ثمرة في البحث عن بلاغة
الأسلوب .

وهكذا يتميز بحث الدكتور محمد
أبو موسى بتمتع التراث ، وبتحكيم
الذوق ، وبمناقشة الآراء القديمة
والجديدة معا ، والوصول إلى الرأي
المحصن الدقيق السليم ، مع

الأسلوب المبسط ، الخالي من
التعقيد والاصطلاحية ، والعموض ،
وذلك مما يجعل لهذا البحث قيمته
العلمية الرفيعة الخصبة المثمرة .
ونحن لا نملك الا أن نقول
للمؤلف . ياليت البحث البلاغي يجد
من أشباه تلك العناية المرموقة
ما يضيء السبيل نحو بلاغة عربية
أصيلة متجددة تعاشي الذوق
والطبع والفطرة والوجدان ومشاعر
الإنسان ، ولا يقعد بها سوء الفهم
أو سوء التحليل والتأويل والتعطيل .

ان في الجهد المبذول في هذا
الكتاب ، لاضاءة ، جديدة لدروب
ابحث البلاغي الذي اكتشفته على
طول العصور المتأخرة صاحب
كثيفة قاداته إلى مسارب الظلام
واللامبالاة معا .

وفي ختام هذا الكلام أحيى المؤلف
الدكتور أبا موسى ، وأستنهض
همته في الدراسة والبحث حول
كل ما يتصل بالبلاغة العربية
وتراثها الدفين .

دكتور محمد عبد المنعم خفاجي

فهرس العدد

الموضوع	صفحة
● لحات من الاسراء والمعراج للاستاذ محمد صابر البرديسي	٨٤٩
● حول رأى العلامة ابن خلدون لفضيلة الاستاذ الدكتور محمد الطيب النجار	٨٥٧
● السنة والحديث والخبر والأثر للدكتور الحسيني هاشم	٨٦٢
● ليلة النصف من شعبان لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير	٨٦٨
● المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الاسلام للدكتور رفوفه شلبي	٨٧٧
● الاتحاد المادي .. والآخرة للدكتور يحيى هاشم	٨٩٢
● تراث مفقود مع كتابين مفقودين للفراء للدكتور أحمد علم الدين الجندي	٩١٢
● مقتطفات من عالم النفس البشرية للدكتور محمد محمد خليفة	٩٣٥
● الذميون في بلاد الاسلام للمستشار محمد عزت الطهطاوي	٩٤١
● الربا قبل الاسلام وبعده للاستاذ زيدان أبو المكارم حسن	٩٥٦
● الاسلام والحضارة للاستاذ أحمد عبد الرحيم السايح	٩٨١
● الطب الاسلامي للدكتور على محمد مطاوع	٩٩٦
● أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز للشيخ أحمد على منصور	٩٩٩

الموضوع	صفحة
● الأمن ومقاومة الجاسوسية والتخريب في ضوء الاسلام لواء محمد جمال الدين محفوظ	١٠٠٦
● قانون الضمان .. تشريع إسلامي اصيل للاستاذ صلاح عزام	١٠١٤
● حكم *** وطرائف للاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٠١٨
● باب الفتاوى للاستاذ عبد الحميد شامين	١٠٢٣
● من انباء العالم الاسلامي توجيهات السيد رئيس الجمهورية الى السيد وزير الاوقاف	١٠٢٧
● كتاب الشهر للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي	١٠٣١

سنوات
إدارة الأزهر
بالقاهرة
٩٠٩٩٤٤
ت ٩٠٥٥٠٦

الأزهر مجلة

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
محمد صابر البريلي

الجزء السادس — السنة الثانية والخمسون — رمضان سنة ١٤٠٠ هـ — أغسطس سنة ١٩٨٠ م

في رحاب رمضان

توجيه ودعاء

لفضيلة الإمام الأكبر

المكبر محمد الرحمن بيصار شيخ الأزهر

يأتى رمضان كل عام .. ويطل على المسلمين مشرقا ووضينا ..
ليجدد الهمم .. ويوقظ العزائم .. ويدفع بها الى العمل الصالح ..
ويمدها باليقين والايمان .. لأن شهر رمضان مدرسة قدسية يتعلم
المسلمون فيها دروسا عملية .. تقودهم الى الخير .. وتهديهم الى
الطريق القويم الذى يحقق لهم سعادة شاملة فى دنياهم وأخراهم ..
لو أننا نظرنا الى رمضان نظرة سليمة فاحصة لتكشفتنا أنه ما شرع
الا لغايات نبيلة .. ومقاصد شريفة .. ولا تتفق بحال مع تلك النظرة
السطحية التى تقف بمفهوم الناس لرمضان عند حد ليلاليه الساهرة ..

وأنواره الباهرة .. والتهام ما لذ وطاب .. والاقتصار على مظاهر شكلية .. لا تؤتي ثمرًا .. ولا تحقق هدفًا ..

فالصوم في الحقيقة نزهة للقلب .. وفسحة للروح .. تسمو بصاحبها الى عالم علوى من السمو والجلال .. حيث يتجرد من شهواته .. وينتصر على نزواته ونزعاته .. متفرغا لطاعة ربه وحالقه ومولاه .. متنائيا عن المعاصي والذنوب والآثام .. متقربا الى الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه .. لأن الصوم تجريد للنفس من الهوى .. وتغلب على ما تهفو اليه من جنوح وانحراف .. فالصوم في جوهره لم يكن مقصورا على الامساك عن الطعام والشراب .. بل هو منوط بالامتناع عن كل حرام .. ليكون ذلك تلقينا للمسلم للالتزام بأحسن الفضائل .. والتزود بأطيب الشمائل .. والتحلّى بأروع القيم .. ليصبح في ذلك مثلا أعلى .. وصورة متألقة للانسانية الكاملة .. فالصائم يتلقى من صيامه دروسا عملية في الصبر والجلد .. والصمود والمثابرة .. تؤهله لمواجهة الصعاب والمشقات بإيمان ثابت .. وارادة قوية لا تلين ولا تعرف الضعف أو الوهن .. كما تتأصل في أعماقه جذور الأمانة .. تلك الأمانة التي تمثلت في صيانته لدينه .. وحفاظه على هذه الفريضة .. حتى ولو كان بعيدا عن أعين الرقباء ...

فضلا عما يترتب على الصيام من احساس بالجوع والعطش .. لنذكر ما يقاسيه الفقراء الذين تتلوى بطونهم من الحرمان .. والمساكين الذين لا يجدون ما يطفى غلتهم أو يقيم أودهم .. هنمد لهم يد العطف والشفقة والحنان .. ومن هنا : نرى رمضان شهرا مباركا ميمونا .. لأنه موسم للطاعة .. وميدان للعبادة .. وفلك قدسى تطوف في رحابه قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا .. ويفوزوا برضوان ربهم بعد أن قدموا أحسن الأعمال ابتغاء وجهه الكريم ...

فعلى كل مسلم أن يستشعر جلال هذا الشهر ، ليتخذ منه وسيلة إلى الخلاص .. وطريقا إلى الله .. بالكف عن المحارم .. والبعد عن المعاصي .. والاعراض عن الشبهات .. ومجانبة الفساد .. والاقبال على الطاعات .. وفعل الحسنات .. والتحلل بمكارم الأخلاق ...

وانى اذ أهنىء قوافل الاسلام في كل مكان بحلول شهر الصيام .. يطيب لى أن أدعوهم إلى التمسك بما يمليه علينا ديننا من الترابط والتآلف والتراحم والتعاطف .. والتآخي والتعاون .. ونبذ الخلاف والشقاق .. والتفرق والانشقاق .. تحقيقا للوحدة .. وتجميعا للكلمة .. وتوحيداً للصف .. وتمثيلاً للقوة .. وتأكيداً للمجد والكرامة .. واستجابة لقول المولى تبارك وتعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .. وتلبية لقول رسوله الكريم : « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » .. فلنستقبل شهر رمضان وجوها مستبشرة .. وقلوبا متفتحة .. وأرواحا صافية .. وأيادى متصافحة .. في ظلال ديننا الحنيف .. ورحاب شريعتنا السمحاء ...

ولا يسعنى — ونحن في مطالع شهر الرحمة — الا أن أتوجه بالدعاء والضراعة مبتهلا إلى المولى سبحانه أن يجعل هذا الشهر فاتحة خير وبركة .. وبارقة أمل ورجاء .. لأن يوفق المسلمين إلى الحق والنور .. ويضفى عليهم سراويل المجد والشرف .. والعز والكرامة ليكونوا كما وصفهم في كتابه الحكيم « كقزم خير أمة أخرجت للناس » ...

تذكور

محمد عبد الرحمن بيمار

شيخ الأزهر

الأهداف المرجوة من الصوم كيف تتم ؟ ومتى تحقق ؟

لفضيلة الدكتور محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

وقليل من المسلمين من يصوم رمضان لأنه قد فكر في أثر الصوم والحكمة التي أرادها الله منه ، واقتنع بعد هذا التفكير فلبى نداء العقل والعاطفة معا ، واستجاب بعد صوت الضمير لصوت المنطق القويم والعقل السليم ، .. والنتيجة الحتمية لذلك أن يصبح كثير من المسلمين ينفذون أوامر الدين تنفيذا لا يعتمد على التفكير والتأمل ولا يستند الى الاقتناع بالحجة والعليل ولكنهم يصومون لأن الله أمرهم بالصيام ، ويصومون لأنهم ورثوا تلك العادة عن أسلافهم من قديم الزمان .. وأغلب الظن أن يكون هذا الاتجاه

يتجه كثير من المسلمين الى صوم رمضان استجابة لمعاطفتهم الدينية ، وتقاليدهم التي ورثوها عن الآباء والأجداد دون أن يتفكروا ويتأملوا في الأهداف المرجوة من الصوم والتي أرادها الله عز وجل وحينما فرض على المسلمين صوم هذا الشهر من كل عام ، حيث يقول : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون (١) » ، ويقول : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (٢) .

(١) سورة البقرة آية ١٨٣ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٥ .

وسلم : « كم صائم حفظه من صيامه الجوع والعطش » ويقول : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » (١) •

★★

والله عز وجل قد فرض الصوم لصالح الأبدان وتقوية الأجسام وذلك أن المعدة وهي بيت الداء لها طاقة محدودة • وهي بلا شك تكل من كثرة العمل واستمراره • فكان صوم رمضان فترة راحة واستجمام فيه صلاح المعدة ونشاطها وفي ذلك صلاح الجسم وقوته ونشاطه •

ولكن كثيرا من الناس ينفذون الصوم بطريقة تجعله مضيعة للصحة ومهلكة للأجسام ، فهم يجعلون من هذا الشهر مرضا لألوان الأطعمة الشهية ويتفننون في الطرق المغرية على الاسراف في هذا السبيل •• ونتيجة ذلك أنهم يثقلون المعدة ويتخمون بها بما يحشدهم على موائدهم في

وما يماثله في العبادات الأخرى هو السبب في أن المسلمين ينفذون القانون السماوي في ظاهره لا في جوهره في كثير من الأحيان ••

والواقع أن الدين لم يأمر بالصوم رغبة في تجويع الناس وحرمانهم • ولكن لتقوية الإرادة في النفوس وكبح جماحها عن المعاصي المهلكة والشهوات المردية ، واخذ فكل صائم يمسك عن الطعام ولا يمسك عن الذنوب والآثام • أو يجوع نفسه لكي يملأ بطنه من الحرام بنهب أو سرقة أو تدليس أو بآية وسيلة من وسائل الاجرام •• أو يمتنع عن الأكل والشرب ولكنه يطلق لسانه في أعراض الناس بالتشهير بهم أو بقول الزور والبهتان • كل من كان على هذا الوضع المشين من الصائمين فصيامه مردود عليه ولا يستفيد من هذا النصب والتعب شيئا ، ولا يكسب من صيامه إلا الجوع والعطش والحرمان ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه

وتكون النتيجة أن الكثير من الأغنياء يصومون رمضان ولكنهم لا يحسون بمرارة الجوع والحرمان • وتظل قلوبهم على شدتها وقسوتها فلا يعطون محروما ولا ييسرون على معسر • وبذا تخضع الحكمة المنشودة في الصيام وتذهب الفائدة المرجوة منه •

ويمعبنى في هذا المعنى ما ذكره الامام أبو حامد الغزالي في كتبه احياء علوم الدين حيث يقول : « وكيف يستفاد من الصوم اذا تدارك الصائم عند قطره ما فاته صحوة نهاره وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن ندخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر ، ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى ، واذا استمرت المعدة خاوية من أول النهار الى آخره حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها • وانبعث من

وجبات الافطار والسحور من مختلف الأطعمة • وهكذا يقضون هذا الشهر كله في اثقال المعدة بالأطعمة فيعرضون أنفسهم للإسقام والعلل • وبذلك تنعكس الآية ويضيق الغرض المنشود من الصيام ، وليس العيب في الصوم انما العيب في أولئك الذين جهلوا حكمة الصوم أو تجاهلوا • فصيروا الدواء داء وقلبوا النعمة والخير الى نقمة وشر ووبال •

والله عز وجل قد فرض الصيام ليشرح الخنى بمرارة الجوع فيعطف على الفقراء البائسين والمساكين المعوزين • ولكن كثيرا من الأغنياء يصومونه دون أن يشعروا بمرارة الجوع فهم يحاولون أن يغيروا سنة الله حيث يقلبون الليل نهارا والنهار ليلا ويجعلون الليل للسعى والعمل ، والنهار للنوم والكسل والخمول ، ويقضون ليلهم ساهرين يأكلون ويتمتعون • ونهارهم نائمون لا يفدون ولا يروحون

والأسقام • ولا غرو فهم يعلمون
أن الحياة وسيلة للآخرة • وأن
الآخرة هي الغاية الدائمة وهي
دار الخلود والقرار ، ومن أجل
ذلك سمى أرواحهم عن الماديات •
وزهدوا في الاسراف في متاع الدنيا
فلم تشغلهم دنياهم عن آخرتهم ،
بل أخذوا من الدنيا والآخرة دون
افراط أو تفريط فلم يسرفوا لم
يقترروا وكان بين ذلك قواما ••
وبذلك تحققت لهم الأهداف
المرجوة من الصوم وهي
تلك الأهداف التي تتمثل
في كلمتين اثنتين ختمت بها
الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا
كتب عليكم الصيام كما كتب على
الذين من قبلكم لعلكم تتقون »
فثمره الصيام هي التقوى والهدف
المرجو منه هو التقوى ، والتقوى
هي أن تمتثل نفسك بالخوف من
ربك فتتقى غضبه وتجعل بينك
وبين ما يسيخط الله وقاية تمنعك
وتحميك ، « ومن يتق الله يجعل له
مخرجا • ويرزقه من حيث

الشهوات ما صابها كانت راکدة
لو تركت على عادتها » •

★★

فالصوم مدرسة أخلاقية يتعلم
الناس فيها الدروس النافعة
والمبادئ الهادية ، ولقد كان
الرسول صلى الله عليه وسلم وهو
المُرشد الأول للأمة الإسلامية
يصوم رمضان فيضرب للناس
أروع الأمثال في تحقيق حكمة
مدرسية الصيام • وهو القائل :
« الصوم جنة فإذا كان أحدكم
صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن
امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل أنى
صائم (١) » • وكان أصحاب
الرسول الأبرار وأصفياؤه الأطهار
يسيرون على آثاره ويستضيئون
بأنواره فتصوم السفتهم عن اللغو
والهذيان والكذب والبهتان •

وتصوم جوارحهم عن الآثام
والميووب والمعاصي والذنوب •
وكانوا يحققون حكمة الصيام فلا
يتخمون المعدة بأثقال الطعام حتى
لا تتعرض أجسامهم للعمل

صلى الله عليه وسلم : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » (٥) .

ولاشك أن أبواب الجنة لن تفتح إلا للصائمين الذين تصوم بطونهم عن الطعام وتمسوم جوارحهم ونفوسهم عن الذنوب والآثام ، وهم الذين تطلق أمامهم أبواب النار . وتصفد لهم الشياطين .

ألا فليفهم المسلمون الصوم على حقيقته حتى يظهر أثره في نفوسهم وأعمالهم . وحينئذ يبنى المجتمع الصالح الذى يتجه للخير ويهدف للكمال . وتسعد به الأمم والأجيال .

هذا .. ومن الله المنون وبه التوفيق .

د / محمد الطيب النجار

وكيل الأزهر

لا يحتسب (١) ، « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » (٢) فمن الحق إذن على كل مسلم أن يتدبر حكمة الصيام حتى تتحقق له الثمرة الطيبة التى وعد الله بها المخلصين من عباده وهى التقوى التى هى جماع الخير وملاك الايمان ، وحتى يكون من المعنيين بهذه الأحاديث الشريفة وهى قوله صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » (٣) وقوله صلوات الله وسلامه عليه : « ان فى الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم » يقال : أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فاذا دخلوا أغلق عليهم فلم يدخل منه أحد » (٤) وقوله

(١) سورة الطلاق آية ٢ ، ٣ .

(٢) سورة الأنفال آية ٢٩ .

(٣) متفق عليه .

(٤) متفق عليه .

(٥) متفق عليه .

شهر رمضان

لفطيلة الله كتور الحسين هاشم
الرابع العام لجميع البحارة والبرية

فعدة من أيام آخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم أن كنتم تعلمون شهر رمضان السدي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ..

الآية

الصوم شرعا : هو الامساك عن المفطرات من الأكل والشرب والجماع ، يوما كاملا من طلوع الفجر الى غروب الشمس .

والأصل في وجوب الصيام ، الكتاب والسنة والاجماع ، قال تعالى في كتابه العزيز : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . اياما معهودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر

فعدة من أيام آخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم أن كنتم تعلمون شهر رمضان السدي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ..

فعدة من أيام آخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم أن كنتم تعلمون شهر رمضان السدي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ..

الآية

الصوم شرعا : هو الامساك عن المفطرات من الأكل والشرب والجماع ، يوما كاملا من طلوع الفجر الى غروب الشمس .

والأصل في وجوب الصيام ، الكتاب والسنة والاجماع ، قال تعالى في كتابه العزيز : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . اياما معهودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر

فعدة من أيام آخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم أن كنتم تعلمون شهر رمضان السدي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ..

الآية

الصوم شرعا : هو الامساك عن المفطرات من الأكل والشرب والجماع ، يوما كاملا من طلوع الفجر الى غروب الشمس .

والأصل في وجوب الصيام ، الكتاب والسنة والاجماع ، قال تعالى في كتابه العزيز : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . اياما معهودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر

أو أخبر بلحساب الدقيـسق
فليصمه •

« عن ابن عمر قال : تراءى
الناس الهلال ، فأخبرت رسول
الله - صلى الله عليه وسلم -
«أنى رأيته ، فصام وأمر بصيامه»
رواه أبو داود •

وعن عكرمة عن ابن عباس قال:
« جاء أعرابي الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال : أنى رأيت
الهلال ، يعنى رمضان ، فقال :
أشهد أن لا اله الا الله ؟ قال
نعم • قال : أشهد أن محمدا
رسوله الله ؟ قال : نعم ، قال :
يا بلال أذن فى الناس فليصوموا
غدا » •

رواه الخمسة الا أحمد -
فتكفى شهادة الواحد المذك •
وتكفى شهادة الاثنين المحلين فى
شهادة رؤية شهر شوال فى آخر
يوم من رمضان •

وعن عائشة رضى الله عنها
قالت : كان رسول الله (صلى
الله عليه وسلم) يتحفظ من هلال
شعبان مالا يتحفظ من غيره ،
يصوم لرؤية رمضان ، فان غم

ابن عبيد الله أن رجلا جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم ، ثائر
الرأس بمقال يارسول الله أخبرنى
ماذا فرض الله على من الصيام ؟
قال شهر رمضان • قال هل على
غيره ؟ قال لا الا أن تطوع شيئا
قال فأخبرنى ، ماذا فرض الله
على من الزكاة ؟ فأخبره رسول
الله صلى الله عليه وسلم بشرائع
الاسلام ، قال : والذي أكرمك
لا أتطوع شيئا ، ولا أنقص مما
فرض الله على شيئا ، فقال النبي
« صلى الله عليه وسلم » « أفلح
أن صدق » أو « دخل الجنة أن
صدق » متفق عليهما •

وأجمع المسلمون على وجوب
صيام شهر رمضان •

وان أعظم منزلة لشهر الصيام،
نزول القرآن ، فيه هدى للناس ،
فكان الصيام احتفاء بنزول القرآن
هدى للناس •

« فمن شهد منكم الشهر
فليصمه » فمن علم بهلال شهر
رمضان ليلة الثلاثين من شعبان
رؤية ، أو علم بحكم القضاى
بشبوت الرؤية أو بتيقنه ممن رآه

عليه عد ثلاثين يوما ثم صام ، المسلمون •

رواه أحمد • وتجب النية من الليل في صيام

وعن أبي هريرة ، قال رسول

الله - صلى الله عليه

وسلم - «صوموا لرؤيته وأغظروا

لرؤيته فان غم عليكم ، فأكملوا

عدة شعبان ثلاثين » رواه البخاري

ومسلم •

واذا تعارض الحساب والرؤية

للمعدل الثقة ، قدمت الرؤية ،

ويؤخذ بالحساب الموثوق به

بالمراصد وغيرها عند عدم الرؤية

وان لم يعلم أكمل شعبان ثلاثين

يوما •

وقيل يعتبر لأهل كل بلد

رؤيتهم ، ولا يلزم رؤية غيرهم ،

حكاه ابن المنذر عن عكرمة ، وحكاه

الترمذي عن أهل العلم •

وقيل : انه لا يلزم بلد رؤية

غيرهم ، الا أن يثبت ذلك عند

الامام الأعظم «متى وجد الامام»

وحينئذ يلزم الناس كلهم لأن

البلاد في حقه كالبلد الواحد •

والرأى الثالث ، أن تقاربت

البلاد كان الحكم واحدا ، وهو

الأقرب والأولى لجمع وحدة

والتجارب •

المسلمين •

وتجب النية من الليل في صيام

رمضان دون النفل ، يقول ابن عمر

عن حفصة عن النبي « صلى الله

عليه وسلم : « من لم يجمع

الصيام قبل الفجر ، فلا صيام له »

رواه الخمسة •

والنية محلها القلب ، فتصل

بالاستعداد للصوم ليلا والسحور

للصوم •

وقد روى البخاري في صحيحه

عن أنس ابن مالك قال قال رسول

الله « صلى الله عليه وسلم »

« تسحروا فان في السحور بركة »

ويسن تمجيل الفطر ، وتأخير

السحور •

قال صلى الله عليه وسلم

« لا يزال الناس بخير ما عجلوا

الفطر وأخروا السحور » رواه

أحمد •

واذا أكل الصائم أو شرب

ناسيا ، فيتم صومه ، وصومه

صحيح ، روى البخاري عن النبي

صلى الله عليها وسلم قال « اذا

نسى فأكل وشرب ، فليتم صومه ،

فانما أطعمه الله وسقاه » •

له أن يفوق الطعام ، ولو ذاقه
ومجه فلا يفسد صيامه — ولا يضر
بالصيام الحقنة في الجلد أو العضل
أو العرق لأنها من طريق غير
طبيعى ، بخلاف الحقنة الشرجية •
ويسن الفطر على تمر وماء ،
لقول الرسول « صلى الله عليه
وسلم » إذا أفطر أحدكم فليفطر
على تمر فإن لم يجد ، فليفطر على
ماء فإنه طهور » رواه الخمسة
إلا النسائي ، وعن معاذ بن زهرة
أنه بلغه أن النبي « صلى الله عليه
وسلم » كان إذا أفطر قال
« اللهم لك صمت ، وعلى رزقك
أفطرت » رواه أبو داود •
إن الصائم متجه بروحه
الصالية في شهر الخير ، شهر
القرآن ، شهر الصيام — إلى
مولاه في كل وقت ، مؤمنا ، وعابدا ،
وداعيا ، ومضاعفا للخيرات في
شهر الغفران ، قال « صلى الله
عليه وسلم » (من صام رمضان
إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم
من ذنبه) •

وروى البخارى عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال : كان النبي

ومن شرب أو أكل متعمدا أثم
وعليه القضاء ، ومن جامع في نهار
رمضان فعليه الكفارة ، وهى عتق
رقبة ، فإن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين فإن لم يستطع فإطعام
ستين مسكينا ، ويقضى اليوم •
ومن كان مريضا أو على سفر
فله الإفطار ، وعليه القضاء — ومن
كان مريضا مرضا لا يرجى شفاؤه
كمرض الشيخوخة ، وما مثله ،
فليطعم عن كل يوم مسكينا ولا
قضاء عليه •

الحائض والنفساء لا يصح
منهما الصوم ، ويحرم صومها ،
فيفطران ويقضيان الصوم •
ويجوز للحبلى والمرضعة الإفطار
والقضاء وزاد بعض أهل العلم ،
الإطعام عن كل يوم مسكينا •

وإذا غلبه القيء فصومه صحيح
بخلاف تعمده القيء ، وإذا وصل
غبار طريق إلى حلقه أو دقيق
لزأولة لا يفسد الصوم •

ومن طلع عليه الفجر ، وهو يأكل
أو يشرب فتوقف ، ومع الفاضل
فلا يفسد صيامه •

وابتلاع ريقه لا يضر ، ويكره

العبادة والعمل في العشر الأواخر
عن عائشة قالت كان النبي « صلى
الله عليه وسلم » إذا دخل العشر
شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ
أهله .

وكان يعتكف في العشر الأواخر
من رمضان ، فمن عائشة رضى الله
تعالى عنها ، « أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان يعتكف العشر
الأواخر من رمضان حتى توفاه
الله تعالى ، ثم اعتكف أزواجه
من بعده » .

صلاة التراويح جمع ترويجة ،
وهي المرة من الراحة ، وسميت
الصلاة في الجماعة من رمضان ،
« التراويح » لأنهم أول ما اجتمعوا
عليها كانوا يستريحون بين كل
تسليمتين وجاء في صحيح البخارى
عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ،
أنه سأل عائشة « رضى الله عنها :
كيف كانت صلاة رسول الله
« صلى الله عليه وسلم » في
رمضان ؟ فقالت ، ما كان يزيد في
رمضان ولا في غيره على إحدى
عشرة ركعة ، يصلى أربعاً فلا

« صلى الله عليه وسلم » أجود
النفوس بالخير ، وكان أجود ما يكون
في رمضان حين يلقاه جبريل وكان
جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة
في رمضان فيدارسه القرآن
فلرسول الله « صلى الله عليه
وسلم » أجود بالخير من الريح
المرسلة .

اقبال على الله بمضاعفة الجود
والرحمة والبر والخير في شهر ليله
ليلة القدر في شهر القرآن .

ومن هنا كانت آداب الصوم
يفط الخيرات ، والبعد عن
الآثام ، قال « صلى الله عليه
وسلم » « من لم يدع قول الزور،
والعمل به ، فليس لله حاجة في أن
يدع طعامه وشرابه » .
وفي شهر رمضان ليلة بالف
شهر هي ليلة القدر .

عن عائشة رضى الله عنها، أن
رسول الله « صلى الله عليه
وسلم » قال « تعهروا ليلة القدر
في الوتر في العشر الأواخر من
رمضان » .

من أجل ذلك كان يضاعف
الرسول « صلى الله عليه وسلم »

اللغو والفحش وقدرها صاع عن كل فرد وهو قدح وثلاث بالكيل المصرى ، فتجزى الكيلة عن ستة اشخاص وتكون من غلب قوت البلد من القمح أو الشعير أو السلت والذرة والدخن والأرز والتمر والزبيب والأقط (وهو لبن يابس نزع زيده) ويجوز دفع القيمة بالنقود .

عن ابن عباس قال (فرض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات) رواه أبو داود وابن ماجه .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق الأمة الإسلامية الى ما فيه خيرها وصالحها كما نسأله تعالى أن يوفق ولاية أمور المسلمين الى جمع شملهم وتوحيد صفوفهم واعلاء كلمة الله .

والله ولى التوفيق

دكتور الحسينى هاشم

تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثاً فقلت : يا رسول الله : أتناهم قبل أن توتر ؟ قال يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي » .

وجاء فى صحيح البخارى عن عبد الرحمن بن عبد القارى أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » ليلة فى رمضان الى المسجد فاذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلى الرجل لنفسه ، ويصلى الرجل ، فيصلى بصلاته الرهط ، فقال عمر : انى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد كان أفضل ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله .

فمن أراد أن يصلى التراويح اهدى عشرة ركعة أو عشرين ركعة فله ذلك .

وزكاة الفطر طهرة للصائم من

عن رمي رمضان

للاستاذ محمد صابر البرديسي

والميل الى المنكرات •
الصوم يقى الفرد أن تغلب
عليه حيوانيته ، فيصير حيوانا
لا ضابط له ••

والصوم يقى المجتمع من
الانحراف ، فان المجتمع يتكون من
الأفراد ، ومتى تها الفرد الصالح
الذي يعمل لخير المجتمع ، أصبح
المجتمع صالحا •

واذا ما اتقى الانسان شرور
نفسه ، واتقى المجتمع حظه
شروره ، فقد بلغ الفرد والمجتمع
غاية التقوى ، وهذا معنى قوله
تعالى « **لَكُمْ تَقْوَنَ** » واللّه
سبحانه وتعالى يعلم أن التكليف
بشيء أمر شاق على النفس تحتاج
فيه الى دفع واستعداد ، حتى
تستجيب له ، وتستأنس به ولو

قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا
كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَكُمْ
تَقْوَنَ** » (١) •

تشريع الصيام ، ليس جديدا
في شريعة الاسلام ، وانما هو
تشريع قديم شرعه الله للامم
السابقة •

وحينما تشعر النفس بأنها ليست
منفردة بما تطالب به ، وانما سبق
لأجيال ، وأهم مضت ، أن كلفت
بهذا النوع من الصيام فانهم ما
تقبل عليه ، وتستريح له ،
بلا مضى أو هرج أو استياء ••
والغاية من الصوم تفهم من
قوله تعالى « **لَكُمْ تَقْوَنَ** » هي
الوقاية التي تقى الصائم ، وتحول
بينه وبين الوقوع في المحرمات ،

كان في هذا التكليف نفع لها ،
ورفعة لثانها ، هذا الدفع يكون
بشيء محبب اليها ، تطمئن اليه ،
وتتقنع به .

ومن هنا جاء النداء في أول الآية
بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا »
هذا النداء المحبب الى كل عبد
مؤمن ، تروح اليه نفسه ، ويسعد
به قلبه حين يسمعه ، ويستمد
للتقوى ما يجيء بعده .

فاذا ما جاء بعد هذا فريضة
النصوم ، وذكرت الحكمة منه ، وقع
ذلك من نفس المؤمن موقع الارتياح
والاستحسان .

يتضح لنا من تلك الايحاءات ،
أن الدين لا يقود الناس بالسلاسل
الى الطاعات ، وانما يقودهم بالحب
والرغبة والايمان والاقتناع . واذا
حدث أن فسد الناس في زمن من
الازمان ، فإن أحسن طريق
لاصلاحهم ، يكون عن طريق
التوجيه بالحكمة والموعظة الحسنة
لا عن طريق التشدد في الأحكام
على غير أساس .

فالاصلاح الناجح يكون بالتربية
الحسنة ، والقذوة الصالحة
واصلاح القلوب ، واحياء الشعور
الطيب في النفوس ، وخاصة في
الشعائر التي يتعبد بها الناس ،
لأن حسابها بين العبد وربّه لا تتعلق
بها مصالح العباد .

ان الشريعة الاسلامية شريعة
سمحة ، « ولن يشاد الدين أحد
الا غلبه » يقول تبارك وتعالى
« ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا » .
ويقول سبحانه « ما جعل عليكم
في الدين من حرج » ويقول
الرسول صلى الله عليه وسلم :
« بعثت بالملة السمحاء » .

فالدعوة الى الله ينبغي أن
تكون بالصورة التي ارادها الله ،
وتقررها شريعته الغراء ، فالحل
أعلم بما فيه صالح العباد . . قل
تبارك وتعالى : « ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ،
وجادلهم بالتى هي أحسن » (١) .
هذه هي طريقة تربية هذه الأمة
تربية أساسها الايمان والتقوى ،

ورقابة الله ، وحساسية الضمير • بالصوم الجنة •

الصوم سر بين العبد وربّه
لا يطلع عليه غيره ، وفي الصوم
ترك لتناول الشهوات ، التي يمكن
تناولها عادة في الخفاء ، فإذا ترك
العبد ما تدعوه اليه نفسه طاعة
لله ، وابتغاء مرضاته ، حيث
لا يطلع عليه غيره ، فإن ذلك يدل
على كمال الايمان ، وصدق المحبة
لله •

والله سبحانه وتعالى ، يحب
من عباده أن يعاملوه سرا بينهم
وبينه ، فلا يطلع على معاملتهم
إياه سواء سبحانه وتعالى •

ومن أجل هذه النية الباطنة ،
والسرية الصادقة ، أضاف الله
سبحانه وتعالى الصيام الى نفسه
وخصه باسناده اليه ، دون غيره
من العبادات وسائر الأعمال •

روى في الحديث القدسي أن
الله تعالى يقول :

« كل عمل ابن آدم له الا الصوم
فانه لى وأنا أجزي به » •

ومن كمال الصيام ، وتمام
القرب من الله ، أن يترك الصائم
المحرمات ، فمن ارتكب المحرمات ،

وقد اختص الله شهر رمضان
بمزيد من الفضل ، وعظيم الأجر •
روى عن سلمان الفارسي
مرفوعا في فضل شهر رمضان :

« من تطوع فيه بخصلة من
خصال الخير كان كمن أدى فريضة
فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة
كان كمن أدى سبعين فريضة
فيما سواه » •

وروى أنه « يوازن يوم القيامة
بين الحسنات والسيئات ، ويقاوس
بعضها من بعض ، فان بقى من
الحسنات حسنة دخل بها صاحبها
الجنة » •

لكن الصوم لا يسقط ثوابه
بمقاصة ولا غيرها ، بل يوفر أجره
لصاحبه حتى يدخل الجنة ، فيوفي
أجره فيها •

روى عن سفيان بن عيينة رحمه
الله هذا الحديث :

« اذا كان يوم القيامة يحاسب
الله عبده ، ويؤدى ما عليه من
المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى
الا الصوم ، فيتحمل الله عز وجل
ما بقى عليه من المظالم ويدخله

سمعتك وبصرك ، ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة يسوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء » .

إذا لم يكن في السمع منى تصاون وفي بصري غض وفي منطقي صمت فحظي إذا من صومي الجوع والظما فان قلت : انى صمت يومى فما صمت .

وقال صلى الله عليه وسلم : « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر » (٣) .

وقد روى « أن امرأتين صامتا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فكادتا أن تموتا من العطش ، فذكر ذلك للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، فأعرض ، ثم ذكرتا له ، فدعاهما ، فأمرهما أن يتقيآ ، فقاعتا ماء قدح قيحا ، ودعاهما ، وصديدا ، ولحما عبيطا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « انما الصيام من اللغو والرفث » (٢) .

ثم تقرب الى الله تعالى بترك المبااحات ، كان كمن ترك الفرائض وتقرب الى الله بالنوافل .

وهل يكون تمام قرب العبد من الله ، وكمال اتصاله به سبحانه وتعالى بترك المبااحات ، مع مباشرته لما حرم الله ، من الكذب ، والظلم والعدوان على الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ؟ ان هذا أمر لا يقره العقل ، ولا يقبله الذوق السليم ، ويتناقى مع توجيهات الاسلام ، وأسسها التي بنى عليها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « من لم يدع قول الزور ، والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » (١) .

وفي حديث آخر « ليس الصيام من الطعام والشراب ، انما الصيام من اللغو والرفث » (٢) .

روى « إذا صمت فليصم

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه ابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحهما . والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

(٣) رواه ابن ماجه والنسائي ، وابن خزيمة في صحيحه .

يقوم الصائم ليله ، يكثر من الصلاة نهاره ، وينتقل الى بيت الله ، ويصحو للسحور ، ويمشي لأداء ما عليه من واجبات ، فتحل الهداية في قلبه ، وإذا الهداية حلت قلب امرئ ، تنشطت لها الأعضاء وامتلا الجسم حيوية وحركة .

والصائم يحس بألم الجوع ، وحرارة العطش ، فتتحرك فيه فضيلة الشفقة والرحمة ، فيعطف الغنى على الفقير ، ويمد له يد العون والمساعدة . فالصوم يجعل الغنى يستشعر في نفسه الأمانة على حق الفقراء ، فيعطيهم حقهم من مال الله الذي آتاه « وفي أموالهم حق

للسائل والمحروم » (٢)

والفقراء يتذوقون حرارة الصوم ، وحينما تسمى إليهم خيرات الله على يد الأغنياء تتحرك فيهم عاطفة الحب وتملأ قلوبهم الأمانة ، فيحافظون على أموال الأغنياء ، وحينئذ يشعر الغنى والفقير بنعم الله ويحمدون

وسلم « ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما ، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلسا ، فجعلتا تأكلان لحوم الناس » (١) .

ومع أن الصيام فيه تمام القرب من الله ، لما فيه من اخلاص لعبادة الله وترك للشبهوات والمصرمات ، ففيه أيضا سسمو بالروح ، وتقوية للنفس ، وتنشيط للجسم ، وتحريك للعاطفة ، وتقوية للإرادة ، وارغام لأنف الشيطان . يترك الانسان في رمضان الشبع والرئ ، ومباشرة النساء ، فتسمر روحه .

يدع الصائم الرفث والفسوق والفجور والعصيان ولا يخاصم ولا يشاتم من أجل الصيام ، ويتحرك لأعمال الخير ، فيصل الرحم ، ويقرى الضيف ويعين على نوائب الدهر . ومتى تمودت النفس على ذلك فانها تسلك طريقها السوى وتسير نحو مدارج الكمال .

(١) رواه احمد في المسند .

(٢) الذاريات (١٩) .

وشهر الصيام رحمة وبركة ، وفيه ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن وهي خير من ألف شهر ، قال تعالى « انا أنزلناه في ليلة مباركة » .. وقال تبارك وتعالى « انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر » وقال تعالى « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » ..

كانت الليلة مباركة لأنها ليلة القدر ، ولأنها أنزل فيها القرآن ، وكان الشهر مباركا لأنه نزل فيه القرآن ، وفرض فيه الصيام .

والقرآن الكريم لم يمين هذه الليلة فضلا منه ورحمة ، ليجتهد الصائمون طوال شهر رمضان ، وليحيوا لياليه يتلمسون هذا الفضل ويرجون هذه البركة .

وقد ورد من الأحاديث ما يشير ، بل يؤكد تحديد هذه الليلة ، في ليلة من جملة الليالي ، من العشر الأواخر من رمضان ، ولا عجب أن تكون هذه الليلة خيرا من ألف شهر ، فان ليلة فيها هدى ونور ، خير من دهر يمضى في ظلام

الله على ما تفضل به عليهم من خير ونعمة .

وفي شهر الصيام يترك الصائم بعض ما تعود عليه من عادات التدخين ، والشاي ، وكثيرا من العادات التي يتوهم الانسان أنها أصبحت ملازمة له فنتقوى بالصوم الارادة فتكون عارمة جازمة ، وتضعف عنده سلطان العادة ، وحينئذ يملك زمام أمره فيستعين بنكبات الدهر وتقلبات الزمان ، ويتغلب على مشكلات الدنيا ، ويحتل آلام الحياة ، ايشارا لما عند الله من الرضى والثواب ..

والصائم يخلو قلبه للفكر والذكر ، فيصفو ذهنه ، وترق مشاعره ، ويطرد بالصيام وساوس الشيطان فلا يكون له عليه سلطان ، قال تعالى : « ان هبدي ليس لك عليهم سلطان » .

في الصوم فوائد جمّة ، ومزايا لاتعد ولا تحصى ، منها اذا استفحل الداء وعز الدواء كان الصيام خير شفاء .

وضلال ، فليست قيمة الايام
بمساعاتها ، ولا قدر الليالي بطولها
وعدها ، وانما قيمة الاوقات
بما يحدث فيها من خير للناس ،
وهدي للبشر ، وسعادة للأمة ..
عن أنس رضى الله تعالى عنه ،
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
قال : « اذا كان ليلة القدر ، نزل
جبريل في كعبة من الملائكة يصلون
ويسلمون على كل عبد قائم أو
قاعد يذكر الله تعالى » .

الزاد التقوى •
اللهم وفق الأمة الاسلامية
علماءها وقادتها الى ما فيه خير
الأمة وصلاحها • • اللهم اهدهم
الى محاسن دينك ، والعمل على
تطبيق شريعتك ، في كل بلاد
المسلمين ، حتى يعود للأمة
الاسلامية مجدها وتقود معاركها
من نصر الى نصر ، والله سبحانه
ولى التوفيق ، وهو نعم المولى
ونعم النصير •

لهطى كل مسلم أن يتزود من
خير هذا الشهر المبارك ، وخير

محمد صابر البرديسى

« الصائم المحتسب »

الصائم المحتسب لا يجد في نفسه اضطرابا ولا انزعاجا
بل يكون راضيا مطمئنا هادئا ، قد يصيبه فتور في جسمه
ولكن روحه تظل قوية متيقظة •
الصائم المحتسب لا يفضب في رمضان مما كان يفضب
منه في غيره ، ولا يمل مما كان يمل منه وهو مفطر ، لأن
صيامه لله ، وصبره بالله ، وجزاه على الله •

من كتاب توجيهات الاسلام

لفضيلة الامام المرحوم الشيخ محمود شلتوت

درامات قرآنية

سورة الطارق

لفضيلة الشيخ مصطفى الطير

قال الله تعالى « والسما والطارق ، وما أدراك ما الطارق
النجم الثاقب ان كل نفس لا عليها حافظ ، فلينظر الانسان مم خلق ،
خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » الخ .
لماذا أقسم الله بالسما والطارق ؟
وكيف خلق الانسان من ماء دافق ؟
وما هو المقصود من الصلب والترائب ؟

البيان

حين أنه تعالى حظر علينا أن نقسم
بغيره ؟ فلا يحل لنا أن نقسم
بالملائكة أو الانبياء ، ولا بالآباء
أو الأولياء ، ولا بالسما وزينتها
من النجوم ، وانما نحلف بالله
الحى القيوم .

والجواب على هذا السؤال : أنه
تعالى انما أقسم بها وهو خالقها ،
لكى يوجه عباده الى معرفة آياته
فيها لا الى تقديسها ، ويشير الى

لائك أن عددا من الاسئلة
يدور في ذهن قارئى هذه السورة
وسامعها ، وأن الاجابة على تلك
الاسئلة تريح قلوب المؤمنين ،
وتزيد علم المتعلمين ، وتفتح
الطريق الى حق اليقين .

(وأول هذه الاسئلة) :

لماذا يقسم الله بمخلوقاته ، في

سماء كل شيء ما علاه ، فسماء
البيت عرشه ، وسماء المستظل
ظله ، والعلماء سماء العالمة ،
يستظلون بهم من نار الشبهات ،
وهجير الجهالة ، وأنت تسمو على
أقرانك أي تملوهم ، والمطر سماء
لعلوه ، ومنه قول الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم
رعيها وإن كانوا غصايا
أي إذا نزل المطر بأرض قوم
رعيها الكلأ الذي نبت بسببه ، وإن
لم يرض صاحب الأرض التي
نبت بها - كذلك يقول الشاعر
متناسيا حق المالك في أرضه •

والمراد بالسماء في لسان الشرع
غالباً : السماء ذات النجوم ، وقد
تطلق على السحاب ، كما في قوله
تعالى : « وأنزلنا من السماء ماء
طهوراً » أي : وأنزلنا من السحاب
ماء عظيم الطهارة بليغ النقاء
مما يلوثه ، مطهراً لغيره من
أدراجه •

والمراد بالسماء هنا : السماء
ذات النجوم ، وهل النجوم من

ذلك نحو قوله تعالى : « إن في
خلق السموات والأرض واختلاف
الليل والنهار لآيات لأولي
الالباب » (١) •

أما إذا أقسم البشر فانهم
ينحرفون إلى تقديسها وعبادتها ،
كما فعل البابليون ، حيث عظموا
الكواكب ليتقربوا بها إلى الله ، ثم
عبدوها ، ثم رمزوا إليها بأصنام
عبدوها لتقربهم إليها ، فازدادوا
بذلك بعدا عن الذي خلقها فسواها
وأغشس ليلها وأخرج فسحاحها ،
فأرسل الله إليهم خليله إبراهيم ،
لينهاهم عن عبادتها ، ويمرهم إلى
عبادة خالقها ، فلما لم يمثلوا حطم
أصنامهم خفية ، فلما عرفوا أنه
هو الذي حطمها ، أو قدوا له نارا
والقوه في الجحيم ، فجعلها الله
عليه بردا وسلاما •

(وثاني هذه الاسئلة) :

ما معنى السماء لغة وما المقصود
بها هنا ؟

والجواب على هذا السؤال أن

ولقد قرأت مرة أن بعض (التلسكوبات) البعيدة المدى ، اكتشف بعض العلماء بالنظر فيها خلف الكواكب والنجوم والمجرات ما يؤكد ظاهر النص القرآني ، من وجود سماوات وراءها لا يعرفه حقيقتها سوى عظام الغيوب ، وهكذا يبقى القرآن مفتاحاً لغيوب لم تدركها عقول البشر !! وقد يدركون بعضها ، وبالجملته فإنه سر الله المصون !!

أما هذه الزرقة التي نرى الكواكب والنجوم تلمع في وسطها ، فهي زرقة الغلاف الجوي ، وتمدد اخترقه أولئك الرحالة الذين وصلوا إلى القمر ، فلما جاوزوه لفهم الظلام حتى وصلوا إلى الغلاف الجوي للقمر .

والسؤال الثالث :

الطارق والنجم الثاقب

ما هو الطارق الذي أقسم الله به مع السماء ؟

وفيما يلي مقدمة تسبق الجواب :
والجواب : أن الطارق قد يطلق في عرف اللغة على سالك الطريق ، لأنه يطردها في سيره ، ثم غلب على

السماء أو هي السماء في لسان الشرع ؟ والذي يبدو لنا أنها غير السماء في لسان الشرع ، وأن هذه المغايبة ظلت خفية على المفسرين والباحثين ولم يقتنبوها لها ، فإن النجوم والكواكب تسبح في فضاء الله ، وهي زينة للسماء الدنيا وليست منها ، قال تعالى في سورة الملك : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح » وقال في سورة ق : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج » وقال في سورة الصافات : « أنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » .

ولا شك أن الزينة حلية يزدان بها غيرها ، فإن الزينة غير ما يزدان بها ، ألا ترى أن القلادة زينة لصدر المرأة وليست هي صدر المرأة ، فكذلك النجوم زينة للسماء الدنيا وليست هي السماء الدنيا ، وذلك واضح من منطوق النص الكريم ، كما أنه واضح من حديث الميراج ، فإن الميراج لم يكن إلى الكواكب ولكنه كان إلى السماوات .

من يأتي ليلا ، لانه يكثر مجيئة ،
والأبواب مغلقة فيطرقها ، ثم اتسع
في معناه فأصبح يطلق على ما يظهر
بالليل حتى الصور الخيالية ، كما في
قول الشاعر :

طرق الخيال ولاكليلة مدحج
سدا بأرحلنا ولم يتعرج (١)

والمراد بالطارق هنا عنـد
الجمهور : الكوكب الظاهر في الليل،
أما على أنه اسم جنسى لكل
كوكب ، أو هو كوكب معين — كما
سنبينه ان شاء الله تعالى .

ويعظم الله أمر هذا الطارق
فيقول « وما أدراك ما الطارق »

وكانه يقول : وأي شيء أعلمك أيها
المخاطب ما هو الطارق الذي أقسم
الله به ، انه لعظمة شأنه لا يعرف
المراد منه أو حقيقته الا بالتلقى من
العليم الحكيم ، ثم كشف عنه
كشفا خفيفا فقال : « النجم
الثاقب » يعنى ان الطارق الذى
أقسم الله به هو النجم الذى يثقب
الظلام بضوئه ، وهو جنس يشمل

كل نجم يثقب الظلام بسنانه ، أو
هو نجم يعينه نوره أقوى ،
وشعاعه أسرع ، وحجمه أكبر ومن
العلماء من فسره بالجدى — نقلا
عن ابن عباس — ومنهم من قال :
انه الثريا نقلا عن ابن زيد ، فانه
يكثر اطلاق اسم النجم عليه عند
العرب ، وقيل هو زحل وهو أبعد
السيارات وأرغمها وأقواها ضوءا
— كما قال قدامى المنجمين .

وانما قلنا أبعد السيارات ، لأن
الجدى والثريا أبعد منه بكثير ،
وليسا من الكواكب السيارة حول
الشمس ، ومنهم من قال هو كوكب
الصبح .

وسواء كان هذا أو ذاك ، لكل
منها دال على عظمة الله العلى
الكبير ، حيث سيرها الله في الفضاء
بقدرته ، وأبدعها بحكمته ، وأنار
بها المسالك للمساكين في جنس
الظلام ، وهدى بها المدحجين في
الصحارى ، والمأخرين ليلا في لجج
البحار ، فما أعظمك أيها الخالق

(١) المدحج السائر في الليل والسدا بكسر السين وكسر الـدال
المولع ، والأرحل بالحاء المهملة جمع رحل ، وهو ما يجلس عليه راكب
الابل ، والتعرج الميل والانعطاف .

مصريه وجزاءه ، والناس يومئذ
فريقان : (مؤمن تقى) يتناول
كتابه بيمينه ، فيحس بالسعادة
تغمر حساعره ، (وكافر شقى)
يتناول كتابه بشماله ، فيشمر
بالشقاوة تغطي أحاسيسه ، وفي
ذلك يقول الله تعالى في سورة
الحاقة :

« فأما من أوتى كتابه بيمينه
فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه ، انى
ظننت انى ملاق حسابه ، فهو فى
عيشة راضية فى جنة عالية ، قطوفها
دانية ، كلوا واشربوا هنيئاً بما
أسلفتم فى الأيام الخالية ، وأما من
أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى
لم أوت كتابيه ، ولم أدر ما حسابيه
يأليتها كانت القاضية ، ما أغنى عنى
ماليه ، هلك عنى سلطانيه » الآيات
ولهذا الملك وصفان — الرقابة
والثبات — وفى ذلك يقول الله
تعالى : « ما يلفظ من قول الا لديه

التقدير ، والمدير الحكيم . ثم أجاب
على القسم بقوله سبحانه :

« ان كل نفس لما عليها حافظ »
أى ما كل نفس (١) الا عليها
حافظ يحفظها أو يحفظ أعمالها ،
أما الحافظ لها : فهو الملك الموكل
بكل انسان ، يحفظه من الكوارث
التي تحل بجوارحه أو فيه ، وينفذ
مشيئة الله بنجاته ، كالرجل ينجو
من سقوطه من مكان مرتفع ، أو
انهيار منزل فوقه ، أو غرق سفينة
كان بها وقد مات ركبوها ، أو
الامتناع عن أكل طعام لا يعلم أنه
مسموم ، أو غير ذلك من المهلكات
التي ينجيها الله منها ، بأسباب
خارجة عن ارادته وبغير تدبيره ،
ولولا حفظ الله لهلك (٢) .

وأما الحافظ لأعمالها : فهو
الملك ، الذى وكله الله بتسجيل
أعماله خيرها وشرها فى صحيفة
ليقرأها يوم القيامة ، ويعرف منها

(١) (فان) هنا بمعنى ما النافية ، و (لما) بمعنى الا ، وهى لغة
مشهورة فى هذيل وغيرهم ، نقله أبو حيان عن الأخفش .
(٢) وفى ذلك يقول الله تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه
يحفظونه من أمر الله » أى يحفظونه بأمره تعالى .

نمو أنثاه استجابته له ، وخرج من كل منهما عند الوقاع ماء دافق سريع الانصباب ، مدفوع بقوة الغريزة الجنسية التي أعدها الله لذلك في كل من الرجل والمرأة .

وانما قلل من ماء دافق ، مع أن الجنين مفلوق من مامين ، ماء الرجل وماء المرأة — كما سنشرحه — لأن المامين بامتزاجهما صارا ماء واحدا ، أو أن المعنى : خلق من ماء دافق يخرج من كل من الزوجين فيلتقي بالماء الآخر ، فيحصل التلقيح والصلب ، وقد حدثت في الآيات أن هذا الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب، وزعم بعض قدامى المفسرين في تفسيره : أنه يخرج من بين صلب الرجل ، وهو عظام ظهره ، وترائب المرأة ، وهي عظام صدرها ، حيث موضع قلايتها ، وادعى هؤلاء أن هذا التأويل منقول عن ابن عباس .

وهذا غير صحيح نقلا ولا موضوعا :

أما نقلا : فلأنه لم يروه عن الحبر ابن عباس من يوثق به بسلا رويوا خلافه .

ورقيب هتيد « أي مراقب ثابت . ويصح أن يراد من الحافظ : المولى سبحانه ، فهو مهيم ورقيب كما قال تعالى : وكان الله على كل شيء رقيبا » وقال الشاعر :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل على رقيب

عجائب خلق الانسان ومصيره

بعد أن بين الله فيما سبق أن كل نفس عليها حفظة يحفظونها ويحفظون أعمالها ، أمر الله الانسان أن يتأمل في مجدا خلقه ، ليستيقن بالبعث والجزاء ، ويعمل من الصالحات ما ينجيهِ من سوء المصير فقال سبحانه :

« فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » الآيات .

أي : فليتأمل الانسان من أي شيء خلقه الله بعد خلق أبيه آدم من تراب ، لقد خلقه الله بطريقة أخرى غير الطريقة التي خلق بها آباءه ، وذلك أنه تعالى خلق فيه الرغبة الجنسية ، فإذا ما اتجه بها

والخليتان الى أربع ، والأربع الى ثمان وهكذا ، وبعد أربعة أيام ، تنزل خلايا كثيرة جدا من القناة الفالوپية الى الرحم ، وتظل تتكاثر داخل الرحم ، وفي اليوم الثالث من نزولها الى الرحم تلتصق بجداره ، وهذا هو القرار المتين للنطفة ، وقد رتب الله لها غذاءها في داخل الرحم ، وبعد خمسين يوما تكون النطفة قد انعقدت جنينا طوله ثلاث سنتيمترات ، وبعد ثمانين يوما يكون طوله ثمانى سنتيمترات ، ووزنه خمسة وعشرين درهما وهذا الطور يسمى طور العلقة ، لأن الجنين عالق بجدار الرحم ، ويشبه في تعلقه بها تعلق الدودة بما تمسك به ، ويبدأ بعد ذلك طور المصفة ، ويمكث أربعين يوما أخرى فوق الثمانين السابقة ، ويكون الجنين في آخرها قد أتم مائة وعشرين يوما ، أى : أربعة أشهر ، ويكون قد تم خلقه فينفخ فيه الروح حينئذ ، ويكون طوله بعد أربعة أشهر ثمانية عشر سنتيمترا ، ووزنه مبعين درهما ، ويبدأ في الحركة في بطن أمه ، ويزيد وزنه

وأما موضوعا : فلأن صدر المرأة ليس وعاءا لمنيها كما ثبت ذلك تشريحيا ، كما أن عظام الظهر ليست موضع المني ولا مفرجه في الرجل . وإنما مخرج المني ومصلحه الأساسى : « الخصيتان في الرجل ، والمبيضان في المرأة » .

والصواب في فهم الآية : أن المعنى : يخرج الماء الدافق من جميع أجزاء البدن في كل من الرجل والمرأة ، فمخرجه من بين الصلب والترائب كناية عن ذلك .

وتفصيل ذلك : أنه عند الوقوع تنور الشهوة الجنسية في جميع البدن ، فينصب السهم الى الخصيتين في الرجل والى المبيضين في المرأة ، ثم يتحول فيهما الى نطفة ، وتشتمل نطفة الرجل على الحيوانات المنوية ، ونطفة المرأة على بويضة تخرج منها مرة كل دورة شهرية ، ثم تلتقى النطفتان في القناة الفالوپية ، التى تصل بين رحم المرأة ومبيضها ، ويحصل التلقيح للبويضة بأقوى الحيوانات المنوية داخل القناة المذكورة ، وتنقسم بسرعة الى خليتين ،

صلب كل واحد من الرجل والمرأة وتراثيهما ، وهذا هو المعنى الذى رأينا الأخذ به .

وبهذا التأويل ردنا كيد بعض الملاحدة الى نصورهم ، اذ طعنوا فى الآية بأن المنى لا يتولد من بين الصلب والترائب ، بل ينفصل من الجسد كله ليأخذ الجنين طبيمة أصله وصورته ، فان التأويل الذى ذكرناه هو المقصود من الآية الكريمة ، وبه يأخذ الجنين صورة أصله ، وهو المتفق مع رد الرسول صلى الله عليه وعلى بعض النساء ، فقد ورد أن امرأة سألت النبى صلى الله عليه وسلم : « هل على المرأة من غسل اذا هي احتلمت ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم اذا رأت الماء » فقالت اهدى النساء : « أو تحتمل المرأة يا رسول الله ؟ » قال : نعم ، فبم يشبهها ولدها ؟ » .

تلك هي خلاصة الحديث ومعناه واضح .

ولما بين الله خلق الجنين على هذا النحو العجيب ، عقبه ببيان

وطوله ، حتى يحين زمن فصله وخروجه من رحم أمه كما قدره الله تعالى ، فيخرج باذن الله سالما للحياة خارج الرحم ، وينقل غذاؤه من رحم أمه الى صدرها ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وقد عبر الله عن خروج المنى من الجسد كله بخروجه من بين الصلب والترائب على سبيل الكناية كما قلنا لأن الترائب أطراف البدن كما جاء فى القاموس ، والصلب موضع العصب النازل من الدماغ ، ومنه تتوزع الشعيرات العصبية على جميع الجسد ، وله دخل عظيم فى نقل ايحاءات المخ الى الدورة الدموية ، فهو الذى ينقل الاحساس بالشهوة اليها فيثيرها ، وتنزل سلالة من الدم النائر الى الانثيتين والمبيضين ، فيتحول فيهما الى منى .

وكان ابن عباس كان يحش بيننا فى عصر الحقائق العلمية ، حيث حمل الترائب على أطراف الانسان وعينه ، كما نقله عنه مكى ، وروى الحسن عن قتادة : يخرج من بين

ولقد بين الله تعالى أن رجس
الانسان وبعثه ، سيكون يوم تبلى
السرائر ، أى يوم نكشف الامور
الخفية من العقائد والنوايا وسائر
الأعمال ، فتبدو واضحة لصاحبها
ولأهل القيامة ، وليس له فى ذلك
اليوم من قوة يمتنع بها ، ولا ناصر
ينتصر به ، « فمن يعمل مثقال ذرة
خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة
شراً يره » . نسأل الله السلامة
فى هذا اليوم الرهيب .

مصطفى محمد الحديدى الطر

أن من قدر على ذلك فهو قادر على
بعثه لجزائه ، حيث قال :

« انه على رجه لقادر ، يوم
تبلى السرائر ، فمأله من قوة
ولا ناصر » أى : انه تعالى على
رجع الانسان الى الحياة بعد الموت
لقادر لا يعجزه أن أصبح عظاما
نخرة وحطاما مبشرا فان من قدر
على خلقه من ماء مهين ، قادر على
أن يعيد له الحياة التى فارقته
وفارقها ، فهو الذى يقول للشئ كن
فيكون ، ومن سلب الحياة فهو
قادر على ردها .

« ما يقوله الصائم عند الافطار »

كان النبى - صلى الله عليه وسلم - اذا افطر قال :

اللهم لك صمت ، وعلى رزقك افطمت ، ذهب الظما ،
وابتلت العروق ، وثبت الأجر ان شاء الله تعالى .

الرسائل في كل أنحاء العالم

للاستاذ أحمد حنين

بالكثرة أو القلة ، « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » . وتاريخ الاسلام لم يقم في يوم من الأيام على الكثرة ، وكل معارك الاسلام بدأ بمعارك الرسول صلوات الله وسلامه عليه — ومرورا بأعظم معاركه عبر التاريخ، كالقادسية واليرموك ، وانتهاء بحطين وعين جالوت لم يكن المسلمون هم الأكثر عددا ، وانما كانوا كما يجب أن يكونوا دائما ، هم الأتشد إيماننا والآخذين بجانب الحق والعدل الإلهيين .

الى هؤلاء المسلمين ، حيثما كانوا وأينما كانوا وكيفما كانوا ، ولقد زعموا أن عدتكم تبلغ ٨٠٠ مليون مسلم ، والله يشهد انهم لكاذبون تصورا منهم أنهم يخفون

الى المسلمين في مشرق الدنيا ومنربها ، لا الى الدول فحسب ، من أمثال الدول العربية وتركيا وباكستان وبنجلاديش ، ولا حيث يمثلون الاغلبية في دول أفريقية أو آسيوية ، ولا حيث هم يجاهدون لاثبات الذات ، في قبرص أو أريتريا والفلبين وغيرها ، أو حيث هم أقلية مسحوقة كزنج الولايات المتحدة الأمريكية ، وانما أوجه حديثي الى هؤلاء وغيرهم من المسلمين في كل مكان وركن في العالمين ، الى حيث لا يذكر عددهم لقلتهم أو الخوف من أسمهم اذا كثروا، الى المسلمين في دول أوروبا بشرقها ، أو غربها ، أو في جزر الدنيا المنتشرة عبر البحار، الى حيث يوجد مسلم واحد ، فليست العبرة

من شأنكم اذ يقللون من عددكم ، وانكم لأكثر من ذلك ، ولكن العبرة ليست بالعدد كما قدمت ، فقد فتح المسلمون دنيا عصرهم وقهروا القوتين العظمتين (الفرس والروم) وعددهم لا يتجاوز بضعة ألوف وهذا هو ما يجب أن يتكرر الى هؤلاء جميعا أوجه هذه الرسالة .

من هو العبد الفقير :

ومن حق من يتلقى الرسالة ، أن يعلم من صاحبها ، فكتاب الرسالة ليس ملكا ، ولا هو رئيس أو كبير، أو صاحب مال أو جاه وانما صاحب هذه الرسالة عجوز (فوق السبعين) مشلولاً شللاً كاملاً منذ أكثر من عشر سنوات .

ولكنه والحمد لله نشأ من أبوين مسلمين وعاش في طاعة الله ما وسعه الجهد، ولم ييروح الاسلام خاطره في يوم من الايام .

فأنشأ في صباه أى منذ أكثر من ستين عاما جمعية (نصر الدين الاسلامى) وعندما كبر وثب عن الطوق وكان ممن أخذوا بروعة

المدنية الأوروبية ، فنقل عنها الاشتراكية ، حرص على أن يجعلها اشتراكية اسلامية من الألف الى الياء حتى رأى نفسه في غفلة ، وأن الاسلام بمبادئه وتعاليمه ، في غنى عن كل المسميات وكل النظم وكل التعاليم التى لم ترد في القرآن ، ومن أجل ذلك فهو يكتب هذه الرسالة ويودعها خلاصة معارفه وتجاربه عبر السنين ، ويمهد بها الى المسلمين كافة وليبلغ الشاهد الغائب وبهذا يكون الكاتب قد أدى الامانة فاشهد اللهم .

بعض التعاليم الاسلامية :

ولأسق الآن بعض المبادئ والتعاليم التى تعتبر في الوقت الحاضر ذروة الحضارة الانسانية ، وتعمل أمريكا وأوروبا بشرقها وغربها ، للوصول اليها وتحقيقها ولكن دون جدوى ، أقول فلاسق بعض هذه المبادئ ونرى أنها كانت سارية ومطبقة بالفعل لأنها من صميم التعاليم الاسلامية المنصوص عليها في القرآن والسنة .

الحرية والاخاء والمساواة :

وهي مبادئ ثلاثة عظيمة ، قيل انها من صنع الثورة الفرنسية ، ومنها سرت الى بقية أوروبا وأمريكا ، والثورة الفرنسية لم تقم الا في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر ، حيث نادى بها الاسلام وطبقها بالفعل منذ القرن السادس والىك النصوص •

الحرية :

— لكم دينكم ولي دين •

— لا اكراه في الدين •

— فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر •

ويقول عمر بن الخطاب لعمر بن العاص يؤنبه على بعض تصرفاته : « يا عمرو متى استمجدتم الناس وقد ولدتهم أماتهم أحرارا » •

فاذا علمت أن الدين في حياة المسلم ، هو كل شيء ، هو هياته كلها ، أدركت ، أنه اذا يدع غيره وما يعتقد ، هو تغليب للحرية الانسانية ، على الحياة نفسها ، ولن تدرك عظمة هذا المبدأ الذي

طبقه الاسلام بالفعل الا اذا علمت أن في الاتحاد السوفييتي ، وفيما يدعوه له من تعاليم لتطبق في العالمين ، لا يسمح لمن يدين بغير الشيوعية بالبقاء ، وتعتبر المجتمعات الرأسمالية نفسها في ذروة الرقي والتقدم لأنها تسمح (على مضض) بوجود أحزاب شيوعية بين ظهرانيها •

أما أوروبا في العصور الوسطى فلم تكن تسمح بالحياة (الكريمة) لمن لم يكن مسيحيا •

الاخاء :

أما ثاني مبدأ قامت عليه الثورة الفرنسية ، وشادت عليه أوروبا حضارتها المزعومة ، فهو (الاخاء) وفي ذلك يقول القرآن الكريم •• « **انما المؤمنون اخوة** » • وحيث ظلت كلمة الاخاء الفرنسية مجرد لفظ براق خال من كل مضمون ، فقد كان المجتمع الاسلامي كله ، سواء في الكل أو التفاصيل يبني على هذه الاخوة •

المساواة :

قل رسول الله صلى الله عليه

الذى يحقق كل المبادئ السابقة ويضعها موضع التطبيق ، يقول رسول الله .. صلى الله عليه وسلم - « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

وجاء في القرآن الكريم .. « وتعاونوا على البر والتقوى » ومن هنا كان التعاون بأدق معانيه وتفصيله ، هو سدى الحياة الاسلامية ولحمتها ، ولا داعى لذكر الأمثلة فالمجتمع كله ، كان قائما على التعاون .

النظام والنظافة :

وتزعم الحضارة (التى وصفت بأنها غربية) أنها تقوم أول ماتقوم على النظام والنظافة ، حيث ترى أنفسنا أولا وقبل كل شئ على أساسين من أساس العباداة الاسلامية ، فالصلاة الجماعية لا تكمل الا اذا سادها النظام فيطلب الامام دائما من المصلين أن يسووا صفوفهم ، وفي الصلاة

وسلم « المسلمون سواسية كأسنان المشط » والاسلام كله مبنى على هذه المساواة .

الاشتراكية :

ننتقل الآن الى نظام حديث ، زعموا أن العقل الأوربي قد ابتكره لتحقيق قدر من العدالة الاجتماعية ، ونعنى به الاشتراكية حيث النظام أحد أركان الاسلام الخمسة ، وأعنى به الزكاة ولا يخطئ أحد فيصور أن الزكاة هى الضرائب ، فالضرائب تدفع فى مقابل خدمات تؤديها الدولة ، أما الزكاة فهى حق الفقراء فى أموال الأغنياء ، أى أن أروع مافى الاشتراكية ، وهو تأمين كافة أفراد المجتمع ضد العوز والحاجة هو أحد أركان الاسلام .

التعاون :

ومن النظم التى ابتكرتها ما أطلق عليه اسم « الحضارة الغربية » نظام التعاون ، ليعالجوا بعض مفاسد الجشع فى جنى الأرباح ، وهذا التعاون هو لب المجتمع الاسلامى وجوهره ، وهو

وما التمييز بين اللون الأبيض والأسود الا أحد مظاهر هذا التمييز .

وقد برىء المجتمع الاسلامى من هذا الرجس ، فأوامر القرآن الصارمة ، ونص كلام الرسول يحرم هذا التمييز لأى سبب من أسباب اللون أو الجنس أو القبيلة ، وبديليها في العصر الحديث (الوطنية) يقول الرسول صلوات الله عليه ، ما معناه : « لا فضل لعربى على عربى أو أبيض على

أسود أو أحرر الا بالتقوى » .
والرسول في ذلك يردد المبدأ القرآنى الذى أوحى اليه .
« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وكان انعدام التمييز العنصرى بكافة أنواعه وتفريعاته ، نصا وروحا هو أحد الأسس التى قام عليها المجتمع الاسلامى .

الوحدة الانسانية :

وأخيرا انتهت الحضارة الغربية

في الحرمين ، المكي والمدنى ، في أيام الحج صورة لا مثيل لها في الدنيا كلها ، حيث ينتظم قرابة مليون مصل في صفوف خلف الامام ، أما عن النظافة : غشى بدوره لا مثيل له في العالم ، فالصلاة لا تصح الا بعد غسل (أى استحمام) والمسلم مطالب أن يتوضأ قبل أى صلاة ، وعددها خمس في اليوم الواحد .

التمييز العنصرى :

ونصل الى مشكلة من أعقدها مشاكل ما يسمونه بالحضارة الغربية ، وهو التمييز العنصرى ، وهو يسرى مسرى الدم في هذه الحضارة المزعومة ، ويتصور الكثيرون أنها وقف على التمييز بين الألوان ، هي عامة وشائعة وتعتبر مثلا أعلى في بعض النظم (التقدمية) فالشيوعية على سبيل المثال تعمل على القضاء على من تسميهم « بورجوازيين » وفي عهد الاستعمار كان كل مستعمر يضع نفسه بطبيعة الحال فوق الشعوب التى نكبت باستعمارها .

وهكذا ..

ويحكمونهم وراحوا بموجب القاعدة التي تقول • (أن المغلوب يقلد الغالب) ينقلون عن الأوروبيين ما كان الأوروبيون قد سبق أن نقلوه عنهم ، من نظام ونظافة وعلم .. الى آخره •

ولا عيب في ذلك وإنما العيب في أن يتصور المسلمون أن الغربيين هم الذين ابتدعوا هذه المبادئ وأن سر تحلف المسلمين هو في تمسكهم بالاسلام ، حيث يشهد الواقع والتاريخ بخير ذلك على ما قدمنا •

كيف ونقى نقل الأوروبيون الحضارة الاسلامية ؟

وقبل أن نمضى قدما في تبين رسالة المسلمين اليوم فنريد أن نوضح لمن لم يكن يعلم ، متى وأين وكيف نقل الأوروبيون الحضارة الاسلامية •

وبدأة ذي بدء فليعلم من لم يكن يعلم أن ليس هناك سوى حضارة واحدة وأن الزعم بأن هناك حضارة - شرقية وأخرى « غربية » هو من تخيلات الأوروبيين ومادرجوا عليه من تمييز

المزعومة الى فكرة توحيد البشرية (من الناحية النظرية) فكانت عصبية الأمم وخليفتها هيئة الأمم وكلتاها نادتا بقانون عام يعلو القوانين المحلية ، ولا يزال كل ذلك بطبيعة الحال (حبرا على ورق) حيث ان المبدأ عنصر أساسي في الحضارة الاسلامية فالمبشر جميعا أمة واحدة يعلوها قانون السماء • « وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربيكم مُجمعون » •

ونستطيع أن نمضى في هذا السرد حتى نصل الى أدق التفاصيل مثل آداب المائدة ، والاستئذان وكل صنوف التعامل مما قررته الانسانية عبر آلاف السنين ، وأصبح يطلق عليه مدنية وحضارة ونقله الأوروبيون عن المسلمين في العصور الوسطى ، فسادوا وعزوا بهذه المبادئ والتعاليم ، حتى تفوقوا على المسلمين أنفسهم (الذين كانوا قدتها ونوافي هذه المبادئ أو نسوها أو جهلوا) واستطاع الأوروبيون بفضل ما نقلوه وتعلموه من المسلمين أن يقهروهم عسكريا وبالتالى أن يسيطروا عليهم

أكثر من خمسمائة سنة ، ويجب أن نقف قليلا ازاء هذه الحقيقة لنعرف حدود الظلام الذي عاشته أوروبا ومداه ، وكيف دخلت مرحلة النور تحت وهج الحضارة الاسلامية

كيفية انتقال الحضارة الى أوروبا؟
كانت أوروبا كلها ، باستثناء

اليونان وروما والشريط من ساحل البحر الابيض ، تعيش في حالة قبلية يصفها مؤرخو الغرب بأنها كانت همجية بوبرية ، الى الحد الذي عندما احتلت هذه القبائل الهمجية روما في العصور الوسطى اعتبر ذلك نهاية الحضارة وبدء عصور الظلام واعتنقت القبائل المتبررة المسيحية فسرعان ما عكست جوهرها وهو المحبة والمسودة والتسامح الى صورة وحشية أخذت صورة « محاكم التفتيش » اننى كان أسلوبها تعذيب الجسد بأبشع صنوف التعذيب لتظهر الروح ، وكان من بين جرائم هذه المحاكم على سبيل المثال ، حرق جان دارك حية .

وعلى هذا الغرار تبعت أوروبا من شرقها (ما عدا حوض البحر

عنصرى فليس هناك سوى حضارة انسانية واحدة ، وهي مجموعة قواعد « السمو الانسانى » ومحاولته العيش على ظهر الارض في أحسن حالة ممكنة .

انتهاء الحضارة الى العالم الاسلامى :

وقد نشأت الحضارة أول ما نشأت في مصر ، وانتقلت منها الى حوض البحر الابيض كله أولا في شرقه (اثينا) ثم الى وسطه (روما) وكان يوجد في أنحاء أخرى في الشرق الأوسط بعض مراكز حضارية كأثور وبابل وفارس وغيرها ، وقد انتهى ذلك كله الى الحضارة الاسلامية بعد أن أضفى القرآن على كل ما كان سليما من هذه المبادئ روحا قدسية تشهد بمصدرها وهو الله سبحانه وتعالى .

ومن هنا فقد شهد البشر عبر ألف سنة عالما اسلاميا يغص بأسمى صور الحضارة ، حيث كانت أوروبا الحديثة .. (انجلترا - فرنسا - ألمانيا - روسيا) تعيش فيما أسموه بالعصور المظلمة والتي دامت

حطين ، وتصرف وفق التعاليم
الاسلامية من رحمة وتسامح وبعد
عن الانتقام فانبهرت أوروبا
بالحضارة الاسلامية فراحت تنقلها
فنقلت النظافة والعلم والأخلاق
الرحيمة وكان أن بدأت أوروبا
رحلتها في سبيل التقدم والتحضر
مبتدئة بما سمي بحركة « الإصلاح
الديني » واكتشفت أمريكا في
محاولتها تغادي الوصول الى الهند
عن غير طريق المسلمين ومن جديد
راحوا في أمريكا يطبقون أساليبهم
الوحشية والبربرية في إبادة الهنود
الحر .

والخلاصة : أن أوروبا لم تعرف
الحضارة الا عن طريقين .

الأول - نقلها مباشرة عن طريق
الإندلس (إسبانيا) .

الثاني - كتمسرة من ثمار
الاحتكاك في الحروب الصليبية .

الامور التي زادت أوروبا على
ما نقلته :

أما بالنسبة للمبادئ الرئيسية
للحضارة فلم ترد الا فكرة واحدة
وهي فكرة الحكم عن طريق
الأغلبية العددية وسنرى فساد

الأبيض (لغربها المسيحية) ذروة
حضارة الشرق في ذلك الوقت)
فالجعل والقذارة هما قمة التدين ،
ولا يدخل الجنة الا من أذنت له
الكنيسة بولمّا كان بابا روما هو رأس
الكنيسة فأصبح يصدر قرار
« الحرمان » على دول بأكملها
فيستحيل عليها أن تدخل الجنة ،
بينما يستطيع هو أن يدخل الجنة
من يشاء عن طريق « صكوك
الغفران » ويطول بنا المقام لورحنا
نتحدث عن أوروبا في العصور
الوسطى وحسبنا أن الأوروبيين
أنفسهم هم الذين أطلقوا عليها

أسم عصور الظلام .

الحروب الصليبية :

وقررت أوروبا « المظلمة » أن
تقضي على الاسلام والمسلمين
فأرسلت انجلترا وفرنسا والمانيا
جيوشها الى فلسطين لتفليس بيت
المقدس من الكفرة المسلمين ،
وعندما استولت هذه القوة الطاغية
على بيت المقدس ، أجروا خيولهم
في بحار من دماء المسلمين واليهود ،
واسترد صلاح الدين بيت المقدس
بعد هزيمة الصليبيين في معركة

هذا النظام من وجهة النظر
الاسلامية .

نصرة : النعمة فاعتبر ذلك هو
التقدم .

تطوير الآلات :

فنى الرسم والنحت :

أما الشيء الثانى ، فهو تطوير
ما نقلوه من آلات ، حيث توقف
المسلمون ، فنصور الأوروبيون أنهم
وحدهم القادرون على الابتكار
والاختراع وكانت المصيبة عندما
صدقهم المسلمون ، مع أن الممارس
لأى عمل من الاعمال لا يلبث أن
يضيف اليه أو أن ينقص ما لا يرى
ضرورة له وهكذا .

وتفوق الأوروبيون في فنى الرسم
والنحت ، ذلك أن الاسلام وهو
أعدى أعداء الوثنية حرم هذين
الفنيين ، ليتفادى صنع الأصنام
والتماثيل ، ولذلك فقد انصرف
الفنان المسلم الى نوع من النقوش
يزخرف بها منشئاته وهو نوع من
التجريد الذى انتهى الفنان المعاصر
اليه ، وقد طوفت أوروبا وأمريكا ،
فكانت هذه الرسوم الضخمة على
الجدران أو اللوحات والتماثيل
المختلفة دينية أو غير دينية تمثل
عنصرا تجاهلته الحضارة الاسلامية
وقد تصور المسلمون « خطأ » أن
ذلك هو عنوان الرقى ، فحاولوا
ذلك بأوروبا في هذا المضمار ،
واندفعوا في جهالتهم يقلدون

وهذا التطور في صناعة الآلات
هو ما يسمى في عصرنا الحديث
« بالتكنولوجيا » ولا علاقة له
بالمدينة والحضارة التى هى أسس
وقواعد وهدفها الأول والأخير هو
التكافل بين البشر والعيش في
أخوة وسلام ورحمة .

قرنان من الزمان فقط :

ولما كان الأوروبيون برابرة وهمج
بطبيعتهم ، فإن الحضارة لم تستقر
عندهم أكثر من قرنين (١٨ ، ١٩)
ولم يكد القرن العشرون يستهل
حتى أشعل الأوروبيون فيما بينهم

« الموسيقى » مع أنهم في هذا
المضمار يتفوقون على الأوروبيين
فحيث تعرف موسيقاهم النعمة
ونصف النعمة وربع النعمة ، فلا
تعرف الموسيقى الأوروبية سوى

القضاء على الربا :

ولست أريد أن أقف طويلا أمام
الأفكار الزائفة التي أضافتها أوروبا
الى دنيا الفكر من أن أصل الانسان
تسرد (داروين) ، أو أن الجنس
هو محور حياة الانسان (فرويد) أو
أن لا وجود لله (ماركس) .

ولكنى أقف أمام النظام
الاقتصادي حيث عمل اليهود (وهم
قلة مسحوقة) على السيطرة على
أوروبا وأمريكا عن طريق ادخال
(الربا) على المعاملات ، واعتباره
أساس الحياة الاقتصادية ، وقد
برئت الحضارة الاسلامية من هذه
اللعة ، ان أعظم ما قام به المسلمون
في الوقت الحاضر هو انشاء
مؤسسات لا تعمل بالربا . ان
سلطان اليهود (الذي يجعلهم
يفكرون في السيطرة على العالم وبدأ
باحتلال فلسطين وانشاء دولة
اسرائيل بدأ بنظام الربا بحيث
أصبحوا يسيطرون على البنوك
وتسيطر البنوك على سائر مناشط
الاقتصاد كما هو الحال في أمريكا .

هربا ووحشية لم تعرف الدنيا لها
مثيلا من قبل في وحشيتها ، وتوقفت
لعشرين سنة فقط لتعود أشد
ضراوة ووحشية .

وانسلخت أوروبا وأمريكا من
الحضارة جملة ، فلا دين أو أخلاق
وانما صراع ووحشية ، يفوز فيه
دائما الأكثر مثالا والأكثر ازدهار
للقوانين والقيم الحضارية
وهسبنا أن تشير الى آخر صنوف
التجارة في أمريكا وهو الاتجار في
قطع الغيار البشرية فيقتل الناس
(بطريقة علمية) في إحدى
المستشفيات ، ليقطع الجسد بعد
موته الى قطع غيار تباع في السوق
ويشيع الأمر الى جملة (فيلما
سينمائية) يعرض في دور السينما
ولقد انتهت أوروبا بشرقها وغربها
كقوة حضارية ، وليس سوى
متعلم ومثقفى المسلمين من
لايزالون ، ينظرون الى أوروبا
وأمريكا باعتبارهما مصدرا للحضارة
والحضارة منهما براء ومن هنا يجيء
واجب المسلمين في بعث الحضارة
الانسانية بكل قيمها ومبادئها
الموروثة .

النظام الديمقراطي :

فلينفض المسلمون :

مؤمنين أن دينهم ، هو الدين ،
وأن حضارتهم هي الحضارة وأن
ما يجدونه من أنظمة عريقة الأصول
فهي بضاعتهم ردت اليهم •

وعليهم أولا قبل كل شيء أن
لا يقلدوا الغرب في عبادة المال
والعمل بكل الوسائل لجمع أكبر

قدر منه •

فما الحياة الدنيا الا متاع
الغرور وأن الآخرة خير وأبقى وأن
السعادة كل السعادة في هذه الدنيا
يكون بالرضا والقناعة ومن تحلى
بهاتين الصفتين يعيش طول عمره
« آمينا » لا يكذب ولا يخش أو
يخادع فضلا عن أن يسرق أو يتهب
ويعيش رحيما عطوفا ناظرا الى أي
انسان على أنه أخاه •

وهذه هي الحضارة فعلى
المسلمين أن يعملوا على تحقيقها
وانهم لقادرون على ذلك •

ألا هل بلغت اللهم فاشهد •

أحمد حسين

وثمة نظام كاذب تحمل لواءه
أوربا بشرقها وغربها فضلا عن
أمريكا وذلك هو ما يسمى (بالنظام
الديمقراطي) وهو الحكم السياسي
للاكثرية العددية للسكان وهو نظام
فاسد من أساسه •

يقول تعالى في محكم تنزيله
« وإن تطع أكثر من في الأرض
يفضلك » وليس أدل على كذب
الادعاء بحكم الاكثرية أن انجلترا
(٤٠ مليون) حكمت أيام الاستعمار
شعوبا مؤلفة من ألف مليون وكذلك
فرنسا ، وكل دولة تزعم انها تؤمن
بالديمقراطية (أمريكا في فيتنام
واليوم روسيا في أفغانستان)
فالتشدد بحكم الأغلبية والنزول
عند رأي الارادة الشعبية هو محض
هراء تتشدد به قلة عددية لتسود
به أغلبية عددية •

الثورى أسس الحكم الاسلامي :

ومن هنا كان نظام الثورى
الاسلامي هو النظام الأمثل
والأكمل •

المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف دكتور رؤوف شاوي

اقتصادية ، لكنها ليست في القدرة
ولا في قلة الموارد الطبيعية كما
يقول أصحاب نظرية الرأسمالية
ولاهي في أن التناقض بين شكل
الانتاج وعلاقات التوزيع ، كما
تذهب الى ذلك الماركسية ، ذلك لأن
الله تبارك وتعالى هو السرزاق
دو القوة المتين ، وقد خلق الله
الأرض وقدر فيها أقواتها في
أربعة أيام سواء للسائلين .

بل أن نعم الله التي يمن بها
على عباده أنه خلق لنا معاش
ولسنا له برازقين ، وخصص لكل
نوع من المخلوقات طعامه :

يقول جل جلاله : وفاكهة وأبا
متاعا لكم ولأنعامكم «

٣١ - ٣٢ عبس

وقد أقسم الله تعالى على أن

(أ) البطالة

(ب) الانحرافات الأخلاقية

(ج) الانحرافات المالية

*** ثانيا - الحل

(أ) العمل ...

(ب) الاستقامة

(أ) الاستقامة الأخلاقية

(ب) الاستقامة في الانفاق

١ - المشكلة الاقتصادية

لاشك أن الاقتصاد له مشكلة
يعترف بها كل أصحاب النظريات
الاقتصادية ، غير أن كل مذهب
اقتصادي له تفسير للمشكلة
الاقتصادية ، تتبع الأسس
الفلسفية التي يقوم عليها
المذهب .

الإسلام يعترف أن هناك مشكلة

(ب) الانحرافات الأخلاقية :

الإسلام نظام متكامل تتغذى كل مجالات بعضها من بعض ، والمشكلة الاقتصادية تنشأ عن الفساد الخلقى ، لأن الفساد الخلقى يضيع المال دون مقابل •
 شرب الخمر ، والحشيش ، والأفيون ، والزنا ، والقمار ، واللعب ليلاً في صالات الرقص ، والملاهي الليلية ، والكاباريات ••
 الخ ضياع للمال دون عوض مقابل ، وضياع للوقت ، وضياع للصحة •

والمال والوقت والصحة كلها وسائل إنتاج ، ليست فقط معطلة بل ذاهبة في الهباء ، فكلما الانحرافات الأخلاقية تلتقي كمية من وسائل الإنتاج في عرض بحر الهوى ، كما تتفق كمية من الزمن في دخان الشهوة •

وكل ذلك يعطل الإنتاج ، ويقال وظيفته الأساسية ، من كونه خدمة للمجتمع في مجالات الخير والفضيلة ، وتحوله إلى نفقة على الذات خاصة في فراغ ليس من وراءه نفع ولا فائدة •

رزق العباد في السماء « وفي السماء رزقكم ومأوتىدون ، فو رب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون » •

٢٢ ، ٢٣ الذاريات

ولكن المشكلة الاقتصادية في نظر الإسلام تكمن في :

• البطالة

• الانحرافات الأخلاقية

• الانحرافات المالية

(أ) أما البطالة فقد حذر منها النبي — صلى الله عليه وسلم — عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم •

ويقول عليه الصلاة والسلام : على كل مسلم صدقة • فقالوا : يا رسول الله فمن لم يجد ؟

فقال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا : فإن لم يجد قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : فليعمل بالمعروف ، وليمسك عن الشر فانها له صدقة •

(إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا) •

رواه البخارى

ومن الانحرافات الأخلاقية قتل الأولاد خوف الفقر ، أو لقيام الفقر بهم ، لأن الأولاد ، طاقة عمل تحتاجها ميادين الانتاج ، وقلة الأيدي العاملة تؤثر في الانتاج كما وكيفا ، وبالتالي تؤثر على وظيفة المال كخدمة لرخاء العيش للجماعة الاسلامية •

ولهذا كله حرص الاسلام على أن يبرأ المجتمع الاسلامى من هذه الأمراض الاجتماعية ، التى تفسد الأخلاق ، وبالتالي تفسد الاقتصاد ، وتفرخ المشكلة الاقتصادية •

يقول الله تعالى :

« إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » •

٩٠ - المائدة

ولقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم من هذا العبث ، ففى الحديث الشريف : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه : كره هيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ••

رواه البخارى

كما حذر من اتلاف المال بغير وجه حق ، فقال صلى الله عليه وسلم :

من أخذ أموال الناس يريد اتلافها أتلفه الله ، إلا أن يكون معروفًا بالصبر ، فيؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ، كقتل أبى بكر حين تصدق بماله ، وكذلك أثر الانتصار المهاجرين ، ونهى رسول الله عن إضاعة المال فليس له أن يضيع أموال الناس بعلبة الصدقة •

رواه البخارى

وينهى الاسلام الزوجة من إفساد مال زوجها ، لأنه سبب من أسباب المشكلة الاقتصادية فى نظر الاسلام ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

ويقول الله تعالى :

الفساد الخلقى فساد الحياة كلها،
يقول جل جلاله :

«واذا أردنا أن نهلك قرية
أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق
عليها القول فدمرناها تدميرا» •
١٦ - الأسراء

ويقول جل شأنه :

وكان في المدينة تسعة رهط
يفسدون في الأرض ولا يصلحون ،
فقالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله
ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك
أهله وأنا لصابقون ، ومكروا مكرا
ومكروا مكرا وهم لا يشعرون
فناظر كيف كان عاقبة مكروهم أنا
دمرناهم وقومهم أجمعين •
٤٨ - ٥١ النمل

ولقد ضرب الأمثال في القرآن
الكريم على أن هلاك الأمم
والأفراد تابع للفساد الأخلاقي ،
وليس هناك أشد فسادا خلقيا من
الكفر والفسق ، وقد كانت خاتمة
أصحاب الجنة في سورة القلم ،
أنها أصبحت كالصرير لأنهم غدوا
على حرد قادرين في زعمهم ، على
منع الفقراء من حقهم المسنون •

« قل تعالوا آتِل ما حرم ربكم
عليكم الا تشركوا به شيئا
وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا
اولادكم من املق نحن نرزقكم
واياهم ولا تقربوا الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا
النفوس التي حرم الله الا بالحق
ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » •

ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتى هي احسن حتى يبلغ أشده
واوفوا الكيل والميزان بالقيسط
لا تكلف نفسا الا وسعها ، واذا
قتلتم فاعدلوا ولو كان ذا قرى ،
وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به
لعلكم تتقون ، وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم
وصاكم به لعلكم تتقون » •

١٥١ - ١٥٣ الأنعام

ومع هذا للتشريع المرطب
للمشاعر ، المتقبل لدى الفطرة
السليمة ، المرضي للعقل المنصف ،
فان الله يكرر تحذيراته من ضياع
المال في الانحرافات ، ويرتب على

* وحرّم الميسر : يقول الله تعالى :

انما الخمر والميسر والأنصباء والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .

٩٠ المائدة

* الغصب : ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكم لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون .

١٨٨ البقرة

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما ، ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا .

٢٩ - ٣٠ النساء

وفي البخاري عن حكيم بن حزام قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، قال يا حكيم : ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس

(ج) أما عن الاتحرافات المالية فقد حرم الاسلام كل تصرف مالي يؤثر في الدورة الاقتصادية .

* فحرم الاحتكار ففي الحديث : من احتكر فهو خاطيء مسلم وأبو داود .

* من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجزام والافلاس رواه : أحمد وابن ماجه * من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطيء وقد برئت منه ذمة الله ورسوله .

رواه : أحمد والحاكم حديث حسن * وحرّم الغش ففي الحديث : من غش فليس مني

اصحاب السنن

* وحرّم الربا ، يقول الله تعالى : واحل الله البيع وحرّم الربا

٢٧٥ البقرة

* وحرّم السرقة يقول الله تعالى : والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله .

٣٨ المائدة

أنماطها ، وهي أمور لم يفتن لها أصحاب المذاهب الاقتصادية ، بل أنهم ليمارسون هذه الانحرافات وهم لا يشعرون ، أنها مفسدة تفرخ المشكلة الاقتصادية ، فالخمر ، والقمار ، والكباريات ، والمسارح ، وصالات الرقص كلها أنظمة مستوردة من عالم أوربا ، وعالم الشيوعية والاشتراكية ، تلك التي جعلت المسارح بديلا عن المساجد وهي سلوكيات .

وما أحوج الأمة الإسلامية في عصرها الحاضر ، وهي تملك أساسيات العمل الاقتصادي ، من ثروات متعددة المصادر والمنابع ، ما أحوجها الى عودة مخلصنة لنظامها الاسلامي ، فلعلها ان جربت سعادته ، وانه لمن العجب الحجاب ، أن تفسح الأمة العربية والاسلامية صدرها الوطني والاقتصادي ، لنظريات غريبة معربة ، وشرقية فاشلة ، وتتلقى مآسى في اقتصادياتها كل يسوم ، ثم تمتص متمسكة بما أدخلته في بلادها من هذا الشر الوبيل ، ولم تنق لنداء الله "ولو أن أهل القرى

بورك له فيه ومن أخذه بأشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى .
* الغل : وهو أخذ المال من الأفعال قبل القسمة » ومن يغفل يات بما قل يوم القيامة » .

١٦١ آل عمران

* الطمع : يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب .

رواه البخاري

* الائلاف : يقول النبي صلى الله عليه وسلم : من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد أن يتلفها أتلفه الله .

رواه أحمد وابن ماجه

تلك مجموعة من التشريعات التي تصور أسباب المشكلة الاقتصادية ، انها في البطالة وائلاف المال ، والانحرافات بشتى

يشهد مع الله على عمل المسلمين
وجماعة المؤمنين مع ربهم
ورسولهم يشهدون عمل المسلمين
فيما تكلوه آيات من سورة التوبة :

« وقل اصعلوا فسيرى الله
عملكم ورسوله والمؤمنون
وستردون الى عسالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم
تعملون » .

١٠٥ - التوبة

والعمل في التصور الاسلامي
يشمل الأرض والبحار والأنهار
والزروع والضرع ، فقد عرف
المسلم أن الله سخر له هذا الكون
كما دعاه الله الى السير في جنبات
الأرض سعيًا على رزقه ، يقول
الله تعالى :

« هو الذي جعل لكم الأرض
فلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من
رزقه واليه النشور » .

١٥ - المائدة

والنبي صلى الله عليه وسلم
يقول : لأن يأخذ أحدكم حبله على
ظهره فيحتطب خير له من أن
يسأل الناس أعطوه أو منعوه .

آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والأرض ولكن كفوا
فاخذناهم بما كانوا يكسبون » .
٩٦ الاعراف

ثانياً - الحل الاسلامي للمشكلة الاقتصادية

تتركز الحلول الاسلامية بشكل
موضوعي ، للتغلب على المشكلة
الاقتصادية من مفهومها المشروع
سابقا ، على دعامتين اثنتين فقط :

الدعامة الاولى : العمل :

الدعامة الثانية : الاستقامة على
شرع الله :

(١) أما العمل : فقد حظى في
الاسلام بتوضيح شامل ، لأن
الاسلام ذاته منهج عملي ، ولأن
النبي صلى الله عليه وسلم في كل
حياته كان عملياً: انه مع المجاهدين
يحفر الخندق ، ومع الطهارة يجمع
الحطب ، ويساعد أهل بيته ، وكان
يخسف نعله بيده الشريفة وهو
القاتل : صاحب الشيء أولى
بحمله والله تعالى يشهد
على عمل المسلمين ، والرسول
الكريم - عليه الصلاة والسلام -

ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها
الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا
العمره يكفرها الله في طلب
المعيشة .

أبو نعيم في الحلية
ب - وأما الاستقامة فهي استقامة
الأغنياء .
واستقامة الفقراء

أخلاقيا ، وماديا ، نفسيا
ووجدانيا ، وأساس الاستقامة
عند الأغنياء أن يتمسكوا بما شرعه
الله في الأموال من حقوق للفقراء
والمساكين وابن السبيل وفي سبيل
الله ... الخ لا يطمعوا حقا ،
ولا يستذلّوهم بحق ، فإن الأخوة
الاسلامية والولاية في المجتمع
الاسلامي تربط بين المسلمين
برباط واحد ، في تحقيق كمال
العبودية لله واذا أدرك الأغنياء
أن الغنى ليس بكثرة العرض ، بل
بكثرة القناعة والرضا ، طابت
نفوسهم بما أعطاهم الله ، ورضيت
نفوسهم بالمبذل لأصحاب الحاجة
والفقراء ، كذلك اذا أدركوا أن
هذه الحياة قسمها الله من الأزل
وأنة لا اراد لما اعطى الله ، ولا

ودعا الى الجدية في العمل ،
والحسن في الأداء ، فيقول صلى
الله عليه وسلم :

« ان الله يحب أحدكم اذا عمل
عملا ان يتقنه » .

والقرآن الكريم يحشد آيات
جمة تصور صلة العمل في الدنيا
بمركز الفرد المسلم يوم القيامة ،
يقول الله تعالى :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »
٧ - ٨ الزلزلة

« ينبأ الانسان يومئذ بما قسم
وأخر بل الانسان على نفسه بصيرة
ولو ألقى معاذيره » .

١٣ - ١٥ القيامة

ويحذر القرآن الكريم من سوء
العاقبة للعمل الفاسد :

« نذر الفساد في البر والبحر بما
كسبت أيدي الناس لينذيقهم بعض
الذي عملوا لعلهم يرجعون » .
٤١ - الروم

وقد جعل النبي صلى الله عليه
وسلم السعى على المعيشة من
أسباب تكفير الذنوب فيقول :

الجهل بميزان التوزيع الآلى ،
فليست نظريات الاقتصاد هى التى
توزع ، وليست الحكومات شرقية
أو غربية هى التى توزع ، فكلها
تصاب بالعجز فى الانتاج ، وقد
استمر العجز فى انتاج الغذاء فى
روسيا الشيوعية ، حتى راحت
تستجدى أمريكا اتفاقات شراء
قمح لتغطية العجز الزراعى ،
وذلك لمة تخفى على كل
الاقتصاديين ، وهى أن التوزيع
الذى فى قول الله تعالى :

« له مقاليد السموات والأرض
يسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه
بكل شئ عليم » .

١٢ - الشورى

وصدر الآية دليل على التقسيم
فالله هو صاحب مقاليد السموات
والارض ، انه جل جلاله هو الذى
يدبر الأمر فيهما ، وهو جل جلاله
الذى قدر الأقوات فى الأرض ،
وهو جل جلاله الذى جعل رزق
العباد فى السموات ، وهو جل جلاله
الذى يسط الرزق لمن يشاء
من عباده ، وهو جل جلاله الذى
يقدر الرزق على من يشاء من

معطى لما منع الله ، طابت نفوسهم
بما ييذل لهم من حق هولهم فى مال
الأغنياء ، وعملوا على إزالة فقرهم
بجد فى الكد والكدح ، والجهاد ،
فمن بات كالا من عمل يده بات
مفطورا له .

والقضية الأساسية فى الاستقامة
أن الحياة الدنيا لا تسير هواليتها
الا بالتنظيم ، الذى أبدعه الله
وسيرها عليه ، يقول الله تعالى :
« أهم يقسمون رحمت ربك ،
نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى
الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق
بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا
سخرىا ، ورحمت ربك خير مما
يجمعون ، ولولا أن يكون الناس
أمتواحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة ومهارج
عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا
وسرا عليها يتكئون ، وزخرفا وان
كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا
والآخرة عند ربك للمتقين » .

٣٣ - الزخرف

ان هذا التقسيم الآلى ، يجب
أن يحترم من المسلمين ، وان
الخروج عليه افساد يدفع اليه

الايمان أساسا لحل كل مشكلة
وأساسا للتوزيع •

يقول الله تعالى : فقلت
استغفروا ربكم انه كان غفارا
يرسل السماء عليكم مدرارا
ويمكنكم بأموال وينين ويجعل
لكم جنات ويجعل لكم أنهارا •

١٠ - ١٢ - نوح
وتأتى رحمت الله في الضيق
لن تاب اليه واستمسك بوجهه
وعمل بشره : يقول الله تعالى :

«وهو الذى ينزل الغيث من بعد
ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي
الحמיד» •

٢٨ - الثورى •

فالاستقامة هي :

ألا يتخذ الأغنياء من أموالهم
سبيلا الى ارتكاب المصالح ،
واذلال الشعوب •

والأليحد الفقراء الأغنياء على
ما منحهم الله من فضله •

ولم تقع الأمة العربية
والاسلامية فريسة الثورات
العسكرية التى قامت ، تدعى أنها

عبادة لطة وحكمة هي : ولو بسط
الله الرزق لعبادة لبغوا فى الارض
ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه
بعباده خبير بصير •

٢٧ الثورى

فمن الذى يقدر من البشر :
اقتصاديين

او سياسيين

او عسكريين

من الذى يستطيع أن يغير هذا
التوزيع الأعلى ؟

• هل استطاع الشيوعيون
تغييره ؟ لقد عجزوا وفشلوا ويكفى
سوء حالة العالم الشيوعى فى
اقتصاديه ، ومجتمعه وأسرته
وأفراديه وهم البائسون ،
المطحونون الأذلاء للآلة
ولأسيادهم أعضاء الحزب
الحاكم •

• وهل استطاع الرأسماليون
تغييره ؟ فما بال الملايين الجائعة ،
والملايين من اطنان القمح تطرح فى
المحيط لحماية السعر ، ولاخضاع
الأمم للاستعمار الاقتصادى
الحديث •

• أما الاسلام فقد جعل

جاءت للعدالة الاجتماعية ،
فصادرت الأموال والحريات من
أجل هذه الدعوى لم تقنع
الأمة فريستلهذه الثورات الا لأنها
جعلت شرع الله خلف ظهرها ،
وارتدت في أحضان النظام الأوربي
فصارت بيوتهم كبيوت أوربا لنة
وسلوكا .. فتحدثوا الأوربيية
وشربوا الخمر وحولوا بيوتهم الى
مراقص ، ونظروا الى الفقراء
نظرة العبيد الأرقاء ..

واذا كانت القاعدة ما من ظالم
الا ويبلى بظالم ، فقد ظلم أولئك
القوم أنفسهم بخروجهم على
شرع الله ، فابتلاهم الله بظالم
يصادر أموالهم ، ويعصف بحرياتهم

... فما زادت ... الثورات
المسكينة عالمنا العربي والاسلامي
الا سجنا على سجن ، وذلا على
ذل ، وفقرا على فقر ... وصدق
الله العلي العظيم :

« ومن أعرض عن فكري فان له
معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة
اعمى ، قال : رب لم حشرتني
اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك
أنتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم
تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف
ولم يؤمن بآيات ربه ولما ذاب
الآخرة أشد وأبقى » .

١٢٤ - ١٢٧ طه

فهل الى عودة من سبيل ٢٢ ١١

د . رموف شلبي

يونس عليه السلام

ودعاة الإصلاح

للامتاذ السيد حسن قرون

حين أرخت السيرة النبوية لرحلة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، بعد وفاة عمه أبي طالب ، وزوجه خديجة ، في السنة العاشرة من المبعث ، وسجلت ما جرى من سعادة ثقيف ، وسفاهتها وأرقائها ، لم يفتها أن تسجل لقاء النبي بأحد الأرقاء ، وهو عداس غلام ابنى ربيعة : عتبة وشيبة ، فقد لجأ النبي الى بستان عنين الأخوين ، حين لقي ما لقي من أذى القوم الذين نالوا من سيد البشر ، رعاية لقريش أن تسمع عنهم حسن اللقاء .

نظر الأخوان القرشيان عتبة وشيبة الى الرسول ، فتحركت له رحمهما ، فهما يجتمعان معه في (عبد مناف) فأرسلا اليه غلامهما (عداسا) بطبق فيه قطف عنب ، فجري بين الرسول وعداس حوار على النحو التالي ، كما يروي ابن هشام في السيرة النبوية . وضع عداس طبق العنب بين يدي النبي ، وقال له : كل . فلما وضع النبي فيه يده قال : باسم الله ، ثم أكل .

نظر عداس في وجهه ثم قال : والله أن هذا الكلام ما يقوله أهل تلك البلاد . فقال رسول الله : ومن أهل أي البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل (نينوى) فقال رسول الله : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله : ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي ، فأكعب عداس على رسول الله ، صلى

وأنذرهم ودعا عليهم ، فلما لم يجد أثرا لكل ذلك تركهم ليطلقوا مصيرهم .. ولئن كانت ثقيف رده أقبح رد ، فقد وجد من عداس الايمان والتكريم والحفاوة البالغة ، التي تتمثل في تقبيل رأسه ويديه وقدميه . كان النبي وحيدا بين أئمة الكفر ، ولكن عناية الله عطفت عليه من آمن ومن أصر على الكفر .. ولكن يونس لقي ما سنحدثك عنه في مسير الكلمات .

وقد كان ذكر يونس في هذا البلد الموحش ، وفي هذا الوقت العصيب ، دلائل تبشر بالفرج وانفساح الآمال ، فيونس بعد الضيق الذي أحاط به ، وضغطه عليه ولفه في ظلماته واتاه الفرج واسباغ النعمة .. والقرآن الكريم يقص علينا قصة يونس في سور منه هي : سورة يونس ، وسورة الأنبياء ، وسورة الصافات وسورة القلم على الترتيب الذي استقر عليه المصحف الشريف ، فلا غرو أن أسير على هذا النهج ، فأتناول الآيات التي وردت في تلك السور ،

الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه .

يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه — وقد رأيا مارأيا — أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما رجع اليهما عداس قال له : ويلك يا عداس ! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه الا نبي . قال له : ويحك يا عداس ، لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه . ومن البديهي أنك تدرك الصلة بين محمد ويونس في تلك المصادفة العجيبة ، فالرسول جاء الى الطائف ليتخذ من أهلها عونا على نشر رسالات ربه ، والتصدي لقريش لدحر أصنامها وأوثانها ، انه خرج من مكة غاضبا من قومه ، منكرا لعنادهم ، راغبا في هدايتهم بكل الطرق الممكنة ، ولكنه خرج ليعود ، وخروجه نوع من الجهاد والامل في هداية العباد ، أما يونس فقد خرج مغاضبا لمن أرسل اليهم ، لا تطاوعه نفسه للمودة الى قريتهم ، حذرهم

عاجب ، انهم آمنوا بعد أن غاب عنهم نبيهم غاضبا من مسالكهم ، زاريا لخلافهم ، كارهها للحياة بينهم ، آمنوا ولذلك لم يجعلهم الله مثل الذين قال عنهم : « أن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يسيروا العذاب الاليم » (١) بل شاء هدايتهم ، لمحقذ في قلوبهم التوبة ، فلبسوا المسوح ، وتناهوا عن المظالم ، وعجوا الى ربهم أربعين ليلة — كما تقول كتب التفسير — فلما عرف الله منهم الصدق ، والتوبة والندامة على ما مضى منهم ، كشف عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم مصداقا لقوله تعالى من سورة يونس آية ٩٨

« فلولا كانت قرية آمنت فنقمها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين » .

وهذا تنويه عظيم بتلك القرية ، التي نالت رضا الله ، فكشف عنها

مبيها العبرة منها ، والدروس المستفادة من كل موضع ، لتكون أمام دعاة الاصلاح نبراسا في شق طريقهم نحو هداية البشر ، وما المصلحون الا بصيص من نور النبوات ، وقبس مما تركوا من عظات والقرآن في ترتيب سورة بدء بخاتمة القصة . لما لها من نتائج باردة سارة ، ولأن تلك النتيجة تشير الى انفراد قسرية يونس بنعمة لم تتمم بها قرية أو أمة أو قوم جاءتهم النذر على أيدي الرسل .

آية واحدة وردت في سورة يونس ، سميت السورة باسمها ، والآية الكريمة تعطيك مثالا رائعا للإيمان ونفقه ، لمن شرح الله صدورهم ، فازدادوا به قريبا من الله ، وشوقا الى عبادته وتوحيده ، نجوا على حين أصاب غيرهم للفرق أو الخسف أو العذاب المهيمن بالظلة أو الريح المصرصر العاتية ، لكن قوم يونس آمنوا بعد كفر ، وأطاعوا بعد عصيان . ومتى آمنوا ؟ عجب

الطوق وبلغ أشده ، وصار صالحا لتحمل التبعات ، هبط عليه جبريل ، فأمره أن يتوجه برسالة الله الى أهل نينوى ، فنفذ أمر ربه . . وأنا أساير القرآن — كما قدمت — فأذكر ما جاء بسورة الانبياء وما جاء بها خاص بيونس ، وما جرى له بعد أن هرب من قومه ، غنيت سورة يونس بقوم يونس . أما سورة الانبياء فخصت يونس وتوبته وتسبيحه في أضيق حالاته .

جاء ذلك في آيتين اثنتين ٨٧، ٨٨ من سورة الانبياء . قال تعالى :

« وذا النون إذ ذهب مفاصلها فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين » .

تتحدث هاتان الآيتان عما وقع فيه يونس صاحب الصوت من الخطأ ، وما صار اليه من العقاب ، وما وفق اليه من أسباب النجاة ، وصار عقابه معجزة له ، تذكرها الرسل في المحنة ، ويتقبلها الاتباع

عذاب الحريق ، أو الغرق أو الخسف أو ما الى ذلك ، ولعذاب الآخرة أكبر ، وهذا يعطى للتوبة مذاقا لا يحسه الا المهتدون ، الذين عرفوا الذنب فندموا ، وعزموا على ألا يعودوا اليه ، فتجلت عليهم السعادة والتوبة أثر من الايمان وضوء منه ، فاذا ملأ الايمان القلوب ضاقت على الذنوب ، وصار ذووها مثالا عالية يقتدى بهم وتتأثر خطاهم . ولذلك سميت السورة بسورة يونس فهو وان هرب فقد كان السر في ايمان هؤلاء القوم الذين يسكنون نينوى من اقليم الموصل شمالي العراق ، وان كان الحديث عن قوم يونس غاللة لا يضيع أجر العاملين ، ويحاسبهم بعد أن قصروا ، وفي التقوية بقوم يونس علامة على عناية الله بالمؤمنين وفضله عليهم ، وأنهم محل انعامه وكرامه .

وتذكر كتب التراث أن متى أبا يونس كان رجلا صالحا يسكن فلسطين ، نشأ ابنه تحت عينه ومصره يقومه ويوجهه ، فشب على الصلاح والتقوى ، وهذا واجب الآباء نحو الأبناء ، فلما شب عن

للعظة ، ويرويهما الدعاة للاعتداء •
خرج يونس من قريته دون إذن
ربه مخاضبا لقومه ، ظاننا أنه يجد
سعة بعد ضيق ، وراحة بعد عناء ،
ولم يجر ما قدر له ، فلم يتخذ في
البر مهريا ومضطربا ، بل ركب جمع
قوم سفينة ثقيلة حمولتها ، غلجت
بهم • وخافوا أن يفرقوا ،
فاقترعوا على رجل يلقونه في الماء
ليخف حمل السفينة ، فوقعت
القرعة عليه ، فأبوا أن يلقيه ثم
أعادوها فوقعت عليه أيضا ، فأبوا
ثم أعادوها فوقعت عليه ، وفي
سورة الصافات تقول الآية
« فساهم فكان من المدحضين » أي
أجريت القرعة فكان من المدحوظين
فالمدحض من دحضت حجته أي
بطلت ، وأدحضها الله أبطلها بومن
معاني المادة دحضت رجله أي
زلقت ، فكانه بمطه أزلق نفسه
وألقي بها في المهالك • ومن ثم قام
يونس وتجرد من ثيابه كما يقول
ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ،
وألقي نفسه في البحر ، وقد أرسل

الله من البحر الأخضر حوتا يشق
البحار حتى جاء فالتقم يونس حين
ألقي نفسه ، فأوصى الله إلى ذلك
الحوت ألا تأكل له لحما ، ولا تهشم
له عظاما ، فان يونس ليس لك رزقا
وانما بطنك يكون له سـجنا •
هكذا يروي ابن كثير عن ابن
مسعود — رضى الله عنه — ، وهذا
قول يرضاه المؤمنون •
والآيتان تلخصان موقفه : هرب
وظن أن لن يضيق عليه بعد هربه ،
فيقدر بمعنى يضيق وهو رأى
أرتضيه وأفضله على من قال يقدر
بمعنى يقضى عليه ، وهال يونس
تعين المراد ، وأصحاب الرأي
الاول استشهدوا بقوله تعالى :
« ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما
آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا
ما آتاهها سيجعل الله بعد عسر
يسرا » (١) لمعنى «قدر عليه رزقه»
ضيقه عليه فصار في عسر لا يسر ،
فيونس ضاق ذرعا بمن أرسل اليهم
فهرب منهم ليجد أرضا واسعة ،
وظن أنه لا يعود إلى الضيق فجازاه

متقبل ودعوة مجابة : قالوا : يارب
أو لا ترحم من كان يصنع في الرخاء
فتنجيه من البلاء ؟ قال : بلى ،
فأمر الحوت فطرحة في العراء .
ودعاء يونس هذا له منزلة رفيعة
عند السلف الصالح ، ويرون أن
المسلم إذا دعا به منيا إلى ربه
استجيب له . وعلى ذلك جاء
الحديث « من دعا بدعاء يونس
استجيب له »

وقد بان لك في ضوء النص
القرآني ، أن يونس كان في سعة
من أمره قرآه ضيقا ، وظن أن في
هربه بصوبة من العيش ، فإذا به
في مكان أشد مايكون تحجرا وضيقا
وأن دعاءه الصادق من قلبه الخاشع
أبدله من الحرج فرجا ، فعاد إلى
سيرته ليسير على منهج الرسل ،
فيجب على الداعية أن يتحلى
بالصبر ، ويتخلى عن القلق
والضجر ، وأن يفتح صدره
للمعارضة ، وأن يتسع أفقه ليسع
المؤيدين والنايذين ، كما لعمل ألو
العزم من الرسل ، وقد كان نبينا
المثل الأعلى في الصبر ومعالجة
ضعف البشرية بأسلوب يحسن

الله بعكس مراده ، في ضيق لأمثل
له ، في ظلمات ثلاث : ظلمة بطن
الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل ،
ليكون ذلك أبلغ في المقاصب
وأبلغ في العظة ، وأدعى
إلى تذكر ذنبه ، والعمل
على الخلاص منه ، أراد الله له
النجاة فهدها إلى أن ينسأدى في
الظلمات نداء حفيبا أن لا إله إلا
أنت سبحانه أنى كنت من الظالمين
والاعتراف يهدم الاقتراف ، أقر
بالذنب وأبان ظلم نفسه لنفسه
فنظر الله إليه فنجاه من غمه ،
وكذلك يمن الله على المؤمنين ،
ومما يروى عن أنس بن مالك يرفع
الحديث إلى رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - أن يونس حين
بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو
في بطن الحوت قال : اللهم لا إله
إلا أنت سبحانه أنى كنت من
الظالمين ، فأقبلت هذه الدعوة تحت
العرش فقالت الملائكة : يارب
صوت ضعيف معروف من بلاد
غريبة . فقال : أما تعرفون ذاك ؟
قالوا : يارب ومن هو ؟ قال : عبدى
يونس الذى لم يزل يرفع له عمل

طيم • فلولا أنه كان من المسبحين
 فلبث في بطنه الى يوم يبعثون •
 فنبتناه بالعراء وهو سقيم • وانبتنا
 عليه شجرة من يقطين • وأرسلناه
 الى مائة ألف او يزيدون • فآمنوا
 فمتناهم الى حين » •

وقد شملت تلك الآيات القصة
 كلها ، مؤكدة رسالة يونس ،
 موضحة مدى قيامه بأمر تلك
 الرسالة ، وعقابه على هربه عن
 حمل الأمانة ، ثم العفو عنه لما دعا
 وتضرع وأناب •

ولتوضيح هذه الآيات نضع تلك
 الاشارات الى ماتضمنته من
 دلالات ، فهي تؤكد رسالته كما
 قدمنا ، والرسالة عليها تبعات
 تقتضى الصبر والجلد وسعة الأفق
 والحلم والأناة ، وأن الرسول في
 قومه طبيب القلوب ، يعالجها من
 العمى ، ويظهرها من الأوضار ،
 ثم ان الله وصفه بالاباق فجعله
 عبدا هاربا من سيده على طريق
 المجاز ، فلو أنه استأذن ربه حين
 ضاق بقومه لللقى البصيرة التي
 تفتح له الأبواب ثم جعله يمارس

الاقتداء به • لقد كانت ثقيف محك
 امتحانه فأدى الامتحان قادرا عليه
 وكان دعاؤه التضرع الى من بيده
 الأمر كله ، فانفجرت عنه الغاشية ،
 وبدأ عمله في لقاء القبائل في
 المواسم حتى تم له نشر رسالته
 بمن أهدى بهديه من الأوس

والخزرج حماة يثرب •

وأنا في هذا الصدد لا أهمل الى
 تحديد المدة التي مكث فيها يونس
 في بطن الحوت ، فقد ذكر بعضهم
 أنه مكث سبعة وأربعين يوما ،
 وجعلها بعضهم ثلاثة أيام ، وقال
 الشعبي انتقمه الحوت ضحوة
 ونبذه عشية ، فلا داعي لهذا
 التحديد فقد عوقب يونس بأن حل
 في بطن الحوت ، ولقى الضيق
 والعنت مما دعاه الى عون ربه ،
 فالتقاء الحوت في العراء وهو عليل •
 واقرأ معي آيات سورة الصافات
 الآيات من (١٣٩ الى ١٤٨)
 وفيها القصة كلها •

قال تعالى : « وان يونس لمن
 المرسلين • إذ ابق الى الفلك
 المشحون • فسأهم فكان من
 المدحضين • فالتقمه الحوت وهو

هربه في سفينة يساهم من فيها ، فيكون هو المخطوب في المساهمة ، والطامة الكبرى أنه لا ينقذ حين رمى بنفسه كما يفعل السباحون ، انما كان على موعد مع الحوت الذي حمله فخط عليه .. ثم سبج فكانت المفاجأة السارة ، فطره الحوت على الشاطئ عاريا سقيما ، وأنعم الله عليه بشجرة من يقطين قيل هي شجرة القرع التي لا يحوم حولها الذباب أنشأها الله انشاء ، أمام عينيه فكانت قبة فوقه تحميه من عوامل الطبيعة . وأتم الله عليه نعمته فرجع الى قومه ، فوجدهم على ما وصفنا من الايمان والتوبة والتقوى وحسن المعاملة ، وكانوا مائة ألف بل يزيدون فأو في الآية بمعنى بل ؟ لأن الله عالمهم بعددهم ولا داعي لجعل العدد في نظر الرائي من البشر ، وهؤلاء القوم ان متعوا في الدنيا فأمامهم نعيم الآخرة ، فقد وعد الله المؤمنين جنات النعيم .

وتأتى آيات سورة القلم

« فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم . لو لا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم . فاجتباه ربه فجعله من الصالحين » (١) والآيات مفهومه في ضوء ما سبقناه قبلها من شرح وتوضيح ، وتلاحظ أن ضيقه جاء في عبارات متقاربة ، فهو قد خرج « مغاضبا » وهو قد « أبق » ، وأخيرا « نادى وهو مكظوم » تجد حاله حين التقمه الحوت عكس حاله حين نبذه في

العراء ، ففى الأولى كان ملوما ، والاجتماع والتاريخ مايسهل الامر
وفى الاخرى غير ملوم . ويهون العمل .
فعلى الدعاة فى زماننا أن يتهجوا
منهج التقوى باتخاذ الصبر وسيلة
الى بلوغ المرام ، وأن تكون الموعظة
الحسنة سبيلهم الى ازالة الأذهان
وتحريك الوجدان ، ولهم من
الوسائل مايعينهم على الإصلاح ،
عندهم كتاب الله وسنة رسوله ،
ولهم ثقافتهم من علوم النفس
والسيد حسن قرون

« رجاء الى كتاب مجلة الأزهر »

تسهيلا لعمليات المراجعة ، • يرجى من السادة كتاب
المجلة أن يتكرموا بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة
« التبرايتتر » ثم مراجعتها — أو كتابتها بخط واضح مع
مراعاة ترقيم الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ،
والله الموفق •

أسرة المجلة

منابع النور .. في غار حراء

للأستاذ جابر حمزة فراج

تمهد الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالمعناية والسرعاية .. وبث فيه الطهر والنقاء .. وزرع في أعماقه الخير والصفاء .. وصنّاه من الجهل والبعث .. وحفظه من الشرك والانحراف .. وعصمه من النقائص والردائل وزوده بأحسن الصفات .. وطبعه على أجمل الشرائع .. وأفضل الشيم .. وأطيب الخصال .. وتوجه بمكارم الأخلاق .. ووهبه الكمال والجلال .. وزينه بأرقى معالم الآداب .. وجمع فيه كل ما تتطلبه الإنسانية من مثل عليا .. وقيم سامية .. حتى صار كما قال عن نفسه : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .. وصدق الله تعالى إذ يقول عنه : « وإنا أنزلنا خلقك عظيم » ..

اشتهر محمد بين كل من خالطه وعرفه .. بالنبل والفضل .. والعفاف والوقار .. والصدق والأمانة .. والعزة والكرامة .. والاعتدال والاستقامة .. والمروءة والفزاهة .. وحسن المعاملة .. وطيب المعاشرة .. ولين الجانب .. وخفض الجناح .. والتواضع والمسألة .. ورغم أنه نشأ في قوم تربوا بين الجبال الشامخة .. والوديان السحيقة .. والمصعرة الفسيحة .. تملأ حياتهم الفوضى .. ودنياهم الهمجية .. حيث لا شريعة تهديهم .. ولا قانون ينظمهم .. ولا حاكم يردعهم .. فالقوة الحائرة أسلوبهم .. والقهر والقمع وسيلتهم .. إلا أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — لم يكن على شاكلتهم .. ولم يتأثر بعبادتهم

ذلك الخبرة والتجربة .. وبين هذا
وذاك كان قمة في الأخلاق ..
وذروة في المعاملة الصالحة المشرقة
.. الأمر الذي جعله محبوبا
مرموقا عند الجميع .. لم تجرعه
تيارات الجاهلية الطاغية .. ولم
يتأثر بانحرافات الشباب المعاتية ..
ولم ينزلق الى ما وصل اليه القوم
نحو الهاوية ، ولم تخدعه الدنيا
وزينتها .. أو الحياة بفتنتها ..
بل كان بعيدا عن النزوات .. نائيا
عن الشهوات والنزعات ..
ولا غرو .. فهذا محمد الذي علمه
ربه ورعاه .. وهذبه وهداه ..
واختاره واصطفاه .. ورفع ذكره
وارتضاه .. هيا للرسالة ..
ودربه ليتحمل الأمانة .. والله
أعلم حيث يجعل رسالته .. انتقاء
ليكون قدوة .. وصانه ليصبح
أسوة .. فلقنه أسمى المبادئ ..
وأنبأ المقاصد .. وأشرف الغايات
.. ليكون للناس بشيرا ونذيرا ..

اتجر في مال خديجة أمينا
حصيفا .. رزينا مستقيما ..
فتمت على يديه تجارتها ..

ولم ينحدر معهم الى مهاوى
الشرك والضلال .. وعبادة
الأصنام والأوثان .. بل سلك
طريقه في الحياصة .. لم يظلم
أو يكذب .. لم يعتد أو يتجبر ..
لم يفتر أو يتكبر .. لم يجنح
أو يأثم .. لم يفحش أو يفجر ..
لم يخن أو يغدر .. وانما كان
يقابل التعامل بالتسامح ..
والإساءة بالصفح .. والتجاوز
بالإبتسام .. حتى أصبح بين
القوم مضرب الأمثال .. فلقبوه
بالمصدق الأمين ..

مارس محمد — صلى الله عليه
وسلم — الحياة ممارسة الانسان
الذى يؤمن برسالته التى من أجلها
خلق .. ليكون عضوا عاملا نافعا
يمنح المجتمع الخير والمطاء ..
اشتغل في طفولته برعى الابل
والأغنام .. لتتأصل في قلبه الرأفة
والرحمة .. والعطف والشفقة ..
ويتجسم في نفسه تحمل المسؤولية
.. ثم اشتغل بالتجارة وهو شاب
يافع .. فاختلط بالناس وعاشهم
وعاملهم .. حتى اكتسب من وراء

وبوركت بسببها أموالها ..
 فاختارته لنفسها زوجا بعد أن
 رفضت أشراف قريش الذين
 تقدموا لخطبتها والزواج منها ..
 وبعد أن سمعت عن فضائله من كل
 مرافقيه ومخالطيه .. ليعيش
 الزوجان الطاهران الطيبان في حياة
 صالحة .. يمنح كل منهما للآخر
 مظاهر الحب والحنان .. وملامح
 الثقة والتقدير ..

رأت السيدة خديجة في زوجها
 الانسانية النادرة في سموها
 وجلالها .. والأخلاق الكريمة في
 رفعتها وشمورها .. عرفته كريما
 سخيا .. عزيزا أبيا .. صاحب
 مروءة عالية .. وكرامة لا توجد
 الا في النفوس الطاهرة الشامخة
 .. يحمل الكل .. ويقرى الضيف
 .. ويكسب المعدوم .. ويعين على
 نوائب الدهر .. ويساعد المحتاج
 .. وجدته المخلص الصادق
 الصدوق .. عرفته الهادي الورع
 .. الخاشع الوادع .. فكانت له
 الزوجة الوفية .. والصورة المثالية
 .. في صفاء الجوهر .. وأصالة
 المعدن .. وسمو الحلق .. ونبل

الشمائل .. وظلت له اليد الطولى
 في تهية الحياة الصالحة ..
 بما منحته من حس مرهف ..
 وشعور مترف .. وسرعة خاطر ..
 والتماع ذكي .. فأخذت بدورها
 تصب في بيتها عطرا من عطرها ..
 ونفحة من غيرها .. وقبسا من
 اشماع طهارتها وعفتها ..

رأت خديجة في محمد — عليه
 الصلاة والسلام — .. عزوفا عن
 الحياة .. وبعدا عن بذخ الدنيا
 وما فيها من ترف وزينة .. ولمست
 فيه حبه للمعزلة .. وكثرة التفكير
 والتأمل .. وانجذبا الى السماء
 .. وتطلعا الى الآفاق .. فلم
 تتمرد أو تقابد .. ولم تثر
 أو تعترض .. ولم تسخط
 أو تنضب .. ولم تفعل ما يفعله
 غيرها من النساء اذا رأين في
 أزواجهن بعدا أو هجرا .. بل كان
 عندها من توقد الذهن .. ودقة
 الفهم .. وسلامة الذوق ..
 ما جعلها آية في النبوغ .. وقوة
 الملاحظة .. لتصبح في سجل
 الخالدين رمزا للتصحية والفداء
 .. وعنوانا للوفاء والولاء ..

والليالى .. وهو فى صمت رهيب
 .. وفكر عميق .. وتأمل دقيق ..
 واستفسار دفين .. فتمتلىء
 بالدهشة .. وتختلج أعماقه بالحيرة
 .. فيتنقل من نظر الى فكر ..
 ومن فكر الى دهشة .. ومن دهشة
 الى رعدة .. ومن رعدة الى تأمل
 .. ومن تأمل الى استدلال ..

كان الوقت يمتد بمحمد — عليه
 السلام — ويطول .. وهو على
 وضعه هذا يشعر بالسعادة
 والراحة فى هذا الجو انهادى ..
 والمناخ الرائع .. الذى تنطلق فيه
 الروح .. ويسرح الخاطر ..
 وينتفض الجسدان .. ولولا
 ما تفرضه عليه الزوجية من
 واجبات .. لآثر هذه الخلوة عن
 أى شئ سواها .. فلقد رأى فى
 خلوته راحة وسكونا .. وفى عزلته
 سكونا واطمئنانا .. وفى غربته
 استقرارا واكتناسا .. رغم
 ما كان فى المكان من خشونة ..
 وفوق ما يلاقيه من حيرة .. عبر
 عنها ربه بقوله : « ووجدك ضالا
 فهدى » ..

لقد عرف محمد من قومه أمورا

حرصت خديجة على تمهيد
 الطريق لزوجها .. فذلت له كل
 عقبة .. وأزالت من أمامه كل
 صعوبة .. تحقيقا لرغبته ..
 واحتراما لأرادته .. وتقديرا
 لميوله .. فلقد تأكدت من ألفقه
 للعزلة .. ولم يكن شئ أحب اليه
 من أن يخلد وحده .. ليسبح
 بفكره ووجدانه فى الآفاق الرحبية
 .. والفضاء الواسع ..
 فكانت تهىء له الفرص ليقضى
 الأيام العديدة .. والليالى
 المتعاقبة ليشبع روحه وقلبه ..
 ويغدى فؤاده وعقله .. ويرتوى
 من وراء تفكره وتأمله حتى يطيب
 خاطره .. وتبتهج نفسه ..

وفى غار حراء .. وهو غار
 صغير يقرب من ثلاثة أمثار فى
 مترين .. فى قمة جبل على يسار
 المسالك من مكة الى عرفات .. كان
 محمد — صلى الله عليه وسلم — وهو
 قبيل الأربعين من عمره الشريف —
 يذهب اليه .. ويظل فيه .. يقلب
 البصر بين أرجاء الكون .. ويلقى
 بنظره فى خضم الوجود .. يمتد
 به الزمن .. وتتمساقب الأيام

وديانا باطلة •• وعقائد زائفة

•• فأين الحق إذن ؟

سؤال كان يتردد بين أعماقه ••

فتعثره حالات نفسية •• ويتملكه

شعور غريب •• يشغل ليه ••

ويشدد عقله •• أثر أن يعتزل

الناس ودنياهم •• لأنهم يحولون

بينه وبين تفكيره •• ويقطعون

عليه سلسلة مشاعره ••

لقد جرب الوحدة •• وألف العزلة

•• فوجدتها تفتح قلبه •• وتريح

نفسه •• كما وجد فيها مفتاحا

لما انطلق أمامه •• واتجاهها لهاديته

•• وطريقا لوصوله الى غايته

المنشودة التي يجري وراءها بحثا

عن الحقيقة فبالغ في الانفراد

والابتعاد ••

ان الناس وضوضاءهم ••

ومناظر حياتهم •• يرهقون حسه

المرهف •• فليهرب منهم ••

وليبتعد عنهم وان الطبيعة

بمناظرها وجمالها •• ورونقها

وبهائتها •• تبعث في أعماقه

ما يجعله يطمئن اليها •• فالليل في

أعلى الجبل بسكونه الرهيب ••

لا يقرها عقل •• ولا يرضاهما

ضمير •• فلم يعجبه دينهم حيث

رآهم يعبدون أصناما جوفاء ••

لا تسمع ولا تبصر •• ولا تضر

ولا تنفع •• فان هي الا جمادات

صماء خرساء •• صنعتها يد البشر

•• وصورها الانسان من وحى

خياله •• ثم قدسها وخضع لها ••

ولم يرقه نوع حياتهم ••

ولا أسلوب تعاملهم •• فهناك

ظلم وعدوان •• فسوق وفجور ••

بهتان وزور •• سلب ونهب ••

فساد وبغى •• فوضى وهمجية ••

استبداد ووحشية •• فالكبير يأكل

الصغير •• والغنى يسترق الفقير

•• والقوى يمتدئ على الضعيف

•• رغم ما هنالك من نفوس

مؤودة •• وكرامات مهددة ••

وحقوق مهضومة •• وحرمان

مهوكة •• وأوضاع مقلوبة •• ان

دلت على شيء فانما تدل على

شراسة الانسان والضمياع في

مناجات الحياة ••

لم يعجبه صلى الله عليه وسلم

ما رأى من وثنية غاشمة ••

وهدوئه العميق .. وسـمائه
المحيطة .. ونجومه المتلألئة ..
وبدره السافر .. والكون حولـه نائم
واقـد .. وهو يـناغى الكواكب في
حيرة وتساؤل .. والنهار في أعلى
الجبل كذلك يشرف منه على العالم
من تحته .. فيشاهد الناس في
صخبهم وسـلوـكهم .. فيتأسى
لأحوالهم .. ويشـفق على
اضطرابهم .. كل هذه الخواطر
كانت تختلج في صدر محمد
الإنسان .. وتدور بخـلده ..
وتتمزج بوجدانه فيخلق قلبه وهو
في غار حراء .. فلقد عرف الباطل
ورأى مظاهره ونتائجـه .. والنهاية
الآليمة التي تتردى فيها الإنسانية
.. فتـهوى إلى دركات سحيقة من
الهلاك والخسران .. فهو يريد أن
يعرف الحق الذي يضمن السلامة
.. ويصـون الكرامة .. ليرتقى
بالبشرية إلى أسـمى درجات
الكمال .. كما أنه أدرك الضلالة
وما تـؤدى إليه من فوضى واضطراب
.. ويريد أن يدرك الهدى
وما يترتب عليها من إشراق
وانطـلاق .. إلى آفاق الأمن

والاستقرار .. ولم يعجبه ما كان
الناس عليه من تخبط وانحطاط
وهمجية وفساد .. ولكن يريد أن
يعرف ما ينبغى أن يكونوا عليه من
خير وسلام ..
كانت هذه أفكار محمد — عليه
السلام — وخواطره .. يستعرضها
وكأنه يرسم للوجود طريق
الخلاص .. ويضع للناس الحلول
السليمة .. والقواعد الحكيمة ..
التي تقودهم إلى الحياة الفاضلة
.. والمجتمع الطاهر .
هذا الظلام بسواده وغيومه وكآبته
فأين النور بتألقه وسناه .. ؟
وهذا العمى ببعته وطمسه وحلوكه
فأين البصر بجلائه وصفاه .. ؟
وهذا الانحراف بجهالته ورذيلته
ومساوئه
فأين الحق بطوره وهـداه .. ؟
وهذا المرض بأسـقامه وأثقاله
وأفاته
فأين الدواء ببلسمه وشفاه .. ؟
هكذا رأينا محمدا — صلى الله
عليه وسلم — في غار حراء .. لم يأو
إليه عبثا .. ولم يأتـه عـجـزا
أو سلبية .. وإنما جاءه متفكرا

يطلب علما .. ولكن طلب إيماننا ..
فهو أسمى لا يقرأ ولا يكتب ولأن
القلب فوق اللغة .. وفوق الكتابة
والقراءة .. وفوق العلوم ..
وفوق المنطق .. من أجل هذا لم
يلجأ محمد — صلى الله عليه وسلم
— إلى معلم يعلمه الكتابة .. ولم
يذهب إلى مثقف بالكتب والأديان
.. بل فضل على ذلك كله صحبة
غار حراء .. حيث الطبيعية
الصادقة على فطرتها .. مفتوحة
على قلبه .. وحيث يتصل هو وهي
بربها وربها ..

« بحث وتحليل »

وصفوة القول : أننا لو تناولنا
موقف محمد — صلى الله عليه وسلم
— قبيل البعثة وغار حراء والفترة
الزمنية التي شملت ذلك لكان من
العسير على الباحث أن يحيط بهذا
المجال من كل نواحيه .. ولكننا
نتناوله من بعض زواياه .. وبقدر
محدود .. حيث أن العقل يقف
حائرا .. والفكر يظل قاصرا أمام
هذا المقام الواسع الفسيح ..
وما يحيط به من غيب وأسرار ..

متأملا .. باحثا متكسفا .. ساعيا
وراء الحق .. بعد أن تهيأت نفسه
.. واستعدت روحه .. وكملت
مشعره .. وامتزجت بالاصلاح
أحاسيسه .. لم يطلب الحق من
طريق الشعر .. فالشاعر يخلق
بخياله .. وينسج بأوهامه .. ثم
يترجم بأسسه .. مستسلما
لما يمليه عليه الهوى من رؤى
وأطيايف وما تفرضه القوافي من
قيود يلتزم بها سعيًا وراء الألفاظ
الحلوة .. والكلمات المزهوة ..
لتنسجم مع الألحان والأنغام ..
وليس هذا من شأن النبوة في قليل
أو كثير ..

ولم يطلب الحق من طريق
الفلسفة أو العلم .. فكلاهما عبد
المنطق .. عبد الألفاظ .. عبد
الكتب عبد الأفكار .. عبد
النصوص .. ولكل إنسان عقله
وقد يضل .. وفكره ربما يزل ..
ومنطقه وكثيرا ما يخطئ ويجنح ..
ولكن محمدا — صلى الله عليه
وسلم — طلب الحق من طريق أسمى
وأرفع من هذا وذلك .. فلقد طلبه
من طريق القلب .. وأعلن أنه لم

فلو نظرنا الى المكان .. كان دمارا وخرابا على الزمان
والمقصود به: غار حراء .. لوجدناه .. والأجيال ..
مع ضيقه وبساطته وخلوه من .. ولو أننا قارنا الموقف في غار
الأنث والمحتاج .. أوسع من الدنيا .. حراء بغيره من المواقف الدنيوية
.. وأرحب من الحياة ووضعناه مواجهها لهذه
ولو نظرنا الى وحشته وظلمته .. المؤتمرات الدولية الحديثة بما لها
.. لوجدنا فيه الأنس والبهجة .. من طاقات وامكانيات واستعدادات
والراحة والطمأنينة .. وما تتطلبه من أجهزة وأموال
والضياء .. وفهجة النفس .. ومفكرين ومساعدين .. وما تسفر
وطمأنينة القلب .. عنه في النهاية من سقوط في مهمتها
.. أسمى من كل ما عداها .. أو انحراف في غايتها .. أو
من قصور مترفة .. تمرد على أهدافها .. أو هضم
مرهقة .. لحقوق شعوب بريئة .. أو اعتداء
السعادة .. وهي جرداء من تفوق .. على دول ناعية .. أما عن سوء
ما يبهر العيون .. أو عدم علم .. فهم .. أو هب في
الأبصار .. السيطرة .. والامعان في التجبر
.. وكمن من مدن تسطح فيها الأنوار .. والاستغلال .. غيفتك الانسان
.. وتقالق بينها الأضواء .. بأخيه الانسان .. وتقوم الحروب
تعيش في ظلمة حالكة .. ويتخرب العمران .. وتتشرد
في جهالة عمياء .. والجماعات لوجدنا الفرق
من مدنية وحضارة .. واسعا أما الموقف في غار حراء ..
وارتقاء .. فكان بمثابة منزل الطمأنينة ..
عندها من معارف وعلوم .. ومهبط السعادة .. وشاطئ الأمان
كل علم خلا من الايمان .. لهذه الحياة ففيه تألق الجوهر ..
من اليقين .. وسطح الحق .. وولد الخير ..
ونأى عن طريق الله .. وتحقق العدل .. وعم الهدوء ..

يعظم الشمس والقمر .. وأولئك
هم أصحاب النار .. وهم فيها
خالدون .. ولو أن بصيصا من
النور دخل قلوبهم .. لما كانوا في
جهالتهم يعمهون ..

اذن: نعلم العقل تتضاؤل أمام
ادراك القلب .. وكشف البصائر
.. تعجز عنه الأبصار .. وشتان
ما بين المادة والروح .. والعرض
والجوهر .. فكثيرا ما نرى أناسا
تبهروا في العلوم .. وخاضوا
ميادين المعارف معتمدين في ذلك
على عقولهم المحصورة التي
لا تدرك سوى الماديات التي تربطها
القواعد والقوانين وتحكمها الرؤية
والمشاهدة .. وبالتالي فهي
محدودة قاصرة .. أما القلب
والروح والبصيرة فهي قوى
معنوية .. ترتقى فوق الحواس ..
فلا تخضع للقوانين أو المقاييس ..
من أجل هذا: نرى أناسا وصلوا
إلى معرفة الخالق عن طريق العقل
.. فجاء إيمانهم ناقصا غير
مكتمل في الوقت الذي نجد أن من
عرف الله تعالى بقلبه كان عميق
الإيمان .. وطيب اليقين ..

وسادت المودة .. ونشأت الرحمة
.. وانتشر السلام على ربوع
العالم .. حيث سرى بين جوانب
هذا الغار نور الله .. فتفجرت
ينابيع اليقين .. على قلب محمد
الأمين .. عليه السلام — .. الذي
اتخذ وسيلة إلى الوصول نحو
المعرفة .. وطريقا إلى الحقيقة ..
ومن هنا : يتضح لنا أن القلب
أقوى من العقل .. وأن البصيرة
أجلى من البصر .. فكثير من
أصحاب العقول .. مرضى القلوب
.. حيث أنهم يرون بعقولهم أدق
الأمور .. ولكن القلوب في عمى
عن درك الشمس السافرة في وضوح
النهار ..

فما أكثر هؤلاء الذين كتبوا
وآلفوا .. واخترعوا ونبغوا
واكتشفوا بعيونهم وعقولهم ..
وملئوا الحياة بنظرياتهم .. فكان
لهم في مضمار العقل سبق كبير ..
الا أننا نراهم بعد ذلك يرسفون في
خضوض الجهل .. وحركات
الضلال .. فمنهم: من يسجد للنار
.. ومنهم : من يعبد الحجر ..
ومنهم: من يقدر البقر ومنهم: من

ولا عجب أن نرى امرأة بسحوية جاهلية كانت أسبق إلى الإيمان من بعض أصحاب العقول الكبيرة .. والأفكار الواسعة كأبي سفيان وغيره من سادات قريش .. ومما يؤيد كلامي هذا الذي أقرر فيه أن طريق الإيمان هو القلب : ما نراه من العلماء والمباقرة الذين وصلوا بسفهم إلى بعض الكواكب عبر الفضاء .. ثم عادوا من رحلتهم ينكرون وجود الله ولو أن عندهم قلوبا واعية لامتثلوا يقينا وإيمانا .. نتيجة ما شاهدوه من عظمة الكون .. ورحابة الآفاق .. ودقة الصنع .. واتساق النظام .. وروعة هذا الوجود .. الذي لا يمكن مطلقا أن يأتي وليد الصدفة .. وذلك لأن قلوبهم لم تحرك عقولهم .. لما ران عليها من صدا .. وما بها من غشاوة .. وهكذا نعلم: أن من مات قلبه .. وعميت بصيرته .. يستحيل عليه أن يؤمن .. مهما كان عقله متفتحا وسأسوق مثلا على ذلك فأقول : تكلم كثير من علماء الحشرات عن العنكبوت .. وأجروا

أبحاثا على حياتها وطبيعتها .. وادعوا أن أنواع العنكبوت تصل إلى خمسين ألف نوع .. واكتشفوا أن العنكبوت تتلون بلون المكان الذي تعيش فيه حتى تتمكن من التخفي .. وتوصلوا إلى أن العنكبوت لا ترى الأشياء البعيدة .. وأن بعضها لا تزيد رؤيته عن بوصة واحدة .. غير أنها ذات حساسية قسوية جدا .. لدرجة أنها تستطيع معرفة أي شيء تريد معرفته .. لأن أهدابها التي تنتشر على أقدامها تستطيع بواسطتها معرفة أي شيء يلمس خيوطها البعيدة المتطايرة في الهواء .. وقالوا عنها: إن الزوجة من العنكبوت تأكل زوجها بعد الزواج غالبا .. كما أخبروا: أن العنكبوت تنسج خيوطا تطلقه في الفضاء متعلقة به .. فيرتفع مع تيارات الهواء الساخنة إلى طبقات الجو العليا .. فتد تصل في ارتفاعها إلى خمسة عشر ألف قدم .. وقالوا عنها كذلك : أنها مهندس بارع .. وجنسى يتقن عمليات التخفي .. وغواص ماهر .. ومكتشف لطبقات الأجواء

هذه المشاهدات .. لنطق قلبه
في الحال .. تبارك الله أحسن
الخالقين « وما أنت بهاد العمى
عن ضلالتهم أن تسمع إلا من يؤمن
بآياتنا فهم مسلمون » (١) ..

قبس من نور

سجى الليل .. وبرزت نجوم
السما كمصابيح نثرت في الفضاء
.. وشمل الكون مكنون عميق ..
وبدت جبال مكة كاشباح صاعدة
.. وهذات الطبيعة من مضب
الحياة وضجيجها .. وطابت لحمد
— عليه الصلاة والسلام — لذة
المناجاة .. بعد أن أفرغ قلبه من كل
شواغل الدنيا .. وتجرد من
روابطها .. فأرسل تأملاته
الفاحصة النفاذة تفترق الحواجز
جسديا وراء الغيب .. وكأن
احساسا داخليا يشده الى السماء
.. فيطيل النظر .. ويمد البصر ..
ثم يطلق للقلب العنان .. على
يستشف الأسرار المكنونة التي
تحيط هذا الوجود .. وكان قلبه

العليا .. وحائك حقيق ونساج
فنان .. ثم ينتهى بهم البحث الى
القول بأنها أعجوبة ..

نعم .. هكذا رأوا بعقولهم ..
ما أوصلته اليه عقولهم .. فوصلوا
في النهاية الى القول بأنها أعجوبة
ووقفوا عند هذا الحد .. وذلك
لأن قلوبهم عميت عن إدراك
الحقيقة السافرة .. والبينة
الواضحة التي لا يراها إلا القلب
المؤمن .. والفكر الوضئ ..
والبصيرة الملهمة ..

لقد غاب عنهم ما وراء هذا
المخلوق العجيب من أسرار ..
وضاعت منهم الحقيقة الناطقة
التي تشير الى عظمة الخالق ..
وقدرته الباهرة .. ونظامه البديع
.. الذي خلق الموجودات بدقة
واحكام ولكنهم غفلوا عن وجود
هذا الإله الذي صنع هذه
المخلوقات المختلفة .. وزودها
بخصائص عجيبة تحار فيها العقول
.. وتؤمن بها القلوب ..
ولو أن انسانا جاهلا وقف على

الملك أطلقه قائلًا له : اقرأ يا محمد
 .. فرد عليه الصلاة والسلام
 قائلًا : ها أنا بقارئ .. بصوت
 متهدج وكأنه يطلب منه الرفق
 والشفقة .. وتكرر الأمر مرات
 ثلاث .. ثم قال له : « اقرأ باسم
 ربك الذي خلق .. خلق الإنسان
 من علق .. اقرأ وربك الأكرم ..
 الذي علم بالقلم .. علم الإنسان
 ما لم يعلم » ..

وارتفع الملك من حيث أتى ..
 أما محمد — صلى الله عليه وسلم —
 — فقد وقف جامدًا في مكانه ..
 مبهورًا مأخوذًا مما رأى .. وأخذ
 يقلب ببصره في السماء .. فيرى
 الملك في الفضاء ويصمعه يقول :
 يا محمد أنا جبريل .. وأنت رسول
 الله .. فتأكد محمد أن جلال الحق
 قد حل .. وأن نور الحقيقة قد
 وضع .. ففضى على كل خوف
 .. وأحسن بأن نفحة مضيئة من
 العالم الأعلى سكنت في قلبه من
 جديد ..

وهنا تتوقف الأقلام .. وتتجمد
 الأفهام .. أمام هذا المشهد
 الرائع .. فلا الشعراء يسبحون

ينبض بالتساؤل والاستفسار
 رغبة في الوصول إلى الحقيقة ..
 وفي ليلة من ليالي رمضان ..
 وكانت هي ليلة الحياة .. وليلة
 البركة .. وليلة النور .. وليلة
 الخير .. وليلة الرحمة .. وليلة
 الهدى .. وليلة القدر والشرق ..
 وبينما كان محمد — صلى الله عليه وسلم —
 بعيدًا عن دنيا الناس ..
 تلفت هنا وهناك على صوت رهيب
 يمزق صمت المكان .. فتطلع مأخوذًا
 نحو الأفق العالي لصلصلة لها جرس
 عييف فارطاعت نفسه .. وارتجف
 فؤاده .. وارتعدت أوصاله ..
 وظل صامتًا مبهورًا يلفه الخشوع
 .. ويملكه الرعب .. من تألق
 النور الزاهي الذي غمر المكان ..
 ياللعجب .. أن النور يتجمع
 ويتركز حوله حتى غمره وأفاض
 عليه .. وإذا به أمام ملك له بريق
 .. اقترب منه وضمه ضمة شديدة
 في قوة خارقة .. عجز محمد عن
 مقاومتها وتحملها .. حتى أوشك
 على الموت .. وكادت أنفاسه
 تتوقف .. وأعضاؤه تنهشم ..
 أمام هذه القوة الهائلة .. ولكن

بحيالاتهم وأوهامهم .. ولا الأدباء بدقتهم وأذواقهم .. ولا الحكماء بمعارفهم وأفكارهم ..
ولا الرسامون بريشتهم وبوحاتهم .. لماذا ؟ لأنه موقف من مواقف السرمدية والأبدية .. ولأنه موقف من مواقف الملا الأعلى .. ولأنه موقف من مواقف

عالم الغيب .. هنا في غار حراء .. تجلت رحمة الله .. وتحققت أسمى الرسالات .. وتفتحت مغاليق الكون .. والتقت الأرض بالسما .. فكانت مسيرة الخير .. وموكب الحق .. ومشرق الفجر .. ومنبع الطهر .. ومنطلق الحضارة والأمن والاستقرار .. انه الايمان .. ولا شيء غير الايمان ..

قد يتساءل المرء قائلاً : لماذا ضم جبريل محمدا عليهما السلام بحنف وقوة حتى أوثسك على الموت .. ؟

والجواب عن ذلك .. أن ما حدث على هذه الصورة .. إنما كان بمثابة درس وتببيه لمحمد عليه السلام في بدء حياة النبوة .. يتعلم من خلاله أن المهمة شاقة

ومما تقدم نرى أن محمد صلى الله عليه وسلم — .. تطلق بالهداية فشدته اليها .. وانطبع على الاستقامة فجذبتة نحوها .. وانطوى على المثالية فارتبط بها .. وتبها للامر العظيم فمشى في رهابه .. وسار في دربه .. وعرف الحق فالتزم به وتمشق الكمال فاكتماه .. وتسربل بالجلال فارتداء ..

حتى لمعت في قلبه الشرارة الالهية كما يتبها السحاب فيلمع البرق .. لقد أضاعت له هذه الشرارة الآلهية كل شيء .. والله أعلم حيث يجعل رسالة .. يمهدها .. ويصلح من أجلها النفوس ويهذبها .. يمهدها بالنور .. ويسقيها باليقين .. ويتولاها بالمعناية .. ويخلفها بالعظمة .. ويلفها بالوقتار

.. ويزودها بالخشوع .. ثم يكون
 العطاء ..
 جاءت رسالته من جنس هدايته
 .. فرسالته أن يبعث الحياة في
 القلب .. ويبعث الضوء الى
 النفس .. كالقمر يستمد نوره من
 الشمس .. ثم يعكس أشعته
 الجميلة الزاهية على الكون ..
 .. يشترك في الاهتداء به العالم
 والجاهل .. الذكي والغبي ..
 الفيلسوف والعبي .. الكاتب
 والأمي .. المثقف والعامي على
 اختلاف فيما بينهم .. لأن بينهم
 قدرا مشتركا من القلب قابلا
 للاهتداء ..
 جابر حمزه فراج



رمضان

شهر العبادة

للكرمر ممر عبد المنعم خفاجي

ما أعز وأجل وأكرم رمضان ،
شهر العبادة ، وشهر الطاعة ،
وشهر الصيام .

ما أرفع هذا الشهر العظيم ،
الذي شرع الله فيه الصوم ،
وجعله فيه فريضة ، أوجبها على
كل مسلم ومسلمة ، يعبدان الله
في الأرض .

وما أجل رمضان ، الشهر الذي
أنزل الله عز وجل فيه القرآن ،
كتاب الله المبين ، الحكيم ، العظيم
الذي نزل على رسولنا الأمين ،
محمد صلى الله عليه وسلم ، نورا
وهدى للناس ، ورافة وبراً
بالإنسانية ، وانقاذاً للناس
أجمعين من ظلمات الشرك والوثنية
والضلال والبهتان .

ولقد كرم الله شهر رمضان
تكريماً يفوق كل تكريم ، ففرض فيه
الصيام ، وجعل هذا الشهر الجليل
كله موسماً للطاعة والعبادة ، اذ دعا
الى صيام نهاره ، ونحب الى قيام
ليله ، وسن فيه ذكر الله وقراءة
القرآن ، والتهد بالليل ، ودعا
فيه عمر بن الخطاب المسلمين الى
صلوات التراويح ، مظهراً جليلاً

لقد عظم الله أمر رمضان غاية

لطاعة الله وعبادته وتقواه ، وأوجب فيه الله عز وجل زكاة الفطر ، كما من فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة والاحسان والجود والبذل والعطاء والسقاء ، والانفاق على الفقراء واليتامى والمساكين .

وفي حديث سلمان المرفوع الذي أخرجه ابن خزيمة في صحيحه : رمضان هو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة . وفي حديث آخر : الصوم نصف الصبر ، والصبر نصف الايمان . وفي حديث ثالث : الصيام لله لا يطم ثواب عمله الا الله عز وجل .

وفي هذا الحديث بيان لجلال شريعة الصوم ولعظمة جزائها عند الله جل جلاله .

والآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (١) بيان واضح صريح لأثر الصوم كطاعة وعبادة وشريعة ، في بعث روح الايمان والتقوى والخير في نفس المسلم .

وفي حديث البخاري : كان رسول الله أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه كل ليلة فيدارسه القرآن ، فلرسول الله أجود بالخير من الرياح المرسلة .

- ٢ -

ولنستمع الى حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه : كل عمل ابن آدم له ، الحسنه بمشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل : الا الصيام فإنه لى وأنا أجزي به ، أنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره

بالصوم ، فإنه لا عدل له ، ثم أتيت ثانية فقال : عليك بالصوم فإنه لا مثيل له . رواه أحمد .

وفي حديث سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان للجنة بابا يقال له الريان ، يقول يوم القيامة : أين الصائمون ، فإذا دخل آخرهم أغلق ذلك الباب ، رواه البخاري ومسلم .

وفي الصحيحين : ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون لا يدخل منه غيرهم .

وفي الحديث : ان الجنة لتزخرف من الحول الى الحول لدخول شهر رمضان ، فتقول الحور : يارب اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجا تفر أعيننا بهم ، وتفر أعينهم بنا .

وفي حديث الحارث الاشعري عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : أن زكرياء عليه السلام قال لبنى إسرائيل : آمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه حرة فيها مسك ، فكلهم تمجبه

وفي الحديث : ان للصائم عند فطره دعوة ما ترد .

وفي حديث رسول الله صلوات الله عليه : من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه . رواه أحمد وأصحاب السنن .

وفي حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة، عليهم أسس الاسلام، من ترك واحدة منهم فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا اله الا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان » .

وفي حديث ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعتي الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعتي النوم فشفعني فيه ، فيشفعان — رواه أحمد .

وفي حديث أبي أمامة ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : مرني بعمل يدخلني الجنة . قال : عليك

يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على شربة لبن أو تمر أو شربة ماء ومن أشبع فيه صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظلم بعدها حتى يدخل الجنة .

ونعيد هنا ذكر حديث ابن عباس كما في الصحيحين ، وخرجه الامام أحمد : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة .

وفي المسند عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، وأنزل الانجيل لثلاث عشرة من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان .

ان الصيام عبادة روحية

ويح ، وان ربح الصيام أطيب عند الله من ربح المسك .

وهذه الاحاديث كلها تدل على فضيلة شهر رمضان ، وعلى فضل فريضة الصيام فيه ، وهي ناطقة بعظمة هذه العبادة الاسلامية للجليلة .

- ٣ -

والصدقة في رمضان شمعة ، وسنة مندوبة ، وعمل انساني يرضى الله وملائكته ورسوله عنه ، وفي الترمذي عن انس مرفوعاً : أفضل الصدقة صدقة في رمضان وفي حديث زيد بن خالد عن رسول الله : من فطر صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء .

وفي حديث سلمان مرفوعاً : رمضان شهر المواساة ، وشهر يزداد فيه في رزق المؤمن ، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه ، وعقوبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، قالوا : يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ، قال :

حاملًا تعدى حدودى ، وضيع فرائضى ، وركب معصيتى ، وترك طاعتى .. فلا يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال : شأنك به •
فيأخذ بيده ، فما يرسله حتى يكبه على منخره فى النار •

ويؤتى بالرجل الصالح كلان قد حملة وحفظ أمره فيتمثل له خصما دونه ، فيقول : يارب حملته إياى فخير حامل ، حفظ حدودى ، وعمل بفرائضى • واجتنب معصيتى ، واتبع طاعتى ، فلا يزال يقذف له بالحجج ، حتى يقال : شأنك به فيأخذ بيده ، فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق ، ويعقد عليه تاج الملك ، ويسقيه كأس الخمر •

صدق رسول الله ، اللهم اجعلنا ممن آمن بكتابك وسنة رسولك حق الايمان ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

د • محمد عبد النعم خفاجى

اسلامية جليلة ، وهو ركن من أركان الاسلام ، وشعيرة من أجل شعائره ، وهو تهذيب للمسلم ، ورفع لروحه الى مستوى الانسانية الرفيعة ، وتطهير للمؤمن من الذنوب والمعاصى ، وهو سياج وحى يحول بين المسلم وبين التفكير فى عمل ما يغضب الله من الذنوب والآثام ، وهو حائل بين المسلم وبين الاسترسال فى الشهوات واللذات والمعصية •

وهو شهر القرآن العظيم ، القرآن الكريم ، القرآن كتاب الله الخالد ، الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد •

ونختتم هذه الكلمة بهذا الحديث العظيم ، كما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :
يمثل القرآن يوم القيامة رجلا ، فيؤتى بالرجل قد حمليه فخالف أمره ، فيتمثل له خصما ، فيقول : يا رب ، حملته ايساى ، فبئس

الإمام الدكتور
عبد الحليم محمود
كما عرفته
للمنازة على سيد العظم

ثم وهو وزير للأوقاف ثم وهو
شيخ للأزهر ، فإذا هو هو لم
تغيره المناصب ، ولم تفتسه
الألقاب والرتب ، بل كان يزداد
تواضعا كلما ازداد رفعة .

وكان — رحمه الله — يمتاز
بالقدرة على العمل المتواصل
لا يشغله عنه شغل ، كما كان
يمتاز بأن لسانه وطب بذكر الله
دائما سواء في إقامته أم في سفره
لا تفارق مسبحة يده أو لا يشغله
شغل عن مواصلة الذكر والعبادة .
وقد ترك ثروة ضخمة من
المؤلفات العلمية القيمة لا ينهض
بها إلا أولو العزم من العلماء
في شتى ألوان الثقافة الإسلامية .
فقد ترجم بعض الكتب عن
الفرنسية وحقق بعض المخطوطات

عرفت عديدين من زعماء
علماء العالم الإسلامي في شتى
الأقطار والأمصار ، كان فيهم من
يمتاز بالعلم الفزير والثقافة
العميقة المتنوعة ، ومنهم من كان
يمتاز بالذكاء الوقاد أو البصيرة
الملهمة ، ومنهم من كان يتميز
بالتقوى والصلاح والحرص على
التمسك بالشعائر الإسلامية .

ولكنني عرفت من اجتمعت فيه
هذه الصفات كلها وهو المغفور
له الدكتور عبد الحليم محمود
تغمده الله برحماته وجزاه عن
الإسلام والمسلمين خير الجزاء .
عرفته وهو أستاذ بكلية أصول
الدين ثم عرفته وهو عميد لها
ثم وهو أمين عام لمجمع البحوث
الإسلامية ثم وهو وكيل للأزهر

العرفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين « • كما كان يمتاز بمهنة السمع فلا يسمح لجلسائه أن يفوضوا في نقد أحد من المسلمين وإن كان يستحق النقد عملاً بقوله تعالى « ولا تقف ما ليس لك به علم أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ، وكان يضيق باللفو فلا يسمح به في مجلس من مجالسه لأنه كان حريصاً على أن يقضى الوقت في ذكر الله أو في مشروع علمي نافع مفيد •

ولقد صحبته في بعض تنقلاته فكان أثناء الطريق يتلو القرآن الكريم أو يستمع إلى من يجيد تلاوته أو يثير قضية علمية يستمع فيها إلى من يصحبه ، وكان بفطرته الطبيعية يميل إلى الاستشارة والحكم الجماعي ، فحينما ولي وزارة الأوقاف ألف مجلساً استشارياً ضم وكلاء الوزارة وبعض من يأنس فيهم قوة الإيمان وعمق التفكير — وكان من حظي أن اختارني من أعضاء هذا المجلس فكاننا نجتمع أسبوعياً تحت رياسته

التميزة وألف في تراجم بعض العلماء الراسخين في العلم وبخاصة في التصوف وألف في الدفاع عن الإسلام وفي إبراز المقسومات الإسلامية السامية وفي تفسير بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وعنى عناية تامة بنشر الكتاب الإسلامي عن طريق مجمع البحوث الإسلامية بثمان رمزي ، وراعى فيما تنشره الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية أن تكون بعض الكتب سهلة الأسلوب بميسورة الفهم ليعم نفعها الجميع ، كما اهتم بأن ينشر بعض الكتب العلمية الدقيقة التي ينتفع بها الخاصة فجمع في هذا بين الحسنين ، كما اهتم بنشر الموسوعات الإسلامية الكبرى مثل « الجامع الكبير للسيوطي » وهو يضم مائة ألف حديث وقد صدر منه نحو ثلاثين جزءاً والباقي في طريقه إلى النشر •

ومن مزاياه الكبرى عفة اللسان وطهارة الصدر ، فقد أساء إليه كثيرون فقابل أساءتهم بالصفتح الجميل ملتزماً بقوله تعالى « خذ

وندرس مشكلات الوزارة ونناقش فيها وفي أثناء المناقشة يتضح الصواب فيسرع الى قبوله والى العمل به .

وفي مشيخة الأزهر ألف لجانا عديدة من أهمها اللجنة العليا للدعوة الاسلامية وهي تضم لفيفا من كبار رجال الصحافة والجمعيات الدينية ورجال الفكر الاسلامي ، وكنت أحد أعضاء هذه اللجنة ، ومن آخر الموضوعات التي طرحها على اللجنة موضوع كيف يستقبل الأزهر القرن الخامس عشر الهجري . وقد استقر رأي اللجنة على التوصيات التالية ، وبدأ فضيلته الاعداد لتنفيذ هذه المقترحات وأهمها :

١ - وضع ترجمة دقيقة لتفسير القرآن الكريم .

٢ - انشاء معاهد مراسلة لنشر اللغة العربية في البلاد الاسلامية غير العربية عن طريق الاذاعة والتسجيلات الصوتية .

٣ - انشاء صحيفة اسلامية كبرى تهتم بأخبار العالم

الاسلامي ومعالجة مشكلاته .
٤ - نشر بعض الكتب المبسطة عن شعائر الاسلام وحضارته الروحية وأثره في العالم وترجمتها الى اللغات الحية المعاصرة .

٥ - العمل على انشاء مراكز ثقافية اسلامية بأهم الحواضر العالمية الكبرى .

٦ - العمل على تذويب الخلافات الطائفية في الدول الاسلامية ليلتقى الجميع على كلمة سواء .

٧ - ترجمة بعض الكتب الاسلامية الهامة التي صدرت باللغات الأجنبية ليتيسر للمسلمين الانتفاع بها .

وكنا نتعنى أن يمد الله في عمره حتى يتم تنفيذ هذه الوصايا .

ومن مزاياه قدرته على العمل المتواصل فقد شغل مناصب هامة عديدة كان ينهض بأعبائها في صبر ومثابرة بهمة لا تعرف الملل ولا الكلال .

كان يستيقظ من نومه في الثالث

الزكاة فلأننى أعمل بقوله تعالى : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه » وهو خير الرازقين » ولهذا عاش ومات دون أن يمتلك بيتا يأويه ويأوى أسرته واكتفى باستئجار بيت متواضع ظل فيه وهو أستاذ بالكلية ثم وهو عميد لها ثم وهو وزير ثم وهو شيخ للأزهر .

وكان دائم العناية بمن يعملون معه ، دعيت معه الى مآدب عديدة فكان قبل أن يمد يده الى الطعام يوصى باطعام سائق سيارته وساعيه الخاص ولا يتناول شيئا حتى يطمئن الى تنفيذ وصيته .

وقلما كان يغضب أو يثور الا حينما يتعرض الاسلام أو الأزهر لنقد أو تشهير فكان يغضب في الله ويرضى في الله ويحسب في الله ويسخط في الله ، وقد ناله بعض الخصوم في لجاجة واسراف فرددت على ما كتبه أحدهم في نقده ، فاتصل بى ورجانى أن أكف عن الكتابة ضد خصمه واقترح على أن أضيف كتابا في تاريخ مشيخة الأزهر منذ انشائها

الأخير من الليل فيتجهد ما شاء الله له أن يتجهد ، وبعد صلاة الفجر يعكف على التأليف بضع ساعات ونفسه صافية شغافة فيلهمه الله من الآراء والأفكار السديدة الصائبة ما يلهمه ، ثم ينتقل لمباشرة عمله في حيوية ونشاط ولهذا ترك فوق الثمانين كتابا من أقوم الكتب التى أفادت المسلمين فى شتى البقاع والأمصار وهو جهد تنوء به العصابة أولو القوة .

وكان الى هذا كله سخي اليد ينفق فى سبيل الله انفاق من لا يخاف من ذى العرش املاقا ، فكم أعان من عائلات فقيرة مدقعة لولاه لعضها الجوع بأنبيابه ويرانته وألزم نفسه الزاما أن يتصدق بعشر ما يصل الى يده . قلت له يوما : ان الزكاة تجب حينما يتم الحول بمقدار اثنين ونصف فى المائة . فقال : اننى ألزم بقوله تعالى : « وآتوا حقه يوم حصاده » . لأننى لا أملك ضمان بقائى على قيد الحياة حتى يحول الحول . أما اننى أتجاوز نصاب

الى الآن (١) ليصرفنى عن مواصلة
الكتابة ضد خصمه العنيف فليببت
دعوته ، وما كدت أفرغ من ترجمة
حياته حتى اختاره الله الى جواره
فكانت خسارة العالم الاسلامى
فيه كبيرة كما كانت خسارتى أنا
غيه كبيرة ولهذا أسرعت الى رثائه
وان كان هذا الرثاء لا يعبر
عن مقدار آلامى وأحزانى عليه
وقد قلت فيه :

ما كدت أهتف في الورى بحياته
حتى سميت مشيعا لرفاته
غتمزق القلب الكليم من الجوى
متدفقا ينساب في عبراته
صهرته آلام الأسى فتصاعدت
أنفاسه كالجمر في زفراته
عجبا لمن ذقنا النعيم بقربه
ذقنا فنون النكل يوم وفاته
اليأس من بعد الامام أحاطنا
وطوى جوانحنا على ظلماته
كان العزاء لنا اذا جد الأسى
واليوم مات عزائنا بمماته
يا راحلا عمت فجيعته الورى
فالكل مطوى على حصراته

شيخ الشيوخ مضى لساحه ربه
مستروحا بالفيض من رحماته
من كان للاسلام حصنا باذخا
يدعو له ويذود عن حرماته
بلغ المدى في كل فضل سابع
فأشع نورا من جميع جهاته
وسما فحقق كل مجد سامق
وأفاض سباقا الى غاياته
ما كف عن ذكر المهيم لحظة
في صحوة أو في عميق سباته
ما كان يعبد رغبة أو رهبة
لكنه عبد الاله لذاته
سلضنه جنح الليل كيفطواه في
أبعائه • وقضاه في اخباته
وأفادنا ببصوئه • وأمدنا
ببقيته ، واقتادنا بصفاته
ملا العيون بسمته ووقاره
وغزا القلوب بحلمه وأناته
يبدو جلال الحق في نفحاته
ويشع نور الطهر في قسّماته
سمع اليدين بماله وبجاهه
وبعلمه وبنصحه وعظاته
غمر الجميع بنبله ومسخّاته
فالكل مشمول بفيض هباته

(١) كاد يتم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية في جرتين كبيرين

يعطى ويعطى لا يمل من الندى	وتبعته مترسما خطواته
ويزيد اعطاء على علاته	فنهلت ثم علت من ينبوعه
لم يجتمع مال لديه لأنه	وقبست نور الحق من مشكاته
أقناه في صدقاته وزكاته	أحييت سنته وصنت سبيله
فعاله موصولة بيقينه	وعملت بالأنور من كلماته
وصلاته موصولة بصلاته	وقضيت عمرك تاليا لكتابه
حسن الخلق كالندى في أيكه	متدبرا ما راع من آياته
والماء في ينبوعه والعطر في زهراته	تصنى وتقرأ ثم تشرح للورى
عذب الحديث كأنما هو صدحة	ما يبهر الأبواب من نفحاته
غنى بها داود في نفحاته	أرضيت ربك جاهدا ومجاهدا
يا من ورث المصطفى في هديه	فانعم مع الأبرار في جناته
	على عبد العظيم

« هل تعلم ؟ »

- ✽ ان شهر رمضان هو الشهر الوحيد الذى ذكر في القرآن فكرا صريحا ، ولم يذكر شهر سواه .
- ✽ ان لكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم .
- ✽ ان للصائم دعوة عند فطره لا ترد .
- ✽ ان الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة .

اللغة العربية والبيان القرآني ألفاظ القرآن

للكشف (إبراهيم عوض)

نعرف أن لكل لغة سمات خاصة في بنائها التعبيري ، الذي تتميز به عن غيرها من اللغات ، شاء ذلك أهلها أو لم يشاءوا ، فهم ينطلقون في البناء التعبيري خاضعين لمؤثرات البيئة بشتى ألوانها : من بيئة طبيعية الى بيئة اجتماعية : الى بيئة اقتصادية ، الى غير ذلك .

وذلك لأن البيئة عامل أساسي في تكوين المزاج الشخصي ، والمزاج الجماعي لكل أمة ، ومن هذا المزاج تصدر الأمة في حركاتها وسكناتها ، وميولها ورغباتها ، وما تقبل عليه وما تصدر عنه في مختلف شئون الحياة : من مسكن ومطعم ، وسلوك وعادات ، وتعبير .. الخ .

ومن ثم : كان لكل أمة خصائص تنفرد بها عن غيرها ، ثم هي لا ترضى بها بديلا مهما علا شأن ذلك البديل ، ومهما بذل في سبيل

اقتناعها ، لأن ذلك انما قر بعامل البيئة ، وليس طارئا عليها يمكن استبدال غيره به .

والم تأمل في اللغة العربية يجد أنها تميزت من غيرها في بنائها التعبيري ، بحيث نستطيع أن نتعرف على تأثيرها في اللغات الأخرى ، وتأثرها بها ، اذا وجد شيء من ذلك .

ومن أبرز مظاهر ما تتميز به اللغة العربية — في تعبيرها — عن اللغات الأخرى في تعبيرها :

اذ المقصود الحديث عن خلق الانسان وما ينطوى عليه من اعجاز وليس المقصود الحديث عن الخالق . وعلى هذا المسار التركيبى سار البناء فى الآيات بعد ذلك .. فقال تعالى : « .. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا مضغة عظما . فكبونا العظام لحما ، ثم انشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين »

١٣ - ١٤ المؤمنون
ولما أُنكر الانسان الحياة الآخرة
مستبعدا أن تعود الحياة الى
الانسان بعد أن أصبح عظما بالية
مجردة من اللحم والدم ، حيث
يقول : « من يحيى العظام وهى
رميم »

أجابه الله - سبحانه وتعالى -
بما يتناسب مع اعتراضه ، ويزيل
ما التبس عليه واستبعده .. فليس
المقصود بسؤاله التعرف عن الذى
يحيى - وان كان هو الظاهر من
لفظ العبارة - وانما ذلك سؤال
استبعاد لاهياء تلك العظام بعدما
رمت وبليت ، فهو انما يسأل عن

أولا : أن الجملة فى اللغات
الأوربية لا تنقسم الى اسمية
وفعلية ، كما هو الشأن فى اللغة
العربية ، وانما الجملة فى اللغات
الأوربية ، اسمية يتقدم فيها
الفاعل على الفعل ، ولا يتقدم
فيها الفعل الا مذكوزا فى حالات
محدودة ، أهمها حالة الدلالة على
المفاجأة ، ووقوع الفعل على غير
انتظار . ومع ذلك فان مثل هذا
التركيب غير معتبر عندهم ، وانما
هم يحسبونه عارضا من عوارض
القلب ، التى يحدث فيها أن يتقدم
الفعل على الفاعل ، كما يتقدم
حرف الجر أو الظرف ، أو الصفة
لمناسبة يقتضيها التعبير .

أما اللغة العربية ، فالجملة
فيها اسمية أو فعلية ، ولكل
مقامها الذى يتطلب استعمالها .
وعلى هذا النمط العربى نجد
البيان القرآنى فى بنائه التعبيرى
يقدم الفعل اذا كان الحديث عن
الفعل هو المهم أو المقصود بالحديث
وذلك نحو قوله تعالى : « ولقد
خلقنا الانسان من سلاله من طين »
١٢ المؤمنون

بعض المخلوقين على خالقهم ،
وتمديهم حدود وجودهم ،
وافترائهم عليه ، وابعادهم في
الضلال والاضلال ، مما يتطلب
لفتهم الى ذاته جل شأنه وتعريفهم
بها .

« قد خسر الذين قتلوا اولادهم
سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم
الله افتراء على الله . قد ضلوا
وما كانوا مهتدين . »
١٤٠ الانعام

فمن يصنع مثل ذلك انما يصنعه
من منطلق الجهل بالله ، أو الخفة
عنه وعن قدرته وسلطانه ، ومثله
يتطلب لفتا ينبه الى الحقيقة التي
غفل عنها .

ومن ذلك — كذلك — ما تجده في
قوله تعالى على لسان نبيه صالح
يخاطب قومه :

« قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره . . . »

حيث تشعر العبارة من أول الأمر
بأن المطلوب بعد ذلك من صالح
عليه السلام أن يعرف قومه هؤلاء
بالله سبحانه وتعالى في ميدان
الخلق والانشاء . ومن ثم كان بناء

احياء تلك العظام في تلك الحالة
التي لا يتصور عقل احياءها . . .
من هذا الذي يستطيع احياءها ١٩
ومن ثم كان الجواب . . على
خلاف ظاهر اللفظ . . متفقاً مع
مقصود السائل :

« قل يحيى الذي انشأها
أول مرة . . . »
٧٨ — ٧٩ يس

أما حين كان المقصود التعريف
بالله — سبحانه وتعالى — فاننا
نجد البيان القرآنى يقيم جملة
على الاسم ، كما يتضح من قوله
عز وجل في مجال الخلق والانشاء
كذلك :

« وهو الذى انشا جنات
معروشات وغير معروشات والنخل
والزروع مختلفا اكله والزيتون
والرمان متشابها وفي متشابهه كلوا
من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم
حصاره . . . »

١٤١ — الانعام

وذلك لأن الناظر في الآية
السابقة على تلك الآية ، يلاحظ
ما اشتملت عليه من بيان تجرؤ

الجملة التالية على الاسم ، فقال :
« ... هو انشاكم من الأرض
واستعمركم فيها ... »

٦١ - هود

ومن ثم ...

لا مجال لمرتاب أو مشكك في
عربية البيان القرآني من هذا
الجانب .

وان شئت مزيدا من الاستدلال
فافتح كتاب الله ، تجد المثات من
الجمال الاسمية في موقعها الذي
لا يناسب الا أن يبنى الكلام في كل
منها على الاسم ، الى جوار المثات
من الجمال الفعلية كذلك التي
لا يناسب الا أن يبنى الكلام في كل
منها على الفعل ، لا ترى في شيء
من هذا أو ذاك عوجا ولا أمثا .

ثانياً ان المصيح التي تدل على
الفاعل في اللغة الأوربية ، اما أن
تبني على فاعل معلوم أو فاعل
مجهول ، • وهي المعروفة بصيغة
المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول -
أما في اللغة العربية فلا تقتصر في
الحديث عن الفاعل على هاتين
الصيغتين ، ولكنها تضيف صيغة
ثالثة لا وجود لها في اللغة الأوربية

... تلك هي صيغة الفعل المطاوع ،
فقولنا : (انسكب الماء) يختلف في
دلالاته عن قولنا : (سكب الطفل
الماء) ، وعن قولنا : (سكب الماء)
وذلك لأن التعبير الأول يقدم معنى
لا تدل عليه دلالاته الدقيقة صيغة
من الصيغتين الأخيرتين ، فقولنا
(سكب الطفل الماء) يقال لمن يهمله
أن يعرف من الذي سكب الماء •
وقولنا (سكب الماء) يقال كذلك
لمن يقصد التعرف على الفاعل ،
لكننا نخبر عن ذلك الطريق اما
بجهلنا بمن وقع منه الفعل ، أو
بعدم ارادتنا ذكره .

أما حين نقول : (انسكب الماء)
فإننا نوجه الحديث لمن يتوقع
انسكاب الماء وينتظره ، ولا يهمله
أن يعرف ساكبه ولا عدم معرفته •
ولا شك : في أن الفارق كبير
بين هذا وذاك •

وهذا الفارق الكبير يعين اللغة
على الدقة في استيفاء وجوه
الدلالة ، حتى يتمكن بها من
ملاحظة مقتضى الحال •

وهذه احدى مميزات اللغة

العربية في بنائها عن غيرها من اللغات الأوربية .

وإذا نحن تأملنا آيات القرآن الكريم من هذا المنطلق ، وجدناه قد جمع بين هذه الصيغ الثلاثة في بنائها التعبيري .

ولأن الذي يعنينا — هنا — هو أن نقف على استيعاب البيان القرآني لكل ما يميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات في البناء التركيبي ... لا أرى ما يدعونا لأن نطيل بذكر نماذج قرآنية لصيغة المبني للمعلوم والمبني للمجهول — فهذا واضح لا يحتاج برهانا — إنما الذي يحتاج البرهان هو الصيغة الثالثة (صيغة الفعل المطاوع) .

وهذه الصيغة في القرآن لا تقتصد لذاتها ، وإنما شأنها شأن كل الصيغ تأتي حين يتطلبها الموقف ملبية المطلوب ، محققة المقصود . من ذلك قول الله تبارك وتعالى :

« وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء » .

٧٤ — البقرة

فالفعلان (يتفجر ويشقق) مضارعان . ماضيهما تفجر وتشقق وهما مطاوعان لفجر وشقق — المضعفين — فالحجارة لا يتأتى منها الفعل ابتداء ، ولكنها خاضعة تستجيب للقوة العليا حين تفجرها وتشققها بتجميع أسباب التفجير والتشقيق عليها .

فالآية الكريمة بذلك : تلفت نظر المتأمل الى ما وراء تلك الظواهر الطبيعية : من قدرة الله ومشيئته ، دون أن يتصادم الظاهر مع الواقع الحق . . .

ومن ذلك كذلك قوله عز وجل : « قد نرى تقلب وجهك في السماء » .

١٤٤ — البقرة

فالتقلب : التردد ، وهو مصدر تقلب المضعف ، مطاوع قلب ، يقال : قلبته فتقلب تقلبا .

ولا ريب : في أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يقلب وجهه في السماء عن إرادة منه واختيار ، ولكنه كان في ذلك خاضعا لقوة نفسية خارجة عن إرادته ، هذه القوة هي التي قلبت وجهه فتقلب

وذلك لأن حيرته صلى الله عليه وسلم في أمر القبلية كانت أقوى من سلطانه هو وقدرته ، فبلغت منه هذا المبلغ الذي سجله القرآن •

« وما ننزل الا بأمر ربك » •

٦٤ - مريم

ففتنزل : مضارع تنزل، وتنزل : مطاوع نزل - المضط - تقول : نزله فتنزل •

أى : أن نزول الملائكة ونحوهم من جنود الله لا يكون الا استجابة لأمر صادر إليهم وطاعة له •

ومن ثم : ضمنت الآية بيانا بصاحب الأمر الذى كان النزول مطاوعة له • •

ومنه قوله عز وجل على المسار ذاته :

« تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض • • • »

٩٠ - مريم

يتفطر : مضارع تفطر ، وهو : مطاوع فطر المضط ، يقال : فطرته ففتفطر • وتنشق : مضارع انشق ، وهو : مطاوع شق : يقال : شققته فانشق •

ومن ثم : يتضح الفارق الكبير بين (تقلب) ، و (تقليب) ولولا دقة البيان القرآنى في اختيار التركيب الملائم للحال لما ظهر الفارق بين التركيبين ، ولكانا على مستوى واحد في الأداء • ومن ذلك قوله تعالى :

« فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت • • • »

٢٦٦ - البقرة

لأن احترق : مطاوع أحرق ، يقال أحرقته فاحترق •

ولو اكتمى البيان القرآنى بأصل الفعل فقال : فأصابها اعصار فيه نار فاحترقتها • لما حققت المقصود تبليغه من اتيان النار عليها ، لأن الاحراق يفيد احراق الكل كما يفيد احراق الجزء • فلما جاءت الآية على هذا • • • أفادت أن الاحراق من النار وليس

وقوله : « فأنفجرت منه اثنتا عشرة عينا » .

٦٠ - البقرة

انفجر : مطاوع هجر ، يقال : فجرت فأنفجر .

وقوله : « ... الا لنطم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » .

١٤٣ - البقرة

ينقلب : مطاوع قلب ، يقال : قلبته فأنقلب .

وقوله : « وائل عليهم نيا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها .. »

١٧٥ - الأعراف

انسلخ : مطاوع سلخ ، يقال : سلخته فانسلخ .

والآيات المشتعلة على صيغة المطاوعة أكثر من أن تحصر في مقال ، فليرجع الى كتاب الله من أراد مزيدا .

انما الذي نقصد اليه أننا في تأملنا ذلك تحرقنا على عربية البيان القرآني في بناء تعبيره ، كما تعرفنا من قبل على عربيته في ألفاظه .

ثالثا : أن اللغة العربية تحرص على أن تستوفي أدوات الصفة وكافة شروطها . وذلك أن الصفات لا بد فيها من المطابقة بينها وبين الموصوفات كل المطابقة ، بخلاف الأسماء ، فليس ضروريا فيها أن تطابق مسمياتها ، إذ الأسماء قد تكون توقيفية لا ارادة للمتكلم في وضعها وإطلاقها على مسمياتها ، وقد نطلق اسما على مسمى لأدنى ملائمة دون أن تكون هناك مطابقة بين الاسم ومسماه ، وذلك بأن نسمي الشيء باسم أرضه ، أو باسم صاحبه ، أو باسم حادث وقع عندما تعرفنا عليه ، أو باسم كاشفه .. الى غير ذلك من الملاحظات . وقد تكون الأسماء منقولة عن لغة أخرى بحروفها أو مع تعديل فيها .

أما الصفات فلا بد من أن تطابق موصوفاتها .

ومن ثم : حرصت اللغات على أن تكون هناك مطابقة بين الصفة والموصوف .

لكنها لم تتمكن من استيفاء

واعتقد أن هذا في البيان
القرآني أوضح من أن يحتاج منا
إلى تقديم نماذج تكشف ما قد
يخفى على القارئ منه .

ومن ثم : يتقرر أن البناء
التعبيري في البيان القرآني
لا يخرج على البناء التعبيري للغة
العربية في قليل ولا في كثير ، وإنما
هو يسير وفق منهج العربية تماما
في بنائها .

وبالتالي : فإن روح اللغة
العربية بمعانيها وأخيلتها هي التي
تسري في البيان القرآني في أرقى
مدارجها وامكاناتها ، بحيث تتحقق
بالقرآن المعجزة البيانية من خلال
اللغة العربية التي اصطفاه الله
سبحانه لينزل القرآن الكريم بها
دون غيرها .

ولذلك : خلعت العربية بكتاب
الله ، وقاومت من العقبات ما كان
من المحتمل أن يقضى عليها لولا
خلود الذكر الحكيم .

دكتور إبراهيم عوض

جميع أدوات الصفة وشروطها كما
تمكنت منها اللغة العربية .

فالصفة في اللغة العربية تابعة
للموصوف ، مطابقة له في الأفراد
والثنية والجمع ، وفي التذكير
والتأنيث ، وفي التعريف والتكثير ،
وفي مواقع الاعراب . ويتعبير
آخر : الصفة العربية تطابق
الموصوف في العدد وفي الجنس ،
وفي التحدد والشيوع ، وفي الشكل
العارض للفظ .

أما في اللغات الأخرى : فقد
تجد فيها بعض تلك المتابعات ،
لكك إن تجدها جميعها بقواعدها
المطردة إلا في اللغة العربية !

ففي الانجليزية — مثلا — تأتي
الصفة سابقة موصوفها ، ولا تتغير
الصفة تبعا لتغير مواقع الاعراب .

ونحن حين نتأمل في البيان
القرآني نجد عربيا في بنائه
الموصفي ، فلن تجد فيه صفة إلا
القرم فيها المطابقة الكاملة بينها
وبين موصوفها ، من تبعية إلى
مطابقة في الجهات الأربع التي
تميزت بها الصفة العربية .

الباحث عن الحقيقة

للمرحوم محمد عبد الحليم عبد الله
من منظور الفنون الروائية

للكاتب فتحي محمد أبو عيسى

- ٢ -

البطولة في الشخصية ، التي
تستقي منها الرواية مادتها
وأحداثها .

فالأُسرة : الأَبوان والاخت
(بوران) - يضطلع كل فرد فيها
بدور .. فالأُم لا تلبث أن تتوارى
في زحمة المواقف ، وكأنما تناولها
الروائي بقفاز حريري ناعم ، شاء
أن يعرض عنها بعد إشارات خاطفة ،
ليجسد شخصية (الأب) بكل ما فيه
من ولاء لجوسيته ، ونقد ديس لعاداته
وحرص على تقاليده ، وشخصية
كهذه تلغى عواطفها - وقد تكون
مشجوبة - أمام تحقيق رغبة من
الرغائب أو حفاظ على الشارات ،
وهل تخرج في سبيل تلك الخاية
أن تتركب المركب الخشن ، متذرعة
بالمكابرة واللجاجة !!

يدور محور الرواية الأساسي
- كما بدا ذلك من خلال المقالين
السابقين - على املاطة اللثام من
« سلمان الفارسي » - رضى الله
عنه - في المقام الأول ..

يجهد الروائي الراحل « محمد
عبد الحليم عبد الله » في تكثيف
الأضواء عليه ، ثم يسلط شعاعا
على سائر الشخصيات التي
احتشدت في روايته ، موزعة على
الأدوار ، ومن ثم ترى ذلك
الشماع يتبدى في أشكال مختلفة ،
أذ يخبو مرة ويلتمع مرة أخرى ،
ثم يقوى ويتوهج ثالثة .. ووفقا
لهذه الأضواء تتبسط الشخصيات
على مساحة الرواية وفي هيئتها ،
وقد أخذت أنماطا غنية متسقة ،
تتصافر في النهاية على ابراز ملامح

وفكره .. وربما كان هذا أمرا طبيعيا في رواية يفرض موضوعها أن يتبوأ « العابد » فيها منزلة مرموقة ، ونطقا بارزا يشغله بين مواقف وأحداثها ، فليس يعنى الباحث عن الحقيقة — أيا كان — الا أن يكون مسدد الخطأ على درب المعرفة ، وأن يقزود بما يقرب اليه تلك الحقيقة ، وهذان المعنيان — لا شك — يملك زمامهما عابد شغت سريره .. ولا تفتأ الرواية بعد ذلك تقدم أحداثا تتشابك في شخصيات كل من « سهيل » و « أبى يعقوب » و « كعب القرظى » ومن اليهم في لقطات رائعة ، على ما فيها من لمح سريع ، الا أنها بلغت حد البراعة الفنية ، حيث كان القاسم المشترك في رسم هذه الشخصيات هي تلك المزايا التي تفرد كل منها في خلقه أو سلوكه بعيدا عن التدخل والامتزاج ..

ومن الجدير بالتنويه أن المرحوم « محمد عبد الحليم » كان من وراء تلك البراعة ، يضفي عليها بعض لمسات الخيال ، مما جعل روايته

وأما (بوران) فهي الأخت الوديعه العطوف التي يحزنها أن ترى أخاها مقيدا بالأغلال ، موثوقا بالحبال ، ولهذا تبدو متقدمة العاطفة في مواجهة صلف الأب ، وعاطفته الصلدة ، وتظل على تلك الصورة من الحنو البالغ ، والانعطاف نحو أخيها ، رجاء أن تصحح مسيرة الشاعر في أسرة تجمع بينها لحة القرابة .

ويغلف الروائي « محمد عبد الحليم » بعض الشخصيات عنده بهانة من الغموض ، رامزا بذلك الى أن الحاسة الفنية في شخوص الرواية لا ينبغي أن تكون من الدقة الصارمة بحيث تعنى بالتفريعات وتحفل بالتفصيلات ، كما هو الحال عند المؤرخ ..

ومن أجل ذلك جاءت شخصية العابد ، والراعى متعددة الرسوم والمعالم ، مستغنيا بها عن تحديد الأسماء ، غير أن الحديث عن « العابد » يتسبب ويطول في حوار شائق ، يلمس أقطار النفس وتصافح حرارته عاطفة « سلمان »

الى أبعد من ذلك في اختيـار الموضوع حين تسيطر على وعيه خاطرة قد تكون بعيدة عن الواقع الذى تتحرك به الحياة ، ومن هنا كانت رقعة الموضوعات أمامه رحبة واسعة تتزاحم وتتدافع .

والروائى — صاحب الرؤية البعيدة — ينتقى من هذه الموضوعات ما يتجاوب مع فكره وشعوره ، وتبعاً لذلك يأتى اختلاف الموضوعات وتناولها عند روائى آخر .

والفنان « محمد عبد الحليم » متعدد الرؤى في رواياته ، يتجلى ذلك عنده فيما خلفه من روايات . . . وروايته « الباحث عن الحقيقة » — كما أومأنا — تتخذ من أحداث التاريخ مسرحاً ، على أرضه تلتقى شخصياتها . . . وإذا قص التاريخ علينا سيرة (سلمان) — رضى الله عنه — فإن قصته لا تعدو أن تكون سرداً للانعطافات التاريخية في نطاق مآلوف ، لا يستهدف الخواطر الكامنة في أعماق الشخصية ، أو الحدث الذى تضطلع به ، ولكن « الباحث عن الحقيقة » — فوق

(الباحث عن الحقيقة) معرضاً يهوج باللمحات الفنية ، وما أكثرها في أعماله الروائية . .

وأولى بنا وأقمن أن نؤصل الفكرة التى ذهبنـا إليها في موضوعية ، ولندع — بعد ذلك — ما يترأى لنا في تقويم فنية الرجل ، ومناقشة ما أثير من آراء مادية أو قادية . .

ان للعمل الروائى أبعاداً معينة تتمثل في اختيار الموضوع وتناوله ، وشخصيات الرواية ، ولغتها ، وفنية الحوار فيها الى غير ذلك مما هو جدير معروف ، فأين وقع الروائى (محمد عبد الحليم) من هذا كله ؟ وهل استطاع أن يطوع تلك العناصر ويعطيها من الأصباغ ما تتسق به ، وتتوازن ملامحها في انسجام ، فلا يطنى عنصر فيها على حساب عنصر آخر ؟

لا محيد لنا — في البداية — عن الانسـارة الى حقيقة مهمة : أن الروائى الفنان يمكنه أن يطوع المرائى المشاهدة لقلمه لتكون موضوعات لرواياته ، وقد يذهب

أعماق الأفراد وينفذ إلى كياناتهم الداخلي ، وما يرسب فيه من جواهر باقية على الأبد ، أما من يقف عند السطح من المواقف والقضايا الاجتماعية فإن عمله لا يبقى طويلا ، لأنه لا ينفذ فيه إلى الحقائق الانسانية الخالدة ، ومعنى ذلك أن القصة ينبغي ألا يكون غرضها التسلية والمتعة السريعة الزائلة ، وإنما الوصول أو النفوذ من خلال الوعي الكامل بالمجتمع إلى الحقائق الانسانية ، بل إلى جذور هذه الحقائق ودفائناتها ومكوناتها » (١) .

وقد حاول الكاتب — وكان موفقا — أن يؤلف من بعض المواقف في حياة (سلمان) عملا روائيا ، بمعنى أن الذي لفته إلى تلك الشخصية « بحثه عن الحقيقة » ، وهي الحقيقة التي لقي في سبيلها من المخاطر ما لقي ، حتى إذا رآها بعد رحلة طويلة استعذب فيها الآلام هب يرسخها

أنها تؤرخ لجوانب من حياة الصحابي الجليل (سلمان) — تعد تجسيدا لنبض خفقت به جوانحه ، واضطرب في وجدانه ، فموضوعها — لذلك — يبدو مألوفا مطروقا ، غير أن إبراز المعاني الدفينة ، وانتزاعها من الأغوار وغبّة في تصويرها ليس أمرا سهلا ، كما قد يخالغ بعض الباحثين ، فإذا أضيف إلى تلك المحاولة محاولة أخرى ، تعكسها مقدرة الفنان على الإبداع الفني بما يشتمل عليه من خيالات تبتكرها ملكته ، لتواكب الموقف الذي يحدثنا عنه ألفتنا أن عمل الروائي ومهمته شاقة جسيمة ..

يقول الدكتور « شوقي ضيف » :

« أن مادة القصة هي المجتمع وواقعه ، غير أنها تنتظر القصاص البارع كي يصوغها في صور بشرية ثابتة ، والقصاصون كثيرون ، ولكن الذي يخلو منهم هو الذي يستطيع أن يتغلغل في

(١) في النقد الأدبي ٢٢٨ (دار المعارف) .

وهذا النموذج الروائي تشككه جملة من الحقائق ، تختلف فيها الرواية عن القصيدة ، اذ القصيدة لا تتبسط فيها عناصر الموضوع على نحو ما تتجه الرواية ، وليس من شك في أن الروائي القدير يستطيع أن يجعل من عمله الروائي نمطا راقيا يكسب التفرد ، ويضفي عليه استقلالاً وشخصية « ينفصل بها عن نظرائه وأشبابه » ، وكأنها النموذج التام في الأدب كالنموذج في الطبيعة ، اذ لا يوجد فيها نموذجان بصورة واحدة ، بل أن شجرتين من نوع واحد تختلفان في الساق والقصون والفروع ، بل أن ورقتين في شجرة واحدة لا تزال نجد بينهما اختلافا بحسب ما تستقبل كل منهما من ضوء الشمس والظل والرياح ..

فكرة التفرد في النموذج الأدبي فكرة تطابق طبائع الأشياء في الوجود ، وأرجع إلى الإنسان فانك لن تجد شخصا يكرر شخصا آخر ، بل دائماً حتى بين الأب والابن تقوم أسرار فاصلة في المزاج والطباع والشكل والملامح ،

في نفوس القوم ، وذلك بعهد أن صار واليا على « المدائن » من قبل « الفاروق عمر بن الخطاب » - رضي الله عنه - وأحسب لو أراد الكاتب أن يشعب المواقف ، ويعددها في حياة (سلمان) لعل ، اذ في حياته من الثراء والعطاء ما يفجر المواهب ، ويفزو الملكات ، ولعل توقفه عند جانب منها : البحث عن الحقيقة هو مظهر الفنية في اختيار الموضوع ، ولو قد عمد الى أن يطرق مجالات تاريخية معروفة في حياته لاستحال الموضوع شيئاً آخر ، قد لا تكتمل له فنية المروض ، وبراعة الاختيار ..

واذا كان « الحب » هو المعنى الذي يغلب على موضوعاته الروائية فتدور حوله ، فقد حول الحب في « الباحث عن الحقيقة » عن السمة التي واكبت موضوعاته الروائية ، ومحضه في مرتكز واحد تفردت به تلك الرواية عن سائر الاعمال الروائية عنده ، واستحقت أن تكون أنموذجاً أدبياً رائعاً بين رواياته ..

فالفردية جوهر من جواهر حياتنا ، بل من جواهر وحسدادات الوجود جميعها ، وعلى هذا القياس نماذج الأدب الجديرة بأن تسمى نماذج ، فانه ينبغي أن يكون لكل منها شكله وقسماته وملامحه التي تفرده عن غيره (١) .

في ضوء هذه المعاني تبدو فكرة الرواية أو موضوعها متداولة ، مألوفة فالبحث عن الحقيقة معنى يتمثل في حياة كثير من الناس ، وربما يكون دين عديد منهم ، يعرف به ويدل عليه ، الا أن هنية الكاتب بحثت في الالف به نبضا جديدا ، جرى في بعض شرايين صنعها خيال الكاتب وطبيعته في معاشية المواقف والأحداث ، فكان أن تماهت وحدات الموضوع ، وتناصت لبناته في جدة وحيوية يخلعان عليه رواء الفن ، وعبقرية الملكة .

ولا يفوتنا — على ذكر موضوع الرواية ، ومدى الاغتنان في

التصرف فيه — أن فنه الى تلك المعارك الأدبية التي اشتمجرت فيها الأعلام بين المرحوم « محمد عبد الحليم عبد الله » وكتاب « بنت الشاطئ » التي أخذت على الكاتب « محمد عبد الحليم » أن « شمس الخريف تكرر لبعث الغروب » وأن « غصن الزيتون » و « شجرة اللباب » أنبتتهما بذرة واحدة ، وتضيف الى ذلك ما قالت : « لقد ذكرني صنيع « عبد الحليم » حين كرر الغصن بالشجرة والغروب بالخريف بنادرة قيلت عن (بوانكاريه) في زيارته لانجلترا ، حين استقبل عشرين وفدا من شتى الطوائف ، وأمنى الى عشرين خطبة ترحيب به ، فرد عليها عشرين مرة شاكرا دون أن يكرر عبارة واحدة في مرتين ، وروى (ابن بسام) في « الذخيرة » أنه سمع وزيرا من وزراء (أسبيلية) يقول عن (ابن زيحون) : لعهدى بأبى الوليد قائما في مأتم بعض

حرمه ، والناس يمزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سمعناه يجيب بما أجاب به غيره (١) .
ومهما يكن من شيء فان موضوع الرواية عند (محمد عبد الحليم) لم يجمد عند حدود هذه الموضوعات .

نعم قد تسيطر عليه أحيانا أفكار تتكرر في بعض أعماله الروائية ، ولكنه — مع ذلك — استطاع أن يمدو هذا الطور ، ويتجاوز تلك المرحلة ، ويمزى ذلك الى تطور الرؤية عنده ، وانفساح النظرة الى العمل الفني لديه ، حتى ليصح وصفه بأنه كاتب متعدد النزعة .

ولئن تجرد « محمد عبد الحليم » للرد على ما أثارتة الدكتور « بنت الشاطيء » انه كان محقا في دفاعه عن موقفه حيال هذه القضية .

ولندع حديثه عن المشابه في الأدب العالمى الى ما ذكره في هذا المضمار من أن « الأديب لا يستطيع أن يعدم ويستهلك شخصياته وذكرياته أولا بأول بعد كل رواية ، ثم يقف من جديد ليخالق شخصيات وذكريات لا ترتبط بحق . . أما التشابه بين قصة « بعد الغروب » و « شمس الخريف » الذى رعمته الدكتور « بنت الشاطيء » فهو غير موجود الا بالقدر الذى يربط الأخوين أبناء الحلال بأبيهم .
وهكذا الأمر بين « شجرة اللباب » و « غصن الزيتون » حيث تلوح فكرة « الشك » فيهما الا أن ذلك الشك كان من الضرورة والحتمية بمكان .

(يتبع)

دكتور فتحى محمد أبو عيسى

رمضان والفضائل النفسية

دكتور محمد الطيلى التريجي

صلة به بقية شهور العام ، حتى يأتي رمضان القادم ، فيتجدد ما تبدد من هذا الرصيد وتلك الحصيلة ، ويعطيهم طاقة أخرى جديدة من الزاد الروحي ، والمدد الفكري ، والثقافي والاجتماعي ، الذي يسعدون به في الدنيا والآخرة ، ويبلغون به في مدارج الحضارة والرفق ، والكمالات النفسية والسلوك الانساني النظيف ، أعلى الدرجات وأكمل المستويات ، ولعل ذلك هو ما يشير اليه الحديث النبوي القائل « لو علمت أمتي مالها من الفضل والكرامة عند الله في رمضان لتمنت أن تكون السنة كلها رمضان »

سوق تقوم ثم تنفض ، يربح ويخسر فيها من خسر ، أما الخاسر

رمضان — أيامه ولياليه ، صيامه وتوابعه ، ودروسه وقراءته ، وأحاديثه وثقافته ، وأمجاده وابتهاج المسلمين به ، في مشارق الأرض ومغاربها ، لازمة من اللوازم ، وظاهرة من الظواهر العربية والاسلامية ، عبر الأجيال الى أن تقوم الساعة ، ويرث الله الأرض ومن عليها •

مجرد ذكر رمضان يعطي شحنة كبيرة من الطاقات الروحية والاجتماعية في البيئة العربية والاسلامية ، عندما يهل هلاله ، وتتابع بين المسلمين لياليه وأيامه ، يمكن للمسلمين أن يخرجوا منه بحصيلة كبيرة وزاد ثقافي كبير ، ورصيد اجتماعي وديني وفير ، يقضون على مدده وعلى

للشريف الصحيح .

ففى رمضان يتشبه المسلمون فى صيامهم وقيامهم بملائكة الله المقربين ، المنزهين عن الطعام والشراب وشهوة الجنس ، وفى كل انسان عنصران - عنصر مَادى ترابى كثيف ، وعنصر رُوحانى سماوى خفيف ، فمن غلبت عليه مظاهر العنصر الأول الكثيف فهو الى الحيوانية والبهيمية أقرب . ومن غلبت عليه مظاهر العنصر الثانى الروحانى اللطيف ، فهو الى الملائكة أقرب ، وبالعالم المجردات أشبه ، والى هذين العنصرين فى التركيب البشرى يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى : « اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » (١) فقد أشار هذا النص الكريم الى العنصرين اللذين تتركب منهما حقيقة الانسان ، المادة والروح ، ولا يزال الانسان يسفل فى درجات

فقد خرج منها صفو اليدين ، وكان من الذين اشتقوا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، حال الشيطان بينهم وبين ما جاء به رمضان من مناهج الهدى والخير والبركة ، فلم يصوموا يومه ، ولم يقوموا ليله ، ولم يقدموا فيه مثقال ذرة من صالح الأعمال ، وظلوا فى ضلالهم يعمهون ، لم يرفعوا له رأسا ، ولم يقدموا فيه خيرا ، ولم يلقوا اليه بالا ، وأما الرابع فقد أمده رمضان بالمعاني الدينية ، والقيم الاجتماعية ، والروحانية ، والذكرات المجيدة ، والعبادات المشروعة ، التى تقربه الى ربه ، وتنتقل بالانفس البشرية من هضيض البهيمية الى أبهى صورها وأسمى كمالاتها ، حتى أن الله سبحانه يباهى ملائكته بعباده الصائمين ، فيقول لهم انظروا يا ملائكتى الى عبدى ، ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل الصوم لى وأنا أجزى به « كما جاء فى الحديث

شهر رمضان بحصيلة القيم الروحية ، والمدارك المعنوية والدينية والالهية ، يعثون بها نفوسهم لتدفعهم الى التحلى بالفضائل ، والتشبه بالكمالات الربانية على قدر الطاقة البشرية ، فقد خرجوا من رمضان بمعين لا ينضب ، ومدد لا ينفد ، وزاد يتزودون به ليلفوا القمة والذروة في معالم الانسانية ، وفضائل النفس البشرية .

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

هذه الكمالات تدفع بالانسان الى كل ما هو نافع ومفيد وبناء ، تقوى همته وتشحذ عزمته وتشد ارادته ، وتجعله أكثر انتاجا ، وأقوى على الصمود والجلاد والجهاد ، في ميادين العمل وميادين الانتاج وميادين الجهاد ، ومن هنا تسقط عن درجته الاعتبار قوله القائلين : ان الصيام يكون سببا في

العصر الأول حتى يكون أحط في شرف الوجود وفضله من البهائم والعجالات ، ولا يزال يترقى في مدارج العصر الثاني الى أن يبلغ من شرف الوجود وفضله مرتبة ربما غاقت مرتبة الملائكة المقربين .

ان رمضان بصيامه وقيامه ، وروحانياته وذكرياته وأمجاده القرآنية ، يعتبر فرصة سانحة ومنهجا ربانيا لتقوى في المسلم روحانياته ، وقيمه الروحية على ماديته وقيمه المادية ، التي من شأنها أن تكون حائلة بينه وبين الادراك الصحيح لجلال الحق وجمال الحق جل جلاله .

ان الاتهامك في اللذائذ الحسية من مأكول ومشرب وجنس ، بهيمة قال الله في أصحابها : « يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » (١) ويقول الحديث الصحيح فيها : « الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في موى واحد » - فإذا خرج المسلمون من

(١) من الآية ١٢ سورة محمد

في تنفيذها ، وانتصارها على الشهوات الفانية ، فشهوة البطن وشهوة الفرج ، تدعو الانسان الى ممارستها ، ومن شأن الانسان أن يكون أسرع استجابة الى صوت الشهوات منه الى صوت العقل والحكمة ، ولكنه بالصيام يتحارب ويتمرن على أن يكون أكثر استجابة الى صوت الحكمة والعقل ، منه الى صوت الشهوات ، وإذا دعت نفسه الأمانة بالسوء الى شيء من هذه الشهوات المفسدة للصيام ، دعاه صوت الحكمة والعقل أن يكون ذا ارادة هديدية ، لا تلتزم أمام هذه المغريات مهما اشتتهتها النفس ، فيستمسك بصيامه ويلوذ بطاعة ربه ، وتتمرس نفسه على هذا الصنيع من انتصار ارادته دائما أبدا ، في ميادين جهاد النفس والهوى والشيطان ، فتصير قوة الارادة له خلقا وكيفية راسخة في نفسه ، يشق طريقه بها في حياته موقفا منتصرا متألق النفس والروح ، طلب الارادة قوى

ضعف الانتاج ، وقلته ، فان القوى المادية اذا لم تكن لها خلفية من القوى الروحية تشحذها وتدفعها وتصيغها بصيغة الايمان والتفسيحية والاستبسال ، كانت لا محالة قليلة الجدوى ضعيفة الأثر . وتلك حقيقة يؤكدنا لنا ما نراه من الربط الوثيق بين الصيام وانتصار المسلمين في بدر ، ثم في غزوة الفتح ثم في معارك المبور في العاشر من رمضان المبارك ، والسادس من أكتوبر ١٩٧٣ يوم عبرنا القناة ، وحططنا خط بارليف ، وزلزلنا الارض تحت أقدام اليهود بصيحة الله أكبر ، وأعاد التاريخ نفسه وتكرر المشهد الذي قال الله فيه منذ أربعة عشر قرنا من الزمن : « وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيمهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » (١) . ومن توابع ذلك ومتعماته ، ما يتكرب عليه المسلمون في شهر الصيام ، من قوة الارادة والصلابة

للعزيمة ، يملك زمام نفسه ولا تملك نفسه زمامه ، فمن ملك زمام نفسه نجا ونجت ، ومن ملكته نفسه هلك وهلك ، وصدق الله حيث يقول : « ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم » (١) وصدق البوصيري وهو يقول :

والنفس كالطفل ان تتركه شب على حب الرضاع وان تقطعه ينظم فاحذر هوى النفس واحذر أن تواتيه ان الهوى ما تولى يصم أو يصم . وهكذا تدعو قوة الارادة الى الوقوف في وجه النزوات جميعها ، والمنغريات الداعية انى الوقوع فيما يغضب الله من سائر المعاصي والآثام ، والتورط في الاندفاعات والهفوات التى يكون التورط فيها عادة ناشئا عن ضعف الارادة ، وضعف العزيمة وعدم ضبط النفس ، وكثيرا ما يعرف الانسان أن هذا الفعل قبيح ، ولكنه لا يملك نفسه من الوقوع فيه ، وفي هذا ورد الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول

صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » والحديث الذى يفيد أن قوة الارادة التى يتحلى بها الصائم مانعة له عن فعل القبائح جميعها ، واثبات الرذائل ما ظهر وما بطن فيقول صلى الله عليه وسلم « الصوم جنة فاذا كن يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق وان شتمه أحد فليقل انى صائم انى صائم » ويقول : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » ويقول : « كم من صائم ليس من صومه الا جوعه وعطشه » ويقول : « ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى المروق فضيقوا مجاريه — قالوا : بم يارسول الله ؟ مال : بالجوع » ويقول فى امرأتين اغتابتا الناس وهما صائمتان : ان هاتين صامتا عما حلك الله وأفطرتا على ما حرم الله « يعنى لحوم الناس .

ومن توابع ذلك كله ومتمماته ، ما تقرّبى عليه نفوس المسلمين في رمضان ، من فضيلة المراقبة لله ، والقيام بحقوق الأمانة ، بحافز من الذات والضمير وجسوانته الانسانية ، وابتغاء وجه ربه الأعلى ، فكم يستطيع الانسان الصائم أن يخلو الى نفسه ، فيأكل ما شاء أن يأكل ، ويشرب ما شاء بعيدا عن أعين الرقباء من الخلق ، ثم يخرج اليهم مندمجا في صفوفهم واحدا منهم كأنه صائم من الصائمين ، لكنه لا يفعل ذلك لأنه اذا استطاع الخفية عن أعين الرقباء من الناس فلن يستطيع الخفية عن أعين الخلاق العظيم ، ولا يريد أن يكون من الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو مهمهم « وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » (١) .

« ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » (٢) .

الا يرى الى ما في قوة الارادة عند الصائم من كسر العادة ونبذها ، والانفكاك من أسرها ، فبعد أن يتعود الناس على مدى أحد عشر شهرا أن يصبحوا فيفطروا ، ثم يأتي وقت الغذاء فالتشاء وهكذا دواليك ، مع ما تعودوا أن يتعاطوه على فترات مختلفة من قهوة أو شاي أو مثلجات أو ما شاكل ذلك ، يأتيهم رمضان بنظام جديد وتوقيت جديد ، يرضخون ويذللون أنفسهم وحياتهم ، ونظامهم المعيشي على وفقه ، من افطار وسحور ، وما يطل تعاطيه فيما بين الافطار والسحور وكفى .

ان قوة الارادة المعينة على كسر العادة ، والمتحصلة من فضيلة الصيام ، تستطيع أن تساعد الكثيرين على التخلص من عاداتهم السيئة من الكيفيات وغيرها ، التي أدمنوها واعتادوا عليها ، وهي لا يرضى بها عقل ولا دين ، فليجربوا اذا شاعوا .

(١) سورة الحديد من الآية ٤

(٢) سورة المجادلة من الآية ٧

ويستطيع المسلمون أن يخرجوا من رمضان برصيد من حصيلته ،
 فيما يتعلق بمشاعر الوحدة بينهم ،
 في أمر أن كان مظهرها إلا أنه يعبر
 أصحق تعبير عن أمر جوهري ،
 لا غنى لهم عنه إذا ما أرادوا القوة
 والعزة والكرامة ، وهو الوحدة ،
 فإن المغرب يؤذن فتسمعه ملايين
 المسلمين فينطلقون إلى انتهاء
 الصيام وبدء الفطر في لحظات
 جماعية ، وإن تفرقت بهم الأماكن
 والديار والبيوت ، فهذه اللحظة
 النحاسية التي كانوا يترقبونها قد
 وجدت بينهم في شعور واحد ،
 وعمل واحد مشترك هو الإفطار :
 وكذلك ينطلق مدفع الامساك ، أو
 يؤذن للفجر فيمسك ملايين
 المسلمين في وقت واحد ، ولحظة
 واحدة عن الطعام والشراب ،
 يضم شملهم عمل واحد ، وموقف
 واحد ، وإن نأت بهم الديار ،
 وتفرقت بهم الأماكن والبلاد ،
 لقد كان من تعاليم الاسلام وسنته
 المنحوبة تعجيل الفطر وتأخير
 السحور ، يفطر الصائم فيحس
 بالفرحة والبهجة ، لأنه أدى

الأمانة ، واقتحم العقبة ، ونجح
 في طاعة ربه وخذلان شيطانه ،
 مرددا هذا الدعاء المشهور « اللهم
 لك صمت وعلى رزقك أفطرت ،
 وبك آمنت وعليك توكلت ، ذهب
 الظلم ، وابتللت العروق ، وثبت
 الأجر ، إن شاء الله ، يا واسع
 الفضل اغفر لي » ثم يحس
 احساسا قويا بمدى صدق الحديث
 الصحيح الذي يقول فيه نبي
 الاسلام صلوات الله وسلامه
 عليه : « للصائم فرحتان • فرحة
 عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه »
 ويتسحر الصائمون استعانة لهم
 بالسحور على طاعة الله في صيام
 يومهم القادم ، ويجدون لذلك
 راحة نفسية واعدادا نفسيا ،
 وتجهيزا عمليا للقيام بطاعة الله
 ومرضاته ، مصداقا لقوله صلى
 الله عليه وسلم : « تسحروا فإن
 في السحور بركة » فمن يسر
 الاسلام وعدم الحرج والمشقة
 فيه ، ورعايته لمطالب الروح
 والجسد معا ، أن كره الاسلام
 للمسلمين الوصال في الصيام على
 معنى أنهم لا يتسحرون ، وكانوا

واحكام ، فقبل أذان المغرب بدقيقة واحدة ، لا يحل شيء من الطعام والشراب ، فإذا ما نطق المؤذن بقوله الله أكبر فقد حل ما كان حراما ، وسبحان من حرم الحلال بالصيام ، وحل الحرام بالفطر ، وكذلك الشأن في طلوع الفجر ، فكل شيء حلال مادام الليل ، فإذا طلع الفجر حرم ما كان حلالا ، وحصل الانتظام والانضباط في طرفي النهار ، فيما بين جموع المسلمين وملايين المسلمين ، وإن اختلفت أزمان ذلك في بعض القطاعات عنها في بعض آخر ، إلا أن معنى الانضباط لا محالة قائم ، والانضباط سر الحياة وسر النجاح فيها ، وقد يستطيع المسلمون أن يدركوا ويحسوا في نهاية شهر الصيام ، أن جسومهم بالجوع قد تخلصت من كثير من سمومها ، وأدرانها ، وأن كثيرا من أجهزة الجسم قد أخذت راحتها طيلة الصيام ، من مضار البطنة وامتلاء المعدة بالطعام والشراب ، فما ملا

في مبدأ الاسلام يترجون من الطعام والشراب والجماع ، بعد أن يصلوا العشاء ، فنزل قوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم تكتم تخفون أنفسكم فتاب عليكم ومعا عنكم فالآن بانسوهن وابتنوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » (١) .

ولما نهى النبي المسلمين عن الوصال ، قالوا له : أنك تواصل يا رسول الله ، فقال لهم : اننى لمست كهيتكم ، اننى أبويت عند ربى يطعمنى ويسقينى ، فكان ذلك خصوصية له صلى الله عليه وسلم ، ومن لواحق ذلك وتوابعه ، أن يتمرس المسلمون على عملية النظام والانضباط ، فيتخذون ذلك ديننا لهم في ممارسة حياتهم بعامة ، فيكون ذلك أرجى لنجاحهم في أعمالهم ونظم حياتهم ومسيرتها ، يشقون طريقهم فيها بدقة ونظام

« وأن تصوموا خير لكم أن كنتم تعلمون » (٢) فإذا كانت التقوى هي حصيلة الصيام ، فإنها كلمة جامعة لكل خير ، ومنافية لكل شر ، وهي رأس الأمر كله كما ورد في حديث النبي لمعاذ : « عليك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله » وكذلك كانت الخيرية في الآية الأخرى كلمة جامعة لكل فضيلة ، وكل باطل ومفيد في الدنيا أو في الآخرة ، على مستوى الفرد ومستوى الجماعة ، ومستوى الأمة الإسلامية كلها ، من الوجهة الدينية ، والاجتماعية والصحية والنفسية .

أن الشارح الحكيم ، لم ينس أن يتوج الأعمال الرمضانية التي تزكو بها النفوس ، ويستقيم عليها السلوك ، وتتضح بها حياة المسلمين بتاج أخير من العمل الجليل ، الذي لا يقبل صيام رمضان عند الله إلا به ، فشرع زكاة الفطر التي قال عنها نبي الاسلام ، صلى الله

ابن آدام وعاء شرا من بطنه ، وفي الحديث الصحيح جوعوا تصحوا ، وقد سبق ذكره ، فإذا ما أحس الصائمون في نهار رمضان ببعض الفتور والضعف ، فإنهم لا محالة بعد انقضاء الشهر سوف يكونون أنشط وأقوى بعنا ، فيعودون الى مضاعفة الانتاج ، واجادة العمل تمويضا عما عسى أن يكون قد نقص من ذلك ، أو ضعف في شهر الصيام .

ان هذه الحصيلة الرمضانية ، والثمرات التي يجنيها الصائمون من شهر الصيام ، والانطباعات التي تشبعت بها أحاسيسهم ، ومواجهتهم ، نستطيع أن نجد القرآن قد جمعها على تفرق شتاتها ، وفروعها ، في كلمات قليلة من جوامع الكلم ، تلك التي يقول فيها : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (١) . وقوله تعالى في آية أخرى :

(١) سورة البقرة ١٨٣

(٢) سورة البقرة ١٨٤

عليه وسلم : « صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع الا بركة الفطر » وقال : « زكاة الفطر طهرة للصائم وطعمة للمسكين » ثم تكون كلمة الفخام وحفل الوداع لرمضان ، هي صلاة عيد الفطر ، بما فيها من التكبير الذي قال الله فيه : « ولتكملا للعدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » (١) .

ينتقلون فيه من طاعة الى طاعة ومن ممارسة الى ممارسة ، ومن موقع الى موقع ، منهج تربوي اسلامي ، يربي أمة الاسلام على عمل الخير ، وخير العمل ، حتى تكون بين أهم الأرض أمة رائدة ، تهدي بدينها وقرآنها وسلوكها أهل الأرض ، الى أرفع المثل ، وأنبيل الغايات ، ويتحقق فيها قول الله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » (٢) .

دكتور عبد الغنى الراجحي

ان رمضان مهرجان اسلامي وضعه الشارع الحكيم للمسلمين



(١) البقرة من الآية ١٨٥ .

(٢) آل عمران ١١٠ .

واجب السامعين نحو القرآن في شهر القرآن

للأستاذ محمد مشعل

سأل قيصر الروم أحد قواده يوماً عن سبب هزيمة جيشه أمام المسلمين ، رغم أنهم — أي الروم — كانوا أكثر عدداً وعدة ، وأعز نفراً وجندا ، فقال له القائد الحكيم :

« لقد انهزمنا ودمرنا وضمنا من أجل أننا نشرب الخمر ، ونزنى ، ونشهد بالزور ، ونجور ونظلم »
وانتصر المسلمون لأنهم

صادقون حقا ، لا يشربون الخمر ، ولا يأتون الفاحشة ، ويحكمون بالعدل ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

إن الفضل هو ما شهد به الأعداء كما يقولون ، فقد أعلن

القائد الرومي أن النصر الذي حققه المسلمون سببه : صدقهم وتقواهم ، وعدم شربهم الخمر ، وبعدهم عن الفاحشة ، وحكمهم بالعدل ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

ومن أين للمسلمين هذه الصفات النبيلة ، وتلك الأخلاق الكريمة التي مكنتهم في الأرض وكانت من أسباب النصر ؟

إنه القرآن الكريم ، الذي أكرمنا الله — سبحانه وتعالى — به في هذا الشهر العظيم : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

ذلك لكل جيل قوة التأويل في معانيه
الحادثة الصحيحة ، وقوة التكوين
في آدابه الصالحة القوية كأنه ليس
في زمن مضى ، ولا كان لأمة
سـلـفـت ، ولا هو لتاريخ وقع

وانقطع » .

فاذا أنت تدبرت هذا واستدللت
عليه بما أظهره هذا الجيل العلمي
في القرآن ، مما وافق الحقائق
الطبيعية والكونية والاجتماعية ،
فلن يأتي لك من ذلك الا معنى
واحد تستخرجه وتقتنع به ، وهو
أن هذا الكتاب الكريم أثر نبي ،
كان في علم الله قبل كل الأزمنة ،
فهو يحويها كلها ، وكأنه يوجد معها
كلها ، وبذلك يتعين أنه هداية الهية
في أسلوب انساني يحمل في نفسه
دليل اعجازه ، ويكون القرآن
منفردا في التاريخ بأنه منذ أنزل
لا يبرح في كل عصر من ناحيتين
صادقتين : ناحية الماضي ، وناحية
الحاضر .

وقد ثبت أن رسول الله — صلى
الله عليه وسلم — قبض ولم يفسر
من القرآن الكريم الا قليلا جدا .
وهذا وحده يجمع كل منصفه

القرآن الذي يقول عنه المرحوم
الأديب : مصطفى صادق الرافعي
في كتابه القيم : « اعجاز القرآن »
والذي سنحاول أن نقتبس بعض
فقراته عن القرآن . قال :

« لم يأت دين من الأديان بمعجزة
توضح بين يدي الناس يبهث فيها
أهل كل عصر بوسائل عصرهم ،
غير الاسلام بما أنزل فيه من
القرآن .

ان القرآن أنزل لتكون كل نفس
سامية نسخة حية من معانيه ،
وليكون هو النفس المعنوية
الكبرى ، فهو كتاب ولكنه مع ذلك
مجموعة العالم الانساني » .

ويقول الرافعي : « ولكنه مع
ذلك كتاب ، أي : كلام وممان
تتسمع لكل الأزمنة ، وتحتمل
اختلافها الذي يختلف به ، ثم هي
تحدد هذا الاختلاف ، فترده الى
القانون الانساني الأعلى ، الذي
يمر في اليقين العام ، ليحفظ
الانسانية على أهلها ، ومن ثم :
تراه يجمع في نفسه الثبات الزمني ،
فلا يتغير ولا يتبدل ، ثم يجمع الى

- يقول : أشهد أن محمدا رسول الله .
- أذ لو كان صلى الله عليه وسلم فسر المصرب بما يحتمله زمانهم ، وتطبيقه أفهامهم ، لجعد القرآن جمودا تهدمه عليه الأزمنة والعصرو بآلاتها ووسائلها ، فان كلام الرسول نص قاطع ، ولكنه ترك تاريخ الانسانية يفسر كتاب الانسانية ، فتأمل حكمة ذلك السكوت : فهي اعجاز لا يكابر فيه الا من قلع مخه من رأسه .
- كان العرب يأخذون القرآن على لسان أفصح خلق الله منطلقا ، وأصحهم أداء ، وأجملهم ايماء ، وأبدعهم في الاشارة ، وأبينهم في العبارة ، وهو صلى الله عليه وسلم كان بينهم مظهر خطاب الله لأولى الالباب .
- لا جرم أن القرآن هو سر السماء ، فهو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود في دولة الأرض الى أن تزول ، وكذلك تمادى العرب في طغيانهم يعمهون ، وظلت آياته تلقف ما يأنفكون قوقع الحق ويطل ما كانوا يعملون .
- « ان أكرمكم عند الله اتقاكم » .
- تأمل كيف أقام القرآن الكريم هذا الأسس الأدبي العظيم ، فجعل أكرم الناس المتساوين جميعا في الحالتين الفردية والاجتماعية هو « اتقاكم » أي أعظمهم خلقا ، لا أوفرهم مالا ولا أحسنهم حالا ولا أكثرهم رجالا ولا أثق بهم فهما ولا أعلمهم علما ولا أقواهم قوة ، ولا شيء من ذلك وأشباه ذلك مما لا يتفاضل به الناس على التحقيق الا في ادبار الدولة ، واضطراب الاجتماع ، وفساد العمران .
- « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .
- المعروف هو كل ما يعرفه العقل الصحيح حقا ، والمنكر كل ما ينكره .
- فهو ذلك تقويم لكل انسان من الملوك فمن دونهم ، غير أن هذا المعنى لم يكن على حقيقته الا في أهل الصدر الأول للإسلام .
- والآن : ما هو واجبنا نحو القرآن في شهر القرآن ؟

لا ينقذنا الا منهاج اجتماعي
مستمد من كتاب الله تبارك
وتعالى ، منهاج مأخوذ
من كتاب الله وصادر عنه ، وأن
كل نظام اجتماعي حيوي لا يعتمد
على القرآن الكريم ، ولا يستمد من
القرآن الكريم في كل ناحية من
نواحي الحياة ، منهاج فاشل •
فمثلا هم يمالجون الحالة
الاقتصادية بقرعيات لا تسمن
ولا تغني ، على حين أن القرآن
الكريم :

- نظم الزكاة •
- حرم الربا •
- أوجب الكسب والعمل •
- منع الترف •
- أوجد التراحم بين الناس •

وبهذا تحل مشكلة الفقر ، ويغير
هذا لا يمكن أن يكون ، وغير هذا
لا يتعدى أن يكون مسكنات
وقتية •

في محاربة الجريمة مثلا : هل
نضع السارق في السجن ليتخصص
على أساتذة الاجرام ؟ وكلما طالت

لقد أجاب عن هذا السؤال أحد
رواد الفكر الاسلامي في العصر
الحديث فقال :

« في الحقيقة ان الانسان
ليعجب من موقف الناس أمام كتاب
الله تعالى : « القرآن الكريم » ان
موقف الناس من كتاب الله في هذه
الأيام ، مثلهم كمثل جماعة أحاط
بهم الظلام من كل مكان ، فهم
يتخبطون فيه ، ويسرون فيه على
غير هدى •

فتارة يقومون في هاوية ، وأخرى
يصدمون بحجر ، وثالثة يصطدم
بعضهم ببعض ، ولا يزالون
يخبطون خبطا عشوائيا ، ويسرون
في ظلام دامس ، مع أن بين أيديهم
زرا كهربائيا لو وصلت اليه
أصابعهم فان حركة يسيرة يمكن أن
توقد مصباحا مشرقا منيرا •

فهذا هو مثل الناس الآن ، مثل
كتاب الله وموقفهم من القرآن •
فما هو واجبنا الآن نحو القرآن ؟

واجبنا نحو القرآن الكريم :
« أن نؤمن ايمانا جازما قويا
لا ضعف فيه ولا وهن معه ، بأن

عدة اقامته في السجن زاد تخصصه في الاجرام .

وإذا كان الأخذ بهذا النمى للقرآن : « أن ينفوا من الأرض » قد أفادت البلاد منه كثيرا لما بالك يا أخى لو طبق النظام جميعه

الاسلام وحدة واحدة ، لا يقبل الشركه ، فيجب أن نؤمن بأن الاسلام هو الصالح لانقاذ الأمة من كل ناحية من نواحي حياتها .

طيبا بعد ذلك — نحن المسلمين — نحو كتاب الله — تبارك وتعالى — أن نتخذ منه أنيسا وسميرا ومعلما ، نتلوه ونقرأه ، وآلا يمر بنا يوم من الأيام حتى تكون لنا صلة بالله ، وبكتاب الله تبارك وتعالى .

وعلىنا بعد ذلك أن نلاحظ حين نقرأ القرآن آداب التلاوة ، وحين نسمع كتاب الله آداب الاستماع ، وأن نحاول ما استطعنا أن نتدبر وأن نتأثر .

وبعد أن نؤمن بأن كتاب الله هو المنقذ الوحيد ، بعد هذا يجب

علينا أن نصل الى العمل بأحكامه تطبيقا عمليا ، فحين نقرأ القرآن يجب أن نتقف عند أحكامه وحدوده ، فمن لم يكن يمسلى ويقرأ قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة » فلا بد أن يصلى . وحين نقرأ : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » فيجب أن تؤدى الى كل ذى حق حقه ، ويجب الاحتجاج الى من يحمك على هذا ، فالحلال بين والحرام بين .

وعن فضل القرآن والشريعة الاسلامية تكلم كثيرون ، ولكن في هذه المجالة سنحاول أن نورد آراء الكتاب والمفكرين من غير المسلمين ، الذين أدركوا فضل الاسلام .

قال الأستاذ : يوسف زخريا — وهو مسيحى يقوم بتدريس الشريعة الاسلامية في الجامعة الأمريكية — مبينا فضل الشريعة الاسلامية :

« ان الشريعة الاسلامية تمتاز عن سواها من الشرائع المعمول بها في عصرنا بأنها فضلا عن كونها

فهو الدين الذي أعطى أرسخ
الشرائع نباتا » .

واقرأ معي أيها الأخ المسلم
ما قاله « شيرل » عميد كلية
الحقوق بجامعة « فيينا » عن
الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أن البشرية لتفخر بانتمساب
رجل « كمحمد » إليها فقد
استطاع — على أميته — أن يأتي
قبل بضعة عشر قرنا ، بتشريع
سنكون نحن الأوروبيين أسعد
ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد
ألفى عام » .

وفي شهر يوليو عام ١٩٥١
انعقد في باريس مؤتمر أسبوع
الفقه الاسلامي ، في كلية الحقوق
بجامعة السربون ، بدعوة من لجنة
الحقوق في المجتمع الدولي للقانون
المقارن ، وبعد أن ألقى عدد من
الأعضاء محاضراتهم عن الفقه
الاسلامي ، وتبين منها أصالة
التشريع الاسلامي واشتماله على
ثروة حقوقية ، ونظريات قانونية
خالدة القيمة ، اتخذ المؤتمر قرارا
جاء فيه مائنه :

مجموعة القواعد التي يجب أن
يتبعها كل مسلم ، بما حوت من
أمر ونهى ، هي أيضا شريعة مدنية
صالحة للأمم التي لا تزال تتمثل
بها سواء كانت هذه الأمم مسلمة
أم غير مسلمة » .

ويعلن « هوكج » أستاذ
الفلسفة بجامعة « هارفرد » :
« أن سبيل تقدم البلاد
الاسلامية ليس اتخاذ الأساليب
الغربية المتكررة للدين كوجه
لحياتهم اليومية ، وإنما سبيل
تقدمهم ونموهم اتخاذ الدين
مصدرا ، فنظام الاسلام يستطيع
توليد أفكار جديدة ، وأحكام
مستقلة متفقة مع الحياة » .

وانى أشعر بأنى على حق ، حين
أقر : أن الشريعة الاسلامية
تحتوى بوفرة على جميع المبادئ
اللازمة لارتقاء الانسان » .
ويقول الدكتور « أنريكو انسايا
تومين » :

« أن الاسلام — مع احتفاظه
بحيويته وقوته وأصالته — يتمشى
مع مقتضيات الحاجات العصرية ،

« ان مبادئ الفقه الاسلامى لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها ، وأن اختلاف المذاهب الفقهية فى هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية ، هى منازع الاعجاب ، وبها يستطيع الفقه الاسلامى أن يستجيب لمطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها » .

بمقاصد القرآن ، ويكفى برهاننا على بطلانه تاريخ صدر الاسلام ، وعناية علماء العرب بالعلوم والفنون ، ودراساتهم لكتب الحكماء الأقدمين .

ان الاسلام قد أكد منذ الساعة الأولى لظهوره أنه دين عام ، يصلح لكل جنس وصفة ، ولكل عقل وعصر ، ولكل درجة من درجات الحضارة .

ويعد :

فهذا هو القرآن من وجهة النظر الاسلامية ، وتلك هى آراء بعض المستشرقين المنصفين فيه ، وفى الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى . وذلك هو واجبنا نحو القرآن فى رمضان شهر القرآن ، وفقنا الله الى العمل بما فيه ، باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، فنسعد فى دنيانا ، ويرضى عنا الله ورسوله يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

محمد شلبى

وينلى « ريتشارد وود » مايقال عن القرآن : من أنه هائل دون النهوض بالانسان ، والارتقاء بفكره وحياته ، فان القرآن يتضمن أحكام الدين ، وفى الوقت نفسه يتضمن الأمور المدنية والشئون السياسية .

ويقول « ريتشارد وود » نفسه :

« ان كثيرا من المستشرقين يزعمون أن المسلمين لن يتقدموا ما داموا بنصوص القرآن التى لا تتلاءم — بزعمهم — مع المعارف والفنون الحديثة » .

وهذا وهم باطل نشأ عن الجهل

هواتف

طَلَبُ الْعِلْمِ

للكاتب ابراهيم علي أبو الحسن

قلما يفتن له الناس ، ويلتفتون
اليه ، ويدور بخلداهم أنه مقتدر
به ، أو ملازم له ، وذلك هو
ما يجده الطالب حينما تربطه به
الأسباب ، وتصله به تلك الوشائج
النبيلة التي تعلق ذهنه به ، وتحول
نظره اليه ، وتفكيره فيه ، فانه
— حينئذ — يخلق في جو من
انسداد التي لا يجدها الا
الشعراء ، وهم يخلقون في ملكوت
السموات والارض ، يبحثون عن
مسورة جميلة ، أو معنى رائع ،
وقد أدركت بنفسى هذه الحقيقة
التي لا شك فيها وأنا أقلب خزانة
كتبي ، بحثا عن سفر أعود النظر
اليه ، أو القراءة له ، لأحضر
عهدي به لأول مرة ربطتني به
الأسباب ، وجمعت بيني وبينه

في الحديث الشريف ما يفيد
أن طلب العلم فريضة على كل مسلم
ومسلمة . وربما كان هذا
العلم الذي يقصد اليه الحديث
هنا ، هو هذا الذي يصحح به
المسلم سلوكه مع الله — سبحانه
وتعالى — لتكون عبادته له على
بصيرة تامة ، ووعى سليم ،
لا تشوبها خرافة ، ولا يداخلها
ترديد ولا مبالغة ، ولا يحيط بها
جهل ولا تخبط ، وانما تكون كما
رسمها القرآن الكريم ، وبينتهما
السنة النبوية المطهرة ، وان كان
طلب العلم ، والاشتغال به ،
والتحصيل له ، والعيش معه ،
والانتساب اليه ، شرف لا يدانيه
شرف ، ولا يعدله جاه أو سلطان ،
الا أن هنالك معنى وراء ذلك كله

المناسبات ، وربما كررت هذه
الزيارة لخزانة كتبى هذه مرة
وأخرى ، اذا وجدت ملا من جهد
بذلته ، أو عناء قاسيته ، فلا يخفف
عنى ما ألقيه الا عيشى فى هذه
الرحاب الطاهرة ، والأجواء
العطرة ، وكثيرا ما تغمرنى الفرحة
البالغة ، والغبطة العميقة ،
والبهجة الحلوة ، اذا وجدت كتابا
كنت قد قطعت الرجاء منه ، أو
الأمل فيه ، اذ ظننت أن أحدا قد
استعاره ولم يرده الى ، وما أدري
ان كان ذلك لأن كتب الانسان
— كما يقول بعض الأدباء —
كفلذات أكباد الذين يوليه من
حسبه عليهم ، واعتباطه بهم ،
وميله اليهم ، وهشاشته لهم ،
وما لا يمكن أن يتصوره الا الأب
الحانى على أولاده ، الذى يتصور
السعادة كلها فى ذلك الاشراف الذى
ترسله وجوهم وموسيقى نبراتهم
وأصوات كلماتهم وهو
ينظـر اليهم ، أو يصـنـى
الى أحاديثهم ، أو يقترب
منهم ، وكثير من الفرائز البارزة فى
الانسان كحب الاستطلاع ، والحل

والتركيب ، والولوع بالكشف عن
المجهول ، وغير ذلك من القوى
الكامنة فيه ، والاستعداد الذى
خصه الله به دون سائر أنواع
الحيوانات برهان واضح على أنه
لا يرضى لنفسه بحال من الأحوال ،
أن ينطوى على الجهل ، أو يسكت
على عدم المعرفة ، أو يستكين لتلك
الظروف القاهرة التى تجعله —
هكذا — صندوقا مغلقا ، أو
صفرة صماء ، أو كومة من اللحم
والدم ، أو شبحا كل همه أن يروح
ويجىء ليس الا ، والدليل على
ذلك أنه يغضب ويثور اذا رماه
أحد بالجهل ، أو قال له انسان
أنت لا تفدى ، ولو كان هو فى واقع
الأمر كذلك ، وكم رأينا من
مصادمات لا يكون لها من سبب ،
سوى أن يقول قائل لصاحبه ان
بينك وبين العلم عداوة الصديق ،
ونفور المختلفين ، ولقد كان المرجح
الذى فضل الله به آدم عليه السلام
على الملائكة ، ومن أجله منحه
الخلافة فى الارض ، وأمرهم
بالسجود له ، انما هو العلم ،
(وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم

الآية الكريمة ، « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم » وقد كان معلمون النسب جاءت به أمه من أب غير شرعى ، فلما أخبره صلى الله عليه وسلم أن أباه فلان كانت القاصمة له .. ولم يكن مثل هذا كله شاقا على النبى ، أو مؤلما لنفسه ، لأنه يعلم علم اليقين ما تحدثه فى الرأس لذعة الحيرة والشك ، أو الجهل بالأمور ، وعدم المعرفة للأشياء ، والوقوف على أسبابها وعلمها ، وارتباط بعضها ببعض ، ولهذا لم يكن يتغاضى عن اجابة السائل ، وإضاءة المشاعل لمن تشقبه عليه المسائل ، أو تخفى عنه المعالم ، أو تغيب عنه براهين الأشياء ، وأدلة الحقائق ، ويمتنبه سبحانه وتعالى اذا بدا منه ما يشبه التوانى ، أو الإهمال فى الأخذ بيد الضالين ، أو الحيارى الذين يطرقون بابيه رغبة فى العلم ، أو بحثا عن المعرفة ، أو حرصا على أن يرشدهم إلى السلوك الذى يجب

على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء أن كنتم صادقين . قالوا سبحانه لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (١) وكذلك كان جل جلاله لا يسوى بين العلم والجهل ، ولا بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، واذا كان السؤال تصف العلم — كما يقولون — فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أسئلة ، ربما بدا منها أنها مما يتخرجون منه ، أو يترددون فى توجيهها إليه ، وهم الذين أمرهم الله بالقرآن الأدب معه ، وعدم الإيذاء له ، وقد كانوا يلحون فى طلب الجواب ولو كان غير سار ، كهذا الذى نزلت فيه

أن يأخذوا به ، ليكونوا من المؤمنين الصادقين ، لا تهزم عواطف الشك ولا أعاصير الزينج ، و لا عوامل الباطل ، ولو حصل شيء من ذلك ولو على سبيل الاجتهاد لم يقره عليه ، أو يتركه للاسترسال فيه ، كما حصل مع ابن أم مكتوم ، ذلك الذى كان هريصا على الذهاب اليه ، والأخذ منه ، ليكون له من هذا فقه فى دينه ، وكمال فى يقينه ، وقوة فى إيمانه ، وثبات على دربه ، ونور فى سبيله ، وقد صادف فى إحدى غدواته اليه ، أن كان عنده بعض وجوه الكفار الذين كانوا يسألونه على الإيمان به والدخول فى دينه ويريدون منه أن يطرد من حوله الفقراء الذين ينشون مجلسه ، ويتوددون اليه ، أو يترددون عليه ، وهناك لم يستقبله الاستقبال الذى عوده عليه ، واشتغل بالحفاوة بهم ، وكأنه كان مطمئنا الى أن هذا الذى ألف التردد عليه ، والزيارة له ، لا ينكر فى نفسه اغضاه عنه ولا تركه للحفاوة به ، والاقبال

عليه ، والألفة — كما يقولون — نسقط الكلفة ، لكن جبريل ، عليه السلام ، قد نزل عليه ، يبلغه صوت السماء بالانكار لهذا الصنيع ، « عجب وتولى ، أن جاءه الأعمى وما يسدريك لطف يزكى ، أو يذكر فتتفحه النكري » (١) وكان صلى الله عليه وسلم اذا لقي ابن أم مكتوم بعد هذا يقول له : أهلا بمن عاتبنى فيه ربى .. وكان جبريل الأمين فى بعض الأحيان يجيء الى الرسول الكريم ، فى شكل أعرابى جلف ، يسأله فى عنف وغلظة — كما هو شأن الأعراب وكان بعض الصحابة تدفعه نفسه الى الاعتداء عليه ، أو التانيب له ، لاسامته الأدب مع سيد الخلق ، وكان النبى يردهم عن ذلك قائلا انه أخى جبريل جاء ليملكم كيف تسألون عما يشقبه عليكم من الحلال والحرام ، وكان الصحابة يسألونه صلى الله عليه وسلم ، لا يقف سؤالهم عند حدود الخبر الذى يريدون معرفته ، وإنما يسألون عن الشر كما يسألون عن

جبروت السلطان ، لم يمنعه ما كان فيه ، من محاولة المعرفة ، والرغبة في الوقوف على حقائق الأشياء ، ولم يلبث وقد أخبره موسى أن الله في عليائه قد استوى على العرش ، أن قال لوزيريه « يا هاملن ابن لي صرحا لطى أبلغ الأسباب ، أسباب السماوات فاطلع الى اله موسى » (١) وكانت نهايته وقد تطامن كبرياؤه ، وذهب غروره ، وأيقن أنه هلاق سوء عمله « قل أنت أنه لا اله الا الذى أنت به بنو اسرائيل » (٢) وهكذا كان طغيان المسادة على الناس اذ يحول بينهم وبين الحق ، فلا تتنظر عيونهم للنور ، ولا تدعن قلوبهم للخير ، ولا ترتبط أفئدتهم بالذى خلق السماوات والأرض ، لأنهم في هذه الفترة من أعمارهم يعيشون لليوم لا للغد ، وللجسد لا للروح ، ولشهوة البطن لا أكثر ولا أقل ، حتى اذا ما أطبق عليهم الحال ، وضاعت عليهم السبل ، وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا

الخير ، وعن الفضيلة كما يسألون عن الرذيلة ، ويقولون حذيفة بن اليمان كان الناس يسألون رسول الله عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه .. وهكذا شرى السؤال لا حدود له ، وقد يكون عن الشر الذى يجب تركه ، وعدم الاقتراب منه ، كما يكون عن الخير الذى يجب اتباعه ، والاخذ به ، ومن المعقول أن تنصرف البشرية عن النظر في الأشياء ، أو البحث عنها ، والتفكير فيها ، والمعرفة لها ، أو ربط الأسباب بالمسببات منها ، اذا طغى عليها طيش الصباة ، أو استولت عليها غفلة الذهن ، أو غفوة القلب ، أو حالت بينها وبين ذلك ظروف قاسية ، لا تستطيع أن تتحكم فيها ، أو تقدر على تخطيها ، لكنه ليس من المعقول أن يظل ذلك دائما أبدا ، وعلى طول الخط . فان فرعون موسى الذى عاش غارقا في سكرة الملك ، وغرور الحكم وأبهة الجاه ، أو

(١) غافر : من آيتي ٣٦ ، ٣٧

(٢) يونس : من الآية ٩٠

دائما أبدا تلج على صاحبها أكثر من الحاجة الى الزاد الجسمي ، لأنه يستطيع أن يحتمل الجوع والعطش من غير مضاضة ولا مضاضة ، ولا يعييه مهمما أحد ، ولكنه لا يحتمل الجهل بالأمور ، وعدم معرفته لها الا على ضرب من القلق والحيرة ، والسخط والاضطراب ، الذي يستحيل معه السكون والاستقرار ، والرضا والارتياح ، ولا أدل على ذلك كله من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي كان لا يشك في رعاية ربه له ، واهتمامه به ، وتوفيق كل أسباب النجاح لدعوته ، يتلهف تلهفا يشبه النهم على أن يردد ما يوحى به اليه ، دون أن ينتظر انتهاء جبريل ، عليه السلام من تلاوته آياه ، وكان جل جلاله يذهب علمه وفزعه ، ويطمئنه على أنه لا يضيع عليه شيئا منه أو يجعل الفرصة تغلت دون أن يكون قد أحاط به « لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه ، فإنا قرآننا ماتبع قرآنه » (١) . وفي قصة موسى مع الخضر

أنهم قد أحيط بهم ، عاد اليهم الرشيد ، واعتدل فيهم ميزان التفكير ، ولذلك رأينا الحروب الأخيرة ، وقد طحنت رحاها العالم ، وأنت على الأخضر واليابس ، تفتح قلوبا غلغا ، وأعيننا عميا ، وآذاننا صما ، وتوقظ كثيرا من الجاهدين أن يبحثوا عن السداد والرشاد ، والصواب والحق ، ليستقيموا على الجادة ، ويسلكوا السبيل الصحيح الذي لا تتواء فيه ولا انصراف ، وربما كن الرأي مضطربا بين الأخذ بشريعة الله أو شريعة الناس ، ولا يعنينا أن نقول ما هو هذا الذي كان يجمع بهم أن يفرغوا اليه ليكون فيصلا ، انما يعنينا فقط أن نقول ان ذلك عنوان النزوح الى العلم والمعرفة ، والبحث عن الحق والصواب ، أو تجاوز الحدود والحدود . . وعلماء الاجتماع وهم يتكلمون عن البدائية الأولى في الانسان ، لم يختلفوا في أنه كان يتطلع ويتأمل ويسأل ويحاول أن تتكشف له الحقائق عارية من الأغلفة والحجب ، والحاجة الى الزاد المعنوي كانت

الأدب ، ولا يتمرد على تلك التقاليد ، فإن الطبيعة الانسانية كانت تفرض عليه أن يسأل ، وتحتم عليه أن يتعجل المعرفة ، وتلح عليه أن يطلب كشف الغطاء عن المجهول ، غير مترقب للفرصة المتاحة أو الظروف الملائمة ، وهناك تخطى الوعد الذي وعد به ، والمهد الذي اخذه على نفسه ، وانساق انسياقا للسؤال وطلب العلم والمعرفة ، مكتفيا بالاعتذار عما بدر منه ، أو وقع فيه ، وكلما ضاق الخضر ذرعا بما حصل منه أعاد على سمعه « ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا » كأنما يشغى بهذا غليله ، ويرمه به ، أو غضبه الذي كان يملأ جوانحه ، ولا يزيد موسى مع ذلك كله على اعتذاره له « لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا » وهكذا يتكرر خطأ المخطئ ، واعتذار المعتذر ، بقول الأول

عليهما السلام ، صورة طريفة الى أبعد حد - في هذه الفاحية ، اذ وجد موسى أنه مع التشريف الذي شرفه الله به من اختياره للنبوة ، واصطفائه بالرسالة ، ينقصه كثير من علم الخضر بالأمور ، وبصره بالأمور ، واحاطته بالمسائل ، وكأنما تمنى لو يقتبس من وعيه ، ويأخذ من فهمه ، ويفتخر من بصره ، ويكون لبعض ما أفاض الله به عليه « قال له موسى هل أتبعك على أن تعطني مما علمت رشدا ، قال انك لن تستطيع معي صبرا ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ، قال مستجنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا ، قال فان اتبعتني فلا تسألني من شيء حتى أحدث لك منه فكر » (١) وعلى الرغم من أن موسى أبدى طاعة التلميذ لاستاذه ، وخضوع المريد لشيخه ، وأعلن أنه سينزل على حكم الكبير على الصغير ، فلا يتحول عن هذا

« ألم أقل لك » ويقول الثانى « لا تؤاخذنى » ونحن أمام هذا الحوار الطريف بينهما نقف موقف المتأمل ، وكلاهما رجل لا يستهان بعقله ورأيه ، وذوقه وأدبه ، وتفكيره وحساسيته ، يؤاخذه المجتمع على أنه لم يلتزم بما أخذه على نفسه ، وإذا قلنا ان الخضر كان له رأيه فى الانتظام أو التؤدة ليكون ذلك أدعى الى التشويق والتقرب ، وليكون للإجابة وقمها الطيب فى النفس ، كما يفعل المربى الماهر مع التلاميذ ، فماذا عساه

أن نقول له عن هذا الذى تخطى السدود والحدود ، أو المواثيق والمعهود ، ثم انساق انسياقا قاهرا وراء الرغبة فى العلم ، والنزوع الحاد الى المعرفة ، الا أن يكون هو الطبع الانسانى الذى لا يستطيع أحد أن يخالفه ، أو أن يخرج على تقاليده ، وهكذا كانت البشرية منذ خلقها الله ، تنزع الى طلب العلم ، وتبحث عن حقائق الأشياء .

د • ابراهيم على أبو الخشب



انشقاق القمر والعجاز العلم للقرون

وكنهه ظهور محمد بن عبد الله

بهذه الآية على أن انشقاق القمر وقع فعلا في الماضي ، كمعجزة مادية خارقة من معجزات سيدنا : محمد عليه الصلاة والسلام وذلك استجابة لطلب المشركين ، ودليلا على اقتراب يوم القيامة •

ثانيا : يجمع المفسرون حديثا على أن هذه الآية تعبر عن الأحداث الكونية في المستقبل ، فعند دنو يوم القيامة سينشق القمر ، وينفصل بعضه عن بعض ، ويؤيد وجهة النظر هذه ما يأتي :

(١) أن التعبير عن الماضي في الآية الكريمة : « اقتربت الساعة وانشق القمر » ليس معناه أن القمر قد انشق فعلا ولكنه التعبير

أشار الله سبحانه وتعالى الى ظاهرة انشقاق القمر في مطلع سورة : « القمر » بقوله سبحانه : « اقتربت الساعة وانشق القمر » (١) •

ولقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية ، ولذلك أردت أن أكتب هذا المقال لأساهم برأي العلم الحديث في هذا الموضوع ، وخاصة وقد توقعت البحوث الحديثة أن نظام الأرض والقمر سيتطور مؤديا الى انشقاق القمر •

وفيما يلي : سأناقش قضية انشقاق القمر على ضوء التفسيرين الواردين لهذه الآية الكريمة : أولا : يستدل بعض المفسرين

(١) سورة القمر ٥٤ الآية الأولى منها •

ولم تعتمد في عملها على القهر والتسلط على العقل أو المشاعر ، لأنها دعوة عامة للبشر ، وهي دين الله الخاتم للناس جميعا ، فالدعوة الإسلامية دعوة قائمة على الحجة الواضحة ، والبيان النير ، ولم تعتمد على اعجاز مادي ، لأنها خالدة الى يوم القيامة ، وعامة لكل جيل من البشر في أى مكان على وجه الأرض .

ولقد كانت معجزة كل رسول حسية ، لأنه يبعث لقومه خاصة ، أما معجزة رسولنا صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الله الى انبشورية كلها : فهي عقلية خالدة ، لا تتغير ولا تتبدل بحفظ الله لها ، وهي : « القرآن » .

ولقد ضرب القرآن الكريم أمثلة كثيرة للذين كانوا يشاهدون الآيات التى تعتمد على الخسوف المادية ثم لم يؤمنوا بها مثل : قوم ثمود ، الذين جاعتهم الناقة وفق ما طلبوا ، ولكنهم كفروا وأهلكهم الله .

بالفعل الماضى عن حدث ما يستخدم عادة في الأصل البلاغى في مقام التعبير عن المستقبل ، تأكيدا لتحقيق وقوعه ، بدليل قوله تعالى : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » (١) فلفظ أتى هنا بمعنى : سيأتى . حيث عبر القرآن الكريم بصيغة الماضى بدلا من المضارع ، تأكيدا لوقوع الحدث في المستقبل .

(ب) أن التوقعات العامة انحدية تشير الى انشقاق القمر في المستقبل ، وهذا ما سأوضحه في هذا المقال .

وقبل أن أدخل في التفاصيل العلمية لهذا الموضوع ، فسوف أناقش التفسير الأول .

أولا : انشقاق القمر في الماضى

يقول صاحب كتاب « الدعوة الإسلامية في عهدنا المكي » ان دعوة الاسلام لم تكن دعوة لقوم أو لجنس ، ولم تكن دعوة جيل أو زمن محدد معلوم ،

(١) سورة النحل ١٦ الآية الأولى منها

الناس الا كفورا • وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الأرض
ينبوعا • أو تكون لك جنة من نخيل
وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا •
أو تسقط السماء كما رزمت علينا
كسفا أو تأتي بالله والملائكة
قبيلا • أو يكون لك بيت من زخرف
أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل
سبحان ربي هل كنت الا بشرا
رسولا •

(الاسراء — ٨٩ — ٩٣)
ويتضح بهذا أن الكفار قد
قصر ادراكهم عن التطلع الى آفاق
الاعجاز القرآنى ، فراحوا يطلبون
تلك الخوارق المادية ، ويتعنتون
في مطالبهم ، لدرجة المطالبة بمجىء
الله — سبحانه وتعالى — والملائكة
اليهم ! مما يدل على اختلال قواهم
العقلية •

ولقد كان الجواب على هذه
المطالب : « قل سبحان ربي هل
كنت الا بشرا رسولا » •
حقا : أن محمدا بشر • ولقد
طلب الكفار منه أن ينزل الله
عليه ملكا يصدقه ويحدث الناس

ولهذا جاءت رسالة الاسلام
خاتما للرسالات كلها ، غير
مصحوبة بخوارق مادية ، لأنها
رسالة الانسان على وجه الأرض •
انها رسالة الأجيال المتعاقبة ،
ورسالة الرشد البشرى تخاطب
في الانسان مداركه وعقله ووجدانه
جيلا اثر جيل •

انها رسالة تحترم الانسان
وتميزه ببشريته •

وآية الاسلام هي « القرآن »
كتاب مقدس لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه •

حقا : ان « القرآن الكريم »
معجزة الله الخالدة ، وسوف
يظل القرآن الكريم مفتوحا
للأجيال المتعاقبة ، وحتى قيام
الساعة ، باعجازه اللغوى والبياني
والعلمى •

ويسجل « القرآن الكريم »
مرحلة المهارات التي كان يثيرها
الكفار بطلب المعجزات والخوارق
المادية ، أيام نزول القرآن الكريم
بقوله تعالى :

« ولقد صرفنا للناس في هذا
القرآن من كل مثل غابى أكثر

معه ، فأنزل الله تعالى الآية
الكريمة التالية •
« وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو
أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم
لا ينظرون • ولو جعناه ملكا
لجعناه رجلا وللبسنا عليهم
ما يلبسون » •

(الانعام ٨ - ٩)

« وما منعنا أن نرسل بالآيات
إلا أن كذب بها الأولون » •

(الاسراء : ٥٩)
ان التكذيب بالآيات المادية
الخارقة ، يوجب في حكم الله
معاقبة المكذبين فوراً بالنقمة ، كما
حدث لقوم صالح : (ثمود)
ولآل فرعون ، وبهذا : غلو أعطيت
قريش ما سألوا من الآيات ،
وجاءهم بما اقترحوا من معجزات
حادية خارقة ، ثم كذبوا ...
لم يلبثوا أن عوقبوا بتكذيبهم
للمعجزات •
ولكن الله أكرم محمداً ، وبعثه
رحمة للعالمين •
ويتضح مما سبق أن الدعوة

وبهذا يتضح أن الله سبحانه
لو استجاب لمطالبهم وأرسل مع
محمد ملكا كما اقترحوا ، ثم
عاندها ولم يؤمنوا ، لنفذ الأمر
الالهي بأهلاكهم فوراً • كما أن
الملك المطلوب ليؤيد الرسول لأبد
وأن يكون على هيئة بشر ، حتى
يستطيع الكفار مشاهدته والفهم
عنه ، لأنهم لا يقدرّون على رؤية
الملك في صورته الأصلية ، ولكن
إرسال الملك في صورة بشر إليهم
سوف يوقعهم في نفس الخطأ
الذي يتخطون فيه لأنه في هذه
الحالة سوف يشكّبه عليهم
الأمر ، ولهذا كان طلبهم مرفوضاً •

(١) الدعوة الإسلامية في عهدنا المكي - للدكتور : رؤوف شلبي •
من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية •

المراء الذي كانوا يتفرعون به ، غير أنه روى عنهم أنهم قالوا : سحرنا : ولكنهم أنفسهم احتبروا الأمر فعرفوا أنه ليس سحرا ، حيث سألوهم آخريين قادمين من السفر ، فأخبروهم أنهم رأوا القمر منشقا ، ورغم ذلك قالوا : هذا سحر . فأنزل الله تعالى الآية « اقتربت الساعة وانشق القمر » وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » .

(القمر - ١ - ٢)

والسؤال الآن :

هل انشق القمر فعلا في الماضي أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

ولو سلمنا بأن حادثة انشقاق القمر قد وقعت فعلا استجابة لمطالب المشركين ، فلماذا لم يستجب القرآن ورسول الله صلى الله عليه وسلم - لباقي مطالب المشركين ؟

وللجواب على ذلك :

فاننا نحن « المسلمين » نؤمن

الاسلامية لم تعتمد على اعجاز حادى لأنها خالدة الى يوم القيامة ، ولأنها عامة لكل البشر ، ولأنها رحمة للعالمين .

أما موضوع انشقاق القمر : فقد قال بعض المفسرين عنه : أنه حدث ووقع تاريخيا ، وثبت بالسنة (١) ، على نحو ما رواه البخارى :

انشق القمر ونحن مع النبى - صلى الله عليه وسلم - بمنى فقال :

(اشهدوا ، وذهبت فرقة نحو الجبل) .

وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبدالله : انشق القمر بمكة . وتابعه محمد بن مسلم عن أبى نجيع عن مجاهد عن أبى يعمر عن عبد الله .

وهو حادث واجه به القرآن الكريم جماعة المشركين في حينه ، ولم يرو عنهم تكذيب لوقوعه ، فهو بذلك قد وقع بصورة يتعذر معها التكذيب ، حتى ولو على سبيل

حدوث تلك المعجزة المزعومة ، لأنها تتنافى صراحة مع الكثير من آيات القرآن • وما أقل تأثير المعجزات فيما مضى من التاريخ • لقد عبد بنوا إسرائيل العجل بعد أن أنقذهم موسى بمعجزته من لجة البحر ، ومن طغيان فرعون وما كان أهل مكة المشركون ليتأثروا بالمعجزة أكثر من غيرهم من بنى البشر ، فإن الطبيعة الانسانية واحدة •

غير أننى لا أملك أمام الكثرة الكثيرة من الأحاديث المسيحية إلا أن أقول : انه ليس فى الامكان تكذيب حادثة انشقاق القمر ، لكنها وقعت ، لا على أنها دليل فى مواجهة مطالب المشركين لاثبات الرسالة ، بل هى وقعت كما وقعت خوارق كثيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم •

دكتور

منصور محمد حسب النبى

بكتاب الله ، وبصدق رسول الله ، ولو كانت رواية انشقاق القمر صحيحة على نحو ما رواه البخارى ، فليس بوسعنا تكذيب حادثة انشقاق القمر أيام رسول الله لأن الله قادر فى أى لحظة أن يشق القمر ، وقادر أن يعيده الى كتلة واحدة •

ولكن القول بأن انشقاق القمر كان استجابة لطلب المشركين : قول متجاف مع النص القرآنى ، والموقف النبوى الذى أوضحناء من قبل مصداقا لقوله تعالى :

« قل سبحانه ربي هل كنت الا بشرا رسولا » •

وقوله تعالى :

« وما نحن الا نرسل بالآيات

الا ان كذب بها الاولون » •

يقول المسلم الفرنسى « اتين

دينه » (١) :

« اننا لا نستطيع تصديق

(١) محمد رسول الله « اتين دينه » •

رمضان

والمجتمع والقيم والحياة ..

تفسير عبد الحكيم السجندر

تنطق في جنبات الدنيا الكلمة الشريفة .. للسيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها .. عندما سئلت عن خلق رسولنا العظيم فقالت : كان خلقه القرآن .. بل كان قرآنا يعش على الأرض .. يضيء ويحكم ويشرح بين الناس بالعدل وللمعدل ومن أجل العدل .. هكذا عاشت ومازالت تعيش هذه القيم الخوالد في نفوس أبناء الاسلام .. حتى أصبح رمضان ربيع القلوب والأرواح وواحة الأمل للعودة الى رحاب الله .. سبحانه وتعالى ..

تربية الروح

الطاقات الروحية أقوى طاقات الانسان وأكثرها أثرا في

في شهر رمضان المبارك .. تتجه القلوب الى ربنا تبارك وتعالى .. منطلقا لتجديد القيم في النفس والمجتمع والحياة .. وتتجه ملايين الأنفس الى مقام الجلال والكمال سيدنا رسول الله صلوات الله عليه وسلم .. محمد .. هدية السماء الى الأرض .. من أرسله الله رحمة للعالمين ..

فتتخذ جماهير المؤمنين من هذا الشهر العزيز .. على الله وعلى الناس .. ومن منهاج صاحب الرسالة العظيم في هذه الأيام الروحية الرحبة .. منطلقا لتطهير النفس وتصفية الروح .. وحتى نجعل من رسالة السماء .. سلوكا ومنهاجا وواقع حياة .. حيث

الا الصوم فانه لى وانا
أجزى به » ..

تغذية الروح

ومن أهداف الصيام تربية النفس على الصبر .. فالمسلم يتحرر من ذاته ويقتربى على ضبط أعصابه فلا يثور لأول مؤثر بل يقيم الاعتدال فى طبيعته وحركته وسلوكه .. والصوم يساعد على تربية المسلمين ومساعدتهم على إقامة مجتمع سليم قوى له قيادة يرجع اليها فى كل أمر من أمور حياته ..

والمصائم المحتسب لا يجد فى نفسه اضطرابا ولا انزعاجا بل يكون راضيا محتسبا مطمئنا هادئا .. ومن هنا ندرك أن أساس الصوم اعداد المسلم بأن تكون تصرفاته كلها منسجمة مع تعاليم الاسلام .. وجوهو الاسلام ينادى دائما بتحرير الانسان فى الأرض من العبودية للعباد ومن العبودية للهوى .. بل لعبودية الواحد الأحد بأن الله واحد .. لا شريك له .. سبحانه .. ولم يكن من المصادفة أن

حياته .. وفى شعوره بالسعادة والأمن والأمان .. فان الله جلت قدرته وعظمت ارادته طلب من المؤمن أن يكون دائم الاتصال به .. والشعائر فى حقيقتها ما هى الا محطات للتزود من الطاقات الروحية التى تؤثر فى المسلم وفى سلوكه وفى عاداته وفى أمنه وأمانه .. بل فى سعادته .. ومن هنا يطلب القرآن من المسلمين جميعا أن ينهلوا من هذا الرحيق الصافي الكشيف النظيف ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ..

وفى الحديث الشريف .. أن رجلا سأل النبي العظيم عن الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل للمغنم أى ذلك فى سبيل الله ؟

فقال الرسول : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » ..

والصوم من الناحية الروحية صلة وثيقة متفاعلة بين العبد وربّه صلة بعيدة عن الرياء وفى ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى فى حديثه القدسي « كل عمل ابن آدم له

ان الجندي الذي يؤخذ الى ميدان المعركة بدون اعداد لهو شاب فاشل .. وان الشباب الذي يقابل الحياة وصعوباتها بدون اعداد لهو شاب فاشل .. والصوم يسهم في تربية النفوس وترويضها وتمويدها الصبر في كل الأمور ..

وشباب اليوم يحتاج الى الاعداد النفسى والعقلى في مدرسة الصوم ..

والصوم في حقيقته ليس حرمانا من حرية الانسان بل هو يطهر النفس ويوجه عقل الصائم كي يسترد هويته .. حرية الارادة وحرية التفكير .. وحرية الحركة في سبيل الله الحق المبين ..

والتفكير الحديث أفسد في أذهاننا معنى الحرية حين هدم حدودها الروحية والنفسية ثم استبقى حدودها المادية فالانسان ليس حرا في التفكير الحديث ان يمتدى على مال غيره أو على شخصه ولكنه حر في نفسه وان جاوز ذلك حدود القتل .. أو قواعد الخلق ..

يفرض الصوم في العام الذي فرض فيه القتال لرد العدوان ونشر الاسلام .. فالصوم هو مجال تقرير الارادة القوية واتصال الانسان بربه اتصال طاعة وانقياد — ومجال الاستملاء على ضرورات الجسد كلها واحتمال ضغطها وثقلها ايثار لما عند الله .. وهذه عناصر لازمة لاعداد النفوس لاحتلال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك والذي تحف بالسالكين فيه المفريات ..

التفكير الحديث

ونحن نعلم أن الشباب المدلل لا يستطيع أن يقف على قدميه في هذه الحياة لأنه نشأ طفلاً رخواً ليناً تتقاذفه الرياح من كل جانب ثم هو في العادة الذي يصاب بالأمراض والعقد النفسية وبصدمات الحياة ..

والفرق الخاصة في الجيوش تدرب تدريباً عالياً يؤهلها للقيام بالمهام الخطيرة التي تحتاج إليها الأمة في طلماتها ..

« قل انظروا ما أنا في السموات والأرض » .

وفي هذا الشأن كانت الحقبة العلمية التي أدهشت علماء الغرب وجعلت عالما مثل « جب » يقول في كتابه الاتجاهات الحديثة في الاسلام : « أعتقد أنه من المتفق عليه ان الملاحظات الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وانه عن طريق الملاحظات وصل المنهج التجريبي الى أوروبا في العصور الوسطى » .

والصوم من الناحية الفكرية يجلو صدأ الذهن فيكون الانسان أقدر على الفهم والادراك والتفكير .. وما أحوجنا الى أن نسير على النظام الذي كان يسير عليه الرسول الكريم فنستفيد من رمضان فائدة كاملة ..

المجتمع المتكامل

وصوم رمضان فرصة لتربية المسلم عن طريق القدوة حين يقتدى الصغير بالكبير وحين

والواقع ان الانسان عبد العادة وتغيير العادة فيها حرية الانسان . وعبودية العادة مفسدة للارادة ومفسدة للفكرة الصحيحة عن الحرية في صورتها الصادقة .. ومفسدة لسلامة التفكير لأنها تخضعه للتأثر بضرورات الجسم المادية التي طبيعتها العادة ..

التفكير العقلي

العقل طاقة هائلة ضخمة اذا أحسن الانسان استخدامها استطاع أن ينتج انتاجا ضخما .. والله سبحانه وتعالى يمن على عباده بالعقل فيقول « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة » وجعل الانسان مسئولاً عن هذه النعم .. « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً » ونمى على الكفار الذين يلغون عقولهم ويقولون « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » .

وقد وضع الاسلام المنهج الصحيح للاستدلال العقلي وطلب من عباده أن ينظروا ويتفكروا

القلب وضبط الدم وغيرها حيث قال تعالى « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

الصوم والعلم الحديث

ان العلم الحديث قد اثبت ظاهرة في الجسم تسمى : « ظاهرة التكيف » - فعندما يصاب أى جزء من الجسم بعطل يسرع باقى الجسم الى التكيف .. على الظروف الصعبة التى أصبح فيها - فيزداد نشاط الأجهزة كلها بحيث يعوض أى نقص قد حدث فى الجسم .. فقد ثبت أن القلب قد يتضخم الى أكثر من ثلاثة أضعاف حجمه ليواجه أزمة فى الجسم وانه اذا توقفت كلية عن العمل سارعت الكلية الأخرى الى عمل مضاعف حتى تصل الى عمل الكليتين ..

ولذلك فان الانسان عندما يجوع تماما فان هذا الجوع يحرك كافة الأجهزة الداخلية ويدفعها الى العمل فيكتسب قوة عن طريق عملها السريع وتنعكس هذه القوة على الجسم كله ..

يقتدى المسلمون بمساوك النبى الكريم وعن طريق الموعظة الحسنة التى تأتى عن طريق دراسة القرآن وفهم معانيه والحديث الشريف فى المساجد والمنتديات ووسائل الاعلام والصحف .. وفى رمضان عمليات تربوية لا مثيل لها فى الدول المتقدمة من حيث المساواة الكاملة بين المسلمين جميعا لأنهم يصومون فى وقت واحد ، الكل سواسية فى الصوم .. تلك المساواة التى يهدف الاسلام الى اظهارها دائما والى تثبيتها فى النفوس ..

والاسلام حث على التعاطف فى كل وقت ولكنه حث عليه فى رمضان أكثر والتاريخ يهدتنا ان النبى كان أجود من الريح المرسلة وكان أجود ما يكون فى رمضان .. والصوم من الناحية الاجتماعية فيه تقوية وتنقية للمجتمع المتعاطف المتكامل ..

والاسلام قد جعل من الصوم علاج لكثير من الأمراض الباطنية لا سيما الجهاز الهضمى وهو يعالج الأمراض الجلدية وأمراض

وفي هذه الظاهرة يقول الدكتور « الكسيس كاريل » الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة في كتابه الانسان ذلك المجهول « ان كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرتها تعطل وظيفة لعبت دورا عظيما في بناء الاجناس البشرية وهي وظيفة التكيف على قلة الطعام .. كان الناس في الزمن الغابر يلتزمون الصوم في بعض الأوقات وكانوا اذا لم ترغبهم المجاعة على ذلك يفرضونه على أنفسهم فرضا بارادتهم .. ان الصوم ينظف عطل عمليات ظلت ذاتية النشاط آلاف السنين لدى الكائنات البشرية » ..

واخيرا ..

عبد الحكيم النجار



الأزهر جامعة أو مصر في ألف عام سليمان محمد كمال السيد

- ١٣ -

ذكرنا في المقال السابق أن محمد باشا شريف ألف وزارته في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ • وأن الشعب قابلها بالابتهاج وسماها وزارة الأمة •

وكان شريف من الداعين للدستور ، وقد سبق في هذا العرابيين ، فقد طالب به في أواخر عهد اسماعيل وأوائل عهد توفيق ، وقد وضع مبدأ المسؤولية الوزارية أمام مجلس النواب في وزارته الأولى •

فما أن شكل هذه الوزارة حتى قدم في ٤ أكتوبر سنة ١٨٨١ إلى الضديوي تقريراً بمزايا النظام النيابي ، وطلب إجراء انتخابات عامة لمجلس شورى النواب ، ليجتمع بصفة جمعية تأسيسية يعرض عليها مشروع الدستور ،

وطلب شريف من عرابي وأصحابه الابتعاد بفرقهم عن القاهرة ، ليعود الهدوء والسكينة ، فاستجابوا له ، ونقل عرابي إلى الشرقية ، وعبد المال حلمي إلى دمياط ، وخرجوا من القاهرة يسودهم عشرات الآلاف ، واستقبلتهم في الطريق في كل محطة أيضاً عشرات الآلاف مهتجين بما حققوه للشعب من انتصار •

ثم رأت الحكومة أن في وجود عرابي في الشرقية موطنه الأصلي - زيادة في قوته ، وتجميعاً

التدخل في مسألة من صميم شئون مصر الداخلية .

وكان شريف يحنكة الرجل السياسي يرى أن يطأطأ الرأس حتى تمر الزوينة ، فالميزانية قد تقرر قبل انعقاد المجلس ، والميزانية الجديدة لن تعرض قبل سنة تقريبا ، فلا داعي للتصادم الآن ، ويحسن تأجيل البت في المادة الخاصة بالميزانية الى ما بعد .

وكان هذا أيضا رأى الشيخ محمد عبده ، فقد قال لأحمد عرابي : لقد لبثنا عدة قرون في انتظار حريتنا ، فلا يشق علينا أن ننتظر بضعة أشهر . (أحمد عرابي للرافعي ص ٣٠) .

ولكن عرابي وصحبه لم يقبلوا فكرة التأجيل . ويرى المرهوسم الرافعي في كتابه المذكور : (ص ٩٠) أن هناك عاملا آخر كان في نفوس العربيين ، هو أصرار شريف باشا باشا ليسبتيقيل ، وتسند الوزارة الى أحدهم .

وفعلا استقال شريف باشا ،

أو القانون الأساسي كما كان يسمى وقتذاك ، وفعلًا تمت الانتخابات في حرية ودون تدخل من الحكومة أو من العربيين ، واجتمع مجلس النواب في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨١ ، وألقى توفيق في جلسة الافتتاح ما أصبح يسمى فيما بعد بخطاب العرش ، ورد عليه بعض الأعضاء بالخطابات المناسبة .

وقدم شريف للمجلس في ٢ يناير سنة ١٨٨٢ مشروع الدستور للمناقشة ، وكان دستورًا محتويًا على أحدث المبادئ المصرية ، من فصل السلطات ، وتحديد مدى كل سلطة ، والمسئولية الوزارية ، وغير ذلك من الشئون الدستورية ، وابتهجت الأمة بمجلسها الجديد ، وتفتحت آمالها بالدستور وبدأ في الأفق ابتداء انتظام حال مصر .

ولكن أوربا كانت بالمرصاد لتعويق البلاد عن التقدم ، فاعترضت انجلترا وفرنسا على ما ورد في الدستور من حق المجلس في تقرير الميزانية ، فشاعت موجة من السخط في البلاد على هذا

شتى الجهات كأنه إحدى
الوزارات •

وكانت استقالة شريف ، ووزارة
البارودي على غير هوى الخديوى ،
برغم أن شريف كان حريصا على
كرامته ، مستقلا برأيه ، فالوزارة
الجديدة كانت عرابية بالكامل ،
وكان الرئيس الفعلى لها هو أحمد
عرابى •

وبدأت الفتن :

فقد نما الى العرابيين وجود
مؤمرات من الضباط الجركس ،
لاغتيال عرابى وعدد من أصحابه •
فقبض على عدد منهم ، وتشكل
مجلس حربى لمحاكمتهم ، وحكم
على أربعين منهم بالنفى الى أماكن
متفرقة فى أقاصى السودان ، مع
تجريدهم من الرتب والنياشين
والامتيازات العسكرية •

ووجد توفيق فى هذه الأحكام
قسوة بالغة ، فمحلها الى النفى
خارج البلاد ، على أن يختار
المنفيون البلاد التى ينفون اليها ،
ورفضت الوزارة التعديل ، وصممت

جوالف محمود باشا سامى البارودى
الوزارة الجديدة فى ٢ فبراير سنة
١٨٨٢ ومن أعضائها أحمد عرابى
بصفته وزيرا للحربية أو الجهادية
كما كانت تسمى • وهكذا وصل
الى رتبة اللواء والباشوية •

وأتم المجلس مهمته ، وأقر
الدستور فى ٨ فبراير ، وصدق
عليه الخديوى ، ولم يقتصر عمل
المجلس فى مدة انعقاده القصيرة
على اقرار الدستور ، ولكنه وضع
اللائحة الداخلية للمجلس ، وبحث
بعض شئون التعليم والتجارة ،
كما أقر اقتراحا من أحد أعضائه
بإنشاء خزان أسوان •

وهكذا نرى أن فكرة خزان
أسوان مصرية ، لا كما يدعى
الانجليز أن لهم الفضل فيها
لتنظيم الرى ، ولولا الاحتلال
الانجليزى لما تأخر تنفيذه • فقد
بدىء العمل فى خزان أسوان
سنة ١٨٩٨ ، وتم سنة ١٩٠٢ •

وازدادات مكانة أحمد عرابى فى
البلاد ، وأصبح منزله مقصدا
لأصحاب المصالح والحاجات من

على اقرار الأخكام ، وفكرت في دعوة مجلس النواب ، وهذا يستوجب توجيه الدعوة من الخديوى ، طبقا لللائحة التى أقرها المجلس ، ورفض الخديوى دعوة المجلس ، ولكن الوزارة دعت الى الاجتماع .

وحضر النواب من دوائرهم ، واجتمعوا في دار البارودى في مايو سنة ١٨٨٢ ، ولكن الأعضاء اعتبروا هذا الاجتماع غير قانونى ، ويحمد لهم هذا الموقف لما أبدوه في هذا الشأن من استقلال في الرأي، وكانت موافقة المجلس مسألة خطيرة ، فإذا صمم الخديوى على موقفه فمعناه التهديد بخلعه ، وكانت هذه الفكرة بدأ يرددها

العراقيون ، وأخيرا سوى الأمر بموافقة الوزارة على التعديل الذى أجراه الخديوى ، وهو ما كان على الوزارة قبوله ابتداء ، فلم يكن الموضوع يستحق هذه الأهمية .

ولكن انجلترا وفرنسا كانتا بالمرصاد ، وحضرت أساطيلهما للاسكندرية ، وقدمتا في ٢٥ مايو مذكرة شديدة اللاهجة الى الحكومة،

طلبتا فيها استقالة وزارة البارودى ، ونفى عرابى خارج البلاد ، وتحديد إقامة عبد المال حلمى باشا ، وعلى الديب باشا بالأرياف، مع حفظ رتبهم ومراتبهم .

وكان رأى البارودى قبول هذه المذكرة ، ولكنه لم يستطع اقناع أحمد عرابى ، كما نصحه الشيخ محمد عبده قائلا : (ان هذا الشغب قد يجر الى البلاد احتلالا أجنبيا ، يستدعى تسجيل اللعنة بسببه الى يوم القيامة) . فأجابه عرابى مبتسما : (أبذل جهدى ألا أكون مورد هذه اللعنة) . (محمد عبده للمرحوم محمود عباس المقاد ص ١٦٧) .

وقبل توفيق المذكرة ، واستقال البارودى بوزارته ، ومن ضمنها أحمد عرابى ، وعقد توفيق في ٢٧ مايو اجتماعا بسرأى الاسماعيلية (بميدان التحرير) حضره النواب والعلماء ، والأعيان ، وكبار الموظفين ، ومن ضمنهم شريف باشا ، فكلفه توفيق بتشكيل الوزارة الجديدة ، ولكنه رفض . ثم اجتمع النواب بدار محمد

وفي ١١ يونية حصلت مذبحة الاسكندرية المعروفة ، فقد قتل أحد المملطين أحد الحمارة ، بعد أن ركب حمارة طول النهار ، وأبى إلا يدفع الا قرشا واحدا ، فلم يقبل المصري فقتله وهرب .

وثارت نفوس الشعب على الأجانب عامة ، وهاجموهم ، ورد الأجانب بأطلاق الرصاص عليهم من النوافذ ، وقتل في هذا اليوم ٤٩ شخصا منهم ٣٨ من الأجانب ، والحادث مفتعل كما دلت الأحداث فيما بعد ، فالمالطي انجليزى الجنسية ، وكان أضا لخدام القنصل الانجليزى (أحمد عرابى للرافعى ص ١٢١) .

ووصلت الأخبار الى القاهرة . وارتبك الجميع . وتوجسوا خيفة من قيام حرب . وتمهد أحمد عرابى بالطاعة للخديوى . وبمنع الاجتماعات العامة . واليقظة والمحافظة على الأمن ، وأموال وأرواح الأجانب ولكن شرع الأجانب في الهجرة بايعماز القناصل، حتى بلغ عدد المهاجرين

باشا سلطان - رئيس مجلس النواب - وكانت بشارع صبرى أبو علم (جامع جركس سابقا) ، ومحلهما الآن شركة فيلبس ، ومسجد أنشئ بجوارها .

واجتمع معهم كبار الطمء والأعيان ، وحضر عرابى وصحبه مطالبين بخلع الخديوى ، فلم يوافقهم أغلب الحاضرين ، فلجأ العسكريون الى التهديد ، فأصروا على موقفهم ، ولما عجز عرابى عن ضمهم الى صفه اكتفى بالمطالبة ببقاءه وزيرا للحربية ، وفعلنا قابل سلطان باشا الخديوى وأقنعه بذلك ، وصدر القرار باستمرار أحمد عرابى وزيرا للحربية ، رغم استقالة وزارة البارودى ، وبذلك ظل أحمد عرابى مسيطرا على الجيش والحكم .

وتوالت الأحداث سريعا ، ففى الاسكندرية ترددت فرنسا في التدخل ، فاستقل الأسطول الانجليزى بالأمر ، وطلب قائداه من حكومتهم تعزيز قوته ، بحجة أن مصر تحصن بطارياتها بالاسكندرية ، ولبت طلبه .

وفي ٦ يولية قرر سيمور
الطلب ، فأجابته طلبية باشا عصمت
— قومندان موقع الاسكندرية —
بأنه لم تجر أى تحصينات جديدة ،
وفي ١٠ يولية أرسل سيمور يطلب
تسليم بعض البطاريات ، مع
التهديد في حالة الامتناع بضرب
الاسكندرية في اليوم التالي .

وتقرر رفض هذه الطلبات ،
فضرب الأسطول على الطوابى في
صباح ١١ يولية سنة ١٨٨٢ ، ولم
تعض ساعات حتى سكنت مدافع
هذه الطوابى ، وأخذ الجنود
المصريون في اخلائها ، وبدأ
الجيش الانجليزى في النزول الى
البر .

وكان من الممكن صد هذا الجيش
لو صد العرابيون ، ولكنهم آثروا
الانسحاب من الاسكندرية
والتحصن في كفر الدوار . ولم
يكتفوا بالانسحاب ، بل أحرقوا
المدينة قبل مغادرتهم لها بغرض
تعويق العدو .

وهكذا تم للانجليز احتلال
الاسكندرية :

وفي ١٧ يولية أرسل اسماعيل

حتى ضرب الاسكندرية في ١١
يولية ستين ألفا .

وانتقل توفيق الى الاسكندرية
بحجة تهدئة النفوس بها ولكن
انتقاله كان نذيرا بالشر ، واعتبر
هروبا من القاهرة ، والتجاء
للانجليز .

وتسكنت وزارة اسماعيل باشا
راغب ، وكان أحمد عرابى وزيرا
للحربية فيها ، ولكن انجلترا قد
حزمت أمرها على احتلال مصر ،
وكان يهمها أن تظهر البلاد في حالة
فوضى ، تبرر لها هذا الاحتلال .
فلم تقابل تشكيلها بالارتياح ،
وأخذت تخلق لها العراقيل .

ففى أول يولية أرسل الأميرال :
سيمور — قائد الأسطول
الانجليزى — يطلب ازالة
التحصينات التى أجريت في طوابى
الاسكندرية ، ولم تكن تحصينات ،
ولكنها ترميمات عادية . فقد كانت
الحرب أبعد ما يكون عن ذهن
العرابين ، فلم يستعدوا لها ،
وركبهم الخور أنهم يستطيعون
قهر الدول الأوروبية . ولو مجتمعة .

الاسكندرية للتداول معهم ، وكان رد الخديوى على ذلك عزل عرابى من وزارة الحربية .

واجتمع المؤتمر ثانية في ٢٣ يولية . وكان اجتماعه هذه المرة أكثر شعولا من المرة السابقة ، فقد بلغ عدد المجتمعين حوالي الخمسمائة .

فتوى الطمء :

وفي المؤتمر تلا الشيخ : محمد عبده قرار الخديوى كما تليت فتوى شرعية من الشيخ : محمد عيش ، والشيخ : حسن المدوى ، والشيخ : محمد أبو الملا الحفناوى بعروق الخديوى : توفيق من الدين ، لانحيازه الى العدو المحارب للبلاد ، وقرر المؤتمر وجوب الدفاع عن البلاد ، وعدم قبول عزل عرابى ، كما قرر ايقاف تنفيذ أوامر الخديوى .

ولم تعد المسألة خلافا بين الخديوى وعرابى ، بل أصبحت استقلال البلاد ووجوب الدفاع عنها فسد الغاصب المحتل ،

باشا رانجب - رئيس الوزارة الى عرابى - بتكليف من الخديوى - يحمله فيها مسئولية اخلاء الاسكندرية بدون مقاومة ، واهراقهما ، ويأمره بوقف التحصينات في كفر الدوار ، ويطلب اليه الحضور للاسكندرية لتلقى الأوامر .

ورفض عرابى الذهاب للاسكندرية لاحتلال الانجليز لها ، وطلب حضور رئيس الوزارة والوزراء الى كفر الدوار ، للتشاور في الدفاع عن البلاد . وتشكل في القاهرة مجلس من وكلاء الوزارات ، وبعض كبار الضباط بصفة حكومة أخرى ، ودعا هذا المجلس الى مؤتمر يحضره النواب والعلماء والأعيان وكبار الموظفين .

وانعقد المؤتمر في ١٧ يولية في وزارة الداخلية . وكان عدد المجتمعين ٤٠٠ شخص ، منهم بعض الأمراء الموجودين بالقاهرة ، وعرضت على المؤتمر تفاصيل الموقف ، فقرروا وجوب الدفاع عن البلاد ، واستدعاء الوزراء من

واستجابت البلاد جميعها لهذا الهدف النبيل بكل ما تستطيع ، من رجال ومال ، تطوعا وتبرعا ، وأزكت الخطابات حماس الشعب ، فطلى منبر الأزهر وقف الشيخ حسن المدوى غير مكف بخلع توفيق بل ينادى باهدار دمه لخروجه على الدين ، وانحيازه لأعداد البلاد .

ولن نستعرض في تفاصيل الاحتلال الانجليزى للبلاد ، فهذا موضوع آخر ، ولكن نختصر فنقول : ان الانجليز عجزوا عن اختراق التحصينات المصرية عند كفر الدوار ، وهزموا مرارا ، فأتجهوا الى الناحية الشرقية .

وكان المرابطون قد أهملوا تحصين هذه الجهة ، اعتمادا على أقوال : (ديلسبس) بحياد قناة السويس ، وأنه لن يسمح بدخول الأسطول الانجليزى فيها ، ولا ندرى كيف ينخدع أحد بهذه الأقوال !! حتى ولو كان الرجل صادقا ، فكيف يستطيع منهم ، ولو فكر عرابى فى سد

القناة لتعسر على الانجليز الدخول ، ولكنه انخدع وتردد لسوء حظ مصر ، ولما حزم أمره على قطعها كان قد نفذ المقدور ، فقد احتل الانجليز بور سعيد فى ٢٠ أغسطس ، والاسماعيلية فى ٢١ منه وفى ٢٢ منه تم احتلال القناة حتى السويس ، واتخذوها قاعدة للهجوم على الجيش المصرى ، الذى كانت مواقعه منتشرة فى محافظة الشرقية .

وظهر عجز وزارة اسماعيل باشا راغب عن معالجة الموقف ، فاستدعى محمد باشا شريف من أوروبا ، وشكل الوزارة فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٨٢ ، ومن أعضائها : رياض باشا للداخلية ، وعلى باشا مبارك للأشغال ، وغيرهما من المعروفين بمخالفتهم للعربيين .

وأسرع عرابى الى الجبهة الشرقية ، وتضافر سوء التخطيط المسكرى ، وبطء التحركات ، وعدم الكفاءة واليقظة عند بعض الضباط وخيانة البدو ، ف وقعت

الهزيمة الكبرى في القل الكبير في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٢ •
ولجأ عرابى الى القاهرة ،
فوصلها في اليوم التالي ، ودخل
الانجليز القاهرة في ١٤ سبتمبر ،
وسلمت القوات المصرية لهم بدون
قتال ، وتشتت رجال الجيش في
البلاد ، بعد أن تركوا أسلحتهم
لضباطهم في الثكنات ، وأراد أهالى
القاهرة المقاومة ، ولكن اقنعهم
محافظ العاصمة بعدم جدوى
المقاومة ، وأنها لن تؤدى الا لمجرد
سفك الدماء •

من المحطة الى سراى عابدين آثار
الاحتلال الانجليزى ، لم يمتصك
نفسه من البكاء ، وظلت وزارة
شريف باشا حتى يناير سنة
١٨٨٤ ، حيث استقال احتجاجا على
طلب الانجليز اخلاء السودان
للعجز عن قمع ثورة المهدي ، وتوفى
شريف بعد ذلك في نفس السنة •

وانتهت الثورة العرابية بتسليم
أحمد عرابى وأصحابه أنفسهم
ومحاكمتهم ، واعترافهم بجريمة
المصريان ، ليحكم عليهم بالنفى
بدلا من الاعدام •

وقيل ان شريف باشا دخل
القاهرة بعد ذلك ، ورأى في طريقه

يتبع
للاستاذ محمد كمال السيد

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه

فما فاته منها فليس بضائر

رمضان وحكمة الصيام

المستاذ محمد نعيم عكاشة

نهاره عن الطعام والشراب وملاذ الحياة محتسبا بذلك النية لله تعالى ، ويقوم ليله متقربا الى الذات الطيبة .

من أجل هذا : كان فضل الصوم عظيما ، وكان من أحب العبادات الى الله تعالى .. وقد اعتبروه ربيع الايمان ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « الصوم نصف الصبر » .. وقوله : « الصبر نصف الايمان » .

وقد روى في المباحاة بالصائم : ان الله تعالى يقول : « انظروا ياملائكتي الى عبدى ترك شهوته ولذته ، وطعامه وشرابه من أجلى » . وقيل في قوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون »

.. وجاء الشهر الكريم .. الشهر الذى شرفه الله وعظمه وأعلى فيه منزلة الانسانية ، حيث أنقذها من ظلمات الجهل والوثنية وهداها الى سبيل الرشاد .

.. شهر رمضان الذى ذكر صراحة في القرآن ، دون بقية الشهور ، واختصه الله تبارك وتعالى بالصيام الذى فرضه على عباده .. يقول سبحانه وهو أصدق القائلين : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » . والصيام في حقيقته — وان طال الحديث عن أسرار وحكمه — تزكية للنفس وتطهير للقلب وجلاء للصدر ، حيث ينقطع الصائم في

.. كان عملهم الصيام ، لأنه

قال : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » . والصابرون الصائمون في أكثر الأوقات .

وورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخص شهر رمضان من العبادة بما لا يخص به غيره من الشهور ، فكان يكثر فيه من الصدقة والاحسان ، وتلاوة القرآن ، والصلاة ، والذكر والاعتكاف .. كان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود الناس ، وأجود ما يكون في رمضان .

كما أن الصوم يتميز عن غيره من سائر العبادات ، وهو ما عبّر عنه بقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى : « الصيام لي وأنا أجزي به » ، وذلك : لأنه يقع في القلب ولا يكون إلا بالنية التي تخفى عن الناس ولا يطلع عليهما أحد غير الله ، فأضافه سبحانه إلى نفسه باعتباره سرا بين العبد وربّه يفعلها خالصا له ، ويعامله به طالبا

لرضاء .

وقد تضمنت الآيات الخمس من سور البقرة المدنية : (١٨٣ - ١٨٧) فرض الصوم على المسلمين مثلما كان مفروضا من قبل على أهل الملل السابقة ، حيث كانت تتمتع به الأمم القديمة حتى الوثنية منها ، باعتباره من أقوى العبادات .. فقد كان معروفا عند قدماء المصريين ، وانتقل منهم إلى اليونان ، ثم الرومان ، ولا يزال الوثنيون حتى وقتنا هذا يؤدون نوعا خاصا من الصيام ، وقد ورد في التوراة والانجيل مدح الصوم ، وفرض على اليهود في بعض الأيام وأشهر صوم وأقدمه عند النصارى هو : الصوم الكبير الذي يسبق عيد الفصح ، وهو الذي صامه موسى ، وكان يصومه عيسى والحواريون ، والتشبيه إنما هو في الفرضية لا في الصفة ولا في العدد ..

صيام المسلمين ليس كصيام أهل الديانات والملل الأخرى .. ومن حيث صيام رمضان : لقد بين الله لنا الحكمة في كتابته على الناس ببيان فائدته الكبرى ، وهي :

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» ، وقال عليه الصلاة والسلام : « صمت الصائم تسبيح ، ونومه عبادة ، ودعاؤه مستجاب ، وعمله مضاعف وذنبه مغفور » .

.. الى غير ذلك من الأحاديث الشريفة التي تذكر فضل الصوم وآدابه ..

ثم بين الله سبحانه وتعالى: أن الصيام الذي كتبه علينا ممين محدد ، فقال : « أياما معدودات » أى معينات بالعدد أو قليلات ، لأن القليل يسهل حده . روى عن مقاتل: أن كل معدودات في القرآن أو معدودة ، دون الأربعين ، ولا يقال ذلك لما زاد ، والمراد بهذه الأيام المعدودات هي: أيام رمضان - اختار ذلك ابن عباس والحسن - رضى الله عنهما - .

وينزل تلك الآيات الكريمة من سورة البقرة صام الرسول صلوات

أعداد نفس الصائم لتقوى الله بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة ، امتثالا لأمر ربه ، واحتسابا للأجر عنده ، فتقربى بذلك أرادته ، وتقوى نفسه .. كما تتناول هذا المعنى كثير من الأحاديث النبوية الشريفة . ومنها على سبيل المثال : عن أبي هريرة رضى الله عنه - عن النبي صلوات الله وسلامه عليه قال : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وفى معنى « ايمانا واحتسابا » قال الخطابى : « ايمانا واحتسابا » أى نية وعزيمة ، وهو أن يصومه على التصديق ، والرغبة في ثوابه ، طيبة به نفسه ، غير كاره له ، ولا مستثقل لصيامه ، ولا مستطيل لأيامه ، لكن يغتم طول أيامه لعظم الثواب .

وقال البغوى: قوله: «احتسابا» أى طلبا لوجه الله تعالى وثوابه ، يقال : فلان يحتسب الأخبار ، ويتصبها : أى يتطلبها .

ولا يخل بعد النوم مأكلاً ولا مشرب
ولا منكح ثم فسخ •

وقال آخرون : معناه : أنه كتب
علينا صيام أيام كما كتب عليهم
صيام أيام ، ولا دلالة فيه على
مساواته في المقدار ، بل جائز فيه
الزيادة والنقصان •

وقال أبو السعود : المراد
بالمثالة : أما في أصل الوجوب ،
وأما في الوقت والمقدار •

والخلاصة عند جمهور العلماء :
أن ليس المقصود من الآية : « كتب
عليكم الصيام كما كتب على
الذين من قبلكم » أن من قبلنا
كانوا يصومون ما نصومه اليوم ،
بل المقصد من ذلك هو : بيان أن
فريضة الصوم عامة ، ولكل أمة
أيام معينة تصومها • قال تعالى :
« ولكل أمة جعلنا منسكاً » وقد
خص الله الأمة الإسلامية بصوم
شهر رمضان باعتباره الشهر الذي
أمر فيه رسوله بالبلاغ ، ونزل
فيه القرآن هدى للناس وبينات من
الهدى والفرقان ، فمن شهد
الشهر وجب عليه صومه •

الله وسلامه عليه والمسلمون شهر
رمضان في العام الثاني من الهجرة
وكان أول يوم فيه يوم السبت أول
شهر برمات القبطي ، والسادس
والعشرين من شهر فبراير
الميلادي • وذكرت بعض كتب
أهل السيرة : أن أيامه في تلك السنة
كانت كاملة العدد كما دون ذلك
الحاسبون •

قال البيضاوي : « كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم » ، يعني الأنبياء والأمم
من لدن آدم عليه السلام ، وفيه
توكيد للحكم ، وترغيب على الفعل
وتطبيب للنفس •

وقال الجصاص : « في أحكام
القرآن » : أن قوله تعالى : « كما
كتب على الذين من قبلكم » :
يحتمل ثلاثة معان ، كل واحد منها
روى عن السلف ، قال الحسن
والشعبي وقتادة : أنه كتب على
الذين من قبلنا — وهم النصارى
— صيام شهر رمضان أو مقداره
من عدد الأيام • وقال ابن عباس
والربيع بن أنس والسدي : كان
الصوم من العتمة إلى العتمة ،

يتحدث فيه أهل الجاهلية الذين يروضون أنفسهم على الأخلاق القويمة وهم المتألهون منهم ، وأول من تحدث بهراء : عبد المطلب ابن هاشم ، كان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء ، وأطعم المساكين ، ثم تبعه على ذلك من كان يتبعه كورقة بن نوفل ، وأبي أمية بن المغيرة •

وكان عليه السلام يجاور ذلك الشهر ، يطعم من جاءه من المساكين لأنه كان من نسك قريش في الجاهلية ••

تعظيمه في الاسلام :

أما تعظيمه في الاسلام فقد ازداد بعد أن ذكر اسمه صراحة في القرآن دون بقية الشهور ، وأن الله سبحانه جعله شهر الصوم الذي فرضه على عباده •

وكذلك حفاظة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بشهر رمضان ، واعتباره شهر القرآن •• وفيه نزل القرآن الكريم •• وكانت انتصارات الاسلام الأولى • وفيه يستجاب لكل مسلم صائم ••

ومن أعظم فضائل الصوم : أنه يتميز عن بقية العبادات بخاصية لا توجد في سواء ، وهي : أنه ينسب الى الله تعالى ، وأنه يعطى عليه من الثواب بغير حساب ولا تقدير ، ويشهد لهذا قول الله تعالى فيما حكاه نبيه صلى الله عليه وسلم : « كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، الا الصيام ، فإنه لى ، وأنا أجزي به » ••

شهر رمضان في الجاهلية :

كان شهر رمضان معظما في الجاهلية عند كثير من قبائل قريش ، خصوصا المتألهين ، أى الذين يعتقدون في وجود الآله ، وإن كانت مضر معظم رجبا لأنه شهر حرام لا قتال فيه ، وقد كانت تصومه وتذبح فيه ، ولذلك سماه رسول الله شهر مضر •

ويروى أهل السير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحدث شهرا من كل سنة في غار حراء ، كما هو مبسوط في سيرة ابن اسحاق وغيره ، ويقول صاحب السيرة الحلبية : ان غار حراء كان

الصحة والطب والصوم :

وإذا نظرنا الى ما توصل اليه الطب من اكتشافات علمية نجد: أنه يعدد فوائد الصوم في علاج كثير من الأمراض مثل : اضطرابات المعدة والأمعاء ، وحالات البول السكري المصحوبة بزيادة الوزن ، وزيادة ضغط الدم ، والتهاب الكلى الحاد والمزمن ، وأمراض القلب ، كما يستخدم وقائيا في حالات أخرى كثيرة .

ويقول الدكتور ماك خادون من كبار علماء الصحة بأمریکا في كتابه: « الصوم والطب » : « ان كل انسان يحتاج الى الصيام وان لم يكن مريضا ، لأن مسموم الأغذية والأدوية تجتمع في الجسم فتجمله كالمریض ، وتثقله وتقلل نشاطه ، فإذا صام خف وزنه وتحلت هذه السموم من جسمه » .

ويذكر : أنه عالج بالصوم كثيرا من المرضى بأمراض مختلفة مثل اضطرابات المعدة ، قائلا : « ان الصوم لها مثل العصا السحرية يسارع في شفاؤها ، وتليها أمراض

الدم ، ثم أمراض العروق كالروماتيزم وغيره ..

ويقول الدكتور محمد جعفر : « ان الصوم نعمة وبركة وان خير ما يفعله الناس أن يتبعوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فيفطروا على لقيمات صغيرة ، أو حصوات قليلة من طعام خفيف ، أو شراب ساخن ، أو فاكهة يسيرة ، مما يكفى لكسرة حدة الجوع ، وأفضل ما يزيل العطش في هذه الآونة فنجال من مرق دافئ أو حليب أو ما شابهه من السوائل الدافئة ، أما الثلج والسوائل الباردة فهي مصدر للمتاعب في الجهاز الهضمي جميعه ، ومثار لكافة العلل ، ثم غليصل الصائمون وليفتظروا ساعة أو بعض ساعة ثم يتناولوا طعامهم من كآكلهم المعتاد ، وليراعو الله في أنفسهم ولا يسرفوا .. امتثالا لأمر الله تعالى : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

وقد تأكد لعلماء الطب في العالم فوائد الصوم لعلاج كثير من الأمراض الى حد انشاء مصحات

يقوم فيها العلاج على الصوم أساساً .

وأشهر مصحة موجودة الآن هي : مصحة الدكتور هيتريج لاهمان في درسن بسكونيا ، ويقوم العلاج فيها بالصوم .

وكذلك : مصحة الدكتور برشديد والدكتور مولر وغيرهما، يكون ذلك العلاج غالباً فيه النشفاء من اضطراب الهضم والبدانة وأمراض القلب والكبد والكلى والبول السكري وارتفاع ضغط الدم . . وما ذكرناه وغيره . .

يبين لنا حكمة التكاليف الدينية وما أشملها ! وتتجلى بأوسع مدلول عظمة الشارع الاسلامي فيما فرض وشرع . .

وتبقى بعد ذلك كلمة أخيرة تتعلق بظاهرة المجاهرين بالفطر في رمضان ، والتي تشيع في

الشوارع والمحلات العامة ووسائل المواصلات . . وفي المكاتب ودوائر الأعمال أيضاً ، وهي بلا شك ظاهرة مؤسفة ومعيبة خاصة في بلد الأزهر ، وتستوجب بالضرورة محاسبة هؤلاء المجاهرين بالفطر في نهار رمضان بالحبس أو الغرامة ، إذ لا يجوز أن تجاوز الحريات الشخصية حرمة الدين ، وتتحدى مشاعر الصائمين ، وتتصادم مع الجو الاسلامي العام .

فإذا كان الفطر لعذر شرعي أو لاختلاف في الدين : فيجب على أصحاب تلك الأعذار أن يستقروا . أما الملاحدة الذين يعتمدون الاساءة الى الاسلام وأهله فلا بد أن يكون عقابهم أشد ، فليس بعد الكفر ذنب . .

محمد نعيم

شعر

ربيع الروح

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الرين

يا هلالا راح يحبو في سماء
نوره الوهاج من نور الاله
نامك قد عاد من محرابه
يسكب الاثراق في قلب الحياه

* * *

رن في الآذان ابلان الغسروب
صوت داع فوق أستار الغيوب
ساحر الأنغام قدسى المدي
أيقظ الاحساس في غافي القلوب

* * *

أيها الحيران في تيه الضلال
أيها المحروم من برد الظلال
قف قليلا واستمع أنشودتي
مرهف الاحساس مثبوب الخيال

* * *

ان نور الله شفاف سناه
 ان أصاب الروح رجس لا تراه
 فاغسلوها في ينابيع التقى
 وارقبوه في محارب الصلاه

ذاك شهر الصوم رفاف الضياء
 ذا نعيم الروح في دنيا الشقاء
 لوعة الحرمان فيه لذة
 لا تسامى في شحور الأشقياء

آه لو ذاق شقاء الرمل
 في رهاب الصوم عذب المنهل
 ما اثبتكى في عيشة حر الظما
 لا ولا أهنى بعثن مثقل

آه لو راعت عيون حائرة
 بارقات في الدياجى باهورة
 لاستبان في سناها رشدها
 واستحالت من عشاها باصرة

قم ترقب أيما المصائم
 ليلة من ألف شهر أعظم

ان فضل الله فيهما سابغ
من فيوض يرتجيهما المسلم

حسبك الريان اذا ما ينتصح
حسبك الجنات فيهما تعرج

فوق نهر تحت ظل وارق
بين هور عند طير يصدح

محمد صان الدين البرديسي

حكم .. وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« الفضائل الخمس »

قال على - كرم الله وجهه : أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها
أياط الأبل لكنت لذلك أهلاً : لا يرجون أحد مكم إلا ربه ، ولا يخافن
إلا ذنبه ، ولا يستحيين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم ،
ولا يستحيين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه ، وعليكم بالصبر فإن
الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ، ولا خير في جسد لا رأس معه
ولا في إيمان لا صبر معه •

« درجات الصوم »

للصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم
خصوص الخصوص •
فصوم العموم : هو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة •
وصوم الخصوص : وهو صوم الصالحين ، فهو كف الجوارح عن
الآثام •

وتماه بستة أمور :

الأول غص البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويكره •
والى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل •

الثاني : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت ، وشغله بذكر الله .
الثالث : كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه ، لأن كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه .

الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام : من اليد والرجل وعن المكروه ، وكف البطن عن الشبهات وقت الاقطار .

الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الاقطار ، فما من وعاء أبغض الى الله عز وجل من بطن ملئ من حلال .
السادس : أن يكون القلب بعد الاقطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء ، اذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين ، أو يرد عليه فهو من المقيوتين .

أما صوم خصوص الخصوص : فصوم القلب عن الهمم الدنيوية والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله بالكلية .

« جهد ضائع »

دخل لصوم بيت أحد الظرفاء ، يطلبون شيئاً يسرقونه ، فقال لهم :
 ان الذي تطلبونه منا في الليل ، قد طلبناه في النهار فما وجدناه .

« آداب الكلام »

قال حكيم : اعقل لسانك الا عن حق توضحه ، أو باطل تدحضه ، أو حكمة تنشرها ، أو نعمة تذكرها .
وقال آخر : اذا جالست الجهال فانصت لهم ، واذا جالست العلماء فانصت لهم ، فان في انصاتك للجهال زيادة في الحلم ، وفي انصاتك للعلماء زيادة في العلم .

وقال النبي — صلى الله عليه وسلم — لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام رجع الى قلبه ، فإن كان له تكلم ، وإن كان عليه أمسك ، وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم بكل ما عرض له .

وقال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : من لم يعد كلامه من عمله ، كثرت خطاياه .

« ما لم تكن تعرفه »

وقع بين الأعمش وبين زوجته وحشة ، فسأل بعض أصحابه أن يرضيها ويصلح بينهما ، فدخل اليها وقال : ان أبا محمد شيخ كبير ، فلا يزهدنك فيه : عمش عينيه ورقة ساقيه وضغط ركبتيه ، وفتن أبطييه وبخر فيه ، وجمود كفيه !!

فقال الأعمش : قم قبحك الله !! فقد أريتها من عيوبى ما لم تكن تعرفه .

« الحزم »

قيل لأبى مسلم الخرساني ، بأى شيء أدركت ما أدركت ؟ قال : اثترزت بالحزم ، وارتديت الكتمان ، خالفت الصبر ، وساعدنى القدر ، فأدركت مرادى وحققته ما فى نفسى .

« ما يصفو به ود المتوابين »

قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه ثلاث يصفو بها ود أخيك :
• تسلم عليه اذا لقيتَه .
• وتوسع له فى المجلس .
• وتدعوه بأحب أسمائه اليه .

وقال على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه فى ثلاث : فى نكبته ، وغيبته ، ووفاته .

وقال ابو العتاهية :

أحب من الاشوان كل مـواتى
 وكل غضـيض الطرف من عـشراتى
 يوافقنى فى كل أمر أريده
 ويحفظنى حيا وبعد مماتى
 ومن لى بهذا لى وجـدته
 ففاسـمته ما لى من حـسـناتى

« مواجهة القاسية »

من المواجهات القاسية الرادة ، ماروى عن عمر بن عبد العزيز
 من أن رجلا سعى برجل عنده ، فقال . ان ثئت نظرنا فى أمرك ، فان
 كنت كاذبا فأت من هذه الآية « ان جاءكم فاسق بنبأ » وان كنت
 صادقا فأت من هذه الآية . « همار مشاء بنعيم » وان ثئت عفونا
 عنك .

قل : العفو يا أمير المؤمنين .

قال : على عدم العودة مرة ثانية .

« يكره الزحمة على المائدة »

جلس أبو الفضل الشاعر المعروف . « بابن القطا » يأكل مع
 زوجته ، فقال لها اكشطى رأسك .
 ففطت .

ثم قرأ سورة الاخلاص .

فقال له : ما الخبر ؟

قال : اذا كشفت المرأة رأسها لم تحضر الملائكة ! واذا قرئت

سورة الاخلاص ، هربت الشياطين .

وانا أكره الزحمة على المائدة .

« بر الوالدين »

مرض لعمر بن ذر ابن له ، مدخل عليه وهو يجود بنفسه ، فقال :
يا بني انه ما علينا من موتك عصاضة ، فلما قضى وصلى عليه ، وواراه
التراب ، وقف على قبره فقال : يا بني انه قد شغلنا الحزن لك ، عن
الحزن عليك . لأننا لا ندري ما كنت ، وما قيل لك . اللهم انى قد وهبت
له ما قصر فيه مما افترضت عليه من حقى ، فهب له ما قصر فيه
من حقك ، واجعل ثوابى عليه له ، وردنى من فضلك ، انى اليك من
الراغبين وسئل يوما ، ما بلغ من بره بك ؟
قال : ما شئ معى بنهار قط الا قد مى ا
وما شئ معى بليل قط ، الا تقدمنى ، ولا رقى سطحا وأنا تحته .

« كذا أدبنا الله »

قال أنس بن مالك . كنت عند الحسن بن على . رضى الله عنهما .
فدخلت عليه جريه بيدها طاقه ريحان فحينه بها ، فقال لها . أنت حرة
لوجه الله تعالى .
فقلت : تحيك بطاقة ريحان لا خطر لها فتمتتها ؟
قال : كذا أدبنا الله تعالى فقال : «واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن
منها أو ردوها » وكان أحسن منها عتقها .

« دعاء »

اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، ما جعل يارب رحمتك
سترا لعيوبى ، وعفوك سئرا لذنوبى ، ووفقنى للقيام بطاعتك ، والابتعاد
عن ممصيتك ، وألهمنى خيرا أفعله ترمى به عى ، عليك اتكالى فى جميع
أحوالى يا رحمن يا رحيم .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

يحط من ثواب الصائمين والصائمات ، والأولى تجنبه الا لضرورة ملحة للخروج والا فليتجنبوه ما أمكن .

س : عقد قرانه في شعبان وأراد الدخول في رمضان فعارض ذلك بعض الأهل في الحكم ؟

ج : الدخول في رمضان أو عقد القران فيه مباح لا شيء عليه فلم يحدد الشرع أياما معينة لذلك ، واعتقاد بعض الناس أن الزواج أو العقد في شهر رمضان لا يجوز اعتقاد باطل وليس له أصل في الشريعة .

فلا هرج أن يحفل بزواجه في أى ليلة من لياليه المباركة ولا شؤم في الإسلام .

س : من الناس من يعتبرون رمضان شهر راحة وكسل فيقتل انتاجهم فيه ، ومنهم من يقتل نهاره في اللهو والجلوس في المقاهي ولعب الأوراق أو الطاولة بقصد التسلية ، ومنهم من يسهر ليله وينام نهاره فما حكم هؤلاء الناس ؟

ج : على هذه المرأة أن تفطر فإنه يحرم على الحائض والنفساء الصوم فإذا انتهى الحيض أو النفاس صامت ما بقى لها من رمضان وقضت الأيام التي أفطرتها من رمضان .

ومن رحمة الله بالمرأة أنها تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ، لأن رمضان لا يتكرر ، أما الصلاة فهي تتكرر في كل يوم خمس مرات ولو تكرر القضاء بتكرر الحيض لكن في ذلك مشقة والدين يسر لا عسر .

س : ما حكم اختلاط الرجال والنساء في المواصلات العامة وغيرها مما يوقع الصائمين والصائمات في الحرج ؟

ج : لا شك أن اختلاط الرجال والنساء بالصورة التي نشاهدها في المواصلات العامة لا يقصره الإسلام ولا يبيحه ، بل أنه يهدد آدمية الإنسان وهو إذا كان غير مباح في غير رمضان فهو في رمضان أشد كراهية بل قد يصل الى درجة الحرمة إذا صاحبه القصد السيء - وعلى كل فهو

ج : شهر رمضان شهر تربية وليس شهر كسل وعدم انتاج ، وعلى العامل والموظف والصانع أن يحسن عمله فيه ولا يؤخره حتى لا تتعطل مصالح الناس ، ولا يقل الانتاج .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة فقد غزا بدرًا وفتح مكة في رمضان مما يدل على أن الجهاد مطلوب في هذا الشهر - ولا شك أنه أشق من ممارسة الأعمال العادية فيجب أداء العمل من باب أولى .

أما هؤلاء الذين يقتلون أوقاتهم العالية في اللهو واللعب فلعله لا حظ لهم من صيامهم إلا الجوع والعطش ، وإن كانوا قد أدوا الفريضة ، وأولى بهم أن يقضوا هذه الأوقات فيما يعود عليهم بالنفع في دينهم ودنياهم من قراءة قرآن أو ذكر أو أداء أعمال تتصل بمعايشهم ففي هذا الخير الكثير .

والأجر على قدر المشقة فكل عمل فيه مشقة كان أجره مضاعفًا « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » ونوم الصائم

نهاره لا يتحقق به معنى الصيام ، وليس هذا الصوم عبادة كما يزعم البعض - ورحم الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار .

س : عند الغروب يهجم بعض الناس على المائدة ويمثلون معداتهم بالطعام والشراب فهل يتفق هذا مع هدى الاسلام ؟

ج : تعجيل الفطر مستحب ولكن على أن يكون على تعرات أو شيء من الماء ويقول عند فطره : اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله .. ثم يصلي المغرب وبعده يتناول عشاءه .. هكذا كان يفعل النبي وخير الهدى هديه صلى الله عليه وسلم .

س هل الغيبة والنميمة تفسدان الصيام ؟

ج : إن الغيبة والنميمة من المحرمات في دين الله ، وهما كغيرهما من المحرمات مثل أن يغش أو يطفف في الكيل أو

س : يسافر كل يوم لعمله وليس في سفره مشقة فهل يرضى له في الفطر ، وإذا نوى الصيام ليلاً ثم بدأ سفره نهاراً هل يجوز له الفطر ؟

ج : السفر ولو كان مريحاً في سيارة أو طائرة أو قطار مكيف رخصة في الفطر فقد أطلق القرآن السفر دون قيد ، لأن السفر مظنة المشقة ، والله يحب أن تؤتى رخصه .

وقد اختلفت العلماء في مقدار السفر المباح للفطر ، فمنهم من قال لابد أن يكون سفر قصر وهو حوالي ثمانين كيلو متراً ومنهم من قدره بثلاثة أيام بلياليها بالسير العادي قبل المواصلات الحديثة . وهناك أقوال أخرى .

ومذهب مالك لاباحة الفطر أنه لابد من تبين نية الفطر وأن يبدأ السفر قبل الفجر . . ويرى غيره أنه يجوز أن يفطر سواء نوى الصيام قبل السفر أو نوى الفطر . والافضل في السفر الصيام لمن لا يشق عليه الصوم ، أما من يشق عليه الصوم فإن الافضل له

الميزان أو يؤذى الناس بيده أو بلسانه فكل هذا محرم شرعاً وارتكاب المحرم يؤثر في الصيام تأثيراً بالغاً إذ يوجب عقوبته في الآخرة .

ولذلك ورد النهي عن جميع المحرمات متأكداً في الصوم لأن ارتكاب المحرمات يتنافى مع ما يصاحبه من الاخلاص لله ومراقبته والتخلي عن جميع المعاصي والتخلي بالفصائل ، والتي ينال بها الثواب العظيم لمن صام رمضان ايماناً واحتساباً مما ورد ذكره في السنة .

ومع هذا فإن الصيام لا يفسد بمثل هذه المحرمات ولا يجب قضاءه ، على أنه مما يجب التنبية عليه ، أن من ارتكب معصية صغيرة كانت أو كبيرة أن يتوب الى الله ولا يؤخر التوبة حتى يلقي الله ربه وقد غفر له ذنبه .

والكيس من جعل رمضان فترة جهاد شامل للنفس والشيطان والشهوات حتى يخرج من رمضان قوى الايمان ، يفرح بفطره ، كما يفرح بلقاء ربه .

وقيل . على أقرب بلاد معتدلة اليهم .

س : هل يجوز تعاطي الحقن أثناء الصيام ؟

ج : الحقنة مطلقا سواء أكانت للتغذية أم للعلاج ومسواء أكانت في العروق أو تحت الجلد مباحة ولا تبطل الصيام فانها وان وصلت الى الجوف فانها تصل اليه من غير المنفذ المعتاد .

ولما كان المحظور في الصوم هو الاكل والشرب عن طريق دخول شيء من الحلق الى المعدة - التي هي محل الطعام والشراب من الانسان - كان المبطل للصوم ما دخل فيها بخصوصها سواء كان مغذيا أم غير مغذ . ولا بد أن يكون عن طريق المنفذ المعتاد . فما دخل في الجوف ولم يصل اليها لا يفسد الصوم .

وعلى هذا ففسد رأى بعض العلماء أن الحقنة الشرجية التي يدخل بها الماء الى الجوف ولا يصل الى المعدة لا تفطر الصائم ، وبهذا تكون الحقن بجميع أنواعها لا تعطر الصائم .

الفطر ، بل قد يكون الفطر واجبا عليه ان خاف شدة المرض .

س : هل يصح لربة البيت أن تتذوق الطعام وهي صائمة ؟

ج . يجوز لطاهية الطعام أن تذوق الطعام لتعرف بذلك نضجه ومصلحيته للاكل شريطة أن تحرص على عدم تطل شيء منه الى الحلق ، وألا تتعمد في ذلك ويكره لغيرها ممن لا يمارس الطهي ذلك ، لأنه رخص ذلك للطاهية للضرورة .

ومثلها كل صاحب صنعة من كيال وجباس وحفار يصل الى فمه شيء من غبار صنعته فانه لا يعطربه .

س : كيف يصوم أهل البلاد التي يقصر ليلا ويطول نهارها أو تلك التي يقصر نهارها ويطول ليلا ؟

ج : اختلف الفقهاء في التقدير على أي البلاد يكون . فقول : يكون التقدير على البلاد المعتدلة التي وقع فيها التشريع كمكة والمدينة .

ج : زيارة القبور جثثة لقول
الرسول صلى الله عليه وسلم :
« كنت نهيتكم عن زيارة القبور
ألا فزوروها » .. وكان النهي
عنها أولا لقرب عهدهم بالاسلام
خولها عليهم من الشرك كمجدة
الاصنام .. ثم أبيحت لأجل العبرة
والعظة وذكر الموت ، والسجاء
للأموات بالرحمة والمغفرة ، أما
خروج النساء والرجال اليها في
أيام العيدين ومعهم الطعام
والشراب واتخاذ القبور مسكنا
وماوى للطعام والشراب واللهو
فذلك غير جائز شرعا ..
والله أعلم .

عبد الحميد شاهين

وكذلك أقماع البواسير أو
مراهمها ، والاحتحال والتقطير في
المين كل ذلك لا يبطل الصيام .

س : أين تملأ صلاة العيدين؟
ج : صلاة العيد يجوز أن تؤدى
في المسجد . ولكن أدائها في
المصلى خارج البلد أفضل - ماعدا
مكة والمدينة - ما لم يكن هناك
عذر كمطر ونحوها لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يصلى
العيدين في المصلى . ولم يصل
العيد بمسجده الا مرة واحدة
لعذر المطر .

س : هل تجوز زيارة القبور في
الاعياد وما الحكم فيمن يذهبون
اليها بالطبول والاكل والشرب ؟

من أنباء العالم الإسلامى

اعداد الاستاذ : فهمى عبد الله سيد على

الا أنهم سرعان ما أفاقوا من غفوتهم ونهضوا من كبوتهم التى علنوا منها زمن الاستعمار •

لقد بدعوا يدركون أهمية ذلك التراث الإسلامى العظيم وأن الفرصة ما زالت مواتية لهم ليتبوعوا مكانتهم بين الأمم ، وليساعموا فى تطوير الحياة الإنسانية نحو الأفضل ، لصالح الأمم والشعوب دون استثناء أو تمييز بحيث يعم الرخاء وتسدود العدالة ، وتنتشر الأخلاق الفاضلة والقيم المثالية التى جاء بها ودعا إليها الدين الإسلامى الحنيف •

لقد جاء دين الإسلام بأفكار قوية ومبادئ سليمة وعقائد مستقيمة تتفق مع الفطرة الإنسانية الصحيحة التى فطر الله

جاء فى نشرة المركز الإسلامى بإيطاليا رقم ٨٣ فى شهر إبريل عام ١٩٨٠ م : ما يلى

يشهد العالم فى هذه الأيام مسهوة دينية اسلامية عظيمة لم يسجل التاريخ لها مثيلا ، المسلمون يعملون على ابراز شخصيتهم وتأكيد وجودهم ، وقد بدعوا يراجعوا خططهم ويمعدوا أنفسهم للعودة الى الحكم بشرية دين الاسلام السمحة ومبادئه السامية ، يقينا منهم أن تمسكهم بكتاب ربهم واتباعهم سنة نبيهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وتطبيقهم لأحكام دينهم كما كانوا رواد الحضارة التى تبارى عبر التاريخ ، ولقد شعروا بذلك عندما ابتعدوا عن أحكام دينهم ،

بلد الأزهر الشريف ... وعاصمة الدولة الفاطمية .. وخط الدفاع عن الاسلام والعروبة وستبقى هكذا رغم كيد الأعداء ... وعبت العابثين .. وما تعيشه مصر اليوم وما يعيشه العالم العربي والاسلامى سحابة صيف سوف تنقش قريبا ... ليلتقى الجمع العربى والاسلامى من جديد فى بلد الأزهر الشريف .

جاء فى صحيفة الاخبار بتاريخ ١٨/٦/١٩٨٠ ونوميسات الأخبار للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ما يلى :

ان الازهر ليس جامعة ولا جامعا كما يقولون ، ولكنه تراث تاريخى ضخم من الفكر والرأى والعمل الاسلامى ، وبهذا عاش قبله المسلمون على امتداد ألف عام

« والأزهر هو القاعدة »

تردد الحديث عن انشاء مجلس اسلامى أعلى يضطلع برسالة العمل الاسلامى فى الأمة

الناس عليها ، كما أنها تلتقى مع القيمة الأخلاقية والمثل العليا ، وتمسك الناس بالحقوق والواجبات ، دون تفريق بين الأجناس أو تمايز بين الألوان ، فالاسلام هو دين الحياة صالح لكل زمان ومكان .

« الذبح وفق الشريعة الاسلامية »

ان ما كان ينقصنا ، فى مدينة روما ، أصبح موجودا الآن فى بعض المدن الايطالية ألا وهو اللحم الحلال ، المدبوح وفق الشريعة الاسلامية ، وهذا أمر بالغ الأهمية للعديد من أبناء الجالية الاسلامية فى مدينة روما ، والذين يعافون اللحم الموجود فى الأسواق ، ويفضلون عليه أكسل السمك أو الجبن أو الدجاج الذى يذبحونه أو يشرفون على ذبحه بأنفسهم وفق الشريعة الاسلامية.

جاء فى (ملحق مجلة الوعي الاسلامى) العدد ٦١ رجب ١٤ هـ ص ٧٦ (جمهورية مصر العربية) حصن العروبة والاسلام ..

الاسلامية ، ولقد بدأ مجمع البحوث الاسلامية هذا بداية طيبة وعقد المؤتمر الاسلامى عددا من الاجتماعات عرضت فيها أبحاث قيمة تناولت القضايا الاسلامية التى تشغل اهتمام المسلمين فى هذا العصر ، ولكن فى الايام الأخيرة أصيب مجمع البحوث الاسلامية بنوبة من الركود ، وانقضت اجتماعات المؤتمر الاسلامى لهذا المجمع لغير سبب معقول .

فاذا كنا نريد انشاء مجلس اسلامى يكون قاعدة للعمل الاسلامى وقاعدة لجامعة الشعوب الاسلامية ، فلا بد أن يكون الأزهر هو الأساس الأول لهذه القاعدة ، فان الأزهر له قداسته العلمية والفكرية فى العالم الاسلامى كله، وما زال جامعة الشعوب الاسلامية يتوافد عليه طلاب العلم والدراسات الاسلامية من مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، وما زالت أروقته تحمل أسماء هذه الدول ، وأوقافه شركة بين أبناء هذه

الاسلامية ، ويكون قاعدة لجامعة الشعوب فى العالم الاسلامى على أن يكون فى تكوينه صورة للأمة الاسلامية على المستوى العلمى والمستوى الشعبى .

ويتجه رأى الى أن يكون المجلس الأعلى للشئون الاسلامية هو القاعدة أو الصورة التى يتم بها انشاء هذا المجلس مع اضافة ما يقتضيه التوسع فى العمل والغرض لتحقيق الهدف المنشود. الفكرة فى ذاتها قوية وعظيمة ، وهى لا تنشأ من فراغ فى مصر فقد عاش الأزهر بقيمته العلمية ومكانته الاسلامية ، حتى فى الوقت الذى أصبحت فيه الاسقانة دار الخلافة الاسلامية ، فكان للأزهر كلمته المسموعة فى كل ما يهم العالم الاسلامى من شئون الدين والدنيا ، وفى الآونة الأخيرة أقمنا هذه الفكرة على وضع رسمى شمل فى تكوينه المؤتمر الاسلامى ومجمع البحوث الاسلامية وهو تكوين يضم صفوة من العلماء الأعلام الذين يمثلون شعوب الأمة

الدول • والتكوين المطلوب للمجلس قائم في مجتمع البحوث الإسلامية ومؤتمره العام وكل ما هناك هو أن يتوسع في هذا التكوين وفاء للفرض المنشود • فلنحذر أن يكون المجلس الذي نريده بعيدا عن الأزهر ، لأننا بهذا نصحى بتراث إسلامي ضخم ليس ملكنا وحدنا ولكنه ملك لكل المسلمين • «النصوص الكاملة لميثاق الشعوب الإسلامية» •

محمد أنور السادات من فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر اعذاه ليكون أساسا لعلاقات الدول الإسلامية ومعاملاتها •

وحول ما تضمنه الميثاق من مبادئ سيتم رفعه للرئيس خلال الأيام القليلة القادمة •

توصيات اللجنة البرلمانية :

دعم الأزهر وتوحيد أجهزة الدعوة والتصدى للأفكار المضادة •

أوصت لجنة الثئون الدينية بمجلس الشعب في تقريرها الذي وافقت عليه أمس برئاسة الدكتور محمد محجوب بضرورة دعم الكيان الدينى والعلمى للأزهر الشريف ، ليظل مركزا للإشعاع الروحى فى مصر والعالم العربى والإسلامى ، وتوحيد أجهزة الدعوة الإسلامية فى جهاز واحد ، يمكن أن تكون له فعالية أقوى فى مـيـيل دعم الأسس السلبية للعقيدة الإسلامية •

* المسلمون أمة واحدة والشريعة الإسلامية المصدر الأساسى للتقنين •

* أى عدوان على أى شعب من الأمة الإسلامية عدوان عليها جميعا •

* مؤتمر عام للشعوب الإسلامية •

* محكمة عدل لدعم التعاون بين المسلمين •

انتهت اللجنة المشكلة بالأزهر الشريف لوضع ميثاق الشعوب الإسلامية الذى طلب الرئيس

القرن الهجرى الخامس عشر
بأضخم حدث فى عالم الفكر
الاسلامى ، وهو التسجيل الكامل
لتفسير عصرى على ستين شريطا
من أشرطة الكاسيت يحمل كل
شريط أربع حلقات ، تشرح كل
حلقة منها ربعا من أرباع القرآن
الكريم ، بعد قراءة الربع بصوت
المفسر ، وتستغرق الحلقة نصف
ساعة .

وقد اشترك فى هذا التفسير
نخبة من كبار علماء مصر والعالم
الاسلامى .

فهى عبد الله سيد على

وطلبت اللجنة بالاهتمام باعداد
الدعاة وتخريج العدد اللارم
منهم للعمل فى مجال الدعوة
الاسلامية ، وضرورة التنسيق
بين وزارات التعليم والثقافة
والاعلام ، من اجل التصدى للتيارات
الفكرية المضادة للعقيدة
الاسلامية .

لأول مرة تفسر اذاعى جديد
للقرآن الكريم .

كما كان لمصر سبق فى جمع القرآن
للكريم جمعا صوتيا لأول مرة فى
المصحف المرتل ، فانها تستقبل

سورة الواقعة

هذه السورة هي سورة الواقعة عليه وسلم

كان محمد صلى الله عليه وسلم يذهب الى « غار حراء » ويمكث فيه أياما يفكر في كل شيء حوله ، .
وفي ليلة من ليالي رمضان جاءه الملك (جبريل) فناداه
يا محمد !! وقال له :

« اقرأ » فقال محمد : ما أنا بقارىء ، فضمه الملك ضمة شديدة ، وقال له : اقرأ ، قال محمد : ما أنا بقارىء ، فضمه ضمة ثانية ، وقال له : اقرأ ، قال محمد : ما أنا بقارىء . قال جبريل عليه السلام : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » فقرأها محمد ، وحفظها ، ثم اختفى جبريل عن عينيه ، وكانت هذه اول ما نزل من القرآن الكريم .

کتاب الشهر

اللاعبة في الاسود

تأليف الدكتور رؤف شامي

عرض وتحليل : الدكتور محمد ميا البوس

لتخرج الناس من الغي الى الرشاد ، وقد عجب المؤلف كل العجب حين رأى أمريكا وأوروبا ترسل المبعوثين الى مناطق الاسلام نفسه ، لتفرض الموحدين بالله الى التثليث ، دون حياء ، وأبناء الاسلام نائمون لا يفتنون شيئاً ، ومن هؤلاء القسوس من يعد الرسائل الجامعية لمعالجة الدعوة التبشيرية لدينهم في بلاد الاسلام من ناحية • ولتسهيل اقرب الطرق لتشويه معاني هذا الدين الاصيل ، وقد اتصل أحدهم بالأستاذ المؤلف ، وحاول أن يضدعه باصطناع ما يزعمه من التزام المنهج العلمي ، ولكن الدكتور رموف كان جريئاً على الباطل ، فأنهم الدارس أنه يلتزم — سابقاً — بمقررات باطلة ، لا تتحمل هبة ربح بولو أراد الحق لوجه الحق لنزع عن نفسه كل تأثير طائفي ، ليواجه الحقائق سافرة ، بعيدة عن الطلاء • وما أن سمع الدارس هذه النصيحة حتى لاز بالفرار • يتحدث هذا الكتاب القيم عن الوثنيات المنتشرة في الدنيا ، وقد

مؤلف الكتاب عالم داعية ، وكتابه ينم عنه في صفته هاتين ، ففيه دقة العالم عمقه وأمانته ، وسلامة استنباطه وحسن تحليله ، وفيه شفافية الداعية ، وقوة ايمانه وحرارة دفاعه ووضوح غايته ، وقد أسس لهذه الخصائص تأسيساً حكيماً أن المؤلف قد سافر الى بلاد الآلهة الارضية ، وناقش كهانها ، وخالف عبادها ومشى في الأسواق بحثاً عن الحق وتوضيحاً للباطل الزائف ، فادار أسئلة ، واستمع الى اجابات ، وشاهد من المسافر العابث ما كاد يصدحه فيما متع به الله عقول الناس من حشافة واهية ، ونفاق مستشف ، فإين هي الحشافة ؟ وأين هو النفاق ؟ في سوق الآلهة التي تشتري وتباع ؟ !

والكتاب من وجهته الثابتة دعوة لأبناء الاسلام ، كي ينشطوا الى الدعوة لدينهم الصحيح ، لأن ضاد الاعتقاد في الشرق والغرب يدعو أصحاب الرسالة الخاتمة أن يكونوا مؤمنين بها ، فيعملوا على نشرها ، واشراق نورها ، في بلاد الظلمات ،

تجعل العامض المبهم في سراديب الفلسفة والمنطق باهر اللآلئ ، ساطع الضياء ، كما سرني : أن يشيد بالأستاذ الدكتور : محمود حب الله ، معترفا بفضل توجيهه ، وراجعا الى مؤلفاته النافعة ومترجماته السديدة ، لأن الوفاء للأساتذة قد قل في هذه الأيام ، اذ رأينا في الدوائر العلمية : من يحاول أن يفكر آثار أساتذته ، وأن يغتصبها لنفسه ، والاشارة أولى من التمريح .

وقد جلى المؤلف تجلية رائعة مقالاته الأولى عن الدين : نشأة وبواعث ومفهومها واتجاهها وثقافتها ، موضحا اضطراب الفكر الأوربي في بحوثه الدينية ، وموازنا بين ما يكتبه القسوس وأصحاب دوائر المعارف ، وبين ما يقول به الاسلام في مصدره الصحيح : كتاب الله وسنة رسوله واذا كانت علاقة الدين بالأخلاق من جهة وعلاقة الدين بالفلسفة من جهة ثانية موضع خلط كثير لدى المتسرعين من الدراسين فقد وفق الدكتور : رعوف الى

بدأ بالحديث عن الوثنية العربية الجاهلية ، وهو حديث مشتهر لدى الدارسين المسلم المثقف ، ولكن المؤلف قد أوجز نقاطه وحدد مجراه فلم يترك الماء يفيض دون نفع ، ولكن امتد به الى الزرع المتعطش للري ، فأينع وأثمر ، وأتى أكله ، ولم ينقص منه شيئا ، غليت الذين يتكلمون في الذائع المشتهر يحسنون احسان المؤلف في استخلاص للباب وطرح القشور .

ويأتى بعد حديث الوثنية العربية الجاهلية حديث الوثنية في جنوب شرق آسيا ، اذ تحدث المؤلف عن الهندوكية والبوذية ، ثم كر راجعا الى مصر الفرعونية ، ليحدد مكانها من التوحيد .

وقد سرني جدا : أن يجمع المؤلف اهداء كتابه الى روح أستاذنا المغفور له الدكتور : محمد عبد الله دراز ، رحمه الله — لأن المهدي اليه علم حقيقى من اعلام الازهر ، ومفكر نابه من مفكرى الاسلام ، وقد تحدث عن نشأة الأديان حديث السلامة المكين ، وللدكتور دراز شفاقية ساطعة ،

سبحانه وتعالى - والفلسفة من العثار والضعف ما للانسان الضعيف الذي كتبهما ، وان أدلة الدين يقينية ، لأنها من الوحي المعصوم وأدلة الفلسفة ظنية ، لأنها من العقل الذي يستطيع أن يبنى ، وأن يهدم دون يقين .

وفي الحديث عن الهندوسية والبوذية ، ذكر المؤلف : أنه لم يشأ أن يعتمد على رأى عالم أوربى ، لأن أكثر الكاتبيين في العربية ليس لهم مصدر عنهما ، غير ما كتبه الأوربيون ، ولكن المؤلف درس لغة القوم ، وقرأ مؤلفاتهم ، ورحل الى بلادهم ، وشاهد معابدهم ، وناقش العباد في أمور المعبودين . وبذلك : استطاع أن يهتدى الى صواب كثير ، وأن يصحح أخطاء وقع فيها نفر من أساتذته ، على اخلاصهم الزائد للحق كالاستاذ ، الدكتور : محمد غلاب ، اذ أن مصادر الدكتور : غلاب - رحمه الله - كانت أوربية تحمل من الصواب قدر ما تحمل من الخطأ ولم يجئ خطأ الباحث الأوربى

تحديد هاتين العلاقتين في وضوح سافر لا يحتمل اللبس ، اذ قال عن علاقة الدين بالأخلاق :

« فالدين والأخلاق في الفكر العربى من الناحية التجريبية مستقلان وان أمكن لقاؤهما في النضاية بممن الناحية العلمية الوائمية يسبق الشعور الأخلاقى الشعور الدينى . في نفس الطفل ، وفي عدم امتزاج القوانين الأخلاقية بالقوانين الدينية في المجتمع ، أما في الاسلام : فالدين مصدر الأخلاق . لأن الدين منهج واضح يحدد السلوك ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر » .

وفي مجال التفرقة بين الفلسفة والدين : اختار المؤلف رأيين قويين للدكتورين الكبيرين : محمد عبد الله دراز وموعد الحليم محمود رحمهما الله ، ثم بلور الخلاف في نقاط هامة حين قال ص ٤٠ -

« ان الدين السماوى حقيقة الهية ، وان الفلسفة ظن بشرى ، فالدين السماوى له من صفات الكمال والثبات مثل ما للحق -

الالهام الذي سكب عليهم فأظهروه
في هذا الثوب الجميل من المعاني
والألفاظ البديعة » .

ينقل الدكتور ذلك القول عن
مؤرخى الهندوسية ، ليكون شاهدا
بعدم الجزم بأصالة الويدا ، ثم
يوالى البحث ليجد في النهاية أثر
الاسلام بارزا في اتجاه دعاة
الهندوسية المحدثين لأن السابقين
من دعاة الهندوسية كانوا ينكرون
الوحي ، وقد حكى الشهر متافى
عنهم ذلك بوضوح لا يقبل
التأويل ، فكيف تسفى للمحدثين
أن يتصرفوا به . يقول
المؤلف ص ٩٤ :

« وهذا أسلوب جديد يتبعه
القساوسة ، اذ يلفقون لنحلهم أدلة
وقضايا لتساير العصر ، وقد
سمعت قسيسا كبيرا يتحدث في
التليفزيون عن يوم القيامة بمقام
على صحة البعث عدة أدلة منها :
أدلة العدالة الالهية ، وأدلة
المشاهدات اليومية ، وأدلة
السلطان الالهي ، وهى كلها من
منابع القرآن الكريم ، وليس في

عن غفلة في النظر ، وخطأ في
البحث ، ولكنه جاء عن مصالوة
الاستعلاء المتفطرس على كل دين
يخالف دينه ، أرضيا كان هذا الدين
أو سماويا ، وقد احدى المؤلف
الى حقيقة خطيرة هى : أن دعاة
الهندوسية المحدثين قد أخذوا
مناهج الاسلام ليصلقوها
بالهندوسية ، دون أن تعرف هذه
المنادى لدى السابقين من دعاة
الهندوسية ، قبل ان تعم بلادهم
تعاليم الاسلام ، يقول الأستاذ :
رموف وتحت عنوان : (كيف ألفت
كتب الويدا) ص ٥٧ .

« يقول المؤرخون : كانت
« الويدا » تنقل عن طريق السمع
الى زمن معين ، شعر فيه المؤلفون
الملمهون الذين يرون بعين البصيرة
أنوار الحق ، فأحاطوا ما رأوه الى
كتب تسمى بالويدا : (وهى التى
تعرف لدى المثقفين بالفيدا) ،
ولهذا : فان بعضا من الكتب قد
لحق اسمه باسم المؤلف ، لا لأن
هؤلاء الشعراء هم المؤلفون عن
أنفسهم ، بل لأنهم تلقوا محتويات
عن طريق الالهام والايحاء ذاك

الإنجيل كلها فقرة ، تشير اليها ، وأفاض المؤلف في تأكيد ذلك ، بما نرجو أن يكون موضع ملاحظة صادقة لدى علماء مقارنة الأديان ، ومن أعظم ما هزنى فيما أعلم من الحقائق : ما ذهب اليه الدكتور : رعوف من انكار القول بتناسخ الأرواح في العقيدة الهندوسية ، مستندا الى نصوص صريحة من كتب القوم ، مع أن الذى نعلمه : أن التناسخ مذهب هندوسى ، ولا أقول : أن المؤلف قد قال الكلمة الأخيرة في هذا المجال ، فلا بد من دراسات شافية جامعة ، ولكن أقول : انه قد فتح بذلك مجالا للبحث عن التناسخ مبدأ ونحلة وعاقبة ، وهو أمر جدير بنظر الدارسين .

فإذا تركنا آسيا الى مصر ، فإننا نجد : حديث المؤلف عن مصادر التاريخ القديم ، وعن طريقة حل الرموز في حجر رشيد ، وعن مؤرخى الفرعونية القديمة من أقوى ما قيل ، وإذا سبق المؤلف ببعض ما كتب فإن ما سطره تحت عنوان : (توحيد اخناتون ودعوة الأنبياء) يدعو الى التأمل الوثيد ،

فقد فتح الله على المؤلف فتحا مبينا ، حين أظهر الحق الأبلج ، الذى حاول المضللون شرقا وغربا أن يطمسوه ، إذ زعم أساتذة الجامعات لدينا نقلا عن سحنة الاستشراق في أوروبا : أن مصر لم تعرف التوحيد الا على يد اخناتون ، مع أن التوحيد عقيدة

وحديث المؤلف عن المنبوذين حديث جيد ، والمجلد السابع من مجلة الأزهر قد اتسع لتقرير البعثة الأزهرية للهند ، فأغنى عن كسل مرجع . وقد أدت البعثة واجبها ، وأن لم تظهر بما تريد ، وقد ذكر المؤلف أحد أعضائها شيخنا العلامة المؤرخ الأستاذ : عبد الوهاب

الحكم الا لله امر الا تعبدوا الاياه
ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس
لا يعلمون » : ٣٩ ، ٤٠ سورة
يوسف .

واذا كان لي من رجاء لدى
المؤلف فهو : أن يصحح رأيه في
« انجيل برنابا » ، مستأنسا بما
ذكره عنه الأستاذ السيد :
محمد رشيد رضا - رحمه الله -
وانى لأعترف أن كتاب : (آلهة في
الأسواق) مصدر نفع محقق
للدارسين ، ولعل المؤلف بمسبيل
اعداد كتاب آخر يستكمل به قصة
الآلهة ، ومن غير الآلهة أجدر
بالحديث ، وإن كانوا متوهمين
لا حقيقين ١٢٠

دكتور: محمد رجب البيومي

عرفت من يوم أن نزل آدم الى
الأرض ، اذ علمه ربه الأسماء وأمر
الملائكة بالسجود له اجلالا لما علم ،
ثم قوّلت الرسل والأنبياء قبل
اخذائهم ، لتثبيت التوحيد ، جاء
نوح وابراهيم ويوسف قبل
اخذائهم - لماذا لم يكن نوح ممن
قدموا الى مصر من الأنبياء ، فقد
قدم اليها عن يقين : ابراهيم
ويوسف ، وفي ربوع النيل : صدع
أبو الأنبياء ابراهيم بوحدة
الله ، وفي سجن مصر : هتف يوسف
بما حكاه الله عنه في قوله :
« يا صاحبي السجن أرياب
متفرقون خير أم الله الواحد
القهار ، ما تعبدون من دونه
الا أسماء سميتوها انتم وآباؤكم
ما انزل الله بها من سلطان ان

فهرس العدد

الموضوع	صفحة
● في رحاب رمضان	
فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الرحمن بيسار	١٠٣٧
● الأهداف المرجوة من الصوم	
دكتور محمد الطيب النجار	١٠٤٠
● شهر رمضان	
للدكتور الحسيني هاشم	١٠٤٥
● من وحي رمضان	
للاستاذ محمد صابر البرديعي	١٠٥١
● دراسات قرآنية « سورة الطارق »	
لفضيلة الشيخ مصطفى الطير	١٠٥٨
● الى المسلمين في كل انحاء العالم	
للاستاذ أحمد حسين	١٠٦٧
● المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الاسلام الحنيف	
دكتور روف شلبي	١٠٧٨
● يونس عليه السلام	
الحسيد حسن قرون	١٠٨٩
● منافع النور في قار حراء	
جابر حمزة فراج	١٠٩٨
● رمضان شهر العبادة	
للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي	١١١٢

- الإمام الدكتور عبد الحلیم محمود كما عرفته
للاستاذ علی عبد العظیم ١١١٧
- اللغة العربية والبيان القرآني • الفاظ القرآن
للدكتور ابراهيم عوضين ١١٢٣
- الباحث عن الحقيقة للمرحوم محمد عبد الحلیم عبد الله
للدكتور فتحي محمد ابو عيسى ١١٣١
- رمضان والمضائل النفسية
دكتور عبد الغنى الراجحي ١١٣٨
- واجب المسلمين نحو القرآن في شهر رمضان
للاستاذ محمد شابی ١١٤٨
- طلب العلم
للدكتور ابراهيم أبو الخشب ١١٥٥
- انشاق القمر والاعجاز العلمي للقرآن
دكتور منصور محمد حسب النبی ١١٦٣
- رمضان والمجتمع والقيم والحياة
للسيد عبد الحكيم النجار ١١٦٩
- الازهر جامعا وجامعة او مصر في الف عام
للاستاذ محمد كمال السيد ١١٧٥
- رمضان وحكمة الصيام
للاستاذ محمد نعيم عكاشة ١١٨٤
- ربیع الروح
محمد صان الدين البریسی ١١٩١
- حکم وطرائف
اعداد الأستاذ عبد الحفیظ محمد عبد الحلیم ١١٩٤
- الفتاوى
عبد الحمید المسید شاهین ١١٩٩

الموضوع	صفحة
● من أنباء العالم الاسلامي	
أمسداد الأستاذ : فهمي عبد الله سيد علي	١٢٠٥ . . .
نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم	١٢١٠ . . .
● كتاب الشهر « الآلهة في الأسواق » تأليف الدكتور عوف شلبي	
للدكتور محمد رجب البيومي	١٢١١



<p>المسئولون إدارة الأزهري بالمقاهرة ٩٠٩٩٢٢ } ت ٩٠٥٥٠٦ }</p>	<h1 style="margin: 0;">الأزهري</h1> <p>مجلة شهرية جامعة تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في أول كل شهر عسري</p>	<p>مدير المجلة محمود البربري</p>
--	--	---

الجزء السابع — السنة الثمانية والخمسون — شوال سنة ١٤٠٠ هـ — سبتمبر سنة ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

والله أعلم
في فضل العلم والعمل والتعاون

لدكتور محمد الطيب النصار
وكيل الأزهر

جاء الاسلام الحنيف فاشرف على العالمين بدستور قوى متين يدعو
الى مكارم الاخلاق وكريم العادات وينظم العلاقة بين الافراد والجماعات
ويصف ما تعانيه الامم من الادواء ثم يقدم لها في يسر وسهولة انجع
الدواء .

• وهذه المشكلات والامراض الاجتماعية التي تعاني الانسانية
ويلايتها وتقاسى آلامها والتي طالما اجهد المصلحون انفسهم في علاجها
فنجحوا بعض النجاح حيناً واخفقوا احياناً قد وصف لها الاسلام الدواء
الناجع الذي يضمن النجاح من ايسر سبيل واقوم طريق وانما يشتري

الداء ويعز الدواء من التقصير والاهمال ، وعدم تطبيق مبادئ الدين والاخذ بما تنطوى عليه تلك المبادئ من أنظمة واحكام وقوانين .

• والاسلام في معالجته لمشاكل الافراد والجماعات انما يوجه الامم والشعوب في مختلف الازمنة والعصور الى النظر بعين الاعتبار الى الظروف والملايسات التي تحيط بالمجتمع ، ومن هنا : كانت لولى الامر سلطته الواسعة في تقدير كل ظرف ، ووضع العلاج المناسب الذى يلائمه ، وهذه السلطة — بلا شك — انما تركز على اساس متين هو العقيدة الصادقة والايمان الخالص والعدالة الكاملة .

• ولعل اصدق الامثلة على ذلك ما وقع عقب هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم — واصحابه من مكة الى المدينة حينما بدأ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يؤسس الدولة الاسلامية الجديدة وكانت الظروف حينئذ تملئ على ولى الامر ان يتخذ خطة حكيمة تلائم الوضع الاليم الذى يحيط بالمهاجرين .

• فلقد آخى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بين المهاجرين والانصار وكانت هى الاولى من نوعها في تاريخ الانسانية لانها أخوة نادرة المثال لم تقم على قانون وضعى يسهل مغالطته ويمكن مخالفته اذا غفلت عينه

وضعت الرقابة على تنفيذه وانما قامت على عقيدة راسخة تهون امامها متع الحياة ولذاتها ولأنها لم تفرض بقوة البطش وجبروت السلطان وانما فرضت بأمر من الرسول الذى لا ينطق الا بما يتنزل عليه من العليم الحكيم الرؤوف الرحيم ولقد جعل الرسول لكل رجل من المهاجرين أخاً من الانصار ، وحمل لهذه الأخوة من الحقوق والواجبات ما لأخوة النسب ، فكلاهما يرث صاحبه اذا مات ويعقل عنه اذا جنى ويؤازره اذا ألت به شدة أو أصابه مكروه مؤازرة الأخ لأخيه من النسب فكان ابو بكر الصديق اخا لخارجة بن زهير الانصارى

المسلمين وتقتضى المودة والتعاون بينهم .

وفي ظل تلك الاخوة الكاملة الشاملة بين جميع المسلمين وضعت القواعد الدقيقة التى تكفل قيام مجتمع اسلامى رشيد والتى تقتضى على المشكلة الاقتصادية الاولى فى هذا العالم ، وهى : فقر الافراد الذى هو النواة الاولى لفقر الامم والشعوب .

وكان من اقوى الدعائم التى قام عليها النظام فى الدولة الاسلامية الدعوة الى العمل ونبذ البطالة والكسل . فلقد دعا الاسلام كل انسان ان يأكل من كد يمينه وعرق جبينه ومن ذلك جاء فى صحيح البخارى عن المقداد بن معد يكرب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده » وان نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » وثبت فى صحيح مسلم عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان زكريا عليه

وكان ابو عبيدة بن الجراح من المهاجرين اخا لسعد بن معاذ من الانصار وكان عثمان بن عفان من المهاجرين اخا لأوس بن ثابت من الانصار ، وكان عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين اخا لسعد بن الربيع من الانصار . . . وهكذا أصبح المهاجرون والانصار بنعمة الله اخوانا وقد آتت هذه الاخوة — بحمد الله — ثمرتها المباركة ، اذ خففت عن المهاجرين وعوضتهم خير عوض عن فراق الاهل والعشيرة .

وكان هذا علاجا طارئا زال بزوال اسبابه وانتهى حينما انتهت دواعيه فحينما اطمأن المسلمون فى مقرهم الجديد وشعر المهاجرون بكيانهم وبالامن والحرية يشرقان عليهم وشقوا طريقهم بالعمل فى سبيل الرزق نزلت الآية الكريمة : « وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض » فانقطع التوارث بين المهاجرين والانصار ، ورجعت الاخوة الى قاعدتها الاولى وهى اخوة النسب ، ولكن بقيت الاخوة الاسلامية التى تظل جميع

أجل : أن الاسلام يدعو
 الافراد الى العمل حتى لا يكونوا
 عالة على المجتمع ، وسوسا ينخر في
 عظامه ولقد ضرب اسلافنا الاولون
 رضى الله عنهم اروع الامثال في
 هذا السبيل فكانوا يكرهون البطالة
 ويأنفون ان يكونوا كلا وعالة *
 والتاريخ الاسلامى مشرق بسيرتهم
 عطر بانبائهم ومن ذلك قصة
 عبد الرحمن بن عوف المهاجر مع
 سعد بن الربيع الانصارى رضى
 الله عنهما فحينما آخى الرسول
 - صلى الله عليه وسلم - بينهما
 بعد الهجرة عرض سعد على
 عبد الرحمن نصف ماله ونصف بيته
 بل لقد أراد ان يطلق احدى زوجتيه
 لتكون زوجة لعبد الرحمن ويكتفى
 هو بزوجة واحدة ولكن عبد الرحمن
 وقد تربى في كنف العزة الاسلامية
 وهى تلك التى ينطوى عليها قول
 الله تعالى « ولله العزة ولرسوله
 وللمؤمنين » أبى الا ان يعتمد بعد
 الله على نفسه فقال لصاحبه دلتى
 على سوق المدينة ثم اشترى شيئا
 يسيرا من الزبد وامهل صاحبه
 بعض الوقت ثم باعه وسدد ما عليه

السلام نجارا * وكان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يشغل
 بالتجارة ويشغل - كذلك - برعى
 الغنم وقد ذكر عن نفسه وعن
 بعض الانبياء فقال : « بعث
 موسى وهو راعى غنم وبعث داود
 وهو راعى غنم وبعثت انا راعى
 غنم اهلى باجباد » .

واعتبر الاسلام العمل عبادة
 لله وجهادا في سبيله فلقد روى ان
 رجلا قويا نشيطا مر على رسول
 الله - صلى الله عليه وسلم -
 متوجها الى عمل معين فقال اصحاب
 الرسول - صلى الله عليه وسلم -
 لو كانت قوة هذا الرجل موجهة الى
 الجهاد في سبيل الله ، فقال
 صلوات الله وسلامه عليه : « ان كان
 خرج يسمى على اولاده مسافرا
 فهو في سبيل الله وان كان خرج
 يسمى على ابوين شيخين كبيرين
 فهو في سبيل الله وان كان خرج
 يسمى على نفسه فهو في سبيل
 الله » وقال الامام على بن
 أبى طالب رضى الله عنه « الساعى
 على الارملة والمسكين كالمجاهد في
 سبيل الله » .

سبحانه « هو الذى جعل لكم الارض فلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » ويقول « فانا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » .
 وفى الحديث القدسي « يا عبادى
 حرك يدك انزل عليك الرزق » .
 كما كانت « الزكاة » ولا تزال
 من اقوى الدعائم التى قام عليها
 النظام فى الدولة الاسلامية وقد
 جعل الله الزكاة الركن الثالث من
 اركان الدين وفرضها حقا معلوما
 للفقراء والمساكين واوجب اداها
 على كل مسلم يملك النصاب فى
 النقدين وفى الزروع والثمار وفى
 الابل والبقر والغنم وعروض
 التجارة وتوعده من يمتنع عن
 اداها بالويل والثبور وعذاب
 السمير فقال تعالى « والذين
 يكتزون الذهب والفضة
 ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم
 بعذاب اليم » . يوم يحمى عليها
 فى نار جهنم فتكوى بها جباههم
 وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم
 لانفسكم فتذوقوا ما كنتم
 تكتزون » .

ثم اشترى وباع واشترى وباع
 وربح ثم ربح فلم يمض الا زمن
 يسير حتى ملا اسمه الاسماع
 ومالت تجارته الاصقاع والبقاع .
 وكان ابو سليمان الدارنى
 يقول : ليست العبادة فى الاسلام
 ان تصف قدميك وغيرك بقوت لك
 ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم
 تعبد وكان عمر بن الخطاب رضى
 الله عنه يوصى الفقراء والاغنياء
 بأن يتعلموا المهنة ويقول انه يوشك
 ان يحتاج احدكم الى مهنة وان كان
 من الاغنياء . وكان يمقت اشد
 المقت اولئك الذين يخلدون الى
 الراحة والكسل مع قدرتهم على
 العمل ، ومن ثم قال قولته
 المشهورة « لا يقعدن احدكم
 عن طلب الرزق ويقول اللهم
 ارزقنى فقد علم ان السماء
 لا تمطر ذهبا ولا فضة » .

وقد بلغ من قيمة العمل فى
 الاسلام انه يعتبر عبادة ، وقد
 جعله الله سبحانه فرضا واجبا على
 كل قادر عليه تحصيلا للرزق
 وابتغاء تحقيق مجتمع الكفاية
 والامن ، وفى ذلك يقول الله

اعطاه الله فقال - كما جاء في الصحيحين : « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنابه وتعفو اثره ، واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسمها فلا تتسع » . ومعنى ذلك : ان المنفق كلما بذل المال في سبيل الله وسع الله عليه بزيادة رزقه أو بالقناعة التي تجعل القليل كثيرا وان البخيل في ضيق من نفسه الكزة وطبيخته الشحيحة فهو مهما زادت امواله وكثرت ارزاقه في ضنك وشقاء وبؤس وعناء . واذا كانت موارد الزكاة تكمن في كل ما يحوزه الانسان من انواع المال المهيأ للتنمية والاستثمار كالتقنين (الذهب والفضة) والانعاش والزروع والثمار وعروض التجارة .. فانه يمكن أن يلحق بها في هذا العصر الذي نعيش فيه وفيما يأتي بعد ذلك من الازمنة كل ما استحدث أو يستحدث من انواع

وجعل الله ايتاء الزكاة من أسس الفلاح والايمان فقال « قد افلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون » .

ويبين الله عز وجل ان الانفاق في سبيل الله هو التجارة الربحية التي لا ينمو فيها رأس المال الى عشرة امثال فحسب بيل الى سبعمائة بل يضاعفه الله اضاعفا كثيرة وذلك حيث يقول « مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » وثبت في الصحيحين ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما ، اللهم اعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكا تلفا » . وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا رجلين احدهما بخيل يظن بمال الله على عباد الله والآخر منفق يعطى مما

أمر به الدين الحنيف وهو جزء ضئيل ولكنه مجزئ وجزيل ومقدار قليل ولكن أثره كبير ووفير .

أجل : انه في جملة وفي أغلب الموارد يوازي ربع العشر من الأرباح السنوية ولكنه لو أحسن توزيعه في يقظة ودقة على المحتاجين والمستحقين ، وتولت كل حكومة مسلمة الإشراف على هذا التوزيع على أساس من الانصاف والعدل والامانة فلن يبقى في المجتمعات الإسلامية بائس أو فقير .

وليس هذا الكلام جزافاً أو مجرد ادعاء ولكنه النبأ الصادق الذي تحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى والذي لا يتحدث إلا عن وحى يوحى . ومن ذلك ما يرويه على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الله فرض على اغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا وعروا الا بما

الأموال واستثماراتها كأرباح المصانع والشركات والعمارات السكنية الى غير ذلك على ان يقوم كل نوع به عند حساب ما يجب عليه من زكاة — ثم تكون الزكاة على حسب القواعد المفصلة في كتب الفقه الاسلامي » .

وقد حدد القرآن الكريم مصارف الزكاة في ثمانية اصناف بقوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .

ويلاحظ ان من بين المصارف الثمانية الاموال التى تصرف « في سبيل الله » وهذه الكلمة كانت تحمل أولاً على المجاهدين ولكنها في واقع الامر تتمتع لكل وجوه الخير كبناء المساجد وانشاء المدارس والمصححات وما الى ذلك من دور الخير والبر .

ومن واجب الدولة المسلمة أن تنشئ صناديق الزكاة لكي تتجمع فيها حصيلة تلك الموارد وفق ما

يصنع اغنياؤهم • الا وان الله بحاسبهم حسابا حسدا ويعذبهم عذابا اليما •

ولقد مرت على المجتمع الاسلامي فترات مشرقة بالخير والسعادة نتيجة لتطبيق المبادئ الاسلامية والسير على سننها الحكيم ومنهجها القويم وقد توارى - حينئذ - نبح الفقر البغيض واحس الجميع برد النعمة والرخاء ، فيروي الطبري ان عمر بن عبد العزيز كتب الى

عقبة بن زرعة الطائي - وكان قد ولاء الخراج في خراسان - فقال له : « استوعب الخراج واحرز في غير ظلم فان بك كفايا لاعطيائهم » أي مساويا لاعطيائهم » فسيب ذلك والا فاكذب الى حتى احمّل لك الاموال فتوفر لهم اعطيائهم قال : فقدم عقبة فوجد خراجهم يفضل عن اعطيائهم » (١) •

ويروي ابن عبد الحكم ان رجلا من ولد زيد بن الخطاب قال « انما

ولى عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفا فذلك ثلاثون شهرا فمما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيهم فلا يجده » (٢) •

على ان الزكاة المفروضة وهي دعامة كبرى لاسصلاح المجتمع الاسلامي وتدعيم اقتصادياته - ليست في واقع الامر الا جزءا محدودا من الاسس القوية الاخرى التي جاء بها الاسلام في هذا المجال ، فقد امن الاسلام في محاربة الفقر واتخذ كل الوسائل في سبيل القضاء عليه ، حيث جعل الاحسان الى الفقراء والمسكين كفارة للخطايا والذنوب وستارا للثام والعيوب ، فكفارة اليمين اذا ما حنث فيها الانسان هي اطعام الفقراء والمسكين ، وفي ذلك يقول الله تعالى : (لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن

(١) الطبري ج ٨ ص ١٣٩ •

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم •

يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فإطعام ستين مسكينا ..

وهكذا يكفر الاحسان الى
الى الفقراء الذنوب والآثام ،
ويغسل الخطايا والأوزار ، ولا
غرر فقد قال رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - «الصدقة تطفيء
الخطيئة كما يطفىء الماء النار» .
ومظاهر التعاون في الاسلام
كثيرة ومجالاته واسعة تمتد امتداد
الحسنات التي يضاعفها الله الى
عشر ثم يضاعفها حتى تصل الى
سبعمائة ثم يضاعفها الى ما يشاء
ولن يشاء فالصدقات والاحسان
الى المحتاجين والمموزين لا يتقيد
شىء من ذلك بقيود ولا تقف دونه
حدود ، وقد وصل الأمر بجماعة
من المسلمين الى درجة الايشار ،
وكان ذلك في عصر الرسول صلى
الله عليه وسلم - وذكرهم الله
فيمن ذكر من عباده الأبرار فقال
عنهم «والذين تبوءوا الدار
والايمان من قبلهم يحبون من
هاجر اليهم ولا يجدون في
صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم

يؤاخذكم بما عقدتم الايمان
فكفارتها اطعام عشرة مساكين من
اوسط ما تطعمون اهليكم او
كسوتهم او تحرير رقبة ، فمن لم
يجد فصيام ثلاثة ايام فذلك كفارة
ايمانكم اذا حلقتهم ، واحفظوا
ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته
لعلكم تشكرون) .

والرجل اذا ظاهر من امراته
بأن قال لها : أنت على كظهر أمي
حرمت عليه ولا يحل له أن يقربها
الا بعد الكفارة ، والكفارة تكون
باطعام الفقراء والمساكين وفي ذلك
يقول الله تعالى «والذين يظاهرون
من نسائهم ثم يعودون لما قالوا
فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا
ذلكم توعظون به والله بما تعملون
خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم
يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك
لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود
الله وللكافرين عذاب أليم» .

ومن أفطر بالجماع في شهر
رمضان لزمته الكفارة ، والكفارة
هي عتق رقبة فمن لم يجد فصيام
شهرين متتابعين فمن لم يستطع

خُصَّاصَةً وَمَنْ يَوقُ شَحْ نَفْسُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ » •
 اللَّهُ لَاغْلِبُنَا أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ مَزِيدٌ •

وحتى يتم ذلك ، وما ذلك على الله بعزيز - فان من حق الأقليات الإسلامية التي تعاني من جور الظالمين وطفغان الكافرين أن تشعر بهذا التعاون الذي يفرضه الاسلام على الدول الإسلامية التي منحها الله نعمة الحرية ، وأفاض عليها من الخير والثراء وبسط لها في الرزق وبذلك يمكن أن تكون الأمة الإسلامية التي قال الله عنها « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ويمكن كذلك أن تتحقق بين المسلمين في أرجاء الدنيا الأخوة الإسلامية التي لا تفرق بين مصري ويمني وهندي وباكستاني وعراقي وشامي ، بل تجعل المسلمين في أرض الله الواحدة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ••

وفي هذا العصر الذي تقاسى فيه الشعوب الإسلامية من آثار

والاسلام هو دين العالمين ، وليس دين العرب وحدهم • وهو دين الأزمنة والعصور جميعا منذ أشرقت الأرض بنوره الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة » وفي رواية أخرى « وبعثت الى كل أحر وأسود » والمضى على الروايتين واحد • ومادام الاسلام قد تخطى حواجز الأمكنة والأزمنة ، فان آدابه العالية ومبادئه السامية يجب أن تتخطى نطاق الزمان والمكان كذلك •

وبهذا يكون المسلمون في أرجاء هذا العالم مدعويين الى الجهاد في سبيل الله حتى تكون كلمة الله هي العليا وحتى يطولوا الاسلام •

ويتم نور الله ويتحقق وعده سبحانه وتعالى حيث يقول « كتب

تتلى في المساجد والمعابد ، وليس
الاسلام ركوعا وقياما ولا حجا
وصياما فحسب ، انما الاسلام
فوق ذلك كله عاطفة انسانية
واحساس بالآلام الناس وآمالهم ،
ومشاركة لهم في شعورهم وتعاون
على البر والتقوى لا على الاثم
والعدوان وأخوة كاملة ترفع عن
بنى الاسلام ضراوة الهمجية
والوحشية وتجعل الصغير بجوار
الكبير والقوى الى جانب الضعيف
كالبنين يشد بعضه بعضا .

الا ان الفجر المصادق في حياة
المسلمين لقريب ان شاء الله ،
ولقد بدأ الاسلام غريبا من العظمة
والغربة وسوف يعود غريبا في
عظمته كما بدأ ، والله العزة
ولرسوله وللمؤمنين .

والسلام عليكم ورحمة الله ..

وكيل الأزهر

دكتور / محمد الطيب النجار

التخلف الذي فرضه المستعمرون
والذي يتولى كبره الآن جنود
الشیطان وأعوان الباطل في كل
مكان ، في هذا الوقت العصيب
والجو الرهيب تظهر قيمة التعاون
الذي يفرضه ديننا الحنيف على
الدول الاسلامية التي تتوفر لها
الثروات الضخمة والاقتصاد
القوى المتين . كى تمد يد العون
الى الأقليات الاسلامية لتوفر
لها العزة والكرامة ، والحياة الآمنة
السعيدة ، وتبدلها من بعد ضعف
قوة ومن بعد خوف آمنا وطمأنينة،
وبذلك يرأب الصدع ، ويجتمع
الشمل ، وتعود للمسلمين عهد
القوة والمجد والسلطان .

فيأمة الاسلام ، ويا أتباع
محمد عليه الصلاة والسلام .

ان الاسلام جهاد وعمل ،
وعقيدة وإيمان ، وتعاون
وتضامن ، وليس الاسلام الفاظا
تجبرى على اللسان ، ولا ادعية

مناجم الحديث

لفضيلة الدكتور الحسيني هاشم
الذمين العام لجميع البحوث الإسلامية

الجسد وفي الروح بشرط أن تكون
الرواية صحيحة وأن يكون الراوي
تثبिता •

قال سفيان بن عيينة : « ليس
من أهل الحديث أحد الا وفي وجهه
نصرة لهذا الحديث » •

ومدح الرسول صلى الله عليه
وسلم حملة الدين الحقيقيين
الذين تجمعت فيهم أوصاف خاصة
هي الذكاء والحفظ والقدرة على
استخراج الطيب من الخبيث
والتعرف على الصحيح من السقيم
فقال : « يحمل هذا العلم من كل
خلف عدوله ما ينفون عنه تحريف
الغالين ، وانتحال المبطلين ،
وتأويل الجاهلين » • وقد روى
هذا الحديث من غير طريق
وتعددت طرقه بما يقتضيه حسنه

حث الرسول صلى الله عليه
وسلم على رواية الحديث وشجع
المسلمين عليه فقال : « نصر الله
امراً سمع مقالتي فحفظها
ووعاها وأداها » • وفي رواية :
نصر الله امراً سمع منا حديثاً
فبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى
من هو أفقه منه ، ورب حامل
فقه ليس بفقيه » •

وفي رواية : « نصر الله امراً
سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه
غيره فرب حامل فقه الى من هو
أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس
بفقيه » •

لقد دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحافظ الحديث وراوى
الحديث بالسعادة في الدنيا
والنعيم في الآخرة والبركة في

وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ السنة الصادقة وحذر من الكذب عليه فقال : « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

وقال : « من حدث عني يحدث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين » . وقال : « ان كذبا على ليس ككذب على أحد ، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . وفي هذا الحديث توجيه الى أهمية السنة وخطرها . ان الكذب فيها على الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كالكذب على غيره . اذ لا التزام على أحد باتباع غيره ولا الزام لأحد بذلك ان الكذب عليه عفيف الأثر يمتدوزه الى كل زمان وإلى كل مكان ، وقد يحدث من الآثار ما لا يمكن جبره . وعلى الكاذب عليه أن يتعرف مكانه أنه النار .

من هنا كان اختلاف العلماء في كذب الكاذب المتعمد على الرسول صلى الله عليه وسلم ولو كان غير

كما قال العلائي . . وفي هذا الحديث رسم لمنهج المدرسة الحديثية ووصف لرسالتها في الحياة . انها تميز الحق من الباطل وحماية الدين من كل دخیل عليه . قال النووي رحمه الله : « هذا — أي الحديث — اخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة هذا العلم ، وحفظه ، وعدالة ، وان الله يوفق له في كل عصر خلفا من العدول ، يحمونه وينفون عنه التحريف ، فلا يضيع ، ان في الحديث رسما لمنهج وأخبارا يتحقق هذا المنهج مصداقا لقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » والذكر هو القرآن ما يبينه من السنة الصحيحة ، وسنرى كيف يتحقق هذا الخبر على يد الأئمة الأفاضل من رجال الحديث . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن ، فخذوهم بالسنن ، فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل . وهو بذلك انما يبين خطر السنة النبوية ورسالة رجال الحديث .

مستحيل لذلك ولكم لم يختلفوا في أن من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث واحد عمدا فسق وردت رواياته كلها ويطلب الاحتجاج بجميعها حماية للسنة وحفظا لحرمة الرسول صلى الله عليه وسلم — بل لقد قال بعض العلماء بعدم ذهاب الفسق عنه بعد توبته وعدم قبول روايته بعد إقلاعه عن هذا الذنب العظيم .

وهذر الرسول صلى الله عليه وسلم من التحديث بكل ما سمع السامع فقال :

« كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع » . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع . وقال مالك رحمه الله : اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع ، ولا يكون اماما أبدا وهو يحدث بكل ما سمع .

والقصود من ذلك أن يتحرى الانسان في الرواية ويعرف وجوه الحديث لينتقى منه ما يصلح للعامة وما لا يصلح ، وما كان منه

عاما وما كان منه خاصا وما كان منه مقصودا لذاته وما كان منه غير مقصود . قال النووي : فيها الزجر عن التحديث بكل ما سمع الانسان فانه يسمع الصدق والكذب فاذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لاخباره بما لم يكن . ومذهب أهل الحق أن الكذب الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو . ولا يشترط فيه التعمد لكن التعمد شرط في كونه اثما . ولا يناقض هذا ما روى الامام أحمد في مسنده من عبد الله بن عمرو أنه قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه ، فنهستني قرشي فقالوا : انك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني الا حق » وقوله صلى الله عليه وسلم : « انى لأمزح ولا أقول الا حقا » وقوله : « انى وأن داعبتكم فلا

ودخل على الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله : أنت قلت لأبى هريرة كذا وكذا .. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : نعم فقال عمر : لا تفعل فأنى أخشى أن يتكل الناس فظلم يعملون . وقد أقره الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال « فظلمهم » لقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم قبلا ورأى عمر من بعده أن ظروف المسلمين الشاقة قد تدفعهم إلى الاسترخاء عند معرفة هذا الخبر . وأن المصلحة في عدم اعلامهم به حتى يتمودوا على الأعمال الصالحة ويتمرسوا بفعل الطاعات فلم يعلموهم به رغم صحته وما فيه من فائدة .

وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » .

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامين . أما أحدهما

أقول الا حقا » لأن النهى انما هو في حق غير النبي صلى الله عليه وسلم . ففيه توجيه الى التعرف على الرواة والتثبت من المشايخ وتعرف مجارى كلامهم وأساليبه واذا كان في كل ما يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم فائدة للمسلمين فان على المحدث أن يتعرف مناسبات الحديث وجو التحديث وأن يتلامح مع بيئته وظروفه : روى البخارى في كتاب العلم من صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان راكبا ومعاذ رديفه على الرحل فقال :

« يا معاذ بن جبل . قال : لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : ما من أحد يشهد أن لا اله الا الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار . قال معاذ : يا رسول الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا . قال : اذن يتكلموا » وأخبر بها معاذ عند موته تجنبيا لاثم كتمان العلم . وروى مسلم في كتاب الايمان : ان عمر رد أبا هريرة وقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يبشر الناس بمثل حديث معاذ

فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع
هذا اليلعوم .

وهذا الذى امتنع عن نشره هو
ما فيه أخبار الفتن والملاحم وما
يكون من الأحداث مما قد ينفر عن
الحكام ويخلق الفتن ويثير الأزمات
بلا فائدة ترجى منه . أو ما فيه
أخبار عن أمور غيبية تتصل بمعانى
المتشابهات أو تفصيل بعض
المشكلات مما لا تطبق الأنهام
فهمه ولا يقدر غير الرسول على
تفهمه .

ومن هنا كان ما قاله عبدالرحمن
ابن مهدى « لا يكون الرجل يقتدى
به حتى يمسك عن بعض ما سمع »
وكان أحمد بن حنبل يكره
التحديث ببعض الأخبار التى يكون
ظاهرها الخروج على الأمير وكان
أبو موسى يكره التحديث بالغرائب
وبالجملة كانوا حريصين على
عدم بث الفتنة أو فتح الطريق
أمامها برواية ما يسبب ذلك
وتوجيه الأنظار اليه محافظة على
سلامة الدين من أصحاب الأهواء
والشغب والفتن وغيرهم من
المعرضين والجاهلين .

وقد حمل الرسول صلى الله

عليه وسلم من سمع منه العلم
مسئولية تبليغه فقال بعد أن أمر
ونهى ويشر وحذر : « ألا ليبلغ
الشاهد الغائب » وقال : « ألا هل
بلغت » مرتين .

وقد دعا صلى الله عليه وسلم
لأبى هريرة بالحفظ ومدحه بحرصه
على الحديث .

وكان من هديه التطيى أنه اذا
سئل عن شىء لم يعلمه سكت حتى
يأتى الوهى بالجواب . وكان اذا
قال كلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم
عنه وكان كثيرا ما يطرح المسألة
على أصحابه ليجسذب انتباههم ،
ويختبر أنهامهم وكان يتخولهم
بالموعظة مخافة السامة عليهم
ويختار الأوقات الملائمة للوعظ
والتذكير والتدريس كوقت السحر
وبعد صلاة الفجر وبمد العشاء
ونحو ذلك . لقد رسم الرسول
(صلى الله عليه وسلم) منهج
التحديث ومنهج التلقى وحد
الحدود لأخذ السنة واعطائها .

وما جهود العلماء بعد ذلك الا
تفصيل لما أجمل وتقنين لما رسم .

دكتور الحسينى هاشم

ولاية الله للمؤمنين

للأستاذ محمد صابر البرديسي

قلبه • فلا يعمل عملاً يخالف
شريعة الله •

ومتى استشعر القلب في باطنه
بحقيقة الايمان ، وامتلات جوانبه
بنور الله ، فان الصورة الايمانية
التي تضيء قلبه لاتفترق عن
الصورة العملية التي تصدر عنه •
ان لكل شيء حقيقة ، وحقيقة

الايمان : أن يستشعر المؤمن
وحدانية الله في قلبه ثم تكون له
جدية تظهر في دنيا الواقع وفي
عمله ، فليس الايمان كلمة تقال
باللسان ، مع عمل يخالف الحال
والكلام ، فلا يطابق المقال المقام •
« قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل
الايمان في قلوبكم » (١) •

الايمان : ماقرر في القلب ، وصدقه
العمل — التصديق الثابت المتيقن
الذي لا يتزعزع ولا يضطرب •
فالايمن له مشاعر قلبية باطنة،
وقرت في القلب واستقرت فيه ،
من : اخلاص الاعتقاد بوحدانية
الله ، والتصديق بألوهيته بلاشك
ولا ارتياب •

وللايمان صورة حركية ظاهرة ،
هي : العمل •

فالعمل هو الدلالة الظاهرة
للايمان ، والتي لا بد من ظهورها
للعيان ، لتكون شهادة بالوجود
الفعلي للايمان •

ومتى أخلص العبد الاعتقاد
بوحدانية الله وأخلص العمل
والعبادة له دون سواه ، صفا

(١) سورة الحجرات آية ١٤ •

روى عن الحارث بن مالك

الأتصاري : أنه مر برسول الله

« صلى الله عليه وسلم » فقال :

« كيف أصبحت يا حارث » ؟ قال :

أصبحت مؤمناً حقاً . قال :

« انظر ما تقول ، فإن لكل شيء

حقيقة ، فما حقيقة إيمانك » ؟

فقال : عزفت نفسي عن الدنيا ،

فأسهرت ليلي ، وأظلمات نهاري ،

وكانني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ،

وكانني أنظر إلى أهل الجنة

يتزاورون فيها ، وكانني أنظر إلى

أهل النار يتضاغون فيها . فقال :

« يا حارث ، عرفت فالزم »

ثلاثاً .

هذه شهادة من رسول الله

« صلى الله عليه وسلم » للحارث

بأنه عرف حال نفسه ، وأنه مؤمن

حقاً ، وأن هذا الصحابي الذي

استحق شهادة الرسول « صلى

الله عليه وسلم » لم يكن إيمانه

مجرد إيمان ، وإنما كان مصحوباً

بالعمل والحركة المدفوعين بمشاعر

قوية ، ملأت عليه قلبه فأثرت

فيهما .

إن حالة الإيمان التي يجدها

المؤمن في قلبه تشرح صدره

وتؤنس نفسه ، وتزيل كربيه ،

وتطيب بها حياته ، ويطمئن لها

قلبه (إلا بذكر الله تطمئن

القلوب) (١) .

والمؤمن حقاً يكون في مدد المي

وأمن رباني ، يحمل بإيمانه ثقل

الدنيا وأكدارها ، فلا تكون أثقالها

ثقلاً على نفسه ، وإنما تكون له

أسباب قوة .

لا يضطرب من شيء ، وكيف

يضطرب وعنده الاستقرار ؟ لا

يخشى مخلوقاً وكيف يخشى ومعه

الله ؟

« أن من عباد الله عباداً أحبوا

ربهم حباً ملك عليهم قلوبهم

وجوارحهم ، فعدوا بهذا الحب

عباداً قانتين لله ، مداومين على

عبادته ، محافظين على اتباع

أوامره ، واجتناب نواهيه ،

مراقبين له في كل أحوالهم ، رغبة

ورغبة منه . أنهم بهذا يبلغون درجة

فالإيمان يأبى على المؤمن أن يفعل ما ينافيه ، أو يتترك ما يقتضيه .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم » (٢) .
وعد الله الذين آمنوا بهدايته لهم بسبب إيمانهم .

فما أعظم الإنسان حين يؤمن بربه ، ويعمل للتقرب من خالقه ، فيؤدى ما أمر الله به ، ويجتنب ما نهى الله عنه ، فمن آمن بالله واستقامت أحواله فإنه يصير من أولياء الله .

« ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون » (٣) تبين الآية : أن المؤمنين يتولاهم ربهم فى شتى شئونهم ، فلا خوف

رهيمة ، ومنزلة عالية ، ويصبحون أولياء لله . وأحباء له وأقرباء منه تذكر أسمائهم بذكر الله بصفاء قلوبهم ، واشراقه وجوههم ، ويذكر الله برؤية غيرهم لهم .
عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » . أن الله تعالى قال فى الحديث القدسى : « ان أوليائى من عبادى ، وأحبائى من خلقى ، الذين يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم (١) » .

وكما يدفع الإيمان صاحبه الى العمل الصالح فإنه يمنعه من اقتراف المعاصى ، ويكون حائلاً بينه وبين الموبقات ، لأن الإنسان فيما يفعل وفيما يصدر عنه خاضع لسلطان عقيدته ، ومسير بأمرها ، ولهذا يقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

(١) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٢) سورة يونس الآية ٩ .

(٣) سورة فصلت الآيات (٣٠ ، ٣١) .

وعن أبي ذر قال : قيل لرسول
الله « صلى الله عليه وسلم »
أرأيت الرجل يعمل العمل من
الخير ، ويحمده الناس عليه ، قال :
« تلك عاجل بشرى المؤمن » (٣) •

وقد يكون من البشرى في الدنيا
الصبر عند الابتلاء ، فالمؤمن
يبتلى في دنياه بالوان الابتلاء ،
فلا يشعر أنه المرزا المبتلى •

« ولقد كان المسلم يضرب
بالسيف في سبيل الله ، فتقطع
ضربات السيوف على جسمه
فتمزقه ، فما يحسها الا كأنها
قبيلات أصدقاء من الملائكة ،
يلقونه ويمانقونه » (٤) •

وعمار بن ياسر وأهله وغيرهم
من الرعيل الأول المؤمنين السابقين
قد لقوا من صنوف المذاب
والتكيل ، ماتتشر له الأبدان
وتتو عن حمله الجبال « أن عمارا
ملئ أيماننا من رأسه الى قدمه ،

عليهم ولا حزن يحترهم •
والأمة المؤمنة يمدحها الله بعونه
وينصرها بقدرته ، ويبدل خوفها
أمانا ، ويستخلفها في الأرض ،
ويمكن لها من إقامة شريعة الله •

« وعد الله الذين آمنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الأرض كما استخلف الذين من
قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي
ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم أمانا » (١) •

ذكر عن عبادة بن الصامت أنه
قال لرسول الله (صلى الله عليه
وسلم) •

قال تعالى « لهم البشرى في
الحياة الدنيا وفي الآخرة » لقد
عرفنا بشرى الآخرة : الجنة • فما
بشرى الدنيا ؟

قال : « الرؤيا الصالحة يراها
العبد أو ترى له ، وهي جزء من
أربعة وأربعين جزءا من
النبوة » (٢) •

(١) سورة النور الآية ٥٥ •

(٢) تفسير ابن كثير ص ٢ ص ٤٢٣ •

(٣) رواه مسلم •

(٤) مصطفى الرافعي •

واختلط إيمانه بلحمه ودمه » •
 والعبارة بالتضحية ، وما يقدمه
 المؤمن لدينه وأمته ، فالتضحية
 هي جوهر الإيمان •

تلك يشرى المؤمنين في الدنيا •
 أما بشرهم في الآخرة وما يتصل
 بها ، فإن المؤمن إذا حضرته الوفاة
 وانقطع خيطه من الدنيا ، كشف

عنه العطاء ، فيرى مقعده في
 الجنة ، فيحب لقاء الله ، ويحب
 الله لقاءه ، فإذا ثوى في قبره ،
 وسوى عليه التراب ، جعل الله
 قبره روضة من رياض الجنة ،
 ويوم يحشر الناس من قبورهم
 وقاه الله شر ذلك اليوم ، ولقاه
 نصرته وسرورا ، فإذا استتدت
 الشمس على الرعوس ، أظله الله
 في ظله يوم لا ظل الا ظله ، ثم

أرجو الله أن ييسر المسلمين
 بدينهم ، وأن يهديهم إلى الإيمان
 الكامل ، وأن يمكن لهم دينهم
 الذي ارتضى لهم ، حتى يحكموا
 بكتاب الله ، ويطبقوا في الأرض
 نظم السماء ، فيعم العدل والرخاء
 وتصبح الأرض كلها جنة ، والناس
 كلهم ملائكة •

محمد صابر البرديسي
 مدير مجلة الأزهر

دراسات فترآنية ،

الإيمان بالله كما يفنيه القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ مصطفى الطير

قال الله تعالى في سورة البقرة « ان الذين آمنوا والذين هادوا
والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) » .

البيان

على الأجر ويؤمنوا من الخوف ،
وهم يؤمنون بالله واليوم الآخر
ويعملون الصالحات ، ولم تطلب
الآية منهم أن يؤمنوا بالنبي
وما أنزل عليه حتى يحصلوا على
الأجر ويؤمنوا من الخوف وقد
أساء هؤلاء فهم الآية فضلوا عن
سواء السبيل ، وباعوا بغضب من
الله لانحرافهم بذلك عن حقيقة
الاسلام .

(الآية تدعوهم الى الايمان بالله)

لو كان ما عليه أهل الكتاب
والصابئة ايمانا بالله لم يشترطه
القرآن عليهم لكي يحصلوا على

جاء مثل هذه الآية في سورة
المائدة بتقديم الصابئين على
النصارى ، ورقمها هناك (٦٩) وقد
أساء بعض المعاصرين فهم الآية
على صورتها ، حيث زعم أن
اليهود والنصارى والصابئين ،
مأجورون يوم القيامة ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون — وان لم
يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم
وما أنزل عليه — لأن الآية في نظره
تدل على أن المطلوب من هذه
الطوائف أن يؤمنوا بالله واليوم
الآخر ويعملوا صالحا ، ليحصلوا

أصلح ما أفسدته الأديان ،
 اذ يناديهم بقوله سبحانه في سورة
 آل عمران « يا أهل الكتاب تعالوا
 الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن
 لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا
 ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من
 دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا
 باننا مسلمون » أى أنهم ان لم
 يستجيبوا الى ما دعاهم اليه من
 دين التوحيد وترك ما هم عليه
 مما ينافيه ، فانهم بذلك لا يكونون
 مسلمين ولا مؤمنين بل كافرين
 خالدين في النار ، وأشهدهم على
 أن المسلمين هم الذين دانوا بدين
 التوحيد ، وهم محمد وأصحابه •
 وقد توعدهم على كفرهم بآيات
 الله بقوله تعالى لرسوله في سورة
 آل عمران « قل يا أهل الكتاب لم
 تكفرون بآيات الله والله شهيد
 على ما تعملون ٩٨ » كما توعدهم
 على صدهم عن سبيله بقوله له
 أيضا « قل يا أهل الكتاب لم تصدون
 عن سبيل الله من آمن بغافل
 عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل
 عما تعملون » •

الأجر وينجوا من الخوف ، ولكان
 نظم الآية هكذا : ان الذين آمنوا
 والذين هادوا والنصارى
 والصابئين — من عمل منهم صالحا
 فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف
 عليهم ولا هم يحزنون — ولكنه
 اشترط عليهم الايمان بالله واليوم
 الآخر بقوله « من آمن بالله
 واليوم الآخر » لكي يحصلوا على
 الأجر كما يحصل عليه المؤمنون
 الذين صدرت بهم الآية — فكان
 النص يقول — ان الذين آمنوا
 بالله ورسوله ، وكذا اليهود
 والنصارى والصابئون لو آمنوا
 بالله ايمان المؤمنين ، بأن دانوا
 بشريعة التوحيد التي أصلحت
 ما أفسده أهل الأديان ، فلهم
 أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
 ولا هم يحزنون • • فالآية في
 الحقيقة دعوة لهم الى الايمان بالله
 ايمانا نظيفا من الشرك والولدية
 والوثنية ، وترك ما هم عليه من
 الأفكار الخاطئة في الله تعالى ،
 وترك الديانات التي انتهت بهم
 الى عقائدهم الفاسدة ،
 والاستجابة الى دين الحق الذي

عقائدهم في الله أبعثتهم من الايمان به ..

يقول الله تعالى في سورة التوبة «وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون» ويقول في سورة المائدة «واذ قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن اقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شىء شهيد» .

واليهود يعتقدون أن الله تعالى يخطئ ويصيب كالبشر ، فإذا تبين له خطأه ندم ويكى ، ويزعمون أنه ندم على الطوفان الذى أهلك به عصاة البشر ، وأنه

يبكى من أجل هذا الخطأ ، كما يزعمون أنه صارع يعقوب حتى الفجر ، ولم يستطع الافلات منه الا بعد أن ضربه فى حق وركه ، وأصابه من أجل ذلك بحرق النسا ، وأنه تعالى غير اسمه من يعقوب الى اسرائيل لشجاعته وجهاده ومصارعته لربه — هكذا قالت التوراة — فانظر سفر التكوين . اصحاح ٣٢ فقرة ٢٣ — ٢٨ .

والايمان بالله فى الاسلام لا يبيح مثل هذا الاعتقاد فى الله ويرفضه ويكفره ، كما أن العقل المستقيم لا يقبل أن يطلب البشر خالق الكون ، ولا يوافق على هذا العبث الماجن ، حيث تصور التوراة المقتدر الجبار بمصارع عابث وواهن عاجز لا يستطيع أن يفلت من البشر الذى يصارعه الا بعد أن يضربه فى فخذه .

والنصارى تخبطوا فى شأن المسيح ، فجعلوه ابن الله تارة ، وثالث ثلاثة تارة ، وجعلوه هو الله تارة أخرى ، واعتقدوه فى كل هذه الصور شخصا ساذجا ضعيف الفكر ،

انصار ٧٢ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا الله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم ٧٣ » .

وحسبك هذا القدر في تصوير الايمان بالله عند اهل الكتاب ، دون أن نعرض لتفاصيل أخرى ، ومعلوم أن العهد القديم موضع التسليم من اليهود والنصارى ، وحسبك في الرد عليهم قوله تعالى في سورة الزمر « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » وقوله سبحانه « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » وقوله « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » .

أما الصابئة فمع ايمانهم بالله ووصفه بالأزلية والأبدية ، يتوصلون الى عبادته بعبادة الكواكب كما تبينه ، ولما كان ايمانهم بالله مشوبا بالاشراك به في

اذ يسلم نفسه لخصومه اليهود ليصلبوه ويقتلوه على زعم تكفير خطايا البشر ، مع أنه يضاعف فنبهم بتمكينهم من قتله ، في حين أنه يستطيع العفو عنهم دون أن يرتكبوا اثم قتله ، وكيف يستطيع البشر قتل الههم أو ابن الههم ، وكيف كان حال الكون حين قتله ، ومن كان يدير شئونه بعد قتله وقبل قيامه من الموت .

وكيف يستقيم أن عيسى هو الله ، وقد جاء في أناجيلهم الأربعة المعتمدة لديهم ، أنه خاطب الله تعالى وهو مصلوب قائلا « ايلي ايلي لما شبعقتي » أي الهى الهى لماذا تركتني لليهود ليصلبوني ويقتلونى .

لقد أنكر القرآن عنهم كل ذلك وحكم بكرهم ، وقضى بعقابهم ، قال تعالى في سورة المائدة « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من

في سورة النساء « وما أرسلنا من رسول الا ليطاع بأذن الله (٦٤) » وقال « من يطع الرسول فقد أطاع الله (٨٠) » وهذا النص شاهد بأن من يعصى الرسول فقد عصى الله .

واعلم أن شريعة كل رسول ناسخة للشريعة التي قبلها بما اشتملت عليه من أحكام جديدة تناسب الأمة التي شرعت لها ، وأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم — مع نسخها للشرائع التي سبقتها ، فهي عامة لجميع الخلائق ، منذ بعثته الى أن تقوم الساعة ، قال تعالى في سورة الأعراف « قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا » وقال في سورة النساء « وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا » وقال في سورة سبأ « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .

وقد صدقت رسالته صلى الله عليه وسلم رسائل النبيين قبله فيما اشتملت عليه من العقائد وأصول الأحكام ، قال تعالى في سورة آل عمران « نزل عليك

المعجزة ، فانه لا يعتبر ايمانا به سبحانه ، ولهذا لا ينجى صاحبه من أشد العقاب ، قال تعالى « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق » وقال « ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية » .

من لم يؤمن برسالة محمد فهو هالك خلال مبين أن يزعم أحد صحة الايمان بالله وكفايته في النجاة مع الكفر برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فالكفر برسول الله كفر بالله الذي أرسله وتمرد عليه ، ولهذا قال تعالى في سورة النساء « ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخفوا بين ذلك سبيلا (١٥٠) » أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا (١٥١) » فالحل سبحانه لا يرسل رسولا الا ليطاع بأذنه ويعمل بشريعته ، والا كان إرساله عبثا ، وتعالى الله أن يكون عبثا ، ولهذا قال سبحانه

الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه •

وكما صدقت رسائل النبيين فيما جاء بها من الحق ، ردت ما جاء فيها من عبث العابثين وتبديل المبدلين ، وبيئت الحق فيه ، غفى شأن عيسى - مثلا - قال تعالى في سورة المائدة « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل واهم صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون » • ولهذا كان القرآن مهيمنا على تلك الرسائل السابقة ومبين لما فسد فيها ، كما قال تعالى في سورة المائدة « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق » •

وحيث كان محمد من ربه على هذه المكانة الرفيعة ، فيجب الايمان بنبوته وعموم رسالته ونسخها لما قبلها من الرسالات التى عبث بها أصحابها ، ومن لم يفعل ذلك فهو كافر ومضير

جنهم ، قال تعالى في سورة النساء « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وسامت مصيرا » وقال سبحانه في سورة البينة « ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية » •

وقد بين القرآن أن الرسول يشهد يوم القيامة على من كفر به فتسوء حالته ، قال تعالى في سورة النساء « فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (٤١) يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا (٤٢) » •

وحذرهم عاقبة كفرهم بآيات الله الشاهدة على صدق رسوله فقال في سورة النساء « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما (٥٦) » •

كما حذر اهل الكتاب من كفرهم

من محمد عبد الله ورسوله الى
هرقل عظيم الروم ، السلام على
من اتبع الهدى ، أما بعد فإني
أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم
تسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين ،
وان توليت فان عليك اثم ،
اليريسين — أى عامة الشعب —
ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا
الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ
بعضنا بعضا أربابا من دون الله
فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا
مسلمون » •

فأنت ترى أن النبي صلى الله
عليه وسلم لم يعتبر هرقل
النصراني على هدى ، ولهذا قال
له : السلام على من اتبع الهدى ،
ولو اعتبره على هدى لقال له :
السلام عليك ، كما أنه دعاه الى
الاسلام ، لأن إيمانه بالله كإيمان
النصارى بيسى ، وهو إيمان
فاسد ، والاسلام جاء ليصلح ما
أفسده أهل الكتاب ، وليأخذ بيد
البشرية لتسلك الجادة الآمنة الى
نعيم الخلود ، وتبتعد عن تيهاء
الضلال ، وتتجنب عذاب السعير •

به فقال في سورة النساء أيضا
« يا أيها الذين آمنوا أكتب آمنوا
بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل
أن نطمس وجوها فنردها على
أندبارها أو نلغنها كما لغنا أصحاب
النسب وكان أمر الله
مفعولا (٤٧) » •

أبعد هذا البيان مستتبطا من
آيات القرآن ، يتوهم أحد أن من
يؤمن بالله ويكفر بمحمد يكون
ناجيا ، أن من ينحدر الى ذلك
الفهم الخاطيء هالك خالد في نار
جهنم والعياذ بالله رب العالمين ،
« فماذا بعد الحق الا الضلال فإني
تصرفون » وماذا بعد الضلال
سوى سوء المصير •

دعوة هرقل الى الاسلام ومدلولها
لا يوجد من هو أعلم بمقاصد
القرآن ممن أنزل عليه القرآن ،
وأنت — أيها القاريء الكريم —
تعلم أنه صلى الله عليه وسلم
دعا هرقل عظيم الروم — وهو
نصراني يؤمن بالله إيمان
النصارى به — دعاه الى الاسلام
بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم » •

بالله الذى تكون به النجاة من
الخلود فى النار ، ويحتر الكفر به
كقرا بمن أرسله وأيده بكتابه
العظيم •

« أن الدين ضد الله الاسلام »

هذه الآية تقتضى أن جميع
الأديان الالهية ، تشترك فى معنى
الاسلام وقواعده القلبية والعملية
فأما معناه الذى تشترك فيه فهو
المعنى العام ، وهو الاستسلام
والخضوع لله رب العالمين ، وأما
قواعده القلبية فهي الايمان بالله
وملائكته وكتبه التى أنزلها على
رسله ، وسلمت من تغيير أصحاب
الهوى ، والايان برسله جميعا
دون استثناء أحد منهم ، ولا
تفريق فى التصديق بينهم ،
والايان باليوم الآخر وما فيه من
ثواب وعقاب ، والايان بالقدر
خير وشره •

وأما قواعده العملية المشتركة ،
فالاعتراف برسول الأمة ، وبجميع
الرسلك - سابقهم ومعاشرهم
ولاحقهم - وأصول الشرائع
والأخلاق ، من صلاة وصيام

ولقد اختتم النبى صلى الله
عليه وسلم كتابه الى هرقل
بإذاره بأنه أن تولى وأعرض عن
الاسلام الذى دعاه وأمته اليه ،
فان عليه اثم عامة الشعب فوق
اثمه ، لأنه لم يبلغ دعوة الاسلام
اليهم ، ثم نبههم الى توحيد الله
والامتناع عن اتخاذ أرباب من
البشر ، وختم كتابه اليه ، بأنهم
أن أعرضوا عما دعاهم اليه ،
فليشهد هو ومن معه من أهل دينه
أننا نحن المسلمون دونهم •

فاقرأ حديث هرقل فى صحيح
البخارى - كتاب بدء الخلق
ج ١ ص ٥ - طبعة قديمة ، قبيل
كتاب الايمان مباشرة ، وسترى
فيه فصل الخطاب وهدى الحيران
بمشيئة الله تعالى •

وكما دعا هرقل الى الاسلام
دعا المقوقس عظيم القبط اليه ،
ومن ذلك يفهم أن الاسلام الذى
يدعو اليه القرآن ويأمن به صاحبه
من النار هو الذى يدعو اليه محمد
صلى الله عليه وسلم ، ومن أجل
ذلك يعتبر الايمان به وبالقرآن
الذى أنزل عليه أساسا فى الايمان

وكل حين بأصوله المشتركة ، وبفروعه وتفصيلاته الخاصة به ، يمثل الاسلام الخاص بأمة وبرسوله ، ويسمى كل من النوعين اسلاما ، لما فيه من الاستسلام والخضوع لله رب العالمين .

وشريعة كل رسول تنبئ شريعة من قبلها في أمة هذا الرسول ، وتوجب على أمة أن يدينوا بها ويتركوا الشريعة التي قبلها ، لما فيها من تغييرات تناسبها وفي ذلك يقول الله سبحانه « **لَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْكُمْ شَرْعٌ وَمِنْهَا جَاءَ لَمْ يَفْعَلُوا فَمِنْهُمْ بِرَسُولِهِمْ وَبِرِسَالَتِهِ كَافَرُونَ ، كَمَا حَدَّثَ مَنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ حِينَ رَفَضُوا رَسُولَ عِيسَى** » فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون » .

ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يبلغ الناس عموم رسالته فقال « **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** » وأيد ذلك بقوله « **وَمَا**

وَزَكَاتُهُ وَبِرَ لِلَّهِ الدِّينَ ، وَحَرَمَةَ المدوان بغير حق ، وغير ذلك من عموم الأحكام والعبادات ومكارم الأخلاق » .

ومع اشتراك هذه الأصول العملية بين جميع الأديان ، فإنها تختلف في صورها وأحوالها ، لكي تناسب عصرها وأمتها ، فالصيام في شريعة أمة ، يختلف في كيفيته ووقته ومقداره عنه في شريعة أمة أخرى ، والصلاة في أمة قد تختلف في كيفيتها وشروطها وأوقاتها عنها في أمة أخرى ، والزكاة في أمة قد تختلف في أنواع الزكويات ومقدار النصاب ومقدار الزكاة ووقت اخراجها عنها في أمة أخرى ، الى غير ذلك فالأمور المشتركة من العقائد وأصول الأحكام تمثل الاسلام المشترك بين الأديان السماوية ، وهو الذي يعنيه قوله تعالى « **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** » وكل ما خالف تلك الأصول فهو من وضع أصحابه كادعاء البشرية في الله وأن له ولدا وأنه ثالث ثلاثة الى غير ذلك من الفساد في الأصول .

أرسلناك الا كافة للناس بشسرا
ونفيرا » •

كلمة عن ديانة الصابئة

في سهل الموصل جماعة يسمون
الصابئة ، يؤمنون بأن الخالق
واحد أزلى ، لا أول لوجوده ولا
نهاية له ، منزّه عن عالم المادة
والطبيعة ، وهو الذى أوجدها ،
ولكنهم مع هذا يتقربون اليه
بعبادة الأفاك والكواكب ،
زاعمين أنها أقرب الأجسام المرئية
الى الله تعالى ، وأنها حية خالدة
ناطقة ، وأن كل ما يحدث في
العالم يكون على حسب ما تجرى
به الكواكب حسب أمر الله لها ،
فمظلّموا ثم جعلوا لها تماثيل
وأصناما ترمز اليها فعبدوها ، فهم
كالمشركين الذين عبدوا الاصنام

لتقربهم الى الله وبما أنه تعالى لم
يقبل من المشركين اعترافهم بالله
خالقا ، مع اشراكهم غيره معه في
العبادة ، فكذلك الصابئة لا يقبل
الله منهم اعترافهم بأنه هو الخالق
مع اشراكهم غيره معه في العبادة ،
قال تعالى ان الله لا يفر ان
يشرك به ويفسر ما دون ذلك لمن
يشاء » فالله سبحانه يرفض
الوسائط في عبادته بقوله « وما
خلقت الجن والانس الا
ليعبدون » ويقول في الحديث
القدسى « انا أغنى الشركاء عن
الشرك من عمل عملا أشرك فيه
معى فمى تركته وشريكه » والله
يقول الحق وهو يهدى السبيل •

مصطفى محمد الحيدى

الطبر



نظرات هادفة :

عالم الدين عندنا وعندهم

للدكتور محمد رجب البيومي

وأذكر منها موقفه الرائع حين ولج الكنيسة لصن مجرم أخذ يجمع التحف ويسرق السجاد والبسط ، وقد عثر عليه الضخم في لحظاته الأخيرة فاقتادوه مكبلا إلى الشرطة وعلم رئيس الكنيسة بالامر فبادر إلى المجرم ، وفهم من قصته أنه فقير لا يجد قوت أطفاله ، فسمى إلى العفو عنه ، وقدم له من العطاء الجزل ما يفى بحاجته ثم أخذ يقدم له نصائح الحياة ، في وعظ على مؤثر حتى رده إلى دنيا العفة والكرامة ، وهكذا شاء الأديب الفرنسي أن يقدم لقراءه ومشاهديه رجل الكنيسة في أعطر أفق ، وأوسع مرأى وكأنه عندهم ملك لا انسان .

أثار هذا المشهد الرائع في نفسي

قرأت قديما قصة البؤساء التي كتبها الأديب الفرنسي الأشهر فيكتور هوجو ، ثم شاهدتها تمثل معربة على الشاشة البيضاء بمصر ، فرأيت رجل الدين المسيحي يأخذ بين أبطال الرواية أرفع مكان اذ تجلى في أنبل المواقف الانسانية وأقربها إلى معاني الايثار والكرامة والتضحية والاحساس حين صوره المؤلف الكبير في صورة الاسس المثالي الذي يلقي كلمة الله فيواسى المنكوب ويعمل على اسعاد الفقير ويمسح دموع الأيامي والثاقل ، وهو بهذا يقدم رحمة الله للبائسين والتعساء ، وقد رسمه الكاتب في عدة مشاهد تنطق بهذه المعاني لا في مشهد واحد !

في نفوس المشاهدين ، مزعزت مكانة عالم الدين اذ لا يخلو أمامهم من أحد أمرين ، اما أن يكون عاقلا داهية فهو مراب ولمس وفاجر ، واما أن يكون مجنونا مستهترا فهو مهرج بهلوان !

ذلك مزلق وبىء تسقط فيه الاقدام المفرضة سقوطا بعيد المدى سميء المنقلب لانه في أبسط نتائجه يوحى بأن الدين الاسلامي قد عجز عن تكوين علمائه تكوينا انسانيا يقدم المثل ، ويعطى الشاهد ، وهو تبعا لذلك أعجز من أن ينشئ أجيالا تفهم معنى الخير والرحمة وتسمى بالتسامح والهداية بين الناس ، وأنا لا ادعى العصمة لعالم الدين ، اذ أنى اعرف أن كل طائفة من الطوائف تضم الخبيث والطيب ، وتجمع الصالح الى الطالح ، ومع ما أعرفه من ذلك فأنى أقرر أن نسبة الشاذ بين رجال الدين في الاسلام لا تقاس اطلاقا بنسبة المنحرف من غير رجال الدين بمعنى أن المنحرف من علماء الشريعة يمثل

خواطر الائمة ، حين تذكرت موضع عالم الدين الاسلامي لدى نفر كبير من كتاب المسرحية العربية اليوم ، اذ دأب الكثيرون على انتقاصه زورا ، والصاق المثالب به بهتاناً وقد يفجر أحدهم فجورا يكذب به على الله وعلى الناس حين يعمد الى مشمود أمي فيلبسه عمامة ، ويطلق له لحية ثم يجعله واعظا داعية في الظاهر ليطلع الناس منه على باطن دنيء كله احتيال وعهر وتسفل ، وهو بمد صاحب عمامة يتلو آية ، ويقرأ حديثا ، ويقتم على مسبحة ! حتى قدم علينا وقت لا نرى فيه غير أشباه من يسمون (بالشيخ متلوف) في مذهب هؤلاء ، وهو آدمى هزاة ضحكة يلبس العمامة والقفطان ليرفه عن الحاضرين بحركات صبيانية واشارات بهلوانية ثم ينطق بلغة بين الفصيحة والعامية ، يتقمّر في حروفها ، ويتماجن في نبرها ليثير الضحك من لثة الضاد أيضا ، وكان الفصحى هدف آخر للمناوأة والمعاداة ، ثم تنتهي الرواية وقد أوجت ظلالها الكثبية

عند أحد لوجدته عند علماء الدين ،
وهم هم هؤلاء أمامكم كما يعرضهم
الفنانون !

هذا التواطؤ المنكر على تشويه
عالم الدين ! لا يقف عند اصطیاد
الهفوات الصابرة لتضييمها
وتجسيمها كي تذاع على النظارة
بألف مذياع ، ولكنه يعمد إلى
مواقف الكرامة المثالية لدى
الأفذاذ من العلماء ليشوه وسامتها
الرائعة بعمد أن بهرت العيون
وملكت الأبواب ، وتلك وقاحة
سفيرة تتطلب التأديب دون مراء .
وواضح أننا لا ندعو إلى الإطراء
الباطل ، ولكننا نفكر أن يكون عالم
الدين وسيلة للأسقاط الدنيء لدى
أناس يسرهم أن تكون الرذيلة
قاسما مشتركا بين الجميع ! ولكي
أوضح ما أعنيه من الإطراء
المنصف ، استشهد هنا بشخصية
العز بن عبد السلام لنسرى كيف
نظر إليها روائيَان مختلفان !

كان العز بن عبد السلام سلطان
العلماء في عصره ، وكان من المهابة
والعزة والكرامة والتجلة بحيث

الاستثناء النادر لا القساعة
المطردة ، أما الطوائف الأخرى
فنسبة المخرفين فيها لا تسمح
بالموازنة بحال ، فماذا يريد هؤلاء
المفترون حين يصممون على تشويه
عالم الدين ، وكأنه وحده هدف
لكل تجريح .

نحن نعرف أن الأسقاط من
الحيل العدوانية لدى الإنسان ،
ومعناه أن يرمى الإنسان غيره
بدائه لينجو من التثريب ، وإذا
كان عالم الدين هو الهلدى إلى
البر ، والداعى إلى المعروف ،
والمندد بالفساد هؤلاء نفر من
الكتاب يجدون راحة نفسية في أن
يظهروه في غير مظهره ، وكأنهم
من ناحية أولى يريدون أن ينتقموا
لأنفسهم من هذا الذى يحذرهم

عقوبة الله اذ ينفذ مسالكهم
المشبوحة على رموس الأشهاد ،
ومن ناحية ثانية يقولون للناس
لا تصدقوا أن مبادئ الإسلام
وأخلاقه الرفيعة شيء على يتاح
في الحياة ، ولكنها مسائل نظرية
تقال فقط ! ولو وجدت تطبيقتها

أصبح بعض من عناهم شوقي حين
قال :

كانوا أجل من الملوك جلالة

وأعز سلطانا وأبهى مظهرا

من كل بحر في الشريعة زاهر

وبيريكه الخلق العظيم غضنرا

وقد كان بطلا روائيا في قصة

والسلامة للاستاذ على أحمدباكثر

رحمه الله وفي قصة السلطان

الحائر للاستاذ توفيق الحكيم ،

فلننظر الى ما صنع الكاتبان :

لقد كان الاستاذ ياكثير رحمه

الله رجل صدق واخلاص وفن ا

فقد قرأ تاريخ المعز ورأى من

شجاعته الرائعة في مواجهة الطغاة

ثم في مقاومة الصليبيين والتتار

معا ، ما كاد يعز نظيره في عشرات

الاجيال ، فعرف أن مواقف الرجل

العظيم بحقائقها المذهلة تغنى عن

كل خيال فالكاتب عادة لا يلجأ

للخيال الا ليزين الواقع ويجمله

ويقربه من الضواطر والاذهان ،

فاذا كان الواقع نفسه أبهر من

الخيال ، فإن الكاتب رحمه الله قد

جعل من واقع المعز بن عبد السلام

مجال امتاع خصيب يرضى العقل

وينغذى الشعور ويحيى الوجدان ،

ولذلك جاءت قصته الباهرة

« وا اسلاماء » آية للسائلين ا

اما الاستاذ توفيق الحكيم فلم

يكن رجل صدق واخلاص ، ولكنه

كان رجل فن فقط ، اذ جعل المعز

ابن عبد السلام رجل كفاح ونضال

وعزة في بعض مواقفه ، والى هنا

فالكاتب صادق لم يتخيل ما يشين ،

ولو دار في هذا المدار وهذه لمضي

بخط ياكثير من الانتبان ، ولكنه

افتري على الحق حين جعل المعز

عاشق غانية يلين لها ويتوسل !!

وما هكذا كان المعز ولن يكون وقد

كان هذا الاحدار الشائن مدعاة

غضب عنيف من الفاقهين ،

واذكران المغفور له الاستاذ أمين

الخولي قد نقد هذا الاسفاف

بجريدة الاهرام نقدا ساطع

الدليل ، واضطر الاستاذ توفيق

أن يلتمس من يدافع عنه فقال من

يبرر مسلكه : ان الروائي لا يتقيد

بالتاريخ وانما يريد ان يصور

النفس البشرية ، ولكل نفس مهما

ارتقت مثالب ومحرجات والمزوان

لم يكن في تاريخه ما يوهى بهذا

أئمة ، يصلح تاريخ الواحد منهم أن يكون تاريخ عصره جميعه ، فأنت اذا تحدثت عن تاريخ سعيد بن المسيب أو الحسن البصرى أو مالك بن أنس أو أحمد ابن حنبل فى قصص تاريخية، تقوم كل قصة على تصوير مواقف العزة والمروءة فستجد من هؤلاء وأمثالهم ما وجده الأستاذ على باكثير فى العز بن عبد السلام ، وكتابة تاريخ هؤلاء الاغذاذ فى ثوب قصصى واجب مفروض على المخلصين من رجال القصة لأن تراجم هؤلاء فى كتب الطبقات لا تقيس للشعبية المتطلعة فى عصر المسرح والسينما والتلفزيون وان قراءة قصة غرامية أو حكاية بوليسية لأفضل لديهم من صف قديمة تتحدث عن القدماء ! فاذا ما نهض فضلاء من أمثال باكثير رحمه الله لتسجيل حيوات أئمة رمعوا كرامة العلم وأعزوا كلمة الاسلام فسيعلم جمهرة القارئىن كيف كان عالم الدين فى الاسلام وكيف يتحدث عنه المتحدثون .

أذكر أن فقيده البيان العربى

المسلك ، فهو بشر ينتظر ان يحدث منه هذا وان لم يحدث !! وهذا كلام باطل لأن العز وأمثاله قد تغلبوا على النوازع المنحدرة وعاشوا فى أفق الطهارة ، فمحاولة الصاق التهم بهم بدعوى أنهم معرضون لها كبشر ، محاولة هابطة ولها دلالة خبيثة لا تشرف كاتبها كالحكيم ونحن نسأل الكتب بربه أيرضى لنفسه ان يجعل منه كاتب آخر بطلا روائيا يصور السرقة والزنا يدعوى أنه يشترى تعرض للانحدار !! واذا كان لا يرضى لنفسه هذا وهو باريسى «متفرنج» أميرضاء لسلطان الطماء العز بن عبد السلام ! انا لا أتردد لحظة فى ان أقول ان هذا الذى يتجه هذا الاتجاه ممن يتسسترون بالفن ليلحقوا التهم بالشرفاء أحد الذين عناهم الله عز وجل حين قال :

« ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون » .

ان تاريخ علماء الاسلام على حد عصوره يفيض بسير أعمال

الخابر ، وقد عرف مكانه الطبيعي من القيادة البصيرة والهدى المستقيم ، كما تحتم على المجتمع أن يعلم أن عالم الدين شمس تضىء لا رجل يهتال ويختل ويسف ليعيش !

لقد صدر عن مارتن لوتر وهذه في أوربا أكثر من عشرين رواية أدبية تتحدث عن اصلاحه الديني كما صدرت روايات هادفة عن اغسطن وكلن وتوماس ألاكوين ثم رسم هيجو واضرايه مسورا زاهية لأناس متخيلين لا حقيقيين يمثلون الشخصية المحترمة لعالم الدين فإذا كان كتاب الرواية عندنا اليوم يقلدون أساتذتهم الأوروبيين فيما يعالجون من فنون • فلماذا لا يقلدون صنيعهم المثالي في تقدير الرسالة الحية لعالم الدين ! إن كان لابد من التقليد المترسم لدى أناس يرون طريق الغرب أقوم سبيل •

د • محمد رجب البيومي

الاستاذ مصطفى صادق الرافعي رضى الله عنه قد كتب في أوائل الثلاثينيات بقلمه الساحر سير نفر من الأئمة على صفحات الرسالة وقد جمعت فيما بعد في وحى القلم فجذبت الانظار الى نوع من الأدب الاسلامى الحى ينفرد من حملة الاصلاح الدينى أدوا رسالتهم الحية في مباربة الشهوات وكانوا يسيرهم الطاهرة موضع الاسوة لمن ينشدون عزة النفس وشرف الحياة ، ولكن أسلوب الرافعي من القوة والعمق والدقة والايغال بالمكان الذى يرضى الخاصة ويعلو على العامة، ولا بد لاكمال رسالته في هذا المضمار من أن تعاد سير هؤلاء الأفاضل مرة أخرى في قالب روائى أخاذ ، وأن يقوم بكتابتها جماعة فهموا روح الاسلام في تنشئة علمائه وابداع حكمائه ، وحين تنتشر هذه السير الرفيعة بين المجتمع المعاصر يستطيع عالم الدين اليوم أن يمثل دور سالفه

المسألة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف دكتور روف شايج

✽ والمبهميون من بعدهم يفسرون الثروة بأنها الانتاج الزراعى وحده وأنه هسو الذى يكفل تنعية الثروة دون التجارة والصناعة وأيضا كان ذلك خدمة لبلادهم من أجل ازدهار الزراعة وتقدمها لأنها في نظرهم قوام التجارة والصناعة •

✽ ولما رأى الغربيون أن محاولاتهم كلها لم تحقق الأمل المنشود ورأوا أن الشرق العربى والإسلام هو خزانة المال ومصدر الثروات طلّعوا علينا بنظريّة « مالتس » التى تزعم أن : نمو البشر أسرع من نمو الانتاج الزراعى وذلك يؤدى حتماً — حسب زعمه — الى مجاعة هائلة في مستقبل الإنسانية وذلك بسبب

كل النظريات الاقتصادية تحاول أن تقدم لشعبها خدمة بقدر ما يرى علماء النظرية مقدار هذه المصلحة لبلادهم •

✽ فالتجار يرون حين زعموا أنهم خسروا كمية الثروة لدى كل أمة بالمقدار الذى تملكه من النقد استخدموا هذه الفكرة لتنشيط التجارة الخارجية بوصفها الأداة الوحيدة لجلب النقد الاجنبى وذلك من أجل خدمة اقتصاد بلادهم ورغاهية شعبهم ولذلك نراهم يضعون معالم سياسة اقتصادية تؤدى الى زيادة قيمة البضائع المصدرة على قيمة البضائع المستوردة من أجل تحقيق عمل تجارى يزيّد في جلب النقد الأجنبى الى البلاد •

أجل الأجور واستطاعت الحكومة البريطانية حل الأزمة عن طريق التشريع وانتهت ثورة العمال الى الابد ولم تتحول بريطانيا الى دولة شيوعية ، رغم أن ماركس كان يكتب ورقاته ابان ثورة العمال في انجلترا ومشاهد حلها لكنه كان « رجاسيا » فاسد المزاج ، ديكتاتوري الرأي فلم يعبأ بما حدث واستمر يكتب الورقات وها هو التاريخ يقرعه في قبره في لندن ان العمال في انجلترا لم يحولوا بريطانيا الى دولة شيوعية كما كان يحلم صاحب السخيمة الاحمق .

ومع هذا يجنح حكماء العرب الى موسكو ظنا منهم أن كعبة المال السخي والمدد الممدود سوف تفرقهم في نعيم الاشتراكية .. ومع الحفاء الذي تعانيه الشعوب الاشتراكية والمرض والجهل ، ومع الظلم والبنى فما زالت حفنة منهم تظن أن الحل النبيل هو في النظام الاشتراكي .

وان النتائج المذهلة التي ترتبت على اقتصاد قاتل في الغرب وفي

زيادة الناس على المواد الغذائية ووجود الحل الذي يريح البشرية من هذه الفجيعة هو تحديد النسل وراحت البلاد التي تعاني من كثرة الأيدي العاملة تنادى بفكرة تحديد النسل .

وتلقب الاقتصاديون في البلدان العربية والاسلامية نظرية « مالتس » وروجوها ، وزج علماء الاجتماع بأبحاثهم في الميدان ثم زج السياسيون بسطوتهم فرض تحديد النسل كحل قومي وراحت البلاد التي تعاني من قلة الأيدي العاملة تنادى كذلك بفكرة تحديد النسل ، واعتبروا ذلك حلا .

ثم دس الاشتراكيون أنوفهم المزكومة في ميدان الاقتصاد رغم أنهم فاشلون فيه زراعيا وصناعيا — وزعموا انهم كشفوا القوانين الطبيعية التي تتحكم في التاريخ وقالوا بحتمية الصراع بين الطبقات ، وحكم البوليتاريا ومن العجيب أن صاحب النظرية كان يعيش في انجلترا عام ١٨٤٨ م ابان حملة العمال الانجليز وثورتهم من

- الشرق الشيوعي قد جعلها قوامنا
محاوِر للاصلاح الاجتماعى والاقتصادى •
- فاذا أضيف الى هذا ما جرته الشيوعية على بلادنا من : -
- (أ) فالاشتراكية الفاشلة في نظر بعض حكم الامة العربية والاسلامية هي عندهم طريق الاصلاح الاقتصادى •
- ولقد جربت الشيوعية وكان من حصيلة تجربتها : -
- (أ) مصانع متخلفة لا تصلح للعمل •
- (ب) عمالة فاسدة لفشل المصانع في تحقيق ارباح لرداءة منتجاتها وعدم قدرتها على سد الديون •
- (ج) دين باهظ يتراكم نتيجة تخلف المصانع وسوء ادارة الانتاج وفساد التوزيع •
- (د) بيروقراطية كسيحة جعلت الصفاعة قزما •
- (هـ) تعطيل طاقات العمل الزراعى بتحويل عمال الزراعة الى المصانع لا من أجل الانتاج بل من أجل ايجاد جناح عمالى يستخدم في المظاهرات والمضاربات
- (ب) تجريد الطاقات البناءة المتحررة في نفوس المحبين للعمل الاقتصادى •
- (ج) ارهاب رأس المال الاجنبى من دخول البلاد خوفا من المصادرة والتأميم والحراسة •
- (د) زعزعة الثقة في نظام الحكم واشاعة سقوطه لا رجاء النقد الاجنبى من دخول البلاد لتظل البلاد فقيرة ليفرخ فيها الوباء الاشتراكى فان الاشتراكية لا تعيش الا وسط أكوام المرضى والفقر والجهل والرفيلة •
- ولمذا فان الجنوح الى الاديولوجية الاشتراكية خطأ دينى أولا ، ووطنى ثانيا لأنها نظرية فاشلة لم تستطع أن تنتج مع

امره فأيّة قوة تستطيع أن تصدّد
ما قرر خلقه ، أو تقف دون ارادته ،
أو تتناوى ، قدرته ؟ كلا وألف كلا .

ولست أريد أن أعرج على أدلة
الدين في هذه القضية بل سأعرج
على افتراض عقلى صرف وهو
لو فرضنا أن الله أراد أن يوجد
في عام ١٩٨٠ مليون نسمة في مجتمع
معين وأراد أهل المجتمع أن يحددوا
النسل فعقدوا ثلاثة أرباع النساء
فيه أفلا يمكن أن يوجد الله هذا
المليون من بقية النساء ٠٠ ٢٢

ولقد فشلت جميع وسائل تحديد
النسل الا وسيلة واحدة هي المقم
فهل تستطيع الحكومات ان تغامر
بهذه المخاطرة ٠٠ ٢٢

ان تجربة الاشتراكية في العالم
العربي والاسلامي تشير الى خطأ
ممارسة اتباع هذه الايديولوجية .
وان الدعوة الى تحديد النسل
تبعية الى اديولوجية اقتصاد غربي

ما يحرصها من السلاح المدجج
والسلطان المستبد .

ب : وتعدد النسل كنتيجة
أوربية دعا اليها ديكردو لمعالجة
تضايي العمال كان يراعى فيها :

❖ ضيق الارض في البلاد
الأوربية .

يضاف الى ذلك : —

❖ ضيق التدين غليس لديهم
دين يعطيهم مفهوما كاملا عن الكون
والرزق وقدره الله .

❖ والتطلع الاستعماري لبلاد
العرب والمسلمين لكثرة خيراتها ،
ولن يمكنهم ذلك الا اذا اضعفت في
العرب والمسلمين القدرات العقلية
الفياضة وذلك يتأتى عن طريق
تحديد النسل .

وتعدد النسل خرافة لأن الله
جل جلاله هو الكبير المتعال وهو
الفعال لما يريد ، وان الله بالغ

(١) تراجع فتح الباري ج ٥ ص ٣١٥ ، ٣١٠
وكتاب احياء علوم الدين ج ٢ ص ٥١ ، ٥٢
وكتابنا استوصوا بالنساء خيرا ص ١٢٠ ، ١٠٣

فاسد فاشل وكلاهما فاسد وكلاهما
كاسر لان الله تبارك وتعالى حكم
منذ الازل •

واليوم وقد اظهر الله ثراءها
اباهظ في الموارد الطبيعية وفي

النقد الحر ، وفي القوة البشرية وفي
العلم والبحوث •

❖ ففي الامة العربية مساحات
بالملايين لما تزرع حتى الآن وفي
السودان وحده ٢٠٠ مليون فدان

صالحة للزراعة وتحفها المياه من
النيلين الازرق والابيض •
وفي العراق وسوريا هوالى ٣٠
مليونا وهذه امكانات معطلة ،
تحتاج الى وحدة في الضمير تجمع
شئات الامة العربية بنية خالصة
لاستثمار هذه المساحات لتغطية
حاجات العالم العربى والاسلامى
من الغذاء •

❖ وفي الامة العربية طاقات
هائلة من البترول والغاز الطبيعى •
والمعادن الاخرى ففي الجزائر :
معادن الرصاص ، والزنبق ،

فالمعركة المعاصرة ليست معركة
سلاح بقدر ما هى معركة تجويع •
❖ وفى الامة العربية طاقات
هائلة من البترول والغاز الطبيعى •
والمعادن الاخرى ففي الجزائر :
معادن الرصاص ، والزنبق ،

ان الله لا يصلح عمل المفسدين •

فهل من توبة نصوح عسى ربنا
أن يرحمنا ويرزقنا من حيث
لا نحسب فان قوله صدق

« ومن يتق الله يجعل له مخرجاً
ويرزقه من حيث لا يحتسب » •

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه
ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل
شيء قدراً » •

الختام

الامكانات العربية في

مواجهة التحدى الخارجى

تقع الامة العربية في منطقة
استراتيجية هامة فهي مركز
الاتصال بين القارات وهى كذلك
مصدر تمويل للعالم بكثير من المواد
الأولية التى تقوم عليها الحياة
الصناعية بل والاجتماعية في أوروبا
واليابان وأمريكا •

لقد كانت الامة العربية في بدء

- والنحاس ، الحديد ، الفوسفات
وبها ١٠٪ من الغاز الطبيعي الذي
يفتقر احتياجات العالم .
- وفي دولة الامارات العربية المتحدة:
بتروك يستخرج يوميا من حقوله ٢
مليون برميل .
- وفي الكويت : بتروك يقدر
بـ ١٠٠ مليون طن سنويا بالاضافة
الى المعادن الكيماوية .
- وفي ليبيا : يقدر البترول
المستخرج من الحقول سنويا بألف
مليون برميل .
- وفي المغرب : معادن الزنك ،
والحديد ، والفوسفات والمنجنيز ،
والفضة والفحم وهي مصدر طبيعي
للأسماك .
- وفي قطر : يقدر انتاج البترول
سنويا بمبلغ ٣٥٠ مليون دولار
بالاضافة الى الحديد ، والغاز
الطبيعي ، وبعض المحاصيل
الزراعية .
- وفي السعودية : الرخام ،
والنحاس ، والحديد ، والاسمنت
وبلغ دخلها من البترول عام ١٩٧٤م
- ٤١٧ بليون دولار .
- وفي مصر : الغاز الطبيعي ،
والبتروك ، والزراعة ، وقناة
السويس والمحاصيل الزراعية .
- يضاف الى هذه الامكانات
امكانات استراتيجية علامة العربية
هي صاحبة البحر الاحمر وهي
المتحكم في مضائق البحر الابيض
المتوسط والخليج العربي فما الذي
يجعل الامة العربية عضوا في دول
العالم النامي ؟؟
- أرأيت لو أن هذه الامكانات مع
اسرائيل ماذا كانت تفعل ؟
- ان العالم العربي يسأل يوم
القيامة عن ضياع أرضه وأمه وعن
فقر شعوبه لأن الله :
- ✽ اختار له الاسلام ديننا
وهو منهج حياة عليا .
- ✽ اختار له الموقع
الاستراتيجي الهام .
- ✽ وأعطاه من الامكانات مالا
معذرة معها .
- ✽ وجعل فيه من القوة البشرية

ما يكفي لاقامة حضارة رائعة في السياسة والعسكرية والرخضاء ، ان العرب سيألون يوم القيامة
 والعلم والأمن الدولي • عن كل هذه النعم وعن رسالتهم
 في الحياة فبماذا يجيبون ؟؟
 فلم يذهب العرب الى روسيا أو
 الى أمريكا أو الى أوروبا • • •
 الدكتور : روف شلبي

تضع ست توائم بنات

نشرت جريدة الأهرام في عددها الصادر بتاريخ
 ١٩٨٠/٦/٢٠ بان سيدة في مدينة طما محافظة سوهاج قد
 وضعت ست توائم بنات وجميعهن في حالة صحية جيدة •

من مراجع البحث

* القرآن الكريم

* فتح الباري : شرح صحيح
البخارى

* كتاب الخراج : للقاضي
أبى يوسف يعقوب ابن إبراهيم

* الربا في نظر القانون الاسلامي
للمرحوم الدكتور محمد عبد الله
دراز

* المال والحكم في الاسلام

* خلاصة الاقتصاد السياسي

* تاريخ اوربا الاقتصادي
للدكتور أمين مصطفى عفيفي
عبد الله واخر *

* اقتصادنا

* الاقتصاد الاسلامي

* التصليل الماركسي

* العمل الاقتصادي من وجهة
نظرا الاسلام

* المبادئ الاقتصادية في الاسلام

* في الاقتصاد الاسلامي
للمرحوم الدكتور محمد عبد الله
العربي

* العدالة الاجتماعية في الاسلام
الشهيد سيد قطب

- ✻ النظام المالى فى الاسلام
- ✻ الريا
- ✻ النظرية العامة فى الاقتصاد
- ✻ فى مبادئ الاقتصاد
- ✻ الاسلام والاضاع الاقتصادية
- ✻ التكافل الاقتصادى فى الاسلام
- ✻ الاسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة
- ✻ نظرة الاسلام الاقتصادية
- ✻ نظرية التوزيع
- ✻ السياسة المالية فى الاسلام
- ✻ الاسلام والتكافل الاجتماعى
- المرحوم العلامة أبو الاعلى المودودى
- ترجمة نهاد رضا — تأليف جون ميركنز
- دكتور : محمد خليل برعى
- العلامة الشيخ محمد الغزالى
- دكتور : على عبد الواحد وافى •
- الاستاذ : محمد اسماعيل •
- عبد الحميد أحمد ابو سليمان •
- الاستاذ رفعت الموضى •
- الاستاذ عبد الكريم الخطيب •
- للاستاذ الاكبر الشيخ محمود نسلوت •

الشعر الحديث والقصيدة العمودية

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

القصيدة العربية العمودية ، التي يمتد عمرها الى
آلاف السنين والتي ورثناها عن المهلهل وامرء القيس
وشعراء المطلقات .

— ١ —

وترجمها الى الانجليزية ، ونوه
بصورها وخيالاتها وبحيوياتها
أيضا ، ودعا الشعراء الانجليز الى
خلق حركة تجديد في الشعر
الانجليزي تأثرا بها .. هذه
القصيدة خالدة ، وستبقى حية
ومتجددة على مر العصور .

وموسيقى هذه القصيدة
العمودية الداخلية والخارجية ،
المتتمثلة في الوزن والقافية ،
صارَت من الأصول الفنية للقصيدة
العربية ، وصارت تمتلك ناحية

القصيدة العربية العمودية هي:
التي نهج نهجها جميع الشعراء
على مدى العصور حتى اليوم ،
والتي أدت جميع أغراض الشعر
والشاعر ، وخدمت جميع قضايا
العروبة والاسلام ، على اختلاف
الأجيال ، والتي أكبرها الدارسون
والعلماء والنقاد ، بل المستشرقون
الذين ترجموها الى كل اللغات
العالمية ، حتى ان المستر : ولیم
هونر أكبر قصيدة المطلقات

الموشحات ، وشملت الأوزان المولدة الجديدة ، وشملت ضروباً من التجديد في القافية أحدثته مدارسنا الشعرية المتعاقبة ، ومن أواخرها : مدرسة البحث ، ومدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو ومدرسة شعراء المهجر .

بل نظم الشعراء العباسيون والأندلسيون الملاحم التاريخية ، ونظم من أتى بعدهم ملاحم في السيرة النبوية ، ونظم الشعراء الصوفيون القصائد الصوفية الطويلة في الحب الإلهي ، ونظم شوقي البردة ، كما نظم ملحمة عن كبار الحوادث في وادي النيل وملحمته الأخرى في التاريخ الإسلامي العظيم في كتابه : « دول العرب وعظماء الإسلام » .

ولم تضق القصيدة العمودية — التي ورثناها عن شعرائنا ، والتي لا يزال ينظمها شعراؤنا العموديون حتى اليوم — صدراً بأية خاطرة أو فكرة أو غرض من أغراض الشعر والحياة ، حتى الملاحم والقصص الشعرية كتب فيها الشعراء قديماً وحديثاً .

التأثير الكبير في الجماهير العربية وتعود ثوراتها دائماً إلى التقهّم والحرية .

إن مدائح المتنبى في سيف الدولة مثلاً ، لم تكن مجرد مدائح في مناسبات طارئة ، إنما كانت أغاني وطنية تمثل روح الشعب العربي العظيم ، في دفاعه عن حرياته ضد الغزو البيزنطي لبلاده — في القرن الرابع الهجري — العاشر الميلادي — وقصيدة أبي تلمم مثلاً في مدح المحتشم بمناسبة انتصاره في عمورية — في أوائل العشرينيات في القرن الثالث الهجري — كانت تمجد البطولات الإسلامية الظاهرة ضد جيوش بيزنطة في سهول آسيا الصغرى . ولم يمتد شعراء العرب على اختلاف العصور الحكام بمقدار ما مجدوا الشعوب العربية في حركتها المستمرة نحو الحضارة والتقدم ، وفي انتصاراتها ضد أعدائها في كل مكان . . .

وقد تطورت هذه القصيدة العمودية ، منذ وضع الخليل بن أحمد عروضها الشعرية ، فشملت

فكريا متميزا في القصيدة ..
وبذلك : صارت القيود الفنية
في القصيدة ضيقة غاية الضيق ، أو
قل : صارت سهلة غاية السهولة .
مع أن الفن هو الفن لأبد فيه من
القيود ، والمثل الفرنسي يقول :
« لا يحيا الفن بغير القيود » ، بل
أن الفن في رأيه : هو العبور إلى
الانطلاق من خلال القيود .

والشاعر الموهوب لا يتوقه أبدا
قيود الوزن والقافية ، كما يقول
أبو شادي في مقحمة حيوانه
« الينبوع » :

« وفي تراثنا الشعري نظلم
المسط والأرجوزة والموشحة
وعكس البحور ، ويضاف إلى ذلك
ماجد من أوزان شعرية ، ومن
تنويع القافية والوزن في القصيدة
الواحدة ، مع بقاء الروح الشعرية
والهيكل التراثي لها ، والموسيقى
الخطوة الرفافة المؤثرة » .

ولأنني : أن القصيدة
العمودية بعروضها قد قلدها
الشعر الفارسي والتركي ، بل
والعبري أيضا .. كما أنها
استخدمت في الشعر القصصي

ومع أن القصيدة ، لأبد فيها عند
علماء الشعر من أن تكون أبياتها
من بحر شعري واحد ، وأن تلتزم
فيها قافية واحدة ، فقد نظم
الشعراء المحدثون من « مجمع
البحور » كما فعل أبو ماضي في
قصيدته : « الشاعر والسلطان
الجائر » ، وكما فعل غنيم في بعض
قصائده وكما فعل عزيز أباظة في
ملحنته : « من اشراقات السيرة
الزكية » . بل كما فعل شوقي في
مسرعيته ، التي أبدع فيها كل
الابداع ، ووضع بها أن الشعر
الغربي لا يعجز عن نظم التمثيلية
ولا يعجز عن الحوار وتمثيل
المصراع .

وبذلك : صارت القصيدة يمكن
أن تشمل على عدة أوزان ، إذا
تعددت مواقفها وأفكارها .

وعدد المحامرون كذلك — من
أمثال : مطران عوشكري عوشمرء
الديوان ، وأبولو ، والمهجر —
القافية في القصيدة الواحدة ،
مجازاة لفن الموشحات الأندلسي ،
وتحررا من سلطان القافية ، وجعل
الكثير منهم كل مقطع يمثل تيارا

واللحمى والمسرحى ، وبذلك صارت مطوعة للتعبير عن مطالب الحياة ، وأقطار الشاعر .

وقد نظم الشاعر الفرنسي : « لويس أراجون » بعض شعره على نهج الشعر العمودي ، فقسم بيته الى مصراعين وقفاهما تقفية عربية ، وعد ذلك كشفا جديدا .

— ٢ —

ولقد حدث في الثلاثين سنة الأخيرة أن نظم شعراء الشباب قصائد من الشعر الحر ، وبدأت الدعوة الى هذا الشعر الحر تظهر في كتابات كثيرة ، بل لقد غالى بعض الكتاب ، فزعم أن عمود الشعر قد انتهى الى الأبد ، وانتهت معه القصيدة العمودية الى غير رجعة ، وانتهى معها الشعراء العموديون بلا رثاء أو رحمة !! كأنما هم أعداء لا يستريح شعراء الشعر الحر الا اذا أجهزوا عليهم .

هذه الدعوة تأثرت في أكثر الأمر بمذهب الشاعر الأمريكي : « والت هوتلمان » الذي هجر الأوزان في معظم شعره ، ولم

يهتم بالقافية .

وكان بعض الشعراء في أوروبا قد شكوا في ضرورة الوزن للشعر ، وإن لم يلق رأي هؤلاء جميعا أنصارا كثيرين في الولايات المتحدة ، وفي بلجيكا .

أما في إنجلترا وفرنسا : فلم يصادفوا نجاحا يذكر . وفي عام ١٩١٧ نشر « البيوت » : ديوانا شعريا خرج فيه على نظام الشعر القديم وزنا وقافية .

وشعراء الشعر الحر بدموه ففقدوا أنفسهم بالشكل الهرمي ، تحيلة في البيت الاول ، واثنان في الثاني ، فثلاث ، فأربع ، فخمس مثلا ، ثم يمودون بالعكس الى نهاية القصيدة : خمس ، فثلاث ، فاثنتين ، فواحدة .

ومن الشعراء الذين ينظمون هذا الشعر الحر من يتأثرون بالطريقة القديمة ، فيلتزمون في أحيان كثيرة القافية ، كنزار والفيتوري ، ومنهم من يتركها كـ كـازك والسيلب في أغلب شعرهما .

هي القيود ، ويقول نيتشه :
« الفن هو الرقص بالقيود
والأغلال » .

وعمر الشعر الحر ثلاثون عاما،
ولا يملك أية قدرة خارقة على
تصميم الجبل الأسم الذي يمثل
القصيدة العمودية ، واليوت
الشاعر الانجليزي يقول : « اذا
أردت أن تجدد في الشعر فيجب
أن تكون جذورك عميقة في الماضي »
.. وهذا هو الطريق الصحيحة
للتجديد ..

هل صار شوقي وحافظ وعزيز
أباطلة وشعراء الثلاثينيات
— الديوان وأبولو — بل ومن
عصرهم أو سبقهم من أعلام
الشعر العربي على مدى العصور
يستحقون من أن نرجعهم بالحجارة
وندعى أنهم غير جديرين بالخلود
والتقدير من أحد ؟

لقد صاحب تشاة الشعر الحر
دعوات لتصميم عمود الشعر ،
ونحن نعلم أن الشعر الحر قبل
أن يظهر عندنا ظهر في أمريكا
وأوروبا ، ونظم منه « اليوت » ،
وما يكوفسكي ، وهوتمان ، وسواههم

وهكذا : صار الشاعر (الحر)
لا يتقيد بنظام التفاعيل المروضية ،
ولا يقيد البيت بنظام الشطرين ،
وكان التفعيلة المروضية هي
البناء الموسيقي للشعر الجديد ..
بل ان منهم من ترك التفعيلة نهائيا
باسم التجديد ..

وهكذا : صار الشعر الحر
تغيرا كاملا لنظام القصيدة
العمودية ، وأصبح يطول اسدال
الستار على تراثنا الشعري كله ،
دون أن يملك الموسيقى أو
المروض الشعري الذي يدور له
أن يزعم ذلك ، ودون أن يملك
زمام التأثير على الجماهير ، وعلى
أذواق الشعب ومشاعره . ودون
أن تصمد قصيدة من قصائده لروح
الغناء والفن الأصيلة .

ومع ذلك صار هذا الشعر
الجديد يحطم عمود الشعر العربي
بقسوة وعنف مع أن جميع النقاد
العرب في القديم والحديث هذروا
من الخروج عليه ، وعدوا ما خرج
عليه من النظم ليس شعرا على
الاطلاق .

الشعر في أساسه فن ، والفنون

ولها الحق في ذلك بعد ظهور ما يسمى قصيدة النثر ، وبعد أن أصبح الغموض والرمز والمضامين الغريبة تحيط بالشعر الجديد احاطة السوار بالمعصم ، وبعد أن صار اهتمامه بالاثارة والرمز الاسطوري والتفكير الدرامي أكثر من أى شيء آخر .

لقد حدثنا السياب أنه هو وجماعة جلسوا يوما في مقهى من مقاهى شارع أبي نواس في بغداد .. وكتبوا قصيدة حرة ، توخوا فيها أن تكون خالية من أى معنى أو مضمون ، وبعثوا بها الى مجلة أدبية مشهورة ، بعد أن ذيلوها بتوقيع مستعار « سميرة أحمد الملقى » ونشرت المجلة القصيدة في مكان بارز ، وجاء بعض أدعياء النقد فصنف الشاعر سميرة التى ليس لها وجود ضمن الشعراء المبدعين من شعراء الشعر الحر ، وتنبأ لها بمستقبل مرموق !!

ولا يزال الهجوم على القصيدة العمودية صناعة كثير من الناس فهذا معين بميسو يقول كما كتب في صحيفة كبيرة : ان الشاعر

كما نعلم أن في أوروبا مدارس أدبية تتبنى تعظيم القديم بحثا عن شيء جديد، من مثل: التعبيريين والعشقيين وغسيريهما ، وفي مجموعة : (فجر الانسانية) التى أصدرها الشعراء التعبيريون صدى لذلك .

ان أرسطو يقرر في كتابه « الشعر » أن الفنون الشعرية الكبرى لابد أن تستخدم كل أدوات المهلكة ، من الايقاع والوزن والانسجام . بينما لم يستطع الشعر الحر اثارة القارئ ولا السامع ، لفقدانه الموسيقى الخارجية دائما ، وأحيانا كثيرة جدا يفقد الموسيقى الداخلية أيضا . وقد سماه العقاد وعزيز أباطلة والزيات وصالح جسودت ، وآلاف الدارسين والنقاد : الشعر المنثور . وعادت نازك الملائكة في ديوانها الرابع (شجرة القمر) الصادر عام ١٩٦٨ تنبأ بوقوف تيار الشعر الحر ، وبأن الشعراء لابد أن يرجعوا الى الاوزان الشطرية ، بعد أن خاضوا في الاستهانة بها ، والخروج عليها .

العمودي يرتطم صوته وتسقط
قافيتته ، ويجيء الشعر الحر
كالصاعقة الكهربائية ، التي تلتهم
القصيدة العمودية وتذروها
رمادا .

لقد ذكر العقاد أن سليقة
الشعر العربي تنفر من الغناء
القافية كل النفور ، كما
تنفر من طرح الموسيقى في شعر
الشعراء الجدد .

ولطه حسين رأى مشهور نختم
به هذه الكلمة ، قال : « ان التجديد
في الأوزان أو القوافي دعوة غير
منكرة وغير جديدة » .. وبالطبع
التجديد فيهما غير الالفاء .. ثم
يقول : « والجدير بالبحث في
الشعر الجديد هو البحث عن
توافر الأسس التي يجب أن
تراعى في الفن الشعري ،
والخصائص التي ينبغي أن تتحقق
فيه ، ولا يمكن أن يعد هذا الجديد

شعرا الا اذا قام على تلك
الأسس ، وتوافرت فيه تلك
الخصائص ، ولست أرفض الشعر
لأنه انحرف عن عمود الشعر
القديم أو خالف الأوزان ،
(المخالفة خلاف الالفاء طبعا)
التي أحصاها الخليل ، وإنما
أرفضه حين يقصر في أمرين :

الأول : الصدق والقوة وجمال
الصورة وطرافتها .

والثاني : أن يكون عربيا
لا يدركه فساد اللغة ولا الاسفاف
في اللفظ . وقديما قال أرسطو :
يجب قبيل كل شيء أن نتكلم
اليونانية . فلنقل : يجب قبل كل
شيء أن نتكلم العربية .

وأقول مع عميد الأدب العربي :
انه يجب أن يكون ما ننظمه — قبل
كل شيء مما يصح أن يسمى
شعرا .

د . محمد عبد المنعم خفاجي

التصوف والعلوم الصوفية

للاستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرقي

مفهوم التصوف : ينبغى أولاً على هذا الفهم هو الصوفى الحق ،
تحديد مفهوم التصوف ، فقد
يظن الكثيرون أنه شيء جسد في
الاسلام ، ولكنه هو جوهر

الاسلام وحقيقته ، بل هو المنهج
الامثل له ، لانه يعنى بتقنية الخلق ،
وتهذيب النفس وتخليصها من
شوائبها ، كما يعنى بمراقبة الله
تماماً ، ومحاسبة النفس في دقة
بالغة ، ويهدف الى التعرف على
الله عن طريق أداء الفرائض
والنوافل ، والاذكار في أدب ودأب
واخلاص وخشوع .

وبعد : فما العلم في نظر الصوفية ؟
العلم في نظر الصوفية
هو ما هداك الى الله لا ما أبعدك
عنه . والعلم في رأيهم : خلق
محض وتهذيب مطلق ، ويستوى
في ذلك النظرى والمعملى .

والصوفية لا يعارضون العلوم
الحديثة بفروعها المختلفة طالما كان
الهدف من ورائها ادراك سر الوجود
واستنباط الدليل على قدرة الموجود ،
الذى دعانا الى التفكير « وفي
أنفسكم أفلا تبصرون » ويقول
جل وعلا : « سنريهم آياتنا في
الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم

وباختصار : هو مقام الاحسان
الذى ورد في حقه الاثر الشريف :
« الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه
فان لم تكن تراه فإنه يراك » .
هذا هو التصوف ، وسالك طريقه

الثاقبة ، والالهام الصادق ، والرغبة
الأكيدة في معرفة واجب الوجود .

رائد الصوفية : ولقد كان رائدهم
في ذلك الامام : على كرم الله وجهه
الذي يعتبرونه مورث العلم الصوفى

بل هو باب مدينة العلم ، الذى
منه يلج المتفكرون في خلق السموات
والارض ، ويستخرجون منها
كنوز المعرفة والتبيان . اقرأ قوله
رضى الله عنه في وصف الخفافيش :

« ومن لطائف صنعتي ، وعجائب
حكمتي ما أرانا من غوامض الحكمة
في هذه الخفافيش ، التي يقبضها
الغياث الباسط لكل شيء ، ويبسطها
الظلام القابض لكل شيء ، وكيف
غشيت أعينها عن أن تستمد من
الشمس المضيئة نورا تهتدى به في
مذاهبها ، وتصل بملايكة برهان
الشمس الى معارفها فسبحان
من جعل الليل سكنا وقرارا ،
والنهار معاشا ، وجعل لها
أجنحة من لحمها ، تعرج بها عند
الحاجة الى الطيران كأنها شظايا
الآذان غير ذوات ريش ولا قصب
الا أنك ترى مواضع العروق بيضاء
أعلاما ، لها جناحان لم يرقا

« انه الحق » . ويقول : « وما يتذكر
« لا أولوا الالباب » بمد قوله تعالى :
« يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » .
ويقول : « ولتعلموا عدد السنين
والحساب » . ويرر « وما يعقلها
« لا العالمون » . الى غير ذلك من
الآيات الكريمة التي تدعو الى
التعلم والتفكير .

والذى يتهم الصوفية بالجمود
غير منصف لهم . وانما شاع
بين طوائف مدعى التصوف أن العلم
حجاب ، وأن العقل عقال ، حتى
أصبحت هذه الشائنة بكل أسف
تكاثر تكون عقيدة راسخين هؤلاء .
ولكن الذى يعنينا : هو موقف
المستشرقين من أهل التصوف ، الذين
تحققوا بالدين ، وتسلموا باليقين ،
ومضوا على حرب من تقدمهم من
الصحابية الأجلاء ، والتابعين
الأوفياء ، وكانوا في منتهى الجرأة
حين وجهوا أنظارهم الى السماء
وأفلاكها ، والمخلوقات وأجناسها ،
باحثين عن الحقيقة المجردة ، وقد
أدركوا من وراء ذلك أسرار عزيزة
يوحي الفطرة السليمة ، والنظرة

فينشقا ، ولم يغلظا فيثقلأ ..
فسبحان البارئ لكل شيء على
غير مثال خلا من غيره .. »

واقراً قوله في وصف الجراة :
« خلق لها عينين حمراوين ،
وأسرج حدقتين حمراوين ، وجعل
لها السمع الخفى ، وفتح لها الفم
السوى ، وجعل لها الحس القوى ،
ونابين بهما تقرض ، ومنجلين بهما
تقبض ، يرهبا الزراع في زرعهم ،
ولا يستطيعون ذبها ولو أجلبوا
بجمعهم ، حتى ترد الصرث في
في نزواتها ، وتقضى منه شهواتها ،
فتبارك الله الذى يسجد له من في
السموات طوعا وكرها .. »

فبغض النظر عن البلاغة التى
أحكمت نسج هذه العبارات ،
وأضفت على البيان روعة وجلالا ،
نجد من وراء ذلك أفكارا حقيقة ،
ومعاني عظيمة ، تشهد بتمسويب
النظر في روائع ما خلق الله ،
لاستتباط دلائل القدرة الالهية
الفائقة ، وشهود عظمة الخالق في
خلقه ، ومن وراء ذلك علوم جمّة
مكتسبة بالفكر والتروى ، وهذا
هو معنى التوحيد ، والهدف من

هبة العقل للانسان ،
انما يخشى الله من عباده
العلماء : لقد كانت خشة الله هدفا

ساميا من أهداف الصوفية ،
والعارفون بالله أخشى الناس لله ،
والمعرفة أساسها العلم ، وليس
العلم الدينى فقط ، بل العلم بما
تحويه الدنيا من عوالم تخطف
بصر الناظر ، وتلفت ذهن المتفكر ،
وتبث على التأمل ، ولقد جاء قوله
تعالى : « انما يخشى الله من عباده
العلماء » بعد كلام يلفت الله فيه
النظر الى ظواهر كونية تستحق
البحث والحراسة : « ألم تر ان
الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا
به ثمرات مختلفا الوانها ومن
الجبال جدد بيض وحمر مختلف
الوانها وقرابيب سود — ومن
الناس والدواب والانعام مختلف
الوانه كذلك ... »

ولقد ورث الصوفية الحقيقيون
هذه الفطرة السليمة ، فنادوا بأن
يستل الفرد قدراته المنوحة له
في الوصول الى الحق ، وبرز منهم
من برز في مختلف العلوم والفنون
ولم تنف مجهوداتهم عند التبحر

وهما أبرى نفسى انفسى بشر
أسهو وأخطىء عالم يحضى القدر
ولا ترى عفرا أولى بذى زلل
من أن يقول مقرا. انفسى بشر
هذه شفتنة صوفية ، وهى طريق
الوصول ، فمن تواضع لله رفعه ،
وأثار له سبيل الفهم والمعرفة .
ونستشهد أيضا بالدميرى صاحب
كتاب « حياة الحيوان » الذى
كان رائدا لكثير من علماء الفرنجة
حتى اعتنوا بهذا الكتاب ، ودرسوه
وحققوه واستفادوا منه ، واشتهر
في الأوساط العلمية في «أوربا»
بأنه كتاب عظيم قيم ، وقد استطاع
— كما تقول مقدمة الكتاب التى
كتبها الدكتور حسين فرج
زين الدين ونشرتها دائرة معارف
الشعب — أن يلعب دورا هاما في
الثقافة العربية ، فكثيرا ما اقتبس
منه العلامة « لين » واقتبس عنه
« وستفلد » واستعان به العلامة
« يوكارت » والعلامة « هاذل »
وغيرهم من أعلام المستشرقين .
هذا الرجل العظيم الذى يقول
عنه « لوسين ليكلير » : انه أعظم
عالم في علم الحيوان أنجبته العرب ،

في علوم الشريعة وما وراءها من
أسرار ، ولكنهم برزوا في الكثير
من الكثير من علوم الحياة : من
تاريخ ، وتقويم ، وهندسة ،
وطبيعة وغيرها من العلوم
يستوى في ذلك السابقون في
العصور الاولى ومن جاءوا بعدهم
في العصور المتأخرة .
ونستشهد في ذلك بالمقریزی
صاحب المؤلفات المتعددة التى
تشهد بسمة علمه : في التاريخ ،
والخطط ، والترجمة ، والسكة ،
والأوزان ، والمقاييس ، فضلا عن
التوحيد ، والحديث ، والفقه ،
وان غلبت شهرة التاريخ عليه ،
يقول السفاوى المعروف بدقة
النقد — فيما ترويه مقدمة كتاب
الخطط — عنه « انه كان على
جانب عظيم من حسن الخلق ،
وكرم العهد ، وكثرة التواضع ،
وعلو الهمة ، والمداومة على التهجد
والأوراد ، وحسن الصلاة ،
والملازمة لبيته » .
ولا أدل على تواضعه من قول
المقریزی نفسه في مقدمة كتاب
الخطط :

بل يرى أنه الوسيلة للتقرب إلى الله عند أهل الحق ، ويقول في ذلك في كتاب « نور الخواص » :

« أن أهل الحق يشهدون جميع العلوم ، حتى الحساب والهندسة ، وعلوم الرياضيات ، والمنطق ، والعلم الطبيعي . لها دلالة وطريق إلى العلم بالله » . ويرد في كتابه « آداب العبودية » على من يرى في دراسة هذه العلوم حجابا من الله بأن الذي يشهد ذلك إنما هو محجوب عن موضع الدلالة فيها عن الحق ، لأن جميع العلوم التي يراها أكثر الناس حجابا إنما هي عند « أهل الله لا حجاب فيها » . وهذا ذوق عال وإدراك عظيم .

الخواص الآمى المعلم :

وللاستدلال على سبق الصوفية إلى العلوم التجريبية نسوق ما أورده المرحوم : طنطاوى جوهرى في كتاب « تفسير الجواهر » في الجزء التاسع عند قوله تعالى :

« ولكن لا تفقهون تسبيحهم » قال : ألهم الله الرجل الصالح الشيخ الخواص في القرن العاشر

كان نموذجا صوفيا عظيما ، ومازال مسجده في حي « الحسينية » بالقاهرة عامرا ، وله فيه مشهد يزار .

وقد اخترت هذين الشاهدين من القرون المتوسطة . فما بالك بالقرون الأولى ! حيث كان المسلمون في أوج نشاطهم ، وغنفلوا قوتهم ، وغفورة تمسكهم بدينهم ؟

الشمرانى والمعلم :

وفي القرون المتأخرة من لادن القرن العاشر الهجرى وما تلاه ، برز صوفيون آخرون . من أمثال : الخواص والشمرانى والديباغ وعبد الله بن المبارك وغيرهم ، وقد يظن ظان أن هؤلاء كانوا غفلا عن العلوم الحديثة المبنيّة على التجربة والملاحظة ، ولكنهم بوحى من الإلهام الصادق ، والفترة الصافية ، هداهم الله إلى ما اهتدى إليه الأوروبيون بتجاربهم وملاحظاتهم .

يرى الشمرانى : أن المعلم الظاهرى ضرورة لتعمير الحياة ،

وشيخه حول ذلك ، انتهت باقتناع
الشعراني العالم برود الخواص
المؤيدة بالكتاب والسنة . وليرجع
اليه من أراد الاستيضاح في مصدره
المشار اليه .

والدباغ أيضا :

وقال الجوهرى أيضا : ثم ان
الشيخ أحمد بن المبارك بعد ذلك
بقرنين حدث عن شيخه الدباغ
بمثل هذا ، حين سأل عن تسبيح
الحصى ، فقال الدباغ : ان ذلك
كلامها وتسبيحها دائما ، وقد سأل
النبي صلى الله عليه وسلم ، أن
يزيل الحجاب عن الحاضرين حتى
يسموا ذلك منها ، فسموا .
وأما أن الجمادات تعرف ربها
كسائر الحيوان وأنها عابدة
خائعة خاضعة ، هذه وجهتها الى
ربها أما وجهتها اليها فهي أنها
لا تعلم ولا تسمع . قال تعالى :
« وأن من شيء الا يسبح بحمده »
وقال الدباغ أيضا : ان للارض
علما هي حاطته وعارفة به ، كما
يحمل أحدنا كتاب الله تعالى .
وعلق الجوهرى — رحمه الله —
على ذلك بقوله : « ان كلام

الهجري أن يلتقى بعض مسائل
للشيخ : عبد الوهاب الشعراني ،
وتلك المسائل تناسب الآية
« ولكن لا تفقهون تسبيحهم »
التي نحن بصدها ، وتناسب
العلوم التي كشفت حديثا ولم
تكن معلومة في ذلك العصر ، وانما
فعل ذلك ليرد على جهلة المسلمين
في عصره ، الذين يقولون : ان
العلوم لا لزوم لها ، وفي الوقت
نفسه حجة على من يدعى من
الصوفية جهلا أن الاسلام براء
من هذه العلوم . لقد أظهر الله
على يد الخواص بعض المعجائب
العلمية ، ليثير في المسلمين روح
التعلم ، وليكون ذلك علامة على
صدق هذا الدين ، ومعجزة لمصاحب
الشرح صلى الله عليه وسلم .

أما هذه المسائل التي أشار اليها
الجوهرى فتتلخص في أن الخواص
أخبر تلميذه الشعراني بأن كل شيء
في الوجود هي يدرك حتى
الجمادات ، وفي أن الاتسجار
تتماثل ويطلب بعضها بعضا
لللقاح .

وحدثت محاوراة بين الشعراني

العصر الحاضر قد أتى بثلاثة أرباع ما قاله شيوخ الصوفية من باب الإلهام ، وقد نبه هؤلاء الشيوخ المسلمين ، ولكن المسلمين مع ذلك بقوا غافلين لم يفتنوا لما يقوله الشيوخ .

نخلص من كل ذلك الى أن العلم الحديث لا يناقى التصوف ، بل هو طريق من طرق الوصول الى الله ، لأنه يدل عليه عن طريق هذه المكتشفات العظيمة ، التي تدل على عظمة الخالق وقدرته ، وكما آمن العالم في بحثه ، ووصل الى أسرار جديدة من أسرار الكون ، ازداد ثقة بأن هذا الكون لم يخلق عبثا ، بل ازداد ايمانا بقوله تعالى :

« رينا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار » .

درس لصوفية عصرنا :

ان ظهور تلك الأنواق على يد أولئك الصوفية دليل مسوق الى أهل التصوف في عصرنا أن يعطوا عقولهم ليدركوا علوم عصرهم ، فان ذلك لون من الجهاد المعلى المؤدى الى معرفة الحق سبحانه

الصوفية هذا هو ما كشفت العلوم الحديثة الآن ، فتعاشق الاشجار الذى قاله الخواص هو نفس ما أثبتته العلم الحديث في نظرية التلاحق ، وأما حياة الجماد فهو أمر خفى لم يذكر علماء العصر الحاضر منه الا قولهم ، كل الجمادات متحركات . وهذا أمر صحيح مبرهن عليه ، ومعنى ذلك أن كل قطرة ماء أو قطعة حجر مركبة من ذرات صغيرة ، والذرات الصغيرة ترجع الى جواهر فردة ، والجواهر الفردة ترجع الى عناصر أولية كالكسجين والايروجين ، وهذه العناصر حتى تحللت ترجع الى الكهرباء ، وما هي الا تموجات وبينها مسافات متباعدات يدور بعضها على بعض كما تدور السيارات حول الشمس ، فلهذا لم كلها متحركة دائما لا سكون لها ، وحركات تلك الذرات دائمة لا فتور فيها ، فهي لا تهدأ من يوم أن خلق الله العالم الى أن يفنى .
والخلاصة : أن كل موجود حي .

وقال الجوهرى : ان كشف

وتعالى .

الله علم ما لم يعلم .

ان من يترك عقله ومواهبه اتكالا
على الفتوح يكون أشبه - كما
يقول الجوهري - بمن يترك حرث
الأرض وزرعها اتكالا على أنه ربما
يعثر على كنز .

آداب التعلم

ولابد من التنبيه لهذه الملاحظة
في أثناء طلب العلم ، وهي : أن
العلم أحيانا يقف في طريق العالم
ويصده عن الغاية الروحية
المطلوبة ، وذلك حين يغتر العالم
بعلمه ويظن أنه قد بلغ نهاية
الكمال . فاعتزله حينذاك هو
الذي يضع حجابا كثيفا على قلبه ،
يحول بينه وبين الرؤية الحقيقية
المبصرة ، فالعلم بحر لا ساحل
له ، وحقائق المعرفة لا يمكن لكائن
أن يحيط بها مهما أوفى على الغاية
في فقهه ، والرجل عالم مازال يطلب
العلم ، فمتى ظن أنه علم فقد
جهل .

ومن أجل ذلك ، كان التواضع
ميزة في العالم أكمل منها في غيره ،
لأن تواضعه عن معرفته كاملة ،

ولا يقال : ان هؤلاء المتقدمين
قد وصلوا الى ذلك عن طريق
الكشف والالهام ، فطلى المريدين
أن يتجردوا عن الأسباب لينالوا
ما ناله المتقدمون .

لا يقال ذلك : فان الذين منحوا
عن طريق الالهام نادرون ، والنادر
لا حكم له ، ولو كان الفتوح
عاما لأصبحت بلاد الاسلام أغنى
وأعمر من الدول الأخرى المتقدمة .
على أن الكثيرين من العلماء
الأجلاء السابقين سلكوا الطريق
الطبيعي للوصول الى ما وصلوا
اليه من ابتكار وعلم وفهم ، ان
العلم بالتعلم ، والله لا يمنح
مفاتيح علمه الا للمجد فيه ، ولو
درس المتصوفون الآن العلوم
بالجد والتقوى ، ومراقبة الله
ومحاسنة النفس ، وغير ذلك من
الآداب التي يحرص على توطيدها
التصوف ، لأثمر ذلك ثمارا يانعة ،
وأتى بنتائج مضاعفة ، مصداقا
لقوله تعالى : ولتقوا الله
ويعلمكم الله . » « واتقوا الله
الكريم : » من عمل بما علم ورثه

تلك النظرة النفسية من العزلة ، واجتئاب الجماعات والآحاد ، ولا يبقى فيها النفس الا كوسيلة أو رياضة على التطهر والصفاء ، وهو يتجه الى الدنيا ولكن لا يعتبرها نهاية الغايات ، فهو مسلك من النفس أتمد اتصالا بالدنيا ، وأكثر تحررا منها في وقت واحد » .

ويقول اينشتين : « أن الانسان الذي لم يختبر وقفة من وقفات الصوفية حيال ذلك العالم ، ولم يشعر نحوه بالروعة ، هو حتى حكمه حكم الميت » ويقول : « كنت كلما تعمقت في نظرية النسبية ازدادت قربا من منطقة الروح والايمان » . وبأقوال غيره من علماء الغرب ، الذين لم يقفوا عند حدود المادة في كشفهم ، بل نفذوا من ورائها الى عالم فسيح من الروح والملا الأعلى .

ان كثيرا من هؤلاء العلماء انطلقت أصواتهم تحفر من طينان المادة ، وانسياق الناس وراءها انسياقا أعمى ، لأن في سيطرة المادة على الروح نذيرا بتغلب

وتحقق تام بحال المعجز الذي يرفع من شأنه ، ويطل من قدره .

التصوف والكشف الحديثة :

لا نكرر القول بأن الصوفي الحق يتحمس لهذه الفتوح العلمية الحديثة ، لأنه يعتقد أنها من أبواب الخير على الانسانية ، وبشرى تحمل في طياتها انتمارا للروح على المادة ، وانطلاقا لقوى الخير الكامنة في الانسان .

يقول المرحوم طه عبد الباقى سرور في كتاب «أعلام التصوف» : « لقد آمن المتصوفة بأن فجر الذرة انما هو صفحة جديدة في تاريخ الكون ، تتمشى مع التفسير الالهي لقوى الكائنات كافة للانسان » الخليفة « ، بل لقد رأوا في الفجر الجديد ارهاصا لعالم جديد سيبلغ كماله مع الوثبة الروحية » ، ويستشهد على ذلك بأقوال أساطين المادة أنفسهم ، كقول العلامة برديف : « والعالم اليوم يدلج نحو صوفية روحانية جديدة ، لا محل فيها لتلفت النظرة النفسية الى الدنيا ، ولا لما توحيه

الى الله ، وربما كان ذلك من وسائله في هذه الطريق .

حقا : اعتبروا العلوم الموصلة الى الله أشرف العلوم ، حتى قال الجنيد فيما يرويه ابن عجيبة عنه في كتابه إيقاظ الهمم : « لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت اليه » . ولقد صدق الجنيد رضى الله عنه في قوله .

على أنه من أسباب الوصول الى الله : البحث في أرجاء هذا الكون الواسع ، وما فيه من عوالم يهتدى المفكر بواسطتها وبواسطة دراستها واستقصائها وتحليلها والمقارنة بينها على قدرة المبدع ، الذي غطر السموات والأرض ، وفي هذه الحالة يصبح تعلمها فرض عين لا فرض كفاية كما يرى بعض الصوفية رحمهم الله .

لا أحسب أن الصوفى الحق في عصرنا هذا يحاول أن يقف في وجه التقدم العلمى ، لا سيما ونحن في أمس الحاجة اليه ، لأنه من أسباب

الشر على الخير ، وفي النهاية فناء العالم . مصداقا لما جاء في القرآن الكريم : « حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وأزمنت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تنف بالأمس » .

لا نكرر ما سبق أن قلناه من أن تاريخ التصوف يروى لنا قصص المئات من علوم الصوفية ، الذين برزوا في مختلف العلوم الشرعية واللفسوية والعقلية وغيرها ، واستطاعوا أن يقدموا للحياة زادا وافرا من المعلومات التى نفتت الناس ، ويسرت لهم السبل ، فهم لم يقصروا في علوم الحياة ، كما لم يقصروا في علوم الدين ، وهم وإن كانوا قد وصلوا في الأولوية ندب أنفسهم لتعلم وتعليم العلوم الموصلة الى الله ، فلأتها في نظر العاقل أهوج ما يكون اليها الانسان ، بل هى أمس ما تدعو اليه الخاية من خلقه ووجوده في الحياة ما دام غيره من العلماء معنيا بعلوم الدنيا ، ومع ذلك فاشتغاله بها لم يصدده عن طريقه

القوة التي أمرنا الله - سبحانه
وتعالى بأعدادها في قوله تعالى :
« واعدوا لهم ما استطعتم من
قوة » .

ولا أشك في أن الصوفى الحق
فرح بما تناله دولته الاسلامية من
أمجاد علمية ورقى فكرى على يد
أمثالها العلماء المجدين
والمستكشفين ، ولكن الصوفى أيضا

يسره أكثر أن يجد هؤلاء النابهين
غير معطلين لشمائر دينهم ، أو
مفرطين في حقوقه ، ويسره أيضا
أن يكون هذا التقدم العلمى طريقا
الى الايمان العميق ، واليقين
الصادق ، والاستدلال المشرق على
معرفة واجب الوجود .

عبد الحفيظ قرغلى على القرنى

« العلم والعمل »

الدنيا كلها ظلمات ، الا موضع العلم ، والعلم
كله هباء الا موضع العمل ، والعمل كله هباء الا ما كان
خالصا لوجه الله الكريم ، قال جل وعلا : « الا ابتغاء
وجه ربه الأعلى ولمسوف يرفض » .

أهل الذمة وواجباتهم في بلاد الإسلام

المستشار محمد عزت الطهطاوى

تكلّمنا في مقال سابق عن أهل الذمة وحقوقهم في بلاد الإسلام وذكرنا أنه من المقرر أن كل حق يقابله واجب ، ومادام الإسلام قد قدر للذميين تلك الحقوق فلا بد وأنه رتب مقابلهما واجبات عليهم أن يلتزموا بها ، وهذه الواجبات تنحصر في الأمور الآتية :

أولاً : واجبات مالية هي :

ثالثاً :

احترام شمسائر المسلمين
ومشاعرهم •

١ - أداء الجزية •

٢ - أداء الخراج •

الواجبات المالية :

٣ - أداء الضريبة التجارية •

١ - أداء الجزية : والجزية

ثانياً :

ضريبة سنوية على الرعوس من
الذميين ، تتمثل في مقدار زهيد
من المال ، يفرض على الرجال
البالغين القادرين على حـسب

التزام أحكام القانون الإسلامى
في المعاملات المدنية والتجارية
والجنائية •

من أحد من المسلمين ، وأخذها عمرو بن العاص من أقباط مصر من كل عالم دينارين ، وكتب بذلك الى عمر بن الخطاب فأجازه .

شرائط وجوب الجزية :

أولاً : العقل والبلوغ والذكورة
فلا تجب على الصبيان والنساء والمجانين من أهل الذمة ، لأن الله تعالى أوجب الجزية على من هو أهل للقتال — فقال جلت كلماته :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .. الآية »
والصبيان والنساء والمجانين ليسوا من أهل القتال ، فلا تجب عليهم .

ثانياً : السلامة من الزمانة والعمى والكبر — فلا يجب على من زمن وعمى والشيخ الكبير — وهذا ما فعله خالد بن الوليد في صلحه مع أهل الحيرة ، وقد كتب به الى الصديق : أبى بكر وقت خلافته ليعطيه بما فعل ، فلم ينكره عليه .

ثالثاً : الحرية — أى : أن يكون الشخص الذمى الذى يقوم بدفع الجزية متمتعاً بالحرية ، فلا تجب على العبد ، وهو : الشخص الذى

ثرواتهم ، فى ميعاد معين ، ويعفى الفقراء منها إعفاء تاماً .

وليس للجزية حد معين ، وإنما ترجع الى تقدير الامام الذى عليه أن يراعى طاقات الذميين ولا يرهقهم كما عليه أن يراعى المصلحة العامة للأمم .

أساس وجوب الجزية :

هو : القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة .

فمن القرآن الكريم : قوله تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون) سورة التوبة ٢٩ — وصاغرون : تعنى هنا التسليم والقاء السلاح والخضوع لحكم الدولة الاسلامية .

ومن السنة النبوية المطهرة :

ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحرين ، وأخذها عمر بن الخطاب من مجوس سواد العراق بلا انكار

به من تسامح المسلمين معهم ، ومن حمايتهم لهم ، يدفعون الجزية كل منهم بحسب قدرته .. وكانت هذه الجزية أشبه بضريبة الدفاع الوطني ، فكان لا يدفعها إلا الرجل القادر على حمل السلاح ، فلا يدفعها ذوو العاهات .. ولا المترهبون وأهل الصوامع) .

وقت وجوب الجزية :

اختلف الفقهاء في وقت وجوبها فمنهم : من رأى وجوبها في ابتداء السنة كالحنفية . ومن الفقهاء : من رأى أنها تجب في آخر السنة وتأخذ مرة واحدة .

من أى شيء وجبت الجزية ؟

شرعت الجزية على الذميين بدلا عن حمايتهم من قبل الدولة الإسلامية ، ذلك أن الدولة الإسلامية دولة (عقائدية) ، ومثل هذه الدولة لا يقاتل دفاعا عنها وسلامة عقيدتها وفكرها — وليس من المعقول أن يؤخذ شخص ويدفع إلى القتال والقتل ويسفك دمه من أجل فكرة يعتقد عدم صحتها ، وفي سبيل دين لا يؤمن به .

فقد حرّيته ، لأنه ليس من أهل ملك المال يقول الله تعالى : « حتى يعطوا الجزية » سورة التوبة ٢٩ — ولا يقال لمن لا يملك — حتى يعطى — مع ملاحظة أن هذا الشرط أصبح في زماننا المعاصر شرطا نظريا ، أو شرطا فرضيا ، لأن نظم الرق تم الغاؤه دوليا .

رابعا : ألا يكون الذمي فقيرا غير معتمد ، وهو : الذى لا قدرة له على العمل والكسب ، لأن الجزية لم توضع على فقير غير معتمد من أهل سسواد العراق في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب — كما أنه أيضا رفع الجزية عن رجل كبير من أهل الذمة رآه يسأل الناس « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » سورة البقرة ٢٧٦ .

خامسا : ألا يكون راهبا ، لأنه من المبادئ المقررة في الإسلام أن الراهب إذا أسر في الحرب لم يقتل ، فإذا دخل في الذمة لم تجب عليه الجزية .

يقول المؤرخ الغربي آدم هيتز : (كان أهل الذمة بحكم ما يتمتعون

جيش المسلمين في بلاد الفرس زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ملك جرجان - فقد جاء فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم • هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزيان ، وأهل دهستان ، وسائر أهل جرجان ، أن لكم الذمة ، وعلينا المنعة) •

٣ - أورد الامام أبو يوسف في كتابه (الخراج) قوله : (فانما كان الصلح جرى بين المسلمين وأهل الذمة في أداء الجزية - وفتحت المدن على ألا تهدم بيعةهم ، وعلى أن يقاتلوا من نأواهم من عدوهم ، ويذبوا عنهم ، فأدوا الجزية على هذا الشرط ، فافتتحت الشام كلها على هذا) •

ما يسقط الجزية بعد وجوبها ؟ :

١ - الاسلام : فمن دخل من الذميين في الاسلام سقطت عنه الجزية •

٢ - الموت : كذلك من مات من الذميين بعد وجوب الجزية ولم تستوف منه سقطت عنه ، ولا يلزم بها ، ولا تؤخذ من تركته •

من ذلك يتبين : أن الجزية ليست عقوبة كما يشيع عنها أعداء الاسلام ، لأن الاسلام لم يلزم الذميين بواجب الدفاع عن دار الاسلام كما ألزم به المسلمين ، وإن كان لهم أن يساهموا في هذا الواجب لكن باختيارهم ، ففضلاً عن انتفاعهم بالمرافق العامة للدولة •

ويستدل على ذلك بالآتي :

١ - ما حرره خالد بن الوليد في كتابه الى (صلوبا بن نسطونا) صاحب قس الناطف بعد مصالحته له ، فقد ورد فيه كما رواه الطبري في تاريخه : (بسم الله الرحمن الرحيم • هذا كتاب خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه ، أنى عاهدتكم على الجزية والمتعة • • وأنك نقيب على قومك - وأن قومك قد رضوا بك - وقد قبلت ومن معي من المسلمين ، ورضيت ورضى قومك ، تلك الذمة والمتعة ، فإن منعناكم فلنا الجزية ، والا فلا ، حتى نضعكم) •

٢ - كتاب سويد بن مقرن تمائد

• الجزية •

ويرى المالكية : أن الجزية تسقط عند عجز الذمي عن أدائها ، بل أنها لا تؤخذ منه بعد يساره عما عجز عنه .

• — سقوط الجزية بعجز الدولة الإسلامية من حماية الذميين :

إذا عجز المسلمون عن حماية الذميين لم يبق لهم ما يدعو إلى بقاء الجزية عليهم ، لأنها كما قررنا في صدر هذا البحث أنها بدل عن الحماية ، لأن الإسلام لم يلزم الذميين بواجب الدفاع عن دار الإسلام رعاية لهم ، وعناية بهم ، والسوابق التاريخية شاهدة على ذلك • فمنها على سبيل المثال لا الحصر :

(أ) جاء في صلح خالد بن الوليد مع سولبا بن نسطونا صاحب قس الناطف في منطقة الحيرة والسابق الإشارة إليه : (انى عاهدت على الجزية والمنعة •• فان منضاكم فلنا الجزية والا فلا حتى نمنعكم)

(ب) أن أبا عبيدة بن الجراح عندما أعلمه نوابه على مدن الشام

٣ — مضى المدة ويراد به مضى سنة أو أكثر على وجوب الجزية تستوف دون أن تستوفى من الذمي ، فقد اختلف فيها الفقهاء فبعضهم يقرر : وهو الامام أبو حنيفة بأن الذمي لا يطالب بجزية السنين الماضية ولا بالسنة التي هو فيها حتى تنقضى ، لأنه يرى أن دين الجزية دين ضعيف يمكن سقوطه بغير الاداء أو الإبراء الا أن بعض الفقهاء — في مذاهب الحنابلة والشافعية والشيعة الامامية يرى عدم سقوطها بمضى المدة ، بحجة أن الجزية حق مالى يجب في آخر كل حول •

٤ — حصول بعض الأعذار :

فاذا طرأت بعض الأعذار الماسة من إيجاب الجزية ، كما لو صار الذمي فقيرا لا يقدر على شيء ، أو صار مقعدا أو زمنا أو شيخا كبيرا ، ففي هذه الاحوال تسقط عنه الجزية — ولا تؤخذ منه جزية ما مضى إذا لم يكن قد أداها في وقتها ، وهذا ما يراه الاحناف ويشترطون أن تدوم هذه الأعذار نصف سنة فأكثر حتى يسقط الباقي من

براز) أنه طلب من سراقه بن عمرو أمير تلك المناطق من قبل الدولة الإسلامية — : أن يضع عنه وعن معه الجزية ، على أن يقوموا بما يريد منهم ضد عدوهم ، فقبل سراقه : وكتب بذلك الى الخليفة عمر بن الخطاب ، فأجازه وحسنه .

(ب) أن الجراجمة في جبل اللكام في نواحي أنطاكية نقضوا العهد ، فوجه أبو عبيدة بن الجراح الى أنطاكية من فتحها ثانية ، وولى عليها بعد فتحها حبيب بن مسلم القهرى ، فغزا الجرجومة مكان الجراجمة — فلم يقاتله أهلها — ولكنهم طلبوا الامان والصلح ، فصالحوه على أن يكونوا أعوانا للمسلمين ، وعيونا ومسالح في جبل اللكام ، وأن لا يؤخذوا بالجزية ، ودخل من كان في مدينتهم في هذا الصلح .

الجزية في البلاد الإسلامية عامة ، وفي بلادنا المصرية خاصة :

يوجد في كثير من البلاد الإسلامية ذميون في الوقت الحاضر — هؤلاء لا تؤخذ منهم جزية —

بتجمع جيوش الروم للهجوم عليها . كتب اليهم : أن ردوا الجزية على من أخذتموها منه ، وأمرهم أن يقولوا لهم : (انما رددنا عليكم أموالكم ، لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع ، وانكم اشتراطتم علينا أن نمنعكم ، وأنا لا نقدر على ذلك — وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على اشروط . وما كتبنا بيننا وبينكم أن نصرنا الله عليهم) .

٦ — سقوط الجزية باشتراك الذميين في الدفاع عن دار الاسلام :

مادامت الجزية قد وجبت على الذميين بدلا عن حمايتهم ، فانهم اذا ساهموا في الدفاع عن دار الاسلام فقد قاموا بالاصل الذى من أجله وجبت عليهم الجزية ، وبالتالي تسقط عنهم الجزية .

والأمثلة كثيرة نكتفى منها بالآتى :

(١) روى الامام الطبرى في تاريخه عن ملك (الباب) في نواحي اقليم أرمينيا وكان اسمه : (شهر

من وصف بأنها (جزية الرعوس) فاشتبهت بما كان من ضرائب فرضتها الدولة الرومانية في الزمن القديم على رعوس رعاياها ، فكرهوها ، لأنها انتقاص من الحرية ، وتعامل الشخص كعروض من عروض التجارة — وفاتهم أن الرعوس في الاسلام غير ذلك ، اذ فرضت على الشخص لصفة فيه — وهي أنه ذمي — وأن هذا الوصف يلحق بالشخص لدينه لا لماله ، أما ماله ومال المسلم فمسوا — أما عند الرومان فكانت ضريبة الرعوس تفرض عندهم على الشخص لعينه .
وشقان بين الصورتين •

(٢) الخراج

الخراج في اللغة يعنى الاتاوة — وأصله ما يخرج من غلة الارض والمال — ومن معناه : المال المخروب على الارض والجزية •

فكلمة الخراج ترد في الاستعمال بمعنى الجزية ، استنادا لقول الشعبي عامر بن شراحبيل المتوفى سنة ١٠٤ هجرية (أول من فرض الخراج رسول الله — صلى الله

ويمكن ارجاع ذلك الى أنهم في تلك الدول يشتركون مع المسلمين في واجب الدفاع عن دار الاسلام ، والمساهمة في هذا الواجب تسقط الجزية — بعد وجوبها ، أو تمنح وجوبها أصلا — اذ الدفاع عن الوطن واجب مقدس — وأداء الخدمة العسكرية شرف للمواطنين ، والتجديد أصبح اجباريا وفقا للقانون •

ولقد نص القانون رقم ٥٠٥ سنة ١٩٥٥ المعدل ، بشأن الخدمة العسكرية والوطنية في مصر ، في مادته الاولى على أن : (تفرض الخدمة العسكرية أو الوطنية على كل مصري من الذكور أتم الثامنة عشرة من عمره) •

فمن ذلك يتبين أن الذميين يساهمون حاليا برضاهم في الدفاع عن أرض الوطن ، ولا يتميزون في هذا الواجب المقدس عن المواطنين المسلمين •

هل الجزية ضرائب كيدية ؟

يزعم أعداء الاسلام أن الجزية ما هي الا ضرائب كيدية ، ويبدو أن مرد ذلك راجع الى ما غلب عليها

وخراج أراضيهم ، على ألفى حلة وروى على أكثر من هذا المقدار •

(ج) أراضي نصارى بنى تغلب وهذه لها حكم خاص بها ، فقد صالحهم الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - على أن يأخذ من أراضيهم العشر مضاعفا •

(د) أرض الموات التى أحيأها ذمى ، ودأره التى اتخذاها بستانا وأرض الغنيمة اذا حصل عليها الذمى بسبب اشتراكه فى القتال مع المسلمين - وانما كانت هذه الاراضى خراجية لان الارض لا تخلو من خراج أو عشر ، وأرض الذمى يفرض عليها ابتداء الخراج لما فى العشر من معنى العباداة ، والذى ليس من أهل وجوبها •

(هـ) الاراضى العشيرية اذا تملكها ذمى فتصير أرضا خراجية : ويعمل ذلك الامام أبو حنيفة : بأن فى العشر معنى العباداة ، لأن العشر زكاة ما تخرجه الارض • والذى ليس من أهل وجوبها - ولهذا لم يجب عليه العشر ابتداء - فكذا لا يجب عليه فى حال البقاء •

عليه وسلم - فرض على أهل هجر على كل محتلم ذكرا أو أنثى) •
الا أن المعنى الشائع فى استعمال كلمة الخراج عند الفقهاء هو ما يفرض على الأرض من ضريبة مالية - ولا يطلق اسم الخراج على الجزية الا مقيدا بخراج الرأس •

انواع الاراضى الخراجية

١ - الاراضى التى فتحها -

المسلمون عنوة وقهرا :

ومثالها : أراضي العراق ومصر فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ترك الارض بأيدي أهلها ، وضرب على رؤوسهم الجزية ، وعلى أراضيهم الخراج ، بعد عرض الموضوع على صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وموافقتهم •

(ب) الاراضى التى تركها المسلمون الى أهلها صلحا على وظيفة معلومة : فإنها تكون خراجية لما روى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه صالح نصارى نجران على جزية رؤوسهم ،

لا افستها •

أنواع الخراج :

والفرق بين النوعين : هو أن في خراج الوظيفة يكون الواجب شيئاً في الدمة يتعلق بالتمكن من الانتفاع بالارض •

الخراج نوعان : خراج وظيفة — وخراج مقاسمة •

(ا) خراج الوظيفة :

أما اخراج المقاسمة فيشمل بالخرج من الارض لا بالتمكن من الزراعة •

وخراج الوظيفة يؤخذ مرة واحدة في السنة — أما خراج المقاسمة فيتكرر أخذه بتكرر الخارج من الارض •

وهو : ما يفرض على الارض بالنسبة الى مساحتها ونوع زراعتها والاصل هو ما فعله الخليفة : عمر ابن الخطاب رضى الله عنه في أرض السواد في بلاد العراق بعد فتحها ، فقد تركها بأيدي أهلها — وفرض على كل جريب أرض بيضاء تصلح للزراعة قفيزاً مما يزرع فيها — ودرهما • وعلى جريب الرطبة حصاة دراهم • وعلى جريب الكرم عشرة دراهم • وقد جعل الخليفة الراشد تلك المقادير بمحض من الصحابة ، ولم ينكر عليه أحد وقتئذ •

مبنى الخراج على الطاقة :

عند تعيين مقدار الخراج ينظر ولى الامر الى طاقة الارض وقدرتها على تحمل ما يفرض عليها من الخراج ، لما ثبت من أن حذيفة ابن اليمان وعثمان بن حنيف لما مسحوا سواد العراق ووضعوا عليها الخراج بأمر الخليفة : عمر بن الخطاب قال لهما لعلكما حملتما الارض ما لا تطيق ؟ قالوا — لا بل حملناها ما تطيق • ولو زدنا لأطأقت • فدل هذا الخبر على أن مبنى الخراج على الطاقة •

(ب) خراج المقاسمة :

وهو : أن يكون الواجب شيئاً من الخارج فهو الخمس والسدس وما أشبه ذلك وهذا النوع من الخراج جائز — فقد فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل خيبر

**ما يستدل من مناقشة الخليفة
عمر بن الخطاب ؟**

هذه المناقشة تدل على عدالة
عمر بن الخطاب رضي الله عنه
المستمدة من سماحة الاسلام
وعدالته بالنسبة الى كل انسان
مهما كان دينه ، ومهما كانت عداوته
للالسلام والمسلمين ، ملتزما بما قاله
تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كونوا
قوامين لله شهداء بالقسط ولا
يجر منكم شئآن قوم على الا
تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى »
سورة المائدة ٨ •

كما يدل كلام الخليفة عمر بن
الخطاب على أن المسلمين لم
ينظروا الى غير المسلمين من أهل
البلاد المفتوحة نظرة استغلال ،
مما يشير الى أن الفتوحات
الاسلامية لم يكن يراد بها استغلال
الشعوب ونهب خيراتهما ، وانما
ابلاغها بمقيدة الاسلام وشريعته ،
واقامة العدل فيها •

وقد نص الفقهاء على بعض
الامور التي يجب ملاحظتها بمعرفة
ولي الامر عند فرض الخراج ،

للتعرف بها على طاقة الارض من
ذلك خصوبة الارض ، ونوع ما
يزرع ، وثمرته ، وطريقة سقيها
وقربها أو بعددها عن المدن
والاسواق •

**تأثير الخراج بما يصيب الأرض
من طوارئ :**

إذا تقرر الخراج ، ثم طرأ على
الأرض طارئ أضعف طاقتها ،
فانه يجوز للامام تخفيضه • وإذا
زادت طاقة الأرض جاز له تقرير
زيادة في خراجها •

**نظام الخراج في ميزان التشريع
الضريبي :**

لما كان الخراج ضريبة مالية على
الأراضي الزراعية التي تركها
الفاطحون المسلمون بأيدي أهلها ،
فقد توافر في هذه الضريبة القواعد
الأساسية التي يسترشد بها علماء
التشريع المالي عند تقريرهم
للضرائب في الوقت الحاضر ، وهذه
القواعد هي العدالة - واليقين -
والرفق - والاقتصاد •

١ - قاعدة العدالة :

هذه القاعدة ملاحظة في التشريع المالي الاسلامي ، وطبقت تطبيقا دقيقا في الضرائب التي قررتها الدولة الاسلامية . ذلك أن الاسلام هو دين العدل والعدالة ، فالخليفة الراشد : عمر بن الخطاب هو أول من وضع ضريبة الخراج على أساس طاقة الأرض ، وأكد على عماله أن يجعلوا مقدارها مناسباً مع هذه الطاقة ، كما تشير بذلك المحاورة التي ذكرناها فيما سبق بينه وبين الصحابي : حذيفة ابن اليمان وعثمان بن حنيف . وكان قد أرسلها الى سواد العراق لمسح أراضيهم وتقدير الخراج عليها .

وتبدو هذه القاعدة واضحة بجلاء فيما قرره فقهاء الاسلام : من أن خراج الوظيفة يجب بالتمكن من الانتفاع بالأرض - فإذا تعذر الانتفاع فلا يجب الخراج ، وأن خراج المقاسمة يجب بوجود الزرع حقيقة ، فإن لم يوجد فلا يجب الخراج - وإذا لم تخرج الأرض الا بقدر ما كفى الخراج فلا

يؤخذ الخراج كله ، وانما ينقص الى النصف - اذا هلك الزرع بآفة سماوية فان الخراج يسقط في هذه الحالة ، لأنه مصاب ، فيستحق المعونة ، وتعذر عليه استغلال الأرض .

ولم يفت فقهاء الاسلام أن يوصوا أولى الأمر من حكام المسلمين ، بل أكدوا عليهم ألا يتعسفوا في جباية الخراج ، وأن يراقبوا عمالهم حتى لا يأخذوا من أصحاب الأرض أكثر من المقدار المعين عليها .

وفي ذلك يقول الامام أبو يوسف في وصيته الى الخليفة العباس هارون الرشيد ، بعد أن طلب منه ضرورة مراقبة عمال الخراج ، والأخذ بمقتضى العدل ، وترك الظلم :

(ان العدل وانصاف المظلوم وتجنب الظلم مع ما في ذلك من الأجر يزيد به الخراج ، وتكثر به عمارة البلاد ، والبركة مع العدل تكون . وهي تفقد مع الجور . والخراج المأخوذ مع الجور تنقص البلاد به وتخرّب) .

٢ - قاعدة الوضوح واليقين :

فالنضريبة التي يلتزم الفرد بأدائها يجب أن تكون محددة في مقدارها ، واضحة في سبب وجوبها ، وزمن أدائها . وبهذا الوضوح واليقين يكون المكلف بها على بينه من أمره ، فلا يستطيع جباة الخراج استغلال جهله ، وأخذ أكثر من المستحق عليه - ونضريبة الخراج تتوافر فيها هذه القاعدة ، فمقدارها معلوم ومعلومة المقدار نسبة الى الخارج من الأرض ، وتدفع في وقت معين من السنة .

٣ - قاعدة الرفق :

وتعنى هذه القاعدة : أن النضريبة أن تجبى في الأوقات الملائمة التي لا ترهق الملتزم بها ، ونضريبة الخراج لا تجبى الا وقت ظهور الزرع ، وحلول وقت حصاده ، وهذا الوقت لا جدال أنه أنسب الأوقات لجباية الضرائب من المكلفين بها .

٤ - قاعدة الاقتصاد :

وتفيد هذه القاعدة في : أن جباية

النضريبة يجب أن تنظم على نحو تكون نفقات جبايتها قليلة ، ويكون الفرق بين ما يخرج من المكلف وبين ما يدخل الخزانة العامة أقل ما يمكن . ومن الأصول المخالفة لهذه القاعدة : أن تقوم الدولة ببيع الضرائب لقاء ثمن يدفعه الراغب في شرائها وجبايتها ، وهذا ما عرف في الماضي : (بنظام التقبل) وهو نظام سقيم ، يرهق أصحاب الأرض ، ويلحق الضرر ببيت المال ، وينافى قاعدة الاقتصاد ، لأن الداخل في بيت المال بهذا النظام أقل مما لو تولت الدولة جباية الخراج بمعرفة عمالها أنفسهم فضلا عما في التقبل من ارهاق أصحاب الأرض وظلمهم بمعرفة المتقبل ، والذي يحمل على أهل الخراج ما لا يجب عليهم ليعموض لنفسه ما قام بدفعه للدولة . وفي ذلك كما يقول الامام أبو يوسف (خراب البلاد وهلاك الرعية) . ما عليه ، العمل في بلادنا المصرية ؟

ينظم نضريبة الأراضي الزراعية

لها اذا ما انتقلوا بأموالهم التجارية من بلد الى آخر داخله دار السلام — ويعفى الذمى من هذه الضريبة في بلده الذى هو فيه ، فتجارته وان كانت قد تجلب له ربحا الا أنه ليس كالربح الذى يحصل عليه بانتقاله من بلده الى بلد آخر ، كما أنه لا يستفيد من مرافق الدولة وهو في بلده كما يستفيد بها في تنقله .

ووعاء هذه الضريبة : جميع عروض التجارة : من ثياب ، وحيوان ، وحبوب ، ونحو ذلك وكذلك الذهب والفضة ، نقودا كانت أو عتادا اذا بلغت النصاب ، وهو نصاب الزكاة . ومقدارها : نصف العشر .

ويستوفى هذه الضريبة عمال الدولة المعينون لهذا الغرض ، والقائمون في ثغور الدولة الاسلامية — وعلى طرق المواصلات خارج المدن — وقد سمي استيفاء هذه الضريبة بالتعشير ، وسمى العامل القائم بجبايتها بالعاشر ، لأن ما يستوفيه من ضريبة مداره على العشر .

في جمهوريتنا المصرية القانون رقم ١١٣ لسنة ١٩٣٩ وما تلاه من تعديلات وقوانين .

وبموجبه تفرض على الأراضى الزراعية الصالحة للزراعة ، سواء زرعت أو لم تزرع ، وهذا الحكم هو ما قرره الفقهاء في خراج الوظيفة — اذ تجب بالتمكن من الانتفاع بالأرض الزراعية ، ولا يشترط الانتفاع الفعلى بها كما بيناه سابقا — ولا شك أن واضع القانون لاحظ طاقة الأرض في تقرير نسب الضريبة المفروضة عليها ، حتى لا يكون هناك إرهاق على المكلف بدفعها . مع تفاصيل كثيرة يمكن الرجوع اليها في كتب فقهاء التشريع الضريبى لمن أراد التوسع في ذلك .

٣ — الضريبة التجارية —

أو العشور

قرر الاسلام على الذميين ضريبة تجارية تفرض على أموالهم المعدة للتجارة عند نقلها من بلد الى بلد داخل دار الاسلام — وهى أشبه بالضريبة الجمركية في عصرنا ، لأن المسلمين يخضعون

دليل شرعية هذه الضريبة السنة - والاجماع •

تعليل جعل ضريبة الذمي ضعف
ضريبة المسلم :

يبدو أن السبب في هذا التضييف : هو أن الذمي كان لا يؤخذ من أمواله شيء سوى ما يؤخذ من أمواله التجارية التي ينتقل بها من بلد إلى بلد - أما أمواله التجارية التي في بلده - وأمواله الباطنة كالذهب والفضة ، وزروعه وسوائمه ، فلا يؤخذ منها شيء ، بخلاف المسلم الذي تؤخذ منه زكاة هذه الأموال جميعا - إما أن يأخذها الإمام نفسه كما في زكاة السبائك والزرع - وإما أن يدفعها المسلم نفسه إلى مستحقيها كما في أمواله الباطنة وأمواله التجارية التي في المدينة وعلى هذا تكون التكاليف المالية على المسلم أكثر منها على الذمي ، فافتضى هذا الأمر تضييف الضريبة التجارية على الذمي •

الضريبة التجارية على الخمر
والخنازير :

يرى فقهاء الشافعية والحنابلة :
ألا يعثر الخمر ولا الخنزير

١ - من السنة : فقد ورد في كتاب شرح السير الكبير للسرهي وكتاب الأموال لأبي عبيد : أن الخليفة عمر بن الخطاب بعث أنس بن مالك لجباية العشور فقال أنس (يا أمير المؤمنين تقلدني المكس ؟) فقال عمر : قلدتك ما قلدني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلدني أمور العشور ، وأمرني أن آخذ من المسلم ربع العشر ومن الذمي نصف العشر ، ومن الحرابي العشر) •

٢ - من الاجماع : فقد أورد الكاساني في بدائع بان عمر بن الخطاب نصب العشار وقال لهم : (خذوا من المسلم ربع العشر ، ومن الذمي نصف العشر ، ومن الحرابي العشر ، وكان ذلك بمحضر من الصحابة - ولم ينقل أنه أنكر عليه أحد منهم فكان اجماعا - والاجماع المذكور اجماع سكوتي والفقهاء - يختلفون في حجته) •

ولا ثمنها ، لانهما ليسا بمال أصلا — والعشر — أى : الضريبة التجارية — انما يؤخذ من المال المقنوم •
 شأنها شأن الخمر لاستوائهما في المالية ، وهما مال مقنوم في حق أهل الذمة ، ولهذا كان مضمونا على المسلم بالاتلاف •

يتبع

وبالله التوفيق

أما فقهاء الأحناف فلم يروى رأي آخر : فمنهم من رأى أنها تفرض على الخمر دون الخنازير • ومنهم من رأى : أنها تفرض على الخنازير فقط ومنهم من رأى : أنها تفرض على الخنازير أيضا

المستشار / محمد عزت الطهطاوى

أحجز نسختك من مجلة

الأزهر

في غرفة كل شهر عربى

تأليف العبارة كما يراه المبرد في الكامل

للأستاذ السيد حسن فترون

الجاهلية والاسلام ، وحسبك أن
منها الأوس والخزرج أنصار
الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ،
وفضلهم على الدعوة الاسلامية
لا ينكر ، منهم دعائها والمنافحون
عنها ، والباذلون أموالهم وأرواحهم
رخيصة في سبيلها ، وأول حكومة
اسلامية نشأت في مدينتهم (يثرب)
التي سميت المدينة المنورة فخصت
خير البشر الرسول وخلفاءه
وأصحابه من المهاجرين والأنصار ،
ومن الأزد الغساسنة ملوك
الشام ، ومنهم أزد شنوءة ، وأهل
الأزد اليمن ، ولكنهم بعد انهيار
سد مأرب اتجهوا الى الشمال ،
وبقى بعضهم في الجنوب ، ومنهم
المطلب بن أبي صمرة وأبنائه ،
ولهم دورهم في تدمير الخوارج ،

المبرد : هو محمد بن يزيد
ابن عبد الأكبر ، ولقب « المبرد »
لأن أستاذه المازني لما صنف كتاب
« الألف واللام » سأله عن دقيقه
وعويصه فأحسن الجواب : فقال له
المازني : قم فأنت المبرد . أي
المثبت للحق ، ولكن منافسيه في
عصره وحاسديه كانوا يتخذون من
هذا اللقب منفذا للإساءة اليه
والنيل منه ، فيقولون انه المبرد
بفتح الراء لا بكسرهما ، كما أن
خصوم العقاد في عصرنا اتخذوا
من اسمه وصفا لغموض شعره
ونثره وتعقيد ، والمبرد والعقاد
بريثان مما تقول به منافسوهما .

والمبرد من أسرة نبيلة هي :
« ثمالة » و« ثمالة » من قبيلة « الأزد »
والأزد ، قبيلة كبيرة لها شأنها في

مما جعل الخلفاء والأمراء والوزراء
يقبلون ، ويتنافسون في تكريمه .
وللمبرد مؤلفات أشهرها
« الكامل » « والمقتضب » في
النحو ، و « الفاضل والمفضول »
و « التعلّازي والمرائى » ،
« ومعاني القرآن » ، ويعرف
بالكتاب التام .

وكتاب الكامل أشهر كتب المبرد،
وأكثرها فائدة للنحوى واللغوى
والبلاغى ، وطالب الأخبار
والأنساب ، لأنه قد حوى كل ذلك
وقد يستطرد الى مسائل الفقه
والعقائد ، والتفسير الى كثير من
العلوم الاسلامية ولأهمية الكامل
قال عنه ابن خلدون :

« سمعنا من شيوخنا في مجالس
التطعيم أن أصول فن الأدب
وأركانه أربعة دواوين ، وهى كتاب
الكامل للمبرد ، وأدب الكاتب
لابن قتيبة ، وكتاب البيان والتبيين
للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على
القالى البغدادي ، وما سوى هذه
الأربعة فتبع لها وفروع عنها » .
ولكن كتاب الكامل . حسب
النظرة المعاصرة . لا يعد كتاب

وقد كانت ثمالة تسكن السراة
من أرض الحجاز ، ولكن المبرد ولد
في مدينة البصرة من أسرة سرية
ثرية ، ومن دلائل شرفها أن ابنها
محمدا الأديب الوحيد في أدبنا
العربى ، الذى يعرف يوم مولده
ويوم وفاته ، فقد ذكروا أنه ولد
في غداة عيد الأضحى من سنة
٢١٠ هـ ، وتوفى في بغداد سنة
٢٨٥ هـ .

وتلقى المبرد النحو واللغة
والأدب من شيوخ عصره وأئمة
دهره ، كالأصمعى وأبى زيد
وأبى عبيدة ، والجرمى والمازنى
ولم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو
من المازنى، كما عرف منه ذلك ونوه
به تلاميذه وفي مقدمتهم المبرد .

وكما كان للمبرد شيوخه . كان
له تلاميذه ، منهم أبو اسحاق
الزجاج ، وأبو على الصغار ، وابن
درستويه ، وأبو الحسن الأخفش
« الصغير » ، وكان المبرد زعيم
مدرسة البصريين ، في الوقت الذى
كان فيه أحمد بن يحيى ثعلب زعيم
الكوفيين ، ويمتاز المبرد على ثعلب
بفصاحة لسانه ، وصياحة وجهه ،

نواحيه على مدى صفحات كتاب الكامل ، فإنه بعد المقدمة التي جعلها للنبي وأصحابه وصد الباب الأول لنقد الشعر ، الذي راعنا منه عنايته بتأليف العبارة ، فماذا قال ؟ وإلى أي حد يتفق ونقدنا الحديث ؟ وينبغي أن نعلم أنه كان مجددا ولا ينظر إلى القديم لقدمه ، فيطريه على طول الخط ، ولا ينظر إلى الحديث لحداثته فينقص من قدره ، بل الميزان عنده واحد للقديم والحديث على السواء ، فالمدار على الاجادة أو كما يقول : « وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحداثته عهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما يستحق ، وموقفى أنا معه موقف التلميذ المخلص والناقد معا ، ولست في هذا بعاق له ، ولا حائد عن طريقته ، بل سعي إلى تبرئة سامته ، وتكميلا لمذهبه ، وكان الأخفش الصغير من خاصة تلاميذه في عصره ، ولكن الأخفش حين تقرأ « الكامل » تجد له تعليقات ناقدة ، مكمله منثورة ، في غضون الكتاب ، وقد كنت

أدب بالمعنى الفنى الحديث ، ولكنه كما قدمنا كتاب جوامع في فنون المعرعة الدينية ، وكان المبرد واسع الأملق ، رهب المصدر ، متفتح الذهن ، لا يضيق بمنالوثية ، ولا منافسيه ، حتى لقد روى الهجاء الذى قيل فيه فقد سئل ما أشد ما قيل فيك من هجاء ؟ قال قول الشاعر :

سألنا عن ثمالة كل حي
فقال القائلون ومن ثمالة ؟

فقلت محمد بن يزيد منهم
فقالوا زدنا بهم جهالة
وما أسهل الرد على قائل ذلك
الشعر ، محمد بن يزيد لا يزيد قبيلته جهالة ، بل يرفعها ويرفع الأمة كلها إلى مواطن النجوم لما آداه للفكر العربى ، والبلاغة العربية من فن وعلم .

وإذا كنت قدمت لما أنا بصدد بهذا التقديم للمبرد ، فلأنى أود أضع القارىء معى في دائرة الضوء ، علنا نتبين معالم أدب المبرد ، ومدى رأيه في نقد الشعر ، وتأليف العبارة ، وإذا كان المبرد عنى بالحديث عن الشعر من جميع

ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ، وهذا صحيح ثم قال : لأن أم هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام ابن المغيرة وهذا خطأ ، لأن هشام الأخير أخو خالد بن الوليد ، وقد بنى المبرد على الخطأ بيان منزلة (هشام بن المغيرة) فقال عنه أنه كان « أجل قرشي حلما وجودا » وكانت قریش تؤرخ بموته كما كانت تؤرخ بعام الفيل .. قال الشاعر :

« زمان تتاعى الناس موت هشام »
ومن أجله يقول القائل :

فأصبح بطن مكة مقشورا
كان الأرض ليس بها هشام
ووضع الأمور في نصابها أن
تقول سما بك خالد وأبو هشام
وهو الوليد بن المغيرة الذي لا يقل
منزلة في قریش عن أخيه هشام
ابن المغيرة ، وهشام أخو خالد
سمى باسم عمه لمكانته في قریش ،
وكان زعيم بنى مخزوم عام غزوة
بدر .

جمعت تلك التعليلات في كراسة ،
ثم فقدت منى ، وأرجو أن أوفق
في جمعها من جديد ، لأبين مدى
ما أحسن فيه وما أساء فيه ، وأنا
أوافق الأخفش في أخذه على المبرد
خطأ في بعض أسماء الأعلام ،
ومما لم يلاحظه الأخفش خطأ
المبرد في نسب خال هشام
ابن عبد الملك ، فقد جعله من
ولد هشام بن المغيرة ، والصواب
أنه من ولد الوليد بن المغيرة ، فقد
مدح جرير الخليفة هشام بن عبد
الملك بقصيدة عصماء منها قوله :

سما بك خالد وبنو هشام
الى العلياء في الحسب الجسيم
قال أبو الحسن الأخفش :
« وهم أبو العباس في قوله :
وبنو هشام ، وإنما وقع في شعره
وأبو هشام وهو الصحيح ، يريد
اسماعيل ابن هشام ، وهو جده
من قبل أمه » ولكن أبا العباس
المبرد حين أورد النسب قال :
سما بك خالد يريد خالد بن الوليد
ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر

أبو العباس المبرد الى منهج العرب
في الشعر والخطب والكتابة ، فبين
خاصية العرب في حب الایجاز .
فالایجاز مطلب صعب لا

يحسنه كل قائل ، فهو يحتاج الى
حصافة العقل ، وتوهج الذهن ،
وتملك اللغة والعربی الخالص فيه
تلك الصفات ، وله اللمحة الدالة
وتأليف العبارة تقتضى الوضوح ،
ومن ثم قيل له بيان ، ولكن البيان
يعتد به ما يشينه من استغراق
المعنى ، واستكراه اللفظ ، فماذا
ينبغى لمن وقع في صناعة الكلام ؟
يرى المبرد : أنه اذا أحيط بما يبينه
من سياق العبارة . كان مقبولا ،
« ويغتفر السيئ الحسن » ثم
هو لا ينكر قول الآخر من أن
المعنى المستغرق ، واللفظ

المستكره ، يكون السبب فيه أظهر ،
وهذه قضية قام بها القدماء ، منذ
عهد الجاحظ الى اليوم ، وقد
وضحها وبين معالمها الامام
عبد القاهر الجرجاني ،
وأرجع كل نقص في العبارة الى
مخالفة النحو وقواعده ، وما من
شك في أن المبرد وان عفا عن

أما هشام بن المغيرة فهو والد
أبى جهل ، ومن الغريب أنه في
فصل آخر أورد النسب سليما .
أقول : كل هذا لأبرهن على أنى
مع المبرد في احسانه ، وليس معه
في أخطائه . . . واليك ما جاء منه في
تأليف العبارة ، قال أبو العباس :
« من كلام العرب الاختصار
المفهم ، والاطناب المخم ، وقد
يقع الايماء الى الشيء فيغنى عند
خوى الالجاب عن كشفه ، كما قيل
لمحة دالة ، وقد يضطر الشاعر
المخلق ، والخطيب المصنوع ،
والكاتب البليغ ، فيقع في كلام
أحدهم المعنى المستغرق ، واللفظ
المستكره ، فان انعطفت عليه جنبنا
الكلام غطنا على عوارءه ، وسترتنا
من شينه .

وان شاء قائل أن يقول : بل
الكلام القبيح في الكلام الحسن
أظهر ، ومجاورته له أشهر ، كان
ذلك له ، ولكن يغتفر السيئ
للحسن ، والبعيد للقريب . . .
وقبل أن نورد ما مثل به لمذهبه
نناقش تلك القطعة في ضوء
مفهومنا للكلام البليغ ، أشار

ومما وقع كالإيماء قول المبرزوق
(يهجر جريوا) :

ضربت عليك العنكبوت بتسجها
وقضى عليك به الكتاب المنزل
وهذه الشواهد لم يعلق عليها
المبرد ما عدا البيت الأخير فإنه
قال « فتأويل هذا أن بيت جرير في
العرب كالبيت الواهي الضعيف
فقال : « وقضى عليك به الكتاب
المنزل » يريد به قول الله تبارك
وتعالى : « وإن أوهن اليبسوت
لبيت العنكبوت لو كان يطمون » (١)

ولو نظرت الى قوله الحطيئة
وقول زهير وهما مادحان لوجدت
الألفاظ مفصلة على قدر المعاني ،
فلا زيادة ولا نقصان ، وهذا ما
يعرف في البلاغة بالمساواة تسمية
الا يجاز والاطناب ، وهما يرسمان
صورة مثلى للإنسان الرفيع
والأسرة الكريمة ، أما عنقرة فقد
وصف نفسه بالشجاعة ، واحترس
أن يكون دخوله في الحرب للمغانم ،
فكان في بيته اطناب جميل ، لا يتم

الاساءة لمقارنتها للاحسان ، فإن
أمثلته تضمنه في جانب من ينكر
استغلاق المعنى ، واستكراه اللفظ
وستان بين هذا وبين استخدام
اللفظ مهما كان حسنه أو قبحه ،
فما دام اللفظ يتعاون مع سابقه
ولاحقه ، ويبين عن مكنون ما في
النفس ، فهو في قمة البلاغة ،
ولا تحديد للفظ شعري أو غير
شعري .

يقول أبو العباس مبينا نقده
للكلام موردا الأمثلة لما يحسن وما
يستجهن : « فمن ألفاظ العرب
البنية القرية المفهمة ، الحصنة
الوصف الجميلة الوصف قول
الحطيئة : وذلك فتى ان تأتته في
صنيعة الى ما له لا تأتته بشفيح
وكذلك قول عنقرة :

يخبرك من شهد الوقية أننى
أغشى الوغى وأعف عند المغم
وكما قال زهير :

على مكثريهم حق من يعثريهم
وعند المقلين السملحة والبذل

الوصف الابه ، وهو قوله :
« وأعف عند المنعم » وهي جملة
نسميها في البلاغة الاطناب
« بالاحتراس » .

والأبيات المختارة كلها تبين دون
المبرد ونفاذه الى الوقوف على
الشعر الجيد المنشود ، وبه تدفع
قول القائل : ان مختارات المبرد
في الشعر ليست جيدة .

والمبرد وقد سبق عبد القاهر
الجرجاني مثله في أن جمال تأليف
العبارة يجيء حسب قواعد النحو
التي تجيء أيضا ترجمة لما في نفس
الشاعر أو الكاتب أو الخطيب ،
فاذا ضعف المعنى في نفس القائل
أو لم يتفصح له وتبعت عليه طرق
الأداء وقد اتخذ المبرد من الفرزوق
سبيله الى تطبيق مذهبه ، فأورد
له شعرا غاية في التعقيد ، وشعرا
غاية في الوضوح ، قال : ومن أقبح
الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد
المعاني قول الفرزدق :

وما مثله في الناس الا تملك
أبو أمه حتى أبوه يقاربه

مدح بهذا الشعر ابراهيم بن
هشام بن اسماعيل بن هشام (١)
بن المغيرة (المخزومي) ، وهو خال
هشام بن الملك ، فقال : وما مثله
في الناس الا مملكا يعنى بالملك
هشاما أبو أم ذلك الملك أبو هذا
المدوح . ولو كان هذا الكلام على
وجهه لكان قبيحا ، وكان يكون اذا
وضع الكلام في موضعه أن يقول :

وما مثله في الناس حتى يقاربه الا
ملك أبو أم هذا الملك أبو هذا
المدوح ، فدل على أنه خاله بهذا
اللفظ البعيد ، وهجنه بما أوقع
فيه من التقديم والتأخير حتى كأن
هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل
واحد مع قوله حيث يقول :

تصرم منى ود بكر بن وائل
وما كاد معنى ودهم يتصرم
قوارص تأتينى ويحتقرونها
وقد يملا القطر الاناء فيفعم
وكأنه لم يقع ذلك الكلام أن
يقول :

والشيب ينهض في الشباب كأنه
ليل يصيح بجانيبه نهار

(١) هشام بن الوليد بن المغيرة .

لا تؤذى ، وهي بتكرارها تملاً
نفسه غيظاً ، وهنا تكون القطيعة •
وبيت الشيب واضح الدلالة
والتشبيه يقع موقعه ، والجمل
تقابل • الشيب ينهض في السواد ،
يقابله ليل يصيح بجانبه نهار ،
فوصف الليل جمل التشبيه في مقام
البلاغة الأصيل ، وكلمة ينهض
تدل على ظهور شيء لم يكن ،
وكلمة يصيح هي من صاح العنقود
يصيح إذا استتم خروجه من أكمته
وطال ، وهو في ذلك غصن ، تأليف
العبارة حسب قواعد النحو ، وكل
لفظ يؤدي الغرض فهو تشبيه
حالة بحالة ، وهذا البيت في
الشيب لقي حظوة عند عبد القاهر
الجرجاني فجعله من التشبيه
المصيب •

ناهيك بتشبيه يجمع الحركة
واللون ، وقد تلمح في يصيح
« الصوت » •

وأنا في هذا المقال لا أعرض
عليك كل ما استشهد به المبرد
على مذهبه ومثله به ، ولكي
اختر لك بعض ما أثبتته في كتابه

فهذا أوضح معنى وأغرب لفظاً
وأقرب مأخذاً •

هذا هو الكلام الذي وازن فيه
المبرد بين شعر الفرزدق المعقد ،
وشعره البين ، وأنت تجده أرجح
ذلك إلى تأليف العبارة ، وإيقاع
لفظها حسب المتعارف من قواعد
النحو ، فالبيت « وما مثله في
الناس .. » جاء الفساد من
التقديم والتأخير ، وفصل الصفة
عن الموصوف ، وعلماء البلاغة منذ
وقعوا على نقد المبرد ، اتخذوا هذا
البيت مثالا للتعقيد ، الذي جاء
لوهن من مجافاة للشاعر لمنهج
للغة العربية •

أما ما عاتب به قبيلة بكر بن وائل
وما تحدث به عن الشيب ، فهو في
غاية البلاغة • ألا تراه في العقاب
يذكر (تصرم) التي تدل على
تدهور العلاقة شيئاً فشيئاً ، ويورد
الفاعل ، ثم يوضح ما أراده بقوله
وما كاد منى ودهم يتصرم فتجد
يتصرم رداً على المصدر ، مما
يجعلك تقول معه وتنتهي إلى ما
انتهى إليه ، والبيت الثاني يوضح
ما جرى قوارحه تأتيه يظنونها

في هذا الباب ، يقول : ومن حسن الشعر وما يقرب مأخذه قول مخيس بن أوطاة الأعرجي ، والأخرج الحارث بن كعب مسن تميم ، لرجل من بني حنيفة يقال له (يحيى) ، وكان يصير الى امرأة في قرية من قرى اليمامة يقال لها (بقاء) :

عرضت نصيحة مني ليحيى
فقال غششتني والنصح مر
ومابى ان أكون أعيب يحيى
ويحيى طاهر الاخلاق بر
ولكن قد أتانى ان يحيى
يقال عليه في بقاء شر
فقلت له تجنب كل شيء
يعاب عليك ان الحر هر
لم يتعرض المبرد لشرحها
تفصيلا ، ولكن عنى ببعض فقراتها ، والمعنى واضح ،
فالشاعر يرى ان صلة يحيى ببقاء جعلته مضغة في أفواه الناس
يلوكونها ، فنصحه فرماه يحيى
بالغش ، مع ان الشاعر هريص
على تنقية سيرة يحيى من الدنس ،
لعلمه بطهارة أخلاقه ، وما عليه
لو تركها حتى يسلم من ألسنة

الناس ، ويسلموا من الاتم ؟
والشاعر مقتصد في تعبيره ، فكل معنى له لفظه ، ولذلك يقول المبرد .. فهذا كلام ليس فيه فضل عن معناه ، وانظر الى شرحه وتعليقه تجده يقول : وقوله « ان الحر هر » انما تأويله ان الحر على الاخلاق التي عهدت في الأحرار ، ومثل ذلك « أنا أبو النجم وشعري شعري » أى شعري كما بلغك وكما كنت تمهد ، وكذلك قولهم : الناس الناس أى الناس كما كنت تمهدهم .. وقوله « تجنب كل شيء يعاب عليك » كقول عمر بن العاص لمعاوية حين وصف عبد الملك ابن مروان فقال : آخذ لثلاث تارك لثلاث : آخذ بقلوب الرجال اذا حدث ، ويحسن الاستماع اذا حدث ، وبأيسر الأمرين عليه اذا خولف . تارك للمراء ، تارك لمقاربة اللثيم ، تارك لما يعتذر منه كقوله :
... تجنب كل شيء

يعاب عليك ان الحر حر
والهدف من كل ما ذكرت ومالم أذكر ، أن أبين أن تأليف العبارة

يجب أن يكون واضح الدلالة ، مرصوفا حسب قواعد اللغة ، ولو كان المعنى عويضا يحتاج الى كد الذهن ، فان تأليف العبارة حسب القواعد يعين على الفهم ، والارتياح الى التحصيل ، ومن ثم نرفض الشعر الحديث ، الذي يجيء تهويلات وتهويل ، بكل الذهن عن بيان ما يعرضه الشاعر ، وقد يتصور الشاعر الحديث أن الرمز هو الأداء ، ولكن الرمز اذا زاد عن حده كان أصواتا لا تحمل معنى ، وجميل من الشاعر أن يأتينا بالصور ، ولكن المصور ينبغي أن تكون مما يعكس مشاعر الشاعر ، ومما ترفضه أن يكون هناك أداء حسب التراث ، وأداء حسب اللغة المعاصرة ، فالقصص هي القصص ، لها قواعدها ولها تراكيها ، واذا كان الأقدمون لهم معان وصور حسب رؤياهم ورؤيتهم ، فلنا نحن مثل ذلك في عصرنا ، فقد اتخذ الأقدمون وسائل القتال مثل السم والسنان والسيف مجالا في الغزل وغيره ، فطينا نحن المعاصرين أن نصنع صنيمهم حسب ماتطى المعاصرة . أما اللغة فهي الوعاء ، والوعاء يتضح بما فيه . . وأول المبادئ في التعبير الوضوح .

ألا ترى قول الله تعالى : « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان » (١) فالبيان هو مطلب الانسان ، فاذا ضاع البيان ضاع التأثير وفقد الارتياح ، وصرنا الى التعقيد وهو شر ما يصاب به الأدب في ذلك الزمان ، ولنا عودة .

السيد حسن قرون

انشقاق القمر والعجاز العلمى للقرون

وكتبه منصف محمد صبيح النبى

- ٢ -

ونظرا لأن موضوع انشقاق القمر فى الماضى قد تعرض لكثير من الجدل ، وأن منطق الرسالة يعتمد على العقل والتفكير ، فأننى أرى أن أقدم التفسير العلمى لانشقاق القمر فى المستقبل .

عند اختلال نظام الأرض والقمر الذى قد يكون مقدمة لاختلال الكون كله كبداية للنهاية ، باعتبار أن الكون أشبه بالمقد الذى اذا انفرطت احدى حباته تشرت الحبات الباقية ، وليس هناك من الناحية العلمية ما يمنع من اختلال نظام الكون على هذا النحو كمقدمة لزواله نهائيا عند قيام الساعة .

وأجدنى أكثر ميلا الى الأخذ بالرأى الذى يقول : ان الآية الكريمة تنبئ بأن القمر سينشق

فى المستقبل ، كعلامة من علامات الساعة ، لأننى وجدت فى العلم الحديث ما يؤيد ذلك ، بالاضافة الى ما ذكرته سابقا .

فاذا كانت الحقيقة العلمية تتفق على هذا النص المدهش مع نص الآية القرآنية ، فما الذى يمنع عقلا وشرعا من تفسير الآية طبقا لتلك الحسابات العلمية القاطمة ، لاسيما وأن العصر الذى نعيش فيه الآن لا يؤمن بغير لغة العلم وسيلة للتخاطب ، فضلا عن الاقتناع ، ولاسيما أيضا أن هذه اللغة العلمية هى اللغة التى لا لغة غيرها لمخاطبة غير المسلمين ، اذا أردنا أن نصدع بما أمرنا من نشر الدعوة الاسلامية وتبليغها الى البشر أجمعين .

ومن جهة نظر علوم الطبيعة والفلك : فإن التوقعات العلمية الحديثة تؤيد أيضا انشقاق القمر في المستقبل ، نظرا للتغير التدريجي لنظام الأرض والقمر .

وفيما يلي أقدم شرحا مبسطا للحقائق العلمية التي أدت الى هذه التوقعات المثيرة :

١ - دوران الأرض حول نفسها : نحن نعلم أن الأرض كروية الشكل تقريبا ، وهي تدور حول نفسها ، أي : تدور حول محورها الوهمي مرة واحدة في اليوم الواحد ، فيتعاقب عليها النور نهارا ، والظلام ليلا ، وتكمل الأرض دورتها حول نفسها في زمن يقدر حاليا بأربع وعشرين ساعة ، أو على وجه الدقة ٢٣ ساعة ، ٥٦ دقيقة ، ٤ ثوان .

ودوران الأرض يمثل الساعة الكونية العظمى بالنسبة للإنسان ، فهي الساعة التي تبلغ في انتظامها حدا يندهش له الإنسان ، فهي كما سنعرف فيما بعد : سوف تعطينا يوما أطول بمقدار ٠٠٢ و٠ من الثانية بعد مائة سنة من الآن ،

فهي لنرى سويا ذلك الاتفاق المذهل بين العلم والقرآن ، لالنرد على المنكرين والكافرين بالقرآن فحسب ، بل أن بعض المسلمين الراسخين العقيدة يريدون - لكي تطمئن قلوبهم - أن يجدوا جوابا علميا لكثير من التساؤلات - حتى لا يحترهم شعور بالنقص في حجة عقيدتهم ، ولنستفيد من الحضارة الحديثة ، لنقدم الرد الصحيح على التحدي الذي يمسنا في صميم مصيرنا ، ولنعلن أن الاسلام يتحدى العلم في كل زمان وأن الفكر الاسلامي يقف وجها لوجه مع الفكر المعاصر والاحاد .

ثانيا : انشقاق القمر في المستقبل : أجمع معظم المفسرين حديثا على أن الآية الكريمة .

« اقتربت الساعة وانشق القمر »

تفيد بأن القمر سوف ينشق عند اقتراب الساعة في المستقبل ، وذلك لأن التعبير بالفعل الماضي عن حدث ما يستخدم عادة في الأصل البلاغي في مقام التعبير عن المستقبل ، تأكيدا لتحقيق وقوعه .

هذه الأجزاء من الألف من الثانية التي يزداد بها طول اليوم الأرضي • وقد يقتزن استصغاره لها بالاستخفاف بها ولكن حذار من إهمال المقادير الضئيلة في حساب الأفلاك • أن عمر الإنسان يقاس بالأيام والأشهر والسنين ، ولكن عمر الأفلاك وأحداثها تؤرخ بملايين وبلايين السنين • وبهذا فإن ملايين أو بلايين السنين تجمع القليل التافه من هذه الأجزاء من الألف من الثانية ، لدرجة أن طول اليوم كان في الماضي عند نشأة الأرض ٤ ساعات فقط ، وذلك عندما كانت الأرض كرة من الصخر المنصهر كالمعجن قبل أن تتجمد قشرتها • وعندما استقر الماء على سطحها ، وتكونت البحار والمحيطات ، بدأ المد والجزر بفعل جذب القمر لهذا الماء ، فأدى إلى تمويق دوران الأرض حول نفسها تدريجياً ، إلى أن أصبح منذ ٣٥٠ مليون سنة مثلاً ٢٢ ساعة ، وأصبح الآن ٢٤ ساعة ، وسوف يصبح في المستقبل ٤٣ ساعة مثلاً بعد حوالي خمسة بلايين سنة من الآن

وبهذا فإن نسبة الخطأ لا تتعدى واحد في البليون ! •
وإذا ما قارنا تلك الدقة المتناهية في انتظام مدة دوران الأرض بجرم الأرض الذي هو حوالي خمسة آلاف مليون طن على تنامي كبره ، فإن العقل البشري ليقف منهدهشاً غارقاً في التأمل ، لدقة هذه الساعة الكونية العظمى ! •

إن ساعة من معدن أو غير معدن جرمها جرامات تدور فتخطيء في دورانها في اليوم بضغ ثوان ، ونقول عنها : ما أضبط وما أجمل هذه الساعة !! فما بالك بالكرة الأرضية التي تعمل كساعة كونية ، جرمها ملايين ملايين الملايين من الأطنان !! تدور ولا تخطيء في اليوم ثوانى ولا أعشار الثوان ، ولكن أجزاء من آلاف من الثانية وتخطئها لأسباب معلومة محسوبة •

حقاً إن هذا الخطأ البسيط في دوران الكرة الأرضية دليل على الكمال • وسبحان الخالق جودع السماوات والأرض •
وقد يندهش القارئ لصغر

سطح الأرض هنا أو هناك يؤثر في سرعة الدوران .

ومما يؤثر في سرعة الدوران أن تتمدد الأرض أو تتكسح ، بسبب ما ، ولو انكماشاً أو تمدداً طفيفاً لا يزيد في قطرها أو ينقص منه إلا بضعة أقدام .

ولقد ثبت علمياً أن أهم العوامل في إبطاء الأرض في دورانها حول نفسها هو جذب القمر لمياه البحار والمحيطات ، محدثاً ما نسميه : « المد والجزر » .

٢ - ظاهرة المد والجزر وإبطاء الأرض :

عرفنا أن يوم الأرض يطول مع الزمن ، نظراً للتباطؤ الحادث في سرعة دوران الأرض حول نفسها ، ولقد ثبت أن القمر يلعب دوراً هاماً في هذه الظاهرة ، فالقمر تابع للأرض ، ويدور حولها وحول نفسه ، وهو أقرب الأجرام السماوية للأرض ، وكلنا يعرف ظاهرة الجاذبية بين كل الأجرام في الكون ، وبهذا فإن القمر يؤثر بالجاذبية على الكرة الأرضية وعلى حركتها في الفضاء ، فيسبب

وبهذا يدرك الإنسان ما في ساعة الكون العظيم : (الأرض) من تأخير ، رغم أنها أدق من الساعة التي تطلق عليها الشركات الآن ساعات الكوارتر ، التي تدرك الجزء من الألف من الثانية !

والآن وقد اكتشف العلم ما في دورة الأرض حول نفسها من إبطاء ، وإلى جانب هذا الإبطاء الدائم القائم المنتظم في دوران الأرض حول نفسها لأسباب أكثرها وأخطرها جذب القمر لمياه البحار والمحيطات : (المد والجزر) توجد تغيرات في سرعة هذا الدوران اسراعاً أو إبطاءً ، تصيبه في غير انتظام وقد تصيبه بفترة !

فكل حدث يحدث في الأرض : في سطحها ، أو فيما دون سطحها ، يكون من أثره انتقال مادة من مكان إلى مكان ، يؤثر في سرعة دورانها .

فليس المد والجزر هو العامل الوحيد في ذلك حتى ما تنقله الأنهار من مائها من ناحية في الأرض إلى ناحية يؤثر في سرعة الدوران وهبوط في قاع البحر أو بروز في

ظاهرة معروفة : « بالمد والجزر » حيث يعمل القمر دائما على جذب مياه البحار والمحيطات التي تغطي ثلاثة أرباع سطح الأرض ، أثناء مواجهة هذا الماء للقمر ، فترتفع هذه المياه عن سطح الأرض عاليا ، نظرا لليونتها ومرونتها ، فينتج ما يسمى بظاهرة : « المد » لهذه المياه • وتدور الأرض بهذا الماء ، ليستقبل القمر ماء غيره على سطح الأرض ، فيصيبه « المد » بجذب القمر ، بينما يهبط الماء الأول بعد أن دارت به الأرض وبعد عن تأثير القمر فيصيبه « الجزر » من بعد المد • وهكذا تدور الأرض حول نفسها ، فيتناوب سطوحها المائية جذب القمر لها شدا وتقلعا ، ويبعد بعض سطوحها اذ يدور عن القمر ، والقمر متعلق بمائه ، فيعوق هذا التعلق الأرض في دورانها ، ذاك لأن الماء المتعلق يرتطم بما يأتي من سواحل المحيطات الصلبة وقيعانها ، فيعوق من دورانها ، أي من دوران الأرض ، وهو تمويق يؤدي الى ابطاء سرعة دوران الأرض حول نفسها ، ورغم أنه تمويق في غاية التفاهة الا أنه تمويق على كل حال يؤدي الى أن يوم الأرض سيطول في المستقبل •

ويمكن تشبيه هذه الظاهرة وكأن الكرة الأرضية رجل يدور حول نفسه ، وتمسك أنت بأطراف ثوبه ، وكلما أفلتت من يدك طرف أمسكت فورا بطرف آخر من الثوب ، وبهذا يتعطل الرجل في دورانه حول نفسه •

ولهذا فان المد والجزر يبطيء أى يفرمل من دوران الأرض حول نفسها • ويتكرر المد والجزر مرة كل يوم ، في جميع البحار والمحيطات في سائر أنحاء الكرة الأرضية ، وبهذا يتكرر التعطيل ، ويزداد طول اليوم الأرضي الحالى تدريجيا بمقدار ٠.٠٠٢ ثانية كل قرن ١١ في المستقبل ، بينما كان هذا اليوم أقصر في الماضي بنفس المعدل •

فلقد ثبت أن اليوم كان ٢٢ ساعة فقط ، منذ حوالي ٣٥٠ مليون عام مضى ، وذلك في العصر المعروف بعصر الأسماك ، حيث ثبت أن بعض الشعب المرجانية الحالية تظهر عليها أحزمة سنوية

تتركب من ٣٦٥ حلقة أصغر : سيزداد طوله في المستقبل ، حتى يصل مثلا الى ٤٣ ساعة بعد فترة تقدر بحوالى خمسة بلايين سنة من الآن . وهذا طبعا يوم طويل اذا ما قورن بيومنا الحالى ذى الـ ٢٤ ساعة ، مما سيؤدى حتما الى تطور نظام الأرض والقمر تطورا يجبر القمر على الانشقاق !

٣ - انشقاق القمر علميا :

من المعروف أن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس ، بينما القمر تابع للأرض يدور حول نفسه وحول الأرض ، ولهذا فإن الأرض والقمر يمثلان معا نظاما شبه معزول ، وهناك تأثير متبادل بينهما ، وكمية تحركهما الزاوى أى : الدورانى مقدار ثابت ، فلو أبطأت الأرض في دورانها أسرع القمر في دورانه والعكس صحيح ، لأن مجموع كمية التحرك الدورانى في أى نظام معزول مقدار ثابت طبقا للقوانين الأساسية في الطبيعة . والمقصود بكمية التحرك الزاوى (١) لأى جسم هى كمية

وحيث انه لا يوجد دليل أو سبب لتوقع لأى تغيير حقيقى لطول العام ، فان كثرة عدد الحلقات يعتبر دليلا على أن اليوم في هذه الحقبة الماضية من الزمن كان أقصر ، ويمكن بذلك حساب طول اليوم في هذا الوقت الماضى بمقدار ٢٢ ساعة .

وهكذا لقد أدى ابطاء الأرض الى زيادة طول اليوم تدريجيا ، كما أظهرته دراسات الشعب المرجانية ، وساعات الكوارتز ، والساعات الذرية .

ويمكن القول بأن اليوم

(١) - كمية التحرك الزاوى لجسم ما هى ناتج حاصل ضرب كتلة الجسم الدائر x بعده من محور الدوران x سرعة الدوران .

التحرك المناظرة لدوران الجسم حول محوره أو لدورانه في مداره أو لكليهما .

وحيث ان الأرض سوف تبطئ في سرعة دورانها حول نفسها في المستقبل ، فان القمر سوف يسرع حتما في دورانه حول نفسه ، أو في دورانه حول الأرض ، ليعوض ما ينقص في الأرض من كمية تحركه . وهذا التسارع في دوران القمر في المستقبل سوف يؤدي الى انشقاق القمر ، ويمكن ادراك ذلك بطريقتين :

- (أ) زيادة سرعة دوران القمر حول نفسه في المستقبل ، سوف تؤدي الى تطلب القوة الطاردة المركزية (١) على أجزاء القمر المتماسكة ، فينشق القمر ويتفتت كما يتفتت الشيء عندما يدور بسرعة في الخلاط الكهربى .
- (ب) زيادة سرعة دوران القمر

حول الأرض سوف تؤدي الى ابتعاد القمر عن الأرض ، ثم اقترابه منها تدريجيا ، وخاصة بعدما يصل يوم الأرض الى حوالى ٤٣ ساعة ، وذلك في غضون ٥ الى ١٠ بليون سنة من الآن ، (٢) حيث سيقترب القمر من الأرض اقترابا يجعل الفرق في تأثير جذب الأرض على الجزئين : القريب والبعيد من القمر كافيا ليشق القمر شبيها فشيئا ؛ وعندما يحدث هذا فان بقايا القمر تصبح على شكل حلقة من الجسيمات حول الأرض ، شبيهة بدرجة كبيرة بحلقات زحل ؛ والآن وقد عرفنا بالمنطق العلمى المتفق مع الحضارة الحديثة أن القمر سينشق بالتأكيد في المستقبل فقد تسأل كيف يمكن للعلماء تحديد موعد ولو تقريبي لانشقاق القمر علمابأن انشقاق القمر مرتبط كما ورد في القرآن الكريم باقتراب

(١) — وهي القوة التى يكتسبها أى جسم ماذى دائر ، ويكون اتجاهها خارج مركز الدوران ، مثل القوة التى تتدف بقطرات الماء خارج الملابس التى تدور فى مجفف الغسالة .

(٢) — آفاق جديدة فى علم الفلك — تأليف : جون برانجت وسيفن ماران (مترجم) مكتبة الوعى العربى صفحة ٤٢٠ .

الساعة كما تشير الآية الكريمة : ٢ « اقتربت الساعة وانشق القمر »

كما أن علم الساعة وتحديد يوم القيامة أمر من الغيبيات التي يحتفظ بها الله سبحانه وتعالى لنفسه بدليل قوله تعالى :

« ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت » لقمان ٣٣

وللرد على هذا السؤال نأخذ

نلاحظ من سياق هذه الآية الكريمة أنها تقرر أن الله عنده : علم الساعة ، وينزل المطر ، ويعلم ما في الأرحام . وقد يتعرض الإنسان بواسطة العلم لهذه الأمور الثلاثة ، وقد يتمكن في حدود ضيقة (إذا ما سمح الله له بشيء من العلم الإلهي وهذا جائز) أن يعرف علامات الساعة وكيفية نزول المطر واستعجاله ، ونوع الجنين دون تأكيد مطلق في هذه الأمور الثلاثة . ولكن موضوع رزق الإنسان وميعاد ومكان وفاته ، فإن الآية تنص صراحة على

وبهذا فإن من الجائز أن يسمح لنا الله بمعرفة موعد انشقاق القمر دون تأكيد مطلق بهذا الموعد ، وحتى لو عرفنا موعد انشقاق القمر فإن هذا سيكون دليلا على اقتراب الساعة ، وليس قيامها !

كما أن العلم لا يستبعد تدخل عوامل أخرى غير المد والجزر تؤثر على سرعة دوران الأرض حول نفسها ، مما يقدم أو يؤخر من موعد انشقاق القمر ، وهذا يتفق مع الآية الكريمة التالية التي تشير الى قيام الساعة فجأة ، وبالتالي فإن علامات الساعة سوف تحدث دون تأكيد مطلق بموعد حدوثها :

« هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون » . وقوله تعالى : (الزخرف : ١٦)

« يسألونك عن الساعة أيان

مرساها • فيم أنت من فكراها •
الى ربك منتهاها • انما أنت منظر
من يخشاها •
(النزاعات ٤٢ - ٤٥)

هذا هو العلم الحديث يكشف
عن امكانية انشقاق القمر في
المستقبل ، دون تحديد مطلق لموعد
الانشقاق • وهذا هو القرآن
الكريم يشير الى انشقاق القمر ،
وما كان رسول الله سيدنا محمد
يستطيع معرفة هذه الظاهرة ، وهو
مجرد من كل الوسائل العلمية التي

تكشف النقاب عنها ، ولهذا فان
القرآن انكريم كتاب الله ، وأن
سيدنا محمدا رسول الله • وسوف
يظل الاعجاز العلمي للقرآن الكريم
حتى قيام الساعة ، بعد أن ينشق
القمر ، وتتكور الشمس ، وتحول
الى عملاق أحمر كما سنعرف في
المقالة التالية باذن الله تعالى •
والسلام عليكم ورحمته الله
وبركاته •

دكتور

منصور محمد حسب النبي

رجاء الى كتاب مجلة الأزهر

تسهيلا لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب المجلة
أن ينكروا بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة (التبرايتز)
ثم مراجعتها - أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم
الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ، والله الموفق •

أسرة المجلة

مع اللغة في تطورها

للدكتور توفيق شاهين

وكان التعاون بين علماء اللغات والاجتماع مفيدا لكليهما :
اذ استفاد الاولون من دراسة الألفاظ ودلالاتها على نحو دقيق في واقع الاطار الحضارى والاجتماعى .. وتفسير التغير اللغوى تفسيراً كاملاً في ضوء الظروف السابقة .
واستفاد الآخرون : أن اللغة من أهم مظاهر السلوك الاجتماعى ، وسبب لانتماء الفرد لمجتمعه .

• كما عظمت العناية ببحوث
(علم النفس اللغوى)

(LINGUISTIC PSYCHOLOGY)

ليبيان العلاقة بين اللغة ، والحالة النفسية ، والتفكير والايحاء .

• وكذلك بهوث علم الدلالة
(السيمينتيك SEMANTIQUE)

اللغة ككائن حي ، تتحرك وتتموج وتضطرب ، وتحيا وتستخدم وتتغير وتموت ، كشأن الأحياء .

ولا يمكن أن تثبت اللغة ثبوت الدين في دائرة الخلود ، بل لا بد من تغيرها وتطورها ومعرفة حياة اللغة وتقلباتها ، وتأثيرها وأثرها ، وتماسكها أو تلاحقها .. كانت من البحوث القيمة ، التى أولاها علماء اللغة عناية كبيرة ، فى مجالات :

• علم الاجتماع اللغوى

(SOCIOLOGY OF LANGUAGE)

ليبيان العلاقات التى تربط بين اللغة ومجتمعها ، وأثره فى مختلف المظاهر اللغوية ، من حيث تركيبه وحضارته وبيئته .

كانت المعانى يتم بها تنظيم علاقات التفاهم ، والتعبير عن الحاجات والمشاعر والأحاسيس ، احتاجت في دراستها الى علوم الاجتماع ، والنفس ، والتاريخ ، والبيئة الجغرافية .

اللغة في مسارها التاريخي أو

الموروث :

التطور والتغير ناقوس في كل مجتمع والمجتمع بأسره وما يدور فيه عامل في خلق هذا التطور . والمدلول الاجتماعي يسبق دائما المدلول اللغوي ، الذي يخلفه لينطيه برمز لغوي . واللغة أهم ظاهرة لغوية في المجتمع ، التي يتوارثها الأجيال تباعا . وكل تطور نفسي أو عقلي أو اجتماعي ، يبني ، أو حضاري .. تبدو مظاهره في اللغة ، فتلاحقه ، وتتشكل معه تطورا وتغيرا وأثرا وتأثيرا . ويزدياد ملامح التغير والتطور تتسع مسافة الخلف ، حتى تتشعب اللغة الى لهجات ، وتصبح لغات — كما أسلفنا — وهكذا حواليك . وقد شبه بعضهم اللغة

وخاصة علمي : البنية : الاشتقاق والتصرف (المورفولوجيا) . والتنظيم ، في أقسام الكلام وأنواعها ، ووظائفها في التركيب ، في المسارين : التاريخي والمقارن . وكذلك علم الأساليب :

(الستيلستيك STYLISTIQUE)

الذي ينوع فنون القول باختلاف العصور عند الشعوب ، في إطارى المقارنة والتاريخ أيضا . أما الجانب التعليمي في كل ما سلف فقد استقل بنفسه ، وأصبح علما مستقلا ، وكثير من علماء اللغة ، لا يعدونه من أبحاث علم اللغة اليوم .

وقد احتاجت اللغة في دراسة جوانبها الى تكاتف وتعاون هؤلاء العلماء ، حتى يتم توضيحها والكشف عنها في قطبيها من ناحية الأصوات وأجهزة النطق ، التي تحتاج لعلوم : الطبيعة ، والفيزيولوجيا ، والتشريح ، والأنثروبولوجيا .

ومن ناحية المخبر وهى المعانى التي تؤدي اليها الأصوات ، ولما

كل لغة ، فان العربية وهي وعاء مقدساتنا لن تموت — باذن الله — وان نالها التطور والتغيير .

واللغة تتبع من أصل ، وتجرى في روافد الى مصب ، وتتشعب بها المجارى والروافد ، وكلما بعدت عن نقطة الانطلاق ازداد المتغير والتباين .

وهذا المتطور قوى التيسار ، يجرف أمامه ما يعترضه ، ويصبغه بصبغته ، مهما نشط اللغويون يكل امكاناتهم في ايقاف زحفه ، فقد يطيل الأجل قليلا ، أو يوقف الزحف يسيرا .. ثم تصي اللغة متقوقعة ، أو غريبة الوجه واللسان ، أو هامة الحركة .

ويؤيد ذلك : أن العبرية وأخواتها الساميات : العبرية ، والبابلية ، والأشورية ، والفينيقية والسريانية ، والحبشية ، على ما بينها من اختلاف .. كلها انشعبت وتحدت من مجرى واحد .

وأن اللغات : الأرمنية ،

بشجرة (١) تتدلى فروعها الى أسفل ، فتلامس التربة — وترسل في الأرض جذورا تصبح أشجارا فتية فيما بعد . وقد تموت الشجرة الأم ، ولكن من فروعها تنشأ أشجار جديدة .

وإذا قلنا : ان اللغة تموت ، فانما نقصد بالموت التغيير الكلى الذى يطرأ على المجتمع ، والتبدل الجذرى في الحياة ، وفي الظروف المحيطة بالحياة الى حد نستطيع فيه القول أن لغة اليوم مغايرة للغة الأمس .

قد نستطيع أن نطيل حياة لغة باقامة سياج حولها من أحكام شديدة وقوانين ثابتة . وقد نقيم حولها هالة من التقديس ، وقد نضفى على أدبها مسحة من القدسية .. وجميع هذه تطيل في حياتها ، ولكن لا مفر من المحتوم : (الموت) ، وكل هي يموت ، واللغة حية فهي خاضعة لهذا الناموس

ونقول : اذا جاز ذلك الموت على

(١) نظريتك في اللغة . هـ

ومن بعيد ، وعبر الأثير واللاسلكي ويرجع هذا الاختلاف الى التكوين الفسيولوجي لكل واحد على حدة ، وبسبب تَعَوُّده والفه • كما يتلون حديثه بما ينم عن شخصيته ومهنته وطبقته في الحياة • والفروق الفردية في النطق لا تخفى الأصوات النغمية للمجموعة ، والتي تتميزها الصفات الأساسية التي يشترك الجميع في معرفتها والسير عليها • وتحديد هذه الصفات الأساسية لاصوات لغة ما كان هو السبب الداعي لنشوء نظرية (الفونيم) في الدراسات اللغوية ، وعنها تفرعت (الفونولوجيا) •

وهذه الفروق الفردية بين الأفراد في نطق الأصوات حتمية ، لا يمكن إيقافها ، لأنها جبرية ، وكل انسان وطبيعة تكوينه •

كما أنها قديمة : فقد وصف سيبويه — في القرن الثاني الهجري — الضاد التي سمعها بأنها : الضاد الضعيفة ، أي ليست هي الضاد التي ينطقها الأعرابي الأصيل (١)

والايرانية ، والروسية ، والألمانية ، والايرلندية ، واليونانية والسويدية والدانمركية ، واللاتينية ، والانجليزية ... على ما بينها من تباين كبير في الاصوات والنظام والاساليب ... تمثل مجساري متشعبة من مجرى واحد ، من الجرمانية الأم •

ولم يبق لللاتينية الا رسمها ، حين استقلت عنها : الفرنسية ، والايطالية ، والرومانية ، والبرتغالية ، والأسبانية •

وكالعربية الفصحى التي ظلت لغة كتابة وحديث وتأليف وأدب ، بينما تجد — اليوم — لهجاتها في البعد عنها في عامية الأقطار العربية وتغذ السير في هذا البعد الذي استشرى وخيفت عقباه ونتائجه •

ومعلوم أن لكل لغة صفات أساسية مشتركة بين عدد من أصواتها ، يعرفه أبناء تلك اللغة الا أن لكل انسان صفاته المميزة في النطق ، وطريقة تعبيره وأدائه حتى (IDIOLECT)

ليمكن أن نميز صوته عن غيره ،

(١) الكتاب لسيبويه ١٠٦/٢

مشتركة ، ليصح القياس عند
الأصوليين • عكس المفرد عند
النحويين •

والجامعة اليوم : تيار سياسي ،
وأكاديمي ، وشعبي في الجامعة
الشعبية •

وأهل السنة والجامعة ، وجماعة
المسلمين ، للصف الاسلامي الموحد
والجمعية العمومية ، والتعاونية
• • الاجتماع للقاء ، واجتماع
المنجمين ، والاجتماع عند علماء
الاجتماع ، واجتماع الفقهاء ،
وعلماء الكلام ، والنحاة •

ويقول المقرئ : انجمت على
القلوب ، والقواميس لم تعرف
(انجم) • وجاء عن الادريسي
(مجتم) ، وعندنا اليوم المجتمع
السنوي ، والمجمع اللغوي ،
ومجمع البحوث ، ونكتي عن
الزوجة بالجماعة • •

وقد كان تتابع الاضافات معييا
في التراكيب ، كقول الشاعر :

وقد قلبت هذه الضاد الى ما يقرب
من الدال في بعض اللهجات ، والى
ظاء في لهجات أخرى كما يشاهد في
المراق •

• والتغير يشمل المفردات في
معانيها ، كما يشمل التراكيب ، وكما
شمل الحروف : فاذا تتبعنا لفظ
(جمع) وبعض مشتقاته في العربية
— مثلا — لوجدناها تطورت
حضاريا كما يلي : القواميس
القديمة عرفت (جمع) بمعنى
الضم والجمع والاجتماع للناس
والاشياء ، والأمر الجامع • وعرفت
الصلاة جامعة ، وصلاة الجماعة ،
وما عرفت الجمعية ، حتى القرن
الثاني الهجري •

ولكننا لو راجعنا معجم (دوزي)
في عصر الحضارة ، وراجعنا —
أيضا : (كشف اصطلاحات الفنون
للتهانوي) (١) لوجدنا تشعب
الاصطلاحات وكثرة الاستعمالات :
فالجمع : حسابي عند الرياضيين
وضم الأصل والفرع لعة

(١) علم اللغة العربية — د — محمود حجازي ٢٩٩ وما بعدها •

(٢) كشف التهانوي ١ / ٣٣ •

اللاتينية مفردات عديدة في :
التشريع ، والقضساء ، ونظم
السياسة والاجتماع (١) وأخذت
الأوربيات عن العربية كثيرا من
ألفاظ منتجات الزراعة ، مثل :
الليمون ، والزعفران ، والسكر ،
والكافور ، والقهوة ، والقطن ،
والنسيج الموصلي ، والدمشقي .
وهي على الترتيب :

LEMON, SAFFRAN, SUGAR,
CAMPHOR, COFFEE, COTTON,
MUSLIN, DAMASK.

وأخذت الأسبانية عن العربية
حوالي أربعمئة لفظة ، في شؤون
الملاحة والبحرية ، وكذلك صنع
اليونان كالأسبان .

وكلمة (شاي) ونبتت من
ماليزيا ، وعمت أرجاء المعمورة
وأخذت العربية من اليونانية :
الفاظ الطب ، والفلسفة والمنطق ،
وعلوم الطبيعة ، وكذلك للفردوس ،
والقسطاس ، والبطاقة ، والسجنجل
(للمرأة) .

وأخذت العربية عن الفارسية

(حمامة جرجى حومة الجنادل
اسجعى) . . فأصبح مألوفا في
تراكيب جديدة مثل : احتمال قرب
سقوط مطر الشتاء .

الاحتكاك اللغوي في مجال التغيير :

الإنسان مدنى بطبعه ،
والاتصال ضرورى بين الأمم ، وقد
كثر نتيجة لتذليل سبل الاتصال
والاحتكاك اللغوي عندئذ لابد منه
والتأثر والتأثير اللغوي نتيجة هذا
الاحتكاك ، ومصير التأثير التطور
والتغيير لا شك في ذلك .

وسنة اللغات في الاحتكاك الأخذ
والعطاء ، والأعلى كعبا من اللغات
هى التى تقرض أكثر مما تقترض .
والبلد المتفوق في ناحية من
نواحي الحياة أو الثقافة يعطى هذا
الجانب ومع ألفاظه الى الذى
امتقد هذا الشيء :

فقد أخذت اللاتينية عن
الاغريقية ، مع حضارتها الشيء
الكثير من الألفاظ ، وخاصة الطبية
والفلسفية وأخذت الجرمانية عن

(١) علم اللغة . د . د . وفى ٢٣٢ .

السحر والكمال والجمال ، فهي أكثر من (فونيمات) وحياتها أو موتها أو تبدلها رهن بالعنصر الانساني اذا عاش عاشت معه ، وان مات توارثت معه ، سواء اكان موته حقيقيا أو معنويا .

واللغة اصدق سجل لتاريخ الأمة ، وميزان منزلتها من الحضارة ، وتعكس مافي البيئة من مختلف الشئون الحياتية ، وتتأثر بكل ما يدور ويحدث في البيئة من موروث أو طريف ، والانسان ابن بيئته : فان بدت وبادت معه لغته ، وان تحضرت حضر وتحضرت معه لغته : تتسع بانفتاح آفاقه وتنغلق بانعزاله :

فمن (الساميات) : كانت (الآرامية) في الشمال : قليلة الألفاظ ، مضطربة القواعد ، ثقيلة التراكيب ، صعبة النطق ، متغايرة الكلمات والحروف .

و (العربية) في الجنوب : وفيرة المفردات ، رقيقة الحاشية

أسماء التوابل . والأدوات المنزلية . مثل الفلفل ، والقرفة ، والزنجبيل ، والدراسيني ، والكوز والابريق ، والطست . والحوان . ومن العطور : البنفسج ، والمسك ، والياسمين ، والكافور ، والعنبر . ومن المنسجج : الديباج ، والسفندس . والاستبرق (١) .

واثبتت العربية بما أخذته وعربت من اللغات الأخرى أنها ذات قدرة بارعة على هضم الألفاظ الأجنبية ، وصقلها على أوزانها فيها وجعلها مثل الألفاظ الأصلية فيها ، حتى صرفتها واشتقت منها ، فقالت فلسفة ، وتفلسف ، ومتفلسف . ونورز من النبروز .

اللغة والحضارة :

تعيش اللغة في تفاعل دائم مع طبيعة العلاقات الاجتماعية ، والحضارية ، والسياسية ، وكل ما في المجتمع عبر الأجيال ، لأن اللغة من الحياة الانسانية ولها ، والعنصر الانساني هو الذي يضيف على اللغة مسحة من تأثير

(١) فقه اللغة للثعالبي الباب ٢٩ ، والمزهر للسيوطي ، النوع ١٩ .

دائما — باحتياجاته واهتماماته
 بشكل مرض للغاية ، وهى —
 بالتالى — تساعد الفرد والمجتمع
 على التفكير الى العالم بطريقة
 ما ، ولكنها لاتمنعه من التفكير
 والتصرف بطريقة أو طرق أخرى .
 فاذا انتقل المجتمع من حال الى
 حال : من الزراعة الى الصناعة ،
 أو من البداوة الى الحضارة
 لاتقف اللغة حائلا دون ذلك
 التحول ، لان فى كل لغة امكانيات
 للتطور والتغير ، بحيث تسير
 المجتمع الجديد فى كل مايجد فيه
 من شئون ، تسرع أو تبطئ فى
 ذلك على حد ما فى طياتها من
 امكانيات اليسر أو العسر فى
 الحركة ، ولكنها سائرة نحو الوفاء
 بالتعبير عما جد فى المجتمع الذى
 تعيشه من مداخل وأمر .
 وتصطبغ اللغة بما فى البيئة ،
 وترى أنماط السلوك السائدة ،
 والاتجاهات الاجتماعية ، والتطبيقية
 وتوهى بدرجة الثقافة :

انسانية التعبير ، منطقية القواعد ،
 رحبة الأفق ، ووسعت كتاب الله
 لفظا وغاية .

وجاءت (العبرية) فى منزلة
 بين المنزلتين : هفقت الاولى ، ولم
 تبلغ شأوا الثانية « (١) .

واللغة أداة بلاغ ، وجمالة
 حضارة ، لكنها كما ثبت من الواقع
 — لاتحدد نوع الحضارة لمجتمع
 معين : فقد ثبت : « أن المجتمعات
 التى تتكلم لغات مختلفة يمكن أن
 تشارك فى نفس الحضارة :
 كالحضارة العربية الاسلامية » ،
 التى حاكمتها أمم تنتمى الى لغات
 شتى .

وعكس هذا صحيح أيضا :
 « فمن الممكن أن تستعمل مجتمعات
 تنتمى الى حضارات مختلفة لغة
 واحدة ، كما هو حاصل فى الوقت
 الحاضر — مثلا — للغة
 الانجليزية » (٢) .

فاللغة انمكاس لاهتمامات
 المجتمع الذى يتكلمها ، وتنفى —

(١) علم اللغة • د • والى ٢٢٥ •
 (٢) أضواء على الدراسات اللغوية ٢٢٠ •

الحضارة ، وتموج بها الدنيا من حوله ، وهو لا يدري .. لكن ما ان يتعامل مع الدنيا الجديدة وينفعل الا وتجد النقلة واسمة ، والجفوة متقعدة ، اذا كانت القريحة وقادة :

تحدث أسانيد الأدب : أن شاعرا وفد من البادية ، مشبعا بمشاهددها ، ويحمل بضاعتها ، مدح على بن الجهم ، فقال له : أنت كالكلب في وفائك بالعهد

وكالتيس في قراع الخطوب أنت كالذلو لاعد منك دلوا

من كثير العطا قليل الذنوب فهم احد جلساء الأمير بتأديبه ، ولكن الأمير أدرك بفطنته ، فالشاعر استوحى محصله ومخزونه اللفظي والمرئي ، فلم تسعفه الذاكرة بأكثر مما عاثه واقعا في بيئته ، وأبقاء الأمير زمنا يسيرا ينعم في بحبوحة العيش ، ويتعامل مع الطبيعة في أجلى مغانيها ومفاتيحها ، ويشاهد الجوارى كالحوريات في غدواتهن وروحاتهن وتحدث كتب الأدب أن ذات الشاعر رأى في روضة

فحين يصبح فرس امرئ القيس خير وسيلة للسفر ، يصفه امرؤ القيس بتفصيل دقيق . وحين تسمى ناقة طرفة خير ركوبة وعليها زاده وأمله وحياته .. يملأها بأكثر من أربعة آلاف لقطة ، لاتدع شاردة ولا واردة من شئون ناقة الا أحصاها .

وحين تحمل الأرض أو تخلف السماء ، لاتجد أثرا للراجلين سوى الدمن والاطلال ، وبعر الآرام في العرمات .

وحين يحيا القوم في عيشة راضية ، يمدح الشاعر المرأة ، بأنها نثوم الضحى ، ويضحي غثيت المسك فوق فرائشها ، ومشيتها من بيتها الى بيت جاريتها مشى السحابة لاريث ولا عجل .

ويكون القوم المدوحون : رفاق النعال ، وطيب حجازاتهم ، ويسوسون أحلاما بعيدا أناتها وتخالهم جنا اذا جهلوا .

وقانون البيئة وانطباع ما فيها في اللغة لا يتخلف ، والعنصر الانساني هو الأداة والحالة : فقد تردهر

أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، يتميز بها كل مجتمع انساني ، وهي ظاهرة انسانية .. لم تهبط من عل ، بل نشأت من أسفل ، وتطورت بتطور الانسان ذاته ، ونمت بحضارته . وليس هناك مبرر للمفاضلة بين لغة وأخرى . لكل لغة عبقريتها ومقدرتها على التعبير عن حياة المجتمع .

وليست القضية قضية لغة أفضل من لغة ، بل قضية حضارة أرقى من حضارة . وحياة أغنى من حياة .

ولذلك لا مفاضلة في أصوات اللغة : كأن يقول أحدنا ، ان في الايطالية أصواتا أعذب موسيقى من أصوات العربية ، فالذي نعهه نحن البيض — عذوبة في الصوت ، قد يعده الهندي الأحمر قبحا وخشونة . وما نحسبه بيانا وفصاحة .. قد يرى فيه الزنجي غموضا وتعقيدا .

ولامبرر للقول بأن مفردات لغة ما أكثر عددا من مفردات لغة أخرى ، اذ قد يكون عندنا — نحن البيض — للصورة الذهنية لقطة

أريضة كالخميلة جارية تنهادى بين الشجر ، فهم بمنازلتها فتهددته بخنجرها ، فأمسك بيدها قائلا : يا من حوى ورد الرياض بقده وحكى قضيب الخيزران بقده دع عنك ذا السيف الذى جردته عيناك أمضى من مضارب هذه كل السيوف قواطع ان جردت وحسام لحظك قاتل في غمده ان رمت تقتلنى فأنت مضير من ذا يعارض سيدا في عبده وذات الشاعر هو القاتل أيضا : عيون المهابين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري .

وهكذا تكون النقلة ، وهكذا يكون أثر البيئة ، وهكذا تكون اللغة مطواعا للألمى .

وكثير من العلماء يرون أن لكل لغة مقدرتها على التعبير عما في بيئتها ، فلا مجال لتفضيل لغة على أخرى في أية ناحية ، وإنما التفضيل لحضارة على أخرى تحملها لغة :

يقول الأستاذ أنيس فريجة :
» لقد أثبت علم اللغة الحديث:

التساؤل : هل يوجد فكر مجرد بدون رموز لغوية ؟ أو أن اللغة والفكر مظهران لعملية (سيكولوجية) واحدة ، كوجهي قطعة عملة ؟

والسؤال بوجه آخر ، هل هناك ارتباط بين طبيعة نظام اللغة ورموزها من جهة ، وبين تفكير مجتمع هذه اللغة وفلسفته ومظاهر التفكير التي أنتجها وينتجها هذا المجتمع من جهة أخرى .

بعض العلماء يؤيد هذا الترابط وتؤيد التجارب والدراسات : بأن اللغة تسيطر على طريقة تفكير المجتمع ، وأن سلوك الفرد والمجتمع معزو إلى اللغة المتكلمة وطبيعتها .

وبعض العلماء ينقض ذلك وينفيه . فمساغة الخلف واسعة ، والتطرف كبير بين النفي والاثبات : يرى سابير (SAPIR) : أن

اللغة هي التي تجعل مجتمعا ما يتصرف ويفكر بالطريقة التي يتصرف ويفكر فيها . وأن ذلك

خاصة تعبر عنها ، بينما نجد أن الصفر أو الأحمر أو الأسود من البشر لا يشعرون بأن هذه الصورة الذهنية تحتاج إلى لقطة خاصة بل قد يعبرون عنها بطريقة أخرى مخالفة ، ولكن فعالة » (١)

ونحن لا نوافق الاستاذ في كل ما ذكره : فهناك عذوية في موسيقى بعض اللغات كالفرنسية ، يجب الإنسان أن يسمعها ، ويأنس لها ويضطرب ، ولولم يدرك معناها . وهناك لغات غنية بمفرداتها ، وأخرى فقيرة . . وناهيك (باللسان) الذي يضم بين دفتيه أكثر من مائة ألف مادة . . ومخزونه الوفير هذا ارماس بأنه يلبي أشواق الروح ومطالب الحياة والأحياء ، حين تدعو الحاجة ، وتطمح الضرورة .

اللغة والفكر :

ثار جدل كبير بين العلماء والمفكرين ، بشأن قضية : توافق اللغة والفكر وتفاعلهما . فكان

المجتمع لا يستطيع رؤية العالم إلا من خلال لغته ، فالبشر واقعون تحت رحمة تلك اللغة المعينة ، التي اتخذوها وسيلة للتفاهم في مجتمعهم . حقيقة الأمر أن العالم الحقيقي مبنى الى حد كبير على العادات اللغوية لمجتمع معين « (١) وفي موطن آخر يوضح (ساير) نظريته ، بأن اللغة طريق مهده ، أو أهدود كالأخاديد التي تراها على سطح اسطوانة تمهد وتحدد للابرة لتمر فيه لتردد الصوت .

فاللغة تسهل الفكر وتساعد على نموه ونمو الفكر ذاته يعود فيؤثر في اللغة وتطورها ونموها . بالتفاعل بين اللغة والفكر أمر واقع : (٢) . ان ولادة فكرة ما يسبقها عادة نوع من التعبير اللغوي الواضح أو غير الواضح . ولكن هذه الفكرة المولودة جديدا لا يصبح لها كيان ذاتي مالم تلبس رمزا لغويا ، أي مالم تضمن الفكرة في

(كبسول) لغوي ، عندها تشعر أن الفكرة المولودة جديدا قد أصبحت ملكا لنا ، وأصبحت تشكل جزءا من تفكيرنا . وكان (بنيامين وورف) أوضح وأشد صراحة من أستاذه (ساير) اذ جعل اللغة حاكمة تماما ، والمرء أسير لغته ، يقول : « ان الانسان أسير لغته ، وان اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الافكار ، فنحن نقسم الطبيعة (العالم) بموجب الخطوط التي ترسمها لنا لغاتنا القومية » (٣) .

بينما يرى (الفرد كورزيسكي — ١٨٧٩ A. KORZYBSKY) عكس النظرية السابقة فلغة مجتمع معين لاتحدد الاطار لذلك المجتمع لأن يرى العالم من خلال لغته . ويوضح ذلك ، بأن (الخريطة لاتمثل الرقعة الأرضية كلها) ، أي أن اللغة لاتمثل كل مايشمله هذا العالم من أشياء ، وما يحدث فيه من أحداث .

(١) اضاء على الدراسات اللغوية ٢١٨ .

(٢) نظريات في اللغة ٥٩ .

(٣) اضاء على الدراسات اللغوية ٢١٩ .

فقد ثبت أن ليس هناك لغات بدائية متخلفة ، ولغات عصرية متقدمة ، ففى مفردات كل لغة وتراكيبها — فى أى لغة — ما يغطى ويفى بمتطلبات وحاجيات هذا المجتمع ، ويتمشى مع ما يعوزه من أشياء . فقد ذكر طرفة نافقته وشئونها فى أكثر من أربعة آلاف لفظة فى مجتمع بدائى التفكير والبيئة فيه ضحلة .

ويعرف (الاسكيمو) لصنوف الثلج وألوانه الشئ الكثير، ويعبر عن كل نوع بلفظة تخصه .
وللأرز فى (الفلبين) أكثر من عشرين لفظة . . وتراكيب كل لغة تعين مجتمعها على التعبير الصائب، والفهم والافهام .

وبعض الكلام لا يدخل فى نطاق الفكر ، ولا تتلبس به اللغة تلبسا واضحا وقويا . فقولك مثلا : نمت الليلة نوما هادئا . وقولك لزميلك : تفضل معنا لا تحتاج سوى لمسة فكر خفيفة .

فالمعادلات الرياضية كانت

وتأسيسا على الرأيين السابقين جعل العلماء طريقة التفكير عند العرب والفرنسيين استنتاجية : (DEDUCTIVE) لأن الصفة فى لختيها تتبع الموصوف . بينما تفكير الأمة الانجليزية تفكير استقرائى : (INDUCTIVE) لأن الموصوف عندهم يأتى بعد الصفة (١) .

وقيل أيضا : ان مجتمع اللغة التى لا تميز تراكيبها بين أحداث الجملة ، ومورفيماتها بدقة فى الاستعمال مجتمع قدرى، كمجتمع الهنود الحمر مثلا ، فلا ضابط له ولا رابط ، وتفكيره ضابط ، وتمايزه بدائية محسوسة .

وأى مجتمع لا تتوافر فى لغته بنيات الزمن ، وتتقاسمها مصطلحات التحدد المنطقى ، تقسم حياته بعدم احترام الزمن ، ولا يقيم للفكر والمنطق وزنا .

ولكن بعض علماء اللغة يردون هذا وذاك ، ويشبكون خطأ هذا القول ،

(١) أضواء على النظريات اللغوية ٢١٨ وما بعدها .

السلوك البشرى على حد سواء (١) .

ونقد هذا الرأي : بأن اللغة نظام تجريدى يشارك فيه أبناء المجتمع الواحد بينما الكلام الفعلى واحد من مظاهر القدرة اللغوية الكاملة .

والذى نوتضيه من هذه الآراء : — أن العلاقة متبادلة بين اللغة والفكر ، وكذلك بينها وبين الحضارة والأحداث التى تدور فى المجتمع : فهما يعتمدان على بعضهما الى حد كبير . ونحن لا نستطيع التفكير أبعد من قدرتنا اللغوية : كما لا نستطيع أن ننطق بما لا نستطيع التفكير فيه .

— وأن التجارب التى أجريت ومازالت تجرى دلت على أن اللغة لا تسيطر سيطرة كاملة على أى مظهر من مظاهر الحضارة ، أو احتواء الفكر احتواء كاملا .

مجتمع اللغة والطبقة :

اللغة ناظمة عقد أى مجتمع ،

موجودة بصورة ما فى الذهن ، قبل تلبسها برمز لغوى . ولكنه بعد تلبسه بها وضحا وفننها ، وجعلها تقترب بسرعة من الفهم والاذهان عند ذويها .

فضلا عن أن المدلولات الاجتماعية تسبق فى الظهور المداليل اللغوية التى تعنونها . هذا ما يقترب على الرايين السابقين ، (لسابير) وتلميذه (بنيامين) من ناحية ، ورأى (الفرد كورزبسكى) من ناحية أخرى فى سيطرة اللغة على الفكر ، أو عدم السيطرة . وذكرنا طرفا مما اعترض به على النظريتين .

وهناك رأى فلسفى لا يفصل بين الفكر واللغة ، لأنهما نوعان من السلوك البشرى : اذ يعتبر (جون واتسون JOHN WATSON)

وأصحاب المدرسة السلوكية : التفكير نوع من الكلام الداخلى، والمنطوق على مستوى الحنجرة . و (سكينر SKINNER) لا يفصل بين الفكر واللغة ، لأنهما نوعان من

وبون شاسع بين هذا ، وبين ما عرفتة العربية في الصدر الاسلامي ، حين كان يخاطب الإعرابي النبي صلى الله عليه وسلم ، قائلا : يا محمد : أعطني من مال الله .

وللمجتمع الفه وعاداته في أحاديثه وتمايزه التي تخضع لمعايير الذوق والأدب : فيكتفى عما يسيء ، ويزعج ، ويورى عما ينفو ، ويخلف بممسول القول ، ما يؤلم ، ويستتر بأسلوب الحكيم البليغ ما يؤذي المشاعر والأحاسيس ، وما يستقبح ويستهن ذكره :

وللعربية قصب السبق في هذا المضمار :

ففي حديث السيدة عائشة - رضي الله عنها - : ما رأيت منه ولا رأى مني « والرسول يوصي به بالآ يقول أحد : عبيد وأمتي . ولكن فتاى . وفتاى . والقرآن الكريم يقول في أدب عال : «نساؤكم حرث لكم» ، « فاعتزلوا النساء في المحيض » ، « واهجروهن في المضاجع » ،

ودليل هويته ، ومראה أحداثه وشئونه ، وهي لذلك خير ترجمان لكل ما يسدور في المجتمع : ان في أعلاه أو في قاعه ، وتنعكس الأحداث الاجتماعية ، وهوية النظم والتقاليد ، والثقافة والانتماء الحرفي ، وكذلك القيم والسلوك السائدة ، لكل الأشتات والأجناس التي يعوج بها هذا المجتمع :

وتكشف الألقاب والنعوت جانبا كبيرا مما سلف ، اذ عندما تسمع : حضرة صاحب الجلالة والسلطان ، والعظمة ، والسمو ، والفضيلة ، والنبطة ، والمعالي والسيد ، والباشا ، والبك والأفندي ، والأستاذ ، والدكتور ، والمهندس ، والأسطى ...

وعندما تتصدر الرسائل أو تنتهي بمثل هذه العبارات :

تفضل سيدي ، وجولاي ، وأرجو أن تتفضلوا ... تدرك على الفور أن اللغة كشفت عن جانب من هوية المجتمع وبعض نظامه ، وطبقاته المتعايشة ، ونظامه السياسي .

الذوق العام ، أومراة لأعراف
ومعتقدات ، وأسباب تعلم أو
تخفى •

وظاهرة الكلام المحظور
اجتماعيا (TABOO) ، محكمة
اجتماعيا ، وقد يكون قانونيا في
البلاد المنعزلة والمحافظة ، والتي
لا تقبل اطلاقا بخدش الحياء العام
كما في بعض البلاد الاسلامية ،
وفي المجتمعات الانجليزية •

بينما يكون الحبل على الغارب
في البلاد المفتوحة ، للادب الصريح
والكشوف ، فلا يستحي أهلها في
التعبير عن السوات والعورات ،
وتسمية المستور باسمه الصريح ،
وتداوله في كتب ومجلات سيارة ،
كاللغة اللاتينية قديما ، وبعض
مجتمعات أوروبا حديثا ، وخاصة
عند المنحرفين كاليبيين ومن على
شاكلتهم دونما حياء ولا خجل ،
وقد يكون ذلك بسبب التحدى
للمجتمع ، أو الشذوذ ، أو التمرد
على السلطة والنظام القائم •
كما لاحظ علماء اللغة أن من
الألفاظ ما يحظر على النساء ذكرها
ومنها ما يكثر على لسانهن أكثر

« فصيام شهرين متتابعين من قبل
أن يتملا » •

ويقول عمر بن أبى ربيعة في
مواسم تغزله :

وكم من مالى عيبه من شىء غيره
ويقول فقهاؤنا ينقض الوضوء
مايخرج من أحد السبيلين ••

وحتى أطباؤنا لا يذكرون ألفاظ
(السبل) ، و (السرطان) ، لمن
هو مريض بهما ••

ونحن لانقول : مات فلان ،
ولكن نقول : انتقل الى رحمة
الله ، وأراحه الله ، وأعطاك
عمره ••

وأحيانا نلوذ بكلمة أجنبية ،
مثل (التواليت) ، أو مجاورة
كالحمام (واكس) لما دل عليهما ،
وحتى قلنا للأعمى : بصير ،
وللعريض : سليم ، وللأعور :
ممتع باحدى عينيه •

وذكرنا قبل لفظة « الشيطان »
ببسم الله الرحمن الرحيم ، لئلا
يخرج لنا • والشربره وبعيد عن
بيتنا •

كل ذلك من باب الأدب
والاحتشام والحياء ، ومراعاة

سوء • وفي الانجليزية أكثر من مائة كلمة بدلا من كلمة حيض • وأحيانا تسقط اللفظة اجتماعيا، وأصلها لابس به •• فلا تذكر الا في وسط مثقف كحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - : اخوانكم خولكم أطعموهم مما تطعمون ، وأكسوهم •• والمعنى عبيدكم خدمكم ، بينما هم في الحقيقة اخوان لكم ، فأنزلوهم المنزلة الاسلامية الانسانية •

الجهود اللغوية في صيانة اللغة واثرائها :

كل أمة لها اسهام في الحضارة الانسانية بشئ ، ولها ماضيها التليد ، وحاضرها المشرف ، ومستقبلها المرجى •• تحافظ على لغتها ، حفاظها على مقوم رئيسي من مقومات حياتها ووجودها •

والمستعمر قبل أن ينال ثروات الشعوب ومقدراتها ويسيطر عليها يوهن من عرى لغتها ، ويطاردها حتى تمسى في زوايا النسيان •• لأنه يدرك أن اللغة مناط وحدتهم وناظمة عقدهم •

ولولا جهود الشيخ عبد الحميد

مما يكون على لسان الرجال ، وحبذا لو درس ما يدور في مجتمعهم كاملا ، ليظهر الفرق جليا •

فالمرأة الانجليزية كانت لاتتحدث عن رجل المائدة المكسورة والنساء عموما تكثر من ذكر الالفاظ العاطفية ، والتميز الدقيق بين أنواع الألوان ، بما لا يعرفه معظم الرجال •

وتحايى اللغة أحيانا جنس الرجال ، فتغيب جماعات النساء ، فالتغليب لجنس الرجال شائع في العربية وغير العربية •

وذكر الدكتور نايف خرما ، أن الانجليزية حين تقول :

تعنى أن الرجل محترما وينتمى الى احدى المهن المرموقة
(HE IS PROFESSIONAL)

بينما اذا قالت الانجليزية
(SHE IS PROFESSIONAL)

فيصف ذلك المرأة

بأنها مومس وكلمة (MASTER)

تعنى بالنسبة للرجل (سيد) •

بينما مؤنثها (MISTRESS)

تعنى أن المرأة موسومة بوصف

السك بمعنى : كف الماء القوى .
والجمل والشجر ، لأى شىء عال
ضخم كالجبل ..

ومن الأبجدية الفينيقية اشتقت
الآغريقية ، ومنها أخذت اللاتينية
ومنها كانت حروف الأوريبىست
الحديثة ، ومن الفينيقية أيضا :
اشتق العبرى القديم ، والآرامى ،
والتدمرى ، والسريانى ، والنبطى
ومن النبطى جاء العربية .

وكانت الكتابة نعمة جلى ، لأن
الاعتماد على مخزون الذاكرة
كثيرا ما يهون ، أو يتداخل فيحدث
اللبس والخلط فأصبحت لغة
الكتابة ، وسيلة القيد ، والحفظ
للتراث وعدم ضياعه ، وتولى
الحكومات جهدها لتعليم اللغة
المحلية ، وحفظها وصيانتها
وتنقيتها مما يشوبها ويعلق بها
ويأتى ذكرها في دساتير البلاد في
المرتبة الثانية ان لم تكن الأولى ،
وتمكف المدارس والمعاهد
والجامعات على تعليمها ،
والتدريس بها ، وتلتزمها وسائل
الاعلام المختلفة في بث برامجها
ونشر بضاعتها . وقد أمر الرسول

بن باديس الجزائرى وأعوانه في
الجزائر إبان الاستعمار الفرنسى
لكانت العربية في خبر كان .

وعندما نتأمل المنجزات
الحضارية في تاريخ الشعوب ..
نجد أن مفخرة من مفاخرها هى
أبجدية الكتابة .

وقد كان قصب السبق في هذا
الجانب للحضارة السامية ، ثم
نقلتها عنها الحضارة الفينيقية الى
اليونانية ، والرومانية بعد ذلك .

وتدرجت الكتابة بالرسم
المشخص للشىء ، الى الرمز عنه
بشىء منه ، أو بخطوط متعارف
عليها ، كما تحكيه لنا قصة الكتابة
الأبجدية : فالمصرية القديمة
رسمت الصقر بصورته ، ورمزت
المهروغليفية للشمس بدائرة في
وسطها نقطة . ورسم الفينيقيون
للدلالة على الثور رأس الهمة .
واستعانت الصينية بأكثر من
أربعين خطا أساسيا ، توضحها
خطط صغيرة في أبجديتها .

وترجمت الحروف عن الأحداث
— كما في مقدمة الشيخ العلايلى —
فالسين والميم والكاف تشير الى

والنشاط في التأليف والترجمة •
والحث على التأليف اللغوي
للأبحاث اللغوية ونشرها
واشاعتها ••

وانشاء المجامع اللغوية للحفاظ
على اللغة القومية وتتميتها ،
وترويض الدخيل ، وانتقاء وصقل
الوافد ، وايجاد البديل ••

وكل تلك محاولات تطيل أجل
بقاء اللغة ، ولكن سنة التطور
والارتقاء والتغير تتال من اللغة
برغم كل الاحتياطات والسياسات
سنة الأحداث والأيام في اللغات •

الدكتور توفيق شاهين

• صلى الله عليه وسلم — زيد
بن ثابت بتعلم لغة أجنبية ، وجعل
فداء أسرى بدر بتعليمهم أبناء
المسلمين الكتابة !!

وكما تقدمت وسائل الاتصال
والتكنولوجيا ، كلما أعان ذلك على
الثقافة ، ووجدنا حركة التجديد
في اللغة ، في تأثر الأدباء والكتاب
باللغات ، الأجنبية ، وترجمة
المفردات الأجنبية والتراكيب
والافكار •

وفي احياء المفردات المهجورة
من بطون المعاجم القديمة رغبة في
التجديد ، ونقل المصطلحات
الأجنبية •

الأزهر جامعاً وجامعة أو مصر في ألف عام لورثاند محررات السيد

- ١٤ -

وانتهت الثورة العربية بتسليم أحمد عرابي وأصحابه أنفسهم
ومحاكمتهم واعترافهم بجريمة العصيان ليحكم بالنفي بدلا من
الاعدام

الخلق العربي ، حتى وثى به أخيرا
مخبر سرى متقاعد طمعا في المكافأة ،
ولكنه لم يقبضها ، لأنه لم يكن
يعرف أنها كانت موقوتة بسنة ،
فقبض على النديم في أكتوبر سنة
١٨٩١ م ، ونفى الى يافا (تل أبيب
بفلسطين) ، ثم عفى عنه سنة
١٨٩٢ ، ثم نفى ثانية سنة ١٨٩٣ ،
وتوفي عنفا باستانبول في أكتوبر
سنة ١٨٩٦ ، وتمت حياة عبد الله
النديم من أروع قصص المغامرات
والبطولة وحرية الرأي (عبد الله

ولم يقبل عبد الله النديم
الاعتراف بالعصيان ، وانتقد
عرايى وزملاءه على هذا الاعتراف ،
واختفى النديم تسع سنوات في
قرى الدلتا ، متخفيا متكررا بزي
مغربى أو يمنى أو شامى ، أو غير
ذلك من صور التكر ، ومجسدا
تنكسه كل حين ، وآواه الناس
وعرف الكثيرون سره ، فستروه ،
ولم يطمعوا في المكافأة التى جعلت
لن يدل عليه ، ايماننا بأهداف
الثورة ، وحفاظا للضمم كطبيعة

الموقعين على الفتوى والذي نادى من فوق منبر الازهر باهدار دم توفيق كما ذكرنا - في محاكمته موقف مشرف ، فقد قال في جراءة : انهم اذا جاعوه الآن بفتوى أن توفيقا مستحق للعزل لأنه يؤتمرها .. وما في وسعكم وأنتم مسلمون أن تتكروا أن الخديوي توفيق مستحق للعزل ، لأنه خرج على الدين والوطن .

والشيخ : حسن العدوي هو منشيء الجامع بشارع القوائد جوهر ، أمام الجامعة الازهرية . أنشأه سنة ١٨٧١ م (١٢٨٥ هـ) كما سبق ذكره في مقال سابق .

ومن نفوا الى الشام الشيخ : محمد عبد الجواد القاياتي ، وأخوه الشيخ : أحمد ، وقد اختارا بيروت .

والقاياتي : نسبة الى القايات ، قرية غربي البحر اليوسفي من مركز العدوة ، في شمال محافظة المنيا ، وهو أحد الطماء الأجلاء ، وأحد مشايخ الطرق الصوفية ، وطريقتهم فرع من الطريقة

النديم للدكتور على الحيدوي) .

ثم أخذت الحكومة تقبض على عشرات الآلاف ممن كان لهم ضلع في الثورة ، وأتشجيعها سواء بالعمل أو القول أو المال ، وكان من المقبوض عليهم مئات من علماء الازهر وطلبته ، وحوكموا ، وحكم عليهم بالسجن أو النفي مددا مختلفة ، ولو أردنا حصر العلماء الذين قبض عليهم لطال بنا القول ، ولكن نذكر بعضهم ، فمنهم الشيخ محمد عبده ، وقد سبق ذكره .

ومنهم : الشيخ محمد عبد الله عليش شيخ المالكية ، وهو أحد الذين وقفوا على الفتوى بعزل توفيق ، فقد أخذ مريضا من داره ، ونقل الى المستشفى حيث توفي بها ، وأشيع أنه وضع له السم في الدواء ، ولم تسمح الحكومة لأهله بتشييع جنازته من داره ، ولم تكف بموته ، بل نفت أكبر أولاده الى الشام ، وهو الشيخ : عبد الرحمن محمد عليش .

وكان للشيخ حسن العدوي (بكسر المعنى) - وهو أحد

والاستعداد ، وأعدوا لهم ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل الجياد ، وبذلوا ما يملكون من نفائس النفوس ، وما يقدرون عليه من مأكول وملبوس ، ومهمات عسكرية ، وتجهيزات حربية ، وغير ذلك مما تصل إليه الاستطاعة ، ولو ببسط أكف الابتغال والضراعة كل على حسب حاله ، وما يليق بأمثاله ، حتى أن أهل العلم والطريق ، وما أنبأه هذا الفريق ، كانوا يساعدون بالدعوات النصالحات ، والاستغاثات والتضرعات • إلى رب البرية في دفع هذه البلية ،

(وكانت السادة العلماء الأعلام ، ولا سيما أستاذنا شيخ الاسلام ، يقرأون كتاب البخارى الشريف ، في الجامع الأزهر المنيف ، والأفاضل منهم الكلمة ، يحثون على اتعاض الكلمة ، في مقاومة هذا البلاء والأمر ، النازل ببلاد مصر) •

(وليس هذا بالأمر العجيب منهم ، ولا بالغريب صدوره عنهم • فذلك شأن كل أمة قصدتها بالحرب

الإحمدية ،) نسبة إلى السيد أحمد البدوي (، وعرف ببيتهم بالتموى والكرم ، ولأهل مصر الوسطى اعتقاد كبير فيه ، وينسبون إليه الكرامات المختلفة ، وأخوه الشيخ : أحمد عالم أيضا ، وكان شيخ رواق الفسنية بالأزهر ، وهو والد الشيخ : مصطفى أحمد القاياتي ، المعروف بخطاباته الوطنية في ثورة سعد زغلول سنة ١٩١٩ • وقد ألف الشيخ : محمد عبد الجواد القاياتي كتابا عن قصة نفيهما سماء : (نفحة البشام في رحلة الشام) والبشام على وزن سحب : نبات طيب الرائحة ونقتطف من مقدمة الكتاب المذكور ما ذكره عن سبب خروجهما من مصر ، فهو أجمال لشرح الحالة من أحد المعاصرين المشاركين ، فقال رحمه الله :

وسبب خروجنا من مصر أن أهالي البلاد عندما صارت الأحكام فيها عسكرية ، وانتشبت الحرب بين الانجليز وأهل الوطن العزيز ، اجتهدوا غاية الاجتهاد ، في سبيل المدافعة والجهاد ، بأخذ الأهبة

حكمته الباهرة ، بدخول الجيوش
الانجليزية القاهرة ، وفي مقدمتهم
نائب الحضرة الخديوية ، وهو
رئيس النواب في البلاد المصرية) •
(وهو يعنى سلطان باشا) •

(وأول ما بدأ به من الأعمال في
هذه الحال ، الترخيص لهم بالحلول
بالقلمة العلية ، والقنصلات
المصرية ، مثل : قصر النيل
والعباسية ، والأمر بالقبض على
من نسب إلى هذه الحركة ، كائنا من
يكون ، ولو كان المعهود من عاداته
السكوت والسكون ، أنا لله وأنا
إليه راجعون ، ما قدر الله لأبد
أن يكون) •

(فكنا ممن وقع الحجر والحجز
عليهم ، بعد صدور الأوامر الهامة
فيهم ، فصار سجيناً بمديرية المنيا ،
من مديريات الصعيد — مع جم
غير ، وعدد كثير ، من الوجوه
والأعيان ، ومشايخ العرب
والبلدان ، لاتهامات يطسول
شرحها بغير ملأئ ، والغالب فيها
الوشاية بالباطل) •

(فمن هؤلاء من نسب إلى

أمة أخرى ، فهي ترى أن الدفاع
أولى وأحرى ، بل تراه من الواجب
على الأعيان ، لا سيما إذا تخالفت
الأديان ، اختلف اللسان ،
وتباينت العقائد ، واغترقت
الحوادث) •

(فبهذه النسبة العملية ،
والمناسبة العملية ، التمس منا أهل
بلادنا القيام معهم ، لنكون لهم
قدوة ، وتكون لهم بنا أسوة ، في
مساعدة أخوانهم الجهادية ،
بالمراكز العسكرية والنقط الحربية ،
والحدود الدفاعية ، وذلك من
اتقاد غيرتهم الدينية ، وحميتهم
الوطنية ، فتوجهنا معهم إلى تلك
المواطن ، والله أعلم بالظواهر
والباطن) •

(فلم نلبث الا قليلا من الأيام ،
وقد فشلت الأقوام ، وحصل
الانهزام ، بواسطة الخيانة من بعض
اللقام ، وبث أنواع الحسائس
ودس الوساوس ، في قبائل العربان
وعشائر البلدان ، وغالب الأمراء
والأعيان ، لسابق الأمر المحتم ،
والقضاء المجرم ، وقضت علينا

التطوع ، ومنهم في نسب الى التبرع ، ومنهم من اتهم بالتهيج للخطر ، وتحريك الساكن من الخواطر ، ومنهم من ادعى عليه بالتشجيع للجهادية ، وكثرة قراءة الجرائد المحلية ، وغير ذلك من الاسباب الخصوصية ، والبواعث العدوانية ، لدواعي العداوات الشخصية ، بدون مراعاة المصالح العمومية) .

(فكم قبض على برىء ، وأطلق سبيل مجترىء ، بمجرد الوشاية فيه من بعض أعاديه ، هكذا حصل في أغلب المديرية ، سوى من قبض عليهم في القاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد من الذوات والبيكات والباشوات ، والعلماء والامراء ، وأولاد الفقراء) لعله يعنى المعنى اللفظى للكلمة أو المعنى الاصطلاحي أنهم أتباع الطرق الصوفية فهم يلقبون بالفقراء) ،

ومكنوا في أقبح السجون ، بغاية الاحزان والشجون ، يكابدون عذاب الهون ، بأنواع لا تحصى ولا تحصر ، من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) .

(وأما أكبر المعذبين : فأهل الفضل والدين ، فقد وقع لهم من الحقارة والتتكيل ، والاستهانة والتخميل ، والكرب والخطب الجليل ، ما لم تسمح به لهم أهل التوراة والانجيل ، فحسبنا الله ونعم الوكيل ، يظاف بهم في الاسواق والمحافل ، اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل ، وبعد أن مضت لهم على هذه الحالة أربعة من الشهور ، كأنها أعوام ودهور ، ومثلوا بغاية المثلة ، على حال لم يروا مثله ، بين أيدي الكتبة أقباط النصارى ، وهم في أمرهم تائهون هيارى ، وأشخصوا أمامهم لاجل الاستنطاق . ، بما لا يطاق ، ولا تضبطه الاوراق ، ولا يدخل حصره في نطاق ، صدرت فيهم الارادة النفسية على غير ما يراد ، باجلائهم وخروجهم من البلاد ، وابعادهم عنها أى ابعاد) .

(فمنهم من نفى مؤبدا الى سيلان ، ومنهم من نفى بمدة الى السودان ، ومنهم الى خارج القطر وملحقاته ، بدون تعيين مواطنه وجهاته ، وكنا من هذا القسم

ولكن يعيننا بصفة خاصة ما حفل به الكتاب ، من أسماء علماء الشام وأعيانه ، فقد تلقى الكثيرون منهم دروسهم بالازهر ، وعادوا الى مواطنهم علماء ينقلون ما درسوه ، فكانوا يحفظون لصاحب الكتاب حق الزمالة ، أو واجب التلمذة عليه ، ويدل هذا على ما كان للازهر من فضل في تثبيت وحدة فكرية ثقافية في العالم العربي ، بل في العالم الاسلامي ، فقد رأينا أن أحمد أغندي شريف والد شريف باشا كان شيخا للإسلام في الاستانة ، بعد أن تلقى علومه في الازهر .

وبعد الاحتلال الانجليزي لمصر ، حرت بالبلاد فترة هدوء ، أو بعبارة أدق فترة ذهول ساعد عليها استسلام الخديوى : توفيق للانجليز استسلاما كاملا ، وأخذ الانجليز يمكنون لانفسهم في حكم البلاد .

ثم توفي توفيق سنة ١٨٩٢ م ، وتولى بعده ابنه : عباس حلمي الثاني ، وسرى في المقال التالي باذن الله كيف تطورت الأمور .

محمد كمال السيد

الأخير ، نحن وجم غفير ، فبودرنا بالاخراج من غير مهلة ولا تأخير ، فالحكم لله العلي القدير ، نعم الولي ونعم النصير (١٠ هـ) .

ثم يذكر بعد ذلك ما سماه نكتة تاريخية : أن (غرائب عجائب) بحساب الجمل موافق لسنة حادثة النفس المذكور ، وهذا صحيح فهي تساوى بالحساب المذكور ١٢٩٩ ، وهذا يوافق سنة الحرب والهزيمة ، فقد كانت سنة ١٢٩٩ . والنفس سنة ١٣٠٠ هـ .

ويعيننا من الكتاب المذكور ما لاقاه صاحبه من حفاوة وترحيب في جميع مدن الشام ، سواء في بيروت أو صيدا ، أو طرابلس الشام ، أو اللاذقية ، أو بيت المقدس ، أو الرملة ، أو نابلس ، أو دمشق ، وغيرها من مدن الشام ، الذي مزقته السياسة الاوربية الى أربع وحدات : سوريا ولبنان والاردن وفلسطين .

ووصف المدن المذكورة ، وطرق المواصلات لها ، والمشاهد والمزادات فيها ، وعادات أهلها ، وغير ذلك مما تناوله عادة كتب الرحلات .

التجارة الراجحة

حب الله ورسوله

للدكتور محمد عبد اللطيف العرف

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)
ومفهومها ، وكذلك قواعد الاستنباط وصريح القرآن

والسنة ، والا لصار معنى هذه الآية (قل ان كنتم تتبعون الله فاتبعوني) وعلى تقدير (رسول) مضافا محذوفا يكون المعنى (قل ان كنتم تتبعون رسول الله وهو انا فاتبعوني) !! وكلا التأويلين باطل كما هو ظاهر لكل ذي نظر صحيح ... ثم من قواعد الاستنباط أنه لا يصار الى المجاز الا عند تعذر الحقيقة ، أو بعد تصورها ، فهل استحال أن يحب العبد ربه ؟ ولماذا ؟ وما هو دليل هذه الاستحالة ؟ هل انحصر الحب كله في الحب الشهوي أو الجسدي أو في ما يرى وما يحس وما يلمس حتى يصح كلامهم ؟

بهذه الآية الكريمة استهل بحثي هذا ، وأنا أعلم أن هناك من الناس من أضل الحقيقة حين ذهب يزعم للناس أن المحبة لا تنعقد أبدا بين مخلوق وخالقه ، بل هي أن ذكرت في التنزيل أو السنة فهي مجاز وليست حقيقة ، إذ يستبعد هؤلاء كيف يحب العبد الضعيف المحدث الفاني ربا قويا باقيا خالقا ؟ فأولوها بالاتباع وقالوا ، حيثما وردت المحبة في النصوص التشريعية فهي الاتباع لا غير ...

وفات هؤلاء السطحيين في التفكير غفر الله لي ولهم أن الآية الكريمة تنفي ذلك بمنطوقها

صدق في قلب صاحبها ، وصدق صاحبها بها ، ومن ذلك قول سيدنا على رضي الله عنه وكرم وجهه •
اللهم أرزقني حبك وحب نبيك واجعل حبك وحبه في قلبي أحب من الماء البارد على الظما •

وفي حديث الصحيحين ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما •••

الحديث وكذلك حديث البخاري ولا يزال عيدي يتقرب الي بالتواقل حتى احبه ومن احبته كتبت له سمعا وبصرا ويذا ومؤيدا •

والله تبارك وتعالى يقول ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية ٥٤ من سورة المائدة

فالحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد ، وأخبر عن محبة للعبد ، قال القشيري : وأما محبة العبد لله فعالة يجدها من قلبه تطف عن العبادة ، وقد تحمله لتلك الحالة على التعظيم له

الا يحب المرء مكارم الأخلاق ؟
 الا يحب الانسان المعانى السامية والمبادئ الرفيعة والمثل العليا ؟
 أم الانسان مادي لا يشعر بالحب الا للمادة ولا يكيف قلبه مودة الا للكثائف ؟ ! شأنه شأن الأنعام ؟ ! من قال هذا ؟ !

ان العبد الصادق ليلغ من قوة محبة الله ورسوله في قلبه حايستطيع ان يقتحم به الجبال والمحيطات وهل دفع الصحابة رضوان الله عليهم الى الاتباع وحفزهم الى الجهاد وفتح لهم مشارق الأرض ومغاربها الى محبة الله ورسوله ؟ ! وهل كان في قلبهم غير هذه المحبة يعتلج أوارها ، ويضطرم لهيها ، حتى تصبح حمما يتذفونها على الباطل وأتباعه ، (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) •

الحق أن المحبة شيء والاتباع شيء آخر ، لكنهما متلازمان تلازم الثمرة للشجرة والنتيجة للمقدمات ، فالحبة ثمر الاتباع وتنتجه اذا

وايثار رضاه وقلة الصبر عنه، والاهتياج اليه، وعدم القرار بونه، ووجود الاستئناس بدوام فكره له بقلبه.

أه الرسالة التفسيرية ح (٢) ص

٦١٢.

شربه من كأس وده، وانكشف له

الجبارق من أستر غيبه، فان تكلم

فبالله، وأن نطق فبالله، وان

تحرك فبأمر الله، وان سكن فمع

الله، فهو بالله ولله ومع الله...

فبكى الشيوخ وقالوا:

ما على هذا مزيد، جبرك الله

بانتاح العارفين...

ومن حكاياتهم ما رواه الحسين

الأنصاري قال:

— رأيت في النوم كأن القيامة

قد قامت وشخص قائم تحت

العرش فيقول الحق سبحانه:

وغير القسيري محبة الله لعبده

(أرادته لأن يخصه بالقربة

والأحوال العلية) رج ٢ ص ٦١١

وجعلها أخص من الرحمة التي

فسرها بأنها (أرادة الله تعالى لأن

يوصل إلى العبد الثواب والانعام)

كما أن الرحمة أخص من الإرادة

رج ٢ ص ٦١١ وما قبلها.

ومن أجمل ما قال العارفون في

المحبة ما رواه أبو بكر الكتاني

قال: (جرت مسألة في المحبة بمكة

أيام موسم الحج) فتكلم

الشيوخ فيها، وكان الجنيد

أصغرهم سناً فقالوا له: هات

ما عندك يا عراقى: فاطرق رأسه

ودمعت عيناه ثم قال: عبد ذاهب

عن نفسه حتمل بذكر ربه، قائم

بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه،

أحرق قبله أنوار هيئته، وصفا

وشمائله لا بد لنا من شحن القلوب
بشحنة قوية من المحبة المحرقة
المتوهجة لله ولرسوله صلوات
الله عليه لا مندوحة لنا عن حب
كحب الصحابة ، وشوق كشوقهم ،
وتفان كتفانيهم ، والا فمادام
الاسلام كلاما يقال وصحفا تكتب
وحبرا على قرطاس فلا أمل لنا في
نهضة اسلامية ، ولا في فتح مبين .
ليست أزمتنا اليوم أزمة علم
بقدر ما هي أزمة محبة لله وشوق
اليه .

أجل ان هذا الحب وحده هو
الذي هز العروش وقوض حضارات
زائفة ، وأقام مكانها حضارات
اسلامية راقية ، ان الحب وحده
هو الذي دفع الصحابة الى التضحية
والايثار والزهد في الدنيا ومتاعها
والركض خلف رضاء الله سبحانه
أجل هو الذي دفع خالد بن الوليد
— رضى الله عنه — يوم عـزله
عمر — رضى الله عنهما — كي
لا يفتن الناس فيه ، وكان عـزله
لمصلحة الامة ، وقف خالد يقول

وماضرنى ، كنت أقاتل أميرا

الشوق اليه ، وحب لقائه مع حالة
الاستقامة ، قال تعالى : (وعجلت
اليك رب لقرضى) أى شوقا اليك .

وكان من روائع دعائه صلى
الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
الذى اخرجـه النسائي عن عمار بن
ياسر رضى الله عنه مرفوعا (اللهم
بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق
أحيني ما علمت الحياة خيرا
لى وتوفنى ما علمت الوفـاة
خيرا لى ، اللهم انى أسألك
خشيتك في الغيب والشهادة ،
وأسألك كلمة الحق في الرضا
والغضب وأسألك القصد في الغنى
والفقر ، وأسألك نعيما لا ينفد
وقرة عين لا تنقطع ، وأسألك
الرضا بعد القضاء ، ويرد العيش
بعد الموت ، وأسألك النـظر الى
وجهك الكريم ، وشوقا الى لقائك
في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .
اللهم زيننا بزيـنة الايمان ، اللهم
اجعلنا هداة مهتدين وبعد .

فلا بد لنا اليوم لكي يتحقق
الاتباع الكامل لشريعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولأخلاقه

واليوم أقاتل جنديا

المحبة ذلك الوقود الاعظم الذى
يحول الشخصيات القزمة الى
عملقة ، ويصنع القيادات
والبطولات .

لقد امتلات الدنيا كتباً وعلماً
وفقها ودرسا ومحاضرات ودروسا
ولم يحرك ذلك ساكنا على أننا
محتاجون للمعلم لانه أمام العمل ،
وهو تابعه ، ولكن ما قيمة المعلم
والقراطيس والكتب بدون أن تكون
هناك النفوس الكبيرة التى تحملها
فتحولها الى عظمت ..

أجل ..

ان التصوف الصافي المصطفى
السائر على هدى الكتاب والسنة
وعمل السالف الصالح والتصوف
الذى يشحن النفوس بالمحبة
الصادقة يشرع الاتباع الصحيح ،
هذا التصوف على يد رجاله من
العلماء الذين زادوا على علومهم
الكسبية علوما وهبية منحها الله

اياهم كما ورد فى الخبر « من عمل
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم »
هذا التصوف اليوم هو سر انطلاق
المسلمين وبقيتهم وزدهم فى الدنيا
ورغبتهم بما عند الله تعالى ، وهو
انتجارة الرباحة ، سمه ان شئت
تصوفا أو احسانا ، أو تربية روحية
أو تزكية فنحن لانتهمنا الاصطلاحات
والاسماء بل يهمنى الجوهر ، وجين
نقصد التصوف بقصد الاحلاقى
منه والوجدانى ، ونترك مايسمونه
بالتصوف الفلسفى ، فنحن مع
تصوف المعاملة ، ونترك لاصحابه
تصوف المشاهدة ندعه لهم ونسلم
لهم حالهم فيه ولا نشغل به عن
الاصول ، فالذى يهمنى اليوم هو
انقاذ نفوسنا ومن حولنا من
الشباب من براثن الشهوات
الموبقات وشياطين الانس والجن
وذلك عن طريق هذه التجارة الرباحة
الاهى حب الله ورسوله .

دكتور / محمد عبد اللطيف صالح
الفرقور

اللغة والشعر والشعراء قديماً وحديثاً

للاستاذ محمد عايض عبيد

الكتاب المنزل على صاحب هذه الرسالة ، باللغة العربية ، وهي لغة القوم ، عملاً بقوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » الخ « آية رقم ١٠٠ سورة ابراهيم .

جاء القرآن الكريم في الذروة من الفصاحة والبلاغة ، فلما سمعه العرب ، أدركوا معانيه ، وعرفوا مرامييه ، وحاز أعجابهم .

أما المخلصون منهم فبادروا بالدخول في الاسلام طائعين .

وفريق آخر كابروا عناداً وغطرسة ، بيد أنهم كانوا يتسللون خفية في جوف الليل فيجلسون حول بيت محمد صلى الله عليه وسلم ليسمعوا تلاوته ، كل واحد منهم لا يدري عن الآخر .

مما لا شك فيه أن العرب هم أهل الفصاحة والبلاغة . . . هلكوا ناصية البيان ، فانقادت اللغة لهم ، وأرخت عنانها طائفة مختارة ، فصاروا فرسان الكلمة على مختلف ألوانها : شعراً ونثراً وخطابةً وبديعاً ، فمن ثم بزوا كل الامم ممن حولهم في هذا الميدان ؟؟

وما كان نزول القرآن الكريم بهذه اللغة الا تكريماً لها من ناحية ، وتجانساً لحال القوم الذي وصلوا اليه ، فصاحة وبلاغة من ناحية أخرى .

ووجه ثالث لنزول القرآن الكريم باللغة العربية هو : أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، جاءت للعرب خاصة ، وللعالم عامة . . . فمن ثم كان من الحتم أن يكون

وهكذا يفقد كان للشعر والشعراء مكانة في نفوس العرب ، لا تعد لها مكانة أخرى .. فالشاعر لسان حال قبيلته ، يمدد مناقبها ويفخر بها ، مثل هذا الشاعر العربي الذي يفخر بقبيلته فيقول :

إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً
تخر له الجبابر ساجدين !!

وكما يفخر الشاعر بقبيلته ، فالقبيلة أيضاً تفخر بشعرائها وتمتدحهم كفخرها بالزعماء والأبطال — ان لم يكن أكثر — والقبيلة التي يكثر شعراؤها تكون أكثر فخراً على غيرها من القبائل الأقل في عدد شعرائها !!

والشعر كان له وقع السحر في نفس العربي ، سرعان ما يتناقله الناس ، فيحفظونه عن ظهر قلب ، يستعملونه سلاحاً فعالاً لمحاربة الأعداء ، لأنه أشد فتكاً من ضربات السيوف وطعنات الرماح !!

وليس أدل على ذلك من أن بيتاً واحداً من الشعر ، جعل إحدى القبائل الكبرى في الجزيرة العربية ، كان بنوها مشهورين بالطول

ما دفعهم إلى هذا إلا الإعجاب بلغة القرآن الكريم ، الذي تحداهم في أخص خصائصهم ، بحيث أنه تحداهم أن يأتوا بمثله فمجزوا !!

ولا غرو : فالعرب هم الذين جعلوا لفن الكلمة سوقاً ، اسمه : سوق عكاظ قرب مكة ، هذا السوق لا سلعة فيه أثمن من الكلمة .. يفد الناس إليه من أنحاء الجزيرة العربية رجالاً ونساءً ، ممن يمشقون الكلمة على مختلف ألوانها ، ولهم فيها فوق رفيع وقدم راسخة ، يستمر ذلك السوق شهراً من كل عام ، تعرض الكلمة فيه سلعة ليست للبيع ، وإنما هي للتقييم .. يتبارى الخطباء والشعراء ، وقضاة يحكمون بين المتبارين بعد الاستماع لهم ، ثم يصدر عن أحكامهم عن دراسة وفهم دقيق .

وينفض السوق بعد أن عرض فيه كل جديد من أساليب الكلمة ، ويعود رواده كل إلى الجهة التي وفد منها ، وقد ملأوا أروبتهم من أنفس ما عرض في سوق عكاظ ، يقدمونه هدية ثمينة إلى ذويهم !!

قائل هذا البيت المشؤم؟؟ فاعترض
العقلاء منهم على تلك الفكرة
الخاطئة قائلين : لئن قتلتم الشاعر ،
فسوف يظل شعره أبد الدهر يتردد
على ألسنة الناس .. ولكن الرأي
الصواب هو : أن تذهبوا الى
الشاعر بهدية قيمة تقدمونها اليه ،
وتطلبون منه أن يقول شعرا آخر
يمدحكم به ، فيبادر الناس الى
حفظ الشعر الجديد ، وينسون
القديم ! ؟

وفعلا ذهب وفد من عقلاء
قبيلة بنى عبد المدان الى المدينة
المنورة - يثرب - وقدموا لحسان
ابن ثابت هدية ثمينة ، ورجوه أن
يقول شعرا آخر يمدح به قبيلتهم
التي آذاها ذاك البيت ؟

فقبل حسان هديتهم ، وقال :
لاغرو لأصلحن ما أقسدت
بشعري .. فقال :

وقد كنا نقول اذا رأينا
لذى علم يمد وذى بيان
كأنك أيها المعطى بيانا
وجسما من بنى عبد المدان
سمع الناس بما نظمه حسان

وضخامة الأجسام .. هذا البيت
جعلهم يتمنون أن لو كانوا أقزاما ،
بعد أن كانوا يقضرون على غيرهم
بأجسامهم طولا وضخامة ! ؟

هذا البيت نظمه حسان بن ثابت
الأنصاري ، شاعر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولكن قبل
الاسلام كما قيل .. وهذا هو
البيت :

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ
جسم البغال وأحلام المصافير
تردد هذ البيت على ألسنة الناس
صغارهم وكبارهم ، في البوادي
والخضر ، بحيث أن كل عربي صار
كلما وقع بصره على أى رجل ضخيم
الجسم طويل القامة ، هتف متمثلا
بهذا البيت :

لا بأس بالقوم .. الخ .. ويسمعه
آخر فيشاركه ، وثالث ورابع أيضا
.. فلا يجد ذاك الرجل مفرا من
أن يفر ويتوارى حياء من ضخامة
جسمه وطوله ؟؟ لدرجة أن قبيلة بنى
عبد المدان التي اشتهر بنوها
بالطول والضخامة ، فكر بعض
رجالها أن يقتلوا حسان بن ثابت

ويوم حمراء الأسد ، غداة غزوة أحد ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنين أسرى من المشركين ، فكان الشاعر أبو عزة واحدا منهما .. فلما مثل بين يدي رسول الله قال : يا رسول الله أقتلني . فقال عليه الصلاة والسلام : « لا والله .. لا تصح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمدا مرتين ، اضرب عنقه يا زبير . فضرب الزبير عنقه . » وقد فعل رسول الله أيضا مثل فعلهم ، فحارب أعداءه بنفسه السلاح الذي حاربوه به ، فقد قال لشاعره حسان بن ثابت : « اهجمهم ومك روح القدس » يعني مشركي مكة ، فكان وقع شعر حسان على قريش أشد من طعن الرماح وضرب السيوف !

وقد كان العربي لشدة حبه للشعر ، واعتزازه به ، لا ينفى أن يتمثل به في أفراحه وفي أحزانه ، في كل أمر من أموره ، حتى عند لقاءه بأعدائه في ميدان القتال .. فهذا جعفر بن أبي طالب ثاني القادة للجيش في غزوة مؤتة ، يتمثل

ابن ثابت من الشعر ، فتناقلوه وحفظوه ، وصاروا يرددونه — مسفارهم وكبارهم — في البوادي والحضر .. فمن ثم صار الناس يستحسنون طول الأجسام بعد أن كانوا يسخرون منها ! وهكذا يتبين لنا أن الشعر كان من أقوى الأسلحة في محاربة الأعداء عند العرب .

ولا غرو فقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا السلاح: سلاح الشعر .. لقد كان أبو عزة الجمحي الشاعر ، يحرض مشركي مكة على رسول الله ، وعلى المسلمين بالشعر ، وكان أيضا يشهب بفناء المسلمين مما أوغر عليه صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان رسول الله قد من عليه بالعفو بين أسرى بدر ، بيد أنه اشترط عليه ألا يعبود إلى التحريض بالشعر ، أو التشبيب بالنساء المسلمات ، لكن أبا عزة منذ أن أطلق سراحه ، لم يتقيد بوعده لرسول الله ، فعاد إلى التحريض والتشبيب بها !

الايمان وهو يهتف متمثلاً بأبيات
من الشعر يخاطب بها نفسه التي
ترددت فيقول :

أقسمت يا نفس لتنزلنـه
لتنزلن أو لتكرهنـه
أن أجلب الناس وشدو الرنه
مالي أراك تكرهين الجنة
قد طال ما قد كنت مطمئنه

هل أنت ألا نطفة في شئنه ؟
وبعد لقد كان للشعر دولة ،
وذلك حينما كان القوم يعنون
بلغتهم ، أما الآن فقد ذهبت دولة
الشعر ، لأن القوم أهملوا لغتهم ،
قصاروا أجهل الناس بها / لاسيما
بالشعر / وصدق فيهم قول الشاعر
العربي ينمى على القوم جهلهم
باللغة وبالشعر فيقول :

زوامل للأشعار لا علم عندهم
بجيدها الا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري البعر اذا غدا
باوثاقه أرواح ما في الفرائر !!
وبعد : فهل من صحوة واعية
تعيد للغة العربية مكانتها في نفوس
بنينا ؟! أرجو وأتمنى .

محمد عائش عبيد

بالشعر وهو يرى الموت قاب
قوسين أو أدنى منه ، فقد قتل
قبله بلحظات زيد بن حارثة القائد
الأول ، أمام جحافل الروم ..
وهاهو ذا قد جاء دوره ليحمل
الراية ، فأخذها وهتف قائلاً بعد
أن عقر جواده ، وهو أول من عقر
في الاسلام كما قيل ، فقال :

يا حبذا الجنة واقترباها
طليقة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
على أن لاقيتها ضرابها

ثم هجم على الأعداء بقلب
مملوء ايماناً .. فقتل بعد أن أبلى
بلاء الصابرين الأبطال .

ثم تقدم بعبد عبد الله
ابن رواحة الأنصاري ، ثالث
القادة ، وكان قد رأى صاحبيه :
زيداً وجعفرًا قد قتلًا ، اذن فهو
مقتول لا محالة ، فحسر في أعماقه
بشيء من التردد أمام هذا الموقف
الرهيب ، ولا غرو فهو اللقاء
بالموت ، فماذا فعل ؟! لم يطمح
نفسه في تردها ، بل أقدم بقوة

التعزير

بين الفقه الإسلامى والفقه الوضعى

للأستاذ عبد العليم شداد

التعزير في اللغة

أصل التعزير مأخوذ من العز ، بمعنى الرد والردع والمنع واللوم والادب والعقاب والتعظيم ، فيقال عزره يعزره عزرا : رده وردعه ولامه ، وعاتبه ، وعظمه ، فهو من أسماء الاضداد ، ومنه قوله تعالى : (فالذين آمنوا وعزروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) وقوله تعالى : « وتعزروه وتوقروه » ومعنى هذا : تنصروه وتعظموه (١) .

وفي الاصطلاح عقوبة مشروعة غير مقدرة على كل ذنب لم تضع له الشريعة عقوبة محددة . فولى الأمر مفوض شرعا بمعاقبة المذنب في جميع أنواع الجرائم والأعمال المنوعة من غير موجبات الحدود والقصاص بأي نوع من أنواع العقوبات ، وبأى مقدار لا يقيد في ذلك إلا بقيد العدالة ، ومراعاة المصلحة الاعتبارية شرعا (٢) .

(مبدأ المشروعية والنصوص ووقائع في الشريعة الإسلامية في
الواردة فيه)
لقد وردت نصوص وشواهد دلالة واضحة على شرعية التعزير .

(١) القصاص والحدود في الفقه الإسلامى دكتور فكرى مكارم ص ٧٦

(٢) المرجع السابق ص ٩٧ .

الكتاب الكريم :

فاقتلوه) وفي رواية أخرى :
(ستكون هنات وهنات فمن أراد أن
يفرق أمر هذه الامة وهي جميع
فاضربوه بالسيف كائننا ما كان) •
الهنات الفتن •

وعن ديلم الحميري قال : «سألت
رسول الله عليه السلام فقلت
يا رسول الله انا بارض نعالج بها
عملا شديدا وأنا نتخذ شرابا من
القمح نتقوى به على أعمالنا ، وعلى
برد بلادنا . قال : وهل يسكر ؟
قلت نعم قال : فاجتنبوه • قلت :
ان الناس غير تاركيه • قال : فان
لم يتركوه فاقتلوه » (٢) •

وقد جاءت أخبار كثيرة عن
الرسول في التعزير بالمعقوبات المالية
ذكر ذلك بن القيم في كتابه :
(الطرق الحكيمة في السياسة
الشرعية) واليك طرعا منها : فقد
ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه
قال : (سلب الذي يصطاد في حرم
المدينة لمن وجده) ومثل : أمره عليه
السلام (بكسر الدنان لشارب

قوله تعالى : (فعضلوه
واهجروه في المضاجع واضربوه
فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا)
فأنت ترى أمره سبحانه وتعالى
بضرب الزوجات تأديبا وتهذيبا
لهن (١) •

السنة النبوية :

قال عليه السلام : « لا ترفع
عصاك من أهلك » وروى أنه عليه
السلام : (عزز رجلا قال لغيره
يا مخضت) وروى عنه أنه قال :
(رحم الله امرأ علق سوطه حيث
يراه أهله) وقوله : (واضربوه
عنى تركها لعشر) وروى عنه أنه :
(حبس رجلا بالتهمة) وروى عنه
عليه السلام مرفوعا وموقوفا
أنه قال : (ان حد الساحر ضربة
السيف) رواه الترمذي •

وروى عن رسول الله صلى
عليه وسلم أنه قال : (من أتاكم
وأمركم جميع على رجل واحد يريد
أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم

(١) المرجع السابق ص ٩٧ ، ٩٨ •

(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٣٦٢١٣٥ طبعة الشعب •

الاجتماع :

لقد أجمع على جوازه الصحابة
ومن بعدهم الى يومنا هذا ،
ولم يوجد من أنكر مشروعته (٢) .

العقل :

ان الزجر عن الافعال السيئة
وارتكاب الجرائم الموبقات واجب ،
وذلك لكي لا تصير ملكات وعادات
يتعود الناس عليها ، وتصبح عادة
مألوفة فيفحش ويستدرج الى ما هو
أقبح منها وأفحش ، ويضطرب أمن
المجتمع ويختل نظامه ، وتصبح
الحياة غير مطابقة ، لذا كان التعزيز
ضروريا .

لدفع هذه الجرائم وازالتها من
المجتمع الانساني ، حتى تصير
الحياة رخاء وبيم الأمن
والسكينة ، ويأمن الناس على
أرواحهم وأعراضهم وأموالهم .

التعزيز عقوبة تفويضية :

سلكت الشريعة الاسلامية في
اقامة الصدود حفاظا على أمن

الخير وشق ظروفها) ومثل : هدمه
(مسجد الضرار) ومثل : تحريق
مال الغال . ومثل : أمره لعبد الله
ابن عمرو باحراق التوبين
المصفرين . ومثل : أمره يوم خيبر
بكسر انقدور لطبخهم فيها لحوم
الحمر الانسية ، ثم بعد ذلك أباحها
لهم بفلسها واستعمالها ، ومثل
أمره للابن خاتم الذهب بطرحه ،
فطرحه على الارض ، فلم يتعرض
له أحد ومثل : قطعه نخل اليهود
اغاضة لهم (١) .

أما عمل الصحابة :

فقد روى عن عمر رضى الله
عنه أنه حرق المكان الذى يباع
فيه الخمر ، وكذلك تحريق عمر
قصر سعد بن أبى وقاص لما
احتجب فيه عن الرعية ، ومن هذا
القبيل أورد الامام ابن القيم طرفا
كبيرا عن التعزيز بالعقوبات المالية ،
ورد على الذين يمتنعون بأنهم
لا سند لهم من كتاب ولا سنة ولا
اجماع ولا عقل .

(١) الطرق الحكيمة لابن القيم ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٢) فتح القدير ص ٢١٢ .

المجتمع وسعادته وأمنه وهنائه
مسلكين : —

المسلك الاول :

عقوبة محددة ومقدرة معينة لا
دخل لحاكم فيها ولا مشرع وهي :
عقوبات الحدود والقصاص •

المسلك الثاني :

عقوبة تفويضية : وهي عقوبة
التعزير ، فهذه العقوبة متروكة
أمرها للحاكم وولي الامر والقاضي ،
يوقع منها ما يراه راجعا حسب
ظروف الجريمة ، وحال المجرم
والزمان والمكان ، وذلك تخفيفا
وتشديدا حسب المصلحة العامة
للمجتمع الانساني (١) •

ومعنى التفويض : أى تركها :
وترك تعييدها ووضع نصوص لها
الى ولي الامر •

أو هو : اعطاء الشريعة الاسلامية
لحكام أن يسن من الاحكام
والقوانين والقواعد والنصوص ما
يتلاءم مع ظروف المجتمع
الاسلامى ، فكان التعزير اشارة
طبية •• ولغت نظر لعلماء وفقهاء

الاسلام بأن الشريعة الاسلامية
حية متطورة مع المجتمعات
الاسلامية الانسانية ، وكيف لا :
وقد قال الحق سبحانه وتعالى :
« اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام
دينا » الى آخر النصوص المتعددة
الدالة على خصوصية الشريعة
الاسلامية وملاءمتها لروح
المجتمعات الانسانية ، وكيف لا !!
والله سبحانه وتعالى هو الذى خلق
الخلق ويعلم مستقبل ما ينفع
خلقه وعبيده •

وأنى أرجو من اساتذة القانون
كما هرعوا الى الفقه الغربى ،
ويبحثوا ودرسوا ونقبوا فيه ، أن
يهرعوا الى شريعتهم ، وإلى الفقه
الاسلامى ، لينقبوا ويبحثوا فيه
فسيجدوا بفيتهم ومأربهم
وطلبتهم وضالتهم المنشودة •

من هو ولي الامر المفوض فى قانون
التعزير ؟

ولى الامر الذى تمنحه الشريعة
الاسلامية هذا الحق ، ليس هو

(١) سلام محكور بقصر (المدخل للفقه الاسلامى) •

كجريمة التجسس للعدو على المسلمين والداعية الى البدعة ، لافساده في الارض .

والوقوف بجريمة الاعدام عند بعض جرائم الحدود والعقاب لا يتمشى مع أغراض الشارع مع فريضة العقاب ، ولا يتفق مع المنطق والعقل ، فهناك جرائم تمس أمن المجتمع وكيانه وحياته ، وأمن الدولة وسلامتها ، فأى عقوبة توقع على هذه الجريمة ان لم يكن التعزيز . ١١

القانون المصرى :

وفي القانون المصرى تعتبر عقوبة الاعدام عقوبة تعزيزية في غير الاحوال التى تقررت فيها للقتل العمد أو للحرابة ، لأنها في حالة القتل العمد تعتبر قصاصا ، وفي أحوال الحرابة تعتبر حدا .

وهذه الاحوال الآتية هي التى أجاز فيها القانون الحكم بالاعدام: أولا : بعض الجنايات المضرة بأمن الدولة من جهة الخارج . المادة

من يخلع عليه طائفته أو اقليمه أو نفر من الناس لقب : (الامام) بل هو الحاكم الذى يعرف في صدر الاسلام بلقب الخليفة ، والذى حدد الكتاب والسنة مركزه في الامة وهدفه في الجماعة (١) .

العقوبات التعزيزية :

ان العقوبات التعزيزية كثيرة متنوعة منها : العقوبات التى تصيب البدن ، وأهمها : الاعدام والجلد . ومنها : العقوبات المقيدة للحرية ، وأهمها : الحبس والنفى ، ومنها : العقوبات المالية . وغير ذلك من العقوبات .

الاعدام :

قد أقرته الشريعة عقوبة تعزيزية ، كما أقرته كذلك عقوبة للقصاص ، فعند الأحناف يجوز الاعدام تعزيرا في الجرائم التى شرع القتل في جنسها اذا تكرر ارتكابها .

وعند المالكية والحنابلة يجوز الاعدام تعزيرا في بعض الجرائم ،

- ٧٧ وما بعدها وهي : ١ - اتيان فعل يؤدي الى المساس باستقلال البلد . (مادة ٧٧) .
- ٢ - الالتحاق بالقوات المسلحة لدولة في حالة حرب مع مصر . مادة ٧٧ .
- ٣ - التخابر مع دولة اجنبية بأعمال عداوية ضد مصر مادة ٧٧ .
- ٤ - التخابر مع دولة اجنبية لمعاونتها في عملياتها الحربية ، أو الاضرار بالعمليات الحربية المصرية مادة ٧٧ ج .
- ٥ - التدخل لمصلحة العدو لاضعاف روح القوات المسلحة ، أو روح الشعب المعنوية . مادة ٧٨ .
- ٦ - تحريض الجند على الانخراط في خدمة أي دولة اجنبية أو تسهيل ذلك لهم . مادة ٧٨ .
- ٧ - تسهيل دخول العدو في البلاد . مادة ٧٨ .
- ٨ - اتلاف الاسلحة أو المؤن أو وسائل المواصلات في زمن الحرب . مادة ٧٨ .
- ٩ - محاولة احتلال شيء من المباني المخصصة للمصالح الحكومية ، أو المرافق العامة ، أو
- المؤسسات ذات النفع العامة اذا وقع من عصابة مسلحة . مادة ٩٠ مكرر .
- ثانيا : بعض الجنايات المضرة بأمن الدولة من جهة الداخل طبقا للمادة ٨٦ وما بعدها وهي :
- ١ - الاعتداء على رئيس الجمهورية أو على حريته . (٨٦) .
- ٢ - في جريمة الشروع بالقوة في قلب دستور الدولة أو شكل الحكومة اذا وقعت من عصابة مسلحة ، يعاقب بالاعدام من ألف العصابة ، أو تولى زعامتها أو قيادتها . ٨٧ .
- ٣ - من ألف عصابة هاجمت طائفة من السكان ، أو قاومت بالاسلحة رجال السلطة العامة في تنفيذ القوانين ٨٩ .
- ٤ - من تولى لغرض اجرامي قيادة فرقة من القوات المسلحة بنير تكليف من الحكومة ، أو سبب مشروع ، أو استمر رغم الامر الصادر من الحكومة في قيادة عسكرية بعد صدور امر الحكومة بتسريحها .
- ٥ - كل من قلد نفسه رئاسة

٣٣ من القانون ١٦٢ لسنة ١٩٦٠ م •
وعقوبة الاعدام في جميع هذه
الاحوال ليست قصاصا ، لانها
لا تقابل قتل انسان عمدا ، وانما
هي عقوبة تعزيرية، ولنا أن نعتبرها
حدا في الحالات التي تعتبر الجرائم
المقررة لها تلك العقوبة من جرائم
الحرابة في كل مرة يصدق على
الجريمة أنها سعى في الارض
بالفساد ، تكون عقوبة الاعدام
المقررة لها من الحدود ، بشرط أن
تتوفر للعقوبة بحل شرائط
الحدود (١) •

الجلد :

الجلد عقوبة مشروعة في بعض
جرائم الحدود ، فهي في الزنى
والقذف مشروعة بالكتب ، لقوله
تعالى : (الزانية والزاني فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة) •

مشروعيته في التعزيز :

فالجلد : تعزيز مشروح بالقرآن
والسنة والاجماع •
أما القرآن فقوله تعالى :
(واللاتي تخافون نشووزهن)

عصبة حاملة للسلاح ، بقصد
اغتصاب الاموال المملوكة للحكومة
أو لجماعة من الناس •

ثالثا : القتل العمد في الاحوال
الآتية :

١ - جنائية تعريض ومسائل
النقل العام للخطر ، أو
تعطيل سيرها عمدا اذا
نشأ عنها الموت (١٦٧ ، ١٦٨)
والعقوبة في هذه الحالة الاعدام أو
الأشغال الشاقة المؤبدة •

٢ - الحريق العمد اذا نشأ عنه
الموت •

٣ - شهادة الزور التي يقترب
عليها الحكم على متهم بالاعدام اذا
نفذت العقوبة • مادة ٢٩٥ •

٤ - جنائية تصدير أو جلب
مخدرات أو انتاجها ، اذا كان قد
سبق الحكم على المتهم في احدي
هذه الجرائم ، أو جريمة مخدرات
مما نصت عنه المادة (٣٤) • أو اذا
كان المتهم من الموظفين المنوط بهم
مكافحة المواد المخدرة ، أو لهم بها
اتصال من أى نوع كان • المادة •

(١) من الفقه الجنائي المقارن للمستشر موافق •

وكذلك الحال في السرقة • فقد
 قيل بالجلد عقوبة في كل سرقة
 لا حد فيها : كأن يسرق من غير
 حرز •

وكذلك من الجرائم التي قيل
 فيها بالضرب : افساد الاخلاق
 والجاسوسية ، (١) وذلك مع
 العقوبات الاخرى •

هذا عن الجسائم • أما عن
 الاشخاص فقد قال الفقهاء :
 بالضرب عقوبة لمن لا يردعهم عدا
 الضرب من شرار الناس وأسافلهم ،
 ومن مردوا على الاجرام واعتادوه
 ولهم في ذلك تقسيمات للناس ،
 وبيان للعقاب اللازم لكل قسم ،
 يقسمون الناس الى مراتب أربع :

١ - أشرف الاشراف •

٢ - والاشراف •

٣ - والاوساط •

٤ - والسفلة •

ولا يقولون بالتعزير بالضرب الا
 بالنسبة للقسم الاخير ، وهو أدنى
 الناس (٢) •

فعلوهم واهجروهم في المضاجع
 واضربوهم •
 أما السنة :

فقول الرسول صلى الله عليه
 وسلم : « لا يجلد أحد فوق عشرة
 أسواط الا في حد من حدود الله » •
 الاجماع :

اتفق الاجماع على ذلك ، سار
 الخلفاء الراشدين على ذلك •
 بعض الامثلة على الجلد تعزيرا
 قضاء عمر بالجلد على من زور
 كتابا لبیت المال ، ووقع عليه ببصمة
 خاتم اصطنعه على نقش خاتم بيت
 المال ، وقدمه لامين بيت المال
 فأخذ منه مالا • وفي هذه القضية
 بالمفهوم المصري الحديث تزوير
 واستعمال الأوراق المزورة •

ومنها : ووطء الرجل أمة زوجته
 زنا ووطء الجارية المشتركة ، وكل
 ما كان سببه الوطء كوطء جاريته
 المزوجة ، أو جارية ولده أو جارية
 أحد أبويه ، والمحرمة بالرضاع ،
 أو الميتة • فقد ورد أن كل هؤلاء
 يعزرون بمائة جلدة •

(١) التعزير د • عبد العزيز عامر •

(٢) التعزير في الشريعة الإسلامية — دكتور عبد العزيز عامر •

الجلد في التشريع المصري :

لم يأخذ المشرع المصري في التشريع العقابي بالجلد ، وإنما أقرها في حالتين :

١ - في قانون الاحكام العسكرية حيث ينص البند (١٧٠) على جزاءات توقع على الجنود . ومنها : انقباب البحنى بما لا يزيد على خمسين جلدة : وقد نص ذلك القانون على (الذنوب) التي يطبق فيها الجزاء البدنى في بنود عديدة .

٢ - في السجون : حيث تنص

المادة ٦١ من لائحة السجون على العقوبات التأديبية التي توقع على المسجون لسوء السلوك ، أو في مخالفة النظام . ومن هذه العقوبات : جلد المسجون الذى لا يجوز أن يزيد على ٣٦ جلدة . لمسجونى الليمانات ، ولا على ٢٤ جلدة لمسجونى السجون ، ولا يجوز أن يزيد على ١٢ جلدة لمن لم يبلغ سن سبع عشرة سنة .

وهناك حقائق وحسنات ، يجب أن تذكر لعقوبة الجلد وميزتها بين أنواع العقوبات وهى كالآتى :

- ١ - أنها تخيف الجناة .
 - ٢ - وأنها يمكن أن تكون ذات حدين .
 - ٣ - وأن تطبيقها لا يثقل كاهل الدولة .
 - ٤ - وأنه يظهر فيها ميذا شخصية العقوبة ، لأنها تلحق المحكوم عليه فقط ، ولا تلحق غيره ممن يتصلون به .
 - ٥ - وأنها لا تؤدي الى تعطيل الأيدي العاملة ، فلا يقف دولا العمل .
 - ٦ - وأنها تحمى من نشر الحبس عند اختيار عقوبة الحبس ، لأنه يعرض المحكوم عليهم للعدوى الخلقية من مخالطة المجرمين .
- ولقد دافع عن عقوبة الجلد الدكتور : (القللى) عميد كلية حقوق القاهرة فقال : (أن عقوبة الجلد بلا مراء أقوى وأنجح وسيلة لردع بعض الطوائف المجرمة ، الذين لا يردعهم العقوبة المقيدة للحرية (١)) .
- ولقد نادى الدكتور « محمد نجيب الملاح » في رسالته عن

(١) من الفقه الجنائى المقارن ص ٧٨ مرقى .

الحبس أو السجن ويقصدون بالكل نفس المعنى •

مشروعية :

اختلف الفقهاء في الحبس ومشروعيته ، فقال قوم : ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر لم يكن لهما سجن ولم يسجنا أحدا •

وقال آخرون : بمشروعية الحبس ، وسلقوا على ذلك حججا كثيرة منها :

ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بالحبس ، فقد ورد أنه سجن بالمدينة أناسا في تهمة دم ، وأنه حبس رجلا في تهمة ، ساعة من نهار ثم أظلى سبيلا ، وثبت عن عمر أنه حبس الحطيئة على هجوه ، وأن عثمان سجن صابيء بن الحارث ، وكان من لصوص بني تميم وفتاكهم حتى مات في السجن ، وأن عليا سجن بالكوفة ، وروى : أنه بنى سجنا من قصب ، وسماه نافعا ، فنقبته اللصوص ، وبني آخر من مدر ، وسماه مضيا ، وكذلك ابن الزبير سجن بمكة :

واحتجوا على مشروعية السجن بقوله تعالى : « فامسكوهن في البيوت الآية » •

الادمان في المخدرات يعقوبة الجلد واعطاء القاضي تلك السلطة •

ولقد اقترح كذلك مكتب المخدرات في تقرير عام ١٩٣١ م قائلا في هذا الصدد : « ان الالم البدني أنجح في العلاج من السجن » •

عقوبة الحبس :

أما الحبس في الشرع : فقد قال ابن القيم : أن المقصود بالحبس الشرعي ليس الحبس في مكان ضيق ، ولكنه تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه ، سواء كان ذلك : في بيت ، أم في مسجد ، أم في غيرهما • وان هذا كان هو الحبس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، فلم يكن هناك محبس معد لحبس الخصوم ، ولكن لما انتشرت الرعية واتسعت رقعة البلاد الاسلامية في أيام عمر ، اشترى دارا لصفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم ، وجعلها حبسا والسجن معناه : الحبس ، لذلك يطلق الفقهاء كلا منهما بمعنى الآخر ، ويطلقون كذلك كلمة الحبس أو المحبس أو السجن ، على المكان الذي تنفذ فيه عقوبة

والشرط فيه : أن يكون كافيا لجزر الجاني ، جاء في كتشاف القناع : أن من وجب عليه التعزير يعزر بما يردعه ، لأن القصد من التعزير هو الردع والجزر .

وجاء في شرح الكنز للزيلعي في صدد الكلام عن حبس المدين : أن ما جاء من تقدير مدة الحبس بشهرين أو ثلاثة أو أقل أو أكثر اتفاقى وليس يتحتم تقديرا ، وأن ليس للحبس مدة مقدرة ، ويترك الأمر فيه للقاضى ، وأن ذلك يختلف باختلاف الشخص والزمان والمكان والمال ، وأنه مفوض الى رأى الامام ، ويختلف باختلاف الجريمة والمجرم ، وقيل في نهاية المحتاج : أن مدة الحبس للأحرار لا تصل الى سنة .

ومن الأقوال المختلفة للفقهاء : أن الحبس المقدر ليس له حد أقصى ، فهو مفوض الى الامام أو القاضى بما يراه مفيدا للجزر وناجعا له . ما يقلل هذا النوع في القانون المصرى :

يقابله الحبس المحدد المدة في الشريعة الاسلامية في القانون

والحبس مشروع بالكتاب والسنة والاجماع .

١ - أما الكتاب فقوله تعالى : (أو ينفعوا من الأرض) وقالوا : ان المقصود بالنفى في آية المحاربة: هو الحبس .

٢ - وأما السنة : فلان الرسول حبس :

٣ - وأما الاجماع : فلان الصحابة ومن بعدهم أجموا عليه ، وقد اتفق الاجماع على أن الحبس يصلح عقوبة في التعزير ، ووضعه الفقهاء بين العقوبات التعزيرية .

نوعا الحبس :
والحبس في الشريعة الاسلامية نوعان :

١ - محدد المدة .
٢ - غير محدد المدة .
١ - الحبس محدد المدة :

ليس للحبس مدة محدودة ومقدرة ، سواء في حده الأدنى أو في حده الأقصى ، وهو يختلف باختلاف ظروف كل مجرم ، وباختلاف ظروف كل جريمة وكذلك باختلاف الأرمئة والأمكة :

وعلاماتها •

ما يقابل الصورتين في القانون
المصري :

يقابل الصورة الأولى : الأشغال
الشاقة المؤبدة في القانون المادة ١٤
إذا النى منها التشغيل الشاق ،
ويقابل الصورة الثانية ما ينادى به
الآن فلاسفة علم العقاب ، من
ضرورة عدم تحديد مدة الحبس ،
وترك التحديد للسلطة التى لها
الافراج •

التعزير بأخذ المال :

اختلف الفقهاء في مشروعية
التعزير بأخذ المال ، فمنهم من
يجيزه ، ومنهم من يمنعه :

فأبو حنيفة يمنعه ولا يجيزه •
وأبو يوسف قال : بالجواز •
وأما الشافعية ، فقالوا بالجواز مع
شئ من التفصيل •
وكذلك الحنابلة : ولقد ذكرها
ابن القيم في كتابه : « الطرق
الحكيمة » •
والتعزير بأخذ المال يكون
بصورتين : الصورة الأولى :
التعليك :

المصري عقوبتى الحبس والسجن
والإشغال الشاقة المؤقتة إذا النى
منها التشغيل الشاق ، والحد
الأدنى للحبس : ٢٤ ساعة ، وحده
الأقصى ثلاث سنين •

والسجن : حده الأدنى ثلاث
سنين ، وحده الأقصى خمس عشرة
سنة •

والإشغال الشاقة المؤقتة : وحدها
الأدنى ثلاث سوات ، وحدها
الأقصى خمس عشرة سنة ، على
ما هو مذكور في مراجعه •

٢ — الحبس غير محدد المدة :

ويأخذ هذا النوع صورتين :

١ — الصورة الاولى : الحبس
حتى الموت •

٢ — الصورة الثانية : الحبس
حتى التوبة أو الموت •

مثال الاول : حبس سيدنا عثمان
الصابى بن الحارث ، وكان من
لصوص بنى تميم وفتاكهم ، حتى
مات في السجن •

ومثال الصورة الثانية : قول أبى
حذيفة : يحبس الشخص المائد
للسرقة للمرة الثانية حتى يتوب ،
ويكون بظهور أماراتها ودلائلها

الحكم بأحدهما فقط ، وقد يلزمه بالجمع بينهما ، وفي أحوال كثيرة تقرر بمفردها ، وقد حدد الشرع صدها الأدنى بخمسة قروش .
المادة ٢٢

ولم يبين لها هذا أقصى بصفة عامة إلا في المخالفات ، وهو : مائة قرش المادة ١٢ عقوبات . وإن كان قد بين بصفة خاصة الحد الأقصى في كل حال على حدة .

وفي بعض الأحوال ينص القانون على حد أدنى بغرامة تزيد على الخمسة قروش .

الصورة الثانية : الاتلاف :

مثل اتلاف المنكرات من الأعيان : كالأصنام ، والخمر وأوعيتها ، واللبن المخلوط بالماء للبيع ، والصكوك المزيفة . وليس اتلاف المحل متعينا في جميع الحالات ، بل يجوز التصديق بالشئ إذا لم يكن بالشئ ضرر لمن يتناوله أو يستعمله ، كاللبن المخلوط بالماء ، والطعام المشوش غير الفاسد . ويرى الدكتور عبد المميز عامر ابقاء الشئ وأخذه على ملك الدولة وضمه إليها .

ومثاله قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن سرق من التمر المعلق قبل أن يؤخذ إلى الجرين بجلدات نكال وغرم ما أخذ مرتين . وفيمن سرق من الماشية قبل أن تؤدي إلى المراح بجلدات نكال وغرم ذلك مرتين .

ما يقابل هذه الصورة في التشريع المصري :

تقابل هذه الصورة عقوبة الغرامة في التشريع المصري . المادة ٢٢

بقولها : العقوبة بالغرامة هي : الزام المحكوم عليه بأن يدفع إلى خزينة الحكومة المبلغ المعتمد في الحكم .

وهي في القانون العقوبة أصلية عادة ، بمعنى : أنها تكون الجزاء الأصلي المقرر للجريمة ، وقد تكون تكميلية في بعض الأحيان . أي بالاضافة الى العقوبة الأصلية .

ويقررهما القانون عادة في الجامع والمخالفات ، وقد يترك للقاضي حرية الاختيار بينها وبين الحبس ، أو حرية الجمع بينهما أو

ويقابل الصورة الثانية من التشريع
المصرى « المصادرة » •

ولقد نصت عليها المادة ٣٠
بقولها : (يجوز للقاضي إذا حكم
بمعقوبة لجنائية أو لجنحة أن يحكم
بمصادرة الأشياء المضبوطة التي
تحصلت من الجريمة ، وكذلك
الأسلحة والآلات المضبوطة التي
استعملت ، أو التي من شأنها أن
تستعمل فيها ، وهذا كله بدون
إخلال بحقوق الغير الحسن النية ،
وإذا كانت الأشياء المذكورة من
التي تعد صنعها أو استعمالها أو
حيازتها أو بيعها أو عرضها للبيع
جريمة وجب الحكم بالمصادرة في
جميع الأحوال ، ولو لم تكن تلك
الأشياء ملكا للمتهم •
التوبيخ :

جاهلية « وقصة العبد مع عبد
الرحمن بن عوف : فقد خاصم
العبد عبد الرحمن بن عوف ،
فغضب عبد الرحمن ، فسب العبد
وقال له : يا ابن السوداء فغضب
الرسول وقال : « ليس لابن بيضاء
على ابن سوداء سلطان الا
بالحق » فخلع عبد الرحمن بن
عوف واستخذي ، ووضع حُده
على التراب ثم قال (١) للعبد :
طأ عليه حتى ترضى •

والمقابلة في التشريع المصرى :

وأخذ التشريع المصرى بمعقوبة
التوبيخ في المخالفات فقط ،
بالنسبة للأحداث الذين تتراوح
أعمارهم بين سبع سنين واثنتي
عشرة سنة (المادة ٦٥) •
العزل :

وهو حرمان الشخص من
وظيفته ، قال ابن تيمية : ان
التعزير قد يكون بالعزل من ولاية
وإن النبي عليه السلام وأصحابه
كانوا يعزلون تعزيرا •

استدل الفقهاء على مشروعيته
بالمسنة فقد روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن أبا ذر محب
رجلا فعيه بأمه ، فقال الرسول :
« أعيرته بأمه ، أنك امرؤ فيك

ما يقابل العزل في التشريع المصري :

عرفت (المادة ٢٦) العزل
هو : الحرمان من الوظيفة نفسها ،
ومن المرتبات المقررة له) .

واعتبر عقوبة تبعية كما جاء
بالمادة ٢٥ لكل حكم بعقوبة جنائية
بمعنى أن المتهم إذا حكم عليه
بعقوبة جنائية : (أنشغال شاقة
مؤبدة أو مؤقتة أو السجن) وكان
موظفاً فإنه يعزل من وظيفته دون
حاجة الى النص على ذلك في
الحكم ، كما اعتيره في (المادة
٢٧) عقوبة تكميلية : ينص عليها
بالحكم إذا ارتكب الموظف جنايه
مما نص عليها في الباب : الثالث
والرابع والخامس والسادس عشر
من الكتاب الثاني من العقوبات :
(الرشوة واختلاس الأموال ،
والاكراه ، وسوء معاملة الناس ،

والتزوير) وعومل بالرافة فحكم
عليه بالحبس ، فإنه يحكم عليه
أيضاً بالعزل لمدة لا تتقص عن
صعف مدة الحبس المحكوم بها
عليه ، وهذه الجرائم التي اختلرها
المشرع للحكم بعقوبة العزل شبيهة
الى حد كبير بما أورد ابن تيمية
في كتابه « السياسة الشرعية »
ومثل أمثلة للجرائم التي يحاكم
فيها بالعزل ، ومنها : ولالة أموال
بيت المال إذا خانوا وهي تساوى
(اختلاس الأموال الأميرية) ومن
يقبل الهدية بسبب العمل وهي
تساوى (الرشوة) وولى الأمر
الذى يقبل الرشوة أو الهدية ،
وهي (الرشوة) بداتها ، ومن
يعتدى على رعيته ، وهي تساوى
(الاكراه وسوء معاملة
الناس) (٢) . والله الموفق .

عبد العظيم شداد

أخطاء شائعة

بمؤتاة عباس أبر السعور

- ٥٦١ ويقولون : شارك التجارة ،
وشارك الميراث ونحو ذلك ، وكل
هذا ضلال بعيد ، لأنهم جعلوا
الفعل متعديا بنفسه الى مفعولين ،
وهو لا يتمدى بنفسه الا الى
مفعول به واحد ، فيقال : شارك
في التجارة ، وشارك في الميراث ،
ويؤيد هذا الرأي قوله تعالى
« وشاركهم في الأموال والأولاد »
ومثل هذا الفعل في التمدى الى
مفعول واحد فملان : أحدهما :
الثلاثي تقول : شركة في البيع
يشرك من باب تعب شركا وشركة
وزان كلم وكلمة بفتح فكسر فيهما
اذا صار له شريكا ، ثم خفف
المصدر بكسر الشين وسكون الراء ،
واستعمال المخفف أغلب ، فيقال :
شرك وشركة كما يقال كلم وكلمة
- والاسم الشرك بالكسر ، جمعه
أشراك كشيبر وأشباه .
والفعل الآخر : المزيذ بالهمزة ،
تقول : أشرك فلان أخاه في كسل
أموره ، ومن هذا قوله تعالى
« أشد به أزدى » وأشركه في
أمرى ، أى اجعله شريكى في الأمر .
وجمع الشريك شركاء ،
وأشراك ، كشرىف وشرفاء
وأشراف ، والمرأة شريكة ومن
سراك وهناك أشرك متعدد أيضا
الى مفعول واحد ، بيد أنه لمعنى
آخر ، تقول : أشرك فلان نطه اذا
جعل لها شراكا بالكسر كشرکہا
تشريكا ، والشراك هو سيرها الذى
يكون على ظهر القدم ، جمعه شرك
بضمين ككتب تقول : أصلحوا
شرك نعالكم .

قولك : شهدنا ملك فلان أى تزوجه أو عقد زواجه ، كما يقال شهدنا املاكه ، وهو التملك كما فى قولك ليس لفلان ملك أى لا يستطيع أن يملك أى يملك نفسه .

ويقال هذا المنزل ملك بميم مثله ، وملكه بميم مفتوحة ، والاملاك التزويج ، تقول أملكنا فلانا فلانة أى زوجناه اياها ، وهو أيضا التطلق تقول : أملكك المرأة أمرها بالبناء للمفعول اذا طلقت والملكوت من الملك كالرهبوت من الرهبنة ، تقول : لفلان ملكوت العراق أى له ملكه وعزه ، وهو ملك وملك بزنة عدل ، وملك بزنة كتف ، ومالك ، وتقول : علاه أبو مالك أى الكبير والشيخوخة ، قال :

أبا مالك ان الغواني هجرتنى
أبا مالك انى أظنك دانيا
ويقال : فلان حسن الملكة
بالتحريك أى حسن التصنيع الى مماليكه ، وفى الحديث لا يحذل

وهناك أيضا أشرك غير متعد
لمعنى آخر ، تقول أشرك الملحد بالله أى كفر وجعل لله شريكا فهو مشرك ومنه قوله سبحانه « ولعبد يؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم » وهم مشركون ومنه قوله تعالى « انما المشركون نجس » وهى مشركة وهن مشركات ومنه قوله « ولا تتكفروا المشركات حتى يؤمن » ويقال : رجل مشرك بصيغة اسم المفعول اذا كان يحدث نفسه كالموسوس والمهموم ، وطريق مشترك أيضا ، والأصل مشترك فيه ، ومنه الأجير المشترك وهو الذى لا يخص أحدا بعمله بل يعمل لكل من يقصده للعمل .

٥٦٢ ويقولون : فلان ملك بالفتح
يعنون أنه متسم بكرم الأخلاق ، وهذا خطأ محض ، لأن للملك معانى عدة لا صلة لأى منها بالمعنى الذى أرادوه ، فهو قوام الأمر الذى يملك به ، اذ يقال : القلب ملك الجسد بفتح الميم وكسرهما ، وهو اسم من ملكته الشئ تمليكا ، وهو التزوج أو العقد كما فى

ذووضنى ومن ذوات ضنى •
والصواب أن يقال على سبيل
التشبيه البليغ : أنت روحى ،
أو قلبى ، أو كبدي أو انفسان
عينى ونحو ذلك •

وهذه المرأة لو قالت : أنت
ضنوى بفتح الضاد وكسرهما لكان
قولها سليما لأن المعنى حينئذ
يكون : أنت وكدى •

٥٦٤ ويقولون : تستعمل النظارة
في رؤيا الأشياء الصغيرة ، وفي هذا
التعبير غلطتان احدهما كلمة
النظارة ، والصواب أن يستبدل
بها كلمة المنظار اسم آلة من النظر
كالمفتاح فهو اسم آلة من الفتح ،
والمنشمار اسم آلة من النشر ،
وللمنظار معنى آخر هو المرأة ،
تقول رأيت خيالى في المنظار ،
وأشدد الفراء •

خود (٢) مهفهفه (٣) كان جبينها
تحت الرصاص (٤) صفحة المنظار

الجنة سىء الملكة والملك (١) بالتحريك
من الملائكة واحد وجمع ، ويقال
ملائكة وملائك بدون هاء •

٥٦٣ وتقول المرأة لابنها : أنت
ضناى وتناديه فتقول : يا ضناى ،
وهى بهذا تعنى أنها تحبه حبا ملك
عليها لبها ، ومن شغاف قلبها •

وهذا غير سليم ، لأن الضنى
معناه المرض الشديد ، تقول :
ضنى فلان من باب تعب يضنى
ضنى اذا مرض مرضا مداما
كلما ظن أنه برىء نكس فهو ضن
على النقص ، وامرأة ضنية
وزان فرحة •

ويقال : تركته ضنى ، وضنيا
أى مريضا ، وأضناه أى أثقله فهو
مضنى بصيغة اسم المفعول ،
وفلان بين سفر ينضيه ومريض
يضمنيه •

ويجوز الوصف بالمصدر فيقال :
هو وهى وهم ومن ضنى ، والأصل
هو ذووضنى وهى ذات ضنى ، وهم

(١) — من الجيع قوله تعالى : « وجاء ربك والملك صفا صفا » أى
بحسب منازلهم ومراتبهم •

(٢) — الخود : الحسنة الشابة أو الناعمة •

(٣) — المهفهفه : ضامرة البطن •

(٤) — الرصاص براقع صفار تلبسها الجارية •

بمعنييه أمور ، والحق أن الأمر قد يكون بمعنى الحال كما في قوله تعالى : « وما أمر فرعون برشيد » وهذا جمعه أمور ومنه قوله سبحانه : « والى الله عاقبة الأمور » وقد يكون بمعنى الطلب أى ضد النهى كما في قوله تعالى « قال استجنىنى أن تشاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً » وهذا جمعه أوامر ، ومن الأئمة من يقول في تأويله أن الأمر مأمور به ثم حول المفعول الى فاعل كما قيل أمر عارف بمعنى معروف ، وببيت عامر بمعنى مغمور ، وعيشة راضية بمعنى مرضية وكما قيل في عكس ذلك مستور بمعنى سائر في قوله تعالى « فإذا قرأت القرآن جئنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا » أى حجاباً سائراً .

ثم جمع فاعل على فواعل ككاهل وكواهل ، وصاهل وصواهل ، وشاهق وشواحق ، فأوامر جمع أمر الذى هو فى الحقيقة مأمور كما قلنا ذلك سابقاً .

وإذا أمرت من هذا الفعل ولم

أما النظارة فهم القوم ينظرون الى سماء ، واحدهم ناظر كما رأى صاحب المصباح ، ورأى صاحب المختار أن الرجالة واحدهم راجل وهو خلاف الفارس ، ويجمع الراجل أيضاً على رجال كما فى قوله سبحانه **فانى خفتهم فرجالاً أو ركبانا** ويجوز أن يكون واحد النظارة نظاراً قياساً على ما قال صاحب الأساس : أن السيارة واحدهم سيار ، وقول أهل اللغة : ان الجمالة وهم أصحاب الجمال واحدهم جمال ، والحمارة وهم أصحاب الحمير واحدهم حمير والبغالة وهم أصحاب البغال واحدهم بغال .

والغلطة الأخرى كلمة رؤيا ، والصواب أن يستبدل بها كلمة رؤية بالهاء لأن الرؤية هى الابصار بالعين تقول : رأيت الشيء رؤية إذا أبصرته بعينك ، جمعها رؤى ، كمدية ومدى .

أما الرؤيا فلا تكون الا فى النوم كما فى قوله تعالى « **وما جئنا** الرؤيا التى آريناك الا فتنة للناس » ٥٦٥ ويقولون فى جمع الأمر

تعالى « ولا تتنازعوا فتفشلوا » .
ومن الثلاثي يقال إن أشسبه
أخسواله أو أعمامه : فزعهم
ونزعوه ، أو نزع اليهم كما في قول
الفرزدق :

أشسبت أمك يا جرير فانها
نزعتك والأم اللثيمة تنزع
ونزع فلان الشيء من مكانه من
باب ضرب قلعه ومنه قوله تعالى :
« تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك
من تشاء » ونزع فلان من باب
تعب نزعاً إذا انحسر الشعر عن
جانبى جبهته فهو أنزع ، وهى
زعراء ولا يقال للأنثى نزعاء من
لفظه .

٥٦٧ ويقولون لواحدة الذباب
ذبانة بكسر الذال وتشديد الباء
وزيادة نون قبل الهاء والعامية
يستبدلون بالذال دالا فيقولون
دبانة .

والصواب أن يقال لها ذبانة
بضم الذال وتشديد الباء ، أو يقال
لها ذبابة والجمع ذباب بالضم ،
ويجمع الذباب فى القلة على
أذبة ، وفى الكثرة على ذبسان

يتقدمه حرف عطف حذفتم الهمزة
على غير قياس وقلت مره بكذا ،
ومنه قوله تعالى : « وأمر أهلك
بالصلاة » والأمر بكسر الهمزة
معناه معناه المجيب ومنه قوله
سبحانه « لقد جئت شيئا امرا » .
٥٦٦ ويقولون : اشتد المرض على
فلان فأخذ ينزع نزاعاً مؤلماً ،
وهذا خطأ والصواب أن يقال :
فأخذ ينزع من باب ضرب نزعاً أى
أشرف على الموت ، وقولهم فلان
فى النزاع معناه فى قلع الحياصة ،
أو يقال : فأخذ يئن أنينا ، أو أخذ
يتوجع توجعاً أو أخذ يتأوه تأوها
ونحو ذلك .

أما النزاع بالكسر فله معنيان
أحدهما الخصومة والمجادبة
كما فى قولك : نازعت فلانا منازعة
ونزاعاً إذا جاذبته فى الخصومة .
والآخر الاشتياق كما فى قولك :
نازعت النفس الى كذا نزاعاً بكسر
الفون ، ونزوعاً بضمها أيضاً إذا
اشتاقت اليه .

ويقال : بين فلان وجاره نزاعة
بفتح النون أى خصومة فى حق ،
والتنازع التخاصم ، ومنه قوله

أذب عن أحساب قحطان أنتى
أنا ابن قحطانها حيث حلت

٥٦٨ وينكرون أن يقول القائل :
صديقى يقبل عنى ما أقدم اليه من
آراء ، ويصرون على أنه يجب أن
يقال يقبل منى كذا ، مستأنسين
بقوله تعالى : « ومن يتبع غير
الاسلام ديناً فلن يقبل منه » .
والحق أن التعبير الذى أنكروه
سليم لا غبار عليه .

وبيان ذلك أن الحرفين من وعن
يترادفان : فمن تأتى مرادفة من
كما فى قوله تعالى : « وهو الذى
يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن
السيئات » أى منهم .
كما تأتى من مرادفة عن فى قوله
سبحانه : « فويل للقاسية قلوبهم
من نكر الله » أى من نكر الله
وقوله : « يا ويلنا قد كنا فى شفة
من هذا » أى عن هذا .

وكذلك تأتى عن مرادفة الباء
لما فى قوله جل شأنه « وما ينطق
عن الهوى » أى بالهوى وتأتى
مرادفة بعد كما فى قوله « مما قليل
ليصبحن نادمين » أى بعد قليل ،

بالكسر كما يقال فى جمع غراب
أغرية وغربان .

ويقال أرض مذببة بثلاث فتحات
أو مذبوبة إذا كانت كثيرة الذباب ،
والمذببة بكسر الميم وفتح الذال
ما يذب به الذباب اسم آلة .
وللذباب معان كثيرة زيادة على
المعنى المعروف ، فهو انسان
العين ، نقول : فلان أعز على من
ذباب العين ، وهو من السيف حده
الذى يضرب به ، تقول ضربه
بذباب سيفه وكذلك هو من الأذن
ما حد من طرفها ، وهو الشر ،
تقول : أصابنى ذباب شر ماذى
وللذبابه أيضاً معنى آخر غير
معناها المعروف فهو بقية الشيء
وجمعها ذبابات ، تقول : فلان
ذبابه من دين من ذبابات أى بقايا ،
وبه ذبابه من جموع ، أو من
عطش ، تقول : ما تركت فى الاناء
صباية وفى من العطش ذبة .

وتقول : ذبب النهار إذا مضى
ولم يبق منه الا ذبابة .

ويقال ذب فلان عن حريمه من
باب نصر ذبا إذا حماه ودافع عنه
قال الطرماح :

علمه تعليما فهو عتيد أى حاضر مهياً •

٥٧٠ ويقولون لقوس الله : قوس قزح ، وقزح وزان صرد خطوط من صفر وخضرة وحمرة ، وهذا غير سليم •

والفصح كذا في مراجع اللغة

— أن يقال له : قسطان ، قسطاني وقسطانية بضمين ، وبتشديد الياء في الآخرين •

وقال علماء اللغة : والعامة تقول قوس قزح ، وقد نهى أن يقال •
وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : لا تقولوا قوس قزح ، فإن قزح اسم شيطان ، ولكن قولوا قوس الله •

وقال الدميرى فى المسائل المنثورة : قولهم قوس قزح بالحاء خطأ ، والصواب أن يقال قوس قزح بالعين وبالتحريك ، لأن القزح هو السحاب المتفرق واحده قزعة بالهاء تقول فى التشبيه : كأنهم قزح السحاب تعنى أنهم متفرقون ومختلفون فى ألوانهم وأشكالهم ، قال ذو الرمة :

وقوله : « يحرفون الكلم عن مواضعه » أى بعد مواضعه بدليل قوله فى مكان آخر « يحرفون الكلم من بعد مواضعه » وقوله « للتركيب طبقا عن طبق » أى حالة بعد حالة وتأتى من مرادفة فى كما فى قوله سبحانه « اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة » أى فى يوم الجمعة •

٥٦٩ وينكرون أن يقول القائل :

أعدت الرجل لضيافته مادية شائقتها كل ما لذ وطاب من طعام وشراب ، يعنى هيأها لهم تهيئة طيبة تملؤهم غبطة وسرورا ويصرون على أنه كان يجب عليه أن يقول : أعد الرجل مادية •

والحق أن التعبير الذى أنكروه سليم لأخطأيه ولا غبار عليه فقد ورد فى التنزيل قوله تعالى : « وأعدت لهم منكا » وقوله : « وأعدنا لها رزقا كريما » •

وهذا الفعل (عَدَد) يتمدى بالهمزة فيقال : أعدده اعتادا وزان أخرجه أخرجا اذا أعدده وهياه ، ويتمدى بالتضعيف أيضا لهذا المعنى فيقال : عتده تعتيذا وزان

ترى عصب (١) القطا (٢) مملا (٣) عليه

(البيعان) وهو المتسرع الى الشر، وفي الحديث «ما يحملكم على أن تتابعوا في الكذب كما يتتابع الفرائس في النار» •

وروى أنه لما كثر شرب الخمر في عهد عمر رضى الله عنه، جمع الصحابة وقال: انى أرى الناس قد تتابعوا في شرب الخمر واستهانوا بحدّها •

٥٧٢ ويقولون: لقد وصينا الوزير على فلان، وهذا كتاب موصى عليه، والفصيح أن يقال: وصينا الوزير بفلان، وهذا كتاب موصى به، لأن هذا الفعل لا تستعمل معه الا الباء سواء أكان رباعيا مضعفا كما ذكرنا، وكما في قوله تعالى: «ووصينا الإنسان بوالديه» وقوله «ذلكم وصاكم به» أم كان رباعيا مفعوزا كما في قولك لغيرك: «أوصيك بتقوى الله» وقوله

كان رعاله (٤) قزع الجهم (٥) وقيل قزع جبل بالمزدلفة، واسم ملك موكل بالسحاب، أو اسم ملك من ملوك العجم أضيفت قوس الى أحدهما •

٥٧١ ويقولون: تتابعت النوائب على فلان فيخطئون، والصواب أن يقال: تتابعت النوائب بالياء بدلا من الباء، وذلك لأن المتتابع يكون في الصلاح والخير •

أما التتسايح فمختص بالشر والمنكر، تقول: فلان يتتايح في الأمور اذا رمى نفسه فيها من غير تثبت، وتتايح الناس في الشر اذا تهافتوا فيه •

والإتيح هو المتتابع في الحمق، والتيعان بتشديد الياء وزان

١ — العصب بضم مفتوح جمع عصبه وهي الجماعة من العشرين الى الأربعين •

٢ — القطا: نوع من الطير واحده قطاة، وتجمع القطاء ايضا على ططوان وربما قالوا قطبات •

٣ — مملا: مهيبة •

٤ — الرعالم: جمع رملة وهي النخلة الطويلة •

٥ — الجهم السحاب لا ماء فيه •

هذا الشاعر رقيق الوجدان بكسر
الواو ، ووجه الكلام أن يوصف
الشاعر بأنه رقيق الانحساس
أو رقيق العاطفة ، صادق
الشعور ، واسع الخيال ، صافي
القريحة ، بارع التصوير ، قوى
التأثير في النفوس .

أما الوجدان فهو مصدر لقولك :
وجد فلان ضالته يجدها وجدانا ،
ووجد عليه يكسر الهميم في
الغضب موجدة ووجدانا ، ومن هذا
قول صخر النعمي :

كلانا رد صاحبه بيأس
وتأنيب ووجدان شديد
وقد يستعمل الوجدان بكسر
الواو في الوجد بضمها ، ومنه قول
العرب : وجدان الرقين (١) يغطي
أهن الأهن (٢) أي أن اليسار
يغطي ما يبدو على صاحبه من
ضعف في عقله .

عباس أبو السعود

جل شأنه « وأوصاني بالملا
والزكاة فادمت حيا » وقوله « من
يعدو صية يومى بها أو دين » ويقال :
تواصوا بالصدق ، ومن هذا قوله
تصلى : « وتواصوا بالمسير
وتواصوا بالرحمة » .

٥٧٣ ويقولون : صار المريض في
زمن (النقاة) وهذا المصدر عامى
لا وجود له في العربية والصواب
أن يقال : نقه المريض نقهما من
باب طرب ، ونقوها أيضا بالضم
إذا برىء وصح ولكن فيه ضعف
وأثر من المرض ، فهو نقه كطرب
وتعب وضجر ويقال أيضا نقه ينقه
من باب نفع فهو ناقة ، جمعه نقه
كراكع وركع قالوا : لفلان في كل
عام مرضة ونقه بالفتح في كل
منهما لأنه اسم مرة ومن هذا قول
عمران بن حطان :

أفي كل عام مرضة ثم نقهمة
وتنقى ولا تنقى فكم ذا إلى متى؟
٥٧٤ وهم يخطئون حين يقولون:

١ — الرقين : الدرهم

٢ — الأهن منزوف العقل ، وكذلك هو من يتمدح بما ليس عنده تقول :
في عقل فلان أهن أي ضعف من خفت الناقة إذا استنزف الحالب لبنها .

وفاء لإمامنا

للدكتور كمال جعفر

قيلت في رثاء فضيلة الامام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر والقيت في ٢٦/١٠/١٩٧٨ بالسودان .

أين راحت - حماسة الاسلام -
واحة الانس ، راحة الايام
كيف ولي الهديل ساهر اللمح
ن ونابت نوائح الآلام
كيف تاه الدليل في سائر الركب
وزلت ثوابت الأقدام
فيم هذا الذبول يا ربة الروض
وفيم الذمول في الاحلام ؟
رقرق الدمع في المآثي حبسا
والبرايا ضئيلة بالكلام
مادها ، الصبغت يا حبيبة قولي ؟
ما عراهم بجنة في الزحام
ناجأ الخطب يا حبيبة قومي
ورماهم من قهره بالسقام
أطفأ الموت بالديار سراجا
وكساها بحالك الاقتسام
غاب عبد العظيم من أفق الناس
وخلى جموعهم في الظلام
وبكاء الشيوخ من كل فج
ورثته ثبيرة الاسلام
كان جم التقى ، نقى الطوايا
واسع العلم حاسم حكام
مطلق الكف في سبيل المعالي
هادىء الطبع في لجاج الخصام
مشرق الروح في خضم المآسى
رابط الجاش في مور العظام
باسم الثغر لا يفل رضاء
جاهل القوم وعزول الطغام
ظل يذكى على المطامع حربا
ويؤاخي زهادة بالسلام
بات سفيان يرتضيه خليلا
وسمات البصرى تحكى امامي
لاتراعى جماعتى ان قومي
أوغياهم بمهده والذمام

ومن الأمجاد بوعوا بالسنام
لا تدل المصاب الا لقوم
واصلوا العزم بموفور اوثام
وأعدوا بدينهم خير راد
لصراع الحياه والايمان
وأحلولوا الصوص نبضا مويا
ليريحوا النفوس من أسقام
انما الدين طاقة وحياة
في حماها معقل الابرام
أم درمان لاعدمت رجالا
هم مناط العلا ونيل المرام
منك كان الوفاء (بمحمود) سعى
يذكر الفضل سابغا للامام
من بسى (مصر) للفقيذ التباع
(وبسودان) لاذع الآلام
هز وقع المصاب فيها قلوبا
جاوبتها مواطن الاسلام
أيها (النيل) كم حملت لمصر
من مدان شقيق نسام
كم تدانت حناجر الحب حتى
أطربتنا بساخر نسام
رب مدد خطاهما في كفاح
وتعهد فيهما درب السلام

الدكتور / كمال جعفر

لن يكتوا ولن تخشور قواهم
بل سيمضون في مضاء الحسام
لا تقولى تهدم الصرح حتى
عبد فيها بقية من ركام
لا تقولى قد عاض سبع الأمانى
واستبد الردى بحزم الكرام
ان ربى عطاؤه لا ييسارى
لن يزال المفيض بالاعلام
فاذا خر في الفضل شهيد
سبقتة اللطاف بالانعام
دين ربى يصونه من عواد
من غلاظ القلوب والافهام
ويمد الجود تلو الجنود
في طريق الهدى بخير الانعام
رحمة الله ما لها من نفاذ
وهى تمضى بعناية الاحكام
أرتجيبها لشيخنا في ثراه
ومقام يحف بالاكرام
قادة الدين لا أراكم وقسوبا
وينفوز الغريب بالاقدام
ان دين الله يطلب بذلا
بعميم النفيس ، والاعلام
بنقاء انضمير من أجل ربى
وسراح الحفظ والاقسام
في دياجى الحياة كونوا هداة

دُعَاءُ الْفَجْرِ

للأستاذ محمد الضمراني أبو العلا

نامت الأعين إلا أعيننا
تتشد الصفح وترجو الدرجا
قلت ادعوني دعونا فاستجب
بغد الصبر فهات المخرجا
كيف الوصول ؟
قلت كيف الوصول والليل داج
وظلام النفوس كالليل حالكا
وطمام الانام يحتضن الشدا
ر ويرمى بشره في المسالك
وعراك الحياة يوردنا الصم
ب ويلقى بمثلنا في الممارك
أنصد الجهول بالعفو دوما
فنرى الحقف والخبنا والمهالك
قال هذي الحياة يا صاح- دنيا
وسمو السمو يوم القيامة
مزج القبح بالجمال وصارت
قيم الناس لا تساوى قلامه
فعظيم الرجال أغزر مالا
وفقر الرجال دون الكرامة
وأخو العلم في سمو وطهر
عابه اللص واستخف مقامه
ثم ماذا ؟
فخذ بالعلم والمعالى سميلا
ودع الخصم في ضلال وغى
وأنشد الخير للبرايا جميعا
وابذل النصيح عن ضمير نقى
وكن النخلة السخية تعطي
أطيب التمر للصبى الششتى
وأحمد الله أن حبساك فؤادا
ورث العلم عن أحب نبي
محمد الضمراني أبو العلا

حكم .. وطرائف

إعلاء الأمانة عبر المفضي محمد عبد الحليم

« من أصبح وليس همه إلا الله »

إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده : تحمل الله سبحانه حوائجه كلها وحمل عنه كل ما أهمه ، وفرغ قلبه لمحبتة ، ولسانه لذكره ، وجوارحه لطاعته ، وإن أصبح وأمسى والدنيا همه ، حمله الله همومها وأنكادها ، ووكله الى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ولسانه عن ذكره بذكرهم ، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأسفالهم ، فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره ، كالكير ينفخ بطنه ويمصر أضلاعه في نفع غيره ، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بلى بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته قال تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » •

« شكاية صريحة »

قدم أمير المؤمنين — المنصور — حاجا ، فكان يخرج للطواف ليلا وبينما هو يطوف اذ برجل يقول : اللهم انى أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع •

فاستدعاه — المنصور — وسأله ، ما هذا الذي تقول ؟ لقد خشيت مسامعي بما أمرضني وأقلقني •

فأجابه الرجل ، انما غنيك بقولي ، وقصدتك ، لا سواك •

قال المنصور : وكيف يدخلني الطمع ؟ والصفراء والبيضاء في
يدي ، والخلو والحامض في قبضتي ؟ !!

قال الرجل : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين ؟
ان الله تعالى — استرعاك أمور المسلمين وأموالهم ، فأغفلت أمورهم ،
واهتمت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا ، واتخذت لك
أعوانا ووزراء ظلمة آثمين ، ان نسيت لم يذكروك ، وان ذكرت لم
يعينوك ، وقويتهم على ظلم رعيتك ، وابتزاز أموالهم فلما رأتك
حشيتك هذه قد استخلصت أفرادها لنفسك ، وآثرتهم على أمتك ، قالوا :
هذا قد خان الله فلماذا لا نخونه ؟ فأتهمروا على ألا يصل اليك شيء من
أخبار الناس ، الا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا
الا أقصوه ، حتى امتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وأنت تنتظر
ولا تتكر ، وترى ولا تغير ، فماذا تقول اذا انتزع الملك الحق المبين الدنيا
من يدك ، ودعاك الى الحساب ؟ هل يعني عنك عنده شيء مما كنت
فيه ؟ فبكي المنصور حتى نحب ، ثم زهد وتنسك واستبدل بحاشيته
الائمة الاعلام المرشدين فصلحت بهم الرعية ، واستقامت أمورهم .

« رأس المال »

سرق رجل جملا ، وذهب ليبيعه في السوق ، فسرقت منه ، فلما عاد
قيل له بكم بعت جملك ؟ قال برأس المال .

« خير صاحب »

قال ابن المقفع : اني مخبرك عن صاحب لي ، كان أعظم الناس في
عيني ، وكان رأس ما أعظمه في عيني ، صغر الدنيا في عينه ، كان خارجا
من سلطان بطنه ، فلا يشتهي ما لا يجد ، ولا يكثر اذا وجد ، وكان خارجا
من سلطان لسانه ، فلا يقول ما لا يعلمه ، ولا ينازع فيما يعلمه ، وكان
خارجا من سلطان الجهالة ، فلا يقدم أبدا الا على ثقة بمنفعة ، كان

أكثر دهره صامتا فإذا نطق بز الناطقين كان يرى متضاعفا مستضعفا ، فإذا جاء الجد كان كالليث عاديا ، وكان لا يدخل في دعوى ، ولا يشترك في مرء ولا يدلي بحجة ، حتى يرى قاضيا عادلا ، وشهودا عدولا ، وكان لا يلوم أحدا على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره ، وكان لا يشكو وجعا الا لمن يرجو عنده البرء ، وكان لا يستشير صاحبها الا من يرجو عنده النصيحة ، وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهى ولا يخص نفسه دون أخوانه بشئ من اهتمامه وهيلته وقوته ، فعليك بهذه الأخلاق ما استطعت ولن تستطيع ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع •

« دعه »

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، خرج ليلة للحراسة فدخل المسجد ، وبينما هو يجوسه في خلال الظلام ، عثرت رجله برجل نائم ، فرفع الرجل نصف رأسه ، وقال لعمر : أمجنون أنت ؟ !!
قال عمر : لا •

فهم به حارسه ، فقال له عمر : صه ودعه ، انما سألتني أمجنون أنت ؟
فقلت له لا !!

« فيك طبع الدواب »

مر بعض الملوك بسقراط الحكيم وهو نائم ، فركضه برجله وقال : قم ، فقام غير مرتاع منه ، ولا ملتف اليه فقال له الملك : أما تعرفني ؟
قال : لا ، ولكن أرى فيك طبع الدواب ، فهي تركض بأرجلها ، فغضب •

وقال : أقول لى هذا وأنت عبدى •
قال له سقراط : بل أنت عبد عبدى •
قال : وكيف ذلك ؟

قال : لأن شهوتك قد ملكتك ، وأنا ملكت شهوتي •
قال : أنا الملك ابن السادة ، ، أملك من البلاد كذا ، ومن الأموال
كذا ، ومن الرجال كذا !!

فقال له سقراط : أراك تفخر على بما ليس من نفسك ، وإنما
مسبيلك أن تفخر على بنفسك ، ولكن تعال نخلع ثيابنا ونلبس جميعا ثوبا
من ماء هذا النهر ، ونتكلم اذ يتبين الفاضل من المفضول •
فانصرف الملك خجلا •

« عظة شعرية »

مر عابد براهب في صومعة • فقال له : عظمى ، قال : أعظمك ، وعليكم
نزل القرآن ، ونبيكم محمد قريب المهد بكم ؟ !
قال العابد : نعم •
قال : فاتعظي بيت من شعر شاعركم أبي العتاهية •
تجرد من الدنيا فانك انمسا
وقعت الى الدنيا وأنت مجرد

« أربع آيات فيهن غنى وغناء »

عن المعلّى بن زياد الفردوسى : أن عامر بن عبد القيس العنبري
كان يقول : أربع آيات من كتاب الله اذا قرأتها مساء لم أبال على
ما أمسى ، واذا تلوتهن صباحا لم أبال على ما أصبح •
« ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا
مرسل له من بعده » •

« وأن يرزقك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده » •

« وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها » •

« سيجعل الله بعد عسر يسرا » •

« فائدة العصا »

لقى الحجاج أعرابيا فقال : ما بيدك ؟
قال : هي عصاى أركزها لصلاتي ، وأعدها لعداتي وأسوق بها
دابتي وأقوى بها على سفرى ، وأعتمد عليها فى مشيتى ليتسع خطوى ،
وأعبر بها النهر ، وتبعدنى العثر ، وألقى عليها كسائى فيقيبى الحر ،
ويجنبنى القر وتدنى لى ما بعد ، وهى محل سفرتى وعلاقة أدواتى أقرع
بها الأبواب ، وألقى بها عقور الكلاب ، وتتوب عن الرمح فى الطعان ،
وعن السيف عند منازل الأقران ورثتها عن أبى ، وسأورثها ابنى من
بعدى ، وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخرى ..

« ثلاث خصال »

قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — :
ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الايمان :
• حلم يردبه جهم الجاهل •
• وورع يحجزه عن المحارم •
• وخلق يدارى به الناس •

« تضرع بعد صلاة العيد »

وقف عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — بعد صلاة
العيد ، فقال : اللهم ، انك قلت — وقولك الحق — « ان رحمة الله قريب
من المحسنين » فان كنت من المحسنين فارحمنى ، وان لم أكن من
المحسنين فقد قلت : « وكان بالمؤمنين رحيما » فارحمنى !! وان لم أكن
من المؤمنين فانت أهل التقوى وأهل المغفرة فاغفرلى •
وان لم أكن مستحقا لشيء من ذلك ، فأنا صاحب مصيبة وقد قلت :
« الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » اللهم فارحمنى •

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفتاوى

الرسالة من السيد محمد باقر

سؤال « من غير هاء التانيث في آخره هذه لغة العرب الفصيحة المعروفة ، يقولون : صمنا ثلاثا وصمنا خمسا ، وصمنا عشرا ، بحذف الهاء وان كان المراد مذكرا وهو الأيام .. فما لم يصرحوا بذكر الأيام يهذفون الهاء جوازا ، لأن اسم العدد اذا لم يذكر مميزه يجوز فيه الوجهان : حذف الهاء واثباتها ، فاذا ذكروا المحدود المذكر أثبتوا الهاء فقالوا : صمنا ستة أيام وعشرة أيام وهكذا ... ومما جاء مثله في القرآن العظيم : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » (١) والمراد عشرة

س : ما حكم صوم ستة أيام من سؤال ؟ وكيف يتم صومها ؟
ج : جاء في كتاب « الصيام - فضائله وأحكامه » للفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح القاضي :
يندب صوم ستة من سؤال لما روى أبو أيوب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من سؤال كان كصيام الدهر » رواه مسلم ، ورواه أبو داود بلفظ « من صام رمضان وأتبعه بست من سؤال فكانما صام الدهر » .
وقوله صلى الله عليه وسلم : « ستا من سؤال أو بست من

(١) آية ٢٢٤ من سورة البقرة .

ولا ينعقد صومه •

فان لم يجعلها متتابعة بل فرقها
أو أخرها عن اليوم الثانى من
شوال جاز وكان فاعلا لأصل هذه
السنة ، لمعوم الحديث وإطلاقه ،
وهذا مذهب الاماميين الشافعى
وأحمد •

وذهب أبو حنيفة ومالك الى
كراهة صومها •

قال مالك فى الموطأ : وصوم
سته أيام من شوال لم أر أحدا من
أهل العلم والفقه يصومها ، ولم
يبلغنى ذلك عن أحد من السلف ،
وان أهل العلم كانوا يكرهون ذلك
ويخافون بدعته • وأن يلحق أهل
الجفاء والجهالة برمضان ما ليس
منه لو رأوا فى ذلك رخصة عند
أهل العلم ، ورأوهم يعملون ذلك
انتهى من الموطأ •

وحجة الشافعى وأحمد
الحديث السابق ، ولا معارض له
من الأحاديث مطلقا ، وأما قول
مالك : لم أر أحدا يصومها فليس

أيام بلياليها ، ولا تنقضى العدة
حتى تغرب الشمس من اليوم
الحاشر •

ومثله قوله تعالى : « يتخافتون
بينهم أن لبثتم الا عشرة » (١)
أى عشرة أيام بحليل قوله تعالى :
« أذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم
الا يوما » (٢) •

قال أهل اللغة فى تعليق هذا
الباب : وانما كان كذلك لتغليب
الليالى على الايام ، وذلك لان أول
الشهر الليالى : فلما كانت الليالى
هى الأوائل غلبت لأن الأوائل
أقوى ، ومن هذا قول العرب :
خرجنا لىالى الفتنة وخفت لىالى
امارة الحجاج ، والمراد الايام
بلياليها •

ويؤخذ من الحديث استحباب
صوم ستة أيام من شوال ،
ويستحب صومها متتابعة فى أول
شوال ، بأن يبدأ فى صومها فى
اليوم التالى من أيام عيد الفطر ،
لأن صوم اليوم الاول منه حرام ،

(١) آية ١٠٢ من سورة طه

(٢) ١٠٤ من سورة طه

وفي هذا المقام يحدثنا الامام ابن القيم في كتابه زاد المعاد فيقول : وكان من هديه صلى الله عليه وسلم كراهة تخصيص يوم الجمعة بالصوم — فعلا منه وقولا •

فصحى النبي عن افراده بالصوم من حديث جابر بن عبد الله وأبى هريرة وجويرية بنت الحارث وعبد الله بن مسعود ، وجنادة الأزدي وغيرهم •

وشرب يوم الجمعة وهو على المنبر يريهم أنه لا يصوم يوم الجمعة • ذكره الامام أحمد ، وعلل المنع من صومه بأنه يوم عيد، فروى الامام أحمد من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم الا أن تصوموا قبله أو بعده » •

فان قيل يوم العيد لا يصام مع ما قبله ولا ما بعده • قيل لما كان

حجة في الكراهة ، لأن السنة ثبتت في ذلك ، وعدم رؤيته من يصومها لا يعارض السنة •

قال علماء الشافعية : وتحصل السنة بصوم الايام المذكورة عن قضاء رمضان ، أو عن نذر ويفوت وقتها بفوات شوال ولكن يسن قضاؤها •

وعلى بعض العلماء تشبيه صوم الايام الستة بصوم الدهر فقال : لأن السنة بعشر أمثالها فرمضان بعشرة أشهر ، وست من شوال بشهرين •

س : سأل طالب جامعي متدين: كنت أصوم يوم الجمعة نظرا لأنه يوم اجازة • ولكن البعض نصحنى بعدم صيامه • فأرجو توضيح ذلك وبيان وجه الحق فيه ؟

ج : الأصل في مشروعية العبادات هو النقل من كتاب أو سنة « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (١) » والاتباع فيها خير من الابتداع •

(١) آية ٧ من سورة الحشر

ابن الحسن ومالك بن أنس لا يكره
أفراد يوم الجمعة وهم محجوجون
بالأحاديث الصحيحة الواردة
بالنهي عن صومه وحده .

س : هل في القرآن ما يدل أو
يشير إلى أن الإنسان يصل إلى
القمر ؟

ج : يجيب عن هذا السؤال
الامام الأكبر الشيخ محمود
ثلاثون رحمه الله في كتابه
الفتاوى تحت عنوان : من شأن
العقل البشري :

الجواب أنه يكفينا في مثل هذا ،
أن القرآن الكريم ليس فيه ما يدل
على عدم إمكان الوصول إلى القمر
وهو من الشئون التي تركها
القرآن للعقل البشري عن طريق
تفكيره فيما أودع الله في خلقه من
أسرار وسنن ، وعن طريق أن الله
سخر لنا ما في الأرض جميعا . كما
سخر لنا الشمس والقمر ، والليل
والنهار ، ومهد لنا طرق المعرفة لما
يحيط بنا من عجائب الله في
ملكوته .

وليس بالازم — ومهمة القرآن

يوم الجمعة مشبها بالعيد أخذ من
شبهه النهي عن تحري صيامه
فاذا صام ما قبله أو ما بعده لم يكن
قد تحراه . وكان حكمه حكم صوم
الشهر ، أو العشر منه ، أو صوم
يوم وفطر يوم ، أو صوم يوم
عرفة أو عاشوراء . اذا وافق يوم
جمعة : فإنه لا يكره في شيء من
ذلك .

فان قيل فما تصنعون بحديث
عبد الله بن مسعود قال :
« ما رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفطر في يوم الجمعة »
رواه أهل السنة . قيل نقبله ان
كان صحيحا ويتمين حملة على
صومه مع ما قبله أو بعده ، ونرده
ان لم يصح فإنه من الغرائب .
قال الترمذي : هذا حديث
غريب . أ هـ

وعلى هذا فيكره تحريما أو
تنزيها أفراد يوم الجمعة بالصيام
الا في الحالات المذكورة سابقا
وينبني أن أراد صيامه أن يصوم
يوما قبله أو يوما بعده .

هذا وقد قال أبو حنيفة ومحمد

هداية وارشاد - أن يصرح القرآن أو يشير إلى هذه المخترعات البشرية أو إلى غاية ما تصل إليه .

وليس من رأى تحميل آيات القرآن هذه الاشارات ، وانما تأخذ القرآن بمعنى آياته الذى تعطيه ، بحسب سوقها ، وبحسب اللغة التى نزل بها وهى لغة العرب وكم من مخترعات جدت وليس فى القرآن ما يشير إليها .

نعم القرآن أمر بالنظر فى ملكوت السموات والأرض وتعرف سنن الله فى كونه والانتفاع بها . وهذا على عمومه لا يعطى حكما

من القرآن بإمكان الوصول الى القمر أو بعده ١٠٠٠ هـ .

هكذا وقد فسر العلماء لفظ « الكتاب » فى قوله تعالى :

« ما فرطنا فى الكتاب من شيء » (١) أن المراد به هو اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجرى فى العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه أمر حيوان أو جماد .

أو القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من أمر الدين مفصلا أو مجملا .

والله وأعلم

عبد الحميد شاهين

من أنباء العالم الإسلامي

اعداد الاستاذ فهمي عبد الله سيد علي

المسلمون في أمريكا لهم ٣ مشاكل : تعليم الأولاد ، زواج البنات ، التليفزيون (١) •

وأطباء ، وأساتذة في الكليات والمعاهد ، وعاملين في كثير من فروع الحياة الأمريكية ، ولهذا تفرعت عن الاتحاد جماعات مهنية عديدة ، فهناك اتحاد المهندسين المسلمين ، واتحاد الأطباء المسلمين وهكذا •

أنشأ هذا الاتحاد منذ عدة سنوات الدكتور عثمان أحمد استاذ مصرى في علم الطبعة • • وهو رجل مثلىء حماسة وثقة • • وتفاؤلا بأن المسلمين في أمريكا يستطيعون أن يحافظوا على

أكبر الهيئات الإسلامية في أمريكا وأكثرها نشاطا هو (اتحاد الطلاب المسلمين) ومقره مدينة (انديا) التي تقوسط هذه البلاد الفسيحة ، وله زهاء ثلاثمائة فرع في أنحاء الولايات المتحدة مما يدل على أن المسلمين قد انتشروا خلال السنوات الأخيرة في جميع أرجائها •

ورغم أن هذه المنظمة تسمى اتحاد الطلاب إلا أن نصف أعضائها تقريبا قد انتهوا من دراستهم ، وصاروا مهندسين

(١) من مقال للاستاذ عبد الحميد الكاتب في يوميات الاخبار

الصحة الإسلامية — اقتصاديات
العالم الإسلامي — التنمية
الصناعية والنمو الاقتصادي —
القوانين والدساتير — الحكومات
والسياسة في الدول الإسلامية
— الحياة الاجتماعية والتربية —
عظماء الإسلام المعاصرين —
الساسة والمحاربين من أجل الحرية
وترى سفارة جمهورية مصر
العربية — في اسلام اباد —
ضرورة الاسهام في هذا العمل
لابراز دور مصر القيادي على مر
التاريخ الإسلامي ، وكذا ابراز
دور الأزهر الهام في تعميق
المقيدة الإسلامية •

« مركز إسلامي متعدد النشاط
لخدمة ١٧٠٠ مسلم في فنلندا » •

بعيدا هناك في أقصى شمال
الدنيا في فنلندا يعيش حوالي
١٧٠٠ مسلم من بينهم ١٢٠٠ من
أصل تتاري عاشوا في هذه البلاد
هذه أزمان طويلة ، واستقروا فيها
بالإضافة الى ٥٠٠ جاءوا من دول
أخرى واستقروا في فنلندا سعيا
وراء الرزق •

على أية حال فان هؤلاء

كيانهم رغم اندماجهم في المجتمع
الأمريكي ، بل يستطيعون أن
يصيروا قوة مؤثرة ولها نفوذ فيما
يتصل بأمورهم في أمريكا ، وفي
علاقة أمريكا ببلادهم •

« موسوعات عن العالم الإسلامي »
تقوم الحكومة الباكستانية
بتتظيم احتفالات بمناسبة مرور
١٤ قرنا على الهجرة النبوية
الشريفة ، وأنها بصدد اعداد ثلاث
موسوعات عن العالم الإسلامي
هي :

١ — موسوعة بعنوان : (العالم
الإسلامي اليوم) بالتعاون مع
جميع الدول الإسلامية :

٢ — موسوعة بعنوان
(الإسلام في جنوب آسيا)
بالتعاون مع دول جنوب آسيا •

٣ — أطلس للعالم الإسلامي ،
بالتعاون مع جامعة الكويت •

والموسوعات المقترحة التي
سيدور البحث حولها في موسوعة
(العالم الإسلامي اليوم) هي :

ظهور الإسلام وانتشاره —
التأثير الإسلامي في مختلف أنحاء
العالم — نهضة العالم الإسلامي —

المسلمة .. يأتى فى مقدمة الآمال بالطبع : رؤية المركز قائما يمارس نشاطه بعد التغلب على العقبات التى تعترض طريق التنفيذ ، وبعد ما تمكن محمد سليمان من ادخال مادة التاريخ الاسلامى فى مناهج كلية الآداب بجامعة تأميره بعد اقناع هيئة التدريس بوجهة نظره ، فانه يسمى لدى المسؤولين عن الاذاعة لبث اذان الصلوات الخمس ، وتلاوة القرآن يوميا فى رمضان .

كل هذه المحاولات لربط المسلمين بدينهم ، واعادتهم الى ممارسة الشرائع والعبادات الاسلامية من جديد ، تهدف الى تجميع المسلمين ، ومقاومة انقراضهم ، ولربطهم بالعالم الاسلامى .

ويتمنى المسلمون هناك الحصول على الدعم اللازم من الهيئات الاسلامية ، كالأزهر ، ووزارة الاوقاف ، لارسال علماء وتخصيص منح دراسية فى الأزهر ، ولتدعيمهم بالكتب اللازمة .

المسلمين يخشى عليهم أن يذوبوا وسط مجتمع أوربي الطابع وله عادات تختلف كثيراً عن عادات المسلمين .

ولكن أيدوب المسلمون كما يذوب جليد هليستكى مع قدوم الصيف !! لقد تحرك البعض وعلى رأسهم المهندس المصرى محمد عبد الحميد سليمان لانشاء مركز اسلامى يكون دوما راعيا للمسلمين ويربطهم بدينهم الحنيف .

وقد بدأ التخطيط لبناء هذا المركز منذ عام ١٩٧٧ م ويستمر العمل لمدة ٨ سنوات ٠٠٠ وتم تشكيل مجلس للإدارة من ٦ أفراد منهم شخصيات فنلندية مرموقة .

وهكذا المركز لم ينشأ من فراغ ، بل جاء امتدادا للجمعية الاسلامية فى تأميره والتى توقفت عن العمل تقريبا بعد وفاة امام المسلمين بفنلندا حبيب الرحمن شاكر عام ١٩٧٦ م كنتيجة لبعض الظروف غير الملائمة للعمل .

يحدد القائمون على المركز آمالا عريضة فى مستقبل مشرق للأقلية

« مجلس الشعب يبحث مشروع قانون لإنشاء أول نقابة لقراء القرآن الكريم » •

« إنشاء أول جمعية للاقتصاد الاسلامي » •

قدم السيد محمد رشوان مشروع قانون جديد بإنشاء نقابة لقراء القرآن الكريم •

في أول يوليو الماضي تكونت — ولأول مرة — جمعية للاقتصاد الاسلامي برئاسة د • عبد العزيز حجازي نقيب التجارين ورئيس الوزراء الأسبق ••• أعضاء الجمعية من أساتذة الاقتصاد وخبراء البنوك الاسلامية ، ورجال الأعمال وعلماء الشريعة ، وتهدف الجمعية الجديدة الى نشر التراث الاقتصادي الاجتماعي الاسلامي والانساني ، وتقديم أصول الاقتصاد الاسلامي بلغة العصر •

فهني عبد الله سيد طر

وقد وافقت لجنة الاقتراحات والشكاوى بالمجلس على القانون من حيث الشكل ، واحالته الآن الى لجنة الشؤون الدينية لاعداد تقرير عنه يعرض على مجلس الشعب •

ومن ابرز وسائل الحفاظ على القرآن الكريم من خلال هذا القانون يقول السيد محمد رشوان : ان القانون تضمن نصا صريحا بأنه لا يجوز لأحد تلاوة القرآن الكريم ، سواء في جهة حكومية

تراثنا في دائرة الضوء
لطائف المئين

تأليف العارف بالله ابن عطاء الله السكندري

تحقيق

الإمام الأكبر المرحوم الدكتور

عبد الواسع سليم محمود

شيخ الأزهر السابق

عرض وتقديم

الدكتور محمود بن الشريف

يقول عن ذلك ابن عطاء الله
السكندري في مقدمة كتابه
(لطائف المنن) :

« وكان أصحاب الشيخ الامام
القطب أبى الحسن الشاذلى قد
أثبتوا جملا من كلامه ، وإن كان
هو - رضى الله عنه - لم يضع
كتابا .. وقد بلغنى أنه قيل له :
لم لاتضع الكتب فى الدلالة على
الله ، وفى نشر علوم القوم
(الصوفية) فقال رضى الله عنه :
كتبى أصحابى .. »

ثم يقول ابن عطاء : « وكذلك
تلميذه شيخنا أبو العباس المرسى
لم يضع فى هذا الشأن كتابا .. »
وفى المقدمة أيضا يتحدث الامام
ابن عطاء الله عن الدافع له على
تأليف هذا الكتاب الجليل فيقول :
« لا أعلم أن أحدا من أصحاب
شيخنا أبى العباس المرسى تصدى
الى جمع كلامه ، وذكر مناقبه ،
وأسرار علومه وغرائب ، فحدانى
ذلك الى وضع هذا الكتاب بعد
أن استخرت الله تعالى ، وطلبت
منه المعونة وهو خير معين .. »

للدعاة والهداة أتباع وأشياع •
وللمفكرين وفوى السراى
حواريون يتلمذون عليهم ،
وياخذون منهم ، وينقلون عنهم ،
يسجلون تلاميذهم ويدونون
آراءهم واتجاهاتهم .. »

وللعلماء والأساتذة وأصحاب
المذاهب الفكرية والمدارس
التربوية كتب وتواليف يسطرون
فيها ، ما أفاء الله عليهم من
خواطر وأحاسيس ، وعلوم
ومطرف ، والهائمات وأشراقات •

لا أن هناك قلة من هؤلاء
الذين وصلوا الى القمة ، وتسمنوا
الذروة فى مجالهم ومجالاتهم لم
يحبروا كتابا ولم يخطوا حرفا فى
قرطاس .. يعتقدون مجالس العلم
يتصرون اللقاءات والندوات ،
ويطلقون الآراء والنظريات ..
ويقوم بمهمة التدوين طلبتهم
وتلاميذهم .. »

من هذه القلة القليلة الامام
العارف بالله أبو الحسن الشاذلى،
وتلميذه الشيخ أبو العباس
المرسى .. »

يقصها في هذا الكتاب فيقول :
 « كنت لأمر الشيخ أبي العباس
 من المنكرين ، وعليه من المعترضين
 لا شيء سمعت منه ، ولا شيء
 سمع نقله عنه ، ولكن جرت
 المخاصمة بيني وبين أصحابه
 فقلت فيهم قولا عظيما .. ثم قلت
 في نفسي : « دعني أذهب أنظر
 هذا الرجل ، فصاحب الحق له
 أمارات .. لا يخفى شأنه ..
 فأتيت الى مجلسه ، فوجدته يتكلم
 في الأنفاس ، ومسألة درجات
 السالكين الى الله ، ومدى
 معرفتهم به وقربهم منه ، فقال :
 الأول اسلام : وهو درجة
 الانقياد والطاعة ، والقيام بمراسم
 الشريعة .. وثانيها الايمان : وهو
 مقام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة
 لوازم العبودية .. وثالثها
 الاحسان : وهو مقام شهود الحق
 تعالى في القلب ..
 وان شئت قلت : الأول عبادة ،
 والثاني عبودية ، والثالث عبودة ..
 وان شئت قلت : الأول شريعة ،
 والثاني حقيقة ، والثالث تحقق ..
 فما زال يقول : وان شئت

على أن المؤلف نفسه يعترف
 بأنه لم يضمن كتابه كل ما عرف
 عن شيخه أبي العباس المرسى ..
 يذكر ذلك في المقدمة فيقول :
 « وليس كل شيء سمعته من الشيخ
 رضى الله عنه استحضرت وقت
 وضعي لهذا الكتاب ، ولا كل شيء
 استحضرت يمكن اثباته ..
 وقصدت بذلك أن تتفتح به هذه
 الطائفة (أى الصوفية) خصوصا ،
 وغيرهم عموما ، ليؤمن بأحوال
 هذه الطائفة من قسم الله له
 نصيبا من المنة ، وجعل في قلبه
 نورا من الهداية ، وليرجع المكذب
 الى الاعتراف ، والمكابر الى
 الانصاف ، ولتستبين به — لمن
 أراد الله به الهدى — المحجة ،
 وتقوم — على من لم تنصره عناية
 الله — الحجة » ..

أما المؤلف ، فهو العارف ابن
 عطاء الله : الجذامى نسبيا ،
 المالكي مذهباً ، الاسكندري داراً ،
 القاهري مزاراً — توفي بالقاهرة
 سنة ٧٠٩ هـ .. وتلمذ على يد
 الامام الكبير أبي العباس المرسى ،
 وصلته بأساتذته أبي العباس

فمقتضى الحق منك الشكر .. وان
كنت في البلية ، فمقتضى الحق منك
الصبر .. وان كنت بالمعصية ،
فمقتضى الحق منك وجود
الاستغفار .. وان كنت بالطاعة ،
فمقتضى الحق منك شهود منته
عليك ..

فهمت من عنده وكأنما كانت
الهموم ثوباً نزعته .. ثم سألني
بعد ذلك بمدة :

— كيف حالك ..
فقلت :

— أفتش عن الهم فما أجد ..
فقال :

— الزم ، فوالله لئن لزمت
لتكونن مفتياً في المذهبين :
في علوم الظاهر .. وحقائق
الباطن ..

وأخذاً ابن عطاء الله المهد على
أبي العباس .. ولازمه ، وأخذ
منه ، ونقل عنه ، وسجل ما سمع
وما نقل في « لطائف المنن » ..

فتاريخ حياة أبي العباس
المرسى ، وتسديون ذلك التاريخ
العريض المضيء .. بما يحمل من
علم ونور وهداية ومعرفة ووصول

قلت .. الى أن بهر عقلى وسلب
لبى ، فعلمت أن الرجل يخترق من
فيض بحر الهى ، ومدد ربانى ،
فأذهب الله ما كان عندي ...

ثم ذهبت تلك الليلة الى المنزل ،
 فلم أجد في شيئاً يقبل الاجتماع
بالأهل على عادتي .. ووجدت
معنى غريباً لا أدري ما هو ..
فانفردت في مكان أنظر الى السماء
وكواكبها .. وما خلق الله فيها من
عجائب قدرته . فلمس قلبى أشياء
لم أعرفها من قبل .. فحملنى ذلك
على العودة اليه مرة أخرى ..
فأتيت اليه ، فاستؤذن لى عليه ،
 فلما دخلت اليه قام قائماً وتلقانى
ببشاشة واقبال حتى دهشت خجلاً
.. واستصغرت نفسى أن أكون
أهلاً لذلك ، فكان أول ما قلت له :
— ياسيدى ، أنا والله أحبك ..
فقال :

— أحبك الله كما أحببتى ..
ثم شكوت له ما أجده من
هموم وأحزان ، فقال :

— أحوال العبد أربع لا خامسة
لها : النعمة ، والبلية ، والطاعة ،
والمعصية .. فان كنت في النعمة ،

لنفس قد تتضرر به نفس أخرى ،
لذا نراه صلوات الله وسلامه عليه
تختلف وصاياه لأصحابه كل حسب
اختلاف شخصيته ونفسيته ، فهو
يقول لبلال : « أنفق بلالا ولا
تخش من ذي العرش اقلالا » ..
بينما يقول لآخر : « أمسك
عليك ما لك فانك تدع ورثتك أغنياء
خير لك من أن تدعهم عالة يتكفون
الناس » .. وقال رجل له صلى
الله عليه وسلم : أوصني - فقال
له الرسول عليه السلام : استرح
من الله ، وقال لآخر عندما قال
له أوصني ، قال له : لا تغضب ..
وفي المقدمة بعد ذلك حديث
مستفيض عن الأنبياء وورثتهم ،
وحديث شافى دقيق عن الفرق بين
الرسالة والنبوة والولاية ، وعن
الأولياء ووجودهم في كل وقت
(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين
على الحق ...) وأن فساد الوقت
لا يحط من مكانتهم ، لأنهم مع
المؤقت لا مع الأوقات ، ومن كان
مع المؤقت لا يتغير بتغير الوقت ،
ومن كان مع الوقت يتغير بتغيره ،
ثم ساق النصص من القرآنية

- انما يرجع الفضل فيه الى
صاحب اللطائف والمزن ولي الله
المعارف بالله ابن عطاء الله الذي
قال في مقدمة اللطائف : (غاني قد
قصدت في هذا الكتاب أن أذكر
جملا من فضائل سيدنا ومولانا
الامام : قطب العارفين ، علم
المهتدين ، حجة الصوفية ، مرشد
المساكين الواصل الى الله الموصل
اليه : شهاب الدين أبي العباس
ابن عمر الانصاري المرسى .. وما
نقله عن شيخه الشيخ أبي الحسن
الشاذلي رضي الله عنه) ..

والمؤلف في مطلع كتابه يتحدث
عن منهجه في تأليف هذا الكتاب ،
ويقول انه قسمه الى مقدمة
وعشرة أبواب وخاتمة ..

تناولت المقدمة اقامة الأدلة على
أن أول المرسلين محمدا صلى
الله عليه وسلم هو أفضل النبيين
وأكمل الخلق أجمعين .. ثم أبرز
بعد ذلك جوانب من هديه صلى
الله عليه وسلم وارشاده .. وأنه
كان مربيا حكيما ، اذ كان يمالج
كل نفس بما يتفق مع أدوائها ..
ليس هناك علاج واحد ، فما يصلح

والنبوية عن مكانة الأولياء عند الله ، كما تحدث عن ولاية الله لعباده ، وولاية العباد لله ، وعن الفرق بين ولاية الصادقين وولاية الصديقين ، وأثبت أن ظهور الولي ليس بإرادة نفسه ، ولكن بإرادة الله له ..

ولما تحدث عن كرامات الأولياء الحسية والمعنوية عرض الدلائل العقلية والنقلية على وجود الكرامات وأشبع القول فيها .. وعرض بمن عارضها وأنكرها .. وبعد كل هذا الحديث المسهب المستفيض ... وبعد كل هذا التحليل والتحقيق والتحقيق في تلك الأجواء ، اذا بالمؤلف يشدنا فجأة من سبحاتنا في هاتيك المقامات وتلك المجالات والتجليات عندما قال : (ان ذلك كله كان مقدمة ، وقد انبسط الكلام في هذه المقدمة وما كان لنا باختيار) ..

ثم يحلف الى الدخول في الباب الأول الذي خصصه للحديث عن ولي من أولياء الله . مولده : بالمغرب الأقصى بشاذلة واليها نسب : ذلكم هو العارف بالله

السدال على الله أبو الحسن الشاذلي أستاذ أبي العباس المرسي ..

وأبواب الكتاب عشرة كلها دراسة تحليلية للإمام أبي العباس المرسي شيخ المؤلف ورائده وامامه .. عرض فيها زهد أبي العباس وعلمه وجهاده وصبره وهمة ومنهج طريقه ومدى علمه بدقائق التفسير وغريب الحديث ، وخص الباب الخامس للحديث عن آيات قرآنية تناول شيخه أبو العباس شرحها وتبيان دقائقها ودلالاتها .. ولكل مؤلف ظلال من شخصيته ونفسيته وثقافته تسقط على كتاباته وتظهر في تأليفه من أجل هذا دخر الكتاب بزوايا ومناحي أظهرت بوضوح معالم شخصية المؤلف ، وأنه كان بجوار كونه علما من أعلام الصوفية والتصوف كان أدبيا شاعرا ، كما كان مفسرا محدثا متمكنا في كل هذه النواحي ..

فهو مفسر متمكن ينفذ الى الأعماق يدل على ذلك تفسيره لقول الله سبحانه : (ومن يتول الله

ورسوله والذين آمنوا فان حزب
 الله هم الغالبون (١) ذلك
 التفسير الدقيق الذي استغرق
 صفحات عدة من كتابه أبان فيها أن
 الولاية ولايتان : ولاية تؤخذ من
 هذه الآية الشريفة ، وهي ولاية
 العبد لله .. وولاية أخرى تؤخذ
 من قوله تعالى (وهو يتولى
 الصالحين) وهي ولاية الله للعبد
 .. وعن الفرق بين هاتين الولايتين،
 وعن المراد من الصلاح في قوله
 تعالى (وهو يتولى الصالحين)
 وعن حديثه عقيب ذلك عن ولاية
 « الايمان » .. عن ذلك كله تحدث
 بمبارة مجلوة ، وتمبير حتى
 نابض ..

ثم هو « شاعر » ففى ثنايا
 حديثه أبيات شعرية ومقطوعات
 وقصائد نظمها تعبر عن أحاسيسه
 ومواجيده وتدل على مدى مشاعره
 .. فعندما تحدث عن شمس النهار
 التى بها تشاهد الأنوار والآثار ..
 وتحدث عن شمس اليقين التى
 تشاهد بها آلاء المحبوب الموجد ،

قال :
 هذه الشمس قابلتنا بنور
 ولشمس اليقين أبهر نورا
 فرأينا بهذه النور ، لكنا
 بهاتيك قد رأينا المنيرا
 وللامام ابن عطاء الله في
 « اللطائف » تحليلات رائعة
 وتعليقات بارعة ، من هذا القبيل
 تعليقه لتأخير عقوبة الذين يؤذون
 أولياء الله .. فقال ان عقوبة الحق
 تبارك وتعالى لمن آذى أولياءه
 لا تلزم أن تكون معجلة في الدنيا ،
 لقصر مدة الدنيا عند الله ، ولأن
 الله لم يرض الدنيا أهلا لعقوبة
 أعدائه ، كما لم يرضها أهلا لاثابة
 أحبائه ، فالجزاء الأولي في دار
 الجزاء ..

وعندما تحدث أبو الحسن
 الشاذلي وقال ان من أطاع الله
 في كل شيء بهجرانه لكل شيء ،
 يطيعه الله في كل شيء ، بأن يتجلى
 له في كل شيء ، حتى يراه أقرب
 اليه من كل شيء ، نرى المؤلف
 يتلقف هذا القول ويبسط الكلام

بمؤلفه وإيضاح ما خفى على بعض الأذهان من تعبيراته ، وما حق من اشاراته واصطلاحاته ، يؤيد هذا ما حفل به الكتاب من هوامش كثيرة فيها تجلية .. وتحلية وفيها تذوق .. وفيها من وراء ذلك كله .. الهام .. واشراق .. وفيض .. ودلالات على تفهم لطوم القوم الظاهرة ، وتذوق لما خفى من اشاراتهم وتعبيراتهم ...

فعند حديث المؤلف عن الأولياء وأنهم مظاهر أنوار النبوة وأن مددهم من « الحقيقة المحمدية » نرى فضيلة شيخ الأزهر المحقق يزيد الأمر تحقيقاً وتبيناً فيقول في هامش ص ٣٩ : « يتضح كثير من الناس عن هذه الحقيقة : ماهي .. وينكر بعض الناس هذه الكلمة ، أو على الأقل يجادل فيها .. ويمارى .. »

والواقع أن الأمر أيسر من أن يثير نقاشاً .. وأوضح من أن يكون مصدر مارة أو انكار : فالحقيقة المحمدية هي : النبوة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حقيقته نبوته ، وهذه النبوة في علم الله

فيه ويقيم الشواهد والأدلة على ما أورد .. وفي النهاية قال : « هناك : ولى يقنى عن كل شيء ، فلا يشهد مع الله شيئاً ، وولى يبقى في كل شيء فيشهد الله في كل شيء » ..

ثم علل قائلا : « وهذا — أى الثانى » أتم ، لأن الله سبحانه لم يظهر الملكة الا كى يشاهد فيها ، فالكائنات مرايا الصفات ، فمن غاب عن الكون غاب عن شهوده الحق فيه ، فما نصبت الكائنات لنراها .. ولكن لنرى فيها مولاها .. فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها .. تراها من حيث ظهوره فيها ، ولا تراها من حيث كونيتها » ..

وهذا هو التفكير والتدبر والنظر في ملكوت الله .. لفصل به الى الله ..

وقد حقق هذا السفر القيم ووشاء ، فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود — شيخ الأزهر السابق ، رحمه الله . ولفضيلته جهد محمود ظاهر في اخراج هذا الكتاب ، والتعريف

وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...

ونرى لزاما علينا أن ننقل هنا تعليق فضيلة المحقق شيخ الأزهر عن موقف الدعاة والهداة حول اثبات وجود الله والدلالة على وحدانيته ... اذ بين في دقة دقيقة وعمق عميق أن هناك حدا دقيقا حول اثبات وجود الله ... واثبات وحدانيته ، وقال ان وجود الله امر بديهي لم يحتاج من الدعاة الى اقامة الأدلة بعد أن ثبت أن الاعتراف بالربوبية مركز في القلوب ... كل القلوب ...

أما مثار الاختلاف وتفرق البشر وتباين العقائد فهو حول « الوحدانية » عن ذلك يقول الامام الأكبر شيخ الأزهر في « هامش ٩٦ » حين بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر بدعوته ، بعد ثلاث سنوات من الاسرار بها ، فانه صلوات الله عليه وسلم لم يبدأ باثبات وجود الله ، وانما بدأ بالبرهنة على صدقه هو ، وتحدي العرب بصدقه ...

منذ الأزل ... قدرها الله سبحانه وتعالى بحكمته قبل خلق الكون وقبل وجود العالم ...

وعلى هذا الأساس يمكنك أن تقول : ان الحقيقة المحمدية أزلية أو قديمة ... وتقصدها أنها كذلك في علم الله ...

ويمكنك أن تقول : ان الحقيقة المحمدية حادثة ، وذلك يوم بعثته ، أي : سنة ثلاث عشرة قبل الهجرة عندما أشرق فجر الهداية الخاتمة ، وبدأ النور يشرق مستفتحاً بـ (اقرأ باسم ربك الذي خلق ...) والأمر على هذا الوضع لا يثير معاراة ولا انكاراً ...

وعند حديث المؤلف عن الانتصار لله والانتصار على النفس ، رأينا فضيلة الامام الأكبر قد أضاف اضافة جديدة في هذا المجال عندما قرر أن الولي يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم في الانتصار لله ، وما جوهر حياة الولي الا الانتصار لله : ينتصر لله من نفسه ، وينتصر لله في أمرته ، وينتصر لله في مجتمعه ... انه يقوم بالمبدأ الاسلامي الواجب

أن يثبت البشر ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ..

ومن المعروف أن الدين الاسلامي لم يجرى لاثبات وجود الله .. وانما جاء لتوحيد الله ..

واذا تصفحت القرآن أو التوراة - حتى على وضعها الحالي - أو الانجيل - حتى في وضعه الراهن - فانك لا تجد أن مسألة وجود الله قد اتخذت في أي سفر منها مكانة تجعلها هدفا من الأهداف الدينية .. أو احتلت مكانا يشمر بأنها من مقاصد الرسالة السماوية .. والقرآن الكريم : يتحدث عن بدهة وجود الله حتى عند ذوى العقائد المنحرفة يقول سبحانه (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) ..

انهم يقولون ان الخالق هو الله ، مع أنهم مشركون ، أو منحرفون بوجه من الوجوه في ايمانهم بالله تعالى ، وما نزلت الأديان قط لاثبات وجود الله ، وانما نزلت لتصحيح الاعتقاد

ومن قبل ذلك حين فاجأه الملك في الغار ، ونزل الوحي لم يبدأ الملك أو لم يبدأ الوحي باثبات وجود الله ، وانما بدأ بالأمر بأن يقرأ الرسول صلوات الله وسلامه عليه باسم ربه (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ..

ومضى القرن الأول كله .. ولم يحاول انسان قط أن يتحدث حديثا عابرا أو مستفيضا ، عن اثبات وجود اله سبحانه وتعالى .. ومضى أكثر القرن الثاني ، والمسألة - فيما يتعلق بوجود الله - لا توضع موضع البحث ، ذلك أن وجود الله انما هو أمر بدهى لا ينبغي أن يتحدث فيه المؤمنون نفيا أو اثباتا ولا سلبي أو ايجابا ..

ان وجود الله من القضايا المسلمة التي لا توضع في الأوساط الدينية موضع البحث ، لأنها فطرية :

وأن كل شخص يحاول وضعها موضع البحث انما هو شخص في ايمانه دخل ، وفي دينه انحراف .. فما خفى الله قط حتى يحتاج الى

أنها فكرة لا حق لها في الوجود ، لأن عالم العقيدة أنما هو من اختصاص الله ، يبينه على لسان رسله ، وكل تدخل من الانسان في هذا العالم انما هو تدخل فيما ليس للانسان التدخل فيه ، لأنه اقتحام لساحة محرمة مقدسة ، لا ينبغي أن يدخلها الانسان الا دخول الساجد الخاشع ، الحاضع ، المسلم لما جاء به الوحي الالهي .. ان الفلسفة اليونانية في عالم العقيدة ، فلسفة وثنية ، انها وثنية حتى حين تثبت وجود الله ، ولا يخرجها اثباتها وجود الله عن أن تكون وثنية .. انها وثنية بالمبدأ الذي قامت عليه وهو مبدأ تأليه العقل البشري ويستوى بعد ذلك أن تكون قد أثبتت وجود الله أو أنكرته ..

وهي حينما تثبت وجود الله عقليا ليس في ذلك كبير فائدة .. ولا يبرر ذلك وجودها — ولا قيمة لما تثبته ، واثباتها والعدم سواء .. ذلك أن العقل الذي أثبت هو العقل الذي يمكنه أن ينكر .. وهو العقل الذي ينكر بالفعل ..

بالله ، أو لتصحيح طريق التوحيد ..

أما الآيات الكثيرة التي يظن بعض الناس أنها نزلت لاثبات الوجود : فليست من ذلك في قليل ولا في كثير ، انها تبين عظمة الله ، وجلاله ، وكبرياه وهيمته الكاملة على العالم ما عظم من أمره ومادق منه ، لا تفوت هيمنته كبيرة ولا صغيرة .. ولا يخرج عن سلطانه ما دق وما جل ..

وقد أتت على هذا الوضع لتقود الانسان الى اسلام وجهه لله اسلاما كاملا ، بحيث لا يصد ، ولا يرد الا باسمه سبحانه ولا يأتي ما يأتي أو يدع ما يدع الا في سبيله تعالى ..

ومضى القرن الأول على ذلك ، ومضى القرن الثاني — أو أكثره — على الفطرة .. ثم كانت الفلسفة اليونانية .. والفلسفة اليونانية فلسفة وثنية ، لأنها تصدر عن العقل ، لا عن وحي ، وكل فكرة تصدر عن العقل لا عن الوحي في عالم ما وراء الطبيعة أي في عالم العقيدة انما هي فكرة وثنية ، أي

ولا لزوم — اذن — للمنطقة والتصفيق الذى يحيى به كل عبقرية فكرية فى الشرق أو فى الغرب تحاول فكرا اثبات وجود الله .. اننا لا نقيم عقيدتنا على فكر بشرى ، مهما كان هذا الفكر عبقرى ..

ويجب على المؤمن ألا يقيم وزنا — أى وزن — لأى نتاج فكرى فى عالم ما وراء الطبيعة — فسواء خالف معتقده أو وافقه ، انه فى معتقده يدين لله وحده ، وكفى بالله مصدرا .. وكفى بالله هاديا ، وكفى بالله مرشدا .. ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ..

ان كل ما عدا الهدى الالهى فى عالم الدين ، انما هو وثنية وضلال ..

كانت الفلسفة اليونانية فلسفة وثنية بشرية ، وقد أرادت أن تجد لاجام يعصمها من الخطأ فاخترعت هنا وثنيا آخر .. هو فن «المنطق» فما أبجدى .. وما أغنى .. ولا تقدم بالفكر الوثنى فى عالم الصواب شروى نقيير ..

وبقيت هذه الفلسفة الوثنية — عبر القرون — على ما هى عليه ، فيها كل سمات الوثنية من ضلال وخرافات ..

ولقد كانت الأمة اليونانية معذورة بعض العذر ، فما كان فى ربوعها دين منزل من السماء تلجأ اليه مهتدة مسترشدة ، وما كان مثلها فى ذلك الا كمثل العصر الجاهلى فى الجزيرة العربية ..

فلجأت الى العقل والته ، وأخذت تثبت به وتتكبر ، فضلت وأضلت .. وجاءت الديانة النصرانية مصححة للوضع .. فعزلت فكرة الألوهية من تدنيس الوثنية ..

وسمت بالله جل جلاله عن أن تضع وجوده موضع البحث ، ثم تسالت اليها — كميكروب خبيث — وثنية اليونان .. فجعلت من وجود الله — مجرد وجود الله — بابا ضخما من أبواب البحث .. أو من أبواب اللاهوت الكئسى ، ونزلت بتلك الفكرة الدينية المقدسة عن الله الى مستوى الجو الوثنى البشرى ، وجاء الاسلام تطهيرا للعقيدة وتركيزا تامة للايمان .. وأعلن

وأهل الهوى الالهي ، وفصلها
وفسرها ، وأبان أمارات الحب ،
وعلاماته ، ومن هو المحب
الحقيقي ، وكيف يتمحض الصي
ويخلص للمحبوب ، وعن كأس
الحب وشرابه وساقيه .. وقد
أفاض في ذلك وأناد وبخاصة
عندما تعرض بالتفسير لقول الله
سبحانه وتعالى في شأن موسى
عليه السلام : (**والقيت عليك
محبه مني**) ..

وعند حديث الحب ذاك ، وقف
المحقق رحمه الله وقفة طويلة ،
فيهما تعليق وتمقيب وإضافة
استغرقت صفحات عدة شرح فيها
أن المحبة صراط الأولياء .. وأن
الناس في المواطن درجات ، ثم
كشفت في نهايتها عن علاقة المحبة
بالعمل والايمان والاتباع .. كما
تحدث عن أسباب الحب ، وثمره
المحبة ، وأجمل تعبيرات المحبين ..
أقباس .. من اللطائف :

من أحاديث صاحب اللطائف عن
الصوفية ، وحبهم لله ، وذكرهم
له ، يقول : « هم في معازل عزه ،
تحت سرادقات مجده .. يصونهم

بمجرد التسمية « الاسلام »
الحرب على التدخل البشري في
دين الله ورسالته ، فما جاء
الاسلام الا للاستسلام المطلق
لله سبحانه وتعالى .. انه
الاسترسال مع الله على ما يرضيه ،
وهل للانسان غير هذا بالنسبة
لله ؟ ، وهل للمؤمن أن يتصرف
تصرفا آخر ؟ .. وهل اذا تصرف
تصرفا آخر سمي مؤمنا ؟

والاسلام توجيه ومبادئ ،
ومن توجيه الاسلام : أن وجود
الله لا ينبغي أن يوضع موضع
البحث .. وكل من وضعه موضع
البحث فانه بذلك يعدل عن توجيه
الله تعالى .. الى توجيه بشري
.. انه يقتضي غير الاسلام
توجيها ... »

وكتاب اللطائف هذا يعلمك
الحب : الحب لله ، والحب في
الله ، والحب لرسول الله ،
وللدعاة ، وللهداة الى الله ..

فقد استفاد في الحديث عن
هذه العاطفة السامية النبيلة ،
وأورد ما جاء فيها من نصوص
قرآنية ونبوية وأقوال المحبين ..

من كل شيء الا من ذكره ، ويقطعهم عن كل شيء الا عن حبه ، ألسنتهم بذكره لهجة ، وقلوبهم بأنواره بهجة .. وطن لهم وطنا بين يديه ، فقلوبهم جائحة في حضرة .. وأسرارهم محفلة بشهود أحدىته ..

وعن أصداء الصوفية يقول : « ان الله ابتلى هذه الطائفة (الصوفية) بالخلق ليرفع — بالصبر على أذاهم — مقدارهم — ولتكمل بذلك أنوارهم .. وليتحقق الميراث فيهم .. ليؤذوا كما أودى من قبلهم فيصبروا كما صبروا ، ولو كان من أتى بهدى فأتطبق الخلق على تصديقه لكان الأولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وقد صدقه قوم هداهم الله بفضله وحجب من ذلك آخرون حجبهم الحق عن ذلك .. فانقسم العباد في هذه الطائفة الى معتقد ومنتقد ، ومصدق ومكذب ، وانما — يصدق بعلومهم من أراد الحق سبحانه أن يلحق بهم .. ومن أين للعباد أن يعلموا أسرار الحق في أوليائه ، وشروق نوره في قلوب

أحبابه ، وسبب هلاك الهالك بهم أن من أظهره الله منهم لابد أن يظهره ببواهر المكن وطوارق العادات فتستغرب عقول العموم أن يعطى ذلك غير الأنبياء ، وأن تظهر الخوارق الا في أهل العصمة .. وهؤلاء لم يعلموا أن كل كرامة لولى هي معجزة لذلك النبي ، الذى هذا الولي تابع له ، فظن هؤلاء أن جريان الكرامة على الولي مساهمة لمقام النبوة .. وحاشا لله أن يشترك النبي والولى في مقام .. كيف وقد قال أبو يزيد : « جميع ما أخذ الأولياء مما هو للأنبياء كزق ملء عسلا .. فرشحت منه رشاحة ، فما انطوى عليه الزق فهو مثل علوم الأنبياء .. وتلك الرشاحة هي حظ الأولياء منهم » ..

ومن مناجاة المؤلف لربه .. وهى نفحة الهية .. فيها سمو فى التعبير ، وبلاغة فى القول ، يزينها المنطق الأخاذ والحكمة الدقيقة العميقة ، فيها يقول : « الهى .. كيف يستدل عليك بما هو وجوده مفتر علىك ؟! أليكون لغيرك

ومن مناجاة المؤلف لربه .. وهى نفحة الهية .. فيها سمو فى التعبير ، وبلاغة فى القول ، يزينها المنطق الأخاذ والحكمة الدقيقة العميقة ، فيها يقول : « الهى .. كيف يستدل عليك بما هو وجوده مفتر علىك ؟! أليكون لغيرك

من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك .. متى ضمت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك .. ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي الموصلة اليك ..

ومما يثلج الصدر ، أن هذا الكتاب - وغيره كثير - قد رأى النور بفضل اسهام حضرة صاحب السمو ولي عهد اماره أبى ظبى : وهذه يد تذكّر ، فنشكر لهؤلاء الولاة والحكام والمسؤولين الذين دفعهم الولاء لدينهم والوفاء لتراثهم الروحي المتيق لأن

يسهموا في نشر هذا التراث ، وأن ينفضوا الغبار الذي تراكم على الكثير من كتبه بعد أن ظل قابعا في زوايا النسيان .. ولعل الله يوفق الجميع لأن يرمضوا جانبها من امكاناتهم المادية والعلمية ومما أنعم الله به عليهم لاهياء هذا التراث العربي الأصيل حتى يرى الضوء مجلوا في أبهى ثوب وأنقى طبع .. وأدق تحقيق .. والله ولي التوفيق ..

الدكتور / محمود بن الشريف

فهرس العدد

- | اسم الموضوع | صفحة |
|---|------|
| ● الاسلام يدعو الى الحياة الكريمة | |
| للدكتور محمد الطيب النجار وكبل الازهر | ١٢٢١ |
| ● مناهج المحدثين | |
| للدكتور الحسينى هاشم الامين العام لجمع البحوث | |
| الاسلامية | ١٢٣٣ |
| ● ولاية الله للمؤمنين | |
| للاستاذ محمد صابر البرديسى | ١٢٣٧ |
| ● دراسات قرآنية « الايمان بالله كما يعنيه القرآن الكريم » | |
| لفضيلة الشيخ مصطفى الطير | ١٢٤٢ |
| ● نظرات هادفة « عالم الدين عندنا وعندهم » | |
| للدكتور محمد رجب البيومى | ١٢٥٢ |
| ● المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الاسلام الحنيف | |
| للدكتور رموف شلبى | ١٢٥٨ |
| ● الشعر الحديث والقصيدة العمودية | |
| للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى | ١٢٦٧ |
| ● التصوف والطوم العصرية | |
| للاستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى | ١٢٧٤ |
| ● اهل الذمة وواجباتهم فى بلاد الاسلام | |
| للمستشار محمد عزت الطهطاوى | ١٢٨٥ |

اسم الموضوع	صفحة
● تأليف العبارة كما يراه المبرد في الكامل للاستاذ السيد حسن قرون	١٣٠٠
● انشاق القمر والاعجاز العلمي للقرآن لدكتور منصور محمد حسب النبي	١٣١٠
● مع اللغة في تطورها لدكتور توفيق شاهين	١٣١٩
● الأزهري جامعا وجامعة أو مصر في ألف عام للاستاذ محمد كمال السيد	١٣٣٨
● التجارة الرابعة « حب الله ورسوله » لدكتور محمد عبد اللطيف الغرغور	١٣٤٤
● اللغة والشعر والشعراء قديما وحديثا للاستاذ محمد عايش عبید	١٣٤٩
● التعزيز بين الفقه الاسلامي والفقه الوضعي للاستاذ عبد العليم شداد	١٣٥٤
● اخطاء شائعة للاستاذ عباس ابو المسعود	١٣٦٩
● وفاء لامام لدكتور كمال جعفر	١٣٧٨
● دعاء الفجر للاستاذ محمد الضمراني ابو الملا	١٣٨٠
● حكم وطرائف اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٣٨١
● باب الفسأوى الأستاذ عبد الحميد شاهين	١٣٨٦

صفحة	اسم الموضوع
	● من أنباء العالم الاسلامي
١٢٩١	اعداد الأستاذ فهمي عبد اللاه سيد علي
	● كتاب الشهر
١٢٦٥	عرض وتقديم الدكتور محمود بن الشريف



إدارة الأزهر
بالقاهرة

٩٠٩٩٤٩
٩٠٥٥٠٦

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة

محمد صابر البريلي

الجزء الثامن — السنة والخمسون — ذو القعدة سنة ١٤٠٠ هـ — أكتوبر — سنة ١٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حول رأي العلامة ابن خلدون في اقتداء المغلوب بالغالب

لفضيلة الدكتور محمد الطيب النجار

دكتور الأزهر

عسى أن يدرك العرب والمسلمون عوامل ضعفهم وتخلفهم في هذا
العصر الذي نعيش فيه ، ويفكروا بعقل وتوصرة فيما يحيط بهم من أخطار
تهدد كياناتهم ، وتكاد تصف بهم ، ويعملوا بجِد وإخلاص على استرداد
نهضتهم الخيرية لتشرق من جديد في أفق العروبة والإسلام .

سنة الله في خلقه أن يتجنب
للصغير إلى الكبير ليدور في فلكه
وأن يقتدى الضعيف بالقوى
ويقتفى أثره ويتشبه به في أخلاقه
وعاداته وسائر حالاته ونجد ذلك
واضحا في الأبناء يحذون حذو
الآباء فيما يقولون ويفعلون ،
وغيا يأخفون ويخزون . ذلك بأن

الحكمة القائلة : « الناس على دين ملوكهم » والحكمة الأخرى : « المرء أثم به شيء بزمانه ، وصبغة كل زمان منتخبة من سجايا سلطانه » .

ونرى من واقع التاريخ مثالا كثيرة في اقتداء الرعية بالراعى .. وكما يروى أن الوليد بن عبد الملك كان يحب العمارات والأبنية فكان الناس في زمنه إذا تلاقوا يتسألون عن العمارات والأبنية ويتنافسون في ذلك السبيل وكان سليمان بن عبد الملك يحب الطعام والنساء ، فكان الناس في زمنه يهتمون كل الاهتمام بالتفنن في ألوان الطعام ويكثرون من زواج النساء وكان عمر ابن عبد العزيز صاحب عبادة وتلاوة فكان الناس في زمنه إذا تلاقوا يسأل بعضهم بعضا ما وردك الليلة ؟ وكم تقوم من الليل ؟ وكم تصوم من الشهر ؟ . وتصل من ذلك الى نتيجة حتمية وهى ان المظوب مولع أبدا بتقليد الغالب والاقتداء به في شعاره وخطره او بعبارة أخرى في شكله

الطفل الصغير يشعر بضلالتة ألمم والديه ، فيرى فيهما مثله الأعلى وغايته المرجوة وينساق الى الاقتداء بهما في كل شيء ولو لم يتلاءم مع طاقته وقدرته ويعجب بما يصدر عنهما من أفكار وآراء ولو كانت سقيمة باطلة وتتطبع بها نفسه ويصحب صرعه عنها بعد ذلك مهما وضح له ما فيها من زيف وفساد وقسديما كان العرب في جاهليتهم — وفيهم أفذاذ الرجال الذين صقلتهم التجارب والحوادث — يمكنون على أصنام لهم يلتمسون فيها الخير والبركة ، ويمتقدون أنها تشفع لهم عند الله بل يعبدونها من دون الله ويلجأون اليها في الشدائد والكروب ولئن سألتهم : لم تعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ؟ فأنهم يتسبثون بهذا المنطق الكليل وتلك الحجة الداهضة العمياء وهى الاقتداء بما كان يفعله الآباء ويقولون : وجدنا آباءنا لها عابدين .

ومن هذا المنطلق نرى المرحوسين يقلدون الرؤساء والرعية تقتفى أثر الراعى وتجىء

ومظهره وإخلاقه وعاداته وسلوكه حالته :

ولو مضينا مع ركب الانسانية منذ وجد التاريخ لرأينا كيف كانت المدنية والحضارة والعلوم والمعارف والعادات والتقاليد تزحف في هذا العالم وراء زحف القوى المتغلبة وأن الشعوب المغلوبة تقفدى أبدا بالشعوب الغالبة ، وترى أن في ذلك الخير والسعادة كما هو شأن الابناء مع الآباء والضغطاء مع الأخوياء . وخذوا لذلك مثلا من واقع تاريخنا الاسلامي في عصر القوة والفتوح .

فحينما فتح المسلمون بلاد الفرس والروم كانت تلك البلاد تقف على درجة أعلى في سلم المدنية والحضارة وفي سلم العلم والمعرفة ومع ذلك وجدنا تلك الشعوب تسارع الى الاقتداء بالمسلمين فانتشر الاسلام وانتشرت اللغة العربية وغلبت العادات والتقاليد العربية

وازدهرت العلوم الاسلامية في كنف الموالى وهم المسلمون من غير العرب فنبغ فيهم العلماء الكثيرون الذين أسهموا في بناء النهضة العلمية في الاسلام بأوفى نصيب وتوزعوا في الامصار الاسلامية المختلفة نجوما متألقة هادية . « فكان في المدينة نافع مولى عبد الله بن عمر وكان دليما وأصابه عبد الله بن عمر في إحدى الغزوات وهو من كبار التابعين ... وروى عن عبد الله بن عمر وأبى سعيد الخدرى ، وروى عنه الزهري وأيوب السجستاني ومالك بن أنس ، وهو من المشهورين بالحديث ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به ، وقال مالك كنت اذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالي الا أسمعه من أحد غيره . . وأهل الحديث يقولون رواية الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة وتوفى سنة ١٢٠ هـ (١) . »

(١) راجع وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٣ ص ٥٠ ، ٥١ ط الوطن .

وكان في المدينة كذلك ربيعة الرأي مولى آل المفكر التميمي وهو شيخ الامام مالك بن أنس وكان فقيه المدينة في وقته غير منازع حتى كان القاسم بن محمد يقول : لو تمنيت أحدا تله أمتي لتمنيت ربيعة وكان يجلس في مسجد المدينة وحوله حلقة كبيرة من العلماء والأشراف يتلقون العلم عنه وقد اتفق العلماء من المحدثين وغيرهم على توثيقه وجلالته وعظم مرتبته في العلم والفهم وكانت وفاته سنة ١٣٦ هـ (١) .

وكان من علماء مكة مجاهد ابن جهر مولى قيس المخزومي وكان فقيها عالما ثقة كثير الحديث وهو من اكبر رواة التفسير عن ابن عباس حتى كان يقول : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة وتوفي سنة ١٠٢ هـ وعكرمة مولى ابن عباس وكانت له شهرة علمية فائقة حتى يروى عن حمير ابن أيوب أنه قال : قدم علينا عكرمة فاجتمع الناس عليه حتى

اصعد فوق ظهر بيت وكان من اعلم الناس بالتفسير وقد توفي سنة ١٠٥ هـ هو وكثير هزة في يوم واحد ، ومولى عليهما في مكان واحد وقال الناس اذ ذلك : مات اليوم أفقه الناس وأشهر الناس (٢) .

واشتهر من علماء الكوفة سعيد ابن جبير مولى بنى والبة بن الحارث .

واشتهر من علماء البصرة الحسن البصري ومحمد بن سيرين .

واشتهر في مصر يزيد بن حبيب مولى الأزد وكان مفتى أهل مصر وعنه أخذ الليث بن سعد وعبد الله ابن لهيعة ، وكان يزيد بربري الاصل وقال فيه الليث بن سعد : يزيد عالما وسيدنا وهو أحد ثلاثة عهد اليهم عمر بن عبد العزيز بالفتيا في مصر ، وقد جمع ناهيتين كبيرتين من نولحي العلم اهداهما الناحية التاريخية فيروى عنه الكثير في هروب مصر وفتتها وفتوحها ، والناحية الناحية الفقهية . . فكان

(١) راجع تهذيب الاسماء واللغات للنووي ج ١ ص ١٨٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢١٢ .

صاحب كتابي الاكمال والجامع
الذين قصدهما الشاعر بقوله :
ذهب النصوص جميعا كله
غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع

وهما للناس شمس وقمر
وكان حماد الراوية - مولى
بنى بكر بن وائل - من أعلم
الناس بأخبار العرب وأنسابها
وأيامها وأشعارها ولغاتها وكانت
ملوك بنى أمية تقحجه وتؤثره
وتستريده فيغد عليهم وينال عنهم
ويسألونه عن أيام العرب وعلومها
.. وقال له الوليد بن يزيد الاموى
يوما - وقد حضر مجلسه بم
استحققت هذا الاسم فقل لك
الراوية ؟ قال : بئى أروى لك
شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين
أوسمعت به ، ثم أروى لأكثر عنهم
من تعترف أنك لاتعرفه ولاسمعت
به ، ثم لاينشحنى أحد شعرا
قديما ولا محدثا الاميزت القديم
من المحدث .. فقال له : فكم مقدار

واسع العلم في الحلال والحرام
حتى قيل فيه ، انه أول من أظهر
العلم في مصر والمسائل في الحلال
والحرام .. وتوفى يزيد سنة
١٢٨ هـ (١) .

وهكذا اذا رجعا الى كتب
الطبقات والتراجم وجدنا الموالى
وهم المسلمون من غير العرب لم
يكتفوا في اقتدائهم بالعرب بتعلم
اللغة العربية بل نبغ الكثير منهم في
العلوم الاسلامية بل امتد نشاطهم
الفكرى الى اللغة العربية نفسها
على الرغم من رطانة السنة الموالى
وبعدهم عن السليقة العربية ، حتى
رأينا منهم علماء أجلاء يسهمون في
وضع قواعد اللغة العرب وفي رواية
الشعر العربى بل في قرص الشعر
العربى نفسه ، ومن هؤلاء أبو بحر
عبد الله بن اسحق وهو من موالى
بنى عبد شمس ، وكان اماما في
النحو واللغة (٢) وكان عيسى
ابن عمر النصوى مولى
خالد بن الوليد اماما في النحو، وهو

(١) النجوم الزاهرة لابن المحاسن بن تغرى بردى ج ١ ص ١٤٢

و ٢٢٨ ، ٢٠٨ .

(٢) مقد الجبل العيسى ج ١٤ ص ٦٢ .

كبير .. وقد عقد ابن خلدون فصلاً في مقدمته حول هذا المعنى وقد جعل عنوانه « فصل في أن المخلوب مولع أبداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه ونطلته وسائر أحواله وعوائده » وقد ذكر السبب في ذلك (أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانتقادت إليه لما تراه - والله أعلم - من أن غلب الغالب لها ليس بعصية ولا بقسوة بأس وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب ، أي بما اتصف به من عادات طيبة وأخلاق كريمة ... ولذلك نرى المخلوب يشبه أبداً بالغالب في طبعه وموكبه وصلاحه في اتخاذها وأشكالها ، بل وفي سائر أحواله ، وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر إلى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان في

ما تحفظ من الشعر قال : كثير ، ولكي أؤكد على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ، قال : سأمتحنك في هذا ، ثم أمره بالانشاد فأنشد حتى ضجر الوليد ثم وكل به من استطفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه فأنشد الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم (١) .

وقد نبغ في الشعر العربي كثير من هؤلاء الموالى ، ولانود الاطالة بذكرهم في هذا المجال المحدود ، ففي كتب الأدب العربي ما يحقق طلبه الباحث ورغبة المستزيد .

وبهذا يتبين لنا أن قوة العرب وغلبتهم على غيرهم من الأمم كانت من أقوى العوامل في نشر ثقافتهم وعلومهم بين الأمم التي تغلبوا عليها ، فبدأت تلك الأمم تقلدهم وتحاكيهم وتتأثر بهم إلى حد

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٦٢ .

واحلاص على استرداد نهضتهم
العاربة لتشرق من جديد في أمس
العروة والاسلام ، ولن يكون لهم
سبيل الى ذلك الا بالقوة . ولن
تتحقق لهم القوة والغلبة الا
بالتضامن الشامل والايان الكامل
وحينئذ لايتبددون ركابا تذروه
الرياح وتدوسه الاقدام . بل
يصبحون الامة الغالبة التي تقتدى
بها الامم المغلوبة ، والتي تدفع
قافلة المدنية والحضارة في هذا
العالم الى الامام .

هذا ، ومن الله المـون وبه
التوفيق .

دكتور / محمد الطيب النجار

الأكثر لأنهم الغالبون لهم ، حتى
أنه اذا كانت أمة تجاور أخرى
ولها الغلب عليها فيسرى اليهم من
هذا التشبه والافتداء حظ كبير . .
ونأمل في هذا سر قولهم « العلامة
على عين الملك » فإنه من بابہ اذ
الملك غالب لمن تحت يده والرعية
مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه
اعتقاد الابناء بأبائهم والمتعلمين
بمعلميهم) .

فمضى أن يدرك العرب
والمسلمون عوامل ضعفهم وتخلفهم
في هذا العصر الذي نعيش فيه
ويفكروا بعقل وتبصرة فيما يحيط
بهم من أخطار تهدد كيانهم وتكاد
تعصف بهم ، ويعملوا بجد

قررت ادارة مجلة الأزهر أن تصدر عددا ممتازا في
غرة المحرم ١٤٠١ هـ وستكون موضوعاته موحدة تتناول
هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) نرجو من السادة
المفكرين الاسلاميين أن يوافونا بمقالاتهم حول الهجرة قبل
منتصف شهر ذي القعدة حتى نتمكن من نشرها في هذا
العدد (وكل عام وانتم بخير) والله الموفق .
اسرة المجلة

الروحانية في الإسلام

د. محمد عبد البر البربري

واختلاطها بالجسم ، يحدث بينهما صراع ، صراع بين رغائب الجسم ، ومظاهر الروح ، فإذا تغلبت الناحية المادية والميوله الشهوانية ، صار الإنسان كالحيوان ، خلقه بهيم ، وعمله شيطاني بحكمه الهوى ويقوده الجهل ، يسيء الى نفسه والى مجتمعه ، أضر على نفسه من النار ، وعلى الناس من الشيطان .

« وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد » (١) .

والبيئة التي ينشأ فيها الإنسان أثر كبير على ميوله ، وتمديد

الإنسان يتركب من عنصرين أساسيين : عنصر مادي ، وعنصر روحي . ولكل عنصر من هذين العنصرين مظاهر خاصة :

فالجسم له رغائبه من الطعام والشراب ، وسائر المذات . وللروح مظاهرها : من العبادة . والاستقامة ، والثقة في الله ، والخضوع لجلاله والاستغناء عما سواه .

وللروح أن تتدرج في مدارج الكمال ، حسب مجاهدتها وتدوييها حتى تصل الى مرتبة من الصفاء ، وتكون في مقام ليس بينها وبين الله حجاب .

والروح باتصالها بالجسد ،

(١) سورة البقرة آية ٢٠٠ .

معاملاته ، يرهب دائما من جلال الله وعظمته ، حتى ليكون غراغه وشهوته ابتغاء وجهه الله ، وفي طلب الأجر منه — عز وجل — يظل موصولا بربه ، فلا يحس بشيء يشقت عليه فكره ، ويقطع عنه ملته بربه .

أما اذا نشأ في بيئة غير دينية ، وكان هدفها ماديا فان سلوكه يكون غير مرضى ، لا يهوى شيئا الا حملا ، ولا تستهى أمرا الا آثاء ، يدعو الهوى فيضله عن سبيل الله ، وتلمب به الحاجة فيبيع آخرته بدنياه .

قال تعالى : « فاما من ظنى ، وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هي المأوى » (٢) .

فاذا تعرض للاختبار ، وأصابه لون من الابتلاء فانه لا يصبر على البلاء ، ولا يصمد أمام الاحداث ، ولا يثبت تجاه الشدائد ، وحينئذ يظهر خبث معدنه وكذب ما يدعيه من ايمان .

اتجاهه ، وتحويل سلوكه ، يولد الانسنان على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

فاذا نشأ في بيئة دينية ، وترعرع في وسط صالح ، وغالط أصحاب السلوك السوى ، والتفكير السليم ، وتربى تربية دينية حسنة ، امتلأ قلبه بنور المعرفة ، وأشرقت شمس الايمان في باطنه ، يعرف ربه ، ويسلك اليه طريقه ، وينعم بالقرب منه ، ويسعد في المثل بين يديه ، يعبد الله في كل لحظة من حياته ، قد استقام أمره ، وحسن حاله حتى وصل الى مرتبة الاحسان ، وهي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » (١) .

وحين يصل الانسان الى هذه المرتبة ، فانه يقط الطاعات كلها ، وينتهي عن المعاصي كلها ، ويراقب الله في كل حال ، يصدق مع الله في عبادته ، ويصدق مع الناس في

(١) في الصحيحين من حديث الايمان .

(٢) سورة النازعات — آية ٢٧ .

وجانب الروحانية التي من أهم
مميزاتها طاعة الله ، قال تعالى :
« ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله
وكرهوا رضوانه فأحبط
أعمالهم » (٢) .

سئل ذو القرنين المصري :
« متى أحب ربى ؟ » قال : إذا
كان ما يينفضه عنك أمر من
الصبر » .

ومن الروحانية في الاسلام ،
أن يكون المسلم أشد حبا لله من
كل ما سواه ، وأن يرى النور
الالهي قد أشرق على محياه ،
فأكسبه المهابة والجلال ، والفيض
الرباني قد ملا قلبه ، فبعث فيه
الأمن والطمأنينة .

لا يخاف من شيء ، وكيف
يخاف وعنده الطمانينة ؟

لا يضطرب من شيء ، وكيف
يضطرب وعنده الاستقرار ؟

لا يخشى مخلوقا ، وكيف يخشى
ومعه الله ؟

ولا يزال المسلم يرتقى في

قال تعالى : « أحسب الناس أن
يتركوا أن يقولوا آمنا وهم
لا يفتنون » . ولقد غنتا الفين من
قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكافرين » (١) .

الاسلام في معناه : انقياد
وخشوع لله ، واتباع لمنهج الله ،
وامثال لما جاء به رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — .
ومبدؤه : النطق بالشهادتين . ثم
يكمل اسلام المرء اذا ما صدقه
العمل ، بأن يقيم الصلاة على أتم
شروطها في خشوع ، ويؤتي الزكاة
حسب ما وضحته السنة ، ويلتزم
بالصوم على أكمل واجباته ، ويحج
مراعى جميع مناسك الحج
وأوامره .

والروحانية في معناها
الاسلامى : أن يكون المسلم هواء
تبعاً لما يحبه الله ، فمن أحب
شيئاً مما يكرهه الله ، أو كره
شيئاً مما يحبه الله لم يكمل
اسلامه ، ويكون قد فقد محبة الله ،

(١) سورة العنكبوت — آية ٢ ، ٣ .

(٢) سورة محمد — آية ٢٨ .

روحانيته حتى يحظى بمحبة الله ،
ويصدق فيه قول الرسول — صلى
الله عليه وسلم — في الحديث
القدسى « ان الله — تبارك
وتعالى — يقول : من عادى لى
وليا فقد آذنته بالحرب ، وما
تقرب الى عبد بشئ أحب الى
مما افترضته عليه ، وما يزال
عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى
أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه
الذى يسمع به وبصره الذى يبصر
به ويده التى يبطش بها
ورجله التى يمشى عليها ، وان
سألنى أعطيته ، وأن استعاذنى
أعدته » .

وبالانقياد لله ، والخضوع له ،
وتطبيق منهجه ، والتوكل عليه حق
توكله ، يحيا المسلم حياة طيبة
لا يضل فيها ولا يشقى ، حياة
سعيدة لها جدوى ، حياة فيها
متعة دون أن تعقب ألما ، حياة
يذوق فيها المسلم لذة القرب الى
الله ، ويحظى بمقام الرضى منه ،
والأنس به ويتناول من شراب

القرب رحيق الحب ، ويكون الله
كل مناه .

المسلم الروحانى : فقير الى
الله من جهة العبادة له وفقر اليه
من جهة توكله عليه ، مفتقر الى
الله دائما من حيث هو المعبود ،
ومفتقر اليه من حيث هو المستعان
والمتوكل عليه ، ولا تتم العبودية
والروحانية الا بهذين الأمرين .

والروحانية الحقة : أن
يستسلم العبد لله ، وينقاد لسه
وحده دون سواء ، يحقق لنفسه
معنى قوله تعالى : « اياك نعبد
واياك نستعين » (١) .

والاسلام في روحانيته لا يعيل
الى الانزواء في الكهوف ،
والمكوف في المساجد والصوامع ،
ولا يريد الانطواء على النفس ،
والعزلة عن المجتمع ، ولا يحب
أن يكون المسلم انسانا خسيقا
مجتمعا حول نفسه .

وانما روحانية الاسلام : أن
يكون المسلم انسانا أخلاقيا ممتدا
بمنافعه حول أمته كلها ، يعيش

حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم
به مؤمنون « (٢) » .

روى البخارى ومسلم فى حديث
أوله : « ما بال أقوام » (وهم
الامام على وعبد الله بن عمر
وعثمان بن مظعون) رضى الله
عنهم « قالوا كذا وكذا »
— أى ذكروا عباداتهم — (وكأنهم
تقالموها) أى رأوها : قليلة
مع أنها كثيرة — قال صلى الله
عليه وسلم : « لكفى أصلى وأنام ،
وأصوم وأمطر ، وأتزوج النساء ،
فمن رغب عن سسنتى فليس
منى » .

وإذا كان الاعتدال فى كل حال
مطلوبا من الانسان ، وكانت
الروحانية المغالية مجافية لروح
الاسلام ، لقول الرسول — عليه
الصلاة والسلام — : « ان المنبت
لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » .
فان من كمال المسلم مجانية المادية
المغالية ، والابتعاد عن الشهوة
الجامحة ، والبعد عن عمل ما به

للناس ، ويحيى مع المجتمع ، شواره
الحب والايثار والتضحية ، يأخذ
حظه من الدنيا بقدر ، ويتمتع
بلذائذ الحياة فى حذر ، يفتتح
بالطيبات من الرزق ، ويتجمل
بزينة الله التى أخرج لعباده ،
ويتزود بكل زاد حلال به قوام
الأبدان ، وحياة الانسان ، طبقا
لشريعة الله ، وفى حدود
الاعتدال .

قال تعالى : « يا بنى آدم خفوا
زينتكم عند كل مسجد واكلوا
واشربوا ولا تصرفوا انه لا يجب
المصرفين . قل من حرم زينة الله
التي أخرج لعباده والطيبات من
الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى
الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة
كذلك نفصل الآيات لقوم
يعلمون » (١) .

ويقول تعالى : « يا ايها الذين
آمنوا لا تحرموا طيبات ما أهلك
الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب
المعتدين . واكلوا مما رزقكم الله

(١) سورة الاعراف — آية ٣١ ، ٣٢

(٢) سورة المائدة ٨٧ ، ٨٨

فترة الاختبار الى الله ويرجع اليه في صدق وايمان ، فينظر له ، لأن المؤمن اذا ابتلى فصبر ، أجره الله وعوضه بكرمه ، وكان الابتلاء سبب قوة تدفعه الى التحمل ، ومضاعفة العمل ، والرضا بالقضاء والتسليم ، وهذه هي روحانية الاسلام .

ومن لم يتمتع بقسط من هذه الروحانية فإنه لا يصبر أمام الابتلاء ، بل يجار بالشكوى ، ويكثر من الفزع ، وتنه عزيمته ويقعد عن العمل ، فلو كشف عنه البلاء ، ورفع عنه الضرر ، وسكنت آلامه وخفت أحزانه ، رجع الى سابق عهده ، وحرص على هطام الدنيا ، وطمع في الزيادة منه ، وازداد غسداً في الأرض ، وأمن في أذى للخلق ، ورتب ما يمله في الغد بما يعسود عليه وعلى المجتمع بالضرر ، ويستمر على حاله حتى ينتهي أجله ، وتقسوم قيامته فيلقى ربه في أسوأ حال ، يهلك أثقالاً تنوء عن حملها الجبال فيندم بعد فوات الاولن .

ورد في صحيح بن هبان :

يطرد من رحمة الله ، فلا يجعل الدنيا همه تملك عليه قلبه فيسره ملك ما به يخلد في النار ، أو يحرص عليها ، فينهج منهاج الطمع ، أو يسعى للوصول الى غرضه بكل أسباب الفساد ، وبأنواع النشاط المشبوهة ، والوسائل المفقودة ، دون نظر الى حلال أو حرام .

المسلم الروحاني المعتدل ، يرى أن اشباع رغبات النفس ، والاكتثار من هطام الدنيا وزينتها ، يقدم عن طاعة الله ، وأن التعلق بالماديات ، والانغماس في الشهوات ، يعوق الاتصال بالله ، ويقف حائلاً دون رحمة الله ، وأن الجنة لا يبلغها الا من كان خفيفاً من هذه التملقات ، التي حلالها حساب ، وحرامها عقاب .

المسلم الروحاني ، يحاسب بالوان الابتلاء ، فيصمد ويصبر على ما أصابه ، يصاب في النفس والأموال والأولاد ، ونقص الثمرات فلا يثمر بأنه المرزا المبلى ، بل يرضى ، ويرى أن الابتلاء رحمة ، يلجأ المسلم في

اليك أسبق من نظرك الى من
تنظر » •

فلنسر في طريق الروحانية
الحقة ، القائمة على المنهج الالهي
القيوم بيقينا منا أن التقدم
والرقى ، والأمن والطمانينة ،
والرزق والخير ، والسعادة
والنصر ، لن يكون الا عن هذا
الطريق • وأن لا مخرج مما يموج
فيه العالم اليوم ، من الخوف
والاضطراب والشروع والآثام
والقلق والانزعاج ، والحرب
والاستغلال ، والفرقة والانقسام
الا عن هذا الدين القويم ، والمنهج
الاسلامي السليم ، فهو الخباية
لكل من يرجو النجاة ، أفرادا
وجماعات ، في الدنيا والآخرة •

قال تعالى : « وعد الله الذين
آمَنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الأرض كما
استخلف الذين من قبلهم وليمكن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا
يعبدونني لا يشركون بي
شيئا » (١) •

(موارد الظمآن) أن النبي
— صلى الله عليه وسلم — قال :
« ان الله اذا أراد بعبد خيرا عجل
عقوبة ذنبه ، واذا أراد بعبد شرا
أمسك ذنبه حتى يسوافي يوم
القيامة كأنه عاثر » •

الروحانية التي ندعو اليها :
ان تكون مطابقة لكتاب الله وسنة
رسوله — صلى الله عليه وسلم —
موافقة لشريعة الاسلام في
الفرائض والسفن والآداب
والفضائل •

الروحانية التي نريدها : تورع
عن كل ما حرم الله ، وصبر على
كل حرمان ، ورضى بكل ما يقضى
به الله •

الروحانية التي نرجوها : أن
يكون المسلم أكثر مراقبة لله ،
وأشد شوقا اليه ، وأعمق شعورا
بالقرب منه ، وأشفق حبا له وأتم
اطمئنانا به ، وأصدق توكلا عليه ،
وأسعد انما به •

سئل الجنيـد — رحمه الله
تعالى — : « بم يستعان على غض
البصر ؟ قال : بعلمك أن نظر الله

ونهي بالعداء والمصلحين في
الأمة الاسلامية أن ييثوا في
المسلمين الروحانية السامية ،
ويوقظوا في المسلمين الطاقات
المهائلة ، وأن يحولوها الى حركة
اصلاح نابضة ، تعمل في صدق
ووفاء ، واخلاص وصراحة الى
المعل بكتاب الله وسنة رسوله ،
لأنه لا يصلح حال هذه الأمة الا
على وحدة صف المسلمين ، وجمع
شملهم ، وبث هذا المعنى بين جميع
أبناء الأمة ، حتى يزول العداء ،
وتتحمى الشحشاء والبغضاء ،
وتصبح أمة الاسلام أمة واحدة ،
تخفق رايتها عالية في كل مكان من
بلاد الاسلام ، راية الوحدة
والمحبة والاخاء .

هذه هي الروحانية الحققة ، التي
تتمثل في بناء قواعد الأمة ، وتدعيم
أركان المجتمع ، على أساس المنهج
الاسلامي القويم ، والمثل العليا
والقدوة الحسنة .

وقال تعالى : « والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم
سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي
كانوا يعملون » (١) .

ولو أن المسلمين اليوم رجعوا
الى ربهم ، وتمسكوا بكتاب الله
وسنته ونبيه وطبقوا شريعة الله في
أرضه ، ونبذوا الخلاف وطرحوا
العداوة التي تحكمت بينهم
لسادوا الدنيا ، وحكموا العالم ،
وأعلوا كلمة الله في كل مكان .

وحينئذ : يتحقق وعد الله لهم
بأن يمدهم بنصره ، ويميد اليهم
مجدهم وتصبح أرض الاسلام
كلها جنة ، والمسلمون كلهم أهاب
الله وجنوده : قال تعالى : «وان
جندنا لهم الغالبون » (٢) .

وقال تعالى : « ولو أن أهل
القرى آمنوا واتبعتهم عليهم
بركات من السماء والأرض ، ولكن
كذبوا غاخ ففناهم بما كانوا
يكسبون » (٣) .

(١) سورة العنكبوت - آية ٧ .

(٢) سورة الصافات - آية ١٧٣ .

(٣) سورة الاعراف - آية ٩٦ .

على الدعاة والمصلحين وعلماء
الأزهر وطلابه في أنحاء الدنيا أن
يبصروا الشباب بمبادئ الإسلام،
وأن يبينوا لهم منهجه في وضوح،
ويشرحوا لهم أخلاقه وفضائله،
عليهم أن يفهموا الشباب دينهم
فهما سليما، بعيدا عن النزعات
المترضة، والمبادئ الهدامة،
التي لا تمت إلى الإسلام بآية
صلة، والتي تتسبب أحيانا إلى
الإسلام، والإسلام منها براء.

على هذا الأساس المتين، وبهذا
المنهج الإسلامي السليم، تقام
الوحدة وتتحد الأمة، ويتحقق
النصر، وما النصر إلا من عند الله،

والله غالب على أمره، ولكن أكثر
الناس لا يعلمون.

اللهم بصر قادة المسلمين
بدينهم، ووفقهم إلى تطبيق منهجه
تطبيقا كلياً كاملاً كما تحبه
وترضاه.

اللهم طهر قلوب المسلمين من
كل وصف يباعدهم عن مشاهدتك
ومحبتك ووفقهم إلى الخير، وخذ
بيدهم إلى النصر، فإنه لا يمجرك
شيء في السماء والأرض، وأنت
وحبك سبحانه نعم المولى ونعم
النصر.

محمد صابر البرديمي

« رجاء إلى كتاب مجلة الأزهر »

تسهيلاً لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب
المجلة التكرم بتكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة (التربرايتتر)
ثم مراجعتها أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم
الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية، والله
الموفق.

أسرة المجلة

مكة الحديث في التشريع الاسلامي

لفضيلة الدكتور الحبيب الهاشم
المؤيد العام لجميع العرث الدرعية

الذين آمنوا لا تتخفوا عدوى
وعدوكم أولياءكم « وكما نزل القرآن
يوضح المشكل ويبين الصواب »

فلما قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم ظهر ما خفى وبرز ما
ما استقر وأمن الخائف على نفسه
وارتد كثير من العرب ومنع بعضهم
الركاة وحاولوا تشويه الدين
بما كذب على الرسول صلى الله
عليه وسلم « ولكن أبا بكر وقف
وقفه الحيطة والحذر ، فكما حد
المرتدين وكسر شوكتهم وبدد
شملهم كذلك سد الباب في وجوه
الكذابين بما وضعه من قوانين
الرواية وتابعه عمر رضي الله عنه
حتى ذلك « واحتياطا للدين وحرصا
على السنة وتفرغا لمشاكل الحرب
الساخنة المفروضة على المسلمين

وجاء عصر الصحابة : فكان
نصيبنا عملنا لتلك التوجيهات
النبوية « والحق أن جهود الصحابة
في مجال حفظ الدين بالدروس والعلم
ورسم المناهج لا تقل أهمية عن
جهودهم لحفظه بالسيف وبذل
الأرواح « لقد كان الوحي ينزل بما
يحتاجون اليه ويكشف ما يخفى
عليهم ، وكانت حلقة الاتصال بين
اسماء والارض موصولة حتى أن
الحائن كان لا يأمن سره والمخطيء
لا يخشى من خطئه والجاهل
لا يخاف من جهله « قال تعالى :
« يحذر المنافقون أن تنزل عليهم
سورة تنبئهم بما في قلوبهم » «
وكشف الوحي سر الحطاب الذي
أرسله بعض الصحابة لتحذير أهل
مكة ونزل قوله تعالى : « يا أيها

في تلك الفترة الحاسمة • روى
الشعبي عن قرظة بن كعب أنه قال:
خرجنا نريد العراق فمشى معنا
عمر إلى صرار ، فتوضأ ، فغسل
اثنين ثم قال : أتدرون لم مشيت
معكم ، قالوا نعم نحن أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشيت معنا فقال : انكم تأتون أهل
قرية لهم دوى بالقرآن كدوى
النحل فلا تصدوهم بالحديث
فتشغلوهم • جودوا القرآن وأقلوا
الرواية عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم • أمضوا وأنا شريككم
ثم ، قدم قرظة قالوا حدثنا قال :
نهانا عمر بن الخطاب • وفي هذا
الخبر ما يدل على أن عمر رضى الله
عنه رأى أن العناية أولا ينبغي أن
تكون مركزة على القرآن لأنه
الأساس وأن حفظ القرآن سيجر
حتما إلى حفظ السنة والبحث عن
كل ما يتعلق بها •

وسأل عبد الله بن الزبير أباه :
انى لا أسمعك تحدث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث
فلان وفلان فقال له أما انى ثم
أفارقه ولكنى سمعته يقول :

كان الاتجاه إلى تقليل الرواية
والمبالغة في الاحتياط والتثبت
لأرهاب الكاذبين ، وتخويف
الماكرين • فهذا أبو بكر الصديق
رضي الله عنه — على كثرة سماعه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم
— يقلل من رواية الحديث — وهذا
عمران بن حصين — وهذا
أبو عبيدة والعباس بن عبدالمطلب
وغيرهم • كلهم يقولون الرواية ،
حتى أن سعيد بن زيد أحد العشرة
المبشرين بالجنة لم يرو له الا
حديثان أو ثلاثة • وهذا أبي بن
عمارة لم يرو له الا حديث واحد
في المسح على الخفين •

وهذا أنس بن مالك قال : انه
ليمنعنى أن أحدثكم حديثا كثيرا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
من تعمد على كذبا فليتبوأ مقعده
من النار • وكان اذا ذكر حديثا
ختمه بقوله « أو كما قال » حذرا
من أن يغير لفظا منه • وكان عمر بن
الخطاب رضى الله عنه يأمر الناس
بتقليل الرواية وكان مهيبا عند
جميع الصحابة وما كان كذاك
الا ليتمكن من حصر مصادر الاخبار

« من كذب على غليتبوا مقعده من النار » .
فأنفذه أبو بكر لها .

وروى عن عمر رضي الله عنه بعد أن ذكر أنه الذي من للمحدثين سنة التثبت في النقل وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب — أن أبا موسى سلم عليه من وراء أنياب ثلاث مرات فلم يؤذن له فرجع ، فأرسل عمر في أثره فقال : ثم رجعت ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع » قال لتأتينى على ذلك بينة أو لأفعلن بك . فأخبر أبو موسى بعض الصحابة بذلك وسألهم هل سمع أحد منكم هذا الحديث فقالوا نعم كلنا سمعنا وأرسلوا معه رجلاً منهم أخبره .. وقال لأبي بن كعب وقد روى له حديثاً لتأتينى على ما تقول ببينة فلما حضر ما يؤيد قوله قال عمر رضي الله عنه : أما أنى لم أتهمك ولكن أحببت أن أتثبت — ولعل عمر رضي الله عنه بذلك إنما أراد أن يختبر حفظ الرواة من الصحابة مع ثقته التامة في عدالتهم ونزاهتهم . وعن أسماء بن الحكم الفزارى أنه سمع علياً يقول : كنت

وقيل لزيد بن أرقم وقد كبر سنه ووهن عظمه : حدثنا يازيد فقال : كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد .

ولم يقتصر الصحابة على ذلك ، سواء من أنفسهم أو بتوجيه الخلفاء وإنما رسموا منهج التثبت من رواية الحديث ومن رواته فلم يقبلوا إلا ما اطمانت إليه نفوسهم ورضيته ضمائرهم .

وقد بين الذهبي في تذكرته أن أبا بكر رضي الله عنه كان أول من احتاط في قبول الأخبار . وروى عن الزهري عن قبيصة : أن الجدة حانت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث . قال : ما أجد لك في كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئاً ، ثم سأل الناس . فقام المغيرة بن شعبة فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس : فقال هل معك أحد . فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك

عائشة وهي من هي قد أخطأت حينما استعملت مثل هذا المنهج فما بالك بغيرها؟! ومن ذلك أيضا أن عائشة لما سمعت بوقوف النبي صلى الله عليه وسلم على قتلى بدر وقوله: «هل وجنتم ما وعد ريكم حقا» وأنه قال: أنهم الآن يسمعون ما أقول، قالت: انصا قال النبي صلى الله عليه وسلم: أنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق ثم قرأت «انك لا تسمع الموتى» حتى قرأت الآية، وخالفها غيرها فقال أن الآية في سماع الاجابة وأن الموتى غير مكلفين، وفي رواية أنها قرأت أيضا قوله تعالى: «وما أنت بمسمع من في القبور» والمراد من الآيتين عدم تكليف الموتى ووجوب تبليغهم الرسالة لانقطاعهم عن دار التكليف .. وقد بينت الآية الاخيرة أن الله يسمع من يشاء .. وغرضنا هو بيان فساد هذا المنهج في الحكم على السنة والوقوف معه عند حد الضرورة .

وكما كان لها في مجال النقد الداخلي شأنها فانها اختبرت الرواة

اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فمعنى الله بما شاء أن ينفعني به وكان اذا حدثني غيره استحلفته فاذا حلف صدقته وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«ما من عبد مسلم يذنب ذنبا ثم يتوفا ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له» . وكان كثير من الصحابة يحتبرون حفظ الرواة وينقدون الحديث نقدا ذاتيا داخليا بمقارنته بغيره مما ثبت وصح . فهذه عائشة رضي الله عنها نرد حديث رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج بظاهر موله تعالى: «لا تتركه الابصار» وهو يدرك الابصار» . وهذا اجتهد منها عارضها فيه غيرها بأن معنى الآية «لا تحيط به الابصار» وبذلك لا تتنافى الآية مع الحديث . وفي هذا ما يدلنا على أن نقد الحديث على الأساس الداخلي يضر بالأسفة أكثر مما يفيد لأنه يفتح المجال أمام غير المتخصصين للطعن في السنة بأدنى توهم — فاذا كانت

نم يزد فيه شيئاً ولم ينقص . لقد
اختبرت حفظه أحلى اختبار وهو
لا يشعر فنجح في الاختبار .
وتبين لنا من ذلك أنها كانت حريصة
على تنقية السنة من كل ما يمكن أن
يكون فيه أدنى ريب أو عيب وكذلك
كان أكثر الصحابة رضوان الله
عليهم ولم يمنع هذا التدقيق من
استمرار رواية الحديث وقبول خبر
الواحد الثقة فقد قبل عمر خبر
المضحك بن سفيان أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتب اليه أن
يورث امرأة أشيم الضبابي من
ديته وخبر عبد الرحمن بن عوف
في الرجوع عن بلد الطاعون وعدم
الدخول عليه وغير ذلك .

ولما أوشك عصر الصحابة على
الانتهاء فتحت الفتن أفواها ولعبت
دسائس الكفار والمنتمين
والمشتغلين أدوارها فتفرق
المسلمون وظهرت الأحزاب وكان
الشيعة والخوارج والأمويون
والطويون ونحو ذلك ، بدأ الوضع
بصورة جدية في الحديث ومحاولة
ادخال ما ليس منه فيه . روى ابن
الجوزي في مقدمة كتاب الموضوعات

والمحدثين خاصة من اشتهر منهم
بالرواية . ففى الصحيحين عنها :
أنها قالت لعروة بن الزبير يا ابن
أختى بلغنى أن عبد الله ابن عمرو
مار بنا الى الحج فآلقه فأسأله فأنه
حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم
علما كثيرا قال : فلقيته فسألته عن
أشياء يذكرها عن النبي صلى الله
عليه وسلم . قال عروة : فكان فيما
ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : ان الله لا ينزع العلم من
الإناس استزاعا ولكن يقبض العلماء
ميرقع العلم معهم ويبقى في الناس
رعوس جهال يفتونهم بغير علم
فيضلون ويضلون . قال عروة فلما
حدثت عائشة بذلك أعظمته
وأنكرته . قالت : أحدثك أنه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول هذا ؟ قال عروة : نعم . حتى
إذا كان عام قابل قالت لى : ان ابن
عمرو قد قدم فآلقه ثم فاتحه حتى
تسأله عن الحديث الذى ذكره لك في
العلم . قال : فلقيته فسألته فذكر
لى نحو ما حدثنى فى المرة الاولى .
قال عروة : فلما أخبرتها بذلك :
قالت : ما أحسبه الا وقد صدق أراه

وسلم أنه كائن بعده خليفة يطالب له بقرّة ولده وهذه عشرة آلاف درهم وخمسة مراكب وخادم فقال له الرجل : أما عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا ولكن اختر من شئت من الصحابة وخط لي من الثمن ما شئت قال : عن النبي صلى الله عليه وسلم أوكدوا العذاب عليه أتد .

بل لقد حاول بعض الشيعة تركيب أحاديث موضوعة على أسانيد صحيحة فقابلهم أئمة الحديث من أصل الصحيح بعدم اعتماد أحاديث على رضى الله عنه ولا فتاواه إلا ما جاء عنه من طريق أهل بيته خاصة أو من طريق أصحاب عبد الله بن مسعود كمبيدة السلماني وشريح وأبي وائل ونحوهم وهى طرق أطمأن إلى سلامتها هذا المحدثين .

وكان أعداء الشيعة يحاربونهم بأسلحتهم ، فوضعو أحاديث مضادة لأحاديثهم : «أن فى السماء الدنيا ثمانين طحاً يستغفرون الله لمن أحب أباً بكر وعمر» الخ . . « إذا رأيت معاوية يخطب على

عن ابن لهيعة أنه قال : سمعت شيخاً من الخوارج تلب ورجع جعل يقول : أن هذه الأحاديث دين فانظروا عن تأخذون دينكم فاننا كنا إذا هويتنا أمراً صيرناه حديثاً . وقال عبد الرحمن بن مهدي فى حديث « إذا أتاكم الحديث عنى فاعرضوه على كتاب الله فان وافق كتاب الله فاننا قلته » : « أن الخوارج والزنادقة قد وضعوا هذا الحديث » وابتدع الشيعة أحاديث كثيرة منها ما وضعوه فى الحط من شأن معاوية وبني أمية . ومن ذلك :

« من مات وفى قلبه بغض لعلى ابن أبى طالب غليمت يهوديا أو نصرانيا » .

« ستكون فتنة فان أدركها أحد منكم فعليه بفصلتين : كتب الله ، وعلى بن أبى طالب » . الخ .

وهى أحاديث طائفة بالوضع بعيدة عن نور النبوة .

ولما خرج المختار بن أبى عبيد الثقفى على عبد الله بن الزبير قال لرجل من مصترفى الحديث : ضح لى حديثاً عن النبي صلى الله عليه

منبري فقبلوه فانه أمين مأمون»
مقابل اذا رأيتهم معاوية يخطب على
منبري فأقتلوه والكل موضوع •
ولكن الله تعالى حفظا لدينه
ونحقيقا لقول رسوله : « يحمل
هذا العلم من كل خلف عدوله »
الخ • قبيض للسنة حمايتها وهيا لها
رجالها فرفضوا أحاديث أهل الفرق
وحفظوا السنة من أهل الأهواء
وقصدوا القبول على الأحاديث
الصحيحة المنقولة عن رجال
مخلصين تجردوا عن التعصب ، لهم
من دينهم ما يحفظ عليهم صدقهم
ويردعهم عن الكذب والاختلاق
وزادوا في الاحتياط ودققوا في
الانتقاء •

وعن مجاهد قال : جاء بشير
العدوي الى ابن عباس فجمال
يحدث ويقول : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجمال
ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر
اليه • فقال : يا ابن عباس لا أراك
تسمع لحديثي • أحدثك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع
لحديثي ؟ فقال ابن عباس : انا كنا
مرة اذا سمعنا رجلا يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابتدرته أبصارنا وأصغينا اليه

وقد ذكر الامام مسلم في مقدمة
صحيحه سورة صادقة للتحوط
ودواعيه ، فروى عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « يكون
في آخر الزمان رجالون كذابون
ياتونكم من الأحاديث بما لم
تسمعوا - أنتم ولا آبؤكم فإياكم
وإياهم ولا يفتنونكم » •

ولقد تفرق الصحابة في البلاد المختلفة وكونوا فيها حلقات العلم وررعو بها مدارس الحديث وغرسوا هذا المنهج النبوي الحكيم في الحث على السنة والتحذير من التهاون في شأنها أو ادخال ما ليس منها فيها .

وحفظ التاريخ كثيرا من الصحابة واتباعهم بالأمصار المختلفة .

فبالمدينة كان أبو بكر وعمر وعلى قبل انتقاله الى الكوفة وأبو هريرة وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عمرو وأبو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وقد تخرج على أيديهم أفاضل التابعين مثل سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهرى وغيرهم من فقهاء المدينة وعلمائها الذين كانوا من المراجع الهامة في السنة والذين انتفعت بعلومهم أمصار الاسلام في مواسم الحج وغيرها .

وكان بمكة معاذ بن جبل وعبد الله بن عباس وعبد الله بن السائب المخزومي وخباب وخالد ابنا أسيد والحكم بن أبى العاص وعثمان بن طلحة وغيرهم وتخرج

بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم تأخذ من الناس الا ما نعرف .

وعن ابن أبى مليكة قال : كتبت الى ابن عباس أسأله أن يكتب لى كتابا ويخفى عنى . فقال ولد ناصح أنا أختار له الامور اختيارا وأخفى عنه . قال : فدعا بقضاء على فجعل يكتب منه أشياء ويمر به الشيء فيقول : والله ما قضى بهذا على الا أن يكون ضل .

وعن طاووس قال : أتى ابن عباس بكتاب فيه قضاء على رضى الله عنه فسماه الاقدار . وأشار سفيان بن عيينة بذراعه .

ومن ذلك كله نتبين أن بعض الصحابة ومنهم ابن عباس واجهوا هذا التيار بحسم ورسوموا المنهج الصحيح لمقاومته وربوا على ذلك الكثيرين من النبهاء .

وعن ابن سيرين قال : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم .

على أيديهم أفاضل التابعين مثل مجاهد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح وغيرهم . وكان بالكوفة على بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وخباب بن الارت وعمسار بن ياسر وأبو موسى الأشعري والنعمان بن بشير والبراء بن عازب وغيرهم وتخرج على أيديهم كثيرون من أفاضل التابعين منهم مسروق بن الأجدح وعبد بن عوف السلماسي وإبراهيم بن يزيد النخعي وغيرهم . وكان بالبصرة أنس بن مالك وعتبة بن غزوان وعمران بن الحصين ومقل بن يسار وغيرهم وتخرج عليهم من التابعين الحسن البصري ومطرف بن عبد الله بن الشخير وأبو بردة بن أبي موسى وغيرهم .

وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وشرحبيل بن حسنة والفصل ابن العباس بن عبد المطلب وتخرج على أيديهم كثير من التابعين كأبي ادريس الخولاني وقبيصة بن ذؤيب ومكحول بن أبي مسلم وغيرهم . وكان بمصر عبد الله بن عمرو ابن العاص وعقبة بن عامر الجهني وخارجة بن حذافة وأبو بكرة الفغاري وغيرهم وتخرج على أيديهم كثير من التابعين كأبي الخير مرثد بن عبد الله اليزني ويزيد بن أبي حبيب وغيرهما . لقد امتد نور النبوة ممثلا في الصحابة وما حملوه من علم الى كل أقطار الاسلام وحملت طائفة خيرة منهم من بعدهم وهكذا جيلا بعد جيل حتى وصلت السنة الى قمة ازدهارها على يد أئمة الحديث .

تكرور / الحسيني هاشم

وكان بالشام معاذ بن جبل

دراسات قرآنية

الحج

وأهدافه السامية

لفضيلة الشيخ مصطفى الطبر

قال تعالى « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا
تقبل انك انت السميع العليم • ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن فريقتنا
أمة مسلمة لك » الآيات من البقرة •
« واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل
فج عميق » الآيات من الحج •

الحج وأهدافه السامية
سادجة الى أبعد حدود المذاجة ،
لهذا عبدوا الاوثان ، وأشركوها
في العبادة مع الواحد الديان •

وقد شاعت عناية الرحمن
الرحيم ، أن يجمعهم بعد شتات ،
وييسر لهم الارزاق بعد صعوبة ،
ويفتح قلوبهم وأرواحهم على
شواهد خالق الأكوان ، حتى
يوحدوه ولا يشركوا به شيئا ،
ويجعل منهم أمة مسلمة لرب العالمين
تحمل مشاعل الحق في ليل الجهالة
كان العرب في أرض الحجاز
الجرداء مشتتين ، يرحلون بابلهم
وأغنامهم الى الوديان ، حيث مهابط
الأمطار ، ومستقر السيول المنحدرة
من الجبال والتلال فيرعون ماشيتهم
في الاعشاب الناشئة عنها ، ويأوون
الى أكتان مصنوعة من أوبارها
وأصوافها ، حتى اذا استوعبت
خضراءها ، ارتحلوا عنها الى
سواها •
وكانت أفكارهم في رب هذا البيت

على الله تعالى ، وأن الماء الذي جرى حولها هو من بركات بيت النبوة الكريم ، وأن ذلك الحدث الجليل يخفى وراء أسرارها ستظهرها غاية الله في أوانها .

الرائد يزف البشرى الى قومه

زف الرائد البشرى الى قومه — قبيلة جرهم — فأقبلوا عليها في برجة عامرة يسألونها المقام حواء ، ويلتمسون الانتفاع بالعين المباركة التي أكرمها الله بها ، على أن يقوموا بخدمتها ورعايتها وطفلها ، وحتى يترعرع ويبلغ مبلغ الرجال ، فأذنت لهم .
بناء الكعبة :

كان ابراهيم يتعهد اسماعيل وأمه ويزورهما من آن لآخر حتى كبر اسماعيل ، فأمره الله أن يبني كعبة يحج اليها الناس لعبادة الله رب العالمين في هذه البقعة المباركة ، ويتخلصون بذلك من عبادة الأوثان ، ويكون من وراء ذلك جلب الأرزاق لأهل هذا الوادي الذي لا زرع فيه ولا شجر ، فاستجاب لربه وبنى البيت الحرام ، وكان يقول هو وولده

و"شبهات . عتضىء للناس سبيل الهدى والرشاد .

فلهذا أمر الله نبيه ابراهيم عليه السلام ، أن يرحل بولده اسماعيل وأمه هاجر الى أرض الحجاز ، وأن ينزل بهما في مكان معين منها ، شاعت العناية أن تنشأ فيه مكة المكرمة ، ليكون مشرق الهدى ومبث الايمان والعرفان ، ففعل ابراهيم ما أمره الله به ، ولما أراد الانصراف دونهما مسأله هاجر : الى من تكلنا ؟ قال ابراهيم عليه السلام : الى الله تعالى ، قالت هاجر : آله أمرك بذلك ؟ قال نعم ، قالت : اذن لا يضيعنا .

فلما انصرف أخرج الله لهما عين زمزم ، وأفاض الماء من حولها عزيزاً ملا البقاع ، فحومت الطيور فوق الماء ، فلما رأت قبيلة جرهم تلك الطيور تروح وتغدو ، أرسلوا رائداهم اليها ، فرأى ما لم يكن رآه من قبل ، رأى سيدة كريمة معها رضيهما ، والماء يستبخر من حولها ، فسألهما عن أمرهما وأمر الماء الذي لم يعرف قبل نزولهما ، فأجبرته بقصتهما ، فعرف أنها من بيت كريم

رينا ليقوموا الصلاة فاجعل أفئدة
من الناس تهوى إليهم وارزقهم
من الثمرات لعلهم يشكرون» •

وتحقيقاً لتلك الأغراض ، أمر
الله إبراهيم عليه السلام ، أن
يؤذن في الناس بالحج ، وفي ذلك
يقول الله تعالى « وأذن في الناس
بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل
ضامر يأتين من كل فج عميق» (٢)

أي يأتوك مشاة وركبانا على بعير
مهزول من طول السفر على أبلهم
آتية من كل طريق بعيد « ليشهدوا
منافع لهم» عظيمة الخطر ، جلية
القدر في الدنيا والآخرة •

روى ابن جرير والحاكم
وصححه وغيرهما عن ابن عباس
قال « لما فرغ إبراهيم من بناء
البيت قال : رب قد فرغت ، قال :
أذن في الناس بالحج ، قال : يارب
وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذن وعلى
البلاغ ، قال : رب كيف أقول ؟
قال : قل يا أيها الناس كتب عليكم

إسماعيل — وهما يرفعان القواعد
منه « رينا تقبل منا أنك أنت
السميع العليم ، رينا واجعلنا
مسلمين لك ومن فريتنا أمة مسلمة
لك وأرنا مناسكتنا وتب علينا أنك
أنت التواب الرحيم» (١) •

فالغرض الأول من بناء الكعبة هو
إنشاء أمة مجتمعة مسلمة لله
وحده لا شريك له ، تنحدر من
إسماعيل عليه السلام ، بعد
تزوجه من قبيلة جرهم •

والغرض الثاني من بنائها أن
تتجه هذه الأمة المسلمة إليها لتقيم
الصلاة لرب العالمين وحده
لا شريك له •

والغرض الثالث أن يحج الناس
إليها من مختلف البقاع ، لأداء
المناسك وحمل الأرزاق إلى
السكان حولها ، وفي ذلك يقول
الله تعالى حكاية لدعوة إبراهيم
عليه السلام التي حددت أهدافه
« رينا أنى أسكنت من فريتي
بواد في ذي زرع عند بيتك المحرم

(١) البقرة — الآية ١٢٨

(٢) إبراهيم من الآية ٢٧

عباداتهم ، ورجعوا الى عبادة الأوثان التي أبطلتها شريعة ابراهيم واسماعيل عليه السلام ، وكانوا يزعمون أنهم يقتربون بها الى الله ، مع أن الله أقرب اليهم من حبل الوريد ، وليسوا بحاجة الى أن يقتربوا بها اليه ، فهم تبعدهم عنه سبحانه ، فتراهم حولوا الكعبة من قبلة لعبادة الرحمن ومطاف يذكر حوله اسم الله ، الى بيت للأصنام ، ومطاف تذكر حوله أسماء الأوثان .

فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، كان أهم أغراض دينه القضاء على الشرك والوثنية وتوجيه البشر الى عبادة الواحد الصمد .

وقد استمر الرسول يجاهد في سبيل ذلك حتى نصره على أهل مكة ، حماة الشرك في الجزيرة العربية ، في غزوة الفتح المبين ، سنة ثمان من الهجرة النبوية .

قضاء الاسلام على دولة الأوثان ولما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة بعد أن دانت له ،

الحج الى البيت العتيق ، فسمعه أهل السماء والأرض ، ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى البلاد يلبون » .

وجاء في رواية أخرى أنه عليه السلام صعد أبا قبيس ، فوضع أصبعه في أذنيه ثم نادى : « يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم ، فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، وأول من أجاب أهل اليمن ، فليس حاج يحج من يومئذ الى أن تقوم الساعة الا من أجاب يومئذ ابراهيم » .

وقد استجاب الناس في عهد ابراهيم واسماعيل الى دعوة التوحيد ، ونبذوا الاثراك وعبادة الأوثان ، الى عبادة الواحد الديان ، وكان طوافهم بالبيت تمجيذا لرب البيت ، لا لذات البيت .

تحويل كعبة التوحيد الى بيت للأصنام

بعد فترة من عصر اسماعيل عليه السلام ، نسي أهل هذه البقعة التوحيد في حجهم وسائر

لأنهما كانت معقل الوثنية فيها ،
والمركز الأول لقداستها عندهم .

الكعبة أول بيت وضع للناس

كانت الكعبة أول مبنى أمر الله
بأنشائه ليتجه الناس إليه حين
عبادتهم لله رب العالمين ، ولما
زعمت اليهود أن بيت المقدس هو
أول بيت أنشئ لذلك ، كذبهم الله
فأنزل قوله تعالى « أن أول بيت
وضع للناس للذي ببكة مباركاً
وهدى للعالمين » وذلك على كونه
أول بيت وضع للناس بأدلة ثلاثة
ذكرها في قوله « فيه آيات بينات
مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً
ولله على الناس حج البيت من
استطاع إليه سهيلاً » .

فمقام إبراهيم هو المكان الذي
كلن يقوم فيه للصلاة ، وهو الآية
الأولى على كون هذا البيت بناء
إبراهيم عليه السلام ، فإن الناس
قد توارثوا هذه التسمية خلفاً عن
سلف ، وهى تدل على أن إبراهيم
كان يقوم للصلاة فيه أثناء بنائه
للكعبة أو أثناء زيارته لإسماعيل
وأهله .

أمر أصحابه بتطهير الكعبة
وما حولها من الأصنام ، فأخرجوها
وحطموها ، وأخرجوا صورتين
لإبراهيم وإسماعيل عليهما
السلام ، وفي أيديهما الأزام ،
فقال صلى الله عليه وسلم :
« قاتلهم الله . لقد علموا ما
استقسموا بهما قط » ونادى منادى
الرسول صلى الله عليه وسلم
بمكة ، من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فلا يدع في بيته صنماً
الأكبره ، وأرسل خالد بن الوليد
الى شجرة العزى فقطعها وحجم
بيتها ، وكانت معبودة قريش
وبنى كنانة ، وكانت أعظم آلهتهم
في نظرهم ، ثم بعث عمرو
ابن العاص في سرية الى سواع
فحطمه ، وكان معبود هذيل ، ثم
بعث سعد بن زيد بن عبد الأشهل
الى مناة معبودة الأوس والخزرج
وغسان وغيرهم فهدمها ، الى غير
ذلك .

وبالقضاء على عبادة الأوثان
بمكة وما حولها ، سقطت دولة
الشرك في جميع البلاد العربية ،

أنه تعالى مكون الأكوان ، فهو أجل وأعظم من أن يكون له مكان فكيف يصل في هذا الحيز الصغير ، والحيز عليه محسب **« ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »** وفي حديث **« كان الله ولا شيء معه وكان عرشه على الماء »** فإله موجود قبل خلقه المكان والأحياء ، فيستحيل عليه المكان ، وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك •

وجواب هذا السؤال أن اتخاذ القبلة ليس المقصود منه أن يواجه المصلى ذات ربه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، بل المقصود منه توحيد مظهر العبادة من أهل الملة الواحدة ، فكما اتحدوا في عقيدتهم وأقوالهم وأفعالهم أثناء عبادتهم ، يتحدون في قبلتهم أثناء أدائها ، حتى يتميزوا عن سواهم من أهل الباطل ، وحتى تتميز عاداتهم عن عبادتهم •

ومن الأمور المقررة في الأديان السماوية قبل أن يلحقها التبديل والتحريف أن الله أجل وأعظم من

والآية الثانية أن من دخله كان آمنا ، وذلك من شرع إبراهيم ، توارثه العرب عنه جيلا بعد جيل ، فقد صار ملاذا للخائفين منذ انشائه وجعل هذا الحكم من سماته ، فإذا أقام خائف في رحابه أمن على نفسه من أعدائه ، ولو كانت بينه وبينهم حياء وتورات ، وفي ذلك يقول الله تعالى **« أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم »** •

والآية الثالثة أن الناس يحجون إليه استجابة لأذان إبراهيم ، فتلك آيات بينات على أن الكعبة أول بيت وضع للناس وليس بيت المقدس ، ذابها شهادة بأن منشئه هو إبراهيم عليه السلام ، وإبراهيم لم يبن بيت المقدس ، بل أنشأ حفيده سليمان ، وبينهما زمن طويل •

حكمة استقبال الكعبة

قد يقول قائل ان استقبال قبلة معينة أثناء العبادة ، ربما يشعر أن المولى سبحانه مقيم فيها ، فلذا يتجه الناس إليها ، مع

عليه وسلم « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » وأخرج البزار بسنده عن أبي هريرة أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وفد الله ، دعاهم فأتوه ، وسألوه فأعطاهم » .

وبما أنه تعالى صاحب الضيافة وأنت لا تراه ، فلهذا تطوف ببيت ضيافته لك ، كما يفعل المحب المهائم ، حول المحبوب الذي يرى نعمه ولا يرى ذاته .

وأنت في طوافك لا تعظم البيت تعظيم المشركين ، بل تعظيم رب البيت الذي لا تراه ، اذ تقول وأنت به تطوف : سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وتدعو الله بما شئت ، وبهذا تحول طواف الشرك وتقديس الأوثان ، الى طواف التوحيد وتقديس رب الأكوان .

وأنت حين تستلم الحجر الأسود وتقبله ، و لاتجمل منه شريكا لله تعالى — كما كان

أن يحل في مكان ، فإنه ليس بحاجة الى مكان .

فعلى كل متدين حين يستقبل القبلة أن يشعر بهذا المبدأ وأن يجعله مسيطرا على عقيدته ، فلا إيمان بدون تقزیه الله عن الزمان وعن المكان ، وليعلم المؤمن أنه تعالى موجود بعظمه في كل مكان يتجهون فيه اليه ، وهذا هو المعنى المقصود بقوله تعالى « فإينما تولوا فثم وجه الله » .

فضل الحج وأسراره

دعا الله تعالى عباده الى حج بيته الحرام ، وأعد لهم مائدة يختلفون اليها ، هي مائدة الغفران والرحمة ، والثواب الجزيل على ما بذلوا من جهد ومال ، في سبيل تلبية هذه الدعوة المباركة .

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

وبسندهما عن أبي هريرة أيضا قال : قال رسول الله صلى الله

ومن حكم الحج وأسراره أنه
يجمع وفود أهل الأرض على توحيد
الله تعالى ، وأن يكون موسماً
لتبادل الرأي فيما ينفع المسلمين في
دينهم ودنياهم ، ويقيهم شرور
أعدائهم ويؤكد الوحدة
الدينية والفكرية التي
تجمعهم ، ويزيل أسباب الفرقة
بينهم ، ولهذا ذكر الله تعالى من
حكم تشريعه أن يشهدوا منافع
لهم ، إلى غير ذلك من الحكم
والأسرار ولو أمكن استغلال
الحج كما أرادته الأسلام ، لكان
سبباً في عزة المسلمين ومنعتهم
والله يقول الحق وهو يهدي
السير .

مصطفى محمد الحيدى الطح

المشركون يصنعون ، بل أنت تعبر
بذاك عن أشواق القلب ، وعظيم
الحب لله الذي لا تراه ، ولهذا
تقول حين استلامه : اللهم إيماننا
بك ، وتصديقنا بكتابك ، ووفاء
بعهدك ، واتباعنا لسنة نبيك ، وبهذا
المذكر النظيف ، تحولت هذه
المناسك وغيرها من الوثنية
المارضة إلى التوحيد النظيف
الذي كانت عليه شريعة إبراهيم
جد الأنبياء - عليه وعليهم
السلام -

ولقد أكثر الله تعالى في سورة
الحج من التحذير من الشرك ،
وحسبك قوله تعالى فيها ، « ومن
يشرك بالله فكأنما خر من
السماء فتخطفه الطير أو تهب به
الريح في مكان سحيق » .

تعقيب ورد على التعقيب

الشعر المماوكي مرآة عصره

الأستاذ البيرسون قروم

فقال : ان العلم والطب الحديث أثبت أن الغدة التناسلية في الانسان بين الصلب والتراتيب ، أى بين عظام ظهره وعظام صدره ، فقد رأى الأطباء بأجهزة الأشعة ، أن خصيتى الجنين موجودتان خلف الكليتين في مكان يقع بين عظام السلسلة الفقرية للظهر ، والضلعيين الحادى عشر والثانى عشر من عظام الصدر ، وذلك في الشهر الثانى لوجود الجنين في الرحم ، ثم تترك الغدة التناسلية هذا الموضع وتتحدى لتأخذ مكانها العادى في الصفن — وهو جلد الخصيتين في الشهر التاسع للحمل .. ثم قال : وكذلك توجد الغدة التناسلية (المبيضان) للمرأة في هذا المكان عندما يكون

في عدد رمضان سنة ١٤٠٠ هـ من مجلة الأزهر أثناء تفسير قوله تعالى «فلينظر الانسان مم خلق ، خالق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والتراتيب » قال فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى الطير في دراساته القرآنية (وزعم بعض قدامى المفسرين في تفسيره أن الماء الدافق يخرج من بين صلب الرجل — وهو عظام ظهره — وتراتيب المرأة — وهى عظام صدرها — ونسبوا هذا التأويل الى ابن عباس ، وهذا غير صحيح نقلاً ولا موضوعاً) الخ

تعقيب العقيد

وعقب على ذلك العقيد عبد الفتاح الزهيرى (بالمعاش)

والترائب « أى يخرج الماء الدافق من بين صلب الرجل وترائبها ، وكذا من بين صلب المرأة وترائبها أيضا ، ونقلنا رأى ابن عباس الذى رواه عنه مكى فى ص ١٠٦٥ من المجلة ، فى آخر العمود الأول منها ، وهو يخالف النقل السابق الذى رفضناه . . . حيث قلنا : (وكان ابن عباس كان يعيش بيننا فى عصر الحقائق العلمية ، حيث حمل الترائب على أطراف الانسان وعينيه - كما نقله عنه مكى - وروى الحسن عن قتادة : يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائبها - وهذا المعنى هو الذى رأينا الأحذ به) هذا نص كلامنا فى الموضع المذكور . وليس المقصود المعنى الحرفى للنص القرآنى ، فان الماء الدافق لا يخرج من بينهما حقيقة وانما يخرج من الخصيتين فى الرجل ، والمبيضين فى المرأة (١) بل المقصود أنه يخرج من جميع أجزاء البدن فان النطفة مسالة من الدم انتهت الى الخصيتين والمبيضين أثناء

الجنين فى الشهر الثانى فى الرحم ، ثم تأخذ مكانها الطبيعى فى الشهر (التاسع . .) الى آخر ما قال . (عقيد : عبد الفتاح الزهيرى) رد فضيلة الشيخ مصطفى الطير : لا شك أن السيد العقيد لم يتأن فى قراءة ما كتبناه فى هذا الموضوع الذى أخذ حقه من العناية الدقيقة علميا وطبيا ، ولذا كان كلامه فى واد ، وكلاما فى واد آخر ، فنحن لم نتعرض لتكوين الغدة الجنسية وموضعها من الجنين فى رحم أمه ذكرا كان أو أنثى ، سواء صح ما قاله العقيد بشأنها أم لم يصح ، وانما تعرضنا لقول القائلين ان المنى يخرج من بين صلب الرجل دون ترائبها وترائب المرأة دون صلبها وزعمهم أن ذلك رأى ابن عباس ، فقد قلنا ان ذلك لم يصح نقلا - لأنه عديم السند - ولم يصح موضوعا ، لأن القرآن الكريم لم يقل يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ، حتى يصح ما قالوا ، بل قال « يخرج من بين الصلب

(١) وموضع كل منهما معروف

آخر ما قلناه •

ثم ما شأن موضع الخصيتين أو المبيضين من الجنين في الشهر الثاني ثم في الشهر التاسع بالنسبة لشرح الآية الكريمة ، فهل الجنين يخرج منه ماء دافق من بين صلبه وتراثبه في بطن أمه ، أم أن النصف القرآني خاص بالازدواج الجنسي للبالغين ، لماوجه تعرضك لموضوع خارج عن البحث ، لهذا أنصح الاخ الفاضل بأن يعود الى قراءة المقال ، فسيجد فيه ضالة الحق التي ينشدها القريثون ، وأنى أشكر سيادته على ما جاء بخطابه من ثناء على ما أقدمه للقراء من بحوث أرجو أن يتقبلها الله ويرضى عنها ، والله الموفق •

أسرة المجلة

الانفعال الجنسي الذي يثير الجسد كله ، ولهذا يشبه الولد أبويه في خصائصهما الجسدية والخلقية •

وفي هذا المعنى قلت في العمود الأول من ص ١٠٦٥ (وقد عبر الله عن خروج النوى من الجسد كله بخروجه من بين الصلب والترائب على سبيل الكناية - كما قلنا - لأن الترائب أطراف البدن كما جاء في المقاموس ، والصلب موضع العصب النازل من الدماغ ، ومنه تتوزع الشعيرات العصبية على جميع الجسد ، وله دخل عظيم في نقل أحياء المخ الى الدورة الدموية ، وهو الذي ينقل الاحساس بالشهوة اليها فيثيرها ، وتنزل سلالة من الدم النائر الى الأنثيين والمبيضين ، فيتحول فيهما الى منى ••) الى

المقالات التي لا تنشر لا تلتزم ادارة المجلة بردّها •

فَقِيدُ الْأَزْهَرِ

رجل العلم والدين

الدكتور أحمد الشرباصي ١٩٨٠ - ١٩١٩

للأستاذ السيد حسن فترون

في مسيحة الجمعة وفي العاشرة والربع من اليوم الخامس من شوال ١٤٠٠ هـ الموافق الخامس عشر من أغسطس ١٩٨٠ م شيعت جنازة فضيلة الدكتور الشيخ أحمد الشرباصي من الجامع الأزهر بعد الصلاة عليه فشيئنا بتشييعه علما من أعلام الأزهر ، ورائدا في الفكر الاسلامي ، وكاتبا عبقريا ، وخطيبا بارعا ، ومتحدثا شائقا في المجالس والأندية والاذاعة المرئية والمسموعة ، ومؤلفا له أسلوبه المتميز ومنهجه العلمي ، ووفاءه للكلمة . عرفته مذ جاء من معهد الزقازيق ليكون طالبا مستجدا بكلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٣٩ وقد جاء يحمل مؤلفاته « بين عهدين » وكأنه جاء من مسقط رأسه « البجالات » من أعمال محافظة دمياط ليكمل من كل مكان في الوطن العربي والعالم الاسلامي مسقطا لكلماته ومقالاته ومؤلفاته . كان طموحا مشغوبا بطلب العلم مقبلا عليه راغبا فيه ، متحركا لا يهدأ ، منطلقا لا يستريح ، ان القاهرة المعزية على طولها وعرضها لم تشبع نهم الشيخ الصغير ، انه طموح جموح - ان صح التعبير ، فهو في الدرس نجم الفصل يحب ما يلقي عبا ، دائم السؤال ان غم عليه شيء منه ، وفي خارج الفصل تراه في مسالك المدينة يبتغي ندوة أو حفلا يشارك ويحاور ويخطب ، وفي المسجد تجده الشيخ الذي له مريدوه وسامعوه يتطلعون اليه ويلتفون حوله ، فاذا آوى الى

منزله عاش مع كتب العلم والأدب لا يترك شاردة ولا واردة إلا أمسكها وعانقها وجعلها دليلاً إلى هدفه .

وقد أتيح له النشر من صفوه فنشر في السياسة الأسبوعية وغيرها حتى التقى بأستاذه الشيخ محمود خليفة ، وعن صلته به كتب في مجلة « الإسلام » الأسبوعية التي كان يصدرها آل خليفة : عبد الرحمن وعبد الفتاح ومحمود خليفة ، والأخير مهد له السبيل ليعتلى المنابر ويخطب في المساجد ، فكان ينبيه عنه ليخطب في مسجد الشامية ، ومن هنا عرفت مساجد القاهرة خطيباً لا يجارى وكم سمعته يخطب في مسجد الكفيا والناس يعجبون به ويأخذون عنه ، وقد حباه الله طلاقة لسان وقوة حجة وبيان ، ينبعان من إيمان راسخ ، يقين لا يتزعزع .

وبجانب ذلك ينشر فصلاً في الأدب في الصحف والمجلات كل هذا وما زال طالباً ، وطالبا متفوقاً الأول في جميع سنوات الكلية ، وتخرج في كلية اللغة العربية سنة

١٩٤٥ وكان الأول ، والأول الذي يقام له حفل في قصر رأس التين مع أوائل الجامعات والأول على الأوائل لأن الأزهر تقدمه يقدم على الجامعات الأخرى . . وقد تحدث عن هذا اليوم في هلال أغسطس ١٩٧٦ قال : « معنى هذا أنى سأكون أول من يصافح الملك » وسأله شيخه عميد كلية اللغة العربية في ذلك الوقت الشيخ الجبالي : هل تعرف طريقة السلام على الملك ؟ وهل هناك طريقة خاصة ؟ ذهل الشيخ وهتف . . ياخبر أسود يجب أن تقبل يده . يقول الشرياصي : لكنى صرت ممن أصحاب الفضيلة فكيف أقبل يد انسان ؟ ولم تعجب الشيخ فلسفته ، فأمره بتنفيذ ما أشار به إليه ، وطمأنه الشرياصي فهذا قليلاً ولكنه عاد يقول : لا تنسى تقبيل يد مولانا . ويروى فقيدنا تمام القصة على حسب ما جرى : « كان الواقف خلفي من طابور الأوائل الزميل محمد السيد بكر ، وانتهز الزميل غفلة من الشيخ وهمس لي من خلفي ماذا ستصنع ؟ وعاد

ان أستاذي الأول والأعلى هو القرآن الكريم . كان القرآن أول كتاب في الوجود فتق لسانى وعلمه كيف ينطق الحرف الصحيح من مخرجه مضبوطا ، والكلمة الفصيحة محكمة .. وعلمنى الطريقة الى الحفظ . لقد حفظ القرآن قبل أن يبلغ العادية عشرة من عمره ، لذا تراه ضئينا عليه ، يعاود حفظه ، ويتأمل معناه ، ويتخذ منه سبيله الى اللفظة النافعة والكلمة التى تمس القلوب .

وكنا نظنه من تلاميذ الدكتور زكى مبارك فى الأدب ، لأنه كان معنيا بأدبه ولا سيما كتاب «النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى» ثم تكتشف لنا الأمور عن انسان بعيد المرامى يقبل على كل أديب ، وينهل من كل كتاب ويمزج القديم بالحديث فيخرجه أدبا رائعا ، ويبحث كثير المعانى حلو الألفاظ ، ورأيانه يعنى بالأعلام ممن خدموا لغتهم ووقفوا أنفسهم على تعريف معيزات دينهم للناس . له مؤلفات عن خامس خلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز وعن أمير البيان شكيب

الشيخ يقول : لا تنس يد مولانا . وجاءت الإشارة بالتقدم الى مصافحة الملك الذى كان يقف على مرتفع خشبى ، الى جانبه الشيخ المراغى وتقدم الشيخ الجبالى بثيابه الفضفاضة ونطق باسمى ودرجتى العلمية .

وببساطة تقدمت مرفوع الرأس وسلمت على الملك يدا بيد وقد غرق الشيخ فى ذهوله وقد أعجب الشيخ المراغى بموقفه فقال له : « أرجو أن تكون عالما عزيزا كما كنت طالبا موفقا »

ولم يدرك الشيخ أنه قد أهدى نفسه ليكون أعلى درجة من تلك الدرجة التى دفعته الى مصافحة الملك فجد حتى نال الماجستير ثم الدكتوراه ، ولكن هذه المؤهلات العلمية والتفوق فيها ليست هى كل الشيخ الشريامى ، فالرجل منذ حفظ القرآن وتأدب بأدابه جمل ينظر الى الاسلام وأهله نظرة المسئول عنه ، فكان أن تجرأ لنشر مفاهيم القرآن ، يكتب ويؤلف ويخطب ويذيع ، ألا تراه يقول :

أرسلان ، وعن رشيد رضا ، وبجانب ذلك « موسوعة الفداء » ومنها : « الفداء في الاسلام » ، « فدائيون في تاريخ الاسلام » و « أبطال عقيدة وجهاد » و « بين الوفاء والفداء » و « رجال صدقوا » وله كثير غير ما ذكرنا . وله مقالات في مجلة الأزهر شائعة ورائقة .

وانك لتعجب لهذا الفاضل الذي له كل هذا النشاط في التأليف كيف تسنى له القيام بعمله استاذاً بكلية اللغة العربية ، وأميناً عاماً لجمعيات الشبان المسلمين ، وعضواً في المجلس القومي للخدمات ؟

وقد فرح المسلمون حين تولى وظيفته بالشبان المسلمين مع رئيسها العام فضيلة الشيخ الباقوري وأملوا خيراً في توجيهاتهما السديدة ، وترشيده الرواد والقصاد للمعرفة الأصلية والأفكار الصحيحة في الافادة الدنيوية والأخروية .

وها هو ذا يسقط أحد الفرقدين وهو الشيخ الشرياصي ، فيعم

الحزن ، ويعظم المصائب ، وتكبر الفجيعة . أنا لا أرثيه ولا أبكيه فقد كان الفقيد يكره البكاء والرتاء فقد كان قوى الشعور بالحياة له فن في ربط الدين بالحياة وربط الحياة بالدين ليكمل المسلم راضياً بقضاء الله ، مدركاً أن الحياة الأخرى خير وأبقى وفي هذا المجال أصدر أكثر من كتاب مثل : « الدين للحياة » و « بين الدين والدنيا » و « يسألونك في الدين والحياة » و « توجيهات الرسول للحياة والأحياء » .

ومقالاته لا تقل أثراً عن كتبه ، وانها لغزيرة المادة ، طيبة الأداء ، فحبذا لو جمعناها من مظانها لتكون مرجعاً للكبار ونموذجاً للشباب ، ونبراساً للشداة .

نعم غاب نجمنا المفضل ولكن آثاره وأخباره خليقة أن تجعله بيننا معلماً ومرشداً ورائداً في الخير والحب والجمال والوفاء . رحمه الله وأدخله مسيحات جناته بمقدار ما أدى وأسدى .

السيد حسن قرون

قام بالتدريس بالمعاهد ثم في
كلية اللغة العربية

من المناصب العامة التي تولاهما
الأمين العام لجمعيات الشبان
المسلمين •

من حبه للمعرفة تبرع بمكافأة
الأولية للشهادة العالية عام ١٩٤٣
بمبلغ المكافأة وهو عشرون جنيها
لإنشاء مجلة كلية اللغة العربية •
توفي رحمه الله في ١٤/أغسطس
ودفن في اليوم التالي ١٥/٨/
١٩٨٠ م

الشريامي في سطور

ولد أحمد الشريامي بالبجلات
عام ١٩١٩ حفظ القرآن وتعلم في
المدرسة الإلزامية بالقرية
طلب العلم في المرحلة الابتدائية
بمعهد دمياط

وفي معهد الزقازيق الثانوى
أمضى سنوات الدراسة به وكان
كشافا يقوم بالرحلات الكشفية •
دخل كلية اللغة العربية عام
١٩٣٩ وتخرج فيها عام ١٩٤٥
آخر مؤهل دراسى الدكتوراه

أسرة المجلة تنمى فقيد الأزهر والاسلام وتسال الله له الرحمة
وأن يسكنه فسيح جناته أنه سميع مجيب •

أهل الذمة وواجباتهم في بلاد الإسلام

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

خدمة عسكرية وفريضة اسلامية —
— ومن أجل ذلك قرر الاسلام
عليهم الجزية بدلا من الجهاد
والزكاة — رعاية لثأورهم أن
يفرض عليهم ما هو من عبادات
الاسلام .

وفي أموالهم الشخصية
والاجتماعية لا يتعرض الاسلام
لهم فيما يرونه مباحا في ملتهم ،
(وأن كان قد حرمه الاسلام)
كما في الزواج والطلاق والميراث
وأكل لحم الخنزير .

فاليهودى الذى يتزوج بنت
أخيه ، وللعصرانى الذى يأكل
الخنزير ، والمجوسى الذى يتزوج

أشرفنا من قبل الى الواجب
الأول : الواجبات المالية واليوم
نتحدث عن الواجب الثانى .
التزام الذميين بأحكام القانون
الاسلامى

لما كان الذميون بمقتضى عقد
الذمة يحملون جنسية الدولة
الاسلامية كان عليهم أن يتقيدوا
بقوانينها التى لا تمس عقائدهم
وحرمتهم الدينية .

فليس عليهم أى تكليف من
التكاليف التعبدية للمسلمين ، أو
التى لها صبغة تعبدية ، أو دينية
مثل الزكاة التى تجمع بين الضريبة
والعبادة — ومثل الجهاد الذى هو

المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم ، مما لا شأن للدولة الإسلامية به ، على أنه كان يجوز للذمي أن يلجأ إلى المحاكم الإسلامية ، — ولم تكن الكنائس بطبيعة الحال تنظر إلى ذلك بعين الرضا — أما في بلاد الأندلس فكان النصراني يفصلون في خصوماتهم بأنفسهم وأنهم لم يكونوا يلجأون للقاضي المسلم إلا في مسائل القتل ، هذا كله — يشير إلى مدى سماحة الإسلام ، وتنازل المسلمين عن شيء من سلطة دولتهم القضائية على كافة رعاياها للمسيحيين وقتئذ ، لكن كتاعدة عامة فإنه من المسلم به فيما عدا مسائل الأحوال الشخصية يلزم الذميون أن يقيّدوا بأحكام الشريعة الإسلامية في الدماء ، والأموال والأعراض ، أي في نواحي القوانين المدنية ، والتجارية والجنائية ، ونحوها شأنهم في ذلك شأن المسلمين •

فكل ما جاز من بيعوع المسلمين وعقودهم جاز من بيعوع أهل الذمة

أحدى محارمه ، لا يتدخل الإسلام في شؤونهم هذه ماداموا يعتقدون حلها ، لكن إذا طلبوا الاحتكام إلى شرع المسلمين في هذه الأمور حكمنا فيهم بحكم الإسلام تطبيقاً لقوله تعالى : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله) سورة المائدة ٤٩ — ومن هنا كان لأهل الذمة محاكمهم الخاصة يهتمون إليها وإن شاموا لجأوا إلى القضاء الإسلامي ، وفي ذلك يقول المؤرخ النصراني الغربي آدم ميتز في كتابه : — (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) لما كان الشرع الإسلامي خاصاً بالمسلمين فقد حلت الدولة الإسلامية بين أهل الملك الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم — وقد كانت محاكم كنسية ، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضاً — وقد كتبوا كثيراً من كتب القانون ، ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج ، بل كانت تشمل إلى جانب ذلك مسائل الميراث ، وأكثر

كقطع اليد والرجل وإتلاف السمع والبصر ، وأحداث الجراحات في الرأس والوجه أو أحداثها في سائر البدن ، وأيضا جرائم الاعتداء على الأموال .

أما جريمة شرب الخمر فإن الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة يستثنون الذميين من عقوبة شرب الخمر ، لأنهم لا يؤمنون بحرمتها ، وذهب علماء الظاهر إلى وجوب تطبيق عقوبة شرب الخمر على شاربيها مسلمين كانوا أو غير مسلمين ، وعند الشيعة الإمامية يحدون إذا تظاهروا بشرب الخمر ، وعند الزيدية يحدون إذا سكروا لتحريم السكر عليهم - ويرى الحسن بن زياد وهو من تلاميذ الإمام أبي حنيفة أنهم يحدون إذا شربوا وسكروا لأجل السكر لا لأجل الشرب .

حكم مواريث الذميين في الوقت الحاضر ببلادنا المصرية

تخضع مواريث جميع المصريين حالياً من مسلمين وغير مسلمين لقانون المواريث رقم ١٩٤٣/٧٧

وعقودهم ، وما يفسد منها عند المسلمين يفسد عند الذميين ، خصوصاً عقود الربا فلا يقرون عليها مهما كانت الأحوال .

أما بالنسبة للجرائم التي يرتكبها الذميون ، فإن القانون الجنائي الإسلامي هو الواجب التطبيق عليهم - ومن هذه الجرائم جريمة قطع الطريق ، فيماتقون عليها بالمقنونات المقررة لهذه الجريمة ، فيقتل الذمي أو يصلب إذا قتل وأخذ المال - ويقتل بلا صلب إذا قتل ولم يأخذ مالا وتقطع يده ورجله من خلاف إذا أخذ المال ولم يقتل - وينفى من الأرض إذا أخاف الناس فقط فلم يقتل ولم يأخذ مالا ، وإن كان هناك خلاف قليل بين فقهاء الإسلام في بعض جزئيات تلك العقوبات ، وهل ينتقض بهذه الجريمة عقد الذمة مع تفاصيل كثيرة يمكن الرجوع إليها في كتب الفقهاء المختلفة عن هذه الجريمة ، وعن جريمة الزنا وكذا جرائم الاعتداء على النفس وجرائم الاعتداء على ما دون النفس ،

١ - فليس لهم أن يروجوا علنا من العقائد والأفكار ما يناق عقيده الدولة الاسلامية ودينها ، سواء بالطبع أو بالنشر أو ما شابه ذلك .

٢ - ولا يجوز لهم أن يسبوا الاسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا أن يطنخوا في القرآن الكريم جرة .

٣ - ولا يجوز لهم أن يتظاهروا بشرب الخمر ، وأكل الخنازير - ونحو ذلك مما يحرم في دين الاسلام - كما لا يجوز أن يبيموها لأفراد المسلمين - لما في ذلك من الاستعداد للمجتمع الاسلامي .

٤ - وعليهم ألا يظهروا الأكل والشرب في نهار رمضان ، مراعاة لمواظف المسلمين .

٥ - وليس لهم أن يدفخوا نواقيسهم بلا داع أو مبرر في وقت أداء صلاة الجمعة عند المسلمين وأعيادهم أو غيرها من الصلوات الخمس .

أما تعيين الورثة وتحديد أنصبتهم فتسرى في شأنها أحكام الشريعة الاسلامية ، وذلك طبقا لنص المادة ٨٧٥ من القانون المدني والتي تنص على ان (تعيين الورثة وتحديد أنصبتهم في الارث وانتقال أموال التركة اليهم تسرى في شأنها أحكام الشريعة الاسلامية ، والقوانين الصادرة في شأنها) وجاء في المذكرة الايضاحية لهذه المادة أن المشرع قسم بهذا النص الخلاف القائم في أمرين جوهريين في الميراث - ففرض بأن الشريعة الاسلامية هي التي تطبق في ميراث المصريين حتى ولو كانوا غير مسلمين ، حتى لو اتفقوا جميعا على تطبيق قانون ملتهم .

الواجب الثالث : احترام شطائر المسلمين ومشاعرهم

على الذميين وهم يعيشون في حماية الدولة الاسلامية التي تظلمهم بحمايتهم ورعايتهم أن يراعوا شعور المسلمين السذجين يعيشون بين ظهرانيتهم ، ولا يهملوا على جرح مشاعرهم .

وكانت له صحبة مع النبي صلى
صلى الله عليه وسلم — وقاتل
مع عكرمة بن أبي جهل باليمن في
حروب الردة ، أنه دعا نصرانيا
الى الاسلام فذكر النصراني النبي
صلى الله عليه وسلم فقتلوه
(أى بسوء القول) فرفع ذلك الى
عمرو بن العاص فقال عمرو قد
اعطيناهم العهد — فقال عرفة
معاذ الله أن نكون أعطيناهم

العهود والمواثيق على أن
يؤذونا في الله ورسوله ، انما
أعطيناهم على أن نخلى بينهم وبين
كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم
والأ نحملهم مالا طاقة لهم به —
وأن نقاتلهم ورائهم — وأن نخلى
بينهم وبين أحكامهم الا أن يأتونا
فنحكم بينهم بما أنزل الله فقال
عمرو صدقت •

وبعد

فهذه هي حقوق الذميين
وواجباتهم في بلاد الاسلام
تقررت من شريعة الاسلام
الخالدة تلك الشريعة التي قامت
على أساس القرآن الكريم ،
والسنة النبوية المطهرة ، وكلاهما

٦ — وعليهم ألا يظهروا
الشحاتة والفرح بنكبات المسلمين ،
كما حدث من يهود المغرب بعد
هزيمة العرب وسقوط مدينة
القدس في ٥ يونيه سنة ١٩٦٧ ،
فلقد قام يهود المغرب باظهار
فرحهم وتعليق الزينات والأنوار
على منازلهم ومحال أعمالهم
وتجارتهم •

٧ — وليس لهم أن يتصلوا
باعداء المسلمين والانضمام اليهم ،
أو التخابر معهم أو مراسلتهم
لا في وقت السلام ، ولا في وقت
الحرب كما حدث من نصارى بلاد
السلام ، اذ انضموا الى التتار ضد
مواطنيهم المسلمين •

٨ — وكل ما يراه الاسلام
منكرا في حق أبنائه — وهو مباح
في دينهم فطيمهم — أن فعلوه —
الا يعطنوا به ولا يظهروا في صورة
المتحدى لجماهير المسلمين ، حتى
تميش عناصر المجتمع كلها في
سلام ووثام •

أورد الطبراني في مجمع
الزوائد عن عرفة بن العاص —

هجرا غير جميل ، ودفعوا الى الأخذ والاستعاضة عنها بتشريعات وضعية غريبة ، (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وفاتهم أنهم يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وأن فطهم هذا لا يجوز فى شرع الاسلام لأن الله جلت كلماته حذر المسلمين من الالتجاء الى غير شريعته ، والاستعانة أو الاستعاضة بغير حكمه ، فيقول : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) سورة المائدة ٤٤ (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) سورة المائدة ٤٥ (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) سورة المائدة ٤٧ . لكن مع هذا كله فهناك آمال كبار فى رجعة المسلمين الى أحكام شريعتهم ، ونبذ كل ما يخالفها من قوانين ، لأن الحق لا بد أن يعلو ، وأن المسلمين لا بد وأن يستيقظوا ، ويدركوا مدى خسارتهم فى ترك شريعتهم ، ومدى تفريطهم فى عدم الالتفات اليها ، ومما يشجع على هذا الأمل ان لم يكن قد

وحى من الله تعالى . هي شريعة عامة لجميع البشر شاملة لجميع شئونهم وأحوالهم ، خالدة خلود الزمان لا يلحقها نسخ ولا تبديل ، لأنها خاتمة شرائع السماء ، وصالحة لكل زمان ومكان ، لأن الله تعالى حفظها بقيامها على دعائم ثابتة لا تميل الى باطل أو انهراق .

فمبادئها ربانية الأصول ، دينية الصبغة ، ولهذا وجدت من السبول والاستجابة السريعة بين البشر ما لم تجده أى شريعة أخرى ، هي لا تضيق بحاجات الناس ، وما يستجد من أمورهم وأحوالهم وغايتها ايصال الناس الى سعادتهم فى الدنيا والآخرة - وقد كان لأحكام الشريعة الاسلامية السيادة فى التطبيق قرونا فى الماضى عديده فما وجد الناس فى ذلك الزمان حاجة الى استيراد تشريع بدلا منها ، ولا حتى ضيقا فى تطبيقها .

ولما أصاب المسلمين ما أصابهم من ضعف ، وصارت الكلمة عليهم للحاقدين والمستعمرين من أعداء الاسلام ، هجروا شريعة الاسلام

والانتاج ، واستتباط الحلول
الاسلامية لكل مشكلة أو معضلة
مما استحدثته الحياة في زماننا
المعاصر ، فهم بهذا يؤدون واجبا
نحو الاسلام ، ويقدمون خدمة
جليلة لا للمسلمين فحسب بل
لل البشرية جمعاء ، لأن شريعة
الاسلام قامت على أساس وحى
الله ، والله أعلم بما يصلح لعباده
يقول الله تعالى : (الا يعلم من
خلق وهو اللطيف الخبير) سورة
الملك ١٤ •

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

تحقق فعلا ما حدث في جمهوريتنا
المصرية أخيرا من استفتاء بتاريخ
٧ رجب سنة ١٤٠٠ هـ - ٢٢ مايو
سنة ١٩٨٠ م ، فلقد وافق الشعب
المصرى المسلم بأغلبية ساحقة
بلغت ٩٦ و ٩٨ ٪ وأعلنت الجماهير
المسلمة على اتساع أرض مصر
ترحيبها وسعادتها للشريعة
الاسلامية باعتبارها المصدر
الرئيسى للتشريع •

وأهل العلم وفقهاء الاسلام في
مشلق الأرض ومغاربها ، وليس
في مصر وحدها ، مدعوون اليوم
الى مضاعفة الجهد في التأليف

الى السادة الراغبين في الاشتراك بالمجلة الاتصال

بتوزيع الأخبار في بلادهم •

شاعر في خدمة الإسلام

محمد اقبال "منشئ باكستان"

للاستاذ عبد الحفيظ فرغلي على القرف

للناس ، ومرجى في هذا
التقديم بعض المصادر من بينها :
«الشعر في موكب الدعوة» للدكتور
صادق عبد الحليم وغيره من
المراجع المشار اليها في الموضوع .
مولده ونشأته :

ولد محمد اقبال في
« سيالكوت » بالهند في فبراير سنة
١٨٧٣ م في أسرة عريقة في
الاسلام ، واشتهرت بمعق الايمان ،
وكان أبوه صالحا تقيا ، تلقى ابنه
على يديه مبادئ التعليم ، قبل
أن يدخله مكتبا لتخفيف القرآن
انكريم وتعلمه ، وهين كبر قليلا
اصطحبه الأب الى صديق له
ضليح في الادب الفارسي ، واهتم
لغة العربية ، وطلب اليه أن يعلمه

في مقال سابق عرضت كتاب
« روائع اقبال » للكاتب الاسلامي
الكبير العلامة أبي الحسن الندوي
— حفظه الله وأطال حياته ذخرا
للالاسلام — وقد احتوى هذا العرض
قبسات من حياة الشاعر الاسلامي
العظيم « محمد اقبال » الذي وقف
فكره وشعره وحياته على خدمة
الاسلام ، ولفظ أنفاسه الاخيرة
وهو يهتف باسمه .

فكان من الحق له أن تقدمه
للقرءاء الكرام في هذه السطور ، وفاء
له وتكريما لجهاده ، وشعلة مضيئة
أمام كتابنا وأدبائنا وشعرائنا ،
ليضئوا أقلامهم ومواهبهم في
خدمة هذا الدين العظيم ، الذي
شرفنا الله به ، وهادانا اليه ،
وجعلنا به من خير أمة أخرجت

لقبول تعاليم والده ومعلمه ، ولقد أعجب به أستاذه حين رأى نجابته وذكاءه ، واقباله على التعليم بغير كلل أو ملل ، فعنى به عناية فائقة ، وأقبل على تعليمه اللغة العربية واللغة الفارسية وآدابهما ، الى جانب تعليمه الدين الاسلامى .

موهبة الشعرية

وظهرت موهبته الشعرية مبكرة ، وكان ينظم شعره فى أول أمره باللغة البنجابية فنصحته أستاذه أن ينظمه باللغة الأوروبية ، وكانت هى لغة الادب والكتاب ، وكانت مسننه حين أنهى الدراسة فى الكلية الأسكونية سنة ١٨٩٥ م اثنين وعشرين عاما ، انتقل بعدها الى لاهور حيث التحق بكلية الحكومة ، وظل يترود من العلم ، والثقافة محققا نبوغا عظيما فى اللغتين العربية والانجليزية ، بل أصبح أستاذا فى الفلسفة حاصلا على جوائز التفوق والتقدير فى مختلف المجالات .

وأُسند اليه التدريس لمادة التاريخ والفلسفة فى الكلية الشرقية

الدين الاسلامى ، وبعثه فيه بدلا من أن يتعلمه فى المدرسة ، ذلك أن القسط الذى يتضمنه منهج المدرسة غير واف بالقصد فى نظر الاب الصالح ، وهو يريد لولده أن يوفى على الغاية فى دراسته .

وهكذا كان للاب أثر كبير فى توجيه دراسة ابنه ، بالاضافة الى سلوك هذا الاب القويم ، وايمانه العميق الذى ترك أئسره العظيم الواضح فى الابن .

قال له حين رأى يكثُر من قراءة القرآن الكريم : ان أردت أن تفقه القرآن فاقراه كأنه أنزل عليك . وهى كلمة لها معناها تدل على منزلة الرجل فى الفهم واليقين .

وقال مرة لابنه وقد رآه ينهر سائلا : انظر يا بنى الى شبيبتى واضطرابى وقلقى ولا تقس على أبيك ، ولا تفصح أمام مولاه ، انك كم فى غصن المصطفى فكُن وردة من نسيم ربيعہ ، وخذ من ربيعہ نصيبا من الريح واللون ، لابد لك أن تظهر من خلقه بنصيب .

ولقد كان لاقبال استمداد تام

معهما مشاعر المسلمين ، وتهتز لها
جوانحهم لا فرق في ذلك بين لسان
ولسان .

لقد أحبت مصر بكل وجدانها هذا
المفكر والشاعر الاسلامى العظيم ،
حتى لقد حزنت لوفاته في ابريل
عام ١٩٣٨ حزنا شديدا ، وأقامت
له حفل تأبين تتلوه فيه الخطباء

والشعراء الكلام يثنون فيه على
جهوده ، ويمجدون كفاحه وجهاده ،
وكان مما قاله فيه الاستاذ
عبد الوهاب عزام صديقه ومترجم
ببانه « وقف قلب كبير كان يحاول
أن يصوغ الامة الاسلامية من كل
ماوعى التاريخ من مآثر الابطال
وأعمال العظماء ، مات محمد اقبال
الذى وهب عقله وقلبه للمسلمين
والبشر أجمعين » .

اقبال والجامعة الاسلامية :

لقد كان اقبال عميق الايمان
بحضارة الاسلام ، ظهر ذلك في
آرائه وأشعاره ، وتتجلى مثالية
الاسلام عنده في عصر الخلفاء
الراشدين - رضوان الله عليهم -
حيث ظهرت الديموقراطية الحقيقية

بلاهور ، كما اختير لتدريس
الفلسفة واللغة الانجليزية بكلية
الحكومة التى تخرج فيها ، وقام
بعدة رحلات الى الخارج ساعدت
في مضاعفة أفكاره وتنمية مواهبه
وزيادة معلوماته ، وأسندت اليه
مناصب مرموقة نجح في أدائها كل
النجاح .

قنوه الى مصر :

وزار الشاعر اقبال مصر سنة
١٩٣١ وهو في طريقه الى المؤتمر
الاسلامى الذى عقد في المسجد
الأقصى ، وقد احتفلت به جمعية
الشبان المسلمين احتفالا مشهودا ،
وكان لحفاوة اللقاء به أثر عظيم في
نفسه ، واثارت احساسيس الوحدة
الاسلامية التى كان يدعو اليها
في قلبه ، تلك الوحدة التى تربط بين
المسلمين في مختلف الاقطار على
اختلاف جنسياتهم ولغاتهم برباط
المحبة والوئام ، وأشعره مقامه
في القاهرة بأنه ليس غريبا فيها ،
فالقاهرة وطن كل مسلم حيث
تعمر بالقباب والمآذن التى تنطلق
من فوقها صيحة الله أكبر فتجاوب

إلا الوحدة والترابط ، والاتحاد في جامعة اسلامية متساونة ، تقضى على روح التنافس والتباعد الذى تثيره العصبية ، والجميعة الكثيرة المتشاحرة • كان ينظر الى الامور نظرة واقعية ، ويدرك بثاقب فكره أنه لا أمل في وحدة كاملة بين المسلمين الا عن طريق التعاون أولا بين تلك الجميعة ، الذى يكلل في النهاية بالوحدة الكاملة ، ومن مآثراته في ذلك • « ان الفرق الاجتماعية والجماعات الدينية في الهند لا تقبل التفاضل عن أشخاصها من أجل الوحدة الهندية حتى ينشأ لديها الشهور بوحدتها » •

آراء اقبال وفلسفته :

يقول صاحب كتاب باكستان المعاصرة عن فلسفة اقبال : انها فلسفة كاملة مشرفة باسمه متفائلة ، مستمدة من الاسلام • فلسفة كلها عمل وجهد وبناء ، تجمع بين وجود الذات وايمان القلب ، أولها الفرد وآخرها الجماعة ، وطريقها الجهد والحب ، وغايتها الدين • ان هذه الفلسفة هي التى ينشدها

في صورتها المثالية ، بعبادة عن المظاهر والشكليات ، ولذلك ازداد حماسه للدعوة للجامعة الاسلامية ، لأن تفكك المسلمين في العصر الحاضر يحول دون تقدمهم ، ويعوقهم عن الوصول الى المثالية التى يدعو اليها الاسلام ، ويجعلهم فريسة لاهول لها في بواطن الاستعمار •

كما كان ينزع الى قيام دولة مستقلة في الهند — هي التى ظهرت بسبب دعوته في دولة باكستان — ولو أدى ذلك الى معارضة الهندوس والانجليز ، حيث كانت الهند في ذلك الوقت تحت التاج البريطانى •

ولقد انتخب بالاجماع في الجمعية التشريعية في بنجاب ، وكان لرأسته للرابطة الاسلامية أثر كبير في اذاعة آرائه التى صدرت عن شعور منه بالتبعة التى يحملها ، كما كانت أحوال المسلمين آنذاك في الهند وما جاورها سسيئة تثير مشاعر المؤمنين الغيورين على دينهم ، وفي مقدمة هؤلاء اقبال • ولا حل في نظره لمشاكل المسلمين

على اليأس القاتل المميت ، الذي
يسلم الى السلبية والنكوص ، ومن
سعره في ذلك الذي استشهد به
مؤلفا كتاب باكستان المعاصرة وهما
الاستاذان حمدي حافظ ومحمود
الشرقاوي :

عش ساعة في لجج البحار
ومت شهيد الموج والتيار
ولا تمتن دهرك عيش الخامل
مقيدا بين صخور الساحل
واقبال : يحق له أن يختل
بهذه الدعوة ، لان الشرق بعامة
اجتاحته في القرون المتأخرة هذه
الافه ، آفة التواكل والكسل ،
فأصابته في الصميم ، وأقعدته عن
التفت الى تراثه القديم ، الذي
يجب أن يستمد منه مقومات النهضة
واليقظة ، التي تكفل له التقدم في
الحياة ، لقد غفل المسلمون عن
حقائق دينهم ، وانساق بعضهم
وراء الافهام الخاطئة ، ومن بينها
أن التوكل مخاء ترك العمل ،
والمعقود عن طلب الرزق ، حتى
أصبح شغل المصلحين الشاغل
تصحيح هذه المفهومات . ومن بين
هؤلاء اقبال الذي نعى على بعض

الاسلام ويعمل لها ، والقرآن
الكريم يدعو المسلمين جميعا الى
العمل ويحذرهم من الكسل ، قال
تعالى : « وقل أعملوا فسيرى الله
عملكم ورسوله والمؤمنون » وفي ذلك
احترام لفطرة الانسان ، وحسن
استغلال لقدراته الممنوحة له ،
وطاقاته التي وهبها الله له ، ان الله
— جلت قدرته — يمنح النصر
للمجاهد والنجاح للمكافح المجد ،
والثمار للمجتهد ، لقد خاض
الاسلام — كما يقول صاحب كتاب
واقعية المنهج القرآني — معارك
منتصرة لأن جنودها بذلوا أقصى
جهودهم ، وخاض معارك دون
ذلك ، لأن جنودها لم يحققوا شرط
النصر في أنفسهم .

ان فلسفة اقبال التي كان يدعولها
ويتحدث عنها دائما في أشعاره ،
وخطبه وآرائه ، تقوم على عاملين
هامين هما : بحث الايمان في الفرد
ليؤمن بذاته ، بوجود تنشئته نشأة
صالحة ليحقق الكمال في المجتمع ،
ثم العمل الجاد المثمر الذي يقضي
على داء التواكل الذي ينخر في
جسم الامة الاسلامية ، كما يقضي

في الحب والتصوف :

واذا كان هذا هو رأى اقبال
في تحقيق ذاتية الانسان ، ودعوته
الى العمل ليكمل نفسه ، فان رأيه
في الحب انه هو الذى يطهره من
الشهوة والانانية ، ويقوى هذه
الذاتية ويدفعها الى الكمال .
ويقول في ذلك :

« كان وجودى تمثالا ناقصا لا
قيمة له ولا ترتاح له العين
فاعمل الحب ازميله فيه فحسرت
رجلا
وكسبت المعرفة الحقبة لطبيعة
الكون والوجود ...
انقطة الميثرة التى تسمى الذات ،
هى شرارة الحياة تحت التراب
جعلها الحب خالدة وأكثر حيوية
واحتراما ووهجا
ومن الحب بدأ شماع وجودها ،
ونمو قدرتها المجهولة
وشرارة الحب المقدس تجعل القلب
العذب شعلة من نور ، والقلب من
حجر الصبابة .
يزدهى ضمنا ، وينبت فيه نخل
الطور . »

الناس احترافهم التسول ، معطلين
بذلك قدراتهم التى وهبها الله لهم،
وقال في ذلك :

أيها الجانى من الليث الفراج
صرت كالثعلب خبا باحتياج
ذلك الاعسواز أصلك الطلح
كل أدوائك من ذا المفضل
من كنوز الدهر أخرج ما تريد
وخذ الصبء من دن الوجود
فهو يدعو الى القوة والكفاح ،
وينفر من وسائل الاحتياج التى
يلجأ اليها المتسولون ، ان التسول
في رأيه مرض يسلب الافكار
السامية ، ويطفىء الخيال الشريف،
وبالسؤال يصبح الفقر أشد حقارة
والفقر أشد فقرا ، انه يقول
« مهما كنت فقيرا وبائسا وغارقا
في المحن ، فلا تطلب خبز يومك من
احسان الناس ، اسأل الله الشجاعة
وصارع القدر ، تصم لمن يقبل منح
الآخرين ، ويحنى رقبتك للمطايا ،
لقد باع شرفه بدرهم بخس، وسعدا
للرجل الذى يقتله العطش في
الشمس ، ولا يتوق للاكسير في كوب
ماء انه مازال رجلا وليس قطعة
من طين . »

هم بها جديرون ، لان دينهم هو
مصدر السمو والرفعة ، ومنبع
المجد والعظمة ، وقد ألقت كتب
كثيرة بالأردية والانجليزية في
سيرته وفلسفته ، وكتبت مقالات
لا حصر لها في فضله وأثره ، وأما
آثاره فهي كثيرة ، تظهر في دواوينه
المتعددة ، التي كتبها باللغة الأردية
والفارسية ، والتي عرض العلامة
الندوي بعضها في كتابه الذي سبق
أن عرضته في المقال السابق بعنوان
« روائع اقبال » . وأشعاره تتضمن
أفكاره وآراءه ، وقد صاغها في
أساليب متعددة ، من بينها :
الأسلوب القصصي والتعليمي ،
ومن بينها : الوصف والشعر الغنائي
والوجداني .

يقول في قصيدة له يخاطب أمة
العرب ، وينمى عليها تصرفها مع
أنها أول أمة جاوزت حدود النسب
والوطن ، وآخت بين الناس ،
وهجرت كل غوى يتبع أبا لهب :

هل يسعد الكافر الهندي منطقه
مسائلا أمراء العرب في أدب
من أمة قبل كل الناس قد أخذت

وما أشبه هذا الحب بحب
الصوفية الذي يصهر أرواحهم في
بوتقته ، فينقى أرواحهم ويظهر
نفوسهم ، ويبرز حقيقتهم ،
فتتكف أمامهم حقائق الاثياء ،
ويبصرون مالا عين رأت ، ويدركون
مالا أذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر .

لقد كان اقبال صوفيا . ورث ذلك
عن أبيه ، واكتسبه من روحه الشفاف
ولا شك أن يكون لذلك أثره الذي
يحقق — كما يقول اقبال — معنى
خلافة الانسان لله في الارض ،
تحقيقا لقوله تعالى : « انى جاعل
في الارض خليفة » ولا يتم ذلك
الا اذا ربي الانسان ذاته عن
طريق التمرس بقوانين الدين ،
والسير على تعاليمه واحياء الضمير ،
والموازع الدينية الذي يحيى ميزان
المراقبة في نفسه ، فبذلك يصبح
الانسان سيد الكائنات .

أثر اقبال :

لقد أثر اقبال بأفكاره هذه
في نفوس المسلمين ، التي التفت
مع ما يتوقنون اليه ، من سمو ورفعة

لمضيت للتطواف حول ضريحها
 وغمرت بالقبلات طيب ثراها ••
 ولعله من حسن الختام أن نعرض
 نموذجاً آخر حول مطلع النور ميلاد
 الرسول صلى الله عليه وسلم قال
 فيه مترجماً بقلم الشيخ صاوى
 ثعلبان مترجم القصيدة السابقة :
 « يا ثروة وجودنا وكثر أمانينا •
 سل ربك أن ينقذ حياتنا من الحرص
 على الحياة ، فان الخوف على
 ضياعها هو الموت قبل الممات •
 « يا من هدمت أصنام اللات
 والعزى ومناة ، وألقيت بها جذاذا
 على الثرى وجددت حياة الكائنات
 بعد البلى •
 « في طريق الذكر والفكر معا
 في جميع الخلق من انس وجان
 « أشرق النور فكنت المظلمة
 يا صلاة الصبح يا صوت الأذان
 « لقد وجدنا صفة الاحتراق ونعيم
 الأثواق من جذوة لا اله الا الله
 وانقشع ظلام ليالينا بنورها •
 « لقد حررتنا بالسجود لله من
 السجود لمن عداء ، رأس مالنا
 ذكراك التي حفظت لهذه الامة على
 رغم فقرها ثروة العزة والكرامة •

بحكمة فأعانتها على النوب
 اخفاء كل تقى دون تفرقة
 وهجر كل غوى من أبى لهب
 ما من حدود وأرض كان منشؤها
 من أحمد العرب كانت أمة العرب

الشخصيات الاسلامية في شعره :

ومن المعانى التى صاغ اقبال
 حولها أشعاره الاسلامية ، غير
 تلك المعانى التى أشرنا اليها ، تمجيد
 الشخصيات الاسلامية ، ومن ذلك
 قصيدته فى السيدة فاطمة الزهراء
 - رضى الله عنها - التى يقول
 فيها :

نسب المسيح بنى لريم سيرة
 بقيت على طول المدى ذكراها
 والمجد يشرق من ثلاث مطالب
 فى مهد فاطمة فما أعلامها
 هى بنت من هى زوج من هى أم
 من • من ذايدانى فى الفخار أباهما ؟
 هى ومضة من نور عين المصطفى
 هادى الشعوب اذا تروم هواها

وفىها يقول :

لولا وقوف عند أمر المصطفى
 وحدود شرعته ونحن فداها

« أنت العلم الذي يهدي »

السالكين الى مقامات الصديق
والمنار الذي يمد كل ركب في
طريق الحق ، ولكن معذرة اذا بدت
تثارت خافته الرنين ، فقد ثقل
العزف على أوتارها ، وحتى لو
انطلق منها النغم فلم تعد تجد
سامعا أو مستجيبا .

« لو أن هذا المسلم تنبه الى
قيمة نفسه لاستطاع أن يخلق في
هذا العالم دنيا جديدة يتبوأ منها
حيث يشاء . »

« يا صاحب الرسالة أيقظ هذا
النائم ، وقل له : قم باذن الله
لتبحث في كيانه مرة أخرى روح

الحياة » .

رحم الله الشاعر العظيم اقبال
الذي طوف بشعره حول كثير من
المعاني ، وكانت له آراؤه في مختلف
مناحي الحياة ، وتوجيهاته التربوية
السليمة السديدة ، التي ظهر
بعضها في العرض السابق ، والتي
كان لها أثرها المشرق العظيم .

لقد كان مسلما حقا ، يشهد
بذلك أثره الخالد ، وذكره العاطرة ،
وتاريخه المشرق ، لقد كانت آخر
كلماته وهو يجود بنفسه ، « أنا
لا أهاب الموت . أنا مسلم أستقبله
الموت راضيا مسرورا » .

عبد الحفيظ فرغلي القرنى

أُخْرَافُ سُورَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ

فَلْيَكْتُبْ بِهَا اللَّهُ سُورَةَ شَمَانِصَ

- سورة محمد سورة مدنية وآياتها ٣٧ آية ، نزلت بعد سورة الحديد ولها اسمان : سورة محمد ، وسورة القتال •
- والقتال عنصر بارز في السورة ، بل هو موضوعها الرئيسي ، فقد نزلت بعد غزوة بدر وقبل غزوة الأحزاب • أي في الفترة الاولى من حياة المسلمين بالمدينة ، حيث كان المؤمنون يتعرضون لعنت المشركين ، وكيد المنافقين ، ودسائس اليهود •
- سورة محمد ويحتل عليه هو يشمل الآيات من ١ - ١٥ •
- القسم الثاني يفضح المنافقين ويكشف نفاقهم ، ويشمل الآيات من ١٦ - ٣٠ •
- القسم الثالث : دعوة المسلمين الى مواصلة الجهاد بالنفس والمال من الآية ٣١ - ٣٨ •
- ١ - التعريض على قتال المشركين
- تبدأ السورة بالهجوم على المشركين وتبين هلاكهم وضياعهم وضلالهم ، لقد سلب الله عنهم الهدى والتوفيق ، فاتبعوا الباطل وانصرفوا الى الضلال اما المؤمنون فقد آمنوا بالله وبرسوله فكفر الله ذنوبهم ورزقهم صلاح

عناصر السورة

يمكن ان نقسم سورة محمد الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : يحرض على

البال وهدوء النفس ونعمة الرضا واليقين •
تنتهى الحرب بين الاسلام وأعدائه المناوئين له •

ولو شاء الله لانتقم من المشركين وأهلكهم كما أهلك من سبقهم بالطوفان والصيحة والريح العقيم ، ولكن الله أراد ان يختبر قوة المؤمنين وأن يجعلهم سبيلا لأعزاز الدين وأهلك الكافرين ، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضيع أعمالهم فهم شهداء عند الله يتمتعون بجنان خالدة ونعيم مقيم وأرواحهم في حواصل طير خضر تسبح حول الجنة وتأكل من ثمارها وتقيم في ألوان النسيم • وقد وعد الله الشهداء بحسن المثوبة والكرامة والهداية وملاح البال ودخول الجنة لأنهم نصرنا دين الله فسينصرهم الله ويثبت أقدامهم ، كما توعد الكافرين باللعنة والضلال والهلاك جزاء كفرهم وعنادهم •

وتسوق السورة ألوانا من التهديد للمشركين فتأمرهم أن يسيروا في الأرض فينظروا ماذا أصاب المكذبين من الهلاك والدمار ثم تفضى السورة في ألوان من

وشتان بين مؤمن واسخ الايمان صادق اليقين معتمد على رب كريم حلیم وبين كافر ضال يبيع الحق ويشترى الباطل ويفرط في الايمان والهدى ، ويتبع الشرك والضلال •

ثم تحت السورة المسلمين على قتال المشركين ، وقطع شوكتهم وهدم جبروتهم ، وازالة قوتهم من طريق المسلمين • (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) وهذا الضرب بعد عرض الاسلام عليهم وابائهم له ، (حتى اذا اخفتموهم فشدوا الوثاق) والاثخان شدة التقتيل حتى تتحطم قوة العدو وتتهوى فلا تعود به قدرة على هجوم أو دفاع وعندئذ يؤسر من استأسر ويشد وثاقه (فاما من بعد واما فداء) أى اما أن يطلق سراحهم بعد ذلك بلا مقابل واما ان يطلق سراحهم مقابل فدية من مال أو عمل أو في نظير اطلاق سراح المسلمين المأسورين • (حتى تضع الحرب أوزارها) حتى

على بينة من ربه كمن زين له
سوء عمله واتبعوا أهواءهم) •

كما تصف الآيات متاع المؤمنين
في الجنة بشتى الاثيرة الشهية ،
من ماء غير آسن ، ولبن لم يتغير
طعمه ، وخمر لذة للشاربين وعسل
مصلح ، في وفر وفير . . في
سورة أنهار جارية . . ذلك مع
شتى الثمرات ومع المغفرة
والرضوان ثم سؤال : أهؤلاء
المتتمتعين بالجنة والرضوان « كمن
هو خالد في النار وسقوا ماء حميما
فقطع أمعاءهم ١ » •

٢ - خصال المنافقين

تشمل الآيات من ١٦ - ٣٠
المقطع الثاني من سورة محمد •
وفيها حديث عن المنافقين وصفاتهم
وحركة النفاق حركة مدنية لم يكن
لها وجود في مكة نظرا لضعف
المسلمين في مكة وتفوق أعدائهم •
ولما هاجر المسلمون إلى المدينة
وبدأ شأن الإسلام في الظهور
والاستعلاء ، بدأت حركة النفاق
في الظهور والنمو وساعدها على

الحديث حول الكفر والإيمان
فتصف المؤمنين بأنهم في ولاية الله
ورعايته والكفار محرومون من هذه
الولاية •

وتفرد السورة بين متاع المؤمن
بالطيبات ، وتمتع الكافرين بلذائد
الأرض ، كالحيوانات (أن الله
يدخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها
الأنهار ، والذين كفروا يتمتعون
وياكلون كما تاكل الأنعام والنار
منوى لهم) محمد / ١٢ •

ان الفارق الرئيسي بين الانسان
والحيوان ان للانسان ارادة وهدفا
وتصورا خاصا للحياة يقوم على
أصولها الصحيحة المتلقاة من الله
خالق الحياة • فاذا فقد هذا فقد
أهم خصائص الانسان المميّزة
لجنسه ، وأهم المزايا التي من
أجلها كرمه الله •

ثم تضي السورة في سلسلة
من الموازنات بين المؤمن المتيقن
والكافر الذي اتبع هواه وشيطانه
وزين له سوء العمل (أفمن كان

اليهود يعمل بأمرهم ، وينفذ كيدهم ومكرهم ، فمن هؤلاء المنافقين من يستمع الى النبي بأذنه ويخيب عنه بوعيه وقلبه ، فاذا خرج من مجلس النبي تظاهر بالحرص على الدين ، فسأل الصحابة عما قاله النبي سؤال سخريه واستهزاء أو سؤال تظاهر ورياء .

أولئك المنافقون قد طمس الله على أفئدتهم فلا تفقه ، وقد اتبعوا أهواءهم فقادهم الهوى الى الهلاك .

بينما المتقون المهتدون يزيدهم الله هدى ويمنحهم التقوى والرشاد ، ثم يتهدد القرآن المنافقين بالساعة ، فاذا جاءت فلا يملكون الهـداة ولا تنفعهم الندامة .

(فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فاني لهم اذا جاءتهم ذكراهم) محمد / ١٨ .

ثم تصور الايات جبن المنافقين واهمهم وتهافتهم اذا ووجهوا بالقرآن يكلفهم بالقتال ، فهم

الظهور وجود اليهود في المدينة ولهم قوة مادية وفكرية ، وكراهيتهم للدين الجديد ، وسرعان ما اجتمع اليهود مع المنافقين على هدف واحد ، ودبروا أمرهم بليل ، فآخذ المنافقون في حبك المؤامرات ودس الدسائس في كل مناسبة تعرض ، فان كان المسلمون في شدة ظهوروا بعدائهم وجهروا ببغضائهم ، واذا كانوا في رخاء ظلت الدسائس سرية والمكايد في الظلام ، وكانوا الى منتصف العهد المدني يؤلفون خطرا حقيقيا على الاسلام والمسلمين . وقد تواتر ذكر المنافقين ووصف دسائسهم والتدديد بمؤامراتهم وأخلاقهم في السور المدنية ، كما تكرر ذكر اتصاليهم باليهود وتلقيهم عنهم ، واشترائهم منهم في بعض المؤامرات المحبوكـة .

والحديث عن المنافقين في سورة محمد يحمل فكرتها ويصور شحنتها في مواجهة المشركين والمنافقين . بل ان المنافقين هم فرع من الكافرين ، أظهروا الملاينة وأبطنوا الكفر والخداع . أو هم فرع من

عليه ، فلما هاجر النبي الى المدينة شنوا عليه حرب الدس والمكر والكيد ، وانضم المنافقون لليهود يقولون لهم سرا : (سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم) .

ثم يتهدد القرآن المنافقين ، بملائكة العذاب لانهم تركوا طريق الاسلام ، وانضموا الى دسائس الحاقدين عليه .

وفي نهاية المقطع يتهددهم بكشف أمرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين الذين يعيشون بينهم متخفين ، لان ما فيك يظهر على فيك .

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم .

قال تعالى : (ام حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ؟ ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم)

محمد / ٢٩ و ٣٠ .

٣ - حديث من المشركين والمؤمنين

المقطع الاخير من السورة يشمل الآيات ٣٢ - ٣٨ ، وقد تحدث في

يتظاهرون بالايمان ، فإذا انفزلت سورة لانتسابه فيها وذكر فيها الجهاد رأيت المنافقين ينظرون اليك يا محمد نظرا كخطر من هو في الفزع الاخير ، تشخص أبصارهم ، لذلك كانوا جديرين بأن يهددهم الله بالويل والهلاك .

وتحثهم الايات على الطاعة والصدق والثبات (فاولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) محمد / ٢١ .

وبذلك يفتح القرآن الباب من يريد الطهارة الحسية والنفسية من المنافقين ومن جميع المخاطبين .

ثم يحثهم على تدبر القرآن وتأمله فان القرآن يهرك المشاعر ويسعجش القلوب ويخلص الضمير .

وتمضي الآيات في تصوير حال المنافقين ، وبيان سبب توليهم عن الايمان بعد اذ شارفوه ، فيثبتين أنه تأمرهم مع اليهود ، ووعدهم لهم بالطاعة فيما يدبرون .

لقد كره اليهود الاسلام وتألبوا

عميقا في نفوس المسلمين الصادقين
فارتعشت له قلوبهم وخافوا أن
يقع منهم ما يبطل أعمالهم ويذهب
بصناعاتهم •

وتستمر الآيات في خطاب
'بؤمنين' ، تدعوهم الى مواصلة
الجهاد بالنفس والمال دون تراخ أو
دعوة الى مهادنة الكفر المعتدى
الظالم ، تحت أى مؤثر من ضعف
أو مراعاة قرابة أو رعاية مصلحة
ودون بخل بالمال الذى لا يكلفهم
الله أن ينفقوا منه الا فى حدود
مستطاعة • مراعى الشح الفطرى
فى النفوس • وإذا لم ينهضوا
بتكاليف هذه الدعوة فإن الله
يحرّمهم كرامة حملها والانتداب لها
ويستبدل بهم قوما غيرهم ،
ينهضون بتكاليفها ، ويمرغون
قدرها ، وهو تهديد غنيق مخيف
يناسب جو السورة كما يشير بأنه
كان علاجا لحالات نفسية قائمة فى
صفوف المسلمين اذ ذاك — من غير
المنافقين — وذلك الى جانب حالات
انتفاني والتجرد والشجاعة والفداء
التي اشتهرت بها الروايات ، فقد
كان فى الجماعة المسلمة هؤلاء

بدايته عن المشركين وبين أنهم
منعوا الناس عن الايمان بالله ،
وأعلنوا الشقاق والعداوة لرسول
الله ، وهؤلاء لن يضروا الله
بكفرهم ، وسيحبط الله أعمالهم •

وتتجه الآيات الى المؤمنين
فتأمرهم بطاعة الله وطاعة الرسول
وتأمرهم بالثبات على الحق حتى
يأتى نصر الله •

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا
أعمالكم) محمد/ ٣٣ •

وهذا التوجيه يوحى بأنه كان
فى الجماعة المسلمة يومئذ من
لا يتحرى الطاعة الكاملة ، أو من
تثقل عليه بعض التكاليف ، وتشق
عليه بعض التضحيات التى
يقتضيها جهاد هذه الطوائف القوية
المختلفة التى تقف للإسلام ،
وتناوشه من كل جانب ، والتى
تربطها بالمسلمين مصالح ووشائج
قربى يصعب قصصها والتخلّى عنها
نهائيا كما تقتضى العقيدة ذلك •

ولقد كان وقع هذا التوجيه غنيما

وهؤلاء .. وكان القرآن يعالج ويربى لينهض بالمتخلفين الى المستوى العالى الكريم .

مقصود السورة اجمالاً

قال الفيروزى : معظم مقصود سورة محمد :

« الشكاية من الكفار في اعراضهم عن الحق ، وذكر آداب الحرب والاسرى وحكمهم ، والأمر بالانصرة والايمان ، وابتلاء الكفار

في العذاب ، وذكر انهيار الجنة : من ماء ولبن وخمر وعسل ، وذكر طعام الكفار وشرابهم ، وظهور علامة القيامة ، والشسكاية من المنافقين ، وتفصيل ذميمة خصالهم ، وأمر المؤمنين بالطاعة والاحسان وذم البخل في الاتفاق وبيان استغناء الحق تعالى ومفسر الخلق في قوله تعالى (والله الغنى وأنتم الفقراء) « (١) .

د : عبد الله محمود شحاته

(١) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/٣٠ تحقيق النجار ، نشر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية . مطابع شركة الاعلانات الشرقية ١٩٦٤ م .

التنمية

أحد ضوابط منهج الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي

للدكتور رفعت العريضي

تحقيق التنمية هو أحد ضوابط المنهج الإسلامي في الاستثمار .
ويعالج هذا الضابط ما يتعلق بالتنمية . وننقسم إلى البداية
ماذا يعنى الضابط ؟

التي يستخدمها الإسلام في منهجه
للاستثمار لتحقيق التنمية ؟
للإجابة على هذا التساؤل ، سوف
أناقش أربعة عناصر أو أربع
أدوات أعتقد أنها تمثل أدوات
استخدامها الإسلام لتحقيق
التنمية في منهجه لاستثمار رأس
المال : هي :

١ - الالتزام بالتشغيل الكامل
لرأس المال .

٢ - الالتزام بأن يغطي
الاستثمار الأنشطة الاقتصادية
الضرورية للمجتمع .

٣ - الالتزام بأن يكون أسلوب

أن المقصود بهذا الضابط هو أن
الإسلام يستهدف في منهجه
للاستثمار تحقيق التنمية ولا أريد
أن أدخل في المناقشة التي تثار
دائما عن الفرق بين التنمية
والنمو ، وإن كنت أشير إلى
أننى استخدمت مصطلح التنمية
ولم أستخدم مصطلح النمو ،
كأحد ضوابط المنهج الإسلامي في
الاستثمار ، لأن التنمية المقصودة
إسلاميا هي أكبر من مجرد زيادة
دخل الفرد في المتوسط ، وهو
المعنى الذي يفسر به عادة مصطلح
النمو .

نتساءل مرة أخرى عن الأدوات

التنظيم الاسلامي للملكية تكشف عن أن الاسلام يستهدف بهذا الشكل أن يكون هذا التنظيم يعمل كأداة لتحقيق التنمية (١) .

ويعد أيضا من هذه الأدوات توزيع المنهج الاسلامي ، لذلك أن للاسلام منهج متميز في التوزيع ، وتكشف الدراسة أن هذا المنهج بهذا الشكل يستهدف ضمن ما يستهدف تحقيق التنمية (٢) .

وبسبب أن دراستنا هنا تتجه الى الكشف عن المنهج الاسلامي للاستثمار ، واذن فإن الدراسة الكاملة لأدوات تحقيق التنمية في المنهج الاسلامي لا تكون موضوعنا المستهدف .

لذلك لن أعرض لكل هذه الأدوات ، وإنما سوف تقتصر الدراسة على عرض أدوات تحقيق التنمية في المنهج الاسلامي التي تدخل في دراسة المنهج

مشاركة رأس المال كأحد عوامل الانتاج الأخرى يستهدف الانتاج وليس مجرد الحصول على دخل .

٤ - الالتزام بأن يستهدف استثمار رأس المال تنمية العنصر البشري .

هذه هي العناصر الأربعة ، أو بمعنى آخر الأدوات الأربع التي اعتقد أن الاسلام يستهدف بها تحقيق التنمية من خلال منهجه لاستثمار رأس المال .

أود أن أشير قبل عرض هذه الأدوات الى أن الأدوات التي يستخدمها الاسلام لتحقيق التنمية في منهج الاستثمار ، لا يقتصر على هذه الأدوات الأربع وحدها .

وانما هناك أدوات أخرى كثيرة غير هذه الأدوات الأربع تستخدم لتحقيق التنمية وفق المنهج الاسلامي ، من هذه الادوات الملكية ، ذلك أن دراسة

(١) يمكن الرجوع في هذا الموضوع الى رسالتي للماجستير السابق الإشارة إليها والمنشورة تحت عنوان : نظرية التوزيع في الاقتصاد الاسلامي ، مجمع البحوث الاسلامية الفصل الثامن ، ص ٢٩٧ - ٣٢٢ .
(٢) يرجع الى رسالتي للماجستير السابق الإشارة إليها .

لأنفسكم غزوقوا ما كنتم تكزون»
سورة التوبة الآيتان ٣٤ ، ٣٥ •

أريد أن أجذب الانتباه في هذا الدليل الى السياق الذى وضع فيه تأميم الاكتناز من حيث أنه قرن بالصد عن سبيل الله وأكل أموال الناس بالباطل ، وما يشير اليه بصفة خاصة قرن تأميم الاكتناز بكل أموال الناس بالباطل وما يتضمنه من حقوق للجماعة على المال الخاص بحيث أن كثره يقرن بكل أموال الناس بالباطل والمعنى الذى أريد أن أقف عنده أكثر هو المعنى الذى يستنتج من تأميم الاسلام للاكتناز فى علاقته بالتشغيل الكامل لرأس المال • ان الاكتناز هو جزء الادخار الذى لم يوجه الى الاستثمار • واذا التزم المسلم التزاما اسلاميا صحيحا بالمنهج الاسلامى ، ومن هذا المنهج تأميم الاكتناز ، فسوف يوجه كل ادخاراته التى هى جزء الدخل الذى يفيض عن الاستهلاك ، سوف يوجهه الى الاستثمار • معنى ذلك

الاسلامى للاستثمار • وهى الادوات الأربع التى سبق تحديدها ، والتى نتناولها الآن بالمناقشة •

الأداة الأولى الالتزام بالتشغيل الكامل لرأس المال

أعنى بالتشغيل الكامل لرأس المال فى هذا الصدد أن الاسلام يلزم ضمن منهجه لاستثمار رأس المال أن يوجه الى الانتاج ، وأن يوضع فى خدمة المجتمع الاسلامى جميع وحدات رأس المال ، ويتضمن هذا الا تكون أية وحدة من وحدات رأس المال عاطلة ، أى لا تعمل فى دائرة النشاط الاقتصادى المشروع • والدليل الذى استند اليه فى هذا هو قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاخبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم

من هذه الاهداف : استخدام
حصيلة الزكاة في تنمية العنصر
البشرى في المجتمع وذلك
بتوفيرها حدا أدنى من الدخل
لصاحب الحاجة .

ومن هذه الاهداف أيضا تقليل
حدة التفاوت الداخلى بين أفراد
المجتمع الاسلامى . وبمعنى آخر
أن الزكاة تمثل أحد الأدوات
المستخدمة في اعادة التوزيع في
النظرية الاقتصادية الاسلامية .
وهناك اهداف أخرى كثيرة للزكاة
يمكن البحث عنها والرجوع اليها في
الكتب المختصة لدراسة الزكاة .
كما أن الزكاة تستهدف أيضا هدفا
معنويا له أهميته في المجتمع هذا
الهدف هو خلق نوع من الترابط
والتماسك والاحساس الجماعى
المشترك ، ماديا ومعنويا بين أفراد
الجماعة الاسلامية . هذه هي
بعض الاهداف الرئيسية للزكاة ،
أما علاقة فريضة الزكاة بالالزام
بالتشغيل الكامل لرأس المال فهي
نوع من أنواع الاستلزام ، أى
الأمر الذى يترتب بالضرورة على
أمر آخر .

أنه وفق المنهج الاسلامى لا توجد
رؤوس أمواله مكتنزة ، أى عاطلة .
هناك دليل آخر يستدل به على
الالزام بالتشغيل الكامل لرأس
المال وهذا الدليل يتعلق بالزكاة .
ان الزكاة يمكن أن ينظر اليها من
أن توجه كل رؤوس الاموال الى
التشغيل ، والا تبقى عاطلة .
وتستند وجهة النظر هذه الى
تحليل طبيعة الزكاة والتي يشير
اليها القول المأثور (اتجروا بمال
اليتيم حتى لا تاكله الصدقة) .
يعنى هذا أن بقاء رأس المال
عاطلا وعدم تشغيله في النشاط
الانتاجى مع استمرار فرض
الزكاة عليه يجعل رأس المال
ينفذ وأريد أن أوضح رأى في
علاقة الزكاة بالالزام بالتشغيل
الكامل لرأس المال ، ذلك أنه وان
كنت أرى أنه يمكن استنتاج علاقة
بين فرض الزكاة والالزام بالتشغيل
الكامل لرأس المال الا أنه تكملة
لرأى ، لا أعتقد أن هذه العلاقة
هى أحد الاهداف الرئيسية
للزكاة . إذ أن للزكاة أهدافا
اقتصادية أخرى أقوى وأوضح

الكامل لرأس المال بربط هذا الالتزام بهدف التنمية . وقوله الرسول (ص) : الأمن ولى يتيما فليتجر بماله حتى لا تأكله الصدقة هو واضح في هذا الربط . ذلك أن المقابل لتعطيل المال حسب هذا النص الاتجار به . والاتجار هو مصطلح يكتى به عن تشغيل رأس المال في النشاط الانتاجي . سواء أكان انتاجا ماديا أم انتاجا خدميا .

وربط كذلك الآية التي سبق الاستدلال بها وهي آية تحريم وتأثيم الاكتناز بين الالتزام بتشغيل رأس المال وبين التنمية ، ذلك أنها تربط بين اكتناز الأموال وبين منع انفاقها في سبيل الله . ويمثل الانفاق في سبيل استثمار في تنمية العنصر البشري ، أو ما تسمى اقتصاديا بالموارد البشرية . كنتيجة ان الاسلام يجعل ضمن

إذا قارنا بين المنهج الاسلامي للاستثمار وبين المناهج الاقتصادية الوضعية فما يتملق بالالتزام بالتشغيل الكامل لرأس المال نجد أن للمنهج الاسلامي تميزه وذاتية المستقلة في هذا الصدد . وذلك أننا نعرف كاقتمصاديين أن ضرورة المساواة بين الادخار والاستثمار، وهي الفكرة ذات الاهمية الاقتصادية ، هي فكرة يربطها الاقتصاديون بالدورة التجارية . ومصطلح الدورة التجارية هو ما سبق أن قربناه للقارىء العادى غير المتخصص في الاقتصاد بمصطلح الأزمة الاقتصادية . وهكذا يكون التشغيل الكامل لرأس المال وان استهدف في المناهج الاقتصادية الوضعية الا أنه لا يستهدف كأداة في المنهج الاستثمارى بقصد تحقيق التنمية في المقابل ، ان الاقتصاد الاسلامى وهو يفرض ويلزم بالتشغيل

يمثل الالتزام بأن يغطى الاستثمار الأنشطة الاقتصادية الضرورية للمجتمع الاداة الثانية التى استخدمها الاسلام لتحقيق التنمية كأحد ضوابط المنهج الاسلامى في الاستثمار . ويمكن الاستدلال على هذا النوع من الأدوات بالحكم الاسلامى .

يقم أحد بهذا الاستثمار ، مع وجود القادرين عليه ، فإن المسؤولية تظل واقعة على جميع المسلمين . واعتقد أن الشيخ محمود شلتوت قد استند إلى هذا حين قال : (إذ كان من قضايا العقل والدين أن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وكانت عزة الجماعة الإسلامية أول ما يوجب الإسلام على أهله ، وكانت متوقفة على العمدة الثلاثة : الزراعة والصناعة والتجارة ، كانت هذه العمدة واجبة ، وكان تقسيقها على الوجه الذي يحقق خير الأمة واجبا (١) .

أريد أن أشير إلى أهمية هذا النوع الفريد من الأحكام في الإسلام وهو فرض الكفاية . وأكد اعتقد أنه حكم قصيد به مواجهة ضروريات سوف تواجه المجتمع الإسلامي . كما أريد أن أشير أيضا إلى أننا تعلقنا بهذا الحكم طويلا من خلال تطبيقاته

ضوابطه لاستثمار رأس المال التكمية . ومن الأدوات التي يستخدمها لتحقيق ذلك : الالتزام بالتشغيل الكامل لرأس المال .
الأداة الثانية : الالتزام بأن يغطي الاستثمار الأنشطة الاقتصادية الضرورية للمجتمع المعروف : فرض الكفاية . ويعنى هذا المصطلح أن القيام بما يلزم للجماعة الإسلامية يكون فرض كفاية : إذا قام به البعض سقط الاثم عن الباقين . وبتطبيق هذا النوع من الأحكام على النشاط الاقتصادي نستنتج أنه إذا كان هناك نشاط اقتصادي مشروع يلزم للجماعة الإسلامية كضرورة يكون القيام به أي تنفيذه وتوجيه الاستثمارات إليه فرض كفاية على جميع المسلمين ككل . إذا قام بهذا الاستثمار يعض أفراد المجتمع الإسلامي ، فإن هذا يكفي وتسقط المسؤولية عن باقي أفراد الجماعة الإسلامية . وفي المقابل ، إذا لم

(١) نقلا عن د . محمد عبد الله العربي « استثمار الأموال في الإسلام » المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ ، ص ١٣٠ .

الاسلامية يكون الاستثمار أعلا ربحيه حين يوجه الى النشاط الاقتصادي الأكثر ضرورة من وجهة النظر الاسلامية . وإذا كنا كاقصاديين ننتقد باستمرار توجيه الاستثمارات في البلاد الاسلامية الى انتاج السلع للترفيه مثل السيارات ودور اللهو والسلع المشايعة واهمال انتاج السلع الضرورية ، ونذكره على أنه أحد أسباب استمرار تخلف هذه المجموعة من البلاد ، فإن الالزام بهذه الأداة الاسلامية ، التي تعنى ضرورة توجيه الاستثمارات الى أوجه النشاط الاقتصادي الضرورية واللازمة للمجتمع ، سوف يقضى على التخلف الاقتصادي المسبب عن هذا الخلل التوجيهي للاستثمارات . وأيضا يعنى ذلك أن الاستثمارات سوف تغطي كل ما يلزم للجماعة الاسلامية .

ومرة أخرى ، ماذا يعنى هذا اقتصاديا ؟ يعنى ذلك أننا كاقصاديين ننتقد دائما في البلاد المتخلفة ما نسميه بتضخم

في العبادات ، كما انه ارتبط بفكرنا من حيث ربطه بحالات من الجهاد . والآن وأمام تحديات كثيرة ومعقدة تواجه العالم الاسلامي ، هي في غالبيتها اقتصادية ، يجب أن نربط هذا الحكم الهام بمثل هذا النشاط . أن فرض الكفاية كأحد الاحكام الاسلامية هو فرض ليس له نظر في التشريعات الوضعية ، سواء منها ما تعلق بالاقتصاد أم بغير الاقتصاد . وهو فرض فريد من حيث تكييفه القانوني .

ماذا تعنى هذه الاداة ، أى الالزام بتغطية كل الأنشطة الاقتصادية اللازمة للمجتمع من وجهة النظر الاقتصادية ؟ يعنى هذا ببساطة أن الاستثمارات سوف توجه الى الأنشطة الضرورية للمجتمع الاسلامي ، ولن ترتبط بمقيار الربح بمفهوم المادى والأمانى في الاقتصاد الذى يعرف الربح بأنه العائد النقدي من الاستثمار . ويكون الاستثمار أعلا ربحية حين يحقق أكبر عائد نقدي . لكن من وجهة النظر

فإننا بهذا نقضى على سبب تخلف العالم الاسلامى الناتج عن اهمال ذلك .

نستنتج أن الالتزام بأن يغطى الاستثمارات كل الأنشطة الضرورية للمجتمع الاسلامى على مستوى العالم الاسلامى ككل ، يمثل هذا الالتزام أحد أبعاد التنمية بمفهومها الحديث فى الاقتصاد . وهكذا ، يكون هذا الالتزام هو أحد الأدوات الاسلامية المستخدمة لتحقيق التنمية . والتنمية بدورها وفق التصنيف الذى اقترحته هى أحد ضوابط المنهج الاسلامى للاستثمار .

دكتور رفعت موسى

الاستثمارات أو بنية الاستثمارات فى بعض الأنشطة الاقتصادية أو بعض المناطق الاقتصادية ، بينما يكون هناك فى المقابل الجوع للاستثمارات وشدة الحاجة اليها فى أنشطة أخرى أو مناطق أخرى . ويمكن أن نعطي كثيرا من الأمثلة: تركيز الاستثمارات فى كل عواصم البلاد الاسلامية هى ظاهرة منتشرة يقابل ذلك اهمال خطير للمناطق الأخرى البعيدة عن العواصم ، كما أنه على مستوى العالم الاسلامى المتحد ، وحيث نتعلق بهذه الوحدة ، هناك سوء توزيع استثمارات . وهكذا ، اذا وضعنا موضع التطبيق هذه الاداة الاسلامية فى الاستثمارات وهى تغطية كل أوجه النشاط الاقتصادى الضرورى للمجتمع الاسلامى ،

فلسفة الحضارة الإسلامية

للمؤلف: د. أحمد عبد الرحيم السامح

الإنسان ، وركب فيه ماركب ، من قوى الإدراك والعمل ، لحكم سامية .. منها : ليكون خليفة في الأرض ، يعمل على اصلاحها ، واتساع عمراتها ، واظهار أسرار خالق الكون فيها ، وتدعيم أوامر الخير ، واقرار السعادة ، في جميع أرجائها .

وقد أرشد الى هذه الحكمة كثير من آيات القرآن .. منها قوله تعالى ، في سورة البقرة ، وهو يحدث عن مبدأ خلق الإنسان : «واذا قال ربك للملائكة ائني جاعل في الأرض خليفة قالوا : اتجعل

نم يخلق الله ، سبحانه وتعالى ، الإنسان ، في هذا الكون .. ليعبث أو يلهو ، أو يلعب .. أو ليطنى بقوته وجبروته ، أو ليعيش في أحضان الجهل والاتكالية ، والاستجداء ..

قال تعالى في سورة «المؤمنون» : **انفسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم اليها لا ترجعون (١)** .. وقال تعالى في سورة الملك : «تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور ..» وانما خلق الله سبحانه وتعالى ،

الكون واحضاعه له في التفكير والتصريف . فلا سبيل الى قيام الانسان بهذه المهمة ، وتحقيق تلك الحكم الا بالعلم والمعرفة والعمل .

ولم يكتف الاسلام بهذا .. بل فتح مجال العلم ، للعقل الانساني ، وتعدى به أسوار الطبيعة وتغلغل به في أسرار الحياة .. قال تعالى في سورة عبس « فلينظر الانسان الى طعامه ، انا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فانبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا ، وفاكهة وابا ، متاعا لكم ولانعامكم » (٢) .

وقال تعالى : في سورة الطارق : « فلينظر الانسان هم خلق ؟ خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب » .. وقال تعالى في سورة الحجر : « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما انتم له بخازنين » .

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : انى اعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الاسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم باسمائهم . فلما انباهم باسمائهم قال : ألم اقل لكم : انى اعلم غيب السموات والأرض ، واعلم ما تبذرون وما كنتم تكتمون » (١) .

فهذه الآيات توحى بأن العلم أساس الحياة ، وسر النجاح ، فالخلافة في الأرض والسيطرة عليها ، وتسخير ما فيها ، واستغلال خيراتها ، وثمراتها وطيباتها أساس ذلك كله العلم لا غيره ..

واذا كانت هذه هي مهمة الانسان في الحياة ، وهي حكمة خلقه ، وحكمة الانعام عليه ، بقوى العلم والعمل ، وحكمة تسخير

(١) البقرة : ٣٠ - ٣٣

(٢) آية ٢٢

الانسانية وفي الأسباب والمسببات،
والمقدمات والنتائج ، والعلة
والمعلول .

فكان بهذا مصباحاً أصاء الدنيا
وأناز أفق الانسانية ، وأشرق
بالمعرفة الصحيحة .

والباحث المنصف يرى أن
الاسلام في وثيقته : تلك ، قد وضع
أسس المعرفة التي تهدي الانسان
الى الخير . .

والمعرفة في الاسلام ، لا تقوم
على نظرية تحتاج الى حراسة
وتأمل وانما على اساس التعادل
بين الكم والكيف ، وبين المادة
والروح ، وبين الغاية والسبب ،
وبين الدنيا والآخرة . . فلا افراط
ولا تفريط ، لقد ربط الاسلام بين
الحواس المرهفة ، وبين العقل
الباحث المنظم والوجدان النقي ،
وكل ما جاء في القرآن في الحث على
التفكير ، دليل على مكانة العقل ،
والعلم ، والمعرفة في نظر الاسلام .

اذ العقل آلة التفكير ، والعلم
ثمرة التفكير . فكل ما ورد في

هذه الآيات وما جرى مجراها ،
قد فتحت للعقل الانساني ، آفاق ،
الكون وبينت له طريق التأمل
والمشاهدة والتفكير ، في ملكوت
السموات والارض ، لاستتباط
الحقائق ، وما يفيد المجتمع
الانساني ويعود عليه بالنفع والأمن
.. وتلك دعوة صريحة الى العلم ،
حظيت بها الانسانية ، منذ أربعة
عشر قرناً من الزمان ، دعوة صريحة
صادقة الى اتباع الاسلوب
العلمي والمنهج القائم على التكامل
والصدق والاخلاص . .

والاسلام قد وثب بالمسلمين
وثبة هائلة . وهذه الوثبة الهائلة
كانت على أثر اشباع القرآن
الكريم ، في جنبات الدنيا
والانسانية فانارهما بعد ظلمة ،
وهدي الانسانية بعد حيرة ،
ونظمها بعد اضطراب ، وفتق
أذهان أبنائها بعد ارتقاق ، وأزال
الأصفاة والقيود التي كانت تقف
حجر عثرة أمام الفكر .

وكان من ذلك أن نبه على وجوب
النظر في الكون العام ، وفي النفس

واستطاعت هذه التوجيهات أن تمكن المسلمين ، من الاستفادة ، من تلك الدرة الالهية ، التي منحها الله للإنسان ، وهي العقل . فمنته ، وجعلته يمارس الوظيفة الأساسية التي خلق من أجلها . حتى كانت للمسلمين حضارة وعلوم ومخترعات حضارية عالمية لن ينسى التاريخ دورها في تحويل مجرى الانسانية ، ولن تنسى الانسانية دور المسلمين في بناء الحضارة ، بأصالة وعمق وفاعلية ..

كانت هناك تشريعات ، وفلسفة ، وقوانين ، وطب ، وفلك ، وأدب ، واجتماع ، ورياضيات ، وتاريخ ، وجغرافيا ، وغنون جميلة ، وآداب للسلوك والاجتماع ..

وكان لكل هذه العلوم والفلسفات ، أساتذة عابرة ، كائنة الحديث ، ورجال الفقه الذين ضبطوا أساليب النقد ، وقعدوا قواعد التشريع ..

وفوق هذا وذاك .. فقد كان المسلمون هم واضعو طرق البحث العلمى التجريبي الذى كان أساسا للحضارة الأوروبية الحديثة ، ويكفى

القرآن ، حثا على التفكير ، وهو اعلان عن فضل العقل ، وإيحاء بالعمل على تربيته وتقويته ، وهو فى الوقت ذاته تسجيل لفضل العلم .. حتى يتمكن الانسان من الحقائق ، وتزول عنه غشاوة الجهل ، ويتحرر من رق الاوهام ، والخرافات والاساطير التي لا صلة لها بواقع الحياة .

وبهذا كان الاسلام دين الفكر ، والعقل ، والعلم .. وقد ارتفع القرآن بالعقل وقدره حق التقدير ، وجعله ميزة الانسان . قال تعالى : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها » ١٠

وبناء على التوجيهات القرآنية ، للناس بالنظر والدراسة .. انطلق المسلمون يدرسون ويبحثون ، ويقارنون ، ويخربلون ، ويقعدون القواعد ، ويؤصلون الاصول .

ولقد اشتملت توجيهات القرآن العقلية ، على أصول ومبادئ عامة صلحت لان تكون منهجا فكريا سليما ، حدد به المسلمون موقفهم من مشاكل الكون والحياة .

كل هذا كان بفعل الاتجاهات العقلية التي غرسها الإسلام ، والتي أدت الى تنمية القوى العقلية الكامنة في الانسان ، والتي جعلت من المسلمين أساتذة للعلوم وكانت بعوث الأمم ، تفد على العواصم الاسلامية من كل ناحية فيأخذون عن علمائها ماشعوا من أفانين العلوم . وألوان المعرفة ثم يعودون الى بلادهم حاملين اليها مشاعل هذه العلوم التي نفخت فيهم روح الحياة ، وفتحت لهم طريق الانتفاع بأصول عظيمين من أصولك الاصلاح الاسلامي . وهما :

حرية الفكر .. واستقلال الادارة .. فلم تنهض العقول للبحث ، ولم تتحرك النفوس للعمل .. الا بعد أن عرفت أن لها حقا في طلب الحقائق .

ولقد تلمست أوروبا حضارة المسلمين العلمية .. فاستقت من روافدها المعرفة ، والفلك والجبر ، والهندسة ، والكيمياء ، والطب ، والفلسفة ، وعلوم النبات ،

في هذا أن نستشهد باعتراف العلامة (بريفولت) : « ان الاوربيين درسوا عن العرب طرق البحث العلمي التجريبي وانه لم يسبقهم اليها باحث أو مفكر » .

تلقى المسلمون هذه الينابيع من مصادرها الأصلية ، واستقرت دعائمها في نفوسهم ، فكانت الرائد الأمين للعقول والافهام ، والغذاء الروحي للفرائض والمواهب . وهذه الينابيع طبعت الناس على استقلال الارادة ، وحرية الفكر ، كما كرمت اليهم التقليد والتبعية العمياء ، ووجهت المقول للبحث والانتاج .. وفتحت لهم ميادين العلوم والفنون .. فأقبلوا عليها سراعا .. ودخلوها من كل باب . وبهذه النهضة العلمية الجبارة استطاع المسلمون في سرعة لم يعرف التاريخ لها مثيلا . أن ينتقلوا الى القيادة الفكرية العالمية ويمسحوا أساتذة الدنيا ، وعباقره العلوم .. وكان وأصبح هناك قادة وحكام ، ومدن وعواصم ومعاهد وجامعات ودول وممالك لم يشهد التاريخ لها مثيلا .

والأودية ، ويجول فيها طولا وعرضا حتى يضع قواعد علم الضوء .

وابن الدجيلي غيهر على قمم الجبال العالية ، يحدق في الكواكب والنجوم ليحد أفلakها ، ويعرف أبعادها ، ويقيس محيط الكرة الأرضية ، وعبد الله الخوارزمي العالم المسلم الذي ولد في إقليم خوارزم (١) أول رجل في العالم يضع أصول علم الجبر وفي كتابه « الجبر والمقابلة » يقسم العلماء الى ثلاثة : « فمنهم المخترع المبتكر الذي لم يسبق اليه ، ومنهم الذي يتناول آراء العلماء قبله بالشرح والتفصيل والتوضيح ، ومنهم المخترع المبتكر الذي لم يسبق اليه ، ومنهم الذي يتناول آراء العلماء قبله بالشرح والتفصيل والتوضيح ، ومنهم الذي لم يكلفه نفسه أكثر من جمع المتفرق » ١٥٠

وأبو الريحان محمد البيروني الذي ولد في بيرون ، وهي مدينة

والحيوان ومئات أنواع الفنون الحضارية .

وبنى رجال أوروبا ، بما تعلموه في معاهد المسلمين بالاندلس ، وربما نقلوه من علوم أسس النهضة الحديثة ، التي ظهر نجمها في القرن الثامن عشر . وازدهر في القرن التاسع عشر ، وتآلق في القرن العشرين .

والاسلام بدعوته الى العلم هو الذي خرج جهابذة الفكر ، ورجال الحضارة أمثال ابن الهيثم ، وابن البيطار ، وابن مينا ، وابن النفيس ، وابن زهر وابن بطوطه ، والكندي ، والفارابي ، والبيروني ، والطوسي ، والدينوري ، والبغدادى والفيروزا بادي ، والامام الغزالي ، والطبري والرازي ، والانطاكى ، والخوارزمي ، والادريسي ، والمسعودي ، وجابر الجايع ، وغيرهم ممن أفادوا الانسانية .

وهذا ابن الهيثم يبحث في السهل

(١) إقليم خوارزم هذا من الأقاليم الإسلامية التي كانت عامرة بالعلم والعلماء وهو الآن تحت الاستعمار الشيوعي الروسي .

وربطتها التي كانت واقعة فيها
الحضارة المسلمين ومازالت أسماء
العلوم والمصطلحات التي أعطاه
هؤلاء العلماء المسلمون ، لغرائب
المخترعات ، مازالت حية نابضة ، في
جميع اللغات ، رغم ما نالها من
تحريف وتغيير .

ولقد سجل التاريخ آيات هذه
الحضارة الاسلامية ، وشهد بها
المنصفون من فلاسفة العالم
ومؤرخيه ، الذين لا يبنون من
بحوثهم ودراساتهم ، الا مرضاة
العلم في ذاته .

تقول الكاتبة الالمانية الدكتورة
سيجيريد هونكة : « ان أوروبا تدين
للحرب ، وللحضارة العربية ، وان
الدين الذي في عنق أوروبا وسائر
القارات ، للحرب كبير جدا » .

وقال العلامة ، ديريير « المدرس
في جامعة (هارفارد) بأمريكا .
في كتابه « المنازعة بين العلم
والدين » : « ان نتائج هذه الحركة
العلمية ، تظهر جليا بالتقدم الباهر
الذي نالته الصناعات في عصرهم ،
فقد استفادت منها فنون الزراعة

صغيرة تتبع مدينة خوارزم . يساهم
في الفلك والرياضيات ، بمساهمات
فعالة .

وابن النفيس العالم الدمشقي ،
يجري التجارب والاختبارات ،
حتى يثبت ان الدم ليس سائلا
مستقرا في الاوردة والشرابين .
بل هو سائل متحرك يدور في جميع
أجزاء الجسم ، وذلك قبل ان يكشف
العالم البرتغالي (هارفي) الدورة
الدموية بثلاثة قرون .

وابن مسكويه ذلك المفكر
الاسلامي الكبير الذي طرّق
الدراسات الاخلاقية والنفسية
يسبق فلاسفة أوروبا ، وعلمائها
بثمانية قرون في علوم الاخلاق
والفلسفة والتهذيب والنفس ..

وجابر بن حيان يحلّل عناصر
الطبيعة ، وتفاعل المواد المختلطة ،
حتى يضع أصول علم الكيمياء ..
وابن يونس يسبق العلماء في
اختراع بندول الساعة « الرقاص » .
هذا كله في الوقت الذي كانت
فيه أوروبا ، تعيش في ظلمات الجهل
والفوضوية والامية والهمجية
والتاخر ، ولم ينقذ أوروبا من

تعود الى بناء حضارتها المتميزة
وشخصيتها الاسلامية الفريدة •

وقبل أن نقرر امكانية عبودة
الحضارة الاسلامية نضع الحقائق
التالية :

أولا : العالم الاسلامي حياه
الله بأعظم النعم ، اذ يتربع على
كنوز ثمينة ويربض على ثروات
معدنية هائلة ، ويملك من حقول
البترول أجداها نفعا ، وأكثرها
سقاء وثراء ، وأقواها تدفقا
وعطاء •

ثانيا : — يملك العالم الاسلامي
من شواطئ البحار والانهار ،
والمرات ، والطرق البرية ،
والبحرية ، والجوية ، مما يجعله
في مركز القيادة ، ويمكنه من
المساهمة والاشراف والتحكم
الفعال •

ثالثا : — مناطق الثقل في العالم
الاسلامي بعيدة عن القطبين
ومصبونة من الاعاصير
والطوفانات ، والثلوج ، والمد
والجزر ، وسالة من البراكين

في أساليب الري والتسميد وتربية
الحيوانات ، وسفن النظم الزراعية
الحكيمة ، وادخال زراعة الارز
وقصب السكر والبن • • وقد انشرت
معاملهم ومصنوعاتهم لكل نوع من
أنواع المنسوجات كالصوف
والحرير والقطن • وكانوا يذيقون
المعادن ، ويجودون في عملها على
ما حسنوه وهذبوه ، من سبكها
وصنعها ، واننا لندهش حين نرى
في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ،
ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا
العصر • • وان جامعات المسلمين
كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين
الذين نزحوا اليها من بلادهم لطلب
العلم وكان ملوك أوروبا وأمرأؤها ،
يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا
فيها • •

ان هذه الاقوال التي جاءت على
لسان علماء أفذاذ لمرضاة العلم في
ذاته تشهد صراحة وضمنا ، وجملة
وتفصيلا ، لحضارة المسلمين ،
ومدىفاعلية هذه الحضارة
الاسلامية الانسانية •

وان الامة الاسلامية يمكن أن

والزلازل، وهذا يتيح لها حاستي طبع
به العمل والتقدم ..

رابعاً : - العالم الإسلامي غني
بالمحاصيل الزراعية ، والانتاج
الحيواني ، مما يمكن من قيام
صناعات متقدمة ومتطورة .

خامساً : - يعيش العالم
الإسلامي اليوم في لحظة واعية ،
وصحوة صحية ، فإذا أحسن
توجيهها ، أثمرت وأفادت
الإنسانية ..

سادساً : - يشكل الأمة
الإسلامية من خريطة العالم
الإنساني حيزاً جغرافياً عظيماً مما
يمكن المسلمين من التأثير والفاعلية
القادرة على الانطلاق ..

تلك وغيرها أمور تجعل الأمة
الإسلامية ، قوة إيجابية ، مهيأة
للمساهمة في انقاذ الإنسانية من
هذه الضياع والفوضى والجهل ،
والإلحاد ، والمذاهب الهدامة .

ولقد وصف المستشرق السويدي
« هرنانو » العالم الإسلامي بأنه
يمثل بموقعه في قلب قارات ثلاث
« قارة وسطى » .

وهذا تعبير قد لا يرضى عنه
علماء الجغرافيا . ومع هذا فهو
تعبير محمل بالمعاني .. وصادق
على جغرافية المسلمين ، وعلى
التفاؤل ..

يقول الدكتور جورج سارطون :
« ان المسلمين يمكن ان يعودوا
الى عظمتهم الماضية اذا عادوا الى
فهم حقيقة الحياة في الاسلام
والعلوم التي حث الاسلام على
الاخذ بها » .

وقال الدكتور فيليب حتى :
« ان الشرق الإسلامي هو اليوم
في مطلع دور جديد في حياته
العلمية ، كما أنه في فجر جديد في
حياته السياسية ، وهو دور جديد
يمكن أن نسقيه دور الإبداع
والابتكار ، ضمن إطار الميراث
الخالد ، من القيم الدينية والأدبية .

والحقيقة التي لا يستساغ
انكارها ان تقدم المسلمين علمياً
وحضارياً رهين بعودتهم الى
الاسلام .

أحمد عبد الرحيم السايح

فقيه العلم والإسلام عالم الأزهر

المرحوم الدكتور الشيخ **محمد الفحام**
شيخ الأزهر الأسبق

فقدت مصر والعالم الإسلامي علما من أعلام الدين والدعوة يوم ٣٠/٨/١٩٨٠ م هو الدكتور الشيخ محمد محمد الفحام شيخ الأزهر الأسبق عن ٨٤ عاما قضى الشيخ الفحام ٦٠ عاما في العمل من أجل نشر الدعوة الإسلامية .

ولد الشيخ الفحام بالاسكندرية في ١٨ سبتمبر عام ١٨٩٤ م . وتلقى بعض علومه الدينية في مسجد العباس المرسى والتحق بالأزهر حتى تخرج منه ثم تولى التدريس بمعهد الاسكندرية الديني ثم عين مدرسا بكلية الشريعة .

سافر الشيخ الفحام في بعثة دراسية الى فرنسا حيث قضى عدة سنوات حصل خلالها على دبلومات عليا في اللغات اللاتينية واليونانية والأسبانية كما حصل على الدكتوراه في الآداب من جامعة السربون بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف عام ١٩٤٩ وعاد الى مصر .

قام بتدريس الأدب المقارن بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف وكلية الآداب جامعة الاسكندرية .

عين عميدا لكلية اللغة العربية عام ١٩٥٩ .
عين شيخا للأزهر عام ١٩٦٩ في ١٦ سبتمبر وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٧٣ .

• انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية في ديسمبر ١٩٧١ •

• منح وسام الجمهورية من الطبقة الأولى في مايو ١٩٧٣ م •

وقد شارك الدكتور محمد الفحام في عدة مؤتمرات اسلامية أولها في لبنان عام ١٩٤٨ وتوجه الى نيجيريا في عام ١٩٥١ في مهمة لدراسة أحوال المسلمين وأمضى خمسة أشهر في هذه المهمة وشارك أيضا في مؤتمرات اسلامية في باكستان وأندونيسيا وماليزيا وقام بدراسة أحوال المسلمين في موريتانيا بعد إحالته للمعاش وزار السودان وليبيا والجزائر وأسبانيا والمراق واليابان والسعودية وكذا ايران والجمهورية الاسلامية بالاتحاد السوفيتي وكان هو شيخ الأزهر الوحيد الذي زار هذين البلدين وللشيخ الفحام خمسة أبناء يشغلون مواقع عمل مختلفة •

والأزهر اذ ينمى الأمة الاسلامية فقد شيخا من شيوخه وعالما
جليلا من علمائه يرجو للفقيد الرحمة ولأسرته العزاء ..

أسرة المجلة

مشكلات الشباب ومعالجتها في ضوء الكتاب والسنة د. محمد عبد المنعم

تمهيد :

رسالته في هذه الحياة •

عنى الاسلام بتربية الشباب
عناية واضحة ذلك لأن فترة
الشباب هي فترة القوة والحيوية
والنشاط وفترة امتصاص الأفكار
واعتناق المبادئ والحماسة لها
والدفاع عنها ومحاولة نشرها
والبذل في سبيلها بكل شيء
بالصحة والمال والوقت بل والنفس
في كثير من الأحيان •

ومن هنا رأينا الصراعات
المختلفة حول الشباب ومحاولة
اجتذابهم حول الفكرة التي يعمل
فيها كل منهم • وقد وجدنا عناية
الاسلام بالشباب تلك العناية
الرائعة التي جعلته يعطيه الامكانيات
التي تكفل انطلاقه وتسلمه بكافة
الأسلحة التي تعينه على أداء

عناية سابقة على وجوده :

وعناية الاسلام بالشباب تبدأ
من قبل أن يولد • تبدأ بتكوين
الاسرة التي تحقق البيئة الصالحة
له فهو يرى أن تكوين الاسرة له
أسس تحقق الاطمئنان والسكن
والتربية الكاملة المتكاملة : (خلق
لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)
الروم / ٢١ - ولذلك فقد طلب
من الرجل أن يختار المرأة الصالحة
التي تحقق التربية المثالية وتعطي
للطفل كل حاجاته - ويعبر
الرسول الكريم عن ذلك بقوله :
(فاظفر بذات الدين تربت يداك)
البخاري - ومثل ذلك في اختيار
الرجل : (اذا جاءكم من ترضون

وظيفة الشباب في الاسلام :

وظيفة الشباب في الاسلام هي وظيفة المسلم بعمامة ، ولكن الشباب أقدر من غيرهم على حملها بما لهم من حماسة وحيوية ونشاط واستعداد للتضحية - فهو جزء من هذا الكون • والكون ساحة لنشاطه وميدان لحضارته يدين بالمعبودية لله ويتحرر من عبادة ما سواه من استذلال العظم والقوانين والأشخاص والشهوات والشيطان •

انه سيد الكون وليس عبدا الا لله الذي خلقه وخلق الكون ثم ان الكون كله مصدر رافع للمعارف والطوم ومنبع لسكينة الانسان وهدوئه ومشاعره - وبذلك يرفع الاسلام من اهتمامات المسلمين بقدر ما يرفع تصورهم للوجود كله - وبقدر ما يكتشف أيضا عن علة وجودهم وحقيقته ومصيره - والمسلم يحس بقيمته حين يعلم أن الله خلقه في احسن تقويم وسواء ونفخ فيه من روحه ، وجعل الملائكة تسجد له وجعله خليفة له في الأرض •

خلقه ودينه فزوجوه الا تقملوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) ابن ماجه - وصفات الوراثة تظهر في الأبناء فان الاسلام يعملي لأبنائه مؤثرات تساعد في اختيار العناصر الصالحة في تكوين الأسرة فهو يقول : (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) البخاري ويقول (اياكم وخضراء الدمن) ويفسر الرسول الكريم خضراء الدمن بأنها (المرأة الصنماء في المنبت السيئ) •

وبهذا التخطيط يضمن الأساس السليم للبيئة المتكاملة التي ينشأ فيها الطفل المسلم ثم هو يحاول أن يضمن له الاستقرار الدائم في كنف الأسرة فيجعل الطلاق أبغض الحلال الى الله كما يقول الرسول الكريم - ويجعل أساس البيوت الوفاء كما يقول عمر بن الخطاب - ثم يجعل الأسرة مسئولة مسئولية كاملة عن تربية الأبناء يقول الرسول الكريم : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) - البخاري •

يقوم برسالته كاملة مادام خليفا من المشكلات - ولكن اذا وجدت المشكلات في حياته فان ذلك يعوقه عن أداء هذه الرسالة •

ولما كان الاسلام حريصا على الشباب وعلى أن يؤدي رسالته كاملة فانه يعمل على ازالة العقبات من طريقه وعلى تقوية شخصيته بحيث يستطيع أن يقاوم هذه المشكلات فاذا ما جاءت المشكلات بعد ذلك حاول علاجها بالاسلوب الذي يفيد ويريح وينتج •

الاسلام يزيل العقبات أمام الشباب :

من طبيعة الشباب الحركة والحيوية والنشاط ، وقد يستتبع هذا الخطأ في جانب من الجوانب والله سبحانه وتعالى يفتح بابه للمتائبين دون وساطة ويقول : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) الزمر / ٥٣ ويقول : (واذا سألك عبادي عنى فاقى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان) البقرة / ١٨٦ ، وجعل من السجدة

والاسلام بهذا يرسى القواعد الاساسية التي لا تتغير ولا تؤثر فيها تطورات الحياة كما لا يؤثر فيها اختلاف النظم ولا تمدد المذاهب ولا تنوع البيئات فمن اداها كاملة فقد أدى وظيفته - ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أصبح بلا وظيفة في هذه الحياة - وأصبحت حياته خاوية من معناها الاصيل الذي تستمد منها قيمتها الاولى - ثم اذا به يسير الى الضياع الذي يصيب كل من يتخلى عن وظيفته والاسلام يوجه طاقة الشباب الى العمل المنتج المفيد الذي هو ثمرة الايمان بالله - والقرآن الكريم يؤكد تأكيدا شديدا على العمل الصالح في عشرات الآيات : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) آخر الكهف - والعمل الصالح يشمل كل ما يقوم به المسلم نحو ربه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه الاسلامي بل والمجتمع الانساني كله •

والشباب المسلم يستطيع أن

يأبى لا أعلم شيئاً عندي
 إلا أنى لا أبيت وفي نفسى فقد
 لأنسان وهو يبعد عن
 الشاب المسلم الحقد والحسد لأنه
 يقطع الروابط ويزيد المشكلات
 الاجتماعية - ويجعل الاوقات
 تضعف فيما يعود على الناس
 بالضرر - كما أنه يعلم الشباب
 الصبر عند الغضب حين يطلب من
 الغاضب أن يستعذ بالله من
 الشيطان الرجيم فإذا بالغضب
 يذهب عنه - كما يطلب من
 الغاضب أن يغير من وضعه فيكسر
 هذا من حدة الغضب ويصبح
 الانسان أكثر هدوءاً - ويقول
 الرسول عليه السلام : (إذا غضب
 أحدكم وهو قائم فليقع إذا ذهب
 عنه والا فليضطجع) ثم هو من
 الناحية الايجابية يبين للشباب
 قوة المجتمع المتكامل فالمؤمن
 للمؤمن كالبنيان يشد بعضه
 بعضاً ، والمسلم أخو المسلم لا
 يظلمه ولا يسلمه ومن كان في
 حاجة أخيه كان الله في حاجته ،
 ومن هرج عن مؤمن كربة من كرب
 الدنيا هرج لئله عنه كربة من كرب

الذين يظلمهم الله تحت ظله يوم
 لا ظل الا ظله (شاب نشأ في
 عبادة الله) البخارى ويبين
 للشباب أن الخطأ طبعى والمهم أن
 يتوب الشاب * والنبى الكريم
 يقول : (عجب ربك من شاب ليس
 له صبوة) * والمهم ألا يتمادى
 الشاب في أخطائه ولا يجاهر بها
 يقول الرسول عليه السلام :
 (كل أمتى معافى الا المجاهرين
 وإن من المجانة أن يعمل الرجل عملاً
 بالليل فيصبح وقد ستره الله
 يكشف ستر الله عليه) البخارى ،
 والاسلام يزيل العقبات الداخلية
 حين يربى المسلم على صفاء
 القلوب يقول النبى عليه السلام
 لأنسى (يابنى ان قدرت أن تصبح
 وتمسى وليس في قلبك بغض لأحد
 فافعل - ثم قال : يابنى وذلك من
 سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحبنى
 ومن أهبنى دخل الجنة) الترمذى ،
 وقال عليه السلام عن رجل من
 الانصار : انه من أهل الجنة ..
 وحين لاحظ عبد الله بن عمر أن
 الرجل لا يمتاز بشيء غير عادى
 وصارح الرجل بذلك فقال الرجل :

والاحترام — احترام الطفل
 الأبويه الذى هو أساس احترامه
 لنفسه .. وكل سلطة زمنية أو
 روحية فيما بعد — فيه يتملم
 الطفل معنى الضبط وقيمه يتقبله
 طوعا من والديه فقد عرف أن فيه
 حيره وسعادته .. فى هذا البيت
 يخرج الطفل الى الحياة مزودا
 بطائفة من المواقف الحميدة تكون
 فى يده سلاحا للكفاح كما تكون
 أمانا من العلة النفسية فى مستقبل
 حياته — والشباب الذى ينشأ فى
 البيت المسلم ينشأ على صلة قوية
 بالله فيحس بأنه مستمسك بالمعروة
 الوثقى لا انفصام لها فيكون فى
 مأمن من الأمراض النفسية لأن
 الايمان بالله خالق الانسان ومدير
 الكون يجعل الانسان يحس بأن له
 سندا قويا فى هذه الحياة —
 والمؤمن متصل بالقرآن الذى أنزله
 الله ليكون شفاء ورحمة للمؤمنين
 — ذلك لأن الايمان نور يشرق فى
 القلب فتشرق به النفس — فيرى
 الانسان الطريق أمامه واضحا فلا
 يصيبه اضطراب ولا قلق —
 وعقيدة الاسلام حين تتغلغل فى

يوم القيامة ، ومن ستر مسلما
 ستره الله فى الدنيا والآخرة ،
 والله فى عون العبد مادام العبد فى
 عون أخيه بل أن الرسول الكريم
 يقول : (من كان له فضل زاد
 فليمد به على من لا زاد له)
 مسلم ، وبهذا يزول الاسلام
 العقبات أمام الشباب .

النفعية الانشائية فى الاسلام :
 الاسلام عنى بالناحية
 الانشائية للشباب حتى يخرج الى
 الحياة سليم النفس قوى الجسم
 فقد عمل على تهئة الجو الملائم
 انذى يتربى فيه بحيث يخرج الى
 الحياة مسلما قائما بواجبه نحو
 ربه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو
 مجتمعه — وقد حدد الاسلام
 واجبات الوالدين فى معاملة الابناء
 من ناحية الرضاعة والعناية
 بالنواحي الجسمية والنفسية
 والعقلية — فالبيت الأمثل صلة
 روحية ورحمة ومودة بين
 ساكنيه — فيه تتبعث عواطف
 المحبة والتضحية والتعاون —
 وكثير العواطف أمساها بحياة
 المجتمع وعواطف الصداقة

لله فإذا ما أصابهم ضرر في المعركة فهذا أمر طبيعي - والضرر متبادل : (أن تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون) النساء / ١٥٤ ، وفي مسألة الموت والحياة يبين للمسلمين أن كل نفس ذائقة الموت وحاطب نبيه الكريم فقال : (انك ميت وانهم ميتون) الزمر / ٣٠ ، وعلى الانسان أن يمثل لأمر الله وأن يصبر على ما أصابه وإذا خاف من ضيق الرزق فאלله سبحانه وتعالى يطعمه : (وفي السماء رزقكم وما توعدون) الذاريات / ٢٢ - فالمسلم يتطلع الى السماء والى الله الخالق ، أما الارض وما فيها من أسباب ظاهرية للرزق فلا يدعها تحول بينه وبين التطلع الى المصدر الأول الذى أنشأ هذه الأسباب - وليس معنى هذا اهمال الأرض - فالانسان مكلف بممارتها - ولكن المقصود ألا يعلق نفسه بها ، وألا يفتل عن الله في عمارتها فهو يعمد في الأرض أخذاً بأسباب السماء متطلماً اليها وهو مستيقن بأن

النفس تدفعها الى السلوك الايجابى السليم الذى يجعل المؤمن مطمئناً ثابتاً (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ابراهيم / ٢٧ .

والاسلام يعيى نفس المسلم لتحمل صغريات الحياة : (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات) البقرة ١٥٥ وبمقدار صبر الانسان على ما يلقى بمقدار ثواب الله له : (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) الزمر / ١٠ .

وليس من المقبول مثلاً أن يقول الانسان : اى مسلم ثم لا يتحمل شيئاً في سبيل عقيدته : (احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) ٣/٢ العنكبوت - وفي المأرك الاسلامية التى تقوم لتحقيق العدالة في الارض يطلب من المسلمين أن يصبروا وأن يصابروا وأن يرابطوا في سبيل

حال ان اصابته سراء فصبر كان خيرا له وان اصابته سراء فشكر كان خيرا له - وقد يضاف من ضغوط الحياة عليه لسبب من الأسباب - والتمسك بالثواب المؤمن موصول القلب بالله وهذا يجعله أكثر تحملا والا فطيه أن يعيد النظر في قوة صلته بالله ولا يهمله الناس لأن الناس لا يملكون له نفعا ولا ضراوهم لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه الا بشيء قد كتبه الله له ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه الا بشيء قد كتبه الله عليه .

والاسلام يربي أبناءه على الامل والبهمة عن اليأس ذلك لأن اليأس والايمان لا يجتمعان في قلب مؤمن والقرآن الكريم يقول :

(ولا تياسوا من روح الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون) - « يوسف ٨٧ » - ذلك لأن اليأس يؤدي الى انقباض الكرتزون في الدم والغضب يؤدي الى ارتفاع الادراين والتروكسين في الدم .. واذا استسلم الانسان لدوافع الغضب واليأس أصبح

ما وعد الله تعالى لا بد وأن يكون - وبذلك يعيش قلبه موصولا بالسماء وخدماء ثابتان في الارض - والشباب اذا وصل الى هذه الدرجة فهو في الحالة التي أنشأ الله عليها قبل أن يتناولها الانحراف : (فطرة الله التي فطر الناس عليها) الروم / ٣٠ - وعلى الانسان ألا يتطلع الى ما في يد غيره أو الى أن يكتسب أشياء فوق قدراته المادية والجسمية واستعداداته الفطرية وبخاصة وأن ما في يد غيره قد يكون مقصودا به الفتنة وقد عافاه الله منها : (ولا تمدن عينيك الى ما متطعا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) طه / ١٣١ .

والانسان قد يخاف من المرض والانسان اذا اصابه المرض بعد أن اعتنى بنفسه وبعد أن أصبح جسمه قويا ونفسه قوية فعليه أن يلتزم العلاج من مظاهره ثم ان الاسلام يرشده الى أن ما يصيب المسلم له ثواب عليه حتى الشوكة يشاكها - والمسلم بخير على كل

والقابلية حالة نفسية كما أنها حالة
جسمية .

وقد بدأ الأطباء يتجهون الى أن
مرض السل قد يكون سببيه
نفسيا - ومن الأشياء التي تلفت
النظر أن بعض الأمراض كالأكزيما
أمكن أحداثها بواسطة الإجهاد
أثناء التنويم المغناطيسى - كما
أن الحالة النفسية قد تكون سببا
فى الحمى والصداع والضغط
والسكر والروماتزم والسرطان .

ومن هنا فاننا نجد أن المؤمنين
الصادقين الذين سلمت نفوسهم
وصفت قلوبهم بأخلص الايمان
لم يتعرضوا مطلقا للأمراض
النفسية التي تجر وراءها الأمراض
البدنية - ذلك لأن هذه الأمراض
بنوعها لا تظهر الا مع ضعف
الايمان أو مع فقدانه حين تتسرب
الوساوس الى النفس فتتشأ العقدة
وتكثر الحاجة الى الأدوية المنشطة
والمهدئة والمخدرة التي لا يعقل
بها ما اعوج من النفوس -
وسيطر الصراع قائما فى زوايا
النفس التي ضعف ايمانها .

فريسة سهلة لقرحة المدقوالسكر
وتقلص القولون وأمراض الفم
الدرقية والذئبة ، وهى أمراض
لا علاج لها الا المحبة والتساؤل
والتسامح لأنها فى حقيقتها أمراض
نفسية - ومن هنا ندرك أهمية
وصية النبى للصحابى الذى جاء
يطلب نصيحة بقوله : أوصنى
فقال له عليه السلام (لاتغضب)
وكررها ثلاثا - البخارى - كما
ندرك أهمية قوله صلى الله عليه
وسلم : (ليس الشديد بالصرعة
انما الشديد الذى يملك نفسه
عند الغضب) متفق عليه -
ومقاومة الأجسام للأمراض تكون
على أعلى مستوى من الكفاءة اذا
كان هناك انسجام بين كل الخلايا
والغدد والأعصاب وهى حالة ترتد
فى النهاية الى صورة من صور
الاتصال الكامل بين النفس
والجسد . . ولهذا يرى الأطباء
أن الانفلونزا تعود الانسان بكثرة
لأسباب نفسية حقيقة انه لا بد من
وجود أسباب - ولكن لا بد من
وجود قابلية للمعدوى أيضا -

مشكلات الشباب

وللشباب مشكلات تصوقه عن أداء رسالته في هذه الحياة وتأخذ من وقته وجهده ما يصرفه عن الطريق السليم أن لم تحل على أساس سليم — بل أنه قد يكون عبثاً على المجتمع الذي يعيش فيه وأداة من أدوات الهدم — كما نرى في المجتمعات الغربية في عصرنا الحاضر •

وبعض هذه المشكلات متجدد أي أنه كان موجوداً في الأزمان الماضية وهو موجود في الزمن الحاضر وبعض هذه المشكلات نشر في العصر الحديث بعد ظهور الآلات التي قلبت موازين الأفكار — وبعد ظهور الفلسفات المختلفة التي غيرت من مفاهيم القيم والأفكار وسنتناول أولاً المشكلات القديمة الجديدة أي المتجددة ثم نتناول المشكلات الحديثة لنرى حلولها على ضوء الإسلام •

المشكلات المتجددة

مشكلات الفريزة الجنسية :

الفريزة الجنسية من غرائز

الإنسان المهمة التي أوجدها الله تعالى لحفظ النوع البشري — لكن فرويد اشتط في أهميتها حين فسر السلوك البشري كله على أساسها فنزل بالإنسان إلى مستوى الحيوان وجعل الدوافع كلها مصحراً الجنس حتى العبادة — وقد رتب على هذا دمار الإنسان إذا لم يشبع هذه الفريزة — مع أن سلوك الإنسان الجنسي يختلف عن سلوك الحيوان ذلك لأن الإنسان فيه عقل وروح ونفس ثم هو يقوم بضروراته الجنسية على طريقة الإنسان لا على طريقة الحيوان — وفرويد كان يهودياً واقفاً تحت تأثير البيئة التي كانت تسود فيها بعض المفاهيم الدينية المنحرفة التي كانت تعيشها أوروبا والتي كانت تدعو إلى كراهية العلاقات بين الرجل والمرأة وتحت على الرهبنة — ومع أن تلاميذه أثبتوا أن هذا الرأي غير صحيح وأثبتوا أن عدم الإشباع لا يؤدي إلى الدمار — بل وليس هناك ضرر جسمي أو عقلي ينتج عن الامتناع عن

الأديرة فشلت في أداء رسالتها لأنها معادية للطبيعة البشرية .
الغريزة الجنسية في الاسلام :

يقف الاسلام وسطا بين هذين الفكرين فهو يعترف بالغريزة الجنسية وأهميتها ولكنه يضمها في إطارها الصحيح فهو لا يرى رأى فرويد في سيطرتها التي لا تدفع - ولا يرى رأى من يكتبها عن طريق الرهينة - لكنه ينظمها ويضبطها ، ويرى أنها من مميزات الجنس البشرى فهي سبب بقاءه وسبب انجاب الذرية التي تحقق رسالة الانسان في هذه الحياة .

وقد أزال الاسلام بذلك الفكر المعادى للزواج الذي ساد العالم المسيحي وحرّم الرهبانية وقالها نبي الاسلام صريحة : (الفكاج ستنى فمن رغب عن سنننى فليس منى) - البخارى .

ووصل المتعة بالدين بهدف بقاء الجنس البشرى وأداء رسالته في هذه الحياة يجعل التساقض غير موجود في ضمير الشباب المؤمن بين قوانين الحياة التي يمارسها - وبين تعاليم الدين التي يجب

الجنس - ومع أنهم بذلك أعادوا الكرامة الى الجنس البشرى الا أن آراء فرويد تلففتها أيدي التجار وساعدهم على ذلك أجهزة الاعلام فعملوا على نشر آراء فرويد من الناحية النظرية وأوجدوا كل الأساليب لتطبيقها من الناحية العملية حتى شملت آثارها الكبير والصغير في المجتمعات العربية وسار على نهجها الى حد كبير أو صغير في البلاد الاسلامية - واكتوى الجميع بنارها . . ولا يزالون يكتسبون - لأن آراء فرويد - وإن ثبت فشلها من الناحية النظرية وخطرها من الناحية العملية - الا أن التجار وأجهزة الاعلام ما زالت تسير في الطريق الذي يثير الغرائز ويلهبها وبذلك فإن المشكلة مستمرة وآثارها مدمرة وقد طغت هذه الناحية في العصر الحديث على الفكر المسيحي المعادى للزواج ، والذى يرى أن الغريزة الجنسية ينبغي أن تكبت فاتجه الى الرهبانية يدعو لها ويشجع عليها ويفتح الأديرة ويضع لها أنظمتها - وعلى مدى للتاريخ الطويل الذى انمشرت فيه

احترامها — والجنس طائفة بشرية طبيعية تحتاج الى اشباع — ولكن الاستغراق الذي يجاوز حدود المحقول هو الأمر المستكبر في الاسلام لأنه يضخم أحد جوانب الانسان على بقية الجوانب الأخرى •

والأعضاء التناسلية ليست مفضزة في التربية الاسلامية — فالطفل يعود الطهارة من صغره لاتصاله بالصلاة — وفي كتب الفقه تفصيلات كثيرة يدرسها الاطفال والشباب ليتطهروا ويستعدوا للصلاة التي هي أهم ركن في الاسلام •

والاسلام لا يثير الغريزة ، بل يمنع الاتارة في أية صورة من الصور وذلك منذ الصغر ، فهو يوصى بالآلا تترك الفرصة للصغار للاطلاع على المصورات ، قال تعالى :

(يا ايها الذين آمنوا ليستأنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن

بعد صلاة العشاء) النور / ٥٨ — فهذا أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والحلقية ظانين أن الصغار لا تمتد أعينهم — قبل البلوغ الى هذه المناظر بينما يقرر النفسيون أن المشاهد التي تقع عليها أعين الاطفال هي التي تؤثر في حياتهم المقبلة — والله سبحانه وتعالى يؤدب المؤمنين بهذه الآداب وهو يريد أن يبنى أمة سليمة الاعصاب طاهرة القلوب نظيفة التصورات •

ثم ان الاسلام — لذلك — لا يبيح الاختلاط المثير ولا يبيح الخلوة ولا يبيح الملابس المثيرة لما لها من خطورة فهو يمنع ابداء الزينة الا للزوج والمحارم : (ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها) ثم يقول : (ولا يبدن زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن) الآية / ٣١ النور — وينهى المؤمنات عن الحركات التي تطن الزينة المستترة وتهيج الشهوات الكامنة وتوقظ المشاعر

أعق ما يؤثر في النفوس — ومن هنا فقد حرم الاسلام الزواج بين المسلم والمشرقة لانهما لا يجتمعان على عقيدة واحدة — والله سبحانه وتعالى يريد ألا تكون هذه الصلة ميلا حيوانيا — بل يرفعها حتى يصلها بالله تعالى ويربط بينها وبين مشيئته في نمو الحياة ، ورضى بزواج المسلم من الكتابية لأنها تؤمن بأصل العقيدة وقد تعدى الى الدين الحق •

والزواج يعصم الانسان الى حد كبير لانه أغص للبصر وأحصن للفرج — بل ان في اشباع الغريزة عن طريق الزواج أجر كما قال عليه السلام : (وفي بضع أحدكم صدقة فقالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر ؟ فقال عليه السلام أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر فكذلك اذا وضعها في حلال كان له أجر) مسلم •

والاسلام لا يعتبر الحديث عن الغريزة عارا • لأنه يصلها بأهداف علوية وهو لذلك يتحدث عنها في

المأدبة : (ولا يضرين بأرجلهن ليظمن ما يظمن من زينتهن) النور / ٣١ ، ومن ذلك الاثارة عن طريق أجهزة الدعاية والاعلام ومن واجب المسلمين أن يطلبوا منع هذا • ومن واجب ولي الأمر أن يمنع فهو مسئول أمام الله وأمام الناس — والمسلم مطلوب منه أن يتحلف حتى عن النظر الى المرأة فليس له الا النظرة الاولى العفوية أما الثانية فهي عليه •

والاسلام بذلك يريد بذلك حماية المسلم من الأخطار النفسية التي يتعرض لها نتيجة لما يحدث في المجتمعات التي تظهر زينة المرأة فتثير الشهوات وتحدث الصراعات داخل النفس وتكون سببا من أسباب الكوارث عليها •

١ - الزواج :

والزواج هو الطريق الطبيعي لاستجابة الغريزة — وذلك يتم في ظل الرعاية الالهية وقد جعله الله تعالى للبشرية ليكون سكنة وآلفة ومودة — وبالزواج تتوحد القلوب تحت ظل العقيدة وهي

ب - الصيام :

فاذا لم يستطع الشاب الزواج لسبب من الأسباب فعليه أن يلجأ الى الصوم فانه له وقاية والرسول الكريم يقول في ذلك : (من استطاع منكم الباءة - تكاليف الزواج - فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء - وقاء) البخاري ، فالصيام وسيلة ضبط قوية فعالة ذلك لأن الانسان يتمتع مختاراً عن كثير من لداث الحياة المباحة ويحقق كيانه بذلك .

ج - ضبط الغريزة :

والاسلام يضبط الغريزة ويوجهها - والضبط يأتي أولاً من رباط القلب البشري باله ومراقبته في كل عمل ومن ربط المسلم باليوم الآخر - فالانسان يتلطف على لذائذ الحياة حين يحس بأن فرصته في الدنيا هي الفرصة الوحيدة فهو ينتهزها قبل أن تفوت - لكن المسلم يؤمن بأن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة خير لمن اتقى .

القرآن مبينا كثيرا من الجوانب التي يحتاج اليها الانسان في بيان الأحكام فهو يتحدث عن حل المعاشرة الزوجية ليلة الصيام : (اهل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) البقرة / ١٨٧ ، وحرمتها لمن نوى الاعتكاف ولذلك فانه يقول في نفس الآية : (ولا تبشروهن وائتم عاكفون في المساجد) ، وحرم اتصال المسلم بزوجته أثناء الحيض : (يمسأونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يظهن) ، ثم يقول : (فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم

الله) ومعنى ذلك الاتيان من منبت الاخصاب دون سواء - فليس الهدف هو حصول اللذة - انما هو امتداد الحياة ابتغاء رضوان الله ، ولذلك فانه يقول في نهاية الآية : (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) البقرة / ٢٢٢ ، يتحدث عن ذلك أثناء الحديث عن أحكام الزواج والطلاق والمدة ويرفع هذه الاملاحة عن أن تكون مجرد متعة جسد .

أديسى ويمزج بينها في لحظة واحدة وحركة واحدة واتجاه واحد ذلك المزج القلثم في كيان الانسان وأنه خليفة الله في أرضه المستحق لهذه الخلافة بما ركب في طبيعته من قوى وبما أودع في كيانه من طاقات •

والاسلام مع هذا يستنفذ طاقات الانسان النفسية في اتجاهات عليا لا تلجأ الى المتاع الحسى وحده — كما يستنفذ هذه الطاقات في اتجاهات عليا يقصد تحويل الفائض منها عن أن يستغرق في متاع الحس فهو لذلك حث — عن طريق الاعلاء — على الفروسية لأنها رياضة ترفع النفس عن محيط الحس وتوجه الطاقة الى منصرف نبيل — وهو يقيم نظام المجتمع كله بصورة لا تحصر الدوافع الفطرية ولكنها تمنع الاسراف في كسل شيء والله لا يحب المرفين •

من هنا فإن الشاب المسلم لا تظهر عنده العقد النفسية لأنه لا يوضح بين ضغطين متعارضين

والاسلام يعرض الى جانب اللذة الجنسية ألوانا من لذائذ الحس والنفس ينالها من يحاولون ضبط أنفسهم في هذه الحياة عن الاستغراق في لذائذها المحببة لتبقى لهم انسانياتهم الرفيعة ومن هنا فإن القرآن الكريم يجمع في آية واحدة أحب شهوات الأرض الى نفس الانسان : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المختطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحوت) آل عمران / ١٤ ثم يبين للناس أن هذا كله متاع الحياة الدنيا ، ولكن هناك لذائذ أخرى وهي ما ذكرت في الآية الأخرى : (قل أؤنبكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خائدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله) آل عمران / ١٥ — كما أن لهفة الانسان على المتعة الجنسية تضبط حين يعرف المرء في هذه المتعة وسائل لانتشار النوع ويربط بين نزوة الجسد العارضة وغايات الانسانية الدائمة ووفرة الوجدان

الرضا الماطفى ، وبذلك يختلف
الإنسان عن أفعاله لأن الواقع
يصدمه ، ولذلك فلا بد وأن يعرف
المجتمع الإنسانى صاحب الثقافة
الغربية حقائق الحياة جيداً وأن
يقنع الإنسان بأن يتعامل مع الحب
كماتفة إنسانية لا كشيء مدمر
فتك يطلب الولاء والتقديس ،
ولا بد من منع وسائل الدعاية من
نشر المفاهيم الخطيرة حول هذا
الموضوع حتى نحفظ الشباب من
الدمار الذى ينتظره .

الحب :

والاسلام يبدأ فى علاج هذه
المشكلة مع الشباب بإيجاد الصلة
القوية بالله فهو نعم المعين لعبده
فى كل وقت وقد فتح الباب أمام
الجميع : (وإذا سألك عبادى عنى
فأنى قريب أجيب دعوة الداع
إذا دعان) البقرة ١٨٦ - وهو
يناقش المشكلة مناقشة هادئة حتى
يصل الى الاقناع الى قلب الشاب
فيساعده بذلك على التغلب على
مشكلته - جاء شاب الى النبى
صلوات الله عليه وطلب منه أن
يصرح له بالزنا لأنه تمكن منه
فلا يستطيع التخلّى عنه - وبدأ

ضغط من ضميره الذى كونه من
الدين وانعرف لا يجوز وجودها -
وان وجدت أخمدت ، وضغط
غريزته عندئذ تتكون العقيد
النفسية - أما الاسلام فقد ضمن
سلامة الإنسان من هذا الصراع
بين شطرى النفس البشرية من
نوازع الشهوة واللذة ، وحب
الارتفاع والقسامى ولكل نشاطه
المستمر فى حدود التوسط
والاعتدال .

ويأخذ الحب كثيراً من التفكير
والوقت فى العصر الحديث ، وما
أكثر مشكلاته وما أكثر الأمراض
النفسية التى تتجهم عنه ، ولعل
أغرب تجارة كسب منها التجار
السوف الملايين هى تجارة الحب
ومناعة السينما ونحوها ، ولقد
ساعد ذلك على افساد عواطف
الشباب فى هذا الجيل الذى ولد
بعد الحرب وقالوا له : ان الحب
جميل وساهر ، وأصبحت كلمة
الحب صورة خيالية لا يستطيع
الإنسان أن يصل اليها فيعجز
الشباب عن ممارسة الحب وعن

أنه رفض الفاحشة في اصرار رائع
قائلا : (انه ربي احسن مثواي انه
لا يفلح الظالمون) يوسف / ٢٣ •

والتاريخ الاسلامي يحدثنا أن
الشباب المسلم عبد الله الذي لقب
بالقس لكثرة عبادته وورعه أحب
سلامة المغنية حبا ملك عليه فؤاده
وجعل الناس يطلقون عليها : سلامة
القس — وقد استعملت معه كل
وسائل الاغراء فلم تفلح في جذبته
الى ما تريد وأخيرا صرحت له بما
تريد وقالت له : اننى أحبك فقال :
وأنا والله الذى لا اله الا هو —
فقالت وأنتهى أن أضع فمى على
فمك فقال : وأنا والله الذى لا اله
الا هو قالت : فما يمنحك فؤالله
ان المكان لخال فقال يمننى قوله
تمالى : (الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض هدو الا المتقين) الزخرف
٦٧ / — ثم خرج ولم يعد اليها
بعد ذلك أبدا •

على القاضى

النبي عليه السلام يناقشه في هذه
المسألة قائلا له : أترضاه لأمك ؟
قال الشاب : لا قال النبي الكريم :
وكذلك الناس لا يرضونه
لأمهاتهم ثم قال له : هل ترضاه
لأختك ؟ قال الشاب : لا قال النبي
الكريم : وكذلك الناس لا يرضونه
لأخواتهم ثم قال النبي الكريم :
هل ترضاه لابنتك ؟ قال الشاب :
لا قال النبي الكريم وكذلك الناس
لا يرضونه لبناتهم ، فاقترح الشاب
بهذا المنطق وطلب من النبي الكريم
أن يدعو له بعد أن عزم في نفسه على
الاقلاع عنه فدعا له النبي عليه
السلام ومسح على قلبه وشفى
الشباب من هذه المشكلة — رواه
أحمد •

وتذكر الانسان لله تعالى في
أشد الأوقات يحميه من الوقوع في
الخطأ ، وهذا ما حدث مع النبي
يوسف عليه السلام — فمع أنه
كان غلاما في بيت وزير يعيش في
مظاهر النعمة ، ومع أن التي
راودته عن نفسها هي سيدته الا

دراسات قرآنية : في ملكوت السموات والأرض

للاستاذ على عبد العظيم

أولا :

الحسان « والسيوطي في تفسيره » الدر المنثور « وجنح بعضهم في تفسيره بالرأى كما فعل الفخر الرازي في « مفاتيح الغيب » والبيضاوي في « أنوار التنزيل » والآلوسي في « روح المعاني » وجنح بعضهم إلى التفسير البلاغي مثل الزمخشري في « الكشاف » أو التفسير النحوي مثل ابن حيّان في « البحر المحيط » أو التفسير الفقهي مثل القرطبي في « الجامع لأحكام القرآن » أو التفسير الصوفي كالسلمي في « حقائق التفسير » وأخيرا ظهرت أنواع من التفسير العلمي للقرآن بذل أصحابها جهودا جبارة في جمع الاشارات العلمية في القرآن

لهج المسلمون بالقرآن الكريم منذ نزوله تلاوة وحفظا وتدبرا ، وعملا بما فيه من توجيهات رشيدة ، وتفرغ كبار العلماء قديما وحديثا لتفسير القرآن الكريم ليتيحوا للمسلمين فهمه وفقهه والعمل بما فيه ، امتثالا لقوله تعالى : « أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يات آباءهم الأولين » ٦٨ المؤمنون وقوله سبحانه « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » محمد ٢٤ .

وتنوعت مصنفات العلماء في التفسير تنوعا فمنهم من جنح إلى التفسير بالمأثور كما فعل الطبري في تفسيره « جامع البيان » والثعالبي في تفسيره « الجواهر

تأويلا يصرفها عن معانيها الحقيقية وليها ليا عنيفا لتطابق ما اعتدى اليه العلم الحديث من كشف عملية وقد تزعم هذا التيار المرحوم أمين الخولي وتزعمه من بعده زوجته الدكتورة / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) •

والحقيقة أن كلا الطرفين مبالغ فيما ذهب اليه :

فأما الجانحون للتفسير العلمي •
فإننا نقول لهم أن الكشوف العلمية تتغير من جيل إلى جيل فإن العلم ينقض اليوم ما أبرمه بالأمس ، وينقض غدا ما أبرمه اليوم ، والقرآن الكريم ثابت لا يتغير لأنه :
« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »
ومن الخطأ أن نخضع القرآن الكريم للمعارف البشرية التي تتغير وتتبدل من جيل إلى جيل وحسبنا أن نقرر أن نظرية النسبية للعلامة « آينشتاين » جاءت حديثا فغيرت مفاهيمنا عن الكون وغيرت كثيرا من الآراء العلمية التي كنا نؤمن بها كل الايمان •

ولهذا يلاحظ على الشيخ

الكريم والتوفيق بينها وبين ما كشف عنه العلم الحديث لظاهر أنه لا تناقض بين العلم والدين ولا يبراز اعجاز القرآن الكريم فيما أشار اليه من حقائق علمية لم يكتبها العلماء الا في العصر الحديث ، وذلك مثل تفسير « الجواهر الحسان » للشيخ طنطاى جوهرى ومثل « التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن » للاستاذ حنفى أحمد ، ومثل « الاسلام فى عصر العلم » للدكتور محمد أحمد النمرأوى ، هذا الى ما يكتبه بعض الباحثين المعاصرين من أبحاث ومقالات أو مايصدرونه من مصنفات •

وقد ظهر الى جانب التفسير العلمى للقرآن الكريم تيار مضاد له ينكر وجود اشارات علمية فى القرآن الكريم ويقرر أنه كتاب دين لا كتاب فلك أو طبيعة أو طب ... ويدعو الى فهم القرآن الكريم فهما مطلقا لمدلول كلماته كما فهمه العرب فى صدر الاسلام ويشفق من اندفاع العلماء فى تأويل آيات القرآن الكريم

المؤمنون « أن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » ١٦٤ البقرة .

كما وردت في القرآن الكريم عبارات الدعوة الى التدبر والتفكير والنظر في ملكوت السموات والأرض والاشارة الى العقول والالباب والافئدة مئات المرات ، وما من كتاب سماوي أشار مئات المرات الى العقل أو التدبر أو التأمل أو النظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء كما أشار القرآن الكريم . وقد وعدنا الله سبحانه وتعالى بأنه سيرينا من آياته العلمية ما يردنا الى الايمان به ، قال سبحانه : « وقل الحمد لله سريكم آياته فتعرفونها » ٩٣ النمل وقال عز من قائل : « سريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم

ظنطاوى جوهري — رحمه الله — أنه أخذ ببعض الآراء العلمية في تفسيره ولكنها تغيرت الآن وتحولت من النقيض الى النقيض وهنا ممكن الخطر في التفسير العلمى للقرآن .

أما الفريق الثانى فهو مخطئ كل الخطأ في انكار ما ورد في القرآن الكريم من اشارات علمية لأن القرآن الكريم حافل بالاشارات العلمية التى تدل على عظمة الله وعلى قدرته وابداعه — وسفتناولها بالتفصيل فيما بعد — كما أنه حافل بدعوتنا الى استعمال العقل والتدبر في ملكوت السموات والأرض ، أما الدعوة الى استعمال العقل فقد حثنا القرآن الكريم على استعمال عقولنا في نحو خمسين آية مثل قوله تعالى « وبريكم آياته لعلمكم تعقلون » ٧٣ البقرة « كذلك يبين الله لكم آياته لعلمكم تعقلون » ٢٤٢ البقرة « قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون » ١١٨ آل عمران « انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلمكم تعقلون » ٢ يوسف « وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون » ٨٠

الله وكلماته البينات وآياته
الخالقات قال تعالى : « ولو أنما
في الأرض من شجرة أقلام
والبحر يمدد من بعده سبعة أبحر
ما نفدت كلمات الله » ٢٧ لقمان
وقال سبحانه : « قل لو كان البحر
مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل
أن تنفذ كلمات ربي ، ولو جئنا
بمثله مددا » ١٠٩ الكهف

والمسلمون مطالبون بالتدبر في
آيات الله المتولة ليفسوزوا برحمة
الله « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم
ترهعون » ٢٠٤ الاعراف ومن
علامات الايمان أن تلتين جلودهم
وقلوبهم لذكر الله قال تعالى :
« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلّت قلوبهم واذا تليت عليهم
آياته زابتهم ايماناً وعلى ربهم
يتوكلون » ٢ الانفال

كما أن المسلمين مطالبون بالتأمل
في آيات الله الكونية وقد عاب الله
على الغافلين أنهم يمرون بآياته
الكونية دون تدبر أو تفكر قال
تعالى « وكاين من آية في السموات
والأرض يعرفون عليها وهم عنها

أنه الحق » من آية ٥٣ فصلت .
والقرآن الكريم يلفت أنظارنا
الى آيات الله المتولة في كتابه
الكريم فيقول : « كتاب أنزلناه
اليك مبارك ليذكروا آياته وليتذكر
أولوا الألباب » ٢٩ هي كما يلفت
أنظارنا الى آياته الكريمة المنبثة
في أرجاء الأرض والسموات
« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم
كيف بنيناها وزيناها ومالها من
فروج ، والأرض مددناها والقينا
فيها رواسي وانبتنا فيها من كل
زوج بهيج » ٦ ، ٧ ق ،
« أفلا ينظرون الى الأبل كيف
خلقت ، والى السماء كيف رفعت
والى الجبال كيف نصبت ، والى
الأرض كيف سطحت » فالقرآن
كلمات الله المتولة والكون كلمات
الله المتولة فلو كان القرآن عوالم
حسية لكان هو الكون العجيب
« ولو أن قرأنا سرت به الجبال
أو قطعت به الأرض أو كلم به
الموتى » ٣١ الرعد أى لكان هو هذا
الكتاب المنزل الحكيم .
ولو كان الكون كتابا متلوا لكان
هو القرآن الكريم فكلاهما كتاب

بلغتهم وأقدر على فهم معاني كلماتها منا فهو رأى بعيد كل البعد عن الصواب ، لأن القرآن الكريم لم ينزل لعصر واحد ، ولا لجيل واحد ، ولا لأمة واحدة وإنما نزل للبشرية جمعاء وهو يخاطب العقول في كل زمان ومكان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها من كائنات .

والقرآن الكريم يخاطب العقول على اختلاف المواهب والثقافة والتدبر والتفكر وكل عقل يأخذ منه ما يطيقه وما ينتفع به ، فإذا عجزت بعض العقول عن ادراك بعض معاني آياته وجب عليها أن تستعين بكبار العلماء الباحثين فان الله تبارك وتعالى يقول : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » من ٤٣ آية النحل ويقول سبحانه : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » ٤٣ العنكبوت ، ويقول عز من قائل : « وما يذكر الا أولوا الابصار » ٧ آل عمران وكم استتبط العلماء والفقهاء والباحثون من آيات القرآن الكريم

معرضون « ١٠٥٠ يوسف وقل سبحانه : « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » ١٨٥٠ الاعراف والقرآن الكريم معجزة تقاصرت أعناق البلغاء عن أن يأتوا بسورة من مثله كما عجزت عقول الجن والانس جميعا عن أن تأتي بمثله « ولو كان بعضهم لبعض ظهرا » ٨٨ الاسراء .

كما أن آيات الله الكونية معجزة أيضا فان الجن والانس عاجزان عن تكوين خلية حية واحدة من خلايا الذبابة « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وأن يسلبهم الذباب شيئا لا يستقنوه منه » من ٧٣ الحج . « فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون » من ٦ الجاثية .

أما زعمهم أن القرآن نزل ليفهمه العرب في الصدر الأول من الاسلام وأن علينا أن نحذو حذوهم فيما فهموه من آياته البيّنات بحسب مدلولات ألفاظه المفهومة لديهم لأنهم عرب أدري

معانى وأحكاما لم يعرفها
السابقون •

ثانياً :

ان الدارس لأساليب القرآن
الكريم يلاحظ أنه يتجسّد عن
الحدود أو الأحكام فانه يذكر
أصولها فى تحديد دقيق ويترك
التفصيلات الفرعية للحديث
الشريف وذلك مثل الآيات الكريمة
التي تناولت القصاص والموايىث
وما حرّمه الله من الطعام •

فالقرآن الكريم — كما قال فيه
الرسول — صلى الله عليه وسلم —
« حبل الله المتين ، وهو الذكر
الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ،
وهو الذى لا تزىغ به الأهواء ،
ولا تلبس به الألسنة ولا يشبع
منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة
الرد ولا تنقض عجائبه » والدارس
للقرآن الكريم يأخذ منه بمقدار
موهبته الفكرية وإيمانه القوي
وثقافته العلمية ومعارفه المديدة
وتفكيره العميق وكلما نما العقل
البشرى واتسعت مداركه وتنوعت
ثقافته وتعمدت تجاربه وغزرت
معارفه أدرك من معانى القرآن
الكريم ما لم يدركه سواه ، وقد
يدرك بالتأمل العميق عالم يكن
يدركه من قبل •

وكثيرا ما ينبهنا الله الى مراعاة
حدوده ويحذرنّا من تجاوزها مثل
قوله تعالى : « ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً
خالداً فيها » ١٤ النساء وقوله
سبحانه « ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون » من الآية
٢٤٩ البقرة وقوله عز وجل « وتلك
حدود الله يبينها لقوم يعلمون »
من الآية ٢٣٠ البقرة وقوله
تباركت آلاؤه « ومن يتعد حدود
الله فقد ظلم نفسه » من الآية
الاولى سورة الطلاق •

وسنوضح هذا بالأدلة العقلية
والشواهد المنطقية والأمثلة
الواقعية فى الفصل التالى أن شاء
الله •

ولكن القرآن الكريم حينما
يتناول القضايا الاجتماعية
أو المشكلات الفلسفية أو الدراسات

موضع آخر « أفرايتم ها تحرثون
أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون »
٦٣ ، ٦٤ الواقعة على أساس أن
أن (ما) حرف نفى .

ولكن الآية تعطينا معنى آخر
الى جانب المعنى الأول ، وهو أن
الله خلق الثمرات لناكل منها
طازجة ولناكل مما صنعت أيدينا من
هذه الثمرات بالطهي أو العصير
أو التمليع أو التسكير أو التجفيف
أو التقديد ... أى لناكل منها
طازجة ومما صنعت أيدينا منها
بالوسائل الصناعية على أساس أن
(ما) هنا موصولة . والمعنيان
كلاهما صحيح وان كان ظاهرهما
يشعر أنهما متضادان ولكن النظر
الدقيق يمنع التضاد فكلا المعنيين
صحيح ومقصود .

وشبيه بهذا قوله تعالى : « وقد
مكروا مكروهم وعند الله مكروهم
وان كان مكروهم لتزول منه الجبال »
فان الآية الكريمة تعطينا معنى أن
مكروهم عظيم وأن كيدهم متين حتى
تكاد تزول منه الجبال وتكون
(إن) هنا مخففة من (ان المشددة)
وهي اذا تأكيد وقد وصف الله

العلمية فانه يصوغها في عبارات
تسمح أفكارا عديدة يأخذ منها كل
باحث ما يناسب ثقافته ودراساته
ومواهبه وما يتفق مع ما وصلت
اليه المعارف البشرية من تقدم
وازدهار .

وهنا يعطينا القرآن الكريم أكثر
من معنى في العبارة الواحدة وهذا
لون من ألوان الإعجاز القرآني لم
يوله الباحثون ما يستحقه من عناية
واهتمام ، بل اننا نجد أحيانا
عبارة واحدة تعطينا معنى خاصا
وفي الوقت نفسه تعطينا ما يبدو
مضادا لهذا المعنى وذلك مثل قوله
تعالى : « وآية لهم الأرض الميتة
أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه
ياكلون ، وجعلنا فيها جنات من
نخيل وأعناب وفجرنا فيها من
العيون ، لياكلوا من ثمره وما عملته
أيديهم أفلا يشكرون » ٣٣ - ٣٥
يس « فان الآية الأخيرة تعطينا
معنى أن الله سبحانه خلق لنا الثمر
لناكل منه وننبهنا الى أنه من صنع
الله لا من صنع البشر فما عملته
أيدينا بل الله سبحانه هو الذي
خلقه ويسره كما قال سبحانه في

يرسسل الرياح حاملة المطر الذى يلمس الأرض فتتهز وتؤتى أطيب الثمرات كما يلمس الذكر الأنثى بمائه فتجب ويزكى هذا المعنى قوله سبحانه بعد هذا « فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه » من الآية ٢٢ الحجر ، ويذكر الزمخشري أن الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحب ماطر كما قيل للتى لا تأتى ريح عقيم •

وهناك معنى آخر هو أن تحمل حبوب التلقيح من النبات الذكر الى أعضاء التأنيث فى النبات الأنثى وهنا يتم الاخصاب وقد تحمل الريح الحشرات وتتيح لها الانتقال حاملة حبوب التلقيح من نبات ذكر الى نبات أنثى وهناك معنى ثالث هو أن الرياح تمد التربة الارضية ببعض من عناصر الهواء لتزيد خصوبة الأرض وتجعلها صالحة للانتاج ونهـنـ نمستمد الآن عنصر الآزوت من الهواء بطريقة صناعية كيميائية لنمزجه بالتربة الارضية فيزيدها خصبا على خصب وتجعلها صالحة للثمار • ومن الأمثلة القرآنية

الانسان المنحرف بأنه كان ظلوما جهولا » وأنه « لربه لكتود » ولكن الآية اذا نظرنا لمعناها من حيث نتيجة الكيد فانها تعطينا معنى مخالفا للمعنى الأول وهو : وما كان مكرهم لتزول منه الجبال والمعنى أنهم مهما بلغوا فى الكيد والمكر فان نتيجة مكرهم فاشلة وغاية كيدهم خاسرة « انه لا يفلح الظالمون » • من الآية ٢٣ يوسف

وكلا المعنيين صحيح ولا تعارض بينهما فالمعنى الأول يؤكد أنهم يلحون ويلجون فى الكيد والمكر لجاجا شديدا والمعنى الثانى أن نتيجة مكرهم وكيدهم فاشلة وان بالفوا فى التدبير والتصميم •

وهناك آيات عديدة تعطينا معانى عديدة يظهر بعضها فى زمن ويظهر باقيا فى أزمان متوالية تبعا لازدياد فنون الثقافة والكشوف العلمية بعض ومن الخير أن نعطى بعض الأمثلة التوضيحية فى هذا المقام مثل قوله تعالى « وأرسلنا الرياح لواقح » من الآية ٢٢ الحجر فاننا نستطيع أن نفهم من العبارة القرآنية أن الله

وكما قال تعالى : « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » ١٨ ق .
ثالثا : ان على كل منا رقيبا يحفظه من ان يدمر الآخرين أو ان يعيث في الأرض فسادا الا حين يشاء الله ان يجعل بعض الناس فتنة للبعض الآخر كما قال تعالى : « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة » من الآية ٢٠ (الفرقان) والانسان لا يملك ان يفعل الا ما اراده الله سبحانه لأن الله سبحانه يصده عن فعل ما لا يريد « وما تتساون الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما » .

ومن المعاني الحديثة :

أولا : ان الله أودع في دم الانسان ما يسميه الأطباء (كرات الدم البيضاء) وكل مليتر مكعب من الدم يضم ثمانية آلاف كرة بيضاء . مهمتها الدفاع عن الجسم اذا تسلفت اليه جراثيم الأمراض فاذا اقتحمت الميكروبات الجسم البشري صدرت إشارة من المخ الى فصيلة من فصائل كرات الدم البيضاء بملاقاة العدو والالتصام به للقضاء عليه ، وقد فطن الأطباء الى هذه الخاصية فاذا انتشر وباء

التوضيحية قوله تعالى : « ان كل نفس لا عليها حافظ » الطارق .
 فانها تعطينا معاني عديدة بعضها قديم وبعضها عرفناه أخيرا عن طريق الكشف العلمية الحديثة فمن المعاني القديمة :

أولا : ان الله سبحانه يحفظنا من كثير من الأخطار المحدقة بنا لأنه سبحانه « خير حافظا وهو أرحم الراحمين » ٦٤ يوسف .

وهذا ما لاحظته الشاعر العربي القديم حيث يقول :
 لعمرك ما يدرى امرؤ كيف يتقى

اذا هو لم يجعل له الله واقيا
 ولاحظ شاعر آخر ان الله يحفظنا من أخطار نعرفها فيلهمنا تجنبها كما يحفظنا دون ان ندري من أخطار لا ندركها فقال :
 نرى الشيء مما يتقى منهابه

وما لانرى مما يقى الله أعظم
ثالثا : ان الله سخر بعض ملائكته لتسجل علينا أفعالنا وأعمالنا ليجازينا عنها بما نستحقه من جزاء كما قال سبحانه « وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعطون ما تفتون » ١٠ - ١٤ الانفطار .

الأجسام الدخيلة ، والخط الثالث هو الخياشيم التى تتقى الهواء تنقية تامة وتدفعه حتى تكون حرارته مناسبة لحرارة الجسم حتى لا يصاب المستنشق بنزلة شعبية أو التهاب رئوى حاد .
وهكذا جميع أعضاء الجسم كل منها مزود بجهاز حافظ وواق من الأخطار .

ثالثا : أما علماء النفس فيفهمون الآية الكريمة فهما جديدا فكل جسم بشرى أمده الله بحافظ ينبهه الى ما يصبىه ويحميه من ارتكاب الآثام التى تدمره تدميرا ويطلقون على هذا الحافظ اسم « الرقيب » ويمكن أن نسميه بالضمير الذى ينبه صاحبه الى اجتتاب ما يخالف القانون أو الأخلاق الكريمة أو الشرائع السماوية وقد يقسح الإنسان فى خطأ ما فينبهه ضميره الى المبادرة باصلاح ما أخطأ فيه .
على أن خير ما نسمى به هذا الحافظ هو التسمية القرآنية « النفس اللوامة » التى تلوم صاحبها اذا قصر أو أهمل أو أخطأ فترده الى انصواب . فليستمع الى

مثل الكوليرا أو الجدرى بادر الأطباء بتطعيم الأصحاء بجراثيم ضعيفة من هذا الوباء لتتدرب كرات الدم البيضاء على ملاقات هذا العدو تدريجا كاميا حتى اذا تعرض الجسم للعدوى بعد ذلك كانت لديها حصانة كافية وقدرة تامة على إبادة هذه الجراثيم .

والقوانين الدولية تحتم على المسافرين من دولة الى أخرى أن يحصنوا أنفسهم بالتطعيم ضد الأمراض المنتشرة .

ليست كرات الدم البيضاء جيشا معدا لحفظ الجسم من جراثيم الأمراض الفتاكة « أن كل نفس لا عليها حافظ » (الطارق) .

ثانيا : ويرى الأطباء تفسيراً جديداً آخر للآية فإن الجراثيم اذا تسللت الى الجسم البشرى عن طريق الأنف مثلا وجدت ثلاثة خطوط دفاعية حافظة للجسم ، الأول منها شعرات الأنف الموجودة فى داخله هى تعمل على تنقية الهواء من هذه الجراثيم وأمثالها ، والخط الثانى عدد المخاط فانها تفرز افرازات عديدة تطرد هذه

ومقصودة ولو ذكر القرآن الكريم كل معنى على حدة في آية مستقلة لتضاعف حجمه أضعاافا مضاعفة وتباغت بعض الأجيال بما لا تستطيع فهمه قبل أن تنفج ثقافتها العلمية .

ان الله هدى الانسان لاختراع انصاروخ صاحب الرؤوس المتعددة التى تنطلق منه فيصيب كل منها هدفا مستقلا مقصودا .

أما أن تعيب الجملة الكلامية عدة أهداف مقصودة في وقت واحد فهذا اعجاز انفرد به القرآن الكريم ليأخذ كل انسان منه مايتفق وثقافته وتفكيره وتقواه ، ويستطيع كل عصر أن يضيف جديدا في فهم هذا الكتاب الكريم الذى « لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه » كما ورد فى الحديث الشريف ، أما مناهج التفسير العلمى لهذا الكتاب المبين فموعدها بها البحث القادم ان شاء الله .

على عبد العظيم

صوت نفسه اللوامه وليستجب لها ليعود الى فطرته الطبيعية النقية التى فطر الله عليها الناس ، والى هذا يشير الحديث الشريف « استفت قلبك وان أفتاك الناس وأفتوك » .

رابعا : يرى علماء الأحياء وأيضا آخر وهو أن الله زود كل كائن حى بما يحفظه ويحميه في ميادين الصراع القائمة بين الأحياء ، فقد زود الله الانسان بالعقل ليحميه من فتك الحيوانات المفترسة به كما زود السلحفاة بالدرع الحصرى الذى يحفظها وزود الثعابين بالسم الواقى ، والقنافذ بالأشواك والأبقار بالقرون ، والأسود بالمخالب والأنياب والغزلان بالخفة والسرعة الفائقة حتى بعض النباتات الضعيفة زودها الله بالأشواك « أن كل نفس لا عليها حافظ » الطارق .

ومن هذا المثل رأينا أن الآية الكريمة زودتنا بمعانى عديدة قديمة وحديثة وقد تعطينا معانى جديدة أخرى في مستقبل الأيام وكل هذه المعانى صحيحة

حول (إعلام) إسلامي رشيد

الوعظ الديني

للشيخ محمد عبد الباق

- ١ -

الذي يشرح للعامة في المساجد مسائل الفقه والعقيدة ليس واعظا بالمعنى الذي نقصده ، بل معلم مثقف ، ولكن هذا الشيخ إذا حث سامعيه على الفضائل والآداب الإسلامية وحضهم على التمسك بالمثل العليا مستشهدا بكتاب الله وسنة رسوله ووقائع السلف الصالح من صدور هذه الأمة ، فهو داعية واعظ ، وهو من نعنيه بهذا التوجيه .

تصادف كلمة الوعظ ثقلا لدى بعض الناس ، إذ توحى اليهم بادية ذي بدء بأنها لا تخرج عن سبيل من النصائح العامة التي يعرفها السامع مقدما ، قبل أن ينطق بها المتكلم ، حتى أصبح من المألوف المشاهد أن تستمع من انسان تنصحه بما ترى في اتباعه الخير ، صيحة متبرمة يلخصها في قوله : كفى كفى ، لا أريد وعظا !

ونحن نعلم أن الوعظ الديني في مطلع هذا القرن لم يكن وظيفة رسمية لها دعائها المعبون من قبل الدولة ، وإنما كان عملا اختياريا يقوم به نفر ممن يعلمون واجبهم المسلم المثقف في هداية النفوس

والوعظ الذي نعنيه بمقال اليوم هو الوعظ الديني الذي يهدي إلى الصلاح دينيا ودنيا وهو شيء آخر غير العلوم الدينية وإن اتفق معها في نتيجته المثمرة ، فالشيخ

مجتمعه ، ليكون الداعية المسلم واعيا بما يجب أن يقول اذ أن لكل مقام مقالا ، ولكن قيام الحرب العالمية الاولى حال دون أن تستكمل رسالتها ، وكان اتجاه الدعاة جميعا الى العامة ، حيث كانوا مظنة وقوع في حبال المبشرين ، فأخذت خطب الجمعة ودروس المساجد ومحاضرات الجمعيات تصاغ على نمط سهل ميسر ، وقارئ الدواوين المنبرية لذلك المهملد يلمس روح الاخلاص دون شك ، ولكنه يلمس في الجهة المقابلة سيولة في القول لا تعرف الحصر الدقيق اذ يتشعب الحديث دون أن يتركز في نقطة واحدة ، كما نرى في خطب الشيخ الصالح محمد الجنبيني - وله عدة دواوين كانت ذات انتشار ممتد في عهده - مع مجموعات أخرى من الخطب الدينية ألفها زكي الدين والشرنوبى والحمامي ، ولا ننكر على هؤلاء الافاضل جهودهم المشكورة اذ بذلوا قصارى ما يستطيعون قبل أن يتقدم الاسلوب المنبرى تفكيراً وتعبيراً وتصويراً واستشهاداً ، وقبل أن

والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر كما يقوم اليوم بعض المتبرعين بالهداية ممن لا يحملون الصبغة الرسمية تعييناً وتصديداً للزمان والمكان ، ولكن الاحتلال الانجليزى قد عمل منذ هزيمة الثورة العراقية على تنشيط التبشير بالمسيحية في بعض البلاد المصرية وبخاصة مدن الصعيد ، فأحس علماء الاسلام بخطر هذا النشاط ، وهبوا تلقائياً يذودون عن معتقدهم الاسلامي وألفت جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية حينئذ لتقوم بالرد على ما يافك المبشرون ، وقد اشتهر من العلماء طائفة مخلصه جعلت قيادها الى المرحوم الشيخ زكى الدين سند رئيس الجماعة ، ومعه زملاء مخلصون من أمثال عبد الوهاب النجار ومحمود محمود ومحمد عبد العزيز الخولى وعلى الجربى وطائفة أخرى من تلاميذ الاستاذ الامام محمد عبده ، ثم رأى السيد رشيد رضا أن ينشئ مدرسة للارشاد الدينى تخرج الدعاة على أحسن ما يرجى من فهم روح العصر ، ونفسيات أبنائه وظروب

خرجنا من تعدد الموضوعات في الموعظة الواحدة ، وهو ما نزال نشكو منه الى اليوم لدى قلة من الدعاة ، لم تقطن الى ارتفاع المستوى الثقافى وفقا لتطور الزمن ، أما الكثرة فقد أخفت بأسباب التركيز والتحديد ، وهو ما ينبغى أن يسكون منها عاما لجميع الداعين .

— ٢ —

أردت بهذه المقدمة التاريخية الموجزة أن أبين أسباب الانخفاض الملموس في المستوى العلمى ، والمنحى الفكرى اللذين شاعا بوضوح لدى نفر من واعظى الأمس ، اذ كانت العامة وحدهم هدف المتحدث فكان مضطرا الى أن يقدم لهم من الغذاء ما يقدرون على هضمه وتمثيله ، وكان ذلك مقبولا بمضى الشئ ، فى زمنه الماضى ، اذ كان المثقفون — أو أكثرهم مع الأسف — لا يجدون استجابة نشيطة من نفوسهم لدعاة الفضيلة ، لأن بريق أوروبا — فيما قبل الحرب العالمية الثانية — كان

تخرج المطبعة فيضا من الدراسات الدينية كما نرى الآن .

ثم أنشئ قسم الوعظ والارشاد بالأزهر ، وقام على توجيهه نفر من كبار العلماء نذكر منهم الأساتذة الكبار على محفوظ ومحمد أحمد العدوى وعبد ربه مفتاح ، وكان مدعاة انشائه أن يفرج من أكفاء الوعاظ من يقومون بهداية الشعب خلقيا واصلاحيا لأن حوادث انثار ببعض الأقاليم ، وشيوع السرقة والتنافس العائلى على الرياسات المحلية فى تحرش بالخصوم ، واستهانة بالأرواح مما دعا وزارة الداخلية المصرية أن تجند نفرا من رجال الأزهر لمكافحة الجريمة ، والدعوة الى أخلاق الاسلام ، فتغلغل الطائفة الأولى من الوعاظ بين الكفور القاصية والنجوع النائية ، لتهدى الضالين بالحكمة والموعظة الحسنة ، ووفقا لمقتضى الحال أخذ هؤلاء الدعاة يصوغون أحاديثهم فى نهج يناسب من يستمعون من العامة ، فيكثرون من أحاديث الترويح ، ولا يجدون

نفوس ، والتزم من منطق فكان ذا اسم ذائع ، ولواء مرفوع ، على حين ظل نفر آخر يخاطب الخاصة خطاب العامة ، ويدعى للمنابر العامة الجبهة في الصحافة والإذاعة والتلفزيون فيقول لديها ما يقوله في قري الريف ونجوع الصعيد ، دون أن يقدر موقفه التوجيهي في عصر متعدد المذاهب، متباين التيارات ، متضارب الميول والنزعات .

ولا أكذب الحق — مرة ثانية — حين أقول أن دراسات متخصصة ، قد أعدت لتكوين هؤلاء الدعاة ، والمأمهم بمسائل جديدة في علوم التربية والنفس والاجتماع ، وإن كتبنا خاصة بالدعوة والدعاة قد كتبت لهم على منوال معاصر ، يكشف عن طبيعة عملهم ، ويخوض إلى أعماقه ، ويطير في آفاقه هذا حق لأمرية فيه ، ولكن قليلا من هؤلاء من انتفع بدراساته العليا وبثقافته المتطورة ، فكان واعظ عصره ، وداعية زمنه ، وغير القليل لم ينتفع لأن الدراسات العليا وما يحذو حذوها من الكتب

يجذبهم إلى ثقافة الغرب وحدها والاكتفاء بها إذا قوبلت بغيرها ، اذ هي في رأيهم ثقافة الحضارة المزدهرة ، والمحدثنة الشامخة بمخترعاتها العلمية ، وتقدمها الصناعي والفكري والاجتماعي فكيف يتركونها إلى مواءم المساجد ، وخطب الجمعيات الدينية ؟ ! ولكن دمار أوروبا بعد هذه الحرب قد فتح العيون النائمة في بلاد الاسلام على ما جهلوه من خطر التمدن الأوربي الخادع ، وتقهر الخلق الانساني هناك إلى مستوى الوحوش المتصارعة في الغابات والنمور الهائجة في الأدغال ، فالتجعت النفوس إلى الاسلام تلتمس في نوره الهداية ، ومن معينه الارتواء ، وكان الظن برجال الارشاد الديني أن يعدوا للموقف عدته ، فيخاطبوا العائدين إلى حظيرة الايمان خطاب المثقف المستتير ، ولا أكذب الله حين أقول أن من بين هؤلاء الأفاضل من برع في أداء رسالته ، وأبدع في توجيهه بما وعى من ثقافة ، ودرس من مذاهب ، وخبر من

المتوقدة في النقاش ، وحسن تأتية
في الجدال ، وادراكه الواعي
لطبيعة من حوله من الناس ، فقال
الكاتب الكبير ما ملخصه :

في أثناء الحرب العالمية المحمرة،
وقف بعض الواعظين يتحدث في
مصنع أوربي فصاح به أحد العمال
في تبرم : ما هذه الجراءة على
الوعظ باسم الله المحبة والرحمة ،
وهذه الحرب تطحن الناس ؟

فأجاب الواعظ في هدوء صابر :
انك يا أخي لقاس على الأقدار ،
فهيك في مكان القدر ، فما عمالك
تصنع بالدنيا ؟ لا أحسبك كنت
تخليها من الخطيئة ، لأن النفس
مريدة وحرة ولا بد أن تخطئ،
وتصيب ، والا كانت مجبورة
مسيرة ، أنت اذا أردت لها شيئا
ملزما ، هدمت تكوينها النفسي
باعتبارها نفسها مكلفة ذات حرية
وتقدير ، فان لم تصنع هذا فما
أنت صانع ؟

فقال العامل — وكان على
نصيب من الادراك الثقافي — على
أي حال لا أدع انسلنا في الحياة ،

الموجهة لم تصادف من عقله
دراسات سابقة تمهد لقبول هذه
الأماني ، وحسبك أن تعلم مثلا
أن علم الكلام القديم هو حصيلة
العقلية في مجال الدعوة للعقيدة
في عصر تنتشر فيه الوجودية
والشيوعية والمادية وما ينحو
نحوها مما يهدم أصول العقيدة
الاسلامية اذا سكت عن دفعه
بالبرهان الصريح ، وقد أصبحنا
في عصر مفتوح التوافذ للاذاعات
المغرضة تقذف سمومها كما تشاء ،
ولن يستطيع المسلم تحصين نفسه
من هذه السموم دون ارشاد
هاد ووعظ مستقير ! ولا أجد حرجا
من أن أقول ان بعض دعاة
المسيحية في أوروبا أكثر المأما
بتيارات عصره ، ومنحرفاته
الملتوية ، فهو على التوجيه أقدر .
ولعلمي أبرهن على ذلك بالمثال .

— ٢ —

كتب الأستاذ الكبير عباس
محمود العقاد مقالا جيدا تحت
عنوان (كيف يعملون) يتحدث فيه
عن واعظ أوربي أعجبه المبعته

مخاطبيه ، ونحن في زمن لا يكاد
ينجح فيه الواعظ المسلم نجاحا ذا
تأثير مأمول إذا اقتصر على سوق
الآيات القرآنية والأحاديث النبوية
مجردة من حرارة القائل ، وصدق
تفسيره ، ولطف مدخله ، وطول
أمانته ، لأن العقول في زماننا هذا
حائرة قلقة وتريد أن يصف لها
العلاج من كتاب الله أن يقدر على
إظهار حقائقه الربانية ، فالواعظ
أذن مسئول عن موضع
الاستشهاد ، ومناسبتة ، وبراعة
توجيهه ، والتأكد من انطباقه على
ما يتحدث عنه دون تمحل أو
افتعال ، حيث يكون الربط واضحا
في غير اعتساف ، وتلك ناحية عقلية
لا بد أن تتآخى مع ناحية
خلاقية ، إذ يكون الداعية
موضع القدوة المثالية فهو
الأنموذج المحتذى لأنه ملترم بما
يقول قبل أن يطالب به سامعيه ،
وقد يبلغ العمل الواحد من التأثير
النفسي ما لا تبلغه آلاف الأقوال ،
وأنا أعرف من كبار الدعاة من كانوا
يؤثرن بالسلوك وهذه دون أن
يعطوا منصات المنابر الا في النادر

يألم لجرأة غيره ، ويصلى بحزاء
ذنب لم يرتكبه ؟

فما جله الواعظ يقول : يالها من
حياة مسخيفة تلك التي تريدها ،
فما ذا تتوى أن تصنع بالأمهات
مثلا ؟ أتريد لأُم أن يذهب ابنها
للموت أو ابنتها للمبار ،
ثم تضحك بعد ذلك لاهية ،
لأنها لا تصح الألم في ذاتها
الشخصية ، لأنه - حينئذ -
موجه الى الابن أو البنت فقط !
أتريد لها أن تقول : ان الذنب ذنب
غيري فلا أكرت به ! ان الدنيا
حينئذ تخلو من أنبل المواطف ،
وأرق المشاعر ، إذ تكون خلوا من
فضائل الأمهات والآباء وتعاطف
الأوداء والأحباب !

هذا مثل جيد لواعظ بصير ،
وآية الجودة فيه أنه يخاطب العقل
المدرک في نفس المستمع ، ويقدر
الأحوال المحيطة به قبل أن يأتي
ببرهانه أيجبيء رده مطلقا كل
ما يعتلج بالنفوس من حزازة
الشك ، ولن يصل الى ذلك غير
داعية من تتقف بثقافة عصره ،
وتكشف عن الأعماق من نفوس

وسائل الايضاح في حرسه ما يمهّد
به سبيل المعرفة الى عقول التلاميذ،
فالواعظ مدرس أيضا في هديه ،
وعليه أن يهتم بوسائل الايضاح
المجدية ليصل الى النفوس دون
عناء .

هذا ، والايجاز - لدى - أبلغ
من الاسهاب ، إذ ألف نفر من
الواعظين أن يظلوا الساعة
والساعتين صائحين متكلمين ، وكان
امتداد الزمن وحده مقياس
الجدوى ، مع أنه داعية الى
الاستطراد من القائل ، والملك من
السامع ، والسامعون -
لا محالة - طبقات ، منهم من
يثابر على الفهم ، ومنهم من
ينصرف الى أحلامه الخاصة فيرى
مستمعا بجسمه دون فكره ، وإذا
كان الاطناب مع الجودة والاصابة
مملا ، فكيف به مع التفاهة والحشو
والاستطراد والتكرار !

لقد كان الحسن البصري رضي
الله عنه أبلغ الدعاة في عصره .
وكان يقبل خطب الحجاج
ابن يوسف الثقفي بعبارات

القليل ، فإذا تكلموا كان حديثهم
تطبيقا عمليا لما يريدون .

على أن ثقافة العصر بمدارسه
ومعاهده وجامعاته وكتبه وإذاعاته
تحتّم على الواعظ المستتير أن
يلمس عيوب الواعظ القديم ليتركها
دون رجعة ، ولكن الواقع غير ذلك
فأنت لا تزال تسمع نفرا من
الواعظين يغمرون الأسماع
بالقصص الخرافية ، والروايات
المسبوقة ، ويحشدون من
الاسرائيليات وأشباهها ما يفرق
السامعين فيلجب صاحب لاخبريه،
ونحن لا ننكر أن الحرص على
التشويق وجذب الأسماع الى
الواعظ شيء مطلوب ، ولكننا
نريد بالتشويق المؤثر أن يتم في
ميدانه الطبيعي ، حين يرتفع
الواعظ عن التسلية السطحية الى
التثقيف الموجه ، فهو ذو مصباح
لا بد أن يبديد ظلام الشبهات ،
وعياهب النفوس فإذا لم تستطع
أشعة وعظه أن تهدي النفوس
بغير الملفق من الأقاصيص ، فقد
حاد عن الطريق ، وإذا كان المدرس
في حقل التربية والتعليم يتخذ من

تلقاه ، ثم ما شغفه به من التعقيب
كل ذلك لم يستغرق دقيقة واحدة .
ولكنه ترك في النفس أبلغ ما يتركه
واعظ كبير يتحدث عن الموت ساعة
كاملة دون انقطاع ، وما ذلك الا
لحرص الحسن على انتهاز الفرصة
المواتية ، فسقط حديثه كما يسقط
النيث على المرعى الجديد ، وليس
الحسن البصري وحده فريدا في بابيه
بل يشاركه أهلام بلارزون من
طرازه . وأذكر أن الجاحظ قال
« ما تحدث عمرو بن ذر الهمداني في
مجلس وعظه الا حسبت أن قد نفخ
في الصور وقام الناس لرب
العالمين » .

كيف ارتقى الحسن في اقناعه ؟
وكيف اهتدى ابن ذر في ابداعه ؟
سؤالان ، جوابهما القدرة عني
انتهاز الموقف بالقول الصائب ! أما
العلم وحده فما أكثره . وما أقل
ما يجدى دون التفات الى مقتضيات
الأحوال .

د . محمد رجب البيومي

موجزة ، تحير الحجاج وتدهشه ،
وتوقعه موقع القلق والاضطراب ،
فلا يستطيع أن يرد ، وما كان
الحسن رحمه الله يزيد في وعظه
البليغ على فقرات يمسيرة ، تهب
على المؤمنين روحها وريحانها ،
وتصب على العصاة شواظا من
لهب .

عاد الحسن البصري ذات صباح
مع العائدين من تشييع جنازة لأحد
كبراء البصرة ، فالتفت الى
أصحابه ، ونظر طويلا ، فشفصوا
اليه منتبهين ، ثم سألهم في تودة :

تري لو رجع هذا الميت ثانية
الى الحياة الدنيا أكان يحرص على
الطاعات ؟

فقال السامعون جميعا : نعم .
فصدق فيهم الحسن متفرسا ثم
قال في تمهل : أما نحن لمقد
رجعنا ، وعلينا أن نحرص !

ان السؤال الوجيز الذي وجهه
الداعية الكبير ، والرد الموجز الذي

من شعراء الازهر

الشاعر الدكتور كيلا في حسن هند

الدكتور محمد عبد الغنى خفاص

بعد ألف عام وعالم :

الدنيا لموت هذا الشاعر العملاق ،
الذي لا أعرف له نظيرا في حلاوة
موسيقاه ، ولا في رعشات صوره ،
ولا في وهج غنه ، وجمال الهامه ،
وبلاغة صياغته مات شاعر ، كان حقا
سيمصبح مفخرة للوطن وللمروية
وللإنسانية •

مات الشاعر د • كيلا في حسن
سند وفقدنا بموته الانعام
الشعري الرفيع ، والموهبة
الساحرة الغنية المعطاء ، والابداع
الشعري الذي لا نهاية لعذوبته
وجماله وسحره •

وهل يمكن أن يجود الزمن
بمثل عبقرية هذا الانسان ، هذا
الشاعر ، هذا الفنان المبدع حقا •

وأشهد أنني لم أقرأ شعرا له

سوف تحتلى الأجيال بذكرى
شاعر كبير ، عاش هنا ، ومات
هنا ، دون أن يعرفه عصره
ومجتمعه ، ودون أن يفهم زمنه
وبيئته حق قدره ، وحق ما يجب
له من تكريم ووفاء •

ولسوف تقول الأجيال القادمة
عنه : لقد كان شاعرا مبدعا موهوبا
أدى للعبقرية وللفن أروع ما يؤديه
شاعر ، عاش بينى المجد والحياة
لأمتة ووطنه ، ولجماهير شعبه ،
وهو يردد أغانيه للحياة وللحب
والحرية ولانتصار الانسان •

وعجبت والله : كيف لم تهتز

سند - رحمه الله - ولم ينشر
المقال بعد .. وأظن أن عدم
نشره حتى اليوم يرجع
إلى أن المحرر المسئول له رأى
خلاف رأى .. وقد ينشر المقال
بعد حين ، ولكن نشره لن يبعد عن
وجداني روح الأسف لأن الشاعر
كيلاى سند لم يقرأه في حياته
منشورا ، ولم يعرف رأى في
شاعريته الخطوة الساحرة الغنية
المعطاء ، التي خلفت لنا دواوين
أربعة مطبوعة :

- قصائد في القنال وقد صدر
عام ١٩٥٧ .

- في العاصفة الذي صدر عام
١٩٦٢ .

- قبل ما تسقط الأمطار وقد
صدر عام ١٩٦٨ .

- في انتظار المطر الصادر عام
١٩٧٧ .

وهناك ديوان خامس مخطوط ،
نعمه يرى النور في القريب .

الا وملكنتي هزة الاعجاب ، بهذا
النعم الشعري الفشوان ، وبهذا
العطاء السحري الفينان ، وبذلك
الروعة والطبقة الابداعية
الصراحة ، بل بذلك المنجم الماس
الثري ، الذي طالما نفحننا ثراء
وعطاء وجمالا دون حدود .

وكنت أقول ما لأسيوط
والأسليطة وما للشعر ٢٢ ..

وكذبت مقولتي هذه أشعار
الكيلاى حسن سند أولا ..
وكذبتا أشعار محمود حسن
اسماعيل ، وفوزى العنتيل ، وبكر
موسى أخيرا .. والثلاثة ممن
أعرفهم ، ومن نشأوا في القرية ،
وعاشوا في المدينة ، ومن تلقوا
ثقافتهم الأولى في المعهد الدينى
في أسيوط ، ومن كانت موسيقاهم
مع اختلاف درجاتها حلوة
وجميلة ..

كُتبت منذ أكثر من عام مقالا
لمجلة شهرية أُرشح فيها للمجد
ثلاثة شعراء ، كان أولهم
شاعرنا الخالد د . كيلاى حسن

ولا أريد هنا ذكر كتب أصدرها
الشاعر ، ومنها :

— تجارب شعرية •

— ذو الرمة ، الذي صدر في
سلسلة أعلام العرب ، ولا ذكر
رسالته المخطوطة للدكتوراه ،
وموضوعها « حازم القرطاجني
شاعرا » •

ولأذكر كتب جامعية ، كتبها
لطلابه في كلية التربية بالفيوم •

ولقد حصل على الدكتوراه في
الأدب والنقد من كلية اللغة عام
١٩٧٤ بمرتبة الشرف الأولى •

وحسبى هنا أن أتحدث عن
شعره وشاعريته ، وتجاربه
الشعرية الانسانية العالية •

— ٢ —

ولنقرأ للشاعر قصيدته الأولى
في ديوانه الثالث ، « قبل ماتسقط
الأمطار » وعنوانها « الكلمات » ،
وفيها يقول :

يا كلماتي

يا كلمات سنييني العجفاء
أقسم أنى ما قصرت

سرت ، جريت ، مشيت على الشوك
مشيت ما قصرت

ما وفرت خياء العينين
ما وفرت

لكن الطرقات المكتظة بالأحجار
ما تركت لى أن أختار

وأنا قلبي كالصفيور ، وزندي
لا يصمد وسط التيار

مع الاشرار

ماذا يمنع من لا يصمد غير جبال
النار

إذا ما انهار أمام الشوك أو الأحجار
يطأطأ حين تهب الريح ، ويصمد
في وجه الاعصار

يا كلماتي ، ياخيومات تحمينى من
وهج الصيف أو الأمطار

مما يرفع رأسى زهوا

أنى ماسطرت الأحرف لنوا

مادنست طريق الشعب

ما طرزتك حول وشاح كى يتقلده
جبار

يتقه حين يشاهد روما وسط النار
كتت أريدك بستانا أن جاء المتعب

لم يكن يملك فيه ذاتية الصياغة ،
ولا حرية النظم ، حتى لنجد له
مثل قوله :

سيبيكي الحيال

فتصرخ أهمهم في انفعال :

ابوتهم ، وخبزكم ، والادام ، وكل
الرجال ..

مضوا مرغمين لحفر القنال

ونلمسه في ديوانه الثانى « فى
العاصفة » فى مثل قصيدته الاولى
« الطريق الشائك » ، التى يقول
فيها :

باكم عبرنا قنطرة

وأبحرا رهية أمواجها مزمجرة
وكم صعدنا قمة عالية ، مسورة
نبحث عن أغنية صغيرة ، عن
جوهرة

وزادنا على الطريق ورق ومجبرة
وأسيات فى الصدور غضة
مخضوضرة

يا اخوة سيقبلون والليالى مقمرة
ويسلكون دربنا مواكبا مستبشرة
طريقهم مهد وأرضهم محررة
فلم يروا أنا غرسنا واحة معطرة
سوى بذور لم تزل نائمة مخدرة

ياكل ، يشرب ، ينفو ، ينسى أحلام
الغرباء

خبزا للجوعى ، ودواء للمرضى ،
وغطاء للعقور ، وسندة من ريش
نعام

للأيتام

كنت أريدك .. لو كانت تتحقق لو !
ولكن مما سيمزى القلب :-

خطا ؟ الأحباب ، خطا من يملك
هذا الدرب

أرأيت السحر والنشوة ،
والموسيقى والأحلام ، والانسانية
كيف تتدفق من ألحان هذه القديدة
انجميلة ، المعبرة عن فكر ثرى ،
ومضمون غنى ، وبألوان من
الصياغة الفريدة الجديدة ؟

القصيدة تلخص فكر الشاعر
ورؤاه ، وحرصه الدائب على
شرف القلم ، وصحق الكلمة .

وليس هذا المضمون بجديد على
الشاعر انما نلمسه فى ديوانه
الأول قصائد فى القتال ، وهو يعبر
عن تضال المصرى الذى سخره
المستعمرون لحفر القنال ، تعبيرا

وبعض نجومات صفار في الطريق نيرة
 غاتذكروا أنا عبرنا ألف قنطرة
 ونكى أذكر
 أنا أعرف لا أنكر
 ذلك النغم الشعري الانساني
 الرفيع هو فكر الشاعر طول حياته
 من بحثها لختامها لقد حمل قلمه في
 يديه ، وسار طول عمره في هجر
 الحياة ينحى .. للحرية ، للانسان ،
 للوطن ، للشعب .
 يقول في ديوانه (في العاصفة)
 من قصيدته (يارياح الخريف) :
 تتوالى الهموم من كل فج
 مشرعات على حر السلاح
 وأنا أغزل الكآبة شعرا
 هو شكوى مواجعي وجراحي
 أتغنى به فيخضر نبت
 من حوالى تشب أفاهى
 وأراني نفضت على غبارى
 ثم واصلت رحلتى وكفاهى
 ياطريق الحياة لا الشوك يثنيى
 لا ولا الصخر سوف يثنى طماهى
 سوف أشدو ليملا النور قلبى
 ثم أمشى على رنين صداحى
 انى السابق المبشر بالفجر
 فمن يستطيع وأد صياحى ؟
 - ٢ -
 والحب هو النصار الأبدى الذى

ونلمسه في ديوانه الأخير « في
 انتظار المطر »
 يقول من قصيدته « أغنية » :
 ان تدر طرفك تبصر من هو الينا
 حيارى
 وردوا النهر وعادوا منه بالهم
 سكارى
 آه لو نجل يوما لهم الحب منارا
 ونغضى ، فالسربا الخضراء لا تبقى
 صحارى
 ربما نصنع شيئا قبل ما أن نتواري
 وفي قصيدته « الخريف والحب »
 يقول :
 لقد غنيت للشاكى ، وللباكى ،
 وللمتهوركى يقوى
 ومن يشقى بلاجدوى
 وذلت لهم اذا ما جاء عيدهم الذى
 أهوى
 سأسكرهم بقيثارى
 وأتركه لهم ذكرى لكى يرثوه من
 بمدى

رفعه الشاعر أمامه ، وهو يحنى لنحية وللحرية ..	فكان جداول من طل رشت بالفرحة أعشابى
يقول فى ديوانه « فى العاصفة » من قصيدته « العودة » :	وفى ديوانه الاخير يقول من قصيدة « عصفور الحب » :
أحبابى غابوا ، أحبابى من سنة ما طرقتوا بابى	عصفور الحب الثرثار أرهقنى ، أتعبنى ، شئت من ذهنى الأفكار
عابوا ، مامروا ، ما سألوا ، ماتركوا لى أى جواب	أرجعنى طفلا يتأرجح بين غصون الأشجار
كانوا كنجوم من حولى لفتهم أودية سحاب	أنسانى عمرى ، تجربتى ، أنسانى معنى أن أختار
أحبابى غابوا ، أحبابى ، فكسانى الليل بجلباب	أقسم بالحب وبالموسيقى ، بالأشجار
وطريقى ممثلى شوكا ، وصخورا تنهش أعصابى	أقسم بالماء الجارى ، كالفضة فى الأنهار
حتى وكرمتنا قديمت ، قد صارت حزمة أحطاب	أقسم لن يرجع بعد اليوم ، فقلت له : يامكار
أترى سنعود كما كنا فتمساقى الفرح بأكواب	سنعود اذا خلع الورد القمصان ، وفك عن العطر الأزارار
نمشى فالنخضرة تكفنا ، آلاف حقول وروابى	سنعود مع الأطيار مع النسمة حين توشش آذان الأزهار
وأعود فأسمع دقات ، دقات أصابح بالباب	

حين يعود الناس اثنين ، اثنين ،
 وكل حديثهما أشجار
 لكنى سأقص الريش ، أعريك
 وألقيك أمام الريح ، وتحت الأمطار
 فتبسم منطلقا يتحدى
 سأعود ولو تلقيني في النار
 ان هذا الجمال الفنى في الحوار
 في الصور ، في الصياغة ، في الرقة
 والمعذوبة ، في الانسانية ، في الحب
 لا تجده الا عند شاعرنا الخالد
 وانظروا اليه يقول من قصيدته
 (دعوة) في الديوان نفسه :
 سأدعو عليك

— ٤ —

يحج الفراش الى وجنتيك •
 وحين يمر به النحل يحكى له
 عنك عما رآه لديك فيأتيك في لهفة
 العاشقين ليرتشف الشهد من
 شفقتك •
 سأدعو عليك

إذا النوم عشن في مقلتيك •
 قرين المحبين قد قبلوا يديك ،
 وقد قبلوا قدميك وقالوا : دمانا
 التي قد سفكت على وجنتيك وفي
 راحتك
 سأدعو عليك

ولا يقف الشاعر شعره على
 الحرية ، والوطنية وحدهما ، ولا
 على الحب والاحباب وحدهما ،
 بل تراه يطيل الحديث في دواوينه
 عن : نفسه ، وداته وحياته •

ماتت أمه ، ولفه أبوه بمعطفه
 وتحت جناحه ، ثم طوى أبوه عنه
 ظله ، وصور الشاعر ذلك كله ، في
 قصيدته الجميلة « الطير الغريب »
 في ديوانه « في العاصفة » •• وقد
 وازنت بينها وبين قصيدة لنزار

العاصف « ... وفيها يقول :
 أبتي ودموعي في خدي
 وجراحك مازالت عندي
 في الحلم أراك تخاصمني
 تتركني في الغسرية وحدي
 فأحس الشوك بأعمقني
 وبكى النار على جلدي
 أنسى .. مازلت أرددها
 فأحس لها طعم الشهد
 أتراك مستغفر لي أنى
 بالأمس فصمت عري الود
 وهجرتك اذ أمي ماتت
 وشعرت بالآلام الفقد
 فبدت بسماي أجفنة
 سود ، أجفنة من حقد
 صبغت دنياي فلم أبصر
 في الورد سوى ثوك الورد
 قد تعتبر ورق أيامي
 كي يقلع في بحر المد
 قد مات وأصبح جثماننا
 سيواري بتراب اللحد
 فشعرت ببركان الذكرى
 يتمدد وحشا في قيد
 وهوت في صدري زهرات

تيلني في وفلة أبيه وذلك في
 كتلي (١) « الشعر الحديث
 ومدارسه » .

ولكن كيف يطوى الأب ظله عن
 ابنه الصغير .. ذلك ماشرحه
 الشاعر في قصيدته الأخرى «جنة
 الحب » في الديوان نفسه ، التي
 يقول منها :

قد كان أبي ملكي وحدي
 وأنا قد كنت له وحده

سنوات مرت كشوان واذا بالجنة
 مسودة

لفتها نار ، تين ، قد أفرغ في الجنة
 حقدك كالفرخ الأزغب مرتاعا ، في
 اللحن وقد أصبح وحده قد صرت ،
 فخلص يقيم ، أحساس بالعربة
 بعده ويغضب الشاعر الحياة في
 القرية ، ويودع أباه ، ويتركه الى
 القاهرة .. ويذكر ذلك في قصيدته
 (وداعا يا أبي) من ديوانه الأخير
 « في انتظار المطر » .

وبعد سنوات يرحل أبوه عن
 الدنيا ، فيرثه بقصيدته « ثم
 افترقنا » من الديوان الثاني « في

— الحادى عشر من ذى الحجة عام ١٣٩٩ هـ — عن أربعة وخمسين عاما ميلاديا ، واذا كان ميلاده عام ١٩٢٥ م فى قرية أبو محمد مركز أبو تيج — ولربما يكون الشاعر قد صور هذه المرحلة الأخيرة من حياته ، مع المرض ، الذى استمر عامين ، فى ديوانه الذى لم ينشر بعد ، والذى سيكون ضوءا جديدا لجوانب مجهولة من حياة الشاعر الأخيرة . ولنترك ذلك كله الى قصيدته :

« انسان بلا أسطورة » من ديوانه « فى العاصفة » ، حيث صور الشاعر حياته فيها بلا مبالغة ، بل بصدق وبساطة وجمال . . . يقول الشاعر لفتاته :

بين البيوت بيتنا هناك حيث أنظر
جدرانه طينية حوالطوب فيها أخضر
ويابه جميزة ، كانت هناك ، لا تثمر
انبدر من عشاق ذاك المصطفى
الاشقر

وان دخلت بيتنا لن تجدى ما يبهى
لكما أفرأنا كثيرة لا تحصر
الليل لا ننامه نزال فيه نسهى

قد كانت أعلى ما عسى
وتمضى المحنة . . وتبتسم
الحياة للشاعر ، ويعيش ينغى
لآماله وأحلامه . . واذا
هو فى محنة جديدة ،
محنة يرى نفسه فيها وحيدا بعد
ما كان قد ركن الى ظل يأوى اليه
فى الحياة . . وتحدث عن ذلك
طويلا فى العديد من قصائده ، فى
ديوانه الثالث « قبل ما تسقط
الأمطار » . . ومنها قصيدته
« فلتبمدى عنى » .

وفى ديوانه الاخير قصيدة
بعنوان « مرثية فى ساعة الضعف »
يرثى فيها الشاعر نفسه ، لما رأى
صفحات كناهه الطويل لم يقرأها
أحد ، وأحلامه بعد هذا الكفاح لم
تصل به الى غاية .



ثم هالف الشاعر المرض فى
أخريات حياته ، حتى جاءه أجله ،
وانتهت صفحة حياته ، فعادر
الدنيا الى غير عودة . . وذلك فى
اليوم الاول من نوفمبر عام ١٩٧٩ م

من الرجاء تقيّر الليل للشارى

وكلمة بسيطة تجعلنا نكركر

— ٥ —

ومثل كل المتعبين فى غد نفكر

صديقتى أما أنا فما دمتى خير

وفى شعر الشاعر روائع من
الشعر الانسانى الساحر ، الذى
لا نجد له مثيلا عند الشعراء
المعاصرين ، كقصيدة « صباح »
فى ديوانه الأخير ، وصباح هى
الطفلة الصغيرة التى تفرح بفرح
الشاعر وابتسامته للحياة ، ويضيق
النطاق عن الاستشهاد بها ، ويكثر
من القصائد التى أشرنا اليها ،
وتبدو كذلك انسانية الشاعر فى
قصائد كثيرة ، غنى فيها للحياة
والانسان والفلاح وللمعاش ،
وللطفل وللمحروم ، وللشعب ..
كما تبدو فى قصيدته (الحب) من
ديوانه الثانى ، فى العاصفة ،
وفىها يقول :

عار ، بلا أسطورة وهمية تحير
هينا أحس أننى من الحياة أكبر
وبعض حين ذرة ضئيلة أو أصغر
صديقتى الوداع انى هاهنا أنتظر
تلك التى من طينتى لا شئ فيها
أنكر .

وطيلة حياته كان طموح الشاعر
أكثر مما تحتمله قواه .. كان
يسمى الى المجد ، وكان يظن أن
المجد بعيد عنه ، وما علم أنه حين
احترق بفار الحزمان ، سعى اليه
المجد من كل مكان مجد الشعر ،
لا مجد السلطان .. يقول لحبيبته
من قصيدته (اليها) من ديوانه فى
العاصفة .

كن مثلما شاء الندى
مثل الصباح الاشرق

كالطير فى أفراجه
غنى لكل البشر

غن لهم ، اوث نهم
قلوبهم من حجر

اليك يا سر قلبى كل أغنية
عصرتها من دمي المشيوب كالنار
اليك دفعة قلب ليس يشغله
عنك التقرب من دار الى دار
يلحق الخطو خلف المجد يطلبه
ودونه الدهر ، ليت الغابة الضارى
وكل ما يطمئنى منك بارقة

وافتح لهم نافذة — الربيع كذلك صبيًا فيقول في ديوانه الثاني :

فالحبيب أي منجم
في قلب انسان ثري
وفجأة قد مر ظل فالتفت اذا
صبي ورد الربيع بوجنته ، وشعره
الذهب النقي .

لون الضحى من لونه
والعطر بين الزهر
وهو يستعمل الكثير من الكلمات
والاساليب الدارجة الفصحى — في
في خفة روح ، وحلاوة تعبير ،
ومهارة صانع غنان .. يقول :

بالحب ، حب البشر
هذا الى شعر الشاعر في الوطن
والوطنية ، وهو كثير ، كقصيدته
« العبور » في ديوانه الاخير ،
وقصيدته « مراثية لبطل » في
الديوان نفسه .

وما أروع « الشاعر كيلاني
حسن سند » في موسيقاه ، في
صوره ، في أخيلته ، في صياغته ،
في مضمونه .

يخال الفجر صبيًا فيقول في
ديوانه الثالث :

وجاء الفجر صبيًا أثقَر ،
طافيا ، بدق على الابواب ويجعل

وظاهرة فنية أخرى واضحة
في شعر الشاعر « كيلاني حسن
سند » رحمه الله ، وهي بلاغة
التكرار في شعره ، الذي يجعل منه
في القصيدة مثل التفتة في الموشحة .

(١) ١٥ في العاصفة .

(٢) ١٧ في العاصفة .

ويعود ذلك في قصيدته (دعوة)
التي سبق أن ذكرناها ، وكذلك في
قصائده :

١ - حلاوة موسيقى الشاعر •
٢ - كثرة الصور في شعره •
٣ - بلاغة التكرار في شعره •
٤ - بعده عن التقرير والخطابية
في شعره •

— الخريف والحب (ص ٤٠ من
الديوان الاخير) •

— مرثية حب (من ٧٨ الديوان
نفسه) •

٥ - بساطة الاسلوب والتعبير •
وبعد .. لماذا نقول عن الشاعر
« الدكتور كيلاني حسن مسند »
الذي كان يملك موهبة فنية ساحرة،
وموسيقى عذبة نادرة ، والذي
امتزج الفن والشعر بأعماق نفسه
وطوايا جوانحه .. والذي صار
حديثا وذكرى وقصة سوف تتلى
على مدى الايام ، ذكرى الشاعر
العظيم ، وحديث الشعر الرفيع
الذي يقول عنه من قصيدته
(يا شعر) من ديوانه الثاني
(في العاصفة) ١

— أمل (ص ٣٠ في العاصفة) •
ولقد كتب من قبل عن ديوانه
في العاصفة مقالا نشر في مجلة
الازهر حيث ذكر أن فلسفة الشاعر
في هذا الديوان تدور حول أمسور
ثلاثة :

١ - الشعور الكامل بدور الفن
في الحياة ، وأثره في مستقبل
البشر •

٢ - الايمان بالخير وبالحب ،
حب الحياة ، وحب البشر ، وحب
الانسانية •

٣ - التفاؤل والابتسام للحياة •
وقلت ان فن الشاعر يتميز
بخصائص عدة :

يا شعر ، يا لحن القلوب ، ويا
نشيد الحائرين ، يا غنوة طففت
بها كأس المصيبة والحزن ،
يارعشة القلب الجريح ، ويا صدى
الروح الحزين ، يا موجة غسلت

وقبل أن يرحل الشاعر عنا بأكثر
من عشر سنوات كانت له أمنية ،
أن يرقد رقدته الأخيرة في واد بعيد
في ظلال الصمت والعزلة ، حتى
اسقراً له وهو يقول من قصيدته
(أمنية) في ديوانه الثالث :

طويت شراعى المكدود من سمعى
وترحالى ، وهانذا أود أنام ، ألن
ألقى بأحمالى بواد منزو في الصمت
واد بين أدغال سوى عصفورة ثكلى
تكن بعشها الخالى ، وغير الريح
حين تهب تكسونى بسريرال *

وكان ما تمناء الشاعر ،
قدفن في واد منزو بين الصمت
والمسكون والادغال والريح
التي تثير التراب ، والعصفورة
الثكلى التي تذوب أنينا في عشها
الخالى *

ومشى الناس يقولون : هنا
دفن شاعر ..

د • محمد عبد النعم خفاجى

جرحات الفؤاد من الأكين ،
ويا وحى ليلى والحياة يلفها حولى
السكون يادفعة الشوق الحبيس
وصرخة الامل السجين ، يا مشعلا
بيدى يضىء لى الطريق فيستبين ،
لولاك يا شعرى للذت من المواجه
بالمشون *

وفي قصيدته (زوابع) من
ديوانه الثالث يقول :

ياشمر ما أنت الا فوابع في
دمائى ، أهتز منها كأنى دوامة في
هواء *

ليلى غلاف صفيق مطرز بالشتاء
غرد لنمشى ونمشى الى مروج
وماء ، وتطلق الفجر نهرا يزيل ليل
الشتاء *

ومضى الشاعر وودع الشمر
والحياة ، بعد أن ترك منجما ذهبيا
من القصيد ، تثرى به الاجيال *

مضى وخلف شعره يضىء للناس
طريقهم في الحياة ، فيسمد
المحرومون ، وينعم الممذبون ،
ويفرح البائسون *

أخطاء شائعة

د. مناد عباس أبو العز

- ٥٧٥ ويقول : لهذا التاجر كثير من الزبائن ، وهذا التعبير فاسد لأن كلمة الزبائن بمعنى المشتريين لم يستعملها الا المحدثون ، محتجين بأن الزبن معناه الدفع ، اذ يقال : أراد فلان حاجته فزينه عنها رجل آخر ، والمشتريين يزبن بعضهم بعضا .
- والحق : أنه لا يجوز استعمالها بهذا المعنى ، لأنها لم ترد عن العرب ، ولأن مماثل لا يطرء الا في رباعى مؤنث ثالثة مدة كرسالة ورسائل ، وصحيفة وصحائف ، وعجوز للمؤنث وعجائز ، فاذا كان العجوز ذكرا قيل : رجل عجوز ، ورجال عجز بضميتين . ومثل ذلك : قولهم امرأة عروس ونسوة عرائس ، ورجل عروس ورجال عروس . وكلمة زبون تكون صفة للمؤنث كما تكون صفة للمذكر . فمن الأولى : قولك الناقة زبون لأنها تزبن ولدها ، أى : تدفعه عن ضرعها ، كما أنها تزبن حالبها . فيقتال في الجمع النوق زبائن وكذلك الحرب زبون ، أى : صعبة كالناقة الزبون ، والحروب زبائن .
- ومن الثانية : قولك لمن يزبن كثيرا ويغبن : رجل زبون ، ورجال زبن بضميتين .
- والصواب : أن يقال بدلا من الزبائن حروفاً جمع : حريف كشریف وشرفاء ، تقول : حريف الرجل لعياله من هنا وهناك يحرف ، اذ كسب لهم ما يقتاتون به ، والاسم : الحرفة . بكسر الحاء .
- والحق : أنه لا يجوز استعمالها بهذا المعنى ، لأنها لم ترد عن العرب ، ولأن مماثل لا يطرء الا في رباعى مؤنث ثالثة مدة كرسالة ورسائل ، وصحيفة وصحائف ، وعجوز للمؤنث وعجائز ، فاذا كان العجوز ذكرا قيل : رجل عجوز ، ورجال عجز بضميتين . ومثل ذلك : قولهم امرأة عروس ونسوة عرائس ، ورجل عروس ورجال عروس . وكلمة زبون تكون صفة للمؤنث كما تكون صفة للمذكر . فمن الأولى : قولك الناقة زبون لأنها تزبن ولدها ، أى : تدفعه عن ضرعها ، كما أنها تزبن حالبها . فيقتال في الجمع النوق زبائن وكذلك الحرب زبون ، أى : صعبة كالناقة الزبون ، والحروب زبائن .

يستبدل بكلمة جيرة إحدى كلمتين
جوار بكسر الجيم أو ضمها ،
ومجاورة فيقال : جيران جوارهم
طيب ، أو مجاورتهم طيبة .

٥٧٧ ويقولون صرح الرئيس
لفلان بالسفر وأعطاه تصريحاً
بذلك ، يعنون أنه أتاحه له ،
والمصواب أن يقال : أذن له في
السفر ومنحه اذناً به ، أما
التصريح فهو تبين الأمر ، تقول:
صرح فلان بما في نفسه تصريحاً
إذا بينه وأظهره ، وصرح النهار
إذا انكشف سحابة وأضاعت
شمسه ، وصرح الحق عن محضه
أى عن خالصه ، وذلك إذا انكشف
بعد خفائه ، وصرحت الخمر إذا
ذهب زبدتها ومن هذا قولهم : لبن
صریح أى خالص ذهبت رغوته .
٥٧٨ ويقولون : فلان يتفانى في
أداء واجبه ، كما يتفانى في حب
وطنه باسناد يتفانى الى المرد ،
يريدون أنه لا يعنيه أمر نفسه بقدر
ما يعنيه أداء الواجب وحب الوطن
وهذا خطأ والواجب أن يسند هذا
الفعل الى اثنين فصاعداً فيقال
تفانى المحاربان ويتفانى المقاتلون

أو يقال لهم : المتعاون . جمع :
مبتاع ، أو المشترون جمع : مشتر
أو الشراة جمع شار .

٥٧٦ ويقولون : لنا جيران
أوفياء جيرتهم طيبة . وهذا
التعبير فاسد لاشتغاله على كلمة
جيرة التى لا تعمل سوى معنيين
كلاهما لا يؤدى ما يقصدون اليه .
أحدهما : أنها اسم هيئة من
الجور ، وهو الظلم والميل عن
الصدق ، وعلى هذا لا يجوز أن
توصف بكلمة طيبة .

والآخر : أنها جمع لجار
كجيران ، تقول : هؤلاء جيرة
يتمتعون بكريم الأخلاق .

ومثل ذلك من الجمع : قيمة
بكسر القاف فهو جمع لقاع .
ومعناه : المستوى من الأرض ومنه
قوله تعالى : « كسرأب بقیة
یحسبه الظلمان ماء » .

وكذا : نيرة بكسر النون ، فهو
جمع : أنار كجيران ، وهذه
الجموع سماعية .

قال ابن مالك :

وفطه جمعا بنقلی یدرى
ولاصلاح تعبیرهم ينبغى أن

ويعمل بعضهم لذلك بأن القعود هو الانتقال من علو إلى أسفل ، ولهذا قيل لمن أصيب برجله مقعد ، وأن الجلوس هو الانتقال من سفلى إلى علو ومنه سميت نجد جلسا لارتفاعها ، وقيل لمن أتاها جالس وقد جلس ، ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز للفرزدق •

قل للفرزدق وللسفاهة كاسمها
ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس
يريد فاقصد نجدا

٥٨٠ ويقولون هؤلاء عشرون نفرا ، فأولئك ثلاثون نفرا • وهذا خطأ من جهتين أولاها أن تمييز العشرين • وأخواتها لابد أن يكون مفردا منصوبا ، مفردا لأنه يذكر لبيان حقيقة المحدود وهو يحصل بالمفرد النكرة التى هى الأصل ، أشيب ، ويجوز شائب على الأصل ومنصوبا لتعذر الاضافة مع النون التى هى فى صورة نون الجمع ، قال ابن مالك

وميز العشرين للتسعين

بواحد كاربعمين هينا
وكلمة النفر اسم جمع لا مفردة
قال أبو العباس النفر والرهط

قال الزمخشري : وتفاعل لما يكون من اثنين فأكثر ، ولا يخلو من أن يكون من فاعل المتعدي إلى مفعول واحد أو فاعل المتعدي إلى مفعول كان من الاول كضارب لم تيمد ، وان كان من الثانى نحو نازعته الحديث ، وجادبته الثوب تعدى إلى مفعول واحد تقول تنازعنا الحديث وتجادبنا الثوب ، وتناسينا العداوة والبغضاء •

وقال ابن منظور والجوهري : وتفانى القوم قتلا أفنى بعضهم بعضا ، فليس للتفانى معنى غير هذا ، ولا يمكن أن يحمل التفاعل على غير بابيه بأن يراد به الفناء ، لأن ذلك سماعى كما فى قولك تنافلت ، وتجاهلت ، وتعاميت ، وتوانيت أى أوعيت لنفسى الغفلة والجهل ، والعمى ، والونى ولست متصفا بها •

٥٧٩ ويقولون للقائم اجلس كما يفعل المدرسون مع طلابهم • والاختيار - على ما حكاه الخليل بن أحمد أن يقال لمن كان قائما أقعد ، ولأن كان نائما أو ساجدا اجلس •

والحق أن الأمة بحاجة ملحة الى مقومات أخرى كثيرة لا بد منها ولاغناء ببعضها عن بعضها الآخر ، منها العلم ، والصحة ، والمال والصناعة ، وقوة الجيش وغير ذلك أما أن يقصروا حديثهم على الأخلاق ، ويعطوها وحدها كل الفضل فنقص وقصور وكان عليهم أن يستبدوا بكل المقومات ، ثم يختصوا الاخلاق — اذا شاءوا — بما هي أهل له من ايثار ، ولذا عيب على شوقي قوله :

وانما الامم الاخلاق مابقيت

فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
فهذا البيت على الرغم من شيوعه على السنة الناس ، وسيره مسير الامثال ونيله كل هذا الحظ من الاستدلال به عليه كثير من المأخذ منها ماذكرناه آنفا ومنها أنه أراد بالأخلاق الفضائل ، مع أن اللغة تستعملها بمعنى السجيا والطباع وقد تكون السجيا حميدة ، وقد تكون فميمة ، ولذا قال الشاعر:

تزين الفتى أخلاقه وتشينه
وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدري

والقوم معناها الجمع ولا واحد لها من ألفاظها وفي أمهات اللغة أن النفر جماعة الرجال من ثلاثة الى عشرة ، وأنه لا يقال فيما زاد على العشرة ومما يبرهن على أن النفر جمع اعادة الضمير عليه يواو الجماعة في قوله تعالى « وال هرفنا اليك نفرا من الجز يستمعون القرآن » وقوله « قل أوحى الى أنه أستمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرأنا عجبا »

فكما لا يجوز أن يقال هؤلاء عشرون رجالا لا يجوز أن يقال هؤلاء عشرون نفرا

والجهة الاخرى أنهم دلوا بقولهم هؤلاء عشرون نفرا على أن النفر يقع على العشرين وأخواتها من ألفاظ العقود ، والواقع أنه لم يسمع عن العرب استعمال النفر فيما زاد على عشرة كما في قول صاحب المصباح •

٥٨١ ويقولون : بقاء الامة رهن ببقاء أخلاقها ، وهذا غير سليم لأنهم جعلوا الامة شيئا واحدا هو الأخلاق فان بقيت بقيت الامة وأن فُتيت فُتيت الامة على أثرها

إذا أخذ يزمه ويشتمه ويوجه إليه كثيرا من اللوم فهو رجل متولع بعرضه يدق فيه .

ولاصلاح تعبيرهم ليؤدي المعنى الذي يبتغونه ينبغي أن يقال : أسئل الخادم المصباح اشعالا ، أو أوقدره ايقادا ، أو استوقده استيقادا ، أو أضاءه اضاءة ، أو أناره انارة ، أو نوره تنويرا ، ويقال صلى الفجر في التنوير .

٥٨٣ ويقولون : انصاع الولد لرأى أبيه ، والخادم ينصاع دائما لأمر مخدومه ، وهذا خطأ والصواب أن يؤدي هذا المعنى بأحد التعبيرات التالية .

١ - انقاد الولد لرأى أبيه .
والخادم ينقاد دائما لأمر مخدومه
٢ - خضع الولد لرأى أبيه ،
والخادم يخضع دائما لأمر مخدومه .

٣ - أطاع الولد رأى أبيه ،
والخادم يطيع دائما أمر مخدومه .
أما الانصياع فلا علاقة له بالمعاني الثلاثة السابقة ولا بأمثالها .
وإنما معناه الانصراف والتفرق وهذا المعنى مأخوذ من قولك :

وقد وصف الله سبحانه الخلق بالعظم في قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« وإنك لأعلى خلق عظيم »
ووصفه الرسول بالحسن في قوله « ليس أثقل في الميزان من حسن الخلق » .

٥٨٢ ويقولون : ولع الخادم المصباح توليعا ، يعنون أنه أناره .
.. فهو مصباح مولع وهذا خطأ ، لأن التوليع معناه استتالة البلق بالتحريك ، اذ يقال : هذا ثور مولع إذا كان به سواد وبياض وارتفاع في التحجيل الى الفخذين ، تقول بلق الثور فهو ثور أبلق ، والبقرة بلقاء كاحمر وهمراء .

ويقال : فرس مولع وفي لونه توليع أى بلق ، ورجل مولع أى به لمع من برص ، وولع الله وجهه فلان أى برصه قال رؤبة :

كأنه في الجلد توليع البهق والبهق بالتحريك شبيه بالبلق فهو بياض رقيق بظاهر البشرة يحدث لسوء مزاج العضو ، وهو أيضا غلبة البلغم على الدم
ويقال : تولع الرجل بخادمه

ضيقة حرجاً كأنما يصعد في السماء» .

وأما أصعد المزيد بالهمز فلا يتعدى إلا بغي ، تقول أصعد الفلاح في الأرض إذا مضى وسار ، أو ذهب يستقبل أرضاً أرفع من الأخرى ، وأصعد في الوادي إذا انحدر تصعد المصنف وقد يكون لازماً كما في قوله سبحانه « إذ تصعدون ولاتلون على أحد » .

والتصعد والتصاعد يتعدى فعل كل منهما بنفسه تقول تصعدني العمل وتصاعدني إذا شق عليك والمصعد التراب الظاهر ومنه قوله تعالى « فتصعدوا صعيداً طيباً » وكذلك هو وجه الأرض لقوله « ويرسل عليها حسباناً (٤) من السماء فتصبح صعيداً زلقاً » ، والمصيد أيضاً الطريق جمعه صمد ومصعدات بضمتين في كل منهما ، وفي الحديث « أياكم والجلوس بالصعدات » ، والصمود بفتح الصاد

صحت الحارس ، أصبحه من باب باع (١) إذا صرفته وفرقته عنك فانصاع أي لنصرف عنك ، وانقتل راجعاً مسرعاً ، ومنه قول العجاج : فانصاع مذعوراً وما تصدفا (٢) .

كالبرق يحتلز أميلاً (٣) أعرفا ٥٨٤ : ويقولون صعد الخطيب على المنبر ، وصعد الولد على السطح ، فيمدون القمل خطأ بعلی والصحيح تعديته أما بنفسه وأما بالی ، فيقال صعد الخطيب المنبر أو إلى المنبر ، وصعد الولد السطح أو إلى السطح ، ومما تعدى بالی ما جاء في قوله جل ثأله « إليه يصعد الكلم الطيب » . وقد يتعدى بغي كما في قولك : صعدت في السلم وفي الدرج أصعد صموداً . وأما صعد المصنف فإنه يتعدى بغي ، وبعلی فيقال : صعد الصياد في الجبل أو على الجبل تصعيداً إذ رقيه وعلاه ومن هذا قوله تعالى : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره

١ - من باب باع : ومن باب قال ، لأن الفعل يأتي واوياً .

٢ - تصديق : أهرق .

٣ - الأميل : جبل من الرمل مرتفع جمعه أمل ككتب .

٤ - الحسبان بالبضم : العذاب والبلاء والشر ، واحدته حسباناً بالهاء

المسرة على مساوىء بالهمزة في الآخر ، والمساءة أصلها مساواة وزان مرحمة ، قلبت السواو المفتوحة ألفا ، ولهذا ترد الواو في الجمع وعلى الرغم من أن هذا هو الجمع القياسي فلم تتطابق به العرب مهموزا ، وإنما استعملته مخففا فقالت : بدت مساوى فلان أى ظهرت عيوبه ونقائصه ، والخيل تجرى على مساويها أى وإن كان بها عيوب فإن كرمها يحملها على السير السريع كما يجمعون المساء وهو ضد الصباح على أمسية بفتح الهمزة وتخفيف الياء محتجين بأن ذلك هو القياس، إذ أن أفعل يطرده في كل اسم مذكر رباعي قبل آخره مد كبناء وأبنية ، وقباء وأقبية ، ورداء وأردية .

ولكن العرب لم تجمعها الا على أمسية بضم الهمزة وتشديد الياء .
نقول : أزور صديقي أمسية كل يوم ، واجتمع الباحثون في الشؤون الأدبية أمسية الأيام الخمسة الماضية .

العقبة الكنود (١) والمشقة في الأمر ومنه قوله سبحانه «سأرهقه صعودا» والصعد بفتحتين العذاب الشديد ومنه قوله تعالى «ومن يعرض عن فكر ربه يسلكه عذابا صعدا» .

٥٨٥ ويستقدون — خطأ — أن الطرب خاص بالفرح والسرور ، والأمر ليس كذلك ففى كل مراجع اللغة : الطرب الفرح والحزن ، أو هو خفة تلحقك تسرك أو تحزنك وتفصيصه بالفرح وهم ، قال النابغة الجعدي .

وأرأنى طربا في أثرهم
طرب الواله أو كالمختبل
وقال آخر : يقولون لقد بكيت فقلت كلا وهل يبكي من الطرب الجليد ؟

ويقال إن كان فرحا أو حزينا مطراب ، ومطرابة بكسرهما ، وطروب بفتح الطاء ، وطرب بفتح فكسر ، وقوم طراب بكسر الطاء ومطاريب أيضا .

٥٨٦ ويجمعون المساء وهي ضد

(١) الكنود الصعبة كالكناد .

بضميتين ولا يقال مجنب ، وكلمة
جنب تصلح للمؤنث والمثنى والجمع
مذكرا ومؤنثا ، فيقال : هو وهي
وهما ، وهم ، وهن جنب ، وقد
يقال : هما جنبان ، وهم وهن
أجناب ، ولكنه لا يقال : هي جنبه .
ومن الثالث قولك أرمل الرجل
إذا نفد زاده وافترق ، وكنا إذا لم
يكن له زوج فهو أرمل ، ويقال
أرملت المرأة إذا كانت فقيرة وليس
لها زوج فهي أرملة والجمع لهما
أرامل وشلب الرجل إذا ابيض
شعره فهو أشيب قليلا ، ولا يقال
للاثني شيئا .

عيسى أبو السعود

٥٨٧ الأصل في اسم الفاعل من
اللاثني أن يكون يزنة فاعل كراكب ،
وشاكر ، وأن يكون بزنة تفعل إذا
كان من أفعل الرباعي كمحسن ،
ومخرج .

وقد يأتي اسم الفاعل من أفعل
الرباعي على لمول بفتح الفاء ، أو
على فعل بضميتين أو على أفعل
كحال فعله .

فمن الأول قولك أنتجت الفرس
إذا حان وقت نتاجها ، أو استبان
حملها فهي نتوج بالفتح ولا يقال
منتجة .

ومن الثاني قولك أجنب الرجل
من الجنباة المعروفة فهو جنب

قصيدة

بالجسم.. والروح

لمؤتاز الربيع الفزالي

على جناح الهوى قيسى وليلاه
 ما كان الا الهوى أنسى ومضاه
 أنا المحب .. وحبي ليس يبلغه
 الا الأولى نهلوا من عذب سقياه
 أنا المحب .. وروحي فيك هائمة
 ترقى اليك على الآمال دنياه
 حبي هو الحب .. فوق الشمس منبعه
 وعند عرش ملك الحب مرقاه
 أهواه .. لا الوصل دان لي فأطلبه
 ولا الصمدود منك الحب يرضاه
 قلبي هو الكون .. ما دام الغرام به
 هو الحياة على نهج سالكاه
 لقد رقيت به .. حتى تجرد بي
 عن كل معنى من الأوهام آباء
 قد أشرق الحب في قلبي .. فصار ضحي
 وأشرق الحق في عقلي .. فأحياء
 والحياة وللنور الذي انبثقت
 عنه الحياة بسر شاء الله

معنى من الحب يسرى في جوانحننا
 نرقى السماء به أما وعينا
 بالحب قد كانت الأكوان أجمعها
 للكاف والنون سر في طواياها
 في قطرة النور أسرار قد اتحدت
 فكان للماء منه سر محيا
 ومنه ما كان من حي ومن جمود
 ومن أثير ٠٠٠ وقد كانت براياها
 الكهـرباء لها سر ٠٠ نصرته
 بالعلم ٠٠ فيما نرى ٠٠ لكن جهلنا
 فأى سر وراء السر ندركه
 إذا جهلنا معاني ما عرفناه
 يا للظواهر ٠٠ في أسرارها عجب
 أمر من الأمر ٠٠ لا ندري خفاياها
 والروح ٠٠ ما سرها ٠٠ نحيا بها عمرا
 ولا نرى سرها فينا ٠٠٠ ومغزاها
 والعقل ٠٠ ما العقل ٠٠ سر ليس تدركه
 احاطة العقل ٠٠ ضل العقل فحواه
 ما وقدة الفكر ٠٠ ما التفكير ٠٠ ما شمل
 يضى فيها ٠٠ ومن بالنور أذكاه
 والمبين ٠٠ ما مقلة فيها ٠٠ وما عصب
 به نرى ما نراه في مراياها
 والقلب ٠٠ والدم ٠٠ والاحشاء ٠٠ أجهزة
 تصرف الامر فينا ٠٠ ما أدراها
 وما الحياة التي فينا تدور ٠٠ ترى
 نحن نطك منها ما ملكناها

والنفس .. وهى مدار الأمر .. تملكها
 أم نحن نملكها .. والمالك الله
 النفس .. وهى مدار الأمر .. أين تسرى
 مكانها .. وهى شئ ما رأيته
 وما الجزئ .. وما ذراته اتخذت
 الى الوجوه سبيلا ما يرى
 وما الزمان .. وما هذا المكان .. وما
 ذاك الفضاء مداه قد ضللتنا
 وما النواميس .. من قد شاءها أزلا
 ومن اذا قل : كن .. للشئ .. سواء
 ومن اذا قلها صارت الى عدم
 ومن يصرها ما شاء الاله
 الله سبحانه .. الله .. الله
 الله سبحانه .. الله .. الله
 والله ان شاء للناس خارقة
 أو شاء تعطيله .. أصغت برأيه
 آياته .. هو يمحوها .. ويبدعها
 ولا معقب فيما شاء الله
 هل كان ما كان فى الاسراء يعجزه
 أو كان ما كان فى المعراج .. هاشاه
 ما للفضاء على أبعاده أثر
 ولا الزمان .. له حد ويمداه
 ولا المكان على أمداد مسحته
 ولا مدارك عقل قبل مآثاه
 وقطرة النور .. لو شفت لما جمعت
 ولا استحال على أمر تلقاه

فكيف بالنور في جسم امرئ كتبت
 له العناية أمرا جل معناه
 محمد .. وهو نور الله صوره
 وثيق من نوره أنوار دنياه
 قد شف نور رسول الله حين سرى
 وحين أمدده للعرش مولاه
 شق البراق به الآفاق منطلقا
 في ومضة البرق .. عين الله ترعاه
 وجاء للمسجد الأقصى .. فباركه
 وبارك الله في الآفاق مسراه
 الأنبياء به جمع .. يؤمهمو
 محمد .. ولجمع الصف مغزاه
 الكل تحت لواء واحد شهدوا
 في وحدة الدين أن الواحد الله
 وفي المسماة علا معاجه صعدا
 وللنواميس أذعان لرقاء
 بالجسم والروح قد أسرى به ... ومضى
 به إليه .. على معاجه .. الله
 في سرعة الضوء .. أو أضعافها .. انطلقت
 بطاقة النور فيه روح مولاه
 وبسيرة المنتهى .. والآي .. كاشفة
 أسرارها .. رؤية في سر رؤيائه
 والله يمنحه ما شاء من كرم
 والله ما شاء يعطيه ويرعاه
 الله حيا الذي من نوره انبثقت
 عناصر الخلق فيه حين سواء

وعنه قد كان هذا الخلق أجمعه
 نورا تجسد خلقا في هيولاه
 وعنه سوف يكون النور عارفة
 من الهداية للأبصار تلقاه
 دين هو الدين .. يهدي من يشاء به
 ومن يضل .. فمما في النور أعماه
 الله حيا رسول الله حين سرى
 وحين صار إليه بعد هراه
 ضيفا على الله .. مدعوا لسدته
 الله كرمه ضيفا .. وحياء
 وماله شرفا ... ما بعده شرف
 للعباد يدنو إلى ساحات مولاه
 صلى عليه .. فصلى وهو جتله
 لله .. في غمرة الأنوار مجلاه
 ألقى إليه اله المشرش منحته
 هذى الصلاة .. على أمر تلقاه
 وعاد للأرض .. يهدي الأرض شرعته
 فريضة الله .. في يمناه يمناه
 ما كلف الله جبريل الأمين بها
 وحيها .. على ما سواها قد عهدناه
 هدية الله للدنيا .. بها صلة
 إليه .. حين تتاجيه وترعاه
 الله أكبر .. فيها .. عز قائلها
 على تقاة .. لسرب الناس تقواه
 هي الصلاة .. بها ترقى لسدته
 قلبا وروحها .. ومراجا رقيناه

في هذه الليلة الغراء .. نذكرها
 عيد الصلاة بها .. انا بلغناه
 يا ليتنا .. ليتنا يارب نفهمها
 وملتقى بك فيهما عند لقاء
 عيد النبي .. وقد أكرمه كرما
 ما ان يدانيه لا ملك ولا جساء
 هذا اللقاء الذي ما نال به رسل
 ولا ملائكة .. قد جل مناه
 هي الصلاة الهى .. قربى .. وعلا
 وصلة بك .. عبدا جاء مولاه
 منك الصلاة الهى .. والثناء .. على
 من أنت بالوصل قد أكرمت مثواه
 محمد .. وهو نور الله .. أرسله
 رب البرية نورا .. في براياه
 يارب ... أنا على عهد .. نقيم به
 اليك أوجهنا .. في الدين .. رباه
 يا رب .. أنا على الاسلام قد خشعت
 منا الوجوه .. على ما أنت ترضاه
 المسلم الحق من بالدين عز على
 كل الورى .. وتمالى عن دنياه
 ومن يلين جناسها .. وهو ذو غلب
 للمسلمين .. وأعلى شأنه الله

الربيع الغزالي

حكم .. وطرائف

إعراكا للرئاسة عبر الفيلسوف محمد عبد الحليم

« عباد الرحمن »

سئل الجنيد — رضى الله عنه —
عن عباد الرحمن من هم ؟
فقال : هم الذين طاعة الله
حلاوتهم ، والفقر كرامتهم ، وترك
الدنيا لغتهم ، وإلى الله حاجتهم ،
والتقوى زادهم ، ومع الله
تجارتهم ، وعليه اعتمادهم ، وبه
أنسهم ، وعليه توكلهم ، والجوع
طعامهم ، وحسن الخلق لباسهم ،
والسخاء حرفتهم ، والعلم قائدهم
وانصبر سائقهم ، والهدى مركبهم
والقرآن حديثهم ، والشكر
زينتهم ، والذكر همتهم ، والرضا
راحتهم ، والقناعة مالهم ، والعبادة
كسبهم ، والحياء قميصهم ،
والخوف سجيّتهم ، والنهار
عبرتهم ، والليل فكرتهم ، والحكمة

سيفهم ، والحق حارسهم ، والحياة
مرحلتهم ، والموت منزلتهم —
والنظر إلى الله — تعالى — منيتهم
— فهؤلاء عباد الرحمن ! .

« حقق له أمنيته »

وقف اللص أمام القاضى قائلاً :
ان الذنب ليس ذنبى ، لقد كنت
بدون طعام أو أصدقاء أو مأوى .
فقال القاضى : انك تشير فى
!!شفقة إلى حد بعيد ، وعلى هذا
فستجد الطعام والمأوى والرفاق
طوال الأشهر التسعة القادمة !

« صاحب يخزى نماما »

دفع رجل رقعة إلى صاحب
ابن عباد ، يقول فيها : ان فلانا
قد مات ، وخلف مالا كثيرا ، وليس
نه من عقب الا يتيم .

قال : معي أربعون دينارا ، فسفروا منه وحسبوا أنه أبله وتركوه ورجعوا الى كهف كان به كبير اللصوص ينتظر ما يأتيون به ، فلما رأهم قال : هل أخذتم كل ما في القافلة ؟ ، قالوا : نعم ، الا رجلا سائنا عما معه ، فقال : معي أربعون دينارا فتركناه احتشاما لشأنه ، ونظن أن به خبلا في عقله ، فقال : على به ، فلما حضر بين يديه ، قال هل معك شيء ؟ قال : نعم معي أربعون دينارا ، قال : أين هي ؟ فأخرجها وسلمها له ، فقال كبير اللصوص : أمجنون أنت يارجل ؟ كيف ترشد عن نقودك وتسلمها باختيارك ؟ فقال له : لما أردت الخروج من بلدي عاهدت أمي على الصدق ، فأنا لا انقض عهد أمي ، فقال كبير اللصوص : لاحول ولا قوة الا بالله ! انت تخاف عهد أمك ، ونحن لانخاف أن نخون عهد الله ، ثم أمر برد جميع ما أخذ من القافلة ، وقال : أنا تائب على يدك يارجل ، فقال : من معه : أنت كبيرنا في قطع الطريق ، واليوم أنت كبيرنا في

فوقع الصاحب على ظهر الرقعة : ان النميمة قبيحة ، وان كانت نصيحة ، أما الميت فرحمه الله !! وأما اليتيم فجيـره الله !! وأما المال فثمره الله !! وأما الساعي فلعنه الله .

« ليس بحكيم »

حاول أحمق اغتيال سقراط ، فغضب له أحد أنصاره ، وقال له : أيأذن لي سقراط أن أفتك به فقال سقراط : اذا فتكت به ، قالوا : أحمق فتك بأحمق ، وحاشا لي أن أمرك بضربه ، لأنه ليس بحكيم من يأمر بالشر .

« الصدق ينجيك »

أبو يزيد البسطامي أراد الذهاب الى بغداد لطلب العلم ، فأعطته أمه أربعين دينارا هي ميراثه من أبيه ، وقالت له : ضع يدك في يدي وعاهدني على الترام الصدق فلا تكذب أبدا ، فعاهدها على ذلك ، وخرج مع قافلة يريد بغداد ، وفي أثناء الطريق ، خرج اللصوص ونهبوا كل ما في القافلة ورأوا البسطامي رث الثياب ، فقالوا له : هل معك شيء ؟

التوبة ، تبنا جميعا الى الله ،
 وتابوا وحسنت توبتهم •
 حاتم ، وقد اجتمع الناس حول
 موأئده •

« لكل فضل زكاة »

ان لكل فضل زكاة •
 فزكاة المال الصالحة على الفقير •
 وزكاة القوة المدافعة عن
 الضيف المظلوم •

قال الخطاب : ما دمت أعمل
 وأعيش من عملي ، فأنا لا أنتظر
 منة من حاتم الطائي !!

فاكبرته ووجدته أعلى مني همة
 وكرما •

وزكاة البلاغة القيام بحجة من
 عجز عن هجته •

وزكاة الجاه أن يعاد به على من
 لا جاء له •

وزكاة العلم تطعيم من قصر
 علمه •

« رداء العقل »

عن سليمان — عليه السلام — :
 « ما ارتدى العبد برداء أفضل
 وأجمل من رداء العقل » : ان
 انكسر جبره ، وان صرع نمشه ،
 وان زل عمدته ، وان ذل أعزته ، وان
 اعوج أرقامه ، وان عثر رفعة ، وان
 افتقر أغناه ، وان انكشف ستره ،
 وان أقام عند قوم اغتبطوا به ،
 وان غاب اشتاقوا اليه ، وان نطق
 قالوا : بليغ ، وان سكت قالوا :
 لبيب ، وان أنفق قالوا : جواد ،
 وان أمسك قالوا : مقتصد ،
 وان وعظ قالوا : ناصح ، وان
 سكت قالوا : شفيق ، وان
 أفطر قالوا : معذور ، وان صام
 قالوا : مجتهد •

« أكرم مني »

قيل لحاتم الطائي ... هل
 رأيت من هو أعلى منك همة ؟ •

قال : نعم ، ذات يوم ذهبت
 أربعين جملا ودعوت أمراء
 العرب ، ثم مضيت الى الصحراء ،
 فلقيت رجلا خطابا في طريقه الى
 المدينة •

فقلت له : لماذا لا تذهب الى

« حضانة الولد »

تخاصم أبو الأسود الدؤلى —
واضع علم النحو — مع زوجته
على غلام لهما من أحق
بحضانتها ؟

فقالت الزوجة : للقاضى أنا أحق
بها لأننى حملته تسعة أشهر ، ثم
وضعته ، ثم أرضعته الى أن ترعرع
بين أحضانى .

فقال أبو الاسود : أيها القاضى
حملته قبل أن تحمله ووضعت قبل
أن تضعه ، فان كان لها بعض الحق
فيه فلى الحق كله أو جله .

فقال القاضى : أجيبى أيتها
الزوجة على دفاع زوجك .
فقالت : لئن حمله خفا ، فقد
حملته ثقلا ، ولئن وضعه شهوة
لهقد وضعت كرها .

فنظر القاضى الى أبى الأسود

الدؤلى وقال له : ادفع الى الزوجة
غلامها ودعى من سجعك لى أحق
بالحضانة .

« أوحش المواطن »

أوحش ما يكون ابن آدم فى
ثلاثة مواطن :

يوم ولادته ، ويوم موته ، ويوم
بعثه .

لذلك قال الله تعالى — فى
حق سيدنا يحيى — عليه السلام —
«وإسلام عليه يوم ولد ويوم يموت
ويوم يبعث حيا»

« النكر الحسن »

قال الشاعر :

وما من كاتب الا سيئنى
ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شىء
يسرك فى القيامة أن تراه

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفوائد

بإسناد عبد الحميد بن أبي

ورواه البيهقي أيضا عن أبي وائل قال : « كانوا يكبرون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعاً وخمسة وستة وسبعاً ، فجمع عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر كل بما رأى فجمعهم عمر على أربع تكبيرات » وروى ابن عبد البر في الاستذكار بإسناده « كان النبي صلى الله عليه وسلم يكبر على الجنائز أربعاً وخمسة وستة وسبعاً وثمانياً حتى جاء موت النجاشي فخرج إلى المصلى وصف ، وزاد : وكبر عليه أربعاً ثم ثبت النبي صلى الله عليه وسلم على أربع حتى توفاه الله » فان صح هذا فكان عمر ومن معه لم يعرفوا استقرار الأمر على

س : شاهد الناس في مصر وسمعوا عن طريق التليفزيون والراديو صلاة الجنائز على شاه إيران السابق بصورة لم يالفوها ، فنرجو لقاء الضوء على كيفية صلاة الجنائز .

ج : نود أن نوضح أولاً أن صلاة الجنائز تختلف عن الصلاة المعروفة بأنها تكبيرات وأدعية من قيام .. ثم سلام .. « وقد اختلفت الروايات في عدد تكبيرات الجنائز » فأخرج البيهقي عن سعيد بن المسيب أن عمر قال : « كل ذلك قد كان أربعاً وخمسة فاجتمعنا على أربع » ورواه المنذرى من وجه آخر عن سعيد ،

الأربع حتى جمعهم وتشاوروا » (١) .

وذكر ابن القيم في كتابه زاد المعاد (٢) « وكان صلى الله عليه وسلم : « يأمر باخلاص الدعاء للميت ، وكان يكبر أربع تكبيرات ، وصح عنه أنه كبر خمسا ، وكان الصحابة بعده يكبرون أربعاً وخمسا وستا ، فكبر زيد بن أرقم خمسا وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كبرها ذكره مسلم ، وكبر الإمام علي بن أبي طالب على سهل بن حنيف ستا ، وكان يكبر على أهل بدر ستا وعلى غيرهم من أصحابه خمسا وعلى سائر الناس أربعاً » . ذكره الدارقطني ذكره سعيد بن منصور عن ابن الحكم عن ابن عيينة أنه قال : كانوا يكبرون على أهل بدر خمسا وستا وسبعا ، وهذه آثار صحيحة فلا موجب للمنع منها . والنبي صلى

الله عليه وسلم لم يمنع مما زاد على الأربع بل فعله هو وأصحابه من بعده » . أ .

من أجل هذا فقد اختلفوا في عدد تكبيرات الجنائز ، فذهب إلى أنها أربع لا غير جمهور من السلف والخلف منهم الفقهاء الأربعة . ورواية عن زيد بن علي عليه السلام ، وذهب أكثر الهادوية إلى أنه يكبر خمس تكبيرات (٣) . من هذا يظهر أن جماعة من الشيعة يذهبون إلى أن عدد تكبيرات صلاة الجنائز خمس تكبيرات وقد تأولوا رواية الأربع بأن المراد بها ما عدا تكبيرة الاحرام وهو تأويل بعيد ولما كانت الصلاة التي رأيناها على شياه إيران قد أقيمت على المذهب الشيعي .

فقد رجعت إلى كتاب المختصر (٤) النافع في فقه

(١) كتاب سبل السلام من (١٠٣) الجزء الثاني .

(٢) فصل ومقصود الصلاة على الميت الدعاء من (١٢٩) الجزء

الاول .

(٣) من (١٠٣) الجزء الثاني من سبل السلام .

(٤) طبعة إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف المصرية من (٦٤ ، ٦٥)

الطبعة الثانية .

الامامية (١) باب «صلاة الجنائز» غاقتطفت منه من أحكامها ما يأتي : « وهي خمس تكبيرات ، بينها أربعة أدعية ، ولا يتعين ، وأفضله أن يكبر ويتشهد الشهادتين ، ثم يكبر ويصلي على النبي وآله ، ثم يكبر ويدعو للمؤمنين . وفي الرابعة يدعو للميت ، وينصرف بالخامسة مستغفرا . وليست الطهارة من شرطها ، وهي من فضلها . ولا يتباعد عن الجنائز بما يخرج عن العادة ، ولا يصلي على الميت إلا بعد تسميته وتكفينه ، ولو كان عاريا جعل في القبر وسترت عورته ثم يصلي عليه . ومن سننها : وقوف الامام عند وسط الرجل وصدر المرأة ، وأن يكون المصلي متطهرا ، حافيا ، رافعا يديه بالتكبير كله . داعيا للميت في الرابعة أن كان مؤمنا ، وعليه أن كان منافقا ، وبدعاء المستضعفين مستضعفا ، وأن يحشره مع من يتولاه أن جهل

حاله . » انتهى . أما صلاة الجنائز عند الفقهاء الأربعة رضي الله عنهم فهي أربع تكبيرات : يرفع يديه في الأولى ولا يرفع بعدها . ويحمد الله تعالى بمد الأولى أو يستفتح ، ويصلي على النبي عليه الصلاة والسلام بعد الثانية ، ويدعو لنفسه وللميت وللمؤمنين بعد الثالثة ، ويسلم بعد الرابعة . ويقول في الصبي بعد الثالثة : اللهم اجعله لنا فرطيا وذخرا ، شافعا مشفعا . . ولا قراءة فيها ، لقول ابن مسعود : لم يوقت رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنائز قراءة ، لا فعلا ولا قولاً ، كبر ما كبر الامام ، واختار من أطيب الكلام ما شئت . ولو قرأ الفاتحة بنية الدماء لا بأس به ، أما بنية التلاوة فمكروه . وهذا عند أبي حنيفة ويوافقه مالك في عدم القراءة . أما عند الشافعي : فيقرأ

(١) وهي جماعة من الشيعة المعتدلة .

صيغة كانت في صلاة الجنازة فاننا
نثبت هنا بعد ما مسح وحفظ عن
النبي صلى الله عليه وسلم من
دعاء في صلاة الجنازة :

« اللهم اغفر لحينا وميتنا ،
وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا
وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ، أنت
تعلم منقلبنا ومثوانا وأنت على كل
شيء قدير ، اللهم من أحببته منا
فأحبه على الاسلام والسنة
ومن توفيته منا فتوفه عليها »
رواه أحمد والترمذي وابن ماجه
من حديث أبي هريرة وزاد منه
الموفق وأنت على كل شيء قدير
ولفظ السنة « اللهم اغفر له
وارحمه وعافه وأعف عنه وأكرم
نزله ، وأوسع مدخله ، واغسله
بالماء والثلج والبرد ، ونقه من
الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب
الابيض من الدنس ، وأبدله دارا
خيرا من داره ، وزوجا خيرا من
زوجه ، وأدخله الجنة ، وأعذه من
عذاب القبر وعذاب النار ، رواه
مسلم عن عون مالك أنه سمع
النبي يقول ذلك على جنازة حتى
تعنى أن يكون ذلك الميت ، وفيه

الفاصلة بعد الأولى ويصلى على
النبي صلى الله عليه وسلم بعد
الثانية ويدعو للميت بعد الثالثة
فيقول : اللهم ان هذا عبدك ..
البح الدعاء ويقول في الرابعة اللهم
لا تحرمننا أجره ولا تفتنا بعده
واغفر لنا وله . ويسلم ..
ويوافقه في وجوب قراءة الفاتحة
أحمد ويتحملها الإمام عن المأموم
عنده ، .. ورجح النووي انها
تجزئ قراءتها في غير الأولى من
الثانية والثالثة والرابعة وفي
المجموع ويجوز أن يجمع في
التكبيرة الثانية بين القراءة
والصلاة على النبي وفي الثالثة بين
القراءة والدعاء للميت ويجوز
اخلاء التكبيرة الأولى من القراءة
ومن هذا المرض الموجه
للكيفيات الثلاث لصلاة الجنازة
والأحاديث الواردة بشأنها وأقوال
الصحابة وما ذهب اليه الفقهاء
نرى أنه ليس هناك خلاف كبير
بينها - وأنها كلها لها سند من
السنة أو أقوال الصحابة
وأعمالهم .

ورغم أنه يجوز الدعاء بأي

وأبدله أهلا خيرا من أهله وأدخله الجنة » وافسح له في قبره ونور له فيه « (١) .
 وللشافعي رحمه الله وقد جمعه من الأخبار واستصنفه أصحابه « اللهم ان هذا عبدك وابن عبدك، خرج من روح الدنيا وسمتها ، ومحبوبه وأحباؤه فيها الى ظلمة القبر وما هو لاقيه ، كان يشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدا (صلى الله عليه وسلم) عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به ، اللهم انه نزل بك وأنت خير منزل به ، وأصبح فقيرا الى

رحمتك وأنت غنى عن عذابه ، وقد جئتاك راغبين اليك شفعاء له ، اللهم ان كان مصيئنا لمزد في احسانه ، وان كان مسيئا فتجاوز عنه ، ولقه برحمتك رضاك ، وقه فتنة القبر وعذابه ، وافسح له في قبره ، وجاف الأرض عن جنبيه ، ولقه برحمتك الأمن من عذابك حتى تبعثه آمنا الى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين « (٢) . وفي الباب أدعية أخرى .

والله أعلم .
 عبد الحميد شاهين

(أكثروا ذكر هائم اللذات الموت ، فاتكم لا تنكرونها
 في كثير الا قلله ولا قليل الا كثره)

حديث صحيح

(١) من كتاب الروض المربع - شرح زاد المستقنع - مختصر المقنع -
 في فقه امام السنة أحمد بن حنبل .
 (٢) من كتاب الاقتناع ، في حل الفاظ أبي شجاع .

من أنباء العالم الإسلامي

أعداد الأستاذ فهمي عبد اللاه سيد على

ان وضع الاسلام والمسلمين في جنوب الفليبين (١) خطيرا جدا ، ومع ذلك فهناك أمل كبير في أن تكون هذه المحنة التي نزلت بأرض الجنوب الاسلامي ، نقطة انطلاق لانتصار الاسلام انتصارا حقيقيا في المنطقة ، لأن الحرب القائمة الآن وعمليات الابادة الواقعة على المسلمين ، قد هيأت جوا ملائما وأرضا خصبة للدعوة الاسلامية فقد تنبه المسلمون الى الخطر المحيط بمجتمعهم ، وأدركوا وجود المخططات التي تهدف الى محو هويتهم الاسلامية على أرض بانجسا مورو ، وعلموا ان لا ملجأ

الا الى الله ، وأنه لا سبيل للخلاص الا بالاسلام .

أضى المسلم : اخوانك المجاهدون في جنوب الفليبين يدعونك للاسهام في الجهاد القائم هناك بالتبرع لمجاهدي الفليبين ، وعلى الهيئات الاسلامية تنظيم هذه التبرعات .

« المسجد الجامع ببروكسل أحد معالم الهندسة الاسلامية في قلب العاصمة البلجيكية » .

عدد المسلمين في بلجيكا يقدر الآن بحوالى ٢٢٠ ألف مسلم .

(١) عن صحيفة جبهة تحرير مورو الوطنية .

بين عمال وتجار وطلبة وموظفين ، مسلمين من مختلف الجنسيات ومن هنا بدأ التفكير في انشاء المركز الاسلامى في بروكسل ليكون مقرا يربط بين هذه الاعداد وبخاصة الجيل الجديد من الاطفال المسلمين .. ولإقامة الشعائر الدينية والتعريف بالاسلام ونشر تعاليمه في بلجيكا .

ويحتل المركز الاسلامى في « بروكسل » موقعا معتبرا في قلب العاصمة البلجيكية على مقربة من المراكز والمصالح والبنوك والمتاحف في مكان يسوده الهدوء تحيط به حديقة فسيحة .. ويعتبر أحد المعالم الهندسية المعمارية يجمع بين الطراز الاسلامى ومتطلبات الأنظمة المعمارية المعمول بها في بلجيكا . وقد تكلفت انشاءاته خمسة ملايين دولار .. قدم الجزء الأكبر منها المغفور له المرحوم الملك فيصل ابن عبد العزيز بمناسبة زيارته بروكسل في مايو عام ١٩٦٧ م .

ويتألف المبنى من (أربعة)

أى ما يوازي ١/٢ من عدد السكان هناك .. خلال السنوات الخمس الأخيرة ... صدر في بلجيكا مرسومان ملكيان ... أصدرهما الملك (بوروان) ملك بلجيكا .

اعترف المرسوم الاول بالاسلام ديناً رسمياً الى جانب الكاثوليكية . ونص المرسوم الثانى على ادخال الاسلام والتربية الاسلامية ضمن البرامج الدراسية التى تدرس في المدارس الثانوية .. وقد جاء هذان المرسومان بعد موافقة الشعب البلجيكى .. ممثلاً في مجلس النواب والشيوخ .. وبالإجماع . فحتى نهاية الحرب العالمية الثانية لم يكن لبلجيكا أى علاقات هامة مع العالم الاسلامى .

وبعد التطور الاقتصادى الذى عرفته بلجيكا في الفترة الأخيرة وقد اليها آلاف من العمال المسلمين فراراً من الحكم الشيوعى .. حتى بلغ عدد الجالية المسلمة في بلجيكا الآن ما يقرب من ٢٢٠ ألف مسلم

أكثر من ٠٠ ألف مجلد من أمهات الكتب في أنواع الثقافة الاسلامية في الحديث والفقه والتشريع والمصائد باللغات العربية والتركية والفارسية والأردية والألبانية لتكون عوناً للدارسين والباحثين في العلوم والفنون الاسلامية . أما الطابق الأرضي فيضم مسجداً للصلوات الخمس ومدرسة اسلامية ذات مرحلتين ابتدائية وثانوية . تستوعب حوالي ٥٥٠ طفل من أبناء الجالية المسلمة يلقون فيها دروس اللغة العربية والثقافة الاسلامية وتحفيظ القرآن الكريم . يقوم بهذه الدروس أساتذة من المسلمين المقيمين في بلجيكا . وقاعة ضخمة للأفراح تجرى فيها عقود الزواج طبقاً للشرعة الاسلامية للراغبين من المسلمين الذين ليست لهم متطلبات في بلجيكا .

ويضم المسجد الجامع في بروكسل ناديين أحدهما للشباب المسلم والآخر خاص بالسيدات المسلمات تتوافر فيهما الوسائل

أدوار واسعة الأرجاء . وتضم الى جانب المسجد الجامع الذي خصص له الطابق الاعلى ويتسع لأكثر من ثلاثة آلاف مصلى بالإضافة الى مصلى خاص بالسيدات المسلمات .

ويضم الطابق الاول خمس قاعات للمحاضرات يسدعى الى القائتها رجال الفكر والدعوة الاسلامية لتكون في المستقبل نواة لمعهد الدراسات الاسلامية العالية . وتستعمل هذه القاعات الآن لتنظيم محاضرات باللغة الفرنسية لتصرف البلجيكيين والأوروبيين بالوجه الصحيح للإسلام ولاتاحة الفرصة لهم للوقوف على سمو تعاليم الاسلام وروعة مبادئه ، ولإزالة ما قد علق بأذهانهم من جهالة بالدين الاسلامي . وسوء معرفة لتعاليمه وأصوله .

ويضم معملاً لغويا لتعليم اللغات بالطرق السمعية والبصرية وفق أحدث الاساليب ومكتبة كبرى تضم

النرويجية مما يساعد على ربط الجميع بالمسجد وتقوية علاقة الاخوة والود بينهم .

ولعل في كتاب ابن بطوطة ما يثبت ذلك حيث انه ذكر الكثير من مقابلاته مع بعض المسلمين هناك .

ويضم المكتب التنفيذي للمركز الاسلامي في بروكسل والذي ينتخب أعضاؤه كل عامين . .

عضوا بلجيكيًا مسلمًا هو : عبد العزيز مانجوتر وكان اسمه (لوسيان مانجوتر) قبل اسلامه وهو واحد من ٢٠٠ بلجيكي شهبوا اسلامهم على يدى امام المسجد الجامع الشيخ (محمد الطوينى) خريج جامعة الزيتونة بتونس . .

خلال العامين الأخيرين .

ونص دستور كينيا الصادر في عام ١٩٦٣ م على أن حرية الاديان مكفولة لجميع المواطنين ، ويعد حصولها على الاستقلال وافقت الحكومة على انشاء بعض المحاكم الشرعية التي تنظر في مسائل الزواج والطلاق ، بل وافقت على أن يكون عيد الفطر عطلة رسمية في جميع أنحاء البلاد ، وأن تقتصر أيام العطلات في بقية الاعياد الاسلامية على المسلمين فقط .

« تحفيظ القرآن وشرح تعاليم

الدين بمساجد كينيا » .

وبدأت المساجد تنتشر انتشارا كبيرا داخل جميع المدن والقرى الكينية . . وبعض هذه المساجد ألحقت بها دور لتحفيظ القرآن الكريم وشرح تعاليم الدين الاسلامي ثم أنشئ بعد ذلك العديد من المدارس والمعاهد الاسلامية ومنها معهد مدينة ماجوكوس والمدرسة الاسلامية في مخابا .

انتشر الدين الاسلامي في كينيا في بداية الاسلام ومع عصر الخلافة الأموية وخاصة في عهد الخليفة عبد الملك ابن مروان بدأ كثير من المسلمين في الهجرة من سوريا الى مقاطعة لامو التي تقع بمنطقة الساحل ولا تزال بعض آثارهم موجودة حتى الآن .

الغزو السوفيتى بمثابة اعلان الحرب على كل البلاد الاسلامية ، كما دعا مجلس المساجد كل البلاد الاسلامية والجاليات الاسلامية فى امريكا الشمالية ، وفى العالم اجمع للتبرع بسخاء فى سبيل دعم المجاهدين المسلمين الافغان .

٣ - ولقد أكد مجلس المساجد بالولايات المتحدة أهمية الصلاة بالنسبة للمسلمين ، ومدى حقهم بالتمتع بالحرية الدينية ، وناشد البلاد الاسلامية فى العالم لتخصيص منح دراسية للطلاب المسلمين فى أمريكا ، لدراسة الدين الاسلامى فى المعاهد والجامعات الدينية الاسلامية ، بحيث يرجعوا الى قومهم مزودين بالثقافة الاسلامية والتربية الدينية ، فيؤدوا واجبه تجاه الجاليات الاسلامية فى امريكا (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من

وبعد حصول كينيا على الاستقلال انتشرت الدعوة لاقامة هيئة اسلامية تقوى الدفاع عن المسلمين هناك الأمر الذى ترتب عليه فى النهاية الموافقة على انشاء المجلس الاعلى للمسلمين .

« مؤتمر المساجد بالولايات المتحدة الامريكية (١) »

خلال المؤتمر الذى عقده مجلس المساجد بالولايات المتحدة الامريكية مع مطلع العام الحالى تم التوصل الى القرارات التالية :

١ - دعوة جميع البلاد الاسلامية المنتشرة فى بلاد العالم الى اعتبار تحرير مدينة القدس وفلسطين المحتلة واجب دينى مقدس ، يقع على عاتق المسلمين .

٢ - استنكار العدوان الذى قام به الاتحاد السوفيتى على جمهورية أفغانستان ، واعتبار

(١) من النشرة ٨٤ للمركز الثقافى الاسلامى بايطاليا .

كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحفرون) •
 عقدوا اجتماعا تدارسوا فيه موضوع انشاء المركز الاسلامي والجامع الاسلامي في أثينا •

« رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية في اليونان يبحثون اقامة مركز اسلامي في أثينا - اليونان » •
 كما أنه عقد اجتماع آخر مماثل في هولندا لدراسة مشروع مماثل ، وقد رحبت الحكومة اليونانية بهذه الخطوة •

ان رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية ، في أثينا ، اليونان ، قد فهمى عبد الله سيد على

كتاب الشهر

تحديد النسل والنمية الاقتصادية

للدكتور رُوف شابي

* «والأرض مددناها وألقينا فيها
رواسي وأنبتنا فيها من كل
شئ موزون

* وجعلنا لكم فيها معايش ومن
لستم له برازقين

* «وان من شئ الا عندنا خزائنه
وما ننزله الا بقدر معلوم» ٥

١٩ - ٢١ الحجر

تجتاح الأمة العربية والأمة
الاسلامية موجة « عارمة » من
الدعاية لتحديد النسل وقد تتطور
هذه الموجة من دعوة للإصلاح الى
واجب قومي يجعل في مستوى
رفيع من مستويات أهداف الدولة
الطيا ، ومن يدري لعل هذا التطور
ربما يصل الى درجة التجريم أو
الخيانة العظمى ، فقد خرجت
أصوات تنادي بعقاب من يزيد في
نسله عن ثلاثة كحد أعلى .

ولقد انجرف في هذا التيار
جماعة من بعض العلماء وشقشقوا
الفاظهم جريا وراء براعة عليا في
صياغة الفتوى ، أو مظنة أنهم

يحاولون الهرب من المسؤولية
الدينية التي استقرت في سويداء
قلوبهم كعلماء مسؤولين عن الحق
والعدل الديني فقالوا انه تنظيم
للنسل وليس تحديدا ٥٥٥ !!

ومن المعلوم والمعروف أن دعوة
تحديد النسل أو تنظيم النسل
مرض خبيث نقل من الفكر
الأوربي الذي يسيطر عليه :
الدهاء الصهيوني ، والحقده
الصليبي وأصبح الوطن العربي
والاسلامي مريضا بهذا الداء
الوبيل الذي غلف في ثوب اقتصادي
مستغلا الظروف الاستثنائية في
الوطن العربي والاسلامي ، والتي
هي من أفعاله ومكره واستثماره
الطويل وكراهيته للعرب والاسلام
ومادام الغرب الصهيوني
الصليبي يحتذى خلف سائر
اقتصادي في نشر ميكروب تحديد
النسل فانه لمن أيسر السبل وأقصر
الطرق أن نعالج قضية ارتباط
التنمية الاقتصادية : صناعة أو
زراعة أو تجارة بالقوى البشرية
زيادة أو نقصا من خلال الظواهر

الخامس والسابع الميلادى حيث شاهدت أوروبا هجرة واسعة استفادت البلاد منها اقتصاديا حيث استقلت الاراضى فى الزراعة ونشطت الصناعة فلولاً زيادة عدد السكان عن طريق الهجرة ما تم لأوروبا استغلال أراضىها المعطلة بدليل أن :

المرحلة الثانية : كانت مرحلة توقف فى العمل الاقتصادى بسبب الاضطرابات التى اجتاحت أوروبا من جراء الحروب الاسلاميه فى القرن السابع الميلادى التى وجهت الى بلاد أوروبا فراحوا يدافعون عن بلادهم أو يهربون من مواطنهم خوفاً من الحرب .

المرحلة الثالثة : فلما ضعف المسلمون وصار أمرهم فى القرن الحادى عشر الى الرابع عشر تحت سيطرة الحروب الصليبية تقدم الاقتصادى الأوروبى فاستلحت مساحات واسعة من الاراضى البور وواتسعت التجارة، حتى بلغ ذروته فى الفترة من ١١٥٠ م الى ١٣٥٠ م .

التاريخية التى يحتفظ بها تاريخ أوروبا الاقتصادى .

ثم نوضح فى ايجاز موجز عوامل الفقر فى العالم العربى والاسلامى .

ثم نقرر الحكم الشرعى فى قضية تحديد النسل أو تنظيمه من خلال النصوص الرئيسية للشريعة وهى : القرآن الكريم والسنة المطهرة .

أولا : حاجة التنمية الى الايدى العاملة .

* فى حكاية تاريخ أوروبا الاقتصادى ظواهر واضحة تدل على أن الايدى العاملة هى عصب التنمية الاقتصادية . فعندما قسم العلماء مراحل التطور الاقتصادى الأوروبى فى العصور الوسطى قالوا :

يمكن تقسيم التطور الاقتصادى فى العصور الوسطى الأوربية الى أربع مراحل :

المرحلة الاولى : بين القرنين

المرحلة الرابعة : لكن لما قلت الأيدي العاملة بسبب انتشار وباء الطاعون الأسود ، وكثرت الحروب أواخر القرن الرابع عشر انكمشت التنمية وارتفعت الأجور وكثرت الضرائب ، ففشلت المجاعات •

الوسائل التي تكفل الافادة منها ، ومن هنا نتج ما يسمى بكفاح الفرد وكفاح الدولة ضد الانقطاع والكنيسة وحكومة المدينة ، فاندفع النشاط الاقتصادي في أوروبا قدما الى الامام بفضل نشاط الأفراد وحماية الدولة وبفضل :

ا - زيادة عدد السكان •

ب - الكشف الجغرافية التي فتحت آفاقا جديدة للتجارة والعمل •

ج - والتوسع الاستعماري الذي أضاف وسائل للإنتاج •

د - قيام الدولة القومية التي تنافست في مجال الكشف الجغرافية لمزيد من الاتساع في رقعة العمل الاقتصادي ومزيد من الاستعمار لبلاد اسلامية •

ولهذا يقول الاقتصاديون المؤرخون لهذه المرحلة :

حقا لقد استمرت الزراعة حتى القرن التاسع عشر هي الاساس الذي يقوم عليه الاقتصاد الأوربي

فالاقتصاديون في تأريخهم لاقتصاد أوروبا في مرحلة القرون الوسطى يعلنون ظاهرة بيئة في التنمية الاقتصادية هي : أن الأيدي العاملة هي العصب الأصيل في النمو الاقتصادي طردا وعكسا •

* ولم تتغير هذه الظاهرة في مرحلتى التطور الاقتصادي وأعنى بهما :

— مرحلة التجهيز ١٤٥٠ —
١٧٥٠ م

— مرحلة التقدم ١٧٥٠ — الى
اليوم •

وتتميز مرحلة التجهيز الاوربي بكفاح الجماعة الأوروبية للكشف عن أسرار الطبيعة والبحث عن

دول يحكمها ملك يوجه سياسة الدولة واقتصادياتها ، وكان ذلك التحول حسب الظروف التي تعيشها كل دولة ، ولقد كانت انجلترا أسبق الدول في تأسيس الدولة القومية ، ولذلك كانت أكثر انتشارا في المستعمرات ولهذا الاتجاه : اتجاه تأسيس الدولة القومية التي تسمى الى تحقيق القوى المادية بتوفير الثروة عن طريق السياسة التجارية فانها لم تجد لذلك سبيلا الا بالعمل على زيادة السكان •

يقول الكاتبون في اقتصاد أوروبا:
تطلعت الدولة القومية الحديثة لتحقيق سيادتها الى زيادة القوى المادية ، والقوى البشرية :
* فالقوى المادية أرادت أن تحققها بتوفير الثروة عن طريق السياسة التجارية •

* أما زيادة القوى البشرية فيكون بتشجيع زيادة السكان بالزواج المبكر ومنح الاعانات لتكثير النسل حتى تتوافر الأيدي العاملة فيزداد الانتاج ويجند العدد اللازم للجيش •

ولكن الصناعة قد تنوعت وازدهرت ولبت مقتضيات الحياة الجديدة ، وسدت حاجة الاسواق الخامية في أوروبا ، وكسبت لها أسواقا جديدة في خارج أوروبا : في آسيا وفي أمريكا حاملة منها في الوقت نفسه ما تحتاج اليه من المواد الأولية وعلى هذا النحو ازدهرت التجارة واتسع نطاقها فكان ذلك من أهم مظاهر التطور الاقتصادي الحديث في أوروبا •

وخرجت أوروبا من عزلتها وتسابق الأوروبيون لامتلاك المستعمرات وتكوين الامبراطوريات وحرصت دول أوروبا على أن تهيمن على هذا النشاط الاقتصادي لتتخذ منه وسيلة لتزويدها بالقوة المادية التي تكفل لها التغلب على الدول الأخرى فقد كان العصر عصر منافسة وصراع بين الدول •

ولهذا نجد أوروبا تتجه الى بناء الدولة القومية لمواكبة النهضة الاقتصادية فتحولت انجلترا وفرنسا وألمانيا والبرتغال وهولندا من نظام الاقطاع الى

ان أهم مقومات التجهيز
الأوربي لبقاء الدولة القومية عدة
عوامل منها :

أ - التوسع الأوربي عن طريق
الحروب الصليبية ، والكشف
الجغرافية .

ب السياسة التجارية التي تنظم
أراضي الدولة كلها تحت حكم ملك
واحد ، والعمل على زيادة إيرادات
الدولة بتدخلها في أمور التجارة
لتحتفظ لها بنصيب من أرباح
الذهب والفضة .

ج - الاكتفاء الذاتي .

• - الصناعة .

• هـ - المناجم .

• و - الزراعة .

• ز - التجارة .

• ح - القوة البحرية .

• ط - المستعمرات .

• ي - زيادة السكان .

فقد رأى الاقتصاديون أن كل
المقومات في حاجة إلى عدد كبير من
السكان فالفرد عدة العمل في الحقل
وفي المنجم وفي المصنع وفي البأخرة

ويقول الكاتبون في اقتصاد
أوربا كتطبيق على نتائج هذه
المرحلة : « وقد تماثل ازدياد
السكان ، واتساع الأسواق
التجارية وكشف بقاع جديدة بها
مصادر متنوعة للثروة الطبيعية
فتطلع هؤلاء - في ظل الأحداث
الجديدة - إلى الهجرة إلى ما وراء
البحار سعياً وراء العمل والانتاج
وكان هؤلاء المهاجرون عوناً لدولهم
من الناحيتين السياسية
والاقتصادية .

✽ ونقول : أن مرحلة الاقتصاد
الأوربي في دور التجهيز احتاجت
إلى الأيدي العاملة مثل بدء
الاقتصاد الأوربي في مرحلة ما قبل
القرون الوسطى من أجل :

أ - استغلال الأراضي .

ب - اكتشاف الموارد الطبيعية

ج - بناء الدولة القومية
الحديثة .

د - تطويع الصناعات .

• هـ - الكشف الجغرافية .

يقول الاقتصاديون في إيجازهم
لمقومات مرحلة التجهيز الأوربي :

القومية تثق في الأجانب كقوى مساعدة للتنمية فقد شاع الاعتقاد أن الأجانب دائماً يعملون لمصلحة بلادهم وأنهم لا يمارسون نشاطهم داخل البلاد التي يقيمون فيها الأريثما يجمعون المال ، ثم يعودون الى وطنهم ومعهم الذي جمعوه مما يؤدي الى تسرب النقد الى الخارج .

✽ ولا يقل الفيزيوقراط : الطبيعيون في الدعوة الى كثرة الفسل عن خصومهم التجاريين لأنهم يدعون الى حرية العمل والانتاج والاستهلاك والغناء الضرائب الجمركية . وبهذا يبدأ في تاريخ الاقتصاد الأوربي مراحل جديدة للتطور الاقتصادي :

الأولى : من ١٧٧٩ - ١٨٤٨ م
برز فيها مبدأ الاقتصاد الحر بفضل الثورة الصناعية والسياسية .

والثانية : من ١٨٤٨ - ١٨٧٠ م
برز فيها انتشار القومية والنظم البرلمانية .

وفي القطار فلن تستقيم سياسة انتاجية في الزراعة أو الصناعة أو التعدين الا بوفرة السكان وتنظيم جهودهم والأمة تحتاج اليهم في تكوين الجيوش وبناء الأساطيل وتعمير المستعمرات ولهذا تحرص الدولة على زيادة عدد سكانها بالتشجيع على زيادة النسل برصد الاعانات والمكافآت حتى يتوافر للدولة مزيد من سواعد أبنائها وينخفض أجر العمل فتقل تكاليف الانتاج ويستطيع العامل أن يحظى بحاجته من الغذاء والكساء بأسعار رخيصة تتناسب وأجره ويستطيع الصانع أن يشتري المواد الأولية اللازمة لصناعته بأسعار معتدلة فيقل سعر التكلفة ويمكن تصديرها الى الاسواق الخارجية بأثمان معتدلة تمكثها من منافسة مثيلاتها من السلع الاجنبية أما قلة عدد السكان فيصعبه - في رأى التجاريين - ارتفاع اثمان الحاجات وانكماش التجارة وقلة حصيلة الدولة من المعادن النفيسة وهبوط الدخل القومي .

ولهذا السبب لم تمتد الدولة

وكذلك كانت نتيجة انتشار الطاعون الذى قضى على ثلث سكان أوروبا ما بين عام ١٣٦٠ - ١٤٠٠ م وهذا كله أدى الى نقص الأيدي العاملة فى الزراعة :

ولذا فإن كتاب التاريخ الاقتصادى الاوروبى عندما يتحدثون عن الثورة الزراعية يدرسون من عواملها : مشكلة المحافظة على خصوبة الأرض ومشكلة الصرف ثم مشكلة الأيدي العاملة فيقولون فيها :

ومن المشكلات التى واجهتها الأرض والزراعة فى أوروبا مشكلة الأيدي العاملة المشتغلة بالفلاحة ، فإن نمو الصناعة واتساع المدن ومغرياتها وزيادة أجور عمال الصناعة على أجور عمال الزراعة كل هذا قد أغرى عددا كبيرا من أهل الريف على الهجرة الى المدن فكان لزاما على أصحاب الأراضي أن يواجهوا النقص الكبير فى الأيدي العاملة فى الريف باستخدام آلات للحراث والرى . وعلى العكس من ذلك يتحدث

والثلاثة : من ١٨٧٠ - ١٩١٤ م تأسست الامبراطورية الألمانية التى صارت قدوة فى الاقتصاد لباقي دول أوروبا .

ولا ينفك عامل زيادة السكان عن ارتباطه بالتنمية الاقتصادية طردا وعكسا ومن أمثلة ذلك :

١ - فى الزراعة :

كانت الزراعة هى العنصر الأساسى الذى قامت عليه اقتصاديات أوروبا قديما ، وكان أكثر الأوربيين يقيمون فى القرى ويعملون فى الزراعة فقد كان ٩٠٪ من سكان انجلترا يعملون فى الزراعة أو الرعى أو الصيد مما يدل على تحكم الريف فى ثروة البلاد القومية ، لكن الزراعة التى تعتمد على زيادة السكان قد انهارت بسبب الحروب الأهلية فى انجلترا التى عرفت بحرب الوردتين فى القرن الثانى عشر ، ومثل الحروب بين انجلترا وفرنسا التى سميت بحرب المائة عام من ١٣٣٧ - الى ١٤٥٣ وبسبب قلة السكان التى كانت نتيجة الحروب

ازدياد عدد السكان عبثا وانما كان عامل تخفيف للورطة التي أصابت انجلترا عام ١٨١٥ • ولم تضطر انجلترا لكثرة سكانها الى جلب عمل من الخارج مثلما فعلت فرنسا عام ١٩١٣ حيث كان النقص في الأيدي العاملة سيئا فاستوردت عمالا من جنسيات مختلفة ففي عام ١٩٢٩ م كان من بين كل ٢٠ من الأيدي العاملة في الزراعة واحد من جنسية أجنبية •

ب - في الصناعة :

إذا كانت الظواهر الاقتصادية في عالم الزراعة تعطينا فكرة أساسية عن ارتباط التنمية بزيادة السكان طردا وعكسا ، فإن هذا المفهوم يكاد يكون مقلوبا الى حد ما في عالم الصناعة ذلك أن الصناعة في أوروبا أول فجرها كانت تكفى حاجات الانسان ولا تزيد الا بمقدار ضئيل •

فلما كانت الكشوف الجغرافية ، والحروب الصليبية واتسمت رقعة المستعمرات في آسيا وأفريقيا وأمريكا ، اتسع تبعا لذلك نطاق السوق الثرائية لا سيما بعد أن

كاتبوا الاقتصاد الاوربي عن الزراعة في بريطانيا فيقولون :
أصاب الاقتصاد البريطاني انتعاش كبير في الفترة السابقة التي دعونها فترة التجهيز الاوربي ١٤٥٠ - ١٧٥٠م فقد تضاعف عدد السكان وانتشرت المحصولات الزراعية التي تستخدم للتجارة فأصبح لدى انجلترا فائض من القمح تصدره الى أوروبا •
والنتيجة لهذه الظاهرة :

أن الزراعة تتأثر طردا وعكسا بالقوى العاملة فاذا ما توفرت الأيدي العاملة انتعشت الزراعة ودرت خيرا كثيرا واذا ما قلت الأيدي العاملة تعطلت الأرض وفسدت وقل المحصول وعمت المجاعات •

وبصورة جلية عن الزراعة في بريطانيا في الفترة من ١٧٥٠ - ١٩٥٠ - يقول الكاتبون :

أن الاطراد في زيادة السكان كان المخفف من ضيق احوال الأراضي وتركها نتيجة الحرب وهبوط ثمن البوشل من القمح المحلي عن ١٠ شلن فلم يكن

أقبل الناس على المنتجات الصناعية من الأقمشة والمنسوجات القطنية والحريية مما ساعد على التفكير في تطوير آلات الصناعة لتواجه تزايد الطلب من الاسواق الجمّة وراء البحار فكانت الثورة الصناعية على نحو ما يصفه علماء الاقتصاد وكان من جراء ذلك ظهور طبقة من العمال لا عمل لها بعد أن فقدت المصانع اليدوية فاعليتها في مواجهة الصناعات الحديثة ، كما جنح أصحاب العمل الى استخدام الاطفال والنساء بأجر أقل واستغل العامل طوال ساعات اليوم وأسىء له في حياته ومعاملته حتى ظهر ما يسمى بالمشكلة العمالية (١) .

وكان من أول من تصدى لحلها (سيروبرت بيل) صاحب مصنع للقطن وسياسى بريطانى محضك فعمل على حل جزء المشكلة عام ١٨٠٢ فحدد عمل الصبية باثنتى عشرة ساعة فقط وعين مفتشين :

أحدهما قاص والآخر قسيس للإشراف على تنفيذ القانون فى المصانع ، ثم صدر عام ١٨١٩ م قانون يحرم استخدام الاطفال فى المصانع ، وحرم أن يشتغل العامل أكثر من ١٢ ساعة فى اليوم ، ولم يقبل اصحاب المصانع بهذه القوانين فحدثت مشكلات أدت الى البطالة بين العمال وتضخمت المسائل حتى عجت حلبة الاصلاح الاجتماعى بنظريات كثيرة خاصة بالعمال وكان من بين هذه النظريات تحديد النسل .

فقضية تحديد النسل ظهرت فى جو الصناعة وتطورها وتطور آلاتها والاستغناء عن بعض العمال بفضل الآلات الحديثة .

راى قدامى الفلاسفة لقد كانت نظرة الفلاسفة قديما الى زيادة السكان نظرة عادية لا يرون فيها بأسا ولا خرابا الى ذلك يذهب الفيلسوف Bvffodu

١ - لو كان لدى أوربا فقه سليم بقيمة الانسان وكرامته على نحو ما هو مقرر فى الاسلام لوضعت خطة صناعية لاستيعاب كل المهملين فى حقل الصناعة : احترايا لانسانياتهم ، ونشرا للرخاء ، ولكن المسألة كانت على خلاف ذلك .

لا تزداد حاجات المعيشة — الانتاج
— الا حسب متواليات حسابية :

١ — ٢ — ٣ — ٤ — ٥ — ٦

٧ — ٨ — ٩ — ١٠ — ١١ — واذن:

فتكون نسبة السكان الى الانتاج
بعد جيلين كنسبة ٢٥٦ الى ٩ وبعد
ثلاثة أجيال كنسبة ٤٠٩٩ الى
نسبة ١٣ وسيكون الفرق خارقا
لحد التصور بعد آلاف السنين •

لكن مالتوس لم يتمصّب لهذا
الرأى بل قال انه افتراض •

وقد تكون الأمور المفروضة غير
صحيحة أحيانا ، وقال : ربما صار
حظ الانسان في المستقبل أسعد
مما هو عليه الآن اذا استبدلت
طرق القمع بوسائل الوقاية أى اذا
استبدل بالحرب تنظيم أمور
الزواج ••• الخ •

ومع ذلك فان رأى مالتوس مع
أنه ظهر في بيئة عمالية عاطلة وكانت
ظروف الحياة في القرن الثامن
عشر سيئة للغاية الا أن رأى
مالتوس علق بأذهان كثير من
الاقتصاديين حتى جر هذا الوبال
على شرقنا العربى والاسلامى •
يقول المستر جروف سامويل في

والفيلسوف مونتسكيو Montesquieu

فقد كانا يريان أن الزيادة في
السكان مفيدة ونافعة للبلاد ولا
خوف منها ، لأن تعداد السكان
منظم بطبيعته حسب طرق المعيشة،
وهو نفس الاعتقاد الذى كان
يذهب اليه المركيز ميرابو Mirabeau
ولكن الذى أفسد هذه النظرة

العادية جودون GODWIN
عندما ذكر في كتابه « المعدل
السياسى سنة ١٧٩٣ م أنه شك في
أن نسبة المحصولات قد لا تزداد
بنسبة تتلاءم مع عدد السكان »

مالتوس الانجليزى : ١٧٦٦م

✽ وهنا برز في حلبة التشكيك
قسييس اقتصادى هو مالتوس
الانجليزى الذى وضع كتابه
المشهور :

رسالة عن تعداد السكان عالم
١٧٩٨ م ثم اعاده عام ١٨٠٣ م
وفيه يقول :

ان تعداد السكان يزداد طبقا
لنظام متواليات هندسية •

١ — ٢ — ٤ — ٨ — ١٦ —

٣ — ٦٤ — ١٢٨ • وهكذا بينما

يقول جروف :

في نقد رأى مالتوس :

ان مجرد الارتفاع في عدد المواليد لا يفيد في زيادة عدد السكان فالجدير بالاعتبار هو الناتج الختامي : أى رجحان المواليد على الوفيات ، ولا بد كذلك من تقدير العوامل الأخرى كالهجرة ، والحروب ، والأمراض والكوارث الطبيعية .

* ريكاردو الهولندي ١٧٧٢ م :

وعلى غرار مالتوس كان ريكاردو ١٧٧٢ م فقد ذهب الى أن مستقبل العمال مظلّم لأنه كلما ازداد السكان كثر عدد العمال ومتى كثر عدد العمال قلت أجورهم ، وإذا قلت مساحة الأراضي الزراعية قل المحصول ، وإذا قل المحصول ارتفع ثمنه ، ففي كلتا الحالتين مستقبل العمال في خطر ومنعاهم وقوع هذا الخطر يجب رفع أجورهم بنسبة ارتفاع لوازمهم ، وعلى فرض امكان حصولهم على هذه الزيادة فلن

— ان مالتوس لم يستطع أن يتنبأ بمخترعات العصور الحديثة تلك التي زادت مقادير المواد الغذائية ، وكذلك أساليب الزراعة فان التقدم في هذه الآلات قد ساهى ازدياد عدد السكان وأربى عليه .

— كذلك مالتوس لم يدخل في حسابه قدرة الانسان على التعاون والحصول على مزايا تعظم كلما ازداد عدد السكان وازدهموا بذلك أنه كلما زاد عدد السكان استطاع الانسان أن يوزع العمل بأساليب اقتصادية أبلغ من سواها ، واستعمل في تصريف العمل طرقاً تفضل غيرها كثيراً ويفضل المخترعات والمستكشفات الحديثة تمكن الانسان من زيادة الانتاج .

ويقول جروف :

من ذلك يرى أن الانسان يستطيع دائماً أن يجعل مقدار انتاجه أكثر في مدة من الوقت أقصر (١) .

ولم يجد الفكر الأوربي له من الدين الذي يعتنقه مساعدا له على تفهم قضية الرزق والعمل .
(انظر حولك)

ولننظر الآن من حولنا لمفرد الفعل للدول التي أضفت قديما بنظام تحديد النسل فماذا نرى ؟
(١) في إنجلترا :

✳ في الحرب العالمية الاولى ١٩١٦ م ألفت في إنجلترا لجنة لاستعراض نسبة المواليد وكانت تتألف من ٣٣ عضوا كلهم من رجال الطب والاقتصاد والعلوم التجريبية والخبراء بفن الاحصاء والعلوم الحديثة كما اشترك معهم ممثل عن الحكومة هو الدكتور

استفنسون Stevenson
— المسئول عن الاحصائيات ،
والسير آرثر نيوزهوم AURTHUR NEWSHOM
— وهو الرئيس الاعلى للشئون الطبية — ووضعت هذه اللجنة تقريراً جاء فيه :

على بريطانيا أن تراقب بغاية من الحذر والاضطراب النقص المتزايد في هبوط نسبة الولادة

يكونوا سعداء لأن ثمن القمح وغيره يزداد أيضا وانما الحل الوحيد لمساعدة العمال هو ألا يكون لهم أولاد الابنسية مكاسبهم وأن يحدد لكل صناعة عدد معين من العمال .

يقول الدكتور حسين على الرفاعي : لا شك أن هذه النظرية اندثرت ولن تجد في حياتنا الاجتماعية الحالية مجالا للنجاح ولقد أصبحت في عداد النظريات العتيقة فان حالة التقدم الصناعي الهائلة التي يعيشها العالم اليوم لا تجد لمثل هذه الأفكار بيئة وسط العاملين والمستثمرين .

والخلاصة :

أن قضية تحديد النسل نشأت وسط مجتمع صناعي بدائي تحيط به عنكب اليأس والأسى ، عندما كانت أوروبا تنه في بحر من الفقر والجوع والحرب والدمار .

وكان التشاؤم هو السمة السائدة على الفكر العلمي الذي لم يستطع أن يتنبأ بتقدم صناعي هائل يغطي حاجات الانسان

القومية وعليها مواجهة هذا النقص وتغييره بالزيادة الى حد امكان ان تتخذ كل ماياتى فى دائرة قدرتها من التدابير الفعالة ، وتكررت هذه النصيحة فى عام ١٩٤٣ ابان الحرب العالمية الثانية فقد قال المستر هربرت مارسين وزير الداخلية : ان بريطانيا اذا كانت تحب المحافظة على مستواها والتقدم فى سبيل الرقى والازدهار فى المستقبل فعن اللازم أن يتزايد فيها عدد كل أسرة بنسبة ٢٥٪ على الأقل وفى عام ١٩٤٤ م شكلت لجنة من الحكومة لدراسة المشكلة من كل نواحيها وقد صدر عنها توصيات أهمها :

* تعديل قانون الضرائب بحيث تخفف عن المتزوجين الذين لهم عدة أطفال .

* أن تمنح كل أسرة مكافأة مالية على قدر ما يكون لديها من الاطفال .

* والآن فى انجلترا يمنح الاطفال مكافآت مالية وتمنح النساء أجازة ولادة مع مكافأة مالية خاصة .

ب - وفى فرنسا :

أصدرت الحكومة قانونا يجرم تعليم منع الحمل ونشر المعلومات عن طرقه ووسائله .
وان الاسر ذات الاطفال تمنح مكافآت مالية وتعفى من بعض أنواع الضرائب .

ونتيجة لذلك ازداد عدد سكان فرنسا بنسبة ٢٦٪ فى السنوات بين ١٩٣٨ م الى ١٩٥٤ م .
د - وفى السويد :

قال الوزير ترواى جر TRYGGAR ان الشعب السويدي اذا كان لا يريد لنفسه الانتحار فعليه أن يتحذ التدابير المؤثرة لمقاومة انخفاض نسبة المواليد فى وطنه .
لقد أصبح انخفاض نسبة المواليد خطرا للغاية ينذر بالويل منذ سنة ١٩٢١ م .

وكان من تأثير هذا التنبيه الذى ألقاه الوزير فى المجلس النيابى أن الحكومة ألغت لجنة خاصة فى مايو ١٩٣٥ م لدراسة المشكلة وانتهت اللجنة الى :

١ - الرقابة على بيع أدوية منع الحمل .

الحبوب لمنع الحمل فهي لا تتعرض
للصداع والآلام العصبية فحسب
بل لا تأمن على نفسها أن يصيبها
مرض عضال كالسرطان •

الأثر الأخلاقي

أما الأثر الأخلاقي لانه يفتح
باباً للفسوق لا يجد له مدامت
عواقب الانحراف مأمونة ومادام
الخط الاقتصادي لا يسعف على
بناء بيوت للزوجية فلنأخذ
الابليسية حظها في فكر الشباب
قبل الشباب •

فهل التنمية الاقتصادية في
مجال : الزراعة ، والصناعة
والتجارة في حاجة الى مثل هذه
المناهات والامراض ؟

أو أنها في حاجة الى أيد تعمل
وتبنى وتشيد ؟

ولله در المرحوم العلامة
الاستاذ الدكتور أحمد زكي هين
هتف بالامة العربية : تناسلوا
تكاثروا حتى تملئوا البحر والبر
عربا •

ومن جهة أخرى :

٢ - تخفيف الضرائب عن
الوالدين اذا كان لهما اطفال أقل
من ١٨ سنة •

٣ - المحافظة على الصحة
واعداد الادوية المجانية للاطفال •

رأى الطب

وتقول الدكتورة ميري شارليب
Dr : Mary Scharlieb

ان وسائل تحديد النسل سواء
كانت هي اللوليبات المعدنية
أو الأقراص أو العقاقير القاتلة
للحيوانات المنوية أو حواجز
المطاط وغيرها ، واذا كانت المرأة
لا تتعرض باستخدامها لضرر
فوري ظاهري ، ولكنها اذا ظلت
تستخدمها لمدة من الزمان فلابد أن
يصيبها انهيار عصبي قبل ان
تبلغ سن الكهولة •

ومن النتائج اللارمة لاستخدام
هذه الوسائل - التبرم - والتذمر
- والقلق - وضعف القلب
والتشویش والهموم ونقص الدورة
الدموية وشلل اليدين واضطراب
العادة الشهرية •

ويقول الدكتور رينيل ديوكس :
ان المرأة عندما تتناول هذه

ففى السودان مائتا مليون من
الافدنة يجرى من حوالىها النيل
الابيض والازرق وهما حزينان
لأنهما يمران مر الكرام وسط هذه
الملايين دون أن تشرب مائة
مليون منها شرية من ماء النيل .

وفى العراق ثلاثون مليوناً
تهطل عليها الامطار وتجوس خلالها
مياه دجلة والفرات .

وفى سوريا وفى فلسطين وفى
مصر ملايين الأفدنة الصالحة
للزراعة والكافية لسد حاجات مئات
الملايين من الأنس خارج الوطن
العربى .. ولكنها لا تجد يدا عاملة
ولا مالا يساند فى فلاحتها والمناجم
وآبار البترول والغاز الطبيعى ،
والمحاصيل الزراعية التى تصدر
الى الخارج كلها ثروات تنطى
حاجات العالم العربى والاسلامى
ولكن الفقر هو ممة غالبية هذه
الشعوب فلم ؟

ان الاجابة اركزها فى هذه
النقاط :

أولاً : الابتعاد عن ذاتيتنا
الاسلامية الى أيديولوجيات
شرقية أو غربية لفت الأمة العربية

فان الاستعدادات العسكرية
التي يتسابق عليها الشرق الشيوعى
والعرب الامبريالى وكلاهما
مستعمر غاشم قد جعلت قضية
الأخلاق فى الشرق العربى
والاسلامى قضية فى حرج شديد
اذ بهذا التسابق يتأرجح العرب
والمسلمون فى حيرة بين جاذبية
كلتا القوتين ، وعندئذ لا توجد
شخصية أخلاقية للعرب والمسلمين ،
ويبقى فى تفكير العرب الى أى
القوتين تضمن لهم السلامة ،
ولا سلامة الا فى الاعتصام بحبل
الله المتين ويوم أن تفقد الشعوب
شخصيتها الاخلاقية تنهار وتتدك
حصونها وتذهب شموبيها بددا فى
صحراء التيه والضياع .

ثانياً : عوامل الفقر فى العالم

العربى والاسلامى

ان الثروة التى يملكها العالم
العربى والاسلامى هائلة جدا ففى
مجال الزراعة يملك ملايين الافدنة
الصالحة للزراعة والتى تكتنفها
الانهيار والامطار على امتداد
الوطن العربى .

ابصليبي وسمعت همسه : أن حل
المشكلة في تحديد النسل ، وهم
كادبون آثمون •

رأى الصلامة ابن خلدون :

والصلامة ابن خلدون يربط
التقدم الحضارى والرخاء
الاقتصادى بزيادة السكان لأن
هذه الزيادة تدفع الى التعاون على
العمل الذى هو أساس التقدم
الحضارى فيقول :

ثم اذا اتسعت أحوال هؤلاء
المنتحلين للمعاش وحصل لهم
ما فوق الحاجة من الغنى والرفه
دعاهم ذلك الى السكون والدعة ،
وتعاونوا في الزائد على الضرورة
واستكثروا من الإكوات والملابس
والتأنق فيها وتوسعة البيوت
واختطاط المدن والأمصار للتحضر
ثم تزيد أحوال الرفه والدعة
فتجىء عوائد الترف البالغة مبالغها
في التأنق في علاج القوت واستجادة
المطابخ ، وانتقاء الملابس الفاخرة
•• ومعالات البيوت والصروح ••
الخ •

فنظريه ابن خلدون وهو سيد

في أثواب خلقة من السياسة
الاستعمارية التى أنهكت كل قواها •
ثانيا : تلك الصراعات العربية
التي لم تعرف لها نهاية ولم تجد
لها من يلم شملها •

ثالثا : تلك الصروب التي
طحنفت الامة العربية دون أن تدرك
لم حاربت ومن حاربت ، واعتمادات
عسكرية باهظة لم تحقق للقضية
القومية شيئا •

رابعا : بعثرة الامكانيات
الاقتصادية والاجرام عن استخدام
المال العربى في ازدهار الأوطان
العربية وهى حقيل التنمية
المرغوبة •

خامسا : تيه الاقتصاد العربى
والاسلامى وسط جاذبية الاقتصاد
العالمى •

سادسا : التبذير والاسراف في
النفقات السرية والاعلامية والترف
المعيشى الخاص بالمظاهر الفضفاضة
التي تضيق في الهواء •

ومن هنا فرضت هذه المشكلات
أسباب الفقر فعالت الأذن العربية
الى وسوسة الغرب الصهيونى

ثالثا : الراى الاسلامى فى تحديد النسل

تنشأ فكرة تحديد النسل كآثار
لقضية أثارها الاقتصاد
الفيزيوقراطى الذى يدعى أن
موارد الطبيعة لا تكفى لتمويل
البشر اذا زادوا فى المستقبل .
وهى قضية عقدية قبل أن
تكون اقتصادية ، فهل حقا الموارد
الطبيعية غير قادرة على كفاية
البشر ؟؟

ان الله تعالى يقول :

« والارض مدحناها وألقينا فيها
رواسى وانبتنا فيها من كل شىء
موزون . »

وجعلنا لكم فيها معايش ومن
لستم له برازقين «

١٩ - ٢٠ الحجر

« وقدر فيها اقواتها فى اربعة
ايام سواء للسائلين »

١٠ - فصلت

« وان من شىء الا عندنا خزائنه
وما ننزله الا بقدر معلوم »

٢١ - الحجر

« فلكم الله ربكم لا اله الا هو

أهل علم الاجتماع . أن الحضارة
تحتاج الى عنصر الوفرة فى الأيدى
العاملة التى تقوم بأعباء أنواع
حاجات الحضارة فالبدو ينتج
ما يكفيه أما الرجل الحضري فهو
دائما يتطلع الى الملا وحاجاته
مرتبطة بكثير من الفنون وشئون
المصناعة وذلك لا يتأتى الا عن
طريق الزيادة فى السكان .

يقول ابن خلدون :

ومناه الحاضرون أهل الأمصار
والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل فى
معايشه الصنائع ، ومنهم من ينتحل
التجارة وتكون مكاسبهم أنمو وأرقه
من أهل البدو لأن أحوالهم زائدة
على الضرورى ومعايشهم على نسبة
وجدتهم . . فقد تبين أن أجيال
البدو والحضر طبيعة لأبد منها .

والامة العربية وهى الامة التى
برز فيها عالم الاجتماع العربى
ابن خلدون فيها من الامكانات
ما يحقق نظرة اكثار النسل ثم هو
أولى أن تميل فى اجتماعياتها الى
نظرية ابن خلدون لا مالتوس
ولا ريكاردو . .

الله منها ولدا وليخلقن الله تعالى
نفسا هو خالقها •

(رواه احمد)

* اعزل عنها ماشئت فانها
سيأتيها ما قدر لها •

(رواه مسلم)

* اعزلوا أو لا تعزلوا ما كتب
الله تعالى من نسمة هي كائنة الى
يوم القيامة الا وهي كائنة •

(رواه الطبراني)

* ما قدر في الرحم سيكون
(رواه احمد والطبراني)
* ما قدر الله لنفس أن يخلقها
الا هي كائنة

(رواه احمد)

* ما عليكم أن لا تعزلوا فان
الله قدر ما هو خالق الى يوم
القيامة

(رواه النسائي)

* لا عليكم أن لا تفعلوا ذلكم
فانها ليست نسمة كتب الله أن
تخرج الا هي خارجة

(رواه البخاري)

* كتب الله مقادير الخلائق
قبل أن يخلق السموات والارض

خالق كل شيء فاعبدوه وهو على
كل شيء وكيل •

١٠٢ - الانعام

« له مقاليد السموات والارض
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه
بكل شيء عليم »

١٢ - الشورى

« أن الله هو الرزاق ذو القوة
المتين »

٥٨ - الذريات

فهذه النصوص ترفض الادعاء
الاوربي القائل بأن الموارد الطبيعية
غير قادرة على كفاية البشر اذا زاد
عدد السكان والنبى صلى الله عليه
وسلم يحذر الأمة من تحديد النسل
فيقول :

* « اذا أراد الله خلق شيء لم
يمنعه شيء »

(رواه مسلم)

* اصنعوا ما بدمكم فما قضى
الله تعالى فهو كائن وليس من كل
من الماء يكون الولد •

(رواه مسلم)

* لو أن الماء الذى يكون منه
الولد أهرقته على صخرة لأخرج

بمئتين ألف سنة وعرشه على أباهي بكم يوم القيامة •
(رواه أحمد)

وبعد : (رواه مسلم)
ولا أدل على رغبة الاسلام في
زيادة النسل من دعوة النبي صلى
الله عليه وسلم الى الزواج من
المرأة الولود الودود •

* ألا أخبركم بنسائكم من
أهل الجنة :

الودود الولود العود التي اذا
ظلمت قالت هذه يدي في يدك
لا أذوق غمضا حتى ترضى •

(رواه الطبراني)
* تزوجوا فاني مكاث بكم

الأمم ولا تكونوا كرهبانية
النصارى •

(رواه البيهقي)
* تزوجوا الودود الولود فاني

مكاث بكم •
(ابو داود والنسائي)

* تزوجوا الولود تناسلوا فاني
مباه بكم الأمم يوم القيامة •

(رواه البخاري ومسلم)
* انكحوا أمهات الاولاد فاني

١ - أن الاسلام رغب في زيادة
أباهي بكم يوم القيامة •

النسل وتكثيره لأن كثرة النسل تقوى الأمة الإسلامية اجتماعيا واقتصاديا وحربيا وتزيد لها عزة ومنعة •

لا تجوز ممارسته شرعا للزوجين أو لغيرهما •
ويوصى المؤتمر بتوعية المواطنين وتقديم المعونة لهم في كل ما سبق تقريره بصدد تنظيم النسل •

ان تحديد النسل : مجافاة للفترة ومجافاة للطبيعة العربية وهو خرافة

لأن الله تعالى لما يريد ولأن الله غالب على أمره فهل من مستجيب ؟
هذا

وبالله التوفيق •

دكتور رؤوف شلبي
عميد كلية أصول الدين
بالمسورة

٢ - اذا كانت هناك ضرورة شخصية تحتم تنظيم النسل للزوجين أن يقصرها طبقا لما تقتضيه الضرورة وتقدير هذه الضرورة متروك لصمير الفرد وتدينه •

٣ - لا يصح شرعا وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأي وجه من الوجوه •

٤ - أن الاجهاض بقصد تحديد النسل أو استعمال الوسائل التي تؤدي الى العقم لهذا الغرض أمر

فهرس العدد

اسم الموضوع	صفحة
● حول رأى العلامة ابن خلدون فى اقتداء المقلوب بالغالب للدكتور محمد الطيب النجار وكيل الأزهر	١٤١٣
● الروحانية فى الاسلام للاستاذ محمد صابر البرديسى	١٤٢٢
● مكانة الحديث فى التشريع الاسلامى للدكتور الحسينى هاشم الامين العام لجمع البحوث الاسلامية	١٤٢٩
● الحج وأهدافه السامية لفضيلة الشيخ مصطفى الطير	١٤٣٨
● تعقيب ورد على التعقيب للاستاذ السيد حسن قرون	١٤٤٦
● فقهيد الأزهر « الدكتور احمد الشرباصى » للاستاذ السيد حسن قرون	١٤٤٩
● اهل الذمة وواجباتهم فى بلاد الاسلام للمستشار محمد عزت الطهطاوى	١٤٥٤
● شاعر فى خدمة الانسان للاستاذ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى	١٤٦١
● أهداف سورة محمد صلى الله عليه وسلم للدكتور عبد الله محمود شماعة	١٤٧٠

● التنمية

● للدكتور رفعت العوضى ١٤٧٧

● فلسفة الحضارة الإسلامية

● للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح ١٤٨٥

● فقيد العلم والإسلام

● المرحوم الدكتور الشيخ محمد الفحام ١٤٩٤

● مشكلات الشباب وحلولها في ضوء الكتاب والسنة

● للأستاذ علي القاضي ١٤٩٦

● دراسات قرآنية في ملكوت السموات والأرض

● للأستاذ علي عبد العظيم ١٥١٢

● حول اعلام اسلامي رشيد

● للدكتور محمد رجب البيومي ١٥٢٣

● من شعراء الأزهر

● للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ١٥٣١

● اخطاء شائعة

● للأستاذ عباس أبو السعود ١٥٤٤

● بالجسم والروح

● للأستاذ الربيع الغزالي ١٥٥٢

● حكم وطرائف

● اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٥٥٨

● باب الفتاوى

● الأستاذ عبد الحميد شاهين ١٥٦٢

● من أنبياء العالم الاسلامي
اعداد الأستاذ فهمي عبد الله سميد علي . . . ١٥٦٧

● كتاب الشهر
للدكتور وعوف شلبي ١٥٧٢

١٢٢٢



المصنوع
إدارة الأزهر
بالتاهرة
٩٠٩٩٢٢
ت ٩٠٥٥٠٦

الأزهر
مجلة

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير للجنة
محمود البرديسي

الجزء التاسع - السنة الثانية والخمسون - ذو الحجة سنة ١٤٠٠ هـ - نوفمبر سنة ١٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

منابع التاريخ الإسلامي وبدء الكتابة فيه

فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار
وكيل الزمر

ندل كلمة « التاريخ » على الاعلام بالوقت ، مضافا اليه ما وثق
في ذلك الوقت من : حوادث ، وأخبار ، والتاريخ : بهذا المعنى اللغوي :
قديم تمتد جذوره الى الأسرة الاولى من البشر ، فحينما هبط آدم وحواء ،
على ظهر هذا الكوكب ، وأصبح لهما أولاد وذرية ، أخذ آدم يقص على
أبنائه مما علمه الله ، ويروي لهم من الأنباء ما علمه ورآه ، وأخذ هؤلاء
يحفظون بهذه الأخبار في ذاكرتهم ، لينقلوها الى أبنائهم ، وأحفادهم ،
جيلا بعد جيل ، وقبيلًا في أثر قبيل ..

ثم تواتت الأزمان ، وأنبثق فجر الحضارة ، وبدأ الإنسان يتعلم الكتابة ، ويسجل ما يسمعه ويراه ، وما يحتفظ به في ذاكرته ، على الحوائط والجدران • وفي العظام ، والجلود والألواح ، فبدأت الإنسانية عهداً جديداً يسمى « مبدأ التاريخ » وأما العصور التي سبقت هذا العهد ، فتسمى « عصور ما قبل التاريخ » •

فالعصور التاريخية إذن تبدأ منذ تعلم الإنسان الكتابة • وهذا هو ما اصطلح عليه المؤرخون ، وكأنما أرادوا أن يسدلوا الستار على تلك الأزمنة المتوغلة في القدم ، والتي لم تسجل فيها أخبار الشعوب والأمم ، لأنها — حينئذ — أنباء يحيط بها الغموض ، ولا تستند إلى أساس سليم ، بل يشوبها الخدس والتخمين • وتفتح الباب على مصراعيه ، للوهام والباطيل ••

والآن سوف نعبّر القرون ، منذ بدأت كتابة التاريخ عند الإغريق ، وعند الرومان ، وعند المصريين القدماء ، وقد كان ذلك قبل الميلاد المسيحي ، بآلاف السنين ، سوف نتجاوز هذه الأزمنة ، وتلك الأمكنة ، إلى القرن السابع الميلادي ، وإلى الجزيرة العربية بصفة خاصة ، لكي نتتبع كتابة التاريخ الإسلامي ، منذ بدأت في هذه الجزيرة :

وأول المنابع الأصلية لهذا التاريخ ، هو كتاب الله ، المنزل على رسوله محمد بن عبد الله ، ثم يلي ذلك في الأهمية السنة النبوية •• ففيها مبادئ الدين الإسلامي الحنيف وآدابه ، وفيهما سيرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وبيان لأحوال المجتمع الذي كان يعيش فيه الرسول ، وأصحابه ، وتصوير صادق لما هم بهم من الآمال والآلام ، والاحداث الكبار والجسام • وقد كان العرب هموماً أمينين • وكانت الكتابة فيهم نادرة ، حتى ليذكر المؤرخون أن الإسلام حينما ظهر في مكة ، لم يكن فيها من يعرف الكتابة ، سوى نفر خستيل يقلون عن العشرين ، وكان منهم

ابن ثابت • ولما فتحت مكة ،
واسلم معاوية بن أبى سفيان ،
انضم الى كتبة الوحي من أصحاب
الرسول — صلى الله عليه وسلم
— ولم يكن السورق — المعروف
الآن — قد وجد عند العرب ، ولذا
كانت الصحف التى يكتبون فيها
هى : القماش ، والجلد ، والمظلم
المريضة ، والحجارة الرقيقة ،
والأطراف المريضة من الجريد •

وكان أصحاب الرسول — صلى
الله عليه وسلم — أحرص الناس
على الاقتداء به ، وترسم آثاره ،
فكان من يستطيع الكتابة منهم
يسجل عن الرسول ، ما يسمعه ،
أو يراه •

ولكن الرسول — صلى الله
عليه وسلم — نهاهم عن ذلك ،
حتى تكون عنايتهم كاملة بالقرآن
الكريم ، وحتى لا يؤدي ذلك أن
تختلط بعض أقواله ، ببعض آيات
من القرآن ولم يكن يبيع الرسول
كتابة السنة الا فى احوال نادرة ،
ولظروف خاصة •

وقد كان نتيجة لذلك : أن
الصحابه رضوان الله عليهم ، وهم

عمر بن الخطاب ، وعثمان بن
عفان ، وعلى بن أبى طالب ،
وزيد بن أبى سفيان ، وأخوه
معاوية بن أبى سفيان ، وأبوهما :
أبو سفيان بن حرب • أما المدينة
فكانت الكتابة بين الأوس
والخزرج قليلة — كذلك — وكان
ممن يعرفها منهم سعد بن عباد ،
والنضر بن عمرو ، وزيد بن
ثابت •

وكان الرسول — صلى الله عليه
وسلم — يهتم كثيرا بالكتابة
ويوجه المسلمين الى العناية بها
حتى لقد جعل لعده الأسرى فى
غزوة بدر ممن كانوا يعرفون
القراءة والكتابة أن يعلم الواحد
منهم عشرة من أبناء المسلمين
بالمدينة •

وقد استعمل الرسول — صلى
الله عليه وسلم — الكتابة فى تدوين
ما ينزل من القرآن ، وفى إرسال
الرسائل ، الى الملوك والحكام ،
يدعوهم فيها الى الاسلام ، وكان
أول من كتب له بمكة عبد الله بن
مسعود بن أبى السرح ، وأول من
كتب له بالمدينة أبى بن كعب ، وزيد

وأمانته ، أما من بعدت عليهم
انسقه ، وبات بهم الديار ، فكانوا
إذا اعترضتهم مشكلة وعجزوا عن
حلها ، توجهوا من فورهم إلى
مدينة الرسول - صلى الله عليه
وسلم - مهما بذلوا من التضحية
ومهما تحملوا من المتاعب المضنية ،
ليستضيئوا بنور النبوة ، وليتبين
لهم الخير من الشر ، والحلال من
الحرام .

ويعد أن لحق الرسول - صلى
الله عليه وسلم - بالرفيق الأعلى ،
وجاء عصر الخلفاء الراشدين ، تركر
اهتمامهم في جمع القرآن الكريم ،
وتدوينه في مصحف واحد ،
وتوزيعه على جميع الأمصار
الإسلامية .

التحدين الصالح للسنة :

وعلى الرغم من أن الصحابة
والتابعين في القرن الأول الهجري ،
كانوا يتدارسون الحديث النبوي
بغاية إلا أنهم لم يكتبوه في مصحف
خاصة به كما تقدم ذلك .. وقد
مضى القرن الأول الهجري على
هذا النحو ، ولما كانت نهاية هذا
القرن كانت الظروف كلها تحتم

أحرص الناس على القدوة برسول
الله - صلى الله عليه وسلم -
والاقتداء بهديه ، جعلوا من
قلوبهم وصدرهم صحفا ،
يسجلون فيها ما يسمعون من
الرسول - صلى الله عليه وسلم
- وما يعلمونه عنه ، ويتنافسون في
ذلك ، حتى بلغوا أقصى الغايات ،
ولم يكن للرسول - صلى الله
عليه وسلم - مكان خاص دائم
يجلس فيه ، ليتلقى عنه أصحابه ،
وإنما كان يعدو ويروح ، ويسافر
ويقيم ، وأصحابه يحيطون به ،
ليأخذوا عنه ما يشفى غلتهم
ويحيى قلوبهم ، وكان من أصحاب
الرسول من يلزمه في ظننه
وأمانته ، وفي حله وترحاله ، كابي
هريرة ، وأبي بكر رضى الله عنهما ،
وكان منهم من تدعوه الضرورة إلى
أن يتحلف بعض الوقت لقضاء
مصلحته ، ومن هؤلاء من كان يعهد
إلى جاره ، أو صاحبه أن ينقل إليه
ما يقوله الرسول ، أو يفعله في فترة
تخافه حتى إذا حضر أخبره به ،
ليبقيه هو الآخر في صحره ثم يخبر
به الآخرين في دقة وفهم وحرص

علمكم الله من كتابه . والذي من
رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - من السنن التي لم تدع
شيئاً من دينكم ولا دنياكم ، في
ذلك كله نعمة عظيمة وحق واجب
هو شكر الله كما هداكم ، وكما
علمكم ما لم تكونوا تعلمون ،
فليس لأحد في كتاب الله ، ولا في
سنة رسوله رأى ، وهما حجتى في
الدنيا . وبقيت فيما بعد الموت ،
فلا تلبسوا ذلك بغيره . »

ثم اتبع هذا القول الذى يفيض
بالاخلاص لكتيب الله ، ولسنة
الرسول - صلى الله عليه وسلم -
بعمل ايجابى عظيم فكتب الى
عامله وقاضيه على المدينة ، ابنى
بكر بن حزم ، يأمره بجمع
السنة وتدوينها ، ويقول له :
« أنظر ما كان من حديث رسول
الله - صلى الله عليه وسلم -
فاكتبه ، فانى خفت دروس العلم ،
وذهاب العلماء . »

وكذلك كتب الى عماله فى أمهات
المدن الاسلامية ، يأمرهم بجمع
السنة وتدوينها فاستجابوا
لأمره .

كتابة الحديث ، فالخصومات
السياسية ، والخلافات المذهبية -
وما ترتب على ذلك من الفتن - لا
تزال ناشئة . والأهواء مضطربة ،
وأعداء الاسلام يتربصون به
الدوائر ، ويتفخزون كل سبيل
لنشويه ماله ، ولو تركت السنة
دون تدوين لتعرضت للضياع
بموت العلماء ، والأمناء والحفاظ
الثقات ، وتعرضت - كذلك
للتحريف والتفسير بما يدرسه فيها
أصحاب الهوى والغرض من
الوضائع الكذابين ، الذين
اتخذوا الدين ستاراً ، ينفذون من
ورائه الى أغراضهم ومطامعهم .
وكان من توفيق الله ورحمته
بالمسلمين أن يتولى الخلافة فى ذلك
الوقت عمر بن عبد العزيز - رضى
الله عنه - وهو الحاكم المخلص
الحريص على دينه . فنهض لاعلاء
كلمة الدين ، واهياء سنة الرسول
- صلى الله عليه وسلم - وتجلي
ذلك فى كتابه الذى أرسله الى
الولاة ، والعمال فى الأمصار
الاسلامية ، والذي يخاطب فيه
عامّة المسلمين فيقول : « وفى الذى

لأن السنة النبوية هي : أقوال النبي — صلى الله عليه وسلم — وأفعاله وتقريراته ، فكل الأخبار التي وردت عن النبي — صلى الله عليه وسلم — بعد بعثته : هي سنة ، وحديث ، وهي في نفس الوقت : سيرة ، وتاريخ .

وأما ما ورد عن الرسول — صلى الله عليه وسلم — من أخبار قبل بعثته ، فبعضه يدخل في نطاق السنة ، وهو ما أخير عنه الرسول بعد البعثة ، وهو يسترجع الذكريات الماضية ، عن العصر الجاهلي ومن ذلك ما ذكره عن حرب الفجار وما ذكره عن حلف الفضول ، وما ذكره عن حادث شق الصدر أيام طفولته إلى غير ذلك .

أما ما عدا ذلك من أخبار تتعلق به ، ولم ترد في كتب السنة فقد تناقلها الناس على توالي الأجيال ، إلى أن دونت بعد ذلك في كتب التاريخ والسيرة .

وقد كتب المحدثون تاريخ النبي — صلى الله عليه وسلم — في أحاديث متفرقة ، ومن غير ترتيب

يقول الحافظ بن حجر : « .. ولا قصرت الهمم وخشي الأئمة ضياع العلم دونوه ، وأول من دون الحديث .. ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز .. ثم كثرت التدوين ، وحصل بذلك خير كثير ، والحمد لله » .

وكانت طريقتهم في التدوين في ذلك الوقت أن يتبعوا وحدة الموضوع . فهم يجمعون في المؤلف الواحد الأحاديث التي تدور حول موضوع واحد . فالصلاة مثلا تختص بمؤلف ، وتجمع فيه كل الأحاديث الواردة في الصلاة ، وهكذا في الزكاة ، والصوم ، والحج إلى غير ذلك من سائر الموضوعات .

والمعروف أن هذه الكتب التي دونت في تلك العصور ليس لها الآن وجود مستقل فقد أدمجت في المصنفات الكبيرة التي كتبت بعد ذلك .

تدوين السيرة النبوية :
ولا شك أن السيرة النبوية لا تخرج كثيرا من السنة النبوية ،

الرسول • وهما محمد بن اسحاق
المعروف سنة ١٥٣ هـ ومحمد بن عمر
الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ
وسوف نذكر ترجمة موجزة لكل
من هذين العالمين :

١ - محمد بن اسحق :

هو محمد بن اسحق بن يسار
كان من الموالى يرجع فى نسبه الى
أصل فارسى ، وقد ولد سنة
٨٥ هـ ونشأ فى المدينة وكان بها -
حينئذ - طائفة كبيرة من أجلاء
العلماء فسمع منهم وأخذ عنهم ،
ومنهم محمد بن أبى بكر ، وأبان
ابن الحسين ابن على بن أبى
طالب ، ونافع مولى عبد الله بن
عمر ، وابن شهاب الزهرى • ثم
رحل الى مصر سنة ١١٥ هـ ،

وسمع من يزيد بن أبى حبيب •
ثم عاد بعد ذلك الى المدينة ،
وكان يجمع الأحاديث وخاصة ما
يتصل منها بالمغازى حتى اشتهر بها
وحتى كان الامام الشافعى يقول :
« من أراد أن يتبحر فى المغازى
فهو عيال على محمد بن اسحق » •
وقد ألف ابن اسحق كتابه

للأحداث ، ولا جمع للموضوعات
• فلما رتبت الأحاديث فى
أبواب ، وجمع منها ما يتعلق بكل
باب على حدة ، كالصلاة والصيام ،
وإنزكاة والحج ، والجهاد ، الى غير
ذلك : جمعت السيرة فى أبواب
مستقلة ، وكفى من أشهرها باب
يسمى « باب المغازى والسير » •
ثم انفصلت هذه الأبواب عن
الحديث ، وألفت فيها الكتب
الخاصة ، ولكن ظل المحدثون
يدخلونها ضمن الأبواب الواردة
فى كتبهم ، وتستطيع أن تلاحظ
ذلك فى صحيح البخارى ، حيث
خصص بابا سماه « كتاب المغازى »
وكذا فى صحيح مسلم حيث جعل
للجهاد بابا سماه « كتاب الجهاد
والسير » وكذا ما جاء فى مسند
أحمد من « كتاب المغازى » الى
غير ذلك من سائر الأبواب المتعلقة
بسيرة الرسول •

واذا كان ابن شهاب الزهرى قد
قام بتدوين السنة النبوية فى عهد
عمر بن عبد العزيز ، فقد أخذ عنه
عالمان جليلان هما - فى الحق -
أحمد وأوثق من كتب فى سيرة

« المغازى » من مجموع الأحاديث التى سمعها من شيوخه فى المدينة ومصر . وهذا الكتاب لم يصلنا كاملاً وإنما وصل إلينا مختصراً فى سيرة ابن هشام . ونستطيع إذا استخلصنا الروايات المقولة فى سيرة ابن هشام ، عن ابن اسحق أن نظفر بسيرة ابن اسحق مختصرة ، وقد نص ابن هشام على ذلك فى مقدمة سيرته فقال : وأنا إن شاء الله مبتدىء هذا

الكتاب بذكر اسماعيل بن إبراهيم ، ومن ولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ولده وأولادهم لأهـلابهم . الأول فالأول من اسماعيل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما يعرض من حديثهم وتارك ذكر غيرهم من ولد اسماعيل - للاختصار - . وتارك بعض ما ذكره ابن اسحق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيه فكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء . وتارك - كذلك - أشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل الشعر يعرفها ، ومستقص ان شاء

الله - ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به . وقد بقيت بعض الأخبار التى حذفها ابن هشام ، فى تاريخ الطبرى ، منسوبة إلى ابن اسحق ، ومعنى ذلك أننا لو جمعنا كل ما نسب إلى ابن اسحق فى سيرة ابن هشام ، وفى تاريخ الطبرى استطلعنا أن نظفر بالعالية المظمى من سيرة ابن اسحق ، وقد مات ببغداد سنة ١٥٣ هـ .

٢ - الواقدي :

هو محمد بن عمر بن واقد ، الواقدي وهو من الموالى - كذلك - وقد عاصر ابن اسحق ، وكان أصغر منه سناً ، وهو يعتبر فى الدرجة التى تليه يوم أشهر شيوخه فى التاريخ . أبو معشر السندى ، وكان أبو معشر هذا واسع العلم بالمغازى ، وألف فيها كتاباً اقتبس منه ابن سعد فى كتابه الطبقات الكبرى عند الكلام فى السيرة ، وكذلك اقتبس منه ابن جرير الطبرى فى كتابه « تاريخ الأمم والملوك » .

وقد ولد الواقدي بالمدينة سنة

١٣٠ هـ ، وعنى بالمغازى والسير ، والتاريخ الاسلامى عامة ، ونبغ فى ذلك . وقد وردت له ترجمة فى تاريخ بغداد للمخطيب البغدادى وميها يقول عن الواقدى : « وهو ممن طبق شرق الأرض وغربها ذكره ، ولم يخف على أحد عرف أخبار الناس أمره ، وسارت الركبان بكتبه فى فنون العلم من المغازى ، والسير والطبقات وأخبار النبى - صلى الله عليه وسلم - والأحداث التى كانت فى وقته ، وبعد وفاته . . وغير ذلك » . ومما يروى عنه انه كان يذهب بنفسه الى أمكة الفزوات ، ومواطن قتل الشهداء من أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان يقول عن نفسه : « ما علمت غزاة الا مضيت الى الموضع حتى أعابنه » . وكان الواقدى كثير التأليف ، وله كتاب اسمه « التاريخ الكبير » مرتب على حسب السنين ، وقد اقتبس منه الطبرى فى تاريخه ، وآخر ما اقتبس منه ما ذكره من حوادث سنة ١٧٩ هـ ، وله - كذلك

— كتاب الطبقات ، وقد ذكر فيه اصحابه والتابعين مرتبين حسب طبقاتهم .

ومد سلك كتابه ، وتلميذه : ابن سعد هذا المنهج فى كتابه « الطبقات الكبرى » .

وهكذا كان الواقدى من أوسع الناس علما فى المغازى والسير ، وقد عول عليه الطبرى كثيرا ، وكان من أكبر المصادر ، التى اعتمد عليها فى تاريخه .

وهذان مثان لما بين جليلين من الرواد الأوائل فى التاريخ الاسلامى .

وهؤلاء العلماء لهم — بلا شك — فضل السبق اذ هم الذين وضعوا الأساس لى جاء بعدهم . ولكن لم يكن تأليفهم مرتبا ، ولا عملهم منظما . انما كثر الترتيب والتنظيم فى الطبقة ، التى أتت بعدهم ، ونلمح ذلك فى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى ، و « تاريخ الأمم والملوك للطبرى » . الى غير ذلك من سائر الكتب التاريخية ، التى كتبت فى ذلك

الحين •

مستقلة في نظرهم •

وهكذا يتبين لنا أن أساس الحركة العلمية في العصر الإسلامي الأول ، كان هو الدين ، الذي يتمثل في القرآن الكريم ، والسنة النبوية • فأساس الفقه هو ما ورد من آيات قرآنية ، أو أحاديث عن النبي — صلى الله عليه وسلم — تتعلق بالعبادات ، والمعاملات ، والتاريخ الإسلامي ، مستمد من سيرة النبي وغزواته ، وبحث العلماء يتركز ويدور حول هذا الغرض •

ولذا فقد كان الفقه ، والتفسير ، والحديث ، والتاريخ ، علما واحدا في أوائل الإسلام ، ثم أخذت هذه العلوم يستقل بعضها عن بعض ، عملا بنظم موسى الارتقاء ، ولكن استقلال العلوم وتميزها ، ظل غير ملحوظ طيلة العصر الأموي على وجه التقريب ، ففى كتب التراجم عن علماء هذا العصر ما يفيد : أنهم كانوا يأخذون من كل علم بصيبوافر ، وأن العلوم التي استقلت فيما بعد لم تكن إذ ذاك

فالحسن البصري مثلا يجلس في درسه ، فيتكلم في الفقه والتفسير ، والحديث والتاريخ ، دون أن يلاحظ أنه انتقل من علم الى علم ، وتلامذته يستمعون اليه ، ولا يفكرون أنه قد انتقل بهم الى مجموعة من العلوم ، وإنما يفهمون أنهم حضروا درسا من العلم الدينى ، ولم يكتمل نضج العلوم وتميزها ، الا في العصر العباسى ، فظهر الفقهاء والمفسرون ، والمحدثون ، والمؤرخون ، وألغوا الكتب الكثيرة في هذه النواحي المختلفة ، فأصبح لكل علم منها مجاله ، واستقلاله ، وبالتالي أصبح للتاريخ رجاله ، وهم المؤرخون السابقون ، ومن جاء بعدهم على توالى الأزمنة والقرون •

هذا • ومن الله العون ، وبه

التوفيق ••

د/ محمد الطيب النجار

وكيل الأزهر

الرحلة في طلب الحرين

لفضيلة الدكتور الحسيني لهاشم

الرئيس العام لمجمع البحوث الإسلامية

ابن مفلح الأتصاري أمير مصر
خرج اليه وعانقه ثم قال له ما جاء
بك يا أبا أيوب ؟ قال : حديث
سمعت من النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يبق أحد سمعه منه
غيري وغير عقبه فابحث من يدلني
على منزله . فبحث معه من يدلّه
على ذلك فخرج اليه عقبه وسأله
عن سبب مجيئه فقال : حديث
سمعت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يبق أحد سمعه منه
غيري وغيرك في ستر المؤمن قال
عقبه : نعم ، سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول « من
ستر مؤمنا في الدنيا على خزيه
ستره الله يوم القيامة » فقال
أبو أيوب صدقت ثم انصرف
أبو أيوب إلى راحلته فركبها

لقد رحل الصحابة وأتباعهم إلى
شتى الأقطار والبلاد حتى أن
الفرد منهم ل يتميز بكثرة رحلاته
وانتسابه إلى أكثر من بلد .
ولقد حفظت لنا كتب السيرة
وفود العرب إلى الرسول صلى
الله عليه وسلم وبعثات الرسول
إلى البلاد المختلفة لنشر العلم
وتعليم السفة .

وبعد وفاة الرسول صلى الله
عليه وسلم حافظ الصحابة على تلك
النسنة الكريمة ، ومن أبرز
الرحلات في سبيل العلم وطلبه .
ما روى عن أبي أيوب الأتصاري
أنه رحل من المدينة إلى مصر لمقابلة
عقبه بن عامر وسأله عن حديث
سمعه من النبي صلى الله عليه
وسلم فلما قدم إلى منزل مسلمة

بعبد الله بن أنيس الأنصاري •
فأتيت منزله وأرسلت إليه جابرا
على الباب ، فرجع الى الرسول
فقال : جابر بن عبد الله فقلت
نعم • فخرج الى فاعتنقه
واعتنقني قال : فقلت : بلغني
عنك أنك سمعت حديثا في المظالم
من رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم أسمعه أنا منه فروي له
الحديث •

وعن عبد الله بن عباس أنه كان
يذهب الى الرجل من الصحابة عنده
الحديث ولو أرسل اليه لجاءه •

وعن أبي العالية قال : كنا نسمع
عن أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلا نرضى حتى خرجنا
اليهم فسمعنا منهم •

لقد كانت الرحلة سبيلا الى
جمع العلم وسبيلا الى التثبيت من
العلم وسبيلا الى التعرف على
الجو العلمي في أقطار العالم
الاسلامي وتدعيما لوحدة
المسلمين • وتتافس الجميع في
الاكثار منها والحرص عليها
تتافسهم الشريف في تحصيل العلم
والاكثار منه ولم يبالوا في سبيل

راجعنا الى المدينة وما حل رحله
فما أدركته حائزة مسلمة بن مخلد
الا بعريش مصر •

وروى أن عمرو بن أبي سلمة
قال للوزاعي : يا أبا عمرو أنا
الزمك منذ أربعة أيام ولم أسمع
منك الا ثلاثين حديثا - قال :
وتستقل ثلاثين حديثا في أربعة
أيام ؟ لقد سار جابر بن عبد الله
الى مصر واشترى راحلة فركبها
حتى سأل عن حديث واحد وعاد
الى المدينة وأنت تستقل ثلاثين
حديثا في أربعة أيام •

وهذا سعيد بن المسيب من كبار
التابعين يقول : اني كنت لأسافر
مسيرة الأيام والليالي في الحديث
الواحد •

وروى الشعبي حديثا ثم قال
للسامع خذها - أي الرواية -
بغير شيء فقد كان الرجل يرحل
فيما دونها الى المدينة •

وعن جابر بن عبد الله قال :
بلغني حديث عن رجل من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فابتعت
بعيرا فشددت عليه رحلي ثم سرت
اليه شهرا حتى قدمت الشام فاذا

واليك ترجماتهم على حسب هذا الترتيب •

أبو هريرة

صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم هم نجوم الهدى ، والمقتبسون من أنوار النبوة ، الناقلون إلينا علم الاسلام قرآنا وسنة ، ومن هؤلاء الصفوة من الصحابة أبو هريرة راوية الاسلام أول الكثيرين لرواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم •

كان اسمه في الجاهلية عبد شمس بن صخر ولما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم • عبد الرحمن دوس احدى قبائل اليمن العريقة في عروبته • وكان يرعى الغنم ومعه هرة صغيرة يعطف عليها ويضعها في الليل في الشجر ويصحبها في النهار مكناه القوم أبا هريرة •

أسلم رضى الله عنه في السنة السابعة من الهجرة عام خيبر وكان عمره حينذاك نحواً من الثلاثين سنة وقدم المحينة على النبي صلى الله عليه وسلم حين رجع من خيبر وسكن صفة مسجد الرسول صلى

ذلك بتعب مادي أو مالى • وسنرى عند الحديث على أئمة الحديث أن الأكثر منهم رحلوا الى شتى الأقطار ومن لم يرحل استفاد من علم الأقطار لمركزه الحيوى في نظره وتوافق الناس عليه •

أولا : أئمة الحديث النبوى من الصحابة •

الصحابة المكثرون لرواية الحديث

اشتهر برواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة من الصحابة شاء الله أن يكون حفظهم في كثرة رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من غيرهم ، فتألفت أسماؤهم في سماء رواية الحديث ، واصطلح العلماء على أن من روى أكثر من ألف حديث عد مكثراً •

وذكروا هؤلاء السبعة المكثرين للحديث على حسب ترتيبهم في كثرة الرواية وهم :

أبو هريرة — عبد الله بن عمر — أنس بن مالك — السيدة عائشة — عبد الله بن عباس — جابر بن عبد الله — أبو سعيد الخدرى ••

اليهم ولم يصب منها شيئا ، وإذا جاءت هدية أصاب منها وأشركهم فيها ، فأقبلوا مجتمعين فلما جلسوا قال : خذ يا أبا هريرة فأعطهم فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى حتى إذا أتيت على جميعهم ناولته رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه لى مبتسما وقال : اشرب فشربت ، فقال اشرب فشربت فمزال يقول اشرب فاشرب حتى قلت : والذي بحبك بالحق ما أجد مساعا فأخذ فشربه من الفضلة .

ولقد حبب الله لأبي هريرة صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ أحاديثه فكان أكثر رواة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفظ للمسلمين ثروة طائلة من السنة النبوية ، وقد اختاره الله لهذه المهمة الجليلة فوهبه ذاكرة قوية محققا دعوة خير البرية .

وروى الشيخان : أن أبا هريرة قال : انكم تزعمون أن أبا هريرة بكثرت الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، انى كنت امرأ

الله عليه وسلم وأصبح عريف أهل الصفة . أهل العلم والعبادة ، أضياف الإسلام وعباد الله المتمتعون برضوانه تعالى .

أصحاب جامعة عريقة قوامها كتاب الله وسنة نبيه صابرون في البأساء والضراء لأنفسهم بالله . يقول أبو هريرة : ان كنت لأعتمد على الأرض من الجوع وان كنت لأشد الحاجر على بطنى من الجوع . ولقد قدمت على طريقهم فمر بى أبو بكر فسألته عن آية فى كتاب الله ما أسأله الا ليستتب عنى فمر ولم يفعل ، فمر عمر فكذلك حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف فى وجهى من الجوع . فقال الرسول أقبل أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : لبيك يا رسول الله ، فدخلت معه البيت فوجد زيتا فى قدح فقال : من أين لكم هذا ؟ قيل أرسل به الينا فلان .

فقال يا أبا هريرة : فانطلق الى أهل الصفة فادعهم ، وكان أهل الصفة أضياف الإسلام لا أهل ولا مال ، اذا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة أرسل بها

هسكينا صحبت النبي صلى الله عليه وسلم على بطنى ، وكان المهاجرون تشغلهم التجارة في الأسواق ، وكانت الأتصار يشغلهم القيام على جمع أموالهم .

فحضرت من النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا ، فقال : من بسط رداءه حتى أفضى مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئا سمعه منى ، فبسطت رداي على حتى قضى حديثه ثم قبضتها إلى ، فوالذي نفسي بيده لم أنس شيئا سمعته منه صلى الله عليه وسلم . ولذا كان مرجع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى النسائي : في باب العلم من سننه « أن رجلا جاء إلى زيد ابن ثابت فسأله عن شيء فقال : عليك بأبى هريرة ، فإني بينما أنا جالس وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعو الله ونذكره إذ خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم حتى حضر إلينا مسكنا فقال : عودوا للذي كنتم فيه . قال زيد : فدعوت أنا وصاحبى قبل أبى هريرة ، وجعل رسول الله

صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائنا ، ثم دعا أبو هريرة ، فقال اللهم إني أسألك ما سألك صاحبائى وأسألك علما لا ينسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن ، فقلنا : يا رسول الله نحن نسأل الله علما لا ينسى فقال بها الغلام الدوسى . وهذا يدل على مدى شغل أبى هريرة وتلهفه على تحصيل العلم النبوى فكان شغله الشاغل ، يحرص على الحديث من كتاب العلم عن أبى هريرة أنه قال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد ظننت يا أبا هريرة أنه لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا قلبه . وأبو هريرة العالم العابد المتصوف المجاهد في ميدان الجهاد ولأعلاء كلمة الله شهد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم موقعة اليرموك ، وبعث وفاته في حرب الردة قاتل مع أبى بكر الصديق

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان مرجع المسلمين في رواية الحديث حتى أن عبد الله بن عمر كان يترجم عليه في جنازته ويقول : وكان يحفظ على المسلمين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وقد روى عن أبي هريرة نحو من ثمانمائة رجل من أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم ، وروى عنه أصحاب الكتب الستة والامام مالك في موطنه ، والامام أحمد بن حنبل في مسنده ، وقد جمع أبو اسحاق ابراهيم بن حرب العسكري المتوفى سنة ٢٨٢ هجرية مسند أبي هريرة وتوجد نسخة منه في خزانة كوبولس بتركيا كما ذكر صاحب الأدب العربي .

نصر الله وجه أبي هريرة ، فقد حفظ على المسلمين حديث رسول الله ، وسمع مقالة الرسول فأداها كما سمعها .

دخل مروان عليه في مرضه الذي مات فيه فقال شفاك الله .

فقال أبو هريرة : اللهم اني

نفس المرتدين ، وأشار بذلك ، أخرج الامام أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى ، قال فلما كانت الردة قال عمر : لأبى بكر تقاتلهم وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كذا وكذا ؟ فقال أبو بكر : والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة ولأقاتلن من فرق بينهما ، قال أبو هريرة فقاتلت معه .

أما عن كرم أبي هريرة : فقد نقل عن أبي نضرة عن رجل من قال : نزلت على أبي هريرة ولم أدرك من الصحابة رجلا أشد تشميرا ولا أقوم على ضيف منه . وأخرج أحمد عن أبي عثمان النهدي قال : تضيفت أبا هريرة فكان هو وامراته وخادمه يقسمون الليل أثلاثا ، يصلي هذا ثم يوقظ هذا .

وطال عمر أبي هريرة عاش بعد الرسول سبعة وأربعين عاما ينشر

أحب لقاءك فأحب لقائي ثم خرج مروان فما بلغ وسط السوق حتى مات .

انه من خيرة صحابة الرسول الذين قال فيهم الرسول : (خيركم من رأيي وآمن بي) وهو من القسرين الأول الذين قال فيهم : (خير القرون قرني) وهو القائل : (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم) .

وتوفي بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة عن ثمانه وسبعين عاما قضاهما في خدمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عبد الله بن عمر بن الخطاب

نسبه : عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي وأمه زينب بنت مظهر بن حبيب الجمحي أخت عثمان بن مظعون . ولد في السنة الثانية أو الثالثة من المبعث وأسس مسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم .

مشاهده

عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة في أحد فلم يجزه وعرض عليه في الخندق فأجازه وهو أول مشهد شهده - وشهد غزوة مؤتة واليرموك وفتح مصر وأفريقية وقدم الى فارس غازيا وهكذا نرى أن نشاطه الحربي كان موفورا حيث خاض أعنف المعارك وأبلغها في حياة الاسلام والمسلمين ولا غرو أن اضافت تلك الأمجاد الحربية اليه مكانة في النفوس وخاصة نفوس أهل الشام حيث كان الوحيد الذي يمكنه أن يقاسم معاوية فيها الولاء لو أراد ولكنه أثر الآخرة كما يأتي :

علمه

كان من النجباء الفاهمين اعترف من فيوض النبوة واستفاد من جو الرسالة وحضر كثيرا من المجالس النبوية الشريفة وفي أحد المجالس قال النبي صلى الله عليه وسلم (ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثوني ما هي قال عبد الله فوق في نفسي أنها النخلة - ووقع الناس في

ألفين وخمسمائة والله ما شهد
أسامة مشهدا غبت عنه ولا شهد
أبوه مشهدا غاب عنه أبى قال :
صدقت يا بنى ولكن أشهد لأبوه
كان أحب إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أبيك ولهو أحب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
منك ، وعاق الحاكم على ذلك
بقوله : فشهد له عمر بأنه لا ينাম
من الليل الا قليلا .

عبادته وورعه

عن نافع عن ابن عمر أنه كلن
يحيى الليل صلاة ثم يقول :
يا نافع أسحرنا فأقول لا فيطأود
الصلاة ثم يقول يا نافع أسحرنا
فأقول نعم فيقعد فيستغفر ويدعو
حتى يصبح . وكان شحيحا
الاحتياط والتوقى لدينه اشتهر
بذلك بين الصحابة فمن جابر رضى
الله عنه قال . مامنا أحد أدرك
الدنيا الا قد مالت به ومال بها
الا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
وعنه أيضا قال . اذا سرركم أن
تنظروا إلى أصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم ألفين لم يغيروا
ولم يبدلوا فانظروا إلى ابن عمر .

شجرة البوادي . ثم قالوا ما هي
يا رسول الله ؟ قال — النخلة —
فلما عرف عمر استحياءه عن
الاجابة لصغره قال له : (وددت
لو قتلتها ولا أملك كذا وكذا تشجيعا
له — وكان كثير المسائلة دقيق
العلم خالص الورع محافظا على
السنة روى مالك في الموطأ عن نافع
وعبد الله بن دينار أنهما أخبرا أن
عبد الله بن عمر قدم الكوفة على
سمد بن أبى وقاص وهو أميرها
فرآه عبد الله بن عمر يصبح على
الخفين فأنكر ذلك عليه فقال أسألت
أباك ؟ فقال لا فسأله عبد الله —
فقال عمر : اذا أدخلت رجلك في
الخفين وهما طاهرتان فامسح
عليهما — قال عبد الله وان جاء
أحدنا من الغائط قال عمر : نعم
وان جاء أحدكم من الغائط
— ومناقشته مع الصحابة للتعلم
أو التعليم كثيرة مشهورة .

شجاعته في الحق

لما فرض عمر لأسامة بن يزيد
ثلاثة آلاف وفرض لابنه عبد الله
ألفين وخمسمائة قال له يا أبت : لم
تقرض لأسامة ثلاثة آلاف ولى

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت أحدا ألزم للأمر الأول من ابن عمر وعن نافع قال ان كان ابن عمر ليقسم في المجلس ثلاثين ألفا ثم يأتي عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم فسئل نافع هل كان يأكل اللحم ؟ قال : كان اذا صام أو سافر فانه أكثر طعامه • وكان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الحج والتصدق حتى استقل رقيقه حبه الاتفاق فكان أحدهم ربما لازم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة اعتقه فيقال له : انهم يخذعونك فيقول من خدعنا بالله انخدعنا له وكان اذا قرأ هذه الآية : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » بكى حتى يغلبه البكاء • وكان اذا ذكر أمامه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى واذا مر على ربهم أغمض عينيه • وسئل عنه نافع : ما كان يصنع في منزله قال : الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينهما • فلا غرو اذا عقدت المقارنة بينه وبين أبيه واذا قيل : كان عمر في زمانه من يشبهه وتوفي

عبد الله بن عمر وما في زمانه من يشبهه وعنه : أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنكبى وقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل • وكان يقول : اذا أصبحت فلا تنتظر المساء واذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك • وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده وفي رواية ثلاث ليال ثم قال : ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندي وصيتي • فيالله لتلك النفوس الطاهرة التي باعت الدنيا بالآخرة وحرصت على العمل أكثر من حرصها على العلم فكتبت لهم السيادة وتحققت لهم العزة في الدنيا والفوز في الآخرة •

ابن عمر راويا وفقها

كان متشددا في الرواية حريصا على أداء ما سمع كما سمع بلا زيادة ولا نقص فمن أبى جعفر قال : لم يكن أحد من أصحاب

السبتية فأنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التى ليس فيها شعر ويتوضأ فيها فأنا أحب أن أكسبها .. وأما الصفرة فأنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها وأما الالال فأنى لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما حتى تنبعت به ناقته .. والناظر فى كتب السنة يجدها مشحونة برواياته وآرائه وفتاويه ومواقفه المحموده حتى أنه كان كثيرا ما يقول لا أدري إذا سئل خوفا من أن يقول فى الدين بالرائى أو تجره الأسئلة الى القول بغير علم .

وفاته

حكى مولى له قال : انه أنكر على الحجاج بن يوسف أفاعيله فى قتل الزبير وقام اليه فأسمعه فقال الحجاج أسكت يا شيئا قد خرقت فلما تفرقوا أمر الحجاج رجلا من أهل الشام فضره بحربة فى رجله ثم دخل عليه الحجاج يعوده فقال : لو أعلم الذى أصابك لضربت عنقه فقال : أنت الذى أصبغتنى . قال

النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أحذر أن لا يزيد فيه ولا ينقص من ابن عمر .. وعن مالك : قال لى ابن شهاب : لا تدخلن عن رأى ابن عمر فإنه أقام بعد رسول الله سنة فلم يخف عليه شيء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من أمر أصحابه . وقد نقل صاحب الفتح الربانى بترتيب سند الامام أحمد نماذج من فتاواه اخترنا منها ما روى عن عبيد بن جريح أنه قال لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما . يا أبا عبد الرحمن رأيته تصنع أربعاً لم أر من أصحابك من يصنعها : قال ما من يا ابن جريح ؟ قال : رأيته لا تمس من الأركان الا اليمانيين ورأيته تلبس النعال السبتية ورأيته تصبغ بالصفرة ورأيته إذا كنت بمكة أهل الناس إذا رأوا الهلال ولم تهل أنت حتى يكون يوم التروية .. فقال عبد الله : أما الأركان فأنى لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس الا اليمانيين وأما النعال

عدها بعض العلماء أصح الأسانيد على الإطلاق مالك عن نافع عن ابن عمر وقيل الزهري عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر •

ثناء العلماء عليه

عن حذيفة قال : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم توفي وما منا أحد الا وتنير عما كان عليه الا عمر وعبد الله ابن عمر رضى الله عنهما •

وعن سعيد بن المسيب قال : لو شهدت على أحد أنه من أهل الجنة لشهدت على ابن عمر وعنه أيضا : كان ابن عمر حين مات خير من بقى وعن طاوس ما رأيت رجلا أروع من ابن عمر بل قال عبد الله ابن مسعود : أن أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر • رحم الله بن عمر علما من أعلام الإسلام في السلم والحرب في مواقف الجند وفي مواقف الورع ووقفنا على الاقتداء به وأمثاله والسير على نهجهم الى يوم الدين •

تكتور الحسيني هاشم

كيف ؟ قال : يوم أدخلت حرم الله السلاح ووصى ابنه سالم أن يدفنه خارجا من الحرم فلم يقدر فدفن بالحرم بفتح في مقبرة المهاجرين وكان ذلك في سنة أربع وسبعين من الهجرة وهو يوم مات ابن أربع وثمانين سنة •

آثاره ورواياته

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر وعن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ذر ومعاذ بن جبل ورافع بن خديج وأبي هريرة وعائشة •

وروى عنه ابن عباس وجابر والأغر المزني من الصحابة ومن التابعين بنوه سالم وعبد الله وحمزة وبلال وزيد وعبد الله ومصعب بن سعد وسعيد بن المسيب وأسلم مولى عمر ونافع مولاه وخلق كثير وعده ابن حزم من أكثر الصحابة فتيا مطلقا ومنهم يمكن أن يجمع فتيا كل واحد منهم مجلد ضخمة • وعدوه من المكثرين في الحديث فقد روى عنه ألفي حديث وستمائة وثلاثين حديثا • ومن أصح الأسانيد اليه بل لقد

لمحات من أسرار الحج

للمؤلف: محمد صالح البربريسي

- زيارة بيت الله الحرام بمكة من الشئون الدينية التي كانت معروفة من لدن أقدم العصور عند أكثر الأمم .
- وكان للحرب قبل الإسلام يحجّون إلى بيت الله الحرام ، يطوفون بالبيت عراة الأجساد ، مشبكين بين أصابعهم يصفرون ويصفقون .
- فلما جاء الإسلام أقر الحج ، ولكنه نقي أعماله مما شابها من ضلالات الوثنية ، ولم يدعها على ما كانت عليه في عهد الجاهلية بل أنكر الإسلام هذه الضلالات قال تعالى : (وما تكن صلاتهم عند
- البيت الا مكساة)^(١) وتصدية (٢)(٣) » .
- والحج في الاسلام يختلف كل الاختلاف عن الحج في سائر الأديان ، فهو في بقية الأديان : عبارة عن التبرك بقبور القديسين ، وما تركوه من آثار ومباني ، وتقديس وعبادة للوثان .
- أما في الاسلام فهو تعظيم للأصنام ، وتقديس للواحد الديان ، مع سمو بالروح وسماحة ويسر في كل الأعمال ، قال تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج »^(٤) .

١ - المكاة = المكاة .

٢ - التصدية = التصدق .

٣ - سورة الانفال آية ٢٥ .

٤ - سورة الحج ٧٨ .

سر عجيب أودعه الله في أم
القرى ، لقد خصها الله وحدها
بخصائص لا تدرك الا بالروح ،
ولا تتذوق الا بالوجدان يقول
الرسول عليه الصلاة والسلام عن
مكة : وقد امتلا قلبه حبا لها :
« والله انك لخير أرض وأحب
أرض الى الله تعالى » .

ويقول : « ما أطيبك وأحبك الى »

قل لى بربك ، أى شىء فى هذه
الجبال الصماء ، والرمال الصفراء
شديدة الحر ، وشديدة البرد ؟
ليس فيها ما يقصده المتزهون ،
أو يطلبه المترفون .

ما الذى يدفع بهذه الملايين من
المسلمين على اختلاف ألسنتهم
وألوانهم رفقا اليها ، رغم
الصعوبات والعقبات والمشقات .
انها دعوة ابراهيم عليه
السلام ، اذ قال فى خراطة لمولاه :
(رينا انى أسكنت من ذريتى بواد
خير ذى زرع ضد بينك المحرم ،

فليس من السدين أن يرهق
الحاج نفسه ، بأن يتحمل فوق
طاقته ويعرض نفسه للتهلكة ولو
كان قصده المزيد من الأجر ،
والرغبة فى الوفير من الثواب ،
ولهذا جعل الله الحج للمستطيع
« والله على الناس حج البيت من
استطاع اليه سهيلا (١) » .

« روى أن النبى صلى الله عليه
وسلم رأى رجلا ماشيا يتهادى
بين ولدين له يريد الحج فسال
عن شأنه ، فقيل يارسول الله :
انه نذر أن يزور البيت ماشيا ،
فقال : كلا : إن الله غنى عن
تعذيب هذا نفسه ، أحملوه » أى
على بعير .

سر عجيب يدفع المسلمين لزيارة
الكعبة ، وأمر غريب يحفز الناس
للذهاب الى مكة ، تهفو القلوب
الى الأرض المقدسة ، وتنهمر
عبرات لتلقى بالناس فى أحضان
بيت الله الحرام .

جميع المسلمين وقد صانها الله من أن تراق فيها الدماء ، وجعلها حرما آمنا يحرم فيها القتال ، ليتفرغ المسلمون للعمل والانتاج ، ويمشئ الناس في أمن وطمأنينة وسعادة وسلام .

والحاج حين يخرج من بيته ومعه قليل من الزاد والعتاد يمينه على القلب بين الوديان والجبال ، والتنقل بين الصحراء والرمال ، ويمكنه من البقاء في هذه البطحاء فان هذا يذكره بخروجه من الدنيا وانتقاله منها الى الدار الآخرة حيث لا ينفعه الا ما صحبه من العمل الصالح (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) .

قال الامام علي «رضي الله عنه وكرم وجهه» :

(ألا ترون أن الله سبحانه وتعالى اختبر الأولين من لدن آدم «صلوات الله عليه» الى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر

ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون (١) .

وقال تعالى : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » .

دعا ابراهيم عليه السلام ربه لمكة بأن تكون مهوى الأفئدة تهوى اليها الناس ، لما يكمن في جبالها وشعابها من الوحشة والقلق والخوف ، ودعا لأهلها بالرزق ، لأن الوادي كان مجديا فاستجاب الله دعاءه ، وجعلها المتاع الروحي للمسلمين ، وأغدق عليها من الرزق بما لم يكن في حسابان العالمين ، وجعلها ملاذا للخائفين ، وملجأ للمحتاجين ، لأن رب البيت ، هو الذي يحمي من يلتجئ اليه ويموّد به ، « أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » .

وأثر مكة في نفوس الناس واضح ، فهي محل اجلال من

عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو أثر من عهد إبراهيم الخليل ، والمسلمون اذ يقبلون الحجر الأسود يعتقدون في قرارة أفئدتهم أنه حجر لا يضر ولا ينفع ويقبلونه امثالاً لأمر رسول الله ، واقتداء بما فعله (صلى الله عليه وسلم) وأنه شمار لما خلفه إبراهيم عليه السلام ، ولا يقبل تقديساً لذاته وعبادة له ، لأن الاسلام يهرم الوثنية وينكر عبادة الأصنام والأحجار .

وهذا يبطل اتهام المخرضين بأن الاسلام قد احتفظ ببقايا أوثران الجاهلية .

وهذا هو عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حينما جاء الى الحجر الأسود وقبله قال : (انى اعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقبلك ما قبلتك) .

على أن الكعبة والحجر الأسود هما الشيطان الوحيدان اللذان لم يتخذهما العرب في الجاهلية ضمن

ولا تنفع ، ولا تضر ولا تبصر ، فجعلها بيته الحرام الذى جعله للناس قياماً ، ثم وضعه يأوهر بقاع الأرض حجراً ، ولو أراد سبحانه أن يضح بيته الحرام ، ومشاعره العظام ، بين جنات وأنهار لكان له ذلك ويكون قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف اللبلاء ، لأن الجزاء على قدر المشقة ، لأن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ، ويتجدهم بأنواع المجاهد ، ويستليهم بضروب المكار ، اخرجاً للتكبر من قلوبهم وليكون ذلك متمماً لفضله ، وأسباباً لعفوه ومغفرته وفي الحج أمور ، لا يصل الانسان بعقله الى كنهها ، والجزم بحكمتها ، لذلك كان الامتثال بشأنها ، أمر واجب ، ويكون أداؤها في تواضع وخشوع لله رب العالمين منتهى العبودية لله .

لهذا وجب علينا أن نمثل أمر الله في كل أمر ظهرت حكمته ، أو لم تظهر ، وهذا مقياس لايمان المؤمن ، واختيار لمدى يقينه في الله . فتقبل الحجر الأسود سنة

الآلهة ، فكيف يقال ان الاسلام
احتفظ ببقايا أوثان الجاهلية ؟

وقصد زيارة بيت الله ، قصد
لزيارة الله ، فالبيت بيته ، وقد
أضافه لنفسه حيث قال : « وظهر
بيتي للطائفين والقاتمين والركع
السجود » (١) .

فالمسلم اذ يستجيب لفداء الله
لزيرة بيته « ولله على الناس
حج البيت » . فانه يرجو
اكرام الله له لانه في بيته ، وعلى
المسلم أن يكون أهلا لهذه الضيافة
بالتوجه اليه والاقبال عليه
والاخلاص له .

والصفا والمروة من شعائر الله،
ولكن بعض المسلمين تخرجوا من
السمى بين الصفا والمروة في الحج
والعمرة بسبب أنهم كانوا يسمعون
بين هذين الجبلين في الجاهلية ،
وكان فوقهما صنمان هما (أساف ،
ونائلة) فكره المسلمون أن يطوفوا
كما كانوا يطوفون في الجاهلية .
عن عاصم بن سليمان قال :

سألت أنسا عن الصفا والمروة قال :
« كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية ،
فلما جاء الاسلام أمسكنا عنهما ،
فأنزل الله عز وجل « ان الصفا
والمروة من شعائر الله »
فتخرج المسلمون كان ثمرة الايمان
الصحيح فهذا الايمان جعلهم
يتحرزون من كل أمر كانوا يزاولونه
في الجاهلية ، وأصبحت نفوسهم
من الحساسية بحيث تفزع من كل
ما كان في الجاهلية ، وتضاف أن
يكون منها عنه في الاسلام .
لقد غير الاسلام نفوس المسلمين
تغيرا كاملا ، فان الاسلام اذا
دخل قلب مسلم هز مشاعره ،

وسيطر على وجدانه فينسلخ
المسلم عن ماضيه انملاха كاملا ،
ويخلص قلبه للتصور الجديد بكل
ما يقتضيه ، فحين يكلف المسلم
بعمل مما كان يفعله في الجاهلية
فلا يفعله لانه كان يأتيه في الجاهلية
وانما يفعله على أنه شعيرة من
شعائر الاسلام ، ومن هنا لا يكون
في نفس المؤمن حرج فيما يقضيه ،

انوقوف لا تعد ولا تحصى ، فهو المؤتمر العام لجميع المسلمين في أنحاء الدنيا من كل جنس ولون يقف الجميع في صعيد واحد يدعون الله ويرجون رحمته ، وهذا الموقف

تظهر فيه المساواة بين الناس •

وفي حكمة الوقوف بعرفة ، يقول الامام الغزالي : ان حال الواقفين بعرفات — ، وقد تبهوا أئمتهم في أحكام المناسك — بحال الواقفين في صبيح القيامة ، وقد تبعت كل أمة نبيها ، وكل يرجو النجاة ، فطلى كل حاج أن يضرع الى الله ، ويلجأ اليه في المغفرة •

وفي عرفات تقف كثرة كثيرة من صالحى المؤمنين ، ولن يخيب الله رجاء السائلين في هذا اليوم ، فقد ورد (ان من أعظم الذنوب أن يحضر الحاج عرفات ، ويظن أن الله لم يغفر له) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) •

ان المسلمين حين يجتمعون في

لأن الامر غير الامر ، والاتجاه غير الاتجاه • فالنسمى عائر التى أقرها الاسلام نقاها من أوثان الجاهلية وأقرها بالتمسور الاسلامى الجديد •

فالسمى شميرة من شمى عائر ابراهيم عليه السلام علمها له الله ، وهو ذكرى لحادثة تاريخية لما فعلته السيدة أم اسماعيل زوجة سيدنا ابراهيم عليه السلام ، فانها أول من سعت بين الصفا والمروة بحثا عن ماء لتسقى به طفلها اسماعيل عليه السلام •

وقد احتفظ الجاهليون بهذه العبادة إلا أنهم وضموها على كل من الرايتين (الصفا والمروة) صنما فلما جاء الاسلام حطم جميع الاصنام ، وأبقى السمى بين الصفا والمروة نقيا من شوائب الشرك والوثنية ، ومن الحكم التى تلمسها العلماء فى السمى أنها تبث النشاط فى الاجسام وهى أشبه بالتمارين الرياضية فى هذا الزمان • والوقوف بعرفة ركن من أركان الحج لقوله عليه الصلاة والسلام (الحج عرفة) ، ومزليا هذا

يحيى ويميت ، وهو على شيء
قدير) •

فعلى المسلم في هذه الظروف
الخيرة الاكثار من العبادة التي
تهدي الى صراط الله ، ومن ساحة
عرفة المباركة يكون الانطلاق الى
رحمة الله ، والتعامل بالحسنى
ونشر ميادى الاسلام •

والحقيقة أن المسلم منذ بداية
رحلة الحج قد أعلن ميثاقه مع
الله ، وأكد ما عزم عليه بقلبه من
الاحرام بالحج ، ثم اعلانه بلسانه
التلبية ، وهي تؤكد أنه استجاب
لأمر الله الذي أعلنه ابراهيم عليه
السلام ، وأعلنه خاتم الأنبياء
محمد رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) ، فحين يلبي الحاج يطن
بقلبه ولسانه التوحيد لله لا شريك
له شاكرًا لأنعمه ، حامدًا لله
مانح العطاء وصاحب الملك
لا شريك له •

ومن أكثر من التلبية في
اخلاص ، وصلى على النبي (صلى
الله عليه وسلم) وسأل الله
رضوانه والجنة ، واستعاذ برحمته

عرفات من كل جنس ولون في
صورة مشرقة كريمة يجتمعون
للتعاون والتعارف والاخاء في
منطقة كلها أمان واطمئنان وراحة
وسلام ، يتألف المسلمون ايمانًا
وعقيدة وعملاً •

ان يوم وقوف عرفة يوم يباهي
الله فيه ملائكته فينبغي للمسلمين
أن يروا الله من أنفسهم خيرا ،
وأن يهينوا عدوهم الشيطان
ويحزنوه بكثرة الذكر والدعاء
وملازمة التوبة والاستغفار ،
ويستمعوا على ذلك حتى تغرب
الشمس من يوم عرفة ثم ينصرفوا
الى مزدلفة بسكينة ووقار وينبغي
الاكثار من التلبية ، والاسراع في
المتسع لفعل النبي (صلى الله عليه
وسلم) •

والمأثور من الأدعية عشية يوم
عرفة ، ما روى عن علي كرم الله
وجهه قال : قال رسول الله « صلى
الله عليه وسلم » : أكثر دعاء
الأنبياء قبلي ، ودعائي عشية
يوم عرفة (لا اله الا الله وحده
لا شريك له ، له الملك وله الحمد

بحرمات ، فإن الله عز وجل ينزل
الى سماء الدنيا فيقول ، انظروا
الى عبادى شعنا غبرا ، اشهدوا
أنى قد غفرت لهم ذنوبهم ، وان
كانت عدد مطر السماء ، ورمى
عالم ، واذا رمى الجمار لا يدرى
احد ماله ، حتى يتوفاه الله يوم
القيامة ، واذا قضى آخر طواف
بالبیت خرج من ذنوبه كيوم ولدته
أمه « (١) » .

ويستحب للحاج زيارة هرم
المدينة المنورة (المسجد النبوى)
فاذا دخل المدينة قبل الحج
أو بعده فإنه يأتى مسجد النبى
« صلى الله عليه وسلم » ويصلى
فيه ركعتين ، والصلاة فيه خير من
ألف صلاة فيما سواه الا المسجد
الحرام ولا تشد الرجل الا اليه ،
والى المسجد الحرام ، والمسجد
الأقصى .

عن ابن عمر أن النبى « صلى
الله عليه وسلم » قال : « صلاة
فى مسجدى هذا أفضل من ألف

من سخطه ، فإن الله يحقق له
رجاءه ويستجيب دعاءه ، روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم
أنه قال : (من لبى حتى تغرب
الشمس (أى شمس يوم عرفة)
فقد أمسى مغفورا له) . . .

روى بن حبان فى صحيحه فى
حديث طويل أقبل رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) على
الأنصارى فقال : (ان شئت
أخبرتك عما جئت تسألنى) ،
فقال : يا نبى الله ، أخبرنى بما
جئت أسالك ، قال : جئت تسألنى
عن الحاج ، ماله حين خرج من
بيته ؟ وماله حين يقول بعرفات ؟
وماله حين يرمى الجمرات ، وماله
حين يحلق رأسه ؟ وماله حين
يقضى آخر طواف بالبیت ؟ فقال :
يا نبى الله ، والذي بعثك بالحق
ما أخطأت مما كان فى نفسى شيئا ،

قال : « فإن الحاج حين يخرج من
بيته ، ان راحلته لا تخطو خطوة
الا كتب الله له بها حسنة ، وحط
عنه بها خطيئة ، فاذا وقف

(١) رواه البزار والطبرانى وابن حبان فى صحيحه ، واللفظ له .

صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » (١) •
 يباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك ،
 واجعل حبنا لك ، موصولا بحب

رسولك •

اللهم إن منهجك هو المنهج
 الحق ، وفيه صلاح الأمة وفلاحها
 فوفق أولى الأمر الى تطبيق
 منهجك والعمل بكتابك لتعيش
 الأمة في طمأنينة وأمن وسلام ،
 والله الهادي الى سواء السبيل •

محمد صابر البرديسي

مدير المجلة

ويستحب صلاة ركعتين في
 الروضة في مسجده « عليه الصلاة
 والسلام » لأنها روضة من رياض
 الجنة ، فقد روى أبو هريرة رضي
 الله عنه أن رسول الله « صلى
 الله عليه وسلم » قال : « ما بين
 بيتي ومنبري روضة من رياض
 الجنة » (٢) •

اللهم وفقنا لزيارة بيتك ،
 ومسجد رسولك ومشاهدة قبر نبيك
 اللهم طهر قلوبنا من كل وصف

الى السادة الراغبين في الاشتراك بالمجلة الاتصال

بتوزيع الأخبار في بلادهم •

١ - رواه مسلم •

٢ - رواه البخاري •

أَهْلَاقِيَّاتُ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ فِي الْإِسْلَامِ

للمكتوب: رءوف شلبي

ان : الأخلاقيات الاقتصادية في نظر الاسلام هي غايتنا من هذا البحث ليتعرف المسلمون على أسلوب الحياة الاسلامية التي يريدها القرآن الكريم وذلك لأن الحياة في أي مجتمع تقوم على أساس تبادل المنافع بين الناس فيه لأن القاعدة التي تتبع من ظاهرة التحرك اليومي للملاقات الانسانية في المجتمع هي : (أن الانسان لا يمكن أن يعيش وحده) (١) .

والتبادل للمنافع في نظر الاسلام لا يمكن أن يخضع للمنفعة فقط من حيث هي منفعة ، لأنها قد ترتبط بالمعصية ومن ألوانها سلوك القائلين بأن الغاية تبرر الوسيلة . — وقد ترتبط بالأنانية ، ومن ألوانها ليثار الذات على مصلحة الجماعة . .

وقد تجر كثيراً من المفسد اذا كانت المنفعة هي الحيثية التي يتبادل الناس على أساسها مصالحهم في علاقاتهم الاجتماعية، فتبتعد الانسانية بذلك كثيراً عن مميزات كرامتها .

— ولذا تبادل المنافع في نظر الاسلام مرتبط طردا وعكسا بالقانون الاسلامي الذي يعتبر النية أساسا في تقبل الأعمال

(١) — نرجو أن يرجع القارئ الى بحثنا عن (المشكلة الاقتصادية في ضوء الاسلام الحنيف) في الأعداد الخمسة السابقة على هذا العدد من مجلة الأزهر .

صورة ارهاب ، لأنه لا يتحدث الا عن المخالفات ، ولا يضع في اعتباره أنه سلوك ولا توبة فيه ، ولا عفو عنده للجاهل ؟

— ولهذا : فان القانون الاسلامي يعتبر الاخلاق عنصرا أساسيا عند التشريع :

« انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » (١) •

(ادعوا الحدود بالشبهات) (٢) •
— أما القانون الوضعي : فانه يأخذ بالشبهة وأكثر ما يدعيه أنه لحماية الاخلاق ولكن الذي سنه في هذا الصدد هو عقوبات للمتصرفين •



— واذا سلطنا الضوء على الجانب التجاري : البيع ، والشراء • • وجدنا أن القانون الاسلامي يحدد عدة قضايا ، منها :

الاولى : السعى الى طلب الرزق :
— فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « باكروا

الصالحه عند الله ، والذي حدد ألوانا من التعامل كسلوك مرغوب فيه ، وحرم أشياء كممنوعات يعاقب كل من انتحها في سلوكه ؟

— القانون الاسلامي قانون سلوك ، لا قانون عقوبات ، فهو يرسم للفرد وللجماعة كل خطوة في الحياة ويترك التنفيذ لوازع الدين في نفس كل مسلم (اعبد الله كأنك تراء فان لم تكن تراء فانه يراك) •

انه لا يركن الى ربه المجتمع من الحاكم ، انما يركن الى حب الله ورسوله ، وجماعة المؤمنين •

(لا يؤمن أحدكم حتى يكون لله)
ورسوله أحب اليه مما سواهما)
رواه البخاري •

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) رواه البخاري
— (انما المؤمنون اخوة)
الحجرات •

— أما القانون الوضعي : فهو

(١) رواه الحاكم ، والبيهقي في شعب الايمان ، والبخاري في الآب حديث حسن .
(٢) — رواه ابن عدي في الكامل •

طلب الرزق والحوائج فان الغدو
بركة ونجاح» (١) •

ويقول :

« اذا صليتم الصبح فلا تناموا
عن طلب أرزاقكم ، فان نوم
الصبح يمنع الرزق » (٢) •

— وقد اتخذت هذه القاعدة الى
التنفيذ أجل طريق فيما يرويه
سيدنا أنس رضى الله عنه : « أن
النبي صلى الله عليه وسلم دخل
على فاطمة رضى الله عنها بعد
صلاة الصبح فوجدها مضطجعة ،
فحركها ، ثم قال : يا بنية قومى
فاشهدى رزق ربك ولا تكونى من
الغافلين ، فان الله يقسم أرزاق
الناس ما بين طلوع الفجر الى طلوع
الشمس » •

الثانية : أن التجارة خدمة
اجتماعية للمجتمع الاسلامى ،
وليست وظيفة مالية مهمتها انماء
الثروة الاقتصادية فحسب •
يقول الله تعالى : « يا ايها الذين
آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل الا أن تكون تجارة عن
تراضى منكم ولا تقتلوا انفسكم ان
الله كان بكم رحيمًا » (النساء)
— فليست التجارة في نظر
الاسلام وظيفة مالية بالدرجة
الاولى ، وانما هي خدمة اجتماعية
لمصالح المجتمع الاسلامى بالدرجة
الاولى والاولية •

— وعلى هذا تتبنى عدة
اخلاقيات :

الاولى : أنه لاغش :

— يقول النبي صلى الله عليه
وسلم «من غشنا فليس منا» (٤) •
ويقول : « من غشنا فليس منا ،
والمكر والخداع في النار » (٥) •

— ويوجهنا النبي صلى الله
عليه وسلم الى هذا في دعائه لنا :
« اللهم بارك لأمتى في البكور » (٣) •

(١) رواه الطبراني في الاوسط ، وابن عدى في الكامل •

(٢) رواه الطبراني •

(٣) رواه أحمد ، وابن حبان ، وأصحاب السنن •

(٤) رواه الترمذى •

(٥) الطبراني ، وأبو نعيم في الحلية •

التجارة وظيفتها كخدمة اجتماعية
للمجتمع المسلم .

— ويحدد النبي صلى الله عليه
وسلم أسلوب التعامل في البيع ،
والإعلان فيقول : « أن صدق
أبييما ، وبيينا ، بورك لهما في بيعهما
وإن كتما وكذبا غمسي أن يربحا
ربحا ما ، ويمحق بركة بيعهما » .

— وقدم النبي صلى الله عليه
وسلم على رجل يبيع طعاما فأدخله
يده فيه فإذا هو مبلول ، فقال :
« من غشنا فليس منا » (٢) .

وقد كان بعض الصحابة رضوان
الله عليهم يتعوز من التاجر فيقول :
« اللهم لاتطمع فينا تاجرا ، فسن
التاجر يحب الخلاء » .

الثانية : أنه لا احتكار .

— يقول النبي صلى الله عليه
وسلم : « لا يحتكر إلا خاطيء » .
ويقول : من احتكر على المسلمين
طعامهم ، ضربه الله بالجذام
والإفلاس (٣) .

ويرسم النبي صلى الله عليه
وسلم صورة نفسية للتاجر العائش
فيقول . « من باع شيئا فيه عيب لم
يبينه لم يزل في مقت الله ، ولم
تزل الملائكة تلعنه » (١) .

— فأى مقام هذا الذي عنده من
الجرأة ما يجابه رب العزة ، مقسم
الأرزاق ، ومالك الملك ؟

— ومن ذا الذي يستطيع أن
يتحمل مقت الله ويطلق لعنة
الملائكة ؟

تلك صورة النفس التي يتاجر
صاحبها في غضب الله على المسلمين
بالنفس والخديعة . والنبي صلى
الله عليه وسلم يعظ معاشر التجار
فيقول : « التجار يبعثون يوم
القيامة فجارا ، إلا من اتقى وبسر
وصدق » .

فيرسم النبي صلى الله عليه
وسلم بطريق هز المشاعر فيهم ،
وبعث حرصهم على مستقبلهم يوم
القيامة ، أمثل الطرق التي تؤدي بها

(١) رواه الترمذي .

(٢) ابن ماجه ، حديث حسن .

(٣) أحمد ، وابن ماجه ، ورواه بلفظ آخر الحاكم ، وأحمد بن حنبل ،
حديث حسن .

— ويقول : « من دخل في شيء » الله عليه وسلم :

من أسعار المسلمين ليغليه عليهم
كان على الله أن يقعده بمعظم من
الفار » .

ويرسم النبي صلى الله عليه
وسلم صورة رائعة للمتسامحين
المتساهلين في تبادل منافعهم بالبيع
الثالثة : أنه لا حلف .. من أجل
ترويج السلعة .

— يقول النبي صلى الله عليه .

وسلم « الحلف منفقة للسلعة ،
ممنقة للبركة » (١) .

« ألا أخبركم بمن حرم على النار
وتحرم عليه النار ؟ كل قريب
مين ، سهل إذا باع ، سهل إذا
اشتري ، سهل إذا اقتضى ، يقول
الله تعالى يوم القيامة له : أنا أحق
بذلك منك ، سامحوا عبدي ،
وتجاوزوا عنه كما كان يسامح في
دار الدنيا » .

— أنه لا غش .

٢ — الوزن بالقسط : يقول الله .

تعالى « وأقيموا الوزن بالقسط
ولا تخسروا الميزان » .

— وقد هدد الله المطففين في
الكيل .

— ومن جليل ما يشرعه الإسلام

.. كسلوك أخلاقى بين البائع
والمشترى :

— « ويل للمطففين : الذين إذا

١ — السماح : يقول النبي صلى

(١) — رواه الشيخان ، وأبو داود ، والنسائي .

(٢) — البخاري ، وابن ماجه .

أسلوب الحرب الذى توسطته
آية « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا
الربا أضعافا مضاعفة » .

وأسلوب الحرب الذى توعده الله
به أكل الربا « فإن لم تفعلوا فاذنوا
بحرب من الله ورسوله » سورة
البقرة .

— ان التجارة وظيفه اجتماعية
من ثلاث نواح :

الاولى : أنها خدمة المجتمع فى
تيسير الحاجات ، وقضاء المصالح .
وتسهيل تبادل المنافع بين الناس .
الثانية : أنها نبض للدورة
الاقتصادية ، ولذلك حارب الاسلام
كفر المال ، لأنه معطل لها يقول
الله تعالى :

« والذين يكتزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها فى
نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم هذا مكنزتم
لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكتزون »
(التوبة) .

الثالثة : أنها رغد للزكاة يخرج
منها قدر محدود بالقانون الاسلامى

كلوهم أو وزنوهم يخسرون ، الا
يظن أولئك أنهم مبعوثون ليسوم
عظيم » سورة المطففين .

٣ — تحريم الربا : يقول الله
تعالى .

— « يحقق الله الربا ويربى
الصدقات » سورة البقرة .

ويقول : « يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله .. وذروا ما بقى من
الربا » سورة البقرة .

— ان الربا يصور جريمة بشعة
فى نظر الاخلاق التى يحرم الاسلام
على بقائها وتنقيتها ، ولهذا فالربا
هو الذنب الوحيد الذى لم يقتصر
بالتوبة مثل سائر الذنوب ، بل على
العكس ، فقد اقترن الربا بالتهديد
والوعيد بالحرب من الله ورسوله
« فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من
الله ورسوله » سورة البقرة .

ولهذه اللمة — ذاتها — وضعت
آية تحريم الربا فى سورة
آل عمران وسط مجموعة الآيات
المسكينة التى تصور معركة بدر
وأحد ، ايداناً بأن الربا خلقية
انحرافية لا يشفى منها المجتمع الا
بمثل هذا الأسلوب .

وعرف سيكلوجية المشتري؟!
وقد ذُكر التشريع الإسلامي
بعدة قضايا .. هي حيلة خبوة
زائدة ، وقمة تشريع معصوم .
الأولى : أهل الله البيع وهرم
الربا .

الثانية : لا محاقلة — بيع الزرع
في سنبله —

الثالثة : لا مخاضرة — بيع الثمار
والحبوب قبل أن ضم صلاحها .

الرابعة : لا ملاسة — أن يقول
البائع للمشتري : إذا لمست الشيء
فقد اشتريته دون خيار —

الخامسة : لا منابذة — جعل
طرح الشيء ونبذه .. بيما —

السادسة : لا مزابنة — بيع
الرطب بالتمر ، وبيع العنب
بالزبيب .

السابعة : لا تتلقوا الركبان : وهو
عبارة عن : مقاطعة طريق التجار
قبل التعرف على سعر السوق .

الثامنة : لا يبيع حاضر لباد
(لا سمسة) .

التاسعة : لا يبيع الرجل على
بيع أخيه ؟!



لتحقيق جانب من الرعاية الاجتماعية
أنهى ينفذها المجتمع الإسلامي ..
حسبة ، وعبادة ، ورعاية لحقوق
الله وأخوانه المسلمين في المجتمع .
هذه النواحي الثلاث ، مضاف
إليها جانب الفرد نفسه (جانب
التاجر) فإنها تدر عليه ربحا — وهو
حلال إذا استعمل المنهج الإسلامي
وأخلاقياته في البيع والشراء —
فتكفيه مؤنة العيش ، وتدفع عنه
مذلة الحاجة ، بل أنها تقوية على
أداء حقوق أسرته ..

— وقد شرف الله تعالى التجارة
فكافت عمل ثلة من الأنبياء الأكرمين
.. ومشهور أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان يتاجر للسيدة
خديجة أم المؤمنين الأولى رضى الله
تعالى عنها ، وقد كان الربح الذى
در عليه من عند الله .. واحد من
أرغاصات النبوة ، كما هو محفوظ
في كتب التاريخ والسيرة ؟

— ولهذا فإن التشريع التجارى
في الاسلام — بالاضافة الى أنه
وحى من عند الله — فقد صدر عن
أخصائى كبير ، وخير أمين مارس
التجارة ، وخبر مدارك التجارة ،

تلك هي موازين البيع والشراء
كسلوك سوى في العمل التجارى
انحلال •
وهي تتضمن :

— فهل هناك بعد هذا من تشريع ؟؟
— لمن أصدق من الله حديثا ؟؟
— فهل يفيق المسلمون ؟؟
ومتى ؟؟
— لعلهم يستيقظون — إن شاء
الله •

تكتبون

رموف شلبى

الحفاظ : على تبادل المنافع التى
يحتاج اليها المجتمع على مستوى
غامض يحقق الأخلاق الفاضلة وهى
في أدق مفهومها عند المسلم أنها
عبادة لله بامتثال هذا القانون •
والحفاظ •• على استمرار الدورة
الاقتصادية دون شره أو طمع أو
غش ، ودون تضخم في الميزان
التجارى ، ودون ارهاق بأسلوب
العرض والطلب للقوة الشرائية •
والحفاظ •• على جانب من

« الاسلام »

الاسلام دين ودولة متحدة وشريعة خلق وسلوك ،
قانون وتشريع ، مصحف وجهاد ، ثقافة وحضارة ، وفي
ايجاز منهاج كامل للحياة في كل ناحية من نواحيها •

« صالح عسماوى »

المهدى والخومينى في نظر الإسلام

تفضيلة الشيخ محمد محمد الطير

الإسلام وفي كتب الأولين ، وفيمن يخالف رأيه في الأمرين جميعاً ، وفي مشروع الدين الجديد الذي يعرضه في رسالته ، وبعد الانتهاء من عرض كل فقرة نبين وجه الحق فيها ، حتى يكون الحكم عليها جلياً لا خفاء فيه ، واضحاً لا لبس فيه ، عادلاً لا حيف فيه ، ولكي يستقيم فكر المؤمن على الجادة الرشيدة ، وهو مطمئن إلى الغاية الآمنة في دينه وسلوكه ، ونسأل الله التوفيق فيما أردناه وهدفنا إليه .

يقول صاحب الرسالة :

١ - بعد التحية اقرأ مجلة الأزهر برغم أنني لست من رجال الدين ولا من المتزمتين في القراءات فأنا شخصياً لا أحب

بعث الأستاذ أحمد زكي موسى هيكل عضو نقابة التجار ، وصاحب مكتب الخيرية للحسابات والضرائب - بعث - برسالة إلى فضيلة الأستاذ محمد صابر البرديسي مدير مجلة الأزهر ، يطلب فيها رأي الدين في المهدي والخومينى اللذين اختلف الناس في شأنهما ، فأطلعني عليها وطلب إلى أن أجيب عن أسئلة صاحبها في مجلة الأزهر ، ليشارك مع السائل غيره من القراء في معرفة الحق في أمر المهدي والخومينى ، حسبما لموضوع اختلف فيه الكاتبون والقارئون .

وقد رأيت أن أعرض فقرات من رسالة السائل ، ليتعرف القراء على أفكاره وأسلوبه في فهم

عامة في العالم الغربي خالية منها
— أصلا أو تصويرا .

وكما انتفع المسلمون بعلوم تلك
الكتب ومعارفها ، انتفع بها
العربيون في شتى العلوم
والفنون ، فقد ترجموها الى
لغاتهم بعد أن عرفوا فضلها ،
وتتلمذوا عليها في جميع الثقافات ،
ولهذا لا ينكرون فضلها وفضل
مؤلفيها الذي جحدده صاحب هذه
الرسالة حيث سماها الكتب
الصفراء ، وسمى قارئها
بالمترمتين .

**ويقول صاحب الرسالة في شأن
المهدى .**

٢ — (هناك موضوع يثور فيه
الجدل هذه الأيام وهو موضوع
المهدى المنتظر ، هذا الموضوع
اختلفت الآراء فيه ما بين مؤيد
وغير مؤيد ، وبصراحة تامة . أنا
أشك فيمن لا يؤيدون هذا
الموضوع ، لأسباب أهمها كراحتهم
للامام الخوميني ، وثانيا لأن
مجيء المهدى معناه انتهاء عصر
الضلال وعصر المسيح الدجال ،

كتب المترمتين (وما يسمى بالكتب
الصفراء) هكذا قال صاحب
الرسالة .

ونقول ردا على ذلك ما يلي :

ان مجلة الأزهر ليست قاصرة
على رجال الدين ، ولا حكرا على
ما تسميهم أنت بالمترمتين الذين
يقرعون الكتب الصفراء — غفر
الله لك — فهي لكل قارئ على أية
درجة كانت ثقافته ، لأنها لسان
الحق ، وبيان الصدق ، وسبيل
الرشاد ، ولم تكتب بأسلوب
يصعب فهمه على القارئ ، بل
كتبت بأسلوب سهل مشوق ، يقرب
البعيد ، ويسهل الصعب ، ويكشف
الضباب عن وجه الحق .

ولقد أخطأ الكاتب في التفسير من
كتب الأولين ، بوصفها بالكتب
الصفراء ، وبأنها كتب المترمتين ،
ملولا هذه الكتب الجليلة ، لكان
الناس في ظلام دامس ، وجهل
ظلم ، وبعد سحيق عن الهدى
والرشاد ، فعنها أخذ المسلمون
دينهم وعلومهم ، ولا توجد مكتبة

للخومينى سببا فى التشكيك فى موضوع المهدى المنتظر ، فهل الخومينى أهم عند الباحث من موضوع المهدى المنتظر ؟ كلا ، فإن العكس هو الصحيح ، على أن الجدل فى شأن المهدى أقدم من الخومينى بقرون عديدة ، فلا وجه لتشبيهه فيه ، ولكنه فى الحقيقة سبب فى اظهاره والتبويه اليه ، بما أقدم عليه من تصريحات خطيرة رفعت المهدى الى مرتبة فوق مرتبة خاتم المرسلين ، وهو ما لا يقول به مسلم .

البوذية والمسيحية والمهدية

٣ - ذكر صاحب الرسالة الكلام الخطير الآتى (وقد اهتمت بهذا الموضوع من سنة ١٩٦٢ ، وقرأت عنه الكثير ، فوجدت أنه مشطرا اليه فى التعاليم البوذية والزرادشتية ، واليهودية والمسيحية والاسلام ، لم يختلف أحد منهم فى انتظار ظهور المسيح أو المنقذ أو المخلص) .

ونحن نقول لصاحب الرسالة :

وسوف يقام الحساب لكل انسان على ما قدمت يداه) وردا على قوله هذا نقول :

لماذا تشك فيمن لا يؤيد مجيئه وتتهمه بالضلال وهو يقيم الحجة على ما يرى ، أليست المسألة مسألة رأى تقام الحجة عليه ، أم هى نزعة تمصب لا شأن لها بالدليل ، لماذا لا تحترم رأى من يخالف رأيك ؟ - وإن كان مخطئا فى نظرك - أليست مسألة المهدى من مسائل الفروع التى لا تزال تجرى الدراسة لها ، والحلاف بشأنها قديم ؟ أما رفعها الى مستوى المقائد المقطوع بها فنأشئ عن هبوط المستوى العلمى عند رافعها ، انها مروية بأحاديث آحادية متكلم فى شأن صحتها - كما سنبينه بعد - فلا تتعجل بالشك فى غيرك ورميه بمختلف الاتهامات ، فأنت مسئول عن سوء ظنك فى أخيك المسلم ، ألم تقرأ قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم » .

وكيف تجعل كراهة الباحث

والزرادشتية كما أدى اليه كلامك، وكما قال اليهود والمسيحيون في مسيا (المخلص) تأثرا بما جاء عنه في البوذية والزرادشتية — حسبما أشار اليه بعض الباحثين الغربيين ؟

ومن عجب : أنك في عبارتك خلطت (المخلص) عند البوذية والزرادشتية واليهودية والمسيحية وبين المخلص في الاسلام ، فالمخلص عند الطوائف الأربعة الأولى يقال له المسيح ومسيا ، والمخلص في الاسلام يقال له المهدي المنتظر عند من يقولون به، ولا يسمونه المسيح ولا مسيا ، لكنك يا صاحب الرسالة لم تفتن الى ذلك .

الكتاب المحايدون في مجلة الأزهر

٤ — ثم يقول صاحب الرسالة (وطبعا مجلة الأزهر بها الامكانات الكثيرة والكتابات المحترمون المحايدون ، الذين لا يحشسون الا وجه الحق ، فنرجسوا أن يكتب أحد السادة المحايدون المثقفين — دينيا ودنيويا — بحثا

أنك بهذا الكلام فتحت على نفسك وعلى من يقطعون بظهور المهدي آخر الزمان — فتحت عليكم جميعا — بابا واسعا من الشك في أن المهدية ليست أصيلة في الاسلام ، بل وصلت اليه من التعاليم البوذية والزرادشتية في الهند ، مارة في سبيلها اليه باليهودية والمسيحية ، ومن قبل قالوا في بوذا انه هو الابن الوحيد لله — تعالى الله عن ذلك — وان هذا الابن الوحيد ولد لله من العذراء (مليا) بغير مضاجعة ، وأنه تجسد في ناسوته ، وقد جمل نفسه ضحية لقاتليه تكفيرا لذنوب البشر ، وأنه لذلك سمي المسيح والمخلص والابن ، ثم قالوا : ان المسيحية — نقلت عنهم ذلك

بقولها ان الابن يسوع هو الكلمة تجسدت في ناسوته ، بسبب التقاء روح القدس بمريم العذراء وأنه أسلم نفسه لصلبيه وقاآليه ، تكفيرا لخطيئة آدم وذريته ، لذلك سمي المسيح والمخلص وابن الله ، فهل يرضيك في المهدية أن تكون في الاسلام نابعة من البوذية

وردنا على هذا أن العالم الاسلامي كان فرحا مفتيحا بنجاح ثورته ، ولكنه سلك بها طريقا وعرا ، يخشى عليه وعلى العالم الاسلامي من سلوكه فيه ، فانه آمن القتل في الناس مسيئهم ومصنهم : بمجرد الاشتباه أو الوشاية ، أو الانتماء الى جيش الشاه أو خاصة الشاة (أو فرقة السافك) .

ولقد سأل بعض الصحفيين رئيس محكمة الثورة عنده ، هل كل من حكتم عليهم بالاعدام يستحقونه ، أم لا يوجد بينهم برآء ؟ فاعترف بأنه كان منهم برآء ، وأنهم سيدفعون لأسرهم تعويضات عن قتلهم ، فهل هذه التعويضات تعفيهم من عقاب الله تعالى ؟ .

لقد كان على الخميني ورجاله أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في الحفو عن المسيء ، توحيدا لصفوف الأمة الايرانية ، ومنما لتخلل الأحقاد فيها بسبب البطش الخاسم الذي لا يفرق بين

في هذا الموضوع ، حتى نستريح ونعرف الحقيقة ، فالناس في حيرة من أمرهم فهم ما بين مصدق ومكذب) .

وتعليقا على هذا الكلام نقول لصاحب الرسالة : انك اتجهت بكلامك هذا الى الطريق السليم ، وهو اللجوء الى مجلة عرف الكاتبون فيها بأمانتهم العلمية ، ليكتشف أحدهم النقاب عن موضوع المهدي لتعرف الحقيقة في شأنه وتزول حيرة الناس فيه ، وهذا ما سنعرض له بعد فراغنا من مناقشة باقى هذه الرسالة .

الخميني مرة أخرى

• - ويقول صاحب الرسالة عقب ما تقدم (نعود الى موضوع الخميني - هل هو خارج عن الاسلام والملة ، أبدا : انه رجل يشفق السفاحين ، وتجار المخدرات والخمور ، والعواهر وناهبي الأموال ، فهل الاسلام يمنع هذا ؟ انه ينفذ شريعة الله في الأرض ، فما هو الضرر في هذا ، ولماذا يتعاملون عليه ويشتمونه ؟) .

الى طلبه العلم ، حتى يصل امرهم الى حبس خمسين من السفارة الأمريكية ، ولا يستطيع رئيس الدولة ولا وزراؤها أن يطلقوا سراحهم ، وأن يعيدوا الطلبة الى معاهدهم وكلياتهم التي هي أولى بهم من الالتئغال بما هو حق نعيمهم ؟ ألم ير هؤلاء الغافلون أن حبسهم لهؤلاء (الدبلوماسيين) ترتب عليه امعان الشيوعيين في الدسائس ، وتوسيعهم الشقة بين الايرانيين والأمريكيين ، وشغل الطرفين بعضهما ببعض ، ليعتصم البلائقة أن يضربوا ضربتهم القاضية في أفغانستان ، ليكونوا على مشارف الخليج العربي ، ليستولوا على بترول وديولاته ؟ . فماذا كسبت ايران بهذا التصرف الأحمق من طلابها سوى زرع المتاعب للعالم الاسلامي ، واحتلال بعض دولة وتهديد بعض آخر منها ؟ .

وماذا على الخوميني لو رتب بيته ونظم أمته ، وسالم الدول الكبرى التي لا قبل له بها ، ولا يستطيع الصمود لكيدها ومختلف

محسن ومسيء ، ألم يبطش أهل مكة بالمسلمين منهم ، ويحملوهم على الهجرة من ديارهم الى الحبشة مرتين ، ثم الى المدينة المنورة ؟ فلما فتح الرسول مكة عفا عنهم وقال اذهبوا فأنتم الطلقاء : فأمنوا جميعا ودخلوا هم وغيرهم في دين الله أفواجا ، بسبب تلك السماحة التي رآوها في الاسلام ورسوله ، فماذا على الخوميني لو تأسى بالرسول في العفو عن المسيء من أتباع الشاة ، فانهم كانوا مجبورين على ما فعلوا ، منفذين لما أمروا به ؟ .

أفلا يخشى هؤلاء الذين يدعون آيات الله ، أن يفعل بهم غدا ما فعلوه بغيرهم ، فيتهموا بالقتل وسفك الدماء ، وتفريق شمل الأمة وزرع الأحقاد فيها ، وغير ذلك مما قد يكون خفيا على الناس ، وعندئذ لا يكون هناك أحد يدعى آية الله ، من الخوميني الى قلقلى واخللى نجلى وحنجلى ، بل يكونون يومئذ آيات الشيطان الرجيم ؟ .

وما معنى أن ينتقل أمر الدولة

فان احترام رأى الأغلبية الساحقة حق على كل مسلم ، حفاظا على وحدة المسلمين ، ولولا أبو بكر لضاع الاسلام في غمار الثورة الهمجية التي أحدثها المستجدون في الاسلام بالارتداد ومنع الزكاة ، ملقذ وقف وقفته الخالدة ضدهم وسحقهم بجيوشه ، ثم قسام من بعده عمر بتوسيع رقعة الاسلام ، حيث قضى على دولة الفرس ، وضم بلادهم الى بلاده ، ونشر الاسلام بينهم ، ولولا لما نشأ

انخوميى وجيله والأجيال التي قبله والتي بعده على الاسلام ، فلماذا يكرهونه ويكفرون جميع المسلمين سواهم ؟ ولهذا لا يصلون خلف أئمتهم من أهل السنة ، ويرون أنها لا تصح ، ولعل القراء يعرفون أن الذى صلى على شاة ايران عالم شيعى ، ولو كان سواء لكان حدثا كبيرا هائلا عندهم .

ثم ماذا فعل العلويون لعل كرم الله وجهه بعد بيعته بالخلافة في بغداد ؟ لقد خذلوه حتى قتل ، وخذلوا بعده الامام الحسين — رضى الله عنه — حتى قتل ، وكل

الفتن التي برعت فيها أجهزتها ؟ وماذا عليه لو سالم كل العالم ، ومضى قدما لتثبيت دعائم الثورة داخليا ، بتوفير الأمن والأمان والرخاء داخليا ، وحسم المشكلات بحكمة ، وأهمها مشكلة الأكراد وعربستان الذين يطالبون بالاستقلال ، فليشركهم في حكم البلاد ، وليخالف بذلك ما كان عليه حكام ايران السابقون ، من الاساءة اليهم وعدم الاهتمام بهم ؟

ونحن في هذا المقال لا نريد التوسع في اثاره المسائل المتعلقة بالمعقيدة عندهم ، ولكننا نكتفى بأن نذكر لكاتب الرسالة والقراء ، أنهم يكفرون الصحابة لا يثارهم أبا بكر ثم عمر بالبيعة بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع أن عليا في نظرهم كان أولى بالخلافة منهما ، ولهذا فهم يكفرونهما ومن بايعهما ولا يوجد من الشيعة في ميزان الاعتدال سوى قليل منهم كالزيدية .

ومع اجلال كل مسلم لعل كرم الله وجهه في دينه وجهاده ونسبه،

الذى يصنعونه تكفيرا للتفلى عنه، هو تلك المناحات التى يقيمونها سنويا فى ذكرى مقتله فى عاشوراء، أليسوا هم الذين فوتوا عليه وعلى دريته الخلافة بترأخهم فى نصرته ، فماذا تجديه تلك المناحات من بعده ؟ .

المهدى والمسيح فى القرآن

وأحوالها .

وقال ابن عباس وغيره : انه المسيح عيسى بن مريم ، ففى حديث مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة : (لينزلن عيسى بن مريم حكما عادلا ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليضمنن الجزية) أى يبطلها . ثم قال (وليدعون الى المال فلا يقبله أحد) .

ومن العلماء من أرجع الضمير فى (وانه لعلم للساعة) الى النبى صلى الله عليه وسلم ، بتحليل قوله (بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى) أخرجه

٦ - يقول صاحب الرسالة (فى القرآن ما يشير صراحة الى المهدى فى سورة الزخرف ، ونص الآية « وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم » وفى الحديث عن سيد البشر (وانه ليوشك أن ينزل فيكم المسيح بن مريم فيكسر الصليب ويقتل المسيح ويفرض الجزية (١) - كذا قال - ويفيض المال عن حاجة الناس فلا يقبلونه) .

وردنا على هذا أنه واضح من كلامه أنه لا يفرق بين المسيح والمهدى ، مع أنهما شخصيتان

(١) والصواب : ويقتل المسيح ويضع الجزية - أى يرفعها كما سيجىء فى النص الصحيح .

البخاري ومسلم ، وقال الحسن :
أول أشرافها محمد صلى الله
عليه وسلم .

ومن هذا يعلم أنه لم يرجع
الضمير أحد إلى المهدي سواك
يا أستاذ أحمد موسى يا صاحب
الرسالة .

رجل لا يعرف خطورة ما يقول

٧ - وأخيرا يقول صاحب
الرسالة (انني أعتقد أن كل من
يكتبون ضد فكرة المهدي هم كفرة
مأجورون ، فهم يكذبون القرآن
الكريم ، وحديث النبي صلى الله
عليه وسلم ، أن الصالح كله في
انتظار المهدي أو المسيح) وقد
ورط الكاتب نفسه ورطة لا خلاص
له منها ، حيث زعم أن من أنكر
ظهور المهدي فهو كافر مأجور ،
وأنه يكذب القرآن والحديث ، في
حين أنه لا يحل تكفير مسلم الا
بانكاره أمرا معلوما من الدين
بالضرورة ومجمعا عليه ، والمهدي
ليس من هذا القبيل ، فأحاديثه
موضوع خلاف كما سبقته ، أما
قوله تعالى (وأنه لعلم الساعة)

فلم يفسره أحد بالمهدي كما زعم
الكاتب ، وقد بينا فيما تقدم أنه
القرآن أو المسيح أو محمد
عليهما السلام .

أما حديث المسيح (لينزلن
عيسى بن مريم) فواضح من لفظه
أنه ليس في المهدي الذي جاء في
رواياته أنه من أهل البيت وليس
من بني إسرائيل ، فإن المسيح
من بني إسرائيل .

الدين الجديد تصريح خطير للكاتب

٨ - ان صاحب الرسالة
الأستاذ أحمد موسى هيك بحاجة
إلى الرثاء والدعاء له باللطف
والمهدي ، فإنه لم يكف بتكفير
غيره ، بل زعم أن المهدي صاحب
دين جديد ، فقد جاء في الصفحة
السادسة من رسالته ما يلي -
عقب مزاعمه في المهدي في الصفحة
التي قبلها .

مبادئ الدين الجديد :

١ - براءة اليهود من دم

الله عليه وسلم « ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة » فتبين بالآية الكريمة أن لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وتبين بالحديث الشريف أن أمته باقية بدينها مستقيمة عليه حتى تقوم الساعة ، تلك هي عقيدة المسلمين وسبيلهم إلى ربهم « ومن يتبع غير مسيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » .

ما جاء في المهدى من الأحاديث وبيان حاله

أمسك البخاري ومسلم عن إيراد شيء من أحاديث المهدى في صحيحيهما ، لأنها ليست على شروطهما ، ولكن غيرهما من كتب السنة أوردتها ، ولم يسلم أي حديث منها من نقد بعض رجاله بما ينقله من الصحة إلى الضعف في مقته تبعاً للضعف الذي أصاب سند بتوهين بعض روايته . فإن القاعدة : أن الضعف إذا مس السند ، أصاب المتن ، لأنه لم يثبت إلا به .

المسيح ، وكسر الصليب وقتل المسيح .

٢ - تطهير الأرض من الأجناس والخونة والمرشقين والمستغلين .

٣ - توحيد الأديان البوذية واليهودية والمسيحية في دين الاسلام .

٤ - إعادة السلاجقين إلى فلسطين .

٥ - إقامة الحكومة المالية .

— هكذا قال المسكين لطف الله به . وردنا على هذا المسكين ، أن دين الاسلام خالد وبقى إلى قيام الساعة ، وليس هناك دين جديد يحل محله وأن عيسى حين ينزل يعمل بدين الاسلام ، ويأتم بإمام من المسلمين ، ويبرئ أمه من غربة اليهود عليها ويبرئ نفسه من القتل والصلب اللذين زعمتهما اليهودية والمسيحية ، وينصر دين الاسلام ويحمل الناس عليه ، قال تعالى في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » وقال صلى

وقبل ذكر شيء من أحاديثه نذكر خلاصة ما جاء فيها بصفة عامة ، ليعرف القارئ موضوعه مجملًا ، قبل ذكرها وبيان حالها ، فنقول وبالله التوفيق .

أما تلك الأحاديث فى مجملها أنه سيظهر فى آخر الزمان رجل من أهل البيت يؤيد الاسلام ، ويظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ويستولى على الممالك الاسلامية ، وبعد ظهوره يخرج المسيح الدجال وما بعده من أشراط الساعة المضيق ، وأن عيسى عليه السلام ينزل بعده ، فيقتل الدجال ، وفى بعض الروايات أنه ينزل فى عهد المهدى فيساعده فى قتله ، ويأتى عيسى بالمهدى فى صلاته — تلك هى خلاصة قصته فى مختلف الأحاديث .

وقد جاءت أحاديثه فى الترمذى وأبى داود وابن ماجه والحاكم وغيرهم من جماعة من الصحابة ، منهم على وابن عباس وابن عمرو وجابر وغيرهم .

ولم يسلم حديث من أحاديثه من اعتراض وتوهين لبعض رواته فى أثناء السند ، ومن أغربها

استنادا ما ذكره أبو بكر الاسكاف فى فوائد الأخبار مسندا الى مالك ابن أنس عن محمد بن المنذر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كذب بالمهدى فقد كفر » الخ . قال ابن خلدون تعليقاً على الحديث : حسبك هذا غلوا — ثم قال — على أن أبا بكر الاسكاف متهم وضاع عند أهل الحديث — يعنى أنه لا يعول على حديثه ولا يعمل به ، لأنه كذاب كثير الوضع للأحاديث .

وعند الترمذى وأبى داود بسنديهما الى ابن عباس وابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو لم يبق من الدنيا الا يوم تطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً منى — أو من أهل بيتى — يواطىء اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى » هذا لفظ أبى داود وسكت عليه . أما لفظ الترمذى فهو (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى) ويقول محمد بن سعد فى عاصم

المنيرة قال : حدثنا عمر بن أبي
قبيس ، عن مطرف بن طريف ، عن
أبي الحسن عن هلال بن عمر قال :
سمعت عليا يقول : قال النبي صلى
الله عليه وسلم : « يخرج رجل من
وراء النهر يقال له الحارث ، على
مقدمته رجل يقال له منصور ،
يوطيء — أو يمكن لأكل محمد ، كما
مكنك قریش لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وجب على كل
مؤمن نصره — أو قال اجابته —)
سكت أبو داود عليه ، وقال في
موضع آخر في هرون بن المنيرة :
هو من ولد الشيعة ، وقال
السليمانى فيه نظر ، وقال أبو
داود في عمر بن أبى قبيس في
حديثه خطأ ، وقال الذهبي :
صدوق له أوهام .

ويلاحظ أن هرون ليس شيخا
لداود ، فروايته عنه منقطعة ، وأن
أبا الحسن وهلالا مجهولان . تلك
نماذج لبعض أحاديث المهدى
وبعض ما قيل فيها ، ولو أردنا
استيعابها واستيعاب ما قيل في
بعض رواياتنا لاحتجنا الى عدة
مقالات .

أحد روايته : كان ثقة ، إلا أنه
كان كثير الخطأ في حديثه ، وقال
فيه يعقوب بن سفيان : في حديثه
اضطراب ، وقال فيه العقيلي كان
سبىء الحفظ ، وقال المعلى في
شأن عاصم هذا : كان يختلف عليه
في أبى ذر وأبى وائل ، يشير بذلك
الى ضعف روايته عنهما : وقد
روى هذا الحديث من طريقهما .

وروى أبو داود عن على بن
الله عنه — من رواية قطن بن
خليفة — عن القاسم بن أبى مرة
عن أبى الطفيل عن على بن النبی
صلى الله عليه وسلم قال « لو لم
يبق من الدهر الا يوم لمبعث الله
رجلا من أهل بيتى يملؤها عدلا
كما ملئت جورا » وقطن بن خليفة
أحد روايته وان وثقه أحمد ويحيى
ابن القطان وغيرهما ، فقد جرحه
غيرهم فوصفوه بالتشيع ، وقال
فيه أحمد بن عبد الله بن يونس :
كنا نمر على قطن وهو مطروح لا
نكتب عنه ، وقال فيه مرة أخرى :
كنت أمر به وأدعه مثل الكلب ،
وقال الدارقطنى : لا يحتج به .

وأخرج أبو داود عن هرون بن

مركب أعدوه ليركبه ، ويظلمون ينتظرونه إلى فترة طويلة من الليل ، فينصرفون ثم يعودون إلى مثل ذلك في الليلة المقبلة ، وهؤلاء يسمون الواقفية والمنتظرين ، والامام الثاني عشر يسمى عندهم المهدي المنتظر ، كما نقله ابن خلدون عنهم .

والحق : أن هذه أوهام مبنية على عقائد فاسدة ، فمحمد بن الحسن العسكري ليس من أهل الخلود حتى يبقى إلى يومنا هذا ، وإذا كان قد ملت فادعاء عودته ادعاء للبعث قبل يوم القيامة وهو ظاهر الفساد ، ولا يوجد نص يؤيده ، وقياسه على أهل الكهف قياس فاسد يفتح الطريق لأهل البدع والفساد ، وكما ادعى المهدي الاثنا عشرية ادعاها غيرهم في أماكن متفرقة في بلاد الاسلام وظهر بطلانها ، وأريق بسببها دماء المسلمين .

وحيث كان أمرها ما تقدم فلا ينبغي أن ترقى إلى قمة العقيدة ، وحسبنا كتاب الله تعالى فهو

وبالجملة : فما من حديث من أحاديثه إلا وجه إلى بعض روايته ما يضعف روايته .

وبما أن علماء السنة يقدمون الجرح على التمسيد ، فلهذا لا نستطيع الجزم بظهور المهدي فهو على أحسن الفروض أمر مظلون لاجتماع تلك الروايات مع احتمال الوضع من الشيعة والوضاعين الذين يظاهرونهم ، تأييدا لأهلهم في عودة الخلافة للفاطميين وتسلية لهم وتقوية لصفوفهم ، حتى يظلوا مترابطين متعاونين في سبيل الأمل المنشود .

ومن هنا : نشأت قصة المهدي المنتظر ، على اختلاف وجهات نظر الشيعة فيه ، ومنهم الاثنا عشرية الذين يزعمون أن الأئمة اثنا عشر اماما ، وأن الثاني عشر من أئمتهم هو محمد بن الحسن العسكري ، ويلقبونه بالمهدي ، ويزعمون أنه دخل في سرداب بدارهم بالحلة ، وأنه يخرج من هذا السرداب في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا ، وهم ينتظرونه كل ليلة بعد صلاة المغرب عند باب السرداب ، ومعه

وأحزاباً ، ولنتمسك بكتاب الله
الذي وصفه الرسول بقوله « فيه
نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ،
وحكم ما بينكم ، وهو الفصل
ليس بالهزل ، وهو حبل الله المتين ،
وهو الصراط المستقيم » من تركه
من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى
الهدى في غيره أضله الله ، وهو
الذي لا تزني به الأهواء ، ولا
تلتبس به الألسنة ، ولا يخلق على
كثرة الرد ، ولا تنقض عجائبه ،
وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته
حتى قالوا « إنا سمعنا قرآنا عجبا
يهدى إلى الرشد فأفنا به » من
قال به صدق ، ومن حكم به عدل ،
ومن دعا إليه هدى إلى صراط
مستقيم » والله تعالى أعلم •

مصطفى محمد الحديدي الطبر

هادينا إلى سواء السبيل ، فمن
دعا بدعوته على سنة نبيه ظاهرناه
وأيدناه واقتدينا به ، سواء أكان
من أهل البيت أو من سواهم ،
على ألا يسب أحداً من أصحاب
رسول الله وأئمتهم — كما يفصل
غلاة الشيعة ولقد بعث النبي صلى
الله عليه وسلم في قلوبنا الطمأنينة
على مستقبل الإسلام بقوله « ولن
يزال أمر هذه الأمة مستقيماً
لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم
الساعة » ويقول « يبعث الله على
رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر
دينها » أو كما قال •

ولندع أمر المهدي لله تعالى ،
فقد خلقت في الأمة الإسلامية
متاعب وخلافات ، وأريقَت بسببها
دماء ، وتفرقت بسببها شيعا

« العلم »

ما كرم الإسلام أحداً تكريمه لطالب العلم ، ولاحت
الإسلام على شيء حقه على نشر العلم وتيسير السبيل
إليه •

مناسك الحج .. والرمزية

للمكتبر محمود بن الشريف

في شريعة الاسلام امور تعبدية غرضها الشارع الحكيم ، تخفى
حكمتها على المؤمن الباحث المتعمق وهذه الامور التعبدية مقياس
لايمان المؤمن ، ومختبر لمدى يقينه وعمق ايمانه .

أن ينفذ فيعرف الحكمة الالهية ، أو
يستشف الغرض الالهي ، والمرمى
الرباني ؟

وستظل هذه الامور التعبدية
بلطائفها ودقائقها ، ستظل دليلا
شامخا على تصور العقول البشرية
وأنة « ليس للعقل في النهاية الا أن
يذعن للوحي الالهي ، وهو : اذعان
ليس بتمسقى أو تحكمى ، انما هو
مصدره الايمان اليقيني بأن هذا
من عند الله ، وما دام من عند الله
فانه لا يأتيه الباطل من بين يديه
أو من خلفه » ان سلفنا الصالح
كانوا ينزعون هذه النزعة .. نزعة

ولا يسع عقل المؤمن حيالها —
بعد أن غجز عن الوصول الى كنه
سرها ، وحكمة تشريعها — لايسعه
الا أن يذعن للنص الالهي في يقين
لا يخالطه ريب ، ويؤمن به في عمق
لا يخالجه شك .

ويحاول البعض — بعد أن أجهد
عقله ، أن يوجد لهذه الامور
التعبدية اسراراً تشريعية ، ولكنها
في واقع الامر محاولة .. ومحاولة
فحسب ، فمتى كان للعقل القاصر
أن يصل الى الهدف الالهي ؟ ومتى
كان للطين بقتامته وعمته وظلامه

المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ونهجاتهم • يجتمعون جميعا في الشهر الحرام في البلد الحرام، في البيت الحرام • يستعرضون ما جابهم من مشكلات وأزمات ، وما حل بمجتمعاتهم من حوادث وأحداث تستدعي المشورة : وتتطلب تبادل الآراء ، للوصول الى الحل الحاسم ، الذي به تتحدد الاتجاهات ، وتتحدد المقاصد ، وتتحقق الآمال الموصلة الى الغايات والأهداف •

ولما كانت بعض أعمال الحج لها جذور من أيام الجاهلية جاء الاسلام فنقاها مما شابها من ضلالات الوثنية ، ومما شأنها من أدران الجاهلية ، وجعلها أعمالا خالصة لله تبارك وتعالى •

وتعليقا على هذا وتعميقا ، يقول الامام الشهيد الشيخ حسن البنا — من مقال له في العدد الثالث من مجلة الشهاب — يقول : « ينتهز بعض الذين لا يطمون الحكمة

الخضوع المطلق لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ••

لقد كانوا يذعنون للنص ، يذعنون له بجوارهم ، وقلوبهم • وأرواحهم وعقولهم ، لقد كانوا يخضعون عقولهم للنص ، ويجعلونه القائد الحاكم المهيمن ، وكانوا يعرفون أن ادخال شخصيتهم في النص انما هو انحراف يعظم أو يقل حسب مدى التدخل البشري في النص ، وكانوا يعرفون أن الوحي انما جاء هاديا للعقل وقائدا له في الامور التي لا يتأتى للعقل أن يلج ميادينها ، أو يقتحم حماها » (١) •

والحج هو أكثر العبادات الاسلامية اشتمالا على الأمور التعبدية التي لا تعرف حكميتها معرفة مفصلة أكيدة •

وهو : فريضة الهية •• وأساس من أسس الدين الذي قسام عليه بناء العقيدة الاسلامية •• وهو مؤتمر اسلامي سنوي عالمي ، يضم

(١) من كتاب « الاسلام والعقل » للامام الراحل الدكتور مبدالحليم محمود

والذى يعظم علم وطنه يعلم أنه في ذاته قطعة نسيج لا قيمة لها ما ديا ، ولكنه يشعر كذلك أنها ترمز الى كل معانى المجد والسمو التى يعتز بها وطنه ، وأنها تصور أدق المشاعر في وطنيته ، فهو يحيى هذا العلم ، ويعظمه ، ويحترمه ، ويكرمه لهذه المعانى التى تجتمعت جميعا وتمثلت فيه .. والكعبة المشرفة : علم الله المركز في أرضه ، ليمثل به للناس أوضح معانى أخوتهم ، وليرمز به الى أقدس مظاهر وحدتهم ، وانما كانت بنساء ليكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ... ومن أجل الجميل أن يقدم على رفع هذا البناء ابراهيم الخليل أبو الأنبياء .

وما الحجر الأسود الا موضع الابتداء ، ونقطة التمييز في هذا البناء ، وعنده تكون البيعة لرب الأرض والسماء على الايمان والتصديق والعمل والوفاء :

اللهم ايماننا بك — لا بالحجر —
وتصديقنا بك — لا بالحجر —

البالعة في هذا التشريع الحكيم :
تشريع الحج ، ينتهزون هذه الفرصة لينهزون الاسلام بأنه مازال متأثرا ببقية من وثنية العرب ، وأن الكعبة والطواف من حولها ، والحجر الأسود واستلامه وما يحيط بذلك من معانى التقديس والتكريم ، ان هو الا مظهر من مظاهر هذا التأثير ..

وهذا القول بعيد عن الصحة ، عار عن الصواب ، فالمسلم الذى يطوف بالكعبة أو يستلم الحجر الأسود يعتقد اعتقادا جازما أنها جميعا أحجار لا تضر ولا تنفع ، ولكنه انما يقدر فيها هذا المعنى الرمزي البديع : معنى الأخوة الانسانية الشاملة ، والوحدة العالمية الجامعة ، ويذكر في ذلك قول الله العلى القدير : (**جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس**) .

من سورة المائدة : آية ٩٧
والرمزية : هى اللغة الوحيدة لتمثيل المعانى الدقيقة ، والمشاعر النبيلة التى لا يمكن أن تصورها الالفاظ ، أو تجلوها العبارات ،

وعن هذه الرمزية يقول المنفور له الامام : محمود شلتوت شيخ الأهرام السابق : « ما الاحرام في حقيقته — وهو أول مناسك الحج — الا التجرد من شهوات النفس والهوى ، وحبسها عن كل ماسوى الله • وعلى التفكير في جلاله • وما التلبية الا شهادة على النفس بهذا التجرد ، وبالتزام الطاعة والامتثال •

وما الطواف بعد التجرد : الا دوران القلب حول قدسية الله • صنع المحب الهائم مع المحبوب المنعم الذى ترى نعمه ولا ترى داته •

وما السعى بعد هذا الطواف : الا التردد بين علمي الرحمة التماسا للمغفرة والرضوان •

وما الوقوف بعد السعى : الا بذل المهج في الضراعة بقلوب مطوعة بالخشية ، وأيد مرفوعة بالرجاء ، والسنة مشغولة بالدعاء وآمال صادقة في أرحم الراحمين • وما الرمي بعد هذه الخطوات التى تشرق بها على القلوب أنوار

ولا بالخرافة — ووفاء بعهدك : وهو التوحيد الحالى — لا الشرك — واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، محطم الأصنام •

فأين هذه المعانى الرمزية الطوية من تلك المظاهر الوثنية الخرافية ١٢ •

ان الكعبة المشرفة رمز قائم خالد • • ركز الاسلام من حوله أخذ وأقدس وأسمى معانى الانسانية العالمية ، والأخوة بين البشر • (واذ جئنا البيت مثابة للناس وأمانا) •

وفي الحج أمور تعبدية خفى على الأفهام سرها ، ودقت على المدارك حكمتها ، ولم تفتن العقول ولن تفتن الى معرفة حكمتها معرفة تفصيلية دقيقة على وجه القطع والتأكيد •

وعلى الرغم من ذلك : فان هناك محاولات للعلماء قاموا فيها — حسب وسعهم — بالتعطيل والتعطيل وتبيان ما اشتمل عليه الحج من أسرار و « رمزية » •

السوداء ، والرغبات الجامعة
الجانحة ، والروح الشريرة ٠٠ كل
هذا هو الذي يجب أن يحاربه
المؤمن ، وأن يشهر عليه سيف
الايمان ، ويطارده بالابتعاد عنه ،
والتغلب على فحیحه ووساوسه ٠

انه بذلك الرجم يكون قد تحرر
من همزات الشياطين ، وتحلل مما
تدفع اليه من كبائر ومناسك
ومجترحات ٠

ان الحاج الذي يرمى هذه
الجمرات يكون قد أخذ على نفسه
عهدا عظيما بأن يتغلب على
وسوسة الشيطان كما تغلب عليها
بهذا الرمي ابراهيم وولده اسماعيل
عليهما السلام ، حينما طاردهما
الشيطان ولاحقهما ، وهم في هذه
المواضع الثلاث من « منى » عندما
كان ابراهيم ينفذ أمر ربه بفتح
ولده ٠

وكان الوالد والولد ٠٠ كان كل
منهما في سبيل أداء عبادة ، وهل

وبها : الا رمز مقت واحتقار
لموامل الشر وفزع النفس ، والا
رمز مادی لصديق العزيمة في طرد
النهوى المفسد للأفراد والجماعات ٠

وما الذبح — وهو الخاتمة في
درج الترقى الى مكانة الطهر
والصفاء — ما هو الا اراقة دم
الرفيلة بيد اشد ساعدها في بناء
الفضيلة ، ورمز للتضحية والفداء
على مشهد من جند الله الابرار (١)

الرمي ٠٠ والرمز :

والجمرات حجارة صغيرة ،
يحبس بها شخوص حجرية ترمز
الى الشياطين ٠٠ ورمي الجمرات
ليس عملية آلية ، بل هي عملية
رمزية هادفة ، ترمي الى أن يرجم
المؤمن شيطان نفسه ، المستقر في
أعماقه ، الكامن في دخيلته ، الذي
يزين له كل شر وضر ، ويفريه بكل
اثم ومنكر ٠ وان الشيطان ليجرى
من ابن آدم مجرى الدم ٠٠ أن
هذا الشيطان ومعه النفسية

(١) ص ١٢١ من كتاب : « الاسلام عقيدة وشريعة » للشيخ محمود
شلقوت .

استعملت عليه صفة الحج من
الاقوال والافعال :

ان الحج محتو على حكم عديدة
— وقل من يتعرض لها من
المؤلفين والمصنفين — فأولها : أن
الله تعالى شرف عبده بأن
استدعاهم لحمل كرامته والوصول
الى بيته ، ولما كان الله منزها عن
الطول في محل : (ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير) أقام
البيت الحرام مقام بيت الملك ، لان
الملك في الدنيا اذا شرف أحدا
دعاه لحضرته ، ومكنه من تقبيل
يده ، وأمره باللياذ به ، وجدير
به حينئذ أن يقضى حوائجه ..

وكذلك المولى — سبحانه وتعالى
— استدعى عبده لبيته الحرام ،
وأمرهم باللياذ به ، وأقام الحجر
الأسود مقام يد الملك ، فأمرهم
بتقبيله .. وأمرهم بطلب
حوائجهم ..

واذا كان اللائق بملوك الدنيا
قضاء الحوائج في هذه الحالة ،
فكيف بملك الملوك المعطى بنـ

العبادة الا تنفيذ أوامر الاله ، حتى
ولو كانت تبدو في ظاهر الأمر على
خلاف العادة .

ومع ذلك ، ومع عدم فقه الكنه
وفهم السر الا أن كلا منهما استمد
لتنفيذ الأمر ، بل واتخذ الخطوات
الايجابية نحو التنفيذ .. وقام
الشیطان يغالب ، ويوسوس ،
ويهمس ، محاولا أن يدفع الولد
والوالد الى العصيان والى التمرد
.. وتحلل ابراهيم واسماعيل من
وسوسة الشيطان ، بعد أن ألقيا
في وجهه حمى الأرض حتى لا يعود
الى مغالبتهما .. وعند ذاك تمت
لهما الغلبة .. وكان لهما النصر
والفداء بعد التضحية والاذعان .

ويسوق فضيلة الشيخ : حسن
المشاط في كتابه : (اسعاف أهل
الاسلام بوظائف الحج الى بيت
الله الحرام) يسوق تعليقات
وأسرارا ورموزا للعديد من الأمور
التعبدية التي تضمنها هذا الركن
الاسلامى العظيم ، قال : « أن
للعلامة : « خليل الملكى » ذكر في
مناسكه كلاما عجيبا في سر ما

سؤال ؟

اشارة الى أن من دخل الحرم فهو آمن ، وليطمع العبد آئئذ في تأمين مولاه له ..

وشرع عند دخوله مكة الغسل : اشارة الى تطهير قلبه مما عساه أن يكون قد اكتسبه من أول احرامه الى حين وقت الدخول في محل الملك . وأنه لا ينبغي له أن يدخل الا بعد تصفيته من جميع الإكدار .

وشرع طواف القدوم : اشارة الى تمجيد اكرامه ، لأن الضيف ينبغي أن يقدم اليه ما حضر ، ثم يهيا له ما يليق .

وكان سبعة أشواط ، لأن أبواب جهنم سبعة أبواب ، فكل شوط يخلق بابا .

ثم يركع بعد الطواف . زيادة في القرب والتداني ، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .

وأمره بمد ذلك بالسمى ، والبداة بالصفا : اشارة الى أن العبد اذا أطاع مولاه أوصلته

وشرع الغسل عند الاحرام : اشارة الى أن من استدعاه الملك ينبغي أن يكون على أكمل الحالات طهارة قلب ولسان .

وشرع خلع الثياب : اشعاراً بحالة الموت ، ليتخلّى عن الدنيا ، ويقبل على باب ربه وعبادته ، لأن نزع ثيابه كنزع ثياب الميت على المختل ، ولبس ثياب الاحرام كلبس الاكفان ، وتشبيها بنبيه « موسى » عليه السلام . فانه لما قدم الى المناجاة قيل له : (اخلع نعليك أنك بالوادى المقدس طوى) والحاج قادم على الأرض المباركة المقدسة ، وقصدا لمخالفته حالته المعتادة ليتنبه لمعظم ما هو فيه ، فلا يوقع خلا ينافيه .

وأمر عبيده بترك الرفاهية ، والقاء التفت : اشارة الى ترك حظوظ النفس ، وأن العبد اذا قدم الى مولاه لا يأتيه الا خاضعا ذليلا ولا يشتغل بغير الله تعالى .

ونهى العبد عن قتل الصيد :

طاعته الى محل الصفا وصفاء
القلوب •
ثم أمره بالخروج الى « منى » :
اشارة الى بلوغ المنى •

ثم أمره بالنزول والمسير الى
المروة : اشارة الى أن العبد ينبغي
له أن يتردد في طاعة ربه بين صفاء
القلب بخلوه مما سوى ربه ، وبين
المروة بالسمت الحسن وترك
المجاعة • وأمره أن يفعل ذلك
سبعا : اما للمبالغة في الابعاد عن
جهنم — واما لما في السبع من
الحكم التي لا يحيط بكنهها الا رب
الأرباب : جعل الأيام سبعا ،
والأقاليم سبعا ، والأفلاك سبعا ،
وتطور الاسان سبعا ، وطباق
العين سبعا ، وأمره أن يسجد على
سبع ، وجعل السموات سبعا ،
والأرضين سبعا ، وجعل أرزاق
الناس سبعا اشارة الى قوله
تمالى : (فلينظر الانسان الى
طعامه أنا صبينا الماء صبا ، ثم
شقنا الارض شقا ، فانبتنا فيها
حبا وعنبا وقصبا وزيتونا ونخلا
وحدائق غلبا وفاكهة وابا) فالحب
والعناب • الى آخره للانسان ،
والإب للانعام •

وأباح الجمع والقصر رفقا بهم
ثم أمرهم يطلب الصوائج ،
ولهذا استحب لهم الوقوف بعرفة
ليكون أبلغ في التضرع ، ثم أن
وقوفهم في هذا اليوم شبيه
بوقوفهم في المحشر •

ثم أمرهم بحلق رءوسهم ،
ليزول ما في الشعر من الدرن
والعفن ، وفيه اشارة الى منع
تبذير المال ، لأن الشعر يقى
الدماغ من البرد ، كما أن المال يقى
الانسان من الفقر ، ولذلك قال
المعبرون : « من رأى شعر رأسه
قد ذهب ، فهو ذهاب ماله » •

الدكتور محمود بن الشريف

حول إعلام إسلامي رشيد

خطبة الجمعة

للكنوز محمد رهب البيومي

الى المؤذن في تقاسم ، ويظل رهن متجره أو مفزله ، حتى يمر وقت يحيل اليه معه أن الخطيب قد فرغ من الخطبة الأولى ، وانتقل الى الخطبة الثانية ، فيسرع الى الوضوء ليدخل المسجد وقد كبر الامام وبدأ يقرأ الفاتحة .

وهذا بعض ما يحدث دون مبالغة !!

أفكان ذلك كل ما عناه الشارع الحكيم ، حين فرض على المسلمين هذا اللقاء الأسبوعي الهام ؟

أم أننا نغفل روح الفريضة مكتفين بشكل ظاهري نحسبه كل شيء ، وما هو الا تكليف نؤديه في غير نشاط .

يخيل الى أن لقاء الجمعة الأسبوعي ، يجري على غير وجهه التام ، في كثير من بلاد الاسلام ، فقد أصبح في أكثر أحواله أمرا آليا ، يؤدي كما يؤدي أي عمل تقليدي ، دون أن يثمر فائدته المنتظرة ، التي تهدف اليها التشريع ، فكل المسلمين يعلمون أن صلاة الجمعة فرض عين ، على من توفرت فيه الشروط ، بحيث لا ينفي أحد عن أحد ، ومفهوم هذه الفريضة عند الأكثرية السائدة : أن يحين وقت الصلاة فيسرع المسلمون الى المسجد كي يستمعوا الى كلمات تقال ، ثم تقام الصلاة . فاذا فرغ المصلون هبوا ينتشرون في الأرض ، وكأنهم تخلصوا من عبء ، بل ان بعض الناس يستمع

وتتلمس فيه أوجه الهداية
والإرشاد •

وقد يكون الحديث في غير ذلك
كله ، مما يجذب أذهان السامعين ،
ويدعوهم الى التدبر البصير •

فاذا انتهت الخطبة ، وفرغت
الصلاة ، نهض المصلون ليتعاونوا
على البر والتقوى ، وليبدوا الرأي
فيما سمعوه ، باذلين أقصى
الجهود في تذليل العقبات وتيسير
الصعاب ، ومترقبين أن يكون لقاء
الجمعة القادم تحقيقا لأمل يرجى ،
وارتبابا لخير يتاح بما سيقوم به
القادرون من تنفيذ واحكام •

هكذا كان لقاء الجمعة الأسبوعي
على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وفي الصدر الأول من
الاسلام ، اذ يقوم صاحب الأمر
فيخطب القوم فيما يشغلهم من
الأحداث ، ويتعاون السامعون
على الطاعة في الخير ، ويتدارس
القوم معضلات الفتح والغزو ،
ويشيرون بما يرون من حلول •

لقد كانت خطوات الفتح

أعتقد أن لقاء الجمعة — في
هدفه الأصيل — مؤتمر أسبوعي
يحتمه الاسلام بين أهل القرية
أو الحى في المدينة ، ليتلاقوا جميعا
على حالة يتضح فيها الالتئام
المتماسك فتصافح الأكف ،
وتتعارف الوجوه ، ويسأل الحاضر
عن الغائب لم تأخر ؟ أمسافر
فيمنذر ؟ أم مريض فيزار ؟ أم
مأزوم فيسارع اخوانه الى فك
ضيقه ؟ فاذا اكتمل الجمع ، وأزف
الموعد المحدد ، نهض الخطيب
المتفتح لمحدث القوم بما يشعرون
به من احساس فوري اذ يبسط
مشكلات الساعة في ضوء القرآن
الكريم ، والسنة المصدية •

وقد يكون الحديث محليا اذا
اتجه الى مشكلة تخص القرية أو
الحى وحدهما ، كانتشار مرض ،
أو اختفاء سلعة أو ترويح اشاعة
كاذبة لا أساس لها ، أو دعوة
لانتقاذ محصول زراعى ، أو اسهام
في مشروع حيوى •

وقد يكون الحديث وطنيا اذا
اتجه الى أمر يشغل الرأي العام ،

أن يكون فى موضع الاعتبار هو ما نريده من تحقيق الجدوى التامة لهذا الاجتماع الأسبوعى ، حيث يصير مؤكداً لصلات المجتمع ، وداعياً الى ترابط العامة والخاصة ترابطاً ملتصقاً ، فيسأل الحاضر عن الغائب ، ويمزار المريض ، ويسعف المحتاج ، مع الاهتمام بتجبر كل ما جاء فى الخطبة من توجيه سلوكى الى الطريق القويم .

هذا من الناحية الاجتماعية !
أما الناحية الطمعية ، فلا بد أن يكون لها مكانها الجدير ، لأن الخطيب يتحدث بلسان الدين ، ويلقى هديه فى ظلال ما يحтар من آيات القرآن وأحاديث الرسول ، وسير السلف الصالح ، فكل مشكلات المجتمع ، وأدواء الزمن ، تعالج تحت مصباح القرآن ، وترصد فى مجهر شريعة الاسلام .

وقد عرض الاسلام خطبة الجمعة أسبوعياً لحرص ثقافى هادف .

الاسلامى تذاع خطوة خطوة من منبر الجمعة على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، كان الخليفة الراشد يصعد الى المنبر ليذيع الوقائع بنفسه ، فإذا ما انتهت الخطبة وقامت الصلاة ، وجد عشرات السامعين يلتفون حوله ليشيروا بالرأى ، وقد تمتد المشورة حتى تحين صلاة العصر ، فيكون يوم الجمعة فى صميمه مؤتمراً اسلامياً تناقش فيه المعضلات سافرة دون نقاب !

ثم اتسع ظل الاسلام فأصبح فى كل قرية من ملايين القرى الاسلامية مسجد ، وفى كل مسجد منبر وخطيب ، ولكن الاجتماع يؤدي فى أكثر أحواله أداء آليا ، ويفرج المجتمعون سرعين ، وكأنهم تخلصوا من حمل مفروض .

وإذا كان لكل عصر ملابساته وظروفه ، فليس من المنتظر الآن أن تكون المساجد محافل سياسية ، ومجامع إدارة ، كما كان المسجد النبوى بالمدينة ، ولكن الذى يجب

السامع لما بروج الشريعة
الاسلامية ، فاهما منازع دينه
القوم ، لأن الاسلام في بساطته
وجنوحه الى الفطرة الخالصة
بحيث تتقبله الصدور بانسراح في
مدى يسير .

ولقد كان المشرك الكافر يجلس
بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، أو بين يدي أصحابه
ساعة من الرم ، يستمع فيها الى
أهداف دينه ، فيطمئن قلبه تلقائيا
لما يسمع من قول يساير فطرته
السليمة ، وينطق بالشهادتين في
فرح غامر ، ويصير بما سمع في
مجلس واحد داعية للاسلام في
قومه ، وكانت الآيات الممدودة من
كتاب الله زادا كافيا لاطمئنانه ،
يردها بين ذويه معتزا مباهيا ،
فيأسر بها قومه ، ويكسب للدعوة
ملا جديدا .

فكيف أصبحنا نرى المسلم
يقضى من عمره خمسين عاما وأكثر
من خمسين عاما يستمع فيها الى
آلاف الخطب الدينية في الجمعيات

فالمسلم العاقل المدرك اذا بدأ
الصلاة في الخامسة
عشرة من عمره مثلا ، فانه
سيستمع في كل عام الى خمسين
خطبة دينية بمعدل أسابيع السنة ،
فاذا قضى عشر سنوات تالية ، فلن
يلتص سن الخامسة والعشرين من
عمره حتى يكون قد أصغى الى
خمسائة خطبة ، هذا غير ما لا
يدخل في الاحصاء من خطب العيد
ومجالس الوعظ الطارئة ،
ودروس العشاء وهي مما تحرص
عليه وزارة الأوقاف ، وتلزم
الأئمة باتقانها ، فآين أثر ذلك
كله !!

بل آين أثر خمسمائة خطبة
مقط !!

اذا افترضنا أن المسلم مشغول
بأعبائه عما سواها من العظائم
المستحقة !!

آين أثر ذلك فيمن بلغ الخامسة
والعشرين بعد سماع خمسمائة
عظة !!

لقد كان المنتظر أن يصبح

العامى ينوب عنه اذا غلب ، فلا يكاد السامعون يحسون فرقا بين الأملى والمتعلم ، لأن الرجلين معا ينقلان من كتاب معلوم .

هذا هو الخطيب العمى ، ولا يظن أحد أن تقدم التعليم وانتشار المعاهد والمدارس وذيوع الصحف والكتب على نحو مستفيض قد قضى عليه . أو حوره الى شيء آخر ، فنحن لا نزال نصدح بأمثاله في كثير من المناسبات حتى لأسائل نفسى ألا يستمع هذا الى حديث دينى في مذياع ليعرف كيف انتقل الناس من حال الى حال .

أما الخطيب الثرثار فأمره أعجب ، فقد وقر في نفسه أن جلجلة الصوت وانطلاق اللسان ، وامتداد الزمن هي كل وسائل الاجادة . فتراه يهجر بالكلام المسهب في شتى الموضوعات دون تحديد ، اذ ينتقل في الخطبة الواحدة من الصلاة الى الزكاة الى الصوم الى الحج .

ثم يترك العبادات ليكر على

المتوالية ، ثم نراه بعد هذا الأمد الطويل لا يلم بروح الاسلام ، ولا يستطيع أن يدرك أهدافه الواضحة في أخريات حياته : أين أثر هذه الخطب المتكررة ! وما الذى جعلها مظهرا لا روح فيه ، كيف ضعف تأثير الوعظ المنبرى ، والبيان الدينى في أكثر ما نسمع الآن ؟

اننا نرجع السبب الرئيسى في ذلك الى عاملين متعارضين : عامل المي المفرط لدى متكلم منتضب مقل ، وعامل الثثرة السطحية لدى متكلم يفيض فيما يعن له من قول دون تحديد .

فالخطيب الأول يلجأ دائما الى خطب موسمية يكاد يحفظها عن ظهر قلب ، ثم يلقيها القاء آليا لأرواح فيه فيطفيء ما يشع فيها من بريق الذكر الحكيم ، وإيمان الصديق الشريف ، ثم لا يحاول أن يجدد نفسه في شيء بل يكرر ما يقول عاما وراء عام ، دون أن يقدر تبعته الارشادية أمام جمهوره المنتظم ، بحيث أصبح المؤذن

الصالح لن يسوق الوعظ الهادف ،
والخطبة المركزة ، ولكنى وجدته
قد بدأ بحمد الله ، وتنتى بالصلاة
على رسوله ، فإذا انتهى الى
القبلة الذائعة — أما بعد — تلا
قول الله عز وجل (١) .

(قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في
صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن
النفوس معرضون ، والذين هم للزكاة
فاعلون ، والذين هم لفروجهم
حافظون ، الا على أزواجهم او
ما ملكت أيماهم ، فانهم غير
ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك
فاولئك هم العادون ، والذين هم
لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين
هم على صلواتهم يحافظون ،
اولئك هم الوارثون ، الذين يرثون
الفردوس هم فيها خالدون ، ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين ،
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم
خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة
مضغة فخلقنا مضغة عظما ،
فكسونا العظام لحما ، ثم انشأناه

الزنا والربا والغيبة والنميمة في
تدقق لا يعرف الانضباط ، وكان
ارتفاع الحنجرة وحدها هو دليل
الاصابة والسداد ، السامع
المدرک الناقد ضائق بما يسمع
أما السامع الغافل فيرى لخطبته
أمرا ضروريا لا بد منه ، فعليه أن
يصبر هادئا وان لم يستفد حتى
يفزع القائل فينهض للصلاة
ويمضى ، وبين الخطيب العبي
والخطيب للثرتلر ، ضاعت فائدة
الخطبة الأسبوعية ، وأصبحنا نجد
الأمية الدينية صارخة لدى أكثر
المستمعين ، وفيهم من سمع ألف
خطبة دون أن يجد فيها ما يبده
من فكر الى فكر ، وتلك مأساة .

كنت أستمع ذات مرة الى خطيب
جهير السمعة ، طنان الدوى في
بعض مساجد القاهرة الكبرى ،
وكان المذيع قد أعد لينقل عنه
ما سيقول ، فتوقعت بآدى ذى
بدء أن أجد فيه المثال المنشود
للخطيب الرجو ، والأتمودج

خلقنا آخر فتبارك الله أحسن
الخالقين •

الى علة فضة فظام فلام
فخلق آخر !!

ثم بدأ فأخذ يفسر اجماليا معنى
فلاح المؤمنين وكيف يخشعون في
الصلاة ، وانتقل الى الاعراض عن
المنوع انتقالا سريعا فلم يتحدث
عنه بما يركز معناه ويوضحه
بالمثال :

ميا لله كم طرق من الموضوعات
حين ألم بذلك كله كمن يدون عناصر
موضوع انشائي على مسبورة ١

وكرر على الزكاة في غير تحديد
وانتقل - وفقا لتتابع الآيات
الكريمة - الى صيانة الفروج
ومحاربة الزنا ، والى حفظ الامانة
وذم الخيانة - دون تمثيل كاشف
أضاً .

ثم ماذا يستفيد السامع من
دقيقة يتحدث فيها الخطيب عن
الصلاة ، تلوها دقيقة أخرى
للحديث عن الزكاة ، وهكذا حتى
يفرغ من النص !

وأعاد الكلام ثانية في الصلاة حين وصل به القول الى النص القرآني ، (**والذين هم على صلواتهم يحافظون**) فكرر ما قال من قبل ، والموقف واحد زمانا ومكانا .

أنا لا أضع أن يفسر الخطيب
آية كريمة على منبر الجمعة تفسيرا
هادفا موجها ، ولكن أوجب أن
تكون الآية المختارة مستقلة بغرض
واحد ، ليتسع المجال الى شرح
معناها ، واظهار دلائلها ، وكشف
اهدافها ، والاستئناساء بنورها ،
اذ يجب على الخطيب أن يحصر
قوله في مجال حيوى مركز ليجسد
من الوقت ما يسمح له بالتعطيل
المقنع ، والتوجيه اللافت ، وغيوى
ظما ، وينتفع غليلا ! أما أن يمتد به
القول الى أمثال متفرقة من المعانى

وجاءت آية الجنة ، فتحدث
عن نعيمها ، وعن ميراث الفردوس
ثم انتهى الى خلق الانسان من
نطفة بعد السلالة ، ثم مضى

دون ايضاح كاشف لهذا ما لا يأتي بطائل •
 يتيح لسامعه من حرارة الانفعال ما يجعله موصلا جيدا •

لا أنكر أن تقدم الزمن قد هيا السبيل لإنشاء كليات متخصصة في الدعوة ، بحيث استطاعت أن تخرج نماذج مرجوة ان شاء الله! وقد حقق بعض هؤلاء نجاحا ملحوظا يخالف الحق لو أنكرناه •

واذا استطاعت كليات الدعوة الاسلامية أن تمنح الشهادة ، على التحصيل الجيد ، والحفظ المستوعب فلن تستطيع أن تعطى الدرجة على الايمان الحافز ، والغيرة الملتهبة ، فذلك من صنع الله وحده •

ولكن فريقا آخر قد دفع الى الكليات الداعية دون رغبة من ناحية ، ودون رميد قوى من علوم القرآن والحديث والفقه من ناحية ثانية ، ثم تخرج ليأخذ مكانه ، فآثر الراحة ، واكتفى بما يحفظ من كلام سواء ، دون أن

ولنا — بعد — رجاء وطيد في كل عالم ديني أن يقدر التبعة الباهظة أمام نفسه ووطنه ! وهو بعون الله مرجو مأمول •

د • محمد رجب البيومي

المقالات التي لا تقبل لا تقبل إدارة المجلة بردها •

إدارة المجلة

الشعر المملوكى مرآة عصره

مؤتلفه المبرهنة قروم

ليقتضوا على جند : (سر من رأى)
وجاء السلاجقة بعدهم ، فكانوا
حماة الخلافة العباسية ، وملوك
الدولة الاسلامية من شرقتها ،
وانبثق من السلاجقة تبعاً للتوالد
« آل عثمان » فى آسيا الصغرى ،
« وآل زنكى » فى الشام ، ومنهم
ورث « صلاح الدين » حكم مصر
والشام واليمن باسقاط الخلافة
الفاطمية فى مصر ، وأنشأ الملك
« الصالح الأيوبي » مؤسسة
المماليك البحرية ، وأنشأ المماليك
مماليك من الجراكسة ، فنقلوا
السلطة اليهم .

وهكذا : كان تطور الحكم فى تلك
الأحقاب والمهود .
وهؤلاء المماليك الذين كانوا جند
مصر أظهروا بطولات فى صدد

كان المماليك فى مصر نتيجة
طبيعية ولدتها تطورات الحكم فى
العالم الاسلامى ، فمهد أسس
المعتصم حامية : (سر من رأى)
من الترك والأمور تتوالى تلقائياً
فى غيبة الوعى ، وكان المعتصم
يريد ضرب عنصرى العرب
والفرس مما ليتخلص من تنازع
السلطة ، ذلك الصراع الذى أدى
الى تقاتل الأخويين : « الأمين
والمؤمن » ، فهو بما فكر ونفذ
يريد أن يستريح ويريح ، ولكن
تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن ،
فقد عرض سفينة الحكم لرياح
هوج ، فلقى أبناؤه وخلفاؤه بعده
ما لم يخطر على باله ، من : قتل
وسمل للعيون ، وتقسمت الدولة
الى دويلات ، وقام بنو بويه

التقار والقضاء على بقايا الصليبيين ، فاعتز بهم المصريون ، وأولوهم الثقة ، ويمرور الايام انقلب الوضع ، فكان المماليك

(العبيد) سادة ، والمصريون السادة عبيدا ، « ولم يظبك مثل مغلب » كما يقول الشاعر القديم ، وكان حكم المماليك على عهده ظالما غاشما ، لا تظهر فيه العدالة الا الفينة بين الفينة ، لا يردعه دين ولا خلق ، ومن أين لشرد أن يصون عرضا ، أو يكرم شريفا ؟

وقد انصب ايمانهم على بناء المساجد والمدارس الملحقة بها ، ظنا منهم أنها تقيم عذاب السعير في الآخرة « وما ريك بفاسفل عما يعملون » (١) وكانت الحروب بين المماليك من سياسة الحكم ، فما ان يتسلطن أحدهم حتى يتربصوا به الدوائر ، والدوائر في مسلسل سيوفهم ، وصهيل خيولهم ، وما هي الا جولة بعد جولة حتى يسقط السلطان أو يقتل الأتابكي ، ويدور النهب والسلب في بيوت

المهزومين ، ويشاركهم الشعب في النهب والتفريب ، بل هم يشجعون العوام على اقتراف الآثام .

ومن الغريب : أنهم يتلقون شرعية الحكم من الخليفة العباسي ، وهو لا يملك ردعا ولا رأيا ، وكثيرا ما يتعرض الخليفة للسجن أو النفي أو الخلع ، وصار الخليفة اذا كان شاعرا أن يمدح المملوك الحاكم ، أمور عجيبة !!

وحين تقرأ الشعر الذي قيل في هذا العصر تبسم وتقطب في وقت واحد ، فهو شعر يهزأ بأعظم للنكبات ، وينزوى عند الطموح ، ومن ثم : كان وقعه هينا على الحاكم والأمير ، وشديدا على القضاء ومن اليهم ممن يقولون الشئون المدنية .

والشعراء الوافدون مثل : « صفى الدين الحلبي » يجدون للنقل مجالا ، فهم جامعا ليمدهوا ، وهنا يجدون جزاء مدحهم . أما

الشعراء المحليون مواليد مصر :
 فكانوا منبوذين ، يكدون ليحصلوا
 على ما يحفظ حياتهم باتخاذ
 الحرف سبيلا الى كسب الرزق ،
 فكان منهم : الحمامى ، والكحال ،
 والدهان . الى آخر حرف هذا
 الزمان ، وكانت لهم شاعرية
 ومذاهب تأبى الا أن تقول ،
 وما تقوله مرآة لما كان يحدث ،
 يعبرون عن أنفسهم والمشكلات
 التى تغيم على وطنهم ، ويتخذون
 الفكاهة طريقا الى التنفيس
 عما يجول بخاطرهم .

على الأمر فى ذلك ، جمعت كتابا
 فيما قلته وسرقه منى ونسبه الى
 نفسه ، وسميت هذا الكتاب :
 « خبز الشعير » لأنه مأكول
 مضموم ، وأورد شعرا قاله ،
 وشعرا قاله الصفدى مقلدا له وزنا
 وقافية ومعنى أيضا .

ولم يكن الشعر بعيدا عن الحياة
 فهو منغمس فيها ، ولكنّه غير
 متحمس لها ، تحس فيه الفتور
 والقصور فى أعظم المواقف .
 انظر معى الى الشعر الذى قيل
 فى انتصار جيش مصر بقيادة الملك
 الناصر محمد بن قلاوون على
 التتار ، وكان قائد الجيش
 التتارى : (غازان بن القان) حفيد
 هولاكو ، حتى أشجع مقتله فى
 المعركة ثم جاء الخبر بموته ،
 قالوا : انه مات مسموما ، سمته
 زوجته ، وكان يريد النار لهزيمة ،
 فقال الشاعر : (هلاء الدين
 الوداعى) :

قد مات غازان بلا عله
 ولم يمت فى السنة الماضية
 بل شـعنوا فى موته
 حياء ، ولكن هذه القافيه

وفى هذا المقال : أقدم لك نماذج
 من ذلك الشعر ، وهو ان لم يرضك
 ابتكارا وجمالا أرضاك دعابة
 وتفكها ، وكان شعراء الشام
 يسلكون مسلكهم ، بيد أن الوصف
 غلب على أساليبهم لتتويع المناظر
 الخلابة فى بلادهم ، لكن المنهج
 العام يشعلهم ، فياخذ بعضهم من
 بعض الى درجة الاتهام بالسرقة ،
 كما جرى من ابن نباتة الشاعر
 المصرى ، فقد اتهم صلاح الدين
 الصفدى (شامى) بالسرقة ، ومن
 كلامه عن الصفدى : « قلما طال

وأنحر البدن المهاريا ٢
 وأرتوى من زمزم فهي لى
 الذى من ريق المهاريا ٢
 وشيخنا يتشوق الى الحجاز
 ليزور الاماكن المقدسة فى مكة
 والمدينة ، ولكنه فى المقام الأول
 يعنيه التجنيس فى البيت الأول
 والثانى « الحجازيا والعجازيا »
 والحجازيا فى البيت الأول وصف
 للبرق وهى كلمة واحدة ،
 أما الحجازيا فى البيت الثانى فهي
 كلمتان الأولى الحجا ومعناه :
 العقل ، وزيا وهو : الهيئة ، وعلى
 هذا جاء الجناس تاما ومثل هذا
 يقال فى البيت الثالث والرابع ،
 فالمهاريا : وصف للبدن ، والمهاريا
 الأخيرة من كلمتين « المهاريا » : بقر
 الوحش ، ويعنى : الجميلات
 العيون من النساء ، « وريا » :
 سقيا ، وقد تم له جناس تام أيضا ،
 وهل تشمر بالشوق حقا فى هذا
 النظم ؟ لو ترك الشيخ نفسه على
 سجيته ولم يقيد بها بالجناس لآتى
 بما يطرِب ويسلب ، كما فعل شوقي
 فى قصيدته التى تغنى ، وشتان بين
 عاطفة وعاطفة ، وتصوير

والشاعر هنا ينكت ومسرور
 بكلمتى « الماضية والقاضية »
 لما فىهما من جناس ، وهو شاعر
 قاصر عن تصوير الأحداث
 وانتصار المصريين سنة ٧٠٢ هـ
 (١٣٠٢ م) ، وكان الشاعر يمكنه
 أن ينتهز وفاة غازان فيصف المارك
 وصفا فيه حرارة وقوة وأصالة ،
 ويبين البطولات والأساليب
 العسكرية التى ظهرت حينذاك ،
 ولكنه اكتفى بتسجيل وفاة غازان
 سنة ١٣٠٣ م ، وكان الخيال يجعل
 موته كمدا ، ومن نتائج المعركة
 دخول هؤلاء التتار فى الاسلام
 أفواجا . ويسجل « ابن اياس »
 فى كتابه : « بدائع الزهور » شعرا
 للعالم الجليل شيخ الاسلام :
 « تقى الدين بن دقيق العيد »
 بمناسبة وفاته (١٣٠٤ م) ويختار
 له ما أبدع فيه من « نوع الجناس
 التام » قال الشيخ :
 تهيم نفسى طربا عندما
 استملح البرق الحجازيا
 ويستخف الوجد عطفى وقد
 لبست أثواب الحجا زيا
 يا هل ترى أقضى منى منى

وتصسسوير ، ليس هناك
شيء يقيد الشعر مثل رصد كلمة
للتجنيس أو التورية ، فهو ذهني
محض ، وإن بدا لك شعرا له وزن
وقافية .

وفي سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م)

توقف النيل عن الزيادة في مياده
المنتظر ، فرسم السلطان :
« الجاشنكير » وكان قد تغلب على
آل قلاوون ، فرسم بجمع
الضرائب ، والناس في مثل هذه
الحال يصطنعون الغلاء ، فضج
الشعب وثار ، وسجل (نصير الدين
الحمامي) ما جرى شعرا فقال :

إن عجل النوروز قبل الوفا

عجل للعالم بصفع القضا

فقد كفى من دمعهم ما جرى

وما جرى من نيلهم ما كفى

في هذا الشعر نكتة تدعوك إلى

البسمة ، فهو يذكر تعجيل النوروز

قبل وفاء النيل ، ويعقب ذلك صفع

قفا المصريين وجعلهم عالما بذاته ،

ودمعهم كفى والنيل ما كفى ،

ألا ترى أنك تبتسم وتمزن ما ؟

وفات الشاعر وهو قادر أن يصنع

صنيع العامة ، فيأخذ معنى ما قالوا

ويثيرها حربا شمواء على هذا
المتغلب ، وماذا قال العامة ؟ قالوا :
سلطاننا ركين

ونائبه دقین یجینا الماء من این

هاتوا لنا الأعرج

يجی الماء یدهرج . . .

وركين هو : السلطان ، ودقین :

نائبه (سار) وكان أجرد في ذقنه

بعض شمرات ، وكان من التتار ،

فسمّاه الموام : « دقین » .

أما الأعرج فهو : الملك : الناصر

محمد بن قلاوون ، وهو حسن

المعاملة مع الشعب ، ولذا هتفوا به

ليعود وقد عاد .

ركب السلطان رأسه فقبض على

زهاء ثلاثمائة ، ولم تسكن الثورة

حتى عاد الأعرج .

وابن نباتة نفسه ، وهو أكبر

شاعر ، وله نفس طويل في الشعر

أصابه تقليد العصر ، واقرأ معي

قوله يمدح كاتب السر القاضي :

« محیی الدین بن فضل الله

العمری » (من سلاله عصر

ابن الخطاب رضی الله عنه) حين

انشاء القصائد الطوال ، ومنها :
 « البردة » و « الهمزية » و « نذر
 المعاد » ، وقد وقع للشاعر :
 « ابن الوردي » ما دفعه الى أن
 ينظم قصيدة في مبايعة .. كان
 ابن الوردي عالما فقيها على مذهب
 الامام الشافعي ، وله مؤلفات
 منها : « كتاب البهجة » وكان له
 نظم ونثر . كتب عنه « ابن كثير »
 في تاريخه أنه دخل الشام في هيئة
 رثة ، وتصادف أن حضر مجلس
 القاضي ، فكان من جملة شهود
 مبايعة جرت في ذلك المجلس ، فقال
 أحد الحاضرين يسخر منه : أعطوا
 الشيخ يكتب هذه المبايعة ،
 فتحداهم ابن الوردي قائلا : نظما
 أكتب لكم أم نثرا ؟ فزادوا في
 السخرية ، وقالوا : بل نظما .
 فأخذ ورقة وقلما ، وكتب المبايعة
 شعرا وهذا بعضها :

بسم اله الخلق هذا ما اشترى
 محمد بن يونس بن سنقرا
 من مالك بن أحمد بن الأزرق
 كلاهما قد عرفا من جلق
 فباعه قطعة أرض واقعه

حضر من الشام باستدعاء السلطان
 له ليتولى منصبه . قال ابن نباته :
 يا سائلي عن كاتب السر الذي
 يمسزى علاه الى أب أواه
 هذاك غيث الله محيي الأرض من
 بعد الممات ، وذاك فضل الله
 كل التعم لأجل التورية في
 « فضل الله » والأب الأواه ، هو :
 عمر بن الخطاب . وهو الغيث .
 وقد مهد به للوصول الى فضل الله ،
 وماذا على الشاعر لو استقبل
 الكاتب بما يستحقه ووصف عمله في
 الدولة والطريقة التي تناول بها
 الأحداث في رسائله ، وابن
 فضل الله يسره ما قاله الشاعر ،
 لأنه يحب التورية والجناس ،
 ونشره يشهد على ذلك ..

نقاد العصر أضاعوا صناعة
 الشعر والفنر .

ان شعراء العصر المملوكي
 قادرون ولا شك على انشاء
 القصائد الطوال لو وجدوا الحافز
 على ذلك ، ولنا من « البوصري »
 ما يؤيد ما نقول ، فحبه للرسول
 — صلوات الله عليه — دفعه الى

بكورة الخوطة وهى جامعة وأشهدا عليهما بذلك فى
 بشـجر مختلف الأجناس
 والأرض فى البيع مع الخراس
 وذرع هذى الأرض بالذراع
 عشرون فى الطول بلا نزاع
 وحدها من قبله ملك التقى
 وجابر الرومى حد المشرق
 ومن شمال ملك أولاد على
 والغرب ملك عامر بن جهل
 وهذه تعرف من قديم
 بأنها قطعة بيت الرومى
 بيما صحيحا ماضيا شرعيا
 تسم شراء قاطعا مرعيا
 بثمن مبلغه من فضه
 وازنة جيدة مبيضه
 جارية للناس فى المعامله
 ألفان منها النصف ألف كامله
 وسلم الأرض الى من اشترى
 فقبض القطعة منه وجرى
 بينهما بالبدن التفرق
 طوعا ، فما لأحد تعلق
 الى أن قال :

رابع عشر رمضان الأشرف
 من عام سبعمائة وعشره
 من بعد خمسة تليها الهجره
 والحمد لله وصلى ربى
 على النبى وآله والصحب
 يشهد بالمضمون من هذا عمر
 بن المظفر المعرى اذ حضر
 وعمر بن المظفر المعرى - اسمه
 ونسبه - وان كانت الشهرة : ابن
 الوردى ، وعجب الحاضرون من
 بديعته وحسن ارتجاله ، ومن
 الطريف أن أحد الشهود واسمه :
 (أحمد بن رسول) قال : أنا
 لا أحسن النظم لأوقع به ، فكتب
 عنه :

قد حضر العقد الصحيح أحمد
 بن رسول وبذلك يشهد
 وان كنا لا نعد هذا شعرا لخلوه
 من عنصر الشعور ، وهو أقرب الى
 نظم العلوم من خيال المنظوم ،
 الا أننا نأخذه دليلا على المقدرة
 الفائقة والشاعرية المنطلقة التى

تستطيع أن تفيض وتأتى بالسائغ أو اضطرابا في الثقافية .
المقبول ، وتظهر قدرة الشاعر في وهذا الشعر يحتاج الى عودة
ايراد التوثيق الشرعى من تسجيل ودراسة ، أرجو أن أوفق في بحثها
المثابمين ، وتحديد قطعة الأرض من مرقدها ، تقديرا للشعر ووفاء
والثمن ، وشروط تمام المبيعة لشعراء عصره ، وكشفها للجمال
« البائعان بالخيار ما لم يتفرقا » فيه .
ثم الاشهار والتاريخ ، واللغة
مطاوعة له لا ترى نبوا في اللفظ السيد حسن قرون

اسرائيل تخشى المد الاسلامى

في ندوة عقدت مؤخرا ببل ابيب دعا اليها المركز الثقافى
الامريكى وممهد شيلواح الاسرائيلى وحضرها عشرات
من الاساتذة اليهود والامريكيين لبحث اوضاع المنطقة قال
أهارون ياريف رئيس المعهد « أن اسرائيل ستجد نفسها
في حالة عجز استراتيجى مع تصاعد المد الاسلامى
الذى بدأ ينتشر في جميع أنحاء المنطقة » .

الدعوة عدد ٥٣ السنة الثلاثون

التربية الصوفية

للمساذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

الاسلام « محمد اقبال » رحمه الله عن أثر التربية الصديثة في نفوس الشباب : « ان الشباب المثقف فسارغ الأكواب ظمآن الشفتين ، مصقول الوجه مظلم الروح ، مستنير العقل كليل البصر ضعيف اليقين كثير اليأس ... » الى آخر ما جاء في مقال سبق عرضه عن روائع اقبال .

علم النفس والتصوف :

وضع الصوفية قواعد لا تزال تعتبر مقياسا سليما من مقاييس التهذيب والسلوك وعلم النفس الذي يعتمد علماؤه المحدثون على النظريات المبينة على التجربة والمشاهدة والتخمين — كان أساتذته الأول هم الصوفية الذين حذقوا هذا العلم

للمصوفية أذواقهم ومناهجهم التربوية نجحوا بها في تربية الأفراد والمجتمعات ، ولعلمهم من سبق الناس في معرفة أصول التربية والتعليم . تلك الأصول التي تعود الى الاسلام في منابعه الأصلية الثرة ، فهم لم يبتدعوا شيئا ولكنهم ردوا الأشياء الى أصولها واستمروا في الحفاظ عليها ، في الوقت الذي غرب الناس وشرقوا يأخذون من هذا ويقتبسون من ذاك نظما ومناهج أن صح بعضها فإن الكثير منها لا يتناسب وشرقنا العربي وديننا الاسلامي الحنيف الذي ألزمننا بمناهج قوية ومبادئ كريمة لو اتبعناها لسعدنا ولو تركناها لثقيننا . وقد مر بنا قول شاعر

« الفراسة الشرعية نور إيماني ينسبط على القلب حتى يتميز في نظر صاحبه حالة المتطور فيه من غيره ، بل يميز أحواله في النظر اليه بحسب أوقاته ولكل مؤمن منها نصيب ولكن لا يهتدى لحقيقتها الا من صفا قلبه من الشوائب والشوائب » .

فليس كالصوفية أحد تمكن من معرفة دقائق النفس وحفاياها ومكان خيرا وشرها وطرق رغباتها ودسائسها وأسرار نزعاتها ودوافعها حتى لقد وصفوا ذلك وصفا دقيقا يدل على قوة ادراك وسعة عقل ، وألقوا في ذلك الأبحاث والمطولات ، ونبهوا على ضرورة تهذيب النفس واعتنوا بذلك وأوصوا الانسان بملاحظته في نفسه وأهله وولده ومريديه ، مشيرين الى واجب كل راع ومسئوليته عن رعيته .

ولقد نبهوا الى ضرورة عناية الأب بأولاده ورعايتهم حتى قبل ولادتهم ، وذلك عن طريق الرعاية للأم والخادم والمخسطين والمعاشرين وأداء كل حق خاص

لا بناء على التجسرية التي تحظى وتمصيب ، ولكن بناء على الفراسة الصادقة التي ورد فيها أثر كريم يقول « اتقوا فراسة المؤمن فانه يرى بنور الله » وعلى الانهام الصادق والكشف الالهي الذي يمنحه الله لمن يشاء من عباده المتقين .

والفراسة — كما يقول الدكتور أبو الوفا التفتازاني في كتابه عن ابن عطاء الله السكندري — « ادراك خاص يهبه الله لمن صفا قلبه من الشوائب والشوائب ، ولا يحيل هذا الادراك من يعرف الصوفي حق المعرفة ، لأن الصوفي اذا جاهد نفسه وقهر شهواته ولازم الذكر فارقت روحيا الى آفاق جديدة اكتسب قوة ادراكية من نوع غير عادي ، وهذا الادراك هو المسمى اصطلاحا بالفراسة ، وهو عند الصوفية اطلاق مكثفة ومعينة القلب للغيوب بنور الله مصداقا للحديث النبوي : اتقوا فراسة المؤمن فانه يرى بنور الله » ويستشهد على ذلك بقول الشيخ زروق في كتابه قواعد التصوف

بهؤلاء • ويشمل هذا الحق بالنسبة للولد حق التسمية وحق التربية وحق القدوة وحق الاسكان والاطعام والانفاق وغير ذلك من أنواع الحقوق والواجبات •

وفي كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي غنية لمن أراد ، وفيه دلالة كافية على مدى ما وصل اليه الصوفية من علم غزير بالنفس الانسانية وما يتصل بها من عقل وروح وطرق تربيتها على أسس سليمة ، ومن ذلك — على سبيل المثال — ما أورده تحت عنوان : بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم : « اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدّها ، والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقى ومسورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه ، فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود

الشر وأهمل أهمل البهائم شقى وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نلرا ٦٦ : ٦ » • « وصيانتك بأن يؤذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعود التعم ولا يحجب اليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الأبد •• ينبغي أن يراقبه في أول أمره فلا يستعمل في حضانتك وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعمت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ••

« وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبى أن يؤدب فيه مثل الا يأخذ الطعام الا بيمينه وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه والا يبادر الى الطعام قبل غيره والا يحدق النظر اليه ولا الى من يأكل والا يسرع في الأكل والا يوالى

ما نتعرض لاثبات قدرة الصوفية على ادراك أسرار النفس ادراكا مبنيا على الكشف والالهام الذي لا يخطئ، بهما واحد منهما لأنه مستمد من نور الله جل وعلا .

النزاع بين الروح والنفس :

يقول السيد محمود أبو الفيض المنوفي في كتابه المدخل الى التصوف الاسلامي : اعلم — علمك الله من علمه وأمدك بهدايته — أن النفس والقلب والروح خط واحد يمكنك تصويره خطا رأسيا يبدأ بنقطة هي الروح ويتوسط بنقطة هي القلب وينتهي بنقطة هي النفس . على أن تتصور أن النقطة الأولى المبدئية تتجه ناحية الألوهية والنقطة السفلى تتجه ناحية الجسم بفرائظه وما جيل عليه من الصفات الأرضية ، وقد أراد الله عز وجل للنفس رعاية تلك الصفات لحفظ الحياة ، فان بالعت في ذلك واسجمت مع صفات الجسم كان أعظم مبتغاها الدنيا لا الآخرة وأنانيتها المرتبطة بالجسم وليس الله ولا طاعته ولا

بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه... الخ » .

وفي مختلف كتب التصوف أبواب وافية تدور حول هذه المعاني وغيرها مما يتصل بالنفس وسياستها ووصح علماء الصوفية مناهج لمياسة النفس وتهذيبها وطرق جهادها . نقرأ ما كتبه الشيخ حسن رضوان في كتابه روض القلوب المستطاب فنجده قد تحدث عن النفس والروح ومقام خلافة الروح وما يلزمه من الجند والأعوان ورئيسهم في ذلك العقل .

ثم تحدث عن سر ايجاد النفس وأنها علوية الأصل ، وسر ايجاد الهوى وجنده والشهوات المغذية للنفس والمدة لها وأن هناك معركة دائرة في داخل الانسان بين الهوى والروح وميل النفس مع الهوى ، ورسم الطرق التي تتغلب بها الروح في معركتها المستمرة مع النفس وشهواتها ، ثم يتعرض لراتب النفس وألوان جهادها في كل مرتبة حتى تصل الى كمالها المنشود .

ولا نتعرض لرأى المؤلف بقدر

الانسانى وجعل فيها مسكنا للروح
وعرشا هو القلب ، ووظف له
جنودا تعينه على القيام بشئونه
كالعقل وأيده بالفكر والحواس
والحفظ والادراك وغير ذلك مما
يحتاج اليه ، فإلحساس ينقل عن
عالم المثال الى الخيال ، والخيال
ما ينقله عن الإحساس الى
المفكرة ، والمفكرة بدورها تلقن
ما تنقله الى القوة المذكرة ، فينظر
الفكر السليم فيما تنقله هذه القوة
وينقيه من الأوهام المسالفة به
ويلقيه الى الادراك ، والادراك
ينقله للمحافظة فيستقبله العقل
يعد ذلك معرضا للروح على
استعماله والانتفاع به .

ولكى يؤدي الروح وظيفته في
هذه المدينة الجسمية لابد من أن
تكون غير معرضة للمضياع ، فذلك
أوجد الله في الجسم نفسا تطلب
اللباس والطعام والشراب والزينة
وأوجد لها أعوانا تعينها على ذلك
كالهوى وخصه بالشهوة القوية
التي لها امتزاج بالمعروق والدم ،
وأمدّها بقوة نارية هي الغضب ،
ومن هنا نشأ الصراع بين الروح

شكره . أما القلب ففي درجة بين
حالتين : حالة سماوية روحية
وحالة أرضية بهيمية ، ولذلك كان
القلب محل النزاع بين الفزعات
الروحية - التي تتجه بها الروح
الى أعلى - وحالة أرضية
بهيمية - التي تتجه بها النفس
الى أسفل - ولذلك كان القلب
محل النزاع بين الروح والنفس .
وفي مثل هذا الموقف يعلمنا النبي
صلى الله عليه وسلم آداب الدعاء
قائلا : يا مقلب القلوب والأحوال
حول قلبي الى أحسن حال . وفي
حالة سحو القلب وصلاح حاله مع
الروح يرتفع صاحبه الى أعلى
عليين ويستحق بذلك نظر الله اليه
مصداقا للآثر القدسي : ما وسعني
أرضي ولا سمائي ولكن وسعني
قلب عبدي المؤمن .

ويمكن أن نعبّر عن القلب بأنه
العرش الذي صوره الشيخ حسن
رضوان في كتابه السابق ، وهو في
المملكة التي يتنازع عليها سلطان
الروح وسلطان النفس . والروح
- في رأيه - هو خليفة الله في
أرضه وأقام له مدينة هي الجسم

والنفس لتفاوت أهدافهما واختلاف أعراضهما ، فالروح علوية تطلب العلو والنفس سفلية تطلب الهبوط ، وكل منهما استعان بجنوده للتغلب عن الآخر ، فأيهما غلب استولى على عرش المدينة وهو القلب وسحره في خدمة أعراضه كما استولى على كافة ما يعين الآخر واستخدمه أيضا في تحقيق أهدافه ، فإذا غلبت النفس استولت على العقل والقلب وأصبح الإنسان بذلك نفسيا نهواليا سخر كافة إمكانياته في خدمة لداته وشهواته وانحط بذلك الى أدنى درجة من الحيوان « ان هم الا كالأنعام بل هم أضل » ونشأ عن ذلك جميع الصفات المذمومة التي يصير بها الإنسان غير جدير بنظر الله اليه .

أما اذا غلب الروح فان النفس تنقاد له وبذلك يغلب الإنسان هواه ويتحكم في شهواته وملذاته ، « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » وفي هذه المرحلة يصدق الأثر الشريف « لا يؤمن أحدكم

حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » انه بذلك يصبح انسانا علويا ربما ارتفع عن درجة بعض الملائكة . ربما كانت بعض هذه المعاني غير قاصرة على الصوفية فقد فكر فيها غيرهم — كما يقول الدكتور عبد الحكيم حسنان في كتابه التصوف في الشعر العربي حيث أورد عن الفرزدق الشاعر العربي وهو ليس صوفيا قولا يدور حول أن الانسان له نفسان اهداهما خيرة والآخرة شريرة ، وجعل النفس الخيرة مصدر كل خلق حسن ، والشريرة أساس كل خلق سيئ ، وشعره في ذلك :

لكل امرئ نفسان : نفس كريمة وأخرى يماصها الفتى ويطيعها ونفسك من نفسك تشفع للنفدي اذا قل من أحرارهن شفيعها ولعل الفرزدق أتى بهذا المعنى من بعض الآثار الدينية فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : في الانسان نفس وروح بينهما شعاع كشمس الشمس .

يؤيد ما قلنا فيما تقدم من أن الصوفية لهم معرفةهم بأحوال

واجب العاقل : والانسان العاقل مطلوب منه على أى حال أن يظل فى وعى تام لما يدور داخل نفسه ، وعليه أن يستمر فى جهاد شهواته والتغلب على وساوسه حتى يصبح مثاليا جديرا بأنه فى مية الله مع المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر بعد أن ينعم فى دنياه بجنة الرضا التى تذوقها بعض العارفين من قوله تعالى « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة** » قالوا الحياة الطيبة هى الرضا • وحقا فما أطيب الحياة فى نعيم انرضا عند الله وبالله « **رضى الله عنهم ورضوا عنه** » •

مراتب النفس : يقول الصوفية: ان المرید فى جهاده نفسه ينتقل من مرحلة الى مرحلة ، وهذه المراحل هى مراتب النفس • وأولها : مرتبة النفس الإمارة بالسوء وهى التى جاء فيها على لسان امرأة العزيز أو يوسف عليه السلام « **وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم** » •

النفس ومراتبها وطرق سياستها وتهذيبها وأن الروح والنفس يتنازعان ما أورده السلمي فى طبقاته عن أبى بكر الصديق ابن على بن بزدانيار من قوله « **الروح مزرعة الخير لأنها معدن الخير ، والنفس والجسد مزرعة الشر لأنها معدن الشهوة ، والروح مطبوعة بارادة الخير والنفس مطبوعة بارادة الشر ، والهوى مدبر الجسد والعقل مدبر الروح ، والمعرفة حاضرة فيما بين العقل والهوى ، والمعرفة فى القلب ، والهوى والعقل يتنازعان ويتحاربان ، والهوى صاحب جيش النفس والعقل صاحب جيش القلب ، والتوفيق مدد العقل والخذلان مدد الهوى والظفر لمن أراد الله مساعده والخذلان لمن أراد شقاوته** » •

وعلى هذا فسر صاحب كتاب التعرف على مذهب أهل التصوف الروح بأنه نسيم طيب يكون به الحياة والنفس بأنها ریح حارة تكون بها الحركات والسكنات والشهوات •

وتثمر هذه المرحلة مرحلة النفس الملهمة التي يصبح الانسان فيها قادرا على تلقي الفيوضات الالهية قادرا تماما على التمييز بين الخير والشر صادق الفراسة في معرفة ما يلتبس من الطرق ويشكل من الأمور لقد أصبح الالهام الصادق دليل المريد في هذه المرحلة بحيث يمكنه التقدم في طريقه دون أن يخشى وساوس النفس والشيطان .

ويلى ذلك مرتبة النفس المطمئنة التي يخاطبها المولى عز وجل « يا أيها النفس المطمئنة » وهي مرتبة تؤهل صاحبها للارتفاع عن مواطن الغرور والانخداع بما يراه من أكرامات تحيط به وعن مواقع الانقباض حين يتعرض للشدائد والنوازل التي تلطم به ، أن أنسه في هذه المرحلة بربه واطمئنانه الروحي يمينه في كل موقف يتعرض له .

وتأتى النفس الراضية كثرة للاطمئنان القلبي ، حيث تقبل النفس على مقام الرضا الذى تنكشف فيه الحجب وتنبعث

وهذه المرتبة يتدرج تحتها عامة البشر ، وتغلب النفس فيها موسوسة لصاحبها بالشر مرغبة له في الباطل حتى يوفقه الله الى الانتباه واليقظة ويدله على من يرشده الى سواء السبيل فيلجأ الى التوبة ويأخذ نفسه بالاستغفار والطاعات حتى تقوى بواعث الخير فيه ويشهد اقباله على الله .

وتأتى بعد ذلك المرتبة الثانية : وهي مرتبة النفس اللوامة ، وهي التي يقسم الله بها في قوله تعالى « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » وهي نتيجة للمرتبة الأولى التي تثمر الزواج النفسية التي تحذره من الاقتراب من الشر والابتعاد عن السوء ، ويظل الانسان في تأنيب لنفسه وندم على ما فاتته من طاعات ، كما يظل في مراقبة دائمة ومحاسبة ملازمة ويقظة لدوام النفس ووساوسها حتى يصبح طيعا لفعل الحسن مستجيبا لعمل الصالحات تلقائيا في مقاومة الذنوب والمعاصي .

المطمئنة أرجى الى ربك راضية
مرضية ، فادخل في عبادة
وادخل جنتي ؟

وهذه المرتبة السادسة من أعلى
درجات السلوك ، ويستحق المريد
أن يكون فيها خليفة الله في أرضه
لأنه وصل الى الكمال الذاتى .
حيث يتحقق بعدها بالمرتبة السابعة
وهى مرتبة النفس الكاملة وهى
درجة الأنبياء ومن على قدمهم من
أفراد يختارهم الله ويوفقهم
للجهاد الصادق حتى يصلوا الى
أقصى درجات الكمال . ان توصيف
هذه المراتب دليل على علو كعب
هؤلاء الصوفية في مجال التربية
ورغبتهم الصادقة في الأخذ بيد
أبنائهم ومريديهم الى أعظم
الغايات ، ويتحقق ذلك بالسسمو
الأخلاقي والجهاد النفسى .

اختلاف الأنواع في التربية :

ولكل مرتبة من هذه المراتب
ألوان خاصة من المجاهدات
والارشادات يتمكن بواسطتها
المريد من الانتقال من مرحلة الى
أخرى .

الأنوار ، ويفيض الله على صاحب
هذه النفس علما وسعادة بكل
مايلقاها ، في هذه المرتبة - يقول
القائل : ليست الكرامة أن تمشى
على الماء أو تتربع في الهواء ولكن
الكرامة أن تدخل يدك في جيبك وقد
تموت أن تجد فيه ماتريد
فتخرجها وليس فيها شيء فلاتأثر ،
وفي هذه المنزلة يقول ابن خفيف
« الرضا سكون القلب الى أحكامه
وموافقة القلب بما رضى الله به
واختاره » وفيها تقول رابعة
الحدوية حين سئلت متى يكون
العبد راضيا ؟ : اذا سرته المصيبة
كما تسره النعمة - انها حالة أحد
الصوفية الذى يقول « أحببت الله
حبا هون على كل مصيبة ورضائى
بكل بلية » .

والمرتبة السادسة هى النفس
المرضية وهى التى يقول الله فيها
وفيما قبلها « رضى الله عنهم
ورضوا عنه » وهى وما قبلها
متداخلتان مترتبتان على الالمثنان
القلبي والسموالروحي ، ألا ترى
الله جل وعلا يخاطب أصحاب
المراتب الثلاث : يايتها النفس

الحرص ، وهما فطرة النفس ،
فمثلها في الطيش كمثل كرة أو
جوزة في مكان أملس مصوب
سكونها بالمنة ، فان أشرت اليها أو
حركتها أدنى حركة تحركت بوصفها
وهو خفتها واستدارتها ، وصورتها
في الشره المتولد من الحرص أنها
على صورة الفراشة التي تقع في
النار جاهلة شرهه وتطلب بجهلها
الضوء وفيه هلاكها ، فإذا وصلت
إلى شيء منه لم تقتنع بيسيره
لشرهها فتحرص على الغاية منه
وتطلب عين الضوء وجملته وهو
نفس المصباح فتحرق .

ومن هنا ارتكزت فلسفة
الصوفية في الأخلاق على محاربة
النفس ورغباتها حتى ترتاض
وتسكن إلى ما يغمرها به القلب من
نفحات الخير ، وقد بالغوا في ذلك
حتى رأوا تقابلا بين قوة النفس
والجسد من ناحية ، وقوة القلب
والروح من ناحية أخرى ، وأن أي
زيادة في ناحية منهما تستتبع نقصا
في الناحية المقابلة .

لقد أصبحت المشقة شسيتها
مقصورا لدى الصوفية فلا وصول

الصوفية هم أدري الناس
بما يناسب كل حالة من هذه
الحالات ، فلكل انسان ذوقه
الخاص وشخصيته المستتقة
وخصائصه التي قد تختلف عن
غيره قليلا أو كثيرا ، فما يصلح
لشخص من المجاهدات قد لا يصلح
لآخر وما يتناسب مع مرحلة قد
لا يتناسب مع أخرى ، وارشاد
الشيخوخ في هذه الحالات مبنى على
الالهام والمدد الروحي والفراشة
الصادقة التي قلما تخطئ . وهذا
الارشاد هو الذي يوجه المرید
ويأخذ بيده ويضع له الفهم الذي
يلتزمه .

والصوفية حين يوجهون أبطارهم
في التربية إلى النفس إنما هو إتيان
للبيوت من أبوابها ، فالمفروض أن
النفس مصدر كل شر ، وهم لذلك
— كما يقول صاحب كتاب التصوف
في الشعر العربي — أقاموا جانباً
ضخماً من حياتهم الروحية العملية
على مجاهدة النفس ومحاربة
رغباتها ، وجملة وصف النفس
عندهم معنيان : الطيش والشره ،
فالطيش عن الجهل والشره عن

الى درجة الكمال الا بالجهاد •
والشاعر الصوفي عمر بن الفارض
رضى الله عنه يصور لنا مجاهداته
في قصيدته « نظم السلوك » وكيف
تحول بنفسه من مرتبة الى مرتبة
ويحس غيره على مجاهدة النفس
وتتقيتها فيقول :
ولا تتبع من سولت نفسه له
فصارت له أمانة واستمرت
ودع ما عداها وأعد نفسك فهي من
عداها وعذ منها بأحسن جنة
فنفسي كانت قبل « لوامة » متى

أطعها عصت أو أعصى كانت مطيعتى
فأوردتها ما الموت أيسر بعضه
وأعبت بها كيما تكون مريحتى
فعادت ومهما حملته تحملته منى
وان خففت عنها تأذن ؟
ولأن اجتياز هذه المراحل لا يمكن
أن يتم بدون موجه : اشترط
الصوفية وجود المرشد والدليل •
يتبع بتوفيق الله •

عبد الحفيظ فرغلي على القرنى

« السنة مصدر التشريع »

يرى الفقيه ابن حزم أن قوله تعالى :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » لا يقتصر

الحفظ على الكتاب وحده بل يسرى الحكم على السنة

أيضاً •

العقلية العلمية في الإسلام

لأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

العقل هو القوة المتهيئة لقبول العلم ، وسمى العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عما لا يحسن . والعقل في اللغة : ضد الحق . ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان عن طريق الملكات الإدراكية : العقل . قال على كرم الله وجهه :

رأيت العقل عقلين

فمطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع

إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس

وضوء العين ممنوع

والى العقل الفطرى المطبوع .

يشير ماروى الترمذى الحكيم في

النوادر من رواية الحسن بن رسول

الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل » . وكذا ما جاء من أن : « أول ما خلق الله العقل » . .

والى العقل المكتسب يشير ماروى : « ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه الى هدى ، أو يردده عن ردى » .

ومن أوضح سمات القرآن الكريم التى أثارت انتباه الدارسين من رجال الفكر والباحثين من العلماء هى الاشارة بالعقل ، وتوجيه النظر الى استخدامه ، للوصول الى ما يفيد الانسانية فى مسيرتها عبر الحياة . .

ويشير القرآن الكريم ، الى العقل ومشتقاته ومتداداته ومعانيه المختلفة فى أكثر من ثلاثمائة وخمسين آية . مستخدماً لذلك كل الالفاظ التى تدل عليه أو ترشد

الدارسون كتبها وعملا ، واثرا في داخله ، وفيما خرج منه ، وفيما يصدر منه وما يقول اليه •

العقل وازع يعقل صاحبه عما يأباه له التكليف ••

العقل فهم وفكر يتقلب في وجوه الاشياء ، وفي بواطن الامور ••

العقل رشد يميز بين الهداية والضلال •• العقل روية وتدبير ••

العقل بصيرة تنفذ وراء الابصار •• العقل ذكرى تأخذ من الماضي

للحاضر ، وتجمع العبرة مما كان لما يكون ، وتحفظ وتعي ، وتبدي •

وتعيد • والعقل بكل هذه المعاني موصول بكل حجة من حجج التكليف

وكل أمر بمعروف ، وكل نهى عن محظور • أفلا يعقلون ؟ أفلا

يتفكرون ؟ أفلا يبصرون ؟ أفلا يتدبرون ؟ أليس منكم رجل رشيد ؟

أفلا تتذكرون ؟

ان هذا العقل بكل عمل من أعماله يناط به التكليف ، حجة على

المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسماء ، ومن أمر أنفسهم ، ومن

أمر خالقهم وخالق الأرض والسماء ••

وتشير اليه من قريب أو من بعيد من التفكير والتدبر ، والتذكر ، والحكمة واللب ، والنظر ، والرشد والرأى ، والعلم ، والفقه ، والقلب والفؤاد الى غير ذلك من الكلمات والالفاظ التي تدور حول الوظائف العقلية ، على اختلاف معانيها وخصائصها • مما يعتبر احياءات قوية بدور العقل ، وأهميته بالنسبة للانسان •

والقرآن الكريم كتاب تبليغ واقناع ، وهداية وارشاد ، يوقظ القلوب ، ويصلح الميوب ويشرح الصدور •• وليس أتم من التوافق بين تميز الانسان بالتكليف وبين خطاب العقل في القرآن الكريم ، بكل وصف من أوصاف العقل ، وكل وظيفة من وظائفه في الحياة الانسانية •

يقول الكاتب الكبير عباس محمود العقاد : « ان الكتاب الذي يميز الانسان بخاصة التكليف هو الكتاب الذي امتلا بخطاب العقل بكل ملكة من ملكاته وكل وظيفة ، عرفها له العقلاء والمتفكرون • قبل أن يصبح العقل درسا يتقصاه

أولاً : أنه ملكة الادراك التي ينفط بها الفهم والتصور . وهذه الملكة على كـونها لازمة لادراك الوازع الاخلاقي ، وادراك أسبابه وعواقبه تستقل أحياناً بادراك الأمور فيما ليس له علاقة بالأوامر والنواهي . .

ثانياً : ان العقل يتأمل الأمر ، يدركه ويقلبه على وجوهه ، ويستخرج منه بواطنه وأسراره ، ويبين عليها نتائجها وأحكامه . .

ثالثاً : ومن أعلى خصائص العقل « الرشـد » . ووظيفة الرشـد فوق وظيفة العقل .

الوازع ، والعقل المدرك ، والعقل الحكيم . لأن الرشـد استيفاء لجميع هذه الوظائف ، وعليها مزيد من النسخ والتمام والتمييز . .

والعقل الذي يخاطبه الاسلام هو العقل الذي يعصم الضمير ، ويدرك الحقائق ويميز بين الأشياء ، ويوازن بين الأضداد ، ويتبصر المساوئ والنتائج ، ويتدبر ويحسن الادكار والرواية .

والاشارة الى العقل لا تأتي في القرآن الكريم عارضة ، ولا مقتضية في سياق آية ، بل هي تأتي في كل موضع ، مؤكدة باللفظ والدلالة . وتتكرر الاشارة الى العقل في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها الانسان على تحكيم عقله ، أو يلام فيها الفكر على اعمال عقله ولا يأتي تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة . بل هي تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها .

فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوازع ، ولا في العقل المدرك ولا في العقل الذي ينفط به التأمل الصادق ، والحكم الصحيح ، بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية ، كل ما يتسم له الذهن الانساني من خاصية أو وظيفة . .

فالعقل في مدلول لفظه العام : ملكة ينفط بها الوازع الاخلاقي أو المنع من المحظور والمنكر . . ومن خصائص العقل الانساني التي تميز بها :

وفى حادثة فيضان النيل بالاقليم
المصرى ، موضوعه علمية ، تدل
على نظافة الفكر الاسلامى ،
وطهارته . وذلك أنه كان الاعتقاد
السائد فى مصر قبل الفتح
الاسلامى : أن النيل لا يفيض
بمائه الا اذا القيت فيه فتاة حسنة
لتموت فيه غرقا . فلما حان
وقت ذلك . كتب الوالى عمرو
ابن العاص الى خليفة المسلمين عمر
ابن الخطاب ، فى المدينة المنورة ،
عاصمة الخلافة الاسلامية يخبره
ويستشير به فيما تعود عليه
المصريون . فأجابه عمر ، برسالة
رسالة يلقيها فى النيل ، وكان فى
الرسالة : « من عمر أمير المؤمنين
الى النيل . ان كنت تجرى من
عندك فلا حاجة لنا بك . وان كنت
تجرى بفضل الله ، فاللهم بارك
لنا » .

وبهذا قضى المسلمون على
اسطورة ليس لها واقع علمى
أو عقلى فى الحياة ...

وبالعقلية العلمية ، كانت علوم
المسلمين ، هى أساس الحضارة فى

ومن هذا المنطلق الاسلامى ،
تعمق العلماء المسلمون فى علوم
الحياة والحضارة الانسانية ،
يعقلية علمية ، فكان منهم نوابغ
الأطباء والفلكيين والرياضيين
والكيميائيين ، وأوائل من اكتشفوا
حقائق علمية فى مجالات كانت أول
المعالم على طريق الباحثين
والدارسين . . وكان العلماء
المسلمون ينظرون الى الكون
وما فيه : على أنه أمور موضوعة
للدراسة والبحث والانتفاع . .
ومن الحوادث الدالة على العقلية
العلمية الموسوعة فى الفكر
الاسلامى ، ما حدث مصادفة أن
كسفت الشمس يوم مات ابراهيم
ابن رسول الله صلى الله عليه
وسلم . فقال قوم : ان الشمس
كسفت لموت ابراهيم . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ان الشمس والقمر آيتان من
آيات الله لا ينكسفان لموت أحد
ولا لحياته » .

وهكذا يقرر الرسول الصادق
الأمين ، مبدأ علميا ، ظل أبد
الدهر ، هاديا الى طريق الرشاد .

الانسان من أصفاد الجهل وظلمته .. لان الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر ، ويطفىء نور القلوب ، ويعمي البصائر ، ويميت عناصر الحياة والقوة في الأفراد والجماعات والأمم .. ويفسد على الناس مناهج الاستقامة ، والسلوك المستقيم .. والجهل هو الذي يجعل النفوس مستعدة لقبول الزيف والبدع والأهواء والخرافات والأساطير ..

والدعامة الثانية في المنهج الاسلامي .. هي تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلي ، وسيطرة التبعية العمياء ، وتربيته تربية اسلامية ، تقوم على حرية الفكر ، واستقلال الارادة . ليكمل بذلك العقل ، ويستقيم التفكير ، وتكمل الشخصية الانسانية .. لان كمال العقل ، واستقامة التفكير ، أساس في صحة العقيدة وكمال التدين ومعرفة الحق الذي يجب أن يتبع ومعرفة الباطل الذي يجب أن يجتنب .

وقد عنى الاسلام ببناء تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلي

العصر الأول وأخذت الحركة العلمية تتدرج في أطوار مختلفة ، حتى فتح المسلمون نافذة واسعة أطلوا منها على حضارات العالم . وكان المسلمون يعرفون أسرار الاستقراء حتى المعرفة ، ويستقلون من المعلوم الى المجهول ، ويقومون بدراسة الظواهر ، دراسة دقيقة ، بقصد الانتقال من المعلوم الى العلة ..

ولما كان العقل في الاسلام له هذه العناية الفائقة من التقدير ، فقد اتخذ له الاسلام منهجا فريدا ، في تحريره ليظل العقل عاقلا ، والفكر راشدا .. وهذا المنهج الاسلامي يقوم على دعائم أساسية من شأنها حراسة العقل حتى لا يضل في المتاهات الفلسفية ..

ومن شأنها أيضا ترشيد الفكر ، حتى يعمل في ميادين الخير ، وما يفيد المجتمع الاسلامي والانساني .

وأول دعامة في المنهج الاسلامي في تحرير العقل والفكر هي تحرير

تعالى في سورة القصص : « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين » الآية ٥٠

وعن عبد الله بن عمر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ٥٥

قال الحافظ الأمام ابن حجر : ان الانسان لا يكون مؤمنا كل الايمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الاوامر والنواهي وغيرها فيجب ما أمر به ، ويكره ما نهى عنه ٥٥

واذا كان من شأن هذا المنهج الاسلامي أن يطهر العقل ، ويقوم الفكر ويسير به في الطريق المستقيم ٥٥ فان الاسلام اتبع ذلك بمبادئ هيمة ، من شأنها أن تصل بالناس الى طريق الحق والهدى والخير والسلام ٥٥

أولا : ان النساس في الفهم والتفكير وادراك حقائق الأشياء

عناية كبرى فجعل البرهان أساس الايمان الصحيح . وبين أن كل اعتقاد أو عمل لا يقوم على دلائل الحق فهو مردود ، وانذر الذين يجادلون في الله بغير علم ولا كتاب ، قال تعالى في سورة الحج .

« ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثلثي عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق » . الآيتان ٨ ، ٩

والدعامة الثالثة في المنهج الاسلامي ٥٥ تحرير الانسان من طاعة الأهواء والانقياد الاعمى لمغرياتها ٥٥ لان طاعة الاهواء من أقوى عوامل انحراف الانسان في سلوكه والتوائه في نظره وتفكيره ، وهؤلاء الذين يطيمنون الاهواء لا يستقيم لهم رأى ، ولا تعتدل لديهم موازين ، ولا يخضعون لحق ليس في جانبهم ٥٥

ولهذا عنى الاسلام بتحذير الناس من اتباع الهوى ، ونهى عليهم ضلالهم وانحرافهم ، فقال

وقال تعالى في سورة ق : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج • والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج • تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » •

الآيات ٨ ، ٧ ، ٦

وهناك كثير من الآيات التي تدعو الى التفكير والنظر في السموات والأرض وما خلق الله فيهما • • ليصل الانسان الى الايمان بالله ، فيرتقى الى السمو والكمال • •

والانسان بدون ايمان بالله لا قيمة له ولا اعتبار • • ولهذا نرى المجتمعات المادية واللاحادية ، تساق كما تساق السائمة • •

ويسوقها قطع من الذئاب البشرية • وقد حرمت هذه المجتمعات من التفكير والنظر ، ولم يعد لأفرادها أى شأن • •

ثانياً : لم يكف الاسلام بتوجيه الناس الى النظر والتفكير والتدبر • بل استنهض العقول ووجه

لن يكونوا متماثلين • ولا متشابهين • • لان الناس على درجات مختلفة ، ومراتب متباينة • • فهناك فريق من الناس قد لا تهى له حالاته والظروف المحيطة به الا شذرات من المعرفة • • وثمة فريق آخر لم تعد وراثته الا للسطح من الأشياء وكم من الناس من قصرته البيئـة على القشور من الحقائق ، وكم من الناس من حصرته التربية في دائرة ضيقة من المراتب • • وهناك من سجنته الخرافات والأساطير • • ومن الناس من جرفه تيار المادة ، فلم يعد يرى الأشياء الا بمنظار مادي • • لهذا طالب الاسلام مختلف المستويات الانسانية بالنظر والنامل والتفكير في ملكوت السموات والأرض • •

قال تعالى في سورة الفاتحة : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت • والى السماء كيف رفعت • والى الجبال كيف نصبت • والى الارض كيف سطحت » •

الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

« فبشر عباد الذين يستمعون
القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين
هداهم الله وأولئك هم أولوا
الآلئاب » ..

ختم الآية ١٧ والآية ١٨

وهكذا نرى أن الاسلام قد
عمل على تطهير النفوس من
الاغراض الخفية والأهواء الدفينة
.. لأن ذلك من أكبر العوامل في
اعتدال النظر واستقامة التفكير .
ومن هنا كانت حملة الاسلام
شديدة على الذين لا يستعملون
عقولهم ، وما وهب الله لهم من
قدرات ذهنية .. ضاربين في بيداء
الضلال، ومنقادين وراء سراب كل
انبدع والاهواء .

وإذا كان الاسلام يدعو الى
تحرير الانسان من أصفاد الجهل
واغلال الحجر العقلي وسيطرة
التبعية العمياء - كما عرفنا في
دعائم المنهج الاسلامي في تحرير
العقل - فإن ذلك يعنى أن التقليد
الذى ذمه الاسلام ، هو التقليد
الذى لا يميز بين الخير والشر
وتقليد أهل الغواية والضلال .
أما تقليد أهل الحق من الأئمة

الافهام ، وأيقظ الحواس ، ونبيه
المشاعر ، وذلك بالتعقب على بيان
الآيات الكونية والتشريعية
والاجتماعية بمثل قوله تعالى في
سورة الرعد : « أن في ذلك لآيات
لقوم يعقلون » .

ختم الآية ٤

وقوله تعالى في سورة الرعد
الآية ٣ وسورة الزمر الآية ٤٢
رسورة الجاثية الآية ١٣ « أن في
ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

وقوله تعالى في سورة طه : « أن
في ذلك لآيات لأولى النهى »
ختم الآية ٥٤

وقوله تعالى في سورة يونس :
« أن في ذلك لآيات لقوم يسمعون »
الآية ٦٧

وقوله تعالى في سورة الرعد :
« إنما يتذكر أولوا الآلئاب » .

الآية ١٩

ثالثا : بشر الاسلام الذين
يستمعون القول فينظرون اليه نظر
البصير ، ويتبعون منه ما يدل على
الحق ، ويهتدي الى الرشيد ..
كما قال تعالى في سورة الزمر :

سمعية ، أو رؤية بصرية ، أو براهين عقلية ، وهي طرق الاستدلال التي تنحصر في العقليات والسمعيات والمحسوسات .

لهذا كله أقبل المسلمون على العلم ينشدونه في مظانه ، ووجهوا عزائمهم على الفكر الأصيل ، القائمة على توجيهات الاسلام .

واننا نجدهم اهتموا بشئ واحد وعرفوا شيئاً واحداً ، هو الاسلام والفكر الاسلامي . فانتبهوا الى آيات الله التشريعية ، وآيات الله الكونية . وآيات الله الاجتماعية وآيات الله العلمية والعقلية والحضارية . ولم يشغلهم عن ذلك ترف الحضارة ، ولم يشغلهم عنهم بأساء الحياة . وأقاموا الحضارة الاسلامية التي تخطت مراحل النهوض في تاريخ النهوض والامم .

واستطاعوا في سرعة لم يعمد لها مثيل في التاريخ أن ينتقلوا من أمة الامية الى أمة العلم والقيادة الفكرية وأن يصبحوا أساتذة العلم والعالم ، وقادة الفكر والرأى ، ورواد المعرفة والحضارة .

والدعاة الذين استمدوا علومهم من القرآن الكريم والسنة المطهرة . . فهو من قبيل القدوة الواعية .

وحرية الفكر التي دعا اليها الاسلام هي الحرية التي تطلق العقول والامهام من اغلال الحجر العقلي ، والكبت الفكري ، وتجلى معالم الحقائق ، وتجعل قيادة التوجيه . قيادة بناء واصلاح وارشاد . . تستمد مقوماتها من هدى الاسلام وتعاليمه وتوجيهاته .

وطريق الفكر قد حدده الاسلام بالقرآن والسنة فيما يتعلق بالقضايا الاساسية والاعتقادية في حياة الناس . . أما ما سوى ذلك فانه يمكن أن يؤخذ عن طريق الحواس والتجربة والعقل الذي يزن كل معطيات الحواس . . ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا الطريق بقوله تعالى في سورة الاسراء : « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » الآية ٣٦ .

وهذه الآية تنهى عن اتباع ما لم يقم به علم يستند الى حجة

سورة الرعد : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » الآية ٢٨ والايمان بالله قوة دافعة ، تمنع الضعيف أن يسقط ، وتمسك الغوى أن يجمع ، وتمنع الغالب أن يطغى ويفجر ، وتمنع المظلوم أن ييأس . وهو يملأ النفوس بالفضائل ويزكيها ويقوم الضعفاء ، ويسدد العزائم ، وعماده الرضا والقناعة ، ونور الامل في الصدور . ولهذا كرر رب العزة ، النداء في القرآن الكريم بصيغة « يا أيها الذين آمنوا » وخطاب المؤمنين بالذين آمنوا هو أمثل أنواع الخطاب ، ابانة لحقيقتهم هذا إلى ما ينطوى عليه من الدلالة على سموهم وفضلهم .

وفي النداء يا أيها الذين آمنوا زيادة ايناس وتكريم ، لأن أحب شيء إلى الانسان هو أن تتناديه بما يدل على سموه ، والله سبحانه وتعالى بهذا النداء ، يشعر المؤمنين بأنه يخاطب أقرب الاشياء منهم إليه . وما في الانسان شيء أقرب إلى الله من الايمان به .

وبحثوا ، ودرسوا ، وأصاموا وجددوا ، وابتكروا ، فكان ذلك الفتاج الحضارى الاصيل . وقد حققوا ذلك على الرغم من الاحداث الباعية التي حملوا أعباءها والحروب الطاحنة التي خاضوا غمارها .

لان الاحداث والخطوب ، وان بلغت ما بلغت ، لا تستطيع أن تقف في طريق العقائد التي انطوت عليها القلوب ، ولا أن تمنع العزائم القوية من الوصول إلى أغراضها وأهدافها . ولعلنا لا نكون مجانبين للصواب أن نقول انه لاون مرة في تاريخ الانسانية ترى الدنيا هذه الخطوة الجبارة .

وقد تميزت الحضارة الاسلامية بخصائص جعلتها فريدة في التاريخ وفريدة في تحقيق ما يسعد الانسانية . وهذى الخصائص والمميزات نجملها في النقاط التالية :

أولا : الايمان بالله سبحانه وتعالى ، وافراده بالعبادة والتعظيم والايمان بالله هو الدافع الاساسى للقيم الحضارية ، قال تعالى في

وتعطي كل مطمح من مطامح
الإنسان معناه الذاتي وسيره
الطبيعي .

والاسلام فيها : عقيدة استعلاء
بيعت في روح المؤمن الاحساس
بالعزة من غير كبر ، وروح الثقة
في غير اعتزاز ، والشهور
بالاطمئنان من غير تواكل .
وأثر الايمان يبرز بوضوح في
الحضارة الاسلامية التي غيرت
وجه التاريخ .

ثانياً :

ومن الخصائص البارزة للحضارة
الاسلامية ، انها تقوم على خلوص
النية ، ونقاء الضمير ، والتمسك
بقيم الخير والحق ، والتزام
الآداب الفردية والاجتماعية .

ومن هذا المنطلق كانت الاخلاق
هي الارادة المنفذة ، والضمير
الموجه . وجملة ما يراد أن يقال أن
الاخلاق التي جاء بها القرآن شملت
الحياة كلها من التعاون ، والمودة ،
والعفة ، والرحمة ، والاحساس ،
والصدق ، والاخلاص ، والاستقامة
والنظافة ، والنظام ، والاصلاح ،

والله حينما يتوجه الى المؤمنين
من خلال ايمانهم ، فسيكون التالي
تعليمها بموجبات هذا الايمان ،
وحثاً على القيام بها ، في أي شأن
من الشئون ، وفي أي درب من
دروب الحياة . . وقد ذكر الله
سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في
القرآن الكريم بهذا النداء « يا ايها
الذين آمنوا . . » في ثلاثة وثمانين
موضعا . . والآيات الثلاث
والثمانون في جملتها ، تبين أن
الاسلام قد انطوى على طاقة
روحية فعالة ، جعلت منه قوة
هائلة .

بل انفاعلية الاسلام شملت
حياة المسلمين في جميع جوانب
الحياة . . وهذه الايات كانت
وما زالت أصلاً جفرياً يمس أساس
الامور في حياة الناس . .
والاسلام فيها يراعى حاجة
الانسانية ومصالحها الحيوية ، في
حدود الحق والفضيلة والعدل . .
والاسلام فيها وليد العقيدة التي
تطهر النفس ، وتذكى القلب ،
وتربي الخلق وتغذي العقل ،
وتوقف الغريزة عند حدها . .

واحترام الملكية الفردية ، وفلسفة الاقتصاد الاسلامي ، تستهدف مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة والموازنة والموازنة بينهما ، وتحدد أهداف النشاط الاقتصادي وفقا لمبادئ الاسلام ، وتقرر فيوضوح أن الانسان خليفة الله في الارض وبمقتضى هذه الخلافة صار مسئولا عن المال من أين اكتسبه وفيما أنفقه ومن هذا المنطلق الاسلامي كان الاقتصاد في الاسلام متميزا عما عداه من المذاهب الاقتصادية بسياسة لا تركز على الفرد شأن الاقتصاد الرأسمالي ، ولا على المجتمع شأن الاقتصاد الاشتراكي فان الاقتصاد الرأسمالي يقوم على المنافسة الدنيئة ، والمزاومة ، والمصلحة الشخصية والمنفعة الذاتية والحرية المطلقة ... والاقتصاد الاشتراكي يقوم على حيوانية الانسان ، وقتل غريزة التملك ، وواد كل القيم والفضائل الانسانية أما الاقتصاد الاسلامي فيقوم على رعاية الفرد ، ورعاية المجتمع ، وتضم هذه الفلسفة المتميزة في اطارها مطالب المادة ، ومشاعر

والاخاء ، والعفو ، والصبر ، والثبات ، والشجاعة ، وحسن الضيافة ، والتضامن ، والتكامل ، والطهر ، والعفو ، والحب ، والشكر ، والتسامح ، والسلام . ولم يكف القرآن بهذا بل تأكيذا لتهديب الاخلاق وضبط السلوك نهى عن : الاعتداء والمدوان ، والبهتان ، والظلم ، والاختيال ، والبخل والعصب واللمز ، والاثرة والحسد ، والنفاق ، والخداع ، والاسراف ، والمسافحة ، والغش وقتل النفس ، ولغو الحديث ، والكذب وشهادة الزور ، والبطر ، والجبن والخلاعة ، والميوعة ، والابتذال ، والارتخاس ، والنميمة والسرقة ، والخمر والميسر ، والخيانة ، والخصومة ، والسخرية والتنازع بالالقاء ، والتدابير ، والتباغض ، ورسالة الاخلاق في الاسلام اعلاء كلمة الحق ، واقامة ميزان العدل في الخلق .

ثالثا :

وفي الاقتصاد تقوم الحضارة الاسلامية على تبادل المنافع ، واتخاذ المال وسيلة لا غاية ،

الروح ، ومكارم الاخلاق .. وف **والعدل** .
 سبيل هذا الاطار الاقتصادي ولقد كانت الامة الاسلامية
 المتميز حرم الله الربا ، والغش ، تزدهر بالعلم والحضارة شرقا
 والسرقة ، وأكل أموال الناس وغربا ، وتنتشر فيها أرقى
 بالباطل . الصناعات على اختلافها ، وماتركه
 وقد أثبت التاريخ أن الذين المسلمون من تراث علمي ، لاكبر
 تربوا في مدارس القرآن ، هم شاهد على ذلك .
 وحدهم الذين صلحت بهم الحياة واعتدل في أيديهم ميزان الحق ،
 أحمد عبد الرحيم السايح

(رجاء الى كتاب مجلة الأزهر)

تسهلا لعمليات المراجعة : يرجى من السادة كتاب
 المجلة : التكرم بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة
 (الترابرايتير) ثم مراجعتها - أو كتابتها بخط واضح
 مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية ، وتخريج الأحاديث
 النبوية - والله الموفق .

من سماحة الاسلام في معاملة غير المسلمين

مستشار محمد عزت الطرطاوي

لم تعرف اليهودية السماحة في
معاملة خصومها في العقيدة ويشير
الى ذلك العهد القديم من الكتاب
المقدس (وهو كتاب اليهود الأول)
طبقا لما يلي :

١ - ورد بسفر التثنية في
الاصحاح العشرين من عدد ١٠ -
١٤ قوله (حين تقرب من مدينة
لتحاربها استدعها الى الصلح فان
اجابتك الى الصلح وفتحت لك
فكل الشعب الموجود فيها يكون
لك للتسخير ويستعبد لك - وان
لم تسالملك بل عملت معك حربا
فحاصرها - واذا دفعها السرب
الهك الى يدك فأضرب ذكورها يحد
السيف - وأما النساء والأطفال
والبهائم وكل ما في المدينة كل
غنيمتها فتأمتها لنفسك وتأكل

من المؤلف حقا أن شرذمة من
أعداء الاسلام وصفت المسلمين
بالتعصب دون برهان أو دليل بل
تجنيا وجهالة وكيدا وحقدا منهم
على الاسلام وأتباعه من
المسلمين .

وما من شك في أن الاسلام
ونحن ندين به يقتضينا أن نرد
عنه كيد هؤلاء الحاقدين فنكتشف
ولو عن شيء من سماحته وكرمه
مع المخالفين له في العقيدة والدين
وقبل أن نبين كيف كانت سماحة
الاسلام نشير الى شيء من أحوال
الأمم التي سبقتها من اليهود
والرومان مع مخالفيهم في الدين
والعقيدة .

كيف كانت علاقة اليهود مع
خصومهم في العقيدة ؟

عنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهك — هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا .

وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما (٥٥) .

٢ — وقد قتل سبط لاوى أحد شعوب إسرائيل بعضا من بني عمومتهم قدر بنحو ثلاثة آلاف رجل يشير الى ذلك سفر الخروج في الاصحاح ٣٢ عدد ٢٦ — ٢٨ في قوله (وقف موسى في باب المحلة وقال من الرب غالى فاجتمع اليه جميع بني لاوى فقال لهم هكذا قال الرب اله اسرائيل ضموا كل واحد سيفه على فخذيه ومروا وارجموا من باب الى باب في المحلة واقتلوا كل واحد احاء وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل) .

٣ — وينسبون الى موسى عليه

السلام أنه أرسل اثني عشر ألف رجل من اليهود لمحاربة أهل مدين فلما انتصر اليهود عليهم قتلوا كل ذكر منهم وكذا خمسة ملوك وسبوا نساءهم وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار — وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم وأتوا الى موسى عليه السلام لكنه على حد زعمهم سخط منهم لأنهم أبقوا الاناث النقيات والأطفال الذكور ثم أمرهم بقتل كل طفل ذكر وكل امرأة سبق لها الزواج — وأن يبقوا فقط على البنات الأبتكار وكل ذلك مسطور بتفصيله في الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر العدد من ١ الى ١٩ .

٤ — ويذكرون عن داود عليه السلام أنه عند حربه لأعدائه لم يستبق منهم رجلا ولا امرأة واستولى على غنمهم وأبقارهم وحميرهم وجمالهم وثيابهم وقد ورد ذلك في الاصحاح السابع

تحركهم للاستقلال فقد أحرقوا
هيكل عبادتهم المنسوب الى نبي
الله سليمان عليه السلام ودمروا
مدينة اورشليم (القدس) على
من فيها من اليهود سنة ٧٠ م على
يد الامبراطور تيطس الرومانى.

٢ - وفي سنة ١٣٥ ميلادية قام
الامبراطور الرومانى اوريانوس
بازالة معالم مدينة اورشليم
(القدس) كما أزال معالم هيكل
عبادتهم تماما اذ حصرث الأرض
وسواها وزرعها وطارده اليهود في
تلك المدينة ما بين قتل وتشريد فلم
يبق بها يهودى واحد ورحل من
استطاع الهرب منهم الى مصر
وشمالى أفريقيا واسبانيا وأوربا.
وأقام ذلك الامبراطور الرومانى
مسكان الهيكل اليهودى
هيكلا وثنيا باسم (جوبيتر) رب
الآلهة عند الرومان وأكره - من
بقى من اليهود على عبادة
الامبراطور

٣ - ولما اعتنقت الدولة

الرومانية ملة النصرانية عملت على
فرض النصرانية على اليهود وفي

روالعشرين من سفر صموئيل الأول
عدد ٩ ٠

٥ - كما ينسبون الى داود
أيضا أنه كان يمثل بمن يحاربهم
تمثيلا شنيعا ففي احدى مدن
فلسطين وكانت تدعى فى الماضى
مدينه رية (أخرج الشعب الذى فيها
ووضعهم تحت مناشير ونوارج
حديد وفئوس حديد وأمرهم في
أتون الاجر - أى أحرقتهم -
وهكذا صنع بجميع مدن بنى
عمون - وقد وردت هذه الواقعة
في الامصحاح الثانى عشر من سفر
صموئيل الثانى عدد ٣١ ٠

كيف كانت علاقة الدولة
الرومانية مع المخالفين لها في
العقيدة والمذهب ؟

لما كانت الدولة الرومانية تدين
بالوثنية استعملت شتى صنوف
المسف والاضطهاد للمخالفين لها في
العقيدة من رعاياها الذين تحتل
أرضهم وبلادهم طبقا لما يلي - :

١ - دأب أباطرة الرومان على
التنكيل باليهود خصوصا عند

عهد الامبراطور فوقاس (سنة ٢٥٠ م •

٦٠٢ - سنة ٦١٠) طردهم من وظائف الدولة بالاسكندرية وأمر بتعميدهم خرها وقتل من يرفض التعميد منهم •

٤ - وفي عهد الامبراطور هرقل (سنة ٦١٠ - سنة ٦٤١) أسهم اليهود في نصره على سلفه الامبراطور فوقاس وترقبوا أن يكافئهم بتركهم أحرارا في عقيدتهم فإذا هو أنكى وأقسى عليهم فقتل نكت يمهده الذي أعطاه لليهود وقتل منهم عددا كبيرا جدا بمصر وبلاد الشام حتى لم يبق منهم الا من ساعده الحظ بالفرار أو الاختفاء •

٥ - ولم يسلم النصارى من ظلم وعسفحكام الدولة الرومانية وكان من هؤلاء بعض المصريين فنكلت بهم سلطات الدولة حتى لقد سمالت حماء هؤلاء المصريين بشوارع الاسكندرية سنة ٢٥٢ م ونفت الدولة كثيرا منهم وقتلت آخرين بالسيف أو أحرقتهم بالنار أو الذبح قربانا لآلهة الوثنية سنة

٦ - ولما تولى الامبراطور دقلديانوس عرش الدولة نكس ذلك الامبراطور بأقباط مصر سنة ٣٠٤ م فنفى بعضا منهم وألقى بعضهم للوحوش الضارية في حلقة الألعاب على مشهد من النظارة الوثنيين - وطوح في السجون بالآلاف منهم - وهدم كنائسهم ولقد بلغ عدد الذين قتلوا في عهده نحو (١٤٠) مائة وأربعون ألفا أكثرهم من أقباط مصر - ومازال الأقباط المصريون يذكرون هذا العهد الأسود ويسمونه عصر الشهداء ويتخذونه مبدءا للتقويم القبطى - ويبدعونه بحكم الامبراطور دقلديانوس سنة ٢٨٤١ ميلادية •

٧ - وحتى لما دانت الدولة الرومانية بملة النصرانية لم يسلم أقباط مصر من ظلمهم واعنائتهم الوحشى لكنهم اصطلوا في العهد النصرانى للدولة بمثل ما كانوا يصلونه في عهدها الوثنى ذلك أن كنيسة بيزنطة اعتنقت المذهب

عشر سنين ولم يخرج من المكان الذي احتفى فيه الا عندما جاء العرب بقيادة عمرو بن العاص وطردوا الرومان من مصر فرحب به وأعاده الى كرسيه في بطريركية الاسكندرية آمنا على نفسه وأتباعه من الأقباط .

١٠ - والطوائف النصرانية في مصر كانت تتقاتل فيما بينها قبل الفتح العربي وبعد ذلك أن البطريرك (نيسودوسيوس) الملكاني المذهب والذي كان رئيسا لطائفة « الاروام » الحلقورينيين بمصر كان شديد الكراهية للأنبا (أغاثوا) بطريرك الأقباط الارثوذكس لأن الأول كان يريد أن يحتل مكانه على نصارى مصر جميعا فلما عجز عن تحقيق ما يريد حصل على اذن من يزيد بن معاوية بالولاية على نصارى الاسكندرية وهريوط - وبلغ من كراهيته للأقباط ولبطريقتهم (أغاثوا) أن أمر أتباعه بأن يرحموا الأنبا أغاثوا بالحجارة حتى يقتلوه وتمهد لهم بأنه هو الذي يجيب عنهم في يوم الدينونة .

الملكى الذي يقوم على أن للمسيح طبيعتين الهية وبشرية بينما كانت كنيسة الاسكندرية تعتق مذهب الطبيعة الواحدة أى أن المسيح له طبيعة واحدة .

ولقد حاولت سلطات الدولة الرسمية فرض مذهبها الملكى على أقباط مصر لكنهم رفضوا وأصرروا على الاستمسك بمذهبهم فنكلت بهم الدولة وسامتهم صنوف القسوة والعذاب .

٨ - لما تولى الامبراطور فوقاس (سنة ٦٠٢ - سنة ٦١٠م) أمر بعزل الأقباط من دواوين الحكومة وأن يجبروا على طاعة كنيسة القسطنطينية .

٩ - ولما خلفه الامبراطور هرقل (٦١٠ - ٦٤١ م) اشتد نزاع الأقباط مع سلطات الدولة ورمى كل فريق خصمه بتهمة الكفر والخيانة فزادت الدولة من غلوائها في اضطهاد الأقباط حتى لقد خشى بنيامين بطريرك الاسكندرية على نفسه فاختفى عن عيون الدولة مدة

ولو كان الميراث بوصية اختيارية
أو بغير وصية •

وبهذا أصبح المخالف للكنيسة
الرسمية منبوذا من المجتمع
واستحل النظام الكنسي الى
عسف ثقيل وظلم كبير وكان من
نتيجة ذلك أن انفجرت الثورة ضد
الدولة وضد الكنيسة معا ولم تنته
حتى قدمت من المضحايا عددا قدر
بخمسة وثلاثين ألفا من القتلى •

وبسبب هذا الظلم وتلك القسوة
المتناهية صاغ جماعة المتذمرين
احتجاجا قويا أعلنوه قائلين (لقد
فقد العدل من الدنيا ولن يعود -
أما نحن فسنعود بل سوف نعود
الى الوثنية الاغريقية) •

كيف عامل المسلمون خصومهم
في العقيدة والدين :

بادئ ذي بدء فان المسلمين
يدينون بما قضى به الله سبحانه
وتعالى لحكمة يعلمها بأن يكون
للناس مختلفين في عقائدهم
وأهدافهم وقدرهم العقلية فالذى
يريد الناس على الاتفاق في كل

١١ - ولقد لقي سكان
الامبراطورية البيزنطية مثل مالقي
سكان مصر من ظلم وعسف
الامبراطور جستنيان الأول - فقد
كان شديد القسوة في معاملة من
يدينون بمذهب منابر لمذهب
الكنيسة الملائكية وتوجز آراؤه عن
الحكومة في عبارة موجزة هي
(حكومة واحدة وقانون واحد
وكنيسة واحدة) ويذكر التاريخ
أنه قتل من أقباط مصر في مدينة
الاسكندرية وحدها نحو مائتى
ألف ، مما اضطر كثيرين منهم
الى الالتجاء الى الصحراء •

وعلى الرغم من أن مخالفي
مذهب الكنيسة الرسمية كانوا من
رعية الدولة - وكانوا يؤدون ما
يؤديه المواطنون من ضرائب
وواجبات فقد حرم عليهم التمتع
بالحقوق التي يتمتع بها أتباع
الكنيسة الرسمية فحرم عليهم
الاشتغال بالمهن الحرة - وأمر
بهدم كنائسهم - وأمر بالآلا
الاجتماعات العامة - وأمر بالآلا
تقبل شهادتهم القانونية وبأن
تصير وصاياهم باطلية وآلا يرثوا

ومن أجل ذلك أمر الله سبحانه المسلمين بالدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وبالجدل الذي لا يعقب فرقه ولا خصومة..
قال تعالى :

١ - (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)
سورة الكهف ٢٩ .

٢ - (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) سورة البقرة ٢٥٦ .

٣ - (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن) سورة المنكوت ٤٦ .

ولقد صدع المسلمون بما أمرهم ربهم فلم يسلكوا ما سلكه غيرهم من اتباع الديانات الأخرى ياكراه مخالفهم في دينهم على عقيدتهم أو اضطهادهم في أوطانهم وحریاتهم وأراقاتهم بل بالدعوة الى الله بالصنى والرفق وفي ذلك يقول الله تعالى :

١ - (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم

شىء منا هض لقضاء الخالق سبحانه - يقول جلت كلماته :

١ - (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين ، الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) سورة هود ١١٨ ، ١١٩
ويقول سبحانه :

٢ - (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) سورة يونس ٩٩ .

كما يدين المسلمون بأن السعيد هو من شرح الله صدره للإسلام واذا فمن غير المستساغ أن يقوم المسلمون ياكراه مخالفهم على اعتناق الاسلام .. قال تعالى :

١ - (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) سورة الانعام ١٢٥ .

٢ - (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام - ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) سورة الانعام ١٢٥ .

والاحسان ولو كانا مشركين يقول تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك الى المصير - وان جهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) سورة لقمان ١٤ ، ١٥ •

٢ - كما رعب القرآن في البر والاقساط الى المخالفين الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين (لا ينهلكهم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يهب المفسطين) سورة المتحنة ٨ •

٣ - ويصف القرآن الأبرار من عباد الله فيقول (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسرا) سورة الانسان ٨ ولم يكن الأسير حين فزلت هذه الآية من المسلمين بل كان من المشركين •

كيف كانت سماحة النبي صلى

بالتى هي احسن) سورة النحل ١٢٥ •

٢ - (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال اننى من المسلمين) سورة فصلت ٣٣ •

٢ - (فذكر انما انت مذكر - لست عليهم بمسيطر) سورة الناشية ٢١ - ٢٢ •

لذلك راعى المسلمون روح السماحة التي تيدو في حسن المعاشرة ولطف المعاملة ورعاية الجوار وسعة المشاعر الانسانية من البر والرحمة والاحسان وهي الأمور التي تحتاج اليها الحياة اليومية ولا يغنى فيها قانون ولا قضاء وهذه الروح لا تكاد توجد في غير المجتمع الاسلامى •

تتجلى هذه السماحة في تلك المثل العالية التي ذكرها القرآن الكريم طبقاً لما يلي :

١ - رغب القرآن الكريم في مصاحبة الوالدين بالرفق حتى

الله عليه وسلم في معاملة غير المسلمين :

يحسنوا اليهم فكانوا يفصلونهم على أنفسهم في طعامهم .

١ - أمر الله سبحانه رسوله أن يجير المشرك إذا لجأ اليه واحتفى بجواره يقول جلت كلماته (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) سورة التوبة ٦ .

٤ - وأشير عليه أن يمثل بسهيل بن عمرو أحد المخرضين على محاربة المسلمين بأن ينزع ثيبيه السفلتين فلا يستطيع الخطابة مرفض النبي صلى الله عليه وسلم وقال (لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبيا) .

٥ - ولما فتح مكة قال لقريش (ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟) قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء لا نثريب عليكم اليوم يغفر الله لى ولكم) .

٦ - وفي غزوة بنى المصطلق أطلق سراح أسراهم بعد أن نصره الله عليهم .

٢ - أمر الله النبي والمسلمين بأن يفوا بمهودهم إن عاهدوهم سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من المشركين يقول تعالى (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا) سورة الاسراء ٣٤ ويقول (إلا الذين عاهدتهم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فاتموا اليهم عهدهم إلى مدينتهم إن الله يحب المتقين) سورة التوبة ٤ .

٣ - عامل الرسول صلى الله عليه وسلم أسرى بدر معاملة حسنة ذلك أنه وزع الأسارى السبعين على أصحابه وأمرهم أن

بغير طيب نفس فأنا حبيجه يوم
القيامة) رواه الدارمي *

(ب) أمر ألا يجبر أحد من
النصارى أو اليهود على ترك دينه
فقد كتب إلى عامل له في اليمن
(من كان على يهودية أو نصرانية
فلا يفتن عنها) *

١٠ - عقد النبي صلى الله عليه
وسلم معاهدة مع قبيلة تغلب
سنة ٩ هجرية وكان الإسلام قد
قوى ودانت جزيرة العرب أباح
لهم فيها البقاء على نصرانيتهم *

١١ - صالح نصارى نجران
وتركهم أحراراً في محافظتهم على
دينهم *

١٢ - وجه عماله إلى اليمن
لأخذ الجزية ممن أقام على
نصرانيته *

١٣ - كان المجوس منبئين في
بقاع شتى من جزيرة العرب -
منهم مجوس نجران وهجر وعمان
والبحرين وهؤلاء جميعاً بقوا على
دينهم ودفعوا الجزية كما دفع

٧ - وفي غزوة خيبر حيث
استحمرتها بعض قبائل من اليهود
نكثوا عهدهم مع المسلمين
وحرصوا المشركين العرب على
حرب النبي صلى الله عليه وسلم
والمسلمين بل وانضموا إلى
المشركين في حربهم - ومع ذلك
فبعد انتصار المسلمين عليهم منهم
من أن يدخلوا بيتاً من بيوت اليهود
ألا باذنه ونهاهم أن يضربوا نساء
اليهود أو يعتدوا على أثمارهم *

٨ - وقد روى محمد بن
الحسن صاحب أبي حنيفة أن
النبي صلى الله عليه وسلم بعث
إلى أهل مكة مالا لما قحطوا ليوزع
على فقرائهم على الرغم مما قاساه
هو وأصحابه من أهل مكة من أذى
قبل الهجرة وحرب منهم بعدها *

٩ - ولقد خص النبي صلى
الله عليه وسلم على التسامح
وحببه إلى المسلمين للمخالفين لهم
في العقيدة بقوله وبفعله *

(أ) يقول عليه الصلاة والسلام
(من ظلم مهادداً أو انتقصه أو
كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً

وصوامعهم وقال له (لا تخونوا
ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا
ولا تقتلوا طفلا ولا شبيها
ولا امرأة ولا تمقروا نخلا وتحرقوه
ولا تقطعوا شجرة مثمرة —
ولا تذبخوا شاة ولا بعيرا الا للاكل
— واذا مررتهم بقوم فرغوا أنفسهم
في الصوامع فدعوهم وما فرغوا
لأنفسهم له) .

٢ — وفي زمن خلافته عاهد
خالد بن الوليد أهل الحيرة على
الا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة
ولا قصرًا يتحصنون فيه — وعلى
الا يعضوا من ضرب نواقيسهم
أو اخراج الصليبان في يوم عيدهم
— على الا يعينوا كافرين على مسلم
— والا يتجسسوا للكفار على
المسلمين — ونص في هذه المعاهدة
على أن الجزية يعفى منها الشيخ
الذي عجز عن العمل أو أصابته
عاهة أو كان غنيا فافتقر وصار أهل
دينه يتصدقون عليه وليس ذلك
فحسب بل يعال هو وأولاده من
بيت مال المسلمين ما أقام بدار
الاسلام .

الجزية من بقى من اليهود على
دينه في الجزيرة العربية .

١٤ — وكان عليه الصلاة
والسلام يحضر ولائم أهل الكتاب
ويغشى مجالسهم ويواسيهم في
مصائبهم ويعاملهم بكل أنواع
المعاملات التي يتبادلها أهل المجتمع
الواحد الذين يشغلون مكانا
مشتركا — كما كان يعود مرضاهم .

١٥ — كما روى أبو عبيد في
الأموال عن سعيد بن المسيب أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
تصدق بصدقة على أهل بيت من
اليهود فهي تجري عليهم .
صور من سعادة الصديق
أبي بكر زمن خلافته :

١ — لما أنفذ أبو بكر الصديق
رضي الله عنه جيش أسامة بن زيد
الى بلاد الشام بعد وفاة النبي
صلى الله عليه وسلم وأثر توليه
الخلافة أوصاه بالوفاء لمن يعاهدهم
وبالرحمة في الحرب — وبالمحافظة
على أموال الناس — وأن يترك
الرهبان أحرارا في ديارهم

صور من سماحة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب :

١ — كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه على شدة مع المسلمين — رفيقا بأهل الكتاب فقد نصح سعد بن أبي وقاص لما أرسله الى حرب الفرس بأن يبعد معسكره عن قرى أهل الصلح والذمة حتى لا يصابوا بشرور الحرب وألا يسمح لأحد من أصحابه بدخولها الا اذا كان على ثقة من دينه وحسن خلقه وأوصاه ألا يأخذ من أهلها شيئا لأن لهم حرمة وذمة يجب على المسلمين الوفاء بها — وحذره من أن تضطره حرب أعدائه الى ظلم الذين صالحوه .

٢ — أوصى أبا عبيدة بن الجراح بقوله (وامنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم وأكل أموالهم الا بحقها ووف لهم بشرطهم الذى شرطت لهم فى جميع ما أعطيتهم) فحقق أبو عبيدة ما أراد عمر وعاهد أهل الشام معاهدة سمحة .

٣ — وأعطى عمر رضى الله عنه

أهل ايلياء أمانا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وألا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها وأنهم لا يضطهدون بسبب نصرانيتهم — ولا يضار أحد منهم ولا يكرهون على دينهم ولا يسكن بايلياء أحد معهم من اليهود وعلى أن أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن — وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا أمانهم ومن أقام منهم آمن — وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن أحب من أهل ايلياء أن يسيروا بأنفسهم وأموالهم الى الروم ويخلوا بينهم وصلبانهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا أمانهم .

٤ — وكتب عمر رضى الله عنه لأهل اللد أمانا مثل الامان السابق بيانه .

٥ — ولما حانت الصلاة وهو فى كنيسة القيامة عندما كان ببلاد

والبقاء على دينهم فمن اختار منهم الاسلام فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم — ومن اختار دين قومه وضع عليه الجزية ما يوضع على أهل دينه •

٨ — ولما حضرت الوفاة عمر بن الخطاب اثر طعنة بمعرفة المجوسى أبى لؤلؤة أوصى الخليفة من بعده وهو يـجـود بروحه برعاية أهل الكتاب وأن يفى لهم بمعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يجعل ديارهم ميدانا للحرب وألا يكلفهم فوق طاقتهم رغم أن القاتل له كان من أهل الذمة •

٩ — ولما فتح المسلمون بلاد أذربيجان سلكوا مع أهلها مسلك السماحة لذلك فقد نص في الصلح معهم على ألا يقتل المسلمون أحدا من أهلها ولا يأسروه ولا يهدموا بيتا من بيوت النار •

١٠ — وفي عهد الامويين توسع معاوية في الحاق النصارى بخدمته فكان له طبيب نصرانى هو ابن آثال — وقد كافاه معاوية بوضع

النشام طلب البطريق من عمر — أن يصلى بها لكنه اعتذر بأنه يخشى أن يصلى بالكنيسة فيدعى المسلمون فيما بعد أنها مسجد لهم فيأخذوها من النصارى وصلى على درجة خارج الكنيسة وكتب للمسلمين كتابا يوصيهم فيه بالألا يصلوا على الدرجة التى صلى عليها الا واحدا واحدا غير مؤذنين للصلاة وغير مجتمعين •

٦ — وفي زمن خلافته عاهد خالد ابن الوليد أهل دمشق على الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شىء من دورهم ولا يمرض لهم الا بخير اذا أعطوا الجزية — لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء والمؤمنين •

٧ — ولما فتح عمرو بن العاص والمسلمون مصر أبقوا العمال النصارى في وظائفهم ولما أتم فتح مدينة الاسكندرية صالح حاكمها على تقديم الجزية الى المسلمين وأن يخير الأسرى بين الاسلام

يهوديا اسمه (موسى) كان أحد اثنين في جباية الخراج •

١٤ - كما عين الخليفة العباسي عبد الله المأمون أحد نصارى مدينة يقال لها (بورة) من مدن مصر وقتئذ وكان يدعى (بكلم) رئيسا لبلدتها واقليمها •

١٥ - وقد تولى الوزارة في زمن العباسيين بعض النصارى أكثر من مرة منهم نصر بن هارون ويسوع ابن نسطوروس النصراني •

١٦ - وجرت الدولة العثمانية على سنن الدول الإسلامية التي سبقتها فكانت تسند الوظائف المختلفة إلى كثير من الذميين حتى لقد كان أكثر سفرائها في بلاد الأجانب من النصارى ولكثره اسناد الوظائف العامة إلى الذميين في الدولة الإسلامية قال آدم مقرر أحد مؤرخي الغرب : (من الأمور التي تعجب بها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية) •

الخراج عنه بل وولاه خراج حمص وكان الاخلال الشاعر النصراني شاعر البلاط كما كان يوحنا الدمشقي مستشارا لعبد الملك بن مروان واختار عالما نصرانيا من مدينة الرها يدعى افتناس مؤدبا لأخيه عبد العزيز بن مروان ولما عين عبد العزيز واليا على مصر رافقه استأذه النصراني وجمع من مصر ثروة عظيمة جدا •

١١ - وفي عهد سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي عهد بالاشراف والنفقة على بناء مسجد الجماعة في بلدة الرملة في فلسطين إلى كاتب نصراني يقال له (البطريق ابن النقا) •

١٢ - وكان من هؤلاء الذميين من يدعى (اثنا سيوس) شغل بعض المناصب الحكومية في مصر زمن الأمويين حتى بلغ مرتبة الرئاسة في دواوين الاسكندرية •

١٣ - وفي عهد الدولة العباسية استعمل الخليفة أبو جعفر المنصور

كيف فقه علماء المسلمين سماحة الاسلام في أحكامهم على أهل الذمة :
 أساس نظرة التسامح التي تسود المسلمين في معاملة مخالفيهم في الدين :

ان أساس هذه النظرة يرجع الى الافكار والحقائق التي غرسها الاسلام في عقول المسلمين وقلوبهم وأهمها :

أولا : اعتقاد كل مسلم بكرامة الانسان أيا كان دينه أو جنسه أو لونه يقول جلت كلماته (ولقد كرمنا بني آدم) سورة الاسراء ٧٠ وهذه الكرامة توجب لكل انسان حق الاحترام والرعاية .

ثانيا : اعتقاد المسلم أن اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى فقد منحهم حرية الاختيار فيما يمتدنون يقول تعالى :

(١) (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) سورة الكهف ٢٩ .

(ب) (ولو شاء ربك لَجَمَلَ الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) سورة هود ١١٨ .

ثالثا : ليس المسلم مكلفا أن

١ - روى ابن أبي شيبة عن جابر بن زيد أنه سئل عن الصدقة فيمن توضع فقال في أهل ملتكم من المسلمين وأهل ذمتهم وقد ذكر ذلك الامام ابن حزم في كتابه المحلى .

٢ - ويذكر الامام شهاب الدين القرافي شيئا من معنى البر الذي أمر الله به المسلمين في شأنهم فيقول (الرفق بضعيفهم - وسد خلة فقيرهم واطعام جائعهم وكساء عاريهم ولين القول لهم - دون خوف أو ذلة - واحتمال اذايتهن في الجوار لظفا منا بهم لا خوفا ولا تطيما - والدعاء لهم بالهداية - وأن يجعلوا من أهل السعادة - ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم وحفظ غيبتهم اذا تعرض أحد لأذيتهم - وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم - وأن يعانون على دفع الظلم عنهم) .

يحاسب الكافرين على كفرهم أو يعاقب الضالين على ضلالهم فهذا ليس اليه وليس موعده هذه الدنيا انما حسابهم الى الله في يوم القيامة وجزاؤهم متروك اليه في يوم الدين يقول سبحانه وتعالى :

(فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع أهواءهم — وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب — وأمرت لأعدل بينكم — الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم — الله يجمع بيننا واليه المصير) سورة الشورى ١٥

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح أبواب السماء ويقول الرب وعزتي لأنصرك ولو بعد حين) رواه الترمذى بسند حسن (١) •

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

رابعا : ايمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل ويحب القسط ويدعو

(١) هو جزء من الحديث الذى رواه الترمذى وبصيه : (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لاترد دعواتهم : الصائم حتى يقطر — والامام العادل — ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي لأنصرك ولو بعد حين) •

دراسات قرآنية ، في ملكوت السموات والأرض

للمستاذ عالم عبد العظيم

« أو لم ينظروا في ملكوت
السموات والأرض وما خلق الله
من شيء »

(صدق الله العظيم)

ذكرنا - فيما سبق - أن
القرآن الكريم يضم اشارات علمية
عديدة ، وأن أسلوبه البلاغي يعطى
معانى عديدة متنوعة للجملة
الواحدة ، ونستطيع أن نسوق مثلاً
آخر لجملة واحدة تعددت فيها
المعاني التي يحمل بعضها الطابع
القديم ، وبعضها الطابع الحديث .
ونرى هذا واضحاً في قوله
تعالى : « هو الذي يريكم آياته
وينزل لكم من السماء رزقاً ، وما
يتذكر الا من ينسب » سورة غافر آية
١٣ قاله سبحانه يرينا آياته

حيناً بعد حين ، وحيلاً بعد جيل ،
وينزل لنا من السماء رزقاً ، ولا
يعرف آيات الله العديدة ، ونعمه
الجزيلة ، ولا يتذكرها الا من آمن
بالله ، ورجع اليه بالانابة والتاب
فما هو الرزق المنزل من السماء ؟
يقول المفسرون القدماء : أنه
ماء المطر ، وهو رزق لا شك فيه ،
لأنه يحفظ علينا حياتنا ، كما يحفظ
حياة عالم الحيوان وعالم النبات ،
ونستطيع أن نضيف معاني
عديدة توضح هذا الرزق .. منها
الأشعة الحرارية التي تصلنا
باعتدال من الشمس ، فلو انقطعت
عنا لمات جميع الأحياء من البرودة ،
ولتجمدت مياه المحيطات والبحار
والأنهار .. ولو زاد مقدارها عما
هو عليه الآن لتبخرت المياه جميعاً ،

ولهلك جميع الكائنات التي تنعم
الآن بالحياة ؟!

— ومن الرزق المنزل علينا من
السماء .. الأشعة الضوئية التي
يتوقف عليها بقاء عالم النبات
عن طريق التمثيل الضوئي
« الكلوروفلى » والأشعة الضوئية
هى التى تضىء لنا فجاج الأرض
نهارا ، وتتيح لنا السعى فى مناكبها
طلباً للرزق ، ومحافظة على
الحياة ؟!

— ومن الرزق المنزل من السمااء
رماد الشهب التى تتساقط على
الأرض وتبلغ أعدادها عشرات
الملايين فى كل يوم فتحترق حين
ملامستها للغلاف الجوى ويسقط
رمادها على الأرض ، فيزيد التربة
خصبا وصلاحية للإنتاج والاثمار ؟!

— ومن الرزق المنزل من السمااء
غاز ثانى أكسيد الكربون الموجود
فى الغلاف الجوى ، والذي تتوقف
عليه حياة النبات ، وكذلك غاز
الأوكسجين الذى تتوقف عليه حياة
الانسان ، والحيوان ، والنبات ؟!

— ومن الرزق المنزل من السمااء
غاز النتروجين (الأروت) الذى

يهبط من الجو على الأرض فيزيدها
خصبا ، ونحن الآن نستخلصه
كيماويا من الهواء ونحوه الى
سماد صناعى ينتج لنا أطيب
الثمرات ؟!

— ومن الرزق المنزل من
السماء : رزق روحى معنوى : هو
الكتب المنزلة على الرسل الكرام ،
لهداية البشر ، واخراجهم من
الظلمات ، ظلمات الجهالة .. الى
نور الهداية والرشاد والعرفان ؟!

— ومن الرزق المعنوى الروحى :
أن الله يحفظنا برضوانه ، وينشر
علينا رحماته فيحفظنا من الشدائد
وينقذنا من الأزمات « وهو الذى
ينزل الغيث من بعد ما قنطوا
وينشر رحمته ، وهو الولى
الحميد » سورة الشورى آية ٢٨ .

— ولهذا وجهتنا الآية الكريمة
الى أن نفزع الى الله مخلصين له
الدين « فادعوا الله مخلصين له
الدين ، ولو كره الكافرون » .

— والنتيجة أن القرآن الكريم
لا يفسره عالم واحد ، ولا جيل
واحد ، وكلما اتسعت فنون الثقافة
العلمية كشفت لنا من آيات الله

وسائل التثبت ، من حقيقة الكشوف العلمية قبل أن نقحمها اقحاماً على القرآن الكريم .. بمناسبة أو غير مناسبة .. ملا نأخذ إلا بالحقائق العلمية الثابتة ، لا بالنظريات ولا بالآراء ، ولا بالفروض العلمية ؟! — ولتوضيح هذا : نذكر أن هناك حقائق علمية ثابتة يؤمن بها جميع العلماء ، مثل القوانين العلمية المعروفة ، ومنها .. أن المعادن تتمدد بالحرارة ، وتتكشف بالبرودة .. وأن الماء تحت الضغط الجوى العادى يتبخر فى درجة مائة سنتيجراد ، ويتجمد فى درجة صفر .. وأن الأجرام الفلكية ، ومنها .. الأرض تدور حول محورها ؟!

— أما النظريات العلمية فإنها تتكون من عدة حقائق ، إذا جمعناها ونسقنا بينها — فإننا نخرج منها بنظرية علمية عامة ، مثل « نظرية النشوء والارتقاء » ولكننا قد نكتشف بعد حين أننا أخطأنا فى عملية التتسيق والتركيب كما يخطئ صانع المساعات ، والراديو ، والتليفزيون — فى

البيانات ما لا يخطر لنا على بال ؟! « وقل : الحمد لله سريكم آياته فتعرفونها » سورة النحل آية ٩٣ . « سريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بريك أنه على كل شيء شهيد » سورة فصلت آية ٥٣ .

— ومن كل ما سبق يتضح لنا أن القرآن الكريم حافل بالإشارات العلمية المعجزة ، التى تلفت أنظارنا الى آيات الله الكونية المتجلية فى أرجاء الأرض وآفاق السموات .. وأن الاستمانة بالدراسات العلمية تعيننا على التعمق فى فهم آيات القرآن الكريم ؟!

— ولكن التفسير العلمى للقرآن ينبغى أن تكون له ضوابط دقيقة ، ومناهج قوية سليمة ، تلتزمها فى كتابة هذا التفسير ، حتى لا نضل السبيل فنضيف الى القرآن الكريم ما لا تحتمله كلماته من معان تأبأها العربية كل الأباء .. ويمكن ايجاز هذا المنهج فيما يلى — :

أ. لا : علينا أن نتثبت بكل

« انا جطناه قرأنا عربيا لعلكم
تعقلون ، وانه في أم الكتاب لدينا
لعلى حكيم » سورة الزخرف آية
٣ ، ٤ ، ٥

— وعلينا أن نعود في تحديد
الكلمات القرآنية الى المعاجم
اللغوية العديدة ، وقد نرى للكلمة
معنيين أخذ القدماء بأحدهما ، ولا
مانع أن نأخذ نحن بالمعنى الثانى
اذا نصت عليه المعاجم المعتمدة .
ونستطيع أن نضرب لهذا مثالا
توضيحيا . فان الله تبارك
وتعالى يقول : « والأرض بعد ذلك
دحاها » سورة البازعات آية
٣٠ . فاذا رجعنا الى
المعاجم اللغوية وجدنا (الدحو)
بمعنى : البسط وبهذا أخذ القدماء
— ويزكيهم في هذا قوله تعالى
« والله جعل لكم الأرض بساطا
لتسلكوا منها سبيلا فجاجا »

سورة نوح آية ١٩ ، ٢٠ . أى
جعلها صالحة للسير
عليها والانتقال في أرجائها : سواء
في البحار والمحيطات عن طريق
السفن ، أم في السهول والصحارى
عن طريق الخيل والبعال والحمير

تركيب أجزاء الآلة فلا تدور . .
وهنا تنهار النظريات العلمية ،
وتتبدل من جيل الى جيل ؟!

— ان نظرية التطور ، أو أصل
الأنواع فيها . . عجوات عديدة ،
وحلقات مفقودة ، وفيها . . طفرات
لا نستطيع تحليلها — وقد نعود الى
مناقشة هذه النظرية بالتفصيل —
ولهذا كان من الواجب علينا ألا
نأخذ بالنظريات العلمية في تفسير
القرآن الكريم ، واذا استعنا بها
فلمجرد الاستئناس ، لا التقرير ؟
— أما الآراء العلمية ، فهي :
وجهات نظر ، تختلف باختلاف
العلماء — وأما الفروض العلمية ،
فهي : ظنون ، نحاول بها تفسير
بعض الظواهر التى نعجز عن
تحليلها — والآراء والفروض
العلمية ، هي : أفكار مجردة لا
تقوم على أساس علمى متين ؟!



ثانيا : علينا أن نراعى مدلول
الكلمات القرآنية ، فلا نضيف اليها
معانى جديدة — لم نعرفها من قبل
— فان القرآن الكريم نزل
« .. بلسان عربى مبين » ٣٦ : ١٩٥

— ودحا بيده الماشية : دفعها
وساقها أمامه •

والمدحاة : حشبة يدفعها الصبي
لمتدفع على سطح الأرض ••
لا تأتى على شيء الا دفعتة •

والمدحاة لعبة يلعب بها أهل
مكة ، وهى أحجار كتلأقراص ،
تحفر حفر بقدرها ، ثم يدفعونها
لتنع فى الحفر المدة لها •• فاذا
نجح الدافع فى ذلك كسب اللعبة •
(وهى تشبه لعبة الجولف الآن)

وبهذا المعنى اللغوى نأخذ نحن
فى التفسير العلمى الحديث ، فنقول
فى معنى : « والأرض بعد ذلك
دحاهما » • أى دفعهما فى
مدارها حول الشمس •

— وكلا المعنيين : القديم
والحديث صحيح ، على أن بعض
الكلمات اللغوية تحمل أكثر من
معنيين •• ولنا أن نختار من
المعاني ما يناسب السياق القرآنى
دون تكلف أو افتعال •

— ومن خير المعاجم اللغوية
« لسان العرب لابن منظور
المصرى » و « تاج المروس فى
شرح القاموس للزبيدي » •

والجمال — ثم عن طريق السيارات
والقطارات ، أم فى الهواء عن
طريق الطائرات — وبهذا تميزت
الأرض عن القمر ، فإنه من المسير
المسير عليه ، لكثرة الغسوات
البركانية فيه والجبال الشامخة
الارتفاع ، والوديان البعيدة
الأعماق — وبهذا الانبساط فى
الأرض أتاح الله لنا أن نسلك فيها
سبلا فجلاجا •• وأن نمشى فى
مناكبها ابتغاء لفضل الله ؟!



— وليس معنى انبساط الأرض
أنها غير كروية ، فان القرآن
الكريم يقرر فى موضع آخر
كرويتها ، بما لا يحتمل أى شك
أو ارتياب •• وذلك فى قوله تعالى
« يكور الليل على النهار ، ويكور
النهار على الليل » سورة الزمر
من الآية • •

— وقد نعود الى شرح هذه
الآية فى مقال تال ان شاء الله ؟!



— وللدحو •• معنى آخر ذكرته
كتب اللغة ، وهو الدفع والرمى —
يقال : دحا الصبي الكرة : رماها

لا نأخذ بالمعنى الاصطلاحي ، أو المجازي ، إلا اذا تعذر علينا الأخذ بالمعنى الحقيقي للكلمات ؟!

ثالثا : بعض الباحثين تحميله حماسته للبحث العلمي على أن يقحم كل كشف علمي في تفسيره للقرآن الكريم ، وهذا خطأ كبير ، فإن القرآن الكريم ليس دائرة معارف علمية ، وإنما يلفت نظرنا الى بعض الحقائق العلمية ، التي تدلنا على قدرة الله ، وعلى عظمته وعلى ابداعه .

وعلى أنه « خلق فسوى »
سورة الأعلى من ٢ •
« وأنه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » •

وأنه « أحسن كل شيء خلقه »
وينبغي لنا أن نعرف أن معلومات الانسان ومعارفه لم تتناول الا قليلا جدا مما خلق الله •
« وما أوتيتهم من العلم الا قليلا »
سورة الاسراء من الآية ٨٥ •

و « فوق كل ذي علم عليم »
— ولهذا كان علينا أن نقف عند حدود ما نعلمه مما علمنا الله اياه ،

ومن المعاجم المهمة في هذا المجال •• معجم خاص بالقرآن الكريم ألفه العالم ، اللغوي ، الكبير ، مجد الدين الفيروز ابادي وسماه « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » وقد طبعه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة في ستة مجلدات ضخمة ، بتحقيق الشيخ محمد علي النجار . — كما أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة : كتاب « معجم ألفاظ القرآن الكريم » في ستة أجزاء •

— وينبغي أن نأخذ في الاعتبار : أن الكلمة العربية قد يكون لها معنى حقيقي ، كما يكون لها معنى اصطلاحي ، وقد يكون لها معنى مجازي — وعلى الباحث أن يرجع في الأخذ بالمعاني المجازية الى معجم كتاب « أساس البلاغة للزمخشري » وقد طبع في القاهرة ، في جزئين كبيرين ، في أكثر من ألف صفحة ، وقد عقب عليه العلامة (ابن حجر العسقلاني في معجمة : « غراس الأساس » ولا يزال مخطوطا — حتى الآن — على أننا

« قرآن مجيد في لوح محفوظ »

سورة البروج آية : ٢١ •

« وسورة المنتهى » •

— فالعالم الكبير المتمكن ••

هو الذى يقف عند حدود ما يعلمه

— ونختم حديثنا بما قررره

آينشتاين أكبر علماء العصر

الحديث ، حيث يقول :

« أن أعظم جائشة من جائشات

النفس وأجملها •• تلك التى

تستشعرها النفس عند الوقوف فى

روعة أمام هذا الخفاء الكونى ، أن

الذى لا تجيش نفسه لهذا ولا

تتحرك عاطفته •• حى كميت ، انه

خفاء لا نستطيع أن نشق حجبته ،

واظلام لا نستطيع أن نطلع فجره ،

ومع هذا فنحن ندرك أن وراءه

شيئا •• هو الحكمة أحكم ما تكون

ويصن أن وراءه شيئا هو الجمال

أجمل ما يكون •

وهى حكمة ، وهو جمال

لا نستطيع أن تدركهما عقولنا

القاصرة ، الا فى صور بدائية

أولية : وهذا الإدراك للحكمة ،

وهذا الاكساس بالجمال —

وكان علينا الا نقحم عقولنا فيما

لا تستطيع عقولنا أن تدركه ، وأن

نسلم الأمر لله ، الذى أحاط بكل

شئ • علما « انما الهكم الله الذى

لا اله الا هو وسع كل شئ • علمك »

سورة طه آية ٩٨ •

— ونحن لا نزال نجعل كل شئ •

عن الروح ، كما أننا نجعل الكثير

عن عقولنا ، وعن أنفسنا ، ونجعل

الكثير عن جوف الكرة الأرضية ،

التى نعيش عليها ، وعن الخلاف

الجوى المحيط بنا ، فما بالك

بملايين الملايين من الشمس ،

والكواكب ، والمذنبات ، والأجرام

السمائية ؟!

— اذا كنا نجعل هذا كله ••

لهم العبث أن نقحم عقولنا فى

العوالم الخيية ، التى لا مجال

أمام البشرية لمعرفة ، مثل :

« العرش العظيم » سورة النحل

آية ٢٦ •

وحملة العرش « الذين يحملون

العرش ومن حوله » سورة غافر

آية : ٧ •

و « أم الكتاب » •

و اللوح المحفوظ « بل هو

من آياته البينات .. عن الكون
الذى نعيش فيه ، وعن أطوار
ومراحل تكوينه ، ليفتح أمام الفكر
البشرى مجال البحث والدراسة ،
ليدرك عن طريقهما ما يستطيع
ادراكه من قدرة الله وعظمته ،
وابداعه العظيم فى التكوين ، وفى
التدبير « **إله الخلق والأمر ،
تبارك الله رب العالمين** »
سورة الأعراف آخر آية ٥٤ •

وقد ذكر القرآن الكريم فى كثير
من آياته المحكمة .. أن الله تعالى
خلق « **السموات والأرض وما
بينهما فى ستة أيام** » •

— وكلمة (**اليوم**) تأتى فى
القرآن الكريم بعدة معان •
منها : (**النهار**) وذلك فى قوله
تعالى فى أهلاك قوم عاد بالريح
العاتية « **سفرها عليهم سبع ليالٍ
وثمانية أيام حصوما** » ٧ الحاقة •
— ومثل قوله تعالى فى كفارة

اليمين « **فمن لم يجد فصيام ثلاثة
أيام ، نلك كفارة أيمانكم إذا
حلفتم** » سورة المائدة من الآية ٨٩
وتأتى بمعنى : طور من أطوار
الخلق ، والتكوين ، والتدبير •

فى روعة — هو جوهر التعمد عند
الخالق !!!

ان الشهور الدينى الذى
يستشعره الباحث فى الكون ..
هو أقوى وأنبى حافز على البحث
العلمى !!!

ان دينى هو : أعجابه بقلبك
الروح السامية التى لا حد لها ..
تلك التى تتجلى فى التفصيلات
الصغيرة التى تستطيع ادراكها
عقلنا الضعيفة ، العاجزة ، وهو
ايمانى العاطفى العميق .. بوجود
قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى حيثما
نظرنا فى هذا الكون المعجز للافهام ؟
ان هذا الايمان يؤلف عندى معنى
الله « وفى ضوء ما ذكرنا سنتناول
نماذج من التفسير العلمى للقرآن
الكريم ، مستعينين بالله ،
مستمدين منه الهداية والتوفيق ..
وهو حسبنا ونعم الوكيل •

الايام الستة

(ولقد خلقنا السموات والأرض
وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا
من لغوب) سورة ق آية : ٣٨ •
تحدث القرآن الكريم فى كثير

في اليوم الأول من أيام الأسبوع
— وهو عندهم يوم الأحد —

ثم خلق الله الماء والجلد ،
وجعل من الجلد سماء في اليوم
الثاني •

ثم أظهر الله اليابسة والبحار ،
وأنتبت الشب والبقل في اليوم
الثالث •

وخلق الليل والنهار في اليوم
الرابع •

وخلق الزواحف ، والطيور ،
في اليوم الخامس •

ثم خلق البهائم ، والوحوش ،
والإنسان في اليوم السادس •

أما في اليوم السابع • فقد لجأ
الله فيه إلى الراحة (راجع
الإصحاح الأول والثاني من سفر
التكوين) •

— وهنا يقف العلماء والباحثون
سافرين من هذا الخيال
الأسطوري •

— ومن هذه الأوهام —
المقبولة — وبخاصة ما نسب إلى
الله سبحانه وتعالى من التعب ،
والحاجة إلى الراحة بعد ما بذله من

مثل قوله تعالى « وإن يوما عند
ربك كالف سنة مما تعدون »
• السجدة •

وقوله سبحانه وتعالى « يدبر
الأمر من السماء إلى الأرض ثم
يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف
سنة مما تعدون » سورة السجدة
• • •

وقوله عز وجل في وصف أهوال
يوم القيامة « تعرج الملائكة
والروح إليه في يوم كان مقداره
خمسین ألف سنة فاصبر صبيرا
جميلا أنهم يرونه بعيدا ونراه
قريبا » • المارج •

— فالיום : طور من الأطوار قد
يمتد عشرات الآلاف من السنين أو
أكثر ، وقد يكون لحظة عابرة ،
ولكن كتاب التوراة فهموا لليوم في
أطوار الخليقة فهما خاطئا ، حيث
تصوروا أن اليوم مدته أربع
وعشرون ساعة على حسب فهمنا في
الكوكب الأرض •

وأن الأسبوع يتكون من سبعة
أيام ، ولهذا ذكروا في سفر التكوين
أن الله — سبحانه وتعالى — خلق
السموات والأرض والنور والظلمة

— وسبب انكسارهم : أن نص الحديث يناقض النصصوص القرآنية العديدة ، التي قررت .. أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام — هذا إلى جانب أن تسمية الأيام لم تكن معروفة في بدء التكوين .

وكلمة الساعة ، والعصر ، والليل .. كلها اصطلاحات مستحدثة ، فضلا عن النور — أى — أن النبات لا يمكن أن يحيا إلا إذا توافر له (الضوء) الكافي لعمية التمثيل الضوئي ، كما هو مقرر ثابت لدى علماء النبات ، فكيف يتم خلق النبات قبل أن يتم خلق النور ؟

— وقد أثبت البصيريون بعلوم الحديث : أن أبا هريرة كان يحكى ما سمعه من كعب الأحبار ، فظن السامعون أنه يتحدث ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

— ومن المعروف أن يوم الأرض عند خط الاستواء .. يعادل أربع وعشرين ساعة ، نصفها نهار ، ونصفها ليل — ولكنه عند القطبين

جهود — تعالى عن ذلك الله علوا كبيرا .

وفي أطوار الخلق والتكوين لم يكن التقدير القائم على أن الأسبوع سبعة أيام ، ولا أن الشهر ثلاثون يوما ، وأن اليوم أربع وعشرون ساعة .

وهذه الاصطلاحات من صنع البشر — بعد تقدمهم ورقيتهم — اذ من المعروف أن البشر هم آخر الكائنات الحية ظهورا على سطح الأرض بعد تكوينها ، وجعلها صالحة للحياة — بمئات الملايين من السنين .

ولهذا أنكر نقاد وعلماء الحديث ما رواه مسلم ، وأحمد عن أبي هريرة .. من أن الله خلق التربة يوم السبت ، وخلق الشجر يوم الاثنين .

وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس .

وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق ، في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر والليل .

تتكون من نواة واحدة (بروتون)
وكويكب واحد (الكرون) يدور
حول النواة — والنواة .. كهرياء
موجبة — والكويكب .. كهرياء
سالبة — وذرة الايدروجين ..
متناهية فى الصغر ، لدرجة أن
بضعة ملايين منها لا تبلغ حجم
رأس الدبوس !!

— هذه الذرات .. خلقها الله
سبحانه وبشأ فى الفضاء ، الشاسع
المترامى الاطراف ، الذى لا يكاد
يتناهى .

ثم أودع فى هذه الذرات خاصية
التجاذب والترابط (قانون
الجاذبية) فتجاذبت هذه الذرات
حتى أصبحت كتلة ضخمة من
السديم ، وكل ذراتها تتدفع نحو
مركز هذه الكتلة العظيمة بقوة
الجاذبية ، فتصادمت وارتفعت
درجة حرارتها ارتفاعا كبيرا حول
بعض هذه الذرات ، الى عنصر
الهيليوم ، وهو يلى الايدروجين ،
لأن نواته مزدوجة ، ولأن لكل نواة
كويكبين يدوران حولها .

وهذه الكتلة الضخمة من

يعادل سنة كاملة ، منها ستة أشهر
نهار ، ومنها ستة أشهر ليل .
ويوم القمر يعادل تسعة
وعشرين يوما — تقريبا — من أيام
الأرض .

وهكذا تختطف الايام من كوكب
الى كوكب .. طبقا لتقدير وتدبير
المميز الحמיד الحكيم .



تفصيل علمى دقيق :

— والقرآن الكريم حين تحدث
عن الايام ، أو الاطوار الستة ..
فصل الحديث عنها تفصيلا علميا
دقيقا .. هو أحدث ما وصل اليه
علم الفلك من حقائق مقررة .
ومن الخير أن نلخص ما قرره
العلماء ، ثم نذكر بعد ذلك ما أورده
المقرآن الكريم الذى « لا يأتيسه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه »
تنزيل من حكيم حميد » .
سورة الثورى آية ٤٢ .

— قرر علماء الفلك أن اللبنة
الأولى فى بناء الكون .. هى عنصر
(الايدروجين) وذرتة .. هى
أبسط وأقل أنواع الذرات ، فانها

وحينئذ يقع الصاروخ بين قوتين متعادلتين .. هما قوة الدفع ، وقوة الجذب .. فيأخذ مداره حول الأرض ألياً دون محرك يدفعه ، فإذا ألقى ركاب الصاروخ منه شيئاً دار هو أيضاً دون محرك ، ولو خرج منه إنسان وألقى بنفسه في الفضاء ، دار هو أيضاً في الفضاء ، ولهذا كان بعض ركاب المركبات الفضائية الدائرة حول الأرض ، يغادرون المركبة بعد أن يربطوا أنفسهم بحبل يمكنهم من العودة إليها ، حيث يجدون فيها وسائل الراحة ومقومات الحياة ؟

— ونعود الى الاجزاء المنفصلة من كتلة السديم ، وهي كتلة بالغة الحد في الضخامة ، أخذت تدور حول الكتلة العظمى — ثم تكررت فيها عملية الفتح آلاف المرات ، فنشأ عنها ما نسميه الآن بـ (نظام المجرات) .
ثم انقسمت المجرات الى كتل

السديم .. هي التي أطلق عليها القرآن الكريم اسم (الدخان) .
ولما ارتفعت درجة الحرارة دار السديم حول نفسه في حركة محورية سريعة ، فبدأت أطرافه تنفصل منه مندفعة في الفضاء وهذه الظاهرة .. هي ما يسميها القرآن الكريم بعملية (الفتح) .
وهذه الاجزاء المنفصلة ، اندفعت بسرعة هائلة .. فوقعت بين قوتين — قوة الدفع ، وقوة الجذب — واحتفظت بموقعها في الفضاء بين القوتين ، المتعادلتين .. قوة الدفع ، وقوة الجذب .

والقرآن يسمى هاتين القوتين (قوة الرجوع — وهي الجاذبية — وقوة الصدع .. وهي الدفع) (١) ونحن نستغل هاتين القوتين الآن في اطلاق الصواريخ ، فإذا أردنا اطلاق صاروخ يدور حول الأرض ، دفعناه بقوة تفوق جاذبية الأرض بمقدار محسوس ، ثم تقاوى هذه القوة حتى تساوى جاذبية الأرض على مدى مقدر ،

(١) وهو ما يسميه العلماء الآن قوة الطرد المركزية .

الفضاء ، وحاولت الشمس أرجاعها إليها بقوة الجذب ، ولكن قوة الطرد عادت قوة الجذب ، فأخذت الأرض مدارها حول الشمس في فلكها المرسوم ، الذي تقطعه حول الشمس في مدى عام .. وانفصل القمر عن الأرض بقوة الصدع ، وجذبت إليها بقوة الرجوع ، فدار حول الأرض في فلكه المرسوم ، ودار حول نفسه في كل شهر قمرى مرة .

« يتبع »

على عبد العظيم

ضخمة شديدة الانصهار ، تكونت منها الشموس ، التي يطلق عليها علماء الفلك اسم (النجوم) .

ومن الشموس انفصلت المذنبات ثم الكواكب .

ومن الكواكب انفصلت الاقمار ، وكل منها يدور حول الاصل ، الذي انفصل منه بفعل قوة الجذب ، وقوة الرجوع ؟

— وقد انفصلت أرضنا (الكوكب) من شمسنا ، حيث انشطرت كتلة من الشمس ، أو انصدعت منها ، واندفعت في

« دعوة الى الاخلاق »

قال الأشعث بن قيس يوماً لقومه : انما أنا رجل منكم ليس لى فضل عليكم . لكننى أبسط لكم وجهى . وأبذل لكم مالى ، واقضى حقوقكم .. وأحوط حريمكم .. فمن فعل مثلى فهو مثلى .. ومن زاد على فهو خير منى ومن زدت عليه فانا خير منه .

قيل له يا ابا احمد : ما يدعوك الى هذا الكلام ؟

قال : حضهم على مكارم الاخلاق .

غربة الإسلام

للمستاذ موسى محمد علي

فهم الذين سعدوا ففى الجنة
خالدين فيها •

ولهذا الكلام دقيقة هامة ،
ناسب أن نوجه القول اليها •

فلا يخفى على من به مسحة من
إيمان ، أن لدينا في أيام دهرنا
نفحات ، نتعرض لها خاصة ونحن
قد فرغنا من قيام وصيام شهر
رمضان الذى أنزل فيه القرآن ،
شهر الصدقة والزكاة ، شهر البر
والإحسان ، شهر القرب
والعرفان ، شهر الصلة والمودة ،
شهر التوبة والرحمة ، شهر خصنا
الله به ، منذ أن اختارنا خير أمة
أخرجت للناس ، شهر أوله رحمة
وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من
النار •

فهو نحن تلمسنا نفحات هذا

يقوله الله تعالى :

« فلولاً تكان من القرون من
قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد
فى الأرض الا قليلا ممن أنجينا
منهم » سورة هود آية ١١٦ •

ان الذين يحبون أن تشيع
الفاحشة فى المجتمع ، هم الذين
شقوا ففى النار خالدين فيها •
والذين يمرحون فى الفجور فى
المحاصى ، هم الذين ضل سعيهم فى
الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم
يصنعون صنعا •

والذين ينكبون عن صراط
الجادة والحق والصواب ، هم
التساء الذين لاحظ لهم فى
الآخرة •

أما الذين استجابوا لله
وللرسول اذا دعاهم لما يهييهم

الشهوات من النساء والبنين
والقناطر المقنطرة من الذهب
والفضة ، ومتع الحياة الدنيا •

والاستشهاد بهذه الآية التي
بدأنا بها : يدلنا على الرسوخ في
المسلم والمعرفة ويربطنا بفهم
القرآن الكريم ، فان الغرباء في
هذا العالم : هم أهل هذه الصفة
المذكورة في هذه الآية ، وهم الذين
أشار اليهم النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله : « بدأ الاسلام
غريباً ، وسيعود غريباً
كما بدأ ، فطوبى للغرباء » • قيل:
ومن الغرباء يارسول الله ؟ قال :
«الذين يصلحون اذا فسد الناس» •

وفي رواية للإمام أحمد رضى
الله عنه :

ومن الغرباء يارسول الله ؟ •
قال : «الذين يزيدون اذا نقص
الناس» •

ومعناه : الذين يزيحون خيراً
وايماناً وتقياً اذا نقص الناس من
ذلك •

وفي رواية الأعمش عن عبد الله
ابن مسعود رضى الله عنه قال :

الشهر المبارك ، وتعرضنا له بالجد
في الطاعة ، والاجتهاد في العبادة ،
كما أمرنا ربنا حتى نكون من الذين
يسعدوا ؟

أم أننا ضلنا الطريق ، وتنكبنا
الصراط حتى ضل سعينا ونحن
نحسب أننا نحسن صنماً ؟

ان لكل شيء حقيقة ، وحقيقة
الايمان الذي أمرنا الله تعالى به ،
العمل الجاد الذي هو فرع عن
تصوره ، بيد أن الذي يملأ
مجتمعنا اليوم ، ويتفقد أحواله ،
ويعمارس بالتجربة واقعه الملموس ،
يجد بحق لاشك فيه أننا في بعد
تام ، وانحراف منحرف ، وانسلاخ
عن لب الدين ، وتعاليم الاسلام ،
حتى صار الاسلام ، وأهله في غربة
غريبة ، وكأن المجتمع في جهالة عن
فهم حقيقته ، لا يرقب في دينه
الا ، ولا يرمى له ذممة •

فكيف بنا لو تفرسنا أحوال
مجتمعنا ، وما هو عليه من فجور
فاجر في الملامى ، وجشع قاتل
في المنامب ، وطمع مجحف في
خطام الدنيا ، وتكالب على
الأموال والأعراض ، وحب

قيل : ومن الغرباء يارسسول الله فقال : «النزاع من القبائل» .
المنبطون ، ولقتهم في الناس جدا ، سموا « غرباء » .

وفي رواية عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال .. قيل : ومن الغرباء يارسول الله ؟ قال : «ناس صالحون قليل في ناس كثير ، من يعصيه أكثر ممن يطيعهم» .

وقال نافع عن مالك رضى الله عنهما :

دخل عمر بن الخطاب المسجد ، فوجد معاذ بن جبل جالسا الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يبكي ، فقال له عمر : ما يبكيك ، يا أبا عبد الرحمن ؟ هلك أخوك ؟ قال : لا ولكن حديثا حدثنيه حبيبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا في هذا المسجد ، فقال : ما هو ؟ قال :

«ان الله يحب الأخفاء الأتقياء الأبرياء ، الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، واذا حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل فتنة عمياء مظلمة» .

فهؤلاء هم الغرباء المحذوحون

وأكثر الناس على غير هذه الصفات : فأهل الاسلام في الناس غرباء ، والمؤمنون في أهل الاسلام غرباء ، وأهل العلم في المؤمنين غرباء ، وأهل السنة ، الذين يميزونها من الأهواء والبدع ، غرباء ، والسداعون ، اليها ، الصابرون على آذى المضالين : هم أشد هؤلاء غربة ، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقا ، فلا غربة عليهم ، وإنما غربتهم بين الأكثرين ، الذين قال الله عز وجل فيهم :

« وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله » الانعام ١١٦ .

فأنتك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه ، وغربتهم هي الغربة الموهشة ، وان كانوا هم المعروفين المنسار اليهم .

وسيدنا موسى عليه السلام لما خرج من قوم فرعون انتهى الى مدين ، على الحال التي ذكرها الله

يدعوا الى غير ما جاء به ، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ماكانوا اليهم •

فهذه « العربية » لا وحشة على صاحبها ، بل هو آنس ما يكون اذا استوحش الناس ، وأشد ما تكون وحشته اذا استأنسوا ، فويله الله ورسوله والذين آمنوا ، وان عاداء أكثر الناس وجفوه •

وفي حديث القاسم عن أبي امامة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال عن الله تعالى :

« ان أغبأ أوليائي عندي : لمؤمن خفيف الحاذ(١)، ذو حظ من صلاته أحسن عبادة ربه وكان رزقه كفافا ، وكان مع ذلك غامضبا في الناس ، لا يشار اليه بالاصابع ، وصبر على ذلك حتى لقي الله ، ثم حلت منيته ، وقل ترائه ، وقلت بواكيه » •

ومن هؤلاء الغرباء : من ذكرهم

تعالى ، وهو وحيد غريب خائف جائع ، قال : « يارب وحيد مريض غريب » ، فقل له : ياموسى •

الوحيد : « من ليس له مثلى أنيس » والمريض : من ليس له مثلى طبيب ، والغريب : من ليس بينى وبينه معاملة •

فالغربة أنواع : غربة اهل الله تعالى ، وأهل سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، بين هذا الخلق ، وهى الغربة التى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أهلها ، وأخبر عن الدين الذى جاء به ، أنه : « بدأ غربيا » وأنه « سيعود غربيا كما بدأ » وأن « أهله يصيرون غرباء » •

وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان ، ووقت دون وقت ، بين قوم دون قوم ، ولكن اهل هذه « الغربة » هم اهل الله حقا ، فانهم لم يأووا الى غير الله تعالى ، ولم ينتسبوا الى غير رسوله صلى الله عليه وسلم عولم

(١) استعمال مجازي المراد منه خفيف الظهر . كذا في التاموس المحيط والمعنى خفيف الاحمال والتبعات •

- أنس في حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم :
 « رب أشعث أغبر عذى طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » .
- وفي حديث أبي ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 « ألا أخبركم عن ملوك أهل الجنة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : كل ضعيف أغبر ، ذى طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » .
- وقال الحسن رضى الله عنه : المؤمن فى الدنيا كالغريب ، لا يجزع من ذلها ، ولا ينافس فى عزها ، للناس حال ، وله حال ، الناس منه فى راحة ، وهو من نفسه فى تعب . ومن صفات هؤلاء الغرباء ، الذين غبطهم النبي صلى الله عليه وسلم :
- التصك بالسنة ، إذا رغب عنها الناس ، وترك ما أحدثوه ، وإن كان هو المعروف عندهم . وتجريد التوحيد ، وإن أنكر ذلك أكثر الناس .
- وترك الانتساب الى أحد غير الله ورسوله ، بل هؤلاء الغرباء منتسبون الى الله بالعبودية له وحده ، وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقا .
- وأكثر الناس ، يمل كلهم لائم لهم ، فغريبتهم بين هذا الخلق : يمدونهم أهل شذوذ وبدعة ، ومفارقة للسواد الاعظم .
- ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « هم النزاع من القبائل » ان الله سبحانه وتعالى بعث رسوله صلى الله عليه وسلم وأهل الارض على أديان مختلفة ، فهم بين عباد أوثان ونيران ، وعباد صور وصلبان ، ويهود وصائبة وفلاسفة ، وكان الاسلام فى أول ظهوره غريبا ، وكان من أسلم منهم ، واستجاب لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم : غريبا فى قبيلته وأهله وعشيرته .
- فكان المسلمون لدعوة الاسلام نزاعا من القبائل ، بل آحادا منهم ، تضربوا عن قبائلهم وعشائرهم ، ودخلوا فى الاسلام ،

عنه قال : كتبنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مجتمعين وأنا أعرف الحزن في وجهه فقال : «انا لله وانا اليه راجعون» .

قلت : يا رسول الله : «انا لله وانا اليه راجعون» ماذا قال ربنا ؟ قال : «أتأتني جبريل أنا فقال : «انا لله وانا اليه راجعون» . قلت : أجل ، «انا لله وانا اليه راجعون» فممن ذلك يا جبريل ؟ قال : « أن أمتك مفتتة بمدك بقليل من الدهر غير كثير ؟ » .

فقلت : «فتنة كثر ، أو فتنة ضلالة ؟» .

قال : «كل ذلك سيكون» ، قلت : «ومن أين يأتيهم ذلك وأنا تارك فيهم كتاب الله ؟»

قال : «يكتب الله يضلون ، وأول ذلك من قبل قرائتهم وأمرائهم ، يمنع الأمراء الناس حقوقهم فلا يعطونها فيقتلون ، ويتبع القراء أهواء الأمراء فيبدون في الفنى ثم لا يقصرون» .

قلت : يا جبريل ، «فيم سلم من سلم منهم ؟ قال : بالكف والصبر ،

فكانوا هم الغريباء حقاً ، حتى ظهر الاسلام ، وانتشرت دعوته ودخل الناس فيه أفواجا ، فزالت تلك الغربة عنهم ، ثم أخذ في الاغتراب والترحل ، حتى عاد غريباً كما بدأ . بل ان الاسلام الحق ، الذي كان عليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هو اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره ، وان كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة ، فالاسلام الحقيقي غريب جداً ، وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس .

وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جداً ، غريبة بين فرق متعددة ذات أتباع ورئاسات ، ومناصب وولايات ، ولا هم لهم الا مخالفة ما جاء به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فما جاء به صلوات الله وسلامه عليه : يضاد أهواءهم ولذاتهم ، ويغايير ما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم ، والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وأراداتهم ؟ عن عمر بن الخطاب رضى الله

ان أعطوا الذى لهم أخذوه وان
منعوه تركوه .

فالمؤمن السائر الى الله تعالى
على طريق المتابعة كيف لا يكون
غريباً بين هؤلاء الذين قد اتبعوا
أهواءهم ، وأطاعوا شـهـواتهم ،
وأعجب كل منهم برأيه ، كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مروا بالمعروف ، وانصروا عن
المنكر ، حتى اذا رأيتم شـهـواً
مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنياً
مؤثرة ، وأعجاب كل ذى رأى
برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ،
واياك وعوامهم ، فان وراكم
أياماً ، صبر الصابر فيهن كالقايض
على الجهر » .

لهذا جعل الله سبحانه وتعالى
للمسلم الصادق فى هذا الوقت ،
اذا تمسك بدينه أجر خمسين من
الصحابه ، ففى سنن أبى داود
والترمذى ، من حديث أبى ثعلبة
الخشنى رضى الله عنه قال :

سألت رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم عن هذه الآية :

« يا أيها الذين آمنوا عليكم
أنفسكم ، لا يضركم من ضل اذا

اهتديتم » فقال :

بك ائتمروا بالمعروف ،
وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رأيتم
شـهـواً مطاعاً ، وهوى متبعاً ودنياً
مؤثرة ، وأعجاب كل ذى رأى
برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع
عنك العوام ، فان من ورائكم أيام
الصبر ، الصبر فيهن مثل قبض
على النجم ، للعامل فيهن أجر
خمسين رجلاً يعملون مثل عمله » .

قلت : يارسول الله أجر خمسين
منهم ؟ قال : « أجر خمسين منكم » .
ويعلق ابن القيم على هذا
الحديث فيقول :

وهذا الاجر العظيم انما هو
لغريته بين الناس ، والتمسك
بالمسكة بين ظلمات أهوائهم
وآرائهم » أ هـ .

فاذا أراد المؤمن ، الذى قد
رزقه الله بصيرة فى دينه ، وفقها
فى سنة رسوله ، صلى الله عليه
وسلم ، وفهما فى كتابه ، وأراه
ما للناس فيه : من الأهواء والبدهى ،
والضلال ، وتتكلم عن انصراف
المستقيم ، الذى كان عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كيف أنتم إذا طغى نساؤكم ، وفسق شبابكم ، وتركتم جهادكم ؟ »
قالوا : أكائن ذلك يا رسول الله ؟

قال « نعم ، والذي نفسى بيده ، وأشد منه سيكون » ، قالوا : وما أشد منه ؟

قال : « كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ؟ »
قالوا : أكائن ذلك يا رسول الله ؟
قال : « نعم والذي نفسى بيده ، وأشد منه سيكون » يقول الله تعالى :

« **بى حلفت لا نتحن لهم فتنة**
يصير الخليم فيها هراةا » •

ويتفاعل الامام على رضى الله عنه تفاعل المستغيث بربه فيقول :
« انه سيأتى عليكم من بعدى زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله ، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أشد بورا من الكتاب إذا تلى حق تلاوته ، ولا أنفق منه إذا حلف عن مواضعه ،

إذا أراد أن يسلك هذا الصراط : فليوطن نفسه على قدح الجهال ، وأهل البدع فيه ، وطعنهم عليه وأزرائهم به ، وتغفير الناس عنه وتحذيرهم منه •

فأما أن دعاهم الى ذلك ، وقدح فيما هم عليه : فهناك تقوم قيامتهم ويبنون له الخوائل ، وينصبون له الحبال ، ويجلبون عليه بخيلهم ورجلهم •

فهو غريب في دينه لفساد أديانهم ، غريب في تمسكه بالسنة لتمسكهم بالبدع ، غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم ، غريب في طريقه لفساد طرقهم ، غريب في معاشرته لهم ، لانه يعاشرهم على مالا تهوى أنفسهم •

وبالجملة : فهو غريب في أمور دنياه وآخرته ، لا يجد من عامتهم مساعدا ولا معينا ، فهو عالم بين جهال ، صاحب سنة بين أهل بدع ، داع الى الله ورسوله بين دعاة الى الأهواء والاغراض ، آمر بالمعروف ناه عن المنكر بين قوم المعروف لديهم منكرا والمنكر سر معروفا •

ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف
ولا أعرف من المكر •
فقد نبذ الكتاب حملته ، وتناساه
حفظته ، فالكتاب يومئذ وأهله
طريدان منفيان ، وصاحبان
مصطحبان ، في طريق واحد
لا يؤويهما موئل •
فالكاتب وأهله في ذلك الزمان في
الناس وليس فيهم ، ومعهم وليس
معهم ، لأن الضلالة لا توافق
الهدى وإن اجتمعا « ١ • »

وبعد فيقول الله تعالى :
« وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم وأهلها مصلحون » سورة
هود آية ١١٧ •
« ربنا آتانا من لدنك رحمة
وهيئ لنا من أمرنا رشدا » •
سورة الكهف آية ١٠ •
وبالله التوفيق ••

موسى محمد على

« أزمة الفكر الاسلامي »

تكتسب أزمة الفكر الديني أهمية قصوى •• ليس
بسبب ما يعانيه ذلك الفكر من الجمود والتوقف عن التطور
فقط •

ولكن •• لأن استمرارية هذا الجمود يأتى ملازما
لظاهرة الاحياء الاسلامي • فعندما تطفو على سطح
المجتمع الاسلامي عمليات الاحياء •• متلفعة في ثوب
من الجمود والتخلف يكون الموقف عند ذلك أكثر من
خطير •• بل ومريب للغاية •• لأنه يقطع الطريق على
الشعوب الاسلامية •• في عمليات التحديث والتطور
الحضارى •

الكعبة المشرفة

أول بيت وضع للناس

للإمام محمد بن عبد الوهاب

— وهي قبلة المسلمين في الصلاة
حيثما وجدوا وأينما كانوا ..
ولكونها في وسط المسجد الحرام
فكل من ولى وجهه شطر المسجد
الحرام فقد ولى وجهه شطرها •

وقد أضافها الله سبحانه وتعالى
إلى نفسه في قوله لرسوله إبراهيم
عليه السلام :

(وظهر بيتي للطائفين والقائمين
والركع السجود) ..

والمراد بقوله تعالى : « أن
أول بيت وضع للناس » ، أنه
أول بيت جعله سبحانه في الأرض
متعبدا للناس ، ففرض حجه على
الناس عبادة ، وطوافهم حوله
عبادة .. ولا يوجد بيت غير الكعبة
تعظيمه عبادة لله ، والطواف حوله
عبادة لله •

جموع حاشدة من المسلمين تقف
هذه الايام في مكة المكرمة لتأدية
فريضة الحج ، وشهود أكبر مؤتمر
إسلامي يعتقد على مصيد واحد ،
وحول بيت واحد ..

حضوره عبادة .. وطوافه
عبادة .. وأعماله كلها عبادة ..
وأياها فيه منافع للناس ..

— والكعبة المشرفة التي يطوف
حولها الحجيج تسمى — أيضا —
البيت .. قال تعالى : (وإذ جعلنا
البيت مثابة للناس وأمنا) ..

كما تسمى البيت العتيق • قال
تعالى : (وليوفوا نذورهم
وليطوفوا بالبيت العتيق) ..

وتسمى كذلك : البيت الحرام •
قال تعالى : (جعل الله الكعبة
البيت الحرام قياما للناس) ..

بحرمة الله الى يوم القيامة » ..
ويدل الحديث على قدم حرمة من
يوم خلق السموات والارض ..
ولا يدل عن ان البيت خلق قبل
خلق السموات والارض كما ذكرت
بعض الروايات .. وقوله تعالى :
(أول بيت) في الآية ، يدل على
ان المراد به الكعبة وقوله تعالى :
(ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة
مباركا وهدى للعالمين) — يدل
على ان الكعبة هي أول بيت بنى
لعبادة الله تعالى ، وهذا لا خلاف
فيه بين المفسرين والمحدثين
والمؤرخين ، وانما اختلفت
الروايات في أول من بنى الكعبة ..
وكم مرة بنيت ..

قال النووي في شرح مسلم ..
قال العلماء بنى البيت خمس
مرات : بنته الملائكة ، ثم ابراهيم
عليه السلام ، ثم قريش في
الجاهلية ، وحضر النبي عليه
الصلاة والسلام هذا البناء وله
خمس وثلاثون سنة ، وقيل خمس
وعشرون سنة ، ثم بناء ابن الزبير ،
ثم الحجاج بن يوسف .. وقيل
بنى مرتين آخرين أو ثلاثا ..

قال ابن جرير الطبري في
تفسيره : اختلف أهل التأويل في
تأويل ذلك ، فقال بعضهم تأويله
(ان أول بيت وضع للناس) يعبد
الله فيه ، مباركا وهدى للعالمين .
للذي ببكة ، وليس هو أول بيت
وضع في الأرض ، لانه قد كانت
قبله بيوت كثيرة ، وأسند هذا
القول الى أمير المؤمنين على بن
أبي طالب رضى الله عنه بقوله :
قال خالد بن عروة : قام رجل الى
عمر فقال : الا تخبرنى عن ابييت :
أهو أول بيت وضع في الأرض ؟
قال : لا ولكنه أول بيت وضع في
البركة مقام ابراهيم ، ومن دخله
كان آمنا .

وروى عن الحسن البصرى أنه
قال : هو أول مسجد عبد الله فيه
في الأرض .

وقد ورد في الصحيحين عن
عبد الله بن عباس رضى الله عنه
قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم فتح مكة : « ان
هذا البلد حرمه الله يوم خلق
السموات والارض فهو حرام

أبراهيم وبناء الكعبة :

وقد أشار القرآن الكريم ..
والسنة النبوية المطهرة الى بناء
ابراهيم مع ابنه اسماعيل عليهما
الصلاة والسلام للكعبة المعظمة ..
فجاء في سورة البقرة : « وإذا
جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان
طهرا بيتي للطائفين والعاكفين
والركع السجود) » (واذا قال
ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا
وأرزق أهله من الثمرات من آمن
منهم بالله واليوم الآخر » قال
ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره
الى عذاب النار وبئس المصير » واذا
يرفع ابراهيم القواعد من البيت
واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت
السميع العليم)

البقرة (١٢٥ - ١٢٧)
وورد في كتب السنة نقلا عن
السلف ما ذكره البخاري في
صحيحه عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما أنه قال : أول
ما أتخذ النساء المنطق من قبل أم
اسماعيل ، وذكر قصة مجيء

وقد رتبت بعض الروايات بناء
الكعبة على هذا النحو :

- ✽ بناء الملائكة .
- ✽ بناء آدم .
- ✽ بناء شيث ابن آدم .
- ✽ بناء ابراهيم .
- ✽ بناء العمالقة .
- ✽ بناء جرهم .
- ✽ بناء قصي .
- ✽ بناء عبد المطلب .
- ✽ بناء قريش .
- ✽ بناء عبد الله بن الزبير .
- ✽ بناء الحجاج بن يوسف .
- ✽ بناء السلطان مراد خان
العثماني

وأما تسمية البيت المعظم
« بالكعبة » فقد ورد في ذلك عدة
روايات منها ما ذكره الصافظ
البنوي في تفسيره عن مجاهد أنه
قال : سميت كعبة لتربيمها ،
والعرب تسمى كل بيت مربع
كعبة ، وقال مقاتل سميت كعبة
لأنفرادها من البناء ، وقيل :
سميت كعبة لارتفاعها من الأرض .
وأصلها من الخروج والارتفاع .

•• فقبل مجيء الاسلام كانت الكعبة وكرا للاصنام فكان يوجد فيها ٣٦٠ صنما •• ولم ينظر عرب الجاهلية قط للحجر الاسود على أنه صنم من الاصنام التي بين جدران الكعبة •

ومن المعروف الثابت أن عرب الجاهلية اتخذوا آلهتهم من أشياء لاتحصى ، ومع ذلك فإن الكعبة والحجر الاسود هما الشهيثان الوحيدان اللذان استمرا بعيدين عن اتخاذهما ضمن تلك الآلهة مع مالهما من التمجيد الذي كان يكنه العرب لهما قبل الاسلام •

وكان المسلمون معادين للوثنية ، حتى انهم عندما رأوا على الصفا والمروة صنمين هما : أساف ونائلة •• رفضوا أن يسموا بين هذين الجبلين ، حتى نزلت الآية : « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » البقرة (١٥٨) •

محمد نعيم عكاشة

المقام بينى عليه ويرفعه له اسماعيل ، فلما بلغ الموضع الذى فيه الركن وضعه يومئذ موضعه وأخذ المقام فجعله لاصقا بالبيت •

ووردت أقاويل كثيرة تؤيد جواز أن يكون لقواعد البيت وجود قبل بناء ابراهيم مما تقدم ذكره في بناء الملائكة • وآدم ، وشيث •• وقد جاء في فتح الباري ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : القواعد التي رفعها ابراهيم كانت قواعد البيت قبل ذلك ••

الشيوعيون وأصحاب المذاهب المادية يسكنون :

وقد دأب الشيوعيون وأصحاب المذاهب المادية على التشكيك في جدوى الطواف بالكعبة وتقبييل الحجر الاسود •• وقالوا في اتهاماتهم للاسلام بأنه قد احتفظ ببقايا من الوثنية الجاهلية ، بل زاد بعضهم وقال ان الطواف بالكعبة انما هي عادة وثنية •

ولحة سريعة الى الحقائق كافية لأن ترينا سخافة هذا الرأي وباطله

دعوة وفاء

على المرحوم الدكتور أحمد الشرباصي

للمريد الفقيـد

الى الخاتمة الاستاذ السعيد
الشرباصي الذي يعمل مدرسا
بكلية الشريعة بجامعة الامام محمد
ابن سعود ليعطينا نبذة مختصرة
عن حياته فقال •

ليس بنا حاجة الى المبالغة وقد
مضى الراحل الى الحق ، وأنا في
أثره في الطريق الى الحق بغير
زاد ولا حقائب ولهذا أذكر بعض
الحقائق في اختصار •

١ - ولد عبد الله (أحمد
ابن جمعة الشرباصي) في جمهورية
مصر العربية بمحافظة الدقهلية في
قرية البجلات • وكان مولده في
عام ١٩١٨ م • وكان الابن الثالث
في الاسرة • وكنت الابن الرابع
فترافقنا رحلة الطفولة والدراسة

مضى الى رحمة مولاه الله
الواحد الأحد الدكتور / أحمد
الشرباصي طيب الله ثراه وجعل
الجنة مثواه حين وافاه الاجل عصر
الخميس ٤ شوال عام ١٤٠٠ هـ
الموافق ١٤ أغسطس ١٩٨٠ م •
وكان المرحوم قد وقف حياته كلها
في العمل الخالص الدائب من أجل
الدعوة الاسلامية في كل مكان وبكل
وسيلة للاعلام وقد لخص وزير
الدولة والاعراف بجمهورية مصر
الدكتور زكريا البري موجزا لحياة
الراحل الكريم في بيانه والذي
نشرته الصحف وقد جاء فيه :

نبذة عن الداعية المرحوم :

وقد تقدمنا الى شقيق المرحوم
الذي رافق مسيرته من البداية

- والحياة كلها • فكانت القراءة والكتابة طعامه وشرابه •
- ٢ - وقد بدأ نبوغ المرحوم منذ الصغر • فمن الخطوة الاولى له وهو في معهد دمياط الدينى بعد حفظه للقرآن في كتاب القرية عاد الى القرية ليتولى عن امام المسجد مهمته • وكانت فرحة الامام وفرحة الاهل بمواعظه لا تقدر حتى صار المسجد يفيض بالمصلين للاستماع الى العصبى الواعظ •
- ٣ - وكما ظهر نبوغه الخطابى المبكر ظهر كذلك فى التأليف حيث قدم للمكتبة الاسلامية كتابين وهو مازال طالبا بالثانوى • ثم تتابعت مؤلفاته حتى وصلت الى حوالى مائة كتاب كلها تدور فى فلك الدعوة الاسلامية •
- ٤ - أما عن تفوقه الدراسى فقد اجتمع له ما لم يجتمع لأحد قبله ولا بعده حيث كان الاول فى الشهادة العالية من كلية اللغة بالازهر • ثم كان الاول فى شهادة التخصص كما كان الاول فى جميع سنوات الكلية • كما كان تقديره فى الماجستير والدكتوراه الامتياز •
- ٥ - وبمجرد تخرجه رشحته وزارة المعارف بمصر للتدريس باحدى مدارسها الممتازة بالقاهرة ولكنه تركها رغبة فى أن يبقى من جنود الاسلام داخل الازهر • فاشتغل بالتدريس فيه الى أن حصل على درجة الدكتوراه ليعين مدرسا بكلية اللغة العربية •
- ٦ - أما عن اتجاهه الوظيفى فقد كان يمشى الازهر كفكرة لا كأشخاص • وكان دائم الدفاع عنه باعتباره معبدا اسلاميا أصيلا كما كان دائم الدفاع عن كليته التى تخرج منها وكانت الفرص تتاح له للعمل فى أماكن أكثر بريقا ولمعانا ومكانة ولكنه كان يرفض دائما وكان يقسول لاهله عندما يلومونه على ترك الفرص العظيمة المغرية التى تعرض عليه : لأن أكون ساعيا فى الازهر خير من أن أكون وزيرا خارج الازهر •
- ٧ - أما عن اتجاهه العلم فقد كان مستقل الرأى والفكر • يؤيد الحق فى أى مكان ومع أى هيئة ، ويعارض الباطل أيا كان • وعلى

حيث كان ، كانت تعرضه لبعض
النقد من قصار النظر لان الحق
دائما ليس كله مع جماعة واحدة
والذين ينشدون الحق حيث كان
يجدون أنفسهم لا يتعصبون لمذهب
ولا لجماعة خاصة .

٨ - أما عن مؤلفاته فقد وصلت
قراءة مائة كتاب بين الطويل
والقصير ونشير الى اهتمامه
بمعالجة بعض القضايا العامة ومن
كتبه على سبيل المثال : يسألونك
خمس أجزاء وفي عالم المكفوفين
جزئين وأخلاق القرآن عدة
أجزاء . أما كتبه عن الفدائيين
والشهداء فقد صنعت صرحا
اسلاميا لم يسبقه اليه أحد .

نسأل الله تعالى أن يكتب
للراحل القبول والرحمة وأن
يتجاوز عن خطايا وأن يزيد في
حسناته وأن يبعثه مع النبيين
والصديقين والشهداء .

ومؤلفات المرحوم بلغت حوالي
٧٥ كتابا وتولى وظائف علمية
متعددة .

كلمة وفاء من تلاميذ الفقيد

سبيل المثال له آراء في تصرفات
البعض من جماعة الاخوان
المسلمين ولكنها عندما حلت في عهد
فاروق . ولم يكن عضوا فيها .
انبرى للدفاع عنها في قوة جيش
ثائر حتى تصول مسجد المنيرة
الذي كان يخطب فيه الى مركز
جديد للاخوان المسلمين الذي
أغلقت الحكومة وتجمع الاخوان
حوله كلهم كلسان حق . وتطور
أمر المسجد الى حد هدد الحكومة .
فأرسلت وسائلها من كل لون
لتعرض عليه المناصب ، وتغريه
بالسفر كرئيس لبعض البعثات
وهو مازال في بداية الطريق -
ولكنه كان يرفض ويرفض .

ومع أن الحكومة حينذاك تعلم
أنه ليس من الاخوان فقد اعتقلته
وأرسلته الى معتقل الهاكسب .
وكما دخل المعتقل من أجل الحق
خرج منه وهو لم يغير خطته ولم
يتلون بمذهب خاص غير مذهب
الحق والدعوة المجردة لله وحده .
وأحب أن أسجل للتاريخ
والتصحيح - وأنا صادق - أن
فكرة الاستقلال والدفاع عن الحق

مشكلات الشباب المعاصر وحلولها في ضوء الكتاب والسنة للإمام علي القاسمي

طريق التطور أم أنه مخلوق متميز؟
.. ولهذه النظرة الى الانسان
آثارها العميقة في نفس كل شاب
بل ، آثارها المحمرة حين يحس بأن
أصله حيوان كبقية الحيوانات في
هذه الدنيا .

وفي عام ١٩٧٨ م أصدر
البروفيسور ادوارد نلسون أحد
مؤسسي علم الأحياء الاجتماعي
(وهو محاولة لدمج العلوم
الاجتماعية بعلم الأحياء) والاستاذ
بجامعة بيركلي ثم هارفارد كتابا
بمنوان : « حول الطبيعة البشرية »
يقول فيه الكاتب عن علماء
البيولوجيا : أن علماء القرن الماضي
كانوا يمتقدون بأن الانسان
لا يتميز عن بقية الثدييات بيولوجيا
الا ببعض الصفات الفسيولوجية

جاء العصر الحديث ليفرق
الشباب بمشكلات متعددة ، وكانت
هذه المشكلات خطيرة ومنتشبة
ذلك لان الغرب قد تقدم صناعيا ،
واستعمر البلاد الاسلامية كلها
تقريبا ، وقام بنشر أفكاره بين
الشباب وهو في مركز القوة
والتوجيه ، ورعى مجموعات كبيرة
من الشباب المسلم على مفاهيمه
الجديدة ، وملكهم قيادة الحكم
والتوجيه والتربية ووجد الشباب
نفسه في حيرة لا يدري كيف يخرج
منها ، وأحس بالمشكلات تحيط به
وتملك عليه نفسه .

حول الطبيعة البشرية :

وكان من أهم هذه المشكلات
الحديث حول الطبيعة البشرية ، هل
الانسان أصله حيوان مسار في

الانسان وقدرته العصبية وحدها هي التي تتغير مع مكتسبات العلوم والتكنولوجيا ، وأدوات الانتاج وأساليبها ، ومع تسليمهم بأنه ليس للانسان أى تميز بيولوجيا يفصله عن عالم الثدييات الحيوانى الا ببعض الصفات الفسيولوجية تتجسد في بعض المهارات التي تمارسها أعضاؤه ، والتناسق المتطور لجهازه العصبى ومركزه في المخ .

وجاء العلم الحديث لكى يكشف أن للانسان صفات ثابتة لا يلحقها أى تغير لأنها صفات تحمل خلايا الوراثة كأنها أصابع شخص واحد لا يتغير طوال عمره — وأن المكتشفات الجديدة تضاف الى الصفات الثابتة ولا تمحوها .

وقال الكاتب عن علماء الأنثروبولوجى : ان أصحاب هذا العلم الجديد نسبيا كانوا يحاولون تفسير الوجود الاجتماعى والتاريخى للانسان عن طريق تركيبية نظرية تجمع بين علماء الآثار وتاريخ التكنولوجيا وتاريخ العلم وتاريخ العقائد والفنون ،

التي اكتسبها من خلال تطوره وارتقاؤه ، كانتصايب القامة وتطور تركيب الاطراف الأمامية ، واتساع انجممة الذى بدأ يسمح بنمو ومقدرة المخ .. الخ .

وجاء علم القرن العشرين لكى يكشف أن الانسان نوع متميز منذ بدء الخليقة ، وأن امتيازاه متطور في خلاياه التي تتضمن صفات خاصة به وحده ينقلها الى أبنائه وأجياله وتتطور هذه الخلايا حاملة خصائصه الوراثة (الجينات) تطورا خاصا رغم تأثره بما يكتسبه الانسان من معلومات وقدرات جديدة في صراعه ضد الطبيعة ، وقال الكاتب عن علماء الاجتماع الوضعيين والتاريخيين كالماركسيين : انهم كانوا يعتقدون بأن الانسان توقف غالبا عن التطور البيولوجى والفسيولوجى ، وأن تطوره انتقل الى مجال المخ والجهاز العصبى نتيجة دخوله في مرحلة تكوين المجتمعات ، أى أن تاريخ الانسان أصبح تاريخا اجتماعيا فقط ، وليس تاريخا بيولوجيا — وأن مخ

ويلسون : أن نظرية التطور الداروينية نسبة الى دارون - من أكثر علوم القرن الماضي تأثراً بالنظرية الجديدة - انها على ضوء هذه النظرية لم تعد قادرة على تفسير سلوك الافراد رغم احتمال صلاحيتها لتفسير جانب من السلوك الخاص بالجنس البشرى ككل - فالقول بأن صراع البقاء يؤدي الى بقاء الأصلح قد ينطبق على الأجناس بوجه عام ، ولكنه على المستوى الفردي كان يقضى بأن تفتى القيم الأخلاقية تماماً ، والتي يقوم عليها جزء من أسس أى مجتمع .

وهذه النظرة الجديدة حول الطبيعة البشرية تؤيد نظرية الاسلام الى الانسان ، وفي الوقت نفسه تفيدنا في علاج هذه المشكلة ، لأنها تأتي من الغرب الذي أوجد هذه المشكلة .

الانسان في نظر الاسلام :

الانسان في نظر الاسلام مخلوق متميز خلقه من تراب ، ونفخ فيه من روحه ، وطلب من الملائكة أن يسجدوا له ، وعلمه الأسماء كلها

يربط بينهما تصور فسيولوجى اجتماعى ، وأنهم كانوا يفسرون « التغيرات » والاختلافات التي شهدتها تاريخ البشرية على أساس تبادل التأثير بين تطور استخدام الانسان لاعضائه ومهاراته ومعارفه بين التحولات الاجتماعية المختلفة صغيرة أو كبيرة ، فكانوا قادرين على الاحساس بالتمايزات بين الثقافات المختلفة ، ولكنهم لم يضمنوا في اعتبارهم الخصائص الواحدة التي تكررت في كل أنواع السلوك البشرى ، واللغات والثقافات ولدى كل الأمم والحضارات والتي تكاد تكون من السمات التي يتميز بها النوع الانسانى ، ويظل يتميز بها أفراداً أو جماعات وأما ، لكى تفصله بشكل عام عن عالم الحيوان - وتنتج له الوضع المناسب للخروج من سجن الطبيعة وحدودها الى رحاب الحرية التي انتزعها اعتماداً على هذه الصفات الخاصة به وحده والتي تشترك فيها كل حضائمه وأنواعه - أى كسل الأمم والحضارات والقوميات ، ويقول

فلا تتعب ابن آدم اطلبني تجدني
فان وجدتني وجدت كل شيء وان
فنتى فانك كل شيء ، وأنا أحب
اليك من كل شيء) •

والموت في الاسلام ليس نهاية
الانسان — بل أنه محطة انتقال الى
الأبد الذي لا نهاية له ، الى دار
الخلود ، الى حيث يقال للمؤمنين :
(سلام عليكم طيتم فادخلوها
خالدين) الزمر/ ٧٣ ، ويرون ما هم
فيه من نعيم وتكريم فيقولون :
(الحمد لله الذي صدقنا وعده
وأورثنا الأرض نقبوا من الجنة
حيث نشاء فنم أجر العاملين)
الزمر/ ٧٤ ، فالانسان في الاسلام
مزيج الطبيعة — وهو لذلك
متوازن لأن الاسلام يتعامل مع
النفس البشرية بضمفها وقوتها ،
فلا تطنى ، لانه من صانع الوجود
والانسان •

والمسلم متميز على غيره من
بنى الانسان ، بأنه خير متورط في
عالم المادية ، بينما الانسان في
الغرب تورط في الماديات تورطاً
لايسوغ له القيام بمهمة تخلص
الانسانية من ورطتها في المادية —

ولم يعلمها الملائكة ، ووكل اليه
خلافته في الأرض يقوم بعمارته
ويحقق المعدل فيها ، وجعله قريباً
منه يجيبه اذا دعاه ، وينصره اذا
استنصره ، ويوضح الحديث
القدسي الذي رواه البخاري مقدار
اهتمام خالق الانسان بالانسان
وذلك حين يقول : (انا عند ظن
عبدى بي وأنا معه اذا ذكرني في
نفسه ذكرته في نفسي ، واذا ذكرني
في ملا ذكرته في ملا آخر منه ، وان
تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعاً
وان تقرب الى ذراعاً تقربت اليه
بأعاً ، وان أنانى يمشى أتيتبه
هرولة) هكذا يكون الانسان قريباً
من خالقه يعامله بلون من ألوان
الرعاية والتدليل وذلك حين يتجه
الانسان الى خالقه ، وفي حديث
آخر يخاطب رب العزة الانسان
فيبين له من هو ، ويوجهه
التوجيهات التي تنقده في حياته ،
وذلك حين يقول له : (ابن آدم
خلقتك لنفسى وخلقت كل شيء لك
فبحقنى عليك لا تشتمل بما خلقتك
لك عما خلقتك له ، ابن آدم خلقتك
لنفسى فلا تلعب وتكفلت برزقك

حين يشربها وهو مؤمن (البخاري •
والى جانب هذا كله فان
الانسان « من المسلم » في نظر
الاسلام مخلوق متميز عن غيره من
بنى البشر لأنه يحمل رسالة سامية
هى تحقيق خلافة الله فى الارض ،
وهذا التميز يأخذ طابع الشكل
كما يأخذ طابع المضمون •

التمييز فى الشكل :

يتميز الانسان المسلم بالرجولة
والخشونة ومن هنا فان الاسلام
يحرم كل ما يعد من هذه الرجولة
أو يؤثر عليها - ومن ذلك أنه حرم
على الرجال الاثسياء التى تتطلى
بها النساء كالذهب والحريز ، ذلك
لأن الاسلام دين الجهاد والقوة ،
وهو لذلك يريد أن يصون رجولة
الرجل من مظاهر الضعف والتكسر
والانحلال ، ولذلك فقد نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن لبس
المصفر ، يروى مسلم عن على
رضى الله عنه قال : نهانى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن
التختم بالذهب وعن لبس القسي
(نوع من الحريز) وعن لباس

والاسلام يرى أن المال وسيلة لا
غاية ، وصاحب المال له قيمة بمقدار
ما ينفق فى أوجه الخير ، لا بما
يكنز أو يستغل أى نوع من أنواع
الاستغلال ، وهناك أمور أسمى
من المال ولها أثرها فى تحقيق
السعادة للفرد والمجتمع كالمقيدة
والاخلاق والعلم والشعور
بالمسئولية وتحقيق انسانية
الانسان •

ولابد من الاهتمام بالفضائل
والاخلاق والأعمال الصالحة
بالنسبة للفرد مع ربه ومع نفسه
ومع مجتمعه - وبالنسبة للمجتمع
مع خالقه ومع أفرادِهِ ومع
المجتمعات الأخرى وما ذكر
الايمان فى القرآن الا وذكر
معه العمل الصالح والعمل الصالح
يشمل كل شئ فى هذه الحياة
يساعد المسلم على تحقيق رسالته
سلبا أو ايجابا مع النفس أو مع
الأفراد أو مع المجتمعات الأخرى
- بل أن الايمان يغيب عن المسلم
حينما يرتكب رذيلة ، وفى الحديث
الشريف : (لا يزنى الزانى حين
يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر

المعصفر ، وعن ابن عمر قال : (رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال : (ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها) رواه مسلم - وقد روى الشيخان عن عمر - رضى الله عنه - قال : (لا تلبسوا الحرير فان من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة) ورأى النبي صلوات الله عليه خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال : (يعمد أحدكم الى جرة من نار فيحملها في يده) فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ خاتمك فانتفع به فقال : (لا والله لا آخذه وقد طرحة رسول الله صلى الله عليه وسلم) البخاري ، ويروى ابن ماجه عن علي - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا فحملة في يمينه وأخذ ذهباً فحملة في شماله ثم قال : (ان هذين حرام على ذكور أمتي حل لائناهم) وأخرج مسلم في صحيحة ونحن بأذربيجان : يا عتبة ابن فرقد انه ليس من كحك ولا كد

أبيك ولا كد أمك فاشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك وإياكم والتنعيم وزى أهل الشرك ولبوس الحرير .

وكما يحافظ الاسلام على رجولة الرجل فانه يحافظ على أنوثه الأنثى حتى يتفرغ كل منهما لرسالته وحتى يبقى لكل نوع منهما خصائصه التي يستطيع بها ذلك - وهو يحرم على كل نوع منهما أن يتشبه بالآخر ، لأن في ذلك افسادا للمجتمع الاسلامي يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لمن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) البخاري ، والتشبه يكون في الكلام وفي الحركة وفي المشي وفي اللبس ، وقد روى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ممن لعنوا في الدنيا وأمنت الملائكة على لعنهم رجل جعله الله ذكراً فأنت نفسه وتشبه بالنساء وأمرأته جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال) ، كما روى أبو داود عن

أبى هريرة قال : (لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل) وروى البخاري عن ابن عباس قال : (لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم المختن من الرجال والمترجلات من النساء) .

والى جانب هذا فان الاسلام يحارب الترف الذى يهدد الأمم بهلاكها - والترف مظهر الظلم الاجتماعى وفيه يقول الله تعالى : (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترغيا ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) الاسراء ١٦/ - ولذلك فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استعمال آنية الذهب والفضة لأنهما من الرصيد العالمى للنقد فلا ينبغي استخدامهما الا فى الحدود المرسومة لهما قال عليه السلام : (ان الذى يأكل ويشرب فى آنية الذهب والفضة انما يجرجس فى بطنه نار جهنم) مسلم .

وفى تناول الطعام لابد وأن يتميز المسلم فيأكل بيده اليمنى ، ويروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تأكلوا بالشمال فان الشيطان يأكل ويشرب بشماله) وجلوس المسلم لابد وأن يكون مفaira لجلوس غيره يروى أبو داود عن الشريك بن سويد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كنت جالسا هكذا - وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتكأت على الية يدي (اللحمة التي فى أصل الإبهام) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتتعد قعدة المنسوب عليهم ؟) والرسول الكريم يبعد المسلم عن أن يجلس جلسة الكفار الذين غضب الله عليهم .

واليهود والنصارى لا يصبغون شعورهم - والتميز يقتضى أن يصبغوا ، يروى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) والمشركون يحلقون لحاهم وييقون شواربهم وقد طلب النبي الكريم تميز المسلمين عن المشركين فى ذلك يروى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (خالفوا

وقد درج غير المسلمين على أن يقوموا تحية للقادم وتمتعيا له فقال النبي عليه السلام : (لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا) رواه أبو داود ، كما تعودوا من الاكثار في القاء عليه فنبههم النبي الكريم الى أن المجتمع الاسلامي ينبغي أن يكون متميزا عن غيره من المجتمعات ، وأن يكون مقلدا لا مقلدا يقول الرسول الكريم في الحديث الذي رواه البخاري : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله) •

وصام رسول الله عليه السلام يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه فقال الصحابة : يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود فقال عليه السلام : (فاذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم) الموطأ •

وقد جعل الاسلام أعياد المسلمين مرتبطة بالشعائر الاسلامية - - - - - وحين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب) رواه مسلم •
والاسلام يحب نظافة الجسم والثوب والجسم والشارع وكل شيء - - - ومن هنا كان الوضوء والغتسال وأخذ الزينة عند كل مسجد - - - ومع ذلك فهو ينفرد المسلمين من أن يكونوا كاليهود في الاعتناء بأفئدتهم يروي الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفئدتكم ولا تشبهوا باليهود) الترمذي •

وبيوت الكفار عادة تكون فيها الصور والتماثيل اعجابا أو تقديرا أو زينة - - - وقد يتقلب هذا في يوم من الايام الى عبادة أو ما يشبهها - - - ولذلك فلان النبي الكريم يقول : (ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه تماثيل) مسلم ثم يشدد على ذلك تشديدا واضحا حين يقول : (ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور) متفق عليه •

الا جانباً قليلاً من القرآن والسنة ومن كتب الفقه — وأطول آية في القرآن الكريم هي آية الدين في سورة البقرة — والتداين جانب هام من جوانب التعامل الانساني — ومع ذلك فالشعائر فيها جوانب انسانية — فالصلاة تحقق المساواة بين الناس جميعاً في وقوفهم صفوفاً مترابطة كما تمثل تعليم الطاعة للقائد في صلاة الجماعة وفي تنفيذ الديمقراطية حين يستفتح الامام على المأموم عند الخطأ — ثم ان الصلاة عون للانسان في هذه الحياة والقرآن الكريم يقول : (يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) البقرة / ١٥٣ والزكاة تؤخذ من الغنى لترد على الفقير — وهي لنفس الغنى تزكية وتطهير وللفقير اغناء وتحرير — والصوم تربية لارادة الانسان على الصبر في مواجهة صعوبات الحياة وتربية لمشاعره على الاحساس بالآلام غيره فيسمى الى مواساته — والحج مؤتمر فيه منافع للناس من أوجه مختلفة ففيه تتحقق المساواة

ووجد الانصار يلعبون في يومين قال : ما هذان اليومان قالوا يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال عليه السلام : (قد أبدلكم الله خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) الترمذي •

وهكذا يحرص الاسلام على تميز المسلم في كل شيء ، فان المشابهة في الظاهر سبب للمشابهة في الأخلاق ، وقد تصل الى المشابهة في المعتقدات •

التمييز في المضمون :

والانسان المسلم كما يتميز في الشكل فانه يتميز في المضمون أيضاً — فالمسلم يحس بكرامته على الله تعالى وبمكانته في الملا الأعلى وبمركزه القيادي في هذا الكون — وهذا كله يجعله معتزاً بذاته لأنه يشعر بانتسابه الى الله تعالى وارتباطه بكل ما في الوجود — فالمعقيدة الاسلامية تجعل المسلم انساناً كاملاً وتعطى للحياة معنى • والاسلام وجه عناية بالغة الى الجانب الانساني في هذه الحياة ذلك لأن الشعائر — وهي الصلاة والزكاة والصيام والحج — لا تأخذ

وفيه التجارة وفيه الانسلاخ من الدنيا والتقرب الى الله تعالى .

وكل عمل يعمل الانسان يبتغى فيه وجه الله تعالى فهو عبادة وبخاصة تلك التي تبني المجتمع يقول الرسول الكريم : (أحب الأعمال الى الله سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً - ولأن تمشي مع أخ في حاجة أحب من أن تعتكف في هذا المسجد (مسجد المدينة) شهراً - ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه - ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام) البخاري ، فالمجتمع الاسلامي هو مجتمع الحب والتعاون والتآلف وهو بعيد

والاسلام جعل للانسانية مبادئ تسير عليها ، فالناس جميعا أخوة من أب واحد وأم واحدة : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) النساء ١/ - والأخوة شاملة للبشرية جميعا ، والمساواة بين الناس مبدأ انساني اسلامي ، فلا تفرقة بين عنصر وعنصر أو لون ولون أو جنس وجنس : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) الحجرات ١٣ . فالقيمة الانسانية للجميع واحدة ، ولا فضل لواحد على الآخر الا بالتقوى ، والنبى الكريم يقولها واضحة : (يا فاطمة بنت محمد

وتدخله على مسلم تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً - ولأن تمشي مع أخ في حاجة أحب من أن تعتكف في هذا المسجد (مسجد المدينة) شهراً - ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه - ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام) البخاري ، فالمجتمع الاسلامي هو مجتمع الحب والتعاون والتآلف وهو بعيد عن الحقد والحسد سواء أكان ذلك بالنسبة للأفراد أم بالنسبة للجماعات .

والحب في المجتمع الاسلامي أساسى ولن يؤمن المسلم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها .

في الاسلام — العلم — ذلك لأن المعرفة سلاح — وكلما أوغل الانسان فيها اكتشف من أسرار الكون ما يزيده تعرفا على انسانيته — والعلم للفرد والمجتمع امكان على تحقيق الرسالة ، ولذلك فان الله — تعالى — يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات •

وشخصية المسلم شخصية مستقلة ، لا تتأثر بالرأى العام اذا كان مخطئا ، ذلك لأنها ترى بعين الله ، وفي الحديث الشريف : (لا يكن احدكم امعة يقول : أنا مع الناس ان احسن الناس احسنت وان اساموا اسأت — ولكن وطنوا أنفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا وان اساموا ان تتجنبوا اساعتهم) — ومن هنا كان افضل الجهاد عند الله كلمة حق عند امام جائر •

والمسلم في هذه الحياة يدافع عن الحق ويحمي أماكن العبادة كلها سواء أكانت اسلامية أم يهودية أم مسيحية — ويوضح ذلك القرآن الكريم في قوله : (انن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على

اعمالى صالحا لا أغنى عنك من الله شيئا) البخارى •

ومن أهم خصائص انسانية الاسلام أن يعمر المسلم الارض بالاسلوب الذى رسمه الله — تعالى — ونشر العدالة الكاملة فيها تحت أى ظرف من الظروف وفى أى مكان — ومع جميع الناس بل حتى ومع النفس ، لأن الله ، — تعالى — سيحاسب على ذلك كله : (ياايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) النساء/ ١٣٥ •

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من خصائص الانسان المسلم — وقد اختار الله — تعالى — الأمة الاسلامية لتحقيق هذه الخصيصة وجعلها خير أمة اخرجت للناس : (كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران ١١٠ • ومن خصائص انسانية الانسان

ويسعى بعضها الى سحق بعض وتكون القوى الانسانية كلها في خدمة الشيطان — اذا كان الامر كذلك — فان الاسلام شرع الجهاد ليحارب كل هذه الأسياء — يقابل الطغاة الذين ييغفرون شعوبهم من أجل حريتها ، ويحرر تلك الشعوب من استعباد الطغاة لها — وذلك بدعوتهم الى عبادة الله الواحد في جميع الاتجاهات كما يتحررون من القيم الزائفة ، ومن اليهودية لغير الله — وهذا يحقق معنى الآية الكريمة : (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) النساء/ ٧٦ •

كما أن من مهمة المجتمع الاسلامي أن يقاتل ليحرر المستضعفين في هذه الأرض : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لذك وليا واجعل لنا من لذك نصيرا • الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا

نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغر حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات وحسب الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) الحج/ ٣٩/ ٤٠ — ويلاحظ في هذه الآيات أنه قدم الصلوات والبيع على المساجد — ذلك لأن المسلم بطبيعة عقيدته سيدافع عن اماكن عبادته ، ولكنه قد لا يدافع عن بقية اماكن العبادة ولذلك فان الآية الكريمة قدمت الصوامع ، حتى يحس المسلم بأن الدفاع عنها من تمام رسالته ، واذا كان الانسان في كل المجتمعات قديما وحديثا يقاتل لتوسيع رقعة الأرض ، أو لارضاء كبرياء مجتمعه ، أو لا استعباد الآخرين وقهرهم ، ونهب خيراتهم أو لتحقيق المصالح الخاصة ، والتكالب على متاع الدنيا — ويستخدم الطلقات في خدمة الصراع الذي يحدث بين الافراد والجماعات ، والدول والشعوب التي تتصارع على الارض كلها —

— تعالى — والآية الكريمة الآتية توضح كيف يكون الانسان المسلم مع ايمانه بالله وأدائه لرسالته في أمن في الدنيا والآخرة : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ، نزلا من فور رهم) فصلت ٣٠/٣٢ .

والاسلام حريم على المسلم — حريم على مواهبه واستعداداته واتجاهاته يربيهها وينميها ، وفي الوقت نفسه لا يكتبتها ولا يتركها تتبدد هنا وهناك من غير فائدة — كما يحدث في المجتمعات المعاصرة — الاسلام لا يكتب الطاقات لأنها موهبة من الله خالق البشر — وكل ما وهبه الله للانسان هو خير ينبئ أن ينمي ، ويستغله في الخير ويشكر فضل الله عليه — والمسلم لا يبدد هذه الطاقات لأنها نعمة فهي تنفق في المصلحة الخاصة والعامة وفي

يقتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا) النساء ٧٥/٧٦ . وحتى في الهزيمة يتميز المسلمون عن أعدائهم فلا وهن ولا ضعف ، وهم الأعلون وفي مكان القيادة : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ، ان يصosكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء) آل عمران ١٣٩/١٤٠ .

ومعنى النجاح في الاسلام يتغير عن معناه عند سائر الأمم — فهو في الاسلام يكون بأداء الواجب على أكمل وجه وبإتقانية — والله — سبحانه وتعالى — يجازي الانسان على ذلك لا على النتائج والمسلم الحقيقي هو النموذج الحي للأمن والاستقرار — الأمن من العوارض المادية والآفات والكوارث الواقعة بأن يأمن على نفسه وعلى عقيدته ، وعلى ماله وعلى عرضه وعلى حريته — ثم الأمن في الآخرة من عذاب الله

تحقيق الرسالة — المسلم يواجه هذه الطاقات للخير وفي الخير — للفرد والأمة وتكون الفائدة في الدنيا والآخرة .

والانسان غير المسلم يحس بأنه يعيش في ضياع — لا يعرف لماذا جاء ولا الى أين ينتهي ؟ وينشد : جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت ولقد أبصرت أمامي طريقا فمشيت وسأبقي هائما ان شئت هذا أم أبيت

كيف جئت كيف أبصرت طريقى لست أدري ؟

لكن الانسان المسلم يعرف الاجابة عن كل هذه الاسئلة لأنه

انسان صاحب رسالة لنفسه ولدينه ولمجتمعه ، كما حدد الله — سبحانه وتعالى — وهذا عكس الفلسفات البشرية فهي متأثرة بقصص — الانسان وملايسات حياته ، فهي لذلك تقصر عن الاحاطة بجميع الاحتمالات في الوقت الواحد — وقد يعالج ظاهرة فريدة أو اجتماعية بدواء يؤدي بدوره الى بروز ظاهرة أخرى تحتاج الى علاج جديد ، لأن الفلسفات البشرية تقصر عن الاحاطة بالنفس البشرية ، وكل أطوارها وأحوالها

على القاضي

الى السادة القراء :

يصدر هذا العدد تختم المجلة عامها الهجرى
سنة ١٤٠٠ هـ الموافق سنة ١٩٨٠ م .

وكل علم وانتم بخير

جمع الصحيحين

للمؤلف محمد أحمد بدرى

الصحيحين بالاستدراك والاخراج
عليهما ، واختصارهما وجمعهما
وشرحهما •

المستدركات

أما الاستدراك : فهو العثور
على أحاديث بأسانيد رجالها على
شروط أهد الشيعين ، ولم يفرجها
وممن استدرك على الشيعين
الحاكم ، ولكنه استدرك بأحاديث
لا يلزمها إخراجها لضعف روايتها
عندهما ضعفا مستديما ، أو ضعفا
باعتبار لدى الشيعين ، كأن يكون
الراوى ضعيفا في روايته عن راو
بعينه أو يكون ضعيفا عند الكبير •

المستخرجات

وموضوع المستخرج كما قال
العراقي ، أن يأتى المصنف الى

جمع الصحيحين

نقد حظى « الصحيحان » منذ
تأليفهما بمكانة سامية في نفوس
المسلمين ، وحياتهم على اختلاف
مذاهبهم لم تدانها مكانة أى كتاب
بعد القرآن الكريم ، واعترف
الكافة بأن مناهج الامامين :
البخارى ومسلم أكمل المناهج في
اختيار الرواة ، واشتراط المضبط
والمدالة فيهم ، وتماصرهم مع
امكان اللقاء (عند الامامين) بل
واللقاء الفعلى (عند البخارى) •
قال الحافظ : أبو عبد الله بن
يعقوب الاخرم ، وهو شيخ الحاكم
صاحب المستدرك : نقل ما فات
البخارى ومسلما من الاحاديث
الصحيحة •

وقد عكف العلماء على

الافكار ، وادهشت العقول والابصار ، وبها وبغيرها عد من المجتهدين ، كما أن المكرر - في نظرنا - يشتمل على كثير من الالفاظ والمعاني غير الموجودة في الاصول التي يذكرها ، وحسبك أن تعلم أن المكرر في البخارى يزيد على أصوله التي تكررت والتي لم تتكرر ، وحسبك أن تعلم أن الزبيدي وهو أشهر من اختصر البخارى وجرده قد اقتصر في كتاب التوحيد على عشرة أحاديث من مائة وتسعين حديثاً ، وعلى ذكر ستة أبواب من ثمانية وخمسين باباً ولم يكن البخارى غائباً في ذكر كل هذه الأبواب وتكرير هذه الاحاديث ، فضلاً عن أنه قال كما حكى هدى السارى : لم أدخل فيه معاداً فهو لم يكرر الا لغرض وفائدة . ومن اختصر البخارى أيضاً ابن أبى جمرة . ومن اختصر صحيح مسلم الحافظ المنفى . ويلتزم المختصرون الفاظ الصحيحين .

الجمع

كثرت الاعمال التي توصف في

الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه عن غير طريق صاحب الكتاب ، فيجمع معه في شيخه أو من فوقه ، وربما أسسقط المستخرج أحاديث وصلت اليه بسند لا يرتضيه ، وربما ذكرها من طريق صاحب الكتاب . ولم يلتزم المستخرجون موافقة الاصل في الالفاظ ، اذ قد تصل اليهم بتفاوت في اللفظ والمعنى .

ومنها صحيح أبى عوانة المسمى : المسند المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج لأبى عوانة يعقوب بن اسحق الاسفرايينى، ومنها صحيح أبى بكر البرقانى وهو المسند ملخص لصحيح البخارى ومسلم (سيزجن) .

المختصرات

أما الاختصار والتجريد فيتم بحذف الاسانيد ، والاقتصار على الصحابي ، وبحذف المكرر من الاحاديث وحذف التراجم بما فيها من آثار وآيات كريمة وتعليقات ، وحذف كل ذلك من البخارى يفقده ميزة كبرى من مميزات كتابه . قال ابن حجر في التراجم : حيرت

وتمتاز كتب الاطراف بكتب
المسانيد بأنها تستقصى الاطراف
ورجال السند ذكرا .

ثالثا : الكتب التى تصنف فيها
الاحاديث تامة النص ومن تحت
رعوس موضوعات ، وهذه اما أن
تكون موضوعات مسلم أو أبوابه
(كالاشـبـيلي) واما أن تكون
موضوعات أو أبوابا من صنمهم
تختلف كثيرا أو قليلا عن أبواب
البخارى أو مسلم ، ولم يجمع أحد
أحاديث الصحيحين بترتيب
البخارى وتراجمه الى الان ،
كما لم يستقص أحد الصحيحين
كما سمين في موضعه من هذه
الدراسة .

رابعا : الكتب التى تضم المتفق
عليه من الاحاديث في الصحيحين .
وقد جاءت في الفهارس تحت
عنوان الجمع بين الصحيحين
أيضا . ومنها ما يذكر الاحاديث
تبعاً للترتيب الالفبائى لأوائل
الاحاديث القولية ، وأغلبها في
المتفق بين البخارى ومسلم ،
والقليل في المتفق فيهما وفي
غيرهما . ومنها ما يذكر الاحاديث

تحت رعوس موضوعات .
وسنذكر بشيء من التفصيل
بعض هذه المخطوطات كنماذج ،
لنرى مدى انطباق مسمياتها على
الاسماء التى أطلقت عايتها في
فهارس المخطوطات .

أولا - نظام المسانيد

أشهرها الحميدى ، وجاء
التعريف به في كثير من فهارس
المخطوطات ، فقد جاء عنه في
كشف الظنون : الجمع بين
الصحيحين للحافظ . الحميدى
الاندلسى توفى سنة ٤٨٨ هـ رتب
الاحاديث على الصحابة حسب
فضلهم ، فقدم أحاديث أبى بكر
وباقى الأربعة ، ثم باقى العشرة .
قال السيرافى في شرح الالفية له :
ان الحميدى زاد في جمعه ألفاظا
وتتمات ليست في واحد منهما من
غير تمييز ، وهذا ما أنكر عليه لأنه
جمع بين كتابين فمن أين أتت
الزيادة ؟ من كشف الظنون .

وقد اطلعت في دار الكتب
المصرية على نسخة في مجلدين ،
الأول برقم ٣١٢ حديث والثانى

مسند ، وبما انفرد به واحدا منهما
والاقتصار عن التكرار . وانى
أتجاوز هنا الكلام عن ضرر حذف
المكرر مكتفيا فقط بالإشارة اليه .

ثانيا - كتب الأطراف

١ - أطراف الواسطى : قد
اطلعت في دار الكتب المصرية على
نسخة مخطوطة في أربعة مجلدات
تحت رقم ٣١ حديث و ٠٠٠ الخ .
وعلى نسخة أخرى في ثلاث مجلدات
تحت رقم ٣٣ حديث ، والنسخة
ذات المجلدات الأربعة مصورة في
معهد مخطوطات الجامعة العربية في
فيلمين . وقد ذكر الواسطى
مسانيد الصحابة مرتبين على
حروف المعجم ، ويذكر طرفا
مختصرا جدا من الحديث ، وقد
يذكر موضوع الحديث في كلمة ،
ويشير الى المتفق ، ثم روايات
البخارى ثم روايات مسلم بذكر
اسم الكتاب ، ولا يذكر ما يختلف
به الروايات بعضها عن بعض .

٢ - تحفة الاشراف بمعرفة
الأطراف للمزى : جمع فيه مسانيد
الصحابة التي في الكتب الستة

برقم ٢٠٠ (حديث) وعلى نسخة
أخرى من أربعة مجلدات برقم
٦٥٨ ثم اطلعت على الثالث والرابع
منها في مكتبة الحرم المكي .
واطلعت على النسخة نفسها ذات
المجلدين بخط آخر في المكتبة
المحمودية بالمدينة تحت رقم ٢٩
و ٣٠ .

ويذكر الحميدى الحديث المتفق
بلفظ أحد الصحيحين ، وجاء عن
ذلك في مقدمته ؟ وربما أوردنا
المتن بلفظ أحدهما . فان اختلفا في
اللفظ واتفقا في المعنى أوردناه
باللفظ الاثم . ولا يذكر الاحاديث
المكررة الا في ظروف خاصة قال ،
عنها في المقدمة : ولم أذكر من
المعاد الا ما تدعو الضرورة اليه
لزيادة بيان أو معنى يتصل
بما لا يقع الفهم الا بإيراده ، ومن
هنا يأتى النقص في انطباق المسمى
على الاسم في جامع الحميدى .
ويبدأ بالمتفق من الاحاديث ، ثم
بما انفرد به البخارى ، ثم
بما انفرد به مسلم ، وقال في ذلك :
وجعلنا حديث كل صاحب على
هدة ، وبيننا المتفق عليه من كل

المخطوطات ، فهو في فهرس دار الكتب المصرية ، ومكتبات الأزهر والجامعة العربية ، والحرم المكي والمدني والرياض وقد اطلعت عليها جميعا .

ففي فهرس دار الكتب المصرية ما نصه : انجم بين الصحيحين للـ ٠٠٠ الاثبيلي المعروف بابن الخراط في مجلدين مخطوطين برقم ١٨٥ الأول الى أول الجهاد ، والثاني من الجهاد الى الآخر ، كما توجد نسخة أخرى في أربع مجلدات برقم ١٨٦ ، ونسخة أخرى في مجلدين برقم ٧١٣ ، وقد اطلعت على هذه النسخ ، كما اطلعت في معهد المخطوطات بالجامعة العربية على نسخة من مجلدين ، الأول مرقوم ٧٦٩ نور عثمانية والثاني مرقوم ٧٧٠ نور عثمانية ، واطلعت على النسخة المصورة منهما في الحرم المكي ، واطلعت على المجلد الاول من نسخة مختلفة تحت رقم ٣٠ بالمكتبة الحمودية بالمدينة ، واطلعت بمكتبة دار الشفاء بالمدينة على نسخة مكونة من ثلاثة

(الصحيحان وسنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه وسنن النسائي) ، ويوجد بمكتبة الأزهر الجزء الخامس من نسخة ذات ثمانية مجلدات ، ويوجد مثله في دار الكتب برقم ٧٢٦ ، وتوجد النسخة كاملة في المكتبة الظاهرية بدمشق . وقد قام الدكتور عبد الصمد شرف الدين باخراج الكتاب اخراجا جيدا جدا بالهند . ورتب المزى أطرافه تبعا لنظام المسانيد مرتبا الصحابة ترتيبا الفبائيا ويتتبع أسانيد كل حديث باستيعاب جيد .

ثالثا - الكتب المرتبة على

الابواب .

جاءت في فهرس المخطوطات تحت اسم الجمع بين الصحيحين ، وهي تذكر أحاديث من الصحيحين يمتونها تامة وتحت رؤوس موضوعات ، ولم يطبع منها شيء الى الان . ومنها :

١ - الاثبيلي : ونفصل فيه القول اذ هو أشهرها ، وجاء التعريف به في كثير من فهرس

على ما في كتاب مسلم فلا تسترب
من ذلك .

وفي دراسة عن حديث ابن
عباس عن صلاة النبي صلى الله
عليه وسلم العيد ، ووعظه للنساء
تبين أنه قد ورد منه في مسلم
ثلاث روايات في كتاب العيدين ،
لم يكرر منها شيء في مواضع
أخرى غير العيدين ، وورد منه في
البخاري ١٥ رواية موزعة في
العيدين ، والزكاة والتفسير
والنكاح واللباس والاعتصام .
وأشار الأشعبي إلى الروايات
الثلاثة من مسلم بأنها متفقة مع
مثيلاتها في البخاري ، وأشار
إلى وجود كلمة زائدة في البخاري
في روايتين أخريين ، ولم يشر إلى
الروايات العشرة الباقية في
البخاري .

تبين هذه الدراسة وغيرها أن
الكتاب أقرب إلى أن يكون كتابا
مستقصيا في المتفق ، لا كتابا
في الجمع بين الصحيحين .

٢ - جمع الصحيحين لعمر بن
بدر الموصلي ، وجاء التعريف به في
معجم سركيس وبروكلمان

مجلدات ، الأول ينتهي قبل الحج ،
والثاني قبل المناقب ، والثالث
للآخر ، وفي آخره حوالي ٦٠ ورقة
لتعليقات البخاري ، هكذا مجمعة
ومبتورة من أماكنها التي تفيدها
وتفيد منها .

وقد اتبع الأشعبي ترتيب مسلم
مبتدئا من أوله إلى انتهاء حديثا
حديثا يذكر الحديث بنصه من
مسلم ، ويذكر من البخاري من
أي موضع فيه ما يتمل بهذا
الحديث زائدا عنه ، ويذكر
موضعه بذكر اسم الباب والكتاب .

وقد اختصر الأشعبي كتاب
مسلم ، وقال في مقدمته : ذهبت
في هذا الكتاب إلى اختصار كتاب
الامام مسلم بن الحجاج ، فحذفت
اسناده ، وأسقطت تكراره ،
واقترنت من ذكر السند على اسم
الصاحب إلا لضرورة . كما لم
يتعرض في البخاري إلى ما لم
يتعرض له في مسلم . من معان ،
وقال في المقدمة : وليعلم الناظر
فيه أنني لم أخرج في هذا الكتاب
من حديث البخاري إلا ما كان زائدا

باسم جامع الصحيحين ، بحذف المعاد والطرق أملاه أبو نعيم الحداد الأصبهاني المتوفى سنة ٥١٧ هـ ، وفي سيزجن جاء ذكره تحت كتب تجمع بين الصحيحين برواياتهما المشتركة وتكملتهما على طريقتهما ، وقد اطلعت عليه في دار الكتب في الجامعة العربية ، وهو مماثل لمسايقه ، اذ هو عبارة عن تجميع أحاديث من الصحيحين تحت أبواب من صنعه ، ليست على ترتيب أى من الصحيحين ، ويسوق الحديث بإساده الخاص به ، وقد تختلف ألفاظ بعض أحاديثه عن ألفاظ حديث أى من الصحيحين ، فهو مستخرج على الصحيحين لا جمع للصحيحين .

٤ - الجوزقى ، ويشار إليه في المصنفات أحيانا انه في المتفق ، وأحيانا في الجمع ، وفعل ذلك ابن حجر . فمثلا رواية خالد بن مخلد للحديث الثاني في باب - تخرج الملائكة من كتاب التوحيد (٢٣ / ٩٧) قال عنها ابن حجر في هدى السارى : وصلها الجوزقى في المتفق ، وقال عنها في الفتح وصلها

الجمع بين الصحيحين لعمر بن بدر الموصلى المتوفى سنة ٦٢٥ هـ ، ويستفاد من بروكلمان أنه لا يوجد الا في متحف لندن ، وقد تفضل بعض الاصدقاء الفضلاء فأحضروا لى فيلما من بضع وثلاثين صفحة شملت الفهرست وبعض الأبواب من أوله الى آخره ، وجاء في مقدمته : جمعت كتابى هذا وحذفت من الاسانيد والمكرر من المتنون الا ما كان يحتمل ادخاله في ابواب متعددة ، فلما اضطررنا الى اعادته لثلا يخلو انياب منه ، وسميته النجم بين الصحيحين مع حذف السند والمكرر من المتنون .

والموضوعات التى وضعت تحتها الأحاديث من وضع المؤلف ، ويشتمل المصنف على مائه وتسعة كتب مقسمة الى ١٨٢ بابا و ٢١ فصلا و ٩٤ موضوعا متفرقا . والكتاب أثبه برياض الصالحين بملاحظة اقتصراره على أحاديث من الصحيحين .

٣ - جامع أبى نعيم الحداد ، وجاء التعريف به في دار الكتب

على حسب الموضوعات ليست
جمعا للصحيحين •

٣ - الكتب التي وصفت
في الفهارس بالجوامع تحت رموس
موضوعات لم تستقص أحاديث
الصحيحين ولم تجمع أحاديثهما
تحت رموس موضوعات ، أى من
الصحيحين ، كما أنها تخلو من
ترجمات البخارى التى هى شروحه
على صحيحه بما تتضمن من
تعاليق وآثار وآيات قرآنية •

ان الصحيحين لم يجمعا جمعا
كاملا الى الآن ، وهما لا يزالان
بحاجة الى جمع كامل مستقص
بمنهج حديث يحقق الاستفادة
الكاملة من أثنى كنوز السنة •

منهج مقترح لجمع الصحيحين
نعرض لتبادل الرأى مع
المشتغلين بالسنة الشريفة الخطوط
العريضة للمنهج الذى يجب أن
يتبع فى الجمع بين الصحيحين
لتوسيع قاعدة الاستفادة من أثنى
كنوز السنة •

أولا - يرتب الجامع على
أبواب البخارى لأنها أوسع تبويب
للسنة وللأغراض التى تطلب لها

الجزوزقى فى الجمع بين
الصحيحين •

ويعنى عن جميع الدراسات
التي أجريتها عليه فى كتب الايمان
والجمعة والعديد ، وتبين منها
انه ليس جمعا كاملا فى المتفق ببله
أن يكون جمعا للصحيحين ، أنه
يقع فى اثنتين وثمانين ورقة من
القطع المتوسط فى دار الكتب
المصرية ، وبما أنه يسبق
الأحاديث بأسانيد ، وتختلف
الفاظه أحيانا عن الفاظ أى من
الصحيحين ، فأصدق ما يوصف
به أنه مستخرج على مختصر من
الصحيحين •

نتيجة الدراسة

١ - كتب المسانيد ومعا كتب
الاطراف ، لا تفيد القارىء
العادى ، لأنها تجمع أحاديث كل
صحابى فى مختلف الموضوعات اما
بنصوصها كاملة ، وأما بأطرافها ،
والقارىء الحديث يريد أن يكون
بين يديه جميع ما ورد فى
الصحيحين فى الموضوع الواحد
فى مكان واحد •

٢ - كتب المتفق الألفبائى أو

المعاصرة الا وأودع رواية منه بابا تقليديا متبادرا الى الذهن ، وقد سبق البخارى بصنيعه هذا أحدث مناهج الفهرسة التى تهدي الباحث الى مطلوبه اذا كان متذكرا لآى عنصر من عناصره •

ثانيا - ترتب أحاديث الجامع فى كل باب بحسب درجتها المصطلح عليها من الصحة ، فبيدا بالمتفق عليه بين البخارى ومسلم بحسب ترتبيه فى الباب ويذكر بصيغة البخارى ، ويعقب الحديث بما يكون فى رواية مسلم من اختلاف عن رواية البخارى بالزيادة أو بالنقص ، ثم تذكر الأحاديث التى انفرد بها البخارى بحسب ترتيبها فيه أيضا ، ثم تذكر الأحاديث التى انفرد بها مسلم فى الموضع الذى يناسبها ، ولا يترك حديث واحد من الصحيحين •

ثالثا - يثبت المكرر من أحاديث البخارى كل فى موضعه حيث أتى، ومن مسلم يناسب لأن كل حديث مما نعهده مكررا يؤدى فى موضعه غرضنا ، ويوضح موضوعا قصد

الأحاديث وتبلغ صياغتها من الدقة والأصالة والعمق والنسب الكلية والتنوع الى أن تصل بالبخارى مع مؤهلات أخرى الى مرتبة الاجتهاد • فهى تناول الاخلاق والاجتماع والسياسة وأنماط الحياة ، وأنواع السلوك ولذلك سمى كتابه « الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه » ، فهو يصف حياة الرسول والصحابة أحسن وصف وأدق ، فوق اشباعه النواحي التقليدية التعبدية ، بينما أبواب مسلم يغلب عليها الطابع الفقهى التقليدى بما أصبغ اليها من تقييدات السافعية •

والزعم بأن ترتيب مسلم أحسن من ترتيب البخارى لسهولة الوصول الى الحديث فيه يرجع الى تجميع مسلم للأحاديث المختلفة الصيغ المتعددة المعانى تحت ما توحى به المناسبة التعبدية التقليدية ، والرد عليه أن البخارى لم يذكر حديثا تحت باب تتصف صياغته بالأصالة والابتكار الذى يوافي الاهتمامات

محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله في الكتب والأبواب ، ويحل حيث يحتاج الأمر الى تعديل • أما ترقيم الأحاديث فاقترح أن ترقم أحاديث كل كتاب من كتب الجامع بمسلسل واحد لا يتقيد فيه بأى ترقيم سابق • وليس ترقيم أحاديث البخارى أمرا سهلا لا فى العمل ولا فى الأهمية ، لأن منهج البخارى فى التمليق وحذف كثير من الأسانيد أوقع كثيرا من الشراح فى الخطأ ، فضلا عن أن المرقمين السابقين قد اعتبروا تعليقات لم يصلها البخارى أحاديث ورقموها •

سادسا - لتسهيل المراجعة على الباحثين يوضع مكان كل حديث من مسلم •

هذا والمنهج معروض على المشتغلين بالسنة لمناقشته ، والله الموفق والهادى الى سواء السبيل •

محمد أحمد بدوى

اليه الامامان ، وترشيحا على اثبات المكرر يثبت الاتفاق فى الأحاديث المكررة التى لم ترد فى كتب المتفق تبعاً لمنهج مؤلفيها فى الاختصار • ولتسهيل البحث عن أحاديث البخارى يثبت عقب كل حديث سيتكرر المواضع المقبلة لوروده ، وعند كل موضع مكرر الموضع الأول لوروده •

رابعا - تثبت تعليقات البخارى والآثار والآيات القرآنية الكريمة سواء ما ورد منها فى ترجمات الأبواب أو مع الأحاديث ، والتى يتمثل فيها صلب منهج البخارى ، وبها سار صحيح البخارى مؤلفا له فيه عمل واجتهاد ، لا مجرد ثبت للأحاديث ، وبدونها يصير البخارى شيئا آخر غير ما أراده البخارى ، ويوضح من وصل التعليقات والمتابعات ، وبإثبات المكرر والتعليقات والمتابعات تتم المحافظة على جميع معانى الصحيحين بالمحافظة على مبانيهما •

خامسا - ترقم الكتب والأبواب والأحاديث ، ويتبع ترقيم الاستاذ

يَا عَبيدُ

لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ مُحَمَّدٌ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَانُ الدِّينِ

يا عيد وجهك باسمسم متالق يضي الجمال على الحياة ويونق
يا منحة الرحمن في الاسلام تسطع في قلوب المؤمنين وتشرق
بلل بانسداء المسرة انفسنا ظمأى الى برد الرضى تشوق
وامسح دموع الاشقياء البائسين ما تفيض من النعيم وتغرق
لك كل عام رورة مقرونة بتمسكك نفعانه تتدفق
تسمو به الارواح فوق الكائنات تهيم في النور الشفيق وتخلق
وترف في روض السكينة حينما ينتلها قيط الحياة المحرق

* * *

يا عيد جدد في القلوب ازاهر الايمان شفع بالعبير وتعبق
مافي الوجود على الطليح نسائم اندى من الايمان اذ يترقرق

* * *

يا عيد الف ما تنافر من قلوب نالها بالجائحات تفرق
فالحب في الاسلام شرع لا يقص جماعه الا الفبي الاحمق

* * *

يا عيد وامح الياس بالآمال تزه في النفوس المتفسرات وتورق
وارفع الى رب العباد دعاءهم بالصالحات لعلهم يتحقق
ماكنت الا مرسل للمسلمين عليك من حلل السعادة رونق

محمد عبد الرحمن صان الدين

أخطاء شائعة

مؤلف: عباس أبو السعود

أبطال معاوير ، صمدوا صموداً
مشرفاً في معركتهم مع الأعداء
وأنزلوا بهم الهزائم حتى جعلوهم
يفرون مندحرين ، وفي هذه العبارة
غلطتان أحدهما : أن الصمود
مصدر أنشاء العامة ، أما المصدر
السليم الذي ورد عن العرب فهو
الصمد بزنة العدل ، وله معنيان
أحدهما القصد فقول : صمدت
الأمير من باب نصر صمداً إذا
قصده فالأمير مصمود وصمد
بفتحين ، ومن هذا قوله تعالى
« الله الصمد » أي المقصود ،
والآخر الضرب ، تقول صمده
بالمعنى صمداً إذا ضربه بها .

والأخرى : قولهم مندحرين ،
والصواب أن يقال مدحورين أي
مطردين تقول : دحره يدحره من

٥٨٨ ويقولون : فلان عديم
الجود والكرم ، يعنون أنه بخيل
لا يعطي خيراً ، ولا يفضل على
أحد . وهذا غير سليم ، لأن للعديم
معنيين لا صلة لكل منها بالبخل .

أحدهما : الأحمق والمجنون ،
جمعه عدماء كبخيل وبخلاء .

والآخر : الفقير والمعدم ،
نقول : أعدم الرجل إذا افتقر فهو
معدم بالضم وعدم تكرم فهو
عديم أي افتقر فهو فقير .

والفصح - لتأدية المعنى
الذي يريدونه - أن يقال : هو
خال من الجود والكرم ، أو خلاء
بفتح الخاء ، أو خلو بكسرهما ،
أو خلى بزنة غنى .

٥٨٩ ويقولون : ان جنودنا

والأخرى : كلمة ريال اذ لم ترد عن العرب بالمعنى الذى أرادوه ، وإنما معناها اللعاب نقول : رال الصبي يريال ريالا اذا سال لعبه ومثله الروال بالضم ، يقال الطفل يسيل رواله كما فى الصحاح ، وقيل ان الروال لعاب الدابة أو هو خاص بلعاب الفرس كما فى القاموس ، والمرول وزان منبر الرجل الكثير اللعاب ٥٩١ ومما نشأ على ألسنتهم وأسنه أعلامهم قولهم : لفلان شهرة واسعة بين الناس ، يعنون أنه يتمتع بفيض من جمال الذكر وحسن الأحداث ، وهذا التعبير فاسد ، لأن الشهرة معناها ظهور الشيء فى شئته وقضاة وقبحه حتى يشهره الناس ، وفى الحديث « من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب ذلة » ، وقال ابن الأعرابي : الشهرة الفضيحة يقال شهرة كمنعه شهرا ، وشهره تشهيرا اذا قبحه وفضححه ، ومن المجاز قولك

باب خضع دحورا اذا طرده وأبعده ، ومنه قوله تعالى «ويؤذفون من كل جانب دحورا» ، والمطرود مدحور ، ومنه قوله جل شأنه « قال أخرج منها مذموما مدحورا » (١) .

فكان عليهم أن يقولوا : ان جنودنا ثبتوا فى معركتهم مع الأعداء ثبوتا مشرفا ، وأنزلوا بهم كثيرا من المزازم حتى أجلوهم مدحورين .

٥٩٠ ويقولون : فى الجنيه خمسة ريالات ، وفى هذا التعبير غلطتان احدهما : أن كلمة الجنيه علمية لا وجود لها فى العربية ، والفصح أن يستبدل بها كلمة الدينار المصرى ، وأصل الدينار دينار بتشديد الذون ، أبدلت من احدى النونين ياء ، لئلا يلتبس بالصادر من نحو كذاب فى قوله تعالى « وكذبوا بآياتنا كذابا » وقولهم : كلمه كلاما ، وحمله جمالا ، ولهذا ترد فى الجمع فيقال دنائير .

(١) يأتى فعل بمعنى مفعول كثيرا يولد بمعنى مولود ، وقلم بمعنى مقلوم ونفض بمعنى منقوض ، وقبض بمعنى مقبوض ، وحسب بمعنى محسوب .

استتورت فلانا إذا استخففت به وفضحته وجعلته شهرة ، قال الأخطل

أحداعما أنهم جعلوا الفعل الأول ناصبا مفعولين ، والحق أن له حالتين .

١ - أن يكون متعديا لواحد كما في قوله تعالى « فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتكم بالمعروف » وعلى هذا يجب أن يقال : الصراف سلم لنا أو سلم لنا أجورنا .

٢ - أن يكون لازما وذلك إذا كان بمعنى التحية والمصافحة كما في قولك سلمت على الضيفان وقوله سبحانه : « حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » .

هذا في الفعل المضعف ، أما المزيد بالهمز فله حالتان أيضا .

١ - أن يتمدى الى مفعول واحد كما في قوله تعالى : « ومن ٥٩٢ ويقولون : الصراف سلمنا

فلاجلن بنى كليب شهرة بعوارم (١) ذهبت مع القفال (٢) ولتأدية المعنى الذى يبتغونه ينبئ أن يقال : لفلان صيت ذائع بين الناس ، لأن الصيت بكسر الصاد معناه الذكر الجميل ، أو يقال ذهب صيته في الناس ، أو ذهب سمعه فيهم بكسر الصاد معناه الذكر الجميل ، أو يقال ذهب صيته في الناس أو ذهب سمعه فيهم بكسر السين ، لأن السمع هو الصيت والذكر الحسن كما في قول الأعشى .

سمعت بسمع الباع والجود والندى فألقيت دلوى فاستقت برشائكا (٣)

ولك أن تقول : انتشر صوته في الناس .

(١) العوارم : يريد بها القوافى الشديدة الوقع .
(٢) القفال : العائدون من ميدان الحرب .
(٣) الرشاء : الحبل يستقى به جمعه أرشبة .
(٤) الحطيم : حجر الكعبة أو ما بين الركن وزمزم .

أحسن ديناً ممن أسلم وجهه إلى الله وهو محسن» وقولك أسلمت فلاناً إذا خذلتك ، وفي الحديث « المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه » •

٣ - أن يكون لازماً وذلك بأن يكون بمعنى الانقياد والطاعة كما في قولك أسلم فلان إسلاماً إذا دخل في دين الإسلام وانقاد ، وقوله جل شأنه : « أذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين » •

والغلطة الأخرى : أنهم استعملوا الفعل الثاني في غير معناه ، لأن الاستلام معناه اللبس تقول استلتم الحاج الحجر الأسود إذا لمسه بالقبلة أو باليد ، وهو مشتق من السلام بكسر السين وهي الحجارة ، وفي المثل « أكتم للسر من السلام » قال الفرزدق يمدح الحسين رضي الله عنه

يكاد يمسكك عرفان راحته
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلتم
والصواب أن يقال انصراف
سلم إلينا أجورنا فتسلمناها أي
أعطانا الأجور فأخذناها وأما

الثلاثي فلازم دائماً فنقول : سلم فلان من البلاء أو من المصيب سلامة وسلاماً إذا برئ منه وهذا مما يؤكد أن الفعلين المضط والمهموز إذا تعديا فلا يتعديان إلا إلى مفعول به واحد •

٥٩٣ ويقولون: لفلان خاتم ثمين من الماس ، وكلمة الماس لم ترد بهذا المعنى في كلام العرب والصواب أن يقال : له خاتم قصه من السامور كما في شفاء العليل • وقول صاحب القاموس في مادة (م و س) الماس حجر متقوم أعظم ما يكون كالجزرة - وهم لأنه كثيراً ما يعتمد على كتب الطب فيقع في الخط •

هذا إلى أن كلمة ماس لا تدخل عليها أداة التعريف ، ولا تقع إلا صفة فيقال : فلان ماس إذا كان لا ينفع فيه عتاب ، أو كان طيئساً خفيفاً ، أو لا ينتفع بموعظة أحد •

٥٩٤ ويقولون لمن لاغية له على أهله معرس بصيغة اسم المفعول أو عرس وزان بفل ، وهذا خطأ صراح •

تقول • قرأ الرجل الرسالة
قراءة بالكسر ، وقرأ بالفتح ،
وقرأنا بالضم فهو قارئ من قراءة
ككتبة ، وقارئ من قراء ككتاب ،
وقارئ من قارئين وقرائين •

والقراء وزان ككان الحسن
القراءة ، جمعه قراءون ولا يكسر ،
أما القراء بالضم وزان رمان فهو
الناسك المتعبد جمعه قراءون
وقراري ، وفي لسان العرب قرائي
كحمائل •

وأما المقرئ فهو من يقرئ
غيره ويملن القراءة ، وكلمة القرآن
في الأصل مصدر كما سبق بيان
ذلك ثم جعلت اسما كما في قولك
كتبت القرآن ، وحفظت القرآن •
٥٩٦ ويقولون في جمع كلمة
الد بفتحتين مع تشديد الدال وهو
الخصم الشحيح الذي لا يميل الى
الحق كالالندد واليلندد (الداء)
كانه جمع لديد ، على أن اللديد
معناه دواء يصب في أحد شقي
الفم وكذلك هو ماء لبنى أسد ،
جمعه الددة كزغيف وأرغفة ،
واللديدة بالهاء الروضة الزهراء •
والصواب أن جمع الد ومؤنثه لداء

وذلك لأن هاتين الكلمتين — على
الرغم من أنهما عربيتان سليمتان
— تحمل كل منهما معنى لا يمت
بأى صلة للمعنى الذي قصدوا
إليه •

فالعرس هو المكان الذي يعرس
فيه المسافر ، أى ينزل فيه نزلة
يستريح فيها من وعناء السفر
ثم يرتحل •

أما العرس لفظ يطلق على
عمود في وسط الفسطاط ، وكذلك
على الفصيل الصغير ، جمعه
أعراس ولئلا يدعى المعنى المبتغى
يجب أن يقال له ديوث وزان
فروج ، مأخوذ من ديثه إذا ذلله ،
تقول : داث الشيء ديثا من باب
باع إذا لان وسهل ، ويعدى
بالتضعيف فيقال ديثه فلان •

ويقال له أيضا قمعوث بالضم
وزان زتبور ، وطزع وزان كتف •
٥٩٥ ويقولون لمن يقرأ القرآن
بصوت لين رخيم (مقرئ) ،
وهذا خطأ ، والفصح أن يقال له
قارئ اسم فاعل من قرأ الثلاثي ،
أو قراء بصيغة المبالغة •

والمماثلة ، وقد تهمز فيقال
مضاهاة كما همز الفعل في قوله
جل شأنه : « يضاهائون قول الذين
كفروا » ٥٥

وفي لسان العرب : المضاهاة
مشاكلة الشيء بالشيء وقد تهمز •
٥٥٨ ويقولون : وقع فلان على
عقد البيع ، أو على الشكوى ،
أو على الرسالة وهذا خطأ بين ،
ووجه الكلام السليم أن يقال : وقع
في الشيء توقيعا ، أي تمتعلا مع
هذا الفعل في ، لا على •

وأصل التوقييع أن يرفع الإنسان
شكاية إلى الوالي ، بعد أن يفحص
الوالي عما فيها يكتب في أسفلها
أو على ظهرها : ينظر في أمر هذا
الشاكى ، ويستوفى له حقه إذا
كان صادقا في دعواه •

وقال الأزهري : هو أن يجمل
بين تضاعيف سطوره مقاصد
الحاجة ويحذف الفضول ويستعمله
المحدثون مجازا في توفيق ما كتب
وذلك بأن يكتب الكاتب اسمه ولقبه
في أسفل الشكوى أو العقد أو غير
ذلك دلالة على صحة ما جاء بكل
منها •

لد بضم اللام كحمو وخضرو في
التنزيل « وتذخر به قوما لدا »
٥٩٧ ويزعمون أن كلمة المضاهاة
معناها الموازنة بين شيئين وتبيين
وجوه الشبه بينهما ، فيقولون •
ضاهينا بين كذا وكذا ، ومن ذلك
قالوا : فلان خير لدى المحاكم في
مضاهاة الخطوط ، يعنون بذلك أن
الخبير يعمد إلى كتابين ، فيفحص
عما بينهما من تشابه ، ليحكم بعد
ذلك أهما لكاتب واحد أم لكاتبين
مختلفين •

وهذان التعبيران لا يؤدي كل
منهما المعنى الذى نشئ من أجله
لا بطريق الحقيقة ولا بطريق
المجاز •

والصواب كما في أساس
البلاغة — أن يقال : فلان لا
يضاهى كرم ولا يضاويه أحد ،
أي لا يشابهه في كرمه ولا يشبهه
أحد •

وفي النهاية : أشد الناس عذابا
يوم القيامة الذين يضاؤون خلق
الله ، أراد المصورين وصانعي
التمائيل ، فالمضاهاة المشابهة

٥٩٩ وأقد شاع على ألسنتهم
وأسلات أقلامهم قولهم سررنا
برؤياك يعنون سررنا بمراك وهذا
خطأ لم يقتصر شيوعه بين العامة ،
وانما تعداهم الى الخاصة وها هو
ذا أبو الطيب المتنبى — على جلالة
قدره ، وبليغ أسلوبه — قد وقع
فيه ، فقد قال لبدر بن عمار حينما
سامره ذات ليلة الى قطع من
الليل .

مضى الليل والفضل الذي لا يمضى
ورؤياك أملى في العيون من الغمض
وكان من الواجب عليه أن
يقول : ورؤيتك أملى من الغمض ،
لأن العرب تجعل الرؤية لما يرى
بالمين في اليقظة ، والرؤيا لما يرى
كالخيال في المنام ، قال تعالى
« يا أيها الملا أفقوني في رؤياي
ان كتم للرؤيا تعبرون » وقال
« لا تقصص رؤياك على اخوتك »
٦٠٠ وكثير من الخاصة حرصوا
فيما ينطقون أو يكتبون على
استعمال القياس في شيء ، وفاتهم
أن العرب نطقت بالفاظ شذت عن
القياس ينبغي لهم أن يمتسكوا
بها دون أن يقيسوا عليها ، لأن

ميدان اللغة النقل والسماع .
فقياس اسم من أفعل هو
مفعل ومفعلة كمخرج ومخرجة
وشذ ذلك ما جاء على صيغة اسم
المفعول ومنه .

١ — ألفت التاجر اذا أفلس
فهو ملفج بفتح الفاء ولا يجوز
كسرهما وفي الحديث « ارحموا
ملفجيكم » .

٢ — أجراشت الأبل اذا سمعت
وملأت بطونها فهي مجرأسة بفتح
الهزة ولا يجوز كسرهما .

٣ — أحصن الرجل اذا تزوج
فهو محصن بفتح الصاد ، والمرأة
محصنة ومن ذلك قوله تعالى :
« والمحصنات من النساء » وجاء
الكسر على قلة ومنه قوله سبحانه
« محصنين غير مسافحين » .

٤ — أعم فلان وأخول اذا
أعمام وأخوال ، فهو معم مفعول
بفتح الميم والواو ، ويجوز
كسرهما .

٥ — أسهب الولد في الكلام اذا
أكثر منه فهو مسهب بفتح الهاء .
وقد يأتي اسم الفاعل من أفعل
شذوذاً على وزن فاعل ، ومنه .

- ١ - أيفع الغلام إذا شب فهو يافع ، ولا يقال موفع ، جمعه يفعمه بالتحريك ككتاب وكتبة •
- ٢ - أمحل البلد إذا أصابه الجذب وهو انقطاع المطر ويبس الأرض فهو ما هل ، وممحل قليل
- ٣ - أعشب المكان إذا أثبت العشب وهو الكلا الرطب فالمكان عائب ، ويجوز على قلة معشب
- ٤ - أملح الماء إذا أكثر فيه الملح فهو ماء مالح ولا يقال مملح ، فان كان الملح بقدر قيل ملح ملوحة فهو مليح وزان فصرح كخشبن خسونة فهو خشن •
- ٥ - بقل الموضع ابقالا إذا أثبت البقل فهو باقل ، ومبقل على الأصل •
- وشذ أيضا مجيء اسم الفاعل من فعل الثلاثي على وزن غير فاعل : ومن ذلك •
- ١ - باع الرجل فهو بيع وزان سيد وفي الحديث « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » وجاء بائع على الأصل •
- ٢ - طاب الشيء إذا لذوزكا فهو طيب وزان سيد ، ولا يقال كاتب •
- ٣ - بان الأمر إذا ظهر واتضح فهو بين وزان سيد ، وجاء بائن على الأصل •
- ٤ - شاخ الرجل إذا استبانته فيه السن فهو شيخ جمعه شيوخ بالضم والكسر وأشياخ ، وشيخة بالكسر وشيخة بكسر فلتح ، وشيخان بالكسر ، وشيخة وزان مرحة ، وشيخة وزان مدينة ومشيوفار ، ومشايخ •
- ٥ - نصحت لك بكذا فأنا نصيح ، جمعه نصحا ، وجاء ناصح على الأصل جمعه نصح كركع ونصاح ككتاب •
- ٦ - مات المريض فهو ميت وزان سيد ، ميت وزان سيف ، وقد ذكرها الشاعر في قوله •
- ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الأحياء

والجمع أموات ، وموتى ، ومنه قوله تعالى لرسوله صلى
 وميتون بتشديد الياء ، وميتون الله عليه وسلم « أنك ميت وأنهم
 بأسكانها ، وهي ميتة ، وميتة وجاء ميتون » أما الميت بسكون الياء
 ماتت على الأصل ، والمائت والميت فهو من خرجت نفسه •
 بتشديد الياء من لم يميت بعد ، عباس أبو السعود

« دعاء »

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :
 اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى
 دنياى التى فيها معاشى •
 وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى •
 واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير •
 واجعل الموت راحة لى من كل شر •
 وروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :
 أتخبرون أيها الناس أن تجتهدوا فى الدعاء
 قالوا : نعم يا رسول الله •
 قال : قولوا (اللهم أضأ على ذكرك وشكرك وحسن
 عبادتك) •

حكم .. وطرائف

أعدتها الأستاذة عميرة الحفيظ محمد عبد الحليم

«من أعجب الأشياء»

من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه ، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الاجابة ، وأن تعرف قدر الريح في معاملته ثم تعامله غيره ، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأئس بطاعته ، وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه وغير الحديث عنه ، ثم لا تشفق الى اشرار الصدر بذكره ومناجاته ، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه الى نعيم الاقبال عليه والانابة ابيه وأعجب من هذا علمك انك لا بد لك منه وأنت أحوج شيء اليه ، وأنت عنه معرض وفيما يبعدك عنه راغب .

«التحرج من الفتيا»

قال علي - كرم الله وجهه - : من أمتى الناس بغير علم لعنته السماء والأرض ، وكان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء : الامامة والوديعة والوصية والفتوى ، وقيل أسرع الناس الى الفتوى أقلهم علما ، وأشدهم دفعا لها أورعهم .
وقال صلى الله عليه وسلم : « أجرؤكم على النار أجرؤكم على الفتوى » .

وقال ابن مسعود — رضى الله عنه : ان الذى يفتي الناس فى كل ما يستفتونه لجنون •

وسأل رجل ابن عمر — رضى الله عنهما — عن شيء ، فقال : لا أعلم ثم قال بعد أن ولى الرجل : نعم ما قال عمر لما لم يعلم لا أعلم •

وسئل مالك بن أنس — رضى الله عنه — عن ثمان وأربعين مسألة ، فقال فى اثنتين وثلاثين منها : لا أدرى •

وكان عبد الله بن يزيد يقول : ينبغى للعالم أن يورث جلساءه من بعده لا أدرى حتى يكون أصلا منه فى أيديهم اذا سئل أحدهم عما لا يعلم أن يقول لا أدرى •

وسئل الشعبي عن مسألة فقال : لا أعلم ، فقيل : ألا تستحى وأنت فقيه العراقيين ؟ قال : لا أستحى مما لا تستحى منه الملائكة حين قالت : « لا علم لنا الا ما علمتنا » •

وسئل أبو يوسف عن شيء ، فقال : لا أدرى ، فقيل له : تأكل من بيت المال كل يوم كذا وكذا ؟ وتقول : لا أدرى فقال : أكل منه بقدر علمي ، ولو أكلت بقدر جهلى ما كفانى ما فى الدنيا جميعا •
وقال أعرابى : لا تقل فيما لا تعلم فتتهم فيما تعلم •

« لو صبرت »

اشترى رجل دارا ، فقال لصاحبها : لو صبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة دنانير ، قال له : وأنت لو صبرت لبعثتك الذراع بدرهم •

« اتجه الى الله »

شكا رجل الى رجل الفقر : فقال له : يا هذا ، تشكو من يرحمك الى من لا يرحمك ؟

وقال الأحنف بن قيس : شكوت الى عمى وجعاً فى بطنى ، فنهزنى ثم قال : يا ابن أخى لا تشك الى أحد ما نزل بك ، فانما الناس رجالان :

صديق تسوءه ، وعدو تسره ، يا ابن أخى : لا تشك الى مخلوق مثلك ، لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن أشك الى من ابتلاك به ، فهو قادر على أن يفرج عليك ، يا ابن أخى : احدى عيني هاتين ، ما أبصرت بها سهلا ولا جبلا منذ أربعين سنة ، وما أطلعت على ذلك امرأتى ، ولا أحد من أهلى .

« ترغيب »

« من حج حجة فقد أدى فرضه ، ومن حج ثانية فقد دأب ربه ، ومن حج الثالثة حرم الله شعره وبشره على النار » .

« صدق رسول الله »

« ايهما أركب »

خرج ابراهيم بن أدهم في بعض السنين الى الحج ماشيا ، فرآه رجل على ناقته ، فقال له : الى أين يا ابراهيم ؟ قال : أريد الحج ، قال : أين الراحلة ؟ فان الطريق بعيد ؟ قال ابراهيم : لى مراكب كثيرة ، ولكن لا تراها ، قال : ما هى ؟ قال : اذا نزلت بى مصيبة ركبت مركب الصبر ، واذا نزلت بى نعمة ركبت مركب الشكر ، واذا نزل القضاء ركبت مركب الرضاء ، واذا دعتنى نفسى الى شئ علمت أن ما بقى من الأجل أقل مما مضى . قال له الرجل : سر باذن الله ، فأنت الراكب وأنا الماشى .

« أخروا »

كان ابن مسعود اذا مشى خلفه أحد الناس ، قال : أخروا عنى نعالكم فانها ذلة للتابع وفتنة للمتبوع .

« أميته الحيلة »

يعتبر أبو جعفر المصور ، رجل بنى العباس والمؤسس الثانى لدولتهم بعد أن انتقلت اليهم الخلافة من بنى أمية ، وكان اذا دخل البصرة أيام الأمويين دخل متتكرا متكتما ، وكان يجلس في حافة أزهر

السَّمان العالم الثَّبت المحقق ، فلما أفضت الخلافة اليه ، قدم عليه أزهر فرحب به وقربه وقال : ما حاجتك يا أزهر ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، دارى متهدمة وعلى أربعة آلاف درهم ، وأريد أن أزوج ابني محمدا فوصله بعشرة آلاف درهم ، وقال له : قد قضينا حاجتك يا أزهر ، فلا تأتينا بعد اليوم طالبا ، فأخذها وارتحل ، فلما كان بعد سنة أتاه ، فقال له أبو جعفر ما حاجتك يا أزهر ؟ قال : جئت مسلما ، فقال : لا والله بل جئت طالبا ، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم فاذهب ولا تأتينا بعد اليوم طالبا ولا مسلما ، فأخذها ومضى ، فلما كان بعد سنة أتاه ، فقال له ما حاجتك يا أزهر ؟ قال أتيت عائدا ، فقال : لا والله بل جئت طالبا ، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم فاذهب ولا تأتينا بعد اليوم طالبا ولا مسلما ولا عائدا ، فأخذها وانصرف ، فلما مضت السنة أقبل ، فقال له : ما حاجتك يا أزهر ؟ قال : يا أمير المؤمنين دعاء كنت سمعتك تدعو به ، جئت لأكتبه ، فضحك أبو جعفر وقال : الدعاء الذي تطلبه منى غير مستجاب ، فإني دعوت الله به أن لا أراك ، فلم يستجب لى ، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف ، وتعال اذا شئت ، فقد أعيقتنا الحيلة فيك •

« أول جورك »

اختصم عمر بن الخطاب وأبو كعب - رضى الله عنهما - فى حادثة الى ريد بن ثابت ، فالقى زيد الى عمر بوسادة يجاس عليها ، فقال له عمر : هذا أول جورك وأبعد الوسادة وجلس بين يديه •

« الغيب نبي »

كان رجل من الأعراب يعمل فى معمل الذهب فلم يصب شيئا فأنشد يقول :

يارب قدر لى فى هناسى

وفى طلاب الرزق بالتماس

صفراء تجلو كسل النعاس

فضرته عقرب صفراء بذنبها فأسهرته طول الليل فجعل يقول :
 يارب الذنب دنبي اذا لم أبين ما أريد من الصفراء ، اللهم لك
 الحمد والشكر ، فقال رجل : أما سمعت قول الله تعالى : « لئن شكرتم
 لأزيدنكم » فوثب الرجل فزعا من الخوف أن يزيده الله من ضربات
 العقارب لشكره .

« متى يجاب الدعاء ؟ »

قال ابن عطاء : للدعاء : أركان وأجنحة ، وأوقات وأسباب ، فان
 وافق أركانه قوى ، وان وافق أجنحته ارتفع ، وان وافق أوقاته فاز ،
 وان وافق أسبابه نجح .
 وأركانه : حضور القلب مع الله — تعالى — والخشوع لله
 والحياء من الله ، ورجاء كرم الله !
 وأجنحته : الصدق ، وأكل الحلال .
 وأوقاته : الفراغ والخلوة .
 وأسبابه : الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — فان الدعاء
 لا يرد اذا كان قبله ويمعه الصلاة على انبيى — صلوات الله وسلامه
 عليه .

« دعاء »

اللهم انك تسمع كلامى ، وترى مكانى ، وتعلم سرى وعلايتى
 ولا يخفى عليك شئ من أمرى ، فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى فاعطنى
 سؤلنى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

باب الفوائد

المصنف عبد الله بن عبد الله

ومن هنا نرى الفقراء أو البغلاء
يعمدون الى ماقل ثمنه من هدى
مريض أو هزيل فيذبحونه ، فلا
يطيب لحمه لآكل ولو كان فقيرا
يتصور جوعا • وبذلك تتكسد
لحوم الهدايا في منى ، وتتفن •
وتتبعث منها الروائح ، فتفسد
الجو ، وتنتشر بها جراثيم المرض ،
وفي ذلك من الأذى والضرر ما لا
يرضاه الشرع الحريم على صحة
الناس وطيب الحياة ••

وأمام هذا الواقع الفاسد يبرز
آخرون ، يقف نظرم عندما تقع
عليه أبصارهم وتشمه أنوفهم •
من تكسد اللحوم وأثارها
السيئة ، ولا يكلفون أنفسهم
البحث عن أسباب هذه الظاهرة
الخبیثة ، فيردونها الى مسوء

هل يجوز استبدال النقود
بالهدى ؟

تحدث كثير من الناس في
استبدال النقود بالهدى
والأضاحى ، هل يجوز ذلك أولا
يجوز ؟

ووجه بعض الصحف الى العلماء
استفتاء في هذا الشأن فأجاب عليه
الأستاذ الامام شيخ الأزهر الأسبق
الشيخ محمود شلتوت رحمه الله
بما يلى : —

بين الجهل في التطبيق والنظر
القاصر :

يظن كثير من الحجاج أنه يجب
على كل حاج أن يذبح هدایا في
حجه ، وأن يكون ذبحه في أيام
معينة هي : أيام النحر الثلاثة ،
وفي مكان معين وهو منى خاصة ،

بها هنا معنى الهدى الذى شرعه الله فى الحج ، وعن مكانته فى القرآن الكريم ، وعن الحالات التى يطلب فيها عينا دون تخيير بينه وبين غيره ، وعن المكان والزمان اللذين يصح فيهما ذبح الهدى ، وعما ينبغى أن يكون عليه الهدى من سلامة الصحة والجودة والنقاء ...

وأرجو أن يجد الفريقان فى هذه الكلمات ما يردهم الى الصواب ، فيعرف الحجاج أن الهدى ليس واجبا على كل حاج ، ويعرف من يجب عليه : أن الهدى الهزيل هدى خبيث لا يرضاه لنفسه ولا لأهله ، فلا ينبغى أن يرضاه لله « ولا تيمموا الخبيث منه تففقون واستم باخفيه الا ان تغمضوا فيه » (٢) .

ويعرف الآخرون أن الله أرحم بعباده منهم ، وأنه لا يشرع لهم الا كل خير نافع ، وأنه أجل من أن يتمبدهم بما فيه شر أو ضرر :

التشريع ، لا الى سوء التطبيق ، أو الجهل بالتشريع ، وبذلك يصيحون — كلما اظلم الناس موسم الحج — بوجوب المدول عن الهدى والذبيح — ويلحون فى استبدال النقود بالهدى • وتوزيعها على الفقراء ، بدلا من هذه اللحوم التى تفسد الجو ، أو تدفن فى الأرض ، ويقحمون فيما يبرر رأيهم — جهلا بغير علم — قوله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » (١) •

وبذلك وقعت مسألة « الهدى فى الحج » بين جهل فى التطبيق والعمل ، وبين نظر قاصر ، يحاول بهذا الجهل تغيير حكم الله فيها ، دون أن يتعرف واقع المشروع ، ويدعو الناس اليه ، فيبقى حكم الله على ما شرع ، ويسلم الجو من الأذى والضرر ...

كلمات فى الهدى :

وهذه كلمات فى الهدى أكشف

(١) الآية ٢٧ من سورة الحج •

(٢) الآية ٢٦٧ من سورة البقرة •

معنى الهدى :

والهدى اسم للحيوان الذى يعدى باسم الله الى الحرم، ويذبح فيه ، ويطعم منه الفقير والمسكين « فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمتر كذلك سخرناهم لكم لعلكم تشكرون » (١) . وقد أرشد القرآن الى الروح الذى يتقبل به الهدى ، وهو روح الاخلاص والتقوى ، شأن كل التكليف ، لا يكفى فى تقبلها شكلها ولا صورتها ، وانما يرغبها اليه الاخلاص والتقوى ، وهو المعنى بقوله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » (٢) كما لا يناله من الصلاة الحركات والسكنات ولا من الصوم ترك المأكولات والمشروبات ، ولكن يناله منها ما يحملان من معانى الخشوع والاخبات ، ومراقبة القلب وحسن النيات « انما يتقبل الله من المتقين » (٣) .

أو ضرر : وأن تشريعه فوق ما يربطون به نظرهم من سوء التصرف المبني على الجهل بأحكامه وشرائعه ، وأن من الخير لهم وللناس أن يترثوا في آرائهم ولا يدفعوا الى اعلان التحلل من أحكام الله بمجرد نظر خاطف ، فيوقعوا الناس في شك من دينهم . ويفتحوا على أحكام الله بمثل هذا النظر باب التفكير في كثير من صور العبادات التى ينحرف الناس بها عن وضعها الشرعى ، واذن لا يمضى كثير من الزمن ، وخاصة في هذه الفترة التى نعيش فيها ، والتى يستبجح فيها كثير منا - باسم حرية الرأي ومعقولية الدين - أن يتناولوا بأفكارهم الشاذة ، ما لا يفقهون من أحكام الله العقيدية ، أو ما يفقهون ويريدون - لحاجة في نفوسهم - القضاء عليه .

(١) الآية ٣٦ من سورة الحج .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الحج .

(٣) الآية ٢٧ من سورة المائدة .

الهدى في القرآن :

قد عرض القرآن للهدى من جهات ثلاث :

أولها : جهة التنويه بشأنه ، فطلبه وطلب الاخلاص فيه لله ، وجعله من الشعائر التي يجب المحافظة عليها ، ويحرم اهمالها واحلالها ، ففي سورة المائدة « يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ، ولا آمين البيت الحرام » (١) وفي سورة الحج « واليمن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير » (٢) وفيها « ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » (٣) ...

ثانيها : جهة الحالات التي يطلب فيها . وهي : حالة الاحصار وممناء : المنع عن اتمام الحج أو العمرة بمرض أو عجز وهي المذكورة بقوله تعالى في سورة

البقرة « وأتموا الحج والعمرة لله . فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى » (٤) وقد طلب فيها الهدى عينا متى تيسر ، ولم يخير بينه وبين غيره . كما لم يجعل له بدل . .

وحالة الاعتداء على الاحرام بفعل مخطور من محظوراته ، كتغطية الرأس ، أو لبس مفصل على الجسم ، أو قتل صيد الحرم ، وهي المذكورة بقوله تعالى في سورة البقرة « فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحذو من صيلام أو صدقة أو نكس » (٥) ويقول في سورة المائدة « يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما » (٦) .

-
- (١) أوائل سورة المائدة .
 (٢) الآية ٣٦ من سورة الحج .
 (٣) الآية ٢٢ من سورة الحج .
 (٤) الآية ١٩٦ من سورة البقرة .
 (٥) الآية ١٩٦ السابقة .
 (٦) الآية ٩٥ من سورة المائدة .

كله ، وقد صح عنه « ان منى كلها منحر ، وان مكة وفجائها منحر » واذن : ففي مكان ذبحه متسع • ومتسع عظيم ، وليس خاصا بمنى كما يظن كثير من الناس •

أما الوقت الذى يذبح فيه الهدى ، فلم يعرض القرآن ولم يصح فى تعيينه حديث ، واذن فلمن وجب عليه الذبح عينا • أن يذبح هديه فى أى وقت شاء بعد أن وجب عليه ، وليس هناك ذبح يتعين زمنه سوى « الأضحية » التى تكون فى أيام النحر الثلاثة ، وهى غير الهدى • وهى لا تجب — ان صح أنها واجبة — على حاج أو مسافر •

وقد بين الفقهاء أن هدى التمتع يجوز ذبحه بمكة قبل الخروج الى عرفة ، بل قبل الاحرام بالحج وهو أهم ما يجرى فيه الجدل بين الناس ، وأهم ما يحدث تلك الظاهرة الكريهة •

الهدى من شعائر الله :

بهذا الذى ذكرناه نعلم أن الهدى من شعائر الله التى تجب

وقد طلب الهدى فى هاتين الحالتين على سبيل التخيير بينه وبين غيره : من الصوم والاطعام ، وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام أن المراد : صوم ثلاثة أيام أو اطعام ستة مساكين ••

وحالة التمتع بالتصلل من الاحرام الأول على ارادة استئناف احرام آخر للحج عند الخروج الى عرفة ، وهى المذكورة بقوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى • فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم » وقد يكون طلب الهدى هنا على أن يكون له بدل عند العجز •

زمان ومكان الهدى :

وكما عرض القرآن للهدى من جهة التتويه بشأنه • ومن جهة الحالات التى يطلب فيها : عينا أو تخييرا بينه وبين غيره • عرض له من جهة المكان الذى يذبح فيه « ثم محلها الى البيت العتيق » « هديا بالغ الكعبة » والمراد — لما دل عليه قول الرسول عليه الصلاة والسلام وعمله — الحرم

الأوقات . واختلاف مقادير الزكاة والكفارات ، وسائر ما دخله العد ، أو اعتبرت فيه الكيفية — الانوعا من هذا التعبد الذى يتجلى فيه بوضوح مقتضى العبودية الحققة وهو الامتثال لأمر الرب الحكيم ، عقل معناه أم لم يعقل .
من ثمرات الهدى الروحية والاقتصادية :

والعلماء يذكرون فى هذا المقام أن هذه القرية تذكر بحادث الفداء الذى حصل لإبراهيم الخليل وولده عليهما السلام . وتتبعه النفوس المؤمنة الى مبدأ التضحية فى سبيل الله وطاعته بأعز شئ لديها « وهديناه بذبح عظيم » .
على أن فى العمل بهذه القرية اقترافا يرجع الى سكان البادية، ولعله من مصداق دعوة أبيهم إبراهيم حين قال : « ربنا انى أسكنت من قريبى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (١) .

المحافظة عليها ، ولا يصلح التهاون فيها أو اغفالها ، وحسبنا « لاتحلوا شعائر الله » والشعائر هى العلامات الواضحة الظاهرة التى اعتبرها الدين مظهرا من المظاهر العامة ، وهذا لا يتحقق الا بعمل ظاهر يراه الناس فى مناسبات خاصة ، وإن أردت زيادة فى الايضاح فانظر الى موقف الشريعة من الأذان . اذا اعتبرته شعيرة من شعائر الدين ، يقاتل أهل القرية أو المدينة على تركها وإن لم تكن من الفرائض ألا وإن للشعائر فى نظر الاسلام مكانة الفروض المقدسة ، وعلى هذا اتفقت كلمة الفقهاء فى ذبائح الحج ، ولم نر لواحد منهم خلافا فى ذلك ، نزولا على حكم تلك الآيات الصريحة الواضحة ، وتحقيقا للغرض المقصود ، وهو التقرب الى الله بآرافة الدم . ولله سبحانه وتعالى أن يتعبد عباده بما يشاء : بما يدركون حكمته ، وبمالا لا يدركون . وما كان اختلاف الفرائض — فى عدد الركعات والكيفيات ، وتحديد

(١) الآية ٢٧ من سورة إبراهيم .

سجود أو غيرهما من كفيات الصلاة الخاصة ، وذلك ينفتح باب الشر على مصراعيه ولا يقف ضرره عند حد الأضاحى وفدية الحج ..

الشريعة لا تذب لها :

أما ما يعبرون به مثل هذا التفكير من أن لصوم الذبائح تتكسب في منى وتترك للمتعمق المفسد للجو ، أو للنار المذهبة للاموال ، فهذه الحالة — ان صحت — ليست ناشئة عن أصل التشريع الذى هو خير كله ، وانما نشأت عن عدم التنظيم ، وعدم الامام بأحكام الشرع ، فان الشرع لم يطلب من كل حاج أن يذبح : فالدى نوى الحج ، واستمر على احرامه حتى اكمل حجه لا يجب عليه ذبح ولم يوجب أن يكون الذبح — فيما يوجب فيه الذبح — فى خصوص منى ولا مجزرتها ، ولا فى اليوم الأول من أيام النحر ، فأيام النحر كلها زمن للذبح ، والحرم كله مكان للذبح ، والذبح لم يطلب عينا الا فى حالات

ذلك أن الماشية رأس مال أهل البادية . وموسم الحج هو السوق التى تنفق فيه هذه السلعة . عن رغبة لا مثقة فيها ، وبذا يحصلون على أراذلهم من أعمالهم . ومن ثمن أموالهم دون أن يتعرضوا لذل السؤال ، أو يترقبوا لمن المطاء .

لا تغيير فى أمور التعبد :

من هذا يتضح جليا أنه لا يجوز للمسلمين أن يفكروا فى استبدال النقود بالهدى أو الأضاحى التى طلبها الشارح بذاتها ، اقامة للتصدق بثمنها مقامها ، اذ ليس القصد هو التصديق ، وانما القصد — كما قلنا — التقرب بها نفسها . واننا لو أبحنا لأنفسنا هذا النحو من التفكير — بناء على ما نظن من حكم التشريع — لا نفتح علينا باب ، التفكير فى التخلي عن الأعداد والكيفيات التى طلبت فى كثير من العبادات ، ولأمكن لقائل أن يقول: ان الغرض من الصلاة هو الخضوع ومراقبة الله ، وهما معنيان يحصلان بالقلب ، وبأى مظهر من مظاهر الخضوع والمراقبة . فليست هناك حاجة الى ركوع أو

اقترح لحل المشكلة :

ويعد : فإن الكلام في هذا الموضوع ليس وليد اليوم ، بل سبق أن تحدث فيه المرحوم الهلباوى بك مع فضيلة المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، فأحال على فضيلته يحثه من الوجهة الفقهية الشرعية ، فمدت إليه بعد البحث الطويل : بأن الفقهاء جميعا يعتبرون التباعد في هذه المسألة براءة الدماء ، دون أن أرى في كلام واحد منهم ما يشير - ولو من بعيد - الى جواز استبدال النقود بها . فاطمان الى هذا وأقره .

وقد عرضت على فضيلته اقتراحا هو : أنه على فرض تكديس اللحوم - كما يقولون بعد مراعاة الأحكام الشرعية في زمان الذبح ومكانه وطلبه وعدم طلبه ، يجب على المسلمين أن يعملوا على استخدام إحدى الوسائل الحديثة لحفظ هذه اللحوم وإدخالها طيبة ، ثم توزيعها على الفقراء والمحتاجين في جميع الأقطار الإسلامية . ان

مخصوصة ، وما عداها فالحاج مخير بينه وبين غيره : من صدقة أو صيام .

فلو عرف الحاج أحكام الله على هذا الوجه فيما يختص بالدماء : فتصدق من لم يطلب منه الذبح ، وذبح من طلب منه الذبح ، وفرقوا الذبح على الأماكن والأيام ، ثم تخيروا الذبيحة من غير المصاب والمرضى ، وهيئوها بالسليخ والتقطيع ، لما كان لهذه الشكوى موضع ولكن جرت سنتنا في التفكير ان نعتبر الوضع الذي جرت اليه العادات - وان كانت فاسدة - صورة للتشريع فنحكم عليه بالقبح ، ثم نحاول التخلي عنه بالقضاء على أصله ، وبذلك ندخل في باب من التخيير والتبديل في أحكام الله ، ولا نلبث بعد ذلك أن نترك الشريعة كلها جانبا باستحساننا الفاسد المبني على واقع جر اليه الجهل وعدم التقظيم .

ضاق عنها القطر الحجازي ، أو يبيعها بأثمان تصرف فيما ينفع الفقراء والمساكين أو في سبيل الله المصانة ، وإننى اعتقد أن هذا المشروع متى كفلته الدولتان العظيمتان : مصر والسعودية ، رأينا آثاره وانقفع الناس بثمراته إن شاء الله ..

أياها المسلمون : هذه أحكام الله في الهدى ، وأحكامه كلها خير وبركة ، فاعرفوها على وجهها • وعلّموها الناس ، ونظّموا العمل بها والمحافظة عليها ، ولا تكونوا كالذين ثقلت عليهم أحكام الله مع يسرها وخيرها فبدلوا قولاً غير الذى قيل لهم • فأرسل الله عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون •

عبد الحميد السيد شاهين

« تصويب »

وضع خطأ ككثييه « الشعر المملوكى مرآة عصره »
 فى مونسوع •• « تعقيب ورد على التعقيب » ص ١٤٤٦
 عدد ذى القعدة •

فلزم التنبية

من أنباء العالم الإسلامى

اعداد الاستاذ فهمى عبداللاه سيد على

والتكنولوجيا • كما أنه أكد على أهمية تدعيم نظم التعليم الإسلامى ومنهجه فى الدول الإسلامية •

وشدد الرئيس ضياء على أهمية مواجهة مروجى التيارات الهدامة التى يواجهها المسلم الإسلامى •

وقال ان صراع الأفكار والمبادئ الوضعية التى وضعتها الانسان فى عالمنا المعاصر تعرض السلام الدولى للخطر • وأعرب الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق عن سروره لعودة المسلمين الى المعانى الأصيلة لدينهم وتراثهم التعليمى والثقافى المميز ، واندفاعهم نحو التعرف على هويتهم الحقيقية •

« الرئيس الباكستانى يدعو الى وضع نظام تربوى يركز على العقيدة الإسلامية » •

طالب الرئيس ، محمد ضياء الحق ، رجال التربية المسلمين ، بالرجوع الى القرآن الكريم المنهل الأصلى والدائم للمعرفة والرشاد • كما أنه دعا الى وضع نظام تربوى ، يركز على العقيدة الإسلامية وبناء جيل اسلامى قادر على تحمل مسؤولياته فى الأزمنة الراهنة •

كذلك طالب الرئيس الباكستانى القائمين على التعليم الإسلامى ببذل جهود لتنشئة أبناء المسلمين طبقا لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وتمكين الطلاب المسلمين من التعمق فى العلم

« توصيات اتحاد المؤرخين الاسلاميين وتراثها »

العرب (١) » ..

كذلك دعا المكتب الحكومات العربية الى دعم مراكز وأقسام الدراسات الاسلامية والعربية في الجامعات الأجنبية لتمكينها من اداء دورها الايجابي ، ودعم الاتحاد في مشروعه الخاص باقامة ندوة عالمية في كندا لبحث العلاقات العربية الكندية والعمل على تطويرها .

كما أنه دعا الحكومات العربية الى توحيد جهودها وجمع كلمتها لمجابهة العدوان الصهيوني واسترداد حقوق العرب في أرض فلسطين .

ووجه الاتحاد نداء الى الأمين العام للأمم المتحدة عن الجرائم التي ترتكبها الصهيونية في الارض العربية المحتلة .

« الدعوة للمحافظة على مدينة (فاس) المغربية » ..

وجه سعادة المدير العام لمنطقة الاونيسكو ، التابعة للأمم المتحدة الدكتور أحمد ومختار مباوي ، من

نائب المكتب الدائم لاتحاد المؤرخين العرب الحكومات العربية بضرورة الاحتفاء بحلول القرن الخامس عشر الهجري بما يليق وتاريخ الأمة الاسلامية ومكانتها الحضارية ، كما دعا الحكومات العربية ومؤسساتها الثقافية للتعاون مع اتحاد المؤرخين العرب ، من أجل كتابة تاريخ الأمة العربية بأسلوب علمي وروح موضوعية ، كذلك طالب الحكومات العربية بضرورة توحيد مناهج تدريس التاريخ العربي الاسلامي في جميع مراحل التعليم في الوطن العربي .

كما أوصى المكتب الدائم لاتحاد المؤرخين العرب الحكومات العربية بضرورة الاسهام في مشروع احياء مدينة القيروان ومسجدها الجامع، وآثارها الاسلامية ، وايفاد عدد من المؤرخين العرب الى عدد من الجامعات للتعريف بتاريخ الأمة

الناحية التقنية فمن المقدر أن تبلغ التكاليف حوائى ستمائة ألف مليون لير ايطالى ، كما أن تنفيذ الحملة قد يؤى الى تغيير جذرى فى مخططات المدينة .

« رابطة العالم الاسلامى تقدم أربع ملايين ريال لتشييد مساجد فى دول افريقية » ..

قدمت رابطة العالم الاسلامى مبلغ ٤ ملايين ريال الى كل من السنغال ، ومالى ، وساحل العاج ، وتوجو ، وسيراليون ، وغانا ، للمساهمة فى انشاء عدد من المساجد فى هذه البلدان .

هذا ، وقد قام وفد من رابطة العالم الاسلامى بجولة فى هذه الدول ، سلم خلالها حصة كل دولة من هذا المبلغ ، كما أجرى اتصالات مع المسئولين فى الجمعيات والمراكز الاسلامية ، فى الدول الست تناولت تشكيل مجالس محلية للأئمة ، للعناية بالمساجد ، الى جانب شئون الدعوة الاسلامية وتطوير أساليبها ، ودعم العلاقات بين الرابطة والدول الاسلامية .

فهى عبد الله سيد على

جمهورية السنغال ، الدعوة للقيام بحملة عالمية ، لاعادة بناء وترميم مدينة فاس ، أقدم المدن المغربية ، والتي كانت فى يوم من الأيام عاصمة الجناح الغربى من بلاد الاسلام ، لتعود اليها عظمتها ومجدها ، ليس فقط من الناحية الفنية والمعمارية محسب ولكن من الناحية التجارية والثقافية والأدبية والروحية . ان مشروع اعادة تعمير مدينة فاس سيتناول اعادة بناء وترميم العديد من المساكن والمدارس والمعاهد الدينية والثقافية ، بحيث تعاود نشاطها وتستعيد مجدها ، فضلا عن المحافظة على الفن المعماري الأندلسى ، وكذلك فكرة بناء كلية الدراسات الاسلامية .

والجدير بالذكر ، أن هذا النداء العالمى ، هو الأول من نوعه ، والذى تقوم به مؤسسة الأونيسكو التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، فى سبيل اعادة بناء وترميم مدينة اسلامية ، كما أن هناك بعض العقبات التى تعترض هذه الحملة ، سواء من الناحية المالية أو من

كتاب الشهر

أبو هريرة الفخري عليه

في كتاب
مذاهب أئمتها الساسة في الإسلام

تأليف
الأستاذ / عبد الواحد الأنصاري

تعليق
الأستاذ / عبد الجواد محمد الفخري

رد على لفتوه به كاتب في مصنف منشور . . .

نشرت مؤسسة للمطبوعات في بيروت — مؤخرًا — كتابًا حمل عنوان (مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام) افترى مؤلفه على أبي هريرة ، ولم يكف بذلك بل اتهم جل الصحابة — رضى الله عنهم — بما لا يقوله مسلم يؤمن بما أنزل على محمد — صلى الله عليه وسلم — ولا كنت أحفظ أثرًا عن جابر بن عبد الله يقول : « اذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره ، فان كانتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل على محمد » ترانى اكشف الأتقنة عن الطاعنين . . . ولم لا ؟ وقد أثبت اعلام الاسلام « أن (١) أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين تصديقًا ، وعلمًا وعملاً وتبليغًا ، فالتعن فيهم طعن في الدين موجب للاعراض عما بحث الله به النبيين » وأشهد أن أبا هريرة ورفاقه مبرعون من كل جريرة ، أما ما يتقوله هؤلاء مثيرو الفتن ، فان يغنى عن الحق شيئًا ، وانى لهم التناوش ؟ وقد سجل الاسلام فضل صحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في مناهجه :

في القرآن الكريم

يقول الله « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم » (٢) .
ويقول : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة (٣) » ويقول : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان رضى

(١) ابن تيمية (منهاج السنة) ج ١ ص ٢ ط انصار السنة المحمدية . القاهرة .

(٢) سورة التوبة — ١١٧ .

(٣) سورة الفتح — ١٨ .

ولا مناص من اتهام اسلام هؤلاء
والا فبم يتهمون ؟ !
وحسبك أن الله سبحانه - غفر
لهم وترضى عنهم - وليت المتشككين
ينظرون بعين الانصاف الى هؤلاء
النجوم الذين نوروا للناس
الظلمات ...

مزاعم مدخوذة بالدلائل الثابتة .

يقول مصنف الكتاب في (ص ١٢)
(ان أبا هريرة الذي عاش في عهد
رسول الله - صلى الله عليه وسلم
- سنة وبضعة أشهر وحده يروى
عن رسول الله أكثر من ستة أضعاف
ما رواه علي وأبو بكر وعمر
وعثمان ، يروى البخاري منها
(٤٤٦) حديثا أي ما يقارب خمسة
عشر ضعفا عما رواه عن أبي بكر
وعمر مع إجماع المسلمين أن عمر
وعائشة كانا غير واثقين به ويتهمانه
بالكذب على رسول الله ، أخرجه

الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم
جنان تجري تحتها الأنهار خالدين
فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » (٤) .

في السنة الشريفة

يقول رسول الله - صلى الله
عليه وسلم : « لا تسبوا
أصحابي فوالذي نفسي بيده لو
أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا
ما أدرك مد أحدهم
ولا نصيفه » (٥) ويقول « الله ا
الله ا في أصحابي لا تتخذوهم
غرضا فمن أحبهم فبحبي أحبهم ،
ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ،
ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن
آذاني فقد آذى الله فيوثك أن
يأخذك » (٦) ويرى
الامام أحمد أن المرجفين على
صحابية النبي « أرادوا القدح فيه
فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه
حتى يقولوا رجل سوء ، ولو كان
رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين »

(٤) سورة التوبة ١٠٠ .

(٥) رواه مسلم وهو صحيح .

(٦) رواه الترمذي وابن حبان .

الامام أبو حنيفة من الثقات واعتبره من الوضاعين .. الخ) وللدرد على هذه الأكاذيب نقول : — الناس متفاوتون في العقول ، وفي درجة التقى للملم ، وليس بمستغرب أن يحصل أبو هريرة ما لم يحصله غيره بيد أنه كان قسوى الذاكرة جيد الحفظ لأنه لم يك كتابا مثل بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا يخيب عن خاطرنا أن الصحابة كانوا يتمنون اسلام الأعراب لأنهم كانوا يسألون الرسول عن أشياء يستحي منها الصحابة ، أما أنه عاشر النبي — صلى الله عليه وسلم سنة وأشهر — فهذا كذب والصدق أنه جلس معه « ثلاث سنين وأشهر كما أجمعت معظم الروايات التاريخية الصحيحة (٧) » ولعل كثرة مروياته راجعة في الأصل الى ملازمته الصيقة لرسول الله ، فمن أبي هريرة قال : قلت يا رسول الله : « من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال

« لقد ظننت أن يسألني عن هذا الحديث أحدا أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث » وأخرج البغوي بسند جيد عن ابن عمر أنه قال لأبي هريرة : « أنت كنت ألزمتنا لرسول الله ، وأعلمنا بحديثه » وعن طلحة بن عبيد الله قال : لا أشك أن أبا هريرة سمع من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما لم نسمع (٨) ، ومن عجيب الأمر أنه كان يعلم أن الناس سيتقولون عليه ، وكأنه كان ينظر بستر رقيق من وراء النيب ، وهذا أن دل فليس الا على نفاذ بصيرته وقوة فراسته وسلامة كرامته ، وتأمل معي — أيديكم الله — حديثه الواضح لتري مدى شفافيته قال : « يقولون ان أبا هريرة قد أكثر والله الموعد ، ويقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه ، وسأخبركم عن ذلك : ان أخواني من الأنصار كان يشغلهم الصلق بالأسواق وكنت ألزم

(٧) رشيد رضا (مجلة المنار) ج ١ مجلد ١٩ من ٣٦ سنة ١٣١٥ هـ .

(٨) ابن حجر — (الإصابة) ج ١ من ٢٠٧ ط السعادة سنة ١٣٢٨ هـ .

لهذا الاكثار من المحفوظات فأنبت
أن من أعلام الرواة « أبو هريرة »
وعدد ما رواه خمسة آلاف وثلاثمائة
وأربعة وسبعون (٥٣٧٤) حديثا ،
وعن الشافعي : كان أبو هريرة
أحفظ من روى الحديث في دهره ،
وكان الامام مالك يرضاه وهو ثقة
دع عنك ما ينسب به المؤلف لأبي
حنيفة ، لأن مسائل الفقه عنده
اعتمدت في أدلتها على أحاديث
الرسول برواية أبي هريرة ، فكيف
يكذبه ثم يعتمد على طريقه ، بل
كيف يخترع مصنف الكتاب تلك
الأقاويل ويعزوها للبراء منها ،
وهل نسي « أنا أبا هريرة روى عنه
أكثر من ثمانمائة رجل (٩) » ويقول
في ص ٢٧ ما نصه : « وبعد أن كان
الانتهازيون من المحدثين يحدثن
الناس في عهد معاوية ، أن الله
اصطفى محمدا وجبرائيل ومعاوية
» روى ملهب البداية والنهاية ج
٨ ص ١٢٠ عن أبي هريرة قال :
سمعت رسول الله - صلى الله عليه

وسول الله - صلى الله عليه
ومسلم - على ملء بطنى ، فأشهد
إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا ولقد
قال رسول الله - أيكم يبسط
ثوبه فيأخذ من حديثي هذا ثم
يجمعه إلى صدره ، فإنه لم ينس
شيئا سمعه فبسطت بردة على حتى
فرغ من حديثه ثم جمعتها إلى
صدرى فما نسيت بعد ذلك اليوم
شيئا سمعته منه ، ولولا آيتان
أنزلهما الله في كتابه ، ما حدثت
شيئا أبدا (أن الذين يكتبون ما
أنزلنا من البينات والهدى ...
إلى آخر الآيتين -) رواه
البخارى ومسلم والترمذى
ولا ريب في ذلك ناهيك أن
النبي دعا له بعدم النسيان كما
ورد في سنن النسائي أنه قال :
اسألك علما لا ينسى فقال رسول
الله : آمين فقال الجالوس : يا رسول
الله ونحن نسألك علما لا ينسى
فقال : « سبقكم بها الغلام الدوسى »
ولم يفت الامام (ؐ) أن يقتبسه

✽ الذهبى في ميزان الاعتدال .

(٩) ابن العباد - (شفرات الذهب) ج ١ ص ٦٢ ط القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ

بالموضوعات ، أليست هذه قرينة
بلا دليل وتهمة بلا بينة ، وجور لا
يعرف العدل . وكتب في ص ٢٨
يقول : - كان أبو هريرة أول
راوية اتهم في الاسلام بالكذب على
رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - وهو أول والى فضحه
عمر بن الخطاب على أخذ الرشوة
لما ولاه على البحرين ، ولكي يرفع
من مقام نفسه فيما بين الصحابة
والتابعين ، بدأ بوضع الحديث عن
نفسه فزعم أن النبي خصه دون
غيره بالحديث ، وهو الكذاب
المرتشي فيجعل من نفسه فيما
على حديث النبي حافظا لكل ما نطق
به . . . الخ ، وهكذا يتوالى
سوء الأدب مع صحابي فضله الله
ورسوله على أمثالنا ، دع عنك
أن المؤلف يرتد عن عمد الى
جاهلية في الهجوم على الأموات
فينطق بهراء باطل يحضه البحث
العلمي السليم ، وانه ليسوؤنا أن
يحمل هذا المسلم نفس الترهات
التي حملها أعداء الاسلام وعلى

وسلم - يقول : « ان الله اثتمن
على وحيه ثلاثة : أنا وجبريل
ومعوية » قلت : لعل سيادة
المؤلف - فض الله فاه - نسي أن
النبي محمدا قال « سيكذب على »
وقال : من كذب على متعمدا فليتبوأ
مقعه من النار (١٠) وهو النبي
المعصوم من قبل الله تعالى لم ينج
من كيد الأشرار وحيث أن النبي
كذلك ليس ببعيد أن يضع الأعداء
هذا الحديث أو الخبر على
الصحابي الجليل ، ويبدو أن واضع
الخبر الكاذب كان يعترف بجلال
أبي هريرة ومكانته ، والا لما نقول
عليه بهذا الأسلوب . ومن وجهة
أخرى نقول : هذا الخبر ضمن
المثبوت في كتب التاريخ ، ومعظمها
مقطوع السند ، مدلس المتن ،
مجهول الرجال ومن تماجييب
المفاهيم أن مؤلف الكتاب يجيء
بالطم والرم وينكر ما أورده
البخاري ومسلم والنسائي
والترمذي وأصحاب السنن لصالح
أبي هريرة وتراه يحتج

أبا هريرة فقال : « ما ذنبى ان كنت
حفظت ونسوا » فلا مشاحة ان
روى هذه الأحاديث عن يقين
وصدق القائل :

سبع من الصحبة فوق الألف قد نقلوا
من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة — سعد جابر أنس
صديقه وابن عباس كذا ابن عمر
ومن ذا الذى ينكر أن محمدا —
صلى الله عليه وآله وسلم — كان
يعلم مطاوى أصحابه ودواخلهم
وقد خولته معجزاته أن يخص
بعض أصحابه بأمر ، تنفع
الاسلام عن طريقهم ، وعلى سبيل
المثال رجل يأتى إليه فيقول
لِلرَّسول أوصنى فيجيبه — صلى
الله عليه وسلم — لا تغضب ثم
يستنصحه آخر فينصحه الرِّسول
بالاستقامة ، لذا لا تثريب عليه
وهو الصادق الأمين أن يعطى
الوصية لطالبيها ومما أخذهُ أبو
هريرة هذا الخبر الصحيح قال
له النَّبى — صلى الله عليه وسلم —
« أوصيك بخصال لا تدعهن مابقيت
قال : أوصنى ما شئت فقال له :
عليك بال غسل يوم الجمعة والمبكور

رأسهم القس النصرانى المصرى
عام ١٣١٥ هـ ، وتصدى له حينها
محمد رشيد رضا — رحمه الله —
ويبدو أن شجرة الباطل من أصل
واحد ، وعن عزل الصحابي من
امارة البحرين فهذا أمر يتعلق
بصالح المسلمين ، ولا يخفى على
منصف أن عمر — رضى الله عنه —
كان من أعدل خلق الله فى شجاعة
يقرها العرف الاسلامى ، ولا غرو
فهو الفاروق الذى فرق الله به بين
الحق والباطل واذا كان المؤلف —
سامحه الله — يروى أن عمر عزله
لشيء يراه ، فلا يتدح هذا
الشيء فى شخص أبى هريرة ولا
يعيبه أنه أكثر الناس توفيقا فى
حفظ الأحاديث فقد قيل له ذات
يوم « أكثرت » فقال لو حدثتكم
بما سمعت لرميتونى بقشع
الجلود » (نقل هذا الخبر ابن
حجر) ، وكان أبو هريرة قد روى
حديثا عن الصلاة لم يعجب مروان
فسأل عبد الله بن عمر : فقال
عبد الله لقد أكثر أبو هريرة فقالوا
له ، أنتكر شيئا مما يقول ؟ فقال لا
ولكن اجتسرا وجبنا فبلغ ذلك

لأمكن قراءتها في مجلس واحد ، لأن الأحاديث النبوية تأخذ طابع الإيجاز والفصلية فكيف — بالله عليكم — يستكثر هذا الفرع هذه الأحاديث على مثل أبي هريرة أو من هو دونه في الحفظ واننا لنعلم أن في تاريخنا العربي ، « أناسا حفظوا مجلدات ومنهم ، أبو محمد عبد المجيد عبدون الذي كان أيسر محفوظاته كتاب الأغاني للأصفهاني وهو اثني عشر مجلدا من القطع الكبير (١٢) » ومن منحه الله للعرب ، هذه العقول الجبارة التي نقلت إلينا أساسيات الفكر الإنساني في العلوم والمعارف ، وانها لمفخرة للإسلام والمسلمين على مر الدهور أن يكون فيهم هذا الجرم الصغير من الحفاظ الأجلاء ١٠٠٠ ويكتب في ص ٣٠ ما يلي : — « رأيت كيف أن أبا هريرة ، وقد ساوم معاوية على وضع الحديث كيف سد الطريق على غيره في رواية الحديث والظمن في

اليها ، ولا تلغ ولا تله ، وأوصيك بركعتي الفجر لا تدعهما وإن صليت الليل كله فإن فيهما الرغائب قالهما ثلاثا ثم قال ، ضم إليك ثوبك فضم ثوبه إلى صدره فقال يارسول الله بأبي وأمي أسر هذا أو أعلنه قال : بل أعلنه يا أبا هريرة قالها ثلاثا (١١) ٠٠ في ص ٢٩ يحتب بلا حياة على ابن خالدون فيقول : — « العجب كل العجب ممن اعتبر أصدق كتاب ، بعد كتاب الله الكتاب الذي يروى عن أبي هريرة (٥٣٧٤) هكذا ١١ ، ولا يروى عن طريق الامام أبي عبد الله رواية واحدة » أقول : حقا السزور منضوح بنفسه ، وليته سكت حتى لا يكشف القارئ خيوط الأكذوبة ان البخاري لم يرو له الا (٤٤٦) حديثا فقط ، واذا أردت تلاوة هذه الأحاديث وجدت أنها من سماعه ومن روايته عن بعض أصحابه — رأي أن فيها مراسيل — وهي لو جمعت كلها

(١١) منصور ناصف (التاج) ج ١ ص ٢٠٧ ط الحلبي بالقاهرة .
(١٢) مصطفى صادق (تحت راية القرآن) ص ٧٨ ط لبنان ١٣٩٤ هـ .

الأمويون حديث الرسول لأبي هريرة وحده ؟ كلا وما في كتب الصحاح أظهر دليل على بطلان زعمه •

المستشرقون يفترون !!

في دائرة المعارف الإسلامية ، التي أعدها ثلة من أصحاب الشمال ، مستشرقى الغرب مايندى له جبين المسلم المؤمن ، ومن المآسى أن يقف المترجمون العرب ، موقف المتفرج تجاه مثل هذا المراء وتعال ممي - بصرك الله - لتقرأ ما نصه « وقد اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بمصمة ذاكرة أبي هريرة عن الوقوع في الخطأ تلك الذاكرة التي استطاع أن يستوعب بها عددا عظيما من الأحاديث فقالوا : ان النبي لفه بيده في بردة ونحن نقف من أحاديثه موقف الحذر والشك ، وقد وصفه شيرنكر بأنه المتطرف في الاختلاق وليس في كتابي البخاري والترمذي ، شيء

الصحابة ١١ أرأيت كيف أن السياسة الأموية جعلت من أبي هريرة راوية •• الاسلام دون سواء ؟ » ونجيب على مثاليه لصحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن معاوية بادىء ذى بدء برىء من هذه الأكذوبة ، والنصوص التي تبرؤه ليست من عندي بل نقلها البخاري ومنها أن ابن عباس قيل له « هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة فقال له انه فقيه ، وعن النبي - صلى الله عليه وسلم - « أنه قال لمعاوية اللهم اجمله هاديا مهديا واحد به (١٣) » ولم يكن من ملوك الاسلام ملك خيرا من معاوية ، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيرا منهم في زمن معاوية اذا نسبت أيامه الى أيام ما بعده واذا نسبت الى أيام أبي بكر وعمر ظهرت المفاضلة (١٤) » فماذا علينا لو تطعنا الاحترام لهؤلاء السادة الكرام وهل جمل

(١٣) رواء الترمذي •

(١٤) ابن تيمية (منهاج السنة) ج ٢ ص ١١٥ (نفس المرجع السابق)

خاص عن أبي هريرة (١٥) « ١١ نقول ان الحركة الاستشراقية، أقيمت لهدم الفكر الاسلامي ، وتقويض أركانه بالطمع في أعلامه ، وماذا تنتظر من أعدائك الا الانتقام منك ومن ذويك ، والمستشرقون يخضعون النصوص حسب الفرض الذي عليه هواهم ، غير ناظرين الى المعايير التي اصطلح عليها أهل الفكر الاسلامي واذا ما عجزوا عن الفهم حرفوا الأحاديث لكانها من اختلاق الناس، ويحق للناس الزيادة فيها والنقصان منها ، ووصل الحال الجائر بهم أن شكوا في أحاديث النبي بل في النبي - صلى الله عليه وسلم - نفسه ١١ وقد ردد جبولد زيهودوزي وشبرنجر أن السنة تأخرت في التدوين ، فأعطى هذا فرصة للمسلمين ليزيدوا لخدمة أغراضهم وليس أبو هريرة وحده - بل كل الصحابة - واننى لمستاء من الذين يفخرون بالانتماء

الاستشراقى وتا الله ما كتب الاستشراقى الاسم فى تريقا ، ولقد شاء الله أن يظهر الحقائق فروى البخارى هذا الجمع وروى الترمذى أكثر منه فكيف زعمهم وهم أرباب المنهج العلمى كما يدعون ! ومن أكبر الدواهى أن أحد العرب المسلمين كاد أن ينفى وجود شخصية تحمل هذا الاسم (أعنى أبا هريرة) ويبدو أنه عمى عن كتب التاريخ ونجمل له المراجع التى أنصفت أبا هريرة وله دراستها - ان أراد - (التهذيب : ج ١٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ - الطبقات : ج ٤ ص ٥٢ ، ٥٣ - سير اعلام النبلاء : ج ٢ ص ٤١٧ - تاريخ الاسلام : ج ٢ ص ٣٣٣ - الكامل ج ٣ ص ٢٥٩ - ذخرات الذهب : ج ١ ص ٦٣ - الأصابة ترجمة رقم ١١٧٩ ، حلية الأولياء ج ١ ص ٣٨٦ ، المحبر : ص ٨١ ، ٥ - النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٥١ - الوفيات لابن الحطيب ص ٧٢ - المعارف :

(١٥) المستشرقون (دائرة المعارف الاسلامية) ح ٢ ص ٢٦ ط دار الشعب ١٩٦٩ م

ص ٢٧٧ - حياة الصحابة : للاسلام في مناخ الشموعية
ج ١ ص ١٧٧ - فجر الاسلام : النكراء فهل آن لنا
ج ١ ص ٦٥ ، ١٨٥ ، ٣٢٨ ، - مشر المسلمين ، أن نصلح
أبو هريرة - سلسلة أعلام أخلاقنا ؟ ونرتفع فوق العصبية
العرب ، للاستاذ محمد المنتقة ، التي هدت كيان الأمة
عجاج الخطيب - دفاع عن أبي ونحرت في أركانها ، اننى أحس
هريرة ، للاستاذ عبد المنعم صالح تلقا بالغا على سلامة التاريخ
الطلى) . للصحابة السلفى - رضوان الله

ويعد ... فماذا بعد الحق
الا الضلال ؟

عليهم - ولا يدع فواحد من الكتاب يطلع بمقال يتهم فيه
« ابن تيمية » اتهاماً لا يقره عقل ولا ترضاء فطرة أخلاقية ، وآخر
يطالب بإعادة كتابة السيرة المحمدية لأنها - على زعمه - مليئة
بالغزوات ، ولم يك الرسول !!
رجل حرب بل رجل سلام !!
وياللاسف : ان السيرة التي كتبها
- ابن اسحاق ، وابن هشام ،
وابن كثير ، والقاضى عياض ،
والسهيلي ، وعبد الله بن الشيخ
محمد عبد الوهاب - ثم الدكتور
ميكل ، كفيلة بأن تقف متحمدة
لأنها مؤيدة بالكتاب والسنة ، ومهما
اختلفت المناهج اتحدت النتائج ،

ليس مؤلف كتاب (مذاهب
سياسية ...) هو وحده الذى
طعن في صحابة الرسول - صلى
الله عليه وسلم - بل غيره كثير ،
وقد صنف علماءنا الكبار رسائل
في الرد على هؤلاء الذين مرقوا عن
دين الله واتبعوا سبيل الضالين ،
ولن يستفيد المسلمون من هذه
المؤلفات المشبوهة التى تحمل
أسماء المسلمين أو من تسموا
باسمهم : ، وليس من الاسلام أن
اسب أحدا فسباب المؤمن فسوق
وقتاله كفر ، ولا يريد أعداء
الاسلام الا بذر التيارات المعادية

وعلى هؤلاء الأدعياء من محدثي
 العصر، أن يلزموا الأدب مع الله
 ورسوله وأصحابه - رضوان
 الله عليهم - (ربنا اغفر لنا
 ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان
 ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا
 ربنا انك رؤوف رحيم) *

عبد الجواد محمد الخضري

فهرس العدد

الموضوع	صفحة
• منابع التاريخ الاسلامى ويده الكتابة فيه	
عضيله الدكتور محمد الطيب النجار وكيل الأزهر	١٥٩٧
• الرحله فى طلب الحديث	
عضيله الدكتور الحسينى هاشم الامين العام لمجمع البحوث الاسلاميه	١٦٠٧
• نحات من اسرار الحج	
للاستاذ محمد صابر البرديسى	١٦١٨
• اخلاقيات البيع والشراء فى الاسلام	
للدكتور رموف شلبى	١٦٢٧
• المهدي والخميني فى نظر الاسلام	
لفضيله الشيخ مصطفى محمد الطير	١٦٣٥
• مناسكه الحج .. والرمزية	
للدكتور محمود بن الشريف	١٦٤٩
• حول اعلام اسلامى رشيد « خطبة الجمعة »	
للدكتور محمد رجب البيومى	١٦٥٧
• الشعر المملوكى مرآة عصره	
للاستاذ السيد حسن قرون	١٦٦٥
• التربية الصوفية	
للاستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى	١٦٧٢
• العقلية العلمية فى الاسلام	
للاستاذ أحمد عبد الرحيم السايح	١٦٨٤
• من سماحة الاسلام فى معاملة المسلمين	
للاستاذ محمد عزت الطهطاوى	١٦٩٧
• دراسات قرآنية فى ملكوت السموات والأرض	
للاستاذ على عبد العظيم	١٧١٣
• غربة الاسلام	
للاستاذ موسى محمد على	١٧٢٦

- الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس
للأستاذ محمد نعيم عكاشة * ١٧٢٥
- دمنة وفاء على المرحوم الدكتور أحمد الشرياضي
لتلاميذ الفقيه ١٧٤٠
- مشكلات الشباب المعاصر وحلولها في ضوء الكتاب والسنة
للأستاذ على القاضي ١٧٤٣
- جمع الصحيحين
للأستاذ محمد أحمد بدوي ١٧٥٧
- يا عبيد
للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين ١٧٦٨
- أخطاء شائعة
للأستاذ عباس أبو السعود ١٧٦٩
- حكم *** وطرائف
أعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٧٧٨
- باب الفتاوى
للأستاذ عبد الحميد السيد شاهين ١٧٨٢
- من آتياء العالم الإسلامي
أعداد الأستاذ قهني عبد الله سيد علي ١٧٩٢
- كتاب الشهر
تعليق الأستاذ عبد الجواد محمد الخضري ١٧٩٥